

الجزء السابع من مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير
الكبير الامام محمد الازي فخر الدين
ابن العلامة ضياء الدين ع

المسهر بخطيب ازي

تفع الله به المسلمين

آمين

م

*) و بهامشه تفسير العلامة أبي السعود) *

* (فهرسة الجزء السابع من تفسير الفخر الرازي) *

صفحة

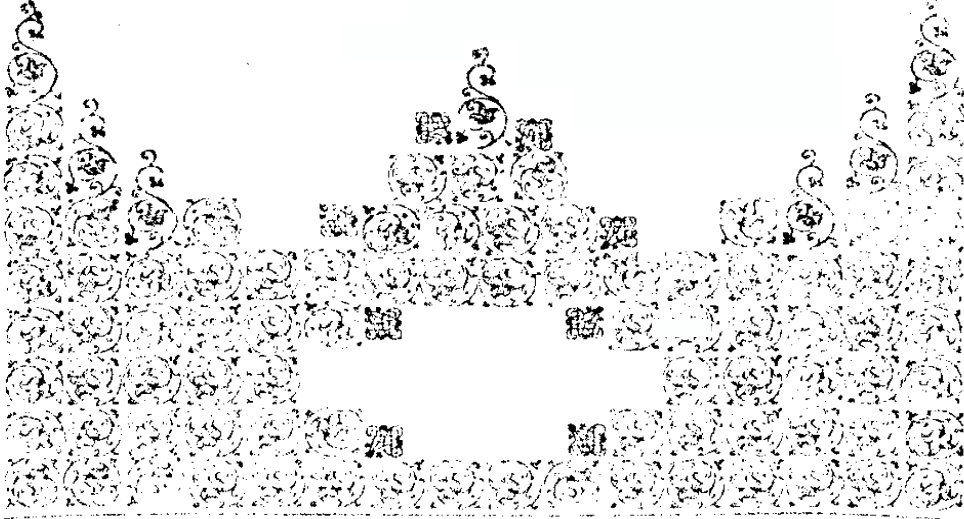
(سورة صبا وفيها المسائل الآتية) *	٢
المسئلة الثالثة في بيان معنى الحكمة	٣
المسئلة الرابعة في بيان كيفية تمخير الجبال وتسيبها مع داود	٩
المسئلة الخامسة في بيان المراد من قوله تعالى وقبيل من عبادى الشكور	١١
الكلام في بيان المذاهب المغضبة الى الشرك	١٥
* (سورة قاطر) *	٢٩
(سورة يس وفيها المسائل الآتية) *	٥٧
الكلام على حكمة افتتاح بعض السور ببعض حروف التهجى	٥٧
الكلام في بيان لطائف قوله تعالى وما لى لأعبد الذى فطرنى الآتية	٧٢
الكلام على نبذة من علم الهيئة	٨٦
المسئلة الثالثة في بيان الخلاف في أن السماء هل هى مبسوطة أو مستديرة	٨٨
المسئلة الرابعة في بيان نبذة من علم الهيئة	٩٠
المسئلة الثالثة في بيان مباحث لغوية ومعنوية في لفظة ماوان	٩٧
المسئلة الرابعة في بيان المراد من مخافة الشيطان وعدمها	١٠٧
المسئلة الاولى في بيان سبب حصول العداوة بين الشيطان والانسان	١٠٩
الكلام في بيان لطائف لفظية ومعنوية في قوله تعالى اليوم نختم على أفواههم	١١٢
الكلام في بيان لطيفة غريبة في قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين	١١٧
الكلام في بيان استدلال المعتزلة على أن المعدوم شئ والجواب عنه	١١٩
* (سورة الصافات وفيها المسائل الآتية) *	١٢٢
المسئلة الثانية في بيان المراد من الاشياء الثلاثة المقسم بها في هذه السورة	١٢٢
المسئلة الثانية في بيان نبذة من علم الهيئة	١٢٧
المسئلة الرابعة في بيان احتجاج أهل السنة على أن الهدى والضلال من الله تعالى	١٤٤
المسئلة الثانية في بيان حكاية أقوال الناس في الذبيح	١٥٥
المسئلة السابعة في بيان حكمة مشاورة ابراهيم مع ولده في الذبيح وفي كيفية الذبح	١٥٨
المسئلة الثالثة في بيان قصة يونس عليه السلام	١٦٤
المسئلة الثانية في بيان احتجاج أهل السنة على انه لا تأثير لاغواء الشيطان	١٦٩
* (سورة ص وفيها المسائل الآتية) *	١٧٢
المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على صحة الحشر والنشر	١٩٦
الكلام في بيان المراد من فتنة سليمان عليه السلام	٢٠١

المسئلة الرابعة في بيان الرد على من يثبت لله تعالى الجوارح	٢١٩
الكلام في بيان ان النار اشرف ام العطين	٢٢٢
* (سورة الزمر وفيها المسائل الآتية) *	٢٢٦
المسئلة الاولى في بيان احتجاج القائلين بحدوث القرآن والجواب عنه	٢٥٢
* (سورة المؤمن وفيها المسائل الآتية) *	٢٨٩
المسئلة الاولى في بيان استدلال اكثر العلماء على اثبات عذاب القبر	٣٠١
المسئلة الثانية في بيان اصل عظيم من اصول الفقه	٣٠٩
المسئلة الرابعة في بيان حكاية نار نجيية	٣٢٤
الكلام في بيان حقارة الدنيا وكل حال الملاحة	٣٢٦
المسئلة الاولى في بيان احتجاج اهل السنة على اثبات عذاب القبر	٣٢٩
الكلام في: ا) دلائل وجود الله تعالى وقدرته	٣٣٧
* (سورة حم السجدة وفيها المسائل الآتية) *	٣٤٥
المسئلة الاولى في بيان احتجاج القائلين بخلق القرآن والجواب عنه	٣٤٦
المسئلة الخامسة في بيان اقسام فضائل اللغات	٣٤٧
المسئلة الثانية في استدلال النجسين على ان ايام رمضان يكون تحساوا بعضها سعدا	٣٤٨
المسئلة الثانية في بيان استدلال اهل السنة على انه تعالى يريد الكفر من الكافر	٣٤٩
المسئلة الثانية في بيان مراتب الدعوة الى الله تعالى	٣٥٠
* (سورة شوري وفيها المسائل الآتية) *	٣٥٤
الكلام في بيان اقسام الموجودات	٣٨٨
المسئلة الثالثة في بيان احتجاج نفاة اقياس على قولهم والجواب عنه	٣٩١
المسئلة الاولى في بيان احتجاج علماء التوحيد على ان الله ليس جنسا من كيان	٣٩٢
من الاعضاء	
المسئلة الثانية في بيان اصل كبير من اصول الفقه	٤١٦
المسئلة الرابعة في بيان اختلافهم في حقيقة كلام الله تعالى	٤٢٣
* (سورة الزخرف) *	٤٢٧
المسئلة الثانية في بيان الاستدلال على ابطال القول بالتقليد	٤٣٩
* (سورة الدخان) *	٤٦٢
المسئلة الخامسة في بيان اختلافهم في اليلة المباركة	٤٦٣
* (سورة الجاثية) *	٤٧٨
* (سورة الاحقاف) *	٤٩٢

صفحة	
٥٢١	* (سورة القتال) *
٥٥٤	* (سورة الفتح) *
٥٨١	* (سورة الحجرات) *
٦١١	* (سورة ق) *
٦٥٢	* (سورة الساريات) *
٦٥٢	المسئلة الاولى في بيان حكمة القسم بالاشياء القسم بها في أوائل السور
٦٨٥	الكلام في بيان ذوات الله بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
٦٩١	(سورة الطور) *
٦٩٥	المسئلة الرابعة في بيان بحث في معنى الزمان والمكان
٧٢٤	* (سورة النجم) *
٧٦١	المسئلة الرابعة في بيان الفرق بين الفواحش وانكباث
٧٧٩	* (سورة القمر) *
٧٩٣	المسئلة الثانية في بيان الفرق بين الاسماء المشتقة وبين أسماء الاجناس
٨٠١	الكلام في بيان لطيفة نحوية تتعلق باسم الفاعل
٨١٥	المسئلة الاولى في بيان أن القدرية من *م

* (تمت) *

﴿ سورة سبأ ﴾ مكية وقيل الاويرى الذين أتوا العلم الآية وهي أربع وخمسون آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
 (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض) أي له تعالى خلقنا وملكنا وتصرفنا بالايجاد والاعدام والاحياء والاموات جميعا
 ما وجد فيهما داخلًا في حقيقتهما أو خارجًا عنهما مكننا فيهما فكانه قبل له جميع المخاوف كما مر في آية الكرسي ووصفه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة سبأ مكية وقيل فيها آية مدنية وهي ويرى الذين أتوا العلم الذي أنزل اليك
 الآية وهي أربع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير)
 السورة مفتحة بالحمد خمس سور سورتان منها في النصف الاول وهما الانعام والكهف
 وسورتان في الاخير وهما هذه السورة وسورة المائدة والخامسة وهي فاتحة الكتاب
 تقرأ مع النصف الاول ومع النصف الاخير والحكمة فيها أن نعم الله مع كثرتها وعدم
 قدرتنا على احصائها فمحصرة في قسمين نعمة اليجاد ونعمة الابقاء فان الله تعالى خلقنا
 او رحمة وخلقنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة أخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة
 أخرى ويخلق لنا ما يدوم فلنا حانتان الابداء والاعادة وفي كل حال لله تعالى علينا نعمتان
 نعمة اليجاد ونعمة الابقاء فقال في النصف الاول الحمد لله الذي خلق السموات والارض
 وجعل الظلمات والنور اشارة الى الشكر على نعمة اليجاد ويدل عليه قوله تعالى فيه هو
 الذي خلقكم من طين اشارة الى اليجاد الاول وقال في السورة الثانية وهي الكهف الحمد
 لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيما اشارة الى الشكر على نعمة الابقاء
 فان الشرائع بها البقاء ولا شرع يتقاده الخلق لا تتبع كل واحد هواه ولو وقعت المنازعات
 في المشتبهات وأدى الى التقابل والتفاني ثم قال في هذه السورة الحمد لله اشارة الى نعمة
 اليجاد الثاني ويدل عليه قوله تعالى وله الحمد في الآخرة وقال في الملائكة الحمد لله اشارة

تعالى بذلك لقرير ما أفاده
 تعليق الحمد المعروف بالام الحقة
 بالاسم الجليل من اختصاص
 بتجميع أفراد به تعالى به تعالى
 ما بين في فاتحة الكتاب
 ببيان تفرده تعالى واستقلاله
 بما يوجب ذلك وكون كل
 ما سواه من الوجودات التي
 من جعلتها الانسان تحت
 ملكوته تعالى يس اعني
 حد ذاتها استحقاق الوجود
 فضلا عما عداه من صفاتها
 بل كل ذلك نعم فأنصت عليها
 من جهته عز وجل فاهذا
 شأنه فهو يعزل من استحقاق
 الحمد الذي سداه الجليل
 الصادر عن القادر بالاختيار
 فقطهر اختصاص جميع
 افراد به تعالى بقوله تعالى
 (وله الحمد في الآخرة) بيان
 لاختصاص الحمد الاخرى
 به تعالى اثر بيان اختصاص
 الديوي به على أن الجبار
 متعلق اما بنفس الحمد او بما
 تعلق به الخبر من الاستقرار
 واطلاقه عن ذكر ما يشعر
 بالحمود عليه ليس للاكتفاء
 بذكر كونه في الآخرة عن
 التعيين كما كتفي فيما سبق
 بذكر كون الحمود عليه

في الدنيا عن ذكر كون الحمد - أيضا فيها بل ليعم النعم الاخرى كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴿ الى ﴾
 واورثنا الارض ننبأ من الجنة وقوله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم
 الذبوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا أي لا جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمد
 مع كون نعمة الدنيا والآخرة بطريق

تفضل أن الأول على حج العباد والثنى على وجه التلذذ والاعتباط وقد ورد في الخبر أنهم يلهون السليح كما يلهون النعس
وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدين والدنيا وديرها حسبما تقتضيه الحكمة (الخبر) ياطن الأشياء ومكتوباتها وقوله
عالي (يعلم ما يلج في الأرض) الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الأمور التي تيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية أي
في ما يدخل فيها من العيش والكنوز والدفان **ط ٣** والاموات ونحوها (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات وماما العيون

ونحوها (وما ينزل من السماء)
كاللائكة والكتب والمقادير
ونحوها وقرى وما ينزل
بالشديد ونون العظمة
(وما يخرج فيها) كاللائكة
وأعمال العباد والآخر
والأدخنة (وهو الرحيم)
للعامدين على ما ذكر من نعم
(الفقور) للفرطين في ذلك
بالمطرد وكرمه (وقال الذين
كفروا لا تأتينا الساعة)
أرادوا الصبر المتكلم جنس
البشر فاطبة لأنفسهم
أو معاصريهم فقط كما أرادوا
بني آياتها نبي وجودها
بالكتابة لعدم حضورها
مع تحققها في نفس الأمر
والناسير واليه بذلك لأنهم
كأنهم يوحدون بآياتها وآلات
وجود الأمور الزمانية
المستقلة لا سيما الجراء الزمان
لا يكون الإباليان والحضور
وقبل «واستبطها لايتأنها
بموجود بطريق الهمز
والسخرية كقولهم من هذا
الوجد (قل يلى) رد الكلام
وإثبات المنقوه على معنى ليس
الأمر الايتانها وقوله تعالى
(وربى لأنتنكم) تأكيد
على أنهم الوجود والكلمة

الى نعمة الأبقاء ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا والملائكة بأجمعهم
لا يكونون رسلا الا يوم القيامة برسلهم الله مسلمين على المسلمين كما قال تعالى وتلقاهم
الملائكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طبتهم فادخلوها خالدين وقام هذا الكتاب لما اشتملت
على ذكر التعمين بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين إشارة الى النعمة العاجلة وقوله مالك
يوم الدين إشارة الى النعمة الآجلة قرئت في الافتتاح وفي الاختتام ثم في التفسير مسائل
(المسئلة الأولى) الحمد وشكر والشكر على النعمة والله تعالى جعل ما في السموات
وما في الأرض لنفسه بقوله ما في السموات وما في الأرض ولم يبين أنه تعالى حتى يجب
الشكر نقول جوابا عند الحمد يفارق الشكر في معنى وهو أن الحمد أعم فحمد من فيه
صفات حميدة وإن لم ينم على الخامد أصلا فإن الإنسان يحسن منه أن يقول في حق عالم
لم يتسع به أصلا أنه عالم عالم بارع كامل فيقال له إنه محمد فلا تأنيقال أنه شكره إلا إذا
ذكر الله أو ذكره على نعمه فإنه تعالى محمود في الأزل لا يتساقط بأوصاف الكمال ونعمت
الجلال وشكركم لا يزال على ما أبدى من الكرم وأسدى من النعم فلا يلزم ذكر النعمة
للممد بل يكفي ذكر النعمة وفي قوله مالك ما في السموات وما في الأرض عظيمة كاملة فله
الحمد على أنه يقول قوله ما في السموات وما في الأرض يوجب شكرا أعم مما يوجد بقوله
تعالى خلق لكم ما في الأرض وذلك لأن ما في السموات والأرض إذا سكن الله ونحن
المتنزهون به لا هو بوجود ذلك شكرا لا يوجد كون ذلك لنا (المسئلة الثانية) قد ذكرتم
أن الحمد هي إشارة الى النعمة التي في الآخرة فلم ذكر الله السموات والأرض فنقول نعم
الآخرة مرتبة فذكر الله التيم المرتبة وهي ما في السموات وما في الأرض ثم قال وهو الحمد
في الآخرة ليقاس نعم الآخرة بنعم الدنيا يعلم فضلها بدوامها وذلك العاجلة واليه قال
الحكيم الخبير إشارة الى أن ما في هذه الأشياء بالحكمة والخير والحكمة صفة ثابتة
لله لا يمكن زوالها فيمكن منها إيجاد أمثال هذه من أخرى في الآخرة (المسئلة الثالثة)
الحكمة هي العلم الذي يتصل به الفعل فانه من يعلم أمرا ولم يأت بما يتصل به لا يقال له
حكيم ومن أتى بأمر عجيب على سبيل الاتفاق من غيره لم يقال له حكيم فانما العلم الذي
قوله على وفق العلم هو الحكيم والخبير هو الذي يعلم بواقف الأمور ويوظفها في الحكيم
أي في الابتداء يخلق كالميتي وخبره أي بالانتهاء يعلم إذا صدر عن الخلق وما لا يصدر
الى ما إذا يكون مصير كل أحد فهو حكيم في الابتداء خبر في الانتهاء ثم بين الله تعالى لنا
أخبره بقوله (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
الرحيم الفقور) ما يلج في الأرض من الحبة والاموات ويخرج منها من السحاب
والأحياء وما ينزل من السماء من أنواع رحمة منها المطر ومنها الملائكة ومنها القرآن
وما يعرج فيها منها الكلم الطيب لقوله تعالى البد يصعد الكلم الطيب ومنها الأرواح
ومنها الأعمال الصالحة لقوله والعمل الصالح يرفعه وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قدم
ما يلج في الأرض على ما ينزل من السماء لأن الحب يتبدرا ولا يتم تسقى ثانيا (المسئلة الثانية)

وقرى لأنتنكم على تأويل الساعة باليوم أو الوقت وقوله تعالى (علم الغيب) الخ امداد لآ كيدو تسديده الر تسديده وكمراسوا
زكدهم واستعدادهم فان تعيب المقسم بجلال نعوت المقسم به على الإطلاق يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه وقوة ثباته وصحة
لأن ذلك في حكم الشهادة على الأمر ولا ريب في أن المستشهد به كل من كان أجل وأعلى كانت الشهادة كدوا أقوى والمستشهد
بشبه الحق بالثبوت وأولى لاسيما إذا خص بالذكر من نعوت ما لا يقع في الأرض

بالقسم عليه كما عين شيد فان وصفه بغير الغيب الذي اشهره قرآنه وأدخلها في الخطاب هو انقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم
وكونه مما لا يحوم حوله شاذة قرب ما وفتاة الامر بهذه المرتبة من اليقين ان لا يبقى للعالمين عند ما انصت منهم كانوا يعرفون أمات
ونزاهته عن وصلة الكتب فضلا عن اليقين الفاجرة وانما لم يصدقوا بكثرة وقوى علام الغيب وعالم الغيوب بالرفق
على المدح (لا يعرف عنه) أي لا يمدح بقره بكسر الهمزة (مقال ذرة) مقدار حبة من اصغر منه (في السموات ولاقى الارض)

قال وما يرج فيها ولم يقل يرج اليها الشارة الى قبول الاموال الصالحة ومعرفة النفوس
الركوة وهذا لان كلامي الغاية فتوقال وما يرج اليها الغفر الوقوف عند السموات فتقال
وما يرج فيماليهم فتوقالها منها وصعودها منها ولهذا قال في التكلم الطيب اليه يصعد
التكلم الطيب لان الله هو المنتهي والمرتبة فوق الوصول اليه وأما السماء فهي دنيا
ونورها المنتهي (المسئلة الثالثة) قال وهو الرحيم الغفور رحيم بالانزال حيث ينزل الرزق
من السماء فتوقال عند ما يرج اليه الارواح والاعمال فرحم اولابالانزال وغفر ثانيا عند
العروج ثم بين ان هذه النعمة التي يستحق الله بها الحمد وهي نعمة الاخرة أكبرها فقوم
فتقال تعالى (وظن الذين فسقوا اننا لناتينا الساعة) ثم رد عليهم وقال (قل يلى ورنى
لنا انكم علم اعرب لا يعرف عند مقال ذرة في السموات ولاقى الارض) واستغفر من
ذات ولا تكراني في كتاب مبين يجرى السن انوا وعلموا انما من ان اولئك منهم مغفرة
ورزق كريم) اعرب بالانزال او كسبا بين قال ان حشرى رحمة الله ان قال قال كسب يصح
الساكنين بالبين مع انهم يقعون لارت وان كانوا يشولون ساكنين انفسهم الاصلون
لا تلت ليين واجل عندنا لم يقتصر على اليقين بل ذكر الدليل وهو قوله يجرى الذي
آمنوا وعلموا الصالحات وبيان صكبه تدليله هو ان نفس قدسني في الدنيا بعد تدينه
في الآيات العاجلة وموت عليها والحسن قدس في دار الدنيا في الآخرة الشديدة
وموت فيها الاولاد ان تكون الاجرة بقولها كان الامر على خلاف ما كمدوا الذي اذوا
اشهوان السيل المذكور في قوله علم اعرب لا يعرف عند مقال ذرة أظهر وذلك لانه اذا
كان علم الجميع الاشارة الى اجراء الاحياء في حشر على جميعها فانه اذا تكلمه القيام وقد
انقرتها الصالحات فيكون واقعا على هذا فتوقال تعالى في السموات ولاقى الارض في
اصح وهو ان الانسان اجسام وزوج والاجسام اجزاء اهلى الارض والارواح في
السموات فتوقال لا يعرف عند مقال ذرة في السموات اشارة الى علمه بالارواح وقوله ولاقى
الارض اشارة الى علمه بالاجسام وانما علم الارواح والاشباح وقدر على جميعها لا يبقى
اسباب في الماد وعوالمه ولا أصغر من ذلك اشارة الى ان ذكروا مقال الذرة ليس للبعد بل
الان لا يعرف عند لا يعرف وعلى هذا فتوقال قال في حاشية الى ذكر الاكبر فان من علم الاصغر
من الذرة لا يدور ان علم الاكبر فتوقال ان كان الله تعالى أراد بيان البات الامور في
الكتاب فلو اقتصر على الاصغر انهم ذمهم انه ثبت انصه ان يكونها جعل التسبان أما
ان الاكبر لا ينسب الا لما وجد الى البات ان الاكبر في الكتاب ليس كذلك فان الاكبر أيضا
في كتابه ومن ثم علمه علمه بالاصغر والاكبر ان جمع ذلك وبيان الخبره فقال ليجزى
الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم ذكر فيهم امرين الايمان
والعمل الصالح وذكر لهم امرين المغفرة والرزق الكريم فاما مغفرة جزاء الايمان فكل
مؤمن مغفوره ويدل عليه قوله تعالى ان الله لا يعفر ان يشرك به ويعفر ما دون ذلك لمن
يشاء وقوله عليه السلام فيها أخبرنا تاج الدين عيسى بن أحمد بن الحاكم السدهي قال

أي كائنة فيهما (ولا أصغر
من ذلك) أي من مقال
ذرة (ولا أكبر) أي منه
ورفعهما على الابتداء والخبر
قوله تعالى (الاقى كتاب مبين)
هو الاوح المحفوظ والجملة
مؤكدة لاقى العروب وقرى
ولا أصغر وذلك كقول شيخ الراء
على ان الجسد والاي ورائ
يعطف الرفع على مقال
والمتنوع على درأه فيج
فرج من اجل لام تاوع اصغر
الانسان استنادا بعد الآيات
يعمل الظهور في علم الغيب
ويعمل المشتق في اوح خارجا
عنه اجرون للمفسرين له
فيكون المعنى لا يفصل عن
الغيب حتى الاستغورا في
الروح (يجري اشباح انوا
وعلموا الصالحات) فله لانه
تعالى لا يتكلم ويان لما يقضى
انها (اولئك) اشارة الى
الموصول من حيث انصافه
بما في حين الصلة وما فيه من
معنى البعد بلايات بعد
متراسهم في الفضل والشرف
أي اولئك الموصوفون
بالصفات الجليلة (اهم)
بسبب ذلك (مغفرة) ما فرط
منهم من بعض فرطات قدر

يخارونها باسم (ورزق كريم) لا يحب ويدول من عليه (وان من سمواوا آياتنا) بالمدح فيها وصدق الناس في الخبرين
عن التصديق بها (معاجزين) أي من اصدقين في ذوقه وقرى معجز في أي مشطين عن الايمان من اراده (اولئك لهم عذاب
الذي كرام فيه كالذي حر آتفا ومن في قوله تعالى (من رجى) اشارة الى فتادة رضى الله عنه الرجز سوء العذاب وقوله تعالى (الايهم) بالرفق
صفة عذاب أو اولئك الساعون لهم عذاب من جفرا

عذاب شديد

وقيل معنى مقبول من جد الساج الثوب اذا قطعه ثم شاع (أفتى على الله كذبا) فيقال (أم به جند) أي جنون يوهمه ذلك ويلقبه على لسانه والاستدلال بهذا الترتيد على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لفظه وور كونه الافتراء أخض من الكذب (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريق الاستفهام بالاضراب عن شبهة وباطلها **٦** واليات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سو حائلهم وابتلائهم

من جنس كريم وقيل هي تاليهم عذاب من رجز ألم بالانطة صالحة للتبعض وكل ذلك اشارة الى سعة الرحمة وقلة العصب بالنسبة اليها والرجز قيل أسوأ العذاب وعلى هذا من لبيان الجنس كقول القائل خاتم من فضة وفي الايام قراءة ثان الجواز الرفع فالرفع على أن الايام وصف العذاب كأية قال عذاب أليم من أسوأ العذاب والمجر على انه وصف للرجز والرفع أقرب نظر الى المعنى والمجر نظر الى اللفظ فان قيل علم تخصص الالفاظ في المؤمن الصالح غلله والمكذب الساعي العجز الجواز أن يكون أحد مؤمنا ليس له عمل صالح أو كافر متوقف فتقول اذا علم مال الغريقين المذكورين يعلم ان المؤمن قريب الدرجة من تقدم أمره والكافر قريب الدرجة من سبق ذكره ولا هو من معتزلة ورزق كريم وان لم يكن في الكرامة من رزق النبي صلى الله عليه وسلم من أسوأ أنواع التي للمكذبين المعالدين كما قال تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزلنا من ربك هو الحق ويهدى السراط العرش بالطوبى انما يدين حال من يسعى في الكذب في الآخرة ويؤتى الدنيا وهو ان سعة بان فل من أوتيها لا يفتر بكسبه ويعلم ان ما أنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وتوابعه هو الحق في هذا الصبر على اس الحق الاثبات وأما دون المكذب فيمثل اغلاق ما من أنواع خصائصه والذراع القاري فيكون قول كل واحد حقا للمعروف وقوله تعالى ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزلنا من ربك هو الحق هو الباطل فانه هادي الى الصراط ويحتمل أن يكون من الالفاظ أخر وهو انه سمع كوا حياها على الباطل واجتاز شوق كيف فاحسب كان فيه فاذة في الاستقبال وهي الرسول الى الله وهو ان من لا يغير رغبة ورهبة لله فاذ كان عن زائدون ذلك من رغبته من الذي يسعى في الكذب فاذ كان حياها يشكر سعي من يصدق ويعمل بالطيب في رغبة فاحسب ان الكذب في الصراط التي الرتبة مع ذلك أيضا تسعى في رغبته في رغبة بان القول كونه عن بانهم الى رغبة في الاشارة في جانب الرغبة عن رغبة الباطل أو رغبته من رغبته من رغبته كذبات فاعرفه في تعرفه رغبة ابدناه كما رغب عن الكذب تروى في التصديق ليحصل القرب من امر ربه ثم قال تعالى (وقال الذي كفر والله اني اذمكم على رجلكم انكم انتم في خلق جديد) جد الترتيب هو ان الله تعالى أسأرتهم أنكروا الساعة وردعاهم بقوله قل يلزم في الترتيب بين ما يكون بعد انبئها من جزاء المؤمن على عمله الصالح وجزاء الساجر ورجوع الترتيب على السبب في حال المؤمن والكافر بعد قوله قل الى سبيل التعجب هل تلكهم على رجل منكم يذمكم اذا منتم كل مخرج انكم اني خلق جديد وهذا كقول القائل في الاستبعاد جاء رجل يقول ان الشمس تطامع من المغرب الى حال

بما كانوا في حقه عابده الصلاة والسلام كأنه قيل ليس الامر كما زعموا بل هو في كمال الخلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يودى اليه ذلك من العذاب ولذا قالوا قولون ما يقولون ويقوم العذاب على ما يوجبه من عابدهم في الالباب عابدهم وفيها في أعضاء عابدهم والاشارة بما يذم عابدهم كأنه بما يذم كذباته ووصف الضلال بله ما أنزل هو وصف الضلال الباطل ووضع الموصوفين موضع عابدهم الترتيب في سعي العباد على أن انما انكرهم وانجرت اخلاصهم الشا عابدهم كافر هم بالاشارة وما فيها من فتون العذاب لولا اننا فعلنا ذلك خوفا من عابدهم قوله تعالى (ألم يرؤا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض) استأناف مسوق فهو بل ما اجتموا عليه من تكذيب آيات حال واستفهام ما كانوا ليد الصلاة والسلام

لما لم الوجبة لنزول حاول اذم العذاب من غير ريب وأشير والفاء للعطف على مقدر بتوضيه المقام وقوله تعالى (ان الكفار الذين كفروا ما كانوا في حقه عابدهم من المحذور المتوقع من جهه مما رغبه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب عذابهم بلو ما فعلوا من المنكر الهائل المستعجب في نظر والى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بلهم) ثم فرغ من انفسا ما

على موجب جنابهم (تخسف بهم الارض) كما خسفها بقارون (ونسقط عليهم كسفا) اي قطعها (من السماء) كما سقطت اهلها على اجساد الايكلة لا يستجاب لهم ذلك بما ارتكبه من الجرائم وقيل هو تذكير عابثون به مما يدل على كمال قدرته وما يحتل فيه ازاحة لاستحسانهم اليه حتى جعلوا اقراء وهرهوا وتهديده عليه او المعنى انهم فلم ينظروا الى ما احاط بجوابهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشدها فلما همى وارثا تخسف ﴿ ٧ ﴾ بهم الارض ونسقط عليهم كسفا لانه بالآيات بعد ظهور

البيئات فآمل وكن على الحق المبين وقرئ تخسف و يسقط باليد لله تعالى أفترى على الله كذبا ان يكون السميت (ان في ذلك) أي فبما ذكر من السماء والارض من حيث احاطت بها بالنظر من جميع الجوانب أو في ملى من الوحي الشافي بما ذكر (لا يرد) واضحة فلا تكل عيب (وب) سناه الاية الى ردها فاقا آمل فيها أوفى الوحي المذكور بجزء عن تعاطي التبايع و توب اليه تعالى وفيه حث على اتوب والاية وقد كذبت بقوله تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا) أي آتينا الحسن النابتة و حذرت في فضله على سائر الالوية عليهم الصلاة والسلام أي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه مجرورة خاصة بعمله الصلاة والسلام او على سائر الناس فيندر ج فيد النبوة والكتساب والملك والصوت الحسن فتسكروا لتفخيمه و متنا كيد فغامت الزانية فخامته الاضافية كافي قوله تعالى وآتينا من لدنا حاجا وتقدم على المفعول (الارث) للاعتماد بالتقدم على الالوية

من المحالات ثم قال تعالى (أفترى على الله كذبا ان يكون الله لا يؤمنون بالآخرة في العباد والذليل البعيد) هذا احتمال وجهين (أحدهما) أن يكون تمام قول الذين كفروا أولا أفترى من كلام من تكلم به محتمل أن يكون من كلام السامع بحسب لمن قال هل يدل لكم كان السامع لما سمع قول القائل من تكلم عن رجل قلته هو يفترى على الله كذبا ان كان يعتقد ثلاثة أمر به جنة جوارح ان كان لا يعتقد الثلاثة (وي هذا السيف) وهي ان الكافر لا يرضى بأن يظهر كذبه وانما قسمه ان يرمي بأن يفتر بل قال متفراحتون احقرنا من ان يقول قائل كذب بقول الله مفتر مع انه جاز ان يفتري ان الحق ذلك وظن الصادق يمنع الحجة القائل مفتر يا وكافرا في معنى توسيع أمر يري أن من يقول كذبا زيد فاذا تبين أنهم يفتريون قول الله كذبت يقول ما كذبت والناصب من فلات انه ما كذبت الا صادق فلو لم يكذب عن نفسه بانطق فهم احقرنا عن تبين كذبه فقل ما قد ينبغي ان يحقر عن المهور كذبه عند الناس ولا يكون اعقل احدى درجة من الكفار ثم تعانى اجماعهم مرة اخرى وقال في الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب في مشابهة قولهم أفترى على الله كذبا و هذا واحتمل البعد في مقابلة قوله به جنة في كلامه سادس الالوية العذاب فلات تسبوا كذبا الى الصادق و قد لانه شهادة عليه بانه يسقط في العذاب فيعمل اعذاب محارهم حيث نسبوه الى الكذب ونها الجنون فلات نسبة الجنون الى العاقل وونه في الآية لانه لا يشهد عليه بأنه يكذب ولكن بالنسبة الى عدم الشهادة فيهم هم الضالون ثم وسقط فضلا لاجل مسائل من اسبى اليه من عباد الله ان يكون هو احد من اسبى اليه من فضلا لكونه مثل والذين عابدا صلاوة والسلام كل هادى كل حين ثم قال تعالى (انظروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ تخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء) ناذ ذكر الدليل بقوله يعلم الغيب كونه جاز على البيئات والحسرات ذكر ذلك لاجل ان ذكره تهديدا أما الدليل فقوله السماء والارض فانها يدلان على الوجودية كما بيناه مرارا وكما كحل تعالى وان سألهم من خالق السموات والارض ليقول الله ويدلان على الحسرات لانها يدلان على كمال قدرته ومنها الاعادة وقد ذكرناه مرارا وقال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم واما التهديد فقوله ان نشأ تخسف بهم الارض يعني نجعل عذابنا فدهم صارهم الحسرة والكسفة ثم قال تعالى (ان في ذلك لآية لكل من عيب) أي لكل من يرجع الى الله ويترك التعصب ثم ان الله تعالى لما ذكر من يثيب من عباده ذكر منهم من أتى وأصاب ومن جعلهم داود كآل تعالى عند فاستقر ربه وخررا كما أتى وبين ما اتاه الله على آياته فقال (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه الطير والله الحسيد) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله تعالى منا إشارة الى بيان هذا الموهوب عليه السلام وتقرره هو ان قوله ولقد آتينا داود منا فضلا مستقرا بالمفهوم وتام

اذا مر قم كذا تجد القديم اذا اخرجت في النفس مترتبة له فاذا وردها يمكن عندنا فضل تمكن (يا جبال اوبي معه هذا الطير) أي مستمع التسبيح والتوحدة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيه اصواتا مثل صوتة كاخاق الكلام حيث يجرى الطير الى الجيب و اوبي من الاوب أي ارجعي معه في التسبيح كما رجع فيه وكان كما سبح عليه الصلاة والسلام فاعل من جرحهم مغيرة له عليه الصلاة والسلام

وقيل قدر في مسامرها فلا تعلمها دقا فاولا غلاظا وورد بان در وعه عليه الصلاة والسلام تكن مسخرة كما ينبغي عند الالة الحديد
وقيل معنى قدر في السر لا تصرف جميع اوقالك اليه بل مقدار ما يصل به القوت واما الباقي فاصرفه الى العباد فهو هو الانسب بقوله
تعالى (واعلموا صالحا) ثم الخطاب حسب عموم التكليف لادعائه الصلاة والسلام ولاهله (انما تعلمون بصير) تهليل الامر او
اوجوب الامثال به (وسليمان الريح) أي وسخرناه بقرحة الريح وقرية برفع الريح أي وسليمان الريح مسخرة وقرية

الرياح (غندوها شهر ورواحها شهر) أي جرحها بالعداء مسخرة شهر وجرحها بالنعش كذلك والجملة اما مسخرة او حال من الريح وقرية غندوها ورواحها وعن الحسن رحمه الله كان يغدأ أي من دمشق فيقول اصضخر ثم روح فيكون رواجه بكاء وقيل كان يتغدى بالري ويتغشى بسدر قندو يحكي أن بعضهم رأى مكره ياتي منزل يتاحيه دابة كانه بعض أصحاب سليمان عليه السلام نحن نرثسها وما يذناه وبنينا وجدناه غندونا من اصسطخر قندسنا ونحن راؤون منه فباتوا بالشام ان شاء الله تعالى (واستناله عين القطر) أي الحواس المنان أسأله من معذته كما ان الحديد داود عليهما السلام فتح منه نبع الماء من البوع وذلك باي وقل كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام وقوله تعالى (ومن الجن من يعمل بين يديه) اما جملة من مبتدأ وخبر أو من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة (ياذن ربه) بأمره تعالى كما ينبغي عنه قوله تعالى (ومن يزغ منهم عن أمرنا) أي ومن يعدل منهم عما أمرناه به

بما رأى من الملك يحسن العمل ويتقنه ويجهد فيه ثم لما ذكر النبي الواحد ذكره في آخر وهو سليمان كما قال تعالى وألينا على كرسيه جسدنا ثم أتت وذكر ما استفاد هو بالآية فقال (وسليمان الريح غندوها شهر ورواحها شهر واستناله عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه ياذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذره من عذاب السعير) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرية وسليمان الريح بالرفع وبالانصب وجد الرفع وسليمان الريح مسخرة أو سخرت سليمان الريح وجد انصب وسليمان سخرنا الريح والرفع وجد آخر وهو ان يقال سخرناه وسليمان الريح كما يقال ان يدار وذلك لان الريح كانت له الكلمة التي تخص به بأمرها يساريد حيث يريد (المسئلة الثانية) الواو لا مضاف فعلى قراءة لرفع يصير عطف الجملة اسبغ على جملة فعلية وهو لا يجوز وأولا يحسن فكيف هذا قوله ابن مالك داود كانه تعالى قال ما ذكرنا داود وسليمان الريح وأما على النصب فعلى قوتنا وأتاه الحديد كانه قال وأتاه داود الحديد وسخرنا سليمان الريح (المسئلة الثالثة) المسخر سليمان كانت ريحا مخصوصة لا هذه الرياح فانها المنافع عامة في اوقات الحاجات ويدل عليه انه لم يقرأ الا على التوحيد فما قرأ أحد الريح (المسئلة الرابعة) قال بعض الناس المراد من تسخير الجبال وتسخيرها مع داود انها كانت تسبح كما يسبح كل شيء وان من شيء الا يسبح بحمده وكان هو عليه السلام يفقد تسبها فيسبح ومن تسخير الريح اندراض الحبل وهي كالريح وقوله شدوها شهر ثلاثون في سخرنا لان من سخر في أي كثر الامر لا يسيرا بمن فرسخ وريح كذا وقوله في حق داود وأتاه الحديد وقوله في حق سليمان واستناله عين القطر انهم سخر جوا تذويت الحديد والححاس بالثار واستعمال الآلات منها واشياطين أي اناسا أو ياء وهذا كانه فاستحله على هذا ضعف اعتماده وعدم اعتماده على قدرة الله والله قادر على كل ممكن وهذه اشياء ممكنة (المسئلة الخامسة) أقول قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال وقوله وسليمان الريح عاصفة نوقال قائل ما الحكمة في ان الله تعالى قال في الآية وسخرنا مع داود الجبال وفي هذه السورة قال باجبال أو بي منه وقال في الريح هناك وهي نوا وسليمان نقول الجبال لما سبحت شرفت يذكر الله فلم يصفها الى داود بلام الملك بل جعلها مع كالا صاحب الريح لم يذكر فيها انها سبحت فجعلها الكلمة أو كانه وهذا حسن وفيه أمر آخر يقول يظهر لي وهو ان على قوتنا أو بي مع سبى فالجبل في السير ليس أصلا بل هو يتحرك مع تبعا والريح لا تتحرك مع سليمان بل تتحرك سليمان مع نفسها فلم يقل الريح مع سليمان سليمان كان مع الريح واستناله عين القطر أي الححاس ومن الجن أي سخرنا من الجن هذا ينبغي عن ان جميعهم ما كانوا تحت أمر وهو الظاهر واعلم ان الله تعالى ذكر ثلاثة اشياء في حق داود وثلاثة في حق سليمان عليهما الصلاة والسلام فالجبال المسخرة لداود من سخر الريح لسليمان وذلك لان الثقل مع ما هو أخف منه اذا تحرك كما يسبق الخفيف الثقل ويبقى الثقل مكانه لكن الجبال كانت أثقل من الأدمى والأدمى أنقل

أعد سليمان وقرية يزغ بقرحة الريح سا على البناء للمفعول من ازاعه (نذره من عذاب السعير) أي عذاب النار في مرة روى عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كل من استعصى عليه ضرب به من حيث لا يراه الجنى (ولله ما يشاء) تفصيل لما ذكر من عليهم وقوله تعالى (من سخرنا) الحسان لما شاء الله من قصور حصنة

ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد (وتماثيل) وصور الملائكة والانبيا عليهم الصلاة والسلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروى أنهم علموا أسدين في أسفل كرسيه ونسر بن فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما (وجفان) جمع جفنة وهي الجفنة (كالجواب) كالجواب ١٠ الكبار جمع جابية من الجابية لاجتماع الماء

فيها وهي من الصفات انغالية كالداية وقرى بآيات الماء قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل (وقدور راسيات) ثابته على الاثافي لا تنزل عنها لهظهما (اعملوا آل داود شكرا) حكايته لما قيل لهم وشكر انصب على انهم فعول له أو مصدر لاعملوا ان العمل للنعم شكر له أو افعله المحذوف أي اشكروا شكرا أو حال أي شاكرين أو مفعول به أي اعلموا شكرا (وقيل من عبادة الشكور) أي المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي جده لان التوفيق للشكر نعمه تستدعي شكر آخر لا إلى نهايه ولذلك قيل الشكور من يرى يحجزه عن الشكر ويرى أنه عليه الصلاة والسلام جراً ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان عليه السلام (ماد لهم) أي الجن أو آله (على موته الادابة الارض) أي الارضة أضيفت الى فعلها وقرى بفتح الراء وهو تأثر الخشبية من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبية أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوارح أسنانه اكلت اكلت اكلت (كان) منسأته) أي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطردها ما يطرده وقرى منسأته بألف سا كنهت بدلا من الهجره و بجمرة سا كنهت وبأجرابها بين بين عند الوقف ومنسأته على منسأته في ميسأة ومن سآته أي من طرف بعصاه من سآه

من الريح فتد الله ان سار الثقل مع الخفيف أي الجبال مع داود على ما قلنا أو بي أي سري وسليمان وبنوده مع الريح الثقيل مع الخفيف أيضا والطير من جنس تسخير الجن لانهما لا يجتمعان مع الانسان الطير لتفوره من الانس والانس لتفوره من الجن فان الانسان يتقي مواضع الجن والجن يطلب أبدا اصطيدا للانسان والانسان يطلب اصطيدا الطير فتد الله ان صار الطير لا يتفر من داود بل يستأنس به ويطلبه وسليمان لا يتفر من الجن بل يستخره ويستخدمه وأما القطر والحديد فحجنا سهما غير خفي (وهنا لطيفة) وهي ان الأدمي ينبغي أن يتقي الجن ويحتميه والاجتماع به يفضي الى المفسدة ولهذا قال تعالى أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون فكيف طلب سليمان الاجتماع بهم فتقول قوله تعالى من يعمل بين يديه باذن ربه اشارة الى أن ذلك الحضور لم يكن فيه مفسدة (ولطيفة أخرى) وهي ان الله تعالى قال ههنا باذن ربه بلفظ الرب وقال ومن بزغ منهم عن أمرنا ولم يقل عن أمر ربه وذلك لان الرب لفظ يلي عن الرحمة فعندما كانت الاشارة الى حفظ سليمان عليه السلام قال ربه وعندما كانت الاشارة الى تعذيبهم قال عن أمرنا بلفظ التعظيم الموجب لزيادة الخوف وقوله تعالى نذقه من عذاب السعير فيده وجهان (أحدهما) ان الملائكة كانوا مؤكلين بهم وبأيديهم متارع من نار فالاشارة اليه (وثانيهما) ان السعير مما يكون في الآخرة فأوعدهم بما في الآخرة من العذاب ثم قال تعالى (يعلمون له ما شاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعلموا آل داود شكرا وقيل من عبادة الشكور) المحاريب اشارة الى الابنية الرفيعة واهذا قال تعالى اذ تسوروا المحراب والتماثيل ما يكون فيها من النقوش ثم لما ذكر البناء الذي هو المسكن بين ما يكون في المسكن من ماعون الاكل فقال وجفان كالجواب جمع جابية وهي الحوض الكبير الذي يجبي الماء أي يجمعه وقيل كان يجتمع على جفنة واحدة أنف نفس وقدور راسيات ثابته لا تنزل لكبرها وانما يعرف منها في تلك الجفان وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قدم المحاريب على التماثيل لان النقوش تكون في الابنية و قدم الجفان في الذكر على القدور مع ان القدور آلة الطبخ والجفان آلة الاكل والطبخ قبل الاكل فتقول لما بين الابنية الملائكية أراد ايان عظيمة السماط الذي عمد في تلك الدور اشار الى الجفان لانها تكون فيه وأما القدور فلا تكون فيه ولا تحضر هناك ولهذا قال راسيات أي غير متولات ثم لما بين حال الجفان العظيمة كان يقع في النفس ان الطعام الذي يكون فيها في أي شيء يطبخ فأشار الى القدور المناسبة للجفان (المسئلة الثانية) ذكر في حق داود اشتغاله بالذخيرة وفي حق سليمان بحالة السلم وهي المساكن والمآكل وذلك لان سليمان كان ولد داود وداود قتل جالوت والملوك الجبارة واستوى داود على الملك فكان سليمان كولد ملك يكون أبوه قد سوى على ابنه الملك وجمع له المال فهو يفرقه على جنوده ولأن سليمان لم يقدر أحد عليه في ظنه فتركوا الحرب معه وان حارب به أحد

الخشبية من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبية أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوارح أسنانه اكلت اكلت اكلت (كان) منسأته) أي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطردها ما يطرده وقرى منسأته بألف سا كنهت بدلا من الهجره و بجمرة سا كنهت وبأجرابها بين بين عند الوقف ومنسأته على منسأته في ميسأة ومن سآته أي من طرف بعصاه من سآه

القوس وفيه لغتان كافي فحة بالكسر والفتح وقرى أ كالت منسأته (فماخر تبتت الجن) من تبتت الشيء إذا علمته بعد التماسه عليك
 أي علمت الجن علما يبينه بعد التماس الأمر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أي أنهم لو كانوا يعلمون الغيب
 كما يزعمون لعلموا موته عليه الصلاة والسلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تحنيره إلى أن خروا من تبتت الشيء إذا ظهر وتنجلى
 أي ظهرت الجن وأن مع مافي حيزها يدل ﴿ ١١ ﴾ اشتغال من الجن أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب لم يخروا

تبتت الجن على البناء للمفعول
 على أن المتبتن في الحقيقة هو
 أن مع مافي حيزها لانه بدل
 وقرى تبتت الانس والضمير
 في كانوا اللجج في قوله تعالى
 ومن الجن من يعمل في قراءة
 ابن مسعود رضي الله عنه
 تبتت الانس أن الجن لو كانوا
 يعلمون الغيب روى أن داود
 عليه السلام أسس بنيان
 بيت المقدس في موضع
 فنظام موسى فتوفي قبل
 تمامه فوصى به إلى سليمان
 عليهما السلام فاستعمل
 فيه الجن والشياطين
 فباشروه حتى إذا حان أجله
 وعلم به سأل ربه أن يعصم
 عليهم موته حتى يفرغوا منه
 ولتبطل دعواهم علم الغيب
 فدعاهم فبثوا عليه صرحا
 من قوارير ليس له باب فقام
 يصلي متكئا على عصاه
 فتقبض روحه وهو متكئ
 عليها فتبقي كذلك وهم
 فيما أمروا به من الأعمال حتى
 أكلت الأرضه عصاه فخنق
 ميتا وكانت الشياطين
 تجتمع حول محرابه أينما صلي
 عليه الصلاة والسلام فلم يكن
 يضرب اليه شيطان في صلواته

كان زمان الحرب بسيرا لا دراكه اياه بالريح فكان في زمانه العظمة بالاطعام والانعام
 (المسئلة الثالثة) لما قال عقيب قوله تعالى أن تعمل سابعات اعلموا صالحا قال عقيب
 ما يعمل الجن اعلموا آل داود شكرا اشارة إلى ما ذكرنا ان هذه الاشياء حمالة لا ينبغي ان
 يجعل الانسان نفسه مستغرقة فيها وانما الواجب الذي ينبغي أن يكثر منه هو العمل
 الصالح الذي يكون شكرا وفيه اشارة إلى عدم الالتفات إلى هذه الاشياء وقلة الاشتغال
 بها كافي قوله وقدر في السرد أي اجعله بقدر الحاجة (المسئلة الرابعة) انتصاب شكرا
 يتحمل ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون مفعولا له كقول القائل جئتك طمعا وعبدت الله
 رجاء غفرانه (وثانها) أن يكون مصدرا كقول القائل شكرت الله شكرا ويكون المصدر
 من غير لفظ الفعل كقول القائل جلست قعودا وذلك لان العمل شكر فتوله اعلموا
 يقوم مقام قوله اشكروا (وثالثها) أن يكون مفعولا به كقولك اضرب زيدا كإقال تعالى
 واعلموا صالحا لان الشكر صالح (المسئلة الخامسة) قوله وقابل من عبادي الشكور
 اشارة إلى ان الله خفف الأمر على عباده وذلك لانه لما قال اعلموا آل داود شكرا فهم منه
 ان الشكر واجب لكن شكر نعمه كما ينبغي لا يمكن لان الشكر بالتوفيق وهو نعمة تحتاج
 إلى شكر آخر وهو يتوفيق آخر فداوما تكون نعمة الله بعد الشكر خاتمة عن الشكر
 فقال تعالى ان كنتم لاتقدرون على الشكر التام فليس عليكم في ذلك حرج فان عبادي
 قليل منهم الشكور ويقوى قولنا أنه تعالى أدخل الكل في قوله عبادي مع الاضائة إلى
 نفسه وعبادي بلفظ الاضائة إلى نفس التكلم لم ترد في القرآن الا في حق الحاجين كقوله
 تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتنظطوا من رحمة الله وقوله ان عبادي ليس
 لك عليهم سلطان فان قيل على ما ذكرتم شكر الله بتمامه لا يمكن وقوله قليل يدل على ان في
 عباده من هو شاكر لانعمه نقول ان الشكر بقدر الطاقة البشرية هو الواقع وقابل فاعله
 وأما الشكر الذي يناسب نعم الله فلا قدرة عليه ولا يكاف الله نفسا الاوسعها أو تقول
 الشاكر التام ليس الامن رضي الله عنه وقال له يا عبدي ما آتيت به من الشكر القليل
 قبلته منك وكتبته لك انك شاكر لانعمي بأسرها وهذا القبول نعمة عظيمة لا أكلفك
 شكرها * ثم قال تعالى (فما قضينا عليه الموت ماداهم على موته الادابة الارض نأكل
 منسأته فلماخر تبتت الجن أن لو كانوا يعملون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) لما بين
 عظمة سليمان وتسخير الريح والروح له بين انه لم ينج من الموت وانه قضى عليه الموت تلبها
 للخالق على ان الموت لا يدمنه ولو نجما منه أحد لكان سليمان أولى بالنجاة منه وفيه مسائل
 (المسئلة الاولى) كان سليمان عليه السلام يقف في عبادة الله ليلة كاملة ويوما تاما وفي
 بعض الاوقات يزيد عليه وكان له عصايتكى عليها واقفا بين يدي ربه ثم في بعض الاوقات
 كان واقفا على عادته في عبادته اذ توفي فظن جنوده انه في العبادة وبقي كذلك أباما
 وتنادى شهورا ثم أراد الله اظهار الأمر لهم فقدر ان أكلت دابة الارض عصاه فوقع

الاحترق فربه يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ففتحوا عنه فاذا عصاه قد أكلتها الارضه فارادوا
 أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضه على العصاه فاكلت منها في يوم وليلة مقدار الجسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان
 عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقى في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع ماضين من ملكه
 (لقد كان أسبا) بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى بآثار أحوال الشاكرين لها أي لاولاد سليمان يشجب بن يعرب بن

فحظان وقرى بمنع الصرف على أنه اسم القبيلة وقرى بقلب الهمزة الفاعلة اخراج لها بين بين (في مسكنهم) وقرى بكسر الكاف كالسجد وقرى بالظا لجمع أي مواضع سكنهم وهي باليمن يقال لها أرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثا ميل (آية) دالة بلا حظة أحوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع الختار قادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للحسن والسبي معاضدة البرهان السابق كما في قصص داود وسليمان عليهما السلام ﴿ ١٢ ﴾ (جنتان) بدل من آية أو خبر لمبتدأ

مخدوف أي هي جنتان وفيه معنى المدح وبؤيد قراءة النصب على المدح والمراد بهما جاعتان من البساتين (عن عيينة وشمال) جاعة عن عيينة بلدهم وجاعة عن شماله كل واحدة من تينك الجاعتين في تقاربهما وتضامهما كأنهما جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهما عن عيينة مسكنه وعن شماله (كلاوا من رزق ربكم واشكروا لله) - كما يقال قبل لهم على نسان بديهم تكبيل النعمة وتذكير الخوف فيها أو لما نطق به نسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استثناف من لما يوجب الشكر المأمور به أي بلدكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرط من يشكره وقرى الكل بالنصب على المدح قيل كان أطيب البلاد هواء وأخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكنل فتعمل يديها وتسير فيما بين الأشجار فينل المكنل مما يساقط فيه من الثمار وما يكن فيه من مؤذيات الهوام شي (فأعرضوا) عن الشكر بعد ثبوت الآيات الداعية لهم إليه قيل ﴿ دوام ﴾ أرسل الله إليهم ثلاث عشرة نيافاً عبدهم إلى الله تعالى وذكرهم بعمه وأذروهم عقابه فكذبوه (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم إذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جفج عريمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم الجنة الذي يجعل سدا

وعلم حاله وقوله تعالى فلما خرت بينت الجن أن أو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين كانت الجن تعلم ما لا يعلمه إلا انسان فظن أن ذلك القدر علم الغيب وليس كذلك بل الانسان لم يوت من العلم الا قليلا فهوا كثر الاشياء الحاضرة لا يعلمها والجن لم تعلم الا الاشياء الظاهرة وان كانت خفية بالنسبة الى الانسان وتبين لهم الامر بأنهم لا يعلمون الغيب اذ لو كانوا يعلمونه لما بقوا في الاعمال الشاقة ظانين ان سليمان حى وقوله ما لبثوا في العذاب المهين دليل على ان المؤمنين من الجن لم يكونوا في التسخير لان المؤمن لا يكون في زمان التي في العذاب المهين ثم قال تعالى (لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن عيينة وشمال كلاوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) لما بين الله حال الساكنين لعمد بذكر داود وسليمان بين حال الكافرين بأعمه بحكاية أهل سبأ وفي سبأ قراءتان بالفتح على انه اسم بقعة وبالجر مع التثنية على انه اسم قبيلة وهو الاظهر لان الله جعل الآية لسبأ ولفاهم وهو العاقل لا المكان فلا يحتاج الى اضماع الاهد وقوله آية أي من فضل ربهم ثم يذمهم بذكر بلده بقوله جنتان عن عيينة وشمال قال الزمخشري آية أي جنتين مع ان بعض بلاد العراق فيها آلاف من الجنان وأجاب بان المراد ان لكل واحد جنتين أو عن عيينة بلدهم وشماله اجاعتان من الجنات والاتصال ببعضها ببعض جعلها جنة واحدة قوله كلاوا من رزق ربكم اشارة الى تكميل النعم عليهم حيث لم يمنعهم من اكل ثمارها خوف ولا مرض وقوله واشكروا له بيان أيضا التكمال النعمة فان الشكر لا يطلب الا على النعمة المعتبرة ثم لما بين حالهم في مساكنهم وبساتينهم وأكلهم أمر بان النعمة بان بين ان لا غلة عليه ولا تبعه في المال في الدنيا فقال بلدة طيبة أي طاهرة عن المؤذيات لاجية فيها ولا عترب ولا وباء ولا وجم وقال ورب غفور أي لا عقاب عليه ولا عذاب في الآخرة فعند هذا بان كمال النعمة حيث كانت لذة حامية خالية عن المفسد المألوية * ثم انه تعالى لما بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم فقال (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل نخط وائل وثي من سدر قليل ذلك جزيتهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور) فبين كمال ظلمهم بالاعراض بعد ابانة الآية كما قال تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها ثم بين كيفية الانتقام منهم كما قال انان المجرمين منتقمون وكيفية انه تعالى أرسل عليهم سيل العرم وخراب دورهم ون العرم وجوه (أحدها) انه الجرد الذي سبب خراب السكر وذلك من حيث ان بلقيس كانت قد عمدت الى جبال بينها شهب فسدت الشعب حتى كانت مياه الامطار والعيون تجتمع فيها وتصبح كالبحر وجعلت لها أبوابا ثلاثة مرتبة بعضها فوق بعض وكانت الابواب يفتح بعضها بعد بعض فنقب الجرد السكر وخراب السكر بسية وانقلب البحر عليهم (وثانيها) ان العرم اسم السكر وهو جمع العرمة وهي الحجارة (ثالثها) اسم للوادي خرج منه الماء وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل نخط بين به

﴿ دوام ﴾ أرسل الله إليهم ثلاث عشرة نيافاً عبدهم إلى الله تعالى وذكرهم بعمه وأذروهم عقابه فكذبوه (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم إذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جفج عريمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم الجنة الذي يجعل سدا

وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروفا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الغار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سندهم فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرى العرم يسكون الرء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والتى عليهما الصلاة ﴿ ١٣ ﴾ والسلام (و بدلناهم بجنيتهم) أى أذهبنا جنيتهم وآتيانهم

بدلها (جنيتين ذواتي اكل
 خط) أى ثمر يشع فان الخمص
 كل بنت أخذت معاً من مرارة
 حتى لا يمكن أكله وقيل
 هو الخامض والمراد كل شئ
 وقبل هو ثمرة شجرة يقال لها
 فسوة الضبع على صورة
 الحشخاش لا يذفع به او قيل
 هو الاراك أو كل شجر ذى شوك
 والتقديراً كل أكل خط
 فحذف المضاف وأقيم
 المضاف اليه مقامه وقرى
 اكل خطباً الاضافة وتخفيف
 أكل (وائل وشئ من سدر
 قليل) معطوفان على اكل
 لا على خطب فان الاثل هو
 الطرفاء وقيل شجر يشبهه
 أعظم منه ولائمه وقرى
 وألأوشاء عضا على جنته
 قيل وحف السدر بالهله لما
 جناه وهو الشبق مما يطيب
 الكه ولذلك يغرس في البساتين
 والصحيح أن السدر صنفان
 صنف يؤكل من ثمره وينفع
 بورقه غسل اليد وصنف
 له ثمرة عفصة لا تؤكل اصلاً
 ولا تنفع بورقه وهو الضال
 والمراد ههنا هو الثاني حقاوة
 قناتة كان شجرهم خير الشجر
 فضيره الله تعالى من شر الشدة
 باعمالهم ونسمة البدل جنه
 للمساكاة والنهكم (ذلك

دوام الحراب وذلك لان البساتين التي فيها الناس يكون فيها الفواكه الطيبة بسبب
 العمارة فاذا تراكمت سنين تصير كأنهضة ولا يجد تلاف الاشجار بعضها ببعض وتبيت
 المفسدات فيها فتقل الثمار وتكثر الاشجار والحمط كل شجرة لها شوك أو كل شجرة ثمرتها
 مرة أو كل شجرة ثمرتها لا تؤكل والاثل نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة الا في بعض
 الاوقات يكون عليه شئ كالعنق أو اصفر منه في طعمه وطبعه والسدر معروف وقال
 فيه قليل لانه كان أحسن أشجارهم فقلله الله ثم بين الله ان ذلك كان مجازاة لهم على
 كفرانهم فقال ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى أى لا يجازى بذلك الجزاء الا الكفور
 قال بعضهم المجازاة تقال في النعمة والجزاء في النعمة لكن قوله تعالى ذلك جزيناهم يدل
 على ان الجزاء يستعمل في النعمة ولعل من قال ذلك أخذ من أن المجازاة مفاعلة وهي في
 أكثر الامر تكون بين اثنين يؤخذ من كل واحد جزء في حق الآخر وفي النعمة لا تكون
 مجازاة لان الله تعالى مبتدئ بنعمهم * ثم قال تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها
 قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سريراً وفيها ليالي وأياماً آمناً فقالوا ربنا يا بدين أسفارنا
 وظلوا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومرسقاتهم كل مرقق ان في ذلك لايات لكل صبار
 شكور) أى بينهم وبين الشام فانها هي البقعة المباركة وقرى ظاهرة أى يظهر بعضها
 لبعضها يرى سواد القرية من القرية الاخرى فان قال قائل هذا من النعم والله تعالى قد
 شرع في بيان تبديل نعمهم بقوله وبدلناهم بجنيتهم جنتين فكيف عادمرة اخرى الى بيان
 النعمة بعد النعمة فتقول ذكر حال نفس بلدهم وبين تبديل ذلك بالحمط والاثل ثم ذكر حال
 خارج بلدهم وذكر عمارتها بكثرة القرى ثم ذكر تبديله ذلك بالمفاوز والبيادى والبرارى
 بقوله ربنا يا بدين أسفارنا وقد فعل ذلك و بدل عليه قراءة من قرأ ربنا يا بدين على المبتدأ
 والخبر قوله وقدرنا فيها السير الاماكن المعجزة تكون منازلها معجزة مقدره
 لا تجاوز فلما كان بين كل قرية بمسيرة نصف نهار وكانوا يبعثون الى قرية ويروحون الى
 اخرى ما يمكن في العرف تجاوزها فهو المراد بالتقدير والمفاوز لا يتقدر السير فيها بل يسير
 السائر فيها بقدر الطاقة جاداً حتى يقطعها او قوله سيروا فيها ليالي وأياماً أى كان بينهم ليالي
 وأيام معلومة وقوله امنين إشارة الى كثرة العمارة فان خوف قطاع الطريق والانقطاع
 عن الرفيق لا يكون في مثل هذه الاماكن وقيل بأن معنى قوله ليالي وأياماً يسرون فيها ان
 شتم ليالي وان شتمت أياماً عدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليالئلا
 يعلم العدو سيرهم وبعضها يسلك نهاراً لئلا يفصدهم العدو اذا كان العدو غير مجاهر
 بالقصد والعداوة وقوله تعالى قانوار بنابعد بين أسفارنا قيل بأنهم طلبوا ذلك وهو محتمل
 وجهين أحدهما أن يسالوا بطرا كما طلبت اليهود الثوم والبصل ويحتمل أن يكون ذلك
 لفساد اعقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يقدر كما يقول القائل اغبره اضربني
 إشارة الى انه لا يقدر عليه ويمكن أن يقال قانوار بنابعد بلسان الحال أى لما كفروا فقد

إشارة الى مصدر قوله تعالى (جزيناهم) أو الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد لا يذان بيجدر تبديده في الفطاعة ومحله
 على الاول النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على أنه مقول مان له أى ذلك الجزاء الفطانية
 جزيناهم لاجزاء اخر أو ذلك التبديل جزيناهم لاغيره (بما كفروا) بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها عنهم ووضعنا
 مكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسول (وهل يجازى الا الكفور) أى وما نحازهم هذا الحديث ١٠٧١

في الكفران أو الكفر وقرى يجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول أيضا وهذا بيان ما أتوا من التعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) حكاية لما أتوا من التعم البادية في مساربهم ومناجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكلمة لقصتهم وبيانها ﴿ ١٤ ﴾ أما قبضتهم وأما ما يذكرون الكفران وما فعلوا في التثنية

والذكر من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبب الاعلى ما بعد من الجمل الناطقة بإفعالهم أو باجزئتها أي وجعلنا مع ما أتيناهم في مساكنهم من قرون التعم بينهم أي بين بلادهم وبين القرى المشابهة التي باركنا فيها للعالمين (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض انفسارها فسمى ظاهرها لأعين أهلها أو رابطة بين الطريق ظاهرة لسببها غير بعيدة عن مساكنهم حتى تخفى عليهم (وقد رنا فيها السبر) أي جعلناها في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين ياتي بحال أبناء السبيل قيل كان القادي من قرية يقبل في أخرى والرائح منها بيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما أتوا من أنواع التعم وتوفيرا لها في الحضر والسفر (سبر وافئسا) على إزادة القول أي وقتلناهم سبروا في تلك القرى (ليالي وأياما) أي متى شئتم من الليالي والأيام (آمنين) من كل ما نكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الأوقات أو سبروا فيها آمنين

طلبوا أن يعدد بين أسفارهم ويخرب المعمور من ديارهم وقوله وظلموا أنفسهم بكون بياننا لذلك وقوله فجعلناهم أحاديث أي فعلنا بهم ما جعلناهم به مثلا يقال تفرقوا أي سبوا وقوله ومن قناهم كل مرق بيان لجعلهم أحاديث وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي فيما ذكرناه من حال المشاكركين ووبال الكافرين ﴿ ثم قال تعالى (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبوه الا فر يقسا من المؤمنين) أي ظنه انه يغوي بهم كقال فيعزتك لاغوينهم وقوله فاتبوه بيان لتلك أي اغواهم فاتبوه الا فر يقسا من المؤمنين وهم الذين قال الله تعالى في حقهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ويمكن أن يقال صدق عليهم ظنه في انه خير منه كقال تعالى عندنا خير منه ويتحقق ذلك في قوله فاتبوه لان المتدوع خير من التابع والا لا يتبعه العاقل والذي يدل على ان ابليس خير من الكافر هو ان ابليس امتنع من عبادة غير الله لكن لما كان في امتناعه ترك عبادة الله صنادا لكفره والمشارك بعيد غير الله فهو كفر بأمر أقرب إلى التوحيد وهم كفروا بأمر هو الاشرارك ويؤيد هذا الذي اخبرناه الاستثناء وبيانه هو انه وان لم يظن انه يغوي الكل بدليل انه تعالى قال عنه الاعباد لك منهم المخلصين فاطن انه يغوي المؤمنين فانظنه صدقه ولا حاجة إلى الاستثناء وأما في قوله اننا خير منه اعتدنا الخيرية بالنسبة إلى جميع الناس بدليل تعمله بقوله خلتني من نار وخلقته من طين وقد كسب في ظنه في حق المؤمنين ويمكن الجواب عن هذا في الوجه الاول وهو انه وان لم يظن اغواه الكل وعلم ان البعض ناج لكن ظن في كل واحد أنه ليس هو ذلك الناجي إلى ان تبين له فظن انه يغويه فكذب في ظنه في حق البعض وصدق في البعض ﴿ ثم قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان الا انهم من يؤمن بالآخرة من هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ) قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ان علم الله من الازل إلى الابد محيط بكل معاوم وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر بها كل ما في نفس الامر فعلم الله في الازل ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم يعلمه معدوما بذلك مثاله ان المرأة المصنوعة فيها المصفاة فيظهر فيها صورة زيدان قابلها ثم اذا قابلها عمرو يظهر فيها صورته والمرأة تتغير في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها انما تتغير في احوالها فكذلك ههنا قوله الا انهم أي يقع في العلم صدور الكفر من الكافر والايان من المؤمن وكان قبله فيه انه سيكفر زيدو يؤمن عمرو وقوله وما كان له عليهم من سلطان اشارة إلى انه ليس بلجي وانما هو آية وعلامة خلقها الله لتبين ما هو في علمه السابق وقوله وربك على كل شيء حفيظ يتحقق ذلك أي الله تعالى قادر على منع ابليس عنهم عالم بما سيجع فالحق قد يدخل في مفهومه العلم والقدرة اذا الجاهل بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز ﴿ ثم قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن أذن له

وان تطاوت مدة سفركم وامتدت ليالي وأياما كثيرة أو سبروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على ﴿ حتى ﴾ الحقيقة بل على تنزييل تمكينهم من السير المذكور ونسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور رمزلة أمرهم بذلك (فقالوا ربنا يا بعددين أسفارنا) وقرى ياربنا بطروا النعمة وسعوا أطيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكمد والتعب كاطلب شفاة أسفا الدم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا

لو كان جنى جناننا ابدل كان اجد ران نشتهيه وسالوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مغاور وقفارا ليركبوا فيها الرواحل
 ويزودوا الازواد ويتناولوا فيها على الفقراء فجعل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بالاعمال يسمع
 فيها داع ولا يجيب وقرى بعدد ربا بعد بين أسفارنا و بعد بين أسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفع به كما يقال سير
 فرسخان و يوجد بين أسفارنا و قرى ربا * ١٥ * باعدين أسفارنا و بين سفرنا و بعد رفرع ربا على الابتداء والمعنى

على خلاف الاول وهو استبعاد
 مسائرهم مع قصرها ووزنها
 وسهولة سلوكها لفرط
 نعمهم وغاية ترفههم وعده
 اعتدادهم بنعم الله تعالى
 كأنهم يشاجون على الله تعالى
 ويتحازنون عليه (وظلوا
 أنفسهم) حيث عرضوها
 لسخن طوا العذاب حين بطروا
 النعمة أو غطوها (جعلناهم
 أحاديث) أى جعلناهم بحيث
 يتحدث الناس بهم متحيزين
 من أحوالهم ومعشورين
 بعاقبتهم وما آلمهم (ومر قناه
 كل ممزق) أى فرقناهم كل
 فريق على أن الممزق مصدر
 أو كل مطرح ومكان تفريق
 على أنه اسم مكان وفي عبارة
 التفریق الخاص بتفريق
 المتصل وخرقه من تهويل
 الامر والدلالة على شدة
 التأثير والايلام ما لا يخفى أى
 من قناهم تمزيقا غاية وراء
 بحيث يضرب به الامثال في
 كل فرقة ليس بعدها وصال
 حتى لحق غسان بالشام وأتمار
 يثرب وجندام بتهمامة
 والازد بيمان وأصل قصتها
 على ما رواه الكلبي عن أبي
 صالح أن عمرو بن عامر من

حتى اذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير (لما بين الله
 تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين و ذكرهم بمن مضى عاد الى خطابهم وقال رسوله
 صلى الله عليه وسلم قل للشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله ليكشفوا عنكم الضر على
 سبيل التهكم ثم بين انهم لا يملكون شيئا بقوله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في
 الارض * واعلم ان المذهب المفضى الى انشرك أو بعة (أحدها) قول من يقول الله تعالى
 خلق السماء والسموات ويجعل الارض والارضيات في حكمهم ونحن من جملة
 الارضيات فنعبد الكواكب والملائكة التي في السماء فهم آلهتنا والله الههم فقال الله
 تعالى في ابطال قولهم انهم لا يملكون في السموات شيئا كما اعترفتم ثم قال ولا في الارض
 على خلاف ما زعمتم (وثانيها) قول من يقول السموات من الله على سبيل الاستبعاد
 والارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب فان الله خلق العناصر والتركيبات التي فيها
 بالاتصالات والحركات والطوالع فجعلوا لغير الله معه شركا في الارض والاولون جعلوا
 الارض لغيره والسماء له فقال في ابطال قولهم وما لهم فيهما من شرك أى الارض كالسماء
 لله لا لغيره ولا لغيره فيها نصيب (وثالثها) قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله
 تعالى لكن فوض ذلك الى الكواكب وفعل المأذون ينسب الى الآذن ويسلب عن
 المأذون فيه مثاله اذا قال ملك للملوك اضرب فلانا فاضرب به يقال في العرف الملك ضربه
 ويصح عرفا قول المائل ما ضرب فلان فلانا وانما الملك أمر يضرب به فاضرب فمؤاء جعلوا
 السماويات معينات لله فقال تعالى في ابطال قولهم وماله منهم من ظهير ما فوض الى شئ
 شيئا بل هو على كل شئ حفيظ ورفيق (ورابعها) قول من قال ان الله لا يعبد الا من اتى
 صور الملائكة ليشفعوا انما قال تعالى في ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن
 له فلا فائدة لعبادتكم غير الله فان الله لا يأذن في الشفاعة لمن يعبد غيره فبطلتكم الشفاعة
 تفوتون على أنفسكم الشفاعة وقوله حتى اذا فرغ عن قلوبهم أى ازيل الفرع عنهم
 يقال فرد البعير اذا أخذ منه القراد ويقال لهنا تشديد السلب * وفي قوله تعالى حتى اذا
 فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وجوه (أحدها) الفرع الذي عند الوحي
 فان الله عندما يوحى يفرغ من في السموات ثم يزيل الله عنهم الفرع فيقولون لجبريل عليه
 السلام ماذا قال الله فيقول قال الحق أى الوحي (وثانيها) الفرع الذي من الساعة وذلك
 لان الله تعالى لما أوحى الى محمد عليه السلام فرغ من في السموات من القيامة لان ارسال
 محمد عليه السلام من اشراط الساعة فلما زال عنهم ذلك الفرع قالوا ماذا قال الله قال
 جبريل الحق أى الوحي (وثالثها) هو ان الله تعالى يزيل الفرع وقت الموت عن القلوب
 فيمتدح كل أحد بأن ما قال الله تعالى هو الحق فينفع ذلك القول من سبق ذلك منه ثم
 يقبض روحه على الاعيان المتفق عليه بينه وبين الله تعالى ويضر ذلك القول من سبق منه
 خلافه فيقبض روحه على الكفر المتفق بينه وبين الله تعالى اذا علمت هذا فتقول على

أولاد سبا و بينهما اثنا عشر أبوا وهو الذي يقال له من زيبان ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بخراب سدم أرب وتفريق سيل
 العرم الجنة وعن أبي زيد الانصاري ان عمرا رأى جردا يحفر السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهائته فبا
 أملا كدوسار بقومه وهم أوف من بلد الى بلد حتى انتهت الى مكة المعظمة وأهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولايا
 البيت على بنى اسمعيل عليه السلام وغيرهم فارس اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى

أن يرجع اليه رواده الذين أرسلهم الى أصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتلوا ثلاثة ايام فانهزمت
جرهم ولم يفلت منهم الا اشريد وأقام نعلبة بمكة وما حواها في قومه وعساكره حولها فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد
رجع اليه رواده فافتروا فرقين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وجبرون من يتلوهم وسار نعلبة نحو الشام فبزل الاوس
والخزرج ابنا حارثة بن نعلبة بالدينة وهم الانصار ومضت غسان فزاولوا ﴿ ١٦ ﴾ بالشام وانخرعت خزاعة بمكة فاقام بها

ربيع بن حارثة بن عمرو بن
طامر وهو الحلي فولى أمر مكة
وحجابه البيت ثم جاءهم اولاد
اسماعيل عليه السلام فسالوهم
السكنى معهم و حولهم
فاذنوا لهم في ذلك وروى عن
ابن عباس رضى الله عنهما
أن فروة بن مسيك الغطيفي
سأل النبي عليه الصلاة
والسلام عن سبا فقال عليه
الصلاة والسلام هو رجل
كان له عشرة اولاد ستة
منهم سكنوا اليمن وهم
مذحج وكندة والازد
والاشمريون وجبر وأمار
منهم بجيلة وخشم وأربعة
منهم سكنوا الشام وهم نخم
وجذام وعاملة وغسان لما
هلكت أموالهم وخربت
بلادهم تفرقوا اليدي سبا شذر
مذرفنزات طوائف منهم
بالحجاز فبهم جزاعة نزوا
بظاهر مكة ونزلت الاوس
والخزرج يثرب فكانوا اول
من سكنها ثم نزل عندهم
ثلاث قبائل من اليهود
بنو قينقاع وبنو قريظة
والنضير فحالفوا الاوس
والخزرج واقاموا عندهم
ونزلت طوائف آخر منهم
بالشام وهم الذين تنصروا
فيما بعد وهم غسان وعاملة

القولين الاولين قوله تعالى حتى غاية متعلقة بقوله تعالى قل لانه بينه بالوحى لان قول
القائل قل افلان للانداز حتى يسمع المخاطب ما يقوله ثم يقول بعد هذا الكلام ما يجب
قوله فلما قل قن فزع من في السموات ثم ازيل عنه الفزع وعلى الثالث متعلقة بقوله
تعالى زعمتم أى زعمتم الكفر الى غاية الفزع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق وعلى
القولين الاولين فاعل قوله تعالى قالوا ماذا هو الملائكة السائلون من جبريل وعلى الثالث
الكفار السائلون من الملائكة والفاعل في قوله الحق على القولين الاولين هم الملائكة
وعلى الثالث هم المشركون * واعلم ان الحق هو الموجود ثم ان الله تعالى لما كان وجوده
لا يرد عليه عدم كان حتما مطلقا لا يرتفع بالباطل الذى هو العدم والكلام الذى يكون
صدقا يسمى حتما لان الكلام له متعلق في الخارج بواسطة انه متعلق بما في الذهن والذى
في الذهن متعلق بما في الخارج فاذا قل القائل جاء زيد يكون هذا اللفظ متعلقه
بما في ذهن السائل وذهن القائل متعلقه بما في الخارج لكن للصدق متعلق يكون في
الخارج فيصير له وجود مستمر والكذب متعلق لا يكون في الخارج وحينئذ اما
ان لا يكون له متعلق في الذهن فيكون كالعدم من الاول وهو اللفظ الذى تكون
صادرة عن معاند كاذب واما ان يكون له متعلق في الذهن على خلاف ما في الخارج
فيكون اعتقاد باطلا لاجلها او ظنا لكن لما يمكن لمتعلقه متعلق بزل ذلك الكلام
ويبطل وكلام الله لا يبلان له في اول الامر كما يكون كلام الكاذب المعاند ولا ياتيه
الباطل كما يكون كلام الظان وقوله تعالى وهو العلى الكبير قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى
ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلى الكبير ان الحق
اشارة الى أنه كامل لا نقص فيه فيقبل نسبة العدم وفوق الكاملين لان كل كامل
فوقه كامل فتقوله وهو العلى الكبير اشارة الى انه فوق الكاملين في ذاته وصفاته
وهذا يبطل القول بكونه جسما وفي جبر لان كل من كان في جبر فان العقل يحكم بأنه مشار
اليه وهو مقطوع الاشارة لان الاشارة لو لم تقع اليه لما كان المشار اليه هو واذا وقعت
الاشارة اليه فقد تنهات الاشارة عنده وفي كل موقع تقف الاشارة بقدر العقل على أن
يفرض البعد أكثر من ذلك فيقول لو كان بين ماخذ الاشارة والمشار اليه أكثر من هذا
البعد كان هذا المشار اليه أعلى فيصير عليا بالاضافة لامطلقا وهو على مطلقا ولو كان
جسما لكان له مقدار وكل مقدار يمكن أن يفرض أكبر منه فيكون كبيرا بالنسبة الى
غيره لا مطلقا وهو كبير مطلقا * ثم قل تعالى (قل من يرزقكم من السموات والارض) قد
ذكرنا مرارا ان العامة يعبدون الله لالكونه الها وانما يطلبون به شيئا وذلك اما دفع
ضرر او جرف فنبه الله تعالى العامة بقوله قل ادعوا الذين زعمتم على انه لا يدفع الضر
أحد الا هو كما قال تعالى وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وقال بعد اتمام بيان
ذلك قل من يرزقكم من السموات والارض اشارة الى أن جبر التفع ليس الا به ومنه فاذا

ولحم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على أن جميع العرب قسمان ﴿ ان كنتم ﴾
فيحطانية وعدنانية والقمحطانية شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضروا اما قضاة فمختلف فيها فبعضهم
ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى أعلم (ان في ذلك) أى فيما ذكر من قصصهم (لايات) عظيمة (لكل صبار
شكور) أى شأنه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطبايع والشكر على النعم

وتخصيص هو لانه انهم المشفقون بها (واقدم صدق عليهم ابليس ظنه) أي حق عليهم ظنه او وجوده ضاد فاوقرى
 بالتحريف أي صدق في ظنه أو صدق بظن ظنن ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرى بنصب ابليس ورفع
 الظن مع التشديد بمعنى وجوده ضاد قاوم التحريف بمعنى قال له الصدق حين خيل له اغواءهم ورفعها ما والتخفيف على الابدال
 وذلك اما ظنه بسا حين رأى انهما كهم في الشهوات ﴿ ١٧ ﴾ أو بنى آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد أصغى الى وسوسته

قال ان ذريته أضعف منه عرما
 وقيل ظن ذلك عند اخبار الله
 تعالى الملائكة أنه يجعل فيها
 من يفسد فيها ويسفك الدماء
 وقال لا ضللتهم ولا غويتهم
 (فاتبوه) أي أهل سبأ والناس
 (الافريقان المؤمنين) الا
 فر يقاهم المؤمنون لم يتبعوه
 على أن من بيانية وتقليبهم
 بالاضافة انى الكفار أو الا
 فربقسا من فرق المؤمنين
 لم يتبعوه وهم الخناصون (وما
 كان له عليهم من سلطان) أي
 تسلط واستيلاء بالسوسة
 والاستفواء وقوله تعالى (الاعلم
 من يؤمن بالآخرة ممن هو
 منها في شك) استثناء مفرغ
 من أعم العطل ومن موصولة أي
 وما كان تسلطه عليهم الا
 يتعلق علنا بمن يؤمن بالآخرة
 متميزا ممن هو في شك منها
 تعلقا بالابتداء عليه الجزاء
 أو الالتميز المؤمن من الشاك
 أو الاليؤمن من قدر ايمانه
 ويشك من قدر ضلاله والمراد
 من حصول العلم حصول متعلقه
 مبالغة (وربك على كل شيء
 حفيظ) أي محافظ عليه فان
 فيعلا ومفاسعلا صيغتان
 متاخستان (قل) أي للمشر كين

ان كنتم من الخواص فاعبدوه لعلوه وكبريائه سواء دفع عنكم ضرا أولم يدقم وسواء
 نفعلكم بخيرا أولم ينفع فان لم تكونوا كذلك فاعبدوه لدفع الضر وجر النفع ﴿ ثم قال تعالى
 (قل الله) يعني ان لم يقولوا وهم فقل أنت الله برزق (وههنا لطيفة) وهي ان الله تعالى عند
 الضر ذكر انهم يقولون الله ويعترفون بالحق حيث قالوا الحق وعند النفع لم يقل انهم
 يقولون ذلك وذلك لان لهم حالتهم يعترفون بأن كاشغ الضر هو الله حيث يقولون في الضر كما
 قال تعالى واذمست الناس ضد دعوا ربهم منيبين اليه وأما عند الراحة فلا تذكروهم لذلك
 فذلك قال قل الله أي هم حالة الراحه فاذموا عن الله ﴿ ثم قال تعالى (وانا أو اياكم على هدى
 أو في ضلال مبين) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذا ارشاد من الله لرسوله الى المناظرات
 الجارية في العلوم وغيرها وذلك لان أحد المناظرين اذا قال للآخر هذا الذي تقوله خطأ
 وأنت فيه مخطئ يعضبه وعند ان غضب لا يبق سداد الكفر وعند احتلاله لا مطمع في
 انهم فيفوت الغرض وأما اذا قال له بأن أحدنا لا يشك في انه مخطئ والتمادي في الباطل
 قبيح والرجوع الى الحق أحسن الاخلاق فيجتهد وينصرا يناعلى الخطأ ليحترز فانه يجتهد
 ذلك الخضم في النظر ويترك العصب وذلك لا يوجب نقصا في المنزلة لانه أو هم بانه في قوله
 شاك ويدل عليه قول الله تعالى لنبيه وانا أو اياكم مع انه لا يشك في انه هو الهادي وهو
 المهتدى وهم الضالون والمضلون (المسئلة الثانية) في قوله على هدى أو في ضلال مبين
 ذكر في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدى كأنه مرتفع متطلع فذكره بكلمة
 التعلية والضال منغمس في الظلمة غريق فيها فذكره بكلمة في (المسئلة الثالثة) وصف
 الضلال بالمبين ولم يصف المهدي لان الهدى هو الصراط المستقيم الموصل الى الحق
 والضلال خلافه لكن المستقيم واحد وما هو غيره كلمة ضلال و بعضه أبين من بعض فيز
 البعض عن البعض بالوصف (المسئلة الرابعة) قدم الهدى على الضلال لانه كان وصف
 المؤمنين المذكور بن بقوله انا وهو مقدم في الذكر ﴿ ثم قال تعالى (قل لا تسألون عما أجرنا
 ولا نسأل عما تعملون) اضافة الاجرام الى النفس وقال في حقهم ولا تسأل عما تعملون
 ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل الاغصاب المانع من الفهم وقوله لا تسألون ولا تسأل زيادة
 حث على النظر وذلك لان كل أحد اذا كان مؤاخذا بجرمه فاذا احتزرت نجوا وكان البرى
 يؤاخذ بالجرم لما كفى النظر ثم قال تعالى (قل ليجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح
 العليم) أكد ما يوجب النظر والتفكر فان مجرد الخطا والضلال واجب الاجتناب
 فكيف اذا كان يوم عرض وحساب وثواب وعذاب وقوله يفتح قبل معناه يحكمه ويمكن
 أن يقال بأن الفتح ههنا مجاز وذلك لان الباب المغلق والمنفذ المسدود يقال فيه فتحه على
 طريق الحقيقة ثم ان الامر اذا كان فيه انغلاق وعدم وصول اليد فاذا بينه أحد يكون قد
 فتحه وقوله وهو الفتح العليم اشارة الى أن حكمه يكون مع العلم المثل حكمه من يحكم بما
 يتفق له بمجرد هواه ﴿ ثم قال تعالى (قل أروني الحفتم به شركاء كلابل هو الله العزيز

اظهار البطلان ما هم عليه وتبكيئاتهم ﴿ ٣ ﴾ سا (ادعوا الذين زعمتم) أي زعمتموهم آلهة وهم مفعول زعم ثم حذف
 الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفة أعنى قوله تعالى (من دون الله) مقامه ولأسبيل الى جعله مفعولا ثانيا
 لانه لا يلتزم مع الضمير كلاما وكذا لا يمكن انهم لا يزعمون والمعنى ادعوهم فيما يحكم من جلب نفع أو دفع ضرر لعلهم يستجيبون
 لكم أن صحح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل الشركاء فقال (لا يمكن ان يكون

مقال درة) من خير وشرو نفع وضرر (في السموات ولا في الارض) أي في أمر ما من الامور وذكرهما للتعميم صرفا ولأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أو لأن الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم (ومالهم) أي آلهتهم (فيهما من شرك) أي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا (وماله) أي لله تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) بعينه في تدبير أمرهما ﴿ ١٨ ﴾ (ولا تنفع الشفاعة عنده) أي لا توجد راسا كما في قوله

* ولا ترى الضب بها ينحجر
 * لقوله تعالى من ذا الذي
 يشفع عنده الا باذنه وانما علق
 النبي بشفاعتها لا يرفوعها
 تصر بجانب ما هو غرضهم
 من وقوعها وقوله تعالى (الامن
 اذله) استثناء مفرغ من أعم
 الاحوال أي لا تنفع الشفاعة
 في حال من الاحوال الا كائنة
 لمن اذله في الشفاعة من النبيين
 والملائكة ونحوهم من السأهلين
 لمقام الشفاعة فتبين حرمان
 الكفرة منها بالكلية أمام
 جهة اصنامهم فظاهر ان شفاء
 الاذن لها ضرورة استحالة
 الاذن في الشفاعة لجماد لا يفتل
 ولا ينطق وأمام جهة من
 يعبدونه من الملائكة فلان
 اذنه مقصور على الشفاعة
 للمستحقين لها لقوله تعالى
 لا يتكلمون الا من اذله الرحمن
 وقال صوابا من بين ان الشفاعة
 للكفرة بعزل من الصواب
 أو لا تنفع الشفاعة من الشفاعة
 المستأهلين لها في حال من
 الاحوال الا كائنة لمن اذله أي
 لاجله وفي شأنه من المستحقين
 لها فلا تنفعهم أصلا وان فرض
 وقوعها وصدورها عن الشفاعة
 اذله يؤذن لهم في شفاعتهم

الحكيم) قد ذكرنا ان المعبود قد يعبده قوم لدفع الضرر وجمع لتوقع المنفعة وقليل من
 الاشرف الاعزة يعبدونه لانه يستحق العبادة لذاته فلما بين انه لا يعبد غير الله لدفع الضرر
 اذ لا دفع للضرر غيره بقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله وبيّن انه لا يعبد غير الله
 لتوقع المنفعة بقوله قل من رزقكم من السموات والارض بين ههنا انه لا يعبد أحد
 لاستحقاقه العبادة غير الله فقال قل أروني الذين أحقتم به شركاء كلابل هو الله العزيز
 الحكيم أي هو المعبود لذاته واتصافه بالعرزة وهي القدرة الكاملة والحكمة وهي العلم
 التام الذي عمله موافق له * ثم قال تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن
 اكثر الناس لا يعلمون) لما بين مسئلة التوحيد شرع في الرسالة فقال تعالى (وما أرسلناك
 الا كافة وفيه وجهان (أحدهما) كافة أي ارسالة كافة أي عامة لجميع الناس تنفعهم
 من الخروج عن الانقياد لها (والثاني) كافة أي أرسلناك كافة تكف الناس أنت من
 الكفر والهوى للباغية على هذا الوجه بشيرا أي تحثهم بالوعد ونذيرا تزجرهم بالوعيد
 ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك لان خلفه ولكن انفتحتهم * ثم قال تعالى (وما يقولون متى
 هذا الوعد ان كنتم صادقين) لما ذكر الرسالة بين الحشر وقال (قل لكم ميعاد يوم
 لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) قد ذكرنا في سورة الاعراف أن قوله لا تستأخرون
 يوجب الانذار لان معناه عدم المهلة عن الاجل ولكن الاستعداد ما وجهه وذكرنا هناك
 وجهه وذكره ههنا انهم لما طلبوا الاستعجال بين أنه لا استعجال فيه كما لا مهال وهذا
 يفيد عظم الامر وخطر الخطب وذلك لان الامر الحقيق اذا طال به طالب من غيره لا يؤخره
 ولا يؤقته على وقت بخلاف الامر الخطير وفي قوله تعالى لكم ميعاد يوم قرأت (أحدها)
 رفعهما مع التووين وعلى هذا يوم يدل (ثانيها) نصب يوم مع رفع ميعاد والتووين فيهما
 ميعاد يوما قال الزنجشري ووجهه انه منصوب بفعل محذوف كأنه قال ميعاد اعني يوما
 وذلك يفيد العظم والتهوويل ويحتمل أن يقال نصب على لطف تقديره لكم ميعاد يوما
 كما يقولون انائل انا جابك يوما وعلى هذا يكون العامل فيه العلم كأنه يقول لكم ميعاد
 تعاونه يوما وقوله معلوم يدل عليه كقول انائل انه متبول يوما (الثالثة) الاضافة لكم
 ميعاد يوم كما في قول القائل سحق ثوب للتبيين واسناد الفعل اليهم بقوله لا تستأخرون عنه
 بدلا عن قوله لا يؤخر عنكم زيادة تأكيد لوقوع اليوم * ثم قال تعالى (وقال الذين كفروا
 ان نو من بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) لما بين الامور الثلاثة من التوحيد والرسالة
 والحشر وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام بقوله وقال الذين كفروا ان نو من بهذا
 القرآن وذلك لان القرآن مشتمل على الكل وقوله ولا بالذي بين يديه المشهور انه التوراة
 والانجيل وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم المشركون المنكرون للنبوات والحشر
 ويحتمل أن يقال ان المعنى هو اننا لا نو من بالقرآن انه من الله ولا بالذي بين يديه أي والايان
 فيه من الاخبارات والمسائل والآيات والدلائل وعلى هذا فالذين كفروا المراد منهم

يل في شفاعة غيرهم فعلى هذا ثبت حرمانهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الاصنام بدلالته ﴿ العموم ﴾
 اذ حيث حرّموا هاجن جهة اقدار بن على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلا ينحرموا هاجن جهة العجز عنها أولى وقرى اذله
 مبينا للمفعول (حتى اذا فرغ من قلوبهم) أي قلوب الشفاعة والشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة فهم من موقف
 الاستشفاع بعزل وعن

التفرغ عن قلوبهم بالالف منزل والتفرغ بوزن الف التفرغ ثم ترك ذكر الفزع وأسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبغي منه
 ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذنه فانه مسبوق بالاستئذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كانه سئل كيف يؤذن
 لهم فقيل بتر بصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد
 التليا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة ﴿ ١٩ ﴾ (قالوا) أي المشفوع لهم اذهب المحتاجون الى الاذن والمهتمون بأمره

(ماذا قال ربكم) أي في شأن
 الاذن (قالوا) أي الشفعاء
 لانهم المباشرون الاستئذان
 بالذات المتوسطون بينهم
 وبينه عز وجل بالشفاعة
 (الحق) أي قال ربنا القول
 الحق وهو الاذن في الشفاعة
 للمتحققين لها وقرئ الحق
 مر فوعا أي ما قاله الحق
 (وهو العلي الكبير) من تمام
 كلام الشفعاء قالوه اعترافا
 بغاية عظمة جناب العزة
 عز وجل وقصور شأن كل
 من سواه أي هو المنفرد بالعلو
 والكبرياء ليس لاحد من
 أشرف الخلائق أن يتكلم
 الا بذاته وقرئ فزع مخففا
 بمعنى فزع وقرئ فزع على
 البناء للفاعل وهو الله وحده
 وقرئ فرغ باراء المهمل
 والغين المعجمة أي نفى الوجل
 عنها وأفني من فرغ الزاد
 اذ لم يبق منه شيء وهو من
 الاسناد المجازي لان الفراغ
 وهو الخلق حال ظرفه عند
 مفاده فأسند اليه على عكس
 قولهم جرى النهر وعن
 الحسن تخفيف الراء وأصله
 فرغ الوجل عنها أي انقضى
 عنها وقرئ ثم حذف الفاعل
 وأسند الى الجار والمجرور

العموم لان أهل الكتاب لم يؤمنوا بالقرآن أنه من الله ولا بالذي فيه من الرسالة وتفصيل
 الحشر فان قيل أليس هم مؤمنون بالوحدانية والحشر فتقول اذ لم يصدقوا احد ما في
 الكتاب من الامور المختصة به يقال فيه انه لم يؤمن بشيء منه وان آمن ببعض ما فيه فكيف
 غيره فيكون ايمانه لا بما فيه مثاله ان من يكذب رجلا فيما يقوله فاذا أخبره بأن النار حارة
 لا يكذب فيه ولكن لا يقال انه صدقه لانه انما صدقت نفسه فانه كان عالما به من قبله على
 هذا فتعوله بين يديه أي الذي هو مشتمل عليه من حيث انه وارد فيه وقوله تعالى (ووترى
 اذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا
 للذين استكبروا اولاً انتم لكننا مؤمنين) لما وقع الناس من ايمانهم في هذه الدار بقولهم
 ان نؤمن فانه ثباتاً بيد النبي وعدني به عليه الصلاة والسلام بانه يراهم على اذل حال موقوفين
 للسؤال يرجع بعضهم الى بعض القول كما يكون عليه حال جماعة اخطوا في أمر يقول
 بعضهم لبعض كان ذلك بسببك وردد عليه الآخر مثل ذلك وجواب لو محذوف تقديره
 ولو ترى اذا الظالمون موقوفون رأيت عجبا ثم بدأ بالاتباع لان المضل أولى بالو بسخ فقال
 يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا اولاً انتم لكننا مؤمنين إشارة الى ان كفرهم كان
 مانع لاعدم المقتضى لانهم لا يمكنهم ان يقولوا ما جابنا رسول ولان يقولوا قصر الرسول
 وهذا إشارة الى اتيان الرسول باعليه لان الرسول لو همل شيئا لما كانوا يؤمنون ولو لا
 المستكبرون لا ينؤمنوا ثم قال تعالى (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) ردالما قالوا
 ان كفرنا كان مانع (أحسن صدقناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين) يعني
 المانع ينبغي ان يكون راجعا على المقتضى حتى يعمل عمله والذي جاء به هو الهدى والذي
 صدر من المستكبرين لم يكن شيئا يوجب الامتناع من قبول ما جاء به فلم يصح تعليلكم
 بالمانع ثم بين ان كفرهم كان اجراما من حيث ان العذر لا يكون معدورا الاعدم
 المقتضى أو لقيام المانع ولم يوجد شيء منهما ثم قال تعالى (وقال الذين استضعفوا للذين
 استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرنا ان نكفر بالله ونجعل له أندادا) لما ذكر
 المستكبرون انما صدقناكم وما صدر منا ما يصلح ما ذمنا وصارفا اعترف المستضعفون به
 وقالوا بل مكر الليل والنهار معنا ثم قالوا اللهم انكم وان كنتم ما أتيتم بالصارف القطعي
 والمانع القوي ولكن انضم أمركم ايانا بالكفر الى طول الامد وامتداد المدد فكفرنا فكان
 قولكم جزء السبب ويحتمل وجه آخر وهو ان يكون المراد بل مكركم بالليل والنهار خذف
 المضاف اليه وقوله اذ تأمرنا ان نكفر بالله أي نكركه ونجعل له أندادا هذا بين ان
 الشرك بالله مع انه في الصورة مثبت لكنه في الحقيقة منكر لوجود الله لان من يساويه
 الخلق المحض لا يكون الها وقوله في الاول يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين
 استضعفوا بلفظ المستقبل وقوله في الآيتين التآخرتين قال الذين استكبروا وقال الذين
 استضعفوا بصيغة الماضي مع ان السؤال والتراجع في القول لم يقع إشارة الى ان ذلك

يعرف حال التفرغ وقرئ ارتفع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها (قل من يرزقكم من السموات والارض) أمر عليه الصلاة
 والسلام ببكيت المشركين بحملهم على الاقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرزق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه
 كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
 من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله وحيث كانوا يتلغمون احيانا في الجواب مخالفة الالزام قيل له عليه الصلاة والسلام

(قل الله) اذلا جواب سواء عندهم ايضا (وانا اوبياكم لعلى هدى اوفى ضلال ميين) اي وان احد الفريقين من الذين يوحدون والمتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجمادات النازل في أدنى المراتب الامكانية لعلى احد الامر من الهدى والضلال الميين وهذا بعد ما سبق من التقرير البلاغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجر يانه على سنن * ٢٠ * الانصاف المسكت للخصم الالاد وقرى

وانا اوبياكم اما على هدى اوفى ضلال ميين واختلاف الجارين للايدان بار الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضلال كأنه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس في مظومة لا يستطيع الخروج منها (فل لا تسأول عما أجرنا ولا نزال عما نعملون) وهذا ابلغ في الانصاف وابعدهم الجدل والاعتناق حيث استند فيه الاجرام وان اريد به ترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبار (فل يجمع بيننا ربنا) يوم القيمة عند احشرو الحساب (ثم يفتح بيننا باحق) اي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفاح) الحكم الفصيل في القضايا المتعلقة (العليم) بما ينبغي أن يقضى به (فل اروني الذين اخطتم) اي اخطمهم (به شركاء) اريد بامرهم ياراة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه الصلاة والسلام اظهار خطتهم العظيم

لا بد وان يقع فان الامر الواجب الوقوع يوجد كأنه وقع الاترى الى قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون * ثم قال تعالى (واسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الاما كانوا يعملون) معناه انهم يتراجعون القول في الاول ثم اذا جاءهم العذاب الشاغل يسرون ذلك التراجع الدال على الندامة وقيل معنى الاسرار الاظهار اى اظهروا الندامة ويحتمل ان يقال بانهم لما تراجعوا في القول رجعوا الى الله بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ثم اجيبوا واخبروا بأن الامر د لكم فاسروا ذلك القول وقوله وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اشارة الى كيفية العذاب والى ان مجرد الرؤية ليس كافيا بل لما رأوا العذاب قطعوا بانهم واقعون فيه فتركوا التدم ووقعوا فيه فجعل الاغلال في اعناقهم وقوله هل يجزون الاما كانوا يعملون اشارة الى ان ذلك حقهم عدلا * ثم قال تعالى (وما أرسلنا في قرية من نذر الا قل مترفوها انما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعدين) تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان ابناء الكفار الانبياء الاخيار ليس بدعا بل ذلك عادة جرت من قبل وانما نسب القول الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا انما ارسلتم به كافرون لان الاغنياء المترفين هم الاصل في ذلك القول الاترى ان الله قال عن الذين استصهفوا انهم قالوا المستكبرين لو انتم الاكثاء مؤمنين ثم استدوا على كونهم مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اى بسبب لزومنا لدينا وقوله وما نحن بمعدين اى في الآخرة كأنهم قالوا احاطنا جلا خيرا من حالكم واما اجلا فلا نعتب اما انكارنا منهم للعذاب راسا او اعتقاد الحسن حالهم في اذ حرة ايضا قياسا * ثم ان الله تعالى بين خصائصهم بقوله (فل ان ربي ينسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى ان الرزق في الدنيا لا يدل سعته وضيافته على حال الحق والمبطل فكتم من مؤسرتى ومعسرتى (وان كان اكثر الناس مذبحورا) رزقة الرزق وفضلك العيش وكثرة المال وخصب العيش بالمشيئة من غير اختصاص بافادى والصالح * ثم بين فساد استدلالهم بقوله (وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندما زانى الامر آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) يعنى قولكم نحن اكثر اموالا فنحن احسن عند الله حالنا ليس استدلالا صحيحا فان المال لا يقرب الى الله ولا اعتبار بالتميز به وانما المفيد العمل الصالح بعد الايمان والذي يدل عليه هو ان المال والولد يشغل عن الله فيبعد عنه فكيف يقرب منه والعمل الصالح اقبال على الله واشتغال بالله ومن توجه الى الله وصل ومن طلب من الله شيئا حصل وقوله فأولئك لهم جزاء الضعف اى الحسنة فان الضعف لا يكون الا في الحسنة وفي السيئة لا يكون الا اثم ثم زاد وقال وهم في الغرفات آمنون اشارة الى دوام التعميم وتأيدته فان من تنقطع عنه النعمة لا يكون آمنا * ثم بين حال المسى بقوله (والذين يسعون في آياتنا عاجزين) وقد ذكرنا تفسيره وقوله (أولئك في العذاب محضرون) اشارة الى دوام

واطلاعهم على بطلان رأيتهم اى ارونها لا نظر باى صفة اخطمهم والله انذى ليس كمثل شىء في استحقاق العبادة * ايضا * وفيه من يدتكيت لهم بعد الزام الحجية عليهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقاييس (بل هو الله العزيز الحكيم) اى الموصوف بالعلية القاهرة والحكمة الباهرة فابن شركاؤكم التى أحسن الاشياء واذلهما من هذه التبتا العالية والضمير اما لله عز وجل اولشان كافي قل هو الله أحد (وما أرسلناك الا كافة للناس) اى الارسلنا كافة لهم فانها اذا دعيتهم فقد كفتمهم أن يشرح منها

أحد منهم أو الأجامع عليهم في الإبلاغ فهي حال من الكاف والناه للباغية ولا سبيل إلى جعلها حالاً من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها الجبرور (بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيجعلهم جعلهم على ما هم عليه من النقي والضلال (ويقولون) من فرط جعلهم وغاية غيرهم (متى هذا الوند) بظرب الاستمراء يعنون به المبشر به والمنذر عنه والموعود بقوله تعالى بجمع يبتشار بنائم يفتح يبتشا (ان كنتم ﴿ ٢١ ﴾ صادقين) مخاطبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به (قل

لكم ميعاد يوم) أي وعديوم
او زمان وعد والاضافة
للتبيين وقرئ ميعاد يوم مؤننين
على البدل ويوما ياخصار
أعنى للعظيم (لا تستأخرون
عنده) عند مفاجأته
(ساعة ولا تستقدمون)
صفحة لم يناد في هذا الجواب
من المبالغة في التهديد بما لا يخفى
حيث جعل الاستخار في
الاستحالة كالاستخدام الممتنع
عقلاً وقد مر بيانه مرارا
ويجوز أن يكون في الاستخار
والاستخدام غير مقيد بالمعجزة
فيكون وصف الميعاد بذلك
لتحقيقه وتقريره (وقال النذير
كفر وان تؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه) أي
من الكتب القديمة الدالة
على البعث وقيل ان كثر ما
سألوا أهل الكتاب عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأخبروهم أنهم يجدون
نعتهم في كتبهم فغضبوا فقالوا
ذلك وقيل الذي بين يديه
القيامة (واوترى إذا طالموز
المنكرون بالبعث) موقوفون
عند ربهم (أي في موقف
المحاسبة) يرجع بعضهم إلى
بعض القول أي يتحاورون

أيضا كما قال تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وكما قال تعالى وما هم عنها
بغائبين ثم قال تعالى مرة أخرى (قل ان ربى يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما
أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) إشارة إلى أن نعيم الآخرة لا ينافي نعمة
الدنيا بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعم مع القاطم بحصول النعم لهم في الآخرة بناء
على الوعد قطعا القول من يقول اذا كانت العاجلة لنا والآجلة لهم فالنقد أولى فقال
هذا النقد غير مختص بكم فان كثيرا من الاشقياء مدقون وكثير من الاتقياء متعون وفيه
مسائل (الاولى) ذكر هذا المعنى مرتين مرة لبيان أن كثرة أموالهم وأولادهم غير دالة
على حسن أحوالهم واعتقادهم ومرة لبيان انه غير مختص بهم كأنه قال وجود الترف
لا يدل على اشرفي ثم ان سلما انه كذلك لكن المؤمنين سيحصل لهم ذلك فان الله عليكم
دياركم وأموالكم والذي يدل عليه هو ان الله تعالى لم يذكر أولاد من يشاء من عباده بل قال ان
يشاء وثانيا قال لمن يشاء من عباده والعباد المضاف يراد بها المؤمن ثم وعد المؤمن بخلاف
مال الكافر فان الكافر ما به متطوع وماله إلى الزوال وما له إلى اوبال وأما المؤمن فانه يتق
يخافه الله ويخلف الله خيرا فان ما في يد الانسان في معرض البوار والنف وهو ما لا يتطرقان
إلى ما عند الله من الخلف ثم أكد ذلك بقوله والله خير الرازقين وخبرية الرازق في أمور
(أحدها) أن لا يؤخر عن وقت الحاجة (والثاني) أن لا ينقص عن قدر الحاجة (والثالث)
أن لا يتركه بالحساب (الرابع) أن لا يكدره بطلب اثواب والله تعالى كذلك اما الاول
فلانه طام وقادر والثاني فلانه غني واسع والثالث فلانه كريم وقد ذكر ذلك بقوله يرزق
من يشاء بغير حساب وما ذكرنا هو المراد أي يرزقه خلا لا لا يحاسبه عليه والرابع فلانه
على كبره واثواب بطابه الأدنى من الأعلى الاترى أن هبة الأعلى من الأدنى لا تقضى
ثوابا (السئلة الثانية) فوله تعالى زمان أنفقتم من شيء فهو يخلفه يحقق معنى قوله عليه
السلام في السلام ما من يوم يصحح العباد فيه التوبة كان ينزل يقول أحدهما اللهم اعط
متنفا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط مسكنا فذا ذلك لان الله تعالى ملك على وهو غني
ملى فاذا قال أففق وعلى يده فيحكم الوعد يلزمه كما اذا قال قائل ألق متاعك في البحر وعلى
ضمانه فن أففق فقد أتى بما هو شرط حصول البدل فيحصل البدل ومن لم ينفق قال زوال
لازم للمال وأما ما يستحق عليه من البدل فيموت من غير خلف وهو التالف ثم ان من
العجب ان التاجر اذا علم ان ماله من أمواله في معرض الهلاك يبعده نسيئة وان كان من
الفقراء ويقول بأن ذلك أولى من الأهما إلى الهلاك فان لم يبيع حتى يهلك ينسب إلى
الخطأ ثم ان حصل به كفيل ملى ولا يبيع ينسب إلى فلة العقل فان حصل به رهن وكتب به
وثيقة ولا يبيعه ينسب إلى الجنون ثم ان كل أحد يفعل هذا ولا يعلم ان ذلك قريب من
الجنون فان أموالنا كلها في معرض الزوال المحقق والاتفاق على الأهل والوادي اقراض
وقد حصل الضامن الملى وهو الله العلي وقال تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ثم رهن

ويتراجعون القول (يقول الدين استضعفوا) بدل من يرجع الخ أي يقول الاتباع (لذين استكبروا) في الدنيا واستتبعوه وهم في النقي
والضلال (لولا أنتم) أي لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الإيمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام (قال الذ
استكبروا للذين استضعفوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فاذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا (أنحن صدقنا
عن الهدى بعد ان جاءكم بل كنتم مجرمين) مشكرين لكونهم هم الصادق لهم عن الإيمان مثبتين أنهم هم الصادون

بأنفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) اضربا عن اضربا بهم وابطالا له (بل مكر الليل والنهار) أي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فخذق المضاف اليد وأقيم مقامه الظرف اتساما أو جعل ليلهم ونهارهم ما كرم على الاستناد المجازي وقرى بل مكر الليل والنهار بالتوين ونصب الظرفين أي بل صدنا مكركم في الليل والنهار على أن التوين عوض عن المضاف اليد أو مكر عظيم على أنه للتفخيم وقرى بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أي

تكررون الاغواء مكراتيا لاتمة ون عند فالرفع على الفاعلية أي بل صدنا مكركم الاغواء في الليل والنهار على ماسبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليد والنصب على المصدرية أي بل تكررون الاغواء مكراتيا والنهار أي مكراتيا وقرى بل صدنا مكركم على (اذ تأمر وتنا) ظرف للمكر أي بل مكركم اندام وقت أمركم لتأمر أن تكفر بالله وتجعل له اندادا) على أن المراد بمكرهم ما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا النعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى وأي نعمة واما امور آخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك (واسروا الندامة لما رأوا العذاب) أي اضربا الفريقان الندامة على ما فعلوا من الضلال والاضلال وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعبير أو أظهرها فأنه من الاضداد وهو المناسب لخالفهم) وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم

عند كل واحد اما أرضا أو بستانا أو طاحونة أو حاما أو منفعة فان الانسان لا بد من أن يكون له صنعة أو جهد يحصل له منها مال وكل ذلك ملك الله وفي يد الانسان بحكم العاربية فكانت موهون بما تكفل الله من رزقه ليحصل له الوثوق التام ومع هذا لا ينفق ويترك ماله ليتلف لا مأجورا ولا مشكورا (السئلة الثالثة) قوله خير الرازقين يلي عن كثرة في الرازقين ولا رازق الا الله فالجواب عنه فتقول عنه جوابان (أحدهما) ان يقال الله خير الرازقين الذين تظنونهم رازقين وكذلك في قوله تعالى وهو أحسن الخالقين (وثانيهما) هو ان الصفات منهما ما حصل لله والعباد حقيقة ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقة والعباد بطريق المجاز ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقة ولا يقال لله بالعباد لا بطريق الحقيقة ولا بطريق المجاز لعدم حصوله للعباد حقيقة ولا صورة مثال الاول العلم فان الله يعلم انه واحد والعباد يعلم انه واحد بطريق الحقيقة وكذلك العلم يكون التاريخا غاية ما في الباب ان علمه قديم وعلمنا حادث مثال الثاني الرازق والخالق فان العباد اذا أعطى غيره شيئا فان الله هو المعطى ولكن لاجل صورة العطاء منسمى معطيا كما يقال للصورة المنقوشة على الخاتط فرس وانسان مثال الثالث الازلي والله وغيرهما وقد يقال في الاشياء في الاطلاق على العبد حقيقة وعلى الله محازا كالاستواء والرزول والمسعة ويد الله وجنب الله ثم قال تعالى (و يوم نحشرهم جميعا) ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم به مؤمنون) لمسا بين ان حال النبي صلى الله عليه وسلم كحال من تقدمه من الانبياء وحال قومه كحال من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اموالهم واولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم فقال و يوم نحشرهم جميعا يعني المكذبين بك ومن تقدمك ثم يقول لمن يدعون انهم يعبدونهم وهم الملائكة فان غاية ما ترقى اليد من انتم انهم يقولون نحن نعبد الملائكة والكواكب فيسأل الملائكة انهم كانوا يعبدونكم اهانة لهم فيقول كل منهم سبحانك نزهك عن أن يكون غيرك معبودا وانت معبودنا ومعبود كل خلق وقولهم أنت ولينا من دونهم إشارة الى معنى لطيف وهو ان مذاهب الناس مختلفة بعضهم لا يسكن المواضع المعمورة التي يكون فيها سواد عظيم لانه لا يتأس هناك فيرضى بالاضباع والبلاد الصغيرة وبعضهم لا يريد البلاد الصغيرة لعدم اجتماعها فيها بالناس وقلة وصوله فيها الى الاكياس ثم ان الفرقين جميعا اذا عرض عليهم خدمة السلطان واستخدام الارذال الذين لا التفات اليهم أصلا يختار العاقل خدمة السلطان على استخدام من لا يؤبه به ولو أن رجلا سكن جبلا ووضع بين يديه شيئا من القاذورات واجتمع عليه القباب والديدان وهو يقول هؤلاء أتباعي وأشياعي ولا أدخل المدينة مخافة ان احتاج الى خدمة السلطان العظيم والتردد اليه ينسب الى جنون فكذلك من رضى بأن يترك خدمة الله وعبادته ورضى باستتباع السحج الذين هم أضل من البهائم وأقل من الهوام يكون مجنونا فقاوال أنت ولينا من دونهم يعني كونك ولينا بالعبودية أولى وأحب الينا من كونهم أولياء بالعبادة لنا

والاظهار في موضع الاضمار للتويه والتشبيه على موجب اغلالهم (هل يجوزون الا ما كانوا يعملون) أي وقالوا لا يجوزون الاجزاء ما كانوا يعملون والاعمال ما كانوا يعملون على زرع الجار (وما أرسلنا في قرية) من القرى (من نذير الا قال مترفوها) انا بما أرسلتم به كافرون) تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك

على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي الفر يقين خير مما أو أحسن نديانته لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير الأقال مترفوههم مثل ما قال مترفو أهل مكة في حقد عليه الصلاة والسلام وكادوا به عليه الصلاة والسلام وقاسوا أمور الآخرة الموهومة والمفرضة عندهم على أمور الدنيا وزعموا أنهم لو لم يكرهوا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولو لأن المؤمنين هاتوا عليه تعالى لما حرمهم هوها وعلى ذلك ﴿٢٣﴾ الرأي الركيك بنواحكامهم (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن

بمعدنين) أما بناء على انتفاء العذاب الآخروي رأساً أو على اعتقاد أنه تعالى أكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة على تقدير وقوعها (قل) رداعليهم وحسباً لمادة طمئنتهم آثار غوتحقيقاً للحق الذي عليه يدور أمر التكوين (إن ربى بسط الرزق إن يشاء) أن يبسطه (و يقدر) علم من يشاء أن يقدره عليه من غير أن يكون لاحد من القر يقين داع إلى ما فعل به من البسط والتقدير بما يوسع على العاصي و يضيق على المطيع و ربما يعكس الأمر و بما يوسع عليهما معا و قد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة و يضيق عليه أخرى يفعل الكلام من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبينة على الحكم البالغة فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها و قرى و يقدر بالتشديد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيزعمون أن مدار البسط هو الشرف والكرامة و مدار القدر هو الهوان ولا يدرون أن الأول كثيراً ما يكون بطريق

وقالوا بل كانوا يعبدون الجن أي كانوا يتفادون لأمر الجن فهم في الحقيقة كانوا يعبدون الجن ونحن كنا كأقابلة لهم لأن العبادات هي الطاعة وقوله تعالى أكثرهم بهم مؤمنون لو قال قائل جميعهم كانوا تابعين للشياطين فاوجه قوله أكثرهم بهم مؤمنون فانه ينبي أن بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطع لهم نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن الملائكة احتزوا عن دعوى الاحاطة بهم فقالوا أكثرهم لأن الذين رأوهم واطلعوا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن ويؤمنون بهم وأهل في الوجود من لم يطلع الله الملائكة عليه من الكفار (الثاني) هو أن العبادة عمل ظاهر والإيمان عمل باطل فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون عند عمل القلب ثلاثاً يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب فان القلب لا اطلاع عليه الا الله كما قال تعالى انه عليهم بذات الصدور ثم بين ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الخطاب بقوله بعضكم مع من نقول بمحمل أن يكون مع الملائكة لسبق قوله تعالى أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وعلى هذا يكون ذلك تنكيلا للكافرين حيث بيناهم أن معبودهم لا ينفع ولا يضر ويصحح هذا قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارضى ولانه قال بعده ونقول للذين ظلموا ذوقوا فآمردهم ولو كان المخاطب هم الكفار اتسك فدقوا وعلى هذا يكون الكفار داخلين في الخطاب حتى يصح معنى قوله بعضكم بعض أي الملائكة للكفار والحاضر الواحد يجوز أن يجعل من يشاركه في أمر مخاطبا بسببه كما بقون التنازل لو احد حاضر له شريك في كلاماً تم بتم على معنى أنت قلت وهم قالوا ويحتمل أن يكون منهم الجن أي لا يملك بعضكم بعض أي الملائكة والجن واذا لم يملكوها لافسكهم فلا يملكوها غيركم ويحتمل أن يكون المخاطب الكفار لا ذكر الروم يدل على حضورهم وعلى هذا قوله ونقول للذين ظلموا انما ذكره تأكيذا لبيان حاله في العالم وسبب نكالهم من الاتم ووقا ذوقوا عذاب النار فكان كما يملكه لا يحصل ما ذكرنا من الفساد فانهم كلما كانوا يسمعون ما كانوا عليه من الظلم والعناد والاثم والفساد يتحسرون ويندمون (المسئلة الثانية) قوله نفعا مفيد المحسرة وأما الضرفا الفائدة فيه مع انهم لو كانوا يملكون الضرر لما نفع الكافرين ذلك فتقول لما كانت العبادة تقع لدفع ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويخدم مخافة شره بين انهم ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن لاجله عبادتهم (المسئلة الثالثة) قال ههنا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وقال في المسئلة عذاب النار الذي كنتم به جعل المكذب ههنا عذاب النار الذي كنتم به جعل المكذب ههنا انما وهم كانوا يكذبون بالكل والفائدة فيها أن هناك لم يكن أول مارا أو النار بل كانوا هم فيها من زمان بدليل قوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم

الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات (وما أموالكم ولأولادكم بآتي تفر بكم عندنا زانق) كلام مستأنف من جهته عن وعلاخو طيب به الناس بطريق التلويح والاتفات البالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق أي وما جاء بعد أمم والكم وأولادكم بالجماعة التي تفر بكم عندنا قرية فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلاؤه سواء في حكم التأنيث أو بالخصلة التي تفر بكم وقرى بالذي أي بالشيء الذي (الامن آمن وعمل صالحا) استثناء

من مفعول تفر بكم أي وما الأموال والأولاد تقرب أحدا المؤمن من الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم الصاعقة وقيل من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أي الأموال من الخ (وأولئك) إشارة إلى من واجتمعوا بتبارعها كما أن الأفراد في القولين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لا يذنبون بعلو رتبهم وبعدمتزلتهم في الفضل أي فأولئك المنعوتون بالإيمان والعمل ﴿ ٢٤ ﴾ الصالح (أهم جزاء الضعف) أي ثابت لهم

ذلك على أن الجار والمجرور خير لما بعده والجملة خبر لا وتلك وفيدنا كيد تذكر الاستناد أو يثبت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لا وتلك و. ا بعده مرتفع على التفاعلية وإضافة الجزاء إلى الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول صلة فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف وهو معناه أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرًا فأفوقها وقرى جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على أن الضعف بدل من جزاء (بما عملوا) من الصالحات (وهم في العرفات) أي عرقات الجنة (أمنون) من جميع المكارة وقرى بفتح الراء وسكونها وقرى في الفرفة على إرادة الجنس (والذين يسعون في آياتنا) بالرد والظن فيها (معاجزين) سابقين لا يتأثروا أوزاعين أنهم يفوتوننا (أولئك في العذاب محضرون) لا يجديهم ما عملوا عليه نعمًا (قل إن ربِّي يسقط الرزق لمن يشاء من عباده) أي يوسع عليه تارة (ويقدره)

ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون أي العذاب المؤبد الذي أنكرتموه بقولكم إن تمسنا النار إلا أيا مأمدة أي قلتم إن العذاب إن وقع فلا يدوم فنذقوا الدائم وههنا أول ما رأوا النار لأنه مذكور عقب الحشر والسؤال فقبل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون * ثم قال تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وما هذا إلا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين) أظهارا الفساد واعتقادهم واشتداد عنادهم حيث تبين أن أعلى من يعبدونه وهم الملائكة لا يتأهل العبادة لدواتهم كما قالوا سبحانك أنت وليا أي لأهلنا لنا الإلهادك من دوزنهم أي لأهلنا لنا لأن تكون محبوبين لهم ولا تنفع أوضركم قال تعالى قل يوم لا ينفع بضعكم بعض نفسا ولا ضرا ثم مع هذا كله إذا قال لهم النبي عليه السلام كلاما من التوحيد وتلا عليهم آيات الله لتدفعوا عن قلوبهم كل شيء آيات دالة على وحدانيته أنكروها وقالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يعني يعارضون البرهان بالتكيد وقالوا ما هذا إلا افك مفترى وهو يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون المراد أن القول بالوحدانية افك مفترى وبطل عليه هو أن الموحد كان يقول في حق المشرك أنه يافك كما قال تعالى في حقهم أفكنا أهذا دون الله تريدون وكما قالوا هم للرسول أجئنا لئلا فكنا عن آياتنا (ثانيها) أن يكون المراد ما هذا إلا افك أي القرآن افك وعلى الأول يكون قوله وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين إشارة إلى القرآن وعلى الثاني يكون إشارة إلى ما أتى به من المعجزات وعلى الوجهين فقوله تعالى وقال الذين كفروا بدلاء عن أن يقول وقالوا للحق هو أن إنكار التوحيد كان مختصا بالمشركين وأما إنكار القرآن والمعجزات كان متفقا عليه بين المشركين وأهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا للحق على وجه العموم * ثم قال تعالى (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا برسلي فكيف كان تكبير) وما أرسلنا اليهم قبلك من نذيرنا كيد لبيان تقليدهم يعني يقولون عندما تتلى عليهم الآيات البينات هذا رجل كاذب وقولهم افك مفترى من غير برهان ولا كتاب أنزل عليهم ولا رسول أرسل اليهم فالآيات البينات لاتعارض إلا البهائم العقلية ولم يأتوا بها أو بالتقليد وما عندهم كتاب ولا رسول غيرك والنقل المعبر آيات من كتاب الله أو خبر رسول ثم بين أنهم كالذين من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود وقوله تعالى وما بلغوا معشار ما آتيناهم قال المفسرون معناه وما بلغ هو لاء المشركون معشار ما آتينا المتقدمين من القوة والنعمة وطول العمر ثم إن الله أخذهم وما نفعهم قوتهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وعندي يحتمل ذلك وجهها آخر وهو أن يقال المراد وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم أي الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما آتينا قوم محمد من البيان والبرهان وذلك لأن كتاب محمد عليه السلام أكل

أي يضيقه عليه تارة أخرى فلا تحشوا الفقر وأنفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنجاته تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) (ومن) عوضا ما عاجلا وما آجلا (وهو خير الرازقين) فإن غيره واسطة في إيصال رزقه لاحقيقة رازقته (ويوم يحشرهم جميعا) أي المنكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم طرف المضمر متأخر سياقي تقديره أو مفعول المضمر مقدم نحو إذا ذكر (ثم يقول للملكة أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون) تقرى المشركين وتبكيه الله على نهم قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني

وأما الخوافاطالهم مما علقوا به أطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم أشرف شركائهم والصالحون
 للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فيبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتزدهم عن عبادتهم بظهور حال سائر شركائهم
 بطريق الاولوية وقرىء الفعلان بالنون (فأولوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فإذ يقول
 الملائكة حينئذ قليل يقولون متزهين عن ذلك ﴿ ٢٥ ﴾ سبحانك أنت وإيمان من دونهم) والعدول الى صيغة الماضي للدلالة

على التحقق أى أنت الذى
 نواله من دونهم لاموالاة
 يبتناو يبتهم كأنهم يبتوا
 بذلك براءتهم من الرضا
 بعبادتهم ثم أضر بوا عن ذلك
 ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة
 بقولهم (بل كانوا يعبدون
 الجن) أى الشياطين حيث
 أطاعوهم فى عبادة غير الله
 سبحانه وتعالى وقيل كانوا
 يمثلون لهم ويخيلون لهم
 أنهم الملائكة فيعبدونهم
 وقيل يدخلون أجواف الاصنام
 فاعبدت فيعبدون بعبادتها
 (أكثرهم بهم مؤمنون) الضمير
 الاول للناس أو للمشركين
 والاكثر بمعنى الكل والثاني
 للجن (فاللوم لا يملك بعصمكم
 لبعض نفعوا ولاضرا) من جملة
 ما يقال للملائكة عند جوابهم
 بانتزعه والبره عانصب اليهم
 انكفرة يخاطبون بذلك على
 رؤس الاشهاد اظهرا العجز
 وقصورهم عند عبادتهم
 وتخصيصا على ما يوجب خيبة
 رجائهم بالكيفية والفاء ليست
 لترتيب ما بعدها من الحكم
 على جواب الملائكة فانه محقق
 أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب
 الاخبار به عليه ونسبة عدم

من سائر الكتب وأوضح محمد عليه السلام أفضل من جميع الرسل وأصح برهانه أوفى
 وبيانه أشق ثم ان المتقدمين لما كذبوا بما جاءهم من الكتب وبين أناهم من الرسل انكر
 عليهم وكيف لا ينكر عليهم وقد كذبوا بأصح الرسل وأوضح السبل ويؤيد ما ذكرنا من
 المعنى قوله تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها يعنى غير القرآن ما آتيناهم كتابا وما
 أرسلنا اليهم قبلك من نذير فلما كان المؤتى فى الآية الاولى هو الكتاب فعمل الاشارة فى
 الآية الثانية على اثناء الكتاب أولى ثم قال تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة ان تقوموا
 لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب
 شديد) ذكر الاصول الثلاثة فى هذه الآية بعدما سبق منه تقريرها بالدلائل فقوله أن
 تقوموا لله اشارة الى التوحيد وقوله ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم اشارة الى
 الرسالة وقوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى اليوم الآخر وفى الآية مسائل (الاولى)
 قوله انما أعظكم بواحدة يقتضى أن لا يكون الا بالوحد والايان لا يتم الا بالاعتراف
 بالرسالة والخشرف كيف يصح الحصر المذكور بقوله انما أعظكم بواحدة فنقول
 التوحيد هو المقصود ومن وحد الله حق التوحيد يشرح الله صدره ويرفع فى الآخرة
 قدره فاشبه صلى الله عليه وسلم أمرهم بما يفتح عليهم أبواب العبادات ويهيئ لهم أسباب
 السعادات وجواب آخر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ما قال انى لأمركم فى جميع
 عمرى الا بشئ واحد وانما قال أعظكم أوة بالتوحيد ولا أمركم فى أول الامر بغيره لانه
 سابق على اسكل ويدل عليه قوله تعالى ثم تفكروا فان الفكر أيضا صار أمورا به
 وموعوظا (المسئلة الثانية) قوله بواحدة قال المفسرون أنها على انها صفة خصلة أى
 أعظكم بخصلة واحدة ويحتمل أن يقال المراد حسنة واحدة لان التوحيد حسنة
 واحسان وقد ذكرنا فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان ان العدل فى الالهية
 عن غير الله والاحسان اثبات الالهية له وقيل فى تفسير قوله تعالى هل جزاء الاحسان
 الا الاحسان أن المراد هل جزاء الايمان الا الجنان وكذلك يدل عليه قوله تعالى ومن
 احسن قولامن دعالى الله (المسئلة الثالثة) قوله مثنى وفرادى اشارة الى جميع الاحوال
 فان الانسان اما أن يكون مع غيره أو يكون وحده فاذا كان مع غيره دخل فى قوله مثنى
 واذا كان وحده دخل فى قوله فرادى فكأنه يقول تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم
 الجمعية من ذكر الله ولا يجوزكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله (المسئلة الرابعة)
 قوله ثم تفكروا يعنى اعترفوا بما هو الاصل والتوحيد ولا حاجة فيها الى تفكر ونظر
 بعدما بان وظهر ثم تفكروا فإما أقول بعده من الرسالة والخشرف انه يحتاج الى تفكر وكلمة
 تم تفيد ما ذكرنا فانه قال أن تقوموا لله ثم تفكروا ثم بين ما تفكرون فيه وهو أمر النبي
 عليه السلام فقال ما بصاحبكم من جنة (المسئلة الخامسة) قوله ما بصاحبكم من جنة
 يفيد كونه رسولا وان كان لا يلزم فى كل من لا يكون به جنة أن يكون رسولا وذلك لان

النفع والضرر الى البعض المبهم ﴿ ٤ ﴾ سا للبياعة فيما هو المقصود الذى هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة
 ينظمه فى سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة اعبدتهم فى الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والنرض لعدم الضرر
 أنه لا بحث عنه اصلا اما التعميم العجز أو لجل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضرر على تقدير تركها أولان المراد
 دفع الضرر على حذف المضاف وتفيد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لان نفعهم على تحقق النفع

يومئذ وقوله عز وجل (وتقول للذين ظلموا) عطف على الملائكة لا على لا يعاك كما قيل فانه مما يقال يوم القيامة خطا بالملائكة
مترابا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل للعبدة يومئذ حكاية ما سئل للملائكة أي
يوم نحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
يكون من الاهوال والاحوال ما لا يحيط به نطاق المقال ﴿ ٢٦ ﴾ وقوله تعالى (واذا تلى عليهم آياتنا بينات) بيان لبعض

آخر من كفرانهم أي اذا تلى عليهم بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام آياتنا الناطقة بحقيقة التوحيد وطلان الشرك (قالوا ما هذا) يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم (الارجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) فيستبعكم بما يستعبه من غير أن يكون هناك دين الهوى واصفاة الآباء الى الخاطئين لا الى أنفسهم لحر يك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتغييرهم عن التوحيد (وقالوا ما هذا) يعنون القرآن الكريم (الا اذك) أي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع (مفتى) باستاده الى الله تعالى (وقال الذين كفروا للحق) أي لامر النبوة أي الاسلام أو القرآن على أن العطف لاختلاف العنوان بأن يراد بالاول مسناه واثاني نظمه المعجز (لما جاءهم) من غير تدبير ولا تأمل فيه (ان هذا الاصحح مبین) ظاهر صحه بتدوي تكرير الفعل وانصریح بذكر الكثرة وما في الالامین من الإشارة الى الفئتين والمقول فيه وما في لسان المسارعة الى البت

التي عليه السلام كان يظهر منه أشياء لا تكون مقدورا للبشر وغير البشر ممن يظهر منه العجائب اما الجن أو الملائكة واذا لم يكن الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الجن يكون بواسطة الملائكة أو بقدرته الله تعالى من غير واسطة وعلى التقديرين فهو رسول الله وهذا من أحسن الطرق وهو أن يثبت الصفة التي هي أشرف الصفات في البشر بنفي أخس الصفات فانه لو قال أواهو رسول الله كانوا يقولون فيه النزاع فاذا قال ما هو مجنون لم يسعهم انكار ذلك لعلمهم بملو شأه وجماله في قوة لسانه وباله فاذا ساعدوا على ذلك لزتهم المسئلة ولهذا قال بعده ان هو الا نذير يعني اما هو به جنة أو هو رسول لكن تبين انه ليس به جنة فهو نذير (المسئلة السادسة) قوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى قرب العذاب كأنه قال يندرکم بعذاب حاضر يسکم عن قريب بين يدي العذاب أي سوف يأتي العذاب بعده * ثم قال تعالى (قل ما سألتكم من أجر فهو ولكم ان اجري الاعلى الله وهو على كل شيء شهيد) لما ذكر أنه ما به جنة يلزم منه كونه نبيا ذكر وجه آخر يلزم منه انه نبي اذا لم يكن مجنونا لان من يرتكب العناء الشديد لا تعرض عاجل اذا لم يكن ذلك فيه ثواب أخروي يكون مجنونا فالتبني عليه السلام يدعو الى النبوة يجعل نفسه عرضة للهلاك عاجلا فان كل احد يقصده ويعداه ولا يطلب أجر في الدنيا فهو يفعله الآخرة والكاذب في الآخرة معذب لا مثاب فلو كان كاذبا لكان مجنونا لكنه ليس بمجنون فليس بكاذب فهو نبي صادق وقوله وهو على كل شيء شهيد تقرير آخر للرسالة وذلك لان الرسالة لا تثبت الا بالدعوى والبيينة بأن يدعى شخص النبوة و يظهر الله المعجزة فهي بيينة شاهدة والتصديق بالفعل يقوم مقام التصديق بالقول في افادة العلم بدليل أن من قال لقوم اني مرسل من هذا الملك اليكم أنتمكم قبول قول والملك حاضر ناظر ثم قال للملك أيها الملك ان كنت انارسواك اليهم قتل لهم اني رسولاك فاذا قال انه رسولى اليكم لا يبقى فيه شك كذلك اذا قال يا أيها الملك ان كنت انارسواك اليهم فالبينة قيامك فلو ألبسه قباة في عقب كلامه يجزم الناس بأنه رسوله كذلك حال الرسل اذا قال الانبياء لقومهم نحن رسل الله ثم قالوا يا أيها الملك ان كنت انارسواك فأنطق هذه الحجة أو انشر هذا الميث ففعله حصل الجزم بأنه صدق * ثم قال تعالى (قل ان ربي يقذف بالحق علام غيوب) وفيه وجهان (أحدهما) يقذف بالحق في فلوب الختئين وعلى هذا الوجه الآية بما قبلها تعنى وذلك من حيث ان الله تعالى لما بين رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان هو الا نذير لكم وأ كده بقوله قل ما سألتكم من أجر فهو ولكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصص واحد من بينهم بانزال الذكر عليه كاقول تعالى عنهم أنزل عليه الذكر من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال قل ان ربي يقذف بالحق أي في القلوب اشارة الى أن الامر بيده يفعل ما يريد يعطي ما يشاء لمن يشاء ثم قال تعالى علام الغيوب اشارة الى جواب سؤال فاسد يذكر عليه وهو ان من يفعل شيئا كما يريد من غير اختصاص محل الفعل بشيء لا يوجد في غيره لا يكون علما وانما فعل ذلك اتفاقا كما

بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعييب بليغ منه (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فيمها دليل على صحة الاشرار ﴿ اذا كافي قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستسكون وقرى يدرسونها و يدرسونها بشئيد لا يدال فيقولون من الدرس (وما أرسلنا اليهم قطك من نذير) يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من

الوجود من أين ذهب واهذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لآبئهم ثم هددهم بقوله تعالى (و كذب الذين من قبلهم) من الأمم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أي ما بلغ هوألا عشر ما آتينا أولئك من القوة ودلول العمر وكثرة المال أو ما يرام أو ثلث عشر ما آتيناها ولا من البينات والهدى (وكذبوا ربكم) (وكذبوا ربكم) أي أنكارى لهم بالتدبير والتفسير بقوله تعالى كذبت فلهم ﴿ ٢٧ ﴾ قوم نوح فكذبوا ربنا الخ (فكذبوا ربكم) أي أنكارى لهم بالتدبير

فليحذر هؤلاء من مثل ذلك
 (قل إنما أعزضكم بواحدة)
 أي ما أرشدكم أو أفصح لكم
 الابنصلة واحدة هي ما دل
 عليه قوله تعالى (أن تقوموا
 لله) على أنه يدل منها أو بيان
 لها أو خبر مبتدأ محذوف
 أي هي أن تقوموا من مجلس
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أو تنصبوا للامر خالصا
 لوجه الله تعالى معرضا
 عن المماراة والتقليد (مثنى
 وفرادى) أي متفرقين
 اثنين اثنين وواحدًا واحدًا
 فان الازدحام يشوش الافهام
 ويخلط الافكار بالاوهام
 وفي تقدم مثنى ايدان بأنه
 أوثق وأقرب إلى الاطمئنان
 (ثم تفكروا) في أمره عليه
 الصلاة والسلام وما جاء به
 لتعلموا حقيقته وحقيقته وقوله
 تعالى (ما بصاحبكم من جنة)
 استئناف مسوق من جهته
 تعالى التنبيه على طريقة
 انظر وانأمل بأن مثل هذا
 الامر العظيم الذي تحته
 ملك الدنيا والآخرة
 لا تصدى لادمائه الاجنون
 لا يبالي باقتضاه عند
 مطالبته بالبرهان وظهور
 حجه أو مؤيد من عند الله

إذا أصاب اسهم موضعا دون غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق
 كيف يشاء وهو عالم بما يفعله وعالم بعواقب ما يفعله فهو يفعل ما يريد لا كما يفعله المهاجم
 المغافل عن العواقب اذ هو علام الغيوب (الوجه الثاني) أن المراد منه هو أنه يقذف بالحق
 على الباطل كما قال في سورة الانبياء بل يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وعلى هذا تعلق
 الآية بما قبلها أيضا ظاهر وذلك من حيث ان براهين التوحيد ظهرت وشبههم دحضت
 قال فل ان ربي يقذف بالحق أي على باطلكم وقوله علام الغيوب على هذا الوجه له معنى
 اطلاق وهو ان البرهان الباهر المعقول الظاهر لم يتم الا على التوحيد والرسالة واما الحشر
 فعلى وقوعه لا برهان غير اخبار الله تعالى عنه وعن أحواله واهواله ولولا بيان الله بالتول
 لما بان لاحد بخلاف التوحيد والرسالة فلما قال يقذف بالحق أي على الباطل اشارة الى
 ظهور البراهين على التوحيد والنبوة قال علام الغيوب أي ما يخبره عن الغيب وهو قيام
 الساعة وأحوالها فهو لا خلاف فيه فان الله علام الغيوب والآية تحتل تفسيرها آخر
 وهو أن يقال ربي يقذف بالحق أي ما يقذفه بالحق لا بالباطل والباء على الوجهين
 الاولين متعلق بالمفعول به أي الحق مقذوف وعلى هذا البناء فيه كالباء في قوله وفضى بينهم
 بالحق وفي قوله فاحكم بين الناس بالحق والمعنى على هذا الوجه هو ان الله تعالى قذف
 ما قذف في قلب الرسل وهو علام الغيوب يعلم ما في قلوبهم وما في قلوبكم * ثم قال تعالى
 (قل جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعبد) لما ذكر الله أنه يقذف بالحق وكان ذلك بصيغة
 الاستقبال ذكر ان ذلك الحق قد جاء وفيه وجوه (أحدها) انه القرآن (الثاني) انه بيان
 التوحيد والحشر وكل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (الثالث) المعجزات
 الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويحتمل أن يكون المراد من جاء الحق ظهر الحق لان كل
 ما جاء فقد ظهر والباطل خلاف الحق وقد بينا أن الحق هو الموجود ولما كان ما جاء به
 النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكن انتفاؤه كالتوحيد والرسالة والحشر كان حقا لا يذفي ولما
 كان ما يأتون به من الاشرار والتكذيب لا يمكن وجوده كان باطلا لا يثبت وهذا المعنى
 يفهم من قوله وما يبدى الباطل أي الباطل لا يفيد شيئا في الاولى ولا في الآخرة فلا يمكن
 لوجوده أصلا والحق الماتى به لا عدم له أصلا وقيل المراد لا يبدى الشيطان ولا يعيد وفيه
 معنى اطلاق وهو أن قوله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق لا كان فيه معنى قوله تعالى بل
 يقذف بالحق على الباطل فيدمغه كان يقع لتوهم أن الباطل كان فوردا عليه الحق فأبطله
 ودمغه فقال ههنا ليس للباطل تحقق أولا وآخرا وإنما المراد من قوله فيدمغه أي فيظهر
 بطلانه الذي لم يزل كذلك واليه الاشارة بقوله تعالى في موضع آخر وزهق الباطل ان الباطل
 كان زهوقا يعني ليس أمره متجددا زهوق الباطل فقوله وما يبدى الباطل أي لا يثبت في
 الاول شيئا خلاف الحق ولا يعيد أي لا يعيد في الآخرة شيئا خلاف الحق * ثم قال تعالى
 (قل ان سلمات فاما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع عليم)

مرشح النبوة واثق بحجته وبرهانه واذا قرع علم انه عليه الصلاة والسلام أرجح املين عقلا وأصدق فهم فولا وأزهم نفسا
 وأفضلهم علما وأحسنهم عملا وأجمعهم للكمالات البشرية يتوجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وشما انضم اليك ذلك معجزات
 تحر لها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تفكروا فعملوا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز أن تكون ما استفهائية
 على معنى ثم تفكروا أي شيء به من آثار الجنون (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) هو وعذاب الآخرة فانه عليه

الصلاة والسلام مبعوث في نسمة الساعة (قل ما سألتكم من أجر) أي أي شيء سألتكم من أجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد في السؤال رأسا أقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان أعطيتني شيئا فخذ وقيل ما موصولة أو يديها ما سأله بقوله تعالى ما سألتكم عليه من أجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه الصلاة والسلام قرباهم (ان أجرى * ٢٨ * الاعلى الله وهو على كل شيء شهيد) مطلع

يعلم صدقي وخلص نيتي وقرى ان أجرى بسكون الياء (قل ان ربي يقذف بانق) أي يقذفه وينزله على من يحبها من عباده أو يرمي به بالبطل فيده أو يرمي به في أضرار الآفاق فيكون ويند بانظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق (سلام العيوب) صفة محمولة على محل ان واسمها أو بدل من المستكن في يقذف أو خير فان لان أو شهر ميتا مخدوف وقرى بالنصب صفتي أو مقدر ايا عني وقرى بكسر القين وبالفتح كصبور مبالغة غائب (قل جاء الحق) أي الاسلام والتوحيد (وما يبدى الباطل وما يعيد) أي زهق الشرك بحيث لم يبق أثره أصلا مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا إعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرّة ومنه قول عبيد أفقر من أهله عبيد * فليس يبدى ولا يعيد وقيل الباطل ابليس أو الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد أولا يبدى خيرا لاهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها (قل ان ضلالت)

هذا فيه تقرير الرسالة أيضا وذلك لان الله تعالى قال على سبيل العموم من اهتدى فلنفسه وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم وان اهتديت فبما يوحى الى ربي يعني ضلالي على نفسي كضلالتك وأما اهتدائي فليس بانتظر والاستدلال كما اهتدائكم وانما هو بالوحى المبين وقوله انه سمع أي يسمع اذا ناديته واستعديت به عليكم قريب بأتيتكم من غير تأخير اس كمن يسمع عن بعد ولا يلحق الداعي * ثم قال تعالى (ولو ترى اذ فرقوا فلا فوات واحذوا من مكان قريب) لما نزل سمع قال هو قريب فان لم يعذب عاجلا ولا يبين صاحب الحق في الحال فهو الفزع آت لا فوات وانما يستعمل من يخاف الفوت وقوله ولو ترى جوابه مخدوف أي ترى عجايبا وأخذوا من مكان قريب لا يهربون وانما الاخذ قبل تمكنهم من الهرب * ثم قال تعالى (وقالوا آتينا به) أي بعد ظهور الامر حيث لا يفتح أيمان قالوا آتينا (وأنى لهم التناوش) أي كيف يقدرون على التناوش بالمطلوب وذلك لا يكون الا في الدنيا وهم في الآخرة والدنيا من الآخرة بعيدة فان قيل فكيف قال في كثير من المواضع ان الآخرة من الدنيا قريبة ولهذا سماه الله الساعة وقال لعل الساعة قريب تقود الماضي كالامس الدابر بعدما يكون اذلا ووصول اليه والمستقبل وان كان بيند وبين الحاضر سنين فانه آت فيوم القيامة الدنيا بعيدة لمضيها وفي الدنيا يوم القيامة قريب لا يتناه والتناوش هو التناول عن قريب وقيل عن بعد ولما جعل الله الفعل مأخوذا كالجسم جعل ظرف الفعل وهو الزمان كظرف الجسم وهو المكان فقال (من مكان بعيد) والمراد ما مضى من الدنيا * ثم بين الله تعالى ان ايمانهم لا يقع فيه بسبب انهم كفروا به من قبل والاشارة في قوله آتينا به وقوله (وقد كفروا به من قبل) الى شيء واحد اما محمد عليه الصلاة والسلام واما القرآن واما الحق الذي أتى به محمد عليه السلام وهو أقرب وأولى وقوله (و يقذفون بالغيب) ضد يؤمنون بالغيب لان الغيب ينزل من الله على لسان الرسول فيقذفه الله في القلوب ويقبله المؤمن واما الكافر فهو يقذف بالغيب أي يقول ما لا يعلمه وقوله (من مكان بعيد) يحتمل ان يكون المراد منه ان مأخذهم بعيدا أخذوا الشرك من انهم لا يقدرون على أعمال كثيرة الا اذا كانوا اشخاصا كثيرة فكذلك المخلوقات الكثيرة وأخذوا بعد الاعادة من حالهم وعجزهم عن الاحياء فان المريض يداوى فاذا مات لا يمكنهم اعادة الروح اليه وقياس الله على المخلوقات بعيد المأخذ ويحتمل ان يقال انهم كانوا يقولون بأن الساعة اذا كانت قائمة فالثواب والنعيم لنا كقول قائلهم ولئن رجعت الى ربي انى لي عنده للحسنى فكانوا يقولون ذلك فان كان من قول الرسول فما كان ذلك عندهم حتى يقولوا عن احساس فان ما لا يجب عقلا لا يعلم الا بالاحساس أو بقول الصادق فهم كانوا يقولون عن الغيب من مكان بعيد فان قيل فذكري ان الآخرة قريب فكيف قال من مكان بعيد نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ان ذلك قريب عند من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن لم يؤمن لا يمكنه التصديق به فيكون بعيدا عنده (الثاني)

عن الطريق (فانما ضل على نفسي) فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها ذهى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء ﴿ الحكاية ﴾ وبهذا الاعتبار قول الشرطية بقوله تعالى (وان اهتديت فبما يوحى الى ربي) لان الاهتداء بهدائه وتوفيقه وقرى ربي بفتح الياء (انه سمع قريب) يعلم قول كل من المهتدى والضلال وفعله وان بالغ في اخفائهما (ولو ترى اذ فرقوا) عند الموت والبعث أو يوم يدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليحضر بها فاذا دخلوا البيداء خسف

بهم وجواب لو محذوف أي رأيت أمرها نبالا (فلا فوت) فلا يفوتون الله عز وجل يهرب أو تحصن (وأخذوا من مكان قريب) من ظهرا الأرض أو من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى قلبها أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقبل على لافوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ويؤيده أنه قرئ وأخذوا عطف على محله أي فلا فوت هنا وهناك أخذ (وقال آتينا به) أي بمحمد عليه الصلاة والسلام وقدر ذكره في قوله تعالى ماد صا حكم (وأي لهم التناوش)

التناوش التناول السهل أي ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه في حيز التكليف وهم منه بعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعد ما فات عنهم ويمدبحال من يريد أن يتناول الشيء من غاوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بأنهم على قلب الواو وصمها أو موم من تأشت الشيء إذا طابته ومن أبي عمرو والتناوش بالهجر التناول من بعد من قولهم تأشت إذا أبطأت وتأخرت ومنه قول من قال

تقي تيشا أن يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور أمور (وقد كفروا به) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالاعذاب الشديد الذي أنذرهم آياه (من قبل) أي من قبل ذلك في أو ان التكليف (وبقدفون بالغيب) ويرجون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاع عن أوفى العذاب المذكور من بت القول بقره (من مكان بعيد) من

ان الحكاية يوم القيامة فكانه قال كانوا يقدفون من مكان بعيد وهو الدنيا وتحمل وجها آخر وهو أنهم في الآخرة يقولون ربنا أبصرنا ومعنا فارحمنا فعمل صالحا وهو قدف بالغيب من مكان بعيد وهو الدنيا ثم قال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من العود إلى الدنيا أو بين لذات الدنيا فان قيل كيف يصح ذلك ما يشتهون من العود مع أنه تعالى قال (كافس بأشباعهم من قبل أنهم كانوا في شك مررب) وما حيل بينهم وبين العود فلما لم قلتم انه ما حيل بينهم بل كل من جاء الملك طلب التأخير ولم يعط وأرادوا أن يرجعوا عند ظهور الباس ولم يقبل وقوله مررب يحتمل وجهين (أحدهما) ذي ريب (والثاني) موقع في الريب وسنذكره في موضع آخر إن شاء الله تعالى والله اعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد وآله وصحبه وأزواجه أجيبين

(سورة فاطر أربعين وحسن آيات - كريمة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا) قد ذكرنا فيما تقدم أن الحمد يكون على النعمة في أكثر الأمر ونعم الله سبحانه عاجلة وآجلة وأما له وجوده بقاء والآجلة كذلك الجاد مرة وإبقاء أخرى وقوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور إشارة إلى النعمة العاجلة التي هي الإيجاد واستدلنا عليه بقوله تعالى هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجله وقوله في الكهف الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب إشارة إلى النعمة العاجلة التي هي الإبقاء فان البقاء والصلاح بالشرع والكتاب ولولا لوقت المنازعة والمخاصمة بين الناس ولا يفصل بينهم وكان يفرض ذلك إلى الثقاتل والتفاني فانزال الكتاب نعمة تعلق بها البقاء العاجل وفي قوله في سورة سبأ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة إشارة إلى نعمة الإيجاد الثاني بالحشر واستدلنا عليه بقوله يعلم ما يلج في الأرض من الاجسام وما يخرج منها وما ينزل من السماء من الارواح وما يعرج فيها من قولها عن الكافرين وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي وههنا الحمد إشارة إلى نعمة البقاء في الآخرة ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أي يجعلهم رسلا يتلقون عباد الله كما قال تعالى وتلقاهم الملائكة وعلى هذا فتقوله تعالى فاطر السموات يحتمل وجهين (الاول) معناه مبدعها كما نقل عن ابن عباس (والثاني) فاطر السموات والأرض أي شاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الأرض ويدل عليه قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فان في ذلك اليوم تكون الملائكة رسلا وعلى هذا فأول هذه السورة متصل بالآخر مامضى لان قوله كما فعل بأشباعهم بيان لانقطاع رجاء من كان في شك مررب وتيقنه بأن لا يقبل لتوبته ولا فائدة لقوله آمنت كما قال تعالى عنهم وقالوا آتينا به وأنى لهم التناوش فلما ذكر حالهم بين حال الموقن وبشره برسالة الملائكة اليهم مبشرين وبين أنه يفزع لهم

جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام حيث ينسبونه صلى الله عليه وسلم إلى الشعر والسحر والكذب وان أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شيء من عاداته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا بحال للوه في خوفه وقرئ ويقذفون على أن الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال المباشرة أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ماضيه

من الاعيان في الدنيا (وحيل بينهم وبين ما يسهون) من نعم الايمان والنجاة من النار وقرى باسم الصم بعدد ما فعلوا بها عنهم
من قبل) أي باشباههم من كفر الامم الدارجة (انهم كانوا في شك مرية) أي موقع في الريبة أو ذى ريبة والاول منقول من يصح
أن يكون مرية من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله أعلم * عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة سبالم يقر رسول ولا نبى الا كان له يوم القيامة رفيقا ﴿ ٣٠ ﴾ ومصافحا ﴿ سورة الملائكة مكيدة وهي

خمس وأربعون آية ﴿

(بسم الله الرحمن الرحيم) *
(الحمد لله فاطر السموات
والارض) مبدعهم بمن غير
شال يخدبه ولا قانون يتخذه
من الفطر وهو الشق وقيل
الشق طولاً كما أنه شق العدم
باخر اجهما منه واضافته
محمضة لانه بمعنى الماضي فهو
نعت للاسم الجليل ومن
جعلها غير محمضة جعله بدلا
منه وهو قابل في المشتق
(جاعل الملائكة) الكلام
في اضافته وكونه نعتاً أو بدلا
كاقبله وقوله تعالى (رسلا)
منصوب به على الوجه الثاني
من الاضافة بالاتفاق وأما
على الوجه الاول فكذلك
عند الكسائي وأما عند
البصريين فيجزم يدل
هو عليه لان اسم الفاعل اذا
كان بمعنى الماضي لا يعمل
عندهم الا معرفاً بالام وقال
أبو سعيد السيرافي اسم الفاعل
المتعدى الى اثنين يعمل
في الثاني لان باضافته الى
الاول تعذرت اضافته الى
الثاني فتعين نصبه له وعلل
بعضهم ذلك بأنه بالاضافة
أشبه المعرف باللام فعمل عمله

أبواب الرحمة * وقوله تعالى (أولى أجمعه مثنى وثلاث ورباع) أقل ما يكون لذى الجناح
أن يكون له جناحان وما بعدهما زيادة وقال قوم فيه ان الجناح اشارة الى الجهة وبيانه
هو أن الله تعالى ليس فوقه شيء وكل شيء فهو تحت قدرته ونعمته والملائكة لهم وجه الى
الله يأخذون من نعمه ويعطون من دونهم ما أخذوه باذن الله كما قال تعالى نزل به الروح
الامين على قلبك وقوله علمه شديد القوى وقال تعالى في حقهم فالدبرات أمر افهما
جناحان وفيهم من يفعل ما يفعل من الخير بواسطة وفيهم من يفعله لا بواسطة فالفاعل
بواسطة فيه ثلاث جهات ومنهم من لها أربع جهات واكثرها الظاهر ما ذكرناه أو لا وهو الذي
عليه اطلاق المفسرين * وقوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) من المفسرين من خصصه
وقال المراد الوجه الحسن ومنهم من قال الصوت الحسن ومنهم من قال كل وصف محمود
والاولى أن يعنى ويقال الله تعالى قادر كامل يفعل ما يشاء فيزيد ما يشاء وينقص ما يشاء
وقوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير) يقرر قوله يزيد في الخلق ما يشاء * ثم قال تعالى
(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) لما بين كمال
القدرة ذكر بيان نفوذ المشيئة ونفاذ الامر وقال ما يفتح الله للناس يعنى ان رحم فلا مانع
له وانما يرحم فلا يبعثه عليها وفي الآية دليل على سبق رحمة غضبه من وجوه (أحدها)
التقديم حيث قدم بيان فتح أبواب الرحمة في الذكر وهو وان كان ضعيفاً لكنه وجه من
وجوه الفضل (وثانيها) هو أنه أنشأ الكتابة في الاول فقال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
مسك لها وراز من حيث العربية أن يقال له و يكون عائدا الى ما ولكن قال تعالى لها
ليعلم أن المفتوح أبواب الرحمة ولا ممسك لرحمة فهي واصلة الى من رحمة وقال عند
الامساك وما يمسك فلا مرسل له بانته كبر ولم يقل ثم انما صرح بأنه لا مرسل للرحمة بل
ذكره بلفظ يحتمل ان يكون الذى لا يرسل هو غير الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك عام من غير
بيان وتخصيص بخلاف قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فانه مخصص مبين (وثالثها)
قوله من بعده أى من بعد الله فاستثنى ههنا وقاد لا مرسل له الا الله فنزل له مرسله وعند
الامساك قال لا ممسك لها ولم يقل غير الله لان الرحمة اذا جاءت لا ترتفع فان من رحمة الله
في الآخرة لا يعذبه بعدها وهو لا غيره ومن يعذبه الله فتدبر رحمة الله بعد العذاب كأنفساق
من أهل الايمان * ثم قال تعالى (وهو العزيز) أى كامل القدرة (الحكيم) أى كامل
العلم * ثم قال تعالى (يا أيها الناس اذكروا نعم الله عليكم) لما بين ان الحمد لله وبين بعض
وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين نعمه على سبيل الاجال فقال
اذكروا نعمة الله وهي مع كثرتها مخصصة في قسمين نعمة اليجاد ونعمة الابقاء فقال
تعالى (هل من خالق غير الله) اشارة الى نعمة اليجاد في الابداء وقال تعالى (برزقكم
من السماء والارض) اشارة الى نعمة الابقاء بالرزق الى الانتهاء ثم بين انه (لا اله الا هو)
نظرا الى عظمته حيث هو عزير حكيم قادر على كل شيء قدير نافذ الارادة في كل شيء

وقرى جاعل بالرفع على المدح وقرى الذى فطر السموات والارض وجعل الملائكة أى جاعلهم وسياط بيته تعالى ﴿ ﴿ ولا ي
وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليه رسالاته بالوحى والالهام والرويا الصادقة أو بيته تعالى وبين خلقه أيضا
حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل نصيراً بما على تقدير كونه ابداعياً فرسلان نصب على الحالين
وقرى رسلا يسكون السين (أولى أجمعه) صفة رسلا وأولوا اسم جمع لنحو

كان أولاء اسم جمع لنا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجحة أى
فوى أجمحة متعددة متفاوتة في العدد حسب متفاوت ما لهم من المراتب يتزاون بها ويعرجون أو يسرعون بها والمعنى ان من
الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقوا أجمحة كل منهم ثلاثة وخلقوا آخرين لكل منهم أربعة أجمحة ويروى أن صنفاً من
الملائكة لهم ستة أجمحة يجناحين منها يلقون ﴿ ٣١ ﴾ أجسادهم وباخرين منها يطيرون فيما أمر وابه من جهته تعالى

ولمثل لهذا ولا مبدء لذاته غير هذا ونظرا الى نعمته حيث لا خالق غيره ولا رازق الا هو
* ثم قال تعالى (فأبى تؤفكون) أى كيف تصرفون عن هذا الظاهر فكيف تشركون
المحكوت بمن له الملكوت * ثم لما بين الاصل الاول هو الوحيد ذكر الاصل الثاني وهو
الرسالة فقال تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت رسلك من قبلك) ثم بين من حيث الاجال أن
المكذب في العذاب والمكذب له الثواب بقوله تعالى (والى الله ترجع الامور) ثم بين
الاصل الثالث وهو الحشر فقال تعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيات
الدينا ولا تغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان وقد ذكرنا ما فيه من المعنى اللطيف في تفسير
سورة لقمان ونعيده ههنا فنقول المكلف قد يكون ضعيف الذهن قليل العقل سخييف
الرأى فيغتر بأذى شئ وقد يكون فوق ذلك فلا يعتبر به ولكن اذا جاءه غار وزين ذلك
الشئ وهو عليه مفاسده و بين له منافع يفتلما فيهما من اللذة مع ما ينضم اليه من دعاء ذلك
الغار اليه وقد يكون قوى الجاش عزيز العقل فلا يغتر ولا يغتر فقال الله تعالى لا تغرنكم
الحياة الدنيا اشارة الى الدرجة الاولى وقال لا تغرنكم بالله الغرور اشارة الى الثانية
ليكون واقعا في الدرجة الثالثة وهى العيا فلا يغتر ولا يغتر * ثم قال تعالى (ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا) لما قال تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور ذكر ما يمنع العاقل من
الاغترار وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ولا تسمعوا قوله وقوله فاتخذوه عدوا
أى اعملوا ما يسوءه وهو العمل الصالح * ثم قال تعالى (انما يدعو حزبه ليكونوا من
اصحاب السعير) اشارة الى معنى لطيف وهو ان من يكون له عدو فله في أمره طرفان
(أحدهما) أن يعاديه مجازاة له على معاداته (والثاني) ان يذهب عداوته بارضائه فلما
قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو أمرهم بالعداوة وأشار الى أن الطريق ليس الا هذا
وأما انظر بقى الآخر وهو الارضاء فلا فائدة فيه لانكم اذا راضيتوه واتبعتوه فهو
لا يؤذيكم الا الى السعير واعلم أن من علم أن له عدو الامهري له مندوجرم بذلك فانه يقف
عنده ويصبر على قتاله والصبر معه انظر فكذلك الشيطان لا يقدر الانسان ان يهرب
منه فانه معد ولا يزال يتبعه الا أن يقف له و بهزمه فهزمه الشيطان بعزيمة الانسان
فالطريق الثبات على الجادة والالتكال على العبادة * ثم بين الله تعالى حال حزبه وحال
حزب الله فقال (الذين آمنوا وهم عذاب شديد) فالعادي للشيطان وان كان في الحال في
عذاب ظاهر فهو ليس بشديد والانسان اذا كان عاقلا يختار العذاب المنقطع للسيرد فما
للعذاب الشديد الما بدأ ترى ان الانسان اذا عرض في طريقه شوك ونار ولا يكون له يد من
أحدهما يخطى الشوك ولا يدخل النار ونسبة النار التي في الدنيا الى النار التي في الآخرة
دون نسبة الشوك الى النار العاجلة * وقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر كبير) فقد ذكر تفسيره مرارا و بين فيه ان الايمان في مقابله المغفرة فلا
يؤيد مؤمن في النار والعمل الصالح في مقابله الاجر الكبير * ثم قال تعالى (أفن زين

راجع الى ذواتهم بيان حكمه كلى ناطق بأنه تعالى يزيدنى أى خلق كان كل ما يشاء أن يزيده بموجب مشيئة ومقتضى حكمته من
الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روى عن النبي عليه الصلوة والسلام من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن
والصوت الحسن والشعر الحسن فيبين بعض المواضع اليهودية بطريق التمثيل لا بطريق الحشر فيها وقوله تعالى (ان الله
على كل شئ قدير) لتليل بطريق التحديق المحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته

تعالى على أن يريد كل ما يشاء وما يجابديننا (ما يفتح الله للناس من رحمة) عبر عن إرسالها بالفتح ايذاناً بانها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها من الاصلاح وتكبرها الاشاعة والابهام أي شيء يفتح الله من خزائن رحمته أبقرجة كانت من نعمته وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك من الايجاب به (فلا تمسك لها) أي لا أحد يقدر على امساكها (وما يمسك) أي أي شيء يمسك (فلا مرسل له) أي لا أحد يقدر على إرساله واختلاف الضميرين لما أن مر - مع الاول - ٣٢ مفسر بالرجوع ومرجع الثاني مطلق

يدنا وله ما غيرها كأنما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه (من بعده) أي من بعد امساكه (وهو العزيز) الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جعلتها الفتح والامساك (الحكيم) الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تنديل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين وبعدهما بين سبحانه أنه الموجد المالك والمذكور والمتصرف فيهما بان يفيض والبسط من غير أن يكون لاحد في ذلك دخل ما يوجد من الوجود أمر الناس قاطبة أو أهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال (يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم) أي انعمه عليكم ان جعلت النعمة مصدراً أو كائنة عليكم ان جعلت اسماً أي راعوها واحفظوها بعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بوليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الابدان ونعمة الابقاء لئلا يكون في الوجود شيء غيرته تعالى يصدر

له سوء عمله فراه حسناً فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون) يعني ليس من عمل سيئ كالذي عمل صالحاً كما قال بعد هذا باب آيات وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وله تعلق بما قبله وذلك من حيث انه تعالى لما بين حال المسيء الكافر والمحسن المؤمن وما من أحد يعترف بأنه يعمل سيئاً الا قليل فكان الكافر يقول الذي له العذاب الشديد هو الذي ينزع الشيطان وهو محمد وقومه الذي استهوتهم الجن فاتبعوهما والذي له الاجر العظيم نحن الذين دمننا على ما كان عليه آباؤنا فقال الله تعالى لستم اتم بذلك فان المحسن غير ومن زين له العمل السيئ فراه حسناً غير بل الذين زين لهم السيئ دون من أساء وعلم انه مسمى فان الجاهل الذي يعلم جملة والمسيء الذي يعلم سوء عمله يرجع ويتوب والذي لا يعلم بصير على الذنوب والمسيء العالم له صفة ذم بالاساءة وصفة مدح بالعلم والمسيء الذي يرى الاساءة احساناً له صفتا ذم الاساءة والجهل ثم بين أن الكل بمشيئة الله وقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وذلك لان الناس اشخاصهم متساوية في الحقيقة والاساءة والاحسان والسيئة والحسنة يتنازع بعضها عن بعض فاذا عرف فيها البعض دون البعض لا يكون ذلك باستقلال منهم فلا بد من الاستناد الى ارادة الله ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حزن من اصراهم بعد اتيانه بكل آيد ظاهراً وبجهد باهرة فقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آرائهم ثم بين أن خزائن ان كان منهم من الضلال فله عالم بهم وما يصنعون لو اراد انعامهم واحسانهم لصددهم عن الضلال وورهم عن الاضلال وان كان لما يذمهم من الايداء فله عالم بفعلهم يجازيهم على ما يصنعون * ثم عاد الى البيان فقال تعالى (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابه فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بدمونتها كذلك نشور) هبوب الرياح دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك لان الهواء قد يسكر وقد يشكر وعتد حركته وقد يشرك الى اليمين وقد يشرك الى اليسار وفي حركاته المختلفة قديشئ السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر ومؤثر مقدر وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال تعالى والله الذي أرسل بلفظ الماضي وقال فتثير سحابا بصيغة المستقبل وذلك لانه لما أسند فعل الارسال الى الله وما يفعل الله يكون بقوله ان فلا يبقى في العدم لازماً ولا جزأ من الزمان فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كأنه كان وكانه فرغ من كل شيء فهو قدر الارسال في الاوقات المعلومة الى المواضع المعينة والتقدير كالارسال ولما أسند فعل الاثارة الى الريح وهو يوافق في زمان فقال تثير اي على هيئتها (المسئلة الثانية) قال أرسل اسناداً فعل الى الغائب وقال سقناه اسناد الفعل الى المتكلم وكذلك في قوله فأحيينا وذلك لانه في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال أنا الذي عرفني سقت السحاب وأحييت الارض ففي الاول كان تعريفاً بالفعل العجيب وفي الثاني كان تذكيراً بالنعمة

عنه احدى التعمين بطريق الاستفهام الانكاري المتنادي باستحالة أن يجاب عنه بنعم فقال (هل من خالق غير الله) فان أي هل خالق مغاير له تعالى موجود على أن خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لئلا كيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كأنه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالصب على الاستثناء وقوله تعالى (يرزقكم من السماء والارض) أي بالاطر والنبات الام مبتدأ على التقدير لا محله من الاعراب

داخل في حيز النقي والانكار ولا ماساغ لا قبل من أنه صفة أخرى لخالق مرفوعة المحل أو مجرورته لان معناه نقي وجود خالق
 موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معان غير تعرض لنقي وجود ما انصف بالمغايرة فقط ولا لما قبل من أنه الخبر للمبتدا ولا لما قبل
 من أنه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية أي هل يرزقكم من خالق الخ لما أن معناه من رازقية خالق
 مغاير له تعالى من غير تعرض لنقي وجوده رأسا مع أنه المراد ﴿ ٣٣ ﴾ حتما لا يرى الى قوله تعالى (لا اله الا هو) فانه استئناف

مسوق لتقرير النقي المستفاد
 منه قصد اوجار مجرى الجواب
 عما يوهمه الاستفهام صورة
 حيث كان هذا ناطقا بنقي الوجود
 تعين أن يكون ذلك أيضا
 قطعاً والغناء في قوله تعالى
 (فأني تؤفكون) لترتيب
 انكار عدواهم عن التوحيد الى
 الاشارة على ما قبلها كأنه قيل
 واذا تبين فقرده تعالى بالالوهية
 والخالقية والرازقية فن أي
 وجه تصرفون عن التوحيد
 الى الشرك وقوله تعالى (وان
 يكذبوك فقد كذبت رسل من
 قبلك) تلاوين الخطاب وتوجيه له
 الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بين خطابي الناس مسارعة
 الى تسلية عليه الصلاة والسلام
 بعموم اليه أولا والاشارة
 الى الوعد والوعيد ثانيا أي
 وان استمروا على أن يكذبوك
 فيما بغت اليهم من الحق المبين
 بعد ما أقت عليهم الحججة
 والقمتم الحجر فأنس باولئك
 الرسل في المصاربة على ما أصابهم
 من قبل قومهم فوضع موضعه
 ما ذكره اكتفا بذكر السبب
 عن ذكر المسبب وتنكير الرسل
 للتفخيم الموجب لمزيد التسلية
 والتوجه الى المصاربة أي رسل

فان كمال نعمة الريح والسحب بانسوق والاحياء وقوله سقناه وأحيينا بصيغة الماضي
 يؤيد ما ذكرناه من الفرق بين قوله أرسل وبين قوله تثير (المسئلة الثالثة) ما وجد التشبيه
 بقوله كذلك النشور نقول فيه وجوه (أحدها) ان الارض الميتة لما قبلت الحياء الالفة
 بها كذلك الاعضاء تقبل الحياء (وثانيها) كان الريح يجمع القطع السحابية كذلك
 يجمع بين اجزاء الاعضاء وابعاض الاشياء (وثالثها) كالانسوق الريح والسحاب الى
 البلد الميت نسوق الروح والحياة الى البدن الميت (المسئلة الرابعة) ما الحكمة في اختيار
 هذه الآية من بين الآيات مع أن الله تعالى له في كل شيء آية تدل على انه واحد فنقول
 لما ذكر الله انه فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية والارواح وارسالها
 بقوله جاعل الملائكة رسلا ذكر من الامور الارضية الريح وارسالها بقوله والله الذي
 أرسل الريح ثم قال تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب
 والعمل الصالح رفته والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور)
 لما بين برهان الايمان اشار الى ما كان يمنع انكفار منه وهو العزة الظاهرة التي كانوا
 يتوهمونها من حيث انهم ما كانوا في طاعة أحد ولا يمكن لهم من يأمرهم وينهاهم فكانوا
 يحتجون الاصنام وكانوا يقولون ان هذه آلهتنا ثم انهم كانوا يتقلدون ما هم أنفسهم وآية عزة
 فوق المعبود فهم كانوا يطلبون العزة وهي عدم التذلل للرسول وترك الاتباع له
 فقال ان كنتم تطالبون بهذا الكفر العزة في الحقيقة فهي كمال الله ومن يتذلل له فهو
 العز يزومن يتعزز عليه فهو الدليل وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال في هذه الآية
 فله العزة جميعا وقال في آية أخرى والله العزة ورسوله وللمؤمنين فنقله جميعا يدل على أن
 لا عزة لغيره فنقول قوله لله العزة أي في الحقيقة وبالذات وقوله ورسوله أي بواسطة
 اقرب من العز يزو هو الله وللمؤمنين بواسطة قريتهم من الذين ير باله وهو الرسول وذلك
 لان عزة المؤمنين بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم الا ترى قوله تعالى ان كنتم تحبون الله
 فاتبعوني يحببكم الله (المسئلة الثانية) قوله اليه يصعد الكلم الطيب تقر برساين العزة
 وذلك لان انكفار كانوا يقولون نحن لا نعبد من لآلهه ولا نحضر عنده لان ابعده من الثالث
 ذلة فقال تعالى ان كنتم لا تصلون اليه فهو يسمع كلامكم ويقبل الطيب فمن تلامذ
 وصعد اليه وهو عن ربه ومن رد كلامه في وجهه فهو ذليل وأما هذه الاصنام لا يتبين عندها
 الدليل من العز يزو اذا علم لها فكل أحد يسمها وكذلك يرى علمكم فن عمل صالحا رفته
 اليه ومن عمل سيئا رده عليه فاعن بمن يرفع الذي عنه لوجهه والدليل من يدفع الذي عنه
 في وجهه وأما هذه الاصنام فلا تعلم شيئا فلا عز يزو عندها ولا دليل فلا عزة بها بل عليها ذلة
 وذلك لان ذلة السيد ذلة لا يعبد ومن كان معبوده ور به والاله جحارة أو خشيا ماذا يكون
 هو (المسئلة اثالثة) في قوله اليه يصعد الكلم الطيب وجود (أحدها) كلمة لا اله الا الله
 هي الطيبة (ثانيها) سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر طيب (ثالثها) هذه

أول وثان خطير وذو وعد كثير (والى الله ترجع الامور) لا الى غيره فيجازى كلامك ومنهم بما أنتم عليه
 من الاحوال التي من جلته صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع اتمام الجزاء ثوابا وعقابا
 من البالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول أدخل في التهويل (بأيها الناس) رجوع

الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير (ان وعد الله) المشار اليه برجوع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء (حق) ثابت لاحتمال من غير خلف (فلا تفرنكم الحياة الدنيا) بأن يذهلكم التمتع بتناصها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهكم يوم حلول الميعاد والمراد منهم عن الاعتزاز بها وان توجه التلهي صورة اليها كافي قوله تعالى لا يجزى منكم شقاق (ولا يفرنكم بالله) وعفوه وكرمه تعالى (الفرور) أي ﴿ ٣٤ ﴾ المبالغ في الفرور وهو الشيطان بأن يهيكلم المفترمة مع الاصرار

على المعاصي قائلا لا عملوا مثم ان الله غفور يفر الذنوب جميعا فان ذلك وان أمكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم وهو يلا على دفع الطبيعة وتكرير قول التلهي للمبالغة فيه ولا اختلاف الفرورين في الكيفية وفرق الفرور يا ضم على أنه مصدر أو جمع غار كقعود جمع قاعد (ان الشيطان لكم عدو) عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقدم لكم للاهتتام به (فاتخذوه عدوا) بمخافتكم له في عقائدكم وأفعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع أحوالكم وقواه تعالى (انما يدعوا جن بنيك منوا من أصحاب السعير) تفرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبية على أن فرضه في دعوة شيعت الى اتباع الهوى والركوب الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحايين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والتأوهم في العذاب الخلد من حيث لا يحتسبون (الذين كفر بالله) بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته (عذاب شديد) لا فادر قدره مديد لا يبلغ مداه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم) بسبب ما ذكرنا ﴿ وذكرونا ﴿ من الايمان والعمل الصالح الذي من جلته عداوة الشيطان (مغفرة) عظيمة (وأجر كبير) لازاية الهمما (أنز زين له سوء عمله فراه حسنا) اما تفرير لما سبق من التباين البين بين طائفتي الفريقتين ببيان حالهما المؤمنيين الى تينك العاقبتين والافساء لانكار ترتيب

الكلمات الاربع وخامسة وهي تبارك الله والخيار أن كل كلام هو ذكر الله أو هو الله كالنصيحة والعلم فهو اليه يصعد (المسئلة الرابعة) قوله تعالى والعمل الصالح يرفع في الهاء وجهان (أحدهما) هي عائدة الى الكلم الطيب أي العمل الصالح هو الذي يرفعه الكلم الطيب ورد في الخبر لا يقبل الله قولا بلا عمل (وثانيهما) هي عائدة الى العمل الصالح وعلى هذا في الفاعل الرفع وجهان (أحدهما) هو الكلم الطيب أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح بهنا بؤيده قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن (وثانيهما) الرفع هو والله تعالى (المسئلة الخامسة) ما وجه ترجيح الذكر على العمل على الوجود الثاني حيث يصعد الكلم بنفسه ويرفع العمل بغيره فتقول الكلام شريف فان امتياز الانسان عن كل حيوان بالنبق ولهذا قال تعالى ولقد كرنا بني آدم أي بالنفس الناطقة والعمل حركة وسكون يشترك فيه الانسان وغيره والشريف اذا وصل الى باب الملك لا يمنع ومن دونه لا يجد الطريق الا عند الطلب ويدل على هذا أن الكافر اذا تكلم بكلمة الهشيدة ار كان من صدق في أمن عذاب الدنيا والآخرة وان كان ظهرا لمن في نفسه ودمه وأهله وحرمة في الدنيا والآخرة وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات (بوجود آخر) القلب هو الاصل وقد تقدم ما يدل عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وما في القلب لا يظهر الا باللسان وما في اللسان لا يتبين صدقه الا بالفعل فالتقول أقرب الى القلب من الفعل ألا ترى أن الانسان لا يتكلم بكلمة الا عن قلب وأما الفعل فديكون لآعن قلب كما ثبت بالتحية ولان النائم لا يتحرك عن فعل من حركة وتقلب وهو في أكثر الامر لا يتكلم في نومه الا نادرا لما ذكرنا ان الكلام بالقلب ولا كذلك العمل فالقول اشرف (المسئلة السادسة) قال الرحمن الذي الذكر لا يتعدى فهم انتصاب السيئات وقال بأن معناه الذين يكفرون المكرات السيئات فهم ووصف مصدر محذوف ويحتمل أن يقال استعمل المكر استعمال العمل فعداه تعديته كما قال الذين يعملون السيئات وفي قوله الذين يعملون السيئات يتعمل ما ذكرناه أن يكون السيئات صفا لمصدر تقديره الذين يعملون الاعمال السيئات وعلى هذا فيكون هذا في مقابلة قوله والعمل الصالح يرفعه إشارة الى يقائه وارتقائه ومكره أنك أم العمل السيئ هو بيور إشارة الى يقائه ﴿ ثم قال تعالى (والله خلقكم من تراب ثم من نضفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير) فذكرنا مرارا ان الدلائل مع كثرتها وعدم دخولها في عدد محصور منحصرة في قسمين دلائل الآفاق ودلائل الانفس كما قال تعالى ستر بهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فلما ذكر دلائل الآفاق من السموات وما يرسل منها من الملائكة والارض وما يرسل فيها من الرياح شرع في دلائل الانفس وقد ذكرنا تفسيره مرارا

لخطواته (عذاب شديد) لا فادر قدره مديد لا يبلغ مداه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم) بسبب ما ذكرنا ﴿ وذكرونا ﴿ من الايمان والعمل الصالح الذي من جلته عداوة الشيطان (مغفرة) عظيمة (وأجر كبير) لازاية الهمما (أنز زين له سوء عمله فراه حسنا) اما تفرير لما سبق من التباين البين بين طائفتي الفريقتين ببيان حالهما المؤمنيين الى تينك العاقبتين والافساء لانكار ترتيب

ما بعد ما على ما قبلها أي أبعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فأنهم فيه ممن استجبوا واجتنبوا واختاروا الإيمان والعمل الصالح حتى لا تكون ما قبلتهما كما ذكر في ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى (فإن الله يضل) الخ تقريره وتحقق الحق ببيان أن الكل يشبهه تعالى أي فإنه تعالى يضل (من يشاء) أن يضل له لاستحسانه واستجابته الضلال وصرف اختياره أبعد أسفل ﴿ ٣٥ ﴾ سافلين (و هو من يشاء) أن يهديه بصرف اختياره إلى الهدى فترفعه

أدى أعلى علبين وأما تهديد للماعتبه من تهميه عليه الصلاة والسلام عن التحسر والتخزين عليهم أهدم سلامهم ببيان أنهم ليسوا بأهل لذلك بل لأن يضرب عنهم صفحا ولا يبالى بهم فطعماي أبعد كون حالهم كما ذكر تحسر عليهم حذف للمادل عليه قوله تعالى (ولا تذهب نفسك عليهم حسرات) دلالة بينة وأما تهديد لصرفه عليه الصلاة والسلام عما كان عليه من الحرص الشديد على إسلامهم والمبالغة في دعوتهم إليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم أي أبعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان قرآه حسنا فأنهم فيه يقبل الهداية حتى تطمع في إسلامه وتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فإن الله يضل من يشاء الخ على أنه ممن شاء الله تعالى أن يضل من يهدي من أضل الله وماله من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات أمان فقول له أي فلا

وذكرنا ما قبل من أن قوله من تراب إشارة إلى خلق آدم ثم من نصفة إشارة إلى خلق أولاده وبيان الكلام غير محتاج إلى هذا التأويل بل خلقكم خطاب مع الناس وهم أولاد آدم كلهم من تراب ومن نطفة لأن كلهم من نطفة والنطفة من عذاء والعذاء بالآخره ينتهي إلى الماء والتراب فهو من تراب صار نطفة وقوله وما تحمل من أنثى ولا تضع إشارة إلى كمال العلم فإن ما في الأرحام قبل الإختلاق بل بعده مادام في البطن لا يعلم حاله أحد كيف والام الحاملة لا تعلم منه شيئا فلماذا كر بقوله خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله وما تحمل من أنثى ولا تضع إذ يعلمه كمال علمه ثم بين نفوذ إرادته بقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الأفي كتاب فبين أنه هو القادر العالم المريد والأصنام لا قدرة لها ولا تعلم ولا إرادة فكيف يستحق شي منها العبادة وقوله إن ذلك على الله يسير أي الخلق من التراب ويحتمل أن يكون المراد التعمير والنقصان على الله يسير ويحتمل أن يكون المراد أن يعلم بما تحمله الأنثى يسير والكل على الله يسير والأول أشبه ثان السسر استعماله في النسل أليق * ثم قال تعالى (وما استوى البحران هذا عذب فرات شافع شرابه هذا المالح اجاج ومر كل نأ كلون الحماظريا وسخريجون خلية تبلسونها وترى العنكب فيه مواخر لها فوا من فضله وحكمكم تسكرون) قارأ كثر المفسرين أن المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والإيمان أو الكافر والمؤمن فالإيمان لا يشبهه بالكفر في الحسن والنتج كما لا يشبه البحران العذب فرات والمالح اجاج ثم على هذا قوله ومن كل نأ كلون الحما طريا ببيان أن حال الكافر والمؤمن أو الكفر والإيمان دون حال البحرين لأن الاجاج يشارك الفرات في خير ونفع إذ اللعم الطرى يوجد فيهما والحلية توجد منهما والفلك تجرى فيهما ولا نفع في الكفر والكافر وهذا على نسق قوله تعالى أوئك كالأنعام بل هم أضل وقوله كالجمارة أو أشد قسوة وإن من الجمارة لما تنفجر منه الأنهار والأظهر أن المراد منه ذكر دليل آخر على قدرة الله وذلك من حيث أن البحرين يستويان في الصورة ويختلفان في الماء فإن أحدهما عذب فرات والآخر ملح اجاج وأوكان ذلك بايجاب لما اختلف المتساويان ثم انهما بعد اختلافهما يوجد منهما أمور متشابهة فإن اللعم الطرى يوجد فيهما والحلية تؤخذ منهما ومن يوجد في المتشابهين اختلاف ومن المتخلفين اشتباها لا يكون إلا قادرا مختارا وقوله وما يستوى البحران إشارة إلى أن عدم استوائهما دليل على كمال قدرته ونفوذ إرادته وفي الآية مسائل (المسئلة الأولى) قال أهل اللغة لا يقال في ماء البحر إذا كان فيه ملح ملوحة مالح وإنما يقال له ملح وقد يذكر في بعض كتب الفقه يصير بها ماء البحر مالحا ويؤخذ قائله به وهو أصح مما ذهب إليه القوم وذلك لأن الماء العذب إذا ألقى فيه ملح حتى مالح لا يقال له إلا مالح وماء ملح يقال للماء الذي صار من أصل خلقته كذلك لأن المالح شيء فيه ملح ظاهر في الذوق والماء المالح ليس ماء ومالحا بخلاف الطعام المالح فالله العذب الملقى فيه الملح ماء فيه ملح ظاهر

تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه الصلاة والسلام على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلاة تذهب كما يقال هلك عليه حيا ومات عليه حزنا أو هو بيان للتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تقدم عليه صلته وأما حال كأن كلها صارت حسرات وقوله تعالى (إن الله عليم بما يصنعون) أي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد * عن ابن عباس رضي

الله عنهما أنما تزك في اى جهل ومشرى مكة (والله الذى أرسل الريح) مبتدأ وخبر وقرىء الریح ووصيفة المضارع في قوله تعالى (فخير سبحاناً الحكاية الخلال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة اندالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احد اثرات تلك الخاصية ولذلك استند اليها أو للدلالة على استمرار الاثارة (فسقناه ال بديت) وقرىء بان تخفيف (فأحيانا به الارض) أى بالمطر النازل منها المندلول عليه بالحيات فان بينهما لازماً ﴿ ٣٦ ﴾ في الدهن كافي الخارج او بالحيات فانه سبب

السبب (بعد موتها) أى ينسبها ويراد القابل على صفة الماضى للدلالة على الخلق واستادهما الى نون العظمة المنبى عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع والتكبير المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذى شبيهه بقوله تعالى (كذلك النشور) في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية أى مثل ذلك الاحياء الذى تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة التأتى من غير تفاوت بينهما أصلا سوى الالف في الاول دون الثانى وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة) هم المشركون الذين كانوا يمززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزوا الذين كانوا يمززون بهم من الذين آمنوا باستنهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنيين أيتنون عندهم

في السوق بخلاف ما هو من أصل خلقته كذلك فلما قال الفقيه الملح اجزاء ارضية سخنة يصير بهاء البحر ما لخراعى فيه الاصل فانه جملة ما جاوره ملح وأهل النافة حيث قالوا في البحر ماؤه ملح جعلوه لذلك من أصل الخلقة والاجاج المروقوله ومن كل تأكلون لخطير يابن الصبر والسماك وتستخرجون حليه تلبسونها من الؤلؤ والرمان وترى الفلك قد مواخر أى ماخرات تختر البحر بالجرىان أى تشقى وقوله ولتبعوا من فضله ولعلمكم تشكرون يد على ما ذكرناه من أن المراد من الآية الاستدلال بالبحرين وما فيهما على وجه ودائه ووحدايته وكال فخرته * ثم قال تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى (استدلال آخر باختلاف الأزمنة وقد ذكرناه مرارا وذكرا أن قوله تعالى بعده وسخر الشمس والقمر جواب لسؤال يذكره المشركون وهو أنهم قالوا الخلف الليل والنهار بسبب اختلاف القسي الواقعة فوق الارض وتحتها فان في الصيف تمر الشمس على سمت الرؤس في بعض البلاد المائلة في الآفاق وحرارة الشمس هناك حائلة فتقع تحت الارض أقل من نصف دائرة زمان مكثتها تحت الارض فيقصر الليل وفي الشتاء بالضد فيقصر النهار فقال الله تعالى وسخر الشمس والقمر يعنى بسبب الاختلاف وان كان ما ذكرتم لكن سير الشمس والقمر بارادة الله وقدرته فهو الذى فعل ذلك * ثم قال تعالى (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما علمكون من فطير) أى ذلك الذى فعل هذه الاشياء من فطر السموات والارض وارسال الارواح وارسال الريح وخلق الانسان من تراب وغير ذلك له الملك كله فلامعبود الا هو وادانته الكامل ولكونه ملكا والملك مخدوم بقدر ملكه فاذا كان له الملك كله قبله العبادة كلها ثم بين مايتا في صفة الالهية وهو قوله والذين تدعون من دونه ما علمكون من فطير (وههنا لطيفة) وهى ان الله تعالى ذكر لنفسه نوعين من الاوصاف (أحدهما) ان الخلق بالقدرة والارادة (والثانى) الملك واستدل بهما على انه اله معبود كما قال تعالى قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس ذكر الرب والملك ورتب عليهما كونه اله أى معبودا وذكر فبين أشركوا به سلب صفة واحدة وهو عدم الملك بقوله والذين تدعون من دونه ما علمكون من فطير ولم يذكر سلب الوصف الآخر لوجهين (أحدهما) ان كلهم كانوا معترفين بأن لا خالق لهم الا الله وانما كانوا يقولون بأن الله تعالى فوض أمر الارض والارضيات الى الكواكب التى الاصنام على صورتها وطوالعها فقال لاملك لهم ولاملكهم الله شيئا ولاملكوا شيئا (وثانيهما) انه يلزم من عدم الملك عدم الخلق لانه لو خلق شيئا لملكه فاذا لم يملك قطمير ما خلق قليلا ولا كثيرا * ثم قال تعالى (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما يستجيبوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولايتبئك مثل خبير) ابطلا لما كانوا يقولون ان في عبادة الاصنام عزة من حيث القرب منها والنظر اليها وعرض الخواجج عليها والله لا يرى ولا يصل اليه أحد فقال هؤلاء

العزة والجمع بين كانو يريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها (فله العزة جميعا) أى له تعالى وحده ﴿ لا يسمعون ﴾ لانه عزة الدنيا وعزة الآخرة أى فليضد بها منه لامن غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بأن اختصاص العزة به تعالى ووجب التخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى (ايه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح برفعه) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وسعودهما اليه مجاز

عن قبوله تعالى ايها ما وصعدوا الكعبة بصحة قمتها وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات أي الذي يصل الكلم الطيب الذي يطلب التوبة لآلئ اللاتسكنة الموكلين بأعمال العباد فقط وهو يرصا حده ويعطى طلبته بالذات والمستكن في برهعة الكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد وهو يؤيده القراءة بنصب العمل أوله عمل فانه يحقق الايمان ويقويه * ٣٧ * ولا ينال الدرجات العالمة الا به وقربى يمد من الاصعاد على البناءين

والصعد هو الله سبحانه
أو المتكلم به أو المالك وقيل
الكلم الطيب يتناول الذكر
والدعاء والاستغفار وقراءة
القرآن وعنه عليه الصلاة
والسلام أنه سبحانه الله
والحمد لله والاله الا الله والله
أبرادافاها المبدع ج بها
الى السما فجاها وجه الرحمن
فأذا لم يكن عمل صالح لم تقبل
وعن ابن مسعود رضى الله
عنه ما من عبد مسلم يقول
خمس كلمات سبحانه الله
والحمد لله والاله الا الله والله
أكبر وتبارك الله الأخذهن
ملك فجعلهن تحت جناحه
ثم صعد بهن فامر بهن على
جمع من الملائكة الا استغفروا
لقائلهن حتى يحيي بهن
وجده رب العالمين ومصدقه
قوله عز وجل اليه يصعد
الكلم الطيب الخ (والذين
يمكرون السيآت) بيان لحال
الكلم الخبيث والعمل السيء
وأهلها بعد بيان حال الكلم
الطيب والعمل الصالح
وانتصاب السيآت على أنها
صفة المصدر المحذوف أي
يمكرون المكرات السيآت
وهي مكرات قر يش بالنبي

لا يسمعون دياءكم والله يصعد اليه الكلم الطيب تسمع ويقبل ثم نزل عن تلك الدرجة
وقال هب انهم يسمعون كما يظنون فأنهم كانوا يقولون بأن الاصنام تسمع وتعلم ولكن
ما كان يمكنهم أن يقولوا انهم يحيون لان ذلك انكار للحسب به وعدم سمعهم
انكار للتعول والنزاع وان كان يقع في التعول فلا يمكن وقوله في المحسب به ثم انه تعالى
قال يوم القيامة يكفرون بشرككم الذين عدم النفع فهم في الدنيا حين عدم النفع منهم في
الآخرة بل اشار الى وجود الضرر منهم في الآخرة بقوله يوم القيامة يكفرون بشرككم
أي يشرأركم بالله شياً كما قال تعالى ان الشرك اعظم اعظم أي الاشراك وقوله ولا ينبتك
مثل خبير يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون منك خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
ووجهه هو ان الله تعالى لما أخبر ان الخشب والحجر يوم القيامة يتخفق ويكتب عليه
وذلك أمر لا يعلم باعقل الحجر داو لا اخبار الله تعالى عند انهم يكفرون بهم يوم القيامة وهذا
التول مع كون الخبر عنه أمر عجيباً هو كما قال لان الخبر عنه خبير (وثانيهما) هو أن
يكون ذلك خطاباً غير شخص بأحد أي هذا الذي ذكره هو كما قال ولا ينبتك انهما السامع
كأنما من كنت مثل خبير * ثم قال تعالى (يا أيها الناس أتمم الفقراء الى الله والله هو
الغني الحميد) لما كثر الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم والاصرار من الكفار قائلوا ان الله
له يحتاج الى عبادتنا حتى يأمرنا بما أمر ابائنا ويهدنا على تركها ما بالغا فقال تعالى
أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني ولا يأمركم بالعبادة لاحتياجكم اليكم وانما هو لا شفاقة
عليكم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) التعريف في الخبر قليل والاكثر أن يكون الخبر
نكرة والمبتدأ معرفة وهو معقود وذلك لان الخبر لا يخبر في الاكثر الا بأمر لا يكون عند
الخبر به علم أو في ظن المتكلم ان السامع لا يعلم به ثم ان المبتدأ لا يد من أن يكون معلوما
عند السامع حتى يقول له أيها السامع الامر الذي تعرف أنت فيه المعنى الغلاني كقول
القائل زيد قائم أو قائم أي زيد الذي تعرفه ثبت له قيام لا علم عندك به فان كان الخبر معلوما
عند السامع والمبتدأ كذلك ويقع الخبر تنبيهها لا تفهيمها يحسن تعريف الخبر غاية الحسن
كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرفى كون الله رباً وكون محمد نبياً وهما لما كان
كون الناس فقراء أمر اظاهر لا يخفى على أحد قال أتمم الفقراء (المسئلة الثانية) قوله الى
الله اعلام بأنها لافتقار الاله ولا اتكال الاعليه وهذا يوجب عبادته لكونه مقفراً اليه
وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار الى غيره ثم قال والله هو الغني أي هو مع استغنائه بدعوىكم
كل الدعاء وانتم مع احتياجكم لا تجيبونه ولا تدعون فيجب عليكم (المسئلة الثالثة) في قوله
الحميد لما زاد في الخبر الاول وهو قوله انتم الفقراء زيادة وهو قوله الى الله اشارة لوجوب
حصر العبادة في عبادته؛ زاد في وصفه بالغنى زيادة وهو كونه جيداً اشارة الى كونكم فقراء
وفي مقابلة الله غنى وفقركم اليه في مقابلة نعمه عليكم لكونه جيداً واجب الشكر فلو ستم
أنتم فقراء والله مملوكم في فقر بل هو غنى على الاطلاق ولستم أنتم لما افتقرتم اليه

عليه الصلاة والسلام في دار الندوة وتداولهم الرأي في احدى الثلاث التي هي الاثبات واقتل والاخراج (لهم) بسبب مكراتهم
(عذاب شديد) لا يقدر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون (وكر أو نك) وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم لا يبدان كمال تميزهم
بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد لتنبيهه على ترائي أمرهم في الطغيان
وبعدم منزلتهم في العدوان أي ومكر أو نك المفسدين الذين أرادوا أن يمكروا به عليه

الصلاة والسلام (هو يور) أي هو يهلك ويفسد خاصة لامن مكروا به ولقد أبارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وابتهم في قلب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه عليه الصلاة والسلام بواحدة منهم (والله خلقكم من تراب) دليل آخر على صحة البعث والنشور أي خالقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا جانيا كما مر تحقيقه مرارا (ثم من نطفة) أي خلقكم منها خلقا نطفة عيليا (ثم جعلكم أزواجا) ﴿٣٨﴾ أي أصنافا وذكرنا وانا وانا وعن قتادة

جعل به منكم زوجا له من (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته (وما يعمر من عمر) أي من أحد وانما سمي معمر باعتبار مصيره أي وما يعد في عمر أحد (ولا ينقض من عمره) أي من عمر أحد على طريقة قولهم لا يشب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقض عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقبل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والافار بعون واليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله الصدقة الصلوة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بانقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يوما وهكذا حتى يأتي على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم (الا في كتاب) عن ابن عباس

ترككم غير مقضى الحاجات بل قضى في الدنيا حوائجكم وان آمنتم بقض في الآخرة حوائجكم فهو جيد * ثم قال تعالى (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) ياناغناه وفيه بلاغة كاملة ويانها انه تعالى قال ان يشأ يذهبكم أي ليس اذهابكم موقوفا على ما مشيئته بخلاف الشيء المحتاج اليه فان المحتاج لا يقول فيه ان يشأ فلان هدم داره وأعدم عقاره وانما يقول لولا حاجة السكنى الى الدار لبعثها أو لولا الافتقار الى العتار لتركتمهم انه تعالى زاديان الاستغناء بقوله ويأت بخلق جديد يعني ان كان يتوهم متوهم ان هذا الملك له كمال يعقلمه فنوا ذهب لزال ملكه وعظمته فهو قادر بان يخلق خلقا جديدا أحسن من هذا وأجل وأتم وأكمل * ثم قال تعالى (وما ذلك على الله بعزيز) أي الاذهاب والابتان وههنا مسألة وهي ان لفظ العز يزاستعمله الله تعالى تارة في القائم بنفسه حيث قال في حق نفسه وكان الله قويا عز يزاقول في هذه السورة ان الله عز يزغفور واستعمله في القائم بعينه حيث قال وما ذلك على الله بعزيز وقال عز يز عيسى ما علمتم فهل هما بمعنى واحد أم بمعنىين فنقول العز يز هو غالب في اللغة يقال من عز يز أي من غلب سلب فالله عز يز أي غلب والفعل اذا كان لا يطيقه شخص يقال هو مغلوب بالثبوت الى ذلك الفعل فتقوله وما ذلك على الله بعزيز يزأي لا يغلب الله ذلك الفعل بل هو هين على الله وقوله عز يز عليه ما علمتم أي عز يز هو بوزنه كاشعاع الغالب * قوله تعالى (ولا تزورا زورا أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء) متعلق بمسألة وذلك من حيث انه تعالى لما بين الحق بالدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة ذكر ما يدعوههم الى النظر فيه فقال ولا تزورا زورا أخرى أي لا تحمل نفس ذنب نفس ذنبا صلى الله عليه وسلم لو كان كاذبا في دعائه سلك من ذنبا وهو معتقد بان ذنبه لا تحملونه أتم فهو يتوق ويحترق والله تعالى خير فقبر الى عبادتكم فنفكروا وعلوا انكم ان ضلتم فلا يحمل أحد عنكم وزركم وليس كما يقول أكابركم اتبعوا سيئتنا ولحمل خطاياكم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قوله وازرة أي نفس وازرة ولم يقبل ولا تزرنفس وزرا أخرى ولا جمع بين الموصوف والصفة فلم يقل ولا تزرنفس وازرة وزرا أخرى لفائدة (اما الاول) فلانه لو قال ولا تزرنفس وزرا أخرى لما علم ان كل نفس وازرة مضمومة بهم وزرها متخيرة في أمرها (ووجه آخر) وهو ان قول القائل ولا تزرنفس وزري أخرى قد يجتمع معها ان لا تزورا أصلا كالمعصوم لا يزور غيره ومع ذلك لا يزور راسا فقوله ولا تزورا زرة بين انها تزور وزرها ولا تزور وزرا غير (واما) ترك ذكر الموصوف فلظهور الصفة وزومها للموصوف ثم قال تعالى وان تدع مثقلة اشارة الى أن أحد لا يحمل عن أحد شيئا مبتدئا ولا بعد السؤال فان المحتاج قد يصبر وتقضى حاجته من غير سؤاله فاذا انتهى الافتقار الى حد الكمال يحوجه الى السؤال (المسئلة الثانية) في قوله مثقلة زيادة بيان لما تقدم من حيث انه قال أولا ولا تزور وازرة وزرا أخرى فبظن ان أحد لا يحمل عن أحد ذلك الواحد قادرا على حمله كما

رضى الله عنهما أنه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان (ان ذلك) أي ما ذكره من الخلق وما بعده * ان مع كونه بحمار العقول والافهام (على الله يسير) لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث (وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) مثل ضرب المؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل التحذارة لعذوبته والاجاج الذي يحرق بلوحته وقرئ سيع كسب وسيع بالتخفيف و ملح ككتف

وقوله تعالى (ومن كل) أي من كل واحد منهما (أنا) كلون الجواهر أو تسخر جون) أي من المالح خاصة (حلية تلبسونها) اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكلمة للتخيل والمعنى كما أسماوان اشتركا في بعض القوائد لا يتساويان من حيث أسماهما فتاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خاطب أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كاشجاعة والسخاوة ﴿ ٣٩ ﴾ ونحوهما التباينها في ما فيها والخاصية العظمى لبقاء أحدهما على

فطرته الاصلية وحيازته لكماله اللائق دون الآخر وتفصيل للاجاء على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلوم من المنافع بالكلية على طرفه قوله تعالى ثم قدمت قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلقة الواو والو والمرجان وترى الفلك قيد) أي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق والمالحق لانه الخطاب لكل أحد تأتي منه الزيادة دون المتفعين بالبحر من فقط (مواخر) شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة (تبتغوا من فضله) من فضل الله تعالى باشفالة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة أي فعسل ذلك لتبتغوا من فضله (ولم لكم تشكرون) أي واتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايدان بكونه مرصبا عند الله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج

ان اقوى اذا أخذ يده رمانة أو سفرجلة لا تحمل عنه واما اذا كان الحمل ثقيل لا قدر حم الحمل فيحمل عنه فقال مثقلة يعني ليس عدم الوزر لعدم كونه محملا للرجة بالثقل بل لكون النفس مثقلة ولا يحتمل منها شيء (المسئلة الثالثة) زاد في ذلك بقوله ولو كان ذا قربي أي المدعو لو كان ذا قربي لا يحمله وفي الاول كان يمكن أن يقال لا يحمله لعدم تعلقه به كالعبد الذي يرى عبده تحت ثقل أو الاجنبي الذي يرى أجنبيا تحت حمل لا يحتمل عنه فقال ولو كان ذا قربي أي يحصل جميع المعاني الداعية الى الحمل من كون النفس وازرة قوية تحت حمل وكون الاخرى مثقلة لا يقال كونها قوية قادرة ليس عليها حمل وكونها سائلة داعية فان السؤال مظنة الرجعة ولو كان المسؤول قريبا فاذن لا يكون التحلف الامناع وهو كون كل نفس تحت حمل ثقيل * ثم قال تعالى (اتماتنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة) اشارة الى أن الارشاد فوق ما تبين به ولم يقدمه فلا تنذر انذار مفيدا الا الذين تتلى قلوبهم خشية وتحنني ظواهرهم بالعبادة اقوله الذين آمنوا اشارة الى عمل القلب وعملوا الصالحات اشارة الى عمل الظواهر فقوله الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة في ذلك المعنى ثم البين ان لا تزور وزر أخرى بين ان الحسنة تنفع المحسنين فقال (ومن ترك فائما يتركي نفسه) أي فتر كيته لنفسه * ثم قال تعالى (وانى الله انصبر) أي المتزكى ان لم تظهر فائده عاجلا فالصبر الى الله بظهور عنته في يوم اللقاء في دار البقاء والواز ان لم تظهر مرتبة وزره في الدنيا فهي تظهر في الآخرة اذ المصبر الى الله * ثم قال تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا النور ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات) للبين الهدى والضلالة ولم يهتد الكافر وهدى الله المؤمن ضرب لهم مثلا بالبصير والاعمى فالمراد من بصير حيث أبصر الطريق الواضح والكافر اعمى وفي تفسير الآيات مسائل (المسئلة الاولى) ما الفائدة في تكثير الامثلة ههنا حيث ذكر الاعمى والبصير والظلمة والنور والظل والحرور والاحياء والاموات فنقول الاول مثل المؤمن والكافر فالمراد من بصير والكافر اعمى ثم البصير وان كان حديد البصر ولكن لا يبصر شيئا ان يمكن في ضوء فذكر للابيمان والكفر مثلا وقال الابيمان نور والمؤمن بصير والبصير لا يخفى عليه النور والكفر ظلمة والكافر اعمى فله صاد ذوق صاد ثم ذكر لهما لهما ومرجعهما مثلا وهو الظل والحرور فالمراد من بايمان في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعبد ثم قال تعالى وما يستوى الاحياء ولا الاموات مثلا آخر في حق المؤمن والكافر كما أنه قال تعالى حال المؤمن والكافر فوق حال الاعمى والبصير فان الاعمى يشارك البصير في ادراك ما والكافر غير مدرك ادراكا نافعاه وكأيت ويدل على ما ذكرنا انه تعالى أعاد الفعل حيث قال أولو وما يستوى الاعمى والبصير وعطف الظلمات والنور والظل والحرور ثم أعاد الفعل وقال وما يستوى الاحياء ولا الاموات كأنه جعل هذا مقابلا لذلك (المسئلة الثانية) كرر كلمة النفي بين الظلمات والنور والظل والحرور والاحياء والاموات

النهار في الليل) بزيادة أحدهما ونقص الآخر يضافه بعض أجزاء كل منهما الى الآخر (وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج واختلافهما صفة لما أن ابلاج أحد الملوين في الآخر متجدد حيننا وأما تسخير النيران فأمر لا تعدد فيه وانما التعدد والمجدد آثاره وقد أشير اليه بقوله تعالى (كل يجري) أي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومة المتعددة حسب

الشم على ما الموجور دات المستوجب الحمد (ان يشأيد همكم ويات بظنك جديد) السوا على منكم بل مسترون على
 الطاعة أو بعالم آخر غير ما عرفته (وما ذاك) أي ما ذكر من الاذهاب بهم والاشيان بأخرين (على الله بعزير) بتعذر
 ولا تعسر (ولا تز وازرة) أي لا تحمل نفس ﴿ ٤١ ﴾ آفة (وزر أخرى) ثم نفس أخرى بل انما تحمل كل

منها وزرها وأما ما في
 قوله تعالى ولتحملن
 أثقالهم وأثقالهم
 أثقالهم من حمل المضنين
 أثقالا غير أثقالهم فهو
 حمل أثقال اضلالهم
 مع أثقال ضلالهم
 وكلاهما أوزارهم ليس
 فيها من أوزار غيرهم
 شيء (وان تدع مثقلة)
 أي نفس أفعال الأوزار
 (التي جعلها) الحمل بعض
 أوزارها (لا يحمل منه
 شيء) لم يجب بحمل
 شيء (أو كان) أي
 المدعو المفهوم من الدعوة
 (ذاق في) ذا قرا بفتح
 الداعي وقري ذوق في
 وهذا في العمل اختيارا
 والاول في اجبارا (انما
 تنذر) انما تنذر
 تنذر من بعض ما ذكر أي
 انما تنذر بهذه الانذارات
 (الذين يخشون ربهم
 بالغيب) أي يخشونه تعالى
 غائبين عن عذابه أو عن
 التماس في خطواتهم
 أو يخشون عذابه وهو
 غائب عنهم (وأقاموا
 الصلوة) أي راعوها
 كما ينبغي وجعلوا هاتارا
 منصوبا وعلموا فوعا أي

جنس البصير خير من جنس الاعشى وأما الاحياء والاموات فالفاوت بينهما أكثر مما من
 ميت يساوي في الادراك حيا من الاحياء فذكر ان الاحياء لا يساويون الاموات سواء
 قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد وأما الظلمات والنور فالخلق واحد وهو
 التوحيد والباطل كثير وهو طرق الاشراك على ما بيننا أن بعضهم يعبدون الكواكب
 وبعضهم النار وبعضهم الاصنام التي هي على صورة الملائكة والى غير ذلك والفاوت بين
 كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد بين فقال الظلمات كلم اذا اعتبرتم لا تجد فيها
 ما يساوي النور وقد ذكر نافي تفسير قوله وجعل الظلمات والنور السبب في توحيد النور
 وجمع الظلمات ومن جملة ذلك أن النور لا يكون الا بوجود نور ويحمل طين للاستتارة
 وعدم الحائل بين النور والمستنير مثله الشمس اذا طلعت وكان هناك موضع قابل
 للاستتارة وهو الذي يسك الشعاع فان البيت الذي فيه كوة يدخل منها الشعاع اذا كان
 في مقابلة الكوة فتخرج منه الشعاع ويدخل بيتا آخر ويسقط الشعاع على ارضه
 يرى البيت الثاني مضيئا والاول مظلم وان لم يكن هناك حائل كالبيت الذي لا قوة له فانه
 لا يضيء فاذا حصلت الامور الثلاثة يستمر البيت والادلا تحقق الظلمة بفقده أي امر كان
 من الامور الثلاثة ﴿ ٤٢ ﴾ ثم قوله تعالى (ان الله يسمع من يشاء وما أنت بسميع من في السموات)
 وفيه احتمال معنيين (الاول) أن يكون المراد بيان كونه الكفار بالنسبة الى سماعتهم
 كلام النبي والوحي النازل عليهم دون حال الموت فان الله يسمع الموتى والتي لا يسمع من
 مات وقبره الموتى ساهون من الله والكفار كانوا لا يسمعون من النبي وانشاء أن
 يكون المراد تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فانه ما بينه وبينه لا يسمعهم ولا يسمعون منه
 هؤلاء لا يسمعون الا الله فانه يسمع من يشاء ولو كان صخرة صماء وأما أنت فلا تسمع من في
 السموات فان ذلك من حسابهم من شيء ﴿ ٤٣ ﴾ ثم قال تعالى (ان انذر الناس) بينا في تسلية من
 قال تعالى (ان انذر الناس بالحق يشيروا نذرا) انذر ان انذر بين انه ليس بنذير من
 تلقاه نفسه انما هو نذير اذن الله وارساله ﴿ ٤٤ ﴾ ثم قال تعالى (وان من آفة الاضلال فيها نذير)
 تقريرا الامر من (احدهما) تسلية قلبه حيث يعلم ان شيعه كل مثله محض الا الذي تقوم
 (وثانيهما) الزام النوم بقوله فانه ليس بدعا من الرسل وانما هو مثل غيره يدعي ما ادعاه
 الرسل ويقره ﴿ ٤٥ ﴾ قوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسالتهم
 بالبينات) يعني ان جنتهم بالبينات والكتاب فكذبوك مذوك وغيرك ايضا انهم مثل ذلك
 وقلوا بهم ما فعلوا بك وصبروا على ما كذبوا فكذلك نذرهم بأن من تقدم من الرسل لم يعلم
 كونهم رسلا الا بالعبارة البينات وقد آتاهم محمد صلى الله عليه وسلم (وبالزور وبالكتاب
 المنير) والكل آتيناها محمد فاهو رسول مثل الرسل يلزمهم قبوله كالزم قبول موسى
 وعيسى عليهم السلام اجمعين وهذا يكون تقريرا مع اهل الكتاب واعلم الله تعالى ذكر
 امورا ثلاثة اولها البينات وذلك لان كل رسول فلا بد له من معجزة وهي ادنى الدرجات ثم

انما يرفع النذرك وتحذيرك هؤلاء ﴿ ٤٦ ﴾ ما من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعدا (ومن نذرك)
 أي قطعه من أوصار الأوزار والاعاصي بالناظر من هذه الانذارات (فانما يترى نفسه) لاقتدار نفسه عليها كأن من تناس
 بها لا يتدبس إلا عليها وقري من أزي فانيا نذرك وهو

التم عليها الموحود ذات المستوجب الحظ (ان يشاء الله بعبادته) يسوا على صعبهم من سروس
الطاعة أو بالم آخر غير ما عرفونه (وما ذلك) أي ما ذكر من الاذهار بهم والايان بأخرين (على الله بغيره) يتعد
ولامعسر (ولانز وازرة) أي لا تحمل نفس ٤١ ٤٢ (وزر أخرى) اثم نفس أخرى بل انما تحمل كل

منها وزرها وأما ما في
قوله تعالى وأحملن
أثقالهم و أثقالا مع
أثقالهم من حمل المضلين
أثقالا غير أثقالهم فهو
حمل أثقال اضلالهم
مع أثقال ضلالهم
وكلاهما أوزارهم أس
فيها من أوزار غيرهم
شيء (وان تدع مثقلة)
أي نفس أثقالها الأوزار
(إلى حياها) الحمل بعض
أوزارها) لا يحمل منه
شيء) لم تجب بحمل
شيء منه (ولو كان أي
الدعوة وهم من الدعوة
(ذاق ربى) ذاق ربة من
الداعي وقرى ذوق ربى
وهذا في التحمل اختيارا
والاول في له اجبارا (انما
تدس) استضاف مسوق
ايان من يعظ بما ذكر أي
المتنذر بهذه الانذارات
(الذين يخشون ربهم
بالغيب) أي يخشونه تعالى
غائبين عن عذابه أو عن
الناس في خلواتهم
أو يخشون عذابه وهو
غائب عنهم (وأقاموا
الصلوة) أي راعوها
كأنبغى وجعلوها مانارا
منصوبا وعلمهم فوجاهي

جنس البصير خير من جنس الاعمى وأما الاحياء والاموات فالتفاوت بينهما أكثر إذ ما من
ميت يساوى في الادراك حيا من الاحياء فذكر ان الاحياء لا يساويون الاموات سواء
قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد وأما الظلمات والنور فالخلق واحد وهو
التوحيد والباطل كثير وهو طرق الاشراك على ما بيننا أن بعضهم يعبدون الكواكب
وبعضهم النار وبعضهم الاصنام التي هي على صورة الملائكة وال غير ذلك والتفاوت بين
كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد بين قتال الظلمات كلها إذا اعتبرتها لا تجد فيها
ما يساوى النور وقد ذكرنا في تفسير قوله وجعل الظلمات والنور السبب في توحيد النور
وجمع الظلمات ومن جملة ذلك أن النور لا يكون الا بوجود منور ويحمل قابل الاستنارة
وعدم الحائل بين النور والمستنير مثاله الشمس اذا طلعت وكان هناك موضع قابل
للاستنارة وهو الذي يسك الشعاع فان البيت الذي فيه كوة يدخل منها الشعاع اذا كان
في مقابلة الكوة فتقد يخرج منه الشعاع ويدخل بيتا آخر ويسقط الشعاع على ارضه
يرى البيت الثاني مضيئا والاول مظلم وان لم يكن هناك حائل كالبيت الذي لا كوة له فانه
لا يضيء فاذا حصلت الامور الثلاثة يستنير البيت والافلا تتحقق الظلمة بقرأي أمر كان
من الامور الثلاثة * ثم قوله تعالى (ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور)
وفيه احتمال معنيين (الاول) أن يكون المراد بيان كون الكفار بالنسبة الى سمعهم
كلام النبي والوحى النازل عليهم دون حال الموتى فان الله يسمع الموتى والنبي لا يسمع من
مات وقبر فالموتى سامعون من الله والكفار كانوا لا يسمعون من النبي (واشائي) أن
يكون المراد تسليية النبي صلى الله عليه وسلم فانه لما بين انه لا يسمعهم ولا يسمعهم قال له
هو لا يسمعهم الا الله فانه يسمع من يشاء ولو كان صخرة صماء وأما أنت فلا تسمع من في
القبور فاعليك من حسابهم من شيء * ثم قال تعالى (ان انت الانذير) بيان التسليية * ثم
قال تعالى (انما ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) قال ان انت الانذير بين انه ليس نذير من
تلفا نفسه انما هو نذير باذن الله وارساله * ثم قال تعالى (وان من امة الا اخلاصها نذير)
تقرير الامرين (احدهما) تسليية قلبه حيث يعلم ان غيره كل مثله مخفلا لانه ان قوم
(وثانيهما) الزام القوم بقوله فانه ليس بدعا من الرسل وانما هو مثل غيره يدعى ما ادعاه
الرسل ويقرره * قوله تعالى (وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
بالبينات) يعنى انت جئتهم بالبينة والكتاب فكذبوك آذوك وغيرك ايضا اتاهم بشئ ذلك
وقد اوابهم ما فعلوا بك وصبروا على ما كذبوا فكذلك نزلهم بان من تقدم من الرسل لم يعلم
كونهم رسلا الا بالمعجزات البينات وقد آتيناها محمد صلى الله عليه وسلم (و بالزور بالكتاب
النير) والكل آتيناها محمد فهو رسول مثل الرسل يلزمهم قبوله كالزم قبول موسى
وعيسى عليهم السلام اجمعين وهذا يكون تقريرا مع اهل الكتاب واعلم انه تعالى ذكر
امور ثلاثة اولها البينات وذلك لان كل رسول فلا بد له من معجزة وهي ادنى الدرجات ثم

انما ينفع النذرك وتحذيرك هو لا ٦ ٧ سا من قولك دون من عداهم من اهل التمرد والعتاد (ومن ترى)
أي تطهر من أوزار المعاصي بالانذار من هذه الانذارات (فانما يعزى لنفسه) لاقتصار نفسه عليها كما ان من تدنس
بها لا يتدس الاعليها وقرى من أرى فانما يرى وهو

اعتراض مقرر لحديثهم واقامتهم الصلاة لانها من معظم مبادئ التري (والى الله المصير) لالى احد صيرته استقلالا
اواسمها كما فهازهم على تركهم احسن الجزاء (وما يستوي الاعمي والبصير) اى الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور)
اى ولا الباطل ولا الحق وجمع مظلمات مع افراد النور بعدد قون ﴿ ٢٢ ﴾ الباطل واتحاد الحق (ولا الظلم ولا الجور)

قد ينزل عليه كتاب يكون فيه مواعظ وتبهيات وان لم يكن فيه نسخ واحكام مشروعة شرعا
ناسخا ومن ينزل عليه مثله اعلى مرتبة من لا ينزل عليه ذلك وقد نسخ شريعتهم الشرائع
وينزل عليه كتاب فيه احكام على وفق الحكمة الالهية ومن يكون كذلك فهو من
اولى العزم فقال الرسل تبين رسالتهم بالبينات وان كانوا اعلى مرتبة فالز يروان كانوا اعلى
في الكتاب والى آياته النكل فهو رسول اشرف من الكل ليكون كتابه انهم واكمل من كل
كتاب ثم قال تعالى (ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) اى من كتب بالكتاب
النزل من قبله وبالرسول المرسل اخذ الله تعالى فكذلك من يكتب بالى عليه السلام
وقوله فكيف كان نكير وائل البشر برقايم علوا اذ انكار الله عليهم وانبائه بالامر المنكر
من الاستصال ثم قال تعالى (ثم قال ان الله ازل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا
ألوانها) وهذا استدلال بدليل آخر على وحدانيه الله وقدرته وفي تفسيرها مسائل (المسئلة
الاولى) ذكر هذا الدليل على طريقة الاستخبار وقال ألم تر ان الله ازل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا
الاشجار وقال والله الذى ارسز الرياح وفيه وجهان (الاول) ان انزال الماء اقرب الى
الشمس والشمس فيه أظهر فانه ينسخ عنى احدى الروية ان الماء منه حياة الارض فعظم
دلالة الاستفهام لان الاستفهام الذى للتقرير لا يتناول الاقنى اشئ الظاهر جدا كما ان من
ابصر الهلال وهم حتى جدا فقال له غيبه أين هو فانه يقول له في الموضع الثلاثى قال لم يره
يقول له الحق معك انه حتى وأنت مشهور واذا كان يارز يقول له اما تراه هذا هو ظاهر
(والثانى) وهو انه ذكره بعد ما قرر المسئلة بدليل آخر وظهر بعد ان تقدم للمدعو بصارة
بوجوه الدلالات فقال له أنت صرت يسيرا ينادك كراهه ولم يبق لك عذرا لا ترى هذه الآية
(المسئلة الثانية) المتخاطب من هو يحتمل وجهين (أحدهما) الذى صلى الله عليه وسلم
وفيه حكمة وهي ان الله تعالى لا يذكر الدلائل ولم يفهمهم فسطع الكلام معهم وانفتحت الى
شبههم كان السبب في ذلك من بعض العبيد ومنعهم من الفساد ولا يفهمهم الارشاد يقول
لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا او يكرر معه ما ذكره مع الاول ويكون فيه اشعار بان الاول
فيه تقصص لا يسأل عن الخصال بل يتبعه عن نفسه تلك التقصص (والآخر) ان
لا يفرج الى كلام اجنبى عن الاول بل يأتى بما يقاربه لئلا يسمع الاول كلاما آخر فيترك
المتفكر فيما كان فيه من التقصص (المسئلة الثالثة) هذا استدلال على قدرة الله
واختاره حيث اخرج من الماء الواحد ثمرات مختلفة وفيه اطراف (الاولى) قال أنزل
وقال اخرجنا وقد ذكرنا قاعدته ونعدها فنقول قال الله تعالى ألم تر ان الله ازل فان كان
جاهلا يقول نزول الماء بانطع لقله فيقال له فلاخراج لا يمكنك ان تقول فيه انه بانطع
فهو بارادة الله فلما كان ذلك أظهر أسنده الى التكلم (ووجه آخر) هو ان الله تعالى لما
قال ان الله ازل علم الله بدليل وقرب المتفكر فيه الى الله تعالى فصار من الحاضرين
فقاله اخرجنا لقر به (ووجه ثالث) الاخراج اتم نعمة من الانزال لان الانزال لغائده

اى ولا الثواب ولا العقاب
وادخل الاعنى المتقابلين
لله كبرنى الاستواء
وتوسخها بينهم مالا أكد
والحرور يقول من الحر
غلب على العموم وقيل
العموم ما يهب نهارا
والحرور ما يهب ليلا
(وما يستوي الاحياء ولا
الاموات) تنليل آخر
للمؤمنين والكافرين
أينع من الاول وانكث
كررا للمعنى وأورصصة
الجمع في اخرين تحسيفا
للتباين بين افراد الشريعتين
وقلى تنليل للماء والجملة
(ان الله يسمع من يشاء)
أز يستعدو به فقد تلام
آياته والامام تصحى حاته (وما
انت سمع من فى النور)
ترسح اثنين المصيرين
سلى الكافر بالاموات
واشباع فى الخصال عليه
الصلاة والسلام
ايمانهم (ان أنت لا تدري)
ما عليك الا الانذار واما
الاسماع البتة فليس
من وظائفك ولا جيلتك
اليه فى المطبوع على قلوبهم
(اننا رسنا بالحق) اى
مخفين أو محشأن أو رسالا
مخكو بالحق ويجوز ان

شفاق بقوله (بشيرا نذيرا) اى بشيرا بالوعد والحق ونذيرا بالوعيد الحق (وان من أمة) اى ﴿ الاخراج ﴾
مأم من أمة من الامم الدارجة فى الازمنة الماضية (الاخلا) اى مضى (فيها نذير) من نبي أو عالم ينذرهم والاكتفا بذكره لعلم

بان النذارة قرينة البشارة لاسيما وقد اقترنا آتينا ولان الانذار هو الانسب بالمقام (واذ يكذبوك) أي عموما على تكذيبك
 فلا تبال بهم ويتكذبونهم (وقد كذب الذين من قبلهم) من ادعوا اليه فجاءتهم رسالتهم بالبينات (أي المغيرات المساهرة
 المدافعة على نبيوتهم) (وبالزبر) * ٤٥ * كصحة اراهم (وبالكتاب المير) كأنورا أو الأجل وان نور وعلى ارادة

الاخراج فاستدلناتم الى نفسه بصيغة انكلم وما دونه بصيغة الغائب (الذين هم الذين)
 قال تعالى (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس
 والدواب والانباء مختلف ألوانه كذلك) كان قائلا قال اختلاف الثمرات لا اختلاف
 البقاع الا ترى ان بعض الثمرات لا تلبث ببعض البقاع كالفواكه وغيرها فثبت ان
 اختلاف البقاع ليس الا بآراء الله والافهم صار بعض الجبال في مواضع حمر وبعضها
 بيض والجبل جمع عدة وهي الحطاب أو الغمر بقعة زفير ألوانها من الجبال والفسيرها
 تقول هي تحمل وجهين (أحدهما) ان تكون الاستنطاق كأنه قال تعالى واخرجنا
 بالمال ثمرات بخلافه الألوان وفي التفسير الكائنات من الجبال جدد بيض ذلك على
 القدرة رادة على من يذكر الارادة في اختلاف ألوان الثمار (ثانيهما) ان تكون المعطف
 تقديرها وخلق من الجبال قل لم يخسرني اريد فوجدوا والمعطف الشامة) ذكر الجبال
 ولم يذكر الارض كما قال في موضع آخر وفي الارض قطع بعضها من مع ان هذا السلب
 مثل ذلك وذلك لان الله تعالى لما ذكر في الاول اخرجنا ثمرات كان نفس اخراج
 الثمار دليلا على القدرة ثم زاد عليه بيانها وقال مستغنا كذلك في الجبل في نفسها دليل
 للقدرة والارادة لان كون الجبل في بعض نواحي الارض دون بعضها والاختلاف الذي
 في هيئة جبل فان بعضها يكون أخضر وبعضها ارفع دليل القدرة والاختيار ثم زاد
 بيانها وقال جدد بيض أي مع دلالاتها بنفسها هي دالة باختلاف ألوانها كما ان اخراج
 الثمرات في نفسها ادلائل واختلاف ألوانها ادلائل (المسئلة الرابعة) مختلف ألوانها الظاهر
 ان الاختلاف راجع الى كل لون أي بعض مختلف ألوانها حمر مختلف ألوانها ابيض
 فممكن على لون الجص وقد يكون على لون الثراب الابيض دون بياض الجص وكذلك
 الاسمر واو كان المراد ابيض الحمر مختلف الألوان لكان مجرد تأكيد والأول أول
 وعلى هذا فقول لم يزد كرمختلف ألوانها بعد البين والحمر والسود يدل ذكره بعد البين
 والحمر واخر السود الغرابيب لان الاسود لما ذكره مع التوكيد وهو الغرابيب يكون باقا
 غايبا السود فلا يكون في اختلاف (المسئلة الخامسة) فويل للغرابيب مؤكدا للاسود
 يقال اسود غرابيب والمؤكد لا ينبغي الامتخا فكيف جاء غرابيب اسود تقول قال
 الرخسرى غرابيب مؤكدا لوني من قدر في الكلام كأنه تعالى قال اسود غرابيب ثم عاد
 السور مرة أخرى وفيه فائدة وهي زيادة التأكيد لانه تعالى ذكره مضرا ومظهرا منهم
 من قال هو على القديم والتأخير ثم قال تعالى ومن الناس والدواب والانباء استنطاق
 آخر على قدرته واداته وكان الله تعالى قسم دلائل الخلق في العالم الذي نحن فيه وهو
 عالم المركبات قسمين حيوان وغير حيوان وغير الحيوانات اما نبات واما معدن والنبات
 أشرف وأشار اليه بقوله فاخرجنا ثمرات ثم ذكر المعدن بقوله ومن الجبال ثم ذكر
 الحيوان وبيانا أشرف منها وهو الانسان فقال ومن الناس ثم ذكر الدواب فذكر منافعها

التفصيل دون الجمع
 ويجوز ان يراد بهما
 واحد والمعطف الثمار
 الثمرات (ثم اخذت
 الذين كفروا) وضع
 الرسول موضع ضميرهم
 لزمه بيان حيز الصفة
 بالاشارة لجملة الامد
 (وكيف كان كذا) أي
 انكاري بالعموم بدونه
 من يتشديد وتوهم بل
 لها (المر) استنطاق
 مسوق لغير ما قبله
 من اختلاف أسواق
 الناس بيان ان الاختلاف
 والتفاوت أمر معتاد
 في جميع الظروف من
 النبات والجماد والحيوان
 والرؤية فليد أي ألم
 تعلم (ان الله أنزل من
 السماء ماء فاخرجنا به
 بذات الماء والانباء
 لانها ركال الاستنطاق
 بالمثل الما من الصنع
 البسيع النبي عن كل
 القدرة والكلمة الثمرات
 مختلفا ألوانها) أي
 اجناسها أو استنطاقها
 على ان الامتياز سادو
 استنطاق مختلفا ألوانها
 واشكالها أو ألوانها
 من الصفرة والخضرة

والحجرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى (ومن الجبال جدد) أي ذوو مداد في خطاطه وباراني يقال جدد الحمار
 للخطاة السوداء على ظهره وقرى جدد بالضم جمع جديد بمعنى الجدة وجدد بفتحين وهو اظربق الواضع (يض)
 وحمر مختلف ألوانها) بالشد والضعف

(وضرايبت سود) عطف على بعض او على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على اون واحد
فرايبت وهو تأكيد لمضمر يفسره ما بعده فان العرييد تأكيد للاسود كالفاقم للاصفر والثاني الاحر ومن حق
انا كيدان تبع لتوكيد نظيره في السفة قول الشاعر * والمؤمن * ﴿ ٤١ ﴾ انه ثبات الطير بحصنها وفي مثله

من يدنا كيدنا فبه من
التكرار باعتبار الاختار
والافتقار (ومن الناس
والدواب والانعام
تختلف ألوانه) أي ومن
بعض تختلف ألوانه او
وبعض بهم تختلف ألوانه
على ما مر في قوله تعالى
ومن الناس من يتقون
آيات الله ويراد المتقون
المتقين مع مشاركتها
ما قبلها من الخسفة
التي هي في الاستشهاد
بعضونها على تيار
الناس في الاحوال
الباظنة لما ان اختلاف
الجبال والناس والدواب
والانعام في اذكار من
الانوار أمر مسترف غير
عنه بما يدل على الاستمرار
وأما أخراج الترات
المتنوعة فثبت كان أمرا
حادثا غير منه بما يدل
على الحدوث ثم لما كان
فيه نوع خفاء علق به
ازواجه ثم بطريق
الاستفهام التقريري
التي عن الحمل عليها
والترغيب فيها بخلاف
أحوال الجبال والناس
وغيرهما فانها شاهدة
غنية عن الأمل فذلك
جردت عن التعليق

في حياتها والانعام منفعتها في الاكل منها أولان الدابة في العرف فطلق على الفرس وهو
بعد الانسان أشرف من غيره وقوله يختلف ألوانه القول فيه كأنها في أنفسها
دلائل كذلك في اختلافها دلائل وألوانه يختلف ألوانه فتذكر لكون الانسان من جملة
المدكورين وكون التذكير أعلى وأولى * ثم قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء
ان الله عز وجل غفور) الخشية بقدر معرفة المحتسب والعالم يعرف الله فيخاف ويرجوه وهذا
دليل على أن العالم أعلى درجة من العابد لان الله تعالى قال ان أكرمكم عند الله أتقاكم
فبين ان الكرامة بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم بالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل اهم
العالم انما ترك العمل قدح ذلك في قوله فان من يرا يقول لو علم لعلم ثم قال تعالى ان الله
عز وجل غفور ذكرا ما يوجب الخوف بالرجاء فكونه عن زيادة التقام يوجب الخوف التام
وكونه غفورا للمادون ذلك يوجب الرجاء البالغ وقراءة من قرأ بتصور العلماء ورفع الله
عناها انما اعظم ويحبل * ثم قال تعالى (ان الذين يتلون كتاب الله لأولي الألبان بالله
وخشيتهم وأكرمهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العالمين بما فيه وقوله يتلون
كتاب الله اشارة الى الذكر وقوله تعالى (وأقاموا الصلاة) اشارة الى العمل البدي وقوله
(وألقوا بما رزقناهم) اشارة الى العمل المالي وفي الآيتين حكمة باغة فقوله انما يخشى
الله اشارة الى عمل القلب وقوله ان الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وقوله وأقاموا
الصلاة وألقوا بما رزقناهم اشارة الى عمل الجوارح ثم ان هذه الاشياء الثلاثة متعلقة
بجانب تعظيم الله والشغف على خلقه لا يابينا ان من يعظم ملكا اذ ارأى عبدا من عباده
في حاجة يلزمه قضاء حاجته واتسهاون فيه يخجل بالعظيم والى هذا أشار بقوله عبدي
مرضت فاعذتني فيقول العبد كيف مرض وأنت رب العالمين فيقول الله مرض عبدي
فلان وما زرته واوزرته أوجدتني عنده يعني العظيم متعلق بالشغف حيث لا شغف على
خلق الله لا تعظيم لجانب الله وقوله تعالى (سرا وعلانية) حيث على الاتفاق كقوله يا أيها
فان تم اسراف ذلك وهم والافعلانية ولا يمنع ظنه أن يكون رياء فان ترك الخير مخافة أن
يقال فيه انه مرء عين الرياء ويمكن أن يكون المراد بقوله سرا أي صدقة وعلانية
أي زكاة فان الاعلان بالزكاة كالاعلان بالفرض وهو مستحب وقوله تعالى (يرجون
تجارة ان تبور) اشارة الى الاخلاص أي يتفقون لا يقال انه كريم ولا شيء من الاشياء
غير وجد الله فان غير الله بأرو والتاجر فيه تجارته بأرة وقوله تعالى (ليرجونهم أجورهم)
أي ما توقعونه ولو كالأمر البالغ الغاية (ويزيدهم من فضله) أي يعطيهم ما لم يخطر ببالهم
عند العمل ويحتمل أن يكون يزيدهم النظر اليد كالجاء في تفسير الزيادة (انه غفور)
عند عطاء الاجور (شكور) عند اعطاء الزيادة * ثم قال تعالى (والذي أوحينا اليك
من الكتاب هو الحق) لما بين الاصل الاون وهو وجود الله الواحد بأنواع الدلائل من
قوله والله انذر أرسل الرياح وقوله والله خلقكم وقوله ألم تر ان الله أنزل ذلك

بالرؤية فتدبر وقوله تعالى (كذلك) مصدر تشبهي قوله تعالى يختلف أي صفة لمصدره * الاصل *
المؤكد تقديره يختلف اختلافا كأننا كذلك أي كاختلاف النار والجبال وفري ألوانا وفري والدواب بالتخفيف
مبالغة في الهرب من الفناء الساكنين وقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) بكلمة

لقوله تعالى انما ننذر الذين يخشون ربهم بالغيب تعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم
الما في الاوصاف المعنوية فبظري التمثيل واما في الاوصاف الصورية فيطاريق التصريح توفية لكل واحدة منهما
حقها اللائق بهما من البيان أي انما يخشاه تعالى الآية ٤٥ في الغيب العالمون به عز وجل وما يلقى به من صفاته الجلية وأفعاله

الجلية لما أن مدار الخشية
معرفة الخشي والعلم
بشئونه في كل أعلم به
نماني كان أخشى منه
عز وجل كما قال عليه
الصلوة والسلام انا
أخشاكم لله وأنتما كله
ولقد كتب ذكر أفعاله
الذات على حال قدرته
وحيث كان الكفرة
يعزل من هذه المعرفة
امتنع انذارهم بالكلية
وتقديم المفعول لان
المقرب ودخول الفاعلية
واو أخراثة كس الامر
وقرى برفع الاسم
الجليل ونصب العلم
على أن الخشية مستعارة
للعظيم فان العظيم
يكون مهيبا (ان الله
عزير غفور) تعليل
اوجوب الخشية لدلالته
على أنه معاقب المصير
على غفيلانه غفورا لما تاب
عن عصيانه (ان الذين
يتلون كتاب الله) أي
يذاومون على قراءته
او متابعة ما فيه حتى
صارت سجدة لهم وعنوانا
والمراد بكتاب الله تعالى
القرآن وقيل جنس
كتب الله فيكون كتاب
على المصدقين من الامم

الاصلي الثاني وهو الرسالة فقال والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق وأيضا كما قد
ذكر أن الذين يتلون كتب الله يوفونهم الله وقال والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق
تقرير للمؤمنين من الاجر والثواب في تلاوة كتاب الله فانه حتى وصدق فتايله محقق ومحقق
وفي تفسيرها مسائل (المسئلة الأولى) قوله من الكتاب يحتمل أن يكون لا يشاء الغاية
كما يقال أرسل الى كتاب من الامراء والوالي وعلى هذا فان كتاب يكن أن يكون المراد
منه الوح المحفوظ يعني الذي أوحينا من الوح المحفوظ اليك حتى ويكن أن يكون
المراد هو القرآن يعني الارشاد والبيّن الذي أوحينا اليك من القرآن ويحتمل أن يكون
المراد كما يقال أرسل الى فلان من اشياب والتمسك به له (المسئلة الثانية) قوله
هو الحق أكد من قول القائل الذي أوحينا اليك حتى من وجهين (أحدهما) ان تعريف
الخبر يدل على أن الامر في غاية الظهور لان الخبر في الاكثر يكون نكرة لان الاختيار في
القالب يكون اعلاها بأمر الامر فدل للسامع به الامر يعرفه السامع كقولنا زيد مقام
فان السامع ينبغي أن يكون عارفاً بزيد ولا يعلم قيامه فيخبر بذلك كل الخبر أيضا معلوما
فيكون الاختيار لتبديد خبر فان باللام كقولنا زيد اعلم في هذه المدينة اذا كان علم
مشهورا (المسئلة الثالثة) قوله (مصدقاً لما بين يديه) حال مؤكدة لكونه حقا
الحق اذا كان لا خلاف بينه وبين كتب الله يكون خائفا عن احتمال البطلان وفي قوله
مصدقاً تقرير لكونه وحيا لان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر قارنا كتابا وأنى بيان
ما في كتب الله لا يكون ذلك الا من الله تعالى وجواب عن سؤال الكفار وهو انهم كانوا
يقولون بأن التوراة ورد فيها كذا والانجيل ذكر فيه كذا وكانوا يفترون من التوراة وغيره
وكانوا يقولون بأن القرآن فيه خلاف ذلك فقال التوراة والانجيل لم يرق بهما وثوق
بسبب تعبير كم في هذا القرآن ما ورد فيه ان كان في التوراة فهو حق وابق على ما نزل وان لم
يكن فيسويكون فيه خلافة فهو ليس من التوراة فالتوراة مصدق للتوراة (وفيد وجد
آمن) وهو أن يقال ان هذا الوحي مصدق لما تقدم لان الوحي لو لم يكن وجوده الكذب
موسى وعيسى عليهما السلام في انزال التوراة والانجيل فاذا وجد الوحي ونزل على
محمد صلى الله عليه وسلم علم جوازه ومصدق بما تقدم وعلى هذا ففقد الطريقة وهي أنه تعالى
جعل القرآن مصدقا لما مضى مع أن ما مضى أيضا مصدق له لان الوحي اذا نزل على واحد
جاز أن ينزل على غيره وهو محمد صلى الله عليه وسلم وان جعل ما تقدم مصدقا للقرآن لان
القرآن كونه معجزة يكفي في تصديقه بأنه وحى وأما ما تقدم فلا بد منه من معجزة تصدقه
(المسئلة الرابعة) قوله (ان الله بعباده خبير بصير) فيه وجهان (أحدهما) انه تقرير
لكونه هو الحق لانه وحى من الله والله خبير عالم بالباطن بصير عالم بالظواهر فلا يكون
باطلا في وجهه لافي الباطن ولا في الظاهر (وثانيهما) أن يكون جوابا لما كانوا يقولونه انه
لم ينزل على رجل عظيم فيقال ان الله بعباده خبير يعلم بواطنهم وبصير يرى ظواهرهم

بعد اقتصاص حال المكذبين منهم واس بدال فان صيغة المضارع منادية بالقرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه
واستبعاها لما سبأني من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحان الماضية مع كونه نه سفا

ظاهرا مما لا يسيل اليه كفى لا والقصود الترضيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناصح لما بين يديه من الكتب فان عرض
ليان حقيقتها قبل انساخها والاشباع في ذكر استنساخها لما ذكر من انفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها
والاقبال على العمل بها وتخصيص الدلالة على ان ينسخ منها باطلا **٤٦** قطعنا ان الباقي مشروعا وليس الاكتفاء

بل من حيث انه حكم
القرآن وأما تلاوتها
فيعمل من المشروعية
والاشباع الاجريزية
فببر (واقامه والصلوة
والنوافل ما رزقناهم سرتا
وعلاية) كيدنا اتفق
من غير قصد اليه مسا
وقيل السرى المستوية
والعلاية في المفروسة
(يرجون تجارة) تحصيل
نواب بالضاعة وهو
خير ان قوله تعالى
(لن يبور) أى ان
تكسبه وان تهلك
بالخسران أصلا صفة
لجارية حتى بها للدلالة
على انها ليست كسائر
التجارات الفائرة بين
الربح والخسران لانه
اشترى باق يغان والاختبار
برجائهم من الكرم
الاكرمين عدة قطعية
بحصول مرجوهم وقوله
تعالى (لو فيههم أجورهم)
متعلق بلن تبور على معنى
انه يذ في عندها الكساد
وتتفق عند الله تعالى
لو فيههم اجور أعمالهم
(ويزيدهم من فضله)
على ذلك من خزان
رحمته ما يشاء وقيل
عصير دل عليه نفسه
تعليل لما قبله من التفاء السادة
حال من ولا

ما خسر حتما عليه السلام ولم يختر خيرا فهو أصح من الكل ثم قال تعالى (ثم أورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
ياذن الله) اعنى أصح المفسرين على أن المراد من الكتاب القرآن وعلى هذا فالذين
اصطفينا هم الذين أشدوا بالكتاب وهم المؤمنون والظالم والمقتصد والسابق كلهم منهم
ويدل عليه قوله تعالى يثبت عدن يدخلونها خير بدخولهم الجنة وكذا أورثنا أيضا
تدل على ان الآيات اذا كان بعد الإجماع ولا كتاب بعد القرآن فهو الموروث والآيات
المراد منها الاعطاء به مذهب من كان يده المعطى ويعتدل أن يقال المراد من الكتاب هو
جنس الكتاب كآية قوله تعالى بما أتتهم رسلكم بالبينات وبالزبور والكتاب المنير والمعنى
على هذا اننا عطفنا الكتاب الذين اصطفينا وهم الانبياء ويدل عليه ان لفظ المصطفى عطف
الانبياء اطلاقا كثيرا ولا كتابك على غيرهم ولان قوله من عبادنا يدل على ان العباد أكابر
مكرمون بالاضافة اليه ثم ان المصطفين منهم أشرف منهم ولا يسبق من يكون أشرف من
الشرف ان يكون ظلما مع ان انظر انظام أطفه الله في كثير من المواضع على الكافر
وسمى اشرك ظلما وعلى الوجه الاول التفسير ظاهر بين معناه آيات القرآن لم آمن محمد
وأخذوا منه وافترقوا عنهم ظلم وهو لمسى ومقتصد وهو الذى خلطه علاصا لخالوا آخر
سابق بالخيرات وهو الذى أخلص العمل لله وجرده عن السيات فان قال قائل
كيف قال في حق من ذكر في حقه انه من عبادنا وأنه عطف على ان ظلم مع ان الظالم يطلق على
الكافر في كثير من المواضع فتقول المؤمن عند المعصية يضع نفسه في غير موضعها فهو
ظلم لنفسه حال المعصية واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا يرنى الزانى حين رنى وهو
مؤمن ويجمع هذا قول عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ظلمنا مقوله
وقال آم عليه السلام مع كونه مصطفى ربنا ظلمنا أنفسنا وأما الكافر فيضع قلبه الذى
باعتبار الجسد في غير موضعه فهو ظلم على الاطلاق وأما قلب المؤمن فطعمان بالايان
لا يضيع في غير الفكر في الآلهة ولا يصنع فيه غير محبة الله وفي المراتب الثلاثة أقوال
كثيرة (أحدها) انظام هو اجمع السيات والمقتصد هو الذى تساوت سياتة وحسناته
والسابق هو الذى ترجحت حسناته (ثانيها) ظالم هو الذى ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد
من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير (ثالثها) الظالم هو الموحد بلسانه الذى
تخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذى يمنع جوارحه من مخالفة بالتكليف
والسابق هو الموحد الذى يسيد الترجيد عن التوحيد (رابعها) الظالم صاحب الكبرية
والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم (خامسها) الظالم التالى للقرآن غير العالم به
والعامل بموجبه والمقتصد التالى العالم والسابق التالى العالم العامل (سادسها) الظالم
الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم (سابعها) الظالم أصحاب المشامة والمقتصد
أصحاب الميعة والسابق السابقون المقربون (ثامنها) انظام الذى يحاسب فيدخل النار

أعمالهم المرضية أى فعلوا ذلك ليوهيم الخ وقيل يرجون على أن اللام للمعاقبة (انه يغفور شكور)
تعليل لما قبله من التفاء السادة وفور نقرطهم شكور اما عاقبتهم أى تجازيهم عليها وقيل هو خبران الذين ويرجون
كتاب

وهو العرفان ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبيين وقيل الاوح ومن الابتداء (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أى
أحمد مصدقا لما تقدم من الكتب السماوية حال موثقة لان حقيقته تستلزم موافقته اياه في العقائد وأصول الاحكام
(ان الله بعاده خير بصير) محيط بواطن **٤٧** * أمورهم فلو اهرها فلو كان في أحوالنا ما يخاف في الشبهة لم يوح

ايك مال هذا الحق المنجى
الذي هو عبارة على سائر
الكتب وتقديم الخير
للتبني على أن العبد
هي الامور الروحانية
(ثم أورثنا الكتاب) أى
قضيتا شوريتك منك أو
نورته والتبني عن سابق
القررد وتحققه وقيل
أورثناه من الامم السابقة
أى أخرنا عنهم أعطيتنا
(الذين استطفينا من
عبادنا) وهم علماء الامم
من الصحابة ومن بعدهم
من سائرهم أو الامم
باسمهم فان الله تعالى
اصطفاهم على سائر
الامم وجعلهم امة وسطا
ليكونوا شهداء على الناس
واختصهم بكرامة الاتقاد
الى أفضل رسله عليهم
السلام والسلام واس
من ضرورية ورأيت
الكتاب مراعاته حتى
رعايته قوله تعالى فتخلف
من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب الآية (انهم
ظالم لنفس) بالقتصير
في العمل به وهو المرجح
لامر الله (ومنهم مقتصد)
يعمل به في أغلب الاوقات
ولا يخلو من خلط السي

والمقتصد الذي يحاسب فيدخل الجنة والسابق الذي يدخل الجنة من غير حساب
(تاسها) الظالم المصير على المعصية والمقتصد هو النادم والتائب والسابق هو المقبول
التوبة (عاشرها) الظالم الذي أخذ القرآن ولم يعمل به والمقتصد الذي عمل به والسابق
الذي أخذ به وعمل به وبين الناس العمل به فعملوا به بقوله فهو كامل ومكمل والمقتصد
كامل والظالم ناقص والظالم هو أن الظالم من خالف فترك أو امر الله وارتكب مناهيه
فانه واضع للشئ في غير موضعه والمقتصد هو المجتهد في ترك الخالف وان لم يوفق لذلك وسر
منه ذنب وصدر عنه ثم فانه اقتصد واجتهد وقصد الحق والسابق هو الذي لم يخالف
توفيق الله ويدل عليه قوله تعالى (يا ذن الله) أى اجتهد ووفق لما اجتهد فيه وفيما اجتهد
فهو سابق بالخير يقع في قلبه فيسبق اليه قبل تسويل النفس والمقتصد يقع في قلبه فتزده
النفس والظالم تغلبه النفس وتقول بعبارة أخرى من تغلبه النفس الامارة وأمرته
فأطاعها ظالم ومن جاهد نفسه فغلبت تارة وغلب أخرى فهو المقتصد ومن ظهر نفسه فهو
السابق وقوله (ذلك هو الفضل الكبير) يحتمل وجوها (أحدها) التوفيق المبدول عليه
بقوله باذن الله ذلك هو الفضل الكبير (ثانيها) السبق بالخيرات هو الفضل الكبير
(ثالثها) الايات فضل كبير هذا على الوجود المشهور من التفسير أما الوجه الآخر وهو
أرى يقال ثم أورثنا الكتاب أى جنس الكتاب كقائل تعالى جاتهم رسلاهم بالبينات وبالزبر
وبالكتاب المنير يرد عليه أسئلة (أحدها) ثم التراخي وإتاء الكتاب بعد الايتاء الى محمد
صلى الله عليه وسلم يكره فالمراد بكلمة ثم نقول معناه ان الله خير بصير خيرهم وأبصرهم
ثم أورثهم الكتاب كانه قال تعالى انما علمنا الباطن وأبصرنا الظاهر فاصطفينا عبادا
ثم أورثناهم الكتاب (ثانيها) كيف يكون من الاتياء ظالم لنفسه نقول منهم غير اجمع الى
الاتياء المستطفين بل المعنى ان الذي أوجينا اليك هو الحق وأنت المصطفى كما اصطفينا
رسلا وآيتناهم كتابا ومنه ماى من قومك ظالم كفر بك وما أنزل اليك ومقتصد أمريك
وذايات يجسيم ما أمرته به وسابق آمن وعمل صالحا (وثالثها) قوله جئات عدن يدخلونها
الداخون هم المذكورون وعلى ما ذكرتم لا يكون الظالم داخلا نقول الداخون هم
السابقون وأما المقتصد فأمره موقوف أو هو يدخل النار أولا ثم يدخل الجنة والبيان
لاول الامر للمابعة ويدل عليه قوله يحملون فيها من أساور من ذهب وقوله أذهب عنا
الحرين * ثم قال (جئات عدن يدخلونها) فيها من أساور من ذهب وأواواواواواوا
فيها حرير) وفي الداخلين وجوه (أحدها) الاقسام الثلاثة وهي على قولنا ان الظالم
والمقتصد والسابق اقسام المؤمنين (والثاني) الذين يلون كتاب الله (والثالث) هم
السابقون وهو أقوى لقب بذكرهم ولانه ذكر اكرامهم بقوله يحملون فلذلك هم
السابقون وعلى هذا فيد اجنات (الاول) تقديم التامل على الفعل وتأخير المفعول عنه
موافق لترتيب المعنى اذا كان المفعول حقيقيا كقولنا الله خلق السموات وقول القائل

(ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على إقامة
مواجبة عملا وتعلما وفي قوله تعالى باذن الله أى يتيسره وتوفيقه تشبيه على زعنة مثال هذه الرتبة وضعوا به ما أخذها

وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الضالم المحرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق
الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام أما الذين سبقوا فإذك يدخلون
الجنة يرزقون فيها غير حساب وأما المقتصد فأولئك يحسابون حسابا * ٤٨ * بسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك

يعبسون في طول العيش
ثم يتقاهم الله تعالى
يرحمه وقد روي أن عمر
رضي الله عنه قال وهو
على المنبر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سابقا
سابق ومقتصد سابقا
وظالم معور له (ذاك)
أشار إلى السابق بالخبرات
ومافيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالنهار
اليدل اشعار بطور تفته
و بعد من المعنى الشرف
(هو الفضل الكبير)
من الله عن وجل لا نال
الايوة في الله تعالى (جنات
عدن) أما يدل من الفضل
الكبير بتزليل السبب
منه السبب أو مستأ
خير (يدحوا) وعلى
القول هو مستأف وجمع
الغدير لأن المراد بالسابق
الباين وتخصيص حال
السابقين وما بهم بالذكر
والسكوت عن الفريقين
الآخرين وان لم يدل
على حرمانهم من دخول
الجنة معطفا لكن قيد
تخدير الهمم من التخصيص
وتحرر يضا على السبي
في ادراك الشأ والسابقين
وقرى جنات عدن

يدبني الجدار فان الله موجود قبل كل شيء ثم له فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول وهو
السموات وكذلك زيد قبل البناء ثم الجدار من بناءه واذا لم يكن المفعول حقيقا كونه لا يزيد
دخل الدار وضرب عمرا فان اندار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وانما قبل من أفعاله
تحقق بالنسبة الى الدار وكذلك عمرو فعل من أفعال زيد متعلق به فسمى مفعولا لا يحصل
هذا الترتيب ولكن الاصل تقديم الفاعل على المفعول ولهذا يعاد المفعول المقدم
بالضمير تقول عمرا ضرب زيد يتفوق بعد الفعل بالهاء العائدة اليه وحينئذ يطول الكلام
فلا يخاره الحكيم الا لفائدة فالأفائدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو الدخول واعادة
ذكرها بانتهاء في يدخلونها وما الفرق بين هذا وبين قول القائل يدخلون جنات عدن
تقول السامع اذا علم ان له مدخلا من المداخل وله دخول ولم يعلم عدن المدخل فاذا قيل له أنت
تدخل فإلى أن يسمع الدار أو السوق يبقى متعلق القلب بأنه في أي المداخل يكون فاذا
قيل له دار زيدت دخلها فتذكر الدار يعلم مدخله وبعده من العلم السابق بأنه له دخول
يعلم الدخول فلا يبقى له توقف ولا سيما الجنة والنار فان بين المتدخلين بونا بعيدا (الثاني)
قوله يدخلون فيها اشارة الى سرعة الدخول فان التحلية لو وقعت خارجا لكان فيه تأخير
الدخول فقال يدخلونها وفيها تقع تحلية بهم (ثلث) قوله من أساور يجمع الجمع فانه جمع
أسورة وهي جمع سوار وقوله ولياسهم فيها حرير ليس كذلك لان اكثر من الياص يدل
على حاجة من دفع رد أو غيره والاكثر من الزينة لا يدل الا على الثياب (اربع) ذكر
الاساور من بين سائر الخلي في كثير من المواضع منها قوله تعالى وحلوا أساور من فضة
وذلك لان الخلي بعشرين (أحدهم) الظاهر كون المعنى غير مبتذل في الاشغال لان الخلي
لا يكون صلبا لطيفه والغسل في (اربعها) فعمارة الاستعانة من الاشياء والظواهر القادرة على
الاشياء وذلك لان الخلي ما بالآلئ والجواهر وأما بالذهب والفضة والخلي بالجواهر
والآلئ فين علي ان الخلي لا يعجز عن الوصول الى الاشياء الكثيرة عند الحاجة حيث
لم يعجز عن الوصول الى الاشياء القليلة الوجود لا الحاجة والخلي بالذهب والفضة يدل على
أنه غير محتاج حاجة أصلية والا صرف الذهب والفضة ان دفع الحاجة اذا عرفت هنا
فتقول الاساور يحملها الايدي وأكثر الاعمال لا يد فانها تلبس فاذا حليت بالاساور علم
ان فراغ الذهب والؤلوا اشارة الى التوسيع الذين منهم الخلي * ثم قال تعالى (وقالوا
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور) في الحزن أقوال كثيرة والاول
أن يقال المراد اذ هاب كل حزن والالف واللام للجنس واستراقه واذ هاب الحزن يحصل
كل ما يبغى ويقائه دائما فان شيئا من ذلك يحصل لكان الحزن موجودا بسببه وان حصل
ولم يدم لكان الحزن غير ذاهب بعد بسبب زواله وخوف قوته وقوله ان ربنا لغفور شكور
ذكر الله عنهم أمورا كلها تفيد الكرامة من الله (الاول) الحمد فان الحمد مثاب
(الثاني) قولهم ربنا فان العلم ياد بهذا اللفظ الا واستجاب لهم اللهم الا أن يكون المنادي

رجح
تفسيره على النص فعمل يفسره الظاهر وقري يدخلونها على البناء للمفعول (يحاون فيها) خبر * قد
تفسيره على النص فعمل يفسره الظاهر وقري يدخلونها على البناء للمفعول (يحاون فيها) خبر * قد
تمليل لما قبله
جاء من

تبعيضية والثابتة بيانية أي يحلون به من أساور من ذهب كأنه أفضل من سائر أفرادها (ولؤلؤا) بالنصب عطف على محل من أساور وقرى بالجر عطف على ذهب أي ﴿ ٤٩ ﴾ من ذهب مرصع بالؤلؤ أو من ذهب في صفاء اللؤلؤ

قد ضيع الوقت الواجب أو طلب ما لا يجوز كالدخول إلى الدنيا من الآخرة (الثالث) قولهم غشور (الرابع) قولهم شكور وانفقوا إشارة إلى ما غفروا لهم في الآخرة بما وجد لهم من الخير في الدنيا والشكور إشارة إلى ما أعطيتهم ويزيد لهم بسبب ما وجد لهم في الآخرة من الخير مما قال تعالى (الذي أحلنا دار المقامة من فضله) أي دار الإقامة لما ذكر الله سرورهم وكرامتهم لأعطيتهم وادخلناهم الجنة بين سرورهم ببقائهم فيها وأعلمهم بدوامها حيث قالوا الذي أحلنا دار المقامة أو الإقامة والمعقول ريبا يحيى لله مصدر من كل باب يقال ماله معقول أي عطل وقال تعالى مدخل صدق وقال تعالى ومن قنهم كل مرق كذا في استخراج الاستخراج وذلك لأن المصدر هو المفعول في الحقيقة فإنه هو الذي فعل فبحار إقامة المفعول مقامه وفي قوله دار المقامة إشارة إلى أن الدنيا منزلته بمنزلة المكلف ويرجع عنها إلى منزلته بالعبور ومنها إلى منزلته العرصة التي فيها الجمع ومنها التفريق وقد تكون النار لبعضهم منزلته أخرى والجنة دار المقامة وكذلك النار لأهلها وقولهم من فضله أي يحكمهم وعنده لا يتجلب من عنده وقوله تعالى (لا يستأويها نصب ولا يستأويها القوي) القوي الأعيان والنصب هو السبب للأعيان فإن قال قال إذا لم يستأويها القوي فيمن نصب علم أنه لا يستأويها القوي ولا ينحى المتكلم الحكيم السبب ثم ينحى سببه بحرف العطف فلا يقول أقابل لأأكلت ولا شئت أولفت ولا شئت والعكس كثير فانه يقال شئت ونأكلت لما ان ينحى الشيع لا يرد انتفاء الأكل وسابق ما تقرر أن يقال لا يستأويها الأعيان ولا مستأويها ماقال الله في غاية الجلالة وكلام الله أجل وبيانه أجل ووجهه هو أنه تعالى بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فان الدنيا إما كنتم على قسمين (أحدهما) موضع تنس فيه المشاق والتعذيب كما جرى والصحارى والطرق والاراضي (والآخر) موضع يظهر فيه الأعيان حكاية بيوت والمنازل التي في الاسفار من الخانات فإن من يكون في مباشرة شفقت لا يظهر عليه الأعيان لا بعد ما يستريح فقال تعالى لا يستأويها نصب أي ليست الجنة كما أوضحنا في الدنيا مظان التعذيب بل هي أفضل من الموضع التي هي مواضع مرجع أي فقال ولا يستأويها القوي أي ولا تخرج منها إلى مواضع تنس ويرجع إليها فاستأويها الأعيان وقرى لغوب بفتح اللام والترتيب على هذه القراءة ظاهر كأنه قال لا نصب ولا يستأويها بفتح اللام وهذا لأن أقوى السوي إذا قال ما تعبت اليوم لا يظنهم من كلامه أنه ما عمل شيئا جواز أنه عمل عملا لم يكن بالنسبة إليه متعبا فإذ قال ما سئى ما يصلح أن يكون متعبا فيهم أنهم يعمل شيئا لأن نفس العمل قد يصلح أن يكون متعبا في نفسه أو متعبا بسبب كثرة والغوب هو ما يلعب منه وقيل النصب التعب المرض وعلى هذا فيسبب الترتيب ظاهر كأنه قال لا يستأويها من ولدون ذلك وهو الذي يعيانه مباشرة ثم قال تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم) عطف على قوله إن الذين يتلون كتاب الله وما بينهما كلام يتعلق

(ولما نسج فيها حرير)
وتعير الأسلوب قد مر
سره في سورة الحجر (وقالوا)
أي يقولون وصيغة الماضي
المدحاة على التحقيق (الجنة)
لله الذي أذهب عنا
الحر (وهو ما أهمهم)
من خوف سوء العاقبة
ومن ابن عباس رضي
الله عنهم أخرج الأعراس
والآفات وعند حزن
الموت وعن الضحك
حزن وسوسة بليس وقيل
هم العاش وقيل حزن
زوال النعم والظاهر أنه
الجلس المنتظم للجمع
أحزان الدنيا والدنيا
وقرى الحزن وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ليس على أهل لاله إلا الله
وحشة في قبورهم ولا في
مخبرهم ولا في مسيرهم
وكأنني بأهل لاله إذ الله
يخرجون من قبورهم
يلفون التراب عن
وجوههم ويقولون
الحمد لله الذي أذهب عنا
الحر (إن ربنا الغفور)
أي للمؤمنين (شكور)
للمطيعين (الذي أحلنا)
دار المقامة (أي دار الإقامة)
التي لا انتقال عنها أبدا

(من فضله) من العفو وفضله من غير أن ﴿ ٧ ﴾ سا يرجع شيء من قبله (لا يستأويها نصب) تعيب (ولا يستأويها فيها لغوب) كلال والمفرق بينهما

أن الذئب نفس المشقة والكلفة والأثوب ما يحدث منه من القنور والتصرح بحيث يبقى الثاني مع استئذان في الأول له وتكرير الفصل الثاني للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما (والذين كفروا ﴿ ٥٠ ﴾ لهم نار جهنم لا يفضى عليهم) لا يحكم عليهم

بموت ثمان (فيوتوا) ويستريحوا ونصبه باضمار أن وقرى فتوتون مطلقا على يقضى كوله تعالى ولا يؤذون لهم فيعتدون (ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كما خبت زيدا معارها (كذلك) أي مثل ذلك الجزء القطيع (يجرى كل كفور) مبالغ في الكفر أو الكفران لاجراء الخف وأدى منه وقرى يجرى على البناء النعون واستاده إلى الكل وقرى يجازى (وهم يصطرون فيهما) يستغنون والأصغراخ أفعال من الصغراخ استعمل في الاستغناء لجهل المستغث صوته (ربنا أخرجنا من صالحا غير الذي كنا نعمل) باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور المحصر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشهار أن استخراجهم لئلا فيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى

بالذين يتلون كتاب الله على ما بينا وقوله جنات عدن يدخلونها وقد ذكرنا أنه على بعض الأقوال راجع إلى الذين يتلون كتاب الله * ثم قال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا) أي لا يستريحون بالموت بل العذاب دائم (ولا يخفف عنهم من عذابها) كذلك تجرى كل كفور (أي النار وفيه الملائكة) الأولى) أن العذاب في الدنيا إن دام كثيرا يقتل فان لم يقتل يعتاده البدن ويصير من اجافا سدا ممتكنا لا يحس به العذب فقال عذاب نار الآخرة ليس كعذاب الدنيا أما أن يفنى وأما أن يألفه البدن بل هو في كل زمان شديد والعذب فيه دائم (الثانية) راعى الترتيب على أحسن وجه وذلك لأن الترتيب أن لا يقطع العذاب ولا يقصر فقال لا ينقطع ولا يذوق الأسباب وهو الموت حتى يمتحن الموت ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك أي بالموت (الثالثة) في العذبين كتنى بأنه لا يقصر عذابهم ولا يقل تزيدهم عذابا وفي المثابين ذكرنا زيادة بقوله ويزيدهم من فضله ثم للمبين أن عذابهم لا يخفف قال تعالى (وهم يصطرون فيها) أي لا يخففون وان اصطرخوا واضطر بوا لا يخفف الله من عذابه انما إلى أن يطالبوا بل يطالبون ولا يجردون والاصطراخ من الصراخ واصراخ صوت العذب وقوله تعالى (ربنا أخرجنا) أصراخهم بهذا أي يعاؤون ربنا أخرجنا لأن صراخهم كلام وفيد إشارة إلى أن إيلاهم تعذب لا تاديب وذلك لأن المؤدب اذا قال تؤدبه لا أرحم إلى ما فعلت وينسما فعلت بتركه وأما العذب فلا وترتبه حسن وذلك لأنه للمبين أنه لا يخفف عنهم بالكلية ولا يصفو عنهم أنه لا يقبل منهم وعدا وهذا لأن المحبوس يصبر لعله يخرج من غير سؤال فاذا طل ليشه تطالب الأخراج من غير فطبيعة على نفسه فان يقدر على نفسه قطيعة ويقول اخرجني أقبل كذا وكذا واعلم أن الله تعالى قديين أن من يكون في الدنيا ضالا فهو في الآخرة ضالا كما قال تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ثم انهم لم يعلموا ان العود إلى الدنيا بعيد محال يحكم الاخبار وعلى هذا قالوا (نعمل صالحا) جازمين من غير استعانة بالله ولا مشاورة فيه ولم يقولوا ان الامر بيد الله فقال الله انهم اذا كان اعتمادكم على أنفسكم فقد عمركم مقادرا على التذكر فيه والاتبان بالآسان والاقبال على الاعمال وقواهم (غير الذي كنا نعمل) إشارة إلى ظهور فساد عملهم وكان الله تعالى كلم يهدهم في الدنيا لم يهدهم في الآخرة فاقالوا ربنا زدنا للمحسنين حسنات بفضلك لا بمعملهم ونحن أحوج إلى تخفيف العذاب منهم إلى تضعيف الثواب فافعل تاما أنت أهله نظر إلى فضلك ولا تفعل تاما نحن أهله نظر إلى عذابك وانظر إلى مغفرتك التهاطلة ولا تنتظر إلى معذرتنا الباطلة وكما هدى الله المؤمن في الدنيا هداية في العقبى حتى دعا بأقرب دعا إلى الاجابة وأثنى عليه بأطيب ثناء عند الانابة فقالوا الحمد لله وقالوا ربنا غفورا اعتزافا بتقصيرهم شكورا قرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم اليهم وقالوا أحيانا دار المقامة من فضله أي لا عمل لنا بالنسبة إلى نعم الله وهم قالوا أخرجنا نعمل صالحا

﴿ انحصارنا ﴾

(أولهم لم يأتواكم بدين من عند الله) جواب من جهة تعالى وتوحيح إليهم والهمزة لانكاروا الشيء وانواو للعطف على مصدر يقتضيه المقام وما ذكره موصوفه هو ان كل ما في الدنيا من نعم الله تعالى أو ما في الآخرة من عقوباته أو ما في الدنيا من عقوباته أو ما في الآخرة من نعمه تعالى

من التذكروا والفكر قبل هو أربعون سنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما استون سنة وروى ذلك عن علي رضي الله عنه وهو العمر الذي أعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه الصلاة والسلام أعذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى (وجاءكم التنذير) غطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد علمناكم كافي قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعتنا الخ لا في معنى قد نشرحنا الخ والمراد بالتنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما معه من القرآن وقيل ان فعل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقارب على ذكر التنذير لانه الذي يقتضيه المقام والقاء في قوله تعالى (قد وقوا) لترتيب الامر بالدوق على ما قبلها من التعمير ومحى التنذير وفي قوله تعالى (ما الظالمين من نصير) للتعليل

انما ضاق حق تعظيمه واعراضا عن الاعتراف بمعجزهم عن الاثبات بما يناسب عظمتهم انه تعالى بين انه آتاهم ما يتعلق بقبول المحل من العمر الطويل وما يتعلق بالفاعل في المحل فان النبي صلى الله عليه وسلم كفاعل الخيرة عنهم ومظهر السعادات فقال تعالى (أولهم لم يأتواكم بدين من عند الله) وجاءكم التنذير فان المانع اما ان يكون فيهم حيث لم يأتواكم بدين من عند الله واما ان يكون في من بعدهم حيث لم يأتواكم بدين من عند الله ثم قال تعالى (قد وقوا ما الظالمين من نصير) وقوا قد وقوا اشاروا الى الدوام وهو امر اهانة فالظالمين الذين وضعوا اعمالهم وأقوالهم في غير موضعها أتوا بالمعذرة في غير وقتها من نصير في وقت الحاجة يتصرههم قال بعض الحكماء قوله ما الظالمين من نصير وقوله وما الظالمين من انصار محتمل ان يكون المراد من الظالم الجاهل جهلا من كبره هو الذي يعتد بالباطل حقا في الدنيا وما له من نصير أي من علم يتعد في الآخرة وان الذي يدل عليه من الله تعالى سعى البرهان سلطانا كما قال تعالى فاتوا بسطان والسطان أقوى ناصر إذ هو القوة والولاية وكلاهما ينصر والحق التعمير لان الله لا ينصره وان غير نصير افعالهم من نصير أصلا ويمكن ان يقال ان الله تعالى قال في آل عمران وما الظالمين من انصار وما من يهدي من أصل الله وما لهم من نصير ين وقال ما الظالمين من نصير أي هذا وقت كونهم واقعين في النار فقد أيسر كل منهم من كثير ممن كانوا يتوقعون منهم النصر ولم يبق الا توفيقهم من الله فقال ما لكم من نصير أصلا وهناك كان الامر حكما في الدنيا أوفى أوائل الخسر فنتى ما كانوا يتوقعون منهم النصر وهم آلهتهم ثم قال تعالى (ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور) تقريرا الدوامهم في العذاب وذلك من حيث ان الله تعالى لما قال وجنات سيئة مثلها ولا يزداد عليه فلو قال قائل الكافر ما كفر بالله الاياما معرودة فكان ينبغي ان لا يعذب الا مثل تلك الايام فقال تعالى ان الله لا يخفي عليه غيب السموات فلا يخفي عليه ما في الصدور وكان يعلم من الكافرين في قلبه تمكن الكفر بحيث اوداهم الى لا يذنبوا طاع الله ولا عبده وفي قوله تعالى بذات الصدور مسئله قد ذكرناها مرة وتبعدها أخرى وهي ان قائل ان يقول الصدور هي ذات اعتقادات وظنون فكيف سعى الله الاعتقادات بذات الصدور ويقرر السؤال قولهم أرض ذات أشجار وذات جن اذا كان فيها ذلك فكذلك الصدور فيه اعتقاد فهو ذو اعتقاد فيقال له لما كان اعتبار الصدور بما فيه صار ما فيه كاسا كن المالك حيث لا يقال الدار ذات زيد ويصح ان يقال زيد ودار رومال وان كان هو فيها ثم قال تعالى (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) تقريرا لتطوع جنتهم فانهم لما قالوا ربنا اخرجنا مما عمل صالحا وقال تعالى أولم ينسركم ما يتذكروا اشارة الى أن التمكن والامهان مدة يمكن فيها المعرفة قد حصل وما آتتم و زاد عليه بقوله وجاءكم التنذير أي آتيناكم عقولا وأرسلنا اليكم من يؤيد المعقول بالدليل المنقول زاد على ذلك بقوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الارض أي نبهكم عن مضي

(ان الله عالم غيب السموات والارض) بلاضافة وفري بالتنوين ونصب غيب على المعنوية أي لا يخفي عليه خاصة فيهما فلا يخفي عليه أحوالهم

(انه عليهم بذات الصدور) قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علمت مضمرة الصدور هي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) يقال للمستخلف خليفة وخليف ﴿ ٥٢ ﴾ والاول يجمع خلائف والثاني

خائفا والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء في ارضه واتى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح اليكم منافعتها أو جعلكم خلفاء عن قبلكم من الامم وأورثكم ما بين يديهم من منافع الدنيا والشكر والتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم مثل هذه النعمة السنية وتخطاها (فغابه كثيرا) أي وبكثرة الاستعداد الى غيره وقوله تعالى (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقاولا يزيدا للكافرين اكثرهم الاخسارا) بيان اوبال الكفر وغالبه هو وقت الله تعالى اليهم أي اغضد الشديدة الذي ليس وراءه خيري وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده شر وخسار والشكر يرا زيادة التقدير والتبديد على أن اقتضاء الكفر الكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاعصاة

وحال من اتقضى قادمكم لو ان حصل لكم علم بان من كذب الرسل اهلك لكان عندكم اخفى وضادكم اخف لكن أمهتكم وعزيم وأمرتم على اسان الرسل بأمرتم وجعلتم خلائف في الارض أي خليفة بعد خليفة تعلمون حال الماضين وتصيحون بحالهم راضين (فمن كفر) بعد هذا كالم (فغابه كثيرا) ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقاولا لان الكافر السابق كان متوثا كما عبد الذي لا يشتم سيد واللاحق الذي انذره الرسول ولم ينتبه امتت كما عبد الذي يتبعه الصالح وبأمره بخدمة سيده وبعده وبعده ولا يشتمه الصالح ولا يسعده والثاني اهم الذي رأى عذاب من تقدم ولم يخش عذابه امتت الكل ثم قال تعالى (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) أي الكفر لا يرفع عند الله حيث لا يزيد الا الف ولا يرفعهم في أنفسهم حيث لا يرفعهم الا الخسار فان الامر كرأس مال من اشترى به رضا الله ربح ومن اشترى به سخفه خسره ثم قال تعالى (قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا وهم على بينة بل ان بعد الظالمون بعضهم بعضا اشرورا) تقريرا للتوحيد وإبطال الاشرار وقوله أرايتم المراد منذ اخرجوني لان الاستفهام يستدعي جوابا يقول القائل أرايت ماذا فعل زيد فيقول السامع يا ع أو اشترى أو لا تخشاه معني اشرقتي والا لما كان الجواب الاية لا أو نعم وقوله شركاءكم انما اضاف الشركاء اليهم من حيث ان الاستدلال في الامة قد انكسر شركاء الله وانما هم جعلوها شركاء فثان شركاءكم أي الشركاء يجعلكم ويحتمل أن يقال شركاءكم أي شركاءكم في النار انتم وانتم وما تعبسون من دون الله حسب جهنم وهو قريب ويعمل ان يقال هو بعد الاتفاق المفسرين على الاول وقوله أروني بدل عن أرايتم لان كليهما يفيد معنى اخرجوني ويحتمل أن يقال قوله أرايتم استفهام حقيق وأروني أمر تمييز فالعقل أرايتم بمعنى أعلمتم هذه التي تدعونها الهى وعلى ما هي عليه من العجز أو تنوّهون فيها فقدره ذات كتمت تعلمونها عاجزة وكيف تعبسونها وان كان وقع لكم ان له القدرة بأروني قدرتها في أي شيء هي الهى في الارض كما قال بعضهم ان الله اله السماء وهؤلاء آلهة الارض وهم الذين قاوا أمور الارض من الكواكب والامثال صورها أم هي في السموات كما قال بعضهم ان السماء خلقت بالنعانة الملائكة والملائكة شركاء في خلق السموات وهذه الاصنام صورها ثم قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم ان الملائكة ما خلقوا شيئا ولكنهم مقر بون عند الله فنعيتها لشعوانا فهل معهم كتاب من الله فيد اذنه لهم بالشفاعة وقوله أم آتيناهم كتابا في العائد اليه الضمير وجهان (أحدهما) انه طائفة الشركاء أي هل آتيناهم الشركاء كتابا (وثانيهما) انه طائفة المشركين أي هل آتيناهم المشركين كتابا وعلى الاول فعناه ما ذكرنا أي هل مع ما جعل شركاءكم من الله فيه أن له شفاعة عند الله فان أحدا لا يشفع عنده الا بآذنه وعلى الثاني معناه ان عبادة هؤلاء اما بالعقل ولا عقل لمن يعبد من

(قل) تبيكتنا لهم (أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أي آلهتكم والاضافة اليهم ﴿ لم ﴾ لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير أن يكون له أصل ما أصلا

وقبل جمعوا وهم شر كما لانفسهم فيما يكونه وبيانه سابق النظم الكريم وسيا قد (أروني ماذا خلقوا من الارض) بدل اشتمال
من أرايتم كأنه قبل أخبروني عن شركائكم ﴿٥٣﴾ أروني أي جربوا خلقوا من الارض (أم لهم شرك في السموات)

أي أم لهم شرك مع الله سبحانه في خلق السموات
ليستحقوا بذلك شركة
في الاوهية ذاتية
(أم آيتناهم كتابا) ينطق
بأننا أخذناهم شركاء
(فهم على بينة منه)
أي حجة ظاهرة
من ذلك الكتاب بان
لهم شركة جعلية
ويجوز أن يكون ضمير
آيتناهم للمشركين كما في
قوله تعالى أم آرايتنا لهم
سلطانا الخ وقري على
بينات وقيد انما الى أن
الشرك امر خطير لا يد
في اثباته من تعاضد
السلائل (بل ان بعد
الظالمون بعضهم بعضا
الافرورا) لما في أنواع
الجميع في ذلك انشرب
عنه بدكر ما جعلهم عليه
وهو تحرير الاسلاف
الاخلاف واضلال
الرؤساء لا يتابع بانهم
شفعاء عند الله يشتمون
لهم بانقر يب اليه
(ان الله يسك السموات
والارض أن تزولا)
استئناف مسوق لبيان
غاية فتح الشرك وهو له
أي يسكهما كراهة

لم يخلق من الارض جزءا من الاجزاء ولا في السماء شيئا من الاشياء واما بانقل ونحن
ما آتينا المشركين كتابا فيه أمرنا بالسجود لهؤلاء وارا من الجاز كما أمرنا بالسجود له
والى جهة الكعبة فهذه العبادة لاعقلية ولا نقابية فوسد بعضهم بعضا ليس الا فرورا
فرهم الشيطان وزين لهم عبادة الاستنام لهم لابين انه لا خلق الا صنم ولا قدرة لهم ولا على
جزء من الاجزاء بين ان الله قدر بقوله (ان الله يسك السموات والارض أن تزولا) وأن
زالنا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حلي غفورا) ويحتمل ان يقال للذين شركهم
قال مقتضى شركهم زوال السموات والارض كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن
مند وتشتق الارض وتشر الجبال هذا أن يدعو الرحمن وادوا يدل على هذا قوله تعالى في
آخر الآية انه كان حلي غفورا كان حلي ما ترك تعذيبهم الاختلافه والا كانوا يستحقون
استناط السماء وانطابق الارض عليهم وانما أخرجناهم الى قيام الساعة حطبا
وتحتمل الآية وجهان الاول وهو أن يكون ذلك من باب التسليم والنيات المطلوب على تقدير
التسليم أيضا كأنه تعالى قال شركاءكم ما خلقوا من الارض شيئا ولا في السماء جزءا ولا
قدروا على الشفاعة ولا العبادة لهم وهنهم فعلاوا شيئا من الاشياء فهل يقدرون على
امساك السموات والارض ولا يكتمهم القول بانهم يقدرون لانهم ما كانوا يقولون به كما
قال تعالى عنهم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويؤيد هذا قوله تعالى
زالنا ان أمسكهما من أحد من بعده فإذا ترى أن لا يعبد الا الله من حيث ان غيره
لم يخلق من الاشياء وان قال الكافر بأن غيره خلق فخلق مثل ما خلق فلا شك انه
كان حليا غفورا حليا حيث لم يجعل في اهلاكهم بعد اضرارهم على اشراكهم وغفورا
يعفر لمن تاب ويرجوه وان استحق العذاب ثم قال تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن
جاءهم نذير لكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في
الارض ومكر السبي ولا يتعقب المصير السبي الا بأهله) للبين انكارهم التوحيد ذكر
تكذيبهم للرسول ومباغتهم فيه حيث انهم كانوا يقسمون على انهم لا يكذبون الرسول اذا
بينهم كونهم رسلا وقالوا اننا نكذب محمد صلى الله عليه وسلم لكونه كاذبا ووثيقنا
كونه رسولا كما قال تعالى عنهم وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية لؤمنن
بها وهذا مباغاة منهم في التكذيب كان من يشكر دين انسان فديقول والله لو علمت ان له
شيئا على قضيتة وزدت له اظهار ان كونه مطايبا باطل فكذلكهم ناعما دوا وقالوا والله
اوجاء نار رسول لكننا هدى الامم فلما جاءهم نذير رأى محمد صلى الله عليه وسلم جاءهم أي صح
مجيئه لهم بالبينه ما زادهم الا نفورا فانهم قبل الرسالة كانوا كافرين بالله وبعدها صاروا
كافرين بالله ورسوله ولانهم قبل الرسالة ما كانوا معدين كما صاروا بعد الرسالة وقال
بعض المفسرين ان أهل مكة كانوا يلعنون اليهود والنصارى على انهم كذبوا برسلهم لما
جاءهم وقالوا اوجاء نار رسول لا طعنا واتبعناه وهذا فيه اشكال من حيث ان المشركين

زوالهما أو ينعهما أن تزولا لان الامساك مع (ولئن زلنا ان أمسكهما) أي ما أمسكهما (من أحد من بعده) من بعد
امساكهم تعالى أو من بعد الزوال

والجمله سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لنا كيد العموم والثانية للايتداء (انه كان جليما صفورا) غير معاجل
بالعقوبه التي تستوجبها جناباتهم حيث أمسكهم ما وكاتبنا جديرتين ﴿ ٥٤ ﴾ بان تهدها احسبا قال تعالى تكاد السحوات

تفطر من منسه ونشق
الارض وقرى ولوزالتا
(واقسموا بالله جهد
أيانهم اثن جاءهم نذير
ليكون اهدى من احدى
الامم) بلغ قر يشاقبل
مبث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اهل
الكتاب كذبوا رسلهم
فقانوا عن الله اليهود
والنصارى انتهم الرسل
فكذبوا هم فوالله انهم
انما نار رسول لكوني
اهدى من احدى الامم
اليهود والنصارى
وغيرهم اومن الامة
التي يقال انها احدى
الامم تفضيلا لها على
غيرها في الهدى
والاستقامة (فلما جاءهم
نذير) وأي نذير اشرف
ارسل عليهم الصلاة
والسلام (ما زادهم)
أي النذير أو مجيئه
(الانفورا) تباعدا
عن الحق (استكبارا
في الارض) بدل من تقور
أو مفعول له (ومكر
السي) أصله وأن
مكروا السي أي
ثم ومكر السي وقرى
يسكون المهر في الوصل
واعله اخلاص ظن سكونا أو وقفة حفيقة وقرى مكراسيا (ولا يحق المكر السي الأياهله ﴿ بواقبها ﴾

كانوا مكرين للرسالة والحشر مطلقا فكيف كانوا يعترفون بالرسول فمن أين عرفوا ان
اليهود كذبوا وما جاءهم كتاب واولا كتاب الله ويان رسوله من أين كان يعلم المشركون
انهم صدقوا شيئا وكذبوا في شيء بل المراد ما ذكرنا انهم كانوا يقولون نحن لوجهنا رسول
لا نكفر وانما نكفر كون محمد رسولا من حيث انه كاذب ولو صح كونه رسولا لا منا وقوله
فلما جاءهم أي فلما صح لهم بحبسه بالهجرة وفي قوله اهدى وجهان (أحدهما) أن يكون
المراد اهدى ممن نحن عليه وعلى هذا قوله من احدى الامم للتبيين كما يقول القائل زيد
من المسلمين ويدل على هذا قوله تعالى فالجاءهم نذير ما زادهم الانفورا أي صاروا أضل
مما كانوا وكانوا يقولون نكرونا اهدى (وثانيهما) أن يكون المراد أن تكون اهدى من
احدى الامم كما يقول القائل زيد اولى من عمرو وفي الامم وجهان (أحدهما) أن يكون
المراد العموم أي أي احدى الامم وفيه امر يرض (وثانيهما) أن يكون المراد
تعريف العهد أي أمة محمد موسى وعيسى ومن كان في زمانهم ثم قال تعالى استكبارا في
الارض ونصبي يحتمل ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون حال أي مستكبرين في الارض
(وثانيها) أن يكون مفعولا له أي للاستكبار (وثالثها) أن يكون بدلا عن النور وقوله
ومكر السي إضافة الجنس الى نوعه كما يقال علم الفقه وسرقة الحدادة وتحفة أن يقال
سناه ومكروا مكراسيا ثم عرف اظهروا مكرهم ثم ترك التعريف باللام وأضيف الى
السي لكون السي فيه أي بين الامور ويعتدل ان يقال بأن المكر يستعمل استعمال
العامل كما ذكرنا في قوله تعالى والذين يكرهون السيئات أي يملكون السيئات ومكرهم
السي وهو جمع ما كان يصدر منهم من التقصد الى الايتداء ومنع الناس من الدخول في
الايان واظهار الانتكاز ثم قال ولا يحق المكر السي الأياهله أي لا يحق الايقاعه وفي
قوله ولا يحق وقوله الأياهله فوالله ما قوله يحق وهي أنها تذي عن الاطاعة التي هي
فوق اللعوق وفيه من التحذير ما ليس في قوله ولا يلحق أو لا يصل وأما في قوله يا له فقيه
ما ليس في قول القائل ولا يحق المكر السي الأياهله لا يأمن من المسي فان من أساء
ومكر سي آخر قد يلحقه جزاء على سيئه وأما اذا لم يكن سيئا فلا يكون أهلا فيأمن المكر
السي وأما في النبي والاشبات فقائده الحصر بخلاف ما يقول القائل المكر السي يحق
بأنه فلا يني عن عدم الحيق بغير أهله فان قال قائل كثير ما نرى ان الماكر يكر ويضده
المكر ويغلب الحصر بالمكر والآية تدل على عدم ذلك فنقول الجواب عنه من وجوه
(أحدها) ان المكر المذكور في الآية هو المكر الذي مكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم
من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الايهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره (وثانيها) هو ان
نقول المكر السي عام وهو الاصح فان النبي عليه السلام نهى عن المكر وأخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنكروا ولا تعينوا ما كرا فان الله يقول ولا يحق المكر السي
الأياهله وعلى هذا فذلك الرجل المكور به يكون أهلا فلا يرد نقضا (وثالثها) ان الامور

فهل ينظرون) أي ما ينتظرون (الاسنة * ٥٥ * الأولين) أي سنة الله فيهم تعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله

تبديلا) بأن يضع موضع
العذاب غير العذاب
(ولن تجد لسنة الله
تحويلا) بأن ينقله من
الكاذبين إلى غيرهم
والنقل لتعليل ما يفعله
الحكم بانظارهم العذاب
من بحسنة ونفي وجدان
التبديل والتحويل
عبارة عن نفي وجودهما
بالطريق البرهاني
وتخصيص كل منهما
بنفي مستقل لا أكد
انتفاهما (أولم يسروا
في الأرض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم) استشهداد
على ما قبله من جريان
سنة تعالى على تعذيب
المكذبين بما يشاهدونه
في مسيرهم إلى الشام
والبحرين والعراق من
آثار دمار الأمم الماضية
العاقبة والهزيمة للانكار
والنفي والواو الاعمق
على مقدر يليق بالتمام
أي أقدموا في مساكنهم
ولم يسروا في الأرض
فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم
(وكانوا أشد منهم
قوة) واطول أعسارا
فانفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصيب على الحامية

بمواقبها ومن مكر به غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر في الحقيقة هو الفأز والمأكر
هو الهالك وذلك مثل راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا وبين هذا المعنى قوله تعالى
فهل ينظرون الاسنة الأولين يعني إذا كان لمكرهم في الحسام رواج فالعاقبة للتقوى
والامور تخواتيها فيهلكون كاهلك الأولون * وقوله تعالى (فهل ينظرون الاسنة
الأولين) أي ليس لهم بعدها الانتظار الاهلاك وهو سنة الأولين وفيه مسائل
(المسئلة الأولى) الاهلاك ليس سنة الأولين إنما هو سنة الله بالأولين فتقول الجواب
عنه من وجهين (أحدهما) أن المصدر الذي هو المفعول المطلق يضاف إلى الفاعل
والمفعول لتعلقه بهما من وجه دون وجه فيقال فيما إذا ضرب زيد عمرا عجب من
ضرب عمرو وكيف ضرب مع ماله من العزم والقوة وعجب من ضرب زيد كيف ضرب مع ماله
من العلم والحكمة فكذلك سنة الله بهم أضافها إليهم لأنها سنة سنتهم وأضافها إلى
نفسه بعدها بقوله (فلن تجد لسنة الله تبديلا) لأنها سنة من سنن الله إذا علمت هذا فتقول
أضافها في الأول إليهم حيث قال سنة الأولين لأن سنة الله الاهلاك بالاشراك والاكرام
على الاسلام فلا يعلم أنهم ينتظرون أيها فإذا خال سنة الأولين تميزت وفي الثاني أضافها
إلى الله لأنها لما علمت فلاضافة إلى الله تعظيمها وتبين أنها أمر واقع ليس لها من دافع
(وثانيهما) أن المراد من سنة الأولين استمرارهم على الانكار واستكبارهم عن الافراد
وسنة الله استئصالهم بإصرارهم فكأنه قال أتم تريدون الاثبات بسنة الأولين والله يأتي
بسنة لا تبديل لها ولا تحويل عن مسخها (المسئلة الثانية) التبديل تحويل فالحكمة
في التكرار تقول بقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا حصل العلم بان العذاب لا تبديل له بغيره
وبقوله (ولن تجد لسنة الله تحويلا) تحصل العلم بان العذاب مع انه لا تبديل له بالثواب
لا تحويل عن مسخه إلى غيره فبتم تبديلا للمسي (المسئلة الثالثة) المخاطب بقوله فلن تجد
يشتمل وجهين وقد تقدم مرارا (أحدهما) أن يكون عاما كأنه قال فلن تجد أيها السامع
لسنة الله تبديلا (والثاني) أن يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فكأنه قال
سنة الله انه لا يهلك ما بقى في القوم من كتب الله ايمانه فاذا آمن من في علم الله انه يؤمن
بهلك الباقيين كما قال نوح لك ان تدرهم أي تهمل الامر وجاء وقت سنك * ثم قال تعالى
(أولم يسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة)
لماذا كرر ان الأولين سنة وهي الاهلاك تبهم بتدكير حال الأولين فانهم كانوا مارين
على ديارهم راينين لا تارهم واعلمهم كان فوق املهم وعلمهم كان دون علمهم اما الاول
فأطول أعسارهم وشدة اقتدارهم واما علمهم فلأنهم لم يكذبوا مثل محمد ولا مجدوا وتم
بأهل مكة كذبتم مجدوا من تقدمه قوله تعالى وكانوا أشد منهم قوة قد ذكرناه في سورة
الروم بقى فيه اجحاث (الاول) قال هناك كانوا أشد من غير واو وقال ههنا بالواو والفرق
نقول قول انقائل اما رأيت زيدا كيف أكرمني وأعظم منك يفيدان انقائل يخبره بان زيدا

فانفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصيب على الحامية

وقوله تعالى (وما كان الله ليعجزه من شيء) أى ليسببه ويفوته ﴿ ٥٦ ﴾ (فى السموات ولا فى الارض)

اعترض مقرر لما يفهم
مما قبله من استئصال
الامم السالفة وقوله تعالى
(انه كان عليا قديرا)
اى مبالغيا فى العزم والقدرة
ولذلك علم بجمع اعمالهم
السببة فمما قبلهم عوججها
تعليل لذلك (ولو يؤاخذ
الله الناس) جميعا (بما
كسبوا) من السيئات كما
قول (ما ترك على
ظهورها) اى على ظهر
الارض (من دابة) من
نعمته كتب عليها من نبي
آدم وحواء ومن غيرهم
ايضا من شؤم معاصيهم
وهو المروي عن ابن
مسعود وانس رضى الله
عنهما وعضد الاول
قوله تعالى (ولكن
يؤخرهم الى اجل
مسمى) وهو يوم القيامة
(فاذا جاء اجلهم فان
الله كالبعيد بصيرا)
فيجازيهم عند ذلك
بأنهم ان خيرا فخير
وان شرا فشر * عن
النبي عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة
الملائكة عدد ثمانية ابواب
الجنة أن أدخل من أى
باب شئت والله تعالى اعلم

ثالث) هو ان ازال المطر هو وانعام من الله في حق العباد فاذا لم يستحقوا الانعام قطعت
مطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فتوت جميع الحيوانات وقوله تعالى
ترك على ظهرها من دابة يومئذ الوجه الثالث لان بسبب انقطاع الامطار توت حيوانات
واما حيوانات البحر فتمش بناء البحار (المسئلة الثانية) قوله تعالى علمت ظهورها كناية
عن الارض وهي غير مذكورة فكيف علمت قول ما تقدم وما تأخر اماما تقدم فقوله
يا كان الله يعجزه من شيء في السموات ولا في الارض فهو اقرب المذكورات الصالحة
ود الهاء اليها واماما تأخر فتوته من دابة لان الدواب على ظهر الارض فان قيل
يف يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهر الارض مع ان الوجه مقابل
ظهر كالضاد نقول من حيث ان الارض كالدابة الحاملة للانتقال والحق يكون على
ظهر يقال له ظهر الارض ومن حيث ان ذلك هو المقابل للخلق المواجه لهم يقال له
وجهها على ان الظاهر في مقابلة البطن والظاهر والظاهر من باب والبطن والبطن من
ب فوجه الارض ظهر لانه هو الظاهر وغيره منها باطن و بطن (المسئلة الثالثة) في قوله
تالي ولكن يوم يحرمهم الى اجل مسمى وجوه (أحدها) الى يوم القيامة وهو مسمى
بذكر في كثير من المواضع (ثانيها) يوم لا يوجد في الخلق من يؤمن على ما تقدم
ثالثها) لكل امة اجل ولكل اجل كتاب واجل قوم محمد صلى الله عليه وسلم ايام انقل
الاسر كرم يدرو غير (المسئلة الرابعة) قوله تعالى فاذا جاء الهلاك فاصبر اما ان يصبر او يكون
صبرا تسلية للمؤمنين وذلك لانه تعالى لما قال ما ترك على ظهرها من دابة وقال لا تصبرين
الذين ظلموا منكم خاصة قال فاذا جاء الهلاك فاصبر اما ان يصبر اما ان يصبر او يكون
توفيقهم تفر بيان الله لا تمسك لايقال فقد ذكرت ان الله لا يؤاخذ عبدا الظلم وانما يؤاخذ
حين يجتمع الناس على الضلال وتقول بانه تعالى عند الاهلاك بهلاك المؤمن فكيف
هذا وتقول قد ذكرنا ان الامامة والافتاء ان كان لا عيب فهو مؤاخذا بالذنب
واهلاك وان كان لا يصب ان الثواب فليس بهلاك ولا يؤاخذة والله لا يؤاخذ الناس
الا عند عوم الكفر وقوله بصبرا تنظ اتم في التسليمة من العليم وغيره فان يصبر بالشيء
ان ظرا ايد اولي بالانجاء من العالم بحاله دون ان يراد الله اتم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه اجمعين

تدفع عنه كل سود وتفضي له
كل حاجة وآيات
وتاتون * (بسم الله
الرحمن الرحيم) *
(يس) اما سرود على
نظم التعبد فلا حظه
من الاعراب او اسم
السورة كالص عليه
الخطيل وسبويه وعابه
الاكثر فعمله الرقع
على انه خير من اذ يحذوف
او ان تصب على انه مفرد
انعل مضمر وعليها
مدار قرارة يس بالرفع
والنصب أي هده يس
او اقرأ يس والاسماع
للنصب باضمار فصل
التسم لان ما نصب
منسجمه وقا أبو الطم
بين فسمين على شيء
ياخذ قبل انقضاه
اذن ولا مجال للمطغف
لا خلا فيما اعرا
وقيل هو محذور باضمار
يا التسم مفتوح لكونه
غير منصرف كالسقف
في فائقة سورة البقرة
من ان ما سكنت
من هذه الفواضع مفردة
مثل ساد وقاف وتون
او كانت موازنة لمفرد
نحو طر و يس و
ذكر سيويه في باب

(سورة يس ثمانون وثلاث آيات مكية)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

يس والقرآن الحكيم) فقد ذكرنا كلاما كليسا في حروف التهجى في سورة العنكبوت
وذكرنا ان في كل سورة بدأ الله فيها بحرف التهجى فكان في اولها الذكر والكتاب
أوالقرآن ولذا ذكر ههنا اجناسا (البحث الاول) هو ان في ذكر هذه الحروف في أوائل
السور أمور تدل على انها خير نخالية عن الحكمة ولكن علم الانسان لا يصل اليها بعبثها

الوازنة لاقابل وهما يلين أي فيها الاعراب في باب الألفي

السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كافي حيث أوين ﴿ ٥٨ ﴾ حسبما يشهد بذلك قراءة بس بالكسر كبير وقيل

الفتح والكسر تحريك
للجد في الهرب من القاء
الساكنين وعن ابن
عباس رضى الله عنهما
أن معناه يا انسان في لغة
طبي قالوا المراد به رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ولعل أصله يا أيديين
فأقصر على شطره كما
قيل من الله في أيمن الله
(والقرآن) بالجر على
أنه مقسم به ابتداء وقد
جوز أن يكون عطفا على
يس على تقدير كونه
مجرورا باعتبار ما قسم
(الحكيم) أي المتعجبين
للحكمة أو المناطيق بها
بمزيق الاستعارة
أو المنصف بها على الا
سناد المجازي وقد جوز
أن يكون الاصل الحكيم
قائله فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه
في انقلابه من فوق بعد
الجر استكن في الصفة
المشبهة كما مر في صدر
سورة لقمان (الكلان
المرسلين) جواب للقسم
والجمل فردد انكار الكفرة
بقولهم في حقه عليه
الصلاة والسلام است
مر سلا وهذه الشهادة

فقول ما هو الكلبي من الحكمة فيها أم بيان أن فيها ما يدل على الحكمة فهو ان الله
تعالى ذكر من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفا وهي نصف ثمانية وعشرين حرفا
وهي جميع الجروف التي في لسان العرب على قولنا الهمزة ألف متحركة ثم انه تعالى قسم
الحروف ثلاثة أقسام تسعة أحرف من الالف الى الذال وتسعة أحرف آخرى آخر
الحروف من الفاء الى الياء وعشرة من الوسط من الراء الى العين وذكر من القسم الاول
حرفين هما الالف والياء وترك سبعة وترك من القسم الآخر حرفين هما الفاء والواو
وذكر سبعة ولم يترك من القسم الاول من حروف الخلق والصدر الا واحدا لم يذكر وهو
الهاء ولم يذكر من القسم الآخر من حروف الشفة الا واحدا لم يتركه وهو الميم والعشر
الاواسط ذكر منها حرفا وترك حرفا فذكر الراء وترك الزاي وذكر السين وترك الشين وذكر
الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين وليس هذا أمر يقع
اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو الحكمة واما ان عنيتها غير معلومة فظاهر وهب ان
واحد يدعى فيدشينا فاذا يقول في كون بعض السورة مفتوحة تعرف كسورة نون ومن
وبعضها بحرفين كسورة حم ويس وطس ومله وبعضها بثلاثة أحرف كسورة الم
وطسم والر وبعضها بأربعة كسورة تي المر والمص وبعضها بخمسة أحرف كسورة
حم عسق وكهيعص وهي أن قائلا يقول ان هذا اشارة الى أن الكلام اما حرف واما
فعل واما اسم والحرف كثيرا ما جاء على حرف كواو العطف وفاء العقيب وهمزة
الاستفهام وكاف التشديد وبالاصاق وغيرها وجاء على حرفين كمن للتبعض وأول التخيير
وأول الاستفهام المتوسط وان الشرط وغيره او الاسم والفعل والحرف جاء على ثلاثة أحرف
كالى وعلى في الحرف والى وعلا في الاسم والأما أو وعلا بعد في الفعل والاسم والفعل
جاء على أربعة والاسم خاصة ما على ثلاثة وأربعة وخمسة كفعل وسجل وسجل وسجل
قاجاء في القرآن اشارة الى أن تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فاذا
يقول هذا القائل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض بأكثر فلا يعا
تمام السر الا الله ومن أعلمه الله به اذا علمت هذا فنقول اعلم أن العبادة منها قلبية ومنها
لسانية ومنها جارحية وكل واحدة منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم أما
القلبية مع انها أبعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله عقلا وانما واجب الايمان به
والاعتقاد سيما كالصراط الذي أرق من الشعرة واحد من السيف ويعر عليه المؤمن
والموقن كالبرق الخاطف والميران الذي توزن به الاعمال التي لا تنقل لها في نظر الناظر
وكيفيات الجنة واثار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم يدل على عقلى وانما المعلوم بالعقل
امكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالنوحيد والنبوة وقدرة الله
وصدق الرسول وكذلك في العبادات الجارحية ما علم معناه وما لم يعلم كقادر النصب
وعدد الركبات وقد ذكرنا الحكمة فيه وهي ان العبد اذا أتى بما أمر به من غير ان يعلم

و يبتكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به أولا ﴿ ٥٩ ﴾ و بوصفه بالحكيم نابتويه بشانه وتبنيه على أنه

ما فيه من الفائدة لا يكون الآتيا بمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفائدة فرما يأتي
للفائدة وان لم يؤمن كما لو قال السيد لعبد انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلمه بما في النقل
فقلها ولو قال انقلها فان تحتها كنزها ذلك يتقلها وان لم يؤمن اذا علم هذا فكذلك في
العبادات الاسانية الذكرا يفوجب أن يكون منها ما لا يفهم معناه حتى اذا تكلم به العبد
علم منه انه لا يقصد غير الاقياد لامر العبود الامر الناهي فاذا قال حمس الملمس
علم انه لم يذكر ذلك لعني يفهمه أو يفهمه فهو تلفظ به اقامة لامر به (البحث الثاني)
قيل في خصوص يس انه كلام هوناء معناه بالانسان وتقريره هو ان تصغير انسان
انيسين نكاته حذف المصدر منه واخذ العجز وقال يسن أي انيسين وعلى هذا يحمل أن
يكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى بعده انك لم المرسلين
(البحث الثالث) قرئ يس اما بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف هو قوله هذه كأنه قال
هذه يس واما بالضم على نداء المفرد أو على انه مثنى كقيل وقرئ يس اما بالانصب على
معنى انل يس واما بالفتح كآين وكيف وقرئ يس بالكسر كجبر لاسكان الياء وكسرة
ما قبلها ولا يجوز أن يقال بالجبر لان اضمار الجار غير جائز ويس فيه حرف قسم ظاهر وقوله
تعالى وانقرآن الحكيم أي ذى الحكمة كعيشة راضية أي ذات رضا أو على انه ناطق
بالحكمة فهي كالحى التكلم وقوله تعالى (انك ان المرسلين) مقسم عليه وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) الكفار انكروا كون محمد مر سلا والمطالب ثبت بالدليل لانا قسم
فما الحكمة في الاقسام نقول فيه وجوه (الاول) هو أن العرب كانوا يتوقون الايمان
الفاجرة وكانوا يقولون ان اليمين الفاجرة توجب خراب العالم و صحح النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلا قوم ثم انهم كانوا يقولون ان النبي صلى الله
عليه وسلم يصبه من آهنتهم عذاب وهي الكواكب فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يخلف بأمر الله وانزال كلامه عليه وبأشياء مختلفة وما كان يصبه عذاب بل كان كل
يوم أرفع سائنا وأمنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب (الثاني) هو ان
المنظرين اذا وقع بينهما كلام وغلب أحدهما الآخر تمثلية دليلا وأسكنه يقول
المطلوب انك قررت هذا بقوة جدالك وانت خير في نفسك بضعف مقالك وتعلم ان الامر
ليس كما تقول وان أقت عليه صورة دليل وعجزت أنا عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع
بين المناظرين فعند هذا لا يجوز أن يأتي هو بدليل آخر لان الساكت المنقطع يقول في
الدليل الآخر ما قاله في الاول فلا يجرد أمر اليمين فيقول والله اني لست مكابرا وان
الامر على ما ذكرت ولو علمت خلافه رجعت اليه فله هياتعين اليمين فكذلك النبي صلى
الله عليه وسلم لما أقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم وقالوا
لحقوا جاءهم ان هذا الاسحرميين تعين التمسك بالايمان لعدم فائدة الدليل (الثالث)
هو ان هذا ليس مجرد الخلف وانما هو دليل خرج في صورة اليمين لان القرآن معجزة ودليل

كاشهد برسائه عليه
الصلاة والسلام من
حيث نظمه المعجز
المنطوي على بدائع
الحكم يشهد بها من
هذه الحيدة أيضا لما
أن الاقسام بالشيء
استشهادية على تحقق
مضمون الجملة القسمية
وتقوية ثبوتها فيكون
شاهدا به ودليلا عليه
قطعا وقررا تعالى (على
سراط مستقيم) خير
آخر لان أو حال من
المستكن في الجار
والجور على أنه عبارة
عن الشريعة الشريفة
بكالها الا عن التوحيد
فقط وفائده بيان
أن شريعته عليه
الصلاة والسلام أقوم
الشرائع وأعدادها
كأعرب عنه التكبير
التفصيلى والوصف
الريسان أنه عليه
الصلاة والسلام من
جملة المرسلين بالشرائع
(تنزيل العزيز الرحيم
نصب على المدح
وقرئ بالرفع على أنه
خير مبتدأ محذوف
وبالجرح على أنه بدل
كونه منزلا من عند الله

عز وجل كأنه نفس

الكر عيسى العربيين
عن القلبية النامة والرافعة
الجماعة حث على الايمان
به ترهيبا وترغيبا
واسعار بان تزويله ناشئ
عن غاية الرحمة حسبا
انطق به قوله تعالى
وما اردنا لك الا رحمة
للعالمين وقيل انصب
على انه مصدر مؤكدا
لفعله المضمر اى نزل
تزويل العزيز الرحيم
دلى انه استئناف مسوق
ايران ما ذكر من فخامة
شان القرآن وعلى كل
تقدير فنيده فضيل
بأ كيد لمضمون الجملة
القسمية (لتندر) متعلق
بتزويل على الوجوه
الاول وبما له المضمر
على الوجد الاخيراى
لتندر به كافي مصدر
الاعراف وقيل هو
متعلق بما يدل عليه بيان
المرسلين اى انك
مرسل لتندر (قوما
سألتذر آباؤهم) اى
لم يندر آباؤهم الاقربون
لتناول مسدة الفترة
على أن ما نافية فيكون
صفة مبنية نغاية
احتياجهم الى الانذار

كونه مرسل هو المعجزة والقرآن كذلك فان قيل فلم يذكر في صورة الدليل وما
الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليقين فلنا الدليل ان ذكر لا في صورة اليقين قد لا يقبل عليه
سامع فلا يقبله فواده فاذا ابتدئ به على صورة اليقين واليمين لا يقع لاسيما من العظيم
الا على امر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعى على الاصفاء اليه فلصورة اليقين تشرئب
اليه الاجساد ولكونه دليلا شافيا ينشر به انقوائه فيقع في السمع وينفع في القلب
(المسئلة الثانية) كون القرآن حكيمًا عندهم لكون محمد رسولا فلهم ان يقولوا ان هذا
ليس بقسم نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ان كون القرآن معجزة بين ان
أنكروه قبل لهم فأتوا بسورة من مثله (والثاني) ان العاقل لا يشق يمين غيره الا اذا حلف
بما يعتقد عظيما قال الكافر ان حلف بمحمد لا تصدقه كما تصدقه لو حلف بالصليب والصنم ولو
حلف بديننا الحق لا يوثق بمثله ما يوثق لو حلف بدينه الباطل وكان من المعلوم ان النبي صلى
الله عليه وسلم وأصحابه يعظمون القرآن فحلف به هو الذي يوجب ثقته بهم به * وقوله تعالى
(على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أى انك على صراط مستقيم والمستقيم أقرب الطرق
الموصلة الى المقصد والدين كذلك فانه توجه الى الله تعالى وتولى عن غيره والمقصود هو الله
والتوجه الى المقصد أقرب اليه من المولى عنه والتخريف منه ولا يذهب فهم أحد الى ان
قوله انك متهم على صراط مستقيم عبرة عن غيره كما يقال ان محمد امان للناس مخفي لان جميع
المرسلين على صراط مستقيم وانما المقصود بيان كون النبي صلى الله عليه وسلم على الصراط
المستقيم الذى يكون عليه المرسلون وقوله على صراط مستقيم فيه معنى لطيف يعلم منه
فساد قول المباكية الذين يقولون المكلف يصير واصلا الى الحق فلا يبقى عليه تكليف
وذلك من حيث ان الله بين ان المرسلين ماداموا في الدنيا فهم سالكون سالكون مهتدين
مشتهبون الى السبيل المستقيم فكيف ذلك الجاهل العاجز * وقوله تعالى (تزويل
العزيز الرحيم) قرئ بالجر على انه بدل من القرآن كأنه قال والقرآن الحكيم تزويل
العزيز الرحيم الملك المرسلين لتندر وقرئ بالنصب وفيه وجهان (أحدهما) انه مصدر
فعله منوى كأنه قال تزويل العزيز الرحيم لتندر ويكون تفسيره نزل القرآن
أو الكتاب الحكيم (والثاني) انه مفعول فعل منوى كأنه قال والقرآن الحكيم أعنى
تزويل العزيز الرحيم الملك المرسلين لتندرو هذا ما اخبره الزمخشري وقرئ الرفع على
انه خبر مبتدأ منوى كأنه قال هذا تزويل العزيز الرحيم لتندر ويحتمل وجها آخر على
هذه القراءة وهو أن يكون مبتدأ خبره لتندر كأنه قال تزويل العزيز الانذار وقوله
العزيز الرحيم اشارة الى أن الملك اذا أرسل رسولا فالمرسل اليهم اما أن يخافوا المرسل
ويهابوا المرسل وحينئذ لا يقدر الملك على الانتقام منهم الا اذا كان عزيزا أو يخافوا
المرسل ويكرهوا المرسل وحينئذ يرحمهم الملك أو تقول المرسل يكون معه في رسالته منع
عن أشياء واطلاق لأشياء فالمنع يؤكد المرة والاطلاق يدل على الرحمة * وقوله تعالى

أوالذى اندره أو شيئا أنذره آباؤهم اليعدون على أنها موصولة أو موصوفة فيكون مفعولا تابيا ﴿ لتندر ﴾
لتندر أو انذار آباؤهم القدمين

على أنها مصدرية فيكون تعال مصدر * 61 * مؤكداً أي لتذير انذاراً كأنما مثل انذارهم (فهم غافلون)

ر انذارهم فوما انذاراً أبواؤهم فهم غافلون) قد تقدم تفسيره في قوله لتذير قوماً ما أتاهم من
تذير من قبلك وقبل المراد الآيات وهو على وجهين (أحدهما) لتذير قوماً انذاراً أبواؤهم
فتكون ما مصدرية (الثاني) ان تكون موصولة معناه لتذير قوماً الذين انذاراً أبواؤهم فهم
غافلون فعلى قولنا ما نافية تفسيره ظاهر فان لم يندر أبواؤهم بعد الانذار عنه فهو يكون
غافلاً وعلى قولنا هي الآيات كذلك لان معناه لتذيرهم انذاراً أبواؤهم فانهم غافلون وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) كيف يفهم التفسيرين وأحدهما يقتضى أن لا يكون أبواؤهم
مندرين ، الآخر يقتضى أن يكونوا مندريين وبينهما تضاد نقول على قولنا ما نافية
معناه ما انذاراً أبواؤهم وانذاراً أبائهم الاولين لا الثاني أن يكون المتقدمون من أبائهم مندريين
والآخرون منهم غير مندريين (المسئلة الثانية) قوله لتذير قوماً ما انذاراً أبواؤهم يقتضى
ان لا يكون النبي صلى الله عليه وسلم ما موراً بانذار اليهود لان أبائهم انذاروا نقول ليس
كذلك اما على قولنا ما نافية الآيات فظاهر وأما على قولنا هي نافية فكذلك وقد بينا
ذلك في قوله تعالى بل هو الحق من ربك لتذير قوماً ما أتاهم من تذير من قبلك وقولنا ان
المراد أن أبائهم قد انذاروا بعد صلواتهم وبعذارسال من تقدم فان الله اذا أرسل رسولا فإنا
دام في القوم من بين دين ذلك النبي وبأسرته لا يرسل الرسول في أكثر الأمر فاذا لم يبق
فيهم من بين ويضل الكل ويتابع العهد ويفشو الكفر بعث رسولا آخر مقرر الدين
من كان قبله أو واضعاً شرع آخر فعلى قوله تعالى لتذير قوماً ما انذاراً أبواؤهم أي ما انذاروا
بعذارسال عن طريق الرسول المتقدم واليهود والتصاري دخلوا فبعد لانهم لم تذير أبواؤهم
الادنيون بعد ما ضاؤوا فهذا دليل على كون النبي صلى الله عليه وسلم موثاباً لخلق الى الخلق
كافة (المسئلة الثالثة) قوله فهم غافلون دليل على أن البعثة لا تكون الا عند الغفلة اما
ان حصل ايهام العلم بما أنزل الله بان يكون منهم من يلغهم شريعة ويخالفونه فحق عليهم
الهلاك ولا يكون ذلك تعدياً من قبل أن يبعث الله رسولا وكذلك من خالف الامور التي
لا تنفق الى بيان الرسل يستحق الاهلاك من غير بعثه وليس هذا قولاً بذهب المعتزلة من
التحسين والتفويض العتلي بل معناه ان الله تعالى لو خلق في قوم علماً بوجوب الاشياء
وتركوا لا يكونون غافلين فلا يتوقف تعذيبهم على بعثة الرسل * ثم قال تعالى (لقد حق
القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) لما بين أن الارسال أو الانزال للانذار أشار الى أن
النبي صلى الله عليه وسلم ليس عليه الهداية المستلزمة للاهداء وانما عليه الانذار وقد
لا يؤمن من المندرين كثير وفي قوله تعالى لقد حق القول وجوه (الاول) وهو المشهور ان
المراد من القول هو قوله تعالى حق القول مني لأملأن جهنم منك ومن تبعك (الثاني)
هو أن معناه قد سبق في علمه ان هذا يؤمن وان هذا لا يؤمن فقال في حق البعض انه
لا يؤمن وقال في حق غيره انه يؤمن فحق القول أي وجد وثبت بحيث لا يبدل بغيره
(الثالث) هو أن يقال المراد منه لقد حق القول الذي قاله الله على لسان الرسل من

على الوجه الاول
متعلق بقى الانذار
مترتب عليه والضمير
للمندرين أي لم تذير
أبواؤهم فهم جميعاً لاجله
غافلون وعلى الوجوه
الباقية متعلق بقوله
تعالى لتذير قوماً ما
انذاراً أبواؤهم
انك لمن المرسلين وارد
لتعليل انذاره عليه
اسلاماً أو ارساله
بغفلتهم المحوجة اليها
على أن الضمير القوم
خاصة فالعنى فهم
غافلون عند أي عما انذار
أبواؤهم الاقدمون لا امتداد
المدّة واللام في قوله
تعالى (لقد حق القول
على أكثرهم) جواب
التسليم أي والله لقد ثبت
وتحقق عليهم البينة
لكن لا بطريق الجبر
من غير أن يكون من قبلهم
ما يقتضيه بل بسبب
اصرارهم الاختياري
على التكفر والانكار
وعدم اثرهم من التذكير
والانذار وغلوهم في
التعصّب والطغيان وتناديهم
في اتباع خطوات
الشيطان بحيث لا يؤمن
بشارف ولا ينهم عاطف

كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لا يلبس عند قوله لا يؤمنون اجمعين لانه ان جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله

تعالى لاملأنا جهم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على ﴿ ٦٢ ﴾ الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم

بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك لتعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم بأكثرهم انما هو لكونهم من جملة أولئك المصيرين على تسمية ابريس ابدأوا ذنوبهم ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم استمرارهم على الكفر الى الموت ظهر أن قوله تعالى (فهم لا يؤمنون) متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى (انما جعلنا في اعناقهم اغلالا) تقرير لتعصيمهم على الكفر وعدم ارتعابهم عنه بتبديل حالهم بحال الدين غلت اعناقهم (فهمى الى الاذقان) أى فالاغلال متجهة الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يباطلون رؤسهم له (فهم مقمعون) رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يرون الحق أو ينظرون وجهه (وجعلنا رؤسهم ايديهم سدا ومن بين

التوحيد وغيره وبان برهانه فأكثرهم لا يؤمنون بعد ذلك لان من توقف لاستماع الدليل في مهلة النظر يرجى منه الايمان اذا بان له البرهان فاذا تحقق وأكديا لايمان ولم يؤمن أكثرهم فأكثرهم تبين انهم لا يؤمنون لضي وقت رجاء الايمان ولا نهم للملأنا يؤمنوا عند ماحق القول واستروافان كانوا يريدون شيئا أو ضح من البرهان فهو العيان وعند العيان لا يفيد الايمان وقوله على أكثرهم على هذا الوجه معناه أن من لم تبلغه الدعوة والبرهان قليلا فحق القول على أكثر من لم يوجد منه الايمان وعلى الاول والثاني ظاهر فإن أكثر الكفار ماتوا على الكفر ولم يؤمنوا (وفيه وجه رابع) وهو أن يقال لقد حقت كلمة العذاب العاجل على أكثرهم فهم لا يؤمنون وهو قريب من الاول ثم قال تعالى (انما جعلنا في اعناقهم اغلالا فهمى الى الاذقان فهم مقمعون) لما بين انهم لا يؤمنون تبين أن ذلك من الله فقال انما جعلنا وقد وجوه (أحدها) أن المراد انما جعلناهم مسككين لا يفتقون في سبيل الله كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك (والثاني) أن الآية نزلت في ابي جهل وصاحبه المخزوميين حيث حلف أبو جهل انه يرضخ رأس محمد فرأه ساجدا وأخذ صخرة ورفعها ليرسلها على رأسه فالتزقت بيده ويده بعنقه (والثالث) وهو الاقوى وأشد مناسبة لما تقدم وهو ان ذلك كناية عن منع الله ايهم عن الاهتداء وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هل للوجهين الاولين مناسبة مع ما تقدم من الكلام يقول الوجه الاول له مناسبة وهي ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون يدخل في انهم لا يصلون كما قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم عند بعض المفسرين وانزكاة مناسبة للصلاة على ما بينا فكأنه قال لا يصلون ولا يزكون وأما على الوجه الثاني فناسبة خفية وهي انه لما قال قد حقت القول على أكثرهم وذكرنا أن المراد به البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا وابعصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزقت يده بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو يضطر الى الايمان ولم يؤمن من علم انه لا يؤمن أصلا والتفسير هو الوجه الثالث (المسئلة الثانية) قوله فهمى راجعة الى ماذا تقول فيها وجهان (أحدهما) انها راجعة الى الايدي وان كانت غير مذكورة ولكنها معلومة لان المغلول تكون ايديه مجموعة في الغل الى عنقه (وثانيهما) وهو ما اختاره الزمخشري انها راجعة الى الاغلال معناه انما جعلنا في اعناقهم اغلالا تغلالا غلالا بحيث تباغ الى الاذقان فلم يمكن المغلول معهم ان يبطأ طي رأسه (المسئلة الثالثة) كيف يفهم من الغل في العنق المنع من الايمان حتى يجعل كناية فنقول المغلول الذي بلغ الغل ذقنه وبقي مقمحا رافع الرأس لا يبصر الطريق الذي عند قدمه وذكر بعده ان بين يديه سدا ومن خلقه سدا فهم لا يقدر على انتهاج السبيل ورؤيته وقد ذكر من قبل أن المرسل على صراط مستقيم فهذا الذي يهديه النبي الى الصراط المستقيم العقلي جعل ممنوعا كالمغلول الذي يجعل ممنوعا من ابصار الطريق الحسي ويحتمل وجه آخر وهو ان يقال الاغلال في الاعتناق عبارة عن عدم الانتقاد فان المنقاد

يقال

خلق سدا فاعشيناهم فهم لا يبصرون

امانة للتشيل وتكميله اى ﴿ ٦٣ ﴾ تكميل اى وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن

يقال فيدانه وضع رأسه على الخط وخضع عنقه والذي في رقبته الغل التخين الى الذفن لا يبطأ على رأسه ولا يحركه تحريك المصدق ويصدق هذا قوله مقصود فان المقصود هو الرفع رأسه كالتأني يقال بعير قاصح اذا رفع رأسه فلم يشرب الماء ولم يبطأ طئه للشرب والايان كالماء الزلال الذي به الحياة وكأنه تعالى قال انا جعلنا في اصنافهم اغلا لا فهم مقصودون لا يخضعون الرقاب لامر الله وعلى هذا فقوله تعالى (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشىناهم فهم لا يبصرون) يكون ممتعا ليعنى جعل الله اباهم مغلولين لان قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا اشارة الى انهم لا يشعرون سبيل الرشاد فكانه قال لا يبصرون الحق فينقادون له لكان السد ولا ينقادون لك فيبصرون الحق فينقادون له لكان الغل والايان المورث للايقان اما اتباع الرسول اولا فتلوح له الحقائق ثانيا واما بظهور الامور اولا واتباع الرسول ثانيا ولا يتبعون الرسول اولا لانهم مغلولون فلا يظهرون لهم الحق من الرسول ثانيا ولا يظهرون لهم الحق اولا لانهم واقعون في السد فلا يتبعون الرسول ثانيا (وفيد وجه آخر) وهو ان يقال المانع اما ان يكون في النفس واما ان يكون خارجا عنها اولهم المانعان جميعا من الايمان اما في النفس فاعل واما من الخارج فالسد ولا يقع نظرهم على انفسهم فيرون الآيات التي في انفسهم كما قال تعالى سترهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وذلك لان المقصود لا يرى نفسه ولا يقع بصره على يديه ولا يقع نظرهم على الآفاق لان من بين السدين لا يبصرون الآفاق فلا يتبين لهم الآيات التي في الآفاق وعلى هذا فقوله انا جعلنا في اصنافهم وجعلنا من بين ايديهم اشارة الى عدم هدايتهم لآيات الله في الانفس والآفاق وفي تفسير قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا مسائل (المسئلة الاولى) السد من بين الايدي ذكره ظاهر الفائدة فانهم في الدنيا سالكون وينبغي ان يسلكوا الطريقة المستقيمة ومن بين ايديهم سدا فلا يقدر على السلوك واما السد من خلفهم فالفائدة فيه فنقول الجواب عنه من وجوه (الاول) هو ان الانسان له هداية فطرية والكافر قد يتركها وهداية فطرية والكافر ما أدركها فكانه تعالى يقول جعلنا من بين ايديهم سدا فلا يسلكون طريقة الهداء التي هي نظرية وجعلنا من خلفهم سدا فلا يرجعون الى الهداية الجبلية التي هي الفطرية (الثاني) هو ان الانسان مبدوء من الله ومصيره اليه فعمى الكافر لا يبصر ما بين يديه من المصير الى الله ولا ما خلفه من الدخول في الوجود بخلق الله (الثالث) هو ان السالك اذا لم يكن له يد من سلوك طريق فان انسده الطريق الذي قد امده يقوته المقصد ولكنه يرجع واذا انسده الطريق من خلفه ومن قد امده فالوضع الذي هو فيه لا يكون موضع اقامة لانه مهلك فقوله وجعلنا من بين ايديهم ومن خلفهم اشارة الى اهلاكهم (المسئلة الثانية) قوله تعالى فاغشىناهم بحرف الغاء يقتضى ان يكون للاغشاء بالسد تعلق وبتكون الاغشاء مرتب على جعل السد فكيف ذلك فنقول ذلك من وجهين (أحدهما) ان يكون

ورأهم سدا كذلك
فقطيناهما ابصارهم
فهم بسبب ذلك لا يقدر
على ابصار شئ ما
أصلا واما تشيل مستقل
فان ما ذكر من جعلهم
محصورين بين سدين
هائلين قد غطيا
ابصارهم بحيث لا يبصرون
شئنا قطعا كافي في
الكشف عن كمال فطاعة
حالههم وكونهم محبوسين
في مصورة الغي والجهالات
محرورين عن النظر في
الادلة والآيات وقرى
سدا بالضم وهي لغة
فيه وقيل ما كان من
عمل الناس فهو ياتح
وما كان من خلق الله
فياضم وقرى داعشينا
من العشا وقيل الآيات
في بني مخزوم وذلك ان
أبا جهل حلف ان
رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي ليرضخن
رأسه فأتاه وهو عليه
الصلاة والسلام يصلي
ومعه حجر ليدمغه فلما
رفع يده انذرت يده الى
عقه ولزق الحجر بيده
حتى فكوه عنها بجمد
فرجع الى قومه فأخبرهم
ذلك فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره (وسواء عليهم

أأذرتهم أم لم تذرتهم) بيان لشأنهم بطريق التصريح اربانه * ٦٤ * بطريق التمثيل أى مستوعدهم

ذلك بيان الامور مرتبة يكون بعضها سبباً لبعض فكأنه تعالى قال انا جعلنا في أعناقهم
أغلالاً فلا يبصرون أنفسهم لاقاحهم وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فلا
يبصرون ما في الآفاق وحينئذ يمكن أن يروا السماء وما على يسيرهم وشمالهم فقال بعد
هذا كله وجعلنا على أبصارهم غشاوة فلا يبصرون شيئاً أصلاً (وثانيهما) هو ان ذلك
بيان لكون السد قرياً منهم بحيث يبصرون ذلك كالعشاوة على أبصارهم فان من جعل من خلفه
ومن قدامه سدين ملتزمين به بحيث يبق بينهما ملتزماً حتى عيشه على سطح السد فلا
يبصرون شيئاً اما غير السد فللمحاجب واما عين السد فلكون شرط المرئى أن لا يكون قريباً
من العين جداً (المسئلة الثالثة) ذكر السدين من بين الايدي ومن خلف ولم يذكر من اليمين
والشمال ما الحكمة فيه فنقول اما على قولنا انه اشارة الى الهداية القطرية والنظرية
فظاهر واما على غير ذلك فنقول بما ذكر حصل العموم والمنع من اتهاج المناهج المستقيمة
لانهم ان قسدوا السلوك الى جانب اليمين أو جانب الشمال صاروا متوجهين الى شئ
ومولين عن شئ فصار ما اليد توجههم ما بين أيديهم فيجعل الله السد هناك فيمنعه من
السلوك فكيف ما توجه الكافر يجعل الله بين يديه سداً (ووجه آخر) أحسن مما ذكرنا
وهو انما لما بينا ان جعل السد صار سبباً لاغشاء كان السد ملتزماً به وهو ملتزم بالسدين
فلا قدرة له على الحركة ينة ولا يسرة فلا حاجة الى السد عن اليمين وعن الشمال وقوله تعالى
فأغشيناهم فهم لا يبصرون يحتمل ما ذكرناهم لا يبصرون شيئاً ويحتمل ان يكون المراد
هو ان الكافر مصدود وسبيل الحق عليه مسدود وهو لا يبصر السد ولا يعلم الصد فيظن
انه على الطريقة المستقيمة وغيره ضال ثم انه تعالى بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم
من الغل والسد والاعشاء والاعماء بقوله تعالى (و سواهم عليهم أذرتهم أم لم تذرتهم
لا يؤمنون) أى الانذار وعدمه بيان بالنسبة الى الايمان منهم اذ لا وجود له منهم على
التقديرين فان قيل اذا كان الانذار وعدمه سواء فلماذا الانذار فنقول قد أجبت في غير
هذا الموضوع انه تعالى قال سواء عليهم وما قال سواهم عليك فالانذار بالنسبة الى النبي صلى الله
عليه وسلم ليس بعدم الانذار لان أحدهما مخرج له عن العهدة وسبب في زيادة سيادته
عاجلاً وسعادته آجلاً وأما بالنسبة اليهم على السواء فانذار النبي صلى الله عليه وسلم يخرج
عما عليه وينال ثواب الانذار وان لم ينفعوا به لما كتب عليهم من البوار في دار القرار ثم
قال تعالى (انما تنذروا من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بعفوة وأجر كريم)
والترتيب ظاهر وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) قال من قبل لتذرتهم وذلك يقتضى
الانذار العام على ما بينا وقال انما تنذروا وهو يقتضى التخصيص فكيف الجمع بينهما فنقول
من وجوه (الاول) هو ان قوله لتذرتهم أى كيف ما كان سواء كان مفيداً أو لم يكن وقوله
انما تنذروا أى الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة الى من ينبغى الذكر ويخشى (الثاني) هو
ان الله تعالى لما قال ان الارسل والانزال للانذار وذكر ان الانذار وعدمه سبباً بالنسبة

انذارك ايهم وعدمه
حسباً من تحقيقه في
سورة البقرة وقوله تعالى
(لا يؤمنون) استئناف
مؤكداً لما قبله مبين لما
فيه من اجمال ما فيه
الاستواء أو طول مؤكداً
له أو بدل منه ولما بين
كون الانذار عندهم
كعدمه عقب بيان من
يتأثر منه فقيل (انما تنذروا)
أى انذاراً مستتبعا لآخر
(من اتبع الذكر) أى
القرآن بالتأمل فيه أو
الوعظ ولم يصر على
اتباع خطوات الشيطان
(وخشى الرحمن بالغيب)
أى خاف عقابه وهو
غائب عند على أمكان
من الفاعل أو المفعول
أو خافه في سريره
والمعنى تبرير حقه فانه
مستقم قهار كما أنه رحيم
شفار كما نطق به قوله
تعالى نبي عبادى انا
الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم (فبشره
بعفوة) عظيمة (واجر
كريم) لا يقدر قدره
والفاء لترتيب البشارة أو
الامر بها على ما قبلها من
اتباع الذكر والخشية

الى أهل العناد قال نبيه ليس انذارك غير مفيد من جم الوجوه فأندرك على سبيل العموم
وانما تنذر بذلك الانذار العام من يتبع الذكر كأنه يقول يا محمد انك بانذارك تهدي
ولاندرى من تهدي فأندرك الاسود والاحمر ومقصودك من يتبع انذارك ويتقنع بذكرارك
(الثالث) هوان نقول قوله لتندرك أى أو لا فاذا أندرت و بانعت و بانعت واستهزأ البعض
وتولى واستكبروا ولى فأعرض بعد ذلك فانما تنذر الدين اتبعوك (الرابع) وهو قريب من
الثالث انك تنذر الكل بالاصول وانما تنذر بالفروع من ترك الصلاة والزكاة من اتبع
الذكر وآمن (المسئلة اشائية) قوله من اتبع الذكر يحتمل وجوها (الاول) وهو المشهور
من اتبع القرآن (الثاني) من اتبع ما فى القرآن من الآيات ويدل عليه قوله تعالى
والقرآن ذى الذكر فاجعل القرآن نفس الذكر (الثالث) من اتبع البرهان فانه ذكر
يكمل الفطرة وعلى كل وجوه فعناد انما تنذر العلماء الذين يخشون وهو كقوله تعالى انما
يشئى الله من عباده العلماء وكقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات فقوله اتبع
الذكر أى آمن وقوله وخشى الرحمن أى عمل صالحا وهذا الوجه يتأيد بقوله فبشره
بمغفرة وأجر كريم لانا ذكرنا مرارا أن الغفران جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور والاجر
الكريم جزاء العمل كما قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق
كريم وتفسير الذكر بالقرآن يتأيد بتعريف الذكر بالالف واللام وقد تقدم ذكر القرآن
في قوله تعالى والقرآن الحكيم وقوله وخشى الرحمن فيه لطيفة وهى أن الرحمة تورث
الاتكال والرجاء فقال مع أنه رحمن رحيم فالعاقل لا ينبغي أن يتكلم الخسيفة فان كل من
كانت نعمته بسبب رحمة أكثر فالخوف منه أتم مخافة أن يقطع عند النعم المتواترة
وتكلمة اللطيفة هى ان من اسما الله اسمين يخصان به هما الله والرحمن كما قال تعالى
قل ادعوا لله أو ادعوا للرحمن حتى قال بعض الأئمة هما علمان اذا عرفت هذا فالله اسم
ينبئ عن الهيبة والرحمن ينبئ عن العاطفة فقال في موضع رجوا لله وقال ههنا وخشى
الرحمن يعنى مع كونه ذاهبية لا تقطعوا عنه رجاءكم ومع كونه ذارحة لا تأمنوه وقوله
بالغيب يعنى بالدليل وان لم يمتد الى درجة المرتى المشاهد فان عند الانتهاء الى تلك الدرجة
لا يبقى للخسيفة فائدة والمشهور ان المراد بالغيب ما غاب عنا وهو أحوال القيا وقيل
ان الوجدانية تدخل فيه وقوله فبشره فيه اشارة الى الامر الثاني من انما
فان النبي صلى الله عليه وسلم بشير ونذير وقد ذكر أنه أرسل لينذروا ان الانذار يسفح
عند اتباع الذكرك فقال بشر كما اندرت ونفعت وقوله بمغفرة على التكبير أى بمغفرة واسعة
تستر من جميع الجوانب حتى لا يرى عليه أثر من آثار انفس ويظهر عليه أنوار الروح
الزكية وأجر كريم أى ذى كرم وقد ذكرنا فى الذكر فى قوله ورزق كريم وفى قوله ورزقا
كريما قال تعالى (انما نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ احصيناه فى
امام مبین) فى الترتيب وجوه (أحدها) ان الله تعالى لما بين الرسالة وهو أصل من الاصول

ماتهم وعن الحسن
احياوهم اخرجهم
من الشرك الى الايمان
فهو حينئذ عدة كريمة
بتحقيق البشر به
(ونكتب ما قدموا)
أى ما سلفوا من الاعمال
انصاحا وغيرها
(وآثارهم) التى أتوها
من الحسنات كعلم علومه
أو كتب ألقوا أو حبس
وقفوا أو بناء بؤس
المساجد والباطات
والشائط وغير ذلك من
رجوه البر ومن السيئات
كنايس قوائين الظلم
والعدوان وترتيب مبادئ
الشمر وانفساد فيما بين
العباد وغير ذلك من فروع
السرور التى أحدثوها
وسنوها لمن بعدهم من
المفسدين وقيل هى آثار
المشائين الى المساجد ولعل
المراد أنها من جملة
الآثار وقوى ويكتب
على البناء للمفعول ورفع
آثارهم (وكل شئ) من
الاشياء كأنها ما كان
(أحصيناه فى امام مبین)
أصل عظيم الشأن مظهر
لجميع الاشياء مما كان وما
سيكون وهو الروح المحفوظ
ومعى كل شئ بالرفع (واضرب انهم

مثلا أصحاب القرية) صرب المثل يستعمل تارة * ٦٦ * في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كافي قوله

تعالى ضرب الله مثلا
للذين كفروا أمر أئمة
وأمرأة لوط وأخرى
في ذكر حالة غريبة
ويأنها للناس من غير
قصد الى تطبيقها
بنظيرة لها كافي قوله
تعالى وضربناكم الامثال
على أحد الوجهين اي
بيننا لكم أحوال الابدية
هي في القرية كالامثال
قاله على الاول جعل
أصحاب القرية أهولا في
الطوفى الكفر والاصرار
على تكذيب الرسل
اي طبق حالهم بحالهم
على أن مثلا مفعول ثان
لاضرب وأصحاب القرية
مفعول الاول أخر عنه
ليصل به ما هو مفسر
وبيانه وعلى الثاني اذكر
وبين لهم قصة هي في
القرية كالمثل وقوله
تعالى أصحاب القرية
بدل منه بتقدير المضاف
أويان له واقرب انطاكية
(اذجه ها المرسلون) بدل
اشتمال من أصحاب القرية
وهم رسل عيسى عليه
السلام الى أهلها ونسبة
ارسالهم اليه تعالى في قوله
(اذ أرسلنا إليهم اثنين)

الثلاثة التي يصير بها المكلف مؤمنا مسلما ذكر أصلا آخر وهو الحشر (وثانيها) وهو
أن الله تعالى لما ذكر الانذار والبشارة بقوله فيشره بعبارة ولم يظهر ذلك بكما له في الدنيا فقال
انما ربي في الدنيا والله يحيى الموتى ويجزي المنذرين ويجزي المبشرين (وثالثها) أنه تعالى
لما ذكر خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكد وهو احياء الموتى وفي التفسير مسائل
(المسئلة الاولى) اننا نحن بحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدا وخبرا كقول القائل
* أنا أبو العجم وشعري شعري * ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة وذلك لان من
لا يعرف يقال من انت فيقول انا ابن فلان فيعرف ومن يكون مشهورا اذا قيل له من
انت يقول أنا أي لا يعرف لي أظهر من نفسي فقال اننا نحن معروفون باوصاف الكمال
واذا عرفنا بانفسنا فلا تنكر قدرتنا على احياء الموتى (وثانيهما) أن يكون الخبر نحيي
كأنه قال اننا نحى الموتى ونحن يكون تأكيذا والاو اولى (المسئلة الثانية) اننا نحن فيه
اشارة الى التوحيد لان الاشتراك يوجب التمييز بغير النفس فان زيدا اذا شارك غيره في
الاسم فلو قال انا زيد لم يحصل التعريف التام لان السامع أن يقول أيما زيد فيقول ابن عمرو
واو كان هنالك زيدا آخر ابوه عمرو لا يكفي قوله ابن عمرو فلما قال الله اننا نحن أي ليس غيرنا
أحد يشار كنا حتى نقول انا كذا فنماز وحينئذ تصير الاصول الثلاثة مذكورة الرسالة
والتوحيد والحشر (المسئلة الثالثة) قوله ونكتب ما قدموا فيه وجوه (أحدهما) المراد
ما قدموا وأخروا فاكتفى بذكر أحدهما كافي قوله تعالى الى سرايل تقيمكم الحرو والمراد بالبرد
أيضا (وثانيها) المعنى ما أسلفوا من الاعمال صالحة كانت أو فاسدة وهو كما قال
تعالى بما قدمت أيديهم أي بما قدمت في الوجود على غيره أوجدته (وثالثها) نكتب
نياتهم فانها قبل الاعمال وآثارهم أي أعمالهم على هذا الوجه (المسئلة الرابعة) وآثارهم
في وجوه (الاول) آثارهم أقدامهم فان جماعة من أصحابه بعدت دورهم عن المساجد
فأرادوا التثلة فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكتب خطواتكم ويثيبكم عليه فالزموا
بيوتكم (الثاني) هي السنن الحسننة كالكتب المصنفة واقفا طر المبنية والحلباس
الندارة والسنن السيئة كالظلمات المستمرة التي وضعها ظالم والكتب المضلة وآلات
الملاهي وأدوات المناهي المعمولة الباقية وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن
سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجر العامل شيء ومن سن سنة
سيئة فعليه وزرها ووزن عمل بها فسا قد موا هو أفعالهم وآثارهم افعال الشاكرين
فيشرهم حيث يؤخذون بها ويؤجرون عليها (والثالث) ما ذكرنا ان الآثار الاعمال
وما قدموا اثبات فان النية قبل العمل (المسئلة الخامسة) الكتابة قبل احياء فكيف
أشرفي الذكر حيث قال نحيي ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم نقول الكتابة
معظمة لامر الاحياء لان الاحياء ان لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة في نفسها ان لم تكن
احياء واعادة لا يبقى لها أثر أصلا فالاحياء هو المعبر والكتابة مؤكدة معظمة لامر

* فلماذا *

بنا على أنه كان بأمره تعالى لتكميل التمثيل وتعميم التسلية

وهما يختاو بولس وقل غيرهما ﴿ ٦٧ ﴾ (فكذبوهما) أي فأتياهم فدعواهم إلى الحق فكذبوهما في الرسالة

فلهذا قدم الاحياء ولانه تعالى لما قال انما نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت والاحياء
عظيم بخص الله والكتابة دونه فقرن بالاعتريف الامر العظيم وذكر ما عظم ذلك العظيم
وقوله وكل شيء اخصيناه في امام مبین يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون ذلك بيانا
لكون ما قدموا وآثارهم امر امكتوا باعلبهم لا يدل فان الفلم جف بما هو كان فلما قال
نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة أخرى فن الله كتب عليهم أنهم سيؤمنون كذا
وكذا ثم اذا فعلوه كتب عليهم انهم فعلوه (وثانيها) أن يكون ذلك مؤكدا المعنى قوله
ونكتب لان من يكتب شيئا في أوراق ويرميها فلا يجدها فكأنه لم يكتب فقال نكتب
ونحفظ ذلك في امام مبین وهذا كقوله تعالى عليها عذري في في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى
(وثالثها) أن يكون ذلك تعميما بعد التخصيص كأنه تعالى يكتب ما قدموا وآثارهم
وليست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شيء محصى في امام مبین وهذا يفيد أن شيا من
الاقوال والافعال لا يعزب عن علم الله ولا يفوته وهذا كقوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر
وكل صغير وكبير مستنظر بمعنى ايسر افي الزبر فمختصرا فيما اعلوه بل كل شيء فعلوه مكتوب
وقواما اخصيناه ابلغ من كتيبناه لان من كتب شيئا مفرقا يحتاج الى جمع عدده فقال هو
محصى فيه وسمى الكتاب اماما لان الملائكة يتبعونه فما كتب فيه من أجل ورزق واحياء
واما تاتبعوه وقيل هو اللوح المحفوظ وامام جاء جمعا في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس
بامامهم أي بأئمتهم وحينئذ فامام اذا كان فردا فهو ككتاب وحجاب واذا كان جمعا فهو
كتاب وحبال والمبين هو المظهر للامور لكونه مظهر للملائكة ما يبعثون والناس
ما يبعثون وهو النارق يفرق بين احوال الخلق فيجعل فر يقافي الجنة و فر يقافي السعير
ثم قال تعالى (واضرب لهم مثلا اصحاب القرية انجاها المرسلون) وفيه وجهان
والترتيب ظاهر على الوجهين (الوجه الاول) هو أن يكون المعنى واضرب لاجلهم مثلا
(والثاني) أن يكون المعنى واضرب لاجل نفسك اصحاب القرية لهم مثلا أي مثابهم عند
نفسك باصحاب القرية وعلى الاول نقول لما قال الله انك لمن المرسلين وقال لتذرع قال
قل لهم ما كنت بدعنا من الرسل بل قل لي بقليل جاء اصحاب القرية بدمر سلون وأنذروهم بما
انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة و بشروا بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني
نقول لما قال الله تعالى ان الانذار لا ينفع من أضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال للنبي
عليه الصلاة والسلام فلا تأس واضرب لنفسك واقومك مثلا أي مثل لهم عند نفسك
مثلا حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على القتل والايذاء وأنت جنتهم
واحد واقومك أكثر من قوم الثلاثة فانهم جاؤا قرية وأنت بعثت الى العالم وفي التفسير
مسائل (المسئلة الاولى) ما معنى قول القائل ضرب مثلا وقوله تعالى واضرب مع أن
الضرب في اللغة اما اساس جسم جسم بعنف واما السبر اذا قرن به حرف في كقوله
تعالى اذا ضرب يتم في الارض نقول قوله ضرب مثلا معناه مثل مثلا وذلك لان الضرب

(فعرزنا) أي قويننا
يقال عزز المضرا الارض
ذال دعا وقرى بالتحفيف
من عزه اذا غلبه وقهره
وحذف المفعول لدلالة
ما قبله عليه ولان
المقصد ذكر المعزز به
(بثالث) هو شعون
(فقالوا) أي جميعا
(انا انكم مرسلون)
مؤكدين كلامهم
لسبق الانكار لما ان
تكذب بهما تكذب
لثالث لا تحساد كلامهم
وذلك أنهم كانوا عبدة
أصنام فأرسل اليهم
عيسى عليه السلام
الذين فافقوا من المدينة
رأيا شيخا يرعى غنمها
له وهو حبيب النجار
صاحب إس فسألهما
فاخبراه قال أمعك آية
فقال انشني المريض
ونبري الاكبه والابرص
وكان له ولد مريض
مئذنين فسحاه فقام
فآمن حبيب وفشا
الخبوشني على أيديهما
خلق وبلغ حديثهما
الى الملك وقال لهما
أنا له سوى آهتنا
قالنم من أوجسدك
وأهنتك فقال حتى أنظر في أمر كما فتبعهما الناس وقيل ضرب بوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شعون
فدخل متكرا وناشر حاشية الملك

حتى استأنسوا به ووقفوا خبره الى الملك فأنس به فقال له يوما بلغني ﴿ ٦٨ ﴾ أنك حبست رجلين فهل سمعت

اسم النوع يقال هذه الاشياء من ضرب واحد أي اجعل ههنا وذلك من ضرب واحد
(المسئلة الثانية) أصحاب القرية معناه واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية فتترك المثل
وأقيم الاصحاب مقامه في الاعراب كقوله واسأل القرية هذا قول الزمخشري في الكشف
ويحتمل أن يقال لاجابة الى الاضمار بل المعنى اجعل أصحاب القرية لهم مثلا أو مثل
أصحاب القرية بهم (المسئلة الثالثة) اذ جاءها المرسلون اذ منصوب لانها بدل من أصحاب
القرية كأنه قال تعالى واضرب لهم وقت محجي المرسلين ومثل ذلك الوقت بوقت محييتك
وهذا أيضا قول الزمخشري وعلى قوائنا ان هذا المثل مضروب لنفس محمد صلى الله عليه
وسلم تسلية فيحتمل أن يقال اذ ظرف منصوب بقوله اضرب أي اجعل الضرب كأنه
حين محييتهم وواقع فيد والقرية انطاكية والمرسلون من قوم عيسى وهم أقرب مرسل
أرسل الى قوم الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة كإبين الله تعالى وقوله اذ أرسلنا
يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون اذ أرسلنا بدلا من اذ جاءها كأنه قال اضرب لهم مثلا
اذ أرسلنا الى أصحاب القرية اثنين (وثانيهما) وهو الاصح الاوضح أن يكون اذ ظرفا
والفعل الواقع فيه جاءها أي جاءها المرسلون حين أرسلناهم اليهم أي لم يكن محييتهم من
تلقاء أنفسهم وانما جاءوهم حيث أمروا وهذا فيه لطيفة وهي ان في الحكاية ان الرسل كانوا
مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام أرسلهم الى انطاكية فقال تعالى ارسلنا عيسى
عليه السلام هو ارسلنا ورسول رسول الله باذن الله رسول الله فلا يعقل ان يا محمد أن أو أنك
كانوا رسل الرسول وأنارسل الله فان تكذيبهم كتكذيبك فتم التسلية بقوله اذ أرسلنا
وهذا يؤيد مسئلة فقهية وهي أن وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل لا وكيل الوكيل
حتى لا يعزل بعزل الوكيل اياه ويعزل اذا عزله الموكل الاول وهذا على قوائنا واضرب لهم
مثلا ضرب المثل لاجل محمد صلى الله عليه وسلم ظاهر ﴿ وقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين
فكذبوهما ﴾ في بعث الاثنين حكمة بالغة وهي انهما كانا مبعوثين من جهة عيسى باذن
الله فكان عليهما انتهاء الامر الى عيسى والايان بما أمر الله والله عالم بكل شيء لا يحتاج
الى شاهد يشهد عنده وأما عيسى فهو بشر فأمره الله بإرسال اثنين ليكون قولهما على
قورهما عند عيسى حجة تامة ﴿ وقوله (فعرزنا بثالث) أي قورينا وقري فعرزنا بثالث
مخففا من عز اذا غلب فكأنه قال فعلينا نحن وقهرنا بثالث والاول أظهر وأشهر وترك
المفعول حيث لم يقل فعرزناهما لمعنى اضعف وهو أن المقصود من بعثهما نصره الحق
لانصرتهما والكل مفعول للدين المتين بالبرهان المبين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) النبي
صلى الله عليه وسلم بعث رسله الى الاطراف واكتفى بواحد وعيسى عليه السلام بعث
اثنين نقول النبي بعث لتقرير القروع وهو دون الاصول فاكتفى بواحد فان خبر الواحد
في القروع مقبول وأماهما فبعثنا بالاصول وجعل لهما معجزة تفيد اليقين والا لما كفى
إرسال اثنين أيضا ولا ثلاثة (المسئلة الثانية) قال الله تعالى موسى عليه السلام سنشد

مايقولانه قال لاجل
الغضب بيني وبين ذلك
فدعاهما فقال سمعون
من أرسلكما فالله
الذي خلق كل شيء
وليس له شريك فقال
صفا وأوجزا فلا يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد
قال وما آيتكما فالله
يقني الملك فدعا بهلام
مطموس العينين
فدعوا الله تعالى حتى
انشق له بصرفا خندا
بندفتين فوضعاهما
في حذقيه ففسارنا
مكتسبين ينظر بهما
فقال له سمعون أرايت
لوسات الهك حتى
يصنع مثل هذا فيكون
لك وله الشرف قال
ليس لي عنك سران الهنا
لا يصبر ولا يسمع ولا
يضر ولا ينفع وكان
سمعون يدخل معهم
على الصنم فيصلي
ويتضرع وهم يحسبون
أنه منهم ثم قال ان قدر
الهكما على احياء ميت
آمنابه فدعوا بسلام
مات من سبعة أيام فقام
وقال اني أدخات
في سبعة أودية من النار

واني أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فمحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء ﴿ عضدك ﴾
الثلاثة قال الملك من هم قال سمعون وهذا فنحجب الملك فلما رأى سمعون أن قوله

قد أثر فيه نصحه فأمن وآمن قوم ومن لم يؤمن ﴿ ٦٩ ﴾ صاخر عليهم جبريل عليه السلام فهل كانوا هكذا قالوا ولكن

عضدك فذكر المفعول هناك ولم يذكره ههنا مع ان المقصود هناك أيضا نصرة الحق نقول
موسى عليه السلام كان أفضل من هرون وهرون بهت بطلبه معه حيث قال فأرسله معي
فكان هرون مبعوثا ليصدق موسى فيما يقول ويقوم بما يأمره وأماهما فكل واحد
مستقل ناطق بالحق فكان هناك المقصود تقوية موسى وإرسال من يؤنس معه وهو هرون
وأما هونا المقصود تقوية الحق فظهر الفرق ثم بين الله ما جرى منهم وعاليمهم مثل ما جرى
من محمد صلى الله عليه وسلم وعليه (فقالوا انا اليكم مرسلون) كما قال انك ان المرسلين وبين
ما قال ان قوم بقوله (قالوا ما أنتم الا بشر مثنا وما أنزل الرحمن من شيء) جعلوا أنفسهم بشرا
مثلهم دليلا على عدم الارسال وهذا علم من المشركين قالوا في حق محمد أنزل عليه الذكر
وأما ظنوه دليلا بناء على انهم لم يعتقدوا في الله الاحتمار وانما قالوا فيه انه موجب
بالذات وقد استوتينا في البشرية فلا يمكن الرجوعان والله تعالى رد عليهم قولهم بقوله الله
أعلم حيث يجعل رسالته ويقول الله يحيي ويميت من يشاء الى غير ذلك وقوله وما أنزل الرحمن
من شيء الا ينزل وجهين (أحدهما) أن يكون منما لما ذكره فيكون الكل شبهة
واحدة ووجهه هو أنهم قالوا أنتم بشر فانزلت من عند الله وما أنزل الله اليكم أحدا
فكيف صرتم رسلا لله (وثانيهما) أن يكون هذا شبهة أخرى مستقلة ووجهه هو أنهم لما
قالوا أنتم بشر مثنا فلا يجوز رجوعنا لكم علينا ذكر والشبهة من جهة النظر الى المرسلين ثم
قالوا شبهة أخرى من جهة المرسل وهو أنه تعالى ليس ينزل شيئا في هذا العالم فان تصرفه
في العالم العلوي والعلويات التصرف في السفليات على مذهبهم فالله تعالى لم ينزل شيئا من
الاشياء في الدنيا فكيف أنزل اليكم وقوله الرحمن اشارة الى الرد عليهم لان الله لم يكن
رحمن الدنيا والارسال رحمة فكيف لا ينزل رحمة وهو رحمن فقال انهم قالوا ما أنزل
الرحمن شيئا وكيف لا ينزل الرحمن مع كونه رحمن شيئا هو الرحمة الكاملة ثم قال تعالى
(ان أنتم الا تكذبون) أي ما أنتم الا كاذبين (قالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون) اشارة الى
انهم عجزوا عن الكذب لم يسأعوا ولم يتركوا بل أعادوا ذلك منهم وكررنا القول عليهم
وأكدوه باليمين وقالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون وأكدوه باللام لان يعلم الله يجري مجرى
انقسم لان من يقول يعلم الله فيما لا يكون فقد نسب الله الى الجهل وهو سب العقاب كما
ان الحنث سببه وفي قوله ربنا يعلم اشارة الى الرد عليهم حيث قالوا أنتم بشر وذلك لان الله
اذا كان يعلم انهم مرسلون يكون كقوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته يعني هو عالم
بالامور وقادر فاخترنا بعلمه رسالته ثم قال (وما علينا الا البلاغ المبين) تسلية لانفسهم
أي نحن خرجنا عن عهدنا علينا وحالهم على النظر فانهم لما قالوا ما علينا الا البلاغ
كل ذلك يوجب تفكيرهم في أمرهم حيث لم يطلبوا منهم أجرا ولا قصدوا رياسة وانما كان
شغلهم التبليغ والذكر وذلك مما يحمل العاقل على النظر والمبين يحتمل أمورا (أحدها)
البلاغ المبين للحق عن الباطل أي الفارق بالمعجزة والبرهان (وثانيها) البلاغ المظهر

لا يساعده سياق النظم
الكريم حيث اقتصر
فيه على حكاية تلاميذهم
في العناد والحجاج وركوبهم
متن المكابرة في الحجاج
ولم يذكر فيه من يؤمن
أحد سوى حبيب ولو
أن الملك وقوما من
حواشيه آمنوا لكان
اظهار أن يظاهروا
الرسول ويساعدوه
قبلوا في ذلك أو قتلوا
كذاب التجار الشهيد
ولكان لهم فيه ذكرا
يوجه من الوجوه اللهم
الآن يكون إيمان الملك
بطريق الخفية على
خوف من عتاة ملته
فيعتزل عنهم مستذرا
بعذر من الاعتذار (قالوا)
أي أهل انطباكية
الذين لم يؤمنوا بمخاطبين
للإله (ما أنتم الا بشر
مثنا) من غير مزية
لصكم علينا موجبة
لاختصاصكم بما تدعون
ورفع بشر لا تتقاض
التقى المقضى لا عمل
مابالا (وما أنزل الرحمن
من شيء) مما تدعونه
من الوحي والرسالة
(ان أنتم الا تكذبون)
في دعوى

لما أرسلنا لكل أي لا يكتفي أن تبلغ الرسالة إلى شخص أو شخصين (وثالثها) البلاغ المظهر
 للحق بكل ما يمكن فإذا تم ذلك ولم يقبلوا بحق هناك الهلاك ثم كان جوابهم بعد هذا
 انهم (قالوا اننا نصيرنا بكم) وذلك انه لما ظهر من الرسل المباعدة في البلاغ ظهر منهم الغشوف
 التكذيب فلما قال المرسلون انا اليكم المرسلون قالوا ان اتم الاتكذبون ولما أكد الرسل
 قولهم باليمين حيث قالوا اننا نعلم أكدوا قوالهم بالتطير بهم فكأنهم قالوا في الاول كنتم
 كاذبين وفي الثاني صرتم مصرين على الكذب سافلين مقسمين عليه واليمين الكاذبة تدع
 الديار بلاقع فتشاء منا بكم ثانيا وفي الاول كما تركتم في الثاني لان ترككم لكون الشؤم
 مدر كناية سببكم وقالوا (الآن انتم نذرونا لرجحكم وليسكنكم منا عذاب اليم) وقوله لنزجركم
 يحتمل وجهين (أحدهما) لنسنتكم من الرجم بالتبول وعلى هذا فتواه وليسكنكم ترف
 كأنهم قالوا ولا يكتفي بالشتم بل يؤدي ذلك إلى الضرب والايلام الحسي (وثانيهما) أن
 يكون المراد الرجم بالحجارة وحينئذ فتواه وليسكنكم بان الرجم يعني ولا يكون الرجم
 رجما قليلا رجحكم بحجر وحجرين بل نديم ذلك عليكم إلى الموت وهو عذاب اليم ويكون
 المراد لنزجركم وليسكنكم بسبب الرجم عذاب من اليم وقد ذكرنا في اليم انه بمعنى المولم
 والفعيل بمعنى مفعول قليل ويحتمل أن يقال هو من باب قوله عيشة راضية أي ذات رضا
 فالعذاب اليم هو ذواته وحينئذ يكون فعلا بمعنى فاعل وهو كثير * ثم أجابهم المرسلون
 بقوالهم (قالوا اطاركم معكم) أي شوتمكم معكم وهو الكفر * ثم قالوا (أن ذكرتم) جوابا
 عن قوالهم لنزجركم يعني أتفعلون بنا ذلك وان ذكرتم أي بين لكم الامر بالمعجزة والبرهان
 (بل أنتم قوم مسرفون) حيث تفعلون من تبرك به كن يشام به وتفصدون ايلام من يجب
 في حقه الاكرام أو مسرفون حيث تكفرون ثم تصرون بعد ظهور الحق بالمعجزة والبرهان
 فان الكافر مسمى فإذا تم عليه الدليل وأوضح السبيل وبصر يكون مسرفا والمسرف هو
 المجاوز الحد بحيث يبلغ الضد وهم كانوا كذلك في كثير من الاشياء أما في التبرك والتشاؤم
 فقد علم وكذلك في الايلام والاكرام وأما في الكفر فلان الواجب اتباع الدليل فان لم
 يوجد به فلا أقل من أن لا يحرم بنقضه وهم جزمو بالاكفر بعد البرهان على الايمان فان
 قبل بل الاضراب فما الامر المضرب عنه نقول يحتمل أن يقال قوله أن ذكرتم وارد على
 تكذيبهم ونسبتهم الرسل إلى الكذب بقوالهم ان اتم الاتكذبون فكأنهم قالوا نحن
 كاذبون وان جئنا بالبرهان لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل أن يقال نحن مشؤمون
 وان جئنا ببيان صحة ما نحن عليه لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل أن يقال نحن
 مستحقون للرجم والايلام وان بنا صحة ما اتينا به لا بل انتم قوم مسرفون وأما الحكاية
 فمشورة وهي ان عيسى عليه السلام بعث رجلين إلى انطاكية فدعيا إلى التوحيد وأظهرا
 المعجزة من ابرام الاكاه والارض واحياء الموتى فحبسهما الملك فأرسل بعدهما شعبون
 فأتى الملك ولم يدع الرسالة وقرب نفسه إلى الملك بحسن التدبير ثم قال له اني أسمع أن في

رسالته (قالوا اننا نعلم
 انا اليكم المرسلون)
 استشهدوا بعلم الله تعالى
 وهو يجري مجرى القسم
 مع ما فيه من تحذيرهم
 معارضة علم الله تعالى
 وزادوا اللام المؤكدة
 لما شاهدوا منهم من
 شدة الانكار (وما عايننا)
 أي من جهة ربنا
 (الايلام المئين) أي
 الاتباع رسالته تبايعا
 طاهرا بينا بالآيات
 الشاهدة بالصحة وقد
 خرجنا عن عهدته
 فلاموا اخذتنا بعد ذلك
 من جهة ربنا أو ما
 علينا شي نطالب به
 من جهنكم الاتباع
 الرسالة على الوجه
 المذكور وقد فعلناه
 فأى شي نطلبون منا حتى
 تصدقونا بذلك (قالوا)
 لما ضاقت عليهم الخيل
 وعيت بهم العلال (انا
 تطيرنا بكم) تشاء منا بكم
 جري على دين الجهلة
 حيث كانوا يمينون بكل
 ما يوافق شهواتهم وان
 كان مستجلبا لكل شر
 وويل وينساءمون
 بما لا يوافقها وان كان
 مستجابا للسعادة الدارين أو بناء على أن الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضرر متعلق **الحبس**

الحبس رجلين يدهيان أمرا بديعا أفلا يحضران حتى نسمع كلامهما قال الملك لى
 فأحضرا وذكرا مقالتيهما الخفة فقال لهما شعون فهل لكم بينة قالنا نعم فأرآ الاك
 والابصر وأحييا الموتى فقال شعون أيها الملك ان شئت أن تغلبهم فقل للألهة التي
 تعبدونها تفعل شيئا من ذلك قال الملك أنت لا تخفى عليك أنها لا تبصر ولا تسمع ولا تقدر
 ولا تعلم فقال شعون فاذن ظم الحق من جانبهم فأمن الملك وقوم وكفر آخرون وكانت
 الغلبة للكذابين ثم قال تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا
 المرسلين) وفي فائدته وتعلقه بما قبله وجهان (أحدهما) انه بيان لكونهم أتوا بالبلاغ
 المبين حيث آمن بهم الرجل الساعي وعلى هذا فقوله من أقصى المدينة فيه بلاغته باهرة
 وذلك لانه لما جاء من أقصى المدينة رجل وهو قد آمن دل على أن اذارهم واظهارهم بلغ
 الى أقصى المدينة (وثانيهما) ان ضرب المثل لما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم تسليية
 لقلبه ذكر بعد الفراغ عن ذكر الرسل سعى المؤمنين في تصديق رسلهم وصبرهم على
 ما أودوا ووصول الجزاء الاوفى اليهم ليكون ذلك تسليية لقلب أصحاب محمد كما ان ذكر
 المرسلين تسليية لقلب محمد صلى الله عليه وسلم وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) قوله
 وجاء من أقصى المدينة رجل في تكبير الرجل مع انه كان معروفا معلوما عند الله فائدتان
 (الاولى) أن يكون تعظيما لشانه أي رجل كامل في الرجولية (الثانية) أن يكون
 مفيدا للظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال
 انهم توأطوا والرجل هو حبيب التجار كان يفتح الاصنام وقد آمن بمحمد صلى الله عليه
 وسلم قبل وجوده حيث صار من العلماء بكتاب الله ورأى فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم
 وبنته (المسئلة الثانية) قوله يسعى تبصيرة للمؤمنين وهداية لهم ليكونوا في التصحيح باذنين
 جهدهم وقد ذكرنا فائدة قوله من أقصى المدينة وهي تبليغهم الرسالة بحيث انتهى الى
 من في أقصى المدينة والمدينة هي انطاكية وهي كانت كبيرة شاسعة وهي الآن دون
 ذلك ومع هذا فهي كبيرة وقوله تعالى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فيه معان اطيفة (الاول)
 في قوله يا قوم فانه يني عن اشفاق عليهم وشفقة فان اضافتهم الى نفسه بقوله يا قوم يفيد
 انه لا يريدهم الا خيرا وهذا مثل قول مؤمن آل فرعون يا قوم اتبعوا فان قيل قال هذا
 الرجل اتبعوا المرسلين وقال ذلك اتبعوني فما انفرق نقول هذا الرجل جاءهم وفي أول
 مجيئه نصحههم ومارا أو سيرته فقال اتبعوا هو لاء الذين اظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم
 السبيل وامام مؤمن آل فرعون فكان فيهم واتبع موسى ونصحههم مرارا فقال اتبعوني
 في الايمان بموسى وهرون عليهما السلام واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته انفسى وأنتم
 تعلمون انى اخترته ولم يكن للرجل الذي جاء من أقصى المدينة أن يقول أنتم تعلمون اتبعوا
 لهم (الثاني) جمع بين اظهار النصيحة واظهار ايمانه فقوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين
 اظهرا انه آمن (الثالث) قدم اظهار النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا

بانفسهم وأهليهم وأموالهم
 ان لم يؤمنوا فكانوا
 يتفرون عنه وقد روى
 أنه حبس عنهم القطر
 فقالوا (نحن لم نذهبوا) أى
 عن مقالكم هذه (نرجحكم)
 بالحجارة (وابتسكم منا
 عذاب أليم) لا يقدر
 قدره (فالواظن أنكم) أى
 سبب شؤمكم (معكم)
 لان قبلنا وهو سوء
 عقيدتكم وقبح أعمالكم
 وقرى ظيركم (أن ذكرتم)
 أى وعظمت عاقبة سعادتكم
 وجواب الشرط محذوف
 ثقة بدلالة ما قبله عليه
 أى تطيرتم وتوعدتم
 بالرجم والتعذيب وقرى
 بألف بين الهمزتين
 ويقعح أن يعنى أن تطيرتم
 لأن ذكرتم وأن ذكرتم
 وأن ذكرتم بغير استفهام
 وأن ذكرتم يعنى طائرتم
 معكم حيث جرى ذكركم
 وهو أبلغ (بل أنتم قوم
 مسرفون) اضرب عما
 تقتضيه الشرطية من
 كون التذكير سببا للشؤم
 أو مصححا للتوعد أى
 ليس الامر كذلك بل
 أنتم قوم عادتكم
 الاسراف في العصيان
 فلذلك أنا كم الشؤم أوفى الظلم والعدوان ولذلك توعدتم

وتشاء متم بمن يجب اكرامه والتبرك به (وجاء من أقصى المدينة * ٧٢ * رجل يسعى) هو حبيب التجار وكان

النصح وأما الايمان فكان قد آمن من قبل وقوله رجل يسعى يدل على كونه مريدا للنصح وما ذكر في حكايته انه كان يقتل ويقول اللهم اهد قومي * ثم قال تعالى (اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون) وهذا في غاية الحسن وذلك من حيث انه لما قال اتبعوا المرسلين كأنهم منهموا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال لاشك ان الخلق في الدنيا سالكون طريقه وطالبون للاستقامة والطريق اذا حصل فيه دليل يدل يجب اتباعه والامتناع من الاتباع لا يحسن الا عند أحد أمرين امام مسألة الدليل في طلب الاجرة واما عدم الاعتماد على اهتدائه ومعرفة الطريق لكن هؤلاء لا يطلبون أجرة وهم مهتدون عالمون بالطريقة المستقيمة الموصلة الى الحق فهب أنهم ليسوا بمرسلين هادين ليسوا مهتدين فاتبعهم * ثم قال تعالى (ومالي لأعبد الذي فطرني) لما قال وهم مهتدون بين ظهور اهتدائهم بأنهم يدعون من عبادة الجماد الى عبادة الحي القيوم ومن عبادة ما لا ينفع الى عبادة من منه كل نفع (وفيه اطلاق) الاول قوله مالي أي مالي مانع من جانبي اشارة الى أن الامر من جهة العبود طاهر لا خفاء فيه فنبتع من عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع من جانبي فلا جرم عبده وفي الجدول عن مخاطبة القوم الى حال نفسه حكمة أخرى وايضا ثانية وهي أنه لو قال مالكم لاتعبدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله ومالي لانه لما قال ومالي وأحد لا يخفى عليه حال نفسه علم كل أحد انه لا يطلب العلة و بيانها من أحد لانه أعلم بحال نفسه فهو يبين عدم المانع وأما لو قال مالكم جاز أن يفهم منه أنه يطلب بيان العلة لكون غيره أعلم بحال نفسه فان قيل قال الله مالكم لاترجون لله وقارا نقول القائل هناك غير مدعو وإنما هو دواع وههنا الرجل مدعو الى الايمان فقال ومالي لأعبد وقد طلب مني ذلك (الثانية) قوله الذي فطرني اشارة الى وجود المقضى فان قوله ومالي اشارة الى عدم المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل مالم يوجد المقضى فتوجه الذي فطرني بنى عن الاقتضاء فان الخالق ابتداء مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه ومنه بالاجاد والمنهج يجب على المنعم عليه شكره (الثالثة) قدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقضى مع أن المسحوق تقديم المقضى حيث وجد المقضى ولا مانع فيوجد لان المقضى اظهوره كان مستغنيا عن البيان رأسا فلا أقل من تقديم ما هو أولى بالبيان لوجود الحاجة اليه (الرابعة) اختار من الآيات فطرة نفسه لانه لما قال ومالي لأعبد باسناد العبادة الى نفسه اختار ما هو أقرب الى ايجاب العبادة على نفسه و بيان ذلك هو ان خالق عمرو يجب على زيد عبادته لان من خلق عمرا لا يكون الا كامل القدرة شامل العلم واجب الوجود وهو مستحق للعبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد أظهر ايجابا واعلم أن المشهور في قوله فطرني خلقني اختراعا وابتداعا والغريب فيه أن يقال فطرني أي جعلني على الفطرة كما قال الله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وعلى هذا فقوله ومالي لأعبد أي لم يوجد في مانع فأنا مق

يحت اصنامهم وهو
من آمن برسول الله
صلى الله عليه وسلم وبينهما
شهادة سنة كما آمن به تبع
الا كبير ورقة بن نوفل
وغيره اوله بو من بنى
غيره عليه الصلاة والسلام
أحد قبل مبشه وقيل
كان في غار يعبد الله تعالى
فما لبثه خير الرسل عليهم
الصلاة والسلام أظهر
دينه (قال) استئناف
وقع جوابا عن سؤال
نشا من حكاية مجيد
ساعيا كأنه قيل فاذا
قال عند مجيد فقيل قال
(يا قوم اتبعوا المرسلين)
تعرض لعنوان رسالتهم
حاثهم على اتباعهم كما
أن خطابهم يا قوم تأليف
قلوبهم واستدلالها نحو
قبول نصيحته وقوله تعالى
(اتبعوا من لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون)
تكرر لئلا يكد ولا توسل
به الى وصفهم بما يرغبهم
في اتباعهم من اتقوا
عن الغرض الديوى
والاهتداء الى خيرا لدنيا
والدين (ومالي لأعبد
الذي فطرني) ناطق
في الارشاد بباراده في

معرض المناجحة لنفسه واما النصح حيث أراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد نقر بعمهم على * على *
ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره

على فطرة ربي والفطرة كافية في الشهادة والعبادة فان قيل فعلى هذا يختلف معنى الفطر
 في قوله فاطر السموات فنقول قد قيل بأن فاطر السموات من الفطر الذي هو الشق فالمخذور
 لازم او نقول المعنى فيهما واحد كأنه قال فطر المكلف على فطرته وفطر السموات على
 فطرتها والاول من التفسير أظهر * وقوله تعالى (واليه ترجعون) اشارة الى الخوف
 والرجاء كما قال ادعوه خوفا وطمعا وذلك لان من يكون اليه المرجع يخاف منه ويرجى
 وفيه أيضا معنى لطيف وهو أن العابد على أقسام ثلاثة ذكرنا امرارا (فالاول) عابد يعبد
 الله لكونه الها مالكه سواء أعم بعد ذلك أو لم ينعم كما يعبد الذي يجب عليه خدمة سيده
 سواء أحسن اليه أو أساء (والثاني) عابد يعبد الله للنعمة الواصلة اليه (والثالث) عابد
 يعبد الله خوفاً مثال الاول من يتخدم الجواد ومثال الثاني من يتخدم العاشم فيعمل القائل
 نفسه من القسم الاعلى وقال ومالي لأعبد الذي فطرني أي هو مالي لكي أعبده لانظر الى
 ما سيطيعني ولا انظر الى أن لا يعذبني وجعلهم دون ذلك فقال واليه ترجعون أي خوفاً منكم
 منه ورجاؤكم فيه فكيف لا تعبدونه ولهذا لم يقل واليه أرجع كما قال فطرني لانه صار
 عابداً من القسم الاول فرجوعه الى الله لا يكون لان لا كرام وليس سبب عبادته ذلك بل
 غيره * ثم قال تعالى (أتأخذ من دونه آلهة) ليعلم التوحيد فان التوحيد بين التعطيل
 والاشراك فقال ومالي لأعبد اشارة الى وجود الاله وقال أتأخذ من دونه اشارة الى
 غيره فتحقق معنى لا اله الا الله وفي الآية أيضا اطوائف (الاولى) ذكره على طريق
 الاستفهام فيه معنى وضوح الامر وذلك ان من أخبر عن شيء فقال مثلاً لا تأخذ
 يصح من السامع أن يقول له لم لا تأخذ فيسأله عن السبب فاذا قال أتأخذ يكون كلامه
 انه مستغن عن بيان السبب الذي يطالب به عند الاخبار كأنه يقول استشرتك فدانني
 والمستشار يتفكر فكأنه يقول تفكر في الامر تفهم من غير اخبار مني (الثانية) قوله
 من دونه وهي اليفة عجيبة ويانها هو انه لما بين انه يعبد الله بقوله الذي فطرني بين ان من
 دونه لا يجوز عبادته فان عبد غير الله وجب عبادته كل شيء مشارك للمعبود الذي تأخذ
 غير الله لان الكل محتاج مقتصر مادته فلو قال لا تأخذ آلهة اقل له ذلك يختلف ان تأخذت
 الها غير الذي فطرك ولزمك عقلان تأخذ آلهة لا حصر لها وان كان الهك ربك وخائفك
 فلا يجوز أن تأخذ آلهة (الثالثة) قوله أتأخذ اشارة الى أن غيره ليس باله لان المتأخذ
 لا يكون الها ولهذا قال تعالى ما تأخذ صاحب ولا ولد او قال الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً انه
 تعالى لا يكون له ولد حقيقة ولا يجوز وانما التصاري قالوا تبني الله عيسى وسماه ولداً فقال
 ولم يتخذ ولداً ولا يقال قال الله تعالى فاتخذوه وكلاماً في حق الله تعالى حيث قال رب المشرق
 والمغرب لا اله الا هو فاتخذوه وكلاماً نقول ذلك أمر متجدد وذلك لان الانسان في أول الامر
 يكون قليل الصبر ضعيف القوة فلا يجوز أن يترك أسباب الدنيا ويقول اني أتوكل فلا
 يحسن من الواحد منا أن لا يشتغل بأمر أصلاً ويترك أطفاله في ورطة الحاجة ولا يوصل

كما ينبغي * عنه قوله (واليه
 ترجعون) مبالغة في
 التهديد ثم عاد الى المساق
 الاول فقال (أتأخذ من
 دونه آلهة) انكار وتنفير
 لا تأخذ آلهة على
 الاطلاق وقوله

الى أهله نفقتهم ويجلس في مسجد وقلبه متعلق بعطاءز يدور عروفاذا قوى بالعبادة قلبه ونسى نفسه فضلا عن غيره وأقبل على عبادة ربه بجمع قلبه وترك الدنيا وأسبابها وفوض أمره الى الله حينئذ يكون من الأبرار الاخيار فقال الله لرسوله أنت علمت ان الامور كلها بيد الله وعرفت الله حق المعرفة وتيقنت أن المشرق والمغرب وما فيهما وما يقع بينهما بأمر الله ولا اله يطلب لقضاء الحاجات الا هو فأتخذوه وكلا وفوض جميع أمورك اليه وقد ارتقيت عن درجة من يؤمر بالنكس الللال وكنت من قبل تجر في الللال ومعنى قوله فأتخذوه وكلا أي في جميع أمورك وقوله تعالى لا تغن عني وجهين (أحدهما) أن يكون كالوهم كأنه قال أتخذ آلهة غير مغنية عند ارادة الرحمن في ضرا (وثانيهما) أن يكون من أمثانها كأنه قال لا أتخذ من دونه آلهة ثم قال تعالى (ان يردن الرحمن بضر لانه دفعني شفاعتهم شيئا ولا ينقدون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال ان يردن الرحمن بضر بعبودية بل ان يرد الرحمن بي ضرا وكذلك قال تعالى ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات حرمة عبيدته نقل ان أراد الله بي ضرا نقول الفعل اذا كان متعديا الى مفعول واحد تعدى الى متعريف كالمعروف كاللازم يتعدى بحرف في قولهم ذهب به وخرج به ثم ان المتكلم الابلغ يجعل المفعول بغير حرف ما هو أولى بوقوع الفعل عليه ويجعل الآخر مفعولا بحرف فاذا قال اقاتل مثلا كيف حال فلان يقول اختصه الملك بالكرامة والنعمة فاذا قال كيف كرامة الملك يقول اختصها بزيد فيجعل المسؤل مفعولا بغير حرف لانه هو المقصود اذا علمت هذا فالمتصود فيما نحن فيه بيان كون العبد تحت تصرف الله يقبله كيف يشاء في البؤس والرخاء وليس الضر بمقصود بيانه كيف والقائل مؤمن يرجو الرحمة والنعمة بناء على ايمانه بحكم الله وبأنه يقول من قبل الذي ذم طرفي حيث جعل نفسه مفعول القطرة فكذلك انتم مفعول الارسل بضر وقع تبعا وكذا القول في قوله تعالى ان أرادني الله بضر المقصود بيان أنه يكون كإيراد الله وليس الضر بخصوصه مقصود بانذروا بؤيده ما تقدم حيث قال تعالى اليس الله بكاف عبده يعني هو تحت ارادته ويتأيد ما ذكرناه بالنظر في قوله تعالى قل من ذا الذي يعصكم من الله ان اراد بكم سوا حيث خالف هذا النظر وجعل المفعول من غير حرف السوء وهو كالضر والمفعول بحرف هو المكلف وذلك لان المقصود ذكر الضر للتخويف وكونهم محلا له وكيف لا وهم كفرة استحقوا العذاب بكفرهم فجعل الضر مقصودا بالذكر لجرهم فان قيل فقد ذكر الله الرحمة أيضا حيث قال أو اراد بكم رحمة نقول المقصود ذلك ويدل عليه قوله تعالى من بعده ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا وانما ذكر الرحمة تمة للامر بالتقسيم الحاصر وكذلك اذا تأملت في قوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا أو اراد بكم نفعا فان الكلام أيضا مع الكفار وذكر النفع وقع تبعا لحصر الامر بالتقسيم ويدل عليه قوله تعالى بل كان الله بما تعملون

(ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا) أي لا تغني شيتان من النفع (ولا ينقدون) من ذلك الضر بالنعمة والمظاهرة استئناف سبق لتعليل التي المذكور وجعله صفة لا آلهة كإذهب اليه بعضهم بما يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك وقري ان يردن بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا أي يجعلني موردا للضر

(انى اذا) أى اذا اتخذت من دونه آلهة ﴿٧٥﴾ (انى ضلال مبين) فان اشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع

خيرافاته للتخويف وهذا كقوله تعالى وانا اواباكم على هدى اوفى ضلال مبين والمقصود انى على هدى وانتم فى ضلال ولو قال هكذا لمنع مانع فقال بالتقسيم كذلك ههنا المقصود الضر واقع بكم ولاجل دفع المانع قال الضر والنعم (المسئلة الثانية) قال ههنا ان يردن الرحمن وقال فى الزمر ان ارادنى الله فما الحكمة فى اختيار بصيغة الماضى هنالك واختيار بصيغة المضارع ههنا وذكر المر يد باسم الرحمن ههنا وذكر المر يد باسم الله هنالك نقول اما الماضى والمستقبل فان ان فى الشرط تصير الماضى مستقبلا وذلك لان المذكور ههنا من قبل بصيغة الاستقبال فى قوله آتخذ وقوله وما لى لأعبد والمذكور هناك من قبل بصيغة الماضى فى قوله افرأيتم وكذلك فى قوله تعالى وان يمسك الله بضر ثم يكون المتقدم عليه مذكورا بصيغة المستقبل وهو قوله من يصرف عنه وقوله انى أخاف ان عصيت والحكمة فيه هو ان الكفار كانوا يخوفون النبي صلى الله عليه وسلم بضر يصيبه من آتتهم فكانه قال صدر منكم التخويف وهذا ما سبق منكم وههنا ابتداء كلام صدر من المؤمن لتقرير الجواب ما كان يمكن صدوره منهم فافترق الامر ان واما قوله هناك ان ارادنى الله فنقول قد ذكرنا ان الاسمين المختصين بواجب الوجود الله والرحمن كما قال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن والله لانهية والعظمة والرحمن للرافعة والرحمة وهناك وصف الله بالعمة والانتقام فى قوله ليس الله بذى انتقام وذكر ما يدل على العظمة بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض فذكر الاسم الدال على العظمة وقال ههنا ما يدل على الرحمة بقوله الذى فطرني فانه نعمة هي شرط سائر النعم فقال ان يردن الرحمن بضر ثم قال تعالى لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا يفتنون على ترتيب ما يقع من العقلاء وذلك لان من يريد دفع الضر عن شخص أضرب به شخص يدفع بالوجه الاحسن فيشفع أولا فان قبله والايدفع فقال لا تغن عنى شفاعتهم ولا يتقدرون على انقاذى بوجه من الوجوه وفى هذه الآيات حصل بيان ان الله تعالى معبود من كل وجه ان كان نظرا الى جانبه فهو فاطر ورب مالك يستحق العبادة سواء أحسن بعد ذلك أو لم يحسن وان كان نظرا الى احسانه فهو رحمن وان كان نظرا الى الخوف فهو يدفع ضره وحصل بيان ان غير لا يصلح ان يعبد بوجه من الوجوه فان أدنى مراتبه ان يعبد بوجه رحمة وغير الله لا يدفع شيئا الا اذا اراد الله وان يرد فلا حاجة الى دفع ثم قال تعالى (انى اذا انى ضلال مبين) يعنى ان فعلت ذلك فأناضل ضللا بينا والمبين مفعول يعنى فعل كاجاء عكسه ففعل يعنى مفعول فى قوله أليم أى مؤلم ويمكن أن يقال ضلال مبين أى مظهر الامر للناظر والاول هو الصحيح ثم قال تعالى (انى آمنتم بربكم فاسمعون) فى الخطاب بقوله بربكم وجوه (أحدها) هم المسلمون قال المفسرون أقبل القوم عليك بريدون قتله فأقبل هو على المرسلين وقال انى آمنتم بربكم فاسمعوا قولى واشهدوا لى (وثانيها) هم الكفار فكانه لما نصحتهم ومانعتهم قال فان آمنتم فاسمعون (وثالثها) بربكم أيها السامعون

الضر بالخالق المقدر الذى لا قادر غيره ولا خير الاخيره ضلال بين لا يخفى على أحد من استميرنى الجملة (انى آمنتم بربكم) خطاب منه للرسول بطريق التلوين قبل لما صح قومه بما ذكر هو ابرجه فأسمع نحو الرسل قبل أن يقتلوه فقال ذلك وانما أكده لاطهار صدورهم عن كمال الرغبة والنشاط وأضاف الرب الى غيرهم رومان زيادة التفسير واطهار الاختصاص والافتداء بهم كانه قال بربكم الذى أرسلكم أو الذى تدعوننا الى الايمان به (فاسمعون) أى اسمعوا ايمانى واشهدوا لى به عند الله تعالى وقبل الخطاب للكفرة شافهم بذلك اطهارا لتصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل وازدادة الرب الى صيرهم لتحقيق الحق واثباته على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام أربابا وقيل للناس جميعا

(قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما قتلوه اكراماله بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة اذ دخله الله الجنة ﴿٧٦﴾ وهو فيها حتى يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة

وأنه من أهلها وإنما لم يقل له لأن العرض بيان المقول لا المقول له اقله ووجه والمباغني المسارعة الى بيانه وبالجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلي في دينه والتسخي بروحه اوجهه تعالى فقيل قيل دخل الجنة وكذلك قوله تعالى (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ورحمتي من المكرمين) فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فاذا قال عندئذ تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تني علم قومه بحاله ليحلمهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء في كظم اليقظ والترحم على الاعضاء اوليعلوا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على الحق وأن عدواوتهم

فاسمعون على العموم كإفلاتني قول الواعظ حيث يقول يا مسكين ما أكثر أمناك وما أزر عمالك يريد به كل سامع يسمعه وفي قوله فاسمعون فواؤد (أحدهما) انه كلام متروك متفكر حيث قال فاسمعون فان المنكلم اذا كان يعلم ان الكلامه جماعة سامعين يتفكر (وثانيها) ان يبينه القوم ويقول اني أخبرتكم بما فعلت حتى لا تقولوا لم أخفيت عننا أمرك ولوا ظهرت لا تمنامعك (وثالثها) ان يكون المراد السماع الذي بمعنى القبول يقول القائل نصحته فسمع فقول أي قبله فار قلت لم قال من قبل وما لي لأعبد الذي فطرتني وقال ههنا آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربى نقول على قولنا الخطاب مع الرسل أمر ظاهر لانه لما قال آمنت بربكم ظهر عند الرسل انه قيل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه اليه واو قال بربى لعنهم كانوا يقولون كل كافر يقول لى ربى وأنا مؤمن بربى واما على قولنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان للتوحيد وذلك لانه لما قال أعبد الذي فطرتني ثم قال آمنت بربكم فهم انه يقول ربى وربكم واحد وهو الذى فطرتني وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال آمنت بربى فيقول الكافر وأنا أيضا آمنت بربى ومثل هذا قول تعالى الله ربنا وربكم ثم قال تعالى (قيل ادخل الجنة) فيه وجهان (أحدهما) انه قيل ثم قيل له ادخل الجنة بعد القتل (وثانيهما) قيل ادخل الجنة عقيب قوله آمنت وعلى الاول * فقوله تعالى (قال يا ليت قومي يعلمون) يكون بعدموته والله أخبر بقوله وعلى الثاني قال ذلك في حياته وكأنه سمع الرسل انه من الداخلين الجنة وصدقهم وقطم به وعلمه فقال يا ليت قومي يعلمون كما علمت فيؤمنون كما آمنت وفي معنى قوله تعالى قيل وجهان كما ان في وقت ذلك وجهان (أحدهما) قيل من اقول (والثاني) ادخل الجنة وهذا كافي قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيقول له كذا ليس المراد التول في وجد بل هو الفعل أى فعله في حينه من غير تأخير وتراخ وكذلك في قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ووجه جعل الأرض بالعماءها * وفي قوله تعالى (بما غفرت لى ربي) وجوه (أحدهما) ان ما استغفامية كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لى ربي حتى يشغلوا به وهو ضعيف والالكان الاحسن أن تكون ما محذوفة الالف يقال بم وفيه وعم ولم (وثانيها) خبر به كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بالذى غفرت لى ربي (وثالثها) مصدرية كأنه قال يا ليت قومي يعلمون بمغفرة ربي والوجهان الآخران هما المختاران * ثم قال تعالى (وجعلنى من المكرمين) قد ذكرنا أن الايمان والعمل الصالح يوجبان أمرين هما الغفران والاكرام كافي قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم مغفرة ورزق كريم والرجل كان من المؤمنين الصالحاء والكرم على ضد المهان والاهانة بالحاجة والاكرام بالاستغناء فيغنى الله الصالح عن كل أحد ويدفع جميع حاجاته بنفسه ثم انه تعالى لما بين حاله بين حال المتخلفين المخالفين له من قومه بقوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) اشارة الى هلاكهم بعد سر يعا على أسهل وجه فاهم يتحجج الى ارسال جند يهلكهم وفيه مسائل (المسئلة

لم تكسبه الاسعاده وقرى من المكرمين وما موصولة أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استغفامية ﴿الاول﴾ وردت على الاصل والباء متصلة بغفرأى أى شىء غفرت لى يريد به تفخيم شأن

المهاجرة عن ملتهم والمصاهرة على أذيتهم ٧٧ (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد قوله أو رفعه (من جند

الاولى) قال ههنا وما أنزلنا باسناد الفعل الى النفس وقال في بيان حال المؤمن قيل ادخل الجنة باسناد انقول الى غير المذكور وذلك لان العذاب من باب الهيبة فقال بلافظ التعظيم وأما في ادخل الجنة فقال قيل ليكون هو كالمهنا بقول الملائكة حيث يقول له كل ملك وكل صالح يراه ادخل الجنة خائداً فيهما وتشبها ما ورد في القرآن قوله تعالى وقيل ادخلوا اشارة الى أن الدخول يكون دخولاً باكرام كما يدخل العريس البيت المزين على رؤس الاشهاد يعنيه كل أحد (المسئلة الثانية) لم أضاف انقوم اليه مع أن الرسل أولى يكون الجمع قوماً لهم فان الواحد يكون له قوم هم آله وأصحابه والرسل لكونه مرسلًا يكون جميع الحق وجميع من أرسل اليهم قوماً له نقول اوجهين (أحدهما) ليبين الفرق بين اثنين هما من قبيلة واحدة أكرم أحدهما غاية الاكرام بسبب الايمان وأهين الآخر غاية الاهانة بسبب الكفر وهذا من قوم أوائل في النسب (وثانيهما) أن العذاب كان مختصاً بأقارب ذلك لان غيرهم من قوم الرسل آمنوا بهم فلم يصبهم العذاب (المسئلة الثالثة) خصص عدم الانزال بما بعده والله تعالى لم ينزل عليهم جنداً قبله أيضاً فائدة التخصيص نقول استحقاقهم العذاب كان بعد حيث أصروا واستكبروا فبين حال الهلاك أنه لم يكن يجند (المسئلة الرابعة) قال من السماء وهو تعالى لم ينزل عليهم ولا أرسل اليهم جنداً من الارض فافادة التقييد نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن يكون المراد وما أنزلنا عليهم جنداً بأمر من السماء فيكون العموم (وثانيهما) أن العذاب نزل عليهم من السماء فبين أن النازل لم يصك جنداً لهم عظيمة وإنما كان ذلك بصيحة أخذت نارهم وخربت ديارهم (المسئلة الخامسة) * (وما كنا منزلين) آية فائدة فيه مع ان قوله وما أنزلنا يستلزم انه لا يكون من المنزلين نقول قوله وما كنا أي ما كان ينبغي لنا أن ننزل لان الامر كان يتم بدون ذلك فأترنا وما كنا محتاجين الى انزال أو نقول وما أنزلنا وما كنا منزلين في مثل تلك الواقعة جنداً في غير تلك الواقعة فان قيل فكيف أنزل الله جنوداً في يوم بدر وفي غير ذلك حيث قال وأنزل جنوداً تررها نقول ذلك تعظيماً لمحمد صلى الله عليه وسلم والاكابر تحريك ريشة من جناح ملك كافيافي استنصاهم وما كان رسل عيسى عليه السلام في درجة محمد صلى الله عليه وسلم * ثم بين الله تعالى ما كان بقوله (ان كانت) الواقعة (الاصيبة) وقال الزمخشري أصله ان كان شيء الاصيبة فكان الاصل ان يذكر لكنه تعالى انت لما بعده من المفسر وهو الصيحة * قوله تعالى (واحدة) تأكيد لكون الامر هي عند الله * وقوله تعالى (فاذا هم خامدون) فيه اشارة الى سرعة الهلاك فان نحوهم كان مع الصيحة وفي وقتها لم يتأخرو ووصفهم بالخمود في غاية الحسن وذلك لان الحى في الحرارة الغريزية وكلما كانت الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية أتموهم كانوا كذلك اما الغضب فانهم قتلوا مؤمناً كان ينصحههم وأما الشهوة فلا تهم احتلوا العذاب الدائم بسبب استيفاء اللذات الحالية فذن كانوا كالتار الموفدة ولانهم كانوا اجبارين مستكبرين كالتار ومن

من السماء) لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخذق بل كفيينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقاق لهم ولاهلاكهم وابعادهم الى تقخير شأن الرسول صلى الله عليه وسلم (وما صح كنا منزلين) وما صح في حكمتنا أن ننزل لاهلاك قومه جنداً من السماء لما أنقدرنا لكل شيء سبياً حيث أهلكتنا بعض من أهلكتنا من الامم بالخاصة وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ما هو صولة معطوفة على جندي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة ورمح وأمطار شديدة وغيرها (ان كانت) أي ما كانت الأخذة أو العقوبة (الاصيبة واحدة) صاح بها جبريل عليه السلام وقرئ الاصيبة بالرفع على أن كان تاممة وقرئ الازقية واحدة

من زقا الطار اذا صاح (فاذا هم خامدون) ميتون شبهوا بانسار الخادمة ومزا الى ان الحى كالتار الساطعة في الحكة الاتهاب المت كالا كالتار الساطع وما لاء الاكاشيات وضوءه تجوهر ماداً بعداده ساطع

(ياحسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما ذل عليه قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا) فان المستهزئين بالناسحين الذين ﴿ ٧٨ ﴾ نيطت بصالحهم - مادة الدار بن أحقاد

خلق منها فقال فاذا هم خامدون (وفيه وجه آخر) وهوان العناصر الاربعة يخرج بعضها عن طبيعتها التي خلقه الله عليها بصير العنصر الآخر بارادة الله فالاحجار تصير مياها والمياه تصير احجارا وكذلك الماء يصير هواً وعند الغليان والسخونة والهوا يصير ماء للبرد ولكن ذلك في العادة بزمان وأما الهوا فيصير ناراً والنار تصير هواً بالاشتعال والحمود في أسرع زمان فقال خامدين بسببها فحمود النار في السرعة كاطفا سراج أو شعلة * ثم قال تعالى (ياحسرة على العباد) أي هذا وقت الحسرة فاحضري يا حسرة والتكبير لا تكبير وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الالف واللام في العباد يحتمل وجهين (أحدهما) لليهود وهم الذين أخذتهم الصيحة فياحسرة على أولئك (وثانيهما) لتعريف الجنس جنس الكفار المكذبين (المسئلة الثانية) من التحسر نقول فيه وجوه (الاول) لا تحسراً أصلاً في الحقيقة اذ المقصود بيان أن ذلك وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة عند تحقق العذاب (وعهنا بحث اقوى) وهو أن المفعول قد يرفض رأساً اذا كان الغرض غير متعلق به يقال ان فلاناً عطسني و يمنع ولا يكون هناك شيء معطى اذ المقصود أن له المنع والاعطاء ورفض المفعول كثير ما نحن فيه رفض الفاعل وهو قليل والوجد فيه ما ذكرنا ان ذكر التحسر غير مقصود وانما المقصود ان الحسرة متحققة في ذلك الوقت (الثاني) ان قائل يا حسرة هو الله على الاستعارة تعظيماً للامر وهو يلا له وحينئذ يكون كالاتفاظ التي وردت في حق الله كالضحك والسيان والسخر والتعجب والتقى أو نقول ليس معنى قولنا يا حسرة وياندامه ان القائل محسراً وانادم بل المعنى انه مخبر عن وقوع الندامة ولا يحتاج الى تجوز في بيان كونه تعالى قال يا حسرة بل يخبر به على حقيقته الا في النداء فان النداء محذور والمراد الاخبار (الثالث) المتلهفون من المسلمين والملائكة الاترى الى ما حكي عن حبيب انه حين القتل كان يقول اللهم اهد قومي وبعدهما قتلوه وأدخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون فيجوز أن يحسره المسلم للكافر ويندم له وعليه (المسئلة الثالثة) قرئ يا حسرة بانتوين وياحسرة العباد بالاضافة من غير كلمة على وقرئ يا حسره على بالهاء اجراء للوصل بحري الوقف (المسئلة الرابعة) من المراد بالعباد نقول فيه وجوه (أحدها) الرسل الثلاثة كأن الكافر ين يقولون عند ظهور الباس يا حسرة عليهم باليتهم كانوا حاضرين شأنك تؤمن بهم (وثانيها) هم قوم حبيب (وثالثها) كل من كفر وأصر واستكبر وعلى الاول ما يطلق العباد على المؤمنين كما في قوله ان عبادي ليس بك عليهم سلطان وقوله يا عبادي الذين أسرفوا وعلى الثاني ما يطلق العباد على الكفار و الفرق بين العبد مطلقاً وبين المضاف الى الله تعالى فان الاضافة الى الشريف تكسو المضاف شرفاً نقول بيت الله فيكون فيه من الشرف ما لا يكون في قولك البيت وعلى هذا فقوله تعالى وعباد الرحمن من قبيل قوله ان عبادي وكذلك عباد الله * ثم بين الله تعالى سبب الحسرة بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا) فان رسول الاكوابه يستهزئون) وهذا سبب الندامة وذلك لان من جاءه ملك في

أن يحسروا ويحسروا عابهم التحسرون أو فقد تلف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز أن يكون تحسراً عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة للتعظيم ما جنود على أنفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتنا لان المعنى يا حسرتي ونصبها لطلوها بما يتعلق بها من الجار وقيل يا حسرتنا فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول وياحسره على العباد اجراء الوصل بحري الوقف (الميروا) أي ألم يعلموا وهو متعلق عن العمل في قوله تعالى (كم أهلكنا قبلهم من القرون) لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه (انهم اليهم لا يرجعون) بدل

من كم أهلكنا على المعنى أي الميروا كثرة أهلاكنا من قبلهم من المذكورين أنفا ومن غيرهم كونهم غير بادية) بالجمعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ الميروا من أهلكنا والبدل حيث بدل اشتمال

(وان كل لما جمع لدينا محضرون) يدل الرجوع الى المحشر بعد بيان علم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل
موضوع عن المضاف اليه ولما بمعنى الاوجيع * ٧٩ * فعل بمعنى مفعول ولدينا طرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا

بأيديهم وعرفه نفسه وطلب منه أمر اهيئا فكذبته ولم يجبه الى مادعاه ثم وقف بين يديه وهو
على سرير ملكه فعرفه انه ذلك يكون عنده من الندامة ما لا من يدعيه فكذلك الرسل هم
ملوك وأعظم منهم باعزاز الله اياهم وجعلهم نوابه كما قال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وجاؤا وعرفوا أنفسهم ولم يكن لهم عظمة ظاهرة في الحس ثم يوم القيامة
أو عند ظهور البأس ظهرت عظمتهم عند الله لهم وكان ما يدعون اليه أمر اهيئا نفعه
عائدا اليهم من عبادة الله وما كانوا يسألون عليه أجرا فعند ذلك تكون الندامة الشديدة
وكيف لا وهم لم يقتنعوا بالاعراض حتى آذوا واستهزؤا واستخفوا واستهانوا وقوله
ما يأتهم الضمير يجوز أن يكون عائدا الى قوم حبيب أي ما يأتهم من رسول من الرسل
الثلاثة الا كانوا يستهزؤن على قولنا الحسرة عليهم ويجوز أن يكون عائدا الى الكفار
المصريين * ثم ان الله تعالى لما بين حال الاولين قال للمحضرين (الميروا كم أهلكننا بلهيم
من القرون) أي الباقون لا يرون ما جرى على من تقدمهم ويحتمل أن يقال ان الذين قيل
في حقهم بالحسرة هم الذين قال في حقهم الميروا ومعناه ان كل مهلك تقدمه قوم كذبوا
وأهلكوا الى قوم نوح وقوله * وقوله (انهم اليهم لا يرجعون) يدل في المعنى عن قوله
كم أهلكننا وذلك لان معنى كم أهلكننا الميروا كثرة اهلا كنا وفيه معنى الميروا المهلكين
الكثيرين أنهم اليهم لا يرجعون وحينئذ يكون كيدل الاشتغال لان قوله أنهم اليهم
لا يرجعون حال من أحوال المهلكين أي أهلكنوا بحيث لا رجوع لهم اليهم فيصير كقولك
الأتري زيدا أدبه وعلى هذا قوله أنهم اليهم لا يرجعون فيه وجهان (أحدهما) أهلكنوا
اهلا كالارجوع لهم الى من في الدنيا (وثانيهما) هو أنهم لا يرجعون اليهم أي الباقون
لا يرجعون الى المهلكين بسبب ولا ولادة يعني أهلكناهم وقضينا نسلهم ولا شك في أن
الاهلاك الذي يكون مع قطع النسل ثم وأعم والوجه الاول أشهر نقلا والثاني أظهر
عقلا * ثم قال تعالى (وان كل لما جمع لدينا محضرون) لما بين الاهلاك بين انه ليس من
أهلكه الله تركه بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب واوأن من أهلك ترك لكان الموت
راحة ونعم ما قال القائل

ولو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي

ولكننا اذا متنا بعثنا * ونسئل بعده عن كل شيء

وقوله وان كل لما في ان وجهان (أحدهما) انها تخفف من الثقلة واللام في المفارقة بينها
وبين النافية وما زائدة مؤكدة في المعنى والقراءة حينئذ بالتخفيف في (لما) (وثانيهما) انها
نافية ولما بمعنى الا قال سيبويه يقال نشدتك بالله لما فعلت بمعنى الانعلت والقراءة حينئذ
بالتشديد في لما يؤيد هذا ما روى ان أبا قرأ وما كل الاوجيع وفي قول سيبويه لما بمعنى
الاوارد معنى مناسب وهو ان لما كأنها حرفان في جماعهما والموافقا كدالتني ولهذا يقال
في جواب من قال قد فعل لما يفعل وفي جواب من قال فعل لم يفعل والا كأنها حرفان في

مجموعون لدينا محضرون
الحساب والجزاء وقيل
محضرون معذبون فكل
عبارة عن الكفرة وقرئ
لما بالتخفيف على أن ان
مخفف من الثقلة واللام
فارقة وما من يدع لا أكد
والمعنى ان كلهم مجموعون
الح (وآية لهم الارض
الميتة) بالتخفيف وقرئ
بالتشديد وقوله تعالى
آية خيرة مقدم للاهتمام
به وتكبيرها بالتخفيف ولهم
امانة معلقة بها لانها بمعنى
العلامة أو بمضمر هو
صفة لها والارض ميتة
والميتة صفتها وقوله
تعالى (أحييناها)
استشاف مبين لكيفية
كونها آية وقيل آية
مبتدأ ولهم خبر والارض
الميتة مبتدأ موصوف
وأحييناها خبره والجملة
مفسرة لا يفوقيل الارض
مبتدأ وأحييناها خبره
والجملة خبر لآية وقيل
الخبر لها هو الارض
وأحييناها صفتها لان
المراد بها الجنس لا المعينة
والاول هو الاولى لان
مصعب الغائدة هو كون
الارض آية لهم لا كون

الآية هي الارض (وأخرجنا منها حيا) جنس الحب (فقد يا كلون) تقديم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل كل

ويعاش به (وجعلنا فيها اجنات من نخيل واعناب) أي من أنواع * ٨٠ * النخل والعنب ولذلك جمعادون الحب

فإن الدال على الجنس
مشعر بالاختلاف ولا
كذلك الدال على الأنواع
وذكر النخيل دون التور
ليطابق الحب والاعناب
لاختصاص شجرها
بمن يدافع وآثار الصنم
(وقجرنا فيها) وقرى
بالتحفيف والفجر والتفجير
كالفتح والتفتيح لفظا
ومعنى (من العيون) أي
بعض من العيون الخفيف
الموصوف وأقيمت الصفة
مقامه أو العيون ومن
مزيدة على رأى الاخفش
(أي كلوا من ثمره) متعلق
بجعلنا وتأخيره عن تنجيد
العيون لأنه من مبادئ
الانما رأى وجعلنا فيها
جنات من نخيل ورتبنا
مبادئ الثمار أيا كلوا
من ثمر ما ذكر من الجنات
والنخيل بإجراء الضمير
لله تعالى بطريق الالتفات
الى العيبة والاضافة
لان الثمر يخلقه تعالى
وقرى بضمين وهي
لغة فريدة وأجمع ثمارها
وسكون ما وعلمته
أيديهم) عطفت على
ثمره وهو ما يتخذ منه منه
العصير والدبس ونحوهما

ان ولا فاستعمل أحدهما مكان الآخر قال الزمخشري فان قال قائل كل وجميع بمعنى
واحد فكيف جعل جميعا خبر الكل حيث دخلت الام عليه اذا التقدير وان كل للجميع
نقول معنى جميع مجموع ومعنى كل كل فرد بحيث لا يخرج عن الحكم أحد فصار المعنى
كل فرد مجموع مع الآخر مضموم اليه ويمكن أن يقال محضرون بمعنى عماد كره وذلك لانه
لوقال وان جميع للجمع محضرون لكان كلاما صحيحا ولم يوجد ما ذكره من الجواب بل
الصحيح ان محضرون كالصفة للجمع فكانه قال جميع جميع محضرون كما يقال الرجل رجل
عالم والنبي نبي مرسل والواو في وان كل لعطف الحكاية على الحكاية كأنه يقول بينت
لك ما ذكرت وأبين ان كلا لدينا محضرون وكذلك الواو في قوله تعالى * وآية لهم
الارض الميتة احياها واخرجنا منها حيا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل
واعناب وقجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما علمته أيديهم أفلا يشكرون) كأنه
يقول وأقول أيضا آية لهم الارض الميتة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما وجد متعلق هذا
بما قبله نقول مناسب لما قبله من وجهين (أحدهما) انه لما قال وان كل للجميع كان ذلك
إشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستبعادهم واصرارهم
وعنادهم فقال وآية لهم الارض الميتة احياها كذلك تعجب الموتى (وثانيهما) انه لما ذكر
حال المرسلين واهلاك الكافرين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه وبدأ بالارض
لكونها امكانهم لامفارقة لهم منها عند الحركة والسكون (المسئلة الثانية) الارض آية
مطلقا فمخصصها بهم حيث قال وآية لهم نقول الآية تعدد وتسرده لمن لم يعرف الشيء
بأبلغ الوجوه وأما من عرف الشيء بطريقة الرواية لا يدكر له دليل فان النبي وعباد الله
المخلصين عرفوا الله قبل الارض والسماء فليست الارض معرفة لهم وهذا كما قال تعالى
سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقال أولم يكف بربك ان على
كل شيء شهيدا يعني أنت كفاك ربك معرفة عرفته كل شيء فهو شهيد لك على كل شيء وأما
هؤلاء تبين لهم الحق بالآفاق والانفس وكذلك ههنا آية لهم (المسئلة الثالثة) ان قلنا
ان الآية منذ كورة للاستدلال على جواز احياء الموتى فيكون قوله احياها ولا حاجة الى قوله
واخرجنا منها حيا وغير ذلك وان قلنا انها للاستدلال على وجود الاله ووحدته فلا فائدة
في قوله الارض الميتة احياها لان نفس الارض دليل ظاهر وبرهان باهر ثم هب أنها غير
كافية لقوله الميتة احياها كافي في التوحيد فلا فائدة قوله واخرجنا منها حيا نقول
مد كورة للاستدلال عليها ولكل ما ذكره الله تعالى فائدة اما قوله واخرجنا منها حيا قوله
فائدة بالنسبة الى بيان احياء الموتى وذلك لانه لما احيا الارض واخرج منها حيا كان ذلك
احياء تاما لان الارض الخضرة التي لا تثبت الزرع ولا تنزع الحب دون ما تثبت في الحياة
فكأنه قال تعالى الذي احيا الارض احياها كاملا مبتدئا للزرع بحسب الموتى احياها كاملا بحيث
تدرك الامور واما بالنسبة الى التوحيد فلان فيه تعديدا للتعكك كأنه يقول آية لهم الارض

وقيل ما ناقية والمعنى ان الثمر يخلق الله تعالى لانه عليهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤكدا لاول قراءة ﴿ فانها ﴾
تدرك بلاها فان حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها (أفلا يشكرون) انكار

فانها مكانهم ومهدهم الذي فيه تحرر يكفهم واسكانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم وامكانهم وسواء كانت ميتة ولم تكن فهي مكان لهم لا بداهم منها فهي نعمة ثم احياءها بحيث تخضر نعمة ثانية فانها تصير احسن وازهر ثم اراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم يصير في مكانهم وكان يمكن ان يجعل الله رزقهم في السماء او في الهواء فلا يحصل لهم الوثوق ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة لان الارض تثبت الحب في كل سنة واما الاشجار بحيث تؤخذ منها الثمار فتكون بعد الحب وجودا ثم فجزنا فيها العيون ليحصل لهم الاعتماد بالحصول ولو كان ماؤها من السماء لحصل ولكن لم يعلم انهم ان تغرس وأن يشق المطر وينزل المطر وبالنسبة الى بيان احياء الموتى كل ذلك مفيد وذلك لان قوله واخرجنا منها حيا كالاشارة الى الامر الضروري الذي لا بد منه وقوله وجعلنا فيها جنات كالامر المحتاج اليه الذي ان لم يكن لا يعنى الانسان ولكنه يعنى تخيل الحال وقوله وفجرنا فيها من العيون اشارة الى الزينة التي ان لم تكن لا تعنى الانسان ولا يعنى في ورطة الحاجة لكنه لا يكون على احسن ما ينبغي وكان حال الانسان بالحب كحال الفقير الذي له ما يسد خلته من بعض الوجوه ولا يدفع حاجته من كل الوجوه وبالثمار يعتبر حاله كحال المكنتى بالعيون الجارية التي يعتمد عليها الانسان ويقوى بها قلبه كالاستغنى الغنى المدخر لقوت سنين فيقول الله عز وجل كما فعلنا في موات الارض كذلك نعمل في السموات في الارض فتحببهم ونعطيهم ما لا بداهم منه في بقائهم وتكون فيهم من الاعضاء المحتاج اليها وقواها كالعين والقوة الباصرة والاذن والقوة السامعة وغيرهما ونزله ما هو زينة كالعقل الكامل والادراك الشامل فيكون كأنه قال نجى الموتى احياء تاما كما احيينا الارض احياء تاما (المسئلة الرابعة) قال عند ذكر الحب فانه يأكلون وفي الاشجار والثمار قال لياكلوا من ثمره وذلك لان الحب قوت لا بد منه فقال فانه يأكلون أى هم آكلوه واما الثمار ليست كذلك فكانه تعالى قال ان كنا اخرجناها كانوا يبقون من غير اكل فاخرجناها لياكلوها (المسئلة الخامسة) خصص التخييل والاعتناء بالذكر من سائر الفواكه لان اذن الماطعوم الحلاوة وهي فيها اتم ولان التمر والعنب قوت وفاكهة ولا كذلك غيرهما ولانهما اعم نفعا فانهما تحمل من البلاد الى الاماكن البعيدة فان قيل فقد ذكر الله الرمان والزيتون في الانعام والقضب والزيتون والتين في مواضع تقول في الانعام وغيرها المقصود ذكر الفواكه والثمار الا ترى الى قوله تعالى انزل من السماء ماء فاخرجنا به الى قوله فليظفر الانسان الى طعامه فاستوفى الانواع بالذكر وههنا المنة بصود ذكر صفات الارض فاخترنا منها الاذن لانفع وقد ذكرنا في سورة الانعام ما يستفاد منه الفوائد يعلم منه فائدة قوله تعالى فاكهة ونخل ورمان (المسئلة السادسة) في المواضع التي ذكر الله الفواكه لم يذكر التمر بلفظ شجرته وهي النخلة ولم يذكر العنب بلفظ شجرته بل ذكره بلفظ العنب والاعناب ولم يذكر الكرم وذلك لان العنب شجرته بالنسبة الى ثمرته حقيرة قليلة

واستباح لعدم شكرهم
لنعم العدو والفساد
للمطعم على مقدر
يقضيه المقام أى ايرون
هذه النعم أو أينتمعون
بها فلا يشكرونها
(سبحان الذى خلق
الازواج كلها) استشفاف
مسوق لتنزيهه تعالى عما
فعلوه من ترك شكره على
الأنعم المذكورة واستعظام
ما ذكر في حيز الصلاة
من بدائع آثار قدرته
وأسرار حكيمته وروائع
نعماته الموجبة للشكر
وتخصيص العبادة به
والتعجب من اخلالهم
بذلك والحسالة هذه
وسبحان علم التسبيح
الذى هو التبعيد عن السوء
اعتقادا وقولا أى اعتقاد
البعيد عنه والحكم به
من سبح في الارض والماء
اذا أبعدهما

الفائدة والنخل بالنسبة الى ثمرته عظيمة جليلة القدر كثيرة الجدوى فان كثيرا من الظروف منها يتخذ ولحائها ينتفع ولها شبه بالحیوان فاختر منها ما هو الاغضب منها وقوله تعالى وفجرنا فيها من العيون آية عظيمة لان الارض اجزاؤها بحكم المادة لاتصعد ونحن نرى منابع الانهار والعيون في المواضع المرتفعة وذلك دليل القدرة والاختيار والقائلون بالعلیائع قالوا ان الجبال كالسحاب المنبثة والابخرة ترتفع اليها كما ترتفع الى سقوف الحمامات وتكون هناك قطرات من الماء ثم تجتمع فان لم تكن قوياً تحصل المياه الراكدة كالأبار وتجرى في القنوات وان كانت قوية تشق الارض وتخرج انهارا جارية وتجتمع فتحصل الانهار العظيمة وعمدها مياه الامطار والثلوج فنقول اختصاص بعض الجبال بالعيون دليل ظاهر على الاختيار وما ذكره تفسر فالحق هو ان الله تعالى خلق الماء في المواضع المرتفعة وساقها في الانهار والسواقي أو صعد الماء من المواضع المنخفضة الى الاماكن المرتفعة بأمر الله وجرى في الاودية الى البقاع التي انعم الله على أهلها ثم قال تعالى لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون والتقريب ظاهر ويظهر أيضا في التفسير وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لما أخرج التبتيد على الانتفاع بقوله لياكلوا نحن ذكر الفارح حتى قال وفجرنا فيها من العيون وقال في الحب فنه يا كلون عقيب ذكر الحب ولم يقل عقيب ذكر النخيل والاعناب لياكلوا نقول الحب قوت وهو يتم وجوده بمياه الامطار ولهذا يرى أكثر البلاد لا يكون بها شيء من الاشجار والزرع والحراثة لا تبطل هناك اعتمادا على ماء السماء وهذا لطف من الله حيث جعل ما يحتاج اليه الانسان أعم وجودا وأما الثمار فلا تتم الا بالانهار ولا تصير الاشجار حاملة للثمار الا بعد وجود الانهار فلهذا أخرج (المسئلة الثانية) الضمير في قوله من ثمره عائدا الى أي شيء نقول المشهور انه عائدا الى الله أي لياكلوا من ثمر الله (وفيه لطيفة) وهي ان الثمار بعد وجود الاشجار وجرى انهار الانهار لم توجد الا بالله تعالى واولا خلق الله ذلك لم توجد فالثمر بعد جميع ما يظن الظان انه سبب وجوده ليس الا بالله تعالى وارادته فهي ثمره ويحتمل ان يعود الى النخيل وترك الاعناب لحسول العلم بانها في حكم النخيل ويحتمل ان يقال هو راجع من المذكور أي من ثمر ما ذكرنا وهذا الوجهان تغلبهما الزمخشري ويحتمل وجه آخر أغرب وأقرب وهو ان يقال المراد من الثمر الفوائد يقال ثمرة التجارة الربح ويقال ثمرة العبادة الثواب وحينئذ يكون الضمير عائدا الى التفسير المداول عليه بقوله وفجرنا فيها من العيون تفجيها لياكلوا من فوائده ذلك التفسير وفوائده أكثر من الثمار بل يدخل فيه ما قال الله تعالى اناصينا الماء صبا الى أن قال فأخرجنا به حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة أبابا والتفجير أقرب في الذكر من النخيل ولو كان عائدا الى الله لقال من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا (المسئلة الثالثة) ما في قوله وما عملته من أي المآلت هي نقول فيها وجوه (أحدها) نافية كأنه قال وما عملت التفجير أيديهم بل الله فخر (وثانيها) موصولة بمعنى الذي كأنه قال

وأعني ومنه فرس سبوح
 أي واسع الجري وانصابه
 على المصدرية ولايكاد
 يذكر ناصبه أي أسبح
 سبحانه أي أنزه عما
 لا يليق به عقدا وعلا
 تزيها خاصا به حقيقيا
 بشأنه وفيه مبالغة من
 جهة الاشتقاق من السبح
 ومن جهة النقل الى
 التفعيل ومن جهة العدول
 عن المصدر الدال على
 الجس الى الاسم الموضوع
 له خاصة لاسيما العلم
 المشير الى الحقيقة الحاضرة
 في الذهن ومن جهة
 اقامته مقام المصدر مع
 الفعل وقيل هو مصدر
 كقفران أريد به التزه
 التام والتباعد الكلي
 عن السوء ففيه مبالغة
 من جهة اسناد التزه
 الى الذات المقدسة فالعنى
 تزه بذاته

والذي علمته أيديهم من الفراس بعد التغير يأكلون منه أيضا ويأكلون من ثمر الله الذي
أخرجها من غير سعي من الناس فعطف الذي علمته الأيدي على ما خلقه الله من غير مدخل
للإنسان فيه (وثالثها) هي مصدر بقية على قراءة من قرأ وما علمت من غير ضمير عائد معناه
ليأكلوا من ثمره وعمل أيديهم يعني يفرسون والله يبتتها ويخلق ثمرها فيأكلون مجموع عمل
أيديهم وخلق الله وهذا الوجه لا يمكن على قراءة من قرأ مع الضمير (المسئلة الرابعة) على
قولنا ما موصولة يحتمل أن تكون بمعنى وما علمته أي بالتجارة كأنه ذكر نوعي ما ياكل
الإنسان بهما وهما الزراعة والتجارة ومن النبات ما يؤكل من غير عمل الأيدي كالعنب
والتمر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه عمل صنعة فيؤكل كالاشياء التي لا تؤكل الا مطبوخة
أو كالزيتون الذي لا يؤكل الا بعد اصلاح ثم لما صدقنا نعم أشار الى الشكر بقوله
أفلا يشكرون وذكر بصيغة الاستفهام لما بيننا من فوائد الاستفهام فيما تقدم * ثم قال
تعالى (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون)
قد ذكرنا أن لفظة سبحان علم دال على التسييح وتقديره سبحانه تسييح الذي خلق الأزواج
كلها ومعنى سبحانه تعلق الآية بما قبلها هو انه تعالى لما قال أفلا يشكرون وشكر
الله بالعبادة وهم تركوها ولم يقتنعوا بانترك بل عبدا وغيره وأتوا بالشرك فقال سبحان الذي
خلق الأزواج وغيره لم يخلق شيئا فقال أو تقول لما بين أنهم أنكروا الآيات ولم يشكروا
بين ما ينبغي أن يكون عليه العاقل فقال سبحان الذي خلق الأزواج كلها أو تقول لما بين
الآيات قال سبحان الذي خلق ما ذكره عن أن يكون له شريك أو يكون طاجرا عن احياء
الموتى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله كلها يدل على ان أفعال العباد مخلوقة لله لان
الزوج هو الصنف وأفعال العباد أصناف ولها اشباه هي واقعة تحت اجناس الاعراض
فتكون من الكل الذي قال الله فيها انه خلق الأزواج كلها لا يقال مما تنبت الأرض
يخرج الكلام عن العموم لان من قال أعطيت زيدا كل ما كان لي يكون للعموم ان
اقتصرت عليه فاذا قال بعد من الثياب لا يبقى الكلام على عمومه لاننا نقول ذلك اذا كانت
من البيان التخصيص اما اذا كانت لتأكيد العموم فلا بدليل ان من قال أعطيته كل
شيء من الدواب والثياب والعبيد والجواري يفهم منه انه بعدد الاصناف لتأكيد العموم
ويؤيد هذا قوله تعالى في حم الذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفاك والانسام
ما تركبون من غير تقييد (المسئلة الثانية) ذكر الله تعالى أمورا ثلاثة يخصص فيها المخاوقات
فقوله مما تنبت الأرض يدخل فيها ما في الأرض عن الامور الظاهرة كالنبات والثمار
وقوله ومن أنفسهم يدخل فيها الدلائل النفسية وقوله ومما لا يعلمون يدخل ما في أقطار
السموات وتقوم الأرضين وهذا دليل على انه لم يذكر ذلك للتخصيص بدليل ان الانعام مما
خلقها الله والمعادن لم يذكرها وانما ذكر الاشياء لتأكيد معنى العموم كما ذكرنا في المثال
(المسئلة الثالثة) قوله ومما لا يعلمون فيه معنى لطيف وهو انه تعالى انما ذكر كون اكل

عن كل ما لا يليق به تنزهها
خاصا به فالجمله على
هذا الخبر من الله تعالى
بتنزهه وبرأته عن كل
ما لا يليق به مما فعلوه
وما تركوه وعلى الاول
حكم منه عز وجل بذلك
وتلقين المؤمنين أن
يقولوا ويصدقوا ومضونه
ولا يظلموا ولا يغفلوا عنه
والمراد بالازواج الاصناف
والانواع (مما تنبت
الأرض) بيان لها
والمراد به كل ما تنبت
فيها من الاشياء المذكورة
وغيرها (ومن أنفسهم)
أي خلق الأزواج من
من أنفسهم أي الذكر
والانثى (ومما لا يعلمون)
أي والأزواج مما
يطلعهم الله تعالى على
خصوصياتها لعدم
قدرتهم على الاحاطة
بها ولما لم يتعلق بذلك
شيء من مصالحهم
الدينية والدنيوية

مخلوقا ليزم الله عن الشريك فان المخلوق لا يصلح شريكا للخالق لكن التوحيد الحقيقي لا يحصل الا بالاعتراف بأن لا اله الا الله فقال تعالى اعلموا أن المانع من التشريك فيما تعلمون وما لا تعلمون لان الخلق عام والمانع من الشركمة الخلق فلا نشر كواي الله شيئا ما تعلمون فانكم تعلمون أنه مخلوق ومما لا تعلمون فان عند الله كله مخلوق اكون كله ممكنا * ثم قال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) لما استدلل الله باحوال الارض وهي المكان الكلي استدلل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي فان دلالة المكان والزمان مناسبة لان المكان لا تستغنى عنه الجواهر والزمان لا تستغنى عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان ومثله مذکور في قوله تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال بعده ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزنا عليها الماء اهتزت وربت حيث استدلل بالزمان والمكان هناك أيضا لكن المقصود أولا هناك اثبات الوحدة ببدليل قوله تعالى لا تسجدوا للشمس ثم الحشر بدليل قوله تعالى ان الذي احيياها للمحي الموتى وههنا التصودا ولا اثبات الحشر لان السورة فيها ذكر الحشر أكثر بديل عليه النظر في السورة وهناك ذكر التوحيد أكثر بدليل قوله تعالى فيه قل أنتم انكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى غيره وآخر السورتين بين الامر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المكان يدفع عن أهل السنة شبه الفلاسفة والزمان يدفع عنهم شبه المشبهة (اما بيان الاول) فذلك لان الفلاسفة يقول لو كان عدم العالم قبل وجوده لكان عند فرض عدم العالم قبل وقبل وبعد لا يتحقق الا بالزمان فقبل العالم زمان والزمان من جملة العالم فيلزم وجود الشيء عند عدمه وهو محال فنقول لهم قد وافقونا على أن الامكنة متناهية لان الابعاد متناهية بالاتفاق فاذا في فوق السطح الاعلى من العالم يكون عدم وهو موصوف بانفوقية وفوق وتحت لا يتحقق الا بالمكان ففوق العالم مكان والمكان من العالم فيلزم وجود الشيء عند عدمه فان اجابوا بان فوق السطح الاعلى لا خلا ولا ملا لتقول قبل وجود العالم لأن الزمان موجود (واما بيان الثاني) فلان المشبهى يقول لا يمكن وجود موجود الا في مكان فالله في مكان فنقول فيلزمكم ان تقولوا الله في زمان لان الوهم كما لا يمكنه ان يقول هو موجود ولا يمكنه ان يقول هو كان موجودا ولا زمان وكل زمان فهو حادث وقد اجتمعنا على ان الله تعالى قديم (المسئلة الثانية) لو قال قائل اذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلما اختار الليل حيث قال وآية لهم الليل نقول لما استدلل بالمكان الذي هو المظلم وهو الارض وقال وآية لهم الارض استدلل بالزمان الذي فيه الظلمة وهو الليل (ووجه آخر) وهو ان الليل فيه سكون الناس وهدوا الاصوات وفيه النوم وهو كالموت ويكون بعده طلوع الشمس كالنفس في الصور فيتحرك الناس فذكر الموت كما قال في الارض وآية لهم الارض الميتة فذكر من ازمانين أشبههما بالموت كما ذكر من المكانين أشبههما بالموت (المسئلة الثالثة) ما معنى سلخ النهار من الليل نقول معناه تميزه منه يقال

وانما أطلعهم على ذلك بطريق الاجال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما يظن به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه (وآية لهم الليل) جملة من خير مقدم ومبتدا مؤخر كما مر وقوله تعالى (نسلخ منه النهار) جملة ميتة لكيفية كونه آية أي نزيله ونكتشفه عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاضراب في الاستعمال تعليق بالجلد يفصل سلخت الاهداب من الشاة وقديمكس ومنه الشاة المسلوخة (فاذا هم مظلمون) أي داخلون في الظلام فاجاء وفيه رمزا الى أن الاصل هو الظلام

انسلم النهار من الليل اذا أتى آخر النهار ودخل أول الليل وسلمه الله منه فانسلم هو منه
 وأما اذا استعمل بغير كلمة من قبل سلخت النهار أو الشمس فعناه دخلت في آخره فان قبل
 فالليل في نفسه آية فآية حاجة الى قوله نسلم من النهار نقول الشيء تبيين بضده منافع
 ومحاسنه ولهذا لم يجعل الله الليل وحده آية في موضع من المواضع الا و ذكر آية النهار
 معها وقوله فاذا هم مظلمون أي داخون في الظلام واذا للفاجأة أي ليس يندهم بعد
 ذلك أمر ولا بد لهم من الدخول فيه * وقوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك
 تقدير العزيز العليم) يحتمل أن يكون الواو للعطف على الليل تقديره وآية لهم الليل
 نسلم والشمس تجري والقمر قدرناه فهي كلها آية وقوله والشمس تجري اشارة الى
 سبب سلخ النهار فانها تجري لمستقر لها وهو وقت الغروب فينسلخ النهار وفائدة ذكر السبب
 هو أن الله لما قال نسلم منه النهار وكان غير بعيد من الجهال ان يقول قائل منهم سلخ النهار
 ليس من الله انما يسلم النهار بغروب الشمس فقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها بأمر
 الله فغرب الشمس سالخ للنهار فبذ كر السبب يبين صحة الدعوى ويحتمل ان يقال بان
 قوله والشمس تجري لمستقر لها اشارة الى نعمة النهار بعد الليل كانه تعالى لما قال وآية لهم
 الليل نسلم منه انهار ذكر أن الشمس تجري فطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار بمنافعه
 وقوله لمستقر اللام يحتمل أن تكون للوقت كقوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله
 تعالى فطلقوهن بعدتهن ووجد استعمال اللام للوقت هو ان اللام المكسورة في الاسماء
 التحقيق معنى الاضافة لكن اضافة الفعل الى سببه أحسن الاضافات لان الاضافة
 لتعريف المضاف بالمضاف اليه كما في قوله دار زيد لكن الفعل يعرف بسببه فيقال تجر
 للريح واشترى الاكل واذا علم أن اللام يستعمل للتعليل فنقول وقت الشيء بشبه سبب الشيء
 لان الوقت يأتي بالأمر الكائن فيه والامور متعلقة باوقاتها فيقال خرج لعشر من كذا
 وأقم الصلاة لدلوك الشمس لان الوقت معرف كالسبب وعلى هذا فعناه تجري الشمس
 وقت استقرارها أي كلما استقرت زمانا أمرت بالجري فجرت ويحتمل أن تكون بمعنى الى
 أي الى مستقر لها وتقريره هو أن اللام تذ كر للوقت والوقت طرفان ابتداء وانتهاء يقال
 سرت من يوم الجمعة الى يوم الخميس فجاز استعمال ما يستعمل فيه في أحد طرفيه لما بينهما
 من الاتصال ويؤيد هذا قراءة من قرأ والشمس تجري الى مستقر لها وعلى هذا في ذلك
 المستقر وجوه (الاول) يوم القيامة وعنده تستقر ولا يبقى لها حركة (الثاني) السنة
 (الثالث) الليل أي تجري الى الليل (الرابع) ان ذلك المستقر ليس بالنسبة الى الزمان بل
 هو للمكان وحينئذ ففيه وجوه (الاول) هو غاية ارتفاعها في الصيف وغاية انخفاضها
 في الشتاء أي تجري الى أن تبلغ ذلك الموضع فتراجع (الثاني) هو غاية مشارفها فان في كل
 يوم لها مشرق الى ستة أشهر ثم تعود الى تلك المنقطرات وهذا هو القول الذي تقدم
 في الارتفاع فان اختلاف المشارق بسبب اختلاف الارتفاع (الثالث) هو وصولها الى

والنور عارض (والشمس
 تجري لمستقر لها) لحد
 معين ينتهي اليه دورها
 فشيء بمستقر المسافر اذا
 قطع مسيرة أول كبد السماء
 فان حركتها فيه توجد
 أبدا بحيث يظن أن لها
 هناك وقفة قال * والشمس
 حيرى لها بالجو ودوم *
 أو لاستقرار لها على
 نهج مخصوص أو انتهى
 مقدر لكل يوم من المشارق
 والغارب فان لها في
 دورها ثلثمائة وستين
 مشرقا ومغربا تطلع
 كل يوم من مطلع وتغرب
 من مغرب ثم لا تعود اليه
 الى العام القابل أوله تطلع
 جريها عند خراب العالم
 وقرى الى مستقر لها
 وقرى لا مستقر لها أي
 لا ساكن لها فانها
 متحركة دائما وقرى

ينتهي في الابتداء (الرابع) هو الدائرة التي عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج على مرور الشمس وسنذكرها ويحتمل أن يقال لمستقرها أي تجرى مجرى مستقرها فإن أصحاب الهيئة قالوا الشمس في فلك والفلك يدور فيدير الشمس فالشمس تجرى مجرى مستقرها وقالت الفلاسفة تجرى لمستقرها أي لامر لو وجدها لاستقر وهو استخراج الاوضاع الممكنة وهو في غاية السقوط وأجاب الله عنه بقوله ذلك تقدير العزيز العليم أي ليس لارادتها وإنما ذلك بإرادة الله وتقديره وتديبه وتسخيره إياها فإن قيل حددت الوجوه الكثيرة وما ذكرت المختار فما الوجه المختار عندك نقول المختار هو أن المراد من المستقر المكان أي تجرى لبلوغ مستقرها وهو غاية الارتفاع والانخفاض فإن ذلك يشمل المشارق والمغرب والمجرى الذي لا يختلف والزمان وهو السنة والليل فهو أتم فائدة وقوله ذلك يحتمل أن يكون إشارة إلى جري الشمس أي ذلك الجرى تقدير الله ويحتمل أن يكون إشارة إلى المستقر أو مستقرها وذلك المستقر تقدير الله والعزيز الغالب وهو بكمال القدرة يغلب والعليم كامل العلم أي الذي قدر على أجزائها على الوجه الانفع وطمح الانفع فاجراها على ذلك وبيانه من وجوه (الاول) هو أن الشمس في ستة أشهر كل يوم تمر على مسافة شيء لم تمر من أمسها على تلك المسافة وأوقدر الله مرورها على مسافة واحدة لا حترقت الأرض التي هي مسافة لمرورها وبقي المجموع مستولبا على الأما كن الآخر فقد ر الله لها بعد التجمع الرطوبات في باطن الأرض والأشجار في زمان الشتاء ثم قد فر بها بتدرج تخرج النبات والثمار من الأرض والشجر وتنضج وتجفف ثم تبعد نللا يحترق وجه الأرض وانحصان الأشجار (الثاني) هو أن الله قدر لها في كل يوم طلوعا وفي كل ليلة غروا نللا تكل القوى والابصار بالسهر والتعب ولا يخرب العالم بترك العهارة بسبب الظلمة الدائمة (الثالث) جعل سيرها ابطأ من سير القمر وأسرع من سير زحل لانها كاملة النور فلو كانت بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا في مسانعة شيء واحد فقهرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبت بقدر ما ينضج الثمار في بقعة واحدة * ثم قال تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) قال الزمخشري لا بد من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام لأن القمر لم يجعل نفسه منازل فالعنى انقدرنا مسيره منازل وعلى ما ذكره يحتمل أن يقال المراد منه والقمر قدرناه ذامنازل لان ذا الشيء قريب من الشيء ولهذا جاز قول القائل عيشة راضية لان ذا الشيء كالتقائم به الشيء فأتوا بلفظ الوصف وقوله حتى عاد كالعرجون القديم أي رجع في الدقة الى حاله التي كان عليها من قبل والعرجون من الانعراج يقال لعود العذق عرجون والقديم المتفادم الزمان قيل ان ما خبر عليه سنة فهو قديم والصحيح أن هذه بعينها لا تشترط في جواز اطلاق القديم عليه وإنما اعتبر العادة حتى لا يقال لمدينة بنيت من سنة وسنتين انها بناء قديم أو هي قديمة ويقال لبعض الاشياء انه قديم وان لم يكن له سنة ولهذا جاز أن يقال بيت قديم وبناء قديم

لا مستقر لها على أن لا يعني ليس (ذلك) إشارة إلى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشارية للايدان بعلورتبه وبعد منزلته أي ذلك الجرى البديع المتطوى على الحكم الراجعة التي تجار في فهمها العقول والافهام (تقدير العزيز الغالب) بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) بالانصب باختيار فعل يفسر الظاهر وقري بالرفع على الابتداء أي قدرناه (منازل) وقيل قدرناه مسيره منازل وقيل قدرناه ذامنازل وهي اية وعشرون الشرطان البطين اثريا الدران الههقة الههقة الذراع

ولم يجز أن يقال في العالم انه قديم لان القدم في البيت والبناء يثبت بحكم تقادم العهد
 وحرور السنين عليه واطلاق القديم على العالم لا يعتاد الا عند من يعتقد انه لأول له
 ولا سابق عليه * ثم قال تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
 وكل في فلك يسبحون) اشارة الى أن كل شيء من الاشياء المذكورة خلقها على وفق
 الحكمة فالشمس لم تكن تصليح لها سرعة الحركة بحيث تدرك القمر والالكان في شهر واحد
 صيف وشتاء فلا تدرك النجوم وقوله ولا الليل سابق النهار قيل في تفسيره ان سلطان الليل
 وهو القمر ليس يسبق الشمس وهي سلطان النهار وقيل معناه ولا الليل سابق النهار اي
 الليل لا يدخل وقت النهار والثاني بعيد لان ذلك يقع ايضا للواضح والاول صحيح ان
 أريد به ما بينته وهو ان معنى قوله تعالى ولا الليل سابق النهار ان القمر اذا كان على
 أفق المشرق أيام الاستقبال تكون الشمس في مقابله على أفق المغرب ثم ان عند غروب
 الشمس يطلع القمر وعند طلوعها يغرب القمر كان لها حركة واحدة مع ان الشمس تتأخر
 عن القمر في ليلة مقداراً ظاهراً في الحس فلو كان للقمر حركة واحدة بها يسبق الشمس
 ولا تدرك الشمس وللشمس حركة واحدة بها تتأخر عن القمر ولا تدرك القمر لبق القمر
 والشمس مدة مديدة في مكان واحد لان حركة الشمس كل يوم درجة فخلق الله تعالى
 في جميع الكواكب حركة أخرى غير حركة الشهر والسنة وهي الدورة اليومية وبهذه
 الدورة لا يسبق كوكب كوكباً أصلاً لان كل كوكب من الكواكب اذا طلع
 غرب مقابله وكذا تقدم كوكب الى الموضع الذي فيه الكوكب الآخر بالنسبة اليه
 تقدم ذلك الكوكب فبهذه الحركة لا يسبق القمر الشمس فتبين ان سلطان الليل
 لا يسبق سلطان النهار فالمراد من الليل والقمر ومن النهار الشمس فقوله لا الشمس ينبغي
 لها أن تدرك القمر اشارة الى حركتها البطيئة التي تتم الدورة في سنة وقوله ولا الليل سابق
 النهار اشارة الى حركتها اليومية التي بها تعود من المشرق الى المشرق مرة أخرى في
 يوم وليلة وعلى هذا فغيب مسائل (المسئلة الاولى) ما الحكمة في اطلاق الليل وارادة
 سلطانته وهو القمر وماذا يكون لوقال ولا القمر سابق الشمس نقول لوقال ولا القمر سابق
 الشمس ما كان يفهم ان الاشارة الى الحركة اليومية فكان يتوهم التناقض فان الشمس
 اذا كانت لا تدرك القمر والقمر أسرع ظاهراً واذا قال ولا القمر سابق الشمس ان القمر
 لا يسبق الشمس فليس بأسرع فقال الليل والنهار ليعلم أن الاشارة الى الحركة التي بها تتم الدورة
 في مدة يوم وليلة ويكون لجميع الكواكب أو عليها طلوع وغروب في الليل والنهار
 (المسئلة الثانية) ما الفائدة في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك بصيغة الفعل وقوله
 ولا الليل سابق النهار بصيغة اسم الفاعل ولم يقل ولا الليل يسبق ولا قال مدركة القمر
 نقول الحركة الاولية التي للشمس ولا يدرك بها القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادرة منها
 وذكر بصيغة الفعل لان صيغة الفعل لا تطلق على من لا يصدر منه الفعل فلا يقال هو

النتزة الطرف الجبهة
 ان زرة انصرفه العواء
 السماء الفجر الزباني
 الاكليل القلب الشولة
 النعام البلدة سعد الذابح
 سعد بلع سعد السعود
 سعد الاخبية فرغ الدلو
 المقدم فرغ الدلو المؤخر
 الرشا وهو بطن الحوت
 ينزل كل ليلة في احد
 منها لا يتخطاها ولا
 يتفاصر عنها فاذا كان
 في آخره نازله وهو الذي
 يكون قبيل الاجتماع دق
 واستفوس (جتي عاد
 كالعرجون) كالشراخ
 المعوج فعلمون من
 الانعراج وهو الاعواج
 وقرى كالعرجون وهما
 لغتان كالبزبون والبرزون
 (القديم) العتيق وقيل
 هو ما مر عليه حول
 فصاعدا (لا الشمس
 ينبغي لها) أي يصح
 ويسهل (أن تدرك
 القمر) في سرعة السير

يخطو ولا يكون يصدر منه الخياطة والحركة الثابتة ليست مختصة بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشتركة بسبب حركة فلك ليس ذلك فللكالكوكب من الكواكب فالحركة ليست كاصدارة مند فأطلق اسم الفاعل لانه لا يستلزم صدور الفعل يقال فلان خياط وان لم يكن خياطا فان قيل قوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا يدل على خلاف ما ذكرتم لان النهار اذا كان يطلب الليل فالليل سابقه وقلتم ان قوله ولا الليل سابق النهار معناه ما ذكرتم فيكون الليل سابقا ولا يكون سابقا نقول قد ذكرنا ان المراد بالليل ههنا سلطان الليل وهو القمر وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في عتيم الآخر فكأنه طالبه فان قيل فلم ذكر ههنا سابق النهار وقد ذكر هناك يطالبه ولم يقل طالبه نقول ذلك لما بينا من ان المراد في هذه السورة من الليل كواكب الليل وهي في هذه الحركة كأنها لاحركه لها ولا تسبق ولا من شأنها انها سابقة والمراد هناك نفس الليل والنهار وهما زمانان والزمان لا قرار له فهو يطلب حثيثا لصدور الفعوى منه وقوله تعالى وكل في ذلك يسبحون ويحسبون ما ذكرنا أي ذلك طالع وغيره في يوم ويلة لا يسبق بعضها بعضا بالنسبة الى هذه الحركة وكل حركة في فلك تخصصه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) التنوين في قوله وكل عوض عن الاضافة معناه كل واحد واسقاط التنوين للاضافة حتى لا يجمع التعريف والتكبير في شيء واحد فلما سقط المضاف اليه انظار التنوين عليه لفظا وفي المعنى معرف بالاضافة فان قيل فهل يختلف الامر عند الاضافة لفظا وتركها فنقول نعم وذلك لان قول القائل كل واحد من الناس كذا لا يذهب الفهم الى غيرهم فيفيد اقتصار الفهم عليه فاذا قال كل كذا يدخل في الفهم عموم أكثر من العموم عند الاضافة وهذا كما في قيل وبعد اذا قلت اعمل قبل كذا فاذا حذف المضاف وقلت اعمل قبل افاد فهم الفعل قبل كل شيء فان قيل فهل بين قولنا كل منهم وبين قولنا كلهم وبين كل فرق نقول نعم عند قولك كلهم ثبت الامر للاقتصار عليهم وعند قولك كل منهم ثبت الامر أولا للعموم ثم استدركت بالتخصيص فقلت منهم وعند قولك كل ثبت الامر على العموم وتركه عليه (المسئلة الثانية) اذا كان كل بمعنى كل واحد منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يسبحون نقول الجواب عنه من وجوه (أحدها) ما بينا أن قوله كل للعموم فكأنه أخبر عن كل كوكب في السماء سائر (ثانيها) ان لفظ كل يجوز أن يوجد نظرا الى كونه لفظا موحدا غير مثنى ولا مجموع ويجوز أن يجمع لكون معناه جمعا وأما التنبيه فلا يدل عليها اللفظ ولا المعنى فعلى هذا يحسن أن يقول القائل زيد وعمرو كل جاء أو كل جاؤا ولا يقول كل جا بالثنية (وثالثها) لما قال ولا الليل سابق النهار والمراد ما في الليل من الكواكب قال يسبحون (المسئلة الثالثة) الفلك ماذا نقول الجسم المستدير أو السطح المستدير أو الدائرة لان أهل اللغة اتفقوا على أن فلكة المفضل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخبيطة

فان ذلك يخل بتكون النيات وتعيش الحيوان أو في الآثار والمنافع أو المكان بأن تنزل في منزله أو في سلطانه فتطمس نوره وإبلاء حرف التي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الاما قدرها (ولا الليل سابق النهار) أي يسبقه فيقوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آياتهما وهما النيران والسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا الاول وإيراد سبق مكان الإدراك لانه الملائم لسرعة سيره (وكل) أي وكلهم على أن التنوين عوض عن المضاف اليه الذي هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعتهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعدد ما في الذات أو الى الكواكب فان ذكر ههنا مشعر بها (في فلك يسبحون) يسبحون بانسباط وسهولة

هي الخشبية المسطحة المستديرة التي توضع على رأس العمود ثلاثينق العمود الخشبية
وهي صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق أكثر
المفسرين على أن السماء مبسوطة لها أطراف على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل
عليه قوله تعالى والسقف المرفوع نقول ليس في التصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون
السماء مبسوطة غير مستديرة ودل الدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المصير اليه
أما الاول فظاهر لان السقف المقيب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك كونها على جبال
وأما الدليل الحسي فوجود (أحدها) ان من آمن في السير في جانب الجنوب يظهر له
كواكب مثل سهيل وغيره تظهروا أبدأ حتى ان من يرصد براه دائما ويحوي عليه بنات الشمس
وغيرها خفاء أبدأ او كان السماء مسطحة مستويا بيان الكتل للكل بخلاف ما اذا كان
مستديرا فان بعضه حينئذ يستتر بأطراف الارض فلا يرى (الثاني) هو ان الشمس اذا
كانت مقارنة للعمل مثلا فاذا غربت ظهر لنا كوكب في منطقة البروج من الخيل الى
الميزان ثم في كل قليل يستتر الكوكب الذي كان غروب به بعد غروب الشمس ويظهر الكوكب
الذي كان طلوعه بعد طلوع الشمس وبالعكس وهو دليل ظاهر وان تحت فيد يصير قطعيا
(الثالث) هو ان الشمس قبل طلوعها او بعد غروبها يظهر ضوءها ويستتير الجيوب بعض
الاستنارة ثم يطالع ولولأن بعض السماء تستتر بالارض وهو حال الشمس فلا يرى جرمها
ويشتر نورها لما كان صككنا بل كان عند اطرافها الى السماء يظهر لكل أحد جرمها
ونورها معا لكون السماء مستوية حينئذ مكشوفة كلها لكل أحد (الرابع) القمر اذا
انكسف في ساعة من الليل في جانب المشرق ثم سئل أهل المغرب عن وقت الكسوف
أخبروا عن الكسوف في ساعة أخرى قبل تلك الساعة التي رأى أهل المشرق فيها
الكسوف لكن الكسوف في وقت واحد في جميع نواحي العالم والليل مختلف فدل على أن
الليل في جانب المشرق قبل الليل في جانب المغرب فالشمس غربت من عند أهل المشرق
وهي بعد في السماء ظاهرة لأهل المغرب فعلم أن استنارها بالارض او كانت مستوية لما
كان كذلك (الخامس) او كانت السماء مبسوطة لكان القمر عند ما يكون فوق رؤسنا
على المسامنة أقرب الينا وعند ما يكون على الافق أبعد مثلا ان العمود أصغر من القطر
والوتد وكذلك في الشمس والكواكب كان يجب أن يرى أكبر لان القريب يرى أكبر
وليس كذلك فان قيل جاز أن يكون وهو على الافق على سطح السماء وعند ما يكون على
مسامنة رؤسنا في بحر السماء فأرأفها لان الخرق جاز على السماء نقول لا تنازع في جواز
الخرق لكن القمر حينئذ تكون حركته في دائرة لاعلى خط مستقيم وهو غير مستقيم
ولان نقول او كان كذلك لكان القمر عند أهل المشرق وهو في منتصف نهارهم أكبر
مقدارا لكونه قريبا من رؤسهم ضرورة فرضه على سطح السماء الادنى وعندنا في بحر
السماء وبالجملة الدلائل كثيرة والاكتثار منها يلين بكتب الهيئة التي الغرض منها بيان

ذلك العلم وليس الغرض في التفسير بيان ذلك غير أن القدر الذي أوردناه يكفي في بيان كونه فلنكا مستديرا (المسئلة الرابعة) هذا يدل على أن لكل كوكب فلكا فاقولك فيه نقول أما السبعة السيارة فلكل فلك وأما الكواكب الاخر فقل لكل فلك واحد ولتذكر كلاما مختصرا في هذا الباب من الهيئة حيث وجب الشروع بسبب تفسير الفلك فنقول قيل ان للقمر فلكا لان حركته أسرع من حركة السنة الباقية وكذلك لكل كوكب فلك لاختلف غيرها بالسرعة والبطء والمرقان بعضها يرفق دائرة وبعضها في دائرة أخرى حتى في بعض الاوقات يمر بعضها ببعض ولا يكسفه وفي بعض الاوقات يكسفه فلنكل كوكب فلك ثم ان أهل الهيئة قالوا فكل فلك هو جسم كرة وذلك غير لازم بل اللازم أن تقول لكل فلك هو كرة أو صفحة أو دائرة يفعلها الكوكب بحركته والله تعالى قادر على أن يخلق الكوكب في كرة يكون وجوده فيها كوجود مسمار مغرق في ثخن كرة مجوفة و يدبر الكرة فيدور الكوكب بدوران الكرة وعلى مذهب أرباب الهيئة حركة الكواكب السيارة على هذا الوجه وكذلك قادر على أن يخلق حلقة يحيط بها أربع سطوح متوازية يهافتانها أربع دوائر متوازية كحجر الرشي اذا قورناه وأخر جنا من وسطه طاحونة من طواحين اليدوي يبقى منه حلقة يحيط بها سطوح حود وأثر كذا كونا وتكون الكواكب فيه وهم فلك فتدور تلك الحلقة وتدبر الكوكب والحركة على هذا الوجه وان كانت متدورة لكن لم يذهب اليه أحد من يعتبر وكذلك هو قادر على أن يجعل الكواكب بحيث تشق السماء فتجمل دائرة متوهمة كالوفرضت سمكة في السماء على وجهه تنزل من جانب وتصل الى موضع من الجانب الآخر على استدارة وهذا هو المفهوم من قوله تعالى وكل في فلك يسبحون والظاهر ان حركة الكواكب على هذا الوجه وأرباب الهيئة انكروا ذلك وقالوا لا يجوز الحركة على هذا الوجه لان الكوكب له جرم فاذا شق السماء وتحرك فاما أن يكون موضع دورانه ينشق ويلتئم كالماء تحركه السمكة أو لا ينشق ولا يلتئم بل هناك خلاء يدور الكواكب فيه لکن الخلاء محال والسماء لا تقبل الشق والالتئام هذا ما اعتقدوا عليه ونحن نقول كلاهما جائز أما الخلاء فلا يحتاج اليه ههنا لان قوله تعالى يسبحون يفهم منه انه يشق واللتئام وأما امتناع الشق والالتئام فلا دليل اهم عليه وشبهتهم في المحدد للجهات وهي هناك ضعيفة ثم انهم قالوا على ما بينا تخرج الحركات وبه علمنا الكسوفات واوكان لها حركات مختلفة لما وجب الكسوف في الوقت الذي يحكم فيه بالكسوف والخسوف وذلك لاننا نقول للشمس فلكان (أحدهما) مركزه مركز العالم (ثانيهما) مركزه فوق مركز العالم وهو مثل بيض البيض بين سفرتيه وبين القيص والشمس كرة في الفلك الخارج المركز تدور بدوراته في السنة دورة فاذا جعلت في الجانب الاعلى تكون بعيدة عن الارض فيقال انها في الاوج واذا حصلت في الجانب الاسفل تكون قريبة من الارض فتكون في الحضيض وأما القمر فله فلك شامل لجميع

أجرائه وأفلاكه وملاك آخره وبعض من ذلك الأول محيطه كالفقارة الفوقانية من
 البصلة وفلك ثالث في الفلك التحتاني كما كان في الفلك الخارج المركز في فلك الشمس وفي
 الفلك الخارج المركز كرة مثل جرم الشمس وفي الكرة القمر مركز كسمار في كرة مغرق
 فيها ويسمى انفلك الفوقاني الجوزهر والخارج المركز الفلك الحامل والفلك التحتاني
 السدي فيه الفلك الحامل المائل والكرة التي في الحامل تسمى فلك التدوير وكذلك
 قالوا في الكواكب الخمسة الباقية من السيارات غير ان الفوقاني الذي سموه فلك
 الجوزهر لم يثبتوا لها فثبتوا أربعة وعشرين فلكا فلك الاعلى وفلك البروج وزحل
 ثلاثة أفلاك المثل والحامل وفلك التدوير وللشترى ثلاثة كما زحل والمريخ كذلك
 ثلاثة وللشمس فلكان المثل والخارج المركز والزهرة ثلاثة أفلاك كالعلويات واعطارد
 أربعة أفلاك الثلاثة التي ذكرناها في العلويات وفلك آخر يسمونه المدير والقمر أربعة
 أفلاك والرابع يسمونه فلك الجوزهر والمدير ليس كالجوزهر لان المدير غير محيط بأفلاك
 عطارد وفلك الجوزهر محيط ومنهم من زاد في الخمسة في كل فلك فلكتين آخرين وجعل
 تدويراتها من كبة من ثلاثة أفلاك وقالوا ان بسبب هذه الاجرام تختلف حركات
 الكواكب ويكون لها عروض ورجوع واستقامة وبطء وسرعة هذا كلامهم على
 سبيل الاقتصار والافتقار ونحن نقول لا يعد من قدرة الله خلق مثل ذلك وأما على سبيل
 الوجوب فلان سلم ورجوعها واستقامتها بارادة الله وكذلك عرضها وطولها وبطؤها
 وسرعتها وقربها وبعدها هنا تمام الكلام (المسئلة الخامسة) قال المتجمون
 الكواكب احياء بدليل انه تعالى قال يسبحون وذلك لا يطلق الاعلى العاقل نقول ان
 أردتم انقدر الذي يصح به التسبيح فنقول به لانه ما من شيء من هذه الاشياء الا وهو يسبح
 بحمد الله وان أردتم شيئا آخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كافي قوله تعالى في حق
 الاصنام مالكم لا تنطقون وقوله لا تنطقون ثم قال تعالى (وآية لهم انما خلقنا ذراتهم
 في فلك المشحون) ولها مناسبة مع ما تقدم من وجهين (احدهما) انه تعالى لما من باحياء
 الارض وهي مكان الحيوانات بين انهم يقتصر بل جعل للانسان طريقا يتخذ من البحر
 خيرا وتوسطه أو يسرفيه كما يسير في البر وهذا حينئذ كقوله وحلناكم في البر والبحر
 ويؤيد هذا قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اذا فرسناه بأن المراد الابل فانها
 كسفن البراري (وثانيهما) هو انه تعالى لما بين سباحة الكواكب في الافلاك وذكر
 ما هو مثله وهو سباحة الفلك في البحار ولها وجه ثالث وهي ان الامور التي أنعم الله بها على
 عباده منها ضرور يقوم منها نفعة والاول للحاجة والثاني للزينة فخلق الارض وحياتها
 من القبيل الاول فانها المكان الذي لولاه لما وجد الانسان واولا احيائها لما عاش والليل
 والنهار في قوله وآية لهم الليل أيضا من القبيل الاول لانه الزمان الذي لولاه لما حدث
 الانسان والشمس والقمر وحركتهما لو لم تكن لما عاش ثم انه تعالى لما ذكر من القبيل

وآية لهم انما خلقنا ذراتهم
 اولادهم الذين يبعثونهم
 الى تجارتهم اوصيائهم
 ونساءهم الذين
 يستعجبونهم فان
 الذرية تطلق عليهن
 لاسيما مع الاختلاط
 وتخصيصهم بالذکر
 لما ان استقرارهم في
 السفن اشق واستمسكهم
 فيها ابدع (في الفلك
 المشحون) أي المملوء
 وقيل هو فلك نوح عليه
 السلام وحل ذراتهم
 فيها حل آبائهم الاقدمين
 وفي اصلا بهم هؤلاء
 وذراتهم وتخصيص
 أعقابهم بالذکر دونهم
 لانه أبلغ في الامتنان
 وأدخل في التعجب الذي
 عليه يدور كونه آية

الاول آيتين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة آيتين (احدهما) الفلك التي تجري في البحر
 فيستخرج من البحر ما يترين به كما قال تعالى ومن كل تأكلون لحاظربا وتستخرجون حلية
 تلبسونها وترى الفلك فيدم مواخر (وثانيهما) الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر في
 قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان الدواب زينة كما قال تعالى والحيل والبغال والحمير
 لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فيكون استدلالا
 عليهم بالضرورة والنافع لا يقال بان النافع ذكره في قوله جنات من نخيل وأعناب فانها
 للزينة لانا نقول ذلك حصل تبعا للضرورة لان الله تعالى لما خلق الارض منبتة لدفع
 الضرورة وأنزل الماء عليها كذلك لم أن يخرج من الجنة النخيل والاعناب بقدره الله
 وأما الفلك فمقصود لاتباع اذا علمت المناسبة في الآيات البحت لغوية ومعنوية (اما
 اللغوية) قال المفسرون الذرية بهم الآباء أي حملنا آباءكم في الفلك والالف واللام
 للتعريف أي فلك نوح وهو مذكور في قوله واصنع الفلك ومعلوم عند العرب فقال الفلك
 هذا قول بعضهم وأما الاكثرون فعلى أن الذرية لا تطلق الاعلى الولد وعلى هذا فلا بد من
 بيان المعنى فنقول الفلك اما أن يكون المراد الفلك المعين الذي كان لنوح واما أن يكون
 المراد الجنس كما قال تعالى وجعل انكم من الفلك والانعام ما تركبون وقال تعالى وترى
 الفلك فيه مواخر وقال تعالى فاذا ركبوا في الفلك الى غير ذلك من استعمال لام التعريف
 في الفلك ابيان الجنس فان كان المراد سفينة نوح عليه السلام ففيه وجوه (الاول) أن
 المراد انا حملنا اولادكم الى يوم القيامة في ذلك الفلك ولو لا ذلك لما بقي الادمي نسل ولا عقب
 وعلى هذا فوله حملنا ذريتهم بدل قوله حملناهم اشارة الى كمال النعمة أي لم تكن النعمة
 مقصورة عليكم بل متعددة الى اعقابكم الى يوم القيامة هذا ما قاله الزمخشري ويحتمل
 عندي أن يقال على هذا انه تعالى انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا
 لاقائده في وجودهم فقال حملنا ذريتهم أي لم يكن الخلق جلالة وانما كان جلالا لما في
 اصلاهم من المؤمنين كما ان من حمل صندوقا لقيمة وفيه جواهر اذا قيل له لم تحمل هذا
 الصندوق وتعب في حمله وهو لا يشتري بشيء يقول لا أحمل الصندوق وانما أحمل ما فيه
 (الثاني) هو ان المراد بالذرية الجنس معناه حملنا اجناسهم وذلك لان ولد الحيوان من
 جنسه ونوعه والذرية تطلق على الجنس ولهذا يطلق على النساء نهي النبي صلى الله عليه
 وسلم عن قتل الذراري أي النساء وذلك لان المرأة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنها
 من جنسه ونوعه يقال ذراري بنا أي أمثانا فقوله انا حملنا ذريتهم أي أمثالهم وآبائهم
 حيث تدخل فيهم (الثالث) هو ان الضمير في قوله وآية لهم عائدا الى العباد حيث قال يا حسرة
 على العباد وقال بعد ذلك وآية لهم الارض وقال وآية لهم الليل وقال وآية لهم انا حملنا
 ذريتهم اذا علم هذا فكأنه تعالى قال وآية للعباد انا حملنا ذريات العباد ولا يلزم أن يكون
 المراد بالضمير في الموضوعين اشخاصا معينين كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم ويريد بعضهم

(وخلقناهم من مثله) بما يماثل الفلك (مايركبون) من الابل فانهم اسفان البرا وما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها يخافون الله تعالى مع كونها ﴿ ٩٣ ﴾ من مصنوعات العباد ليس ليجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامة

بل لمزيد اختصاص
أصلها بقدرته تعالى
وحكمته حسبا يعرب
عنه قوله عز وجل واصنع
الفلك بأعيننا ووحينا
والتعبير عن ملايتهم
بهذه السفن بالركوب
لانها باختيارهم كأن
التعبير عن ملايتهم
بقولك نوح عليه السلام
بالحمل لكونها باختيار
منهم واختيار (وان
نشأ نفر ففهم) الخ من تمام
الآية فانهم معترفون
بمضمونه كما ينطق به
قوله تعالى واذا غشيهم
موج كالأظلم دعوا
الله مخلصين له الدين
وقرى تعرفهم بانشد
وفي تعليق الاغراق
بمحض المشيئة اشعار
بانه قد تكامل ما يوجب
اهلاكهم من معاصيهم
والم يبق الاتعلق مشيئته
تعالى به أي ان نشأ نفر ففهم
في اليم مع ما جعلناهم فيه
من الفلك فحديث خاق
الابل حينئذ كلام يحيى به
في خلال الآية بطريق
الاستطراد الكمال
التماثل بين الابل والفلك
فكانها نوع منه أو مع
مايركبون من السفن والزوارق (فلا صريح لهم) أي فلا ميث لهم يحرمهم من الفرق ويدفعه عنهم قبل

بعضا وكذلك اذا تقابل قوم ومات الكل في القتال يقال هؤلاء القوم هم قتلوا أنفسهم
فهم في الموضعين يكون عائد الى القوم ولا يكون المراد اشخاص معينين بل المراد ان
بعضهم قتل بعضا كذلك قوله تعالى وآية لهم أي آية لكل بعض منهم اما جعلنا ذريرة لكل
بعض منهم أو ذريرة بعض منهم وأمان قلنا ان المراد جنس الفلك فهو وأظهر لان سفينة نوح
لم تكن يحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل أحد وقوله تعالى
في سفينة نوح وجعلنا آية للعالمين أي بوجود جنسها ومثلها ويؤيده قوله تعالى ألم تر ان
الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليربكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل سبار شكور
فتقول قوله تعالى جعلنا ذريرتهم أي ذريات العباد ولم يقل جعلناهم لان سكوت الارض عام
لكل أحد يسكنها فقال وآية لهم الارض الميتة الى ان قال فنه يأكلون لان الأكل عام
وأما الحمل في السفينة فن الناس من لايركبها في عمره ولا يحمل فيها ولكن ذرية العباد لا بد
لهم من ذلك فان فيهم من يحتاج اليها فيحمل فيها (المسئلة الثانية) جعل الفلك تارة جمعا
حيث قال وترى الفلك فيه مواخر جمع ماخرة وأخرى فردا حيث قال في الفلك المشعرون
تقول فيه تدقيق ملبح من علم اللغو هو ان الكلمة قد تكون حركة كما مثل حركة ذلك
الكلمة في الصورة والحركتان مختلفتان في المعنى مثالها قواك سجدي سجود المصدر
وهم قوم سجود في جمع ساجد تظن انهما كلمة واحدة لعنيين وليس كذلك بل السجود عند
كونه مصدرا حركة أصلية اذا قلنا ان الفعل مشتق من المصدر وحركة السجود عند كونه
للجمع حركة متغيرة من حيث ان الجمع يشق من الواحد ويبلغى أن يلحق المشتق بتعبير
في حركة أو حرف أو في مجموعهما فساجد لما أردنا أن يشق منه لفظ جمع غيرناه وجئنا
بلفظ السجود فاذا السجود للمصدر والجمع ليس من قبيل الانفاط المشتركة التي وضعت
بحركة واحدة لعنيين اذا عرفت هذا فنقول انما عند كونه واحدا مثل قفل وبرد وعند
كونها جمعا مثل خشب ومرد وغيرهما فان قلت فاذا جعلت جمعا ماذا يكون واحدها
نقول جاز أن يكون واحدها فلكة أو غيرها مما لم يستعمل كواحد النساء حيث لم يستعمل
وكذا القول في امام مبین وفي قوله دعوا كل اناس بامامهم أي بانتمهم عند قوله تعالى امام
مبین امام كرام وكتاب وعند قوله تعالى كل اناس بامامهم امام كرام وجواب وهذا
من دقيق التصريف (واما المعنوية) فتذكرها في مسائل (المسئلة الاولى) قال ههنا
جعلنا ذريرتهم من عليهم يحمل ذريرتهم وقال تعالى اننا ناطفي الماء جعلناكم في الجارية من
هناك عليهم يحمل أنفسهم تقول لان من ينفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك الغير ومن
يدفع الضرر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضرر عن ذلك الغير بل يكون قد نفعه مثاله
من أحسن الى ولد انسان وفرحه فرح أبوه واذا دفع واحدا لأم عن ولد انسان
يكون قد فرح أباه ولا يكون في الحقيقة قد زال الام عن أبيه فعند طغيان الماء كان
الضرر يلحظهم فقال دفعت عنكم الضرر ولو قال دفعت عن أولادكم الضرر لما حصل

مايركبون من السفن والزوارق (فلا صريح لهم) أي فلا ميث لهم يحرمهم من الفرق ويدفعه عنهم قبل

وقوصه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أتاهم الصريح (ولا هم يتقنون) أى يتجوزون منه بعد وقوصه وقوله تعالى (الأرجحة منا وما) استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباحث * ٩٤ * المتقدم والغاية المتأخرة أى لا يتجاوزون

ولا يتقنون لشيء من الأشياء الأرجحة عظيمة من قبلنا داعية إلى الإغاثة والإنقاذ وتنتج بلجاية مترتب عليهما ويجوز أن يراد بالرجحة ما يقارن المنتج من الرجحة الدنياوية فيكون كلاهما غاية للإغاثة والإنقاذ أى نوع من الرجحة وتنتج (إلى حين) أى إلى زمان قدر فيه آجالهم كأقيل ولم أسلم الكفى أبقي ولكن * سلمت من الحمام إلى الحمام * (وإذا قبل لهم اتقوا) بيان لأعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان أعراضهم عن الآيات الآفاقية التى كانوا يشاهدونها أو عدم تأملهم فيها أى إذا قبل لهم بطريق الإنذار بما نزل من الآيات أو بغيره اتقوا (ما بين أيديكم وما خلقكم) من الآفات والنوازل فأنها محيطية بكم أو ما يصيبكم من المكارم من حيث تحتسبون ومن حيث لاتحتسبون أو من الوقائم النازلة على الأمم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم فى الآخرة أو من نوازل السماء ونوازل الأرض أو من عذاب الدنيا وعذاب

بيان دفع الضرر وههنا أراد بيان المنافع فقال جانا ذريتهم لان النعم حاصل بنفع الذرية ويدل على هذا ان ههنا قال فى الفلك المشحون فان امتلاء الفلك من الاموال يحصل بذكره بيان المنفعة وأما دفع المضرة فلان الفلك كلما كان أثقل كان الخلاص به ابسطاً وهنالك السلامة فاخترنا هنالك ما يدل على الخلاص من الضرر وهو الجرى وههنا ما يدل على كمال المنفعة وهو الشحن فان قيل قال تعالى وجعلناهم فى البر والبحر ولم نقل وجعلنا ذريتهم مع أن المقصود فى الموضوعين بيان النعمة لا دفع النعمة نقول لما قال فى البر والبحر عم الخلق لان ما من أحد الا وحل فى البر أو البحر وأما الحمل فى البحر فلم يتم فقال ان كنا ما حملناكم بأنفسكم فقد حملنا من يهكم أمره من الا وولد والا قارب والاخوان والاصدقاء (المسئلة الثانية) قوله المشحون يفيد فائدة أخرى غير ما ذكرنا وهى ان الأذى يرسب فى الماء ويفرق فعمله فى الفلك واقع بقدرته لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب فى الماء لان الخفيف يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون الثقل من الثقال التى ترسب ومع هذا حمل الله الانسان فيدمع ثقله فان قالوا ذلك لامتناع الخلاء نقول قد ذكرنا الدلائل الدالة على جواز الخلاء فى الكتب العقلية فاذا لم يحفظ الثقل فوق الماء الا بإرادة الله (المسئلة الثالثة) قال تعالى وآية لهم الأرض وقال وآية لهم الليل ولم يقل وآية لهم الفلك جعلناها بحيث تحملهم وذلك لان حملهم فى الفلك هو العجب أما نفس الفلك فليس بعجب لانه كبيت مبنى من خشب وأما نفس الأرض فعجب ونفس الليل عجيب لا قدرة عليهم ما لاحد الا الله * ثم قال تعالى (وخلقناهم من مثله ما يركبون) رفيه مسائل (المسئلة الاولى) من حيث اللغة والمعنى أما اللغة فقوله لهم يحتمل أن يكون عائداً إلى الذرية أى جعلنا ذريتهم وخلقنا للمحمولين ما يركبون ويحتمل أن يكون عائداً إلى العباد الذين عاد إليهم قوله وآية لهم وهو الحق لان الظاهر عود الضمائر إلى شئ واحد (المسئلة الثانية) من يحتمل وجهين (احدهما) أن يكون صلة تقدير وخلقناهم مثله وهذا على رأى الاخفش وسيبويه يقول من لا يكون صلة الاعتد اتقى نقول ما جازنى من أحد كما فى قوله تعالى وما من آمن من اعوب (وثانيهما) هى مبينة كما فى قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم كأنه لما قال خلقناهم والمخلوق كان اشياء قال من مثل الفلك للبيان (المسئلة الثالثة) الضمير فى مثله على قول الاكثيرين عائداً إلى الفلك فيكون هذا كقوله تعالى وآخر من شكله أزواج وعلى هذا فالظاهر أن يكون المراد الفلك الآخر الموجود فى زمانهم ويؤيد هذا قوله تعالى قال وان نشأ نقرقهم واوكان المراد الابل على ما قاله بعض المفسرين لكان قوله وخلقناهم من مثله ما يركبون فاصلا بين متصلين ويحتمل أن يقال الضمير عائداً إلى معلوم غير مذكور تقديره أن يقال وخلقناهم من مثل ما ذكرنا من المخلوقات فى قوله خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض وهذا كما قالوا فى قوله تعالى لياكلوا من ثمرة ان الهاء عائداً إلى ما ذكرنا أى من ثم ما ذكرنا (وعلى هذا فقوله خلقناهم فيه لطيفة) وهى ان ما من

الآخرة أو ماتقدم من الذنوب وما تأخر (اعلمكم ترجون) اما حال من واوتقوا أو غاية له أي راجين أن ترجوا أو
ترجوا فتجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط التجاة ﴿ ٩٥ ﴾ ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه

من قوله تعالى (وما أتيتهم
من آية من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين)
انفهاما يينا أما اذا كان
الانذار بالآية الكريمة
فعبارة النص وأما اذا
كان بغيرها فبدلانه لانهم
حين أعرضوا عن آيات
ربهم فلا ن يعرضوا
عن غيرها بطريق
الاولوية كأنه قيل واذا
قيل لهم اتقوا العذاب
أعرضوا حسبا اعتادوه
بما نافية وصيغة المضارع
للدلالة على الاستمرار
التجددي ومن الاولى
مزيدة لتأكيد العموم
والثانية تبعية واقعة
مع مجرورها صفة لآية
واضافة الآيات الى
اسم الرب المضاف الى
صغيرهم لتفخيم شأنها
المستتبع لتهويل ما
اجرة و اعطيه في حقها
والمراد بها اما الآيات
التنزيلية فآياتها نزولها
والمعنى ما ينزل اليهم
آية من الآيات القرآنية
التي من جعلتها هذه
الآيات الناطقة بما فصل
من بدائع صنع الله تعالى
وسوايق آياته الموجبة
للاقبال عليها والايان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب

احد الاول ركوب مركوب من الدواب وليس كل أحد يركب الفلك فقال في الفلك حلنا
ذريتهم وان كنا ما حلناهم وأما الخلق فلهم عام وما يركبون فيه وجهان (احدهما) هو
الفلك الذي مثل فلك نوح (وثانيهما) هو الابل التي هي سفن البر فان قيل اذا كان المراد
سفينة نوح فاوجه مناسبة الكلام نقول ذكركم بحال قوم نوح وان المكذبين هلكوا
والمؤمنين فازوا فكذلك هم ان آمنوا يفوزوا وان كذبوا يهلكوا * ثم قال تعالى
(وان نشأ عنهم) اشارة الى فأتيتهم (احدهما) ان في حال النعمة ينبغي أن لا يأمنا
عذاب الله (وثانيهما) هو ان ذلك جواب سؤال مقدر وهو ان الطبيعي يقول السفينة
تحمل بمقتضى الطبيعة والمجوف لا يرسب فقال ليس كذلك بل لو شاء الله أغرقهم وليس
ذلك بمقتضى الطبع ولو صح كلامه الفاسد لكان لقائل أن يقول ألسنت توافق ان من
السفن ما ينقلب وينكسر ومنها ما ينقبه ثاقب فيرسب وكل ذلك بمشيئة الله فان شاء الله
أغرقهم أغرقهم من غير شيء من هذه الاسباب كما هو مذهب أهل السنة أو بشيء من تلك
الاسباب كما تسلم أنت * وقوله تعالى (فلا صر يخ لهم) أي لا مغيث لهم يمنع عنهم العرق
(ولا هم يتقون) اذا أدركهم العرق وذلك لان الخلاص من العذاب اما أن يكون يدفع
العذاب من أصله أو يرفعه بعد وقوعه فقال لا صر يخ لهم يدفع ولا هم يتقون بعد الوقوع
فيه وهذا مثل قوله تعالى لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا يتقون فقوله لا صر يخ لهم ولا هم
يتقون فيه فائدة أخرى غير الحصر وهي أنه تعالى قال لا صر يخ لهم ولم يقل ولا منقذ لهم
وذلك لان من لا يكون من شأنه أن ينصر لا ينصر في الصرة تخافة أن يغلب ويذهب ماء
وجهه وانما ينصر ويغيث من يكون من شأنه ان يغيث فقال لا صر يخ لهم وأمان
لا يكون من شأنه ان يتقذ اذا رأى من يعر عليه في ضره يشرع في الانتقاذ وان لم يشق بنفسه
في الانتقاذ ولا يغلب على ظنه وانما يذل المجهود فقال ولا هم يتقون ولم يقل ولا منقذ لهم
ثم استثنى فقال (الا رحمة منا وما تا الى حين) وهو يفيد أمرين (أحدهما) انقسام
الانتقاذ الى قسمين الرحمة والمناجاة أي فحين علم الله منه انه يؤمن فينقذه الله رحمة وفيمن علم
انه لا يؤمن فليتمتع زمانا ويزداد انما (وثانيهما) انه يبان لكون الانتقاذ غير مفيد للدوام
بل الزوال في الدنيا لا بد منه فينقذه الله رحمة ويمتعه الى حين ثم يميتة فالزوال لازم ان يقع
* ثم قال تعالى (واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترجون) وجه تعلق
الآية بما قبلها هو ان الله تعالى لما تعدد الآيات بقوله وآية لهم الارض وآية لهم الليل
وآية لهم انا حلنا ذريتهم وكانت الآيات تفيد اليقين وتوجب القطع بما قال تعالى
ولم تغدهم اليقين قال فلا أقل من ان يحترزوا عن العذاب فان من أخبر بوقوع عذاب
يتقيه وان لم يقطم بصدق قول المخبر احتياطا فقال تعالى اذا ذكركم الدليل القاطع
لا يعترفون به واذا قيل لهم اتقوا لا يتقون فهم في غاية الجهل ونهاية الغفلة لا مثل العلماء
الذين يتبعون البرهان ولا مثل العامة الذين يبنون الامر على الاحوط ويدل على ما ذكرنا

والاستهزاء وامامها وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة للعجرات وغيرها من تعجيب المصنوعات التي من بجاتها الآيات الثلاث الممدودة آنفا المراد بآياتها ما يميز نزول الوحي وظهور ﴿ ٩٦ ﴾ تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم

آية من الآيات التي من جعلتها ما ذكر من شؤنه الشهادة بواحدانية تعالى وتفرده بالاوهبة الا كانوا عندها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى الايمان به تعالى واشاره على ان يقال الا عرضوا عنها كما وقع شمله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز التصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال أي ما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال من احوالهم الاحال اعراضهم عنها (واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله أي اعطاكم بطريق التفضل والانعاس من أنواع

قوله تعالى لعلمكم ترجون بحرف التثني أي في ظنكم فان من يخفى عليه وجه البرهان لا يترك طريقة الاحتراز والاحتياط وجواب قوله اذا قيل لهم اتقوا مخدوف معناه واذا قيل لهم ذلك لا يتقون أو يعرضون وانما حذف لدلالة ما بعده عليه وهو قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم وفي قوله تعالى ما بين أيديكم وما خلفكم وجوه (أحدها) ما بين أيديكم الآخرة فانهم مستقبلون لها وما خلفكم الدنيا فانهم تاركون لها (وثانيها) ما بين أيديكم من أنواع العذاب مثل العرق والحرق وغيرهما المدلول عليه بقوله تعالى وان نشأ نفرقهم فلاصبح لهم ولاهم يشقون وما خلفكم من الموت الطالب لكم ان نجوتهم من هذه الاشياء فلا حياة لكم منه يدل عليه قوله تعالى ومتاعا الى حين (وثالثها) ما بين أيديكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فانه حاضر عندكم وما خلفكم من أمر الحشر فانكم اذا اتقيتم تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم واتكذبت بالحشر رحمكم الله وقوله تعالى لعلمكم ترجون مع ان الرحمة واجبة فيه وجوه ذكرناها مرارا وزيد ههنا وجها آخر وهو انه تعالى لما قال اتقوا يعني انكم ان لم تقطعوا بناء على البراهين فاتقوا احتياطاً قال لعلمكم ترجون يعني ارباب اليقين يرجون جزماً وأرباب الاحتياط يرجون أن يرجوا والحق ما ذكرنا من وجهين (أحدهما) اتقوا راجين الرحمة فان الله لا يحب عليه شي (وثانيهما) هو ان الاتقاء نظراً اليه أمر يفيد الظن بالرحمة فان كان يقطع به أحد الامر من خارج فذلك لا يمنع الرجاء فان الملك اذا كان في قلبه أن يعطي من يقدمه أكثر من أجرته أضعافاً مضاعفة لكن الخدمة لا تقتضي ذلك يصح منه أن يقول افعل كذا ولا يبعد أن يصل اليك أجرتك أكثر مما تستحق ثم قال تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) وهذا متعلق بما تقدم من قوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين يعني اذا جاءتهم الرسل كذبوهم فاذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها وما اتقوا اليها وقوله ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون الى قوله لعلمكم ترجون كلام بين كلامين متصلين ويحتمل أن يقال هو متصل بما قبله من الآيات وبيانه هو أنه تعالى لما قال واذا قيل لهم اتقوا وكان فيه تقدير أعرضوا قال ليس اعراضهم مقتصراً على ذلك بل هم عن كل آية معرضون أو يقال اذا قيل لهم اتقوا اقترحوا آيات مثل انزال الملك وغيره فقال وما تأتيهم من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وعلى هذا كانوا في المعنى يكون زائداً معناه الا يعرضون عنها أي لاتضعهم الآيات ومن كذب بالبعض هان عليه التكذيب بالكل * وقوله تعالى (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) اشارة الى أنهم يتخلون بجميع ما على المكلف وذلك لان المكلف عليه التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله وهم تركوا التعظيم حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا وتركوا الشفقة على خلق الله حيث قيل لهم اتقوا فلم ينفقوا (وفيه لطائف) الاولى خوطبوا بأدنى الدرجات في التعظيم والشفقة فلم يأتوا بشي

على منهاج قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك وتنبها على عظيم جنتهم في ترك الامثال بالامر وكذلك من التبتضية
أى اذا قيل لهم بطريق التصحيح انفقوا ﴿ ٩٧ ﴾ بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضاه على المحتاجين فان ذلك

منه وعباد الله المخلصون خوطبوا بالادنى فأتوا بالاعلى انما قلنا ذلك لانهم في التقوى أمروا
بأن يتقوا ما بين أيديهم من العذاب أو الآخرة وما خلفهم من الموت أو العذاب وهو أدنى
ما يكون من الاتقاء وأما الخالص فيتقون تغيير قلب الملك عليه وان لم يعاقبه ومتى العذاب
لا يكون الا للبعيد فهم لم يتقوا معصية الله ولم يتقوا عذاب الله والمخلصون اتقوا الله
واجتنبوا مخالفته سواء كان يعاقبهم عليه أو لا يعاقبهم وأما في الشفقة فليلهم انفقوا ما
أى بعض ما هو لله في أيديكم فلم يتقوا والمخلصون آروا على أنفسهم وبدلوا كل ما في
أيديهم بل أنفسهم صرفوها الى نفع عباد الله ودفع الضرر عنهم (الثانية) كان في جانب
التعظيم ما كان فائدة التعظيم راجعة الا اليهم فان الله مستغن عن تعظيمهم كذلك في جانب
الشفقة ما كان فائدة الشفقة راجعة الا اليهم فان من لا يرزقه المتول لا يموت الا بأجله
ولا يد من وصول رزقه اليه لكن السعيد من قدر الله إيصال الرزق على يده الى غيره
(الثالثة) قوله بما رزقكم اشارة الى أمرين (أحدهما) ان الجمل به في غاية النجس فان الجمل
النجلاء من ينجس بمال الغير (وثانيهما) أنه لا ينبغي أن يمنعكم من ذلك مخافة الفقر فان الله
رزقكم فاذا أنفقتم فهو يخلفكم ثانيا كما رزقكم أولا وفيه مسائل أيضا (المسئلة الاولى)
عند قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا خذوا الجواب وههنا أجاب وأتى بأكثر من الجواب
وذلك لانه تعالى لو قال واذا قيل لهم انفقوا قالوا انطمع من لو يشاء الله اطعمه لكان
كافيا فالفائدة في قوله تعالى قال الذين كفروا للذين آمنوا نقول الكثير كانوا يقولون
بأن الاطعام من اصفات الحميدة وكانوا يفخرون به وانما أرادوا بذلك القول رد على
المؤمنين فقالوا نحن نطعم الضيوف معتقدين بأن افعلنا شئنا ولو لا اطعامنا لما اندفع
حاجة الضيف وأنتم تقولون ان الله يرزق من يشاء فلم تقولون لنا انفقوا فلما كان
غرضهم الرد على المؤمنين لا الامتناع من الاطعام قال تعالى عنهم قال الذين كفروا للذين
آمنا اشارة الى الرد وأما في قولهم اتقوا ما بين أيديكم فلم يكن لهم رد على المؤمنين
فأعرضوا وأعرض الله عن ذكر اعراضهم لحصول العلم به (المسئلة الثانية) ما الفائدة في
تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انفقوا على من لو يشاء الله رزقه وذلك لانهم أمروا
بالانفاق في قوله واذا قيل لهم انفقوا فكان جوابهم بان يقولوا انفقوا فلم قالوا أنضم نقول
فيه بيان غاية مخالفتهم وذلك لانهم اذا أمروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره
لم يأتوا بالانفاق ولا بأقل منه وهو الاطعام وقالوا لانطمع وهذا كما يقول القائل لغيره أعط
زيد دينار يقول لا أعطيه درهما مع أن المطابق هو ان يقول لا أعطيه ديناراً ولكن
المبالغة في هذا الوجه أتم فكذلك ههنا (المسئلة الثالثة) كان كلامهم حقا فان الله او شاء
أطعمه فلماذا ذكره في معرض الدم نقول لان مرادهم كان الانكار لقدرة الله أو لعدم
جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله وكلاهما فاسدين الله ذلك في قوله بما رزقكم فانه يدل
على قدرته ويصح أمره بالاعطاء لان من كان له في يد الغير مال وله في خزائنه مال فهو

بمساريد البلاء ويدقم
المكارة (قال الذين
كفروا) بالصانع عز وجل
وهم زنادقة كانوا بمكة
(الذين آمنوا) تكلموا بهم
وبما كانوا عليه من تعليق
الامور بمشينة الله تعالى
(أنطمع) حسبنا انظرونا به
(من لو يشاء الله اطعمه)
أى صلى زعمكم وعن ابن
عباس رضى الله عنهما
كان بمكة زنادقة اذا
أمروا بالصدقة على
الساكين قالوا لا والله
أبقره الله ونطمع نحن
وقيل قاله مشرك كوقر اش
حين استطعمهم فقراء
المؤمنين من أموالهم التي
زعموا أنهم جعلوها لله
تعالى من الحرث والاعنام
يوهمون أنه تعالى لما
أمر بشأ طعماءهم وهو قادر
عليه فقص أحق بذلك
وما هو الا لفرط جهالتهم
فان الله تعالى يطعم عباده
بأسباب من جعلتها
للاغنياء على اطعام الفقراء
وتوفيقهم لذلك (ان اتم
الاقى ضلال مبين) حيث
أمر وتنا بما يخالف مشيئة
الله تعالى وقد جوز أن
يكون جوابا لهم من جهته

تعالى او حكاية لجواب المؤمنين لهم ﴿ ١٣ ﴾ سا (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) أى فيما

تعدونابه من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما أنهم أيضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى التوب في هذا ما بطرأ على الاستهزاء ﴿ ٩٨ ﴾ واما باعتبار قرب العهد بالوعد (ما ينتظرون)

جواب من جهته تعالى
أى ما ينتظرون (الاصححة
واحدة) هي الصفحة الأولى
(تأخذهم) مفاجأة (وهم
يخصمون) أى يتخاصمون
في متاجرهم ومعاملاتهم
لا يخطر ببالهم شئ من
مخايلها كقوله تعالى
فأخذتهم الساعة بغتة
وهم لا يشعرون فلا يعرفوا
بعدم ظهور علائقها ولا
يرغوا أنم إلا أناتهم وأصل
يخصمون يتخاصمون
فسكنت الماء وأدغمت
في الصاد ثم كسرت الخاء
لالتقاء الساكنين وقرئ
بكسر الباء للاتباع وفتح
الخاء على افتاء حركة الماء
عليه وقرئ على
الاختلاس وبالاسكان على
تجويز الجمع بين الساكنين
إذا كان الثاني مدغما
وان لم يكن الأول حرف
مد وقرئ يتخصمون
من خصمه إذا جادله (فلا
يستطيعون توصية) في
شئ من أمورهم ان كانوا
فيما بين أهلهم (ولالى
أهلهم يرجعون) ان كانوا
في خارج أبوابهم بل
تيفتهم الصيحة فيموتون
حينما كانوا (ونفخ في
الصور) هي الصفحة الثانية بينها

مخير ان أراد أعطى مما في خزائنه وان أراد أمر من عنده المال بالاعطاء ولا يجوز ان يقول من يده ماله في خزائنه أكثر مما في يدي أعطه منه وقوله ان أنتم الا في ضلالمين اشارة الى اعتقادهم انهم قطعوا المؤمنين بهذا الكلام وان أمرهم بالانفاق مع قولهم بقدره الله ظاهر الفساد واعتقادهم هو الفاسد وفيه مباحث لغوية ومعنوية (أما اللغوية) فنقول ان وردت للثني بمعنى ما وكان الاصل في ان تكون للشرط والاصل في ما ان تكون للثني لكنهما اشتراكا من بعض الوجوه فتقارضا واستعمل ما في الشرط واستعمل ان في الثني أما الوجه المشترك فهو ان كل واحد منهما حرف مركب من حرفين متقار بين فان الهمزة تقرب من الالف والميم من التون ولا بد من أن يكون المعنى الذى يدخل عليه ما وان لا يكون ثابتا ما في ما فظاهر وأما في ان فلاك اذا قلت ان جاني زيد أكرمه ينبغي ان لا يكون له في الحال مجي فاستعمل ان مكان ما وقيل ان زيد قائم أى ما زيد قائم واستعمل ما في الشرط تقول ما تصنع اصنع والذي يدل على ما ذكرنا ان التافية تستعمل حيث لا تستعمل ان وذلك لانك تقول ما ان جالس زيد فتجعل ان سلة ولا تقول ان جالس زيد بمعنى الثني وبمعنى الشرط تقول اما ترى فتجعل ان أصلا وما صلة فدلنا هذا على ان ان في الشرط أصل وما دخيل وما في اننى بالعكس (البحث الثاني) قد ذكرنا ان قوله ان أنتم الا يفيد ما لا يفيد قوله أنتم في ضلال لانه يوجب الحصر وانهم ليسوا في غير الضلال (البحث الثالث) وصف الضلال بالبين وذكروا معناه انه لظهوره بين نفسه انه ضلال أى في ضلال لا يخفى على أحد انه ضلال (البحث الرابع) قد ذكرنا ان قوله في ضلال يفيد كونهم معجورين فيه غافلين وقوله في مواضع على بينة وعلى هدى اشارة الى كونهم راكبين على الطريق المستقيم قادرين عليه (وأما المعنوية) فهي انهم انما وصفوا الذين آمنوا بكونهم في ضلال مابين لكونهم ظانين ان المؤمن كلامه متناقض ومن تناقض كلامه يكون في غاية الضلال انما قلنا ذلك لانهم قالوا أو أظعم من لو يشاء الله أطعمه اشارة الى ان الله ان شاء أن يطعمهم كان يطعمهم فلا تقدر على اطعامهم لانه يكون تحصيله للحاصل وان لم يشأ اطعامهم لا يقدر أحد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تأمرونا بالاطعام (ووجه آخر) وهو انهم قالوا أراد الله تجوز بهم فلو أطعمناهم يكون ذلك سعيًا في ابطال فعل الله وانه لا يجوز أنتم تقولون اطعموهم فهو ضلال ولم يكن في الضلال الا هم حيث نظر والى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا أمره السيد بأمر لا ينبغي ان يكشف سبب الامر والاطلاع على المقصود الذى أمر به لاجله مثاله الملك اذا أراد الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه أحد وقال لعبده أحضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذى لاجله الركوب لنسب الى أنه يريد أن يطلع عدوه على الخدنة وكشف سره فالادب في الطاعة وهو اتباع الامر لا تتبع المراد فالتعالى اذا قال انفقوا مما رزقكم لا يجوز ان يقولوا لم يطعمهم

وبين الأولى أربعون سنة أى ينفتح فيه وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع (فأذا هم من الاجداث) أى القبور جمع جدث وقرى بالغاء (الى ربهم) ﴿ ٩٩ ﴾ مالك أمرهم على الاطلاق (ينسلون) يسرعون بطريق الاجبار دون

الاختيار لقوله تعالى
لدينا محضرون وقرى
بضم السين (قالوا)
أى فى ابتداء بعثهم
من القبور (يا ويلنا)
احضر فهذا أو انك
وقرى يا ويلتنا (من
بشنا من مرقدنا)
وقرى من أهنا من
هب من نومنا إذا اتبه
وقرى من هينا بمعنى
أينا وقيل أصله هب
ينفخ فى الجار وواصل
العمل الى الضمير قبل
فيه ترشيح ورمز
واشعار بانهم لا تخلط
عقولهم يظنون أنهم
كانوا أياما وعن مجاهد
ان الكفار هجمة يجدون
فيها طعم التوم فذا صبح
بأهل القبور يقولون
ذلك وعن ابن عباس
وأبى بن كعب وقادة
رحمهم الله تعالى ان
الله تعالى يرفع عنهم
العذاب بين النفختين
فيرقدون فاذا بثوا
بالنفخة الثانية
وشاهدوا من أهوال
القيامة ما شاهدوا دعوا
بالويل وقالوا ذلك
وقبل اذا طابوا جنتهم

الله ما فى خزائنه ثم قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهو اشارة الى ما اعتقد به وهوان القوى الأمور بها فى قوله واذا قيل لهم اتقوا والانفاق المذكور فى قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا لافائدة فيه لان الوعد لاحقيقته وقوله متى هذا الوعد أى متى يقع الموعد به وفيه مسائل (المسئلة الأولى) وهى ان ان للشرط وهى تستدعى جزاء ومتى استفهام لا يصلح جزاء فالجواب نقول هى فى الصورة استفهام وفى المعنى انكار انهم قالوا ان كنتم صادقين فى وقوع الحشر فقوا ومتى يكون (المسئلة الثانية) الحطاب مع من فى قولهم ان كنتم نقول الظاهر أنه مع الانبياء لانهم لما أنكروا الرسالة قالوا ان كنتم بأيمان المدعون الرسالة صادقين فأخبرونا متى يكون (المسئلة الثالثة) ليس فى هذا الموضع وعد فالاشارة بقوله هذا الوعد الى أى وعد نقول هو ما فى قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم من قيام الساعة أو نقول هو معلوم وان لم يكن مذكورا لكون الانبياء مقامين على تذكيرهم بالساعة والحساب والثواب والعقاب ثم قال تعالى (ما ينظرون الا صحيفة واحدة) أى لا ينظرون الا الصيحة المعلومة والتكبير للتكثير فان قيل هم ما كانوا ينظرون بل كانوا يجزمون بدمها فنقول الانتظار فعلى لانهم كانوا يفعلون ما يستحق به فاعله البوار وتعجيل العذاب وتفريب الساعة لولا حكم الله وقدرته وعلمه فانهم لا يقولون أو نقول للمالم يكن قوله متى استفهاما حقيقيا قال ينظرون انتظارا غير حقيقى لان القائل متى يفهم عند الانتظار نظرا الى قوله وقد ذكرنا ههنا فى الصيحة أمور اتدل على هولها وعظمتها (احدها) التكبير يقال فلان مال أى كثير وله قلب أى جرى (وثانيها) واحدة أى لا يحتاج معها الى ثانية (وثالثها) تأخذهم أى تمهم بالاخذ وتصل الى من فى مشارق الارض ومغاربها ولا شك ان مثلها لا تكون الاعظيمة وقوله (أأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصيه ولا الى أهلهم يرجعون) مما يعظم به الامر لان الصيحة المتسادة اذا وردت على غافل يرجف فان المقبل على مهم اذا صاح به صائح يرجف فواده بخلاف المنتظر للصيحة فاذا كان حال الصيحة ما ذكرناه من الشدة والقوة وتردد على الغافل الذى هو مع خصمه مشغول يكون الارنجاف أتم والايخاف أعظم ويحتمل أن يقال يخصمون فى البهت ويقاؤون لا يكون ذلك أصلا فيكونون غافلين عنه بخلاف من يعتقد انه يكون فيتهباله وينتظر وقوعه فانه لا يرتجف وهذا هو المراد بقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء من اعتقد وقوعها فاستعد لها وقدم مثلنا ذلك فبين شام برقاو علم ان سيكون وعد ومن لم يشعه ولم يعلم ثم رصد الرعد ترى الشأم العالم ثابتا والغافل الذاهل مغشيا عليه ثم بين شدة الاخذ وهى بحيث لا تمهلهم الى أن يوصوا وفيه أمور مبينة للشدة (احدها) عدم الاستطاعة فان قول القائل فلان فى هذه الحال لا يوصى دون قوله لا يستطيع التوصية لان من لا يوصى قد يستطيعها (الثانى) التوصية وهى بالقول والقول يوجد اسرع مما يوجد الفعل فقال لا يستطيعون كلمة فكيف فعلا يحتاج الى زمان

وما فيها من أنواع العذاب يصير عذاب القبر فى جنبها مثل التوم فيقولون ذلك وقرى من بعشنا ومن هينا بن الجارة والمصدر والمقد اما مصدر أى من رقادنا أو اسم مكان أو مدته

الجنس فينتظم مر اقدانكل (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) جلة من مبتدا وخبر وما موصولة محذوفة العائد أو مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنون عدل به عن سنن ﴿ ١٠٠ ﴾ سؤالهم تذكير الكفرهم وتقرير بعالهم

عليه وتبنيها على أن الذي يجهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هودون الباعث كانوا قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتابه وأرسل اليكم الرسل فصدقوك فيه وليس الامر كما توهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث تذكرون ما سمعوه من أرسل عليهم الصلاة والسلام فيجيئون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لم رقدنا وما وعد الخ خبر مبتدا محذوف أو مبتدا خبره محذوف أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق (ان كانت) أي ما كانت النفخة التي حكيت آتفا (الاصححة واحدة) حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور (فاذا هم جميع) أي مجموع (الدينا معضرون) من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين

طويل من أداء الواجبات ورد المظالم (الثالث) اختيار التوصية من بين سائر الكلمات يدل على أنه لا قدرة له على أهم الكلمات فان وقت الموت الحاجة الى التوصية أمس (الرابع) استكبر في التوصية للتعميم أي لا يقدر على توصية ما واو كانت بكلمة بسيرة ولان التوصية قد تحصل بالاشارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها (الخامس) قوله ولا الى أهلهم يرجعون بيان اشدة الحاجة الى التوصية لان من رجعوا الوصول الى أهله فديستك عن التوصية ادم الحاجة اليها وأما من يقطع بانه لا وصول له الى أهله فلا بدله من التوصية فاذا لم استطع مع الحاجة دل على غاية اشدة وفي قوله ولا الى أهلهم يرجعون وجهان (أحدهما) ما ذكرنا أنهم يقطعون بانهم لا يهلون الى أن يجمعوا بأهاليهم وذلك يوجب الحاجة الى التوصية (وثانيهما) أنهم الى أهلهم لا يرجعون يعني يتوتون ولا رجوع أهم الى الدنيا ومن يسافر سفرا ويعلم أنه لا رجوع له من ذلك السفر ولا اجتماعه بأهله مرة أخرى يأتي بالتوصية ثم بين ما بعده الصحيحة الاولى فقال (ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون) أي نفخ فيه أخرى كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال تعالى في موضع آخر ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال ههنا فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون واقيام غير انفس لان وقوله في الموضعين اذا هم يقتضى أن يكونا معانقول (الجواب) عنه من وجهين (أحدهما) أن القيام لا ينافي المشي السريع لان الماشي قائم ولا ينافي النظر (وثانيهما) أن لسرعة الامور كان الكل في زمان واحد كقول القائل * مكره مكره مقبل مدير معا * (المسئلة الثانية) كيف صارت النفختان مؤثرتين في أمرين متضادين الاحياء والامادة تقول لامؤثر غير الله والنفخ علامة ثم ان الصوت الهائل يزلزل الاجسام فعند الحياة كانت اجزاء الحى مجتمعة ووزنها فحصل فيها تفرق وقوة الموت كانت الاجزاء متفرقة فزلزلها فحصل فيها اجتماع فالخاصل ان النفختين يؤثران تزلزلا وانتقالا للاجرام فعند الاجتماع تتفرق وعند الافتراق تجتمع (المسئلة الثالثة) ما التحقيق في اذا التي للمفاجأة تقول هي اذا التي للظرف معناه نفخ في الصور فاذا نفخ فيهم ينسلون لكن الشيء قد يكون ظرفا للشيء معلوما كونه ظرفا فعند الكلام يعلم كونه ظرفا وعند المشاهدة لا يتجدد علم كقول القائل اذا طلعت الشمس أضياء الجو وغير ذلك فاذا رأى أضياء الجو عند الطلوع علم يتجدد علم زائد وما اذا قلت خرجت فاذا أسد بالباب كان ذلك الوقت ظرف كون الاسد بالباب لكنه لم يكن معلوما فاذا رآه علمه فحصل العلم بكونه ظرفا له مفاجأة عند الاحساس فقبل اذا المفاجأة (المسئلة الرابعة) أين يكون في ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحة الجبال نقول يجمع الله اجزاء كل واحد في الموضع الذي قبره فيخرج من ذلك الموضع وهو جدته (المسئلة الخامسة) لموضع موضع ذكر الهيبة وتقدم ذكر الكافر وانظر الى يدل على لرجة فاو قال يدل الرب المضاف اليهم لفظا اد اعلى الهيبة هل يكون ألبق أم لا (فلنا) هذا

أمر البعث والحشر والايذان باسئغنا ثمهما عن الاسباب ما لا يخفى (فاليوم لا تغلظ نفس) من النفوس برة كانت أو فاجرة (شيا) من الظلم (ولا ينجزون الا ما كنتم تعملون) أي الاجزاء

ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامة للتشبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما ﴿ ١٠١ ﴾ كشيء واحد أو الابلما كنتم تعملونه أي بمقابلته أو بسببه وتعميم

الخطاب للؤمنين يرده
أنه تعالى يوفهم أحورهم
ويزيدهم من فضله
أضعافا مضاعفة وهذه
حكاية لما سبق قال لهم
حين يرون العذاب
العداهم تحقفا للحق
وتقر بعالمهم وقوله تعالى
(إن أصحاب الجنة اليوم
في شغل فاكهون) من
جمله ما سبق قال يومئذ زيادة
لحسرتهم وندامتهم فإن
الاخسار بحسن حال
أعدائهم الربيان سوء
حالهم مما يزيدهم مساة
وفي هذه الحكاية من جزرة
لهؤلاء الكفرة عما هم
عليه وسدعاة الى الاقتداء
بسيرة المؤمنين والشغل
هو الشان الذي يصد
المرء ويشغله عما سواه
من شؤنه لكونه أهم
عنده من الكل اما لا يجابه
كالمسرة والبهجة
أو كالمساة والغم
والمراد ههنا هو الاول
وما فيه من التنكير
والايهام اللان ان
بارتفاعه عن رتبة البيان
والمراد به ما هم فيه
من قنوت الملاذ التي
تلهيهم عاذاهم بالكلية

اللفظ أحسن ما يكون لان من أساء واضطر الى التوجه الى من أحسن اليه يكون ذلك
أشد ألما وأكثر ندمًا من غيره (المسئلة السادسة) المسمى اذا توجه الى المحسن يقدم رجلا
و يواخر أخرى والنسلان هو سرعة المشي فكيف يوجد منهم ذلك تقول ينسلون من غير
اختيارهم وقد ذكرنا في تفسير قوله فاذا هم ينظرون انه أراد ان يبين كمال قدرته ونفوذ
ارادته حيث ينفخ في الصور فيكون في وقته جمع وتركيب واحياء وقيام وعدو في زمان
واحد وقوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون يعني في زمان واحد يستهون الى هذه
الدرجة وهي النسلان الذي لا يكون الا بعد مراتب * ثم قال تعالى (فانوا ياو ينلنا من بعثنا
من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) يعني المبعوثوا قائلين ذلك لان قوله وانشخ
في الصور يدل على انهم بعثوا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لو قال قائل لو قال الله تعالى
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون يقولون ياو ينلنا كان أبقى نقول معاذ الله وذلك
لان قوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون على ما ذكرنا اشارة الى أنه تعالى في أسرع
زمان يجمع اجزاءهم ويوئلهما ويحييها ويحركها بحيث يقع نسلانهم في وقت التفتح مع ان
ذلك لا ينلنا من الجنة والنايف ذوقا وتواون ان كان ذلك من الخلال ينسلون أي ينسلون
قائلين ياو ينلنا وليس كذلك فان قلوبهم ياو ينلنا قبل أن ينسلوا وانما ذكر النسلان لما ذكرنا
من القوائد (المسئلة الثانية) لو قال قائل قد عرفنا معنى النداء في مثل يا حسرة ويا حسرتنا
وياو ينلنا ولكن ما الفرق بين قلوبهم وقول الله حيث قال يا حسرة على العباد من غير اضافة
وقالوا يا حسرتنا وياو ينلنا نقول حيث كان القائل هو المكلف لم تكن لاحد علم
الاجتهال أو بحال من قرب منه فكان كل واحد مشغولا بنفسه فكان كل واحد يقول
يا حسرتنا وياو ينلنا وقوله قالوا ياو ينلنا أي كل واحد قال ياو ينلنا وأما حيث قال الله على
سبيل العموم اشمول علم بحالهم (المسئلة الثالثة) ما وجد تعلق من بعثنا من مرقدنا
بقولهم ياو ينلنا نقول لما بعثوا تذكروا ما كانوا يصنعون من الرسل فقالوا ياو ينلنا من بعثنا
أبعثنا الله المبعث الموعود به أم كنا نياما فنبهنا وهذا كما اذا كان انسان موعودا بان يأتيه
عدو لا يطيعه ثم يرى رجلا هائلا يقبل عليه فيرتجف في نفسه ويقول هذا ذلك أم لا ويدل
على ما ذكرنا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد اشارة الى انهم شكوا
في انهم كانوا نياما فنبهوا أو كانوا موتى وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجاءوا بين
الامرين فقالوا من بعثنا اشارة الى ظنهم أنه بعثهم الموعود به وقالوا من مرقدنا اشارة الى
توهمهم احتمال الانبياه (المسئلة الرابعة) هذا اشارة الى ما ذا نقول فيه وجهان
(أحدهما) انه اشارة الى المرقد كأنهم قالوا من بعثنا من مرقدنا هذا فيكون صفة المرقد
يقال كلامي هذا صدق (وثانيهما) هذا اشارة الى البعث أي هذا البعث ما وعد به الرحمن
وصدق فيه المرسلون (المسئلة الخامسة) اذا كان هذا صفة المرقد فكيف يصح قوله
تعالى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقول يكون ما وعد الرحمن مبتدأ خبره محذوف

واما ان المراد به اقتضاض الايكار أو السماع وضرب الاوتار أو التزاور

أوضيافة الله تعالى أو شغلهم غمافيه أهل النار على الاطلاق أو شغلهم عن أهاليهم في النار لا يجمعهم أمرهم ولا يباليون بهم كيلا يدخل عليهم تفويض في نعمهم كما روى كل واحد منها * ١٠٢ * عن واحد من أكابر السلف فليس مرادهم

بذلك حصر شغلهم في إذا كروه فقط بل بيان أنه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلاً من تلك الأمور بالذکر محمول على اقتضائه مقام البيان أي وهو مع جارم خبر لان وفا كهون خير آخر لها أي أنهم مستقرون في شغل وأي شغل في شغل عظيم الشان متعمون بنعم مقيم فأزرون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتزليل المترقب المتوقع منزلة الواقع الايدان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساهمة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون العين وفي شغل بفتح العين وسكون والكل لغات وقرئ فكهمون للبيان فكهمون بضم الكاف وهي انكسار تنطس وفاقهين وفكهمين على الحال من المستكن في الطرف وقوله تعالى (هم وأزاجهم في ظلال على الارائك متكوّن) استئنا مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكيرهم وتكميلها بما يزيدهم حجة وسرورا من شركة

تقديره ما وعد الرحمن حق والمرساون صدقوا أو يقال ما وعد به الرحمن وصدق فيه المرساون حق والاول أظهر لانه الاضمار أو يقال ما وعد الرحمن خير مبتدا محذوف تقديره هو ما وعد الرحمن من البعث ليس تنبيها من النوم وصدق المرسلون فيما أخبروكم به (المسئلة السادسة) ان فلنا هذا اشارة الى المرقد أو الى البعث فاجواب الاستفهامية واهم من بعثنا أين يكون تقول لما كان غرضهم من قوالهم من بعثنا حصول العلم بأنه بعث أو تنبيه حصل الجواب بقوله هذا بعث وعد الرحمن به ليس تنبيها كما أن الخائف اذا قال لغيره ماذا تقول أيقناني فلان فله أن يقول لا تخف وبسكت لعله ان غرضه ازالة الرعب عنه وبه يحصل الجواب ثم قال تعالى (ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) أي ما كانت النسخة الاصيحة واحدة يدل على النسخة قوله تعالى ونفخ في الصور ويحتمل أن يقال ان كانت الواقعة وقرئت الاصيحة مرفوعة على ان كان هي التامة بمعنى ما وقعت الاصيحة وقال المفسري او كان كذلك لكان الاحسن أن يقال ان كان لان المعنى حينئذ ما وقع شي الاصيحة لكن التأييد جازا حالة على الظاهر ويمكن أن يقول الذي قرأ بالرفع ان قوله اذا وقعت الواقعة تأنيث تهويل ومبالغة يدل عليه قوله ليس لوقعتها كاذبة فأنها للبيان فكذلك ههنا قال ان كانت الاصيحة مؤنثة تأنيث تهويل وانما جاءت اسماء يوم الحشر كلها مؤنثة كالتيسامة والقارعة والحماقة والطامة والصاخة الى غيرها والتمشيري يقول كاذبة بمعنى ليس لوقعتها نفس كاذبة وتأنيث اسماء الحشر ليكون الحشر مسمى بالقيامة وقوله محضرون دل على أن كونهم ينسلون اجباري لا اختياري * ثم بين ما يكون في ذلك اليوم بقوله تعالى (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا يجزون الا ما كنتم تعملون) فقوله لا تظلم نفس الا من المؤمن ولا يجزون الا ما كنتم تعملون لياس المجرم الكافر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما القامدة في الخطاب عند الاشارة الى ياس المجرم بقوله ولا يجزون وترك الخطاب في الاشارة الى امان المؤمن من العذاب بقوله لا تظلم ولم يقل ولا تظلمون أي المؤمنون نزول لان قوله لا تظلم نفس شيئا يفيد العموم وهو كذلك فانها لا تظلم أبدا ولا يجزون مختص بالكافر فان الله يجزي المؤمن وان لم يفعل فان الله فضلا يختص بالمؤمن وعدلا عما فيه بشارة (المسئلة الثانية) ما المنقضي لذكره التعقيب بقول لما قال محضرون مجموعون والجمع للفصل والحساب فكانه تعالى قال اذا جاءوا لم يجعوا الا لفصل بالعدل فلا تظلم عند الجمع للعدل فصار عدم الظلم مترتبا على الاحضار للعدل ولهذا يقول القائل للوالي أو للقاضي جلدت للعدل فلا تظلم أي ذلك يقتضي هذا ويستعقبه (المسئلة الثالثة) لا يجزون عين ما كانوا يعملون بل يجزون بما كانوا وعلى ما كانوا وقوله ولا يجزون الا ما كنتم تعملون يدل على أن الجزاء بين العمل لا يقال جزى يتعدى بنفسه وبالباء يقال جزى به خيرا وجزى به بخيرا لان ذلك ليس من هذا لانك اذا قلت جزى به بخير لا يكون الخبر مفعولك بل تكون الباء للتعاقب والسببية كالتك تقول جزى به جزاء بسبب

﴿ ما فعل ﴾

كيفية شغلهم وتفكيرهم وتكميلها بما يزيدهم حجة وسرورا من شركة

أزواجهم لهم فياهم فيه من الشغل والفكاهة على أنهم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلтан له قدمنا عليه للرأفة الفواصل ١٠٣ وهو والجاران بما تعلقا به من الاستقرار أخبار مترتبة وقيل

الخبر هو الظرف الاول والثاني مستأنف على أنه متعلق بتكئون وهو خبر مبتدأ محذوف وقيل على أنه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكين بلا همز نصبا على الحساب من المستكن في الظرفين أو أحدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الأرائك متعلق به وكذا في ظلال أو هذا بمضمر هو حال من المعطوفين والاضلال المعطوفين والاضلال جمع ظل كشعاب جمع شعب أو جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظل والأرائك جمع أريكة وهي السرير المزين بالشباب والستور قال ثعلب لا تكون أريكة حتى تكون عليها حجلة وقوله تعالى (لهم فيها ما يشاءون) الخ بيان لما يتبعون به في الجنة من المأكول والمشرب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكملا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة أي لهم فيها ما كفه

ما فعل فتقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن يكون ذلك اشارة على وجه المبالغة الى عدم الزيادة وذلك لان الشيء لا يزيد على عينه فنقول قوله تعالى يجزون بما كانوا يعملون في المساواة كأنه عين ما عملوا يقال فلان يجاوبني حرفا يحرف أي لا يترك شيئا وهذا يوجب البأس العظيم (الثاني) هو ان ما غير راجع الى الخصوص وانما هي الجنس تقديره ولا تجزون الا جنس العمل أي ان كان حسنة فحسنة وان كانت سيئة فسيئة ف يجزون ما عملون من السيئة والحسنة وهذا كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها * ثم بين حال المحسن وقال (ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها ما كفه ولهم ما يدعون) وقوله في شغل يحتمل وجوها (أحدها) في شغل من هول اليوم بأخذ ما آتاهم الله من الثواب فاعندهم خبر من عذاب ولا حساب وقوله فاكهون يكون متمم لبيان سلامتهم فالله لو قال في شغل جاز أن يقال هم في شغل أعظم من التفكير في اليوم وأهواله فان من يصيبه فتنة عظيمة ثم يمرض عليه أمر من أمور ويخبر بخسران وقع في ماله يقول أنا مشغول عن هذا بأهم منه فقال ما كهون أي شغلوا عنه باللذة والسرور لابلوا بل والتبور (وثانيها) ان يكون ذلك بياناً لخالصهم ولا يريد انهم شغلوا عن شيء بل يكون معناه هم في عمل ثم بين عملهم بأنه ليس بشاق بل هو ملاذ محبوب (وثالثها) في شغل عما توقعوه فانهم تصوروا في الدنيا أموراً وقالوا نحن اذا دخلنا الجنة لانطلب الا كذا وكذا فرأوا ما لم يخطر ببالهم فاشتغلوا به وفيه وجوه غير هذه ضعيفة (أحدها) قيل اقتضاض الأيثار وهذا ما ذكرناه في الوجه الثالث ان الانسان قد يرجع في نظره الآن مداعبة الكواعب فيقول في الجنة التذبهات ثم ان الله ربها يؤتيه ما يشاءه عنها (وثانيها) قيل في ضرب الأوتار وهو من قبيل ما ذكرناه نوههم (وثالثها) في التزاور (ورابعها) في ضيافة الله وهو قريب مما قلنا لارضيافة الله تكون بالذم ما يمكن وحينئذ تشغله تلك عما توهمه في دنياه وقوله فاكهون خبر ان وفي شغل بيان ما فكاهتهم فيه يقال زاد على عمله مقبل وفي بيته جالس فلا يكون الجار والمجورور خبرا ولو نصبت جالس المكان الجار والمجورور خبرا وكذلك لو قال في شغل فاكهن لكان معناه أصحاب الجنة مشغولون فاكهن على الحال وقرئ بالنصب والغا كهوة الملتذ المتعم به ومنه الغا كهوة لانها لا تكون في السعة اللذة فلاتؤكل لدفع ألم الجوع وفيه معنى لطيف وهو انه اشار بقوله في شغل عن عدمهم الألم فلا ألم عندهم ثم بين بقوله فاكهن عن وجدانهم اللذة وعادم الألم قد لا يكون واجد اللذة فبين انهم على أتم حال ثم بين الكمال بقوله هم وأزواجهم وذلك لان من يكون في لذة قد تنقص عليه بسبب تفكره في حال من همه أمره فقال هم وأزواجهم أيضا فلا يبقى لهم تعلق قلب وأمان في النار من أثار بهم وأخوانهم فيكونون هم عنهم في شغل ولا يكون منهم عندهم ألم ولا يشتبهون حضورهم والازواج يحتمل وجهين (أحدهما) أشكالهم في الاحسان وأمثالهم في الايمان كما قال تعالى من شكاه أزواج (وثانيها)

مجالس الانس ومحافل القدس تكملا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة أي لهم فيها ما كفه

كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه وما في قوله تعالى (واهم ما يدعون) موصولة أو موصوفة عبر بها عن مدعو
عظيم الشأن معين أو مبهم أي ذانا بأنه الحقيق بالدعاء دون ما عداه ﴿ ١٠٤ ﴾ ثم صرح به رومالزيادة التقرير

الازواج هم انهم مومن من زوج المرأة وزوجة الرجل كما في قوله تعالى الاعلى أزواجهم
أو ما ملكت أيمانهم وقوله تعالى ويندرون أزواجا فان المراد ليس هو الاشكال قوله
في ظلال جمع ظل وظلل جمع ظلة والمراد به الوقايه عن مكان الالم فان الجالس تحت كن
لا يخشى المطر ولا حر الشمس فيكون به مستعدا لدفع الالم فكذلك لهم من ظل الله ما يقبهم
الاسواء كما قال تعالى لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها غوب وقال لا يرون فيها شمسا
ولا زمهرا إشارة الى عدم الآلام (وفيه اطيقة) أيضا وهي ان حال المكلف اما ان
يكون اختلاها بسبب ما فيد من الشغل وان كان في مكان عال كالقاع قد في حر الشمس في البستان
المتزه أو يكون بسبب المكان وان كان الشغل مطلوبوا كالأعبة الكواعب في المكان
المكشوف واما ان يكون بسبب المأكول كالتفرج في البستان اذا أعوزه الطعام واما
بسبب فقد الحبيب والى هذا يشير أهل القلب في شرائط السماع بقولهم الزمان والمكان
والاخوان فقال تعالى في شغل فاكهون إشارة الى أنهم ليسوا في تعب وقال هم
وأزواجهم إشارة الى عدم الوحدة الموحشة وقال في ظلال على الأرائك متكون إشارة
الى المكان وقال لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون إشارة الى دفع جميع حوائجهم وقوله
متكون إشارة الى أدل وضع على القوة والفراغة فان الدائم قد يقوم لشغل والقاع قد
يقعد لهم وأما التكي فلا يتكى الا عند الفراغ والقدرة لان المريض لا يقدر على
الارتكاز وانما يكون مضطجعا أو مستلقيا والأرائك جمع أريكة وهي السرير الذي عليه
الفرش وهو تحت الحجرات فيكون مرتبها هو وما فوقه وقولهم فيها فاكهة إشارة الى أن
لا جوع هناك وليس الأكل يدفع ألم الجوع وانما ما كولهم فاكهة أو كان لما طريا
لا يقال قوله تعالى ولحم طير مما يشتهون يدل على التغاير وصدق الشهوة وهو الجوع لا
نقول قوله مما يشتهون يؤكده معنى عدم الالم لان أكل الشيء قد يكون للتداوي من غير
شهوة فقال مما يشتهون لان لحم الطير في الدنيا يؤكل في حالتين (احدهما) حالة المتعم
(والثانية) حالة ضعف المعدة وحينئذ لا يأكل لحم طير يشتهي وانما يأكل ما يوافقته
و يأمره به الطبيب وأما انه يدل على التغاير فنقول مسلم ذلك لان الخاص يخالف العام
على ان ذلك لا يقدح في فرضنا لاننا نقول انما اختار من أنواع المأكول الفاكهة في هذا
الموضع لانها أدل على التعم والتلذذ وعدم الجوع والتكبر لبيان الكمال وقد ذكرناه
مرارا وقوله لهم فيها فاكهة ولم يقل يأكلون إشارة الى كون زمام الاختيار بيدهم
وكونهم مالكيين وقادرين وقوله ولهم ما يدعون فيه وجوه (أحدها) لهم فيها ما يدعون
لانفسهم أي دعاؤهم مستجاب وحينئذ يكون هذا اقتمالا بمعنى الفعل كالأحتمال بمعنى
الحمل والارتحال بمعنى الرحيل وعلى هذا فليس معناه أنهم يدعون لانفسهم دعا فيستجاب
دعاؤهم بعد الطلب بل معناه ولهم ما يدعون لانفسهم أي ذلك لهم فلا حاجة لهم الى الدعاء
والطلب كان الملك اذا طلب منه مملوكه شيئا يقول لك ذلك فيفهم منه تارة ان طلبك محباب

بالتحقيق بعد التثويق
كما سطره أو هي باقية
على عمومها قصد بها
التعميم بعد تخصيص
بعض المواد المعتاد بالذكر
وأيا ما كان فهو مبتدأ
ولهم خبره والجملة معطوفة
على الجملة السابقة وعدم
الاكتفاء بمطف ما
يدعون على فاكهة ثلاثا
يتوهم كونها عبارة عن
توابع الفاكهة وتماثلها
والعنى ولهم ما يدعون
به لانفسهم من مدعو
عظيم الشأن أو كل
ما يدعون به كأنها ما كان
من أسباب البهجة
وموجبات السرور
وأيا ما كان فقد دلالة
على أنهم في أقصى غاية
البهجة والتمتع ويدعون
يفتعلون من الدعاء كما
أشير اليه مثل اشوى
واجتمل اذا شوى وجل
لنفسه وقبل بمعنى
يتداعون كالارتساء
بمعنى الترامي وقبل بمعنى
يتخون من قولهم ادع
على ما شئت بمعنى تمنه
على وقال الزجاج هو
من الدعاء أي ما يدعو به
أهل الجنة بأنهم فيكون
الاقتمال بمعنى الفعل كالأحتمال

الاقتمال بمعنى الفعل كالأحتمال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي ﴿ وان ﴾

وقوله تعالى (سلام) على التقدير الاول بدل ﴿ ١٠٥ ﴾ من ما يدعون أو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (قولا)

وأن هذا أمرهين يأتي على ما طلبت ويفهم تارة منه الرد ويان أن ذلك كحاصل فلم يطلبه
فقال تعالى ولهم ما يدعون ويطلبون فلا طلب لهم وتقريره هو أن يكون ما يدعون بمعنى
ما يصح أن يطلب ويدعى بمعنى كل ما يصح أن يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب أو نقول
المراد الطلب والاجابة وذلك لان الطلب من الله أيضا فيه لذة فلو قطع الله الاسباب بينهم
وبينه لما كان يطيب لهم فابقى اشياء يعطيهم اياها عند الطلب ليكون لهم عند الطلب لذة
وعند العطاء فان كون المملوك بحيث يتمكن من أن يخاطب المالك في حوائجه منصب عظيم
والمالك الجبار قد يدفع حوائج الممالك بأسرها فصدامته لئلا يخاطب (الثاني) ما يدعون
ما يتدعون وحينئذ يكون افتعلا لا بمعنى التفاعل كالاقتتال بمعنى القتال ومعناه
ما ذكرناه ان كل ما يصح ان يدعو احد صاحبه اليه أو يطالبه احد من صاحبه فهو حاصل
لهم (الثالث) ما يتدونه (الرابع) بمعنى الدعوى ومعناه حينئذ انهم كانوا يدعون في الدنيا
أن لهم الله وهو مولاهم وان الكافرين لا مولى لهم فقاتل لهم في الجنة ما يدعون به في الدنيا
فتكون الحكاية محكمة في الدنيا كأنه يقول في يومنا هذا لكم أيها المؤمنون عندما تدعون
اليوم لا يقال بان قوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال
يدل على ان القول يوم القيامة لاننا نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ان قوله هم
مبتدأ وأزواجهم عطف عليهم فيحتمل أن يكون هذا الكلام في يومنا هذا يخبرنا أن المؤمن
وأزواجه في ظلال عند اوله ما يدعوه (والجواب الثاني) وهو أولى هو ان نقول معناه لهم
ما يدعون أي ما كانوا يدعون لا يقال بأنه اصمار حيث لا ضرورة وانه غير جائز لاننا نقول
على ما ذكرنا يبقى الادعاء مستعملا في معناه المشهور لان الدعاء هو الايمان بالدعوى وانما
قلنا ان هذا أولى لان قوله سلام قولا من رب رحيم هو في دار الآخرة وهو كالنفسير لقوله
ما يدعون ولان قوله ما يدعون مذكور بين جهل كلاهما في الآخرة فما يدعون أيضا ينبغي أن
يكون في الآخرة وفي الآخرة لا يبقى دعوى وينتظر ظهور الامور والفصل بين أهل الشور
والجبور وقوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) هو اكل الاشياء وهو آخرها الذي
لا يبقى فوقه وتبينه في مسائل (المسئلة الاولى) ما الرفع لقوله سلام نقول يحتمل ذلك
وجوها (أحدها) هو بدل ما يدعون كأنه تعالى لما قال لهم ما يدعون بينة بيده فقال
لهم سلام فيكون في المعنى كالابتداء الذي خبره جار ومجرور كما يقال في الدار رجل
ولزيد مال وان كان في النحو ليس كذلك بل هو بدل وبن النكرة من المعرفة جائزة
فتكون ما بمعنى الذي معرفة وسلام نكرة ويحتمل على هذا أن يقال ما في قوله تعالى
ما يدعون لا موسوفة ولا موصولة بل هي نكرة تقديره لهم شيء يدعون ثم بين بذكر البدل
فقال سلام والاول هو الصحيح (وثانيها) سلام خبر ما ولهم ايمان الجهة تقديره ما يدعون
سالم لهم أي خالص والسلام بمعنى السالم الخالص أو التسليم يقال عبد سلام أي سليم من
العيوب كما يقال زيد اشرف منوف والجار والمجرور يكون ايمان من له ذلك والاشرف

مصدره مؤ كدلفعل هو
صفة سلام وما بعده
من الجار متعلق بمصدر
هو صفة له كأنه قيل
ولهم سلام او ما يدعون
سلام يقال لهم قولا كأننا
(من) جهة (رب رحيم)
أي يسلم عليهم من جهته
تعالى بواسطة الملاك
أو يدونها مسالمة
في تعظيمهم قال ابن
عباس رضي الله عنهما
والسلامة يدخلون
عليهم بالتحية من رب
العالمين وأما على التقدير
الثاني فقد قيل انه خبر
لما يدعون ولهم لبيان
الجهة كما يقال زيد اشرف
منوف على أن اشرف
مبتدأ ومنوف خبره
والجار والمجرور لبيان
من له ذلك أي ما يدعون
سالم لهم خالص لا شوب
فيه وقولا حينئذ مصدر
مؤكد لمضمون الجملة
أي عدة من رب رحيم
والاوجه أن ينصب
على الاختصاص وقيل
هو مبتدأ محذوف الخبر
أي لهم سلام أي تسليم
قولا من رب رحيم
أو سلامة من الآفات

فيكون قولاً مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة كما سبق * ١٠٦ * وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال

لهم من جهته تعالى يومئذ وقال خير الفعل المقدر ناصياً لقولاً وقبل خبره من رب رحيم وقرئ سلاماً بالنصب على الجمالية أي لهم مرادهم سالماً خاصاً وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين (وامتازوا اليوم) عطف ما على الجملة السابقة المسوقة لبيان أحوال أهل الجنة لا على أن التصود عطف فعل الأمر بخصوصه حتى يتحمل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا وآتوا الزكاة تغيير السبك لتخييل حال التباين بين الفريقين وحمايهما وإما على مضمون ينساق إليه حكاية حال أهل الجنة كأنه قبل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بتعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا

هو المبتدأ وتوفر خبره (ومآثلها) قوله تعالى سلام منقطع عما تقدم وسلام مبتدأ وخبره محذوف تقديره سلام عليهم فيكون ذلك اخباراً من الله تعالى في يومنا هذا كأنه تعالى سكت لنا وقال إن أصحاب الجنة اليوم في شغل ثم لآبين كمال حالهم قال سلام عليهم وهذا كإني قوله تعالى سلام على نوح وسلام على المرسلين فيكون الله تعالى أحسن إلى عباده المؤمنين كأحسن إلى عباده المرسلين وهذا وجه مبتدأ كجيد ما يدل عليه منقول أو نقول تقديره سلام عليكم ويكون هذا نوعاً من الالتفات حيث قال لهم كذا وكذا ثم قال سلام عليكم (المسئلة الثانية) قولاً منصوب بماذا نقول يحتمل وجوهاً (أحدها) نصب على المصدر تقديره على قولنا المراد لهم سلام هو أن يقال لهم سلام بقوله الله قولاً أو بقوله الملائكة قولاً وعلى قولنا ما يدعون سالم لهم تقديره قال الله ذلك قولاً ووعدهم بأن لهم ما يدعون سالم وعداؤهم على قولنا سلام عليهم تقديره أقول قولاً وفيه من رب رحيم يكون إيمان أن السلام منه أي سلام عليهم من رب رحيم أقوله قولاً ويحتمل أن يقال على هذا أنه تمييز لأن السلام قد يكون قولاً وقد يكون فعلاً فإن من يدخل على المالك فيطاطم رأسه يقول سلمت على المالك وهو حينئذ يقول القائل البيع موجود حكماً لا حساً وهذا ممنوع عنه قطعاً لا ظناً (المسئلة الثالثة) قال في السلام من رب رحيم وقال في غيره من أنواع الأكرام نزلاً من غفور رحيم فهل بينهما فرق نقول نعم أما هناك فلأن النزول ما يرزق النزول أو لا وذلك وإن كان يدل عليه ما بعده فإن النزول إذا أكرم أو لا يدل على أنه مكرم وإذا أخل بكرامته في الأول يدل على أنه مهان دائماً غير أن ذلك غير متطوع به لجواز أن يكون المالك واسع الرزق فيرزق نزله أو لا ولا يمنع منه الطعام والشراب ويناقشه في غيره فقال غفور لما صدر من العبيد ليأمن العبد ولا يقول بأن الاطعام قد يوجد ممن يعاقب بعده والسلام يظهر منزلة تعظيمه للمسلم عليه لا بغيره فقال رب غفور لأن رب الشيء مالكه الذي إذا نظر إلى علو مرتبته لا يرجي منه الالتفات إليه بالتعظيم فإذا سلم عليه يعجب منه وقيل انظر هو سيده ويسلم عليه ثم قوله تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وفيه وجوه منها تبيين وجد التوبيخ أيضاً (الأول) امتازوا في أنفسكم وتفرقوا كما قال تعالى تسكاد تميز من الغيظ أي بعضهم من بعض غير أن تميزهم من الحسرة والتدامة ووجه الترتيب حيث أن المجرم يرى منزلة المؤمن ورفعه ونزول دركته وضعته فيحسر فيفسال لهم امتازوا اليوم إذا لدواء لا للملك ولا لشفاء استقمكم (الثاني) امتازوا عن المؤمنين وذلك لأنهم يكونون مشاهدين لما يصل إلى المؤمن من الثواب والأكرام ثم يقال لهم تفرقوا وادخلوا مساكنكم من النار فليبق لكم اجتماع بهم ابتداء (الثالث) امتازوا بعضكم عن بعض على خلاف ما للمؤمن من الاجتماع بالآخوان الذي أشار إليه بقوله تعالى هم وأزواجهم فأهل النار يكون لهم العذاب الأليم وعذاب الفرقة أيضاً ولا عذاب فوق الفرقة بل العقلاء قالوا بأن كل عذاب فهو بسبب تفرق اتصال

فان

عنهم (أيها المجرمون) إلى مصبركم وعن فتادة ﴿ ١٠٧ ﴾ اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من الناز

فان من قطعت يده أو احرق جسمه فانما ألم بسبب تفرق المتصلات بعضها عن بعض لكن التفرق الجسمي دون التفرق العقلي (الرابع) امتازوا عن شفعاثكم وقرنانكم فانكم اليوم جيم ولا شفيع (الخامس) امتازوا عما ترجون واعتزلوا عن كل خير والمجرم هو الذي يأتي بالجرية ويحتمل أن يقال ان المراد منه ان الله تعالى يقول امتازوا فيظهر عليهم سيما يعرفون بها كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وحينئذ يكون قوله تعالى امتازوا أمر تكويين كما أنه يقول كن فيكون كذلك يقول امتازوا فيتميزون بسيماهم ويظهر على جباههم أوفى وجوههم سواد * ثم قال تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والمجرمين كان لقائل أن يقول ان الانسان كل ظلوما جهولا والجهل من الاعتذار فقال الله ذلك عند عدم الانذار وقد سبق ايضاح السبل بایضاح الرسل وعهدنا اليكم وتلوننا عليكم ما ينبغي أن تفعلوه وما لا ينبغي * وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في اللغات التي في أعهد وهي كثيرة (الاولى) كسر همزة أعهد بحروف الاستقبال كما تكسر الالياء فلا يقال يعلم ويعلم ويعلم (الثانية) كسر الهاء من باب ضرب يضرب (الثالثة) قلب العين جيما ألم أجهد وذلك في كل عين بعدها هاء (الرابعة) ادغام الهاء في الحاء بعد القلب فيقال ألم أحد وقد سمع قوم يقولون دحا ححا أي دعها معها (المسئلة الثانية) في معنى أعهد وجوه أفر بها أو فواها ألم أو ص اليكم (المسئلة الثالثة) في هذا العهد وجوه (اول) انه هو العهد الذي كان مع آيين آدم بقوله وعهدنا الى آدم (الثاني) انه هو الذي كان مع ذر يذآدم بقوله تعالى ألتبر بكم قالوا بلى فان ذلك يقتضي أن لا تعبد غير الله (الثالث) وهو الأقوى ان ذلك كان مع كل قوم على لسان رسول وذاك اتفق العقلاء على ان الشيطان يأمر بالشروان اختلفوا في حقيقته وكيفيته (المسئلة الرابعة) قوله لا تعبدوا الشيطان معناه لا تطيعوه بدليل ان النهي عنه ليس هو السجود له فحسب بل الانقياد لامره والطاعة فالطاعة عبادة لا يقال فتكون نحن مأمورين بمباداة الامراء حيث أمرنا بطاعتهم في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم لانا نقول طاعتهم اذا كانت بأمر الله لا تكون الاعباد لله وطاعة له وكف لا ونفس السجود والركوع لا غير اذا كان بأمر الله لا يكون الاعباد لله الأتري ان الملائكة سجدوا لآدم ولم يكن ذلك الاعباد لله وانما عبادة الامراء هو طاعتهم فيمان بأذن الله فيه فان قيل بماذا لم طاعة الشيطان من طاعة الرحمن مع اننا نسمع من الشيطان خيرا ولا ترى منه أثرا نقول عبادة الشيطان في مخالفة أمر الله أو الايمان بما أمر الله لانه أمر به في بعض الاوقات يكون الشيطان يأمرك وهو في غيرك وفي بعض الاوقات يأمرك وهو فيك فاذا جاءك شخص يأمرك بشئ فانظر ان كان ذلك موافقا لأمر الله أو ليس موافقا فان لم يكن موافقا فذلك الشخص معه الشيطان يأمرك بما يأمرك به فإطاعته فقد

يكون فيه لا يرى ولا يرى
وأما ما قيل من أن المضر
فليمتازوا فبمعزل من السداد
لما أن المحكي عنهم ليس
مصيرهم الى ما ذكر من
الحسال المرضية حتى
ينسى ترتيب الامر
المدكور عليه بل انما هو
استقرارهم عليها بالفعل
وكون ذلك بطريق
تنزيل المتقرب منزلة
الواقع لا يجدي نفعا
لان مناط الاضمار انسياق
الافهام اليه وانصبا
نظم الكلام عليه فبعد
ما نزلت تلك الحال من منزلة
الواقع بالفعل لما اقتضاه
المقام من التمكن البارعة
والحكمة الرائعة حسبا
مربيا وهو واسطة كونها
متروكة عن درجة الاعتبار
بالكتابة يكون التصدي
لاضمار شئ يتعلق
به اخراجا لنظم التكرم
عن الجزالة بالمره (ألم
أعهد اليكم يا بني آدم
أن لا تعبدوا الشيطان)
من جملة ما يقال لهم
بطريق التفرع والالزام
والتبكيك بين الامر
بالاستيثار وبين الامر
بدخول جبرهم

بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم ﴿ ١٠٨ ﴾ بأمر فيه خير ومنفعة والمراد همنا ما كلفهم الله

تعالى على أسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام من الاوامر والنواهي التي من جعلتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهور بنى آدم وأشهدوا على أنفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم زينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولو وقعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة واعهد بكسر الهاء واحمد بن سنان كما العين واحد بالادغام وهي لغة بني تميم

عبدت الشيطان وان دعوتك نفسك الى فعل فانظر أهو مأذون فيه من جهة الشرع أو ليس كذلك فان لم يكن مأذوناً فيه فنفسك هي الشيطان أو معها الشيطان يدعوك فان اتبعته فقد عبدته ثم ان الشيطان يأمر أو لا يخافه الله ظاهراً فمن أطاعه فقد عبده ومن لم يطعه فلا يرجع عنه بل يقول له اعبد الله كي لا تهان وليرتفع عند الناس شأنك وينفع بك اخوانك واعوانك فان أجاب اليه فقد عبده لكن عبادة الشيطان على تفاوت وذلك لان الاعمال منها ما يقع والعامل موافق فيه جنانه ولسانه وأركانه ومنها ما يقع واللسان يخالف الجوارح أو الاركان فمن الناس من يرتكب جريمة ككارها بقلبه لما يقترف ذنبه مستغفراً له به يعترف بسوء ما يقترف فهو عبادة الشيطان بالاعضاء الظاهرة ومنهم من يرتكبها وقلبه طيب ولسانه رطب كأنك تجد كثيراً من الناس يفرح بكونه متردداً الى أبواب الظلمة للسعاية ويعد من المحاسن كونه سارياً مع الملوك ويقهر به بلسانه وتجدهم يفرحون بكون نهم أمراء الملك بالظلم والملك يتفاد لهم أو يفرحون بكونه يأمرهم بالظلم فيظلمون فرحين بما ورد عليهم من الامر اذا عرفت هذا فالطاعة التي بالاعضاء الظاهرة والبواطن طاهرة مكفرة بالاسقام والآلام كما ورد في الاخبار ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخي من فحج جهنم وقوله صلى الله عليه وسلم السيف مجاهد للذنوب أي لئلا هذه الذنوب ويدل عليه ما قال صلى الله عليه وسلم في الحدود وانها كفارات وما يكون بالقلوب فلا خلاص عنه الا بالتوبة والتدم واقبال القلب على الرب وما يكون باللسان فهو من قبيل ما يكون بالقلب في الظاهر والمثال بوضع الحال فنقول اذا كان عند السلطان أمير وله غلمان هم من خواص الامير واتباع بعدهم هم من عوام الناس فاذا صدر من الامير مخالفة ومسارة مع عدو السلطان ومصادقة بينهما لا يعفوا الملك هن ذلك الا اذا كان في غاية الصفح أو يكون للامير عنده يد سابقة أو توبة لاحقة فان صدر من خواص الامير مخالفة وهو به عالم ولم يزجره عدت المخالفة موجودة منه وان كان كارهاً وأظهر الانكار حسنت معاتبته دون معافيته لان اقدام خواصه على المخالفة دليل على سوء الترتيب فان كان الصادر من الخواشي الابعاد وبلغ الامير ولم يزجره عوتب الامير وان زجرهم استحق الامير بذلك الزجر الاكرام وحسن من الملك أن يسدى الى المزجور الاحسان والانعام ان علم حصول انزجاره اذا علمت هذا فالقلب أمير واللسان خاصته والاعضاء خدمه فاذا صدر من القلب فهو العظيم من الذنب فان أقبل على محبة غير الله فهو الويل العظيم والضلال المبين المستعقب لامقاب الأليم والعذاب المهين وما يصد من اللسان فهو محسوب على القلب ولا يقبل قوله ان لم ينكر فعله وما يصد من الاعضاء والقلب قد أظهر عليه الانكار وحصل له الانزجار فهو الذنب الذي حكى النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال لو لم تذنبوا لخلقنا أهواءاً يذنبون ويستغفرون فاستغفر لهم (وهيما لطيفة) وهي ان الشيطان قد يرجع عن عيبه من عبادة الله فرحاً بما يظن انه قد

حصل مقصوده من الاغواء حيث يرى ذلك العبد ارتكب الذنب فظاهر او يكون ذلك
رافعا لدرجة العبد فان بالذنب ينكسر قلب العبد فيتخلص من الاجتباب بنفسه وعبادته
ويصير اقرب من المقربين لان من لم يذنب مقرب عند الله كما قال تعالى اهم درجات عند
ربهم والمذنب التائب التادم منكسر القلب والله عنده كما قال صلى الله عليه وسلم كما كبا
عن ربه انما عند المنكسرة قلوبهم وفرق بين من يكون عند الله وبين من يكون عنده الله
واما ما يحكى من الذنوب الصادرة عن الانبياء من هذا القبيل لتحصل لهم الفضيلة على
الملائكة حيث يجهلون بانفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقد يرجع
الشیطان عن آخر يكور قد امره بشئ فليفعله والشخص يظن انه غلب الشيطان وردة
خائبا فيتجمع في نفسه وهو لا يعلم ان الشيطان رجوع عنه يحصل المقصود مقبولا غير مردود
ومن هذا بين امر اصولي وهوان الناس اختلفوا في ان المذنب هل يخرج من الايمان
أم لا وسبب النزاع وقوع نظر الخصمين على امرين متباينين فالذنب الذي بالجسد لا بالقلب
لا يخرج بل قد يزيد في الايمان والذي بالقلب يخاف منه الخروج عن ربة الايمان
ولذلك اختلفوا في عصمة الانبياء من الذنوب والاشبه ان الجسدي جائز عليهم والقرآن
دليل عليه والقلبي لا يجوز عليهم ثم انه تعالى لما نهى عباده عن عبادة الشيطان ذكر
ما يحملهم على قبول ما امروا به والانتها عما نهوا عنه بقوله انه لكم عدو مبین وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) من أين حصلت العداوة بين الشيطان والانسان فتقول
ابتداؤها من الشيطان وسببه تكريم الله بنى آدم لما رأى ابليس ربه كرم آدم وبنده
حاداهم فعاداه الله تعالى والاول منه لؤم والثاني من الله كرم أما الاول فلان الملك اذا اكرم
شخصا ولم ينقص من الآخر شيئا اذ لا ضيق في الخزانة فعداوة من يعادى ذلك المكرم
لا تكون الا لؤما وأما الثاني فلان الملك اذا علم ان اكرامه ليس الامنة وذلك الضعيف
ما كان يقدر ان يصل الى بعض تلك المنزلة لولا اكرام الملك يعلم أن من يفضه ينكر فعل
الملك أو ينسب الى خزائنه ضيقا وكلاهما يحسن التعذيب عليه فيعاديه انما ما لا اكرام
واكالا للافضل ثم ان كثيرا من الناس على مذهب ابليس اذا رأوا واحدا عند ملك
محترما بغضوه وسعوا فيه اقامة لسنة ابليس فالملك ان لم يكن متخلفا باخلاق الله لا يعبد
الساعي ويجمع كلامه ويترك اكرام ذلك الشخص واحترامه (المسئلة الثانية) من أين
ابانة عداوة ابليس نقول لما اكرم الله آدم عاداه ابليس وظن انه يبق في منزلته وآدم
في منزلته مثل متباغضين عند الملك والله كان عالما باغضائهم فأبعده وأظهر أمره وأظهر
هو من نفسه ما كان يخفيه لئلا ما كان يحمله على اخفاء فقال لا أقعدن لهم صراطك
المستقيم وقال لاحتكر فريته (المسئلة الثالثة) اذا كان الشيطان للانسان عدوا
مبيننا فابالانسان يميل الى مرضيه من الشرب والزنا وبكره مساخطه من المجاهدة
والعبادة تقول سبب ذلك استماتة الشيطان باخوان من عند الانسان وترك استعانة

النهي (وأن عبدي) عطف على أن لا تبدوا على أن فيها مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر أو مصدرية حذف عنها الجار أي ألم العهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما أن حق التولية تقدم على التولية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى (هذا صراط مستقيم) فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط على مستقيم والمقصود بقوله تعالى لا أقعدن لهم صراطك المستقيم والتكثير للتفخيم واللام في قوله تعالى (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيدهم لبيان أن جنابهم ليست ينقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما

الذين من جلتهم كغار مكة خصوصا بزيادة التوبخ والتقرير لتضاعف جناسياتهم والجليل بكسر الجيم والياء وتشديد اللام الخلق وقرى بضمين وتشديد و بضمين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرى جبلا جمع جبلة كقطر وخلق في جمع فطرة وخلقته وقرى جبلا بياء وهو الصنف من الناس اى وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم ائذى امرنكم بالثبات عليه فاسابهم لاجل ذلك ما اسابهم من العقوبات الهائلة التي ملاءمات فاق اخبارها وبقى مدى الدهر آثارها والذبح قوله تعالى (أفلم تكتفون) لعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اكنتم تشهدون آثاره وباتهم فلم تكونوا تعقلون انها اضلالهم أو فلم تكونوا تعقلون شيئا أصلا حتى

الانسان بالله فيستعين بشهوته التي خلقها الله تعالى فيه لمصالح بقائه وبقاء نوره ويجعلها سببا لفساد حاله ويدعوه بها الى مسالك المهالك وكذلك يستعين بفضبه الذي خلقه الله فيدفع المفسد عنه ويجعله سببا لوباله وفساد أحواله وميل الانسان الى المعاصي كليل المريض الى المضار وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فتزى المحموم يريد الماء البارد وهو يريد في مرضه * ومن به فساد المعدة فلا يهضم القليل من الغذاء يميل الى الاكل الكثير ولا يشبع بشئ وهو يزيد في معدته فسادا وصحح المزاج لا يشتهي الا ما ينفعه فالدنيا كالهواء الوبي لا يستغنى الانسان فيه عن استنشاق الهواء وهو المفسد لمزاجه ولا يترك له غير اصلاح الهواء بالروائح الطيبة والاشياء الزكية والرش بالخل والماورد من جملة المصلحات فكذلك الانسان في الدنيا لا يستغنى عن أمورها وهي المعينات للشيطان وطريقه ترك الهوى وتقليل التأميل وتحرى الهوى بالذكر الطيب والزهد فاذا صح مزاج عقله لا يميل الا الى الحق ولا يبق عليه في التكليف كلفة ويحصل له مع الامور الالهية الفة وهناك يعترف الشيطان بأنه ليس له عليه سلطان * ثم قال تعالى (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) لما منع من عبادة الشيطان حمل على عبادة الرحمن والشارع طيب الارواح كما ان الطيب طيب الاشباح وكما ان الطيب يقول للمريض لا تفعل كذا ولانا كل من ذا وهى الجملة التى هى رأس الدواء لللا يزيد مرضه ثم يقول له تناول الدواء الفلانى تقوية لقوته المقاومة للمريض كذلك اشارع منع من المفسد وهو اتباع الشيطان وحمل على المصلح وهو عبادة الرحمن وفيه مسائل (المسئلة الاولى) عند المنع من عبادة الشيطان قال انه لكم عدوميين لان العبادة ابلغ الموانع من الاتباع وعند الامر بعبادة الرحمن يقول انه لكم حبيب لان المحبة لا توجب متابعة المحبوب بل ربما يورث ذك الاتكال على المحبة فيقول انه يعينى فلا حاجة الى تحمل المشقة في تحصيل مرضيه بل ذكر ما هو ابلغ الاشياء فى الحمل على العبادة وذلك كونه طر يقام مستقيما وذلك لان الانسان فى دار الدنيا فى منزل قفر محذوف وهو متوجه الى دار اقامة فيها اخوانه وانازل فى بادية خالية يخاف على روحه وماله ولا يكون عنده شئ أحب من طريق قريب آمن فلما قال الله تعالى هذا صراط مستقيم كان ذلك مييا حانا على السالك وفى ضمن قوله تعالى هذا صراط اشارة الى ان الانسان مجاز لانه لو كان فى دار اقامة فتوجه هذا صراط مستقيم لا يكون له معنى لان المقيم يقول وماذا أفعل بانطريقى وانا من المقيمين (المسئلة الثانية) ماذا يدل على كونه طر يقام مستقيما نقول الانسان مسافر امام مسافة راجع الى وطنه وامام مسافة تاجر له متاع يتجر فيه وعلى الوجهين فالله هو المقصد واما الوطن فلانه لا يوطن الا فى ما آمن ولا آمن الا بما لا يزل ملكه فان عند زوال ملك الملوك لا يبقى الا فى ما آمن والراحة والله سبحانه هو الذى ملكه دائم وكل ما عداه فهو فان واما التجارة ولان التاجر لا يقصد الا الى موضع يسمع أو يعلم ان

ترددوا عما كانوا عليه كي لا يهتق بكم * ١١١ * العقاب وقوله تعالى (هذه جنم) التي كنتم توعدون)

يخاطبون به بعد تمام
الويع والقسريع
والالزام والتبكيست
عند اشرافهم على
شفيجهم أي كنتم
توعدونها على السنة
الرسل عليهم الصلاة
والسلام بمقابلة عبادة
الشيطان مثل قوله
تعالى لاملان جهنم
منك وعن تبعك منهم
أجمعين وقوله تعالى
قال اذهب فن تبعك
منهم فان جنم جزاؤكم
جزاء موفورا وقوله
تعالى قال اخرج منها
مذوما مسدورا لمن
تبعك منهم لاملان جهنم
منكم أجمعين وغير ذلك
من الاخصى وقوله تعالى
(اصلوها اليوم بما
كنتم تكفرون) أمر
تكيل واهانة كقوله
تعالى ذق انك أنت
العززالخ أي ادخلوها
من فوق وقاسوا فتون
عذابها اليوم بكفركم
المستمر في الدنيا وقوله
تعالى (اليوم نختم
على أفواههم) أي
ختمنا بئسها عن الكلام
التفات الى القبيسة
ذكر أحوالهم القبيسة

لناعد هناك زواجا والله تعالى يقول ان العمل الصالح عنده مثاب عليه متقابل باضعاف
ما يستحق والله هو المقصد وعبادته توجه اليد ولا شك ان القاصد لجهة اذا توجه اليها
يكون على الطريق المستقيم (المسئلة الثالثة) السيادة تنبئ عن معنى التذلل فلما قال
لا تعبدوا الشيطان لزم أن يتكبر الانسان على ماسوى الله ولما قال وأن اعبدوني ينبئ
أن لا يتكبر على الله لكن التكبر على ماسوى الله ليس معناه انه يرى نفسه خيرا من غيره
فان نفسه من جملة ماسوى الله فينبئ أن لا يلتفت اليها ولو كانت متجمله بعبادة الله
بل معنى التكبر على ماسوى الله ان لا يتقاد لشيء الا باذن الله وفي هذا التكبر غاية التواضع
فانه حينئذ لا يتقاد الى نفسه وحظ نفسه في التفوق على غيره فلا يتفوق فيحصل التواضع
التمام ولا يتقاد لامر الملوك اذا خالفوا أمر الله فيحصل التكبر التام فيرى نفسه بهذا
التكبر دون الفقير وفوق الامير * ثم ان الله تعالى ذكر ما يذبه لعداوة الشيطان بقوله تعالى
(ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى)
في الجبل ست فئات كسر الجيم والباء مع تشديد اللام وضمة هاء مع التشديد وكسر هاء مع
التخفيف وضمة هاء مع وتسكين الباء وتخفيف اللام مع ضم الجيم ومع كسره (المسئلة
الثانية) في معنى الجبل الجيم والباء واللام لا تخلو عن معنى الاجتماع والجبل فيه اجتماع
الاجسام الكثيرة وجبل الطين فيه اجتماع أجزاء الماء والتراب وشاة الجباء اذا كانت
مجمعة اللبن الكثير لا يقال البلجة نقض على ما ذكرتم فانها تنبئ عن التفرق فان الابلج
خلاف المنسرون لاننا نقول هي لاجتماع الاماكن الخالية التي تسع المتكئفات فان البلجة
والبلدة بمعنى والبلد سمي بلدا للاجتماع لالتفرق فالجبل لجمع العظيم حتى قيل ان دون
العشرة آلاف لا يكون جبلا وان لم يكن صحيحا (المسئلة الثالثة) كيف الاضلال نقول
على وجهين أحدهما ان الاضلال تولية عن المقصد وصد عنه فالكيطان بأمر البعض
بترك عبادة الله وعبادة غيره فهو تولية فان لم يقدر بأمره بعبادة الله لامر غير الله من
رياسة وجاء وغيرهما فهو صد وهو يفضي الى التولية لان مقصوده لو حصل لترك الله وأقبل
على ذلك الغير فحصل التولية * ثم بين ما آل أهل الضلال بقوله تعالى (هذه جنم التي كنتم
توعدون) وحال الضال كحال شخص خرج من وطنه مخافة عدوه فوقع في مشقة ولوأقام
في وطنه لعل ذلك العدو كان لا يظفر به أو يرحه كذلك حال من لم يتحرك اطاعة
ولاعصيان كالجنانين وحال من استعمل عقله فأخطأ الطريق فان المجنون من أهل التجاة
وان لم يكن من أهل الدرجات وقد قيل بأن البلاهة أدنى الى الخلاص من فطانة بترء
وذلك ظاهر في المحسوس فان لم يعرف الطريق اذا أقام بمكاه لا يبعد عن الطريق
كثيرا ومن سار الى خلاف المقصد يبعد عنه كثيرا * ثم بين انهم واصلون اليها حاصلون فيها
بقوله تعالى (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) وفي هذا الكلام ما اوجب شدة ندامتهم
وحسرتهم من ثلاثة أوجه (أحدها) قوله تعالى اصلوها فانه أمر تكيل واهانة كقوله

للايدان بأن

استدعى أن يعرض عنهم ويحكي أحوالهم القطيعة ١١٢ ﴿ لغيرهم مع ما فيه من الإيحاء إلى أن ذلك من

ذوقك أنت العزيز الكريم (والثاني) قوله اليوم يعني العذاب حاضر ولدانتك قد مضت وأيامها قد انقضت وبقى اليوم العذاب (الثالث) قوله تعالى بما كنتم تكفرون فإن الكفر والكفران بنبي عن نعمة كانت يكفر بها وحياء الكفور من النعم من أشد الآلام وهذا كثيرا ما يقول العبد المجرم أفعلوا بي ما يأمر به السيد ولا تحضروني بين يديه وإلى هذا المعنى أشار القائل

أليس بكاف لذي نعمة * حياء المسمى من المحسن

ثم قال تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) في الترتيب وجوه (الأول) أنهم حين يسمعون قوله تعالى بما كنتم تكفرون يريدون ينكرون كفرهم كما قال تعالى عنهم ما أشركنا وقالوا آمنا به فنجتم الله على أفواههم فلا يقدرون على الإنكار وينطق الله غير لسانهم من الجوارح فيعترفون بذنوبهم (الثاني) لما قال الله تعالى لهم ألم أعهد إليكم لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا وتكلمت أعضاؤهم غير اللسان وفي الختم على الأفواه وجوه (أفواها) إن الله تعالى يسكت ألسنتهم فلا ينطقون بها وينطق جوارحهم فتشهد عليهم وأنه في قدرة الله يسير أما الأسكات فلا يخفاه فيه وأما الانطاق فلان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فكما جازت حركته بما جازت تحرك غيره بمثلها والله قادر على المكنات والوجه الآخر أنهم لا يتكلمون بشيء لانهقطاع أعضائهم وانتهك ألسنتهم فيقفون ناكسي الرؤس وقوف القنوط اليأس لا يجد عذرا فيعتذر ولا مجال توبة فيستغفر وتكلم الأيدي ظهور الأمور بحيث لا يسع معه الإنكار حتى تنطق به الأيدي والأبصار كما يقول القائل الجيطان تبكي على صاحب الدار إشارة إلى ظهور الحزن والأول الصحيح وفيه لطائف القضية ومعنوية (أما القضية فالأولى) منها هي أن الله تعالى أسند فعل الختم إلى نفسه وقال نختم وأسند الكلام والشهادة إلى الأيدي والأرجل لانه لو قال تعالى نختم على أفواههم وتنطق أيديهم يكون فيه احتمال أن ذلك منهم كان جبرا وقهرا والقرار بالاجبار غير مقبول فقال تعالى تكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم أي باختيارها بعدما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم (الثانية) منها هي أن الله تعالى قال تكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم جعل الشهادة للأرجل والكلام للأيدي لان الأفعال تستند إلى الأيدي قال تعالى وما عملته أيديهم أي ما عملوه وقال ولا تلقوا بأيديكم أي ولا تلقوا بأنفسكم فإذا الأيدي كالعامل والشاهد على العامل ينبغي أن يكون غيره فجعل الأرجل والجلود من جملة الشهادة وليبدأ إضافة الأفعال إليها أما العنوبة (فالأولى) منها أن يوم القيامة من تقبل شهادته من القربين والصديقين كلهم أعداء للمجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبولة وإن كان من الشهود العدول وغير الصديقين من الكفار والنفاق غير مقبول الشهادة فجعل الله الشاهد عليهم منهم لا يقال الأيدي والأرجل أيضا صدرت

متنضيات الختم لان الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ نختم (ونكلمنا أيديهم ونشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروي أنهم يمجدون ويخاصعون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ نختم على أفواههم ونكلمنا أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لأجيز على شاهدنا الامن نفسي فيختم على فيه ويقال لا ركانه انطفي فتتطرق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد الكن وسهقا فعنك كنت أناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها لانهما على أفعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتكلم أيديهم وقرئ وتكلمنا أيديهم ونشهد بلامهم والاصب على معني ولذلك نختم على أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم ونشهد بلام الامر والجزم

أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم ونشهد بلام الامر والجزم

(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) الطمس تعفية شق العين حتى تعود مسوحة ومفعول المشبهة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطاً وكون مفعولاً مضمون الجزاء أي لو نشاء أن نطمس على أعينهم أعتنا، وإينار صيغة الاستقبال، وإن كان المعنى على المضي لإفادة أن عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشبهة فالضار المذوق الواقع بوقوع الماضي ليس ينص في إفادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد ١١٣ استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى أو يحمل الله للناس

الشر استجابههم بالحر (فاستبقوا
 الصراط) أي فأرادوا أن
 يستبقوا إلى الطريق الذي
 اعتادوا أساوه كعلى أن التصابي
 بترع الجار أو هو بتفضين
 الاستباق معنى الابتداء
 أو بالظرفية (فأني يصرون)
 الطريق، جهة السلوك
 (ولو نشاء لمسخناهم) بتغير
 صورهم وإطيان قواهم (على
 مكائهم) أي مكائهم الآن
 المكائهم خاص كالقائمة والمقام
 وقربى على مكائهم أي
 لمسخناهم مسخناهم
 مكائهم لا يقدر أن يرجوه
 بأفعال وما ديار ولا رجوع وذلك
 قوله تعالى (فأنا استمطوا
 مضياً ولا يرجعون) أي
 لا رجوعاً فوضع موضعه بالفعل
 لمراعاة الفاعل عن ابن عباس
 حتى الله سبحانه قرة وتختار ير
 وديار بجسارة وعن قتادة
 ما قدمناهم على أرجلهم
 وأزنانهم، قرين، مضياً يكسر
 الميم وقصها وليس مساق
 الشرطيتين مجرد بيان قدرته
 تعالى على ما ذكر من عقوبة
 الطمس والمسح بل إيمان
 أنهم بما هم عليه من الكفر
 ونقض العهد وعدم الاعتباط

الذنوب منها فهي فسقه فينبغي أن لا تقبل شهادتها لانا قول في رد شهادتها قبول شهادتها
 لانها ان كذبت في مثل ذلك اليوم فقد صدر الذنب منها في ذلك اليوم والمذنب في ذلك
 اليوم مع ظهور الامور لا بد من أن يكون مذنباً في الدنيا وان صدقت في ذلك اليوم فقد
 صدر منها الذنب في الدنيا وهذا كما قال لفاسق ان كذبت في نهار هذا اليوم فعبدى حر
 فقال الفاسق كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق في قوله كذبت في نهار
 هذا اليوم فقد وجد الشرط ووجب الجزاء وان كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار
 ذلك اليوم فوجد الشرط أيضاً بخلاف ما لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم الذي
 عتق عتق عبدك على كذبي فيه (المسئلة الثانية) الختم لازم أنكفار في الدنيا على
 قلوبهم وفي الآخرة على أفواههم في الوقت الذي كان الختم على قلوبهم كما قولهم
 بأفواههم كما قال تعالى ذلك قولهم بأفواههم فلما ختم على أفواههم أيضاً لم يكون
 قولهم بأعضاءهم لان الانسان لا يملك غير القلب واللسان والأعضاء، فاذ لم يبق القلب
 ولم يبق الجوارح والاركان ثم قال تعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا
 الصراط فأني يصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم فاستطاعوا مضياً ولا يرجعون)
 قد ذكرنا مراراً أن الصراط المستقيم هو بين الجبر والقدور وهو الطريقة الوسطى والله
 تعالى في كل موضع ذكر ما ينسك به المحبرة ذكر عقبيه ما ينسك به القدر بتدويره وانعكس
 وههنا كذلك لما قال الله تعالى و تشهد أرجلهم بما كانوا يكرسون وقال اصاوهما
 اليوم بما كنتم تكفرون وكان ذلك منسك القدرية حيث استبد الله الكفر والكسب
 اليهم وأحال الخير وأشر عليهم ذكر عقبيه ما يدل على أن كفرهم وكسبهم يشبه الله وذلك
 لان الكفر يعنى البصيرة و تضعف اقوة العقلية وعنى البصيرة بإرادة الله ومشيئته
 اذا شاء، أعنى البصائر كما أنه لو شاء لطمس على أعينهم البصيرة وسلب القوة العقلية
 باختياره ومشيئته كما سلب اقوة الجسمية بمشيئته حتى لو شاء لمسخ الكلاب على
 مكائهم واقامه بحيث لا يتحرك يمنة ولا يسرة ولا يمشى على المضي والرجوع فاعلمنا
 البصائر عنده كاعياء الانصار وسلب اقوة العقلية كسلب اقوة الجسمية فقال ولو نشاء
 لطمسنا على أعينهم اشارة الى أنه شاء وأراد اعماد بسائرهم ففعلوا وأنه لو شاء لمسخناهم
 لما هتدوا الى طريقهم الظاهرة وشاء واختار سلب اقوة عقولهم فزادوا أنه لو شاء سلب
 قوة أجسامهم ومسخهم لمساقدروا على تقدم ولا تأخر وفي الآيتين أبحاث لفظية
 (البحث الاول) في قوله فاستبقوا الصراط فالزخمى فيه وجوه (الاول) انه يكون
 فيه حذف حرف الى وانصال الفعل من غير حرف وأصله فاستبقوا الى الصراط (الثاني)
 أن يكون المراد من الاستباق الابتداء فاعمله أعمال الابتداء (الثالث) ان يجعل
 الصراط مستبقاً لاستبقا اليه يقال استبقنا فاستبقناهم وحينئذ يكون مباحة في الاهتداء
 الى الطريق كأنه يقول الصراط الذي هو معهم ليسوا ظالمين له فاصدين اياه وانما هم

بما شاهدوا من آثارهم أمثالهم أحق به بان يفعل ١٥ سا بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة
 عقوبة الختم وأن المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشبهة الالهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسح
 جرياً على موجب جنابهم المستدعية اهلها لعناها ولكنها لم نشأها جرياً على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم
 (ومن نعمه) أي نطق عمره (تنكسه في الخلق) أي نقله فيه

وتخلفه على عكس ما خلقناه أولاً فلا يزال يتزايد ضعفه وتناقص قوته وتنتقص بليته ويتغير شكله وصورته حتى يعود إلى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرى تنكسه من الثلاثي المجرد وتنكسه من الانكاس (أفلا يعقلون) أي أيرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك بقدر على ما ذكر من العظم والسخ وأن عدم إيفاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرى تعقلون بالله ﴿ ١١٤ ﴾ لجرى الخطأ قبله (وما علمناه الشعر) رد

وابطال لما كانوا يقولونه في حقه عليه الصلاة والسلام من أنه شاعر وما يقوله شعر أي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فإن الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبنى على خيالات وأوهام واهية فإن فلك من التنزيل الجليل الخطر المتره عن مماثلة كلام البشر المشعرون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصولة إلى سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبه عليهم الشون واختلط بهم الطنون قائلهم الله أنى يؤفكون (وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له أو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد فرض الشعر لم يتأتى له كما جعلنا ما لا يهتدى للخط لتكون الحجية أثبت والشبهة أدهض وأما قوله عليه الصلاة والسلام أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله عليه الصلاة والسلام هل أنت إلا صعب دميت* وفي سبيل الله ما لقيت* فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد إليها

عليه إذا طمس الله على أعينهم لا يصرونه فكيف إن لم يكونوا على الصراط (البحث الثاني) قدم الطمس والاعاء على المسخ والاعجاز ليكون الكلام مدرجا كأنه قال إن أعاءهم لم يروا الطريق الذي هم عليه وحينئذ لا يهتدون إليه فان قال قائل الاعى قد يهتدى إلى الطريق بامارات عقلية أو حسية غير حس البصر كالاصوات والمشي بحس اللمس فارتقى وقال فلو مسخهم وسلب قوتهم بالكلية لا يهتدون إلى الصراط بوجه من الوجوه (البحث الثالث) قدم المضى على الرجوع لأن الرجوع أهون من المضى لأن المضى لا يبنى عن سلوك الطريق من قبل وأما الرجوع فينبى عنه ولا شك إن سلوك الطريق قدر وسمى مرة أهون من سلوك الطريق لم رفق لا يستطيعون مضياً ولأقل من ذلك وهو الرجوع الذي هو أهون من المضى * ثم قال تعالى (ومن نعمه تنكسه في الخلق أفلا يعقلون) قد ذكرنا أن قوله تعالى ألم عهد إليكم قطع للأعداء بسبق الإنذار ثم لما قرر ذلك وأتمه شرع في قطع عذر آخر وهو أن الكافر يقول لم يكن لبنا في الدنيا إلا سيرا ولو عمرتنا لما وجدت منا تقصيراً فقال الله تعالى أفلا تعقلون أنكم كلما دخلتم في السن ضمتم وقد عمرناكم مقدار ما تمكتون من البحث والادراك كما قال تعالى أوام نعمكم ما تذكر فيه من تذكرتم أنكم علمتم أن الزمان كلما يعبر عليكم بزاد ضعفكم فضعتم زمان الامكان فلو عمرناكم أكثر من ذلك لكان بعد زمان الزمان ومن لم يأت بالواجب زمان الامكان ما كان يأتي به زمان الزمان * ثم قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) في الترتيب وجهان قد ذكرنا أن الله في كل موضع ذكر أصلين من الاصول الثلاثة وهي الوجدانية والرسالة والحشر ذكر الاصل الثالث منها وهو اذكار الاصلين الوجدانية والحشر اما الوجدانية ففي قوله تعالى ألم عهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان وفي قوله وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم وأما الحشر ففي قوله تعالى اصلوها اليوم وفي قوله اليوم تختم على أفواههم إلى غير ذلك فلما ذكرهما وبينهما ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقوله وما علمناه الشعر إشارة إلى أنه معلم من عند الله فعلمه ما أراد ولم يعلمه ما لم يرد في تفسير الآية مباحث (البحث الاول) خص الشعر بنبي التعليم مع أن الكفار كانوا ينسبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم أشياء من جعلتها السحر ولم يقل وما علمناه السحر وكذلك كانوا ينسبونه إلى الكهانة ولم يقل وما علمناه الكهانة فتنه قول أما الكهانة فكانوا ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم إليها عند ما كان يخبر عن الغيوب ويكون كما يقول وأما السحر فكانوا ينسبونه إليه عند ما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكلم الحصى والجذغ وغير ذلك وأما الشعر فكانوا ينسبونه إليه عند ما كان يتلو القرآن عليهم لكن صلى الله عليه وسلم ما كان يتهدى إلا بالقرآن كما قال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى غير ذلك ولم يقل ان كنتم في شك من رسالتى فأنطقوا

وعزم على ترتيبها وقبل الضمير في له للقرآن أي ما ينبغي للقرآن أن يكون شعراً (ان هو) أي ما للقرآن (الاذكر) ﴿ الجنوع ﴾ أي عظمة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين (وقرآن مبين) أي كتاب سماوى بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل بقرأ في المحارب ويتلى في المعابد ويتلى بتلاوته والعمل بما فيه فوز

الدارين فكلم يتنمؤ بين ما قالوا (لينذر) أى القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده القراءة بالثاء وقرئ لينذر من نذره أى علمه ولينذر مبالغة لقول من الانذار (من كان حيا) أى عاقلا تاملا فان العاقل بمنزلة الميت أو مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الايدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المتفجع به (ويحق القول) أى تجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصيرين على الكفر وفي ايرادهم بقابلة من كان حيا ﴿ ١١٥ ﴾ اشعار بانهم خلطوا عن آثار الحياة وأحكامها التي هي المعرفة

أموات في الخفية (أولم يروا)
الهزيمة الانتكار والتعجب
والواو للعطف على جملة
منفية مقدرة مستتعة للأعطوف
أى ألم تفكروا أو ألم يلاحظوا
ولم يعلموا علما يقينيا متاجسا
للعناية (اننا خلقنا لهم) أى
لاجلهم وارتفاعهم (مما عملت
أيدينا) أى مما توينا احداثه
بالذات وذكرا لايدى واسناد
العمل اليها استعارة تفيد
مبالغة في الاختصاص وانفراد
بالاحداث والاعتناء به (انعاما)
مفعول خلقنا وتأخيره عن
الجارين المتعلقين به مع أن
حقه التقديم عليها للمرمرارا
من الاعتناء بالقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم
اذا أخرت ي النفس مترقبه له
فيتمكن عند وروده عليها
فضل تمكن لاسيما عند كون
المقدم مبنيا عن كون المؤخر
أمر انافعا خطيرا كافي النظم
الذكريم فان الجار الاول المعرب
عن كون المؤخر من منافعهم
والثاني المفصح عن كونه من
الامور الخطيرة يزيدان النفس
شوقا اليه ورغبة فيه ولان في
تأخير جمعا بينه وبين أحكامه
المتفرعة عليه بقوله تعالى

الجدوع أو أشبعوا الخلق العظيم أو أخبروا بالغيوب فلما كان تحديه صلى الله عليه وسلم
بالكلام وكانوا ينسبون الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنى التعليم (البحث الثاني)
مامعنى قوله وما ينبغي له قلنا قال قوم ما كان يتأني له وآخرون ما ينسهل له حتى انه انتمثل
بيت شعر سمع منه من احفا يروى أنه كان يقول صلى الله عليه وسلم ويايتيك من لم تزود
بالاخبار (وفيه وجه) أحسن من ذلك وهو ان يحمل ما ينبغي له على مفهومه الظاهر وهو
ان الشعر ما كان يلقى به ولا يصلح له وذلك لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة الالفاظ
والوزن فان شاعر يكون اللفظ منه تبع للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعاً لفظ لانه
يقصد لفظاً به يصح وزن الشعر أو قافيته فيحتاج الى التحيل للمعنى يأتي به لأجل ذلك اللفظ
وعلى هذا نقول الشعر هو الكلام الموزون الذي قصد الى وزنه فصداً أو اياً وامام من
يقصد المعنى فيصدر موزوناً مقفى فلا يكون شاعراً الا ترى الى قوله تعالى ان تناووا العبر حتى
تنفقوا مما تحبون ليس بشعر والشاعر اذا صدر منه كلام فيه محركات وساكنات
بعدد ما في الآية تقطبه بفاعلاتن فاعلاتن يكون شعر لانه فصداً لايتان بأفاظ حر وفها
متحرك فوسا كثة كذلك والمعنى تبعه والحكيم قصد المعنى فجاء على تلك الالفاظ وعلى
هذا يحصل الجواب عن قول من يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بيت شعر وهو
قوله أنا النبي لا كذب * أنا عبد ابن المطلب أو يتبين لانا نقول ذلك ليس بشعر لعدم
قصده الى الوزن والقافية وعلى هذا لو صدر من النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير
موزون مقفى لا يكون شعراً لعدم قصد اللفظ فصداً أو اياً ويؤيد ما ذكرنا أنك اذا
تبعيت كلام الناس في الاسواق تجد فيه ما يكون موزوناً واقفاً في بحر من يحور الشعر
ولا يسمى المتكلم به شاعراً ولا الكلام شعراً لانه قد قصد الى الالفاظ أو لا ثم قوله تعالى
ان هو الاذكر وقرآن مبين يحتمق ذلك المعنى أى هو ذكر وموعظة للقصد الى المعنى
والشعر لفظ من حرف بالقافية والوزن (وههنا لطيفة) وهى ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان من الشعر لحكمة يعنى قد يقصد الشاعر اللفظ فيوافقه معنى حكيمى كأن
الحكيم قد يقصد معنى فيوافقه وزن شعري لكن الحكيم بسبب ذلك الوزن لا يصير
شاعراً والشاعر بسبب ذلك الذكر يصير حكيمياً حيث سمى النبي صلى الله عليه وسلم
شعره حكمة ونفى الله كون النبي شاعراً وذلك لان اللفظ قالب المعنى والمعنى قلب اللفظ
وروجه فاذا وجد القلب لا نظر الى قالب فيكون الحكيم الموزون كلامه حكيمياً
ولا يخرج عن الحكمة وزن كلامه والشاعر الموعظ كلامه حكيمياً * ثم قال تعالى
(لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) قرئ بالياء والياء بالياء خطا بامع
النبي صلى الله عليه وسلم وبالياء على وجهين (أحدهما) أن يكون النذر هو النبي صلى الله
عليه وسلم حيث سبق ذكره في قوله وما عملناه وقوله وما ينبغي له (وثانيهما) أن يكون
المراد أن القرآن ينذر والاول أقرب الى المعنى (والثاني) أقرب الى اللفظ اما الاول

(فهم لم اما الكون) الآيات الثلاث أى فلكناها انهم وابتار الجملة الاسمية على ذلك الدلالة على استقرار ما لكتبتهم لها واستمرارها
واللام متعلقة بما الكون مقوية لعمله أى فهم ما لكون لها بتلكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها
لا يراهم في ذلك غيرهم أو قادرين على ضبطها ممنكونون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتخيرنا اياها لهم كافي قول من قال

أصبحت لأجل السلاح ولا * أملاك رأس البعيران نقر أو الأول هو الأظهر ليكون قوله تعالى (وذللناهم) تأسيباً لنعمة على
حياتها إلا أن الله تعالى صيغها مفاداً لهم بحيث لا تستعصى عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى
(فقتلوا كذبهم) الخ فالله تعالى قد لقرع أحكام الدنيا عليه وتفصيلها أي ببعض منهار كذبهم أي من كذبهم أي معظم
منافعها الر كوت وعندهم من الحمر الكوت * ثمات الر كوت * ١١٦ * وفي ر كوتهم وهي بعتاه كذا روت

ومن النذر سعة الر كوت وزودا من المنذر سعة اللاتب (وأما الثاني) فلا القرآن
أقرب المذكورين إلى قوله ليندر وقوله من كل حيا أي من كل حيي القاب ويحتمل
وجهمين (أحدهما) أن يكون المراد من كان حيا في علم الله فينذره به فيؤمن (الثاني)
أن يكون المراد لينذره به من كان حيا في نفس الأمر أي من آمن فينذره بما على المعاصي
من العتاب ويأعلى الطاعة من الثواب ويحق القول على الكافرين أما قول العذاب
وكذا كقول تعالى ولا تكن حتى أشول من الأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين وقوله
تعالى حشمت كلمة العذاب وذلك لأن الله تعالى قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
فإذا جاء حق المتذنب على من وجد منه التكذيب وأما التول المتول في الوحداينة
ورسالة والحشر وسائر المسائل الاصولية الدينية فان القرآن في ذلك كرايدلائل التي بها
ثبتت المصائب ثم انه تعالى أعادها وحداينة ودلائل دالمة عليها * فقال تعالى (أولم يروا أما
خسنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) أي من جملة ما عملت أيدينا أي ما علمناه من غير معين
وأنظهير بل علمناه بقدرتنا وإرادتنا * وقوله تعالى (فهم لهما ما يكون) إشارة إلى انعام
الانعام في خلق الانعام فانه تعالى أوحىها أولم على كفاها الإنسان ما كان ينبغي بها * وقوله
تعالى (وذللناهم) زيادة انعام فال المملوك اذا كان آيبا مفردا لا ينفع فلو كان الإنسان
يملك الانعام وهي نادة صادة لما تم الانعام الذي في الر كوت وإن كان يحصل الاكل
كافي الحيوانات الوحشية بل ما كان يكمل نعمه الاكل أيضا الامتاع الذي في
الاشطياد ولعل ذلك لا يتبها لبعض وفي البعض * وقوله تعالى (فنها كوتهم ومنها
يا كاون) بيان لنعمة التذليل اذ لو لا التذليل لما وجدت إحدى المنعمين وكانت الاخرى
فيلة الوجود ثم بين تعالى غير الر كوت والاكل من الفوائد * بقوله تعالى (وهم فيها ما ناع
ومشارب) وذلك لان من الحيوانات ما لا يركب كالغنم فقال منافع لعمها والمشارب
كذلك عامة ان فلنسا بأن المراد جمع مشرب وهو الآنية فان من الجلود ما يتخذ أو اوى
الشرب والادوات من القرب وان فلنا ان المراد المشروب وهو الابنان والاسمان فهي
مختصة بالاناث ولكن بسبب الذكور فان ذلك متوقف على الحمل وهو بالذكور والاناث
* ثم قال تعالى (أفلا يشكرون) هذه النعم التي توجب العبادة شكرا ولو شكرتم لزيدكم
من فضله ولو كفرتم لسلبها منكم فافوا لكم أفلا تشكرون استدامة لها واستعادة فيها
* ثم قال تعالى (واخذوا من دون الله آلهة لهم نصرون) إشارة إلى زيادة
ضلالهم ونهايتها فانهم كل الواجب عليهم عبادة الله شكر الانعمه فتركوها وأدبلو على
عبادته من لا ينصر ولا ينفع توفقه وامنه النصر مع أنهم هم الناصرون لهم كما قال عنهم حر فوه
وانصرم آبتكم وفي الحق لا اله الا الله ناصره ولا منصوره * وقوله تعالى (لا يستطيعون
نصرهم بهم) جند محضرون) إشارة إلى الحشر بعد تقرير التوحيد وهذا كقوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردن وقوله احشروا الذين ظلموا

والخلو بان وقول الر كوت
جمع وفردا ر كوتهم أي
ذوب كوتهم (ومشاربا كاون)
أي وبعض منها ما كاون لحم
(ولهم فيها) أي في الانعام
يكالاقسيمها (منافع) أخرج
الر كوت والاكل كالمشروب
والاصواف والابواب وغيرها
وكالحرارة بالشراب (ومشارب)
من اللبن جمع مشرب وهذا
يحمل ما فصل في سورة النحل
(أفلا يشكرون) أي يشاهدون
هذه النعم أو أيتعمدون بها
فلا يشكرون المنعم بها (واخذوا
من دون الله) أي متجاوزين
الله تعالى الذي شاهر وانفرد
بتلك القدرة الباهرة ونفضله
عليهم بها تلك نعم المظاهره
(آلهة) من الاصنام وأشركوا
به تعالى في العبادة (لأنهم
ينصرون) رجاء أن ينصروا
من جهنم فيما حاربهم من
الامسور أو يشفعوا لهم
في الآخرة وقوله تعالى
(لا يستطيعون نصرهم) الخ
استئناف سبق لبيان بطلان
رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس
تدبيرهم أي لا تقدر آلهتهم
على نصرهم (وهي) أي
المشركون (لأنهم) أي لا يتنصرهم

(جند محضرون) يشيعونهم عند مساقفتهم إلى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذبح عنهم * وأزواجهم *
ولا يساعده مساق انظم الكرم إن انما في قوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) الترتيب النهي على ما قبله فلا بد أن يكون عبارة عن
خسرانهم وحرمانهم عما دنوا به أطباعهم الفارغة وانعكاس الأمر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون
الخطب ويورث السئوة وأما كونهم معدين لحربهم

وحطهم جعزل من ذلك وانتهى وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عليه السلام عن الأثر منه بظرف الكناية على أبلغ وجه وأكده فالله تعالى عن أسباب الشئ ومباديه التودية اليه انتهى عنه بصرف البرهان وابطال كسبية وقبوله التوفيق الى المستند والتمسك من الاسباب كما في قوله لا أريك ههنا ريبه نهى مخاطبه عن الحضور لديه * ١٧٧ * والراد بقولهم ما يلي عند ما ذكر من

مما خلقه من افعاله وقوله
هو آياته وانهم شركائه
سبحانه في العبودية وغير ذلك
ما يورث الخلق وقولهم
بضم الهمزة كسر الزايم
من آخر المنقول من حزن
اللائم وقوله تعالى (تألم
ما سرون وما يعنون) تألم
صرح الله بمراتب
الاستئناف به تعالى بطريق
الاستئناف العلم بما ذكره مستأنف
للاختصاص وقوله تعالى انما
بجميع جنسياتهم الخافية
والمبادية التي لا يعرف من علمنا
شئ منها وفيه فضل تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتقديم السر على العلم
امان الباعثة في بيان شمول علمه
تعالى لجميع المعلومات كان
علمه تعالى بما يسرونه أقدم
منه بما يعلنونه مع استوائهما
في الحقيقة فان علمه تعالى
بعلوماته ليس بطريق
حصول صورها بل وجود
كل شئ في نفسه علم بانسبة
اليه تعالى وفي هذا المعنى
لا يخلف الخلال بين الاشياء
البارزة والكامنة واما لان
مرتبة السر مقدمة على
مرتبة العلم اذ ما من شئ

وأما جبر وما كانوا يبرون من دور الله ههنا من صرافة الحليم قوله وثبت في
العذاب محضرون وهم يحقلم عتدين (أحدهما) أن يكون العابدون جنودا اتخذوه
آلهة كذا ذكرنا (الثاني) أن يكون الاصنام جنودا عابدين وعلى هذا فقيده معنى لطيف
وهو أنه تعالى لما قال لا يستطيعون نصرهم أم أكدها بأدبهم لا يستطيعون نصرهم حال
ما يكونوا عند الله ومحضرون نصرتهم فلذلك دال على عدم الاستطاعة فان من حضر
واجتمع ثم يحجر عن الله سر يكون في غاية الغيب بخلاف من لم يكن متأهبا ولم يجمع انصاره
* وقوله تعالى (وقد ينظركم بعضهم) إشارة الى الرسايا والجنات معه ما يوجب نسبية
فيه دليل اجتهاد واختياره عليه وقوله تعالى (تألم ما يسرون وما يعنون) تحمل
وجوها (أحدها) أن يكون ذلك تهديدا للمنافقين والكافرين وقوله ما يسرون من
التفاق وما يعنون من الشرك (والثاني) ما يسرون من العلم بك وما يعنون من الكفر
بك (الثالث) ما يسرون من العقائد الفاسدة وما يعنون من الافعال الفبيحة ثم تعالى
لما ذكره ديلا من الآفاق على وجوب ديبادته بقوله أولم يروا اننا خلقناهم مما عملت أيدينا
أمناماد كذرا من النفس * فقال (أولم يروا اننا خلقناهم من نطفة) قيل ان الاماد
بالانسان أثنى بن خلقه فان الآية وردت فيه حيث أخذ عطا باليا وأتى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال لك تقول ان الهك حبي هذه العظام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم ويدخلك جهنم وقد ثبت في أصول الفقه أن الاعتبار بعنوم اللفظ لا بخصوص
السبب الا ترى ان قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلن في زوجها زلت في واحدة
وأراد الكل في الحكم فكذلك كل انسان يشكر الله أو لشكر فهذه الآية رعية اذ
علمت عمومها فنقول فيها الناطف (اللطيفة الاولى) قوله أولم يروا اننا خلقناهم مما عملت
أيدينا معناه الكافرون المنكرون لتاركون عبادة الله المتخذون من دونه آلهة أولم يروا
خلق الانعام لهم وعلى هذا فقوله تعالى أولم يروا اننا خلقناهم مما عملت أيدينا مع
جنس الانسان وهو جمع منهم فنقول سبب ذلك أن دليل النفس أشمل وأكل وأتم
والزم فان الانسان قد ينقل عن الانعام وخلقها عند غيبتها ولكن هو مع نفسه متى
ما يكون وأما يكون فقال ارغاب عن الحيوان وخلقها فهو لا يغيب عن نفسه فسياله
أولم يروا اننا خلقناه من نطفة وعوأم نعمتان سارأتهم بعد وجوده وقوله من نطفة إشارة
الى وجه الدلالة وذلك لان خلقه او كان من أشباه نطفة الصور كان يمكن أن يقال العظم
خلق من جنس صلب واللحم من جنس رخو وكذلك الخلال في كل عضو ولما كان خلقه
من نطفة متشابهة الاجزاء وهو مختلف الصور دل على الاختيار والقدرة والى هذا أشار
بقوله تعالى يسق بما واحد * وقوله (فاذا هو خصيم مبين) (فقد اضيقنا) غريبه وهي انه
تعالى قال اختلاف صور أعضائه مع تشابه اجزاء ما خلق منه آية تظاهر فومع هذا فهناك
ما هو ظاهر وهو نطفة فهمد وذلك لان النطفة جسم فبها تتجاهل يقول انه استعمل

يعلم الاوهرا ومباديه مدع في القلب فبر ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلمه بحالته الثانية حقيقة (أولم يروا
الانسان اما خلقناه من نطفة) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا في أنفسهم اوضح دلالته
وأعدل شواهد كما أن ما سبق مسوق لبيان بطلان انكارهم بالله تعالى بعد ما عابوا اديبنا بديهم ما يوجب التوحيد والاسلام
وأما ما قيل من انه تسلية فاذن الله صلا الله عليه وساتفه ما يقوله ما نسبة الى

انكارهم الحشر فلا والله لانكار والعجب والواو للعطف على جملة مقدره هي مستتبه المعطوف كما مر في الجملة
 الانكارية السابقة أي لم يفكر الانسان ولم يعلم علمائنا انا خلقناه من نطفة الخ وهي عين الجملة السابقة أعيدت تأكيدها
 للكبر والسبق وتمهيد الانكار ما هو أحق منه بالانكار والتعجب لما أن المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق أسباب معاشهم
 وهم نادم علمهم بما يتعلق بخلق أنفسهم ولا ريب في أن علم الانسان ﴿ ١١٨ ﴾ باحوال نفسه أهم واحاطتد بها أسهل

وأكل فالانكار والتعجب
 من الاخلال بذلك أدخل
 كأنه قيل ألم يعلموا خلقه تعالى
 لاسباب معاشهم ولم يعلموا
 خلقه تعالى لانفسهم أيضا
 مع كون العلم بذلك في غاية
 الظهور ونهاية الأهمية على
 معنى أن المنكر الاول بعيد
 قبيح والثاني أبعد وأقبح
 ويجوز أن تكون الواو لعطف
 الجملة الانكارية الثابتة على
 الاولى على أنها مقدمة
 في الاعتبار وان تقدم الهمزة
 عليها لاقتضائها الصدارة
 في الكلام كما هو رأي الجمهور
 وإيراد الانسان مورد الضمير
 لان مدار الانكار متعلق
 بأحواله من حيث هو انسان
 كما في قوله تعالى أولا يذكر
 الانسان أنا خلقناه من قبل
 ولم يك شيئا وقوله تعالى (فاذا
 هو خصيم مبين) أي شديد
 الخصومة والجدال بالباطل
 عطف على الجملة المنفية
 داخل في حيز الانكار
 والتعجب كأنه قيل أولم يرأنا
 خلقناه من أحسن الاشياء
 وأمهنا ففاجأ خصومتنا
 في أمر يشهد بصحته وتحققه
 مبدأ فطرته شهادة بينة وإيراد

وتكون جسما آخر لكن القوة الساطقة والقوة الفاعلة من أين تقتضيهما النطفة
 فأبداع النطق والفهم أعجب وأقرب من ابداع الخلق والجسم وهو الى ادراك القدرة
 والاختيار منه أقرب فقوله خصيم أي ناطق وانما ذكر الخصيم مكان الناطق لانه أعلى
 أحوال الناطق فان الناطق مع نفسه لا يبين كلامه مثل ما يبينه وهو يتكلم مع غيره
 والمتكلم مع غيره اذا لم يكن خصما لا يبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد اذا كان كلامه مع خصمه
 وقوله مبين إشارة الى قوة عقله واختار الابانة لان العاقل عند الافهام أعلى درجة منه
 عند عدمه لان المبين بان عنده الشيء ثم أبانه فقوله تعالى من نطفة إشارة الى أدنى ما كان
 عليه وقوله خصيم مبين إشارة الى أعلى ما حصل عليه وهذا مثل قوله تعالى ثم خلقنا النطفة
 علقة فخلقنا العلقه مضغعة الى أن قال تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر فاستقدم من خلق النطفة
 علقه وخلق العلقه مضغعة وخلق المضغعة عظاما إشارة الى التغيرات في الجسم وقوله ثم
 أنشأناه خلقا آخر إشارة الى ما أشار اليه بقوله فاذا هو خصيم مبين أي ناطق عاقل * ثم
 قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) إشارة الى بيان الحشر وفي هذه الآيات الى آخر
 السورة غرائب وعجائب نذكرها بقدر الامكان ان شاء الله تعالى فنقول المنكرون للحشر
 منهم من لم يذكر فيه دايلا ولا شبهة واكتفى بالاستبعاد وادعى الضرورة وهم الاكثرون
 ويدل عليه قوله تعالى حكايمة عنهم في كثير من المواضع بلفظ الاستبعاد كما قالوا أنذا
 ضلنا في الارض أنثا في خلق جديد أنذمتنا وكنا ترابا وعظاما أنثا لمعوثون أنثا لمن
 المصدقين أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أنثا لمدينون الى غير ذلك فكذلك همنا قال
 (قال من يحيى العظام وهي رميم) على طريق الاستبعاد قبدأ أولا بإبطال استبعادهم
 بقوله ونسي خلقه أي نسي أن خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجراء ثم جعلنا لهم
 من النواصي الى الاقدام أعضاء مختلفة الصور والقوام وما اصككتفينا بذلك حتى
 أودعناهم مالم يس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل الذي هما استهفوا الاكرام
 فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قدرة
 لم تكن محل الحياة أصلا ويستبعدون إعادة النطق والعقل الى محل كان فيه ثم ان
 استبعادهم كان من جهة ما في المعساة من التفتت والتفرق حيث قالوا من يحيى العظام
 وهي رميم اختاروا العظم للذكر لانه أبعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه ووصفوه بما
 يقوى جانب الاستبعاد من البلا والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في
 المعيد من القدرة والعلم فقال وضرب لنا مثلا أي جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه
 العجيب وبدأه الغريب ومنهم من ذكر شبهة وان كانت في آخرها تعود الى مجرد الاستبعاد
 وهي على وجهين (أحدهما) انه بعد العدم لم يبق شيئا فكيف يصح على العدم الحكم
 بالوجود وأجاب عن هذه الشبهة بقوله تعالى (قل يحيىم الذي أنشأها أول مرة) يعني
 كإخلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك بعينه وان لم يبق شيئا مذكورا (وثانيهما)

الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها روى أن جماعة من كفار قريش منهم أبي ﴿ أن ﴾
 بن خلف الجعفي وأبو جهل والعماس بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي بن خلف الاترون الى ما يقول
 محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللوات والعزى لاصيرن اليه ولا خصمته وأخذ عظاما باليا فجعل يفتنه بيده ويقول يا محمد أتري الله
 يحيى هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويصمك ويدخلك جهنم فترت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا

هو بعدما كان ماء مهين ارجل ميمر منطبق قادر على الخصاص ميين معرب عما في نفسه فصحيح فهو حينئذ معطوف على خلفاء غير
داخل تحت الانكار والتجيب بل هو من متمات شواهد صحة البعث فقوله تعالى (وضرب لنا مثلا) معطوف حينئذ على الجملة
المنفية داخل في حيز الانكار والتجيب واما على التقدير الاول فهو وعطف على الجملة العجائبة والمعنى فاجاداً خصوصتنا وضرب لنا
مثلاً أي اورد في شأننا قصة عجيبية في نفس (١١٩) الامر هي في العرابية والبعث عن العقول كالمثل وهي انكار احياينا العظام أو

قصة عجيبية في زعمه واستبعدها
وعدها من قبيل المثل وانكرها
أشد الانكار وهي احياونا
اياها وجعل انسا مثلاً ونظيراً
من الخلق وفلس قدرتنا على
قدرتهم ونفي الكل على العموم
وقوله تعالى (ونسي خلقه) أي
خلقنا اياه على الوجه المذكور
الدال على بطلان ما ضرب به
اماعطف على ضرب داخل
في حيز الانكار والتجيب أو
حال من فاعله باصنار قدأر
بدونه وقوله تعالى (قال)
استثناف وقع جواباً عن سؤال
نشأ من حكاية ضرب به المثل
كأنه قيل أي مثل ضرب أو
ماذا قيل قبيل قال (من يحيى
العظام) منكره أشد التكبير
مؤكد له بقوله تعالى (وهي
رميم) أي باليه أشد البلاء بعيدة
من الحياة غاية البعد فالمثل
على الاول هو انكار احياونه
تعالى للعظام فانه امر عجيب
في نفس الامر حقيق لقرائنه
وبعد من العقول بأن يعد مثلاً
ضرورة جزم العقول بطلان
الانكار ووقوع المنكر لكونه
كالانشاء بل أهون منه في قياس
العقل وعلى الثاني هو احياؤه
تعالى لها فانه امر عجيب في
زعمه قد استبعده وعده من

أن من تفرق أجزاءه في مشارق العالم ومغاريبه وصار بعضه في أبدان السباع وبعضه
في جذران الرباع كيف يجمع وأبعد من هذا هو أن انساناً اذا أكل انساناً وصار اجزاء
الما كؤل في أجزاء الآكل فان أعيد فاجزاء المأكول اما أن نعاد الى بدن الآكل فلا
يبقى للمأكول اجزاء تخلق منها اعضاؤه واما أن نعاد الى بدن المأكول منه فلا يبقى للآكل
أجزاء فقال تعالى في ابطال هذه الشبهة (وهو بكل خلق عليم) ووجهه هو أن في الآكل
أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول كذلك فاذا أكل انسان انساناً صار الاصلية
من أجزاء المأكول فضلية من أجزاء الآكل والاجزاء الاصلية للآكل هي ما كان له قبل
الاكل والله بكل خلق عليم يعلم الاصلية من الفضلية فيجمع الاجزاء الاصلية للآكل
ويفخ فيها روحه ويجمع الاجزاء الاصلية للمأكول ويفخ فيها روحه وكذلك يجمع
الاجزاء المتفرقة في البقاع المبددة في الاصقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة ثم انه
تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وابطال انكارهم وعنادهم * فقال تعالى
(الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا اتم منه توقدون) ووجهه هو ان الانسان
مشتمل على جسيم يحس به وحياة سارية فيه وهي كرامة جارية فيه فان استبعدتم وجود
حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه فان النار في الشجر الاخضر الذي يقطر منه الماء أعجب
وأغرب وأتم نحضرون حيث منه توقدون وان استبعدتم خلق جسمه فخلق السموات
والارض أكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه فان الله خلق السموات والارض فان
لصف قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا اتم منه توقدون * وقوله
تعالى (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) قدم ذكر النار
في الشجر على ذكر الخلق الاكبر لان استبعادهم كان بالصرح واقعا على الاحياء حيث
قالوا من يحيى العظام ولم يقولوا من يجمعها ويؤلفها والنار في الشجر تناسب الحياة
* وقوله تعالى (بلى وهو الخلاق) اشارة الى انه في القدرة كامل * وقوله تعالى (اعلم)
اشارة الى ان علمه شامل ثم كديانته * بقوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له
كن فيكون) وهذا اظهار فساد تشابههم وتشبيههم وضرب مثلهم حيث ضرب بوالله
مثلاً وقالوا لا يقدر أحد على مثل هذا قياساً للغائب على الشاهد فقال في الشاهد الخلق
يكون بالآلات البدنية والانتقالات المكتوبة ولا يقع الا في الازمنة الممتدة والله يخلق
بكن فيكون فكيف تضربون المثل الادنى وله المثل الاعلى من أن يدرك وفي الآية
مباحث (البحث الاول) قالت المعتزلة هذه الآية دالة على أن المدوم شيء لانه يقول
لما أرادته كن فيكون فهو قبل القول له كن لا يكون وهو في تلك الحالة شيء حيث قال انما
أمره اذا أراد شيئا والجواب ان هذا بيان لعدم تخلف الشيء عن تعلق ارادته به فقوله
اذا مفهوم الحين والوقت والآية الدالة على أن المراد شيء حين تعلق الارادة به ولادلالة فيها
على أنه شيء قبل ما اذا أراد وحينئذ لا يرد ما ذكره لان الشيء حين تعلق الارادة به شيء

قبيل المثل وانكره أشد الانكار مع أنه في نفس الامر أقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء أو أهون منه واما على
الثالث فلا فرق بين أن يكون المثل هو الانكار أو المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبر الموثث لانه اسم لما يلي من العظام غير
لغة كالفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بجحاسة عظم الميت وما

اصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر و يقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن
 حتى حساس (قل) تبيكته بتذكير مانسيه من فطرته الدالة على حقيقة الخيال وارشاده الى طريقة الاستشهاد بها (بحييتها
 الذي اثنائها اول مرة) فان قدرته كما هي لاستحالة التغيير فيها والمادة على حالها (وهو بكل خلق عليم) مبالغ في العلم بتفاصيل
 كفيات الخلق واليجاد واعادة محيط بجميع الاجزاء المنقطة * ١٢٠ * التبدد بكل شخص من الاشخاص اصولها

وجود لا يريد في زمان و يكون في زمان آخر بل يكون في زمان تعلق الارادة فاذا الشيء
 هو الوجود لا العدم لا يقال كيف يريد الوجود وهو موجود فيكون ذلك اليجادا
 لوجود نقول هذا الاشكال من باب العقوليات ونجيب عنه في موضعه وانما غرضنا
 ابطال تمسكهم باللفظ وقد ظهر ان المفهوم من هذا الكلام انه يريد ما هو شئ اذا ارد
 وليس في الآية انه اذا اراد ما كان شيئا قبل تعلق الارادة (البحث الثاني) قالت الكرامية
 لله ارادة محمودة بدليل قوله تعالى اذا اراد ووجه دلالة من امرين (أحدهما) من حيث
 انه جمل الارادة زمانا فان اذ طرف زمان وكل ما هو زمانى فهو حادث (وثانيهما) هو انه
 تعالى جعل ارادته متصلة بقوله كن وقوله كن متصل بكون الشيء ووقوعه لانه تعالى
 قال فيكون بقاء العقيب لكن الكون حادث وما قبل الحادث متصل به حادث
 والفلافة وافقوهم في هذا الاشكال من وجه آخر فقولوا ارادته متصلة بأمره وأمره
 متصل بالكون لكن ارادته قديمة فالكون قديم فكونت الله قديمه وحوال الضالين
 من التمسك باللفظ هو ان المفهوم من قوله اذا اراد من حيث الافة اذا تعلقت ارادته
 بالشيء لار قوله اراد فعل ماض واذا دخلت كلمة اذا على الماضي يجعله في معنى المستقبل
 ونحن نقول بان مفهوم قولنا اراد ويريد علم بل يجوز أن يدخله الحدوث وانما نقول
 لله تعالى صفة قديمة هي الارادة وتلك الصفة اذا تعلقت بشئ نقول اراد ويريد وقبل
 التعلق لا نقول اراد وانما نقول له ارادة وهو بها يريد وينضرب مثلا لفهام الضعفة
 نعزل ما يقع في الاوهام الضعيفة فنقول قولنا ولان خطا براديه ان له صنعة الخياطة
 فلو لم يصح منا أن نقول انه خاط ثوب زيدا ويخط ثوب زيد لا يلزم منه في صحة قولنا انه
 خاط يعنى ان له صنعة بها يطلق عليه عند استعماله تلك الصنعة في ثوب زيد في زمان
 ماض خاط ثوبه وبها يطلق عليه عند استعماله الصنعة في ثوب زيد في زمان مستقبل
 فيخط ثوبه والله المثل الاعلى فافهم ان الارادة أمر ثابت ان تعلقت بوجود شئ نقول
 اراد بوجوده اى يريد وجوده واذا علمت هذا فهو في المعنى من كلام اعل السنة املين
 الارادة حادث وخرج بما ذكرنا جوابا للفريقين (البحث الثالث) قالت المعتزلة
 والكرامية كلام الله حرف صوت وحادث لان قوله كن كلام وكن من حرفين والحرف
 من الصوت ويلزم من هذا ان كلامه من الحروف والاصوات وانما انه حادث فلما تقدم
 من الوجهين (أحدهما) انه زمانى (والثاني) انه متصل بالكون والكون حادث
 والجواب اى لم نذكرنا ذلك لان الكلام صفة اذا تعلقت بشئ نقول قال ويقول فعلى
 الخطاب حادث والكلام قديم فقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
 فيه تعلق وازافة لان قوله تعالى يقول له باللام الاضافة صريح في التعلق ونحن نقول ان
 قوله شئ الحادث حادث لانه مع التعلق وانما القديم قوله وكلامه لامع التعلق وكل قديم
 وحادث اذ نظرت الى مجموعهما لا تجد هما في الازل وانما تجدهما جبيعا فيما لا يزال قوله

وفروعها وأوضاع بعضها
 من بعض من الاتصال الا
 تفصال والاجتماع والافتراق
 فيعيد كلام من ذلك على النمط
 السابق مع التوضيح التي كانت
 قبل والجملة اما اعتراض تذييلي
 مقرر لمضمون الجواب او معطوفه
 على الصلة والدول الى الجملة
 الاسمية لتأنيده على أن علمه
 تعيب بما ذكر أمر مستحيل
 كاشانه للمناسات وقوله تعالى
 (الذي جعل لكم من الشجر
 الاخضر ناراً) يدل من الموصول
 الاول وعدم الاتفا بعبطف
 صلته على صلته التأكيد
 ولقائجهما في كفة الدلالة
 اى خلق لاحدكم وشفقتكم
 منه ناراً على أن الفعل ابتداعى
 والجاران متعلقان به قدما على
 مقوله المبرمج مع تأخرهما
 عنه رتبة للمعنى من الاعتناء
 بالقدم والتشويق الى الواخيرة
 وصف الشجر الاخضر ذكرا
 اياض وقد قرئ الخضره
 نظرا الى المعنى هو الخ
 والغفار يقطع الرجل منهما
 عصيتين مثل السواكين وهما
 خضراوان يقطر منهما الماء
 فيسحق المرح بهود كرم على
 العقار وهو انثى فتندح اثار

بإذن الله تعالى وذلك قوله تعالى (فاذا أتم منه توقدون) فن قد على احداث النار من الشجر الاخضر مع معنى
 مع ما قبله من المائبة المضادة لها بكيفية كان أفدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا مطراً غلبة اليدوسة والبلل وقوله
 تعالى (أوليس الذي خلق السموات) الخ استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذى أمر عليه

بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والتثنية والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ليس الذى انشاها اول مرة وليس الذى جعل لهم من الشجر الاخضر ناراً ﴿ ١٢١ ﴾ وليس الذى خالق السموات والارض مع كبر جرهما

وعظم شأنهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر والتمتع بالنسبة اليهما فان يدعيه العقل قاضية بأن من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناس أقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق اناس وقرئ يقدر وقوله تعالى (بلى) جواب من جهته تعالى - تصريح بما أفاده الاستفهام الانكارى من تقرير ما بعد انق وابدان بتعين الجواب نطقوا به او تلقموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى (وهو الخلاق العليم) عطف على ما بيده الايجاب اى بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفوا وكما (انما امره) اى شأنه (اذا اراد شيئاً) من الاشياء (أن يقول له كن) اى أن يعلق به قدرته (فيكون) فيحدث من غير توقف على شىء آخر أصلاً وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما اراده بأمر الامر المطاع المأمور

معنى الحدوث ولكن الاطلاق موهوم فتفكر جدا ولا تنقل المجموع حادث من غير بيان مرادك فان ذلك قديهم منه ان الجميع حادث بل حتى الاشارة بوجود العبارة وقل أحد طرفي المجموع قديم والآخر حادث ولم يكن الآخر معه في الازل واما قوله كن من الحروف نقول الكلام يطلق على معنيين (أحدهما) ما عند المتكلم (والثاني) ما عند السامع ثم أحدهما يطلق عليه انه هو الآخر من هذا يظهر فوالله ما يبان ما ذكرناه فلان الانسان اذا قال لغيره عندي كلام أريد أن أقوله لك فذا ثم ان السامع أتاه غذا وسأله عن الكلام الذى عنده أمس فيقول له انى أريد أن تحضر عندي اليوم فهذا الكلام أطلق عليه المتكلم انه كان عندك أمس ولم يكن عند السامع ثم حصل عند السامع بحرف وصوت ويطلق عليه أن هذا الذى سمعت هو الذى كان عندي ويعلم كل طافل أن الصرت لم يكن عند المتكلم أمس ولا الحرف لان الكلام الذى عنده جاز أن يذكره بالبر في يكون له حروف وجاز أن يذكره بالشارسية فيكون له حروف آخر والكلام الذى عنده ووعده واحد والحروف مختلفة كثيرة فاذا معنى قوله هذا ما كان عندي هو ان هذا يؤدى اليك ما كان عندي وهذا أيضا مجاز لان الذى عنده ما انتقل اليه وانما علم ذلك وحصل عنده به علم مستفاد من السمع أو البصر في القراءة والكتابة أو الاشارة اذا علمت هذا فالكلام الذى عند الله وصفة له ليس بحرف على ما بان والذي يحصل عند السامع حرف وصوت وأحدهما الآخر لما ذكرنا من المعنى وتوسع الاطلاق فاذا قال تعالى يقول له حصل قائل وسمع فاعتبرها من جانب السامع لكون وجود الفعل من انسمع لذلك القول فغير عنه بالكاف والنون الذى يحدث عند السامع ويحدث به المطلوب * ثم قال تعالى (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون) لما تقررت الوجدانية والاعادة وأنكروها وقالوا بأن غير الله آلهة قال تعالى وتتره عن الشريك الذى بيده ملكوت كل شىء وكل شىء ملكه فكيف يكون المملوك للمالك شرىكا وقالوا بان الاعادة لا تكون فقال واليه ترجعون ردا عليهم في الامرين وقد ذكرنا ما يتعلق بالحق في قوله سبحان اى سبحوا تسبيح الذى أوسج من في السموات والارض تسبيح الذى فسبحان علم للتسبيح والتسبيح هو التنزيه والملكوت مبالغة في الملك كالرحوت والرحوت وهو فطول أو فعلوت فيه كلام ومن قال هو ففعلول جعلوه ملحقا به * ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس وقال الغزالي فيه ان ذلك لان الايمان صحته بالاعتراف بالحشر والحشر مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه فجعله قلب القرآن لذلك واستحسنه فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى سمعته يترجم عليه بسبب هذا الكلام ويمكن ان يقال بأن هذه السورة ليس فيها الاقرار بالاصول الثلاثة بأقوى البراهين فابتدأها بيان الرسالة بقوله انك لمن المرسلين ودليلها ما قدمه عليها بقوله والقرآن الحكيم وما آخر عنها بقوله لتندر قوما وانهاؤها بيان الوجدانية والحشر بقوله فسبحان الذى بيده

المطبع في سرعة حصول الامور به ﴿ ١٦ ﴾ سا من غير توقف على شىء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفًا على يقول

(فبجان الذي بيده ملكوت كل شيء) تنزيه له عز وجل عما وصفوه تعالى به وتجب ما قالوا في شأنه تعالى وقدم تحقيق معنى سبحان والثناء للإشارة إلى أن ما فصل في ١٢٢ من شؤنه تعالى موجبة التزهة والتزهد وأكمل

الاجاب كأن وصفه تعالى بالملكوتية الملكة المطلقة الاشعار بأنها مقضية لذلك أتم اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك كالرحوت والرهوت وقرئ ملكه كل شيء وملكه كل شيء وملك كل شيء (والبه ترجعون) لا إلى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعد ما لا يخفى * عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لأعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فإذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له وأعطى من الاجر كأنها قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وأياما مسلم قرئ عنده إذ نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفًا يصلون عليه ويستغفرون له

(سورة الصفات مائة واثنان وثمانون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والصفات صفا فالاجرات زجرا فالتاليات ذكر ان الهكم اواحد رب السموات والارض وما بينهما ما روي ان شارق) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ أبو عمرو وحجة والصفات صفا بادغام التاء فيما يليه وكذلك في قوله فالاجرات زجرا فالتاليات ذكر والباقيون بالظهار وقال الواحدى رحمه الله ادغام التاء في الصاد حسن لمقاربة الحرفين الاترى انهما من طرف اللسان وأصول اشيايا بسمعان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم بالانطباق والصفير وادغام الانقص في الازيد حسن ولا يجوز أن يدغم الازيد صوتا في الانقص وأيضا ادغام التاء في الزاي في قوله فالاجرات زجرا حسن لان التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد وأيضا حسن ادغام التاء في الذال في قوله فالتاليات ذكر الاتفاقهما في انهما من طرف اللسان وأصول التاليا وامان قرأ بالظهار وترك الادغام فذلك لاختلاف المخارج والله أعلم (المسئلة الثانية) في هذه الاشياء الثلاثة المذكورة المقسم بها يحتمل أن تكون صفات ثلاثة لموصوف واحد ويحتمل أن تكون أشياء ثلاثة متباينة ما على التقدير الأول ففيه وجوه (الاول) انها صفات الملائكة وتقديره أن الملائكة يقفون صفوفًا امامي السموات لاداء العبادات كما أخبر الله عنهم انهم قالوا وانما نحن الصافون وقيل انهم يصفون أجنحتهم في الهواء

بإذن الله يشهدون غسله وينبغون مع ما فيه تبه ويصلون عليه ويشهدون دفنه وإماما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك ويقفون

تعالى) (أروحه حتى يحييه رضوان خازن الجنة بشرية

بإذن الله يشهدون غسله وينبغون مع ما فيه تبه ويصلون عليه ويشهدون دفنه وإماما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك ويقفون

من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو زيان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة ﴿ ١٢٣ ﴾ وهو ريان وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان في القرآن سورة

تشفع لقرارها وتستغفر

استغفها الا وهي سورة يس

* (سورة والصفات

مكبه وآياتها مائة واحدى

أو اثنان وثمانون آية) *

* (بسم الله الرحمن

الرحيم) * (والصفات

صفا) اقسام من الله

عز وجل بطوائف

الملائكة الفاعلات

للصفوف على أن المراد

ايقاع نفس الفعل من

غير قصد الى المفعول

أو الصفات أنفسها

أى الناظمت لها في

لك الصفوف بقيامها

في مقاماتها المعلومة

حسبا ينطق به قوله

تعالى وما منا الا له مقام

معلوم وهى هذين

المعنيين مدار قوله تعالى

وانا نحن الصافون

وقيل اصافات أقدامها

في الصلاة وقيل

اجمعتها في الهواء

(فالزجرات زجرا) أى

الفاصلات للزجر

والزجرات لما يظبطه زجر

من الاجرام العلوية

واسفلية وغيرها على

وحد يلقى بان زجور ومن

جمله ذلك زجر العباد

ويقفون منتظرين وصول أمر الله اليهم ويحتمل أيضا أن يقال معنى كونهم صفوفان لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة في الشرف والفضيلة أو في الذات والعلية وتلك الدرجة المرتبة باقية غير متغيرة وذلك بشبه الصفوف وأما قوله فالزجرات زجرا فقال اللطيف يقال زجرت البعير فأنا أزجره زجرا اذا أحسنه ليضى وزجرت فلانا عن سوء فان زجرا أى نهيته فانتهى فعلى هذا الزجر للبعير كالحث والانسان كالتهيب اذا عرفت هذا فنقول في وصف الملائكة بان زجرو جوه (الاول) قال ابن عباس يريد الملائكة الذى وكلوا بالسحاب يزجرونها بمعنى أنهم يأتون بها من موضع الى موضع (الثانى) المراد مندان الملائكة لهم تأثيرات في قلوب بنى آدم على سبيل الالهامات فهم يزجرونها عن المعاصى زجرا (الثالث) لعل الملائكة أيضا يزجرون الشياطين عن التعرض لبنى آدم بالشر والايذاء وأقول قد ثبت في العلوم العقلية أن الموجودات على ثلاثة أقسام مؤثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو أشرف الموجودات ومأثر لا يؤثر وهم عالم الاجسام وهو أخس الموجودات وموجود يؤثر في شئ ويتأثر عن شئ آخر وهو عالم الارواح وذلك لانها تقبل الاثر عن عالم كبرياء الله ثم انها تؤثر في عالم الاجسام واعلم أن الجهة التي باعتبارها تقبل الاثر من عالم كبرياء الله غير الجهة التي باعتبارها تستولى على عالم الاجسام وتقدر على التصرف فيها وقوله فالتاليات ذكرا اشارة الى الأشرف من الجهة التي باعتبارها تقوى على التأثير في ظالم الاجسام اذا عرفت هذا فقوله والصفات صفا اشارة الى وقوفها صفا صفا في مقام العبودية والطاعة بالخشوع والخضوع وهى الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية أصناف الانوار الالهية والكمالات الصمدية وقوله تعالى فالزجرات زجرا اشارة الى تأثير الجواهر الملكية في تنوير الارواح القدسية البشرية واخراجها من القوة الى الفعل وذلك لما ثبت أن هذه الارواح الناطقة البشرية بالنسبة الى ارواح الملائكة كالمطررة بالنسبة الى البحر وكاشملة بالنسبة الى الشمس وان هذه الارواح البشرية انما تنقل من القوة الى الفعل في المعارف الالهية والكمالات الروحانية بتأثيرات جواهر الملائكة ونظيره قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده وقوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى فالملقيات ذكرا اذا عرفت هذا فنقول في هذه الآية دققة أخرى وهى ان الكمالات المطلق الشئ انما يحصل اذا كان تاما وفوق التام والمراد بكونه تاما ان تحصل جميع الكمالات اللانقطة به حصولا بالفعل والمراد بكونه فوق التام أن تفيض منه أصناف الكمالات والسهادات على غيره ومن المعلوم ان كونه كاملا في ذاته مقدم على كونه مكتملا لغيره اذا عرفت هذا فقوله والصفات صفا اشارة الى استكمال جواهر الملائكة في ذاتها وقت وقوفها في مواقف العبودية وصفوف الحسنة والطاعة وقوله تعالى فالزجرات زجرا اشارة الى كيفية تأثيراتها في ازالة ما لا ينبغي عن جواهر الارواح البشرية وقوله تعالى فالتاليات ذكرا

عن المعاصى وزجر الشياطين عن الوسوسة والاعواء وعن استراق السمع كما سيأتى وصفا وزجرا مصدران مؤكدا ان لما قبلهما أى صفا بديعا وزجرا بليغا وأما ذكرا

في قوله تعالى (فالتاليات ذكرا) ففعل التاليات أي التاليات ذكرا عظيم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه المزملة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها من التسبيح ﴿ ١٢٤ ﴾ والتقديس والتحميد والتعظيم وقيل هو

إشارة إلى كيفية تأثيراتها في إفاضة الجلايا القدسية والانوار الإلهية على الأرواح الناطقة البشرية فهذه مناسبات عقلية واعتبارات حقيقية تنطبق عليها هذه الألفاظ الثلاثة قال أبو مسلم الأصفهاني لا يجوز حل هذه الألفاظ على الملائكة لأنها مشعرة بالتأنيث والملائكة مبرؤن عن هذه الصفة والجواب من وجهين (الأول) إن الصفات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم يجمع على صافات (والثاني) انهم مبرؤن عن التأنيث المعنوي أما التأنيث في اللفظ فلا وكيف وهم يسمعون بالملائكة مع أن علامة التأنيث حاصلة في هذا الوجه (الثاني) إن تحمل هذه الصفات على النفوس البشرية الطاهرة المقدسة المقبلة على عبودية الله تعالى الذين هم ملائكة الأرض وبيان من وجهين (الأول) إن قوله تعالى والصفات صفا المراد الصفوف الحاصلة عند أداء الصلوات بالجماعة وقوله فالزاجرات زجرا إشارة إلى قراءة أعود بالله من الشيطان الرجيم كأنهم بسبب قراءة هذه الكلمة يزحرون للشياطين عن التاء الوسواس في قلوبهم في أثناء الصلاة وقوله فالتاليات ذكرا إشارة إلى قراءة القرآن في الصلاة وقيل فالزاجرات زجرا إشارة إلى رفع الصوت بالقراءة كأنه يزجر الشيطان بواسطة رفع الصوت روى أنه صلى الله عليه وسلم طاف على بيوت أصحابه في الليالي فسمع أبا بكر يقرأ بصوت منخفض وسمع عمر يقرأ بصوت رفيع فسأل أبا بكر لم تقرأ هكذا فقال المعبود سمع عليم وسأل عمر لم تقرأ هكذا فقال أوقف البوسان وأطرد الشيطان (الوجه الثاني) في تفسير هذه الألفاظ الثلاث في هذه الآية إن المراد من قوله والصفات صفا الصفوف الحاصلة من العلماء المحمدين الذين يدعون إلى دين الله تعالى والمراد من قوله والزاجرات زجرا الله عليهم بالزجر عن الشبهات وأشبهات المراد من قوله تعالى فالتاليات ذكرا اشتغالهم بالدعوة إلى دين الله والترغيب في العمل بشرائع الله (الوجه الثالث) في تفسير هذه الألفاظ الثلاثة أن يحملها على أحوال الغزاة والمجاهدين في سبيل الله فقوله والصفات صفا المراد منه صفوف القتال لقوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وأما الزاجرات زجرا فالزجرة والصيحة سواء والمراد من رفع الصوت بزجر الخيل وأما التاليات ذكرا فالمراد اشتغال الغزاة وقت شربهم في محاربة العدو بقراءة القرآن وذكر الله تعالى بالتلهيل والتقديس (الوجه الرابع) في تفسير هذه الألفاظ الثلاثة أن يجعلها صفات لآيات القرآن وقوله والصفات صفا المراد آيات القرآن فانه أنواع مختلفة بعضها في دلائل التوحيد وبعضها في دلائل العلم والقدرة والحكمة وبعضها في دلائل النبوة وبعضها في دلائل المعاد وبعضها في بيان التكليف والأحكام وبعضها في تعليم الأخلاق الفاضلة وهذه الآيات مرتبة ترتيبا لا يتغير ولا يتبدل فهذه الآيات تشبه أشخاصا واقفين في صفوف معينة وقوله فالزاجرات زجرا المراد منه الآيات الزجرة عن الأفعال المنكرة وقوله فالتاليات ذكرا المراد منه الآيات الدالة على وجوب الأقدام على أعمال البر والخير وصف الآيات بكونها تالية على قانون

أيضا مصدر مؤكدا لما قبله فإن التلاوة من باب الذكر ثم إن هذه الصفات إن أجريت على الكل فعطفها بإلقاء الدلالة على ترتيبها في الفضل أما يكون الأفضل لصف ثم الزجر ثم التلاوة أو على العكس وإن أجريت كل واحدة منهن على ما سوائف معينة فهو للدلالة على ترتيب الموصوفات في مراتب الفضل يعني أن طوائف الصفات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أهدى فضلا أو على العكس وقيل المراد بالذكورات نفوس العلماء العمال الصفات أنفسها في صفوف الجماعات وأقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواضع والصالح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه وأحكامه وقيل طوائف الغزاة الصفات أنفسهم في مواطن الحروب كأنهم بيان مرصوص أو طوائف قوادهم الصفات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره ﴿ ما يقال ﴾

وتسبيبه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ولانه على ترتيب الصفات في الفضل أو ترتيب موصوفاتها فيه

كانت سلف واما الدلالة على الترتيب في الوجود كما في قوله بالهف زبانه المهرث الصابح فالنجم فلا يب فغير ظاهرة في شي من الطوائف المذكورة فانه (١٢٥) اوسم تقدم الصف على الزجر في الملاشكة والفرزة وتأخر التلاوة عن الزجر

غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطيور صافات والزاجرات كل ما يزرع عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله تعالى وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرى بادغام الناف في الصاد والزاي والذال (ان الحكم اواحد) جواب للقسم والجملة تحقن الحق الذي هو اتوحيد بما هو المسأوف في كلامهم من التأكيد القسيمي وتمهيد لما يقبه من البرهان الناطق به أعني قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود اصانع وعلمه وقدرته وأعدل شواهد وحدته كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله افسد ما ورب خبرتان لان أوخير لبتنا مخذوف أي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات

ما يقال شعر شاعرو كلام قائل قال تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وقال يس والقرآن الحكيم قيل الحكيم بمعنى الخا كم فهذه جملة الوجوه المحتملة على تقدير ان يجعل هذه الالفاظ الثلاثة صفات لشي واحد (وأما الاحتمال الثاني) وهو أن يكون المراد بهذه الثلاثة أشياء متغايرة فقيل المراد بقوله والصافات صفا الطير من قوله تعالى والطيور صافات والزاجرات كل ما يزرع عن معاصي الله والتاليات كل ما يتلى من كتاب الله وأقول فيه وجه آخر وهو أن مخلوقات الله اما جسمانية واما روحانية أما الجسمانية فانه امرتبة على طبقات ودرجات لا تغير البتة فالارض ووسط العالم وهي محفوفة بكرة الماء والماء محفوف بالهواء والهواء محفوف بالنار ثم هذه الاربعة محفوفة بكرات الايثان الى آخر العالم الجسماني فهذه الاجسام كأنها صفوف واقفة على عتبة جلال الله تعالى واما الجواهر الروحانية الملكية فهي على اختلاف درجاتها وتباين صفاتها مشتركة في صفتين أحدهما التأثير في عالم الاجسام بالتحريك والتصريف واليد الاشارة بقوله فالزاجرات زجرا فاننا بيننا أن المراد من هذا الزجر السوق والتحريك والثاني الادراك والعرف والاستغراق في معرفة الله تعالى وانشاء عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فالتاليات ذكرا ولسكان الجسم أدنى منزلة من الارواح المستقلة فالنصرف في الجسمانيات أدون منزلة من الارواح المستغرفة في معرفة جلال الله المقللة على تسبيح الله كما قال ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته لا يجرم بدأ في المرتبة الاولى بذكر الاجسام فقال انصافات صفاتم ذكر في المرتبة الثانية الارواح الديرة لاجسام هذا العالم ثم ذكر في هذه المرتبة الثالثة أعلى الدرجات وهي الارواح المقدسة المذووجة بكليتهم الى معرفة جلال الله والاستغراق في انشاء عليه فهذه احتمالات دخلت بالبال والعالم باسرار كلام الله تعالى ليس الا الله (المسئلة اشائة) للناس في هذا الموضوع قولان (الاول) قول من يقول القسم به ههنا خالق هذه الاشياء لاعيان هذه الاشياء واحتجوا عليه بوجوه (الاول) انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بغير الله فكيف يليق بحكمة الله أن يحلف بغير الله (والثاني) ان الحلف بالشي في مثل هذا الموضوع تعظيم عظيم للمحذوف به ومثل هذا التعظيم لا يليق الا بالله (ثالث) أن هذا الذي ذكرناه تأكد بما أنه تعالى صرح به في بعض السور وهو قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما أطعها ونفس وما سواها (والقول الثاني) قول من يقول ان القسم واقع باعيان هذه الاشياء واحتجوا عليه بوجوه (الاول) أن القسم وقع بهذه الاشياء بحسب ظاهر اللفظ فالمدول عنه خلاف الدليل (والثاني) أنه تعالى قال والسماء وما بناها فعلق لفظ القسم بالسماء عطف عليه القسم بالباقي للسماء فلو كان المراد من القسم بالسماء القسم بمن بنى السماء لزم التكرار في موضع واحد وانه لا يجوز (الثالث) انه لا يبعد أن تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشياء التثبيته على شرف ذواتها

ومر بها وبلغها الى كالاتها والمراد بالشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها غاية ظهور آثار الربوبية فيها ويجدوها كل يوم فانه ثمانية

وستون مشرقاً تشرق كل يوم من مشرق منها وبموجبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها وأما قوله تعالى

رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقاً الصيف والشتاء ومغرباً باهما (١٣٦) (أنا زينا السماء الدنيا) أي القرين
وكال حفاظها لاسيما إذا حلنا هذه الالفاظ على الملائكة فانه تكون الحكمة في انقسم
بها التنبيه على جلالة درجاتها وكال مراتبها والله أعلم فان قيل ذكر الحلف في هذا
الموضع غير لائق وبيانه من وجوه (الاول) ان المقصود من هذا القسم اماثبات هذا
المطلوب عند المؤمن أو عند الكافر والاول باطل لان المؤمن مقر به من غير هذا الحلف
والثاني باطل لان الكافر لا يقر به سواء حصل الحلف أو لم يحصل فهذا الحلف عديم
الفائدة على كل التقديرات (الثاني) انه تعالى حلف في أول هذه السورة على ان الاله
واحد وحلف في أول سورة والذاريات على ان القيامة حق فقال والذاريات ذروا الى
قوله انما اتوعدون لصادق وان الدين لواقع واثبات هذه المطالب العالية الشريفة على
المخالفين من الدهرية وأمثالهم بالحلف واليمين لا يليق بالعتلاء والجواب من وجوه
(الاول) انه تعالى قررانوحيد وصحة البعث والقيامة في سائر السور بالدلائل البقينية
فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها فذكر القسم تأكيداً لتقدم لاسيما والقرآن
انما أنزل بلغة العرب واثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة عند العرب
(والوجد الثاني) في الجواب انه تعالى للأقسام بهذه الاشياء على صحة قوله تعالى ان
الهكم لواحد ذكر عقيد ما هو كالدليل البقيني في كون الاله واحداً وهو قوله تعالى
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق وذلك لانه تعالى بين في قوله لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدنا ان انتظام احوال السموات والارض يدل على ان الاله واحد
فهمنا قال ان الهكم لواحد أردفه بقوله رب السموات والارض وما بينهما ورب
المشارق كأنه قيل قد بينا ان النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الاله واحداً فأتوا
في ذلك الدليل ليحصل لكم العلم بالوحد (الوجه الثالث) في الجواب ان المقصود من
هذا الكلام الرد على عبدة الاصنام في قواهم بانها آلهة فكأنه قيل هذا المذهب قد بلغ
في السقوط والركاكة الى حيث يكفي في ابطالها مثل هذه الحجة والله أعلم (المسئلة
الرابعة) اما دلالة احوال السموات والارض على وجود الاله القادر العالم الحكيم
وتلى كونه واحداً منزهاً عن الشرك فقد سبق تقريرها في هذا الكتاب مراراً وأطواراً
وأما قوله تعالى ورب المشارق فيحتمل أن يكون المراد مشارق الشمس قال السدي
المشارق ثمانون وستون مشرقاً وكذلك المغارب فانه تطلع الشمس كل يوم من مشرق
وتغرب كل يوم في مغرب ويحتمل أن يكون المراد مشارق الكواكب لان لكل كوكب
مشرقاً ومغرباً فان قيل لم اكن في بذكر المشارق قلنا الوجهين (الاول) أنه اكن في بذكر
المشارق كقوله تغيكم الحر والثاني أن اشروق أقوى حالاً من الغروب وأكثر نفعاً من
اغروب فذكر الشروق تليها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولم هذه الدقيقة استدل
ابراهيم عليه السلام بالشرق فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق (المسئلة الخامسة)
احج للاصحاب بقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما على كونه تعالى خافياً

منك (زينة) صجبة
بديعة (الكواكب)
بالجر بدل من زينة على
أن المراد بها الاسم أي
ما يزان به لا المصدر
فان الكواكب بانفسها
وأوضاع بعضها من
بعض زينة وأي زينة
وقرى بالاضافة على
أنها يابنة لما أن الزينة
مبهمة صادقة على
كل ما يزان به فتقع
الكواكب بياناً لها
ويجوز أن يراد بزينة
الكواكب ما زينت هي
به وهو وضوؤها وروى
عن ابن عباس رضي الله
عنه ان زينة الكواكب
بضو الكواكب هذا
وأما على تقدير كون
الزينة مصدرًا فاعني
على تقدير اضافة الضو
الى لفاعل بان زانت
الكواكب اناها وأصله
زينة الكواكب وعلى
تقدير اضافة الضو الى
المفعول بان زان الله
الكواكب وحسنها
وأصله زينة الكواكب
والمراد هو التزيين في
رأى امين فان جميع
الكواكب من الثوابت

والسيارات تبينون في نظرين كأنها جواهر ملامنة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة لا أعمال ولا يقدر في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القصر في السنة المتوسطة

ان ثبت ذلك (وحفظا) منصوب اما به طرفة على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل انما خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا
(من كل شيطان مارد) أي خارج عن الطاعة ﴿ ١٢٧ ﴾ برمي الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معال

به كأنه قيل وحفظا من
كل شيطان مارد زينة
بالكواكب كقوله تعالى
ولقد زيننا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين وقوله
تعالى (لا يسمعون الى الملا
الاعلى) كلام مبتدأ
مسوق لبيان حالهم بعد
بيان حفظ السماء عنهم
مع التنبيه على كيفية
الحفظ وما به تريم في
أثناء ذلك من العذاب
ولاسبيل الى جعله صفة
لكل شيطان ولا جوابا
عن سؤال مقدر لعدم
استقامة المعنى ولاعلة
الحفظ على أن يكون
الاصل للاسماء
فحذفت اللام كاحذفت
من قولك جئتك أن
تكرمني فبقي أن لا يسموا
ثم يحذف أن ويهدر
عملها كما في قول من قال
* ألبا أي هذا الزاجرى
أحضر الوغى * لما أن
كل واحد من ذينك
المذفين غير منكر بانفراده
فاما اجتماعهما فن أنكر
المنكرات التي يجب
تنزيه ساحة التنزيل
الجليل عن أمثالها وأصل

لاعمال العباد قالوا لان أعمال العباد موجودة فيما بين السموات والارض وهذه الآية
دالة على ان كل ما حصل بين السموات والارض فائقه ربه وما لكه فهذا يدل على ان
فعل العباد حصل بخلق الله وان قالوا الاعراض لا يصح وصفها بانها حصلت بين السموات
والارض لان هذا الوصف بما يليق بما يكون حاصله في حيز وجهة والاعراض ليست
كذلك قلنا انها لما كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة بين السموات والارض فهي
أيضا حاصلة بين السماء والارض * ثم قال تعالى (انما زين السماء الدنيا بزينة الكواكب
وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى) ويقذفون من كل جانب
دحورا ولهم عذاب وأصعب الامن خطف الخطفة فأتمعه شهاب ثاقب) في الآية
مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حرة وحفص عن عاصم زينة منونة الكواكب بالجر وهو
قراءة مسروق بن الاجدع قال الغراء وهو رد معرفة على نكرة كما قال بالنصبة ناصبة
فرد نكرة على معرفة وقال الزجاج الكواكب بدل من الزينة لانها هي كما تقول مررت
بأبي عبدالله زيد وقرأ عاصم بالثوين في الزينة ونصب الكواكب قال الغراء يريد
زيننا الكواكب وقال الزجاج يجوز أن تكون الكواكب في النصب بدلا من قوله
بزينة لان بزينة في موضع نصب وقرأ الباقون بزينة الكواكب بالجر على الاضافة
(المسئلة الثانية) بين تعالى انما زين السماء الدنيا وبين انه انما زينها للنفعتين (احدهما)
تحصيل الزينة (والثانية) الحفظ من الشيطان المارد فوجب ان نحقق الكلام في هذه
المطالب الثلاثة (اما الاول) وهو تزيين السماء الدنيا بهذه الكواكب فلنقول
انه ثبت في علم الهيئة ان هذه الثوابت مركزية في الكرة الثامنة وان السيارات الستة
مركزية في الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله انما زيننا السماء الدنيا
بزينة الكواكب والجواب أن الناس الساكنين على سطح كرة الارض اذا نظروا الى
السماء فانهم يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انما زيننا السماء الدنيا
بزينة الكواكب وعلى اننا قد بينا في علم الهيئة ان الفلاسفة لم يتم لهم دليل في بيان ان
هذه الكواكب مركزية في الفلك الثامن ولعلنا شرحنا هذا الكلام في تفسير سورة
تبارك الذي بيده الملك في تفسير قوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح (وأما المطلوب
الثاني) وهو كون هذه الكواكب زينة السماء الدنيا فقيه بحثان (البحث الاول) ان
الزينة مصدر كالتسبيبة واسم لما يزان به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة قال صاحب
الكشاف وقوله بزينة الكواكب يحتملها فان أردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل
أي بأن زينتهما الكواكب أو على اضافته الى المفعول أي بأن زان الله الكواكب
وحسنها لانها انما زينت السماء بحسنها في نفسها وان أردت الاسم فللاضافة وجهان
أن تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة قد تحصل بالكواكب وبغيرها وان يراد
ما زينت به الكواكب (البحث الثاني) في بيان كيفية كون الكواكب زينة للسماء

يسمعون يسمعون والملا الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة وعند أشرف الملائكة عليهم

الصلاة والسلام أي يطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرى^ة يسمعون بالتخفيف (ويقدفون) يرمون (من كل جانب)
من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها (دحورا) ﴿ ١٢٨ ﴾ حلة للقف أي للدحور وهو الطرد

وحوه (الاول) أن النور والضوء أحسن الصفات وأكملها فان تحصل هذه الكواكب
المشرقة المضيئة في سطح انفلك لاجرم بقي الضوء والنور في جرم الفلك بسبب حصول
هذه الكواكب فيها قال ابن عباس يزينة الكواكب أي بضوء الكواكب (الوجه الثاني)
يجوز أن يراد اشكالها المتناسبة المختلفة كشكل الجوزاء وبنات نعش والثريا وغيرها
(الوجه الثالث) يجوز أن يكون المراد بهذه الزينة كيفية طلوعها وغروبها (الوجه
الرابع) ان الانسان اذا نظر في البية الظلمة الى سطح فلك ورأى هذه الجواهر الزاهر
مشرقة لامعة مملأة على ذلك السطح الازرق فلا شك انها أحسن الاشياء وكلها
في التركيب والجوهر وكل ذلك يفيد كون هذه الكواكب زينة (بأما المطلوب الثالث)
وهو قوله وحفظا من كل شيطان مارديفقيه بخزان (البحث الاول) فيما يتعلق باللغة فقوله
وحفظا أي وحفظناها قال المبر ان اذا ذكرت فعلا ثم عصفت عليه مصدره من آخر نصبت
المصدر لانه قد دل على فعله مثل قولك افعل كرامة لانه لما قل افعل علم ان الاسماء
لا تصف على الافعال فكالمعنى افعل ذلك وأكرمت كرامة قال ابن عباس يريد حفظ
السماء بالكواكب من كل شيطان مارديفقيه تمدد على الله قيل انه الذي لا يمكن منه
وأصله من الملاسة ومنه قوله ضرب حمرود ومنه الامر دودا كرتنا تفسير المارد عند قوله مردوا
على التفات (البحث الثاني) فيما يتعلق بالمباحث العقبية في هذا الموضع فنقول
الاستعصاء فيه مذکور في قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين قال المفسرون الشياطين كانوا يصعدون الى قرب السماء فر بما
سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من العيوب وكانوا يخبرونهم به ويؤمنونهم
انهم يعلمون الغيب فمنهم الله تعالى من الصعود الى قرب السماء بهذه الشهب فانه تعالى
يرميهم بها فيحرقهم بها (وبقي ههنا سوالات السؤال الاول) هذه الشهب هل هي من
الكواكب التي زين السماء بها أم لا والاول باطل لان هذه الشهب تبطل وتضمحل
فلو كانت هذه الشهب تلك الكواكب الحقيقية لوجب أن يظهر نقصان كثير في
أعداد كواكب السماء ومعلوم ان هذا المعنى لم يوجد البتة فان أعداد كواكب السماء
باقية على حالة واحدة من غير تغير البتة وأيضا لجعلها رجوما للشياطين مما يوجب
وقوع النقصان في زينة السماء فكان الجمع بين هذين المقصودين كالتناقض وأما
القسم الثانية وهوان يقال ان هذه الشهب جنس آخر غير الكواكب المركوزة في الفلك
فهذا أيضا مشكل لانه تعالى قال في سورة تبارك الذي بيده الملك ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير في قوله وجعلناها أي المصابيح فوجب
ان تكون تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها من غير تفاوت والجواب ان هذه الشهب
غير تلك الشواقب الباقية وأما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين فنقول كل نبي يحصل في الجوالعالى فهو مصابيح لاهل الارض الا ان

أوحال بمعنى مدحورين
أو مصدر مؤكده
لانهما من واحد
وقرى دحورا بفتح
الدال أي قذف دحورا
مباغاني اطرد دودا جوز
أن يكون مصدرا
كالتبول والروع (ولهم
عذاب واسيب) أي
ولهم في الآخرة غير
عاقب الدنيا من عذاب
الرجم بالشهب عذاب
شديد أم غير ممتنع
كقوله تعالى واعتدنا لهم
عذاب السعير (الامن
خطف الخطفة) استثناء
من واو يسمعون ومن
بدل منه والخطف
الاختلاس والمراد
اختلاس كلام الملائكة
مشاركة كما يرب عنه
تعريف الخطفة وقرى
بكسر الخاء والطاء
المشدة ويقع الخاء
وكسر الطاء وتشديدها
وأصلهما اختطف
(فاتبعه شهاب) أي
تبعه وخطه وقرى فاتبعه
والشهاب ما يرى منقضا
من السماء (ناقب) مضى
في الغاية كأنه يتعب الجو
بضوئه يرجم به الشياطين

اذا صعدوا لاستراق السمع فقتلهم أو يحرقهم أو يخلبهم قالوا وانما يعود من يسلم منهم حيا طمعا ﴿ تلك ﴾
في السلامة ونيل المراد كرايب السيفينة

تلك المصاييح منها باقية على وجه الدهر آمنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك
 وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين وبهذا التقدير فقد
 زال الاشكال والله أعلم (السؤال الثاني) كيف يجوز أن تذهب الشياطين الى حيث
 يعاون بالتجوز ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن أن يصدر
 مثل هذا الفعل عن عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة
 والجواب ان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين والام يذهبوا اليه وانما ينعون من
 المصير الى مواضع الملائكة ومواضعها مختلفة فر بما صاروا الى موضع تصيبهم فيه الشهب
 ور بما صاروا الى غيره ولا يصادفون الملائكة فلا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض
 الاوقات وساءوا في بعض الاوقات جاز أن يصيروا الى مواضع يغلب على ظنونهم انه
 لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن بسلك البحر ان يسلكه في موضع يغلب على ظنه
 حصول النجاة هذا ما ذكره أبو علي الجبائي من الجواب عن هذا السؤال في تفسيره ولقائل
 ان يقول انهم اذا صعدوا فاما ان يصلوا الى مواضع الملائكة أو الى غير تلك المواضع
 فان وصلوا الى مواضع الملائكة احترقوا وان وصلوا الى غير مواضع الملائكة لم يفوزوا
 بمقصودهم أصلا فلي كالا التقديرين المقصود غير حاصل واذا حصلت هذه التجربة وثبت
 بالاستقراء ان الفوز بالمقصود محال وجب ان يمتنعوا عن هذا العمل وان لا يقدموا عليه
 أصلا بخلاف حال المسافرين في البحر فان الغالب عليهم السلامة والفوز بالمقصود أما همنا
 فالشيطان الذي يسلم من الاحتراق انما يسلم اذا لم يصل الى مواضع الملائكة واذا لم يصل
 الى تلك المواضع لم يفز بالمقصود فوجب أن لا يعود الى هذا العمل البتة والا قرب في
 الجواب أن نقول هذه الواقعة انما تتفق في النذرة فلعلها لا تشتهر بسبب كونها نادرة بين
 الشياطين والله أعلم (السؤال الثالث) قالوا دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث
 الشهب كان حاصلا قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم فان الحكماء الذين كانوا
 موجودين قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في سبب
 حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على
 مجيء النبي صلى الله عليه وسلم أجاب القاضي بأن الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة
 قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكنها كثرت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فصارت بسبب
 الكثرة معجزة (السؤال الرابع) الشيطان مخلوق من النار قال تعالى حكاية عن ابليس
 خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على
 الصعود الى السموات واذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار والجواب يحتمل
 ان الشياطين وان كانوا من النيران الا انها نيران ضعيفة فاذا وصلت نيران الشهب اليهم
 وتلك النيران أقوى حالاً منهم لاجرم صار الأقوى مبطلاً للضعف ألا ترى ان السراج
 الضعيف اذا رجع في النار القوية فانه ينطفئ فكذلك ههنا (السؤال الخامس) ان مقر

الملائكة هو السطح الاعلى من الفلك والشياطين لا يمكنهم الوصول الا الى الاقرب من
السطح الاسفل من الفلك فيبقى جرم الفلك مانعا من وصول الشياطين الى القرب من
الملائكة ولعل الفلك عظيم المقدار فحصول هذا المانع العظيم كيف يفعل ان تسمع
الشياطين كلام الملائكة فان قلتم ان الله تعالى يقوى سمع الشيطان حتى يسمع كلام
الملائكة فنقول فعلى هذا التقدير اذا كان الله تعالى يقوى سمع الشيطان حتى يسمع كلام
الملائكة وجب ان لا ينفي سمع الشيطان وان كان لا يريد منع الشيطان من العمل فما
القائدة في رميده بالرجوم فالجواب مذهبا ان افعال الله تعالى غير معللة فيفعل الله ما يشاء
ويحكم ما يريد ولا اعتراض لاحد عليه في شئ من افعاله فهذا ما يتعلق بباحث هذا الباب
واذا اضيف ما كتبه ههنا الى ما كتبناه في سورة الملك وفي سائر الآيات المشتملة على
هذه المسئلة بلغ تمام الكفاية في هذا الباب والله اعلم * واما قوله لا يسمعون الى الملا
الاعلى ففيد مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حرة والكسائي وحفص عن عاصم لا يسمعون
بتشديد السين والميم واصله يسمعون فادغمت التاء في السين لاشتراكهما في الهمس
والسمع تطلب السماع يقال تسمع سمع أولم يسمع والباقون يتخفيف السين واختار
أبو عبيد التشديد في يسمعون قال لا العرب تقول سمعت الى فلان ويقولون سمعت
فلانا ولا يكادون يقولون سمعت الى فلان وقيل في تقوية هذه القراءة اذا نفي التسمع فقد
نفي سمع ووجه القراءة اثنائية قوله تعالى انهم عن السمع لم عزوا ون وروى مجاهد عن ابن
عباس ان الشياطين يسمعون الى الملا الاعلى ثم يسمعون ولا يسمعون وللأولين ان يجيبوا
فيقوان التنصيص على كونهم معزولين عن السمع لا يمنع من كونهم معزولين أيضا عن
السمع بدلالة هذه الآية بل هو أقوى في ردع الشياطين ومنعهم من استماع أخبار
السماء فان الذي منع من الاستماع فبان يكون ممنوعا من السمع أولى (المسئلة الثانية)
الفرق بين قولك سمعت حديث فلان وبين قولك سمعت الى حديثه بان قولك سمعت حديثه
يفيد الادراك وسمعت الى حديثه يفيد الاصغاء مع الادراك (المسئلة الثالثة) في قوله
لا يسمعون الى الملا الاعلى قولان (الاول) وهو المشهور ان تقدير الكلام لئلا يسمعوا
فلما حذف الناصب عاد الفعل الى الرفع كما قال بين الله لكم ان تضلوا وكما قال رواسي ان
تميد بكم قال صاحب الكشاف حذف أن واللام كل واحد منهما جاز بانفراده أما
اجتماعهما فن المنكرات التي يجب صون القرآن عنها (والقول الثاني) وهو الذي
اختاره صاحب الكشاف انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله وهو حكاية حال المستترفة للسمع
وانهم لا يقدر ان يسمعوا الى كلام الملائكة وينسحقوا وهم مقدوفون بالشهيب
مدحورون عن فلك المقصود (المسئلة الرابعة) الملا الاعلى الملائكة لانهم يسكنون
السموات وأما الانس والجن فهم الملا الاسفل لانهم سكان الارض واعلم انه تعالى
وصف أولئك الشياطين بصفتين ثلاث (الاولى) انهم لا يسمعون (الثانية) انهم يقدفون

من كل جانب دحور اوفيه اجاث (الاول) قد ذكرنا معنى الدحور في سورة الاعراف عند قوله اخرج منها مذوماً مدحورا قال المبرد الدحور اشد الصغار والذل وقال ابن قتيبة دحرتة دحرا ودحورا أي دفعته وطردته (البحث الثاني) في انتصاب قوله دحورا وجوه (الاول) انه انتصب بالمصدر على معنى يدحرون دحورا ودل على الفعل قوله تعالى ويقذفون (الثاني) التقدير ويقذفون للدحور ثم حذف اللام (الثالث) قال مجاهد دحورا مطرود بن فعلى هذا هو حال سميت بالمصدر كالركوع، السجود والحضور (البحث الثالث) قرأ أبو عبد الرحمن السلمي دحورا بفتح الدال قال الفراء كأنه قال يقذفون يدحرون بيايد حرتهم قال واستاشتهى الفتح لانه لو وجد ذلك على صحة لكان فيها اياه كما تقول يقذفون بالحجارة ولا تقول يقذفون بالحجارة لانه جائز في الجملة كما قال الشاعر * تعال اللحم للاضياف نيتا * أي تعال باللحم (الصفة الثالثة) قوله تعالى ولهم عذاب واصب والمعنى انهم مرجومون بالشهب وهذا العذاب مسلط عليهم على سبيل الدوام وقد ذكرنا تفسير الواصب في سورة الحمل عند قوله تعالى وله الدين واصبا قالوا كما هم انه الدائم قال الواحدي ومن فسر الواصب بالشديد والموجع فهم معني وايس بتفسير * ثم قال تعالى الامن خطف الحنيفة ذكرنا معنى الخطف في سورة الحج قال الزجاج وهو أخذ الشيء بسرعته واصل خطف الخطف قال صاحب الكشاف من في محل لرفع بدل من الواو في لا يستمعون أي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الحنيفة أي اختلس الكلمة على وجه المسارقة فأتبعه يعني لحته وأصابه يقال تبعه وأتبعه اذا مضى في أثره واتبعه اذا لحته وأصله من قوله تعالى فاتبعه الشيطان وقدم تفسيره وقوله تعالى شهاب ناقب قال الحسن ناقب أي مضى وأقول سمي ناقبا لانه يشق بنوره الهواء قال ابن عباس في تفسير قوله والنجم الناقب قال انه رجل سمي بذلك لانه يشق بنوره سمك سبع سموات والله أعلم * قوله تعالى (فاستفهمهم أهم أشد خلقا) من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب) في الآيات مسائل (المسئلة الاولى) في بيان النظم اعلم أننا قد ذكرنا أن المقصد الاقصى من هذا الكتاب الكرم اثبات الاصول الاربعة وهي الالهيات والمعاد والنبوة واثبات القضاء والقدر فنقول انه تعالى افتتح هذه السورة بآيات ما يدل على وجود الصانع ويدل على علمه وقدرته وحكمته ويدل على وحدانيته وهو خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشارق والمغرب فلما أحكم الكلام في هذا الباب فرع عليها اثبات القول بالحشر والنشر والقيامة واعلم أن الكلام في هذه المسئلة يتعلق بطرفين أولهما اثبات الجواز العقلي وثانيهما اثبات الوقوع أما الكلام في المطلوب الاول فاعلم أن الاستدلال على الشيء يقع على وجهين (أحدهما) أي يقال انه قدر على ما هو أصعب وأشد وأشق منه فوجب أيضا أن يقدر عليه (والثاني) أن يقال انه قدر عليه في احدي الحالتين والفاعل والقابل باقيين كما كانا فوجب أن تبقى القدرة عليه في

(فاستفهمهم) فاستخبر
 مشركي مكة (أهم أشد
 خلقا) أي أقوى خلقة
 وأمت نية أو أصعب
 خلقا وأشق إيجادا (أم
 من خلقنا) من الملائكة
 والسماء والارض وما
 بينهما والمشارق
 والكواكب والشهب
 الثواقب ومن لتغلب
 القملا على غيرهم ويدا
 عليه اطلاقه وبجيلة
 بعد ذلك لاسيما قراءة
 من قرأ ام من عددنا
 وقوله تعالى (انا خلقناه
 من طين لازب) فانه
 الفارق بينهم وبينها
 لا بينهم وبين من قبله
 من الامم كعاد وثمود ولا
 المراد اثبات المعاد ورد
 استحالتهم والامر فيها
 بالاضافة اليهم والى
 من قبلهم سواء وقرئ
 لازم ولا تب

الحالة الثانية والله تعالى ذكرهذين الطريقين في بيان أن القول بالبعث والقيامة أمر جائز يمكن (أما الطريق الاول) فهو المراد من قوله فاستفتهم أهم أشد خلقا والتقدير كأنه تعالى يقول استفت يا محمد هؤلاء المنكرين أهم أشد خلقا أمن خلقنا من خلق السموات والارض وما بينهما وخلق المشارق والمغرب وخلق الشياطين الذين يصعدون الفلك ولا شك أنهم يعترفون بأن خلق هذا القسم أشق وأشد في العرف من خلق القسم الاول فلما ثبت بالدلائل المذكورة في اثبات التوحيد كونه تعالى قادرا على هذا القسم الذي هو أشد وأصعب فبان يكون قادرا على إعادة الحياة في هذه الاجساد كأن أولى ونظير هذه الدلالة قوله تعالى في آخر يس أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس (وأما الطريق الثاني) فهو المراد من قوله انا خلقناهم من طين لازب والمعنى ان هذه الاجسام قابلة للحياة اذ لو لم تكن قابلة للحياة لما صارت حية في المرة الاولى والاله قادر على خلق هذه الحياة في هذه الاجسام ولو لا كونه تعالى قادرا على هذا المعنى لما حصلت الحياة في المرة الاولى ولا شك أن قابلية تلك الاجسام باقية وان قدرة الله تعالى باقية لان هذه القابلية وهذه القادرية من الصفات الذاتية فامتنع زوالها فثبت بهذين الطريقين ان القول بالبعث والقيامة أمر ممكن ولما بين تعالى امكان هذا المعنى بهذين الطريقين بين وقوعه بقوله قل نعم وأنتم داخرون وذلك لانه ثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لاجل ظهور المعجزات عليه والصادق اذا أخبر عن أمر ممكن الوقوع وجب الاعتراف بوقوعه فهذا تقرير نظم هذه الآية وهو في غاية الحسن والله أعلم (المسئلة الثانية) في تفسير الفاظ هذه الآية أما قوله فاستفتهم يعني أنه لما ثبت بالدلائل الفاطمة كونه تعالى خالق السموات والارض وما بينهما فاستفت هؤلاء المنكرين وقل لهم أهم أشد خلقا أم هذه الاشياء التي بيننا كونه تعالى خالقها ولم يحك عنهم أنهم أقروا أن خلق هذه الاشياء أصعب لاجل ان ظهور ذلك كالمعلوم بالضرورة فلا حاجة أن يحكى عنهم صحة ان الامر كذلك ثم قال تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني اننا قدرنا على خلق الحياة في ذواتهم أولا ووجب ان نبقى قادرين على خلق الحياة فيهم ثانيا لما بينا أن حال القابل وحال الفاعل تمتنع التغير وفيه دققة أخرى وهي ان القوم قالوا كيف يعقل تولد الانسان لامن النطفة واومن الابوين فكأنه قيل لهم انكم لما أقررتم بحدوث العالم واعترفتم بان السموات والارض وما بينهما انما حصل بتخليق الله تعالى وتكوينه فلا بد وان تعترفوا بان الانسان الاول انما حدث لامن الابوين فاذا علمتم ذلك واعترفتم به فقد سقط قولكم الانسان كيف يحدث من غير النطفة ومن غير الابوين وأيضا قد اشتهر عند الجمهور أن آدم مخلوق من الطين اللازب ومن قدر على خلق الحياة في الطين اللازب فكيف يعجز عن إعادة الحياة الى هذه الذوات وأما كيفية خلق الانسان من الطين اللازب فهي مذكورة في السورة المتقدمة واعلم ان

هذا الوجه انما يحسن اذا قلنا المراد من قوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب هو انا
 خلقنا اباهم آدم من طين لازب وفيه وجوه آخر وهو ان يكون المراد انا خلقنا كل انسان
 من طين لازب وتقريره ان الحيوان انما يتولد من المني ودم الطمخ والمني يتولد من الدم
 فالحيوان انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذاء والغذاء اما حيواني واما نباتي اما
 تولد الحيوان الذي صار غذاء فالكلام في كيفية تولده كالكلام في تولد الانسان فثبت ان
 الاصل في الاغذية هو الثبات والنبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين
 اللازب واذا كان الامر كذلك فقد ظهر ان كل الخلق متولدون من الطين اللازب واذا
 ثبت هذا فنقول ان هذه الاجزاء التي منها تركيب هذا الطين اللازب قابلة للحياة والله تعالى
 قادر عليها وهذه القابلية والقادرية واجبة البقاء فوجب بقاء هذه الصفة في كل الاوقات
 وهذه بيانات ظاهرة واضحة واما اللازب فقيل اللاصق وقيل الزج وقيل الخندواكثر
 اهل اللغة على ان الباء لازب بدل من الميم يقال لازب ولازم ثم قال تعالى (بل عجبت
 ويسخرون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) تقرير الكلام ان يقال ان هو لانه المنكرين
 اقروا بانه تعالى قادر على تكوين اشياء اصعب من اعادة الحياة الى هذه الاجساد وقد
 تقرر في صرائح العقول ان القادر على الاشق الاشد يكون قادرا على الاسهل الايسر ثم
 مع قيام هذه الحججة البديهية بقي هو لاء الاقوام مصرين على انكار البعث والقيامة وهذا في
 موضع التعجب الشديد فان مع ظهور هذه الحججة الجليلة الظاهرة كيف يعقل بقاء القوم على
 الاصرار فانما يا محمد تعجب من اصرارهم على الانكار وهم في طرف الانكار وصلوا
 الى حيث يسخرون منك في قولك باثبات الحشر والنشر والبعث والقيامة فهذا هو المراد
 من قوله بل عجبت ويسخرون (المسئلة الثانية) فراحرة والكسائي عجبت بضم التاء
 والياقوت يفتحها قال الواحدي والضم قراءة ابن عباس وابن مسعود وابراهيم ويحيى
 ابن وثاب والاعمش وقراءة اهل الكوفة واختيار ابي عبيدة اما الذين قرؤا بالفتح فقد
 احتجوا بوجوه (الاول) ان القراءة بالضم تدل على اسناد العجب الى الله تعالى وذلك محال
 لان التعجب حالة تحصل عند الجهل بصفة الشيء ومعلوم ان الجهل على الله محال (والثاني)
 ان الله تعالى اضاف التعجب الى محمد صلى الله عليه وسلم في آية اخرى في هذه المسئلة فقال
 وان تعجب فمعجب قولهم انذا كنا ترابا (والثالث) انه تعالى قال بل عجبت ويسخرون
 والظاهر انهم انما يسخروا لاجل ذلك التعجب فلما سخروا منه وجب ان يكون ذلك التعجب
 صادرا منه واما الذين قرؤوا بضم التاء فقد اجابوا عن الحججة الاولى من وجوه (الاول) ان
 القراءة بالضم لانهم انما تدل على اسناد التعجب الى الله تعالى وبيانه انه يكون التقدير
 قل يا محمد بل عجبت ويسخرون ونظيره قوله تعالى اسمعهم وابصر معناه ان هو لاء ما تقواون
 فيه اتم هذا النحو من الكلام وكذلك قوله تعالى فما اصبرهم على النار الثاني سلمنا ان
 ذلك يقتضى اضافة التعجب الى الله تعالى فلم قائم ان ذلك محال ويروى ان شريفا كان

(بل عجبت) أى من
 قدرة الله تعالى على هذه
 الخسلائق العظيمة
 وانكارهم بالبعث
 (ويسخرون) من
 تعجبك وتقريرك بالبعث
 وقرئ بضم التاء على
 معنى انه بلغ كمال قدرتي
 وكثرة مخلوقاتى الى
 حيث عجبت منها وهو لاء
 لجهلهم يسخرون منها أو
 عجبت من أن ينكروا بالبعث
 من هذه أفاعيله ويسخروا
 من يجوزه والعجب
 من الله تعالى اما على
 الفرض والتخييل أو على
 معنى الاستعظام اللازم له
 فانه روضة تعترى الانسان
 عند استعظام الشيء وقيل
 انه مقدر بالقول أى
 قل يا محمد بل عجبت

(واذاذكروا) أي وذابهم السخر أنهم اذا وعظوا بشي من المواظ (لا يذكرون) لا يتعلمون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينشغون به لئلا يذبلت قلوبهم وقصور فكرهم ﴿ ١٣٤ ﴾ (واذا ذكروا آية) أي معجزة تدل على صدق القائل

به (يستسخرون) يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها) يقولون (هذا) أي ما يرونه من الآيات الباهرة (الاسحار ميم) ظاهر سحره (أندامتناو) كذا ترايا وعظاما) أي كان بعض أجزاءنا ترايا وبعضها عظما وتقدم التراب لانه منقلب من الاجزاء البدنية والعمل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى (أنا لمبعوثون) أي نبعث لانفسه لان دونه خطوطا وتفر دواحد منها الكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنسافة وكذا تكرير الهمة في أناللمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لالانكار التأكيد كما يوهبه ظاهر النظم الكريم فان تقديم الهمة لاقتضائها الصدارة كافي مثل قوله أملا تمقلون على رأي

يختار القراءة بالنصب ويقول العجب لا يليق الا بن لا يعلم قال الاعشى قد صكرت ذلك لبراهيم فقال ان شر مما يعجب بعلمه وكان عبد الله أعلم وكان يقرأ باسمه وتحقيق القول فيه أن نقول دل القرآن والخبر على جواز اضافة العجب الى الله تعالى أما القرآن فقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم والمعنى وان تعجب يا محمد من قولهم فهو أيضا عجب عندي وأجيب عنه انه لا يمنع أن يكون المراد وان تعجب فعجب قولهم عندكم أما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم عجب بكم من الكرم وقنوطكم وعجب بكم من شاب ليست له صبوة واذا ثبت هذا فنقول العجب من الله تعالى خلاف العجب من الآدميين كما قال ويكررون ويكر الله وقال سخر الله منهم وقال تعالى وهو خادعهم والمكروا الخداع والسخرية من الله تعالى بخلاف هذه الاحوال من اليباد وقد ذكرنا ان النانون في هذا الباب ان هذه الانفاذ محمولة على نهايات الاعراض لا على بدايات الاعراض وكذلك ههنا من تعجب من شئ فانه يستعظمه فالتعجب في حق الله تعالى محمول على أنه تعالى يستعظم تلك الحادثة ان كانت قبيحة فيرتب العقاب العظيم عليه وان كانت حسنة فيرتب الثواب العظيم عليه فهذا تمام الكلام في هذه المناظرة والاقرب ان يقال القراءة باضم ان ثبت بالتواتر وجوب المصير اليها ويكون الأويل ما ذكرناه وان لم تثبت هذه القراءة بالتواتر كانت القراءة بفتح التاء أولى والله أعلم ﴿ ثم قال تعالى (واذا ذكروا لا يذكروا واذا ذكروا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الاسحار ميم) أندامتناو كذا ترايا وعظاما) استلبعوثون أو ابوتنا الاولون فل نعم واتم داخرون) اعلم أنه تعالى لما قرر الدليل القاطع في اثبات امكان البعث والقيامة حكى عن المشركين أشياء أولها أن النبي صلى الله عليه وسلم يتعجب من اصرارهم على الانكار وهم يستخرون منه في اصراره على الاثبات وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم مع أولئك الاقوام كانوا في غاية التباعد وفي طرفي النقيض ونايها قوله واذا ذكروا لا يذكرون وناشها قوله واذا ذكروا آية يستسخرون ويجب أن يكون المراد من هذا الثاني والثالث غير الاول لان العطف يوجب التباين ولان التكرير خلاف الاصل والذي عندي في هذا الباب أن يقال القوم كانوا يستبعدون الحشر والقيامة ويقولون من مات وصار ترايا وتفرقت أجزاءه في العالم كيف يعقل عوده بعينه وبلغوا في هذا الاستبعاد الى حيث كانوا يستسخرون ممن يذهب الى هذا المذهب واذا كان كذلك فلا طربق الى ازالة هذا الاستبعاد عنهم الا من وجهين (أحدهما) ان يذكر لهم الدليل الدال على صحة الحشر والنشر مثل أن يقال لهم هل تعلمون أن خلق السموات والارض أشد وأصعب من إعادة انسان بعد موته وهل تعلمون ان القادر على الاصعب الاشد يجب أن يكون قادرا على الاسهل الايسر فهذا الدليل وان كان جليا قويا بالأنا وثك المشركين اذا عرض على عقولهم هذه المقدمات لا يفهمونها ولا يقنعون عليها واذا ذكروا لم يذكروا والشدة بلادتهم وجهلهم فلا جرم لم ينتفعوا بهذا النوع من البيان (والطريق

الوجه ورفان المعنى عندهم تعجب الانكار لانكار التعجب كما هو المشهور وقري بطرح الهمة ﴿ الثاني ﴾

الثاني ان ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم جهة رسالته بالمعجزات ثم يقول لما ثبت بالمعجز
 كونى رسولا صادقا من عند الله فانما أخبركم بأن البحث والقيامة حق ثم ان أو تلك
 المذكورين لا ينفعون بهذا الطريق أيضا لانهم اذا رأوا معجزة قاهرة وآية باهرة جعلوها على
 كونها سحرا وسحروا بها واستهزوا منها وهذا هو المراد من قوله واذا رأوا آية يستسخرون
 فظهر بالبيان الذي ذكرناه أن هذه الالفاظ الثلاثة منسوبة على هذه الفوائد الجليلة واعلم
 أن أكثر الناس لم يفقهوا على هذه الدقائق فقالوا انه تعالى قال بل عجبتم ويسخرون ثم قال
 واذا رأوا آية يستسخرون فوجب أن يكون المراد من قوله يستسخرون غير ما تقدم
 ذكره من قوله ويسخرون فقال هذا القائل المراد من قوله ويسخرون اقدامهم على
 السخرية والمراد من قوله يستسخرون طلب كل واحد منهم من صاحبه ان يقدم على
 السخرية وهذا التكليف انما يلزمهم لعدم وقوفهم على الفوائد التي ذكرناها والله أعلم
 (والرابع) من الاغوار التي حكها الله تعالى عنهم أنهم قالوا ان هذا الاسحر مبين يعنى
 أنهم اذا رأوا آية ومعجزة سحروا منها والسبب في تلك السخرية اعتقادهم أنها من باب
 السحر وقوله مبين معناه ان كونه سحرا أمر بين لاشبهة لا حد فيه ثم بين تعالى ان السبب
 الذي يحتملهم على الاستهزاء بالقول بالبحث وعلى عدم الالتفات الى الدلائل المدد على
 صحة القول وعلى الاستهزاء بجميع المعجزات هو قواهم ان الذي مات وتفرقت
 أجزاءه في جملة العالم فافيد من الارضية اختلط بقراب الارض وما فيد من المائية والهوائية
 اختلط بخارات العالم فهذا الانسان كيف يعقل عوده بعينه حيا فاهما فهذا الكلام
 هو الذي يحتملهم على تلك الاحوال الثلاثة المقدمة ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الشبهة
 قال قل يا محمد نعم وأنتم داخرون وانما اكنى تعالى بهذا القدر من الجواب لانه ذكر
 في الآية المتقدمة بالبرهان اليقيني القطعي انه أمر ممكن واذا ثبت الجواز القطعي فلا
 سبيل الى القطع بالوقوع الا باخبار الخبر اصادق فلما قامت المعجزات على صدق محمد
 صلى الله عليه وسلم كان واجب الصدق فكان مجرد قوله قل نعم دليلا قاطعا على الوقوع ومن
 تأمل في هذه الآيات علم أنها وردت على أحسن وحيه الترتيب وذلك لانه بين الامكان
 بالدليل العقلي وبين وقوع ذلك الممكن بالدليل السمعي ومن المعلوم ان الزيادة على هذا
 البيان كالامر المستع * أما قوله أو ابوتنا بمعنى أو تبث ابوتنا وهذه ألف الاستفهام
 دخلت على حرف العطف وقرأ نافع وابن عامر ههنا وفي سورة الواقعة ساكنة الواو
 وذكرنا الكلام في هذا في سورة الاعراف عند قوله أو أمن أهل القرى * أما قوله
 تعالى قل نعم فنقول قرأ الكسائي وحده نعم بكسر العين * أما قوله تعالى وأنتم داخرون أى
 صاغرون قال أبو عبيد الدخورا أشد الصغار وذكرنا تفسير هذه اللفظة عند قوله - سجد الله
 وهم داخرون * قوله تعالى (فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم
 الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة

الاولى وبطرح الثانية
 فقط (أبوتنا الاوون)
 رفع على الابتداء وخبره
 محذوف عند سيبويه أى
 وأبوتنا الاوون أيضا
 مبعوثون وقيل عطف
 على محل ان واسمها
 وقيل على الضمير في
 مبعوثون للفصل بجمرة
 الانكار الجارية مجرى
 حرف النفي في قوله تعالى
 ما أشركنا ولا أبوتنا
 وأياما كان فرادهم زيادة
 لاستبعاد بناء على أنهم
 أقدم في عهدهم أي بعد على
 زعمه وقرئ أو أبوتنا
 (قل) تبيكتنا لهم (نعم)
 والخطاب في قوله تعالى
 (وأنتم داخرون) لهم
 وابتأتم بطريق التظليل
 والجملة حال من فاعل
 ما دل عليه نعم أى كلكم
 مبعوثون والحال أنكم
 صاغرون أدلاء وقرئ
 نعم بكسر العين وهي لغة
 فيه (فانما هي زجرة
 واحدة) هي اما ضمير به
 يفسره خبره أو ضمير البعثة
 والجملة جواب شرط
 مضمرة أو تعليل انتهى مقدر
 أى اذا كان كذلك فانما
 هي الخ أو لا تستصعبوه
 فانما هي الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وهي النخعة

ما يدل على امكان البعث والقيامة ثم أردفه بما يدل على وقوع القيامة ذكر في هذه الآيات بعض تفاصيل أحوال القيامة وانه تعالى ذكر في هذه الآية أنواعا من تلك الاحوال (فالحالة الاولى) قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وفيه ابحاث (البحث الاول) قوله فانما جواب شرط مقدر والتقدير اذا كان كذلك فانما هي الزجرة واحدة (البحث الثاني) الضمير في قوله فانما هي ضمير على شريطة التفسير والتقدير فانما البعث زجرة واحدة (البحث الثالث) الزجرة في اللغة الصيحة التي يزجر بها كالزجرة بالنم والابل عند الحث ثم كثرت استعمالها حتى صارت بمعنى الصيحة وان لم يكن فيها معنى الزجر كما في هذه الآية وأقول لا يبعد ان يقال ان تلك الصيحة تسمى زجرة لانها تزجر الموتى عن الرقود في القبور وتحثهم على القيام من القبور والحضوا في موقف القيامة فاذا عرفت هذا فنقول المراد من هذه الزجرة ما ذكره الله تعالى في قوله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فبالنفخة الاولى يموتون وبالنفخة الثانية يحيون ويقومون * وههنا سوالات (السؤال الاول) ما الفائدة في هذه الصيحة فان النوم في تلك الساعة أموات لان النفخة جارية تجري السبب لحياتهم فتكون مقدمة على حصول حياتهم فثبت أن هذه الصيحة انما حصلت حال كون الخلق أمواتا فتكون تلك الصيحة عديمة الفائدة فهي عبث والعبث لا يجوز في فعل الله (والجواب) أما أصحابنا فيقولون يفعل الله ما يشاء واما المعتزلة فقال القاضي فيه وجهان (الاول) ان تعتبر بها الملائكة (الثاني) أن تكون الفائدة التخويف والارهاب (السؤال الثاني) هل تلك الصيحة تأثير في إعادة الحياة والجواب لا بدليل أن الصيحة الاولى استعقت الموت واثابته الحياة وذلك يدل على أن الصيحة لأثر لها في الموت ولا في الحياة بل خالق الموت والحياة هو الله تعالى كما قال الذي خلق الموت والحياة (السؤال الثالث) تلك الصيحة صوت الملائكة أو الله تعالى بخلة بها ابتداء (الجواب) الكل جائز الا انه روي أن الله تعالى بأمر اسرافيل حتى ينادى أيتها العظام الخضر والجلود البالية والاجزاء المتفرقة اجتمعوا باذن الله تعالى (اللفظ الرابع) من الالفاظ المذكورة في هذه الآية قوله تعالى فاذا هم ينظرون فيحتمل أن يكون المراد ينظرون ما يحدث بهم ويحتمل ينظر بعضهم الى بعض وان يكون المراد ينظرون الى البعث الذي كذبوا به (الحالة الثانية) من وقائع القيامة ما أخبر الله عنهم أنهم بعد اقيام من القبور قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين قال الزجاج الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة والمقصود أنهم لما شاهدوا القيامة قالوا هذا يوم الدين أي يوم الجزاء هذا والمقصود أن الله تعالى ذكر في آيات كثيرة من القرآن اننا نرى في الدنيا محسنا ومسيئا وعاصيا وصديقا وزنديقا ورأينا أنه لم يصل اليهم في الدنيا ما يليق بهم من الجزاء فوجب القول باثبات القيامة ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسن وبالجملة فهذا يدل على أن الجزاء انما يحصل بعد الموت والكفار وان سموا هذا الدليل

الثانية (فاذا هم) قامون من مرافدهم أحياء (ينظرون) بصرون كما كانوا أو ينظرون ما يفعل بهم (وقالوا) أي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر (يا ويلنا) أي هلاكنا احضر فمنا أو ان حضورك وقوله تعالى (هذا يوم الدين) تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف أي اليوم الذي يجازى فيه بأعمالنا وانما عملوا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضا وقوله تعالى (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتفريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين فرق الهدى والضلال

وقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا) خطب من الله عز وجل للملائكة أو من بعضهم لبعض يحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم (وأزواجهم) أى أشباههم ونظراء هم من العصاة عابد الصنم مع عبديته وطبائكو ك مع عبديته كقوله تعالى وكنتم * ١٢٧ * أزواجاً ثلاثة وقيل قرنائهم من الشياطين وقيل نساءهم

اللاتى على دينهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخييلهم قبل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقتم لهم من الحسنى الآية الكريمة وأنت خير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة حتى به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص (فاهدوهم الى صراط الجحيم) أى عرفوهم طريقها وجوههم اليها وفيه تنكير بهم (وقفوهم) احبسوهم في الموقف كأن الملائكة سارعوا الى ما أمروا به من حشرهم الى الجحيم فأمروا بذلك وعلى بقوله تعالى (انهم مشواون) ايذانا من أول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا لستر بحوابتاً خير العذاب في الجملة بل ليسا والكن لاعتق عقائدهم وأعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما يتعلق به قوله تعالى (ما لكم لا تنصرون)

القوى لكنهم أنكروا وتمردوا ثم انه تعالى اذا أحياهم يوم القيامة فاذا شاهدوا القيامة يدكرون ذلك اليوم ويقولون هذا يوم الدين أى يوم الجزاء الذى ذكر الله الدلائل الكثيرة عليه في القرآن فكفرتنا بها ونظيره ان من خوف بشئ ولم يلتفت اليه ثم عاينه بعد ذلك فقد يقول هذا يوم الواقعة الغلانية فكذاهنا وقد احتل آخر وهو انه تعالى قال في سورة الفاتحة مالك يوم الدين فبين أنه لا مالك في ذلك اليوم الا الله فقوله هذا يوم الدين اشارة الى أن هذا هو اليوم الذى لاحكم فيه لاحد الله وانما ذكره ملاحص في قلوبهم من الخوف الشديد أما قوله تعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون فقيه بخشان (الاول) اختلفوا في أن هذا هل هو من بقية كلام الكفار أو يقال تم كلامهم عند قوله تعالى هذا يوم الدين وأما قوله هذا يوم الفصل فهو كلام غيرهم فبعضهم قال بالاول وزعم ان قوله يوم الفصل الآية من كلام بعضهم البعض والاكترون على القول الثانى واحتجوا بوجهين (الاول) ان قوله كنتم به تكذبون من كلام بعضهم البعض خطاب مع جمع الكفار فقابل هذا القول لا بد وأن يكون غير الكفار (الثانى) أن قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم منسوق على قوله هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون فلما كان قوله احشروا الذين ظلموا كلام غير الكفار فكذلك قوله هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون يجب أن يكون كلام غير الكفار وعلى هذا التقدير فتعني هذا يوم الدين من كلام الكفار وقوله هذا يوم الفصل من كلام الملائكة حوايا بهم والوجه في كونه جوابا لهم ان أو تلك الكفار لما اعتقدوا في انفسهم كونهم محقين في انكار دعوى الانبياء عليهم السلام وكونهم محقين في تلك الاديان الفاسدة فقالوا هذا يوم الدين أى هذا هو يوم الذى يصل فيه المتناحرين طاعتنا وخيراتنا فالملائكة يقولون لهم انه لا اعتبار بطواهر الامور في هذا اليوم فان هذا اليوم يفصل فيه الجزاء الحقيقى عن الجزاء الظاهرى وتميز فيه الطاعات الحقيقية عن الطاعات المبرونة بالرياء والسمعة فهذا الطريق صار هذا الكلام من الملائكة جوابا لما ذكره الكفار * ثم قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) وفي الآية ابحاث (البحث الاول) اعلم انه لا نزاع في ان هذا من كلام الملائكة فان قيل ما معنى احشروا مع انهم قد حشروا من قبل وحضروا في محفل القيامة وقالوا هذا يوم الدين وقالت الملائكة لهم بل هذا يوم الفصل أجاب القاضى عنه فقال المراد احشروهم الى دار الجزاء وهى النار ولذلك قال بعده فاهدوهم الى صراط الجحيم أى خذوهم الى ذلك الطريق ودلوهم عليه ثم سال نفسه فقال كيف يصح ذلك وقد قال بعده وقفوهم انهم مسؤولون ومعلوم أن حشرهم الى الجحيم انما يكون بعد المسئلة وأجاب انه ليس في العطف بحرف الواو ترتيب فلا يمنع ان يقال احشروهم وقفوهم مع ما بقولنا نعم ان الوقوف كان قبل الحشر الى النار هذا ما قاله القاضى وعندى فيه وجه آخر وهو ان يقال انهم اذا قاموا من قبورهم لم يبعد ان يقفوا هناك بحيرة لتخفهم بسبب

طريق التوبيخ والتفريع وأتاهم أى * ١٨ * سا لا ينصر بعضهم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فو يبيخ والتفريع حينئذ أشد وقعا وتأثيرا وقرى لا تنصرون ولا تنصرون بالادغام (بل هم

اليوم مستسلمون) متقادون خاضعون اظهروا عجزهم وانسداد باب الخيل عليهم أو أسلم بعضهم بعضا وخذله عن
 عجرة كاهم مستسلم غير منتصر (وأقبل) حينئذ (بعضهم على بعض) هم الاتباع والرؤساء والكفرة وقرناء (يتسألون)
 يسأل بعضهم بعضا سؤالا توخي بطر بن الحصون ١٣١ ﴿ والجذان اقالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ

من حكاية تساؤلهم
 كأنه قيل كيف تسألون
 فتيل قالوا أي الاتباع
 للرؤساء أو الكليل القرناء
 (ارسلكم كنتم تأنوننا)
 في الدنيا (عن اليقين)
 عن أقوى الوجوه
 وأمتها أوعى الدين
 أو عن الخير كأنكم
 تنفعوننا نفع السائح
 فتبينناكم هلكنا استعار
 من عين الانسان الذي
 هو أشرف الجائسين
 وأقوا هما وأكفهما
 ولذلك سمي عينا وتغير
 بالسائح أو عن القوة واقسر
 فتمسرونا على غي وهو
 الاوفق للجواب أو عن
 الخلف حيث كانوا
 يحلفون أنهم على الحق
 (قالوا) استئناف كاسبق
 أي قال الرؤساء وقرناء
 (بل لم تكونوا مؤمنين)
 أي لم تعتكم من الايمان
 بل لم تؤمنوا باختباركم
 وأعرضتم عنهم مع تكذيبكم
 منه وآثرتم الكفر عليه
 (وما كان لنا عليكم من
 سلطان) من قهر وتسلط
 نسايبكم به اختياركم
 (بل كنتم قوم طاغين)
 مختارين للظفران مصرين
 عليه (فحق علينا) أي

معاينة أهوال اقيامة ثم ان الله تعالى يقول للملائكة احشروا الذين ظلموا واهدوهم
 الى صراط الجحيم أي سددوهم الى طريق جهنم وقوههم هناك وتحصل المسئلة هذا انتم من
 هناك يساقون الى النار وعلى هذا التقدير فظا مر النظم موافق لما عليه الوجه (البحث
 الثاني) الامر في قوله تعالى احشروا الذين ظلموا هو الله فهو تعالى أمر الملائكة أن
 يحشروا الكفار الى موقف السؤال والمراد من الحشر أن الملائكة تسوقونهم الى ذلك
 الموقف (البحث الثالث) أن الله أمر الملائكة بحشر ثلاثة أشباه الظالمين وأزواجهم
 والاشياء التي كانوا يعبدهونها وفي فوائدها (الفائدة الاولى) انه تعالى قال احشروا الذين
 ظلموا انهم ذكر من صفات الذين ظلموا انهم عابدين لغير الله وهذا يدل على ان الظالم المظلم
 هو الكافر وذلك يدل على أن كل وعيد ورد في حق الظالم فهو مصروف الى الكفار وما
 يؤكده هذا قوله تعالى والكافرون هم الظالمون (الفائدة الثانية) اختلافنا في المراد
 بأزواجهم فبيد ثلاثة أقوال (الاول) المراد بأزواجهم اشباههم أي احزابهم ونسبواؤهم
 من الكفرة فاليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني والندي بل على جواز أن
 يكون المراد من أزواج الاشياء وجوه (الاول) قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة أي
 أشكالا واشباها (الثاني) لك تقول عندي من هذا أزواج أي اشكال وتكون زوجان من
 الخلف لكون كل واحد منهما منظر الآخر وكذلك الرجل والمرأة مميّزان حين لكونهما
 متساويين في أثر أحكام النكاح وكذلك العدد الزوج سمي بهذا الاسم لكون كل
 واحد من سميد مثلا لا لتسم اثنان في العدد الصحيح قال ابو احدي فعلى هذا القول يجب أن
 يكون المراد بالذين ظلموا الرؤساء لانك وجعلت الذين ظلموا عاماني كل من أشرك لم يكن
 للازواج معنى (القول الثاني) في تفسير الازواج ان المراد قرنائهم من الشياطين لقوله
 تعالى واخوانهم يدعونهم في الغي ثم لا ينصرون (والقول الثالث) أن المراد نسائهم
 انلوانى على دينهم اما قوله وما كانوا يعبدون من دون الله فقيه قولان (الاول) المراد
 ما كانوا يعبدون من دون الله من الاوثان والطواغيت ونظيره قوله فاتقوا النار التي
 وقودها الناس والحجارة قبل المراد باناس عباد الاوثان والمراد بالحجارة الاصنام التي هي
 أبحار منحوتة فان قيل ان تلك الابحار جادات فا الفائدة في حشرها الى جهنم أجاب
 الناصي بأنه ورد الخبر بأنها تعاد وتحي لنحصل المبالغة في توخي الكفار الذين كانوا
 يعبدونها ولقائل أن يقول هب ان الله تعالى يحي تلك الاصنام انه لم يصدر عنها ذنب
 فكيف يجوز من الله تعالى تعذيبها والاقرب أن يقال ان الله تعالى لا يحي تلك الاصنام بل
 يتركها على الجمادية ثم يقبها في جهنم لان ذلك مما يزيد في تحجيل الكفار (القول الثاني)
 أن المراد من قوله وما كانوا يعبدون من دون الله الشياطين الذين دعوهم الى عبادة
 ما عبدوه فلما قبلوا منهم ذلك الدين صاروا كما عابدين لاوثك الشياطين وتأ كدهذا بقوله
 تعالى ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشياطين والقول الاول أولى لان الشياطين

لزمنا وثبت علينا (قول ربا) وهو قوله تعالى لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين (انا ذائقون) ﴿ عتلاء ﴾
 أي العذاب الذي ورد به الوعيد (فأغويتناكم) فدعوناكم ان دعوة غير الجنة فاستحيبتنا باختباركم واستحيابكم الغي
 على الرشد (انا كنا غوين) فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك

المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا في القواية (فانهم) أي الاتباع والتبوعين (يومئذ في العذاب مشتركون)
 حسبما كانوا مشتركين في القواية (انا كذلك) أي مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية
 (نفع بالجرمين) المتاهين في الاجرام ﴿ ١٣٩ ﴾ وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى (انهم

كانوا اذا قيل لهم)
 بطريق الدعوة
 والتلقين (لا اله الا الله
 يستكبرون) عن القبول
 (وبقاؤنا النار كما
 آهتنا الشاعر مجنون بل
 جاء بالحق وصدق
 المرسلين) رد عليهم
 وتكذيب لهم ببيان ان
 ما جاء به من التوحيد هو
 الحق الذي قام به البرهان
 وأجمع عليه كافة الرسل
 عليهم الصلاة والسلام
 فأبى الشعر والجنون من
 ساحر الرافضيا (انكم)
 بما فعلتم من الاشرار
 وتكذيب الرسول عليه
 الصلاة والسلام والامتكبار
 (اناسوا العذاب الاليم)
 والالقاء لظهار كان
 الغضب عليهم وقرئ
 ينصب العذاب على
 تقدير النون كقوله
 واذكر الله الا قليلا
 وهريء نائقون العذاب
 على الاصل (وما تجزون
 الا ما كنتم تعملون) أي
 الاجزاء ما كنتم تعملونه
 من السيئات او الايمان
 فعملونه منها (الاعباد
 الله المخلصين) استثناء
 متقطع عن ضمير ذنوب

عقلاء وكلمة مالا تليق بالعلاء والله أعلم ثم قال فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس
 دلوهم يقال هديت الرجل اذا دللته وانما استعملت الهداية ههنا لانه جعل بدل الهداية
 الى الجنة كما قال فبشرهم بعذاب اليم فوقعت البشارة بالعذاب لهؤلاء لابل البشارة بالنعيم
 لا وثك وعن ابن عباس فاهدوهم سوقوهم وقال الاصم قدموهم قال الواحدى وهذا
 وهم لانه يقال هدى اذا تقدم ومنه الهداية واليهادى والهاديات لوحش قال ولا يقال
 هدى بمعنى قدم ثم قال وقفوهم يقال وفقت الدابة اقفاها وقفا فوقفت هي وقفا والمعنى
 احبسوهم وفي الآية قولان (أحدهما) على التقديم والتأخير والمعنى ففوههم واهدوهم
 والاصوب أنه لاحاجة اليه بل كأنه قيل فاهدوهم الى صراط الجحيم فاذا اتهاوا الى
 الصراط قيل وقفوهم فان السؤال يقع هناك وقوله انهم مسؤولون قيل عن أعمالهم في
 الدنيا وأقوالهم وقيل المراد سألهم الخزنة المربياتكم رسل منكم بالبينات قالوا بلى ولكن
 حقت كلمة العذاب على الكافرين ويجوز أن يكون هذا السؤال ما ذكره بعد ذلك وهو قوله
 تعالى ما كنتم لاتتقون أى انتم يستلون تو يخالفهم فيقال ما كنتم لاتتقون قال ابن
 عباس رضى الله عنهما لا ينصر بعضهم بعضا كما كنتم في الدنيا وذلك ان ابا-هبل قال يوم
 بدر حرس جميع ينتصر فقيل لهم يوم القيامة سألكم غير متباشرين وقيل يقال للكفار
 ما أشركتم ذنبكم نكركم من العذاب ﴿ ثم قال تعالى (بل هم مستملون) يقال
 استمل للثمن اذا انفادله وخضع ومعناه فى الاصل طلب السلامة بترك المنازعة والمقصود
 انهم صاروا منقادين لاحللة لهم في ذلك تلك المضار لا العابد ولا المعبود ﴿ ثم قال تعالى
 (فأقبل بعضهم على بعض) قيل هم والشياطين وقيل الروساء والاتباع (يتساءلون) أى
 يسأل بعضهم بعضا وهذا التساؤل عبارة عن الخضم وهو سران التبريت يقولون
 غرتنونا بل يقول أو وثكتم قبلتم مناو بالجملة فليس ذلك تساؤل المستفهمين بل هو تساؤل
 التوبيخ والذم والله أعلم بقوله تعالى قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قاله ابل لم تكونوا
 مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم فوما ظانين فحق علينا قول ربنا انما
 لنا حقون فاعوذنا كما كنا ظانين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفع
 بالجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون انا لنار كما آهتنا
 لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لنا نقوا العذاب الاليم وما تجزون الا
 ما كنتم تعملون الاعباد الله المخلصين) واعلم ان الله تعالى لما حكى عنهم انه أقبل بعضهم على
 بعض يتساءلون شرح كيفية ذلك التساؤل فقال قالوا انكم تأتوننا عن اليمين وهذا
 قول الاتباع لمن دعاهم الى الضلالة وفي تفسير اليمين وجوه (الاول) ان لفظ اليمين ههنا
 استعارة عن الخيرات والسعادات و بيان كيفية هذه الاستعارة ان الجانب اليمين أفضل
 من الجانب الايسر اوجوه (أحدها) اتفاق الكل على ان أشرف الجانبين هو اليمين
 (والثاني) لا يباشرون الاعمال الشريفة الا باليمين مثل مصافحة الاشجار والاكل

وما بينهما اعتراض حتى به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس الا من جهة
 ضميرهم أصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى أن الكفرة لا يجزون الا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم
 يجزون أضعافا مضاعفة مما لا وجه له أصلا لاسيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فانه

ليس في حيز الاحتمال فالعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى (اه انك) اشارة اليهم الاليدان بأنهم يمتازون بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادة الله تعالى عن عداهم امتيازاً بالغاً منتظون بسببه في سلك الامور الشاهدة * ١٤٠ * وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد

بالمشار اليه الاشعار
بعسوطيتهم وبعد
مزلتهم في الفضل وهو
مبتدا وقوله تعالى (لهم)
اما خبره وقوله تعالى
(رزق) مرتفع على
الفاعلية بما فيه من
الاستقرار او مبتدا وانهم
خبر مقدم والجنة خبر
لائك والجملة الكبرى
استئناف مبين للمأفاهة
الاستثناء اجالا يانا
تفصيلا وقيل هي خبر
الاستثناء المنقطع على أنه
متأول بالمبتدا وقوله
تعالى (معلوم) أى معلوم
الخصائص من حسن
المنظر ولذة العظم
وطيب الرائحة ونحوها
من نعمت الكمال وقيل
معلوم الوقت كقوله
تعالى ولهم رزقهم فيها
يكرة وعشا وقوله تعالى
(فواكه) اما يدل من
رزق أو خبر مبتدأ مضر
أى ذلك الرزق فواكه
وتخصيصها بالذكر لان
أرزاق أهل الجنة كلها
فواكه أى ما يؤكل ليجرد
التلذذ دون الافتيات
لانهم مستغنون عن
القوت ليكون خلقهم

والشرب وما على العكس منه ياشرونه باليد اليسرى (الثالث) انهم كانوا يتفادون
وكانوا يتيمين بالجانب الايمن ويسمونه بالبارح (الرابع) ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يحب النيا من في كل شئ (الخامس) ان الشريعة حكمت بان الجانب الايمن
لكاتب الحسنات واليسر لكاتب السيئات (السادس) ان الله تعالى وعد الحسن أن
يوثني كتابه بيده اليمسى أن يوثني كتابه بيساره فثبت ان الجانب الايمن أفضل من الجانب
الايسر واذا كان كذلك لاجرم استعير لفظ اليمين للخيرات والحسنات والصاعات فقوله
انكم كنتم تأتوننا عن اليمين يعنى انكم كنتم تدعوننا وتوهمون لنا ان مقصودكم من
الدعوة الى تلك الاديان نصره الحق وتقوية الصدق (والوجه الثاني) في التأويل انه
يقال فلان يمين فلان اذا كان عنده بالتميزة الحسنة فقال هؤلاء الكفار انتم الذين
اسلوهم ووزيوا لهم الكفر انكم كنتم تدعوننا وتوهمون لنا اننا ندركم بمنزلة اليمين أى
بالمزلة الحسنة فوثقنا بكم وقبلنا عنكم (الوجه الثالث) ان أئمة الكفار كانوا قد خلقوا
لهؤلاء المستضعفين أن ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بيمانهم وتمسكوا بعهودهم التي
عهدوها لهم فعنى قوله كنتم تأتوننا عن اليمين أى من ناحية الموثيق والايان التي
قدمتموها لنا (الوجه الرابع) أن لفظ اليمين مستعار من القوة والقهر لان اليمين موصوفة
بالتهرو وبها يقع البطش والمعنى انكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وانفسدوننا عن
السلطان والغلبة حتى يحملونا على اضلال وتعبورنا عليه ثم حكي الله تعالى عن الرؤساء
انهم اجابوا الاتباع من وجوه (الاول) انهم قالوا لهم بل لم تكونوا مؤمنين يعنى انكم
ما كنتم موصوفين بالايان حتى يقال انما زلناكم عنه (الثاني) قولهم وما كان لنا عليكم
من سلطان يعنى لا قدرة لنا عليكم حتى نقهركم ونجبركم (الثالث) بل كنتم قوما طاغين أى
ضالين غابين في معصية الله (الرابع) قواهم فحق علينا قول ربنا اننا لنا تقون والمعنى ان الله
تعالى لما أخبر عن وقوعنا في العذاب فلولم يحصل وقوعنا في العذاب لما كان خبر الله حقا
بل كان باطلا ولما كان خبر الله أمرا واجبا لاجرم كان الوقوع في العذاب الاليم لازما
قال مقاتل قوله تعالى فحق علينا قول ربنا اشارة الى قول الله لا بليس لاملأن جهنم منك
ومن تيمك منهم أجمعين وقوله تعالى اننا لنا تقون يعنى لما وجب أن يحق علينا قول ربنا
وجب أن نكون ذاتين لهذا العذاب (الخامس) قولهم فأغويناكم انا كنا غاوين
والمعنى انا انما أقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية وفيه دققة
أخرى كأنهم قالوا ان اعتقدتم ان اغوايتكم بسبب اغوائنا فعوايتنا ان كانت بسبب
اغوائنا وآخر لزم التسلسل وذلك محال فعلنا أن حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا
بل من قبل غيرنا وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل وهو قوله فحق علينا قول ربنا ولما حكي
الله تعالى كلام الاتباع للرؤساء وكلام الرؤساء للاتباع قال بعده فانهم يومئذ في العذاب
مشركون يعنى فالتبوع والتابع والمخدوم والخادم مشركون في الوقوع في العذاب

محكمة محفوظة من التحليل المحوج الى البديل وقيل لان الفواكه من أتباع سائر الاطعمة قد كرها من ذكرها (وهم مكرمون) عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك اعظم المشوبات وألقتها باول الهمم وقيل مكرمون في نبله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا وفري مكرمون بالتشديد (في جنات النعيم)

أى في جنات ليس فيها إلا النعيم وهو طرف أحوال من المستكن في مكرمون أو خبرتان لا وثك وقوله تعالى (على سرر)
محتمل للحالية والخبرية وقوله تعالى (متقابلين) حال من المستكن فيه أوفى مكرمون وقوله تعالى (يطاف عليهم) أما
استئناف منى على سؤال نشأ من حكاية ١٤١ تكلم مجالس أنسهم أحوال من الضمير في متقابلين أوفى أحد

كما كانوا في الدنيا مشتركين في اغواية ثم قال أيضا أنا كذلك نضل بالبحرين وعنى
بالبحرين ههنا الكفار بدليل أنه تعالى قال بعد هذه الكلمة أنهم كانوا إذا قيل لهم لا اله
إلا الله يستكبرون والضمير في قوله أنهم طأدى المذكور السابق وهو قوله بالجحيم وهذا
يدل على أن هذا المجرم المطلق محض في القرآن بالكفر ثم بين تعالى أنهم آمنوا وقوا ذلك
الذباب أنهم كانوا مكذبين بالتوحيد والشركية أما التكذيب بالتحديد فهو وقوله تعالى
أنهم كانوا إذا قيل لهم لا اله إلا الله يستكبرون بمعنى تكروا وتعتصبون لأثبات الشرك
ويستكفون عن الإقرار بالتوحيد وأما التكذيب بالثبوت فهو قولهم أننا نتساركو
آهتنا الشاعير محنون ويعنون محسنا ثم أنه تعالى كذبهم في ذلك الكلام فقال بل جاء بالحق
وصدق المرسلين وتقرير هذا الكلام أنه جاء بالحق لأنه ثبت بالفعل أنه تعالى بقره
عن الضمير والندوة والشرك فالساجد محمد صلى الله عليه وسلم يتقرر هذا المعنى كان مجيئه
بالدين الحق قرأين كثيرا شاركو آلهما بهجزة وباء بعدها خفيفة ساكنة بضم
وقرأ ناعم رواية قالوا وأبو عمرو بن علي هذا التفسير ويعدان وأبنافون بهجرتين بلامد
وقوله تعالى وصدق المرسلين يعنى صدقهم في حديثهم بالتوحيد والشركية وهذا تنبيه
على أن القول بالتوحيد دين لكل الأنبياء ولما حكى الله عنهم تكذيبهم بالتوحيد والنبوة
نقل الكلام من الغيبة إلى الحضور فقال أنكم لنا نقوا العذاب إلايم كأنه قيل فكيف
يلين بالرحيم الكريم المتعالى عن النفع والضرا إن يعتد بعباده فأجاب عنه بقوله وما
يجزون إلا ما كنتم تعملون والمعنى أن الحكم يقتضى الأمر بالحسن والطاعة والنهي عن
القبیح والمعصية والأمر والنهي لا يكمل المقصود منها إلا بالترغيب في الثواب والترهيب
بالعقاب وإذا وقع الأخبار عنه وجب تحقيقه صوتا للكلام عن الكذب فلهذا السبب
وقهوا في العذاب ثم قال الأعباد الله المخلصين يعنى ولكن عباد الله من الاستثناء المنقطع
وقوله تعالى (أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين
يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ولا هم عنها يبترفون وعندهم
قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتسألون) اعلم أنه
تعالى لما وصف أحوال المتكبرين عن قبول التوحيد المصرين على انكار النبوة أردفه
بذكر حال المخلصين في كيفية الثواب وفيه مسائل (المسئلة الأولى) ذكرنا في فتح اللام
وكسرهما من المخلصين قراءتين فالفتح أن الله تعالى أخلصهم بلطفه واصطفاهم بفضله
والكسر هو أنهم اخلصوا للطاعة لله تعالى (المسئلة الثانية) اعلم أنه تعالى وصف رزقهم
بكونه معلوما ولم يبين أن أى الصفات منه هو المعلوم فلذلك اختلفت الأقوال فقيل معناه
أن ذلك الرزق معلوم الوقت وهو مقدار غدوة وعشية وان لم يكن ثم لا بكرة ولا عشية قال
تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقيل معناه أن ذلك الرزق معلوم الصفة لكونه
مخصوصا بخصائص خلقها الله فيه من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معناه

الجوارين وقد جوز كونه
صفحة مكرمون (بكأس)
بأنه فيه خمر أو بخر
فإن الكأس تطلق
على نفس الجمر كقول
من قال وكأس شربت
على لذة وأخرى
تداولت منها بها
(من معين) متعلق
بضمير هو عصف الكأس
أى كائنة من شراب معين
أومن سر معين وهو
الجسارى على وجه
الأرض الطاهر العيون
أو الخارج من العيون
مرطبان الماء ذائب وصف
بها الخمر وهو الماء لأنها
تجبرى في الجنة في أنهار
كما يجرى الماء قال تعالى
وأنا من خمر (بيضاء
لذة للشاربين) صفتان
أيضا الكأس ووصفها
بلذة أما اللبنة كأنها
نفس اللذة أو لأنها
تأنيث اللذيعنى اللذيذ
ووزنه فعل قال
ولذ كطعم الصرخدى
تركته بأرض العدا
من خيفة الحدان يريد
النوم (لا فيها غول) أى
غائلة كفى خور الدنيا
من غاله إذا أفسده

وأهلكه ومنه القول (ولا هم عنها يبترفون) يسكرون من ترف الشارب فهو تريف ومزوف إذا ذهب عقله ويقال
لما طعن ترفى فأت إذا خرج دمه كله أفرد هذا الترفى مما اندرجه فيما قبله من نفي القول عنها لما أنه من معظم مفاسد الخمر
كانه جنس برأسه والمعنى لا يها

نوع من أنواع الفساد من مخص او صداع او خمار او عر بده او لغواو تائم ولا هم يسكرون وقرى بيزفون بكسر الزاي
من انزف الشارب اذا تفد عقله او شرابه وقرى بيزفون بضم الزاي من نرف يترف بضم الزاي فيهما (وعند هم
قاصرات الطرف) قصرن ابصارهن على أزواجهن لا يمدن طرفا لي ١٤٢ ﴿ غيرهم (عين) نجل العيون جمع

عيناه والجل سعة العين
(كأنهن يبض مكنون)
شبهن يبض التمام
المصون من التبار ونحوه
في الصفاء والبياض
المخلوط بأدنى صفرة
فان ذلك أحسن ألوان
الابدان (فأقبل بعضهم
على بعض بتساءون)
معطوف على بطاف أي
يشربون فيهمادون
على الشراب كما هو عادة
الشرب قال وما بقيت
من اللذات الا
أرادت الكرام على المدام
فبقية بعضهم على بعض
يتساءون عن انفضائل
والمعارف وعماجري
نهم وعليهم في الدنيا
فاتصير عنه بصيغة الماضي
لأنه كيد وان دلالة على
تحقق الوقوع حتما
(من قائل منهم في
أضاعيف محارواتهم
(الى كاني) في الدنيا
(قرين) مصاحب
(يقول) على طريقة
التوبيخ بما كنت عليه
من الايمان والتصديق
بالبعث (أنك لمن
المصدقين) أي بالبعث
وقرى بتشديد الصاد

من التصديق والاول هو الاوفق لقوله تعالى (ألدنمتا وكنترا بابا وعفدما أئتمدينون) أي لمبوثون ﴿ رحمه
ومجزون من الدين بمعنى الجزاء أو المسوسون يقال دانه أي ساءه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل
تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدي بعض اخوانه فقال ابن مالك قال تصدقت به ليعوضني الله

تعالى في الآخرة خير منه فقال أتلك لمن المصدقين يوم الدين أو من المتصدقين اطلب الثواب والله لأعطيكم شيئا فيكون التعرض لذكروهم وكونهم ترابا وعظاما حيث نأنا كيدنا تكرار الجزاء المبني على إنكار البعث (قال) أي ذلك القائل بعدما حكى الجلوسه مائة قرينة * ١٤٣ * في الدنيا (هل أنتم مطلعون) أي إلى أهل النار لا ريبكم ذلك

القريني يربط ذلك بيان
صدق في أحكامه وقيل
القائل هو الله تعالى أو
بعض الملائكة يقول لهم
هل حيون أن تطعموا
إلى أهل النار لا ريبكم
ذلك أقر بن فتعله أين
متراتهم من متراتهم
قبل ان في الجنة كوي
ينظر منها أهلها إلى
أهل النار (فاطلم) أي
عليهم (فراه) أي قرينه
(في سواء الجحيم) أي في
وسطها وقرى فاطلم
على لفظ المضارع
المنصوب وقرى مطلعون
فاطلم وفاطلم بالتخفيف
على افعال الماضي والمضارع
المنصوب يقال طعم فلينا
فلان واطلم واطلم
بمعنى واحد والمعنى هل
أنتم مطلعون إلى القرين
فاطلم أنا أيضا وعرض
عليهم الاطلاع فقبلوا
ما عرضنه فاطلم هو بعد
ذلك وان جعل الاطلاع
متعديا فالعنى انه لما شرط
في اطلاعه اطلاعه
كما هو ديدن الجلوسه
فكانهم مطلعوه وقيل
الخطاب على هذا الملائكة
وقرى مطلعون بكسر

رحم الله وحقه الإهلاك يقال غولا أي هلكه وانقول وانقال للمهلك ثم سمي
الصداع غولا لانه يؤدى إلى الإهلاك ثم قال تعالى ولا هم عنها ينزفون وقرى بكسر الزاي
قال الفراء من كسر الزاي فله معنيان يقال انزف الرجل اذا نفذت خبثته وانزف اذا
ذهب عقله من السكر ومن فتح الزاي فغناه لا يذهب عقولهم أي لا يسكرون يقال تزف
الرجل فهو متزف وتزيف والمعنى ليس فيها قط نوع من أنواع الفساد التي تكون
في شراب الخمر من صداع أو خمار أو عريدة ولا هم يسكرون أيضا وخصه بالذكر لانه
أعظم الفاسد في شراب الخمر. ثم ذكر الله تعالى صفة مشرو بهم ذكر عقبيه صفة منكونهم
من ثلاثه أوجه (الاول) قوله وعندهم فاصرات العرف ومعنى تنصرف في اللغة الجيس ومنه
قوله تعالى حور مقصورات في الخيام والمعنى النهز يحسن زهره ولا ينزرن إلى غير
أزواجهن (الصفة الثانية) قوله تعالى عين قال الزجاج كبار الاعمين حسانتها واحدها عيساء
(الصفة الثالثة) قوله تعالى كأنهن يعضن مكنون لا يكون في اللغة المنصور يقال كذبت
اشيئا واكنته ومعنى هذا التشبيه ان ظاهر البيض باض شوبه قليل من الصفرة فاذ
كان مكنونا كان مصونا عن العبر والفترة فكان هذا اللور في غاية الحسن والعرب كانوا
يسمون النساء بيضات الحدور ولما تم الله صفات أهل الجنة قال فأقبل بعضهم على
بعض ينساءون فان قيل على أي شيء عطف قوله فأقبل بعضهم على بعض ينساءون فانا
على قوله يطاف عليهم والمعنى بشر بوزن وبتعداد ثوبون على الشراب قال الشاعر

وما بقيت من اللذات الا * بحادثة الكرام على المدام

والعنى فقبل بعضهم على بعض ينساءون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا * قوله تعالى (قال)
قائل منهم انى كان لي قرين يقولون أتلك لمن المصدقين أتدامتوا وكنا ترابا وعظاما ما أتدنا
لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلم فراه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا
بعثة ربى لكنت من المحضرين أفأخجن بيئتني الاموت نأنا الاولى وما نحن بمعدين ان هذا
لهو الفوز العظيم لئلا هذا فليعمل العاملون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه
تعالى كما ذكر في أهل الجنة انهم ينساءون عند الاجتماع على شرب خمر الجنة فان
محادثة العلاء بعضهم مع بعض على الشرب من الامور اللذيذة وتذكر الخلاص عند
اجتماع أسباب المهلاك من الامور اللذيذة ذكر تعالى في هذه الآية ان أهل الجنة اذا
اجتمعوا على الشرب وأخذوا في المكالمه والمساءله كان من جملة تلك الكلمات انهم
يتذكرون انهم كان قد حصل لهم في الدنيا ما يوجب لهم الوقوع في عذاب الله ثم انهم
تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الابدية والمقصود من ذكر هذه الاشياء ان أهل الجنة
يتكامل سرورهم وبهجته اما قوله قال قائل منهم انى كان لي قرين أي قال قائل من
أهل الجنة انى كان لي قرين في الدنيا يقول أتلك لمن المصدقين أي كان يوتخني على
التصديق بالبعث والقيامه ويقول تعجبا أتدامتوا وكنا ترابا وعظاما أتدنا لمدينون أي

التون أراد مطلعون أي موضع التصل موضع المتصل كقوله * هم الفاعلون الخبر والامر منه أو شبه اسم الفاعل
بالمضارع لما يندرجان انما حتى اقال) أي القائل مخاطبا القرينه (تالله ان كدت لتردين) أي لهلكنى بالاغواء وقرى
لتعوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي الخففة من ان وضيم الشان الذى هو اسمها

مخدوف واللام فارقة أي تالله ان الشان كدت لتردين (ولو لانعمز بي) بالهسية والعصية (لكنتمن المحضرين) أي من الذين أحضروا العذاب كأحضرتة أنت وأضرابك وقوله تعالى (أفأنتن بميتين) أرجوع الى محاوره جلسائه بعد تمام الكلام مع قرينه تجبها وابتهاجا أتاح الله عز وجل ﴿ ١٤٤ ﴾ لهم من الفضل العظيم والتعظيم المقيم

والهمزة لتقرر يروفها
معنى التعجب والفاء
للعطف على مقدر
يقضيه نظم الكلام
أي أنتن مخلدون
منعمون فأنتمن بميتين
أي بن شانه الموت وقرى
بماتين (الاموتنا الاولى)
التي كانت في الدنيا وهي
متنولة لما في القبر بعد
الاحياء للسؤال قاله
تصديقا لقوله تعالى
لا يدعون فيها الموت
الاموتة الاولى وقيل
ان أهل الجنة أول ما
دخلوا الجنة لا يعلمون
أنهم لا يموتون فإذا جئ
باللوت على صورة كرش
أمح قدح نودي بأهل
الجنة خذوا فلا موت
وبأهل النار خذوا فلا
موت يعلمونه فتناولوا
فلك تحدثا بنعمة الله
تعالى واختباطا بها
(وما نحن بمعدين)
كالكفار فان الجحاة من
العذاب أيضا نعمة جليلة
مستوجبة للتحدث بها
(ان هذا) أي الامر
العظيم الذي نحن فيه
(لهو الفوز العظيم)
وقيل هو من قول الله

لحاسبون ومجازون والمعنى ان ذلك القرين كان يقول هذه الكلمات على سبيل
الاستنكار ثم ار ذلك الرجل الذي هو من أهل الجنة يقول جلسائه يدعوهم الى كمال
السرور بالاطلاع الى النار لمشاهدة ذلك القرين ومخاطبته هل أنتم مطلعون فاطلع
والاقرب انه تكلف أمرا اطلع معه لانه لو كان مطلعا بلاتكلف لم يكن الى اطلاعه
ساجدة فلذلك قال بعضهم انه ذهب الى بعض اطراف الجنة فاطلع عندها الى النار فرآه في
سواء الجحيم أي في وسط الجحيم قال له موبختا لله ان كدت لتردين أي تهلكي بدعائك اياي
الى انكار البعث والقيامة ولولا نعمة ربي بالارشاد الى الحق والعصية عن الباطل لكنت
من المحضرين في النار مثلك ولما تم ذلك الكلام مع الرجل الذي كان في الدنيا قرينه له
وهو الآن من أهل النار عاد الى مخاطبة جلسائه الذين هم من أهل الجنة فقال أفأنتن
بميتين وفيه قولان (الاول) ان أهل الجنة لا يعلمون في أول دخولهم في الجنة انهم لا يموتون
فإذا جئ باللوت على صورة كرش أمح وذبح فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون فاعل هذا
الكلام حصل قبل ذبح اللوت (والثاني) ان الذي يتكلم خيره وسعادته ماذا عظم تعجب
هنا قد يقول أي يوم هذا الى ايقيني هذا الى وان كان على يقين من دوامه ثم عند فراغهم
من هذه المباحث شاور ان هذا هو الفوز العظيم واما قوله مثل هذا فليعمل العاملون
وقيل انه من بقية كلامهم وقيل انه ابتداء كلام من الله تعالى أي اطلب مثل هذه
الاعداد يجب أن يعمل العاملون (المسئلة الثانية) قال بعضهم المراد من هذا الغائل
ومن قرينه ما ذكره الله تعالى في سورة الكهف في قوله وانتم بآههم ثلاث رجائين الى
آخر الآيات وروى أن رجلين كانا شريكين فحصل لهما ثمانية آلاف دينار فقال أحدهما
للاخر أقاسمك ففاسمه واشترى دارا بالف دينار فأراها صاحبه وقال وكيف ترى حسنها
فقال ما أحسنها فخرج قال اللهم ان صاحبي هذا قد ابتاع هذه اذار بألف دينار واتى
أسألك دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ثم ان صاحبه تزوج بأسرة حسنة بألف
دينار فتصدق هذا بألف دينار لاجل ان يزوجه الله من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى
بساتين بألف دينار فتصدق هذا بألف دينار ثم ان الله أعطاه في الجنة ما طلب فعند هذا قال
انه كان لي قرين فاطلع فرآه في سواء الجحيم (المسئلة الثالثة) قوله لمن المصدقين
أنداستا وكناترا بابا وعظاما أن المدينون اختلف القراء في هذه الاستفهامات الثلاثة قرأ
نافع الاولى والثانية بالاستفهام بجمرة غير مدودة والثالثة بكسر الالف من غير استفهام ووافقته
الكسائي الا انه يستفهم الثالثة بجمرتين وقرأ ابن عامر الاولى والثالثة بالاستفهام
بجمرتين والثانية بكسر الالف من غير استفهام وقرأ الباقر بالاستفهام في جميعها ثم
اختلفوا فان كثير يستفهم بجمرة واحدة غير مطولة وبعدها ياء ساكنة خفيفة وأبو عمرو
مطولة وعاصم وحمزة بجمرتين وأما قوله ان كدت لتردين قرأ نافع برواية ورش لتردين
بأبيات الباء في الوصل والباقرن بمحذفا (المسئلة الرابعة) احتج أصحابنا على أن الهدى

عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرى هو الرزق العظيم وهو ما رزقه من السعادة العظمى ﴿ والضلال ﴾
(مثل هذا فليعمل العاملون) أي لئيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون للمخطوط الدنيوية السريعة
الانصرام المشهورة فنهون الآلامه هذا أيضا محتملا ان يكون من كلام العرب

ذلك خير زلا أم شجرة الزقوم) أصل النزل الفضل والرغ فاستعير للحاصل من الشيء وانتصابه على التمييز أي أذلت
 ذق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير زلا أم شجرة الزقوم التي حاصلها الألم والغم ويقال النزل لما يقام ويبدأ
 الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم
 بها خير في كونه زلا والزقوم اسم شجرة صغيرة ﴿ ١٤٥ ﴾ الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تمامه سميت

الضلال من الله تعالى بقوله تعالى ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين وقالوا مذهب
 لحصم إن كل ما فعله الله تعالى من وجوه الانعام في حق المؤمن فقد فعله في حق الكافر
 إذا كان ذلك الانعام مشتركا فيه امتنع أن يكون سببا لحصول الهداية للمؤمن وإن
 كون سببا لخلاصه من الكفر والردى فوجب أن تكون تلك النعمة المخصوصة أمرا
 إندا على تلك الانعامات التي حصل الاشتراك فيها وما ذلك إلا بقوة الداعي إلى الإيمان
 بتكميل الصارف عن الكفر (المسئلة الخامسة) - احتجاج نفاة عذاب القبر بقول الرجل
 لذى من أهل الجنة أفأنا نحن بينين الاموتنا الأولى فهذا يدل على أن الانسان لا يموت إلا
 مرة واحدة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الموت حاصلًا مرتين (والجواب) أن قوله لا
 وتنا الأولى المراد من ذلك ما وقع في الدنيا والله أعلم بقوله تعالى (أذات خير زلا أم شجرة
 زقوم أنا جعلناها فتنة للظالمين انهما شجرة تخرج في أصل الجحيم طعمها كأنه رؤس
 لشياطين فلههم لا تكون منها فاللون منها البطون ثم إن لهم عندها شوبا من جحيم ثم
 نمر جحيم إلى الجحيم انهم أنفوا أبائهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم
 كثير الأولين ولقد رسلنا فيهم منذرين فأنصر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عبادة الله
 لتخلصين) اعلم أنه تعالى لما قال بعد ذكر أهل الجنة ووصفها المثل هذا فليحمل العاملون
 تبعه بقوله أذات خير زلا أم شجرة الزقوم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يورد ذلك
 على كفار قومه ليصبر ذلك زاجر لهم عن الكفر وكا وصف من قبل ما أكل أهل الجنة
 مشار بهم ووصف أيضا في هذه الآية ما أكل أهل النار ومشار بهم ﴿ أما قوله أذات خير زلا
 م شجرة الزقوم فالعنى أن الرزق المعلوم المذكور لأهل الجنة خير زلا أي خير حاصل
 شجرة الزقوم وأصل النزل الفضل الواسع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل
 من الشيء ويقال أرسل الأمير إلى فلان زلا وهو الشيء الذي يصلح حال من ينزل بسببه إذا
 برقت هذا فتقول حاصل الرزق المعلوم لأهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم
 لآلم والغم ومعلوم أنه لا نسبة لاحدهما إلى الآخر في الخبرية لأنه جاء هذا الكلام أما
 إلى سبيل الشخرية بهم أو لأجل أن المؤمنين لما اختاروا ما أوصلهم إلى الرزق الكريم
 الكافرين اختاروا ما أوصلهم إلى العذاب الأليم فقبل لهم ذلك توبيخا لهم على سوء
 اختيارهم وأما الزقوم فقال الواحدى رحمه الله لم يذكر المفسرون للزقوم تفسيرا إلا
 لكلى فانه روى انه لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبيرى أ كثر الله في بيوتكم الزقوم
 إن أهل اليمن يسمون التروال بدالزقوم فقال أبو جهل لجاريته زقينا فأتته بز بدو تمر
 قال تزقوا ثم قال الواحدى ومعلوم أن الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا لئلا بدوا التمر قال ابن
 زيد لم يكن للزقوم اشتقاق من الترم وهو الإفراط من أكل الشيء حتى يكره ذلك يقال
 ت فلان يترتم وظاهر لفظ القرآن يدل على أنها شجرة كريهة الطعم منتنة الرائحة شديدة
 لحسونة موصوفة بصفات كل من تناواها عظم من تناولها ثم انه تعالى يكره أهل النار على

به الشجرة الموصوفة (أنا
 جعلناها فتنة للظالمين)
 محنة وعذابا لهم في الآخرة
 وابتلاء في الدنيا فانهم
 لما سمعوا أنها في النار
 قالوا كيف يمكن ذلك
 والنار تحرق الشجر ولم
 يعلموا أن من قدر على خلق
 حيوان يعيش في النار
 ويتلذذ بها أقدر على خلق
 الشجر في النار وحفظه
 من الاحراق (انها
 شجرة تخرج في أصل
 الجحيم) منتها في قعر
 جهنم وأغصانها ترتفع
 إلى دركاتنا وقوى نباتة
 في أصل الجحيم (طلعها)
 أي حلها الذي يخرج
 منها مستعار من طلع
 النخلة لمشاركتة له
 في الشكل والاطواع
 من الشجر قالوا أول التمر
 طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر
 ثم رطب ثم تمر (كأنه
 رؤس الشياطين) في
 تنهى القبح والهول
 وهو تشبيه بالخيل كتشبيه
 الفائق في الحسن بالملك
 وقيل الشياطين الحيات
 الهائلة القبيحة المنظر

لأعراف وقيل إن شجرا ﴿ ٩١ ﴾ سا يقال لها لاسن خشنا منتما من أضر الصوره يسمى ثمرة رؤس الشياطين (فانهم
 كلون منها) أي من الشجرة أو من طلعها فلأن ثبت مكتسب من المضاف إليه (فاللون منها البطون) أغلبية الجوع أو للفسر
 أكلها وإن كرهها ليكون ذلك بابلس العذاب (ثم إن لهم عليها) على الشجرة التي ملأها منها بطونهم بعد ما شبعوا
 بها وغلبهم العطش وطلعت استسقاؤهم

كاتبه عنه كلمة ثم ويجوز أن تكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والإساعة (لشوبا من حميم) لشراب من غساق
أو صديد مشوب بما حميم يقطع أمعاءهم وقرى بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمى به (ثم ان مرجعهم)
أي مصيرهم وقد قرئ كذلك (لاي الجحيم) لاني دركاتها أو لي نفسها فان الزقوم والجحيم نزل يقدم اليهم قبل
دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي في ١٤٦ يكذب بها الجحيمون يطوفون بينها وبين

حميم أن يذهب بهم
مقارهم ومنازلهم في الجحيم
الى شجرة الزقوم فيأكلونها
منها الى أن يملؤا ثم
يسقون من الجحيم ثم يردون
الى الجحيم ويؤيده أنه
قرئ ثم ان منقلبهم (انهم
ألفوا آياهم ضالين)
تعليلا لاستحقاقهم اذ
من فنون العذاب في الآيات
الآيات في الدين من غير
أن يكون لهم ولا آياتهم
شيء يمسك به أصلا
أي وجدوهم ضالين
في نفس الامر ليس لهم
ما يصلح شهيدا فضلا
عن صلاحه الدليل
(فهم على آثامهم
يهرعون) من غير أن
يتدبروا أنهم على الحق
أولامع ظهور كونهم
على الباطل بأدنى تأمل
والاهراع الاسراع
الشديد كأنهم يهرعون
وتحشون حشا على الاسراع
على آثامهم وقيل هو
اسراع فيه شديدة
(وقد فضل قبلهم) أي
قبل قومك قریش
(أكثر الاولين) من الامم

تناول بعض اجزائها أما قوله تعالى انما جعلناها فتنة للاظالمين ففيه أحوال (الاول) انها انما
صارت فتنة للاظالمين من حيث ان الكفار لما سمعوا هذه الآية قالوا كيف يعقل أن تبت
الشجرة في جهنم مع ان النار تحرق الشجرة والجواب عنه ان خالق النار قادر على أن يمنع
النار من حرق الشجر ولا ماذا حاز أن يكون في النار زبابة والله تعالى يمنع النار عن
احراقهم للملائكة زملة في هذه الشجرة اذا عرفت هذا السوان والجواب عن كون شجرة
الزقوم فتنة للاظالمين هو انهم لما سمعوا هذه الآية وقت تلك الشبهة في قلوبهم وصارت
تلك الشبهة سببا لتأديهم في الكفر فهذا هو المراد من كونها فتنة لهم (والوجه الثاني) في
التفسير أن يكون المراد صيرورة هذه الشجرة فتنة لهم في النار لانهم اذا كافروا تناولها
وشق ذلك عليهم فحينئذ يصير ذلك فتنة في حسرتهم (الوجه الثالث) أن يكون المراد من الفتنة
الامتحان والاختبار فان هذا شيء يسيد عن العرف والعادة يخاف الله أوفى بالعرف
ماذا رد على سبع المؤمن فوض غلته الى الله واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن في
القرآن والنبوة ثم انه تعالى لما ذكر هذه الشجرة وصفها بصفات (الصفة الاولى) قولها انها
شجرة تخرج في أصل الجحيم قبل منتهى في قعر جهنم. أغصانها ترتفع من دركاتها (الصفة
الثانية) قوله طلعها كأنه رؤس الشياطين قال صاحب الكشاف استدل للتحفة باستعير
لما طلع من شجرة الزقوم من حلها اما استعارة لفظة أو معنوية وقال ابن قتيبة سمى طلعا
لطأه كل سنة وذلك قبل طلع النخل الاول ما يخرج من ثمره وارتفع من هذا الطلع رؤس
الشياطين ففيه سؤال لانه قيل انما رأيت رؤس الشياطين فكيف يمكن تشبيه شيء بها
وأجابوا عنه من وجوه (الاول) وهو الصحيح ان الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال
الفضل في الصورة والسيرة وانتقدوا في الشياطين نهاية القبح والتسوية في الصورة
والسيرة فكما احسن التشبيه بالملك عند ارادة تقرير الكمال والفضيلة في قوله ان هذا الا
ملك كريم فكذلك وجب ان يحسن التشبيه برؤس الشياطين في القبح وتسوية الحلقة
والحاصل ان هذا من باب التشبيه لا بالتحسوس بل بالتحليل كأنه قيل ان أقبح الاشياء في
الوهم والخيال هو رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها في قبح النظر وتسوية الصورة
والذي يؤكدها ان العلاء اذا رأوا شيئا شديدا اضطراب منكر الصورة فيجرح الحلقة
قالوا انه شيطان واذا رأوا شيئا حسن الصورة والسيرة قالوا انه ملك وقال امرؤ القيس
أفتنني والمشرق مضاجعي * ومسونة زرق كآيات اغوال
(والقول الثاني) أن الشياطين حيات لها رؤس واعراف وهي من أقبح الحيات وبها
يضرب المثل في القبح والعرب اذا رأيت منظر اقبحا قالت كأنه شيطان الخماطة والحماطة
شجرة معينة (والقول الثالث) ان رؤس الشياطين بنت معروف فيجرح الرأس والوجه
الاول هو الجواب الحق واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الشجرة وذكر صفاتها بين أن الكفار
لا يكون معها فائون منها البطون واعلم أن اقدامهم على ذلك الاكل يحتمل وجهين

السابقة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي أتبياء أولى عدد * الاول *
كثير وقوى شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وأذروهم عاقبة الوحية وتكرير القسم لاراز كمال الاعتناء بتحقيق
مضمون كل من الجملتين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من الهول والفظاعة للملم يلفتون الى الانذار ولم يرفعوا له
رأسا والخطاب اما رسول الله صلى الله عليه وسلم أول لكل احد ممن يمكن من مشاهدة آياتهم وحيث

كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيحا استثنى منهم المخلصون بقوله تعالى (الاصباة المخلصين) اي الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرى المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى (ولقد نادانا نوح) نوع تفصيل لما اجل فيما قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم من ضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين * ١٤٧ * حسبا اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة

(الاول) انهم اكلوا منها الشدة الجوع فان قبل وكيف ياكلونها مع نهاية خشوتها وبتنها ومرارة طعمها قلنا ان الواقع في الضرر العظيم ربما استروح منه الى ما يقارب به في الضرر فاذا جوعهم الله جوع الشديد فرغوا في ازالة ذلك الجوع الى تناول هذا الشيء وان كان بالصفة التي ذكرتموها (الوجه الثاني) ان يقال الزبانية يكرهونهم على الاكل من تلك اشجرة تكميل اعدائهم * واعلم انهم اذا شعروا فحبتد بشدة عطشهم ويحتاجون الى الشراب فعندها وصف الله شرابهم فقال ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قال الزجاج الشوب اسم عام في كل ما خلط بغيره والحميم الماء الحار المتناهي في الحرارة والمعنى انه اذا قدبهم ذلك العطش الشديد وامن ذلك الحميم فحبتد بشدة الزقوم بالحميم زعموا فبالله منهم ما واعلم ان الله وصف شرابهم في القرآن باشيء منها كونه غساقا ومنها قوله وسقواما حسبا فقطع ماءهم ومنها ما ذكره في هذه الآية (فان قيل) ما الفائدة في كلمة ثم في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم فمناقبه وجهان (الاول) انهم يملون بها ونهم من شجرة الزقوم وهو سار يحرق بطونهم فيعظم عطشهم ثم انهم لا يستقون الا بعد مدة مديدة والغرض تكميل التعذيب (والثاني) انه تعالى ذكر انضمام تلك البشاعة والكرامة ثم وصف الشراب بما هو اشد منه فكان المفسدون من كلمة يمل ان حال المشروب في البشاعة اعظم من حال الماء اكل ثم قال تعالى ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال ما تامل اي بعد اكل الزقوم وشرب الحميم وهذا يدل على انهم عند شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم وذلك بان يكون الحميم من موضع خارج عن الجحيم فهم يوردون الحميم لاجل الشرب كما تورد الابل الى الماء ثم يوردون الى الجحيم وهذا قول مقاتل واحتج على صحته بقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها الجحرون يطوفون بينها وبين جهنم ان ذلك يدل على صحة ما ذكرنا ثم انه تعالى لما وصف عذابهم في اكلهم وشرابهم قال انهم انشأوا آياتهم ضالين فهم على آياتهم بصر عور وقال انفراء الاهرع الاسراع يقال هرع وأهرع اذا استعجت والمعنى انهم يتيسون آياتهم اتباعا في سرعة كأنهم يرتججون الى اتباع آياتهم والمقصود من الآية انه تعالى على استحسانهم لوقوع في تلك الشدائد كلها يتقليد الآيات في الدين وترك اتباع الدليل والاولم يوجد في القرآن آية غير هذه الآية في ذم التقليد لكني * ثم انه تعالى ذكر لسوء ما يوجب التسليته في كفرهم وتكذيبهم فقال ولقد ضل قباهم انكر الاولين ولقد أرسلنا قباهم منذرين فبين تعالى ان ارساله للرسول قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف ويجب ان يكون له صلى الله عليه وسلم أسوة بهم حتى يصبر كما صبروا ويستمر على الدعاء الى الله وان تمردوا وليس عليه الابلاغ * ثم قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وهذا وان كان في الظاهر خطاياهم الرسول صلى الله عليه وسلم الا ان المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا بالاخبار جميع ماجرى من انواع العذاب على قوم نوح وعلى عاد وثمود وغيرهم فانهم يعلموا ذلك فلا اقل من ظن وخوف يصلح ان يكون زاجرا لهم عن كفرهم * وهو له تعالى

المنذرين كقوم نوح
والفرعون وقوم اووط
وقوم الياقوت وبيان حسن
عاقبة بعضهم الذين
اخلصهم الله تعالى
ووفقتهم للايمان كما اشار
اليه الاستاذ كقوم يونس
عليه السلام ووجه
تفريع قصة نوح على
سائر القصص غني عن
البيان واللام جواب
سهم محذوف وكان متعلق
بذمة الدعاء (فلنعم المحييون)
اي والله لقد دعانا نوح
حين ينس من ايمان قومه
مداد دعاهم اليه احقابا
ودهورا فلم يزد هم دعاه
الا فرارا ونورا فاجبتاه
احسن الاجابة هو الله
نعم المحييون نحن فمحذوف
ما حذف ثقة بدلالة ما
ذكره عليه والجمع دليل
العظمة والكسبرياء
ز ونجيباه وأهله من
الكرب العظيم (اي
من الفرق وقيل من اذ
قومه) ووجه انذار بتده
لباقين) فحسب حيث
اهلكنا الكفرة بموجب
دعائه رب لا تدرك على

الارض من الكافرين ديارا وقد روى انه مات كل من كان معه في السفينة غير ابياته وأزواجهم اوهم الذين بقوا متاسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وحام وياقوت فسام ابوالعرب وفارس والروم وحام ابوالسودان من المشرق الى المغرب وياقوت ابوالترك وياقوت وياقوت (وترك عليه في الآخرين) من الامم (سلام على نوح) اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت

سورة أزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما وبدعونه على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اى فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى (في العالمين) متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التهمة واستمرارها أبدا في العالمين من الملائكة والنفوس جميعا وقوله تعالى (انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لما فعل به عليه الصلاة والسلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه ﴿ ١٤٨ ﴾ أحسن اجابة وإبقاء ذريته وتبقيه ذكره

الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر السدر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراشدين فيه وأن ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بانه احسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء عليه الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بلاشارة الى الايدان بعلو رتبته وبعدم نزله في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعد هاى مثل ذلك الجراء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لاجراء ادى منه وقوله تعالى (انه من عبادنا المؤمنين) تحليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما مالا يخفى (ثم أغرقنا الآخرين) أى المغايرين لنوح وأهله وهم كفار قومه أجمعين وان من شيعته (أى من شايعة في اصول السدين

الاعباد الله المخلصين فيه قولان (أحدهما) انه استثناء من قوله وتفضل قبلهم أكثر الاولين (والثاني) انه استثناء من قوله كيف كان عاقبة المنذرين فانها كانت أقبح العواقب وأفظعها الا عاقبة عباد الله المخلصين فانها كانت مقرونة بالخير والراحة وقوله تعالى (وقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الذاقين تركنا عطية في الآخرة) الام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم نفرنا الآخرة) اعلم انه تعالى لما قال من قبل وتفضل قبلهم أنثر الاولين وقال فانظر كيف كان عاقبة المنذرين أتبعه بشرح وقائم الانبياء عليهم السلام (والقصة الاولى) حكاية حال نوح عليه السلام وقوله واقدنا نانا نوح فلنعم المجيبون فيه مباحث (الاول) ان الالم في قوله فلنعم المجيبون جواب قسم محذوف والخصوص بالمذبح محذوف أى فلنعم المجيبون نحن (البحث الثاني) انه تعالى ذكر ان نوحا نادى ولم يذكر ان ذلك النداء في أى الوقائع كان لاجرم حصل فيه قولان (الاول) وهو المشهور عند الجمهور انه نادى الرب تعالى في أن نجبه من محنة الغرق وكرب تلك الواقعة (والقول الثاني) ان نوحا عليه السلام لما اشتغل بدعوة قومه الى الدين الحق بالغوا في ايذائه وقصدوا قتله ثم انه عليه السلام نادى ربه واستنصره على كفار قومه فأجابه الله تعالى ومنعه من قتله وايذائه واحج هذا القائل على ضعف القول الاول بانه عليه السلام نادى عليهم لاجل أن نجبه الله تعالى وأهله وأجاب الله دعائه فيه فكان حصول تلك النجاة كالملوك المتقين في دعائه وذلك يمنع من أن يقال المطلوب من هذا النداء حصول هذه النجاة ثم انه تعالى لما حكى عن نوح انه نادى قال بعد فلنعم المجيبون وهذا اللفظه تدل على أن تلك الاجابة كانت من النعم العظيمة وبيانه من وجوه (الاول) انه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال واقدنا نانا نوح ما قادر العظيم لا يلقى به الا الاحسان العظيم (والثاني) انه أعاد صيغة الجمع في قوله فلنعم المجيبون وذلك ايضا يدل على تعظيم تلك النعمة لاسيما وقد وصف تلك الاجابة بأنها نعمت الاجابة (والثالث) أن الفاء في قوله فلنعم المجيبون يدل على أن حصول هذه الاجابة مرتب على ذلك النداء والحكمة المرتب على الوصف المناسب يقتضى كونه معللا وهذا يدل على ان النداء بالاحسان سبب لحصول الاجابة ثم انه تعالى لما بين سبحانه نعم المجيب على سبيل الاجال بين أن الانعام حصل في تلك الاجابة من وجوه (الاول) قوله تعالى ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وهو على القول الاول الكرب الحاصل بسبب الخوف من الغرق وعلى الثاني الكرب الحاصل من أذى قومه (والثاني) قوله وجعلنا ذريته هم الباقيين يفيد الحصر وذلك يدل على أن كل من سواه وسوى ذريته فقد فنوا قال ابن عباس ذريته بنوه الثلاثة سام وحام ويافت فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافت أبو الترك (العمة الثالثة) قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرة سلام على نوح في العالمين يعنى يدكرون هذه الكلمة فان

(لبراهيم) وان اختلف فروع شرائعهمسا ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق كللى أو أكثرى ﴿ قيل ﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته أو من شايعة على التصلب في دين الله ومصابة المكذبين وما كان بينهما الانبياء هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم الغان وسنائة وأربعون سنة (ايضا ربه) منصوب باذكر أو متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة (بقلب

سليم) اي من آفات القلوب أو من العلايق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجي به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفاً بالباطل بق التبتل (اذ قال لا ييه وقوم ما ذاق عبود) بدل من الاولى أو ظرف لجاء أو لسليم أي أي شيء تعبدونه (أنكأ آلهة دون الله تريدون) ١٤٩ * أي أتريدون آلهة من دون الله أفكأ أي الافك فقدم المفعول على

قيل فامعنى قوله في العالمين قلنا معناه الدعاء بثبوت هذه التحيمة فيهم جميعا اي لا يتخلو أحد منهم منها كأنه قيل أثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين فيسألون عليه بكنيتهم ثم انه تعالى لما شرح تفاصيل انعامه عليه قال انا كذلك نجزي المحسنين والمعنى انا انما خصصنا نوحا عليه السلام بتلك النشريات الرفيعة من جعل الدنيا مملوءة من ذريته ومن تبقية ذكره الحسن في السنة جميع العالمين لاجل انه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا لله مؤمنا والمقصود منه بيان ان أعظم الدرجات وأشرف المقامات الايمان بالله والانقياد اطاعت (القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام * قوله تعالى) وان شيعته لاراهيم اذا جاء به بقلب سليم اذ قال لا ييه وقومه ماذا تعبدون أنكأ آلهة دون الله تريدون فانظركم رب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغوا آلهتهم فقال انا انا اكون مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا البديرون (في الآية مسائل) (المسئلة الاولى) الضمير في قوله من شيعته الى ماذا يعود فقد قولان (الاول) وهو الاظهر انه عائذ الى نوح عليه السلام أي من شيعته نوح أي من أهل بيته وعلى دينه ومنها جده ابراهيم قالوا وما كان بين نوح و ابراهيم الا نبيان هو دوصالح وروى صاحب الكشاف انه كان بين نوح و ابراهيم ألفان وستائة وأربعون سنة (الثاني) قال الكلبي المراد من شيعته محمد لا ابراهيم بمعنى انه كان على دينه ومنها جده فهو من شيعته وان كان سابقا له والاول اظهر لانه تقدم ذكر نوح عليه السلام ولم يتقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فعود الضمير الى نوح أول (المسئلة الثانية) العامل في اذمادل عليه قوله وان من شيعته من معنى المشايعة بمعنى وان من شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لاراهيم أما قوله اذا جاء به بقلب سليم فتد مسائل (المسئلة الاولى) في قوله بقلب سليم قولان (الاول) قال مقاتل واسكطبي يعنى من شاي من الشرك والمعنى انه سلم من الشرك فلم يشرك بالله (والثاني) قال الاصم ويزون المراد ان عاش ومات على طهارة القلب من كل دنس من المعاصي فيدخل فيه كونه سليما عن الشرك وعن الشرك وعن الغل والنفس والحقد والحسد عن ابن عباس انه كان يحب للناس ما يحب لنفسه وسلم جميع الناس من غشم وظلمه وأسلم الله تعالى فإيعدل به أحدوا وحجج الذاهبون الى القول الاون بانه تعالى ذكر بعد هذه الكلمة انكاره على قومه الشرك بالله وهو قوله اذ قال لا ييه وقومه ماذا تعبدون واحجج الذاهبون الى القول الثاني بأن اللفظ مطلق فلا يقيد بصفة دون صفة ويتأ كدهذا بقوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكننا به عالمين مع انه تعالى قال الله أعلم حيث يجعل رسالته وقال وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فان قيل ما معنى المجي بقلبه به قلنا معناه انه أخلص لله قلبه فكانه أتخف حضرة الله بذلك القلب ورأيت في التوراة انا الله قال لموسى أجب الهك بكل قلبك واعلم انه تعالى لما ذكر أن ابراهيم جاء به بقلب سليم ذكر أن من جملة آثار تلك السلامة ان دعا

الفعل للاعباية ثم المفعول له على المفعول به لان الالهم مكافئتهم بأنهم على أولك وباطل في شمره وهم ويجوز أن يكون افكأ مفعولا به بمعنى أتريدون افكأكم يفسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على أنها افك في نفسها للباطل أو يراد بها عبادتهم تحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى أو كين (فانظركم رب العالمين) أي بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة وأشركتم به أخس مخلوقاته أو فانظركم به أي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له أندا أو فانظركم به ماذا يفعل بكم وكيف يعا فبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك به (فنظر نظرة في النجوم) قيل كانت له عليه الصلاة والسلام حتى لها نوية معينة في بعض ساعات الليل فنظر ابراهيم هل هي تلك الساعة فاذا هي قد حضرت (فقال اني سقيم) وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل أراد اني سقيم تكفر كم وقيل نظري في علمها أو في كتبها أو في أحكامها ولا يمنع من ذلك حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام ايهاهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام الى معيدهم ليركوه فان النجوم كانوا انجما بين قلوبهم أنه قد استدبل بأماراة

هي قد حضرت (فقال اني سقيم) وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل أراد اني سقيم تكفر كم وقيل نظري في علمها أو في كتبها أو في أحكامها ولا يمنع من ذلك حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام ايهاهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام الى معيدهم ليركوه فان النجوم كانوا انجما بين قلوبهم أنه قد استدبل بأماراة

في علم النجوم على انه سقيم أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب اسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهدر بوايته الى معيدهم وتركوه في بيت الاصنام وذلك قوله تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أي هار بين مخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم) أي ذهب اليها في خفية وأصله الميل بحيلة (فقال) ﴿١٥٠﴾ للاصنام استمراء (ألا تأكلون)

أي من الطعام الذي كانوا يصنعونه عندها أتبعك عليه (مالكم لاتنطقون) أي تجوابي (فراغ عليهم) فقال مستعابا عليهم وقوله تعالى (ضربا باليمين) مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه يعني ضربهم أو فعل مضمهر هو حال من فاعله أي فراغ عليهم يضربهم ضربا وهو الحال منه على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي فراغ عليهم ضاربا باليمين أي ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين أقوى الجوارحين وأشدهما وقوة الآفة تقتضي قوة الفعل وشدة وقيل بالنوة والمنافة كما في قوله

أباه وقومه الى التوحيد فقال اذ قال لا يبه وقومه ماذا تعبدون والمقصود من هذا الكلام تمجيد تلك الطريقة وتبجيحها ثم قال أنفكا آلهة دون الله تريدون قال صاحب الكشاف أنفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دونه أفكا وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الالهة عنده أن يقرر عندهم بانهم على أفك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون أفك مفعول به يعني أتريدون أفكائكم فسر الأفك بقوله آلهة دون الله على انها أفك في أنفسها ويجوز أن يكون حالا بمعنى تريدون آلهة من دون الله أفكين ثم قال فما ظنكم رب العالمين وقبه وجهان (أحدهما) أتظنون رب العالمين انه يجوز جعل هذه الجادات مشاركة في العبادة (وثانيها) أتظنون رب العالمين انه من جنس هذه الاجسام حتى جعلته وها مساوية له في العبودية فبهم بذلك على انه ليس كمثل شئ ثم قال فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم عن ابن عباس انهم كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم على مقتضى عادتهم وذلك انه أراد ان يكابدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من العديوم عبيد يخرجون اليه فأراد ان يتخلف عنهم ليعني خاليا في بيت الاصنام فيقدر على كسرهما وهما سوا الان (الاول) ان النظر في علم النجوم غير جائز فكيف أقدم عليه ابراهيم (والثاني) انه عليه السلام ما كان سقيما فلما قال اني سقيم كان ذلك كذبا واعلم أن العلماء ذكروا في الجواب عنهما وجوها كثيرة (الاول) انه نظر نظرة في النجوم في أوقات الليل والنهار وكانت تأتيه سقامة كالجمي في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هي في تلك الساعة وقال اني سقيم فجعله عندرا في تخلفه عن العيد الذي لهم وكان صادقا فيما قل لان السقم كان يأتيه في ذلك الوقت وانما تخلف لاجل تكسير أصنامهم (الوجه الثاني) في الجواب أن قوم ابراهيم عليه السلام كانوا أصحاب النجوم يعظمونها ويقضون بها على غائب الامور فلذلك نظر ابراهيم في النجوم أي في علوم النجوم وفي معانيه لانه نظر بعينه اليها وهو كما يقال فلان نظر في الفقه وفي النحو وانما أراد أن يوهبهم انه يعلم ما يعلمون ويتعرف من حيث يتعرفون حتى اذا قال اني سقيم سكنوا الى قوله وأما قوله اني سقيم فعناه سأسقم كقوله انك ميت أي سموت (الوجه الثالث) أن قوله فنظر نظرة في النجوم هو قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الى آخر الآيات وكان ذلك النظر لاجل أن يتعرف أحوال هذه الكواكب هل هي قديمة أو محدثة وقوله اني سقيم يعني سقيم القلب غير عارف برى وكان ذلك قبل البلوغ (الوجه الرابع) قال ابن زيد كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم ولاجل هذا الاستقراء لما رآه في ذلك الوقت طساعا على تلك الصفة المخصوصة قال اني سقيم أي هذا السقم واقع لامحالة (الوجه الخامس) أن قوله اني سقيم أي مريض القلب بسبب اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اعلمك باخع نفسك (الوجه السادس) في الجواب اننا لانسلم أن النظر في

عليه الصلاة والسلام به دمار جهوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل علم فظنوا أنه عليه الصلاة والسلام فعلة فأتوا به (يزفون) حال من واوأقبلوا أي يسرعون من زفيف النعام وقرى يزفون من أرف اذا دخل في الزيف أو من أرفه أي حله على الزيف أي يزف بعضهم بعضا ويزفون

على البناء للمفعول أي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حذاه كأن بعضهم يزفون بفضا لتسارعهم إليه عليه الصلاة والسلام (قال) أي بعدما أتوا به عليه الصلاة والسلام وجرى بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم من المحاورات ما نطق به ﴿ ١٥١ ﴾ قوله تعالى قالوا أنت فقلت هذا يا ألهتنا يا إبراهيم إلى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء

علم الجحوم والاستدلال بقايتها حرام لان من اعتقد أن الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بقوة وبخاصية لاجلها يظهر منه أثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس باطل وأما الكذب فغير لازم لانه ذكر قوله اني سقيم على سبيل التعريض بمعنى أن الانسان لا يفتك في أكثر أحواله عن حصول حالة مكروهة اما في بدنه واما في قلبه وكل ذلك سقيم (الوجه السابع) قال بعضهم ذلك القول عن ابراهيم عليه السلام كذبا ورووا فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي أن يقبل لان نسبة الكذب الى ابراهيم لا يجوز فقال ذلك الرجل فكيف يحكم بكذب الرواة العدول قلت لما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى الراوي وبين نسبه الى الخليل عليه السلام كان المعلوم بالضرورة أن نسبه الى الراوي أولى ثم نقول لا يجوز أن يكون المراد بكونه كذبا خبرا شديدا بالكذب (والوجه الثامن) أن المراد من قوله فظن نظر في الجحوم أي نظر في نجوم الاممهم ومترقات أقوالهم فان الاشياء التي تحدث قطعة قطعة يقال انها نجمية أي متفرقة ومثل نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع كلامهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه في التخلف عنهم فلم يجد عذرا أحسن من قوله اني سقيم والمراد انه لا بد من أن أصير سقيما كما تقول لمن رأيت على أوقات السفر انك مسافر واعلم أن ابراهيم عليه السلام لما قال اني سقيم تو لواعنه معرضين فتركوه وعذروه في أن لا يخرج اليوم فكان ذلك مراده فراغ الى آلهتهم يقال فراغ اليه اذا مال اليه في السر على سبيل الخفية ومنه روحان الثعلب وقوله ألا تأكلون يعني الطعام الذي كان بين أيديهم وانما قال ذلك استهزاء بها وكذا قوله ما لكم لا تطعمون فراغ عليهم ضربا فاقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضررهم ضربا لان فراغ عليهم في معنى ضررهم أو فراغ عليهم ضربا بمعنى ضاربا * وفي قوله باليمين قولان (الاول) معناه بالقوة والشدة لان اليمين أقوى الجارحتين (والثاني) انه أنى بذلك الفعل بسبب الخلف وهو قوله تعالى عنه وتالله لا أكيدن أصنامكم ثم قال فاقبلوا اليه يزفون قرأ حزة يزفون بضم الباء والباقون بفتحها وهما لغتان قال ابن عرفة من قرأ بالنصب فهو من زف يزف ومن قرأ بالنضم فهو من أزف يزف قال الزجاج يزفون يسرعون وأصله من زفيف العامة وهو ابتداء عدوها وقرأ حزة يزفون أي يحملون غيرهم على الزفيف قال الاصمعي يقال ازفقت الابل اذا حلتها على أن تزف قال وهو سرعة الخطوة ومقاربة المشي والمفعول محذوف على قراءته كأنهم حلوا دوابهم على الاسراع في المشي فان قيل مقتضى هذه الآية أن ابراهيم عليه السلام لما كسرها عدوا اليه واخذوه وقال في سورة أخرى في عين هذه القصة قالوا من فعل هذا يا ألهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتبذ كرمه يقال له ابراهيم وهذا يقتضى انهم في أول الامر ما عرفوه فبين هاتين الآيتين تناقض قلنا لا يعد أن يقال ان جماعة عرفوه فعدوا اليه مسرعين والاكثر من ما عرفوه فتعرفوا ان ذلك

يتطوقونه (أنهم يدون ما تحبون) ما تحتونه من الاستناد وقوله تعالى والله خلقكم وما تعلمون) حال من فاعل تعبدون مؤكدة لانكار رواته بيح أي والحال أنه تعالى خلقكم وخلق ما تعلمونه فان جواهر أصنامهم ومادتها مخلقة تعالى وشكها وان كان بغيرهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلق ما ينوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد والاسباب وما تعلمون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضعه ضمير ما تحتون لا يبدان بان مخلوقيتها الله عز وجل ليس من حيث نعتهم لها فقط بل من حيث سائر أعمالهم أيضا من التصوير والتحليسة والتزيين ونحوها وما على عمومته فيتنظم الاصنام انتظاما أوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان أن جميع ما يعلمونه كأ ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية أي علمكم على أنه بما

المفعول وقيل بمعنى فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم التوقف على فعلهم أولى بذلك (قالوا ابنو بنيانا فاقوه في الحميم) أي في النار الشديدة الاتقاد من الحميم

وهي شدة التاج واللام عوض من المضاف اليه أي حرم ذلك البيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء (فأرادوا به كيدا) فانه عليه الصلاة والسلام لما قهرهم بالحجة والله بهم الحجة فصدوا ما قصدوا والتلايطهر للامة عجزهم (فجعلنا هم الاسفلين) الاذنين باطل كيدهم وجعله برهاننا برهاننا على علو ﴿ ١٥٢ ﴾ شأنه عليه الصلاة والسلام يجعل النار

عليه برادوسلاما (وقال اني ذاهب الي ربي) أي مهاجر الي حيث أمرني ربي كما قال اني مهاجر الي ربي وهو الشام أو الي حيث أتجد فيه لعبادته تعالى (سيهدين) أي الي ما في صلاح ديني أو الي من تصدىق وبت القول بذلك لسبق الوعد وافرط توكله أو البناء على عبادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل وقلنا أتني بصيغة التوقيع (رب هب لي من الصالحين) أي بعض الصالحين يعني على الدعوة والطاعة ويونس في العربة يعني الولدان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وقوله تعالى (فبشرناه بالام حليم) فانه صريح في أن المبشر به عين ما استوهبه عليه الصلاة والسلام وقد جمع فيه بشارات ثلاث

الكاسر من هو والله أعلم * قوله تعالى (قال أتعبدون ما تحتون والله خللكم وما تعملون قالوا ابناؤه بنينا ناطقوه في الحجيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الي ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بعلام حليم) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم أن اقواما عاتبوا ابراهيم على كسر الاصنام فهم وأيضا ذكر ابراهيم الدليل الدال على فساد المصير الي عبادتها فقال أتعبدون ما تحتون والله خللكم وما تعملون ووجد الاستدلال ظاهرا وهو الخشب والحجر قبل التخت والاصلاح ما كان معبود اللانسان البتة فاذا تختمه وشكاه على الوجه المخصوص لم يحدث فيه الا آثار تصرفه فلو صار معبودا عند ذلك لكان معناه ان الشيء الذي ما كان معبودا لما حصلت آثار تصرفاته فيه صار معبودا عند ذلك وفساد ذلك معلوم بديمه العقل (المسئلة الثانية) احتج جمهور الاصحاب بقوله والله خللكم وما تعملون على أن فعل العبد مخوق لله تعالى فقالوا المخوقون اتفقوا على أن لفظ مامع مابعد في تقدير المصدر فتوله وما تعملون معناه وعملكم وعلى هذا التقدير صار معنى الآية والله خلقكم وخلق عملكم فان قيل هذه الآية يجب عليكم من وجوه (الاول) انه تعالى قال أتعبدون ما تحتون اضافة العبادة والتخت اليهم اضافة الفعل الي الفاعل ولو كان ذلك واقعا بتخنيق الله لاستحجال كونه زعلا للعبد (الثاني) انه تعالى انما ذكر هذه الآية تو يخالفهم على عبادة الاصنام لانه تعالى بين انه خالقهم وخالق تلك الاصنام والخالق هو المستحق للعبادة دون المخنوق فلما تركوا عبادته سبحانه وهو خالقهم وعبدوا الاصنام لاجرم انه سبحانه وتعالى وبخهم على هذا الخطا العظيم فقال أتعبدون ما تحتون والله خللكم وما تعملون او لم يكونوا فاعلين لافعالهم لما جاز تو يخالفهم عليها سلنا أن هذه الآية ليست جده عليكم لكن لانفسنا انها جده لكم قوله لفظة مامع مابعد في تقدير المصدر قلنا هذا ممنوع وبيانه أن سيويوه والاختفش اختلاف في أنه هل يجوز أن يقال أعجبتني ماقت أي قيامك فجوزه سيويوه ومنعه الاختفش وزعم أن هذا لا يجوز الا في الفعل المتعدي وذلك يدل على أن مامع مابعد في تقدير المفعول عند الاختفش سلنا أن ذلك قد يكون بمعنى المصدر لكنه أيضا قد يكون بمعنى المفعول ويدل عليه وجوه (الاول) قوله أتعبدون ما تحتون والمراد بقوله ما تحتون المنحوت لانتمعت لانهم ما عبدوا التخت وانما عبدوا المنحوت فوجب أن يكون المراد بقوله ما تعملون المفعول لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين على وفق الآخر (والثاني) انه تعالى قال فاذا هي تلقف ما يا فكون وايس المراد انها تلقف نفس الافك بل أراد العصي والحبال التي هي متعلقات ذلك الافك فكذا ههنا (الثالث) أن العرب تسمى محل العمل عملا يقال في الباب وانحتم هذا عمل فلان والمراد محل عمله فثبت بهذه الوجوه الثلاثة أن لفظة مامع مابعدا كما تجي بمعنى المصدر بفتح نجي أيضا بمعنى المفعول فكان حله ههنا على المفعول أولى لان المقصود في هذه الآية تزييف مذهبهم في

بشارة أنه خللا وأنه يبلغ أو ان الحلم وأنه يكون حليما وأي حليما عدل حله عليه الصلاة والسلام حين عرض عليه (عبادة) أبوه الذبح فقال يا أبت افعل ما توأمر سجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام بأقل مما نعتهم بالحلم العزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وسالهما المحكمة بعد اعدل بينة بذلك والقاه في قوله تعالى

(فما بلغ معه السعي) فصيحة معرفة عن مقدر ﴿١٥٣﴾ قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايدنا بعدم الحاجة

الى التصريح بالاستحالة
المحذوف والتأخر بعد
البشارة كما مر في قوله
تعالى فلما رأته أكبرته
وفي قوله تعالى فلما رآه
مستقرا عند أي فوهبناه له
فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعي
معه في أشغاله وحوادثه
ومعه متعلق بمحذوف
يبني عند السعي لانفسه
لان صلة المصدر لاتقدمه
ولا يباع لان بلوغهما
لم يكن معا كما أنه لما ذكر
السعي قبل مع من فقيل
معه وتخصيصه لان
الابأكل في الرزق
والاستصلاح فلا
يستسعيه قبل أو انه
أولانه استوهبه لذلك
وكان له يومئذ ثلاث
عشرة سنة (قال) أي
ابراهيم عليه السلام
(يا بني اني ارى في المنام
اني اذبحك) أي ارى
هذه الصورة بعينها
أوما هذه عبارته وتأويلها
وقيل انه رأى ليلة
التوبة كأن قائلا يقول
ان الله يأمرك بالذي
هذا فلما أصبح روى
في ذلك من الصباح الى
الروح أمن الله هذا الخ

عبادة الاصنام لا بيان انهم لا يوجدون افعال أنفسهم لان الذي جرى ذكره في اول
الآية الى هذا الموضع هو مسألة عبادة الاصنام لخلق الاعمال واعلم ان هذه السؤالات
قوية وفي دلائلنا كثيرة فالاولى ترك الاستدلال بهذه الآية والله أعلم واعلم ان ابراهيم عليه
السلام لما أورد عليهم هذه الحجبة القوية ولم يقدر واعي الجواب علموا الى طريق الايداء
فقالوا اينواله بنيانا واعلم ان كيفية ذلك البناء لا يدل عليها لفظ القرآن قال ابن عباس
بنوا حانطامن حجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا
فطرحوه فيها وذلك هو قوله تعالى فألقوه في الحجر وهي النار العظيمة فان الزجاج كل نار
بعضها فوق بعض فهي حميم والالف واللام في الحميم يدل على النهاية والمعنى في حميمه أي
في حميم ذلك البيان ثم قال تعالى فارادوا به كيدا فاجعلناهم الاسفلين والمعنى ان في وقت
الحاجة حصلت الغلبة له وعند ما ألقوه في النار صرف الله عنه ضرر النار فسار هو
الغالب عليهم واعلم انه لما انقضت هذه الواقعة قال ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين
ونظير هذه الآية قوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ادلت
هذه الآية على أن الموضع الذي تكثرت فيه الاعداء يجب مهاجرته وذلك لان ابراهيم
صلوات الله عليه وسلامه مع ان الله سبحانه خصه بأعظم أنواع النصر لما أحسن منهم
بالعداوة الشديدة مهاجر من تلك الديار فلان يجب ذلك على الغير كل أولي (المسئلة الثانية)
في قوله اني ذاهب الى ربي قولان (الاول) المراد من ذاهب منارة تلك الديار والمعنى اني ذاهب
الى مواضع دين ربي (والقول الثاني) قال الكلبي ذاهب بعبادتي الى ربي فعلى القول
الاول المراد بالذهاب الى الرب هو الهجرة من الديار وبه اقندى موسى حيث قال كلا ان
عبي ربي سيهدين وعلى القول الثاني المراد رعاية احوال القلوب وهو ان لا يأتي شيء من
الاعمال الا لله تعالى كما قال وجهت وجهي الذي فطر السموات والارض قبل ان يقول
الاول اولي لان المقصود من هذه الآية بيان مهاجرته الى أرض الشام وأيضا يدخله
على الهداية في الدين لانه كان على الدين في ذلك الوقت الا أن يحمل ذلك على التيات عليه
أو يحمل ذلك على الاهتداء الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في أمر الدين (المسئلة
الثالثة) قوله سيهدين يدل على ان الهداية لا تحصل الا من الله تعالى كما يقول أصحابنا ولا
يمكن حل هذه الهداية على وضع الاداة وازاحة الاعتذار لان كل ذلك قد حصل في الزمان
الماضي وقوله سيهدين يدل على اختصاص تلك الهداية بالاستقبال فوجب حل الهداية
في هذه الآية على تحصيل العلم والمعرفة في قلبه فان قيل ابراهيم عليه السلام جزم في هذه
الآية بأنه تعالى سيهديه وان موسى عليه السلام لم يجزم به بل قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل فالفرق قلنا العبد اذا تجل له مقامات رحمة الله فقد يجزم بحصول المقصود
واذا تجل له مقامات كونه غنيا عن العالمين فحينئذ يستحقر نفسه فلا يجزم بل لا يظهر
الالرجاء والطمع (المسئلة الرابعة) قوله تعالى اني ذاهب الى ربي يدل على فساد تسك

أم من الشيطان فن ثمة سعى يوم التوبة فلما ﴿٢٠﴾ سا أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى
فن ثمة سعى يوم عرفه ثم

قال اذن هو ذبيح الله
فلما ولد وبلغ حد السعي
سعد قبيله ابريق بندرك
* والاطهار الاشهر ان
المخاطب اسمعيل عليه
السلام اذ هو الذي وهب
أمر المهاجرة ولان ايشارة
باصحق بيده معطوف
على ايشارة هذا الغلام
ولقوله عليه الصلاة
والسلام ان ابن الدايحين
فأحدهما جسد اسمعيل
عليه السلام والاخر أبوه
عبدالله فان عبدا المطالب
تذرا ان يذبح واسا ان سهل
الله تعالى له حفر بئر زمزم
أو بلغ بنوه عشرة فلما
حصل ذلك وخرج
السهم على عبد الله فداه
بمائة من الغنبل وانك
سنت المدينة مائة ولان
ذلك كان بمكة وكان
قرنا الكيش معلقين
بالكمة حتى احترقا في
أيام ابن الزبير ولم يكن
اسحق ثمة ولان ايشارة
اسحق كانت مقرونة
بولادة يعقوب منه فلا
يناسبه الامر بذبحة
مراهقا وما روى أنه عليه
الصلاة والسلام مثل أي
النسب أشرف فقال

المشبهة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب لان كلمة الى موجودة في قبيله ابي ذاهب الى
رقي مع انهم لم يزلوا أن يكون الاله موجودا في ذلك المكان فكذلك ههنا واعلم انه صلوات
الله عليه لما هاجر الى الارض المقدسة أراد ان ولد فقال هب لي من الصالحين أي هب لي
بعض الصالحين يريد ان ولد لان لفظ الهه يغلب في النولد وان كان قد جاء في الخ في قوله
تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا
له يحيى وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين هناه بولده على أبي الاملاك
شكرت الواهب وبورك لك في الوهب وذلك وقت التسمية بهبة لله تعالى وبهبة
الرواح وبه هرب ووهب واعلم ان هذا السمع اشتغل على ثلاث اشياء هي ان الولد
غلام ذكر بانه يبلغ الحلم وان يكون حلما وأي حلم يكون أعظم من ولد حين عرض
عليه أبو الذبح قال سمعني ان شاء الله بن الصابرين ثم استسلم لذلك وايضا قال ابراهيم
عليه السلام كان موصوفا بالحلم قال تعالى ان ابراهيم لاواه حلیم ان ابراهيم
حلیم اواه متيب فيمن اراد موصوف بالحلم بانه قائم مقامه في صفات الشرف والفضيلة
واعلم ان الصلاح أفضل الصفات بدليل ان الخليل عليه السلام طلب الصلاح لنفسه
فقال رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين وطلبه لاولاد فقال هب لي من الصالحين وطلبه
سليان عليه السلام بعد كان د رجته في الدين والدنيا وأدخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وذلك يدل على ان الصلاح أشرف مقامات العباد * قوله تعالى (فلما بلغ معه السعي
قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني
ان شاء الله من الصابرين فلما أسأله وولته للجبين ونادى به ان يا ابراهيم قد صدقت الروايات
كذلك تجرى المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتر كناه عليه في الآخريين
سلام على ابراهيم كذلك تجرى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسمحق نبيا من
الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريةهما محسن وظالم لنفسه مبين) اعلم انه
سبحانه وتعالى لما قال في بشرناه بغلام حلیم ابعده ما يدل على حصول ما بشر به وبلوغه فقال
فلما بلغ معه السعي ومعناه فلما أدرك وبلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي وقوله معه في
موضع الحال والتقدير كأننا معه والقائدة في اعتبار هذا المعنى ان الاب ارفق الناس
باولاد وغيره بما عطف به في الاستسعاء فلا يَحتمل له لانهم لم تستحكم قوته قال بعضهم كان في
ذلك الوقت ابن ثلاث عشرة سنة والمقصود من هذا الكلام ان الله تعالى لما وعده في الآية
الاولى بكون ذلك الغلام حلما بين في هذه الآية ما يدل على كمال حلمه وذلك لانه كان به من
كمال الحلم وفسحة الصدر ما قواه على احتمال تلك البلية العظيمة والاتبان بذلك الجواب
الحسن اما قوله اني أرى في المنام اني أذبحك فقيه مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير هذه
اللفظة وجهان (الاول) قال السدي كان ابراهيم حين بشر باسمحق قبل ان يولده قال
هو اذن لله ذبيح فقبل ل ابراهيم قد نذرت نذرا فف بندرك فلما أصبح قال يا بني اني أرى في

المنام انى اذبحك وروى من طريق آخر انه رأى ليلة التروية فى منامه كأن قاذلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سعى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فسمى يوم عرفته ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى يوم النحر فهذا هو قول أهل التفسير وهو يدل على أنه رأى فى المنام ما يوجب أن يذبح ابنه فى اليقظة وعلى هذا فقد بر اللفظ انى رأى فى المنام ما يوجب أن أذبحك (واقول الثانى) انه رأى فى المنام انه يذبحه ورؤيا الانبياء عليهم السلام من باب الرضى وعلى هذا القول فالرؤى فى المنام ليس الا انه يذبح فان قيل اما أن يقال انه ثبت بالدليل عند الانبياء عليهم السلام ان كل مارأه فى المنام فهو حق حجة أو لم يثبت ذلك بالدليل عندهم فان كان الاول فمراجعة الولد فى هذه الواقعة يدل كان من الواجب عليه أن يشتغل بتحصيل ذلك اما مور وان لا يرجع لولد فيه وان لا يقول له فانظر ماذا ترى وان لا يوقف العمل على أن يقول ادا ولد فعل مات مؤمرا وأيضا فقد قلتم انه بقى فى اليوم الاول متفكرا وان ثبت عنده بالدليل ان كل مارأه فى النوم فهو حق لم يكن الى هذا التوى والتفكر حاجة وان كان الثانى وهو انه لم يثبت بالدليل عندهم ان ما يروونه فى المنام حق فكيف يجوز له أن يقدم على ذبح لئك الطفل بغير دروئنا لم يدل الدليل على كونها حاجة (والجواب) لا يبعد أن يقال انه كان عند الرؤيا مترددا فيه ثم تأكدت الرؤيا بالوحى الصريح والله أعلم (المسئلة الثانية) اختلفوا فى ان هذا الذبيح من هو فقيل انه اسحق وهذا قول عمرو بن عيسى والعباس بن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الاحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهرى والسدى ومقاتل رضى الله عنهم وقيل انه اسمعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي واحج القائلون بأنه اسمعيل بوجوده (الاول) ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انان ان ابيحيز وقال انا اسراى بالابن الذبيحين باسم ثم قيل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر من بئر الله لئن سهال الله له أسرها ليدبحن أحولده فخرج السهم على عبد الله فبعده أخواله وقأواله اقدانك بائنة من الابل ففداء بمائة من الابل والذبيح الثانى اسمعيل (الحجة الثانية) نقل عن الاصمعى انه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعى ابن عمك وسى كان اسحق بكة وانما كان اسمعيل بكة والذى بنى البيت مع أبيه والنحر بكة (الحجة الثالثة) ان الله تعالى وصف اسمعيل بالصبر دون اسحق فى قوله واسمعيل والبسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه أيضا بصدق الوعد فى قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به (الحجة الرابعة) قوله تعالى فبشرناها باسمحق ومروراه اسحق يعقوب فنقول لو كان الذبيح اسحق لكان الأمر بذبحه اما أن يقع قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك (فالاول) باطل لانه تعالى لما بشرها باسمحق وبشرها

يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ انى يفتح الياء فيهما (فانظر ماذا ترى) من الرأى وانما شاوره فيه وهو أمر محتوم يعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سام وابو وطن نفسه عليه فيهبون ويكتسب المئوية عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا ترى بضم ألتاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول (قال يا ابت افعل ما تؤمر) أى تؤمر به فعنف الجار أو لا على المساعدة المطردة ثم حذق العائد الى الموصول بعد انعلا به منصوبا باسماله الى الفعل أو حذفا دوعدا أو افعل أمر كعلى اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به أمر أو قرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على أن الأمر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به (سجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح أو على قضاء الله

تعالى (فلا أسليا) أى استسلا لأمر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لأمر الله وأسلم

واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا وأصلها ﴿ ١٥٦ ﴾ من قولك سلم هذا الغلان اذا خلاص له ومعناه

معناه بأنه يحصل منه يعقوب فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الامر بذبحه والا حصل الخلف
في قوله ومن وراء اسحق يعقوب (والثاني) باطل لان قوله فلما بلغ معه السعي قال يا بني
اني ارى في المنام اني اذبحك يدل على ان ذلك الابن لما قدر على السعي ووصل الى حد
القدرة على الفعل امر الله تعالى ابراهيم بذبحه وذلك بنا في وقوع هذه القصة في زمان
آخر وثبت انه لا يجوز أن يكون الذبيح هو اسحق (الحجة الخامسة) حكى الله تعالى عنده
قال اني ذاهب الى ربي سيهدين ثم طلب من الله تعالى ولذا استأنس به في غريته فقال رب
هب لي من الصالحين وهذا السؤال انما يحسن قبل ان يحصل له الولد لانه لو حصل له ولد
واحد لما طلب الولد الواحد لان طلب المتماثل محال وقوله هب لي من الصالحين لا يفيد
الاطلب الولد الواحد وكلمة من التبعية واقل درجات البعوضة الواحد فكان قوله من
الصالحين لا يفيد الاطلب الولد الواحد فثبت ان هذا السؤال لا يحسن الا عند عدم كل
الاولاد فثبت ان هذا السؤال وقع حال طلب الولد الاول وأجمع الناس على ان اسمعيل
متقدم في الوجود وعلى اسحق فثبت ان المطلوب بهذا الدعاء هو اسمعيل ثم ان الله تعالى ذكر
عقبيه قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح هو اسمعيل (الحجة السادسة) الانبياء والكثيرة
في تعليق قرن الكلب بالكعبة وكان الذبيح بمكثوا وكان الذبيح اسحق لكان الذبيح
باشام وحين من قال ان ذلك الذبيح هو اسحق بوجهين (الوجه الاول) ان اول الآية
وأخرها يدل على ذلك اما اولها فانه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام قبل هذه الآية انه
قال اني ذاهب الى ربي سيهدين وأجمعوا على أن المراد منه مهاجرته الى الشام ثم قال
في بشرناه بسلام حلیم فوجب أن يكون هذا الغلام اسما للاسحق ثم قال بعده فلما بلغ معه
السعي وذلك يقتضي أن يكون المراد من هذا الغلام الذي بلغ معه السعي هو ذلك الغلام
الذي حصل في الشام فثبت ان مقدمة هذه الآية تدل على أن الذبيح هو اسحق واما آخر
الآية فهو أيضا يدل على ذلك لانه تعالى لما تم قصة الذبيح قال بعده و بشرناه باسمحق نبيا
من الصالحين ومعناه انه بشره بكونه نبيا من الصالحين وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك
القصة يدل على انه تعالى انما بشره بهذه النبوة لاجل انه تحمل هذه الشدائد في قصة الذبيح
فثبت بما ذكرنا ان اول الآية وأخرها يدل على أن الذبيح هو اسحق عليه السلام (الحجة
الثانية) على صحة ذلك ما اشتهر من كتاب يعقوب الى يوسف عليه السلام من يعقوب اسراييل
نبي الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فهذا جملة الكلام في هذا الباب وكان
الزجاج يقول الله أعلم أيهما الذبيح والله أعلم واعلم انه يتفح على ما ذكرنا اختلافهم في
موضع الذبح فالذين قالوا الذبيح هو اسمعيل قالوا كان الذبيح بمكثوا والذين قالوا انه
اسحق قالوا هو باشام وقيل بيت المقدس والله أعلم (المسئلة الثالثة) اختلف الناس في
ان ابراهيم عليه السلام كان أمورا بهذا بما رأى وهذا الاختلاف مفرع على مسئلة
من مسائل أصول الفقه وهي انه هل يجوز نسخ الحكم قبل حضور مدة الامتثال فقال
أكث أصحابنا انه يجوز وقالت المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية انه لا يجوز

سلم من أن ينازع فيه
وقولهم سلم لامر الله
وأسلم له منقولان منه
ومعناهما أخلص نفسه
لله وجعلها سالمة له وكذلك
معنى استسلم استخلص
نفسه له تعالى وعن قتادة
رضي الله عنه في أسلم أسلم
ابراهيم ابنه واسمعيل
نفسه (وتله للجبين)
صرعه على شفة فوق
جبينه على الارض وهو
أحد جانبي الجبهة وقيل
كبه على وجهه باشارته
كيلا يرى منه ما يورث
رقعة تحول بين وبين
أمر الله تعالى وكل ذلك
عند الصخرة من منى
وقيل في الموضع المشرف
على مسجد منى وقيل في
المحر الذي يحرم اليوم
فيه (وناديتاه أن يا
ابراهيم قد صدقت
الرويا) بالعزم على
الايقان بالأمسور به
وترتيب مقدماته وروى
أنه أمر السكين بقوته
على حلقه مرارا فلم
يقطع ثم وضع السكين
على فقهه فانقلب السكين
فعمد ذلك وقع النداء
وجواب لما منحوف
اذا نأ بعدم وفاء التعبير

فعلى القول الاول انه سبحانه وتعالى امره بالذبح ثم انه تعالى نسخ هذا التكليف قبل حضور وقته وعلى القول الثاني انه تعالى ما أمره بالذبح وانما أمره بتقديم الذبح وهذه مثله شريفة من مسائل باب النسخ واخرج أصحابنا على انه يجوز نسخ الامر قبل مجئ مدة الامتثال بأن الله تعالى أمر ابراهيم عليه السلام بالذبح وادبتم انه تعالى نسخ ذلك قبل اقدمه عليه وذلك بقدم المطنوب انما قلنا انه تعالى امره بالذبح الواسو وجيبين (الاول) انه عليه السلام قال لولده انى ارى في المنام انى اذبحك فقال لولدا فاعل ما تؤمر به وهذا يدل على انه عليه السلام كل ما موراً بتقديم الذبح لا بنفس الذبح ثم انه أتى بتقديم الذبح وأدخلها في الوجود فحينئذ يكون قد أمر بشئ وقد أتى به وفي هذا الموضع لا يحتاج الى الفداء لكنه احتاج الى الفداء بدليل قوله تعالى وفديناه بالذبح عظيم فدل هذا على انه أتى بالأمور به وقد ثبت انه أتى بكل مقدمات الذبح وهذا يدل على انه تعالى كان قد أمره بنفس الذبح اذا ثبت هذا فنقول انه تعالى نسخ ذلك الحكم قبل اثباته وذلك يدل على المقصود ووقات المعترلة لاننا نعلم ان الله أمره بالذبح والولد بل نقول انه تعالى أمره بتقديم الذبح ويدل عليه وجوه (الاول) انه ما أتى بالذبح وانما أتى بتقديم الذبح ثم ان الله تعالى أخبر عنه بأنه أتى بما أمر به بدليل قوله تعالى وناديته ان ابراهيم قد صدقت الروايات وذلك يدل على انه تعالى انما أمره في المنام بتقديم الذبح لا بنفس الذبح وذلك المقدمات عبارة عن اضجاعه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح على الاتية بذلك الفعل ان ورد الامر الثاني) الذبح عبارة عن قطع الحاقوم فدل ابراهيم عليه السلام قطع الحاقوم الا انه كلما قطع جزءاً اعاد الله التأليف اليه فلهذا السبب لم يحصل الموت (والوجه الثالث) وهو الذى عليه تعويل القوم انه تعالى اوامر شخصاً معيناً بيقاع فعل معين في وقت معين فهذا يدل على ان يقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت حسن فذاتها عنه فذلك انتهى يدل على ان يقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت قبيح فلو حصل هذا انتهى عقيب ذلك الامر لزم أحد أمرين لانه تعالى ان كان عالماً بحال ذلك الفعل لزم ان يقال انه أمر بالقبض أو نهى عن الحسن وان لم يكن عالماً به لزم جهل الله تعالى وانه محال فهذا تمام الكلام في هذا الباب (والجواب) عن الاول انما قد دللتنا على انه تعالى انما أمره بالذبح اما قوله تعالى قد صدقت الروايات فهذا يدل على انه اعترف بكون تلك الروايات واجبة العمل بها ولا يدل على انه أتى بكل ما رآه في ذلك المنام واما قوله ثانياً كلما قطع ابراهيم عليه السلام جزءاً أعاد الله تعالى التأليف اليه فنقول هذا باطل لان ابراهيم عليه السلام لو أتى بكل ما أمر به لما احتاج الى الفداء وحيث احتساج اليه علمنا انه لم يأت بما أمر به واما قوله ثالثاً انه يلزم اما الامر بالقبض واما الجهل فنقول هذا بناء على ان الله تعالى لا يأمر الا بما يكون حسناً في ذاته ولا ينهى الا عما يكون قبيحاً في ذاته وذلك بناء على تحسين العقل وتقييده وهو باطل أيضاً فثبت اننا نعلم ذلك الا اننا نقول لم لا يجوز ان يقال ان الامر بالثبتي

أحد الله واطهار فضلها بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك (انما كذلك تجرى المحسنين) تعليل لتفريج تلك الكربة باحسانها واحتج به من جوز بالنسخ قبل وقوع الأمور به فانه عليه الصلاة والسلام كان ما ورا بالذبح لقوله تعالى اقل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا هو البلاء المبين) الابتلاء الين الذي يتميز به الخالص عن غيره أو المحنة البينة الصعوبة أو الاشياء أصعب منها (وقديناه بالذبح) بما يدل به فيتم به الفعل (عظيم) أى عظيم الجثة سمعياً أو عظيم القدر لانه يفدى به الله نبياً ابن نبي وأبى نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشاً من الجنة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه الكبش الذى قر به هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به اسمعيل عليه السلام

وقيل فدى بوعلى أهبط عليه من ثبير وروى انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقى سنة في الرمي وروى انه رمى الشيطان

فقال الذبيح لا اله الا الله
والله أكبر فقال ابراهيم
الله أكبر والله الحمد فبقى
سنة والغادي في الحقيقة
هو ابراهيم وانما قيل
وفديناه لانه تعالى هو
المعطى له والآمر به على
التجوز في الفداء والاستناد
(وتركنا عليه
في الآخريين سلام على
ابراهيم) فدل على بيانه
في خاتمة قصة نوح
عليه السلام (كذلك
نجي المحسنين) ذلك
اشارة الى ابقاء ذكره
الجليل فيما بين الامم
لا الى ما اشير اليه فيما سبق
فلا تكرار وعدم تصدير
الجملة بالانطلاق
بما مر آنفا (انه من عبادنا
المؤمنين) الراسخين
في الايمان على وجه
الايقان والاطمئنان
(وبشرناه باسحق نبيا
من الصالحين) أي
مقضى بانيبوته مقدر اكونه
من الصالحين وبهذا
الاعتبار وقما حائين
ولا حاجة الى وجود
المبشر به وقت البشارة
فان وجود ذى الحال
ليس بشرط وانما الشرط

تارة يحسن اكون المأمور به حسنا وتارة لاجل ان ذلك الامر يفيد صحة مصلحة من
المصالح وان لم يكن المأمور به حسنا ألا ترى ان السيد اذا أراد أن يروض عبده فانه يقول
له اذا جاء يوم الجمعة فافعل الفل الفلاني و يكون ذلك الفعل من الافعال الشاقة ويكون
مقصود السيد من ذلك الامر ليس أن يأتي ذلك العبد بذلك الفعل بل أن يوطن العبد
نفسه على الانقياد والطاعة ثم ان السيد اذا علم منه انه وطن نفسه على الطاعة فقد يزيل
عنه ذلك التكليف فكذا ههنا فإلما تقيوا الدلالة على فساد هذا الاحتمال لم يتم كلامكم
(المسئلة الرابعة) اخبر أصحابنا بهذه الآية على ان الله تعالى قد يأمر بما لا يريد وقوعه
والدليل عليه انه أمر بالذبح وما أراد وقوعه أمانته أمر بالذبح فلما تقدم في المسئلة الاولى
وامانته ما أراد وقوعه فلا نعتدنا ان كل ما أراد الله وقوعه فانه يقع وحيث لم يقع هذا
الذبح علمنا انه تعالى ما أراد وقوعه واما عند المعتزلة فلان الله تعالى نهي عن ذلك الذبح
والنهي عن الشيء يدل على ان الناهي لا يريد وقوعه فثبت انه تعالى أمر بالذبح وثبت انه
تعالى ما أراد و ذلك يدل على ان الامر قد يوجد بدون الارادة وتتمام الكلام في ان الله تعالى
أمر بالذبح ما تقدم في المسئلة المتقدمة والله أعلم (المسئلة الخامسة) في بيان الحكمة في
ورود هذا التكليف في النوم لاني ايقظة وبيانه من وجوه (الاول) ان هذا التكليف
كان في نهاية المشقة على الذائم والمذبوح فورد أولاً في النوم حتى يصير ذلك كالنسيان لورود
هذا الكليف الشاق ثم يتأكد حال النوم بأحوال اليقظة فينسى لا يحجم هذا
التكليف دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً (الثاني) ان الله تعالى جعل رؤيا الانبياء عليهم السلام
حقاً قال تعالى في حق محمد صلى الله عليه وسلم لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام وقيل عن يوسف عليه السلام اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين وقال في حق ابراهيم عليه السلام اني ارى في المنام أني اذبحك
والفصد من ذلك تقوى بالدلالة على كونه صادقين لان الحاصل اما حال يقظة واما حال
منام فاذن تظاهرت الختان على الصدق كما ذلك هو النهاية في بيان كونهم محققين صادقين
في كل الاحوال والله أعلم ثم نقول مقامات الانبياء عليهم السلام على ثلاث أقسام منها
ما يقع على وفن الرواية كافي فوله تعالى في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم لتدخلن المسجد
الحرام ثم وقع ذلك الشيء بعينه ومنها ما يقع على الضد كافي حق ابراهيم عليه السلام فانه
رأى الذبيح وكان الحاصل هو الفداء والنجاة ومنها ما يقع على ضرب من التأويل والمناسبة
كافي رؤيا يوسف عليه السلام فلهذا السبب أطبق أهل التعبير على أن المنامات واقعة
على هذه الوجوه الثلاثة (المسئلة السادسة) قرأ حرة والكسائي ترى بضم التاء وكسر
الراء أي ما ترى من نفسك من الصبر والتسليم وقبل ما تشير والباقون بفتح التاء ثم منهم من
يحمل ومنهم من لا يحمل (المسئلة السابعة) الحكمة في مشاورة الان في هذا الباب أن يطلع
ابن على هذه الواقعة يظهر له صبره في طاعة الله فتكون فيه قرعة عين ل ابراهيم حيث يراه قد

مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه ﴿ بلغ ﴾
بوجود اسحق أي بأن يوجد اسحق

نبيامن الصالحين ومم ذلك لا يصيه نظير قوله ﴿ ١٥٩ ﴾ تعالى فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم

وقت الدخول واسحق
عليه السلام لم يكن
متصدرا نبوة نفسه
وصلاحيها حين ما يوجد
ومن فسر الغلام باسحق
جعل المقصود من البشارة
نبوته عليه الصلاة
والسلام وفي ذكر اصلاح
بعد النبوة تمظيم اسائه
وايماء الى انه اغايبها
لتضعفها معنى الكمال
والتكميل بانفعل على
الاطلاق (وباركنا
عليه) على ابراهيم في
اولاده (وعلى اسحق)
بان اخرجنا من صلبه
انبياء بني اسرائيل
وغيرهم كايوب وشعيب
عليهم السلام او افضنا
عليهم سائر كات الدين
والدنيا وقرى وباركنا
(ومن ذريتهما محسن)
في عمله اول نفسه بالايان
والطاعة (وظالم لنفسه)
بالكفر والمعاصي (مبين)
ظاهر ظلمه وفيه تنبيه
على ان النسب لا تأثيره
في الهداية والضلال
وان الظلم في اعقابهما
لا يعود اليهما بقبصة
ولا عيب (واقدمنا على
موسى وهرون) أي اذعننا

بلغ في الحلم الى هذا الحد العظيم وفي الصبر على أشد المكاره الى هذه الدرجة العالية
ويحصل ثلاث الثواب العظيم في الآخرة والثناء الحسن في الدنيا ثم انه تعالى حكى عن ولد
ابراهيم عليه السلام انه قال أفقر ما توأمر ومعناه أفقر ما توأمر به لحذف الجار كما حذف
من قوله أمرتك الخيرة ففعل ما أمرت ثم قال سجدني ان شاء الله من الصائرين وانما عاق
ذاك بمشيئة الله تعالى على سبيل البرك والتمين وانه لا حول عن معصية الله الا بصحة الله
ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى فلما أسلموا قال سلام الله وأسلم واستسلم
بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا تقاد له وخضع وأصلهما من قولك سلم هذا القلان ذا
خلص له ومعناه سلم من أئنيار ع فيه وقواهم سلم لامر الله وأسلمه متقولان عند الهمزة
وحقيقة معناها أخلص نفسه لله وجعلها سائنة له خاصة وكذلك معنى استسلم استخلص
نفسه لله وعن قيادة في أسلم هذا البند وهذا نفسه ثم قال تعالى وتله لجبين أي صرعه
على شقه فوق أحد جبيني على الارض وللوجه جبينان والجهة بينهما قال الاعرابي
النيل والمنول المصروع والمثل الذي يتل به أي يصرع فالتعني انه صرعه على جبينه وقال
مقاتل كبه على جبهته وهذا خطأ لار الجبين غير الجهة * ثم قال تعالى وتناديتاه أن يا ابراهيم
قد صدقت الرويا وفيه قولان (الاول) ان هذا جواب فلما عند الكوفيين والفراء والواو
زائدة (والقول الثاني) أن عند البصريين لا يجوز ذلك والجواب مقدر والتقدير فلما فعل
ذلك ونادا الله أن يا ابراهيم قد صدقت الرويا بسعادة عظيمة وآتاه الله نبوة وادبه وأجرل
له الثواب قالوا وحذف الجواب ليس بغير في القرآن والقائدة فيدانه اذا كان محذوفا
كان أعظم وأنعم قال المفسرون لما أضجعه للذبح نودي من الجبل يا ابراهيم قد صدقت
الرويا قال المحققون السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابراهيم لتكاليف الله تعالى فلما
كلفه الله تعالى بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال
الطاعة والانقياد لاجرم قال قد صدقت الرويا يعني حصل المقصود من تلك الرويا وقوله
انا كذلك تجزى المحسنين ابتداء اخبار من الله تعالى وليس يتصل بما تقدم من الكلام
والمعنى أن ابراهيم وولده كانوا محسنين في هذه الطاعة فكما جزىنا هذين المحسنين فكذلك
تجزى كل المحسنين * ثم قال تعالى ان هذا هو البلاء المبين أي الاختيار بين الذي تجزى فيه
المخلصون من غيرهم والمحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها وفتديناه بذبح عظيم
الذبح مصدر ذبحت والذبح أيضا ما يذبح وهو المراد في هذه الآية وههنا مباحث تتعلق
بالحكيات (فالاول) حكى في قصة الذبح ان ان ابراهيم عليه السلام لما أراد ذبحه قال
يا بني خذ الخبل والمديقة وانطلق بنا الى الشعب فخطب فلما توسط الشعب ثبيرا أخبره بما أمر به
فقال يا أبت اشدد باطمي في كي لا اضطرب واكف عني ثبايك لا ينتضح عليها شئ من دمي
فترأى أمي فتعزى واستمد شفرتك وأسرع امرارها على حلق لي يكون أهون فان الموت شديد
واقرا على أمي سلامي وان رأيت ان ترد قبضي على امي فافعل فانه عسى أن يكون أمهل

عليهما بالنبوة وغيرهما من التيم الدينية والدينية (ونجيناهما وقومهما) وهم بنو اسرائيل (من الكرب العظيم) هو
ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بالوان الغشم والاعذاب كما في قوله تعالى

وَأَفْتَحْنَا كَمَنْ آلَ فِرْعَوْنَ وَقَبِيلَ هَوَالِقَ وَهُوَ بَعْدَ مَا لَمْ يَكُنْ ﴿ ١٦٠ ﴾ عَلَيْهِمْ كَرَامًا وَمَشَقَّةً (وَنَصْرَانَاهُمْ) أَي

أَيَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا عَلَى
عَدُوَّهُمْ (فَكَانُوا) بِسَبَبِ
ذَلِكَ (هَمُّ الْغَالِبِينَ) عَلَيْهِمْ
غَلْبَةٌ لِأَغَايَةِ وَرَادَهَا بِعَدُوِّ
أَنْ كَانَ قَوْمَهُمَا فِي أَسْرِهِمْ
وَقَسْرِهِمْ مَقْهُورِينَ تَحْتَ
أَيْدِيهِمُ الْعَادِيَةِ يَسُومُوهُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ وَهَذِهِ التَّجْمِيعُ
وَإِنْ كَانَتْ بِحَسَبِ الْوُجُودِ
مُقَارَنَةً لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ النَّصْرِ
وَالْغَلْبَةِ لَكِنَّهَا لَمَّا كَانَتْ
بِحَسَبِ الْمَقْهُومِ عِبَارَةً
عَنِ التَّخْلِيصِ مِنَ الْمَكْرُوهِ
بَدَى ثَبَاتُ النَّصْرِ الَّذِي
يَتَحَقَّقُ مَدَاوِلُهُ بِمَحْضِ
تَجْمِيعِ الْمَنْصُورِ مِنْ عَدُوِّهِ
وَمِنْ غَيْرِ تَغْلِيْبِهِ عَلَيْهِ ثُمَّ
بِالْغَلْبَةِ لِتَوْفِيقِ مَقَامِ
الْإِمْتِنَانِ حَقَّهُ بِأَنْهَا رَأَى
كُلَّ مَرْتِبَةٍ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ
الثَّلَاثِ نِعْمَةٌ جَدِيدَةٌ عَلَى
حَيَاتِهِمَا (وَأَتَيْنَاهُمَا) بِعَدُوِّ
ذَلِكَ (الْكِتَابِ الْمُسْتَبِينَ)
أَيِ الْبَلِيغِ فِي الْبَيَانِ
وَالْتَفْصِيلِ وَهُوَ التَّوْرَةُ
(وَهَدَيْنَاهُمَا) بِذَلِكَ
(الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ)
الْمَوْصِلِ إِلَى الْحَقِّ
وَالصَّوَابِ بِمَا فِيهِ مِنْ
تَفَاصِيلِ الشَّرَائِعِ
وَتَفَارِيعِ الْأَحْكَامِ (وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا

لَهُمَا فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَعْمَ الْعَوْنُ أَنْتَ يَا بَنِي عَلِيٍّ أَمْرًا لِلَّهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَقْبَلُهُ وَقَدْ
رَبَطَهُ وَهَمَّ بِإِيكِيَانِ ثُمَّ وَضَعَ السَّكِينِ عَلَى حَلْقِهِ فَقَالَ كَيْفِي عَلِيٌّ وَجْهِي فَانْكَ إِذَا نَظَرْتَ وَجْهِي
رَحْمَتِي وَأَدْرَكَتْكَ رِقَّةٌ تَحْوِلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَعَمَلٌ ثُمَّ وَضَعَ السَّكِينِ عَلَى
قَفَاهُ فَانْقَلَبَتِ السَّكِينُ وَنُودِيَ بِإِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا (الْبَحْثُ الثَّلَاثِي) اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ
الْكَبِشِ فَقِيلَ أَنَّهُ الْكَبِشُ الَّذِي تَقَرَّبَ بِهِ هَابِيلُ ابْنُ آدَمَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَبِلَهُ وَكَانَ فِي الْجَنَّةِ
يَرعى حَتَّى قَدِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ إِسْمَاعِيلَ وَقَالَ آخَرُونَ أَرْسَلَ اللَّهُ كَبِشًا مِنَ الْجَنَّةِ قَدِ رعى
أَرْبَعِينَ خَرِيْفًا وَقَالَ السُّدِّيُّ نُودِيَ إِبْرَاهِيمَ فَانْتَفَتْ قَاذًا هُوَ بِكَبِشٍ أَمْلَجٌ أَنْحَطَ مِنَ الْجَبَلِ
فَقَامَ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ فَأَخَذَهُ فَذَبَحَهُ وَخَلَّى عَنْ ابْنِهِ ثُمَّ اعْتَقَ ابْنَهُ وَقَالَ يَا بَنِي الْيَوْمِ وَهَيْتَ لِي
وَأَمَّا قَوْلُهُ عَظِيمٌ فَقِيلَ سُمِّيَ عَظِيمًا لِعَظَمَتِهِ وَسَمَّاهُ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ حَقُّ لَهُ أَنْ يَكُونَ عَظِيمًا
قَدِ رعى فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعِينَ خَرِيْفًا وَقِيلَ سُمِّيَ عَظِيمًا لِعَظَمِ قَدْرِهِ حَيْثُ قَبِلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِدَاءً
عَنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى أَنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ قَالَ
تَعَالَى وَبَشِّرْنَاهُ بِاسْمِحِّ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ فَقَوْلُهُ نَبِيًّا حَالٌ مَقْدَرَةٌ أَي بَشِّرْنَاهُ بِوُجُودِ اسْمِحِّ
مَقْدَرَةٌ نَبِيَّوْتِهِ وَلَمَّا يَقُولُ أَنْ الذَّبِيحُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ أَنْ يَحْتَجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ نَبِيًّا حَالٌ
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى بِبَشِّرْنَاهُ بِاسْمِحِّ حَالٌ كَوْنِ اسْمِحِّ نَبِيًّا لِأَنَّ الْبَشِيرَةَ بِهِ مُتَقَدِّمَةٌ
عَلَى صَبْرِ وَرْتِهِ نَبِيًّا فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَبَشِّرْنَاهُ بِاسْمِحِّ حَالٌ مَا قَدَرْنَا نَبِيًّا وَحَالٌ
مَا حَكَمْنَا عَلَيْهِ فَصَبْرٌ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَحَيْثُ كَانَتْ هَذِهِ الْبَشِيرَةُ بِشِيرَةِ الْوُجُودِ
اسْمِحِّ حَالٌ بَعْدَ قِصَّةِ الذَّبِيحِ فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ الذَّبِيحُ غَيْرَ اسْمِحِّ أَقْصَى مَا فِي الْمَنَابِ أَنْ
يُقَالُ لَا يَمْدُنُ يُقَالُ هَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً فِي التَّلَاوَةِ عَنِ قِصَّةِ الذَّبِيحِ الْإِنَّمَا
كَانَتْ مُتَقَدِّمَةً عَلَيْهَا فِي الْوُقُوعِ وَالْوُجُودِ الْأَنَّا نَقُولُ الْأَصْلَ رِغَابَةَ التَّرْتِيبِ وَعَدَمَ التَّغْيِيرِ
فِي النِّصْمِ وَاللَّهُ اعْلَمُ بِالصَّوَابِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى اسْمِحِّ وَفِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْبَرَكَةِ
وَجِهَانِ (الْأَوَّلِ) أَنَّهُ تَعَالَى أَخْرَجَ جَمِيعَ أَنْبِيَائِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ صَلْبِ اسْمِحِّ (وَالثَّلَاثِي)
أَنَّهُ أَبَى الثَّنَاءَ الْحَسَنَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَاسْمِحِّ إِلَى قِيَامِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ الْبَرَكَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الدَّوَامِ
وَالثَّبَاتِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى وَمَنْ ذَرَبْتَهُمَا بِحَسَنٍ وَظَلَمَ لِنَفْسِهِ يَبِينُ وَفِي ذَلِكَ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ
مِنْ كَثْرَةِ فِضَائِلِ الْإِبْنِ ثَلَاثَ تَصْيِيرِ هَذِهِ الشَّبَهَةِ سَبِيلًا مَعَ الْفَاخِرَةِ الْيَهُودِ وَدَخَلَ تَحْتَ
قَوْلِهِ بِحَسَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَتَحْتَ قَوْلِهِ ظَلَمَ الْكَافِرَ وَالْفَاسِقَ وَاللَّهُ اعْلَمُ * قَوْلُهُ تَعَالَى
(وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَنَجِينَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصْرَانَاهُمْ
فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَنَا كَذَلِكَ نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ أَمَّا مَنْ عِبَادَنَا
الْمُؤْمِنِينَ) اعْلَمَنَّ هَذَا هُوَ الْقِصَّةُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْقِصَصِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَاعْلَمَنَّ
وَجُوهَ الْأَنْعَامِ وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً الْإِنَّمَا مُحْصَوْرَةٌ فِي نَوْعَيْنِ أَيْصَالِ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ
عَنْهُ وَاللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ الْقَسِيمِينَ هَهُنَا قَوْلُهُ وَقَدَّمْنَا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِشَارَةً إِلَى أَيْصَالِ

عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ) أَي أَبْقَيْنَا فِيهِمَا بَيْنَ الْأَمْرِ الْآخِرِينَ هَذَا الذِّكْرَ الْجَمِيلَ وَالثَّنَاءَ الْجَزِيلَ (أَنَا كَذَلِكَ) ﴿ الْمَنَافِعُ ﴾
الْجِزَاءَ الْكَامِلَ (نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ) الَّذِينَ هَمَّ مِنْ جَلَّتْهُمْ لِأَجْرَاءِ قَاصِرًا عَنْهُ (أَمَّا مَنْ عِبَادَنَا الْمُؤْمِنِينَ) سَبَقَ بَيَانَهُ

(وان الياس ابن المرسلين) هو الياس بن ياسين من سبط هرون أخى موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادر يس لانه قري مكانة ادر يس وادراس وقرى ايليس وقرى الياس بخذف الهمزة (اذقال لقومه الاتقون) أى عذاب الله تعالى (أدعون بعلا) أتعبدونه وتطلبون الخير وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم بعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعاً وله أربعة أوجه فتوا به وعظموه حتى أخذموه ﴿١٦١﴾ بأربع مائة سادن وجعلوا وهم أنبياء فكان الشيطان يدخل

جوفه ويتكلم بشرعية الضلالة والسنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن أى أتعبدون ببعض البعول (وتذرون أحسن الخالقين) أى وتتركون عبادته وقد أشير الى المقضى الانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) بالانصب على البدلية من أحسن الخالقين وقرى بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربو بيته تعالى لا بآبائهم تأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار بطلان آراء آبائهم أيضاً (فكذبوه فانهم) بسبب تكذيبهم ذلك (لمحضرون) أى العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشرع عرفاً (الاعباد الله المخلصين) استثناء من ضمير محضرون (وتركنا عليه في الآخريين سلام على آل ياسين) هو لغة في الياس كسنة في سبين وقيل هو جمع له أريد به هو وأتباعه كالمهلبيين والخبيريين وفيه أن العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمثلين وقرى باضافة ال الياسين لانهما في المحصف

المنافع اليهما وقوله ونجيناها وقومهما من الكرب العظيم اشارة الى دفع المضار عنهما (أما القسم الاول) وهو اوصول المنافع فلا شك أن المنافع على قسمين منافع الدنيا ومنافع الدين أما منافع الدنيا فالوجود والحياة والعقل والترية والصحة وتحصيل صفات الكمال في ذات كل واحد منهما وأما منافع الدين فاعلم واطاعة وأعلى هذه الدرجات النبوة الرفيعة المقرونة بالمجرات الباهرة ولما ذكر الله تعالى هذه التفصيل في سائر السور لاجرم اكتفى ههنا بهذا الرمز (وأما القسم الثاني) وهو دفع الضرر فهو المراد من قوله ونجيناها وقومهما من الكرب العظيم وفيه قولان قيل انه العرق أغرق الله فرعون وقومه ونجى الله نبي اسرائيل وقيل المراد انه تعالى نجاهم من ايذاء فرعون حيث كان يذبح ابنائهم ويستحي نساءهم واعلم انه تعالى لما ذكر انه من على موسى وهرون فصل أقسام تلك المنة والهناء في قوله ونصرناهم أى نصرنا موسى وهرون وقومهما وكانوا هم الغالبين في كل الاحوال بظهور الحمد وفي آخر الامر بالدولة والرفعة (وثانيتها) قوله تعالى آتيناهما الكتاب المستبين والمراد منه التوراة وهو الكتاب المشتمل على جميع العلوم التي يحتاج اليها في مصالح الدين والدنيا كما قال انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور (وثانيتها) قوله تعالى وهديناها الصراط المستقيم أى دالناهما على طريق الحق عقلاً وسمعاً وأمددناهما بالتوفيق والعصمة وتشبيه الدلائل الحقة بالطريق المستقيم الواضح (ورابعها) قوله تعالى وتركنا عليهما في الآخريين وفيه قولان (الاول) ان المراد وتركنا عليهما في الآخريين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقولهم سلام على موسى وهرون (والثاني) ان المراد وتركنا عليهما في الآخريين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم اثناء الحسن والذكر الجميل وعلى هذا التقدير فقوله بعد ذلك سلام على موسى وهرون هو كلام الله تعالى ولما ذكر تعالى هذه الاقسام الاربعه من أبواب التعظيم والتفضيل قال انا كذلك نجزي المحسنين وقد سبق تفسيره ثم قال تعالى انهما من عبادنا المؤمنين والمقصود التنبيه على ان الفضلة الحاصلة بسبب الايمان أشرف وأعلى وأكمل من كل الفضائل ولو لا ذلك لما حسن ختم فضائل موسى وهرون بكونهما من المؤمنين والله أعلم * قوله تعالى (وان الياس ابن المرسلين اذقال لقومه الاتقون) أى عذاب الله تعالى (وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين) فكذبوه فانهم لمحضرون الاعباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخريين سلام على آل ياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) اعلم أن هذه القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر وان الياس بغير همزة على وصل الالف والباقيون بالهمزة وقطع الالف قال أبو بكر بن مهران من ذكر عند الوصل الالف فقد أخطأ وكان اهل الشام يتكرونها ولا يعرفونها قال الواحدى وله وجهان (احدهما) انه حذف الهمزة من الياس حذفاً كما حذفها ابن كثير من قوله انها لاحدى الكبير وكقول الشاعر

مفصولان فيكون ياسين أبالياس ﴿٢١﴾ سا (انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) مر تفسيره (وان لو طام لمن المرسلين اذنجيناها) أى اذكر وقت نجيتنا اليه (وأهله أجمعين الا عجزوا في القارين) أى الباقيين في العذاب أو الماضين الهالكين (ثم دمرنا الآخريين) فان في ذلك شواهد على جليلة أمره وكونه من جملة المرسلين (وانكم) يا أهل مكة (لتحرون عليهم) على منازلهم في متاجرهم الى الشام وتجاهدون آبارها لاكمهم فان سدوم في طريق الشام

(مضيقين) داخلين في الصباح (وبالليل) أي ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها الرميح عنه صباحا والفاصله مساء (أفلا تعلمون) أنشاهدون ذلك فلا تعلمون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم (وان يونس لمن المرسلين) وقرى يكسر التون (إذا بقي) أي هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن اطلاقه عليه (الى الفلك المشحون) أي المموء ﴿ ١٦٢ ﴾ (فساهم) فتأرع أهله (فكان من المدحضين) فصار

من المغلوبين بالقرعة وأصله المرتق عن مقام الظفر روي أنه عليه الصلاة والسلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوافت فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنه الآبق ورمى بنفسه في الماء (فالتقمه الحوت) فالتقمه من اللقمة (وهو ملجم) داخل في الملامة أو أت بما يلام عليه أو ملجم نفسه وقرى ملجم بالفتح مبداء من لجم كشيء في مشوب (فلولاته كان من المسبحين) الذي كرى الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من الصالحين فانه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة في الرخاء (لبث في بطنه الى يوم يبعثون) حيا وقيل ميتا وقد حدث على اكثر الدكر وانه طيم اشانه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء (فبيناهم بالبراء) بأن حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يقطعه من شجر أو نبت روي

ويلها في هواء الجوظالية* والاخر انه جعل الهزيمة التي تصحب اللام للتعريف كقوله واليع (المسئلة الثانية) في الياس قولان يروي عن ابن مسعود انه قرأ وان ادريس وقال ان الياس هو ادريس وهذا قول عكرمة وأما أكثر المفسرين فهم متفقون على انه نبي من أنبياء بنى اسرائيل وهو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى عليهم السلام ثم قال تعالى اذ قال لقومه الاتقون والتقديرا ذكر يا محمد لقومك اذ قال لقومه الاتقون أي الاتخافون الله وقال الكلبي الاتخافون عبادة غير الله واعلم انه لما خوفهم أولا على سبيل الاجال ذكر ما هو السبب لذلك الخوف فقال أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وفيه اجحاث الاول في بعل قولان (أحدهما) انه اسم علم لصنم كان لهم كناية وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه وفتوا به وعظموه حتى عينوا له أربع مائة سادن وجعلهم أنبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسند في مفسرونها ويعلمونها للناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وباسميت مدينة بهم بعلبك واعلم أن قولهم بعل اسم لصنم من أسنامهم لا بأس به وأما قولهم ان الشيطان كان يدخل في جوف بعلبك ويتكلم بشريعة الضلالة فهذا مشكل لانان جوزنا هذا كان ذلك قدما في كثير من المعجزات فانه نقل في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كلام الذئب معه وكلام الجمل معه وتبين الجدع لوجوزنا أن يدخل الشيطان في جوف جسم ويتكلم فحينئذ يكون هذا الاحتمال قائما في الذئب والجمل والجدع وذلك يتدح في كون هذه الاشياء معجزات (والقول الثاني) أن البعل هو الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار أي من ربها وسمى الزوج بعلا لهذا المعنى قال تعالى وبعوثهن أحنى بردهن وقال تعالى وهذا بعلى شيخنا فولى هذا التقدير المعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله (البحث الثاني) المسترارة اخرجوا بهذه الآية على كون العبد خائفا لاقوال نفسه فتناووا ولم يكن غير الله خالقا للمجاز وصف الله بأنه أحسن الخالقين والكلام فيه قد تقدم في قوله تعالى وتبارك الله أحسن الخالقين (البحث الثالث) كان الملقب بارشيد الكاتب يقول لو قيل أتدعون بعلا وتدعون أحسن الخالقين أو هم انه أحسن لانه كان قد تحصل فيه رعاية معنى التحسين وجوابه ان فصاحة القرآن ليست لاجل رعاية هذه التكليف بل لاجل قوة المعاني وجزالة الالفاظ واعلم انه لما عابهم على عبادة غير الله صرح بالتوحيد ونفى الشركاء فقال الله ربكم ورب آبائكم الاولين وفيه مباحث (الاول) اما ذكرنا في هذا الكتاب أن حدوث الاشخاص البشرية كيف يدل على وجود الصانع المختار وكيف يدل على وحدته وبرأته عن الاضداد والانداد فلا فائدة في الاعادة (البحث الثاني) قرأ حرة والكسائي وحفص عن عاصم الله ربكم ورب آبائكم كلها بان نصب على البدل من قوله أحسن الخالقين والباقون بالرفع على الاستئناف والاول اختيار أبي حاتم وأبي عبيدة ونقل صاحب الكشاف أن حرة اذا وصل نصب واذا

أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه بنفسه فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى اتهموا الى البر ﴿ وقف ﴾ فلفظه سالما لم يغير منه شيء فاسلوا وروى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل أر بعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعد الوقت الذي التزم فيه روي عطاء أنه حين ابتلعه أوحى الله تعالى الى الحوت انى جعلت بطنك له مجيئا ولم أجعله لك طعاما (وهو سقيم) مما ناله قيل صار بدنه كبدن

الطفل حين يولد (وانبتناعليه) اي فوقه مظلة عليه (شجرة من يقطين) وهو كل ما ينسبط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر
البطيخ والقاش والحظيل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على أنه الداء غطت بأوراقها عن الذباب فانه لا يقع
عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القران قال أجل هي شجرة أخى يونس وقيل هي التين وقيل الموز
تغطي بورقه واستظل بأغصانه وأفطر ﴿ ١٦٣ ﴾ على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف ايذ في شرب
من اينها (وأرسلناه الى مائة

ألف) هم قومه الذين هرب
منهم وهم أهل نينوى والمراد
به ارساله السابق أخبر أولا
أنه من المرسلين على الإطلاق
ثم أخبر بأنه قد أرسل الى أمة
جمعة وكانت توسيط تذكير وقت
هر به الى الفلك وما بعده
بينهما تذكير سيبد وهو ما
جرى بينه وبين الصلاة والسلام
و بين قوم من انداره اياهم
عذاب الله تعالى وتعينه اوقت
حلوه وتعاليمهم وتعلمهم
لايمانهم بظهور اماراته كما مر
تفصيله في سورة يونس يعلم
أن ايمانهم الذي سيحكى بعد
لم يكن عقب الارسال كما هو
المتبادر من ترتيب الايمان على
بالقاء بل بعد اللتي والى وقيل
هو ارسال آخر اليهم وقيل
غيرهم وايس بظاهر (أوزيدون
أي في مر أي الناظر فانه اذا نذ
اليهم قال انهم مائة ألفاً
يزيدون والمراد هو الوصف
بالكثرة وقرى بالواو (فأمنوا
أي بعد ما شاهدوا علا
حلول العذاب ايماناً خالص
(فغنمناهم) أي بالحياة الدني
(الى حين) قدره الله سبحانه
لهم قبل وامل عدم ختمها

وقفر فع والمأجكي الله عنه انه قرر مع قومه التوحيد قال فكذبوه فانهم لمحضرون أي
لمحضرون انار غدا وقد ذكرنا الكلام فيه عند قوله لكنت من المحضرين ثم قال تعالى
الاعباد الله المخلصين وذلك لان قومه ما كذبوه بكليتهم بل كان فيهم من قبل ذلك التوحيد
فلهذا قال تعالى الاعباد الله المخلصين يعني الذين أتوا بالتوحيد الخالص فانهم لا يحضرون
ثم قال وتركنا عليه في الآخريين سلام على آل ياسين قرأ نافع وابن عامر ويعقوب آل ياسين
على اضافة نطق آل الى فظ ياسين والياقون بكسر الالف وجزم اللام موصولة بياسين
أما القراءة الاولى نفيها وجوه (الاول) وهو الاقرب انا ذكرنا ان الياقون بن ياسين فكان
الياقون آل ياسين (الثاني) آل ياسين آل محمد صلى الله عليه وسلم (والثالث) أن ياسين اسم
القرآن كأنه قيل سلام الله على من آمن بكتاب الله الذي هو ياسين والوجه هو الاول لانه
أليق بسباق الكلام وأما القراءة الثانية ففيها وجوه (الاول) قال الزجاج يقال يمكن
ويمكأيل ويمكنين فكناهمنا الياقون والياسين (والثاني) قل القراء هو جمع وأراد به
الياقون وأتباعه من المؤمنين كقوله المولىون والسعدون قال
﴿ أنا ابن سعداً كرم السعدينا ﴾ ثم قال تعالى اننا أنذرتك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين وقد سبقت تفسيره والله أعلم ﴿ فإله تعالى (وان اول من المرسلين اذ نجناه واهله
الذين الاصحوا في الغابرين ثم ذكرنا بالآخرين وانكم لتترونها عليهم مصححين وبالليل
أولاً لتتقون) هذا هو القصة الخامسة وانه تعالى انا ذكر هذه القصة ليعتبر بها المشركوا
العرب فان الذين كفروا من قومه هلكوا والذين آمنوا نجوا وقد تقدم شرح هذه القصة
وقد سبقتهم بقوله تعالى وانكم لتترونها عليهم مصححين وبالليل وذلك لان التوم كانوا يسافرون
الى الشام والمسافر في أكثر الامر انما عشي في الليل وفي أول النهار فلهذا السبب عين
تعالى هذين الوقتين ثم قال تعالى أفلا تعقلون يعني أليس فيكم عقول تعتبرون بها والله أعلم
﴿ قوله تعالى (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من
المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسحجين ثابت في بطنه الى يوم يعثون
فنبذناه بالراء وهو سقيم وابتناعليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أوزيدون
فامتوا فغنمناهم الى حين) اعلم ان هذا هو القصة السادسة وهو آخر القصة المذكورة
في هذه السورة وانما صارت هذه القصة خاتمة للقصة لاجل انه لما لم يصبر على أذى
قومه وأبق الى الفلك وقع في تلك الشدة اذ في صبره هذا سبباً لتصبر النبي صلى الله عليه وسلم على
أذى قومه أما قوله وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون ففيه مسائل (المسئلة
الاولى) قال صاحب الكشاف قرى يونس بضم النون وكسرها (المسئلة الثانية) دللت
هذه الآية على أن هذه الواقعة انما وقعت ليونس عليه السلام بعد ان صار رسولا لان قوله
وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك معناه انه كان من المرسلين حين ما أبق الى الفلك
ويمكن أن يقال انه جاء في كثير من الروايات انه أرسله ملك زمانه الى أوائل القوم ليدعوهم

القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصة لتفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم
الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة (فاستقتهم) أمر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه
وسلم بتبكيه قريش وابطال مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستغناء وساق البراهين الفاطمة الناطقة بحقيقته لا محالة و
وقوعه وما سبقونه عند ذلك من قنون العذاب واستثنى

منهم عبادة المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين على وجه الاجال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها أنهم من عبادة تعالى واصفاليهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امر عليه الصلاة والسلام ههنا بتبكيهم بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القصة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاستعداد الزائف ﴿ ١٦٤ ﴾ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب

جهينة وبنى سلة وخراعة وبنى مليم الملائكة بنات الله بالغافل ترتيب الامر على ما سبق من كون اوائل الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم الصلاة والسلام عبادة تعالى فان ذلك مما يوجب كذا التبكيك و يظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة فيسلمهم اناناهم ابطال اوسل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك عاوا كبيرا ولم ينظمه في سلك التبكيك لشاركتهم النصارى في ذلك اى فاستخبرهم (الربك البنات) اللاتي هن وضع الجنسين ((واهم البنون) للذين هم ارفعها فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شيء من العقل وقوله تعالى (أم خلقنا الملائكة انانا) اضراب وانتقال من التبكيك بالاستفتاء السابق الى التبكيك بهذا كما اشير اليه اى بل اخلقنا الملائكة الذين هم من اشرق الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورفائل الطبايع انانا والاثوثة من اخص صفات الحيوان

الى الله ثم ابق والتقى الحوت فعند ذلك ارسله الله تعالى والحاصل ان قوله لمن المرسلين لا يدل على انه كان في ذلك الوقت مرسل من عند الله تعالى ويمكن ان يجاب بأنه سبحانه وتعالى ذكر هذا الوصف في معرض تعظيمه ولن يفيد هذه الفائدة الا اذا كان المراد من قوله لمن المرسلين انه من المرسلين عند الله تعالى (المسئلة الثالثة) ابق من اباقي العبد وهو هر به من سيده ثم اختلف المفسرون فقال بعضهم انه ابق من الله تعالى وهذا بعيد لان ذلك لا يقال الا فيمن يتعمد مخالفة ربه وذلك لا يجوز على الانبياء واختلفوا فيما لاجله صار محظوظا قبيلا لانه امر بالخروج الى بنى اسرائيل فلم يقبل ذلك التكليف وخرج مغاضبا به وهذا بعيد سواء امره الله تعالى بذلك يوحي او بلسان نبي آخر وقيل ان ذنبه انه ترك دعاه قومه ولم يصبر عليهم وهذا ايضا بعيد لان الله تعالى بنا امر بهذا العمل فلا يجوز ان يتركه والا قرب فيه وجهان (الاول) ان ذنبه كان لان الله تعالى وعده ازال الاهلاك بقومه الذي كذبوه فظن انه نازل لاجلهم فلاجل هذا الظن لم يصبر على دعاهم فكان الواجب عليه ان يستتر على الدعاء لجواز ان لا يهلكهم الله بالعذاب وان ازله وهذا هو الاقرب لانه اقدم على امر ظهرت اماراته فلا يكون تعمد المعصية وان كان الاولى في مثل هذا الباب ان لا يعمل فيد بالظن ثم انكشف ايونس من بعد انه اخطأ في ذلك الظن لاجل انه ظهر الايمان منهم فعنى قوله اذ ابق الى الفلك ماذا كرهناه (الوجه الثاني) ان يونس كان وعد قومه بالعذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمستور عنهم فقصد البحر وركب السفينة فذلك هو قوله اذ ابق الى الفلك وتام الكلام في مشكلات هذه الآية ذكرناه في قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه وقوله الى الفلك المشحون مفسر في سورة يونس والسفينة اذا كان فيها الجمل الكثير والناس يقال انها مشحونة ثم قال تعالى فساهم المساهمة هي المقارنة يقال اسهم القوم اذا اقرعوا قال المبرد وانما أخذ من السهام التي تجال للقرعة فكان من المدحضين اى المغلوبين يقال ادحض الله حخته فدحضت اى ازالها فزالا واصل الكلمة من الدحض الذى هو الزلق يقال دحضت رجل العير اذا زلقت وذكر ابن عباس في قصة يونس عليه السلام انه كان يسكن مع قومه فلسطين فغراههم ملك وسبي منهم تسعة اسباط ونصفا وبنى سبطان ونصف وكان الله تعالى اوحى الى بنى اسرائيل اذا اسركم عدوكم واصلتكم مصيبة فادعوني استجب لكم فلانسوا ذلك واسروا اوحى الله تعالى بعد حين الى نبي من انبيائهم ان اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل له حتى يعث الى بنى اسرائيل نبيا فاختر يونس عليه السلام لقوته وامانه قال يونس الله امرك بهذا قال لا ولكن امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك فقال يونس وفي بنى اسرائيل من هو اقوى منى فلم لا تبعه فالخ الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى اتى بحر الروم ووجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما دخلت لجة البحر اشرفت على الفرق فقال الملاحون ان فيكم طاصيا والام يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر وقال البحار قد جرت بنا

وقوله تعالى (وهم شاهدون) استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما شهدتهم خلق ﴿ مثل ﴾ السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالشهادة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اى بل اخلقناهم انانا والحال انهم حاضرون حينئذ او عطف على خلقنا اى بل اهم شاهدون

وقوله تعالى (ألا إنهم من أفكهم ليقولون ولد الله) استئناف من جهته غير داخل تحت الأمر بالاستفتاء مسوق لإبطال أصل مذهبهم الفاسد ببيان أن مناه ليس إلا الأفك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعا) وأنهم للكاذبون) في قولهم ذلك كذبنا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الملائكة وولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا فإن الولد فعل بمعنى مفعول ﴿١٦٥﴾ يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى البنات على البنين)

اثبات لأفكهم وتفرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لاسم بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء أخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ يكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرآن عليه وجهه بدلان ولد الله ضيف وتقدير القول أي الكاذبون في قولهم اصطفا الخ تسعف بعد (مالكم كيف تحكمون) بهذا الحكم الذي يقضى بطلانه بديهة العقل (أفلا تذكرون) بحذف إحدى التاب من تذكرون وقرئ تذكرون من ذكروا النساء لعطف على مقدر أي أفلا حظون ذلك فلا تذكرون بطلانه فانه مر كوز في عقل كل ذكي وغبي (أم لكم سلطان مبين) اضراب وانتقال من توبخهم وتبكيتم بما ذكر إلى تبكيتم بتكليفهم مما لا يدخل تحت الوجود أصلا أي بل أنكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من

مثل هذا فإذا رأيتهم تفرغ من خرج سهمه تفرقه فلان يعرق واحد خير من غرق الكل فخرج سهم يونس فقال الجمار نحن أولى بالمعصية من نبي الله ثم عادوا ثانيا وثالثا يقرعون فخرج سهم يونس فقال ياهؤلاء أنا العاصي وتلقف في كساء ورعى نفسه فاطلعت السمكة فأوحى الله تعالى إلى الحوت أن لا تكسر منه عظما ولا تقطع له وصلاتم ان السمكة أخرجه إلى نيل مصر ثم إلى بحر فارس ثم إلى بحر الطابيح ثم دجلة فصعدت به ورمته بأرض نصيبين بالعراق وهو كالفرخ المنتوف لاشعر ولا لحم فأبنت الله عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها أو يأكل من ثمرها حتى تشدد ثم ان الأرضة أكلتها فخرجت من أصلها فخرج يونس لذلك حزنا شديدا فقال يارب كنت استظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح وأمس من ثمرها وقد سقطت فقبل له يا يونس تعزبن على شجرة أبنت في ساعة واقلمت في ساعة ولا تعزبن على مائة ألف أو يزيدون تركتهم انطلق اليهم فانطلق اليهم والله اعلم بحجة الواقعة ثم قال تعالى فاتقوا الحوت وهو مليح يقال التقمه والتهمه والكل بمعنى واحد وقوله تعالى وهو مليح يقال أم اذ أتى بما يلام عليه فالمليم المستحق للوم الآتي بما يلام عليه ثم قال تعالى فلو لانه كان من المسيحين لابت في بطنه إلى يوم يعثون وفي تفسير كونه من المسيحين قولان (الاول) أن المراد منه ما حكى الله تعالى عنه في آية اخرى انه كان يقول في تلك الظلمات لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (الثاني) انه اول لانه كان قبل أن تقمه الحوت من المسيحين يعنى المسلمين وكان في اكثر الاوقات مواظبا على ذكر الله وطاعة الله في بطن ذلك الحوت وكان بطنه قبرا له إلى يوم البعث قال بعضهم اذكروا الله في الرضاء يذكركم في الشدة فان يونس عليه السلام كان عبدا صالحا إذا ذكر الله تعالى فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى فلو لانه كان من المسيحين لابت في بطنه إلى يوم يعثون وان فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا فلما أدركه العرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل قال الله تعالى الآن وقد عصيت قبل واختلفوا في انه لم يلبث في بطن الحوت واغظ القرآن لا يدل عليه قال الحسن لم يلبث الا قليلا وأخرج من بطنه بعد الوقت انذى التقمه وعن مقاتل بن حيان ثلاثة أيام وعن عطاء سبعة أيام وعن الضحاك عشرين يوما وقيل شهرا ولا أدري بأى دليل عينوا هذه المقادير وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سمع يونس في بطن الحوت فصمعت الملائكة تسبحون فقالوا ربنا اننا نسمع صوتنا ضعيفا بأرض غريبة فقال ذلك عبدى يونس عصاتى فعبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وابتغى عمل صالح قال نعم فشفعوا له فأمر الحوت فقتله في الساحل فذاك هو قوله فنبذناه بالعراء وفيه مباحث (الاول) العراء المكان الخالي قال أبو عبيدة انما قيل له العراء لانه لا شجر فيه ولا شئ يعطيه (الثاني) انه تعالى قال فنبذناه بالعراء وأضاف ذلك النبذ إلى نفسه والشبذ انما حصل بفعل الحوت وهذا يدل على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى ثم قال تعالى وهو سقيم قيل المراد انه بلى لحم

سند حسى أو عقلى وحيث اتفق كلاهما فلا بد من سند نقلى (فأتوا بكتابكم) الناطق بصحة دعواكم (ان كنتم صادقين) فيها وفي هذه الآيات من الانبياء عن المسخط العظيم والانكار الفظيع لا فاوليهم والاستبعاد الشديد لا باطليلهم وتسفيه أحلامهم وتركيبك عضولهم

وأفهامهم مع استهزائهم وتعجب من جهالهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا)
التفات إلى الغيبة للايدان بانقطاعهم عن الجواب سقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاه حالهم أن يعرض عنهم ويحكي
جناياتهم لا آخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من حيث من الجن ومردو كان شركا له فهو شيطان ومن
ظهر منهم ونسك وكان خيرا كاله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم ﴿ ١٦٦ ﴾ وضمانهم وتفصيلا بهم مع عظم شأنهم

فيما بين الخلق أن يبلغوا منزلة
المناسبة التي أضافوها إليهم
بجملهم هذا عبارة عن قولهم
الملائكة بنات الله وانما
أعبد ذكره تمهيدا لما يعقبه
من قوله تعالى (ولقد علمت
الجنة أنهم لمحضرون) أي
وبالله لقد علمت الجنة التي
عظموها بان جعلوا بينه
تعالى ونسبواهم الملائكة أن
الكفرة لمحضرون النار
معتدون بها لضعف ذنبهم
واقترانهم في قولهم ذلك
والمراد به المباشرة في التكذيب
بيان أن الذين يدعى هؤلاء
لهم تلك النسبة ويعلمون
أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال
يكذبونهم في ذلك ويحكمون
بانهم معذبون لاجله حكما
مؤكدًا وقيل ان قوما من
الزندقة يقولون الله تعالى
وابليس أخوان فالله هو الخير
الكريم وابليس هو الشرير
اللايم وهو المراد بقوله تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
قال الامام الرازي وهذا
القول عندى اقرب الاقوال
وهو مذهب المجوس القائلين
ببزدان واهرمن وقال مجاهد
قالت قریش الملائكة بنات الله

وصار ضعيفا كاطفل المولود كالفرخ الممعط الذي ليس عليه ريش وقال مجاهد سقيم أي
سلب ثم قال تعالى وابتدأ عليه شجرة من يقطين ظاهر اللفظ يدل على أن الحوت لما نبذته في
الغراء قاله تعالى أنبت عليه شجرة من يقطين وذلك المعجزة قال المبرد والزجاج كل شجر
لا يقوم على ساق وانما يمتد على وجه الأرض فهو يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ قال
الزجاج أحسب اشتقاقها من قطن بلذكان اذا أقام به وهذا الشجر ورقه كله على وجه
الأرض فلذلك قبله اليقطين روي القراءات في عندي بن عباس هو ورق القرع فقال
ومن جعل القرع من بين الشجر يقطينا كل ورقة تسعت وسترت فهي يقطين قال
الواحدى رجه الله والآية تقتضى شيئين لابد كرها المفسرون (أحدهما) أن هذا
اليقطين لم يكن قبل فأنبته الله لاجله (والآخر) أن اليقطين معروفنا يحصل له ظل لانه
او كان منبسطة على الأرض لم يكن أن يستظل به ثم قال تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف
أوريزيدون وفيه مباحث (الأولى) يحتمل أن يكون المراد وأرسلناه إلى أن يلقمه الحوت
وعلى هذا الارسال وان ذكر بعد الالتقام فالمراد به التسميم والواو معناها الجمع ويحتمل
أن يكون المراد به الارسال بعد الالتقام عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كانت
رسالة يونس عليه السلام بعد ما نبذته الحوت وعلى هذا التفسير يجوز أن يكون أرسل إلى
قوم آخرين سوى القوم الأول ويجوز أن يكون أرسل إلى الأولين ثانيا بشريعة فأمروا
بها (البحث الثاني) ظاهر قوله أوريزيدون يوجب الشك وذلك على الله تعالى محال ونظيره
قوله تعالى عذرا أونذرا وقوله تعالى اعلمه يتذكر أي يخشى وقوله تعالى اعلمهم يتقون
أو يحدث لهم ذكر أو قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب وقوله تعالى
فيكان قلب قوسين أو أدنى وأجابوا عنه من وجوه كثيرة والاصح منها وجه واحد وهو أن
يكون المعنى أوريزيدون في تقديركم بمعنى أنهم اذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف
أوريزيدون على المائة وهذا هو الجواب عن كل ما يشبه هذا ثم قال تعالى فآمروا غنظهم
إلى حين والمعنى ان أولئك الاقوام لما آمنوا أزال الله الخوف عنهم وآمنهم من العذاب
ومتعهم الله إلى حين أي إلى الوقت الذي جعله الله أجلا لكل واحد منهم * قوله تعالى
(فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون الا أنهم من
افكهم لقواون والذليل الله وانهم لكانون اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون
أفلا تدكرون أم لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الاعباد لله المخلصين) وفيه
مسائل (المسئلة الأولى) اعلم انه تعالى لما ذكر اقصيص الانبياء عليهم السلام عاد إلى
شرح مذاهب المشركين و بيان قبحها وسخافتها ومن جملة أقوالهم الباطلة أنهم أثبتوا
الاولاد لله سبحانه وتعالى ثم زعموا انها من جنس الاناث لا من جنس الذكور وقال
فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون وهذا معطوف على قوله في أول السورة فاستفتهم اهم

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فن أمهاتهم تبيكتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه ﴿ اشد ﴾
وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث أشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقوال يجوز أن

يكون الضمير في انهم لمحضرون الجنة فالله في قد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا
مناسيين له تعالى أو شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله (سبحان الله عما يصفون) حكاية
لتزنية الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله
تعالى (الاعباد لله المخلصين) شهادة في ١٦٧ من منهم ببراءة المخلصين من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة

لتبرئهم منه بحكم اندراجهم
في زمرة المخلصين على ابلغ
وجه وأكده على أنه استثناء
منقطع من واو يصفون كأنه
قيل ولقد علمت الملائكة أن
المشركين لمعذبون لقولهم
ذلك وقالوا سبحان الله عما
يصفونه به لكن عباد الله
الذين نحن من جملتهم برآء من
ذلك الوصف وقوله تعالى
(فانكم وما تعبدون ما أنتم
عليه بغافلين) تعليل وتحيق
لبراءة المخلصين مما ذكر بيان
عجزهم عن اغوائهم واضلالهم
والالتفات الى الخطاب لاظهار
كمال الاعتناء بتحقيق مضمون
الكلام وما تعبدون عبارة عن
الشياطين الذين أغوواهم
وفسد ايمان تبرئهم عنهم وعن
عبادتهم كقولهم بل كانوا
يعبدون الجن وما نافية وأنتم
خسب الله لهم ولعبودهم
تعليليا وعلى متعلقة بغافلين
يقال فتى فلان على فلان
امرأته أي أفسدها عليه
والعنى فانكم ومعبودكم أيها
المشركون استمر بغافلين عليه
تعالى يفسد عبادهم واضلالهم
(الا من هو صال الجحيم) منهم
أي داخلها لعله تعالى بأنه

أشد خلقا من خلقنا وذلك لانه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم باستفتاء قريش عن وجه
انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعرضه الى ان أمره بان يستفتيهم في انهم
لم يؤذوا الله سبحانه البتات ولا نفسهم البتات ونقل الواحدى عن المفسرين انهم قالوا ان
قريشا واجناس العرب جهينة وبنى سلة وخزاعة وبنى مليح قالوا الملائكة بنات الله
واعلم أن هذا الكلام يشتمل على أمرين (أحدهما) اثبات البتات لله وذلك باطل لان
العرب كانوا يستنكفون من البت والشئ الذى يستنكف المخوف منه كيف يمكن اثباته
للخائق (والثاني) اثبات ان الملائكة اناث وهذا أيضا باطل لان طريق العلم اما الحس
واما الخبر واما النظر اما الحس ففقود ههنا لانهم ما شهدوا كيفية تخليق الله الملائكة
وهو المراد من قوله أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وأما الخبر ففقود أيضا لان الخبر
انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقا قطعا وهو ذلك الذى يخبرون عن هذا الحكم كذا يكون
أما كون ما يدل على صدقهم لادلالة ولأمانة وهو المراد من قوله الا انهم عن افكهم
ليقولون ولد الله وانهم تكاذبون * وأما النظر ففقود أيضا من وجهين (الاول) أن دليل
العقل يقتضى فساد هذا المذهب لان الله تعالى أكل الموجودات والاكل لا يليق به
اصطفاء الاخس وهو المراد من قوله اصطفى البتات على البتات ما انكم كيف تحكمون
يعنى اسناد الافضل الى الافضل أمر عاقل من اسناد الاخس الى الافضل فان كان
حاجم العقل معتبرا في هذا الباب كان قولكم باطلا (والوجه الثاني) ان ترك الاستدلال
على فساد مذهبهم بل تطالبهم بالبيات الدال على صحة مذهبهم فاذا لم يجدوا ذلك
الدليل فعنده يظهر انه لم يوجد ما يدل على صحة قولهم وهذا هو المراد من قوله أم انكم
سائلان مبين وأتوا بكتابتكم ان كنتم صادقين فثبت بما ذكرنا ان القول الذى ذهبوا اليه
لم يدل على صحته لا الحس ولا الخبر ولا المنطق مكان المصير اليه باطلا قطعا واعلم انه تعالى لما
طالبهم بما يدل على صحة مذهبهم دل ذلك على ان التقليد باطل وان الدين لا يصح الا بالدليل
(المسئلة الثانية) قوله اصطفى البتات على البتات قراءة العامة بفتح الهجزة وقصدها من
اصطفى ثم يحذف ألف الوصل وهو استفهام توبيخ وتقرىع كقوله تعالى أم اتخذ مما يخلق
بنات وقوله تعالى أم له البتات وكنتم البتات وقوله تعالى انكم الذكر وله الاثني وكما
از هذه المواضع كلها استفهام فكذلك في هذه الآية وقرا نافع في بعض الروايات
لكاذبون اصطفى موصولة بغير استفهام واذا ابتداء كسر الهجزة على وجه الخبر والتقدير
اصطفى البتات في زعمهم كقوله ذق انك أنت العزى الكرمى في زعمه واعتقاده ثم قال تعالى
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا واختلفوا في المراد بالجنة على وجوه (الاول) قال مقاتل
أثبتوا نسبا بين الله تعالى وبين الملائكة حين زعموا انهم بنات الله وعلى هذا القول فالجنة
هم الملائكة سما جنة لا جنتانهم عن الابصار اولانهم خزان الجنة وأقول هذا القول
عندى مشكل لانه تعالى أبطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله وجعلوا بينه

يصبر على الكفر بسوء اختياره ويصير من أهل النار لا محالة وأما المخلصون منهم فأنتم بعزل من افسادهم واضلالهم
فهم لاجرم برآء من أن يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال يضم اللام على أنه
جمع محمول على معنى من قد

سقط واوه لالتفاء الساكنين وقوله تعالى (واما الله مقام معلوم) تبين جليلة امرهم وتعيين لخيرهم في موقف
العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتزيه الله تعالى عن ذلك وتبئنه المخلصين عنه واظهار تصور شأنهم
وقائهم أي واما الله مقام معلوم في العبادة والانتفاء الى امر الله تعالى مقصور عليه لا يتجاوز ولا يستطيع أن
يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله ﴿ ١٦٨ ﴾ كإروى عنهم رآكع لا يقيم صلبه وساجد

و بين الجنة نسيبا والعطف يقتضى كون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه فوجب أن يكون
المراد من هذه الآية غير ما تقدم (الثاني) قال مجاهد قالت كفار قريش الملائكة بنات
الله فقال لهم أبو بكر الصديق فبن أمهاتهم قالوا سروات الجن وهذا أيضا عندى بعيدلان
المصاهرة لا تسمى نسيبا (والثالث) روي في تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ان
قوما من الزناد قسمة يقولون الله وابليس اخوان فالله الخبير الكريم وابليس هو الاخ
الشرير الحسيس فقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسيبا المراد منه هذا المذهب وعندى
ان هذا القول اقرب الاقوال وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان وهو من ثم قال تعالى
ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون أي قد علمت الجنة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون
النار و يعذبون وقيل المراد ولقد علمت الجنة انهم سيحضرون في العذاب فملى القول
الاول الضمير طائفا الى قائل هذا القول وعلى القول الثاني طائفا الى الجنة أنفسهم ثم انه
تعالى زه نفسه عما قالوا من الكذب فقال سبحانه الله عما يصفون الاهداء الله المخلصين
وفي هذا الاستثناء وجوه قيل استثناء من المحضرين يعنى انهم ناجون وقيل هو استثناء من
قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسيبا وقيل هو استثناء منقطع من المحضرين ومعناه
واصك المخلصين برآء من أن يصفوه بذلك والخالص بكسر اللام من أخلص العبادة
والاعتقاد لله ويفتحها من أخلصه لله بلطفه والله أعلم * قوله تعالى (فانكم ماتعبدون
ما أنتم عنه بغافلين الامن هو صال الحميم واما الله مقام معلوم وانا نحن الصافون وانا
نحن المسبحون وان كانوا يقولون لو ان عندنا ذكر من الاولين لكننا عبادة الله المخلصين
فكفروا به فسوف يعلمون) فيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل على
فساد مذهب الكفار اتبعه بآية به على ان هؤلاء الكفار لا يقدرون على حل أحد على
الضلال الا اذا كان قد سبق حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع في النار وذكر صاحب
الكشاف في قوله فانكم ماتعبدون ما أنتم عليه بغافلين قولين (الاول) الضمير في عليه
لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبودكم ما أنتم وهم جميعا بغافلين على الله الأصحاب النار
الذين سبق في علم الله كونهم من أهل النار فان قيل كيف يفتنونهم على الله قلنا يفتنونهم
عليه باغوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كاتقول أفسدها عليه (والوجه
الثاني) أن تكون الواو في قوله وماتعبدون بمعنى مع كما في قولهم كل رجل وضيعته فكما
جاز السكوت على كل رجل وضيعته فكذلك جاز أن يسكت على قوله فانكم وماتعبدون
لان قوله وماتعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ماتعبدون والمعنى فانكم مع
آلهتكم أي فانكم قرناؤهم وأصحابهم لا تتركون عبادتها ثم قال تعالى ما أنتم عليه أي على
ماتعبدون بغافلين باعشين أو حاملين على طريق الفتنة والاضلال الامن هو صال الحميم
مثلكم وقرأ الحسن صال الحميم بضم اللام ووجه أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتفاء
الساكنين فان قيل كيف يستقيم الجمع مع قوله من هو قلنا من موحد اللفظ بجمع المعنى

لا يرفع رأسه قال ابن عباس
رضي الله عنهما ما في السموات
موضع شبرا لا و عليه ملك يصلى
أو يسبح و روى أنه عليه الصلاة
والسلام قال أظت السماء وحق
لها أن تنظ والذى نفسى بيده
ما فيها موضع أربع أصابع
الا وفيه ملك واضع جبهته
ساجدا لله تعالى وقال السدى
الاله مقام معلوم في القرية
والمشاهدة (وانا نحن
الصافون) في مواقف الطاعة
ومواطن الخدمة (وانا نحن
المسبحون) المقدسون لله
سبحانه عن كل ما لا يليق بحجاب
كبريائه وتحليه كلامهم بفنون
التاكيد لبراز أن صدورهم عنهم
بكمال الرغبة والنشاط هذا
هو الذى تقتضيه جزاءه التميز
وقد ذكر في تفسير الآيات
الكريمة واعرابها ووجه آخر
فأمل والله الموفق (وان كانوا
يقولون) ان هي الخففة من
الثقيلة وضمير الشأن محذوف
واللام هي الفارقة أي ان الشأن
كانت قريش تقول (لو ان
عندنا ذكر من الاولين) أي
كتابا من كتب الاولين من
التوراة والانجيل (لكننا
عبادة الله المخلصين) أي

لا خلاصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كفولهم لئن جاءنا نذير لنكونن أهدي من احدى ﴿ فحمل ﴾
الامم والغناء في قوله تعالى (فكفروا به) فصيحة كما في قوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر فانطلق أي فبما هم ذكروا أي
ذكر سيد الاذكار وكتاب مهين على سائر الكتب والاسفار فكفروا به (فسوف يعلمون) أي طافية كفرهم وغائلته

(ولقد سبقت كلمتنا العبادنا المرسلين) استئناف مقرر للوحي وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اى وبالله لتدقيق وعدنا لهم بالنصرة والعلبة وهو قوله تعالى (انهم لهم المنصورون وان جندنا) وهم اتباع المرسلين (لهم الفالون) على أعدائهم في الدنيا والاخرة ولا يقدح في ذلك انهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب ﴿ ١٦٩ ﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا انصروا

في الآخرة وقرى على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لاتظامها في معنى واحد وقرى كلماتنا (فتول عنهم) فاعرض عنهم واصبر (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح (وأبصرهم) على اسوأ حال وأقطع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر يا بصارهم الا يذنب بغاية قر به كأنه بين يديه (فسوف يبصرون) ما يقع حينئذ من الامور وسوف الوعيد دون التعبد (أوبعنا يسا يستجلبون) روى أنه أنزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل (فأذا نزل بساحتهم) أى فإذا نزل العذاب الموعود بغنائهم كأنه جيش قد هجمهم فأناخ بغنائهم بغنة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرء وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرى نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرى نزل مبيد اللعول من التنزيل أى نزل العذاب (فساء صباح المنذرين) فبئس صباح

فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (المسئلة الثانية) احتج أصحابنا بهذه الآية على انه لا تأثير لاغواء الشيطان ووسوسته وانما الوثر قضاء الله تعالى وتقديره لان قوله تعالى فانكم وماتعبدون ما أنتم عليه بفساتين تصریح بأنه لا تأثير قولهم ولا تأثير لاحوال معبوديهم في وقوع الفتنة والضلال وقوله تعالى الامن هو صال الجحيم يعنى الامن كان كذلك في حكم الله وتقديره وذلك تصریح بأن المقضى لوقوع هذه الحوادث حكم الله تعالى وكان عمر بن عبد العزيز ينجح بهذه الآية في اثبات هذا المطلوب قال الجبائي المراد ان الذين عبدوا الملائكة يزعمون انهم بنات الله لا يكفرون أحدا الامن ثبت في معلوم الله انه سيكفر فدل هذا على أن من ضل بداه الشيطان لم يكن ايو من بالله لو منع الله الشيطان من دعائه والا كان يمنع الشيطان فصيح بهذا ان كل من دعى لم يكن ليصلح عنه شئ من الافعال والجلوات حاصل هذا الكلام أنه لا تأثير لاغواء شياطين الانس والجن وهذا النزاع فيد الا ان وجد الاستدلال انه تعالى بين انه لا تأثير لكلامهم في وقوع الفتنة ثم استثنى عنه ما في قوله تعالى الامن هو صال الجحيم فوجب أن يكون المراد من وقوع الفتنة هو كونه محكوما عليه بأنه صال الجحيم وذلك تصریح بأن حكم الله بالسعادة والسقاوة هو الذى يؤثر في حصول السقاوة وأسعادة واعلم ان أصحابنا يقرر ان هذه الحجية بالحديث المشهور وهو انه حج آدم موسى قال القاضى هذا الحديث لم يقبله علماء التوحيد لانه يوجد أن لا يلام أحد على شئ من الذنوب لانه ان كان آدم لا يجوز لوسى أن يلوم على عن كتبه الله عليه قبل أن يخلفه فكذلك كل مذنب فان صحت هذه الحجية لآدم عليه السلام فلماذا قال موسى عليه السلام في الوكزة هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ولماذا قال فلن أكون ظهيرا للمجرمين ولماذا لام فرعون وجنوده على أمر كتبه الله عليهم ومن عجيب أمرهم انهم يكفرون القدرة وهذا الحديث يوجب أن آدم كان قدريا فلزمهم أن يكفروه وكيف يجوز مع قول آدم وجواء عليهم ما السلام بن ظلمنا انفسنا وارلم تغفرنا وترحمتنا نكون من الخاسرين أن يخرج على موسى بأنه لا لوم عليه وقد كتب عليه ذلك قبل ان يخلقه هذا جملته كلام القاضى فيقال له هب أنك لا تقبل ذلك الخبر فهل ترد هذه الآية أم لا فاننا بينا أن صريح هذه الآية يدل على انه لا تأثير للوسوس في هذا الباب فان الكل يحصل بحكمة الله تعالى والذى يدل عليه وجوه (الاول) ان الكافر ان ضل بسبب وسوسة الشيطان فضلال الشيطان ان كان بسبب شيطان آخر لم تسلسل الشياطين وهو محال واراتهى الى ضلال لم يحصل بسبب وسوسة متقدمة فهو المطلوب (الثاني) أن كل أحد يريد ان يحصل لنفسه الاعتقاد الحق والدين الصدق فحصول ضده يدل على أن ذلك ليس منه (الثالث) أن الافعال موقوفة على الدواعى وحصول الدواعى بتخلق الله فيكون الكل من الله تعالى (الرابع) انه تعالى لما اقتضت حكمته شيئا وعلم وقوعه فلولم يقع ذلك الشئ لم ينزل ذلك الحكم كذا وانقلاب ذلك العلم جهلا

المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح ﴿ ٢٢ ﴾ سا مستعار من صباح الجيش البيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلاروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين الى من ارضهم ومعهم المساحي فالوا محمد والحميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبرنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف

بصرون) تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلياً وتأكيد لوقوع المعاوضة تأكيد مع ما في اطلاق الفعلين من
لمفعول من الايدان بان ما يصبر عليه الصلاة والسلام حينئذ من فنون المسار وما يصبره من أنواع المضار لا يحيط به
الوصف والبيان وقيل أريد بأذول عذاب الدنيا وبالثنائي عذاب الآخرة (سبحار ربك رب العزة عما يصفون) تنزيه لله سبحانه
عن كل ما يصفه المشركون به الا ليقبح حساب ﴿ ١٧٠ ﴾ كبريائه وجبروته ما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور

وهو محال واما الآيات التي تمسك بها القاضى فهي معارضة بالآيات الدالة على ان الكل
من الله والقرآن كالبحر المملوء من مثل هذه الآيات فتبني الدلائل العقلية التي ذكرناها سليمة
والله أعلم ثم قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم فالجمهور على أنهم الملائكة وصفوا
أنفسهم بالعبادة في العبودية فانهم يصطفون للصلاة والتسبيح والغرض منه التنبية على
فساد قول من يقول أنهم أولاد الله وذلك لان مبالغتهم في العبودية تدل على اعتزازهم
بالعبودية واعلم ان هذه الآية تدل على ثلاثة أنواع من صفات الملائكة (فاولها) قوله
تعالى وما منا الا له مقام معلوم وهذا يدل على ان لكل واحد منهم مرتبة لا يتجاوزها
ودرجة لا يتعدى عنها تلك الدرجات اشارة الى درجاتهم في الاصراف في اجسام هذا
العالم والى درجاتهم في معرفة الله تعالى اما درجاتهم في التصرفات والافعال فهي قوله
ياتي الصافون والمراد كونهم صافين في اداء الصلوات ومنازل الخدمة والعبودية
واما درجاتهم في العارف فهي عارفه تعالى واتاليه المسبحون والتسبيح تنزيه الله عما
لا يليق به واعلم ان قباة الصافون واما الصافون والمسبحون فيقيد الحصر ومعناه أنهم
هم الصافون في مواقف العبودية وغيرهم وأنهم هم المسبحون لا غيرهم وذلك يدل على ان
طاعات البشر سائرهم بالنسبة الى طاعات الملائكة والى معارفهم كالمسلم حتى يصح
هذا الحصر وبالجملة فهذا اللفظ الثلاثة تدل على أسرار عجيبة من صفات الملائكة
فكيف يجوز هذا الحصر ان يقال البشر أقرب درجته من الملك فضلا عن ان يقال
هل هو أفضل منهم ام لا اما قوله وان كانوا ليتولون وان عندنا ذكر من الاولين لكن اعباد
الله المخلصين فانه عني ان مشركي في ربس وغيرهم كانوا يقولون لو ان عندنا ذكر اى كتابا من
كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لا اخلصنا العبادة لله ولا كذبنا كما
كذبوا ثم جاءهم التذكري الذي هو سيد الاذكار والكتب المهين على كل الكتب وهو
امر ان ذكروا به ونظير هذه الآية قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا ثم قال
تعالى فسوف يعلمون اى فسوف يعلمون عاقبة هذا الكفر والتكذيب * قوله تعالى (ولقد
سبقت كلنا اعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جنودنا لهم الغالبون يقول عنهم حتى
حين وأبصرهم فسوف يبصرون اذ هذا بنا يستجيبون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح
المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحانه ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) اعلم انه تعالى لما هدد الكفار بقوله تعالى
فسوف يعلمون عاقبة كفرهم أردفه بما يقوى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ولقد
سبقت كلنا اعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جنودنا لهم الغالبون فبين ان وعده
ببصرتهم قد تقدم والدليل عليه قوله تعالى كتب الله لاغلبين انا ورسلي وأبصرا ان
الخبر مقضى بالذات والشئ مقضى بالعرض وما بالذات أقوى مما بالعرض واما النصرة
والغلبة فقد تكون بقوة الحجج وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد تكون بالسوا والاشياء

التي من جعلتها ترك انجاز
وعود على وجب كلمة السابقة
لا سيما في حق رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما نبئ عنه
العرض لعنوان الربوبية
المعربة عن التريية والتكميل
والمالكية الكلية مع الاضافة
لى ضميره عليه الصلاة والسلام
أولاً والى العزة لا يابا كأنه قيل
سبحان من هو مريك ومكملك
وما لك العزة والعظمة على الا
طلاق عما يصفه المشركون به
من الاشياء ان من باترك أضرتك
عليهم كما يدل عليه استعمالهم
بالعذاب وقوله تعالى (وسلام
على الراسين) تشرىف لهم
عليهم السلام بمد تشرىفهم
تعالى عما ذكر وتوحيه بشأنهم
وايدان بأنهم سالمون عن كل
المكاره فآزروهم بسبح لما رب
وقوله تعالى (ما الحمد لله رب
العالمين) اشارة الى وصفه عن
وجل بصفاته الكريمة الثبوتية
بعد التنبية على انصافه تعالى
بجميع صفاته السلبية وايدار
باستبعاها للافعال الجميلة
التي من جعلتها افاضته عليهم
من فنون الكرامات السنية
والكلمات الدينية والديبوية
واسباغهم وعلي من تبعمهم

من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لجمدة تعالى واشعار بان ما وعده عليه الصلاة والسلام من النصرة ﴿ فالؤمن ﴾
والخلة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه
هزوعلا في فيضان الكلمات الدينية والديبوية عليهم ولعل توسط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده نظم
السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار

بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة الحمد * فمن علم رضى الله عنه من أحب أن يكتب بالكمال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصفات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت عنه الشياطين و يرى من اشرك وشركه ١٧١ ﴿ حافظه يوم يوم القيامة انه كان مؤمنا بالرسولين ﴾ (سورة ص مكية وآياتها ست اوتمان ونسائون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *
 اص) باسمك على الموقف
 وفري باسمك والفتح لانتفاء
 النساء كئيب و تجوز ان يكون
 الفتح باضمار حرف التسميم
 فهو موضع الجر لقولهم الله
 لايمان بالمر وان يكون ذلك
 نصيبا بضربا ذكر او اذرا
 ففتح كما مر في فاتحة سورة
 البقرة واعتناج المصروف
 للتعريف والتأنيث لانها علم
 للسورة وقد صرفها من
 قرأ صناد بالتون دلى انه
 اسم الكتاب او التزويل وقيل
 هو في قراءة الكسرا امر
 من المصاداة وهى المعارضة
 والمقابلة ومنها الصدى الذى
 ينعكس من الاجسام الصلبة
 الصوت ومعناه عارض القرآن
 بعملك فاعمل بأوامر وانته
 عن نواهيه وتخلق بأخلاقه
 ثم ان جعل اسما للحرف
 مسرود اعلى منهاج التحدى
 او الرمز الى كلام مثل
 صدق الله او صدق محمد كما نقل
 عن اكار السلف او اسما
 للسورة خبير المبتدأ مخذوف
 او نصبا على اضمار اذ كر
 او اقرأ امر من المصاداة

فالمراد من ان صار مغلوبا في بعض الاوقات بسبب ضعف احوال الدنيا فهو اغالب ولا يلزم على هذه الآية ان يقال فقد قل بعض الانبياء وقد هزم كثير من المؤمنين ثم قال تعالى لرسوله وقد اخبر بما تقدم فتول عنهم حتى حين والمراد ترك مقاتلتهم والله بما وعدناهم الى حين يتممون ثم نزل بهم الحسرة والتداعى واختلف المفسرون فقيل المراد الى يوم بدر وقيل الى فتح مكة وقيل يوم القيامة ثم قال وأبصرهم فسوف يبصرون والعنى فأبصرهم وما يقضى عليهم من افعال الدنيا والاسباب في الآخرة فسوف يبصرون كما مر في الآخرة المراد من الامر بابصارهم على الحال المنتظرة بالعودة الدائمة على أنها كائنه واقعة لا تخاف ان يكونوا في وقت كائنه اذ لم يبق لهم فسوف يبصرون للتهديد والوعيد ثم قال أفبعداب يستعملون واننى ان الرسول عليه السلام كان بعدد هم بالعباد ومارأى شيئا فكانوا يستعملون نزول ذلك العذاب على سبيل الاستهزاء فيمن تعالى ان ذلك الاستعمال جهل لان لكل شى من افعال الله تعالى وفناء عينا لا يتقدم ولا يتأخره كالمطلب عندونه قبل مجئ * ذلك الوقت جهلا ثم قال تعالى في صفة العذاب الذى يستعملونه فاذا نزل بساحتهم أى هذا العذاب فسا صباح النذيرين وانما وقع هذا التعريف هذه المسألة لانهم كانوا يقدمون على الغارة في وقت الصباح فيعمل ذلك الوقت كما تقدمت ذلك العذاب أعاد قوله تعالى فتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون فقيل المراد من هذه الكلمة فيما تقدم احوال الدنيا وفي هذه الكلمة احوال اقامة وعلى هذا التقدير فالتكرير زائل وقيل ان المراد من التكرير المبالغة في التهديد والتهويل ثم انه تعالى ختم السورة بخاتمة شريفة جامعة لكل المطالب العالية وذلك لان أهم المهمات للعاقل معرفة احوال ثلاثة (فأولها) معرفة العالم بقدر الطاقة البشرية وأقصى ما يمكن عرفانه من صفات الله تعالى ثلاثة أنواع (أحدها) تزيينه وتفديسه عن كل ما يليق بصفات الالهية وهو لفظه سبحانه (وثانيها) وصفه بكل ما يليق بصفات الالهية وهو قوله رب العزة فان الربوبية اشارة الى الترية وهى دالة على كمال الحكمة والرحمة والعزة اشارة الى كمال القدرة (وثالثها) كونه متمزها في الالهية عن الشريك والنظير وقوله رب العزة يدل على انه القادر على جميع الحوادث لان الالف واللام في قوله العزة تفيد الاستغراق واذا كان الكل ملكا له وملكه لم يبق غيره شى فثبت ان قوله سبحانه ربك رب العزة عما يصفون كلمة محتوية على أقصى الدرجات وأكمل النهايات في معرفة العالم (والمهم الثاني) من مهمات العاقل ان يعرف انه كيف ينبغي أن يعامل نفسه ويعامل الخلق في هذه الحياة الدنيوية واعلم ان أكثر الخلق ناقصون ولا بداهة من مكمل يكملهم ومرشد يرشدهم وهاد يهديهم وما ذلك الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبديهة الفطرة شاهدة بأنه يجب على الناقص الاقتداء بالكمال فنبت على هذا الحرف بقوله وسلام على المرسلين لان هذا اللفظ يدل على انهم في

قالوا وفي قوله تعالى (والقرآن ذى الذكر) لا تقسم وان جعل مقسماته فمضى للعطف عليه فان أريد بالقرآن كله فالغارة بينهما حقيقة وان أريد غير السورة فمضى باعتبارية كافي فلو كان مررت بالرجل الكريم وبالنسبة المباركة وأيا ما كان في التكرير مزيدا كما كيد المضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والتباهة كافي قوله تعالى وانه لذكرك ولقومك أو الذكري والموصولة أو ذكر ما يحتاج اليه في أمر

الذين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقسامهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام واخبار الامم الدارجة والوحد والوحد
 وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما يبنى عنه التحدى والامر والاقسام به من كون التحدى به معجزا
 وكون الامر به واجبا وكون المقسم به حقيقيا لا عظام اى قسم بالقرآن او بصادق به انه معجز او واجب العمل به او لحقيق بالاعظام
 واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام الرموز اليه ونفس الجملة المذكورة ﴿ ١٧٢ ﴾ قيل القسم فان التسمية تنويه بشأن

المسمى وتنبه على عظم
 خطره اى انه اصادق
 والقرآن ذى الذكر وهذه
 السورة عظيمة الشأن والقرآن
 الخ على طريقة قولهم هذا
 حاتم والله والما كان كل واحد
 من هذه الاجوبة متبنا عن
 انتفاء الريب عن مضمونه
 بالكتابة انباء بينا كان قوله
 تعالى (بل الذين كفروا فى عزة
 وشقاق) اضرا عن ذلك
 كانه قبل لا ريب فيه قطعا
 وليس عدم اذعان الكفرة له
 لشأبة ريب ما فيه بل هم
 فى استكبار وحية شديدة
 وشقاق بعد الله تعالى ورسوله
 ولذلك لا يدعون له وقيل
 الجواب ما دل عليه الجملة
 الاضربية اى ما كفر به
 من كفر لخل وجده فيه
 بل الذين كفروا الخ وقربى
 فى غرة اى فى غفلة عما يجب
 عليهم التنبه له من مبادئ
 الايمان ودواعيه (كم اهلكنا
 من قبلهم من قرن) وعيد لهم
 على كفرهم واستكبارهم
 بيان ما اصاب من قبلهم من
 الاستكبار وكى مفعول
 اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى
 وقرنا كثيرا اهلكنا من

الكمال اللائق بالبشر فادوا غيرهم ولا جرم يجب على كل من سواهم الاقتداء بهم (والمهم
 الثالث) من هجات العاقل ان يعرف انه كيف يكون حاله بعد الموت واعلم ان معرفة
 هذه الحالة قبل الموت صعبة فلا تعتمد فيها على حرف واحد وهو انه اله العالم غنى رحيم
 والعنى الرحيم لا يعذب فيه على هذا الحرف بقوله والحمد لله رب العالمين وذلك لان
 استحقاق الحمد حصل الابانة نعم العظم فبين بهذا كونه معما وظاهر كونه غنيا عن
 العالمين ومن هذا وعقد كان الغالب منه هو الرحمة والفضل والكرم فكان هذا الحرف
 منها على سلامة الحال بعد الموت فظهر بما ذكرنا ان هذه الخاتمة كاصدقة المحنوية على
 درر اشرف من درارى الكواكب ونسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة والعافية فى
 الدنيا والآخرة تم تفسير هذه السورة ضحوة يوم الجمعة السابع عشر من ذى القعدة سنة
 ثلاث وست مائة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه
 وأزواجه وذريته أجمعين

(سورة ص ثمانون وثمان آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ص) والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن
 فنادوا وولات حين مناص) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الكلام المستقصى فى امثال
 هذه الفوائج مذکور فى اول سورة البقرة ولا بأس باعادة بعض الوجوه فاولها انه مقتح
 أسماء الله تعالى التى اولها صاد كقولنا صادق الوعد مسانع المنصوعات صمد (والثانى)
 معناه صديق محمد فى كل ما اخبر به عن الله (الثالث) معناه صمد الكفار عن قبول هذا
 الدين كما قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله (الرابع) معناه ان القرآن مر كى
 من هذه الحروف وانتم قادرون عليها واستم قادرين على معارضة القرآن فدل ذلك على
 ان القرآن معجز (الخامس) ان يكون صاد بكسر الدال من المصاداة وهى المعارضة ومنها
 الصدى وهو ما يعارض صوتك فى الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض
 القرآن يعملك فاعمل باوامره واته عن نواهيه (السادس) انه اسم السورة والتقدير
 هذه صاد فان قيل ههنا اشكالان احدهما ان قوله والقرآن ذى الذكر قسم واين المقسم
 عليه (والثانى) ان كلمة بل تقتضى رفع حكم ثبت قبلها واثبات حكم بعدها بناقض الحكم
 السابق فاین هذا المعنى ههنا والجواب عن الاول من وجوه (الاول) ان يكون معنى
 صاد بمعنى صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيكون صاد هو المقسم عليه وقوله والقرآن ذى
 الذكر هو القسم (الثانى) ان يكون المقسم عليه محذوفا والتقدير سورة ص والقرآن
 ذى الذكر انه لكلام معجز لاننا بينا ان قوله صاد تنبيه على التحدى (والثالث) ان يكون صاد
 اسما للسورة ويكون التقدير هذه صاد والقرآن ذى الذكر ولما كان المشهور ان محمدا

القرون الخالية (فنادوا) هتد نزول باسم او حذول نعمتنا استغاثه وتوبة ليجوا من ذلك وقوله تعالى (وولات حين عليه)

مناص) حال من ضمير نادوا اى نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اى فوت ونجاة من ناصه اى فاته
 لامن ناص بمعنى تاخر ولاهى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث لالتا كيد كما زيدت على ربو ثم وخصت بنى الاحيان ولم يبرز
 الا احد معمولها والاكثر حذف اسمها وقيل هى النافية للجنس زيدت عليها تاء وخصت بنى الاحيان وحين مناص منصوب

على انه اسمها أي ولا حين مناص لهم أو بفعل مضمر أي ولا أرى حين مناص وقرى بارقم فهو على الاول اسمها والخبر محذوف
 أي وليس حين مناص حاصل لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر أي ولا حين مناص كأنهم قرى بالكسر كما في قوله * طلبوا
 ضلطانا ولا أتوان * فأجبت أن لا تنجز الا حين كأن لولا تنجز الضمائر في محو قوله * لولاك هذا العام
 لم أجمع * أولان أو ان شبه باذا في قوله * نهيتك (١٧٣) * عن طلابك أم عمرو * بعافية وأنت اذا صحح * في أنه زمان قطع

منه المضاف اليه و عوض
 التوین لان أصله أو ان صلح
 ثم حل عليه حين مناص
 تنزيلا لقطع المضاف اليه
 من مناص اذا صلح حين
 مناصهم منزلة قطعه من
 حين لما بين المضامين من
 الاتحاد ثم بنى الحين لاضافته
 الى غير متمكن وقرى لات
 الكسر كبير ويقف الكباريون
 عليها بالهاء ككالات
 والبصر يون بالياء كالافعال
 مما يوزن من أرائنا من رة
 على حين لا اتصال لها في الامام
 مما يوزن له من خط لمصحف
 خارج عن القياس (وعجبوا
 أن جاءهم تنذيرهم) ككايه
 رباطهاهم المتعدي على ما حكى
 من استنبارهم وشقاؤهم أي
 عجبوا من أن جاءهم رسول من
 جنسهم بل ادون منهم في
 الرياسة الدنيوية والمال على
 معنى أنهم عدوا ذلك أمرا
 عجيبا خارجا عن احتمال
 الوقوع وأنكروه أشد الانكار
 لأنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا
 منه (وقال الكافرون) وضع
 فيه الظاهر موضع الضمير
 خصبا عليهم وايدانا بأنه
 لا يتجاسر على مثل ما يقولون

عليه السلام يدعى في هذه السورة كونهما معجزة كان قوله هذه ص جاريا مجرى قوله هذه
 هي السورة المعجزة ونظيره قولك هذا حاتم والله أي هذا هو المشهور بالسخا (والجواب)
 عن السؤال الثاني أن الحكم المذكور قبل كلمة بل كون محمد صادقا في تبلغ الرسالة
 أو كون القرآن أو هذه السورة معجزة والحكم المذكور بعد كلمة بل ههنا هو المنازعة
 والشافة في كونه كذلك فحصل المطالب والله أعلم (المسئلة الثانية) قرأ الحسن صاد
 بكسر الهمزة واللام والفاء الساكنين وقرأ عيسى بن عمر بنصب صاد ونون ومحذوف حرف
 التسم وإيصال فعله كقوله الله لا فعلن وأ كثر القراء على الجزم لان الاسماء المار به عن
 الاموال تذكر موقوفة الاواخر (المسئلة الثالثة) في قوله ذي الذكر وجهان (الاول)
 المراد ذي الشرف قال تعالى وانه الذكر لك واقومك وقال تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه
 ذكر لكم ومجاز هذا مرة فواهم فلان ذكر في الناس كما يقولون له صيت (الثاني) ذي البيانين
 أي فيه قصص الاولين والآخرين وفيه بيان العلوم الاصلية والفروعية ومجازة من قوله
 ولقد يسرنا القرآن للذكرة فهل من مدكر (المسئلة الرابعة) قالت المصنفات ان قرآن ذي الذكر
 والذكرة حدث (بيان الاول) قوله تعالى وانه الذكر لك واقومك وهذا ذكر مبارك والقرآن
 ذي الذكر ان هو الاذكار وقرآن مبین (بيان الثاني) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
 ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث (والجواب) ان تصرف ذلك في الحروف والاصوات
 وهي محدثة امامه وله بل الذين كفروا علم اذ منه الكفار من رؤسهم قرئش الذين يجوز على
 مثلهم ألا يجابوا على احسد والتكبر عن الانقياد الى الحق والبرهنة ههنا التعظيم وما يقفده
 الانسان في نفسه من الاحوال التي كتمه من مناقبه غير قوله تعالى واذا قيل له اتى الله
 أخذته العزة بلائهم واشفاق هو قطهار الخفاضة على جهة المساواة للخفاف أو على جهة
 الفضيلة عليه وهو مأخوذ من اشق كأنه يرتفع عن أن يلزمه الانقياد له بل يجعل نفسه
 في شق وخصمه في شق فيريد أن يكون في شق نفسه ولا يجرى عليه حكم خصمه ومثله المعاداة
 وهو أن يكون أحدهما في عدوة والاخر في عدوة وهي جانب الوادي وكذلك المعاداة أن
 يكون هذا في حد غير حد الاخر ويقال انحرف فلان عن فلان وجانب فلان فلان أي
 صار منه على حرف وفي جانب غير جانبه والله أعلم ثم انه تعالى لما وصفهم بالعزة والشقاق
 خوفهم فقال كم أهلكنا قبلهم من قرن فنادوا والمعنى أنهم نادوا عند نزول العذاب في
 الدنيا ولم يذكر يأي شيء نادوا وفيه وجوه (الاول) وهو الاظير أنهم نادوا بالاستغاثة لان
 نداء من نزل به العذاب ليس الا بالاستغاثة (الثاني) نادوا بالايان والتوبة عند معاينة
 العذاب (الثالث) نادوا أي رفعوا أصواتهم يقال فلان اندى صوتا من فلان أي ارفع
 صوتا ثم قال ولا حين مناص يعني ولم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب وهو قوله
 فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا وقال حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون والجوار
 رفع الصوت بالتضرع والاستغاثة وكقوله الآن وقد عصيت قبل وقوله فلم يك ينفعهم

لا التوغلون في الكفر وفي انسوق (هذا ساحر) في يظهره من الخوارق (كذاب) فيما يستند الى الله تعالى من الارسال
 بالانزال (أجعل الآلهة لها واحدا) بان نبي الالهية عنهم وقصرها على واحد (ان هذا شيء عجاب) يبلغ في العجب وذلك
 لانه خلاف ما أنفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم واطبوا على عبادتهم كابران فان مدار كل ما يتون
 بما يندرون من أمور دينهم هو

التقليد والاعتقاد فيمدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالاً وأما جعل مدارعهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء
الكثيرة فلا وجه له لما أنهم لا يدعون أن لا إلهتهم علماً وقدرته ومدخلها في حدوث شئ من الاشياء - في يلزم من نفي الوهيتهم بقاء
الآثار بلا مؤثر وقري عجاب بالتشديد وهو مبلغ ككرام وكرام روى أنه لما أسلم عمر رضی الله عنه شق ذلك على قرش فاجتمع
خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا ﴿١٧٤﴾ وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وقد

جشاك تقضى بيننا وبين ابن
أخيك فاستحضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن
أخي هؤلاء قومك بسأؤنك
السؤال فلا تل كل الميل على
قومك فقال صلى الله عليه
وسلم إذا سألتوني فأولوا فضت
وأرفض ذكر الهتتا وتدعك
والهتت فقال صلى الله عليه
وسلم أرايتم ان أعضيتك ما
سأتم اعطى أتم كل واحدة
تملكون والهرت وتدبر لكم
بها العجب قالوا نعم وعشرا فقال
قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا
ذلك (وانضاق الملا منهم)
أى ونطلق الاشرف من
قريش عن مجلس أبي طالب
بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالجواب العتيد
وشاهد واتصل به عليه الصلاة
والسلام في الدين وعزيمته
على أن يظهره على الدين كله
ويأسوا مما كانوا يرجونه
بتوسط أبي طالب من المصالحة
على الوجه المذكور (أن امشوا)
أى قائلين بعضهم لبعض على
وجه النصيحة امشوا (واصبروا
على آلهتكم) أى وابتوا على
عبادتها متحمسين لما سمعونه
في حقها من الفتح وأن هي

إيمانهم لما رأوا بأسنا بقي ههنا البحت (البحث الاول) في تحقيق الكلام في لفظ لا تزعم
الحليل وسيبويه ان لا ت هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأكيد كما زيدت على رب وتم
لأن كيد وسبب هذه زيادة حدثت لها أحكام - جديدة منها انها لا تدخل الاعلى الاحيان
ومنها ان لا يبرز إلا أحد جزئيهما اما الاسم واما الخبر ويمتنع بروزهما جميعا وقال الاخفش
انها لا تنافي للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنى الاحيان وحين مناص منصوب بها
كأنك قلت ولات حين مناص لهم ويرفع بالابتداء أى ولات حين مناص كأن إلههم
(البحث الثاني) الجمهور يقفون على التاء من قوله ولات والكسائي يقف عليها بالتاء كما
يقف على الاسماء المؤنثة قال صاحب الكشاف واما قول أبي عبيدة التاء داخلة على الحين
فلا وجود له واستشهاده بأن التاء ملتزمة بحين في محضف عثمان فضعيف فكم - فمت في
المحضف أشياء خارجه عن قياس الخط (البحث الثالث) المناص المحيا والقوت بفارناصه
يوصه اذا أغاثه واستنصص طلب المناص والله أعلم * قوله تعالى (عجبوا أن جاءهم منذر
منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل آلهم التاء واحدا ان هذا الشئ عجيب
وانضاق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا شئ يراد من سمعنا به داني الملة
الآخرة ان هذا الاخلاق اسم الله تعالى لما حكى عن الكفار آؤنهم في عزة وشقاق
أردف بشرح كذاهم افاضة فقال وعجبوا أن جاءهم منذر منهم من قوله منهم وجهان
(الاول) انهم قالوا ان محمد مساو لنا في الحلقة الصاهرة والاخلاق اباطنة والنسب
والشكل والصورة فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالى واندرجات
الرفعة (والثاني) أن الغرض من هذه الكلمة التبييد على كمال جهالتهم وذلك لانه جاءهم
رجل يدعوهم الى التوحيد وتعظيم الملائكة والترغيب في الآخرة والتفكير عن الدنيا
ثم ان هذا الرجل من أقاربهم يعلمون أنه كان بعيدا من الكذب والتهمة وكل ذلك مما
يوجب الاعتراف بتصديقه ثم ان هؤلاء الاقوام لمخافتهم يتعجبون من قوله ونظيره قوله أم
لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون فقال وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ومعناه ان محمدا
كان من رهبهم وعشيرتهم وكان مساويا لهم في الاسباب الدنيوية فاستنكفوا من
الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكليفه وعجبوا أن يختص هو من بينهم برسالة الله
وان يميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة وبالجملة فما كان لهذا التعجب سبب الاحسد ثم
قال تعالى وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وانما لم يقل وقالوا بل قال وقال الكافرون
اظهارا للتعجب ودلالة على ان هذا القول لا يصدر الا عن الكفر التام فان الساحر هو
الذي يمنع من طاعة الله ويدعو الى طاعة الشيطان وهو عندكم بالعكس من ذلك
والكذاب هو الذي يخبر عن الشئ لا على ما هو عليه وهو يخبر عن وجود الصانع القديم
الحكيم العليم وعن الحشر والنشر وسائر الاشياء التي تثبت بدلائل القبول صحتها فكيف
يكون كذبا ثم انه تعالى حكى جميع ما عملوا عليه في اثبات كونه كاذبا وهي ثلاثة أشياء

المفسرة لان الانطلاق عن مجلس القائل لا يتخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا ﴿١٧٤﴾ احدها
من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل أى اجتمعوا واكثروا وقري امشوا بغير أن على اصغار القول وقري يمشون
أن اصبروا (ان هذا الشئ يراد) تعليل الامر بالصبر ولوجوب الامتثال به أى هذا الذى شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم
من أمر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال أمرها لشيء يراد أى

من جهته عليه الصلاة والسلام امضوا وتغيبه لاجل ما من غير صار في يديه ولا ما طغى بشبهه لاقول يقال من طرف اللسان
أو امر رجي فيه المسامحة بتفاعة أو امتان فاقطعوا أطباعكم عن استزائه من رآه بوساطة أبي طالب وشفاخته وحسبكم
أن لا تتعوا من عبادة آلهتكم بالكلمة فاسبروا عليها وتعلموا ما تسمونه في حقها من التمدح وسوء القالة وقيل ان هذا الامر
لشيء يريد الله تعالى ويحكم بامضائه ﴿ ١٧٥ ﴾ وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر

لشيء من نواصب الدهر يراد
بنا فلا انفكك لتأمنه وقيل ان
ديكم لشيء يراد اي يطلب
ايؤخذ منكم وتقلبوا عليه
وقيل ان هذا الذي يدعيه
من التوحيد او يقصده من
الرياسة والترفع على العرب
والعجم لشيء يتنى ويريد كل
أحد فامل في هذه الاقوال
واختر منها ما يساعدك في
الجليد (ما معناه هذا) الذي
يقول (في الملة الآخرة) أي
الملة النصرانية التي هي آخر
المرافق مائة أبي الملة التي
ادركنا عليها آباءنا ويجوز
أن يكون الجار والمجرور حالا
من هذا أي ما سمعنا به من
أهل الكتاب ولا الكهان
كأننا في الملة المنزوية ولقد
كذبوا في ذلك اقبح كذب فان
حديث البعثة والتوحيد كان
أشهر الامور قبل الظهور
(ان هذا) أي ما هذا (الا
اختلاق) أي كذب اختلقه
(أنزل عليه الذكر) أي القرآن
(من بيننا) ونحن رؤساء
الناس وأشرفهم كقولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القرية عظيم ومرادهم
انكار كونه ذكرا من

(أحدها) ما يتعلق بالالهيات (وثانيها) ما يتعلق بالنبوات (وثالثها) ما يتعلق بالمعاد اما
الشبهة المتعلقة بالالهيات فهي قواهم اجمل الالكهة الما واحدا ان هذا الشيء عجيب
روى انه لما أسلم عمر فرح به المسلمون فرحاشديدا وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة
وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هؤلاء السفهاء يعنون المسلمين فيجتناك لتعضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو
طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل
كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر
آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أرايتم ان اعطيتكم ما سألتم انه صدق في أتم
كله واحدة تملكون بها العرب وتدين لکم العجم فالوا نعم فان تقنوا لاله الا الله فقاموا
وقاوا اجعل الآلهة الهما واحدا ان هذا الشيء عجيب أي بلغ في التعجب وأقول منشأ
التعجب من وجهين (الاول) هو ان القوم ما كانوا من أصحاب النظر والاستدلال بل
كانت أوهامهم تارة للحسوسات فلما وجدوا في الشاهد ان القائل الواحد لا يفي بغيره
وعلمه يحفظ الخلق اعظم قاسم الغائب على الشاهدة والا يفي حقا هذا العالم الكثير
من آلهة كثيرة يتكفر كل واحد منهم بلفظ نوع آخر (والوجه الثاني) ان آلهة فهم
لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبوعين على الشرك فسألوا من العجيب أن يكون
أولئك الاقوام على كثرتهم وقوة عقولهم كانوا جامعين بسطين وهذا الانسان الواحد
يكون محض صدقا وأقول لعمري لو سلمنا اجراء حكم الشاهد على الغائب من غير دليل
وحجة لكانت الشبهة الاولى لازمة ولما توافقنا على فسادها علمنا ان اجراء حكم الشاهد
على الغائب فاسد قطعنا واذ بطلت هذه القاعدة فتبدل أصل الكلام المشبه في الذات
وكلام المشبه في الافعال اما المشبهة في الذات فهو أنهم يقولون لما كان كل موجود في
الشاهد يجب أن يكون جسمه ومخصوصا بغيره وجب في الغائب أن يكون كذلك واما المشبهة
في الافعال فهم المعتزلة الذين يقولون ان الامر الغلاني فيجب منا فوجب أن يكون فيهما
من الله فثبت بما ذكرنا انه ان صح كلام هؤلاء المشبهة في الذات وفي الافعال لم يقطع
بفساد شبهة هؤلاء المشركين وحيث توافقنا على فسادها علمنا ان عدة كلام المجسمة وكلام
المعتزلة باطل فاسد واما الشبهة الثانية فلعمرى لو كان التقليد حقا لكانت هذه المشبهة
لازمة وحيث كانت فاسدة علمنا ان التقليد باطل بقى ههنا البجاث (البحث الاول) أن
العجيب هو العجيب الا انه أبغ من العجيب كقولهم طوبى لوطي وطوبى لوطي وعراض
وكبير وكبار وقد تشدد للباغ كقوله تعالى ومكروا مكرا كبيرا (الثاني) قال صاحب
الكشاف قري عجيب بالتخفيف والتشديد فقال والتشديد أبغ من التخفيف كقوله تعالى
مكرا كبيرا قال تعالى وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم قد ذكرنا ان
الملائمة عبارة عن القوم الذين اذا حضروا في المجلس فانه تنبى القلوب والعيون من مهايتهم

عند الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واما مثل هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس الخسد
وقصر النظر على الخطاب النبوي (بل هم في شك من ذكرى) أي من القرآن أو الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن
النظر في الأدلة الوردية الى العلم بحقيقته وليس في عقيدتهم ما يثبتون به فهم مذنبون بين الاوهام بنسبونه تارة الى المص
وأخرى الى الاختلاق (بل لما يدوقوا عذاب) أي بل لما يدوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة

الحال وفي لادلالة على أن ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يدوقوا عذاب الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعتدهم خزائن رحمة تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عن شاؤا ويحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيخبروا للنسوة بعض مناديدهم والمعنى أن النبوة عطية ﴿ ١٧٦ ﴾ من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من

وعظمتهم وقوله منهم أي من قريش انطلقوا عن مجلس أبي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد فائلين بعضهم لبعض أن امشوا واصبروا على الهتكم وفيه مباحث (البحث الاول) القراءة المشهورة أن امشوا وقرأ ابن أبي عمير أن امشوا بخذف أن قال صاحب الكشاف أن معنى أي لأن المنطلقين عن مجلس القائلين لا بد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما يجري في المجلس المتقدم فكان انطلاقهم مضتعا معنى القول وعن ابن عباس وانطلق الملائكة منهم يشنون (البحث الثاني) معنى أن امشوا أنه قال بعضهم لبعض امشوا واصبروا فلا حيلة لكم في دفع أمر محمدان هذا الشيء يراد وفيه ثلاثة أوجه (أحدها) ظهر وردين محمد صلى الله عليه وسلم ليس له سبب ظاهر فثبت أن تزايد ظهوره ليس إلا لأن الله يريد وما أراد الله كونه فلا دفع له (وثانيها) أن الأمر كشيء من نوائب الدهر فلا انفكاك لثامته (وثالثها) أن دينكم شيء يراد أي اطلب لبؤخذ منكم قال القائل هذه كلمة تكره تهديدهم الخوف وكان معناها أنه ليس غرض محمد من هذا القول تقرب الراسين وإنما غرضه أن يستولى علينا فيحكم في أموالنا وأرلادنا بما يريد ثم قال ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة والملة الآخرة هي ملة النصراني فقالوا إن هذا التوحيد الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ما سمعنا في دين النصراني أو يكون المراد الملة الآخرة ملة قريش التي أدرأوا آباءهم عليها ثم قالوا ما هذا الاختلاق اوتعال وكذب يحصل الكلام من هذا الوجه أنهم قالوا نحن ما سمعنا عن اسلافنا القول بالتوحيد فوجب أن يكون باطلا ولو كان القول بانظير حقا لكان كلام هؤلاء المشركين حقا وحيث كان باطلا علمنا أن القول باعقيد باطل ﴿ قوله تعالى ﴾ (أنزل عليه الذكر من بيننا) في شك من ذكرى بل لما يدوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليترقوا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) اعلم أن هذا هو الشبهة الثالثة لا وثك الكفار هي الشبهة المتعلقة بالنسوة وهي قولهم إن محمدا لما كل مساويا لغيره في الذات والصفات والحلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة فكيف يعقل أن يخص هو بهذه الدرجة العالية والممتازة الشريفة وهو المراد من قولهم أنزل عليه الذكر من بيننا فإنه استفهام على سبيل الإنكار وحكى الله تعالى عن قوم صالح أنهم قالوا مثل هذا القول فقالوا أأتى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشرو وحكى الله تعالى عن قوم محمد صلى الله عليه وسلم أيضا أنهم قالوا لو أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وتام الكلام في تقرير هذه الشبهة ان قالوا النبوة أشرف المراتب فوجب أن لا تحصل إلا لشرف الناس ومحمد ليس أشرف الناس فوجب أن لا تحصل له النبوة والمقدمتان الاوليان حقيتان لكن الثالثة كاذبة وسبب رواج هذا التقليط عليهم أنهم ظنوا أن الشرف لا يحصل إلا بالمال والاعوان وذلك باطل فان مراتب السعادة ثلاثة أعلاها هي النفسانية وأوسطها هي البدنية وأدونها هي الخارجية

عباده المصطفين لا مانع له فإنه العزيز أي الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن الترية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشر يفه والاطمئنه ما لا يخفى وقوله تعالى (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) ترشيح لما سبق أي بالأمم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الاسوار البانية ويحكموا في التساير الالهية التي يستأثر بها رب العزة والتكبرياء وقوله تعالى (فليترقوا في الأسباب) جواب شرط مخذوف أي ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي توصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهمك بهم مالا غاية وراه والسبب في الاصل هو الوسيلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها أسباب الحوادث السفلية وقيل أبوابها (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلابال وهي ﴿ بما يقولون ولا تكثرت بما يهددون وما مزيدة للتقليل والتخفيف نحو قولك أكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك إشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لثل ذلك القول العظيم

﴿ مهزوم من الأحزاب ﴾ أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلابال وهي ﴿ بما يقولون ولا تكثرت بما يهددون وما مزيدة للتقليل والتخفيف نحو قولك أكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك إشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لثل ذلك القول العظيم

وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح و عاد وفرعون ذوالاوتاد) الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله بيان أحوال الغاة الطغاة الذين هؤلاء جنودا من جنودهم بما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذوالاوتاد من ذوالملك الثابت أصله من نبات البيت المطيب بأوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ الساجدة استعارة من الأثر يقال اسودت بعنق و قد سغوا فيه إنهم سبوا * ووظن ملك ثابت الأوتاد * أو ذوالجوع الكثير سموا * ١٧٨ * بذلك لأن بعضهم قد سبوا كالأوتاد ثابته و قيل نصب الأوتاد مع سوار

وكان يدي الأوتاد ورسوله
 إليها و يضرب عليها أوتادا
 و يترك حتى يموت و قيل كان
 يدبرين أربعة أوتاد في الأرض
 و يرسل عليه العتار و المرات
 و قيل كانت أوتاد حجاب
 نعت هارين ليه (و ثوب هوم
 لوط و أصحاب اميمة أصحاب
 الغض من قوم سب عليه
 السلام و قوله تعالى (أولئك
 الأحزاب) أما يدل من
 الطوائف المذكورة كما أن ذلك
 الكتاب يدل من الم على أحد
 الوجوه وفيه فضل تأكيد
 وتبييد على أنهم الذين جعل
 الجند المهزوم منهم وقوله
 تعالى (ان كل الأكذب الرسل)
 استئناف جري به تقرير التكذيبهم
 و بيان الكيفية و تمهيدا
 لما يقبده أي ما كل أحد من أحاد
 أولئك الأحزاب و ما كل حزب
 منهم الا كذب الرسل لأن
 تكذيب واحد منهم تكذيب
 لهم جميعا لاتفق الكل على
 الحق و قيل ما كل حزب الا
 كذب رسوله على نهي الجمع
 بالجمع و أي ما كان فلا استثناء
 مفرغ من أعم العام في خبر
 المستند أي ما كل أحد منهم
 محكما عليه بأنه كذب الرسل

بهي المال والجاه فالقوم حكوا القضية و ظنوا باخس الراتب أشرفها فلما وجدوا المال والجاه عند غيره أكثر ظنوا ان غيره أشرف منه فموتوا انعقد هذا القياس الفاسد في أفكارهم ثم انه تعالى أجاب عن هذه الشبهة من وجوه (الاول) قوله تعالى بل هم في شك من ذكرى بل لما يدروا عذاب فيه وجهان (أحدهما) أن قوله بل هم في شك من ذكرى أي من الدلائل التي أولفروا فيها زال هذا الشك عنهم ذلك لأن كل ما ذكره من الشبهات فهي كلمات متعينة وأما الدلائل التي تدل بنفسها على صحة نبوته فهي دلائل قاطعة فلما علموا حق الأمر في الكلام أوقفوا على ضعف الشبهات التي تمسكوا بها في ابطال الشبهة و عرفوا صحة الدلائل الدالة على صحة نبوته فبحث لهم يعرفوا ذلك كان لاجل أنهم تركوا النظر والاستدلال فأما قوله تعالى بل لما يدروا عذاب فوقفوا من هذا الكلام انه تعالى يقول هؤلاء انما تركوا النظر والاستدلال لاني لم اذقهم عذابي ولو اذقوا لم يقع منهم الا الاقبال على أداء الامورات والانتها عن المنهيات (وثانيها) أن يكون المراد من قوله بل هم في شك من ذكرى هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من عذاب الله أو أصروا على الكفر ثم أنهم أصروا على الكفر ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك سببا لشكهم في صدقه وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا بحجارة من السماء فقال بل هم في شك من ذكرى معناه ما ذكرناه وقوله تعالى بل لما يدروا عذاب معناه ان ذلك الشك انما حصل بسبب عدم نزول العذاب (والوجه الثاني) من الوجوه التي ذكرها الله تعالى في الجواب عن تلك الشبهة قوله تعالى أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب وتقرر بهذا الجواب أن منصب النبوة منصب عظيم ودرجة عالية والقادر على هبتها يجب أن يكون عزيزا أي كامل القدرة و هو أبا أي عظيم الجود وذلك هو الله سبحانه وتعالى واذا كان هو تعالى كامل القدرة وكامل الجود لم يتوقف كونه واهب الهمة النعمة على كون الموهوب منه غنيا أو فقيرا ولم يختلف ذلك أيضا بسبب أن أعداءه يحبونه أو يكرهونه (والوجه الثالث) في الجواب عن هذه الشبهة قوله تعالى أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليترقا في الأسباب واعلم أنه يجب أن يكون المراد من هذا الكلام مغاير المراد من قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك والفرق أن خزائن الله تعالى غير متناهية كإقال وان من شيء الا عندنا خزائنه ومن جعله تلك الخزائن هو هذه السموات والأرض فلذا ذكر الخزائن أولا على عمومها أردفها بذكر ملك السموات والأرض وما بينهما يعني ان هذه الاشياء أحد أنواع خزائن الله فإذا كنتم عاجزين عن هذا القسم فبأن تكونوا عاجزين عن كل خزائن الله كان أولى فهذا ما أمكنني ذكره في الفرق بين الكلامين أما قوله تعالى فليترقا في الأسباب فالعنى انهم ارادوا ان لهم ملك السموات والأرض فعند هذا يقال لهم ارتقا في الأسباب واصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يرتقا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي

وقيل ما كل واحد منهم محبب عنه محبب ٢٢ سا الا محبب عنه بانه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الإبهام أولا والأيدان بأن كلامهم جري على حيا له تحرب على رسوله ثانيا وتبين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى (فحق عقاب) أي ثبت

وقوم على كل منهم عقابي الذي كانت توجه جناباتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل
الالكذب الرسل خيره بحدف العائد أي ان كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكدا لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية
تكذيبهم والتنبية على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كادكر وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى ان الاحزاب الذين جعل
الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب في ١٧٨ قد تدبروا ما ماول من انه خيره المبتدأ وقوله تعالى

وطاخ أوقوله وتوم اوط
الخ فما يجب تنزيهه سبحانه
التنزيل عن أمثاله (وما يظن
هوذا) نمرود في ارض عتبات
كفار كفة ارض عتبات
أضراسهم من الاحزاب المهزوم
أخبر فيما في يادهم جند خبير
منهم مهزوم من حرب فان
ذلك مما يوجب انتظار السماع
وترقبه ان ياتي به مع ما سبق
الإشارة اليه من الاحزاب
لشأنهم وتهورهم في أمرهم واما
جعله اشارة الى الاحزاب
باعتبار حضورهم بحسب
الذكر أو حضورهم في علم
الله عز وجل فليس في خبر الا
حتمال أصلا كيف لا والانتظار
سواء كان حقيقيا أو استهزاء
انما يتصور في حق من لم يقرب
على أعماله نتائجها بعدد
ما بين عتبات الاحزاب
واستئصالهم بالرقم لم يبق مما
أريد بيانه من عقوباتهم أمر
منتظر وانما الذين في مرصد
الانتظار كفار مكة حيث
ارتكبوا من عظام الجرائم
وكبار الجرائم الموجبة لاشد
العقوبات مثل ما ارتكب
الاحزاب أو أشد منه ولما يلاقوا
بصد شيطان من خواثلها أي وما
ينتظره هؤلاء الكفرة الذين

على من يخافون واعلم ان حكما الاسلام استدلوا بقوله فليرتقوا في اذ سبب على ان
الاجرام الفلكية وما أودع الله فيها من القوى والخواص أسباب لحوادث العالم السفلي
لان الله تعالى سمي الفلكيات أسبابا وذلك يدل على ما قلناه والله اعلم أما قوله تعالى جند
ما هنالك مهزوم من الاحزاب ففيه مقامان من البحث (أحدهما) في تفسير هذه الالفاظ
(والثاني) في كيفية عقابها بما فيها (أما المقام الاول) فقوله جند مبتدأ وما لانه بهام
كقوله جند مسمى ما عندي طعام ما ومن الاحزاب صفة لجند وهو يوم خبر المبتدأ واما
قوله هنالك فيجوز ان يكون صفة لجند أي جند ثابت هنالك ويجوز ان يكون متعلقا بهزوم
معناه ان الجند من الاحزاب مهزوم هنالك أي في ذلك الموضع الذي كانوا يذكرون فيه
هذه الكلمات المتاعنة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأما المقام الثاني) فهو انه تعالى لما
قال ان كانوا يذكرون السموات والارض فليرتقوا في الاسباب ذكر عقبيه انهم جند من
الاحزاب مهزوم منهن فليس في ذلك ما ذكرنا من ان السموات والارض وما بينهما قال
فنادى هنالك اشارة الى يوم بدر ما أخبر الله تعالى بذلك انه سبهم جند المشركين فجاءه أو ياد
يوم بدره قبل يوم الحارثي والاصوب عندي حمله على يوم فتح مكة وذلك لان المعنى انهم جند
سبصرون مهزومين في الموضع الذي ذكرنا وفيه هذه الكلمات وذلك انه وضع يوم مكة فوجب
ان يكون المراد انهم سبصرون مهزومين في مكة وما ذلك الا يوم الفتح والله اعلم قوله تعالى
(كذبت قلوبهم يوم نوح بما فرغوا من الاوتاد) ثم وودعهم لوسر أصحاب الايكة اولئك
الاحزاب ان كل الكذب الرسل الخ عقاب ما ينظره هؤلاء الاصبحة واحدة ما نهان من
فواق اعلم انه تعالى لما ذكر في الجواب عن شبهة القوم انهم انما اتوا نوا وتكاسلوا في النظر
والاستدلال لاجل انهم لم ينزل بهم العذاب بين تعالى في هذه الاية ان اقوام سائر الانبياء
هكذا كانوا ثم بالآخرة نزل ذلك العقاب والفسود منه نحو يف اولئك الكفار الذين
كانوا يكذبون الرسول في اخباره عن نزول العقاب عليهم فذكر الله ستة اصناف منهم
اولهم قوم نوح عليه السلام ولما كذبوا نوحا اهلكهم الله بالفرق والظوفان (والثاني)
قادم قوم هود لما كذبوه اهلكهم الله بالريح (والثالث) فرعون لما كذب موسى اهلكه الله
مع قومه بالغرق (والرابع) ثمود قوم صالح لما كذبوه فأهلكوا بالصيحة (والخامس) قوم
اوط كذبوه فأهلكوا بالحسف (والسادس) أصحاب الايكة وهم قوم شعيب كذبوه
فأهلكوا بهذاب يوم انظلة قالوا وانما وسف الله فرعون بكونه ذا الاوتاد لوجوه (الاول)
ان أصل هذه الكلمة من ثبات البيت المطيب باوتاده ثم استعمل لاثبات العزم الملك قال
الشاعر
ولقد ضموا فيها بانم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد
قال القاضي حال الكلام على هذا الوجه اول لانه لما وصف بتكذيب الرسل فيجب فيما
وصف به ان يكون نفيها لامر ملكه ليكون الزجر بما ورد من قبل الله تعالى عليه من
الهلاك مع قوة أمره ابلغ (والثاني) انه كان ينصب الحسب في الهواء وكان يديدي

هم أمثال أولئك اطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب (الصيحة واحدة) هي النغمة الثابتة لا بمعنى ان عقابهم الموعظ
نفسها بما فيها من الشدة والهول فانه اذ هيعة هولها جميع الامم رها و فاجر هائل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما عدلهم من
العقاب الفظيع الا هي حيث آخرت عقوبتهم الى الآخرة لما ان تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي عليه الصلاة
والسلام بين أظهرهم خارج عن السنة الالهية النبوة على الحكيم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان لعذابهم وأنبت فيهم

وأما ما قبل من أنها النسخة الأولى فما لا يوجد له أصل المأثرة لا يشاهد هولها ولا يصحق بها الأمن كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموصود واقعا مضيها ولا العذاب المطلق مؤخرها اليها بل يحل بهم من حين موتهم (مالها من فواق) أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الخلبتين وقرى بضم الفاء وهما لغتان وفواه تعالى (وقالوا ربنا عجل لنا قسطنا قبل يوم الحساب) حكاية لما قالوه * ١٧٩ عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء

والسخر به يجعل لنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي مبدؤنا الصيحة المذكورة واقطع القطعة من الشيء من قطعه اذا قطعه ويقال لصيحة الجائرة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسره أي عجل لنا صيحة أعمالنا فنظير فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا هل يبل الهزوبه عجل لنا نصيبنا من جهنم تصدروا عنهم النداء المذكور الاستهزاء في الاستهزاء كأنهم يعنون ذلك بكمال الرغبة والتهيؤ الى البر على ما يشاءون من أمثال هذه المقالات ان الله (يا ذكر) لهم (عبدنا اورد أي قصته فهو يلامر المعصية في الدنيا ويؤنبها لهم على كمال قهر ما يجد قروا عليه من المعصية عنه عليه الصلاة والسلام مع علو شأنه والخصاص به فلما تم التعم والكرامات المألوم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتهيب والتعريض حتى تظن فاستغفر ربه وأتاب ووجد منه ما يحكي من بكانه الدائب وغمه الواصب وندعه

المعذب ورجليه الى تلك الحش الاربع ويضرب على كل واحد من هذه الاعضاء وتدا ويتركه مطلقا في الهواء الى أن يموت (والثالث) انه كان يد المعذب بين أربعة أوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات (والرابع) قال قتادة كانت أوتادا وارسانا وملاعب يلعب بها عنده (والخامس) ان عساكره كانوا كثيرين وكانوا كثيرى الاهبة عظيمى النعم وكانوا يكثرون من الاوتاد لاجل الخيام فعرف بها (والسادس) ذوالاوتاد والجموع الكثيرة وسُميت الجموع أوتادا لانهم يفرون أمره ويشدون مملكته كما يفوى الود البناء وأما الآية فهي الفيضة الملتفة ثم قال تعالى أولئك الاحزاب وفيه أقوال (الاول) ان هؤلاء الذين ذكرناهم من الامم هم الذين تحن بوا على أبنائهم وأهلكتناهم فكذلك نعمل بقومك لانه تعالى بين بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ان قوم محمد صلى الله عليه وسلم جند من الاحزاب أي من جنس الاحزاب المتقدمين فلما ذكر انه طال الاحزاب المتقدمين بالاهلاك كان ذلك تخويفا شديدا لقوم محمد صلى الله عليه وسلم (الثاني) ان معنى قواد أو تلك الاحزاب مبالغة أو صفة لهم بقوة والكثرة كما يقال فلان هو الرجل والمعنى ان سان أولئك الاحزاب مع كل قوتهم ما كان هو الهلاك والبنوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء الساكنين واعلم ان هؤلاء الاقوام ان صدقوا بهذا الخبر فهو تعزير وان لم يصدقوا به فهو تحذير أيضا لان آثار هذه الوقائع باقية وهو يند اظن القوم فيحذرون ولان ذكر ذلك على سبيل التنكير يوجب احذرا أيضا ثم قال ان كل الأكذب الرسل فحق عقاب أي كل هذه الطوائف الكاذبة التي ابراهم في التعذيب والترهيب لاجل تنزيل العقاب عليهم وان كان ذلك بعد حين والتقصود منه زجر السامعين ثم يترقى الى ان هؤلاء المكذبين وان تأخر هلاكهم فكأنه واقع بهم فقال ما ينظر هؤلاء الا لصيحة واحدة مالها من فواق وفي تفسير هذه الصيحة هو لاذ (الاول) أن يكون المراد عذابا يفجأهم ويحجبهم دفعة واحدة كما يقال صباح الزمان بهم اذا هلكوا قال الشاعر

صباح الزمان بال برمك صيحة * خروا شدتها على الاقفل

ويشبه ان يكون أصل ذلك من التجارة اذا طاعت القوم فودعت الصيحة فيهم وبطريقه هو تعالى فهمل ينظرون الامثل أيام الدين خاوا من قبليهم ان يه (والقول الثاني) ان هذه الصيحة هي صيحة النسخة الاولى في الصور كما قال تعالى في سورة يس ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصون والمعنى انهم وان لم يدو قواد في الدنيا فهو وعد لهم يوم القيامة فكأنهم بذلك العذاب وقد جاءهم فجمعهم متظيرين لها على معنى قر بها منهم كالرجل الذي ينظر الشيء فهو ما الطرف اليه يطعم كل ساعة في حضوره ثم انه سبحانه وصف هذه الصيحة فقال مالها من فواق قرأ حرة والكسائي فواق بضم الفاء والباقون يفجأها قال الكسائي والقراء وأبو عبيدة والاختفش هما لغتان من فواق التافة وهو ما بين حلبتي التافة وأصله من الرجوع يقال أفاق من مرضه أي رجع الى الصحة فالزمان

الدائم فالظن بهؤلاء الكفرة الازدين من كل ذليل المرتكبين لا كبر الكبار المصيرين على أسطهم المعاصي أو تذكر قصته عليه الصلاة والسلام وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصائبهم وتحمل أذيتهم كي لا يبقالك ما يقب من العافية (ذا الايد) أي ذا القوة يقال فلان يذو ايدو اد بمعنى وايد كل شيء ما يتقوى به (انه أو اب) رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعديل لكونه ذا الايدو دليل على المراد به القوة في الدين فانه عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (انا سخرنا الجبال معه) استنشا

مُسَوِّقٌ لِتَطْيِيلِ قُوَّتِهِ فِي الدِّينِ وَأَوَايَتِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ تَعَالَى وَمَعْمُورَةٌ مَعْلُومَةٌ بِالتَّسْخِيرِ وَابْتِغَاءُهَا عَلَى اللّٰمِ لِأَشْرَائِهِ فِي سُورَةِ الْاَنْبِيَاءِ مِنْ
 أَنْ تَسْخِرَ الْجِبَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَكُنْ يَطْرُقُ تَقْوِيضُ التَّصْرِيفِ الْكُلِّيِّ فِيهَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَتَسْخِيرِ
 الرِّيحِ وَغَيْرِهَا لَسَلِيمٍ عَلَيْهِ الصَّلَامُ بَلْ يَطْرُقُ التَّسْبِيحُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْاِقْتِدَاءُ بِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقِيلَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا
 بَعْدَهَا وَهُوَ أَقْرَبُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا فِي سُورَةِ الْاَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ * ١٨٠ * وَالسَّلَامُ (يَسْبِغُن) أَي يَفْطِنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

الحاصل بين الحلبتين اعودانين الى الضرع يسمى فواقا بالفتح وبانضم كقولك قصاص
 الشعر وقصاصه قال الواحدى والفوق والفوق اسمان من الافاقة والافاقة معناها
 الرجوع والسكون كافاقة المريض الا ان الفوق بالفتح يجوز ان يقام مقام المصدر
 والفوق بالضم اسم لذلك الزمان الذى يعود فيه اللبن الى الضرع وروى الواحدى فى
 السبيص عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فى هذه الآية يا امر الله اسرافيل
 فينفخ نفخة الفزع قال فيمدها ويطولها وهى التى يقول مالها من فوق ثم قال الواحدى
 وهذا محتمل معنيين (أحدهما) مالها سكون (والثانى) مالها رجوع والمعنى ما نسكن تلك
 الصبيحة ولا ترجع الى السكون ويقال لكل من بقى على حالة واحدة انه لا يفتق منه
 ولا يستفتق والله اعلم * قوله تعالى (وقاوار بنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب اصبر على
 ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الایدانه آواب) اعلم اننا ذكرنا فى تفسير قوله وعجبوا أن
 جاءهم مندر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أن القوم انما تعجبوا الشبهات ثلاثة
 (أولها) تتعلق بالانبيات وهو قوله اجعل الآلهة لها واحدا (والثانية) تتعلق
 بالنبوات وهو قوله أنزل عليه الذكر من بيننا (والثالثة) تتعلق بالمعاد وهو قوله تعالى
 وقاوار بنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب وذلك لان اقوم كانوا فى نهاية الانكار للقول
 بالحشر والنشر فكانوا يستدلون بفساد القول بالحشر والشرع على فساد نبوته والقط
 اقطع من الشئ لانه قطع منه من قطعه اذ قطعوه ويقال بصحيفة الجائزة قط وما ذكر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الموتين بالجنة قالوا على سبيل الاستهزاء عجل لنا نصيبا
 من الجنة أو عجل لنا صحيفة أعمالنا حتى نعلم فيها او اعلم أن الكفار لما باغوا فى السفاهة
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا انه ساحر كذاب وقاله على سبيل الاستهزاء
 عجل لنا قطننا امره الله بالصبر على سفاهتهم فقال اصبر على ما يقولون فان قيل أى تعلق بين
 قوله اصبر على ما يقولون وبين قوله واذكر عبدنا داود قلنا بيان هذا التعلق من وجوه
 (الاول) كأنه قيل ان كنت قد شاهدت من هؤلاء الجبال جرائهم على الله وانكارهم
 الحشر والنشر فاذا قرصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر فان
 بقدر ما يزيد اذ احد الصدور ثم ما يزيد اذ الضد الآخر نقصانا (والثانى) كأنه قيل لمحمد
 صلى الله عليه وسلم لا يفتق صدرك بسبب انكارهم قولك ودينك قائم انما خالفوك
 فالأكبر من الانبياء والفقير (والثالث) ان للناس فى قصة داود قولين منهم من قال انها
 تنزل على ذئبه ومنهم من قال انها لا تنزل عليه (فمن قال بالاول) كأن وجه المناجاة فيه كأنه
 قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ان حزنتك ليس الا لان الكفار يكذبونك وأما حزن داود
 فكان بسبب وقوعه فى ذاك الذنب ولا شك أن حزنه أشد فأنما فى قصة داود وما كان فيه
 من الحزن العظيم حتى يخف عليك ما أنت فيه من الحزن (ومن قال بالثانى) قال الخصمان
 الذان دخلا على داود كما نام من الحشر وانما دخلا عليه لصدقه فله فحقاق منهم داود ومع

بصوت يمثل له أو يحاق الله
 تعالى فيها الكلام أو بلسان
 الحال وقيل يسرن معه من
 السباحة وهو حال من الجبال
 وضع موضع مسجات للدلالة
 على تعدد التسبيح حاله بعد حال
 أو استئناف مبين لكيفية
 التسخير (بالعنى والاشراق)
 أى ووقت الاشراق وهو حين
 تشرق الشمس أى تضئ
 ويصفو شعاعها وهو وقت
 الضحى وأما نشر وقها
 فطلوها يقال شرقت الشمس
 ولما تشرق وعن أم هانئ رضى
 الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام
 صلى صلاة الضحى وقال هذه
 صلاة الاشراق وعن ابن
 عباس رضى الله عنه ما عرفت
 من قوله تعالى انزلنا
 الوحي بالبينات على الجبال
 (مششورة) حال من الطير
 وانما عجلنا الطير حال
 كونهم الحشر من ابن عباس
 رضى الله عنهما كل اذا سبغ
 جاوتها الجبال بالتسبيح واجتمعت
 البسائط فسبغت وذلك
 حشرها وقرى والظير محشورة
 بالرفع على الابتداء والخبرية
 (كل له آواب) استئناف مقرر
 لمضمون ما قبله مصرح بما فهم
 منه اجا لان تسبيح الطير أى
 كل واحد من الجبال والظير

لاجل تسبيحه رجاء الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجم رجاء لانه * ذلك *
 يرجع الى قوله رجوعا بعد رجوع وأما لان الاواب والتواب الكثير الرجوع على الله تعالى ومن دأبه اكثار الذكروادامة التسبيح
 والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل أى كل من داود والجبال والظير لله آواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قوته
 بالهيبه والنصرة وكثرة الجنود وقرى بالتشديد للباغاة قيل كان بيت حول محرابه أربعون

ألف مستلثم وقيل ادعى رجل على آخر بقره وعجز عن إقامة البينة فأوحى الله تعالى الذي التام أن اقل المدعى عليه متأخر فاعيد الوحي في اليقظة فاعلمه الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكن باي قتلت أباهداغيلة فقال الناس ان اذنب أحد ذنباً أظهره الله تعالى عليه فقتله فما بوه وهظمت هيبتة في اقلوب (وأيتناه الحكمة) النبوة وكال العلم واتقان العمل وقيل ان بور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق في ١٨١ فهو حكمة (وفصل الخطاب) أي فصل الخصام بتبوير الحق عن الباطل

أو الكلام المخلص الذي يذبه الخطاب على المرام من غير التباس لما قدر وعي فيه مظان الفصل والوصل والمعطف والاستئناف والاظهار والاختصار والحذف والتكرار وإنما سمي به أما بعد لأنه يفصل المقصود عما سبق تمهيداً له كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب المفصل الذي ليس فيه إيجاز مجمل ولا طناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا تزور ولا هذر (وهل أتاكنا الخصم) استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماع ما في حيزه لا بذاته بانه من الانبياء البديعة التي حقه مان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان فر يقان (اذ تسورا الحرب) اذ تصعدوا سورته وتزاولوا اليه والسور الحائط المرتفع وظهيره تسميه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته واذ تعانة بمحذوف أي نياتكم الخصم اذ تسورا أو بانسبا على أن المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وأن اسناد لتيان ايده

ذلك فلم تعرض لا بذاته ولادعاه عليها بسوء بل استقر لهما على ما سيجي تقرير هذه الطريقة فلا جرم أمر الله تعالى محمداً عليه السلام بان يقتدي به في حسن الخلق (والخامس) ان قرينا لما كذبوا محمداً عليه السلام واستخفوا به لقواهم في أكثر الامر انه يتيم فقبرتم انه تعالى قص على محمد كمال مملكة داود ثم بين انه مع ذلك ما سلم من الاحزان والغموم ليعلم أن الخلاص عن الحزن لا سبيل اليه في الدنيا (والسادس) أن قوله تعالى اصبر على ما يقولون واذا ذكر عبدنا داود وغيره فصر على داود فقط بل ذكر عقيب قصة داود قصص سائر الانبياء فكانه قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبياء ليعلم أن كل واحد منهم كان مشغولاً بهم خاص وحزن خاص فحينئذ يعلم أن الدنيا لا تنفك عن الهموم والاحزان وان استحقاق الدرجات العالية عند الله لا يحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب في الدنيا وهذه وجوه ذكرناها في هذا المقام وههنا وجه آخر أقوى وأحسن من كل ما تقدم وسيجي ذكره ان شاء الله تعالى عند الانتهاء الى تفسير قوله كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته واعلم انه تعالى ذكر بعد ذلك حال تسعة من الانبياء فذكر حال ثلاثة منهم على التفصيل وحال ستة آخرين على الاجمال (فالقصة الاولى) قصة داود واعلم أن مجامع ما ذكره الله تعالى في هذه القصة ثلاثة أنواع من الكلام (فالاول) تفصيل مآل الله داود من الصفات التي توجب سعادة الآخرة والدنيا (والثاني) شرح تلك الواقعة التي وقعت له من أمر الخصمين (والثالث) استخلاف الله تعالى اياه بعد وقوع تلك الواقعة (أما النوع الاول) وهو شرح الصفات التي آتاها الله داود من الصفات الواجبة لكمال السعادة فهي شجرة (الاول) قوله لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون واذا ذكر عبدنا داود وأمر محمد صلى الله عليه وسلم على جلالة قدره بان يقتدي في الصبر على طاعة الله بذاود وذلك تشريف عظيم وأكرام تام لداود حيث أمر الله أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بان يقتدي به في مكارم الاخلاق (والثاني) أنه قال في حقه عبدنا داود فوصفه بكونه عبداً وغيره عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك غاية التشريف الاترى انه سبحانه وتعالى لما أراد أن يشرف محمد عليه السلام ليلة المعراج قال سبحانه الذي أسرى بعبدك فبهتهنا يدل على ذلك التشريف لداود فكل ذلك يدل على علو درجته أيضاً فان وصف الله تعالى الانبياء بعبوديته مشعر بانهم قد حققوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في العبادة (والثالث) قوله ذا الابدأ ذا القوة على أداء الطاعة والاحترام عن المعاصي وذلك لانه تعالى لما مدحه بالقوة وجب ان تكون تلك القوة موجبة للمدح والقوة التي توجب المدح العظيم ليست الا القوة على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه والابد المذكور ههنا كالقوة المذكورة في قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقوله تعالى وكتبنا في الاواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة أو باجتهاد في أداء الامانة وتشدد في اقيام بالعبادة وترك اظهار الوهن والضعف والابد

على حذف مضاف أي قصة نبي الخصم أو بالخصم المأثمة من معنى الخصومة لا تأتي لان آياته الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى (اذ دخلوا على داود) بدل مما قبله أو ظرف تسورا (ففرغ منهم) روى أنه تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين قبلهما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبان أن يدخل عليهما فوجداه في يوم عبادته فمعهما الحرس فتسورا عليه الحرب بين معهما من الملائكة فليشمرا الا وهما بين يديه جالسان ففرغ منهم لانهم تزاولوا عليه من فوق على خلاف العادة

والحرص حوله في غير يوم الحكومة والقضاء قال بن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام اجزأ زماته اربعة جزاء يوماً للعبادة و يوماً للقضاء و يوماً للاشتغال بخاصة نفسه و يوماً لوعظ والتذكير (قالوا) استثناف وقع جواباً عن سؤال النشام من حكاية فرعه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فاذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم فرعه فقيل قالوا ازاله افرعه (لا تخف خصمان) أي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الحشم خصماً (بني بعضنا على ١٨٢) بعض) هو على الفرض وقصد التعريض

فلا كذب فيه (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط أي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو تجاوز الحد وتخطى الحق (واهدنا الى سواء الصراط) الى وسط طريق الحق يزجر الباطني عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل (ان هذا أخي) استئناف لبيان ما فيه الخصومة أي أخي في الدين أو في الصحبة والمراد بذلك تمهيد لبيان كمال فتح ما فعل به صاحبه (له تسعة وتسعون نعمة ولى نعمة واحدة) هي الاثني من الله أن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض أربعين المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح السين ونعمه بكسر التون وقرئ ولى نعمة يسكروا بالياء (فقال انقلها) أي ملكتها وحققة اجعني اقلها كما اقل ما كنت يدي وقبل اجعلها اقل أي نصيبى (وعزنى في الخطاب) أي غلبني في مخاطبته اباي محاجة بان جابه بحجاج لم أقدر على رده أو في مقابلته اباي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطاباً أي غابني في الخطبة فعلمتني حيث انه

والقوة سواء ومنه قوله تعالى هو الذي أيدك بخصره وقوله تعالى وأيدناه بروح القدس وقال والسما بينناها يأي وعن قتادة أعطى قوة في العبادة وفقها في الدين وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر (الرابع) قوله انه أو اب أي ان داود كان رجاعاً في أمور كلها الى طاهني والابواب فعال من أب اذا رجع كما قال تعالى ان الينا اياهم وفعال بناء البسافة كما يقال قتال وضرب فانه أبلغ من قاتل وضارب (الخامس) قوله تعالى انا سنخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وظهر هذه الآية قوله تعالى يا جبال أو بي معه والظير وفيه مباحث (البحث الاول) وفيه وجوه (الاول) ان الله سبحانه خلق في جسم الجبل حياة وعقلاً وقدرة ومنطقاً وحينئذ صار الجبل مسبحاً لله تعالى وظهره قوله تعالى فلما تجلج ربه للجبل فان معناه انه تعالى خلق في الجبل عقلاً وفهماً خلق فيه رؤية الله تعالى فكذا هيئنا (الثاني) في التأويل مارواه القفال في تفسيره انه يجوز أن يقال ان داود عليه السلام قد أتى من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوى حسن وما يصغى الظير اليه لحسنه فيكون دوى الجبال وتصويت الظير معه واصفاً لها اليه تسبيحاً وذكر محمد بن اسحق ان الله تعالى لم يعط أحداً من خلقه مثل صوت داود حتى انه كان اذا قرأ القرآن بور دنت منه الوحوش حتى يأخذوا عنافها (الثالث) ان الله سبحانه سنخرنا الجبال حتى اذا كانت تسير الى حيث يريد داود وجعل ذلك السر تسبيحاً لانه كان يدل على كبر قدرته الله تعالى وحكمته (البحث الثاني) قال صاحب الكشف يسبحن في معنى مسبحات فان قالوا هل من فرق بين يسبحن ومسبحات فلناتم نان صبغة الفعل تدل على الحدوث والتجدد وصيغة الاسم على الدوام على ما بينه عبد القاهر الجوهري في كتاب دلائل الإعجاز اذا ثبت هذا فنقول قوله يسبحن يدل على حدوث التسبيح من الجبال شيابعدشي وحالاً بعد حال وكان السامع محاضراً تلك الجبال يسمعهما تسبيح (البحث الثالث) قال الزجاج قتال شرقت الشمس اذا طلعت وأشرقت اذا أضاعت وفعالهما بمعنى (والاول) أكثر قول العرب شرقت الشمس والماء بشرق (البحث الرابع) احتجوا على شرعية صلاة الضحى بهذه الآية عز أم هاني قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فداها بوضوء فوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هاني هذه صلاة الاشراف وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا اقرأ انا سنخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق قال كان يصلح اداود عليه السلام وقال لم ير في نفسه شيء من صلاة الضحى حتى وجدت في قوله يسبحن بالعشي والاشراق (الصفة السادسة) من صفات داود عليه السلام قوله تعالى والظير محشورة كل له أو اب وفيه مباحث (البحث الاول) قوله والظير معطوفه على الجبال والتقدير وسنخرنا الظير محشورة قال ابن عباس رضي الله عنهما كان داود اذا سبح جابوته الجبال واجتمعت اليه الظير فسبحت معه واجتمعت اليه هو حشرها فيكون على هذا التقدير حاشرها هو الله (فان قيل) كيف يصدر تسبيح الله عن الظير مع

على رده أو في مقابلته اباي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطاباً أي غابني في الخطبة فعلمتني حيث انه زوجها دوني وقرئ وعازني أي غابني وعزني بتحفيف الزاي طاب الحقة وهو تحفيف غريب كأنه قيس على ظلت ومست (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك اني نماجه) جواب قسم محذوف قصد به عليه الصلاة والسلام المباينة في انكار فعل صاحبه ومهين طعمه في نعمة من ليس له شيرها مع أن له قطعاً منها ولعله عليه الصلاة والسلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادله

عليه أو بناء على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر إلى لتضمنه معنى الإضافة والضم
 (وان كثيرا من الخلفاء) أي الشركاء الذين خلطوا أموالهم (ليسني) ليدعى وقري: يفتح ليلاء اكتفاء بالكسرة (بعضهم
 على بعض) غير مراد حتى أصحبه والشركة (الالذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم فأنهم يحامون عن النبي والعدوان (وقليل
 ما هم) أي وهم قليل وما من مدة للإيهام والتعجب ﴿ ١٨٣ ﴾ من قتلهم والجملة اعتراض (وظن داود أن فاتاه) الظن مستعار

للعلم الاستدلال لما بينه حامن
 المشابهة الظاهرة أي علم بما
 جرى في مجلس الحكومة وقيل
 لما قضى بينهما فحفظ أحدهما
 إلى صاحبه فضحك ثم صعد
 إلى السماء خيال وجهه فلم عليه
 الصلاة والسلام أنه تعالى
 ابتلاه وليس المعنى على تخصيص
 الفتنة به عليه الصلاة والسلام
 دون غيره بتوجيه القصر
 المستفاد من كلمة إنما المفعول
 بالقياس إلى مفعول آخر كما هو
 الاستعمال الشائع أنوار
 على توجيه القصر إلى معاني
 الفعل وقبوله باعتبار النفي
 فيه والاثبات فيها كافي مثل
 قولك إنما ضربت زيداً وإنما
 ضربته تأدياً بل على تخصيص
 حاله عليه الصلاة والسلام
 بالفتنة بتوجيه القصر إلى نفس
 الفعل بالقياس إلى مغايره من
 الأفعال لكن لا باعتبار النفي
 والاثبات معاني خصوصية
 الفعل فانه غير ممكن قطعا بل
 باعتبار النفي فيما فيه من معنى
 مطلق الفعل واعتبار الاثبات
 فيما يقارنه من المعنى المخصوص
 فان كل فعل من الأفعال
 المخصوصة يصل صندا التحقيق
 إلى معنى مطلق هو مدلول

انه لا قل لها فلنا لا يبعد أن يقول الله تعالى كان يخلق لها عقلا حتى تعرف الله فتسبحه
 حينئذ كل ذلك كان معجزة داود عليه السلام (البحث الثاني) قال صاحب الكشف
 قوله محشورة في مقابلة يسبح الا انه ليس في الحشر مثل ما كل في التسبيح من ارادة
 الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيئا فلا جرم حتى به اسما لافعال ذلك لوقيل وسحرا الطير
 محشورة يسبح على تقدير ان الحشر وجد من حاشرها جملة واحدة دل على التقدير
 المذكور والله أعلم (البحث الثالث) قري والطير محشورة بما رفع (الصفة السابعة) من
 صفات داود عليه السلام قوله تعالى كل له أرباب ومعناه كل واحد من الجبال والسير وأواب
 أي رجاع أي كلما رجع داود إلى التسبيح جاؤ به فهذه الاشياء أيضا كانت ترجع إلى
 تسبيحها والفرق بين هذه الصفة وبين ما قبلها أن في السابق علمنا ان الجبال والطير سميت
 مع تسبيح داود عليه السلام وهذا اللفظ فهما دوام تلك الموافقة وقيل التعبير في قوله كل
 له أرباب لله تعالى أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح
 (الصفة الثامنة) قوله تعالى وشددنا منك دأى قوبناه وقال تعالى شددنا صدك يا خبيك
 وقيل شددنا على البلاغة وأما الاسباب الموجبة لحصول هذا الشد فكثيرة وهي اما
 الاسباب الدنيوية أو الدينية أما الاول فذكرها في وجهين (الاول) روى الواحدى
 عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يجر سد كل ليلة ستة وثلاثون ألف
 رجل فاذا أصبح قبل ارجعوا فمد رضى عنكم نبي الله وزاد آخرون فذكرها اربعين الفا
 قالوا وكان أشد ملوك الارض سلطانا وعن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا ادعى عند
 داود على رجل أخذ منه بقرة فانكر المدعى عليه فقال داود للمدعى أقم البينة فلم يقمها
 فرأى داود في منامه ان الله يأمره أن يقتل المدعى عليه فثبت داود وقال هو منام فأناه
 الوسى بعد ذلك بان تغله فاحضره وأعلمه أن الله أمره بقتله فقال المدعى عليه صدق الله
 انى كنت قتلت أباهذا الرجل غيلة فقتله داود فهذه الواقعة شددت ملكه وأما الاسباب
 الدينية الموجبة لهذا الشد فهي الصبر والتأمل التمام والاحتياط الكامل (الصفة
 التاسعة) قوله وآتينا الحكمة واعلم انه تعالى قال ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا
 كثيرا واعلم أن الفضائل على ثلاثة أقسام النفسانية والبدنية والخارجية والفضائل
 النفسانية محصورة في قسمين العلم والعمل أما العلم فهو ان تصير النفس بالتصورات
 الحقيقة والتصديقات النفسانية بمقتضى الطاقة البشرية وأما العمل فهو ان يكون
 الانسان آتيا بالعمل الاصلح الا صوب بمصالح الدنيا والآخرة فهذا هو الحكمة وإنما
 سمي هذا بالحكمة لان اشتقاق الحكمة من احكام الامور وتقويتها وتبجيدها عن اسباب
 الرخاوة والضعف والاعتقادات الصائبة الصحيحة لا تقبل النسخ والتقص فكانت في غاية
 الاحكام وأما الاعمال المطابقة لمصالح الدنيا والآخرة فانها واجبة الرعاية ولا تقبل النقص
 والنسخ فلهذا السبب سميت تلك المعارف وهذه الاعمال بالحكمة (الصفة العاشرة)

لفظ القول وان معنى مخصوص بقارنه ويقيد وهو أثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك إلى ذلك قولهم معنى
 فلان يعطى وينم بفعل الاعطاء والمنع فورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالعنى
 وعلم داود عليه السلام إنما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بأمرأة أو يا وقيل امتحنه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها
 وإيثا رطب التمثيل لانه أبلغ في التوبيخ

فان التأمل فيه اذا اذناه الى الشعور بما هو الغرض كان ارقم في نفسه واعظم تأثيرا في قلبه وادعى الى التنبه لخطايع فيه من مراعاة
حرمته عليه الصلاة والسلام واللام بتلك الجاهلية والاشعار بانها لم يستحي من ان تصرح بحبه وتصوره بصورة العجاك الجائنه عليه
السلام والسلام الى التصریح في حقته الى الضميمة تنبيهه عليه الصلاة والسلام على أن أوربا يصدد الخصاص (فاستغفره به)
أثر ما علم أن ما صدر عنه ذنب (وحررا كما) أي ساجدا على تسمية السجود في ١٨٤ ركوئياته به أو خرا لم سجودا كما

قوله ونصل الخطاب واعلم أن اجسام هذا العالم على ثلاثة أقسام (أحدها) ما تكون
خالية عن الادراك والشعور وهي الجمادات والنباتات (وثانيها) التي يحصل لها ادراك
وشعور ولكنها لا تقدر على تعريف غيرها الاحوال التي عرفوها في الاكثر وهذا القسم
هو جملة الحيوانات سوى الانسان (وثالثها) الذي يحصل له ادراك وشعور ويحصل عنده
قدرة على تعريف غيره الاحوال المألومة له وذلك هو الانسان وقد رتبته على تعريف الغير
الاحوال المألومة عنده بالنطق والخطاب ثم ان اناس مختلفون في مراتب القدرة على
التعبير عما في الضمير فبعضهم من يتعذر عليه ايراد الكلام المرتب المنتظم بل يكون مخلط
الكلام مضطرب القول ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه ومنهم من يكون
قادرا على ضبط المعنى والتعبير عنه الى أقصى الغايات وكل من كانت هذه القدرة في حقه
أكمل كانت الآثار الصادرة عن النفس التطبيقية في حقه أكمل وكل من كانت تلك
القدرة في حقه أقل كانت تلك الآثار أضعف ولما بين الله تعالى كمال حال جوهر النفس
التطبيقية التي لا تدور بقوله وآتناه الحكمة أردفه ببيان كمال حاله في النطق واللفظ والعبارة
فقال وفصل الخطاب وهذا الترتيب في غاية الجلالة ومن المفسرين من فسّر ذلك بأن
داود أول من قال في كلامه أما بعد وأقول حقا ان الذين يتبعون أمثال هذه الكلمات
فقد حرموا الوقوف على معاني كلام الله تعالى حرمانا عظيما والله أعلم وقول من قال
المراد معرفة الامور التي بها يفصل بين الخصوم وهو مطلب البينة واليمين فبعيد أيضا لان
فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال
بحيث لا يختلط شيء بشيء وبحيث يفصل كل مقام عن مقام وهذا معنى عام يتناول
جميع الاقسام والله أعلم وههنا آخر الكلام في الصفات العشرة التي ذكرها الله تعالى
في مدح داود عليه السلام قوله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا
على داود ففرغ منهم فأبوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا
تشاطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي ابوتك تسعون نعمة ولى نعمة واحدة
قلنا أكلت منها وعرفني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعاجه وان كثيرا
من الخطاء ابغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ما هم وظن
داود انما افتناه فاستغفر ربه وخر را كما واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لفي وحسن
مآب) اعلم ان الله تعالى للمدح واثنى عليه من الوجوه العشرة أردفه بذكر قصة
ليبين بها أن الاحوال الواقعة في هذه القصة لا يبين شيء منها كونه عليه السلام مستحفا
للسنة والمدح والتعظيم أما قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم فهو نظير قوله تعالى هل
أتاك حديث موسى وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستقيم عنها
ليكون داعيا الى الاصغاء لها والاعتبار بها وأقول للناس في هذه القصة ثلاثة أقوال
(أحدها) ذكر هذه القصة على وجه يدل على صدور الكبيرة عنه (وثانيها) دلالتها على

أي مصليا كأنه أحرم ركن
الاستغفار (واناب) أي رجع
الى الله تعالى بالتوبة* واصل
التصديق داود عليه السلام
رأى امرأته رجل يقال له أوربا
قال قلبه اليها فساله أن يظن بها
فاستحي أن يرده ففعل
فتزوجها وهي أم سليمان
عليه السلام وكان ذلك جائزا
في شريعة معتادا فيما بين
أمتد غير محض بالروثة حيث كان
يسأل بعضهم بعضا أن ينزل
له عن امرأته فيتزوجها اذا
عجبت وقد كان الانصار في
صدر الاسلام يواسون
المهاجرين بمثل ذلك من غير
تكبر خلا أنه عليه الصلاة
والسلام اعظم منزلته وارتفاع
مرتبته وعلا شأنه به بالتبديل
على أنه لم يكن ينبغي له أن
يتعاطى ما يتعاطاه الخدما
ويسأل رجل ليس له الامراة
واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها
مع كثرة نسائه بل كان يجب
عليه أن يعاقب هواه ويقهر
نفسه ويصبر على ما تمسح به
وقيل لم يكن أوربا تزوجها
بل كان خطبها ثم خطبها داود
عليه السلام فآثره عليه
السلام أهلها فكان ذنبه عليه

الصلاة والسلام أن خطب على خطبة أخيه المسلم هذا وأما ما يدكر من أنه عليه الصلاة والسلام دخل ذات
يوم محرابه وأغلق بابها وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فديده لياخذها
لابن صغيره فطار فوقه وكوة فتبعها فأبصر امرأه جميلة قد نفضت شعرها فطوى بدنها وهي امرأة أوربا وهو من غزاة
البلقاء فكتب الى أيوب بن صور باو هو صاحب بعث البلقاء أن أبعث أوربا وقدمه على

الصغيرة (وثالثهما) بحيث لا يدل على الكبيرة ولا على الصغيرة فأما القول الاول فحاصل كلامهم فيها ان داود عشق امرأة أوريا فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها فأرسل الله اليه ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة شبيهة بواقعة وعرضاتك الواقعة عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنباً ثم تذبذبه بذلك فاشتغل بالتوبة والذي أدين به وأذهب اليه ان ذلك باطل ويدل عليه وجوه الاول ان هذه الحكاية او نسبت الى أفسق الناس وأشدهم فجوراً الاستنكاف منها والرجل الحشوي الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب الى مثل هذا العمل لباتع في تزيينه نفسه ور بما عن من ينسب اليها واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم اليه (الثاني) ان حاصل القصة يرجع الى امرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته (أما الاول) فامر منكر قال صلى الله عليه وسلم من سعى في دم مسلم ولو بشطر كفة جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله (وأما الثاني) فنكر عظيم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وان أوريا لم يسلم من داود لاني روجه ولا في منكوحه (والثالث) ان الله تعالى وصف داود عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بانصاف العشرة المذكورة ووصفه أيضاً بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة وكل هذه الصفات تنفي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل الشرك والعمل القبيح ولا بأس باعادة هذه الصفات لاجل المبالغة في البيان فنقول (أما الصفء الاول) فهي انه تعالى أمر محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقتدى بداود في المصابرة مع الكابدة ولو قلنا ان داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى في اراق دم امرى مسلم لغرض شهوته فكيف يليق بأحكام الحاكمين أن يأمر محمد افضل الرسل بان يقتدى بداود في الصبر على طاعة الله (وأما الصفء الثانية) فهي أنه وصفه بكونه عبداً له وقد بينا ان المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملاً في موقف العبودية تاماً في القيام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات ولو قلنا ان داود عليه السلام اشتغل بتلك الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملاً في عبوديته لله تعالى بل كان كاملاً في طاعة الهوى والشهوة (الصفة الثالثة) هو قوله ذا اليد أى ذا القوة ولا شك أن المراد منه القوة في الدين لان القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفار ولا معنى للقوة في الدين الا القوة الكاملة على أداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات وأى قوة لم يملك نفسه عن القتل والرغبة في زوجة المسلم (الصفة الرابعة) كونه أواباً كثير الرجوع الى الله تعالى وكيف يليق هذا بمن يكون قلبه مشغولاً بالقتل والفجور (الصفة الخامسة) قوله تعالى اناسخرتنا الجبال معه أفشى أنه سخرت له الجبال ليتخذ وسيلة الى القتل والفجور (الصفة السادسة) قوله والطير محشورة وقيل انه كان محرماً عليه صيد شئ من الطير وكيف يعقل أن يكون الضير آمناً منه ولا يجرم منه الرجل المسلم على روحه ومنكوحه (الصفة السابعة) قوله تعالى وشددنا ملكه ومحال أن يكون

النايون وكان من تقدم
على انابوت لايجل له أن
يرجم حتى يفتح الله
على يديه أو يستشهد ففتح
الله تعالى على يده وسلم
فأمر برده مرة أخرى
وثالثه حتى قتل وأناه خير
قتله فلم يجزن كما كان
يجزن على الشهداء
وتزوج امرأته فافك
مبتدع مكروه ومكر
مخترع بأس مالمكروه
تمجيد الاسماع وتفرد عنه
الطباع وبل لمن ابتدعه
وأشاعه وثالثه اخترعه
وأذاعه ولذلك قال على
رضى الله عنه من حدث
بحديث داود عليه السلام
على ما روي به القصص
جلده مائة وستين وذلك
حد القرية على الانبياء
صلوات الله تعالى وسلامه
عليهم هذا وقد قيل
ان قوما قصدوا أن
يقتلوه عليه الصلاة
والسلام فتسورا
الحراب ودخلوا عليه
فوجدوا عنده أقواما
فصنعوا بهذا الحاكم
فعل عليه الصلاة والسلام
غرضهم فهم بأن ينتقم
منهم فظن أن ذلك

قوله الصفة الثامنة الخ الموافق لما ذكره في أول القصة * ١٨٦ * أن يجعل قوله وآتياء الحكمة هي التاسعة

وقوله وفصل الخطاب
هي العشرة وبعدها
أسقطنا يوم روي أنه
كل له أبواب وقوله بعد
ذلك وأما الصفات
المذكورة بعد ذكر القصة
فهى عشرة لا يخفى ما
فيه فتأمل ابتداءه
من الله عز وجل فاستغفر
ربه بما هم به وأتاب
(فغفرنا له ذلك) أى
ما استغفر منه وروى أنه
عليه الصلاة والسلام
بقى ساجداً أربعين يوماً
وليلة لا يرفع رأسه إلا الصلاة
مكتوبة أولاً لا بد منه
ولا يرفأ قدمه حتى يثب
منه العشب إلى رأسه ولم
يشرب ماء الاثنا عشر يوماً
وجهد نفسه راغباً إلى
الله تعالى في العفوه عنه
حتى كاد يهلك واشتغل
بذلك عن الملك حتى وثب
إبن له يقال له إيشاعلى
ملكه ودعا إلى نفسه
فاجتمع إليه أهل الزبغ
من بني إسرائيل فلما غفر له
حارب به فهزيمه (وان له
عندنا لثمن) لقرية وكرامة
بعد المغفرة (وحسن ما ب)
حسن مرجع في الجنة
(ياد داود انا جعلناك خليفة

المراد انه تعالى شد ملكه بأبواب الدنيا بل المراد انه تعالى شد ملكه بما يعقوبى الدين
وأخبار السعادة الآخرة والمراد تشديد ملكه في الدنيا والآخرة ومن لا يملك نفسه عن
الاعتداء والفجور كيف يليق بذلك (الصفة الثامنة) قوله تعالى وآتياء الحكمة وفصل
الخطاب والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علماً وعملاً فكيف يجوز أن يقول الله تعالى
آتياء الحكمة وفصل الخطاب مع استمراره على ما يستنكف عنه الخبيث الشيطان
من مزاحمة اخلص أصحابه في الروح والمنكوح فهذه الصفات المذكورة قبل شرح
تلك القصة دالة على براءة ساحته عن تلك الأكاذيب * وأما الصفات المذكورة بعد ذكر
القصة فهى عشرة (الأول) قوله وان له عندنا لثمن وحسن ما ب وذكر هذا الكلام انما
يناسب لودت القصة المقدمة على قوته في طاعة الله أما لو كانت القصة المقدمة دالة
على سعيه في القتل والتجور لم يكن قوله وان له عندنا لثمن لأثابه (الثاني) قوله تعالى
ياد داود انا جعلناك خليفة في الارض وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوه (أحدها)
ان الملك الكبير اذا حكى عن بعض عبيده انه فسد دماً الناس وأموالهم وأزواجهم
فبعد فراغه من شرح تلك القصة علم من الناس يقبح منه أن يقول عقيبه أيها العبد
انى فوضت اليك خلافتى ونيابتى وذلك لان ذكر تلك القبائح والافعال المنكرة يناسب
الزجر والحجر فاما جعله نائباً وخليفة لنفسه فذلك البتة مما لا يليق (وثانيها) انه ثبت في
أصول الفقه ان ذكر الحكم عقيب الوصف يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف
فما حكى الله تعالى عنه تلك الواقعة القبيحة ثم قال بعده انا جعلناك خليفة في الارض
أشعر هذا بان الموجب لتفويض هذه الخلافة هو آتياءه بتلك الافعال المنكرة ومعلوم ان
هذا فاسد أما لو ذكر تلك القصة على وجوه تدل على براءة ساحته عن المعاصى والذنوب
وعلى شدة مصابرتة على طاعة الله تعالى فحينئذ يناسب أن يذكر عقيبه انا جعلناك خليفة
في الارض فثبت ان هذا الذى نختاره أولى (والثالث) وهو انه لما كانت مقدمة الآية
دالة على مدح داود عليه السلام وتطهيره وموخرتها أيضاً دالة على ذلك فلو كانت الوسطة
دالة على القبائح والمعاصى لجرى مجرى أن يقال فلان عظيم الدرجة طالى المرتبة في طاعة
الله يقتل ويزنى ويسرق وقد جعله خليفة في أرضه وصوب أحكامه وكان هذا الكلام مما
لا يليق بالعامل فكذا همنا ومن المعلوم ان ذكر العشق والسعى في القتل من أعظم أبواب
المعصية (والرابع) وهو ان النازلين بهذا القول ذكروا في هذه الرواية ان داود عليه
السلام تمنى أن يحصل له في الدين كما حصل للانبيا المتقدمين من المنازل العالية مثل
ما حصل للخليل من الالتقاء في النار وحصل للذبيح من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد
الموجبة لكثرة الثواب فأوحى الله اليه انهم انما وجدوا تلك الدرجات لانهم لما ابتلوا
صبروا فعند ذلك سأل داود عليه السلام الابتلاء فأوحى الله اليه انك ستبلى في يوم كذا
فبالتع في الاحتراز ثم وقعت الواقعة فنقول أول حكايتهم يدل على ان الله تعالى يتبليهم بالابتلاء

في الارض) اما حكاية لما خوطب به عليه الصلاة والسلام مينة لزلقاء عنده عز وجل واما * الذى *
مقول قول مقدر هو معلوف على

الذي يز يدق مغبته و يكمل مراتب اخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق والافراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة و يثبت ان الحكاية التي ذكروها ينقض اولها آخرها (الخامس) ان داود عليه السلام قال وان كثيرا من الخلطاء لبغبي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا استثنى الذين آمنوا عن البغى فلو قلنا انه كان موصوفا بالبغى لزم أن يقال انه حكم بعدم الايمان على نفسه وذلك باطل (السادس) حضرت في بعض المجالس وحضر فيه بعض أكابر الملوك وكان يزيد أن يتعصب لقرار ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة لسبب اقتضى ذلك فقلت له لاشك ان داود عليه السلام كان من أكابر الانبياء والرسل ولقد قال الله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا المدح العظيم لم يجوز لنا أن نتابع في الطعن فيه وأيضا بتقدير انه ما كان نبيا فلا شك انه كان مسلما ولقد قال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير ثم على تقدير اننا لانلتمت الى شيء من هذه الدلائل الا أنا نقول ان من المعلوم بالضرورة ان بتقدير أن تكون القصة التي ذكرتموها حقة صحيحة فان روايتها وذكرها لا يوجب شيئا من الثواب لان اشاعة الفاحشة انما توجب العقاب فلا أقل من أن لا توجب الثواب وأما بتقدير أن تكون هذه القصة باطلة فاسدة فان ذكرها يستحق أعظم العقاب والواقعة التي هنا شأنها وصفتها ان صريح العقل يوجب السكوت عنها فثبت أن الحق ما ذهبنا اليه وان شرح تلك القصة محرم محذور فلما سمع ذلك الملك هذا الكلام سكت ولم يذكر شيئا (السابع) ان ذكر هذه القصة وذكر قصة يوسف عليه السلام يقتضى اشاعة الفاحشة فوجب أن يكون محرما لقوله تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا (الثامن) اوسعي داود في قتل ذلك الرجل لدخل تحت قوله من سعى فدم مسلم ولو بسطت كل ما يوم القيامة مكتوب باين عينيه آيس من رحمة الله وأيضا لو فعل ذلك الملك طالما وكان يدخل تحت قوله أ لعنة الله على الظالمين (التاسع) عن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفري يدعى الانبياء وما يشوي هذا انهم لما قالوا ان المغيرة بن شعبه زنى وشهد ثلاثة من عدول الصحابة بذلك واما الرابع فانه لم يقل بأني رأيت ذلك العمل بعيني فان عمر بن الخطاب كذب أولئك الثلاثة ووجد كل واحد منهم ثمانين جلدة لاجل انهم قد فؤوا واذا كان الحال في واحد من آحاد الصحابة كذلك فكيف الحال مع داود عليه السلام مع انه من أكابر الانبياء عليهم السلام (العاشر) روى أن بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتابه انه تعالى قتل في بغبي أن يراى عندها وان كانت الواقعة على ما ذكرت ثم انه تعالى لم يذكرها لاجل أن يستر تلك الواقعة على داود عليه السلام فلا يجوز له اعلان أن يسعى في هتك ذلك السر بعد ألف سنة أو اوفى أو أكثر فقال عمر سماعي هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها ان القصة التي ذكروها فاسدة باطلة فان قال قائل

على الملك فيها والحكم
فما بين أهلها أوجعناك
خليفة من كان قبلك من
الانبياء القاطنين بالحق
وفيه دليل بين علي
ان حاله عليه الصلاة
والسلام بعد التوبة كما
كانت قبلها لم تتغير قط
(فاحكم بين الناس بالحق)
بحكم الله تعالى فان
الخلافة بكلامه عليه
مقتضية له حتما (ولا تتبع
الهوى) أي هوى النفس
في الحكومات وغيرها
من أمور الدين والدنيا
(فيضلك عن سبيل الله)
بالنصب على أنه جواب
النهي وقيل هو محذور
بالعطف على النهي
مفتوح لا يقتضيه كغيره
أي فيكون الهوى
أو اتباعه سببا لفضلك
عن دلائله التي نصيها
على الحق تكون بنا
رتشر بها وقوله تعالى
(ان الذين يضلون
عن سبيل الله) لتعليل
بقوله بيسار غائبة
واظهار

شديد) جملة من خبر
ومبتدأ وقعت خبر الان
أو الظرف خبر لان
وعذاب مرتفع على
الفاعلية بما فيه من معنى
الاستقرار (بما نسوا)
بسبب نسيانهم وقوله
تعالى (يوم الحساب)
اما مفعول نسوا فيكون
تعليلا لصريح اثبت
العذاب الشديد لهم
بنسيان يوم الحساب بعد
الاشعار بعلية ما يستتبعه
ويستلزمه أعني الضلال
عن سبيل الله تعالى فانه
مستلزم لنسيان يوم
الحساب بل مرة بل هذا
فرد من أفراد أو ظرف
لقوله تعالى لهم أي لهم
عذاب شديد يوم القيامة
بسبب نسيانهم الذي هو
عبارة عن ضلالهم
ومن ضرورته أن يكون
مفعوله سبيل الله فيكون
التعليل المصريح به
حينئذ عين التعليل
المشعر به بالذات غيره

ان كثير من أكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها فالجواب
الحقيقي انه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد
كان الرجوع الى الدلائل القاطعة أولى وأيضاً فالاصل براءة الذمة وأيضاً فلما تعارض
دليل التحريم والتحليل كان جانب التحريم أولى وأيضاً طريفة الاحتياط توجب ترجيح
قوانا وأيضاً فتحن نعلم بالضرورة ان بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول الله لنا يوم القيامة
لم لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة وأما بتقدير كونها باطلة فإن علينا في ذكرها أعظم
العقاب وأيضاً فقال عليه السلام اذا علمت مثل الشمس فاشهدوه ههنا لم يحصل العلم
ولا الظرف في صحة هذه الحكاية بل الدلائل القاهرة التي ذكرناها فائمة فوجب أن لا تجوز
الشهادة بها وأيضاً كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون المحقون
والمحققون منهم يردونه ويحكمون عليه بالكذب والفساد وأيضاً اذا تعارضت أقوال
المفسرين والمحدثين فيه تساقطت وبقي الرجوع الى الدلائل التي ذكرناها فهذا تمام
الكلام في هذه القصة (أما الاحتمال الثاني) وهو ان نحمل هذه القصة على وجد يوجب
حصول الصغيرة ولا يوجب حصول الكبيرة فنقول في كيفية هذه القصة على هذا التقدير
وجوه (الاول) ان هذه المرأة خطبها أوريا فاجابوه ثم خطبها داود فأثره أهلها فكان
ذنبه ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نساؤه (الثاني) قالوا انه وقع بصره عليها
فقال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب البتة أما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس
بذنب وأما حصول الميل عقيب النظر فليس أيضاً ذنباً لان هذا الميل ليس في وسعه فلا
يكون مكلفاً به بل لما تنفق أن قتل زوجها لم يأت ذنباً عظيماً بسبب قتله لاجل انه طمع أن
يتزوج تلك المرأة فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى وهو انه لم يشق عليه قتل ذلك الرجل
(والثالث) انه كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن يطلق امرأته
حتى يتزوجها وكانت عادتهم في هذا المعنى مألوفة معروفة ويتان الانصار كانوا يواسون
المهاجرين بهذا المعنى فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فأحبها فاسأله
التزول عنها فاستحيا أن يرده ففعل وهي أم سليمان فقبل له هذا وان كان جائزاً في ظاهر
الشريعة الا انه لا يليق بك فان حسنات الارارسيات المقر بين فمذه وجوه ثلاثة
اوحلنا هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام الا ترك الافضل
والاولى (وأما الاحتمال الثالث) وهو أن هذه القصة على وجه لا يلزم الحاق الكبيرة
والتصغيرة بـ داود عليه السلام بل يوجب الحاق أعظم أنواع المدح والشأن به وهو أن تقول
رعى أن جماعة من الاعداء ساءوا في أن يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم
يخلو فيه بنفسه ويشغل بضاعة ربه ما يهزوا بالفرصة في ذلك اليوم تسوروا المحار فلما
دخل عليه وحدوا عند أقواسا يمشونه منهم فمذابوا فوسعوا كدبا فمذابوا خصمان بنى
بعضنا على بعض الى آخر القصة وليس في لفظ القرآن ما يمكن أن يحتج به في الحاق الذنب

بداود الألفاظ أربعة (أحدها) قوله وظن داود انما فتناه (وثانيها) قوله تعالى فاستغفر
 ربه (وثالثها) قوله وأتاب (ورابعها) قوله فغفرنا له ذلك ثم نقول وهذه الألفاظ لا يدل
 شي منها على ما ذكره وتقريره من وجوه (الاول) انهم لما دخلوا عليه لعناب فله بهذا
 الطريق وعلم داود عليه السلام ذلك دعاه الغضب الى أن يشتغل بالانتقام منهم الا انه مال
 الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لرضا الله قال وكانت هذه الواقعة هي الفتنة لانها جارية
 مجرى الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر ربه عما هم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك
 المهمل وأتاب فغفر له ذلك القدر من المهمل والعزم (والثاني) أنه وان غلب على ظنه أنهم
 دخلوا عليه ليقنوه الا انه ندم على ذلك الظن وقال للملم تقم دلالة ولا امارة على أن الامر
 كذلك فبئسما علمت بهم حيث ظننت بهم هذا الظن الردي فكان هذا هو المراد من
 قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخررا كما وأتاب منه فغفر الله له ذلك (الثالث)
 أن دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه السلام الا انه عليه السلام استغفر لذلك الداخل
 العازم على قتله كما قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
 فداود عليه السلام استغفر لهم وأتاب أي رجع الى الله تعالى في طلب مغفرة ذلك
 الداخل القاصد للقتل وقوله فغفرنا له ذلك أي غفرنا له ذلك الذنب لاجل احترام داود
 وتعظيمه كما قال بعض المفسرين في قوله تعالى لغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ان معناه ان
 الله تعالى يغفر لك ولا جلك ما تقدم من ذنبك (الرابع) هب انه تاب داود عليه السلام
 عن زلة صدرت منه لكن لانسلم أن تلك الزلة وقعت بسبب المرأة فلم لا يجوز أن يقال ان
 تلك الزلة انما حصلت لانه قضى لاحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الخصم الثاني فانه لما
 قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فتحكم عليه بكونه ظالما بمجرد دعوى الخصم بغير
 بينة لكون هذا الحكم مخالفا للصواب فعند هذا اشتغل بالاستغفار والتوبة لأن هذا
 من باب ترك الافضل والاول وثبت بهذه البيانات اننا اذا جئنا هذه الآيات على هذا الوجه
 فانه لا يلزم اسناد شي من الذنوب الى داود عليه السلام بل ذلك يوجب اسناد اعظم
 الطاعات اليه ثم نقول وحل الآية عليه أولى اوجوه (الاول) ان الاصل في حال المسلم
 البعد عن المناهي لاسيما وهو رجل من اكابر الانبياء والرسل (والثاني) انه أحوط
 (والثالث) أنه تعالى قال أول الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون
 واذكروا عبدنا داود فان قوم محمد عليه السلام لما أظهموا السفاهة حيث قالوا انه
 ساحر كذاب واستهزؤا به حيث قالوا ربنا يجعل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال تعالى في أول
 الآية اصبر يا محمد على سفاهتهم وتحمل ولا تظهر الغضب واذكروا عبدنا داود فانه هذا
 الذكر انما يحس اذا كان داود عليه السلام قد اصبر على ايذائهم وتحمل سفاهتهم وحلم
 ولم يظهر السب والشتم وهذا المعنى انما يحصل اذا جئنا الآية على ما ذكرناه أما اذا
 جئنا على ما ذكره صار الكلام متافسا فاسدا (الرابع) ان تلك الرواية انما تنسب

بالعنوان ومن لم يتنبه
 لهذا السر السري
 قال بسبب نسب انهم وهو
 ضلالهم عن السبيل
 فان تذكره يقتضى ملازمة
 الحق ومخالفة الهوى
 قدبر (وما خلقنا السماء
 والارض وما بينهما
 باطلا) كلام مستأنف
 مقرر لما قبله من أمر
 البعث والحساب والجزاء
 أي وما خلقناهما وما
 بينهما من المخلوقات على
 هذا النظام البدع الذي
 تجار في فهمه العقول
 خلقا باطلا أي خالبا
 عن الغاية الجلية والحكمة
 الباهرة بل منطويا على
 الحق المبين والحكم
 البالغة حيث خلقنا من
 بين ما خلقنا نفوسا
 أودعناها العقل والتمييز
 بين الحق والباطل والنافع
 والضار ومكنها من
 التصرفات العلية والعملية
 في استجلاب منافعها
 واستدفاع مضارها
 ونصبت الحق دلائل
 آفاقية وانفسية ومخندة
 القدرة على الاستشهاد
 بها ثم لم نقصر على

اذا قلنا الحصان كانا ملكين ولما كانا من الملائكة وما كان بينهما خصمة وما بنى
 أحدهما على الآخر كان قولهما خصمان بنى بعضنا على بعض كذباً فهذه الرواية
 لا تتم الا بشئتين (أحدهما) اسناد الكذب الى الملائكة (والثاني) أن يتوسل باسناد
 الكذب الى الملائكة الى اسناد أفحش القباح الى رجل كبير من أكابر الانبياء فأما اذا
 حملنا الآية على ما ذكرنا استغنيا عن اسناد الكذب الى الملائكة وعن اسناد القبيح
 الى الانبياء فكان قولنا أولى فهذا ما عندنا في هذا الباب والله أعلم بأسرار كلامه ورجع
 الآن الى تفسير الآيات أما قوله وهل أتاك بالخصم قال الواحدى الخصم مصدر
 خصمته اخصمه خصماً ثم يسمى به الاثنان والجمع ولا يثنى ولا يجمع يقال همسا خصم وهم
 خصم كما يقال هما عدل وهم عدل والمعنى ذو اخصم وذو وخصم وأرى بالخصم ههنا
 الشخصان اللذان دخلا على داود عليه السلام وقوله تعالى اذ تسوروا المحراب يقال
 تسورت السور تسورا اذا علوته ومعنى تسوروا المحراب أى أتوه من سوره وهو أعلاه
 يقال تسور فلان الدار اذا أتتها من قبل سورها وأما المحراب فلما رآ منه البيت الذى كان
 داود يدخل فيه ويشغل بطاعة ربه وسمى ذلك البيت بالمحراب لاشتماله على المحراب كما
 يسمى الشئ بأشرف أجزائه وههنا مسئله من علم أصول الفقه وهى أن أقل الجمع اثنان
 عند بعض الناس وهو لا تمسكوا بهذه الآية لانه تعالى ذكر صيغة الجمع في هذه الآيات
 في أربعة مواضع (أحدها) قوله تعالى اذ تسوروا المحراب (وثانيها) قوله اذ دخلوا
 (وثالثها) قوله منهم (ورابعها) قوله قالوا لا تخف فهذه الالفاظ الأربعة كلها صيغ الجمع
 وهم كانوا اثنين بدليل أنهم قالوا اخصمان قالوا فهذه الآية تدل على أن أقل الجمع اثنان
 (والجواب) لا يمتنع أن يكون كل واحد من الخصمين جمعاً كثيراً لانا بيننا ان الخصم
 اذا جعل اسمافاته لا يثنى ولا يجمع ثم قال تعالى اذ دخلوا على داود والفسادة فيه أنهم
 ر بما تسوروا المحراب وما دخلوا عليه فلما قال اذ دخلوا عليه دل على أنهم بعد التسور
 دخلوا عليه قال القراء وقد يجاء بأذمر تين ويكون مثنياً كما لو احدث كقولك ضربك إذ
 دخلت على اذا اجترأت مع أنه يكون وقت الدخول ووقت الاجترأ واحداً ثم قال ته الى
 ففرغ منهم والسبب أن داود عليه السلام لما رآهما قد دخلوا عليه لامن الطريق المعتاد
 علم أنهم اثنان دخلوا عليه للشرف فلا جرم فرغ منهم ثم قال تعالى قالوا لا تخف خصمان بنى
 بعضنا على بعض وفيه مسائل (المسئلة الاولى) خصمان خبر مبتدا محذوف أى نحن
 خصمان (المسئلة الثانية) ههنا قولان (الاول) أنهم كانا ملكين نزلا من السماء وأراد
 تنبيه داود عليه السلام على قبح العمل الذى أقدم عليه (والثاني) أنهم كانا انسانين
 دخلا عليه للشرف والقتل فقتلنا ههنا مجدهانه خالياً فلما رأيا عنده جماعة من الخدم اختلقا
 ذلك الكذب لدفع الشر وأما المنكرون لكونهما ملكين وقد أحجوا عليه بانهم لو كانا
 ملكين لكانا كاذبين في قولهما خصمان فانه ليس بين الملائكة خصومة وان كانا كاذبين

لك المقدر من الاطراف
 بل أرسلنا اليها رسلا
 وأنزلنا عليها كتابينا
 فيها كل دقيق وجليل
 وأزخنا عليها بالكتابة
 وعرضناها بالتكليف
 للمنافع العظيمة وأعدنا
 لها عاقبة وجزاء على
 حسب أعمالها (ذلك)
 اشارة الى مانفى من
 خلق ما ذكر باطلا (ظن
 الذين كفروا) أى
 مظنونهم فان جحودهم
 بأمر البعث والجزاء
 الذى عليه يدور فلك
 تكون العالم قول منهم
 يبطلان خلق ما ذكر
 خلوه عن الحكمة سبحانه
 وتعالى عما يقولون علوا
 كبيرا (قو بل الذين
 كفروا) مبتدا وخبر
 وانفاة لافادة ترتب ثبوت
 الو بل اهم على ظهم
 الباطل كما أن وضع
 وصول موضع ضمير هم
 شعار بما فى حيز الصلة
 بعلية كفرهم له ولا تنافى
 بينهما لان ظنهم
 من باب كفرهم ومن
 فى قوله تعالى (من النار)
 تعيلية كما فى قوله تعالى

في قولهم ابنى بعضنا على بعض وانكنا كاذبين في قوتهم ان هذا أخى له تسع وتسعون
 نعمة وثبت اسمها لو كانا ملكين لكانا كاذبين وانكذب على الميت غير جائز لقوله تعالى
 لا تستونيه بالقول ولقوله ويفعلون ما يؤمرون اجاب الداعبون الى القول الاول عن هذا
 الكلام بأن قالوا ان الملكين انما ذكر هذا الكلام على سبيل ضرب المثل لاعلى سبيل
 التحقيق فلم يلزم الكذب وأجيب عن هذا الجواب بأن ما ذكرتم يقتضى العدول عن
 ظاهر اللفظ ومعلوم انه على خلاف الاصل أما اذا حلنا الكلام على أن الخصمين كانا
 رجلين دخلا عليه لغرض الشر ثم وضعنا هذا الحديث الباطل فيئذ لزم اسناد الكذب
 الى شخصين فاسقين فكان هذا أولى من القول الاول والله أعلم وأما القائلون بكونهما
 ملكين فقد احتجوا بوجوه (الاول) اتفاق أكثر القسرين بن عليه (والثاني) انه أرغم منزلة
 من أريد سور عليه آحاد الرعية في حال تعبده فوجب أن يكون ذلك من الملائكة (الثالث)
 أن قوله تعالى قالوا لا تخف كالدلالة على كونهما ملكين لان من هو من رعيته لا يكاد يقول
 له مثل ذلك مع رفعة منزلته (الرابع) ان قولهما ولا تشطط كالدلالة على كونهما
 ملكين لان أحدا من رعيته لا يتجاسر أن يقول له لا تطم ولا تتجاوز عن الحق واعلم أن
 ضعف هذه الدلائل ظاهر ولا حاجة الى الجواب والله أعلم (المسئلة الثالثة) بنى بعضنا
 على بعض أى تعدى وخرج عن الحد يقال بنى الجرح اذا فرط وجعه وانتهى الى الغاية
 ويقال بغت المرأة اذا زنت لان الزنا كبيرة منكرة قال تعالى ولا تكرر هو فتيا تكلم على البغاء
 ثم قال فاحكم بيننا بالحق معنى الحكم احكام الامر في امضاء تكليف الله عليهما
 في الواقعة ومنه حكمة الدابة لانها تمتنع من الجساح ومنه بناء محكم اذا كان قويا وقوله
 بالحق أى بالحكم الحق وهو الذى حكم الله به ولا تشطط يقال شط الرجل اذا بعد ومنه
 قوله شطت الدار اذا بعدت قال تعالى لقد قلنا اذا شططنا أى قولا بعيدا عن الحق فقوله
 ولا تشطط أى لا تبعد في هذا الحكم عن الحق ثم قال واهدنا الى سواء الصراط وسواء
 الصراط هو وسطه قال تعالى فاطلع فرأه فى سواء الجحيم ووسط الشئ أفضله وأعدله قال
 تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وأقول انهم عبروا عن المقصود الواحد بثلاث عبارات
 (أولها) قولهم فاحكم بالحق (وثانيها) قولهم ولا تشطط وهى نهى عن الباطل (وثالثها)
 قولهم واهدنا الى سواء الصراط يعنى يجب أن يكون سعيك فى إيجاد هذا الحق وفى
 الاحتراز عن هذا الباطل أن تردنا من الطريق الباطل الى الطريق الحق وهذا مبالغة
 تامة فى تقرير المطلوب واعلم انهم لما أخبروا عن وقوع الخصومة على سبيل الاجمال
 أردفوه ببيان سبب تلك الخصومة على سبيل التفصيل فقال ان هذا أخى له تسع وتسعون
 نعمة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف أخى بدل من هذا أو خبر
 لقوله ان والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والالفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله
 تعالى وان كثيرا من الخطاء وكل واحدة من هذه الاخوات توجب الامتناع من الظلم

ما يؤدى اليها من ظنهم
 وكفرهم أى قويل لهم
 بسبب النار المترتبة على
 قتلهم وكفرهم (أم جعل
 الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات كالمفسدين
 فى الارض) أم منقطعة
 وما فيها من بل للاضراب
 الانتقالي عن تقرير رأس
 البعث والحساب والجزاء
 بما مر من نفي خلق العالم
 خاليا عن الحكم والمصالح
 الى تقريره وتحققه بما
 فى الهمة من انكار
 التسوية بين الفريقين
 ونفيها على أبلغ وجه
 وآ كده أى بل أن يجعل
 المؤمنين المصلحين
 كالكفرة المفسدين فى
 أقطار الارض كما يقتضيه
 عدم البعث وما يترتب
 عليه من الجزاء لاستواء
 الفريقين فى التمتع بالحياة
 الدنيا بل الكفرة أو فر
 حظا منها من المؤمنين
 لكن ذلك الجعل محال
 فتعين البعث والجزاء
 حتما رفم الاولين الى
 أعلى عليين ورد الآخريين
 الى أسفل سافلين وقوله
 تعالى (أم نجعل المتقين
 كالنجار) اضراب

الى آياته بلزوم ما هو
 أظهر منه استحاله وهو
 التسوية بين اتقياء
 المؤمنين وأشباه الكفرة
 وحمل الفجار على جفرة
 المؤمنين مما لا يساعده
 المقام ويجوز أن يراد
 بهذين الترفيقين عين
 الاولين و يكون التكرير
 باعتبار وصفين آخرين هما
 أدخل في انكار التسوية
 من الوصفين الاولين
 وقيل قال كفار قريش
 للو منسين انا نعطي
 في الآخرة من الخير ما
 تعطون فذاك (كتاب)
 خبر مبتدا محذوف هو
 عبارة عن القرآن أو
 السورة وقوله تعالى
 (أنزلناه اليك) صفته
 وقوله تعالى (مبارك)
 خبر ثان للبتدا أو صفة
 لكتاب عند من يجوز
 تأخير الوصف الصريح
 وقرئ مبارك على أنه
 حال من مفعول أنزلنا
 ومعنى المبارك الكثير
 المنافع الدينية والدينية
 وقوله تعالى (ليدبروا
 آياته) متعلق بأنزلناه أي
 أنزلناه ليتفكروا في

والاعتداء (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشاف قرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونجدة
 بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطم ونعنع وأقوة وثقوة وهي الاثنى من
 العقبان (المسئلة الثالثة) قال الليث النجدة الاثنى من الضأن والبترة الوحشية والشاة
 الجبلية والجمع النعجات والعرب جرت عادتهم يجعل النجدة والطبية كناية عن المرأة
 (المسئلة الرابعة) قرأ عبدالله تسع وتسعون نجدة أثنى وهذا يكون لاجل التأكيد كقوله
 تعالى وقال الله لا تأخذوا الهين اثنين إنما هو هواله واحد ثم قال أ كفلنيها وعزني
 الخطاب قال صاحب الكشاف أ كفلنيها حقيقة اجعلني أ كفلها كما أ كفل ما تحت
 يدي وعزني غلبني يقال عزه يعزه والمعنى جاني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به
 وقرئ وعازني من المعازة وهي المغالبة واعلم ان الذين قالوا ان هذين الخصمين كانا من
 الملائكة زعموا ان المقصود من ذكر التعاج التمثيل لان داود كان تحت تسع وتسعون
 امرأة ولم يكن لاوريا الامرأة واحدة فذكر الملائكة تلك الواقعة على سبيل الزمن
 والتمثيل ثم قال تعالى قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه أي سؤال اضافة نعجتك الى
 نعاجه وروى انه قال له ان رمت ذلك ضرب بنا منك هذا وهذا وأشار الى الانف والجبهة
 فقال يا داود انت أحق ان تضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود
 فلم ير أحدا فعرف المحال فان قيل كيف جاز لداود أن يحكم على أحد الخصمين بمجرد قول
 خصمه قلنا ذكرنا في وجوها (الاول) قال محمد بن اسحق لما فرغ الخصم الاول من
 كلامه نظر داود الى الخصم الذي لم يتكلم وقال لئن صدق لقد ظلمته والحاصل ان هذا
 الحكم كان مشروطا بشرط كونه صادقا في دعواه (والثاني) قال ابن الابارى لما دعى
 أحد الخصمين اعترف الثاني فخكم داود عليه السلام ولم يرد كراهة الله تعالى ذكر الاعتراف
 لدلالة ظاهر الكلام عليه كقول امرئك بالتجارة فكسبت تريد تجرت فكسبت وقال
 تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانقلب أي فاضرب فانقلب والثالث أن يكون التقدير أن
 الخصم الذي هذا شأنه يكون قد ظلمك ثم قال وان كثيرا من الخطاء ينبغي بعضهم على
 بعض قال الليث خلبط الرجل مخالطه وقال الزجاج الخلطاء الشركاء فان قيل لم خص
 داود الخلطاء ينبغي بعضهم على بعض مع أن غير الخلطاء قد يفعلون ذلك والجواب لاشك
 أن المخالطة توجب كثرة المنازعة والمخاصمة وذلك لأنها اذا اختلطوا اطلع كل واحد
 منهم على أحوال الآخر فكل ما يملكه من الاشياء النفيسة اذا اطلع عليه عظمت رغبته فيه
 فيفضي ذلك الى زيادة المخاصمة والمنازعة فلهذا السبب خص داود عليه السلام
 الخطاء بزيادة البغى والعدوان ثم استثنى عن هذا الحكم الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 لان مخالطة هؤلاء لا تكون الا لاجل الدين وطلب السعادات الروحية الحقيقة فلا جرم
 مخالطتهم لا توجب المنازعة وأما الذين تكون مخالطتهم لاجل حب الدنيا لا بد وان تصير
 مخالطتهم سببا لمزيد البغى والعدوان واعلم أن هذا الاستثناء يدل على ان الذين آمنوا

وعملوا الصالحات لا ينبغي بعضهم على بعض فلو كان داود عليه السلام قد بنى وتعدى على ذلك الرجل لزم بحكم فتوى داود أن لا يكون هو من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومعلوم أن ذلك باطل فثبت أن قول من يقول المراد من واقعة انجحة قصة داود قول باطل ثم قال تعالى وقليل ما هم واعلم أن الحكم بقلة أهل الخير كثير في القرآن قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وقال داود عليه السلام في هذا الموضع وقليل ما هم وحكى تعالى عن ايليس انه قال ولا تجدا أكثرهم شاكرين وسبب الذلة ان الدواعى الى الدنيا كثيرة وهى الخواس الباطنة والظاهرة وهى عشرة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية السبعة فالجموع تسعة عشر واقفون على باب جهنم البدن وكأها تدعو الى الخلق والدنيا واللذة الحسية وأما الداعى الى الحق والدين فليس الا العقل واستيلاء القوة الحسية والطبيعية على الخلق أكثر من القوة العقلية فيهم فلهذا السبب وقعت الغلظة في جانب أهل الخير والكثرة في جانب أهل الشر قال صاحب الكشاف وما فى قوله وقليل ما هم للايهام وفيه تعجب من قلتهم قال واذا أردت ان تتحقق قائلتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقى له معنى قط ثم قال تعالى وظن داود انما افتناه قالوا معناه وعلم داود انما افتناه أى امتحنناه قالوا والسبب الذى أوجب حمل لفظ الظن على العلم ههنا ان داود عليه السلام لما قضى بينهما نظر أحدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء قبل وجهه فعلم داود ان الله ابتلاه بذلك فثبت ان داود علم ذلك وانما جاز حمل لفظ الظن على العلم لان العلم الاستدلال يشبه الظن مشابهة عظيمة والمشابهة علة لجواز المجاز وأقول هذا الكلام انما يلزم اذا قلنا الخصمان كأنما ملكين أما اذا لم نقل ذلك لا يلزمنا حمل الظن على العلم بل لنا بل أن يقول انه لما غلب على ظنه حصول الابتلاء من الله تعالى اشتغل بالاستغفار والابانة أما قوله فاستغفر ربه أى سأل الغفران من ربه ثم ههنا وجهان ان قلنا بأنه قد صدرت زلة مندحلنا هذا الاستغفار عليها وان لم نقل به قلنا فيه وجوه (الاول) ان القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله وانه كان سلطانا شديدا فتهر عظيم القوة ثم انه مع انه مع القدرة الشديدة على الانتقام ومع حصول الفرع في قلبه عفا عنهم ولم يقل لهم شيئا قرب الامر من أن يدخل في قلبه شئ من العجب فاستغفر ربه عن تلك الحالة وأتاب الى الله واعترف بأن اقدهاه على ذلك الخير ما كان الا بتوفيق الله فغفر الله له وتجاوز عنه بسبب طريان ذلك الخاطى (الثانى) لعله هيربا يذاء القوم ثم قال انه لم يدل دليل قاطع على هؤلاء قصدوا الشرف عفا عنهم ثم استغفر عن ذلك المهم (الثالث) لعل القوم تابوا الى الله وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم لاجل أن يقبل توبتهم فاستغفر وتضرع الى الله فغفر الله ذنوبهم بسبب شفاعته ودعائه وكل هذه الوجوه محتملة ظاهرة والقرآن مملوء من أمثال هذه الوجوه واذا كان اللفظ محتملا لما ذكرناه ولم يتم دليل قطعى ولا ظنى على التزام المنكرات التى يذكرونها فالذى يحملنا على التزامها

آياته التى من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار الكون والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفاسفة والتأويلات اللائفة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب أى أنت وعلماء أمك بخذف احذى الثامين (وليتدكر أولو الاباب) أى وليتفظ به ذروا العقول السليمة أو ليستحضروا ما هو كالمركز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) وقرئ نعم العبد أى سليمان كما ينبنى عند تأخير عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى (انه أواب) أى رجاع الى الله تعالى بالتوبة أو الى التسبيح مرجع له لتعليل للمدح وهو من حاله لما ان الضمير المجرور في قوله تعالى (اذ عرض

واقول بها والذي يؤكده أن الذي ذكرناه أقرب وأقوى أن يقال ختم الله هذه القصة بقوله وإنه عندنا زلني وحسن مأب ومثل هذه الخاتمة إنما تحسن في حق من صدر منه عمل كثير في الخدمة والطاعة وتعمل أنواعا من الشدائد في الموافقة والانقياد أما إذا كان المذكور السابق هو الاقدام على الجزم والذنب فان مثل هذه الخاتمة لا تليق به قال مالك بن دينار إذا كان يوم القيامة أتى بمنبر رفيع ويوضع في الجنة ويقال يا داود مجتدي بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تجتدي به في الدنيا والله أعلم ببي ههنا مباحث (فالأول) قرى قنائه وقتناه على ان الالف ضمير المتكئين (الثاني) المشهور ان الاستغفار إنما كان بسبب قصة النعجة والنعاج وقيل أيضا إنما كان بسبب انه حكم لاحد الخاضعين قبل ان يسمع كلام الثاني وذلك غير جائز (الثالث) قوله خررا كما وأتاب يدل على حصول الركوع وأما السجود فقد ثبت بالأخبار وكذلك البكاء الشديد في مدة أربعين يوما ثبت بالأخبار (الرابع) ان مذهب الشافعي رضي الله عنه ان هذا الموضوع ليس فيه سجدة التلاوة وقال لانه توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة (الخامس) استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية في سجود التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود * قوله تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله اهم عذاب شديد بانسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم يحمل الذين آمنوا وتعلموا الصالحات كالفسدين في الارض أم يحمل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب) اعلم انه تعالى لما تم الكلام في شرح القصة أردفها بيان أنه تعالى فوض الى داود خلافة الارض وهذا من أقوى الدلائل على فساد القول المشهور في تلك القصة لان من البعيد جدا أن يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دماء المسلمين راغبا في انتزاع أزواجهم منهم ثم يذكر حقيقته ان الله تعالى فوض خلافة الارض اليه ثم يقول في تفسير كونه خليفة وجهان (الأول) جعلناك تخلف من تقدمك من الانبياء في الداء الى الله تعالى وفي سياسة الناس لان خليفة الرجل من يخلفه وذلك إنما يعقل في حق من يصح عليه النيابة وذلك على الله محال (الثاني) انا جعلناك مالكا للناس ونافذ الحكم فيهم فبهذا التأويل يسمى خليفة ومنه يقال خلفنا الله في أرضه وحاصله ان خليفة الرجل يكون ناظرا للحكم في رعيته وحقيقته الخلافة متمتع في حق الله فلما تمتعت الحقيقة جعلت اللفظة مفيدة الزوم في تلك الحقيقة وهو نافذ الحكم ثم قال تعالى فاحكم بين الناس بالحق واعلم أن الانسان خلق مدينا بالطبع لان الانسان الواحد لا ينتظم مصالحه الا عند وجود مدينة تامة حتى ان هذا يحترث وذلك يطحن وذلك يخبر وذلك ينسخ وهذا يخطط وبالجملة فيكون كل واحد منهم مشغولا بهم وينظم من أعمال الجميع مصالح الجميع فثبت ان الانسان مدني بالطبع

عليه) راجع اليه عليه الصلاة والسلام قطعا واذا منصوب باذكري اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه (بالعشي) هو من الظهر الى آخر النهار (الصافيات) قانه يشهد بأنه أو اب وقيل طرف لاو اب وقيل نعم وتأخير الصافيات عن الظرفين لما مر من ارمان التشويق الى المؤخر والصافين من الخليل الذي يقوم على طرف سنك يدا ورجل وهو من الصفات المحمودة في الخليل لا يكاد يتفق الا في المراب الخالص وقيل هو الذي يجمع بيده ويسوجها وأما الذي يتفق على سنكته فهو التخميم (الجياد) جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية أي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في موافقتها واذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها وقيل هو جمع جيد

وعند اجتماعهم في الموضع الواحد يحصل بينهم منازعات ومخاصمات ولا بد من انسان قادر قاهر يقطع تلك الخصومات ويفصل تلك الحكومات وذلك هو السلطان الذي ينفذ حكمه على الكل فثبت انه لا ينظم مصالح الخلق الا بسلطان قاهر سانس ثم ان ذلك السلطان القاهر السانس ان كان حكمه على وفق هواه واطلب مصالح دينه اعظم ضرره على الخلق فانه يجعل الرعية فداء لنفسه ويتوسل بهم الى تعصيل مقاصد نفسه وذلك يفضي الى تخريب العالم ووقوع الهرج والمرج في الخلق وذلك يفضي بالآخرة الى هلاك ذلك الملك اما اذا كانت احكام ذلك الملك مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت ابواب الخيرات على احسن الوجوه فهذا هو المراد من قولهم فاحكم بين الناس بالحق يعني لا بد من حاكم بين الناس بالحق فكن انت ذلك الحاكم ثم قال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الآية وتفسيره ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب فينتج ان متابعة الهوى توجب سوء العذاب (أما المقام الاول) وهو ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله فقريره ان الهوى يدعو الى الاستغراق في اللذات الجسمانيات والاستغراق فيها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات لانها محالان متضادتان فبقدر ما يزيد احداهما ينقص الآخر (أما المقام الثاني) وهو ان الضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب فالامر فيه ظاهر لان الانسان اذا عظم انفع به هذه الجسمانيات ونسى بالكلية أحواله الروحانيات فاذا مات فقد فارق المحبوب والمعشوق ودخل ديار ليس له باهل تلك الديار الف وليس لعينه قوة مطالعة أنوار تلك الديار فكانه فارق المحبوب ووصل الى المكروه فكان لا محالة في أعظم العناء والبلاء فثبت ان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله وثبت ان الضلال عن سبيل الله يوجب العذاب وهذا بيان في غاية الكمال ثم قال تعالى بما نسوا يوم الحساب يعني ان السبب الاول لحصول ذلك الضلال هو نسيان يوم الحساب لانه لو كان متذكرا ليوم الحساب لما عرض عن اعداد الزاد يوم المعاد ولما صار مستغرقا في هذه اللذات الفاسدة * روى عن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز هل سمعت ما بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الانبياء ثم تلا هذه الآية ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ثم قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ونظيره قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتناء عذاب النار وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا ليجوز أن يكون خالقا لا أعمال العباد قال لانها مشتملة على الكفر والفسق وكلها باطل فلما بين تعالى أنه ما خلق السموات والارض وما بينهما

رؤى أنه عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العاقلة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة ففقد يوم بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فانتقم لما فاتته فاسترد ما فجعها تقر بالله تعالى وبنى مائة فاقى أيدي الناس من الجياد فنسلها وقيل لما صرها أبده الله خيرا منها وهي الریح تجري بأمره (فقال انى أحبيت خب الخير عن ذكر ربي) قاله عليه الصلاة والسلام عند غروب الشمس اعترفا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة ونما عليه وتمهيدا لما يقبه من الامر يرد هاهو عقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على أن اعترافه وندمه عن صميم القلب لا تحقيق مضمون الخبر وأصل أحبيت أن

باطلا دل هذا على انه تعالى لم يخلق أعمال العباد ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وعندنا الحجة انه خلق الكافر لاجل ان يكفر والكافر باطل
وقد خلق الباطل ثم أكد تعالى ذلك بأن قال ذلك ظن الذين كفروا أى كل من قال بهذا
القول فهو كافر فهذا تصريح بان مذهب الملحمة عين الكفر واحتج أصحابنا رجمهم الله
بأن هذه الآية تدل على كونه تعالى خالقا لأعمال العباد فقالوا هذه الآية تدل على كونه
تعالى خالقا لكل ما بين السموات والارض وأعمال العباد حاصلة بين السماء والارض
فوجب أن يكون الله تعالى خالقها (المسئلة الثانية) هذه الآية دالة على صحة القول
بالحشر والنشر والقيامة وذلك لانه تعالى خلق الخلق في هذا العالم فاما ان يقال انه خلقهم
للانصرار أو للانفعاغ أو للانفعاغ أو للانصرار والاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم
الكريم والثالث أيضا باطل لان هذه الحالة حاصلة حين كانوا معدومين فلم يبق الا أن يقال
انه خلقهم للانفعاغ فتقول وذلك الانفعاغ اما أن يكون في حياة الدنيا أو في حياة الآخرة
والاول باطل لان منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل المضار الكثيرة للنفعة
القليلة لا يليق بالحكمة ولما باطل هذا القسم ثبت القول بوجود حياة أخرى بعد هذه
الحياة الدنيوية وذلك هو القول بالحشر والنشر والقيامة واعلم أن هذا الدليل يمكن
تقريره من وجوه كثيرة وقد لحصناها في أول سورة يونس بالاختصاص فلا سبيل الى التكرير
فثبت بما ذكرنا انه تعالى ما خلق السماء والارض وما بينهما باطلا واذالم يكن خلقهما
باطلا كان القول بالحشر والنشر لازما وان كل من أنكر القول بالحشر والنشر كان شاكاً
في حكمة الله في خلق السماء والارض وهذا هو المراد من قوله ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار ولما بين الله تعالى على سبيل الاجال ان انكار الحشر والنشر
يوجب الشك في حكمة الله تعالى بين ذلك على سبيل التفصيل فقال أم نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار وتقريره أنزلنا في
الدنيا من أطاع الله واحتز عن معصيته في الفقر والزمانة وأنواع البلاء ونزى الكفرة
والفساق في الراحة والتعبطة فلولا يمكن حشر ونشر ومعاد فحينئذ يكون حال المطيع
أدون من حال العصاى وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم واذ كان ذلك فادحا
في الحكمة ثبت ان انكار الحشر والنشر يوجب انكار حكمة الله * ثم قال تعالى كتاب
أنزلناه اليك مبارك ليذكروا آياته وايتذكر أولوا الالباب وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
قالت المعتزلة دات الآية على انه تعالى انما أنزل هذا القرآن لاجل الخبير والرحمة
والهداية وهذا يفيد أمرين (أحدهما) أن أفعال الله معاملة برعاية المصالح (والثاني) أنه
تعالى أراد الايمان والخير والطاعة من الكل بخلاف قول من يقول انه اراد الكفر من
الكافر (المسئلة الثانية) في تقرير نظم هذه الآيات فتقول لسائل أن يسأل فيقول انه
تعالى حكى في أول السورة عن المستهزئين من الكفار أنهم بالغوا في انكار البعث

تعدى يعلى لانه بمعنى
آرت لكن لما أتيت متاب
أنت عدى تعديته وحب
الخبر مفعوله كأنه قيل
أثبت حب الخير من ذكر
ربي ووضعته موضعه
والخير المال الكثير
والمراد به الخيل التي
شغلته عليه الصلاة
والسلام ويحتمل أنه
سماها خيرا لتعلق الخير
بها قال عليه الصلاة
والسلام الخير مفعود
ينواصى الخيل الى يوم
القيامة وقرى انى (حتى
توارت بالحجاب) متعلق
بقوله أحييت باعتبار
استمرار المحبة ودوامها
حسب استمرار العرض
أى أثبت حب الخير من
ذكر ربي واستمر ذلك
حتى توارت أى غربت
الشمس تشبيها لغروبها
في مغربها وتوارى الحجاب
بجبابها واضمارها من
غير ذكر لدلالة العشى
عليها وقيل الضمير
للمصافات أى حتى
توارت بحجاب الليل
أى بظلامه (ردوها
على) من تمام مقالة
سليمان عليه السلام

والقيامة وقالوا ربنا عجل لنا قسطنا قبل يوم الحساب ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك لم يذكر الجواب بل قال اصبر على ما يقولون واذا ذكر عبدنا داود ومعلوم انه لا تعلق لذكر داود عليه السلام بان القول بالقيامة حق ثم انه تعالى اطرب في شرح قصة داود ثم اتبعه بقوله وما خلقنا السماء والارض ومعلوم انه لا تعلق لمسئلة اثبات حكمة الله بقصة داود ثم لما ذكر اثبات حكمة الله وفرغ عليه اثبات ان القول بالحشر والنشر حق ذكر بعده ان القرآن كتاب شريف فاضل كثير النفع والخير ولا تعلق لهذا الفعل بالكلمات المتقدمة واذا كان كذلك كانت هذه الفصول فصولا متباعدة لا تعلق للبعض منها بالباقي فكيف يليق بهذا الموضوع وصف القرآن بكونه كتابا شريفا فاضلا هذا تمام السؤال (والجواب) ان نقول ان العقلاء قالوا من اتبلى بخصم جماعل مصر متعصب ورأه قد تناقض في ذلك التعصب والاصرار وجب عليه ان يتخضع للكلام معه في تلك المسئلة لانه لما كان فوضه في تقريره أكثر كانت نفرته عن القبول أشد فأطرب بقوله ان يتخضع للكلام بعد في تلك المسئلة وأن يتخوض في كلام آخر اجنبي عن المسئلة الاولى بالكلمة ويطلب في ذلك الكلام الاجنبي بحيث ينشئ ذلك المتعصب تلك المسئلة الاولى فاذا استعمل لمخاطره بهذا الكلام الاجنبي ونسب المسئلة الاولى فحينئذ يدرج في انشاء الكلام في هذا الفصل الاجنبي مقدمة مناسبة لذلك المطلوب الاول فان ذلك المتعصب يسلم هذه المقدمة فاذا سلمها فحينئذ يتسك بها في اثبات المطلوب الاول وحينئذ يصير ذلك الخصم المصر المتعصب منقطعا مفعما اذا عرفت هذا فنقول ان الكفار بلغوا في انكار الحشر والنشر والقيامة الى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء ربنا عجل لنا قسطنا قبل يوم الحساب فقال يا محمد اقطع الكلام معهم في هذه المسئلة واسرع في كلام آخر اجنبي بالكلمة عن هذه المسئلة وهي قصة داود عليه السلام فان من المعلوم انه لا تعلق لهذه القصة بمسئلة الحشر والنشر ثم انه تعالى اطرب في شرح تلك القصة ثم قال في آخر القصة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وكل من يسع هذا قال نعم ما فعل خيث أمره بالحكم بالحق ثم كانه تعالى قال وانا لا أمرك بالحق فقط بل انا مع أنى رب العالمين لأفعل الا بالحق ولا أقضى بالباطل فههنا الخصم يقول نعم ما فعل حيث لم يقض الا بالحق فعند هذا يقال لما سلت أن حكم الله يجب أن يكون بالحق لا بالباطل لزمك أن تسلم صحة القول بالحشر والنشر لانه لو لم يحصل ذلك لزم أن يكون الكافر راجعا على المسلم في ائصال الخيرات اليه وذلك ضد الحكمة وعين الباطل فبهذا الطريق الطيب أورد الله تعالى الالزام القاطع على منكري الحشر والنشر ايرادا لا يمكنهم الخلاص عنه فصار ذلك الخصم الذي بلغ في انكار المعاد الى حد الاستهزاء مفعما لزم ما بهذا الطريق ولما ذكر الله تعالى هذه الطريقة الدقيقة في الالزام في القرآن لاجرم وصف القرآن بالكمال بالفضل فقال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب فان من

ومرعى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يشبهه له مع ظهوره توهم أنه متصل بغيره هو جواب لغير آخر كأن سائلا قال فاذا قال سليمان عليه السلام فتبيل قال ردوها فتأمل والنساء في قوله تعالى (وظنق مسحا) فصيحة مفعولة عن جملة قد حذف ثقة بدلالة الحال عليها وايدنا بعبارة سرعة الامثال بالامر أي فردوها عليه فأخذ يسمع السيف مسحا بالسوق والاعتناق أي بسوقها وأعتاقها يقطعها من قولهم مسح علاته أي ضرب عنقه وقيل جعل يسح يسده أعتاقها وسوقها جبالها وانجابها بها وايس بذالك وقري بالسوق على همر الواو لضمتهما كافي أدور وقري بالسوق تغزيبا لغنة السين منزلة ضعة الواو وقري بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أظهر ما قيل في فتنه عليه

الصلوة والسلام ماروي مر فوما أنه قال لا طوفن

لم يدبر ولم يتامل ولم يساعده التوفيق الالهي لم يقف على هذه الاسرار العجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم حيث يراه في ظاهر الحال مقرونا بسوء الترتيب وهو في الحقيقة مشتمل على اكل جهات الترتيب فهذا ما حضرنا في تفسير هذه الآيات وباللغة التوفيقية * قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق) واعلم ان هذا هو القصيدة الثانية وقوله نعم العبد فيه مباحث (الاول) نقول المخصوص بالمدح في نعم العبد مدح وف قيل هو سليمان وقيل داود والاول اولي لانه اقرب المذكورين ولانه قال بعده انه اواب ولا يجوز ان يكون المراد هو داود لان وصفه بهذا المعنى قد تقدم في الآية المتقدمة حيث قال واذا ذكر عبدنا داود ذا الابدان اواب فاو قلنا نلفظ الاواب ههنا أيضا صفة داود لزم التكرار ولو قلنا انه صفة سليمان لزم كون الابن شبيها لابييه في صفات الكمال في الفضيلة فكان هذا اولي (البحث الثاني) انه قال اولي نعم العبد ثم قال بعده انه اواب وهذه الكلمة للتعليل فهذا يدل على انه انما كان نعم العبد لانه كان اوابا يلزم ان كل من كان كثير الرجوع الى الله تعالى في اكثر الاوقات وفي اكثر المهمات كان موصوفا بأنه نعم العبد وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه لان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ورأس المعارف ورئيسها معرفة الله تعالى ورأس الطاعات ورئيسها الاعتراف بأنه لا يتم شيء من الخيرات الا باعانة الله تعالى ومن كان كذلك كان كثير الرجوع الى الله تعالى فكان اوابا ثبت ان كل من كان اوابا وجب ان يكون نعم العبد اما قوله اذ عرض عليه فقيه وجوه (الاول) التقدير نعم العبد هو اذا كان من اعماله انه فعل كذا (الثاني) انها ابتداء كلام والتقدير اذكر يا محمد اذ عرض عليه كذا وكذا والعشي هو من حين العصر الى آخر النهار عرض الخيل عليه لينظر اليها ويقف على كيفية احوالها والصفان الجياد الخيل وصفت بوصفين (أولهما) الصافنات قال صاحب الصحاح الصافن الذي يصفن قدميه وفي الحديث كنا اذا صاينا خلفه فرقع رأسه من الركوع قنا صفونا أي قنا صافنين أقدامنا وأقول على كلا التقديرين فالصفون صفة دالة على فضيلة الفرس (والصفة الثانية) للتخيل في هذه الآية الجياد قال المبرد والجياد جمع جواد وهو الشديد الجري كما ان الجواد من الناس هو السريع البذل فالقصد وصفها بالفضيلة والكمال طائفي وقوفها وحركتها اما حال وقوفها فوصفها بالصفون واما حال حركتها فوصفها بالجودة يعني انها اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في موافقها على أحسن الاشكال فاذا جرت كانت مسرعا في جريها فاذا طلبت لخطت واذا طلبت لم تلحق ثم قال تعالى قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي وفي تفسير هذه اللفظة وجوه (الاول) ان يضمن احببت معنى فعل يتعدى يعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي (والثاني) ان احببت بمعنى ألزمت والمعنى اني ألزمت حب الخيل

الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولا يقبل ان شاء الله تعالى قطاف عليهن فلم تحمل الامرأة واحدة جات بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وقيل ولسده ابن فاجعت الشياطين على قتله فلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فاشعر به الآن أتى على كرسية ميتا فتنبه لخطئه حيث لم يتوكل على الله عز وجل وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب بنتا له تسمى جرادة من أحسن الناس فاصطفاها لنفسه وأسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على أبيضها فأمر الشياطين فقتلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولاندها يسجدن لها كما عادت من في ملكه فأخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج

وحده الى فلاة وفرش له
 الرماد فجلس عليه
 تأبياً الى الله تعالى يا كيا
 متضرعاً وكانت له أم ولد
 يقال لها امينة اذا دخل
 لاطهارة أو لاصابة
 امرأة يعطيها خاتمه
 وكان ملكه فيه فأعطاهما
 يوماً فنزل لها بصورته
 شيطان اسمه صخر
 وأخذ الخاتم فتحتم به
 وجلس على كرسيه
 فاجتمع عليه الخلق ونفذ
 حكمه في كل شيء الا في
 نسائه وغير سليمان عن
 هينته فأتى أمينة لطلب
 الخاتم فانكرته وطرده
 فعرف ان الخطيئة قد
 أدركته فكان يدور
 على البيوت يتكفف
 واذا قال أما سليمان حثوا
 عليه الزاب وسبوه ثم عمد
 الى السماء كين ينزل لهم
 السمك فيعطونه كل يوم
 سبعين فكث على ذلك
 أربعين صباحاً عدد
 ما عبد الوثن في بيته
 فانكر آصف وعظما
 بني اسرائيل حكم
 الشيطان ثم طار الهم
 وقتل الماتم في البحر

عن ذكر ربي أي عن كتاب ربي وهو التوراة لان ارتباط الخليل كإنه في القرآن مدوخ
 فكذلك في التوراة مدوخ (والثالث) ان الانسان قد يحب شيئاً لكنه يحب أن لا يحب
 كالمريض الذي يشتهي ما يزيد في مرضه والاب الذي يحب ولده الرديء وأما من أحب
 شيئاً وأحب أن يحبه كان ذلك غاية المحبة فقوله أحب حب الخبير بمعنى أحببت حبي اهذه
 الخليل ثم قال عن ذكر ربي بمعنى ان هذه المحبة الشديدة لما حصلت عن ذكر الله وأمره
 لاعتن الشهوة والهوى وهذا الوجه أظهر الوجوه ثم قال تعالى حتى توارت أقول الضمير في
 قوله حتى توارت وفي قوله ردوها محتمل أن يكون كل واحد منهما طائفاً الى الشمس لانه
 جرى ذكره تعالى في قوله وهو العشى ويحتمل أن يكون كل واحد منهما طائفاً الى الصافنات
 ويحتمل أن يكون الاول متعلقاً بالشمس والثاني بالصافنات ويحتمل أن يكون بالعكس من
 ذلك فهذه احتمالات أربعة لا مزيد عليها (فالاول) أن يعود الضميران معاً الى الصافنات
 كأنه قال حتى توارت الصافنات بالحجاب ردوا الشمس بالحجاب ردوا الشمس
 الضميران معاً طائفاً الى الشمس كأنه قال حتى توارت الشمس بالحجاب ردوا الشمس
 وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما اشتغل بالليل فاتته صلاة العصر فسأل الله أن يرد الشمس
 فقوله ردوها على اشارة الى طلب برد الشمس وهذا الاحتمال عندي بعيد والذي يدل عليه
 وجوه (الاول) ان الصافنات مذكورة نصراً يحاوي الشمس غير مذكورة وعود الضمير الى
 المذكور أولى من عوده الى المقدر (الثاني) أنه قال في أحببت حب الخبير عن ذكر ربي
 حتى توارت بالحجاب وظاهر هذا اللفظ يدل على أن سليمان عليه السلام كان يقول اني
 أحببت حب الخبير عن ذكر ربي وكان يعيد هذه الكلمات الى أن توارت الحجاب فلو قلنا
 المراد حتى توارت الصافنات بالحجاب كان معناه انه حين وقع بصره عليها حال جريها كان
 يقول هذه الكلمة الى أن غابت عن عينه وذلك مناسب ولو قلنا المراد حتى توارت الشمس
 بالحجاب كان معناه انه كان يعيد هذه الكلمة من وقت العصر الى وقت المغرب وهذا في
 غاية البعد (الثالث) اننا لو حكمنا بعود الضمير في قوله حتى توارت الى الشمس وحملنا اللفظ
 على انه ترك صلاة العصر كان هذا منافياً لقوله أحببت حب الخبير عن ذكر ربي فان تلك
 المحبة لو كانت عن ذكر الله لما نسي الصلاة والمترك ذكر الله (الرابع) انه بتقدير انه عليه
 السلام بقي مشغولاً بتلك الخليل حتى غربت الشمس وفانت صلاة العصر فكان ذلك ذنباً
 عظيماً وجرماً قوياً فالأليق بهذه الحالة التضرع والبكاء والبسطة في اظهار التوبة
 فاما أن يقول على سبيل التهوير والعظمة لاله العالم ورب العالمين ردوها على هذا هذه
 الكلمة العارضة عن كل جهات الادب عقيب ذلك الجرم العظيم فهذا لا يصدر عن أبعاد
 الناس عن الخبير فكيف يجوز استناده الى الرسول المطهر المكرم (الخامس) ان القادر على
 تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب أن يقول ردوها على ولا يقول
 ردوها على فان قالوا انما ذكر صيغة الجمع للتبنيي على تعظيم المقاطب فنقول قوله ردوها

فأباحتها سبحانه فوقت
 في يد سليمان فقبر إبطها
 فأذا هو بالحسام فتحتم
 به وخر ساجدا وعمادا إليه
 ملكسه وجاب صخرة
 لصخر فعمله فيها وسد
 عيه بأخرى ثم أوثقهما
 بالحديد والرصاص
 وقذفه في البحر وعلى
 هذا فالجسد عبارة عن
 صخر سمى به وهو جسم
 لاروح فيه لأنه مثل
 بالم يكن كذلك والخطيئة
 تغافل عليه الصلاة
 والسلام عن حال أهله
 لأن اتخاذ التماثيل لم يكن
 محظورا حينئذ وسجود
 الصورة بغير علم منه
 لا يضره (قال) يدل من
 أناب وتفسيره (رب
 اغفر لي) أي ما عسر
 عني من الزنة (وعبى
 ملكا لا ينبغي لأحد من
 بعدي) لا يذم هسل به
 ولا يكون مجهزة في مناسبة
 لحالي فإنه عليه الصلاة
 والسلام لما نشأ في بيت
 الملك والنسوة وورثهما
 مع الاستدعى من ربه
 معجزة جامعة تخلمهما
 أو لا ينبغي لأحد أن
 يسلبه من بعده

ألفظ مشعر بأعظم أنواع الإهانة فكيف يليق بهذا اللفظ رعاية التعظيم (السادس)
 الشمس أو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهدا لكل أهل الدنيا وأو كان الأمر
 كذلك لتوفرت الدواعي على نقله وانظها ره وحيث لم يقل أحد ذلك علمنا فساده
 (السابع) أنه تعالى قال اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد ثم قال حتى توارت
 بالحجاب وعود الضمير إلى أقرب المذكورين أول وأقرب المذكورين هو الصافنات
 الجياد وأما العشي فأبعدهم صافنات عود ذلك الضمير إلى الصافنات أول فثبت بما ذكرنا
 أن حمل قوله حتى توارت بالحجاب على توارى الشمس وأن حمل قوله ردوها على أن
 المراد منه طلب أن يردها الله الشمس بعد غروبها وكلام في غاية البعد عن النظم ثم قال تعالى
 فبدق مسحا بالسوق والاعناق أي فبجمل سليمان عليه السلام يمسح سوقها وأعناقها
 قال الأكثرين معناه أن يمسح السيف بسوقها وأعناقها أي قطعها قالوا أنه عليه السلام
 لما أتته صلاة العصر بسبب اشتغالها بنظر إلى تلك الخيل استردها وعقر سوقها وأعناقها
 تفر بالي الله تعالى وعندى أن هذا أيضا بعيد يدل عليه وجوه (الأول) أنه لو كان معنى
 مسح السوق والاعناق قتلها لكان معنى قوله وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم قطعها وهذا
 مما لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح رأسه بالسيف فر بما فهم منه ضرب العنق أما إذا لم يذكر
 لفظ السيف لم يفهم البتة من المسح العقر والذبح (الثاني) القائلون بهذا القول جعلوا
 على سليمان عليه السلام أنواعا من الأفعال المدمومة (وأولها) ترك الصلاة (وثانيها) أنه
 استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا إلى حيث نسي الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم حب
 الدنيا رأس كل خطيئة (وثانيها) أنه بعد الايمان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالتوبة
 والالتابة البتة (ورايهها) أنها طاب رب العالمين بقوله ردوها على وهذه كلمة لا يذكرها
 الرجل الحاضر في الأعم الخادم الخسيس (وثالثها) أنه أتبع هذه المعاصي بعقر الخيل في
 سوقها وأعناقها وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذبح الحيوان إلا لأكله
 فهذه أنواع من الكبر تتسببها إلى سليمان عليه السلام مع أن لفظ القرآن لم يدل على
 شيء منها (وسادسها) أن هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقاب قوله وقالوا ربنا
 نجعل لنا قنطرة قبل يوم الحساب وإن الكفار لما بلغوا في السفاهة إلى هذا الحد قال الله
 تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود واذكر قصة داود
 ثم ذكر عقاب قصة سليمان وكان التقدير أنه تعالى قال لمحمد عليه السلام اصبر يا محمد على
 ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا الكلام إنما يكون لأنفسنا لو قلنا إن سليمان عليه
 السلام أتى في هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله
 وأعرض عن الشهوات والتلذذات فإنا لو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في
 هذا الموضع أنه أقدم على الكبار العظماء والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر هذه القصة لأننا
 بهذا الموضع فثبت أن كتاب الله تعالى ينادى على هذه الأقوال الفاسدة بالرد والافساد

والابطال بل التفسير المطابق للحق لافاظ القرآن والصواب أن نقول ان رباط الخيل كان مندوباً باليد في دينهم كما انه كذلك في دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرأتها وذكراني لأحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر زبي ثم انه عليه السلام أمر باعدادها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر الراضين بأن يردوا تلك الخيل اليه فلما طادت اليه طفق يمسح سوقها وأعتاقها والغرض من ذلك المسح أمور (الاول) تشریفها وابانة عزتها لكونها من أعظم الاعوان في دفع العدو (الثاني) أنه أراد أن يظهر انه في ضبط السياسة والملايك يضعه الى حيث يباشراً كثر الامور بنفسه (الثالث) انه كان أعلم بأحوال الخيل وأمر اضها وعيوبها فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعتاقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن انطباعاً مطابفاً بما وافق ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات والمخدورات وأقول أنا شديد العجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع ان العقل والنقل يردوها وليس لهم في اثباتها شبهة فضلاً عن حجة فان قيل فالجمهور فسروا الآية بذلك الوجه فما ذواتك فيه فنقول لئلا نساها مقامان (المقام الاول) ان تدعى ان لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكرونها وقد ظهر والحمد لله ان الامر كما ذكرناه وظهوره لا يرتاب العاقل فيه (المقام الثاني) أن يقال هب ان لفظ الآية لا يدل عليه الا انه كلام ذكره الناس فاقولك فيه وجوابنا ان الدلالة الكبيرة قامت على عصية الانبياء عليهم السلام ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات ورواية الآحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية فكيف الحكايات عن أقوام لا يبالي بهم ولا يلتفت الى أقوالهم والله أعلم * قوله تعالى (واقدمت سليمان والقيصا على كرسية جسدا ثم اناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لاني وحسن ما أب) اعلم ان هذه الآية شرح واقعة ثمانية لسليمان عليه السلام واختلافوا في المراد من قوله واقدمت سليمان ولاهل الحشو والرواية فيه قول ولاهل العلم والتعريق قول آخر اما قول أهل الحشو فذكر وافيد حكايات (الاولى) قالوا ان سليمان بلغه خبر مدينة في البحر فخرج اليها بجنوده تحملها الريح فأخذها وقتل ملكها أو أخذ بيدها أو سهاجرادة من أحسن الناس وجهها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها وكانت تبكي أبداً على أبيها فامر سليمان الشيطان فخل لها صورة ايها فكسنتها مثل كسوته وكانت تذهب الى تلك الصورة بكرة وعشياً مع جوارها يسجدن لها فآخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحدها الى قلاة وفرش الرماح فجلس عليه تائباً الى الله تعالى وكانت له أم ولد

السلبه اولا يفتح لاحد من
بعدي اعطته كقولك
افلان ماليس لاحد
من الفضل والمال على
ارادة وصف الملك
بالعظمة لأن لا يعطى
احدهم له فيكون منافسة
وقيل كان ملكا عظيما
فتخاف أن يعطى مثله
احد فلا يحافظ على
حدود الله تعالى وتغديم
الاستغفار على الاستيهاب
لمزيد اهتمامه بأمر الدين
جريا على سنن الانبياء
عليهم الصلاة والسلام
والصالحين وكون ذلك
أدخل في الاجابة وقرئ
لي يفتح الياء (انك أنت ا
الوهاب) تعليل للدعاء
بالغفرة والهيبة معا
لا بالاخيرة فقط فان المغفرة
أيضا من أحكام وصف
الوهابية قطعا (فسخرناه
الريح) أي فذلكتها
اطاعته اجابة لدعوته
فعاد أمره عليه الصلاة
السلام الى ما كان عليه
قبل الفتنه وقرئ الريح
(تجري بأمره) بيان
لتسخيرها له (رخاء) أي
اينة من الرخاوة طيبة
لا ترزع وقيل مطبوعة
لا تمتد عليه كالأمم المنقاد

(حيث أصاب) أي حيث
 قصد وأراد حكي
 الاضحي عن العسر
 أصاب الصواب فأخطأ
 الجواب (والشياطين)
 عطف على الريح (كل
 بناء وغواص) بدل من
 الشياطين (وآخرين
 مقرنين في الاصفاد)
 عطف على كل بناء داخل
 في حكم البدل كأنه عليه
 الصلاة والسلام فصل
 الشياطين الى غلة
 استعمالهم في الاعمال
 الشاقة من البناء والتوص
 ونحو ذلك والى مرده
 قرن بعضهم مع بعض
 في السلاسل كقوله من
 الشر والفساد وعل
 أجسامهم شفاقة فلا ترى
 صلبة فيمكن تقييدها
 ويقدر على الاعمال
 الصعبة وقد جوز أن
 يكون الاقران في الاصفاد
 عبارة عن كقوله من
 الشرور بطريق التمثيل
 والصفد القيد وسمى به
 العطاء لانه يرتبط بالعم
 صايه وفرقوا بين فعليهما
 فقالوا صفده قيده
 و اصفده أعطاه على
 عكس وعدوا وعدو قوله

يقال لها أمينة اذا دخل الظهارة أو لاصابة امرأة وضع خاتمها وكان ملكه في خاتمها
 فوضعه عندها يوما فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وقال يا أمينة خاتمي
 فتحتم به وجلس على كرسى سليمان فأتى عليه الطير والجن والانس وتعبرت هيئة سليمان فأتى
 أمينة لطلب الخاتم فأذكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد أدركته فكان يدور على
 البيوت يتكفف وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم أخذ يخدم السماكين
 ينقل لهم السمك فيطونه كل يوم سمكتين فكث على هذه الحالة أربعين يوما عددا ما عبيد
 الوثن في بيته فانكر آصف وعظماة بنى اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان
 فقلن ما يدع امرأة مثا في دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه كل شيء الا قيرن
 ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتاعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر
 بطنها فاذا هو بالخاتم فتحتم به ووقع ساجدا لله ورجع اليه ملكه وأخذ ذلك الشيطان
 وأدخله في صخرة وألقاها في البحر (الرواية الثانية) للعشوية ان تلك المرأة لما أقدمت
 على عبادة تلك الصورة افتتن سليمان وكان يسقط الخاتم من يده ولا يتماسك فيها فقال له
 آصف انك لمتون بدينك فتب الى الله (والرواية الثالثة) لهم قالوا ان سليمان قال لبعض
 الشياطين كيف تفتنون الناس فقال ارنى خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه بيده في البحر
 فذهب ملكه وقدم هذا الشيطان على كرسيه ثم ذكر الحكاية الى آخرها اذا عرفت هذه
 الروايات فهؤلاء قالوا المراد من قوله ولقد فتنا سليمان ان الله تعالى ابتلاه وقوله وألقينا
 على كرسيه جسدا هو جلوس ذلك الشيطان على كرسيه (والرواية الرابعة) انه كان سبب
 فتنة احتجابه عن الناس ثلاثة أيام فسلب ملكه وأتى على سيره شيطان عفو بقله واعلم
 أن أهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه (الاول) ان الشيطان لو قدر على أن
 يتشبه بالصورة والخلق بالانبياء فيجئ لاتبى اعتماد على شيء من الشرائح فاعمل هؤلاء الذين
 رأوهم الناس في صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين
 تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغواء والاضلال ومعالم ان ذلك يبطل الدين بالكلمة
 (الثاني) ان الشيطان لو قدر على ان يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن
 يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ لوجب أن يقتلهم وأن يمزق تصانيفهم
 وان يخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق آحاد العلماء فلأن يبطل مثله في حق أكبر
 الانبياء أولى (الثالث) كيف يليق بحكمة الله واحسانه أن يسلط الشيطان على أزواج
 سليمان ولا شك انه قبيح (الرابع) ابو قلنا ان سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة
 فهذا كفر منه وان لم يذن فيه البيعة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله سليمان
 بفعله لم يصد عنه فاما لوجه التي ذكرها أهل التحقيق في هذا الباب فاشياء (الاول) ان
 فتنة سليمان أنه ولد له ابن فتالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل آية فسبيلنا أن
 نقاله فويع سليمان ذلك فكان يريد في السحاب فيبغها هو من نخل يهيماته اذ انى ذلك الولد

ميتا على كرسية فنتبه على خطئه في انه لم يتوكل فيه على الله فاستغفر ربه وأتاب (الثاني)
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة
 كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاق عليهن فلم تحمل
 الامرأة واحدة جاءت بشق رجل فبحي به على كرسية فوضع في حجره فوالذي تقسى بيده
 لو قال ان شاء الله لجاهدوا كلهم في سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان
 (الثالث) قوله ولقد فتنا سليمان بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه وأقينا على كرسية منه
 جسدا وذلك لشدة المرض والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضع وجسم بالروح
 ثم أتاب أي رجع الى حال الصحة فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة البتة الى حمله على تلك
 الوجوه الركيكة (الرابع) أقول لا يعد أيضا أن يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسلط خوف
 أو توقع بلا من بعض الجهات عليه وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى
 على ذلك الكرسي ثم انه أزال الله عنه ذلك الخوف وأعاد الى ما كان عليه من القوة
 وطيب القلب أما قوله تعالى قال رب اغفر لي فاعلم ان الذي حملوا الكلام المتقدم على
 صدور الزالة منه تمسكوا بهذه الآية فانه لو اتقدم الذنب المطلب المغفرة ويمكن أن يجاب
 عنه بان الانسان لا ينفك البتة عن ترك الافضل والاولى وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة
 لان حسنات الاراسيات المقر بين ولائهم أبدا في مقام هضم النفس واظهار الذنات
 والخضوع كما قال صلى الله عليه وسلم وانى لاستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة ولا يعد
 أن يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى والله أعلم ثم قال تعالى وهب لي ملكا لا ينبغي
 لاحد من عبادي ذات هذه الآية على انه يجب تقديم مهم الدين على مهم الدنيا
 لان سليمان طلب المغفرة أو لاثم بعده طلب المملكة وأيضا الآية تدل على ان طلب المغفرة
 من الله تعالى سبب لانفتاح ابواب الخيرات في الدنيا لان سليمان طلب المغفرة أو لاثم توسل به
 الى طلب المملكة ونوح عليه السلام هكذا فعل أيضا لانه تعالى حكى عنه انه قال فقلت
 استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين وقال
 لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك
 فان قيل قوله عليه السلام ملكا لا ينبغي لاحد من عبادي مشعر بالحسد والجواب عنه
 ان القائلين بان الشيطان استولى على ملكته قالوا معنى قوله لا ينبغي لاحد من عبادي هو
 أن يعطيه الله ملكا لا تقدر الشياطين أن يقوموا مقامه البتة فاما المنكرون لذلك فقد
 أجابوا عنه من وجوه (الاول) ان الملك هو القدرة فكان المراد قدرتي على أشياء لا يقدر
 عليها غيري البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتي ورسالتي والدليل على
 صحة هذا الكلام انه تعالى قال عقبيه فسخرنا له الریح تجري بأمره رخاء حيث أصاب فكان
 الریح جاريا بأمره قدرة عجيبة وملك عجب ولا شك انه معجزة دالة على نبوته فكان قوله
 هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من عبادي هو هذا المعنى لان شرط المعجزة أن لا يقدر غيره على

مينة لعظم شأن ما أوتي
 من الملك وأنه مفوض
 اليه تفويضاً كلياً واما
 مقول لقول مقدر هو
 معطوف على سخرنا
 أو حال من فاعله كما مر
 في خاتمة قصة داود
 عليه السلام أي وقتنا
 له أو قائلين له هذا الامر
 الذي أعطيناكه من
 الملك العظيم والبسطة
 والتسلط على ما لم
 يسلط عليه غيرك
 (عطائونا) الخاص بك
 (فامتن أو أمست)
 فاعط من شئت وامنع
 من شئت (بغير حساب)
 حال من المستكن في الامر
 أي غير محاسب على منه
 وامسأكه لتفويض
 التصرف فيه اليك على
 الاطلاق أو من العطاء
 أي هذا عطائونا ملتبساً
 بغير حساب لغاية كثرتة !
 أو صلة له وما بينهما
 اعتراض على التقديرين
 وقيل الاشارة الى تمخيز
 الشياطين والمراد بالبن
 والامسأك الاطلاق
 والتقييد (وان له عندنا
 لائق) في الآخرة مع

ما له من الملك العظيم في الدنيا (وحسب ما ب) هو الجنة قال فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد ا

معارضتها فقوله لا ينبغي لاحد من بعدى يعنى لا يقدر أحد على معارضته (والوجه الثاني) في الجواب انه عليه السلام لما مرض ثم عاد الى الصحة عرف ان خيرات الدنيا صائرة الى الغير بارث اوسيب آخر فسأل ربه ملكا لا يمكن أن ينقل منه الى غيره وذلك الذى سأله بقوله ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى أى ملكا لا يمكن أن ينقل هنى الى غيرى (والوجه الثالث) في الجواب ان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها أشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها فكأنه قال يا الهى أعطني ملكة فأنقذ على ملك البشر بالكلية حتى احترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابي أكل وأفضل (الوجه الرابع) من الناس من يقول ان الاحتراز عن لذات الدنيا عسر صعب لان هذه اللذات حاضرة وسعادات الآخرة نسيئة والتقد يصعب بعه بالنسيئة فقال سليمان اعطني يارب ملكة تكون أعظم الممالك الممكنة للبشر حتى انى أبقى مع تلك القدرة الكاملة في غاية الاحتراز عنها ليظهر للخلق ان حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى (الوجه الخامس) ان من لم يقدر على الدنيا يبقى ملتفت القلب اليها فيظن ان فيها سعادات عظيمة وخيرات نافذة فقال سليمان يارب العزة أعطني أعظم الممالك حتى يقف الناس على كمال حالها فيحتمد يظهر للعقل انه ليس فيها فائدة وحينئذ يعرض القلب عنها ولا يلتفت اليها وأشتغل بالعبودية ساكن النفس غير مشغول القلب بعلائق الدنيا ثم قال فمخترنا له أريج تجرى بأمره رخاء حيث أصاب رخاء أى رخوة لينة وهى من الرخوة والريح اذا كانت لينة لا تززع ولا تمتنع عليه كانت طيبة فان قيل اليس انه تعالى قال في آية أخرى وللسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره قلنا الجواب من وجهين (الاول) لامتنافاة بين الآيتين فان المراد ان تلك الريح كانت في قوة الريح العاصفة الا انها لما جرت بأمره كانت لينة طيبة فكانت رخاء (والوجه الثاني) من الجواب أن تلك الريح كانت لينة مرة وعاصفة أخرى ولا منافاة بين الأمرين وقوله تعالى حيث أصاب أى قصد وأراد وحكى الاصمعي عن العرب انهم يقولون أصاب العاصف فأخطأ الجواب وعن روضة ان رجلين من أهل اللغة قصدا ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال ابن تصيبان فقالا هذا مطلقا وبالجملة فالقصود أنه تعالى جعل الريح مخترعة له حتى صارت تجرى بأمره على وفق ارادته ثم قال والشياطين كل بناء وغواص قال صاحب الكشاف الشياطين عطف على الريح وكل بناء يدل من الشياطين وآخرين عطف على قوله كل بناء وهو يدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما شاء من الابنية وبفوصون له فيستخرجون الاواؤ وقوله مفرنين يقال قرنهم في الحبال والتشديد للكثرة والاصفاد الاغلال واحدها صغد والصفد العطية أيضا قال النابغة * ولم اعرض أبيت الا عن بالصفد * فعلى هذا الصفد القيد فكل من شدته شدا وثيقا فقد صفده وكل من أعطيته عطاء جز بلا فقد أصفده وههنا بحث وهو ان هذه الآيات دالة على

ثلاثة عشر من سنة
ذكر الفقيه أبو حنيفة
حدثنا داود الدينوري
تاريخه أن سليمان
عليه السلام ورث
ملك أبيه في عصر
يخسرو بن سياوش
وسار من الشام الى
العراق فبلغ خبره
يخسرو فهرب الى
خراسان فلم يابث حتى
هلك ثم سار سليمان
عليه السلام الى مرو ثم
الى بلاد الترك فوغل
فيها ثم جاز بلاد الصين
ثم عطف الى ان وافى
بلاد فارس فتراها اياما
ثم عاد الى الشام ثم أمر
ببناء بيت المقدس فلما
فرغ منه سار الى تهامة
ثم الى صنعاء وكان من
حديثه مع صاحبتهما
ما ذكر الله تعالى وغزا
بلاد المغرب الاندلس
وطبقة وغبرها ما والله
تعالى أعلم

(واذكر عبدنا أيوب) عطف على اذكر عبدنا داود وعهدتم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام ﴿ ٢٠٥ ﴾ وأيوب هو ابن عيص بن اسحق عليه السلام (اذ نادى ربه)

أن الشياطين لها قوة عظيمة وبسبب تلك القوة قدروا على بناء الابنية القوية التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على النوص في البحار واحتاج سليمان عليه السلام الى قيدهم ولنازل أن يقول ان هذه الشياطين اما أن تكون أجسادهم كثيفة أو لطيفة فان كان الاول وجب أن يراه من كان صحيح الحاسة اذ لو جاز أن لانراه مع كثافة أجسادهم فليجز أن تكون يحضرتنا جبال عالية وأصوات هائلة ولا نراها ولا نسمعها وذلك دخول في السفسطة وان كان الثاني وهو أن أجسادهم ليست كثيفة بل لطيفة رقيقة مثل هذا يمنع أن يكون موصوفيا بقوة الشديدة وأيضاً لزم أن تتفرق أجسادهم وأن تفرق بسبب الرياح القوية وأن يموتوا في الحال وذلك يمنع من وضعهم بين الابنية القوية وأيضاً الجن والشياطين ان كانوا موصوفين بهذه القوة والشدة فلم لا يقتلون العلماء والزهاد في زماننا ولم لا يخربون ديار الناس مع أن المسلمين مبانون في اظهار اعينهم وعداوتهم وحيث لم يحس شيء من ذلك علمنا أن القول بآيات الجن والشياطين ضعيف واعلم أن اصحابنا يجوزون أن تكون أجسادهم كثيفة مع انالازها وأيضاً لا يعد أن يقال أجسادهم لطيفة بمعنى عدم اللون ولكنها صلابة بمعنى انه لا تقبل التفرق والتفرق وأما الجبائي فقد سلم انها كانت كثيفة الاجسام وزعم ان الناس كانوا يشاهدونهم في زمن سليمان ثم انه لما توفى سليمان عليه السلام أمات الله أولئك الجن والشياطين وخلق نوعاً آخر من الجن والشياطين تكون أجسادهم في غاية الرقة ولا يكون لهم شيء من القوة والموجود في زماننا من الجن والشياطين ليس الامن هذا الجنس ثم قال تعالى هذا عطاؤنا فاقم من أو أمسك بغير حساب وفيه قولان (الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما أعطيت من شئت وامنع من شئت بغير حساب اي ليس عليك حرج فيما أعطيت وفيما أمسكت (الثاني) ان هذا في أمر الشياطين خاصة والمعنى هو لاء الشياطين المسخرون عطاؤنا فامنع من شئت من الشياطين فخل عنه واحبس من شئت منهم في العمل بغير حساب ولما ذكر الله تعالى ما أنعم به على سليمان في الدنيا أردفه بالنعمة عليه في الآخرة فقال وان له عندنا زلفى وحسن ما ب وقد سبق تفسيره ﴿ قوتعالى ﴾ (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه اي معنى الشيطان ينصب وعذاب ارض رجلك هذا ما تسئل بارد وشراب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا واذكري لأولى الابواب وخذ يدك ضعفاً فاضرب به ولا تخفت انا وجدناه صابراً نعم العبدان اواب) اعلم ان هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة واعلم ان داود وسليمان كانا ممن أفاض الله عليهم اصناف الآلاء والنعمة وأيوب كان ممن خصه الله تعالى بانواع البلاء والمتصود من جميع هذه القصص الاعتبار كان الله تعالى قال يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا أكثر نعمة وملاو جها من داود وسليمان عليهما السلام وما كان أكثر بلاء ومحنة من أيوب فتأمل في أحوال هؤلاء لتعرف ان أحوال الدنيا لا تنتظم لاحد

بدل الشيطان من عبدنا
وأيوب عطف بيان له
(أي) باي (معنى
الشيطان) بفتح باء معنى
وقرى بأسكاتها
واسقاطها (ينصب) أي
تعب وقرى بفتح النون
ويعتقنين ويعتقنين
للتثقل (وعذاب) أي
ألم ووصب ير يدمرضه
وما كان يقاسيه من
فنون الشدائد وهو
المراد بالضر في قوله اي
معنى الضر وهو حكاية
لكلامه الذي ناداه به
بعبارة والالتقل انه
مسد الخ والاسناد الى
الشيطان اما لانه تعالى
مسه بذلك لما فعل
يوسوسه كما قيل انه
يحب بكثرة ماله أو استغائه
مظلوم فلم يغنه أو كانت
مواهبه في ناحية ملك
كافر فداهته ولم يعزه
أولاً تخان صبره فيكون
اعترافاً بالذنب أو مراعاة
للادب أو لانه وسوس
الى أتباعه حتى رفضوا
واخرجوه من ديارهم
أولان المراد بالنصب
والعذاب ما كان يوسوس
به اليه في مرضه من تعظيم
في أن يكفيه ذلك بكشف

مازل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغيره على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف
البلاء أو بالتوفيق لدفعه وردة بالصبر الجميل وليس هذا تمام

وان العاقل لا يبدله من الصبر على الكاره وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب
الكشاف أيوب عطف بيان واذيدل اشتغال منه انى مسنى أى بانى مسنى حكاية
لكلامه الذى نادى ابليس ولولم يحك لسال بانه مسدلانه غالب وقرى بنصب بضم التون
وقمهما مع سكون الصاد وقمها وضمهسا فالنصب والنصب كل ارشد والرشد والعدم
والعدم والسقم والنصب على أصل المصدر والنصب تشبيل نصب والمعنى
واحد وهو التعب والمشقة والعذاب والألم واهل انه كان قد حصل عنده نوعان من
المكروه الغم الشديد بسبب زوال الخيرات وحصول المكروهات والألم الشديد فى الجسم
ولما حصل هذان النوعان لاجرم ذكر الله تعالى لفظين وهما النصب والعذاب (المسئلة
الثانية) للناس فى هذا الموضع قولان (الاول) ان الآلام والاستقام الحاصلة فى جسمه
انما حصلت بفعل الشيطان (الثانى) انها انما حصلت بفعل الله والعذاب المضاف
فى هذه الآية الى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة (وأما القول
الاول) فتقر به ماروى ان ابليس سأل ربه فقال هل فى عبيدك من اوسلطنى عليه
يمتنع منى فقال الله نعم عبيدى أيوب فجعل يأتيه بوساوسد وهو يرى ابليس عيانا ولا يلتفت
اليه فقال يارب انه قد امتنع على فسلطنى على ماله وكان يجيشه ويقول له هلك من مالك
كنا وكذا فيقول الله اعطى وانه أخذهم ثم يحمدهم فقال يارب ان أيوب لا يبالي بماله
فسلطنى على ولده فبما وزلزل الدار فهلك أولاده بالكيد فجاءه وأخبره به فلم يلتفت اليه
فقال يارب لا يبالي بماله وولده فسلطنى على جسده فاذن فيه فنقخ فى جلد أيوب وحدثت
اسقام عظيمة وآلام شديدة فيه فمكث فى ذلك البلاء سنين حتى صار يجيش استغذره أهل
بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فبما الشيطان الى امر أنه وقال لو أن
زوجك استعان بي لخالصته من هذا البلاء فذكرت المرأة ذلك لزوجها فعلق بالله لئن عافاه
الله ليجلد نهامائة جلدة وعند هذه الواقعة قال انى مسنى الشيطان ينصب وعذاب
فأجاب الله دعاه وأوحى اليه ان ركض برجلك فأظهر الله من تحت رجله عينا باردة
طيبة فاغتسل منها فأذهب الله عنه كل داء فى ظاهره وباطنه ورد عليه أهله وماله (والقول
الثانى) ان الشيطان لا قدرة له البتة على ايقاع الناس فى الامراض والآلام والدليل
عليه وجوه (الاول) اننا لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان
فلعل الواحد منا انما وجد الحياة بفعل الشيطان واهل كل ما حصل عندنا من الخيرات
والسعادات فقد حصل بفعل الشيطان وجبئذ لا يكون لنا سبيل الى أن نعرف ان معطى
الحياة والموت والصحة والسقم هو الله تعالى (الثانى) ان الشيطان لو قدر على ذلك فلم
لا يسحق فى قتل الانبياء والاولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل أولادهم (الثالث) انه
تعالى حكى عن الشيطان انه قال ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لى فصرح بأنه لا قدرة له فى حق البشر الاعلى القاء الوسوس والخواطر الفاسدة وذلك

دعاه عليه الصلاة
والسلام بل من جلته
قوله وانت أرحم الراحمين
فاكتفى ههنا عن ذكره
بما فى سورة الانبياء كما
ترك هناك ذكر الشيطان
ثقة بما ذكره ههنا وقوله
تعالى (اركض برجلك)
الح اما حكاية لما قيل له
أو مقول لقول مقدر
معطوف على نادى
أى قلنا له اركض
برجلك أى اضرب
بها الارض وكذا قوله
تعالى (هذا مقتل
بارد وشراب) فانه أيضا
اما حكاية لما قيل له بعد
امثاله بالامر ونوع
الماء أو مقول لقول مقدر
معطوف على مصدر
ينساق اليه الكلام
كأنه قبل فضر بها
فبعت عين فقلنا هذا
مغتسل تغتسل به وتشرب
منه فيبرأ ظاهر لك وباطنك
وقبل بعت عينان حارة
الاغتسال وباردة للشرب
وبأباه ظاهر النظم الكرم
وقوله تعالى (ووهبنا له
أهله) معطوف على مقدر
مترتب على مقدر آخر
يقضيه القول المقدر

يدل على قول من يقول ان الشيطان هو الذي انا في تلك الامراض والآفات فان
قال قائل لم لا يجوز ان يقال ان الفاعل لهذه الاحوال هو الله تعالى لكن على وفق القياس
الشيطان قلنا فاذا كان لا بد من الاعتراف بان خالق تلك الآلام والاسقام هو الله
تعالى فأي فائدة في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق ان المراد من قوله اني مسني
الشيطان ينصب وعذاب انه بسبب القاء الوسوس الفاسدة والخواطر الباطنة كان
يلقبه في أنواع العذاب والعناء ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أن تلك الوسوس
كيف كانت وذكروا فيه وجوها (الاول) ان علة كانت شديدة فالتم تم طيات مدة تلك
العلة واستغذره الناس ونفروا عن مجاررتة ولم يبق له شيء من الاموال البتة وامرأته
كانت تخدم الناس وتحصل له قدر القوت ثم باقت نفرة الناس عند ان منعوا أمرأته
من الدخول عليهم ومن الاشتغال بخدمتهم والشيطان كان يذكره اشجع التي كانت
والآفات التي حصلت وكان يختال في دفع تلك الوسوس فلما قوتت تلك الوسوس في
قلبه خاف وتضرع الى الله وقال اني مسني الشيطان ينصب وعذاب لانه كلما كانت
تلك الخواطر أكثر كان ألم قلبه منها أشد (الثاني) انها لما طالت مدة المرض جاءه
الشيطان وكان يقنطه من ربه ويزين له ان يجزع فخاف من تأكد خاطر ان يوطق قلبه
فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان (الثالث) قيل ان الشيطان لما قال لامرأته
لو اطاعني زوجك أزلت عنه هذه الآفات فذكرت المرأة له ذلك فغلب على ظن ان الشيطان
طمع في دينه فشق ذلك عليه فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان ينصب وعذاب
(الرابع) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ابى أيوب في البلاء ثم ان عشرة سنة حتى
رضخه القريب والبعيد الارجلين ثم قال أحدهما لصاحبه لقد أذنب أيوب ذنبا ما أتى
به أحد من العالمين واولاه ما وقع في مثل هذا البلاء فذكروا ذلك لايوب عليه السلام
فقال لأدري ما تقولان غير أن الله يعلم اني كنت أمر على الزجلين بانه زعان فيذكر ان الله
تعالى فارجع الى بيتي فافزع عنهما كراهية ان يذكر الله تعالى الا في الحق (الخامس) قيل
ان امرأته كانت تخدم الناس فأخذ منهم قدر القوت وتجي به الى أيوب فاتفق انهم
ما استخدموها البتة وطلب بعض النساء منها قطع إحدى ذوائبها على ان تعطيهما قدر
القوت ففعلت ثم في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذؤابة وكان أيوب عليه
السلام اذا أراد ان يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذؤابة فلما لم يجد الذؤابة وقعت الخواطر
المؤذية في قلبه واشتد غمه فعند ذلك قال ان مسني الشيطان ينصب وعذاب (السادس)
قال في بعض الايام يارب لقد علمت ما اجتمع على امر ان الآثرت طاعتك ولما أعطيتني
المال كنت للارامل قيميا ولا بن السبيل معينا وليتامي أبا فنودي من غمامة يا أيوب
من كان ذلك التوفيق فأخذ أيوب التراب ووضع على رأسه وقال يارب اني خاف
من الخاطر الاول فقال مسني الشيطان ينصب وعذاب وقد ذكروا أقوالا أخرى والله

(ومثلهم معهم) عطف
على أهله فكان له
من الاولاد ضعف
ما كان له قبل (رحمة منا)
أي رحمة عظيمة عليه
من قبلنا (وذكرى
لأولي الالباب)
ولذ كبرهم بذلك ليصبروا
على الشدة انك صبر
ويجئوا الى الله عز وجل
فيما يحيق بهم كما لجأ
ليفعل بهم ما فعل به
من حسن العاقبة
(وتخذ بيدك ضعفا)
معطوف على اركض
أو على وهبنا بتقدير
قلنا أي وقلنا خذ بيدك
الح والاول أقرب لفظا
وهذا أنسب معنى فان
الحاجة الى هذا الامر
لا تمس الا بعد الصحة
فان امرأته رحمة بنت
افرايم بن يوسف وقيل
ليسانت بمعقوب وقيل
ما صر بنت ميشابن
يوسف عليه السلام
ذهبت الحاجة فأبطلت
فخاف ان يرى ليفسر بنها
مائة ضربة فأمره الله
تعالى بأخذ الضغث
والضغث الحزينة
الصغيرة من الخشيش
ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر وقال (فأضرب به) أي بذلك

الضفت (ولا تحت) في عينك فان العبر يتحقق به ولقد شرع الله ﴿ ٢٠٨ ﴾ سبحانه هذه الرخصة رحمة فعلية

وعليم الحسن خدمتها
ايه ورضاه عنها وهي
باقية ويجب ان يصيب
المضروب كل واحد
من المائة اما باطرافها
قائمة أو بأعراضها
مبسوطة على هيئة
الضرب (انا وجدناه
صابرا) فيما أصابه
في النفس والاهل والمال
وليس في شكواه الى الله
تعالى اخلال بذلك فانه
لا يسمى جزعا كمن
العافية وطلب الشفاء
على أنه قال ذلك خيفة
الفتنة في الدين حيث
كان الشيطان يوسوس
الى قومه بأنه لو كان نبيا
لما تبلى بمثل ما تبلى به
وارادة القوة على الطاعة
فقد بلغ أمور الى أن لم
يق من الا القلب
واللسان ويروي أنه
عليه الصلاة والسلام
قال في مناجاته الهى
قد علمت أنه لم يخالف
لسانى قلبى ولم يدع
قلبى بصبرى ولم يهينى
ما ملكت يمينى ولم أكل
الاومى يمين ولم أبت
شيعان ولا كاسياومى
جائعا وعريان فكشف الله

اعلم بحقيقة الحال وصحت بعض اليهود يقول ان موسى بن عمران عليه السلام كتابا مفردا
في واقعة أيوب وحاصل ذلك الكتاب ان أيوب كان رجلا كثيرا طاعة لله تعالى مواظبا على
العبادة مبالغا في التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خاق الله ثم انه وقع في البلاء الشديد
والعناء العظيم فهل كان ذلك لحكمة أم لا فان كان ذلك لحكمة فمن المعلوم انه ما أتى
بجرم في الزمان السابق حتى يحتمل ذلك العذاب في مقابلة ذلك الجرم وان كان ذلك لكثرة
الثواب فالاله الحكيم الرحيم قادر على ابعصال كل خير ومنفعة اليه من غير توسط تلك
الآلام الطويلة والاستقام الكريهة وحينئذ لا يبقى في تلك الامراض والآفات فائدة
وهذه كانت ظاهرة جليلة وهي دالة على ان أفعال ذى الجلال منزهة عن التعليل بلاصلاح
والمفاسد والحق الصريح انه لا يسأل عما فعل وهم يسألون (المسئلة الثالثة)
لفظ الآيديل على ان ذلك التصيب والعذاب انما حصل من الشيطان ثم ذلك العذاب
على القول الاول عبارة عما حصل في بدنه من الامراض وعلى القول الثانى عبارة عن
الاحزان الحاصل في قلبه بسبب الفناء الوسوس وعلى التقديرين فيلزم اثبات الفعل
للشيطان وأجاب أصحابنا رحمه الله باننا لانكر اثبات الفعل للشيطان لكننا نقول فعل
العبد مخلوق لله تعالى على التفصيل المعلوم أما قوله تعالى اركض برجلك فلعنى انه لما
شكك من الشيطان فكأنه سأل ربه أن يزيل عنه تلك البلية فأجابته الله اليه بأن قال له
اركض برجلك والركض هو الدفع القوى بالرجل ومنه ركضت القرس والتقدير قتلناه
اركض برجلك قيل انه ضرب برجله تلك الارض فنبعت عين فقبل هذا ما غسل بارد وشرب
أى هذا ما تغسل به فيبرأ باطنك وظاهر اللفظ يدل على انه نبعت له عين واحدة من الماء
اغتسل فيه وشرب منه والمفسرون قالوا نبعت له عينان فاغتسل من احدهما وشرب من
الآخرى فذهب الداء من ظاهرو ومن باطنه باذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين
حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها ثم قال تعالى ووهبنا له أهله فقد
قيل فيه هم عين أهله وزيادة مثلهم وقيل غيرهم مثلهم (والاول) أولى لانه هو الظاهر فلا
يجوز العدول عنه من غير ضرورة ثم اختلفوا فقال بعضهم معناه ازلنا عنهم السقم فعادوا
اصحاء وقال بعضهم بل حضروا عنده بعد ان غابوا عنه واجتمعوا بعد ان تفرقوا وقال بعضهم
بل تمكن منهم وتكثروا منه فيما يتصل بالعشرة وبالخدمة أما قوله ومثلهم معهم فالأقرب
انه تعالى تمتد بحدته وباله وقواه حتى كثر نسله وصار أهله ضعف ما كان وأضعاف ذلك
وقال الحسن رحمه الله المراد بهبة الاهل انه تعالى أحياهم بعد ان هلكوا ثم قال رحمة
منا أى انما فعلنا كل هذه الأفعال على سبيل الفضل والرحمة لا على سبيل اللزوم ثم
قال وذكري لاولى الباب يعنى سلطاننا البلاء عليه أولا فصبر ثم أزلنا عنه البلاء
وأوصلناه الى الآلاء والنعماء تليها لاولى الباب على أن من صبر ظفر والمقصود منه
التبديد على ما وقع ابتداء الكلام به وهو قوله الحمد صبر على ما يقولون واذكر عبد ناداود

تعالى عنه (نعم العبد) أى أيوب (انه أواب) تعليل لمُدحه أى رجوعه الى الله تعالى ﴿ وقالت ﴾

(واذ قرعنا نارا ابراهيم واسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا ما على ان ابراهيم وحده لمن يدشره عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع (أولى لا يدي والابصار) أولى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين أو أولى الاعمال الجليلة والعلوم الشرعية فتدفع باليدي عن الاعمال لأن أكثرها تبشر بها وبالابصار عن المعارف ﴿٢٩﴾ لأنها أقوى مبادئها وفيد أمر بعض الملائكة الباطلين أنهم كانوا في

الاعتزال قوله تعالى رحمة منا وفي كرى لأولى الابواب يعني اننا فاعناه اهذه الافتراض والمقاسد وذلك يدل على ان افعال الله واحكامه مهالة بالافتراض والمصالح والكلام في هذا الباب قد مر غير مرة أما قوله تعالى ويخذ بيدك ضغثا فانه معطوف على اركض والضغث الخزمة الصغيرة من حشيش أو ريعان أو رخير ذلك واعلم ان هذا الكلام يدل على تقدم بين منه وفي الخبر انه حلف على أنه ثم اخذتها في السبب الذي لا يراه حلف عليها ويعد ما قبل انهار غيبته في طاعة الشيطان ويعد ايضا ما روي انها طقت الثواب عن رأسه الآن المضطر الى الطعام يباح له ذلك بل الاقرب أنها طقت في بعض المهمات وذلك أنها ذهبت في بعض المهمات فابطلت فحلف في مرضه بالبشر بها امامه اذا برئ وما كانت حسنة الخدمة له لا جرم حمل الله عيذه بأهون شيء عليه وعليها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتى بمجذوم خبيث بأمة فقال خذوا عنكم الكافية مائة شعراخ فاضربوه به ضربا ثم قال تعالى انا وجدناه صابرا فان قيل كيف وجد صابرا وقد شكى اليه والجواب من وجوه (الاول) انه شكى من الشيطان اليه وما شكى منه الى أحد (الثاني) ان الامم حين كان على الجسد لم يبد كرشيا فلما عطفت الوسواس خاف على القلب والدين فاضرع (الثالث) ان الشيطان هدو والشكاية من العدو الى الحبيب لا تندح في الصبر ثم قال نعم العبد انه اواب وهذا يدل على أن تشرىف نعم العبد انما حصل الكونه اوابا وصحت بخصمهم قال المازل قوله تعالى نعم العبد في حق سليمان عليه السلام تارة وفي حق ايوب عليه السلام آخر عطفه انعم في قلوب أممهم صلى الله عليه وسلم وقالوا ان قوله تعالى نعم العبد في حق سليمان تشرىف عظيم فان احتجنا الى اتفاق ملكة مثل ملكة سليمان حتى نجد هذا التشرىف لم نقدر عليه وان احتجنا الى تحمل بلاء مثل ايوب لم نقدر عليه فكيف السبيل الى تحصيله فانزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد انك ان لم تكن نعم العبد فانما نعم المولى وان كان منك الفضل في التفضل وان كان منك التفضير في الرحمة واليسير ﴿٢٩﴾ قوله تعالى (واذ كر عبادة ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفون الاخيار واذا كر اسمعيل واليسع وذالكمل وكل من الاخيار) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير عبدا على الواحد وهي قراءة ابن عباس ويقول ان قوله عبدنا تشرىف عظيم فوجب أن يكون هذا التشرىف مخصوصا باعدادهم الناس المذكورين في هذه الآية وهو ابراهيم وقرأ الباقون عبدنا قالوا لا تضر ابراهيم من الانبياء فما جرى عليه هذا الوصف فجاء في عيبي ان هو الا عبد معنا عليه وفي ايوب أم العبد وفي نوح انه كان عبدا شكورا فن قرأ عبادة ابراهيم وحده عطف بيان لدم عطف ذريته على عبدا وهي اسحق ويعقوب ومن قرأ عبادة ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا (المسئلة الثانية) تقدير الآية كأنه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واذا كر عبدنا

والتمسة وتوبخ على تركهم المجاهدة والنامل مع تمكثهم منها وقرئ أولى الايدي بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرئ أولى الايدي على جمع الجمع (انا اخلصناهم بخالصة) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعملوا الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين لخالصته بخالصة عظيمة الشأن كما بين عند التذكير التفرخي وقوله تعالى (ذكرى الدار) بيان لخالصتها بعد اتمامها لانفخيم أي تذكرة للدار الآخرة دائما فان خالصهم في الطاعة يسبب تذكيرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بقلبه ولا يسن ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم اها والاطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ بها الصبر واطلاق الدار للاشارة بانها الدار في الحقيقة والدار الدنيا عين

وقرئ بانسافة خالصة الى ذكرى أي بخالص ﴿٢٧﴾ من ذكرى الدار على معنى أنهم لا يشعرون ذكرا ابراهيم آخر أصلا وتذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وترهيبهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقا ذكرى بالدار الثناء الجميل في الدماء لسان الصدوق الذي اسد اعترهم (وانهم عندنا

المصطفين الاخبار) ان المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخبر والاخبار جمع خير كشر واشراز وقيل جمع خير
 او خير مخفف منه كما موات في جمع ميت وميت (واذ كرا سمعيل) فصل ذكره عن ذكر آية وأخيه للاشعار بمراقته في الصبر
 الذي هو المقصود بالتذكير (واليسع) هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبي واللام فيه
 حرف تعريف دخل عليه يسع كافي قول من قال * رأيت الوليد بن * (٢١٠) * يزيد بباركا * وقرئ واليسع كأن

أصله يسع فعمل من اليسع
 دخل عليه حرف التعريف
 وقيل هو على اقراء نين
 علم أجمعى دخل عليه
 اللام وقيل هو يوشع
 (وذا الكفل) هو ابن عم
 يسع أو بشر بن أيوب
 واختلف في نبوته وتبني
 فقيل فرأيد ما لا نبي من
 بني اسرائيل من القتل
 فآواهم وكفاهم وقيل
 كهل بل رجل صالح
 كان يصلي كل يوم مائة
 صلاة (وكل) أي وكلمهم
 (من الاخبار) المشهورين
 بالخبرة (هذا) اشارة الى
 ما تقدم من الآيات الناطقة
 بمجانسهم (ذكر) أي
 شرف لهم وذكري جميل
 يذكرون به أبداً وتوخ
 من الذكر الذي هو اشراز
 وباب عند من عمل آيات
 الانبياء عليهم السلام
 وعن ابن عباس رضي الله
 عنهم هذا ذكر من مضى
 من الانبياء وقوله تعالى
 (وان للفقير الحسن ما أب)
 شروع في بيان أجرهم
 الجزيل في الآجل بعد
 بيان ذكرهم الجميل في

داود أن قال واذا كر عبدنا ابراهيم أي واذا كر يا محمد صبرا ابراهيم حين ألقى في النار
 وصبر اسحق للذبح وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره ثم قال أولى الايدي والابصار
 واعلم أن اليد آلة لا كثر الاعمال والبصر آلة لا قوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل
 باليد وعن الادراك بالبصر اذا حضرت هذا فتقول النفس الناطقة الانسانية لها قوتان
 عاملة وعاملة أما القوة العاملة فاشرف ما يصدر عنها طاعة الله وأما القوة العاملة فأشرف
 ما يصدر عنها معرفة الله وما سوى هذين التوسين من الاعمال والمعارف فكالمعيب والباطل
 فتقوله أولى الايدي والابصار اشارة الى هاتين الخالتين ثم قال تعالى انا أخلصناهم
 بخالص ذكرى الدار وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) قوله بخالص ذكرى يا توتون والاضافة
 فن تون كان التقدير اخلصناهم أي جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خاصة لا شوب
 فيها وهي ذكرى الدار ومن قرأ بالاضافة فاعني بما اخلص من ذكرى الدار يعني ان ذكرى
 الدار قد تكون لله وقد تكون لغيره فلهذا في انا اخلصناهم بسبب ما اخلص من هذا الذي ذكر
 (المسئلة الثانية) في ذكرى الدار وجوه (الاول) المراد أنهم استغفروا في ذكرى الدار
 الآخرة وبلغوا في هذا الذكر لى حيث نسوا الدنيا (الثاني) المراد حصول الذكر
 الجليل الرفيع لهم في انذار الآخرة (الثالث) المراد أنه ته الى أبيهم الذكر الجليل في الدنيا
 وقيل دعاهم في قوله واجعل لى لسان صدق في الآخرين ثم قال تعالى وانهم عندنا
 ان المصطفين الاخبار أي المختارين من أبناء جنسهم والاخبار جمع خير وخير على التخفيف
 كما موات في جمع ميت أو ميت واحتج العلماء بهذه الآية في اثبات عصمة الانبياء قالوا لانه
 تعالى حكم عليهم بكونهم اخبارا على الاطلاق وهذا يع حصول الخبرية في جميع الافعال
 والصفات بدليل صحة الاستثناء وبدليل دفع الاجمال ثم قال واذا كرا سمعيل واليسع
 وذا الكفل وكل من الاخبار وهم قوم آخرون من الانبياء نعمواوا الشنادق في دين الله وقد
 ذكرنا الكلام في شرح هذه الاسماء وفي صفات هؤلاء الانبياء في سورة الانبياء وفي سورة
 الانعام فلا فائدة في الاعادة وههنا آخر الكلام في قصص الانبياء في هذه السورة * قوله
 تعالى (هذا ذكر وان للفقير الحسن ما أب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها
 يدعون فيها بما كرهت وشراب وندهم فاصرات الطرف اتراب هدا ما توعندون يوم
 الحساب ان هذا الرزق ما له من نفاذ) اعلم ان في قوله ذكر وجهين (الاول) انه تعالى
 انما شرح ذكر احوال هؤلاء الانبياء عليهم السلام لاجل أن يصبر محمد عليه السلام على
 تحمل سقاهة قوم فلما تم بيان هذا الطريق وأراد أن يذكر عقيب طريقا آخر يوجب
 الصبر على سقاهة الجهال وأراد أن يميز أحد البابين عن الآخر لاجرم قال هذا ذكر ثم شرع
 في تفرير الباب الثاني فقال وان للفقير الحسن ما أب المصنف اذا تم كلاما قال هذا باب ثم شرع في باب
 آخر واذا فرغ الكتاب من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر قال هذا وقد كان
 كيت وكيت والدليل عليه انه لما ذكر أهل الجنة وأراد أن يردفه بذكر أهل النار قال

العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم دانشون في الحكم دخولوا اوايا واما هذا
 نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالقوى التي هي الغاية القاصية من السكر (جنات عدن) عطف بيان الحسن
 ما أب عند من يجوز تخالفها من نفاذ ذكرها فان عندنا

معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده أو بدل منه أو نصبت على المدح وقوله تعالى (مفتحة لهم الابواب) حال من جنات عدن وامل فيها ما في المقين من معنى الفعل والابواب مر تفة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأي البصر بين اى الابواب منها أو الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين اذا اصل ابوابها وقرئنا ﴿ ٢١١ ﴾ مر فوعنين على الابتداء والخبر أو على أيهما خبران لمخدوف

أى هي جنات عدن هي مفتحة (متكئين فيها) حال من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) استنساقي بيان حالهم فيها وقيل هو أيضا حال مما ذكر أو من ضمير متكئين والاقتصار على طاء انفاكهة الايدان بأن مطاعهم لمحض النفاكهة والتلذذ دون التغذي فانه لمحصيل بدل المتحامل ولا تحال ثمة (وعندهم قاصرات الطرف) أى على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (أتراب) لدات نهم فان الخباب بين الاقران أرسخ أو بعضهم البعض لا يجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يسمهم في وقت واحد (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى لاجله فاحسب حساب علة الوصول الى الجزاء وقرئ بالياء

هذا وان للظاغين (الوجه الثاني) في التأويل ان المراد هذا شرف وذكر جبل لهم ولاء الانبياء عليهم السلام يذكرون به أبدأ والاول هو الصحيح أما قوله وان للتقين لحسن ما تب فاعلم أنه تعالى لما حكى عن كفار قريش سفاهتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بان وصفوه بأنه ساحر كذاب وقالوا على سبيل الاستهزاء ربنا نعمل نفاقا فطنا فعند هذا أمر محمد بابا بصبر على تلك السفاهة و بين ان ذلك الصبر لا يزم من وجهين (الاول) أنه تعالى لما بين ان الانبياء المتقدمين صبروا على المكروه والشدة إذ فيجب عليك أن تقتدى بهم في هذا المعنى (الثاني) انه تعالى بين في هذه الآية أن من أطاع الله كان له من الثواب كذا وكذا ومن خالفه كان له من العقاب كذا وكذا وكل ذلك يوجب الصبر على تكاليف الله تعالى وهذا نظم حسن وترتيب لطيف أما قوله تعالى وان للتقين لحسن ما تب المآب الرجوع واحسب الثائلون يقدم الارواح بهذه الآية وكل آية تشتمل على لفظ الرجوع ووجه الاستدلال أن لفظ الرجوع انما يصدق لو كانت هذه الارواح موجودة قبل الاجساد وكانت في حضرة جلال الله ثم تعلقت بالابدان فعند انفصالها عن الابدان يسمى ذلك رجوعا وجوابه ان هذا ان دل فانما يدل على أن الارواح كانت موجودة قبل الابدان ولا يدل على قدم الارواح ثم قال تعالى جنات عدن وهو بدل من قوله لحسن ما تب ثم قال مفتحة لهم الابواب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكروا في تأويل هذا اللفظ وجوها (الاول) قال القراء معناه مفتحة لهم ابوابها والعرب تجعل الالف واللام خلفا من الاضافة تقول العرب مرت برجل حسن الوجه فالالف واللام في الوجه بدل من الاضافة (والثاني) قال الزجاج المعنى مفتحة لهم الابواب منها (الثالث) قال صاحب الكشاف الابواب بدل من الضمير وتقديره مفتحة هي الابواب كقولك ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتغال (المسئلة الثانية) قرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على تقدير ان يكون قوله جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره وكلاهما خبر مبتدأ مخدوف أى هو جنات عدن مفتحة لهم (المسئلة الثالثة) اعلم انه تعالى وصف من أحوال أهل الجنة في هذه الآية أشياء (الاول) أحوال مساكنهم فقوله جنات عدن يدل على أمرين (أحدهما) كونها جنات وبساتين (والثاني) كونها دائمة آمنة من الانتضاء وفي قوله مفتحة لهم الابواب وجوه (الاول) أن يكون المعنى ان الملائكة الموكلين بالجنان اذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له ابوابها وحيوه بالسلام فيدخل كذلك مخفوقا بالملائكة على أعرج حال وأجل هيئة قال تعالى حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتموها سلام عليكم طبتهم فادخلوها خالدين (الثاني) أن تلك الابواب كلما أرادوا انفتحتها انفتحت لهم وكلما أرادوا انغلاقها انغلق لهم (الثالث) المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة ومسافرة العيون فيها ومشاهدة الاحوال اللذيذة الطيبة ثم قال تعالى متكئين فيها يدعون فيها وفيه مباحث (الاول) انه تعالى ذكر في هذه الآية كونهم متكئين في الجنة وذكر في سائر الآيات

ايوافق ما قبله والتلغات أبقى بمقام الامتان والتكريم (ان هنا) أى ما ذكر من ألوان النعم والكرامات (رزقنا) أعطينا كونه (ماله من نضاد) انقطاع أبدا (هذا) أى الامر هنا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر وقوله تعالى (وان للظاغين لشر ما تب) شروع في بيان أضداد القريب السابق (جهنم) اعرابه كما سلف (يصلونها) أى يدخلها حال من جهنم (فبئس المهاد) وهو المهذ والمفرس مستعار من فراس النائم والمختصوص

بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) أي ليدوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى
 وإياي قارهبون أو العذاب هذا فليذوقوه أو هذا مبتدأ خبره (حجم وضاق) وما يذوقها اعتراض وهو على الأولين
 خبر مبتدأ محذوف أي هو حجم والعساق ما يفسق من صديد أهل النار من غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحجم
 يحرق بحره والعساق يعرق ببرده وقبل أو قطرت ﴿٢١٢﴾ منه قطرة في المشرق لئن أت أهل المغرب ولو قطرت

قطرة في المغرب لئن أت
 أهل المشرق وقيل
 العساق عذاب لا يعله
 إلا الله تعالى وقيل
 بتحفيف السين (وآخر
 من شكاه) أي ومذوق
 آخر أو عذاب آخر من
 مثل هذا المذوق
 أو العذاب في الشدة
 والفظاعة وقيل وآخر
 أي ومذوقات آخر
 وتوحيد ضمير شكاه
 يتأويل ما ذكر أو الشراب
 الشامل للحميم والعساق
 أو هو راجع إلى العساق
 (أزواج) أي أجناس
 وهو خبر لا آخر لأنه يجوز
 أن يكون ضروبا أو وصفة
 له أو الثلاثة أو مرتفع
 بالجار والخبر محذوف
 مثل لهم (هذا فوج
 مقمهم معكم) حكاية
 ما يقال من جهة الخزنة
 لرؤساء الطاغين إذا
 دخلوا النار واقحمها
 معهم فوج كانوا يتبعونهم
 في الكفر والضلالة
 والافتحام الدخول
 في الشيء بشدة قال
 الراغب الافتحام بوسط

كيفية ذلك الاتكاء فقال في آية على الأراك متكؤن وقال في آية أخرى متكئين على
 رفرى خضر (البحث الثاني) قوله متكئين فيها حال قدمت على العامل فيها وهو قوله
 يدعون فيها والمعنى يدعون في الجنات متكئين فيها ثم قال بفاكهة كثيرة وشراب والمعنى
 بألوان الفاكهة وألوان الشراب والتقدير بفاكهة كثيرة وشراب كثير والسبب في ذكر
 هذا المعنى أن ديار العرب حارة قابلة للفواكه والأشربة ففرغهم الله تعالى ولما بين تعالى
 أمر المسكن وأمر المأكول والمشروب ذكر عقبيه أمر المنكوح فقال وعندهم فأصرت
 الطرف وقد سبق تفسيره في سورة والصفات وبالجملة فالعنى كونهن فأصرت الطرف عن
 غيرهم مقصورات القلب على محبتهم وقوله أتراب أي على سن واحد ويحتمل كون الجوارى
 أتراب ويحتمل كونهن أترابا للأزواج قال الثعالبي والسبب في اعتبار هذه الصفة أنهن
 لما تشابهن في الصفة والسن والحلية كان الميل إليهن على السوية وذلك يقتضى عدم
 الغيرة ثم قال تعالى هذا ما توعدون ليوم الحساب يعني إن الله تعالى وعد المتقين بأثواب
 الموصوف بهذه الصفة ثم أنه تعالى أخبر عن دوام هذا الثواب فقال إن هذا الرزقنا ما له من
 نفاد قوله تعالى (هذا وإن للطاغين لشرمات جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه
 حجم وضاق وآخر من شكاه أزواج هذا فوج مقمهم معكم لامر حبا بهم أنهم صالوا النار
 قالوا بل أنتم لامر حبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده
 هذا باضعنا في النار وقالوا ما لنا لنرى رجلا كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخريا
 ما رأيت منهم الأبصار إن ذلك لحق خصم أهل النار) اعلم أنه تعالى لما وصف نواب المتقين
 وصف بدمه عتاب الطاغين ليكون الوعيد مذكورا عقيب الوعد والترهيب عقيب
 الترغيب واعلم أنه تعالى ذكر من أحوال أهل النار أنواعا (فالأول) مرجعهم وما بهم
 فقال هذا وإن للطاغين لشرمات أو هذا في مقابلة قوله وإن للمتقين لحسن مآب فبين
 تعالى إن حال الطاغين مضادة لحال المتقين واختلاف في المراد بالطاغين فأكثر المفسرين
 حياؤه على الكفار وقال الجبائي أنه محمول على أصحاب الكبار سواء كانوا كفارا أو
 يكونوا كذلك واحتج الأولون بوجوه (الأول) أن قوله لشرمات يقتضى أن يكون ما بهم
 شرا من مآب غيرهم وذلك لا يليق إلا بالكفار (الثاني) أنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا
 اتخذناهم سخريا وذلك لا يليق إلا بالكفار لأن التماسق لا يتخذ المؤمن سخريا (الثالث) أنه
 اسم ذم والاسم المطلق محمول على الكامل والكامل في الطغيان هو الكافر واحتج الجبائي
 على صحة قوله بقوله تعالى إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وهذا يدل على أن الوصف
 بالطغيان قد يحصل في حق صاحب الكبيرة ولأن كل من تجاوز عن تكاليف الله تعالى
 وتعداها فقد طغى إذا عرفت هذا فقول قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى إن الذين
 طغوا وكذبوا رسلهم شرمات أي شرم جمع ومصيرهم قال جهنم يصلونها والمعنى أنه
 تعالى لما حكى بأن الطاغين لهم شرمات ففسره بقوله جهنم يصلونها ثم قال فبئس المهاد

شدة تحفيفه وقوله تعالى (لامر حبا بهم) من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج أو وصفة وهو
 للفوج أحوال منه أي مقول أو مقولا في حقهم لامر حبا بهم أي لأنوا حبا أو لا رحبت بهم الدار مر حبا
 (أنهم صالوا النار) تليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكر وقيل لامر حبا بهم
 إلى هنا كلام الرؤساء في حق أتباعهم عند خضاب الخزنة لهم بافتحام الفوج معهم فمقارنتهم

وأنفر من مصاحبهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع (قالوا) أي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قواهم (بل أنتم لأمر حبايبكم) الخ على الوجهين الأخيرين ظاهر وأما على الوجه الأول فلعلهم إنما خاطبواهم مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار إلى الخزينة بل هم لأمر حبايبهم الخ قصد امتناعهم إلى اظهار صدقهم بالخاصة مع الرؤساء والحكام ٢١٣ الخ إلى الخزينة طمعا في قضاءهم بخفيف عذابهم أو

وهو كقوله لهم من جهنم مهاد ومن قوفهم غواش شبه الله ما تخننهم من النار بلهاذا الذي يفترشه التأم ثم قال تعالى هذا وليذوقوه حميم وغساق وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فيه وجهان (الاول) انه على التقديم والتأخير والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه (الثاني) أن يكون التقدير جهنم يصلونها فينبس المهاد هذا فليذوقوه ثم يتبدى فيقول حميم وغساق (المسئلة الثانية) الغساق بالتخفيف والتشديد فيه وجود (الاول) انه الذي يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقال ابن عمر هو القبح الذي يسيل منهم مجتمع فيستوته (الثاني) قيل الحميم يشرق بجره والغساق يشرق ببرد وذكرا لزهري ان الغساق البارد وهذا قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار (الثالث) ان الغساق المنبت حتى الزجاج لو قطرت منه قطرة في المشرق لانتت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لانتت أهل المشرق (الرابع) قال كعب الغساق عين في جهنم يسيل اليها اسم كل ذات حمة من عقرب وحية (المسئلة الثالثة) قرأ حزن والكسائي وحفص عن عاصم غساق بتشديد السين حيث كان والباقون بالتخفيف قال أبو علي الفارسي الاختيار التخفيف لانه اذا شدد لم يخل من أن يكون اسما أو صفة فان كان اسما فالاسماء ام تحيى على هذا الوزن الا قليلا وان صفة فقد اقيم مقام الموصوف والاصل ان لا يجوز ذلك ثم قال تعالى وآخر من شكله أزواج وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ أبو عمرو وآخر بينهم الالف على جمع أخرى أي اصناف اخر من العذاب وهو قراءة مجاهد والباقون آخر على الواحد أي عذاب آخر أما على القراءة الاولى فقوله وآخر أي ومدونات اخر من شكل هذا المنذوق أي من مثله في الشدة والفظاعة أزواج أي اجتناس وأما على القراءة الثانية فالتقدير وعذاب ومدنوق آخر وأزواج صفة لآخر لانه لا يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهم حميم وغساق وآخر من شكله قال صاحب الكشف وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة وأما الفصح فبالكسر لا غير واعلم انه تعالى لما وصف مسكن الطاغين وما كواهم حكي أحوالهم مع الذين كانوا أحياء لهم في الدنيا أولاهم مع الذين كانوا أسيادهم في الدنيا ثانيا (أما الاول) فهو قوله هذا فوج متحتم معكم واعلم أن هذا حكاية كلام رؤساء أهل النار يقوله بعضهم لبعض بدليل أن ما حكي بعدهما من أقوال الاتباع وهو قوله قالوا بل أنتم لأمر حبايبكم أنتم قدمتموه لنا وقيل ان قوله هذا فوج متحتم معكم كلام الخزينة لرؤساء الكفرة في اتباعهم وقوله لأمر حبايبهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقوله هذا فوج متحتم معكم أي هذا جرم كشف قد افقحتم معكم النار كما كانوا قد افقحوا معكم في الجهل والضلال ومعنى افقحتم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم والافقحتم ركوب الشدة والدخول فيها والقمحة الشدة وقوله تعالى لأمر حبايبهم دعاء منهم على اتباعهم بقول الرجل لمن يدعوه مر حبا أي أتيت رجبا في البلاد لاضيقا أو رحبت ببلادك رجبا ثم يدخل عليه كلمة لا في دعاء السوء وقوله بهم بيان للمدعو عليهم انهم صالوا النار لتعليل لاستيحابهم

ضعف عذاب خصائهم
أي بل أنتم أحق بما قيل
لنا أو قاتم وقوله تعالى
(أنتم قدمتموه لنا) تعاليل
لأحقية هم بذلك أي أنتم
قدمتم العذاب أو الصلبي
لنا أو وقعونا فيه بتقدم
ما يؤدى اليه من العقاب
الرافعة والأعمال السيئة
وتر بينهما في أعيننا
واغرائنا عليها لا أنا
اشترناها من تلقاء أنفسنا
(فنبس القرار) أي فنبس
المفرج جهنم قصدوا
بذمها تغليظ جنسية
الرؤساء عليهم (قالوا)
أي الاتباع أيضا وتوسيطه
بين كلامهم لما يتبعها من
التباين بين ذاتنا وخطايا
أي قالوا معرضين عن
خصومتهم متضرعين
إلى الله تعالى (ربنا من
قدم لنا هذا فزدد عذابا
مشعفا في النار) كقواهم
ربنا هو لئلا أضلونا فاطمأنهم
عذابا ضعفا من النار أي
عذابا مضاعفا أي ذا
ضعف وذلك بأن يزيد
عليه مثله ويكون ضعفين
كقول ربنا آت بهم ضعفين
من العذاب وقيل المراد
بالضعف الحيات والأفاعي

(وقالوا) أي الطاغون (مألنا لا ترى زجلا كنا ندهم من الاشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يستردونهم ويسخرون منهم (أخذناهم سخريا) بهمرة استفهام سقطت لاجلها همرة الوصل والجملة استئناف لاجلها من الإعراب قالوه انكارا على أنفسهم وتأنيبا لها في الاستبصار منهم (أم زانت

عنهم الابصار) متصل بالتخذناهم على أن أم منصلة والمعنى أى الامرين فعلنا بهم الاستسخبار منهم أم الازدراء بهم
وتخبرهم وإن ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتصرهم على معنى انتكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم تو يتخالها أو على
انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخرياً بل أزاعت عنهم ابصارنا كقولك أزيد عندك أم عندك عمرو على معنى تو بيخ أنفسهم
على الاستسخبار من الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ ﴿٢١٤﴾ على الازدراء والتحقير وقرى اتخذناهم بغير همزة

الدعاء عليهم ونظير هذا الآية قوله تعالى كما دخلت أمة لنت أختها قالوا أى الاتباع
بل أتم الامر حبا بكم يريدون ان الدعاء الذى دعوتهم به علينا أيها الرؤساء أتم أحق به
وعلاو ذلك بقولهم أتم قدمتمونا والضمير للعذاب أو لصاحبهم فان قيل ما معنى تقديمهم
العذاب لهم قلنا الذى أوجب التقديم هو عمل السوء قال تعالى وذوقوا عذاب الحريق
ذلك بما قدمت أيديكم لأن الرؤساء لما كانوا هم السبب فيه ياغواهم وكان العذاب
جزاءهم عليه قيل أتم قدمتمونا فعمل الرؤساءهم المتقدمين وجعل الجزاء هو المقدم
والضمير فى قوله قدمتموه كناية عن الطغيان الذى دل عليه قوله وان لا طاعين اشر ما آب
وقوله فبئس القرار أى بئس المستر والمسكن جهنم ثم قالت الاتباع ربنا من قدم لنا هذا
فردده عذابا ضعفا أى مضاعفا ومعناه ذاصعفا ونظيره قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم
عذابا ضعفا وكذلك قوله تعالى ربنا اننا اطعنا سادتنا وكرها فاضلونا السبل ربنا آتهم
ضعفين من العذاب فان قيل كل مقدار يفرض من العذاب فان كان بقدر الاستحقاق
لم يكن مضاعفا وان كان زائدا عليه كان ظلما وانه لا يجوز قلنا المراد منه قوله عليه السلام
ومن سن ستة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة والمعنى انه يكون أحد
القسمين عذاب الضلال والثانى عذاب الاضلال والله اعلم وههنا آخر شرح أحوال
الكفار مع الذين كانوا احبا بالاهم فى الدنيا وأما شرح أحوالهم مع الذين كانوا أعداء
لهم فى الدنيا فهو قوله وقالوا مائنا لارى رجلا لا كنا نعددهم من الاشرار يعنى ان الكفار اذا
نظروا الى جوانب جهنم فحينئذ يقولون مائنا لارى رجلا لا كنا نعددهم من الاشرار يعنون
قراء المسلمين الذين لا يؤبه بهم وسعوه من الاشرار اما بمعنى الاراذل الذين لا خير فيهم
ولا جدوى أولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا ثم قالوا اتخذناهم
سخريا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابو عمرو وحجرة والكسائى من الاشرار
اتخذناهم بوصل أنف اتخذناهم والباقون بقبحها على الاستفهام قال ابو عبيدو بالوصل
يقر لأن الاستفهام مقدم فى قوله مائنا لارى رجلا ولان المشركين لا يشكون فى اتخاذهم
المؤمنين فى الدنيا سخريا لانه تعالى قد أخبر عنهم بذلك فى قوله فاتخذتوهم سخريا حتى
أنسوكم ذكري فكيف يحسن أن يستفهموا عن شئ علموه أجاب القراء عنه بان قال هذا
من الاستفهام الذى معناه التعجب والتوبيخ ومثل هذا الاستفهام جائز عن الشئ
المعلوم أما وجد قول من ألحق الهمة للاستفهام انه لا بد من المصير اليه ليعادل قوله
اتخذناهم بأم فى قوله أم زاعت عنهم فان قيل فما الجملة المعادلة لقوله أم زاعت على القراءة
الاولى قلنا انها محذوفة والمعنى المقصودون هم أم زاعت عنهم الابصار (المسئلة الثانية)
قرأ نافع سخريا بضم السين والباقون بكسرها وقيل هما بمعنى واحد وقيل بالكسر
هو الهزؤ وبالضم هو التذليل والسخيف (المسئلة الثالثة) اختلفوا فى نظم الآية على
قولين بناء على القراءتين المذكورتين أما القراءة على سبيل الاختيار فاتخذناهم مائنا لارى

على أنه صفة أخرى
رجلا لا فقوله تعالى أم زاعت
متصل بقوله مائنا لارى
والمعنى مائنا لارىهم فى
النار اليسوا فيهم أفلذلك
لارىهم أم زاعت عنهم
أبصارنا وهم فيها
وقد جوز أن تكون الهمزة
مقدرة على هذه القراءة
وقرى سخريا بضم
السين (ان ذلك) أى
الذى حكى من أحوالهم
(لحق) لا بد من وقوعه
البتة وهو قوله تعالى
(تخاصم أهل النار) خير
مبتداً محذوف والجملة
بيان لذلك وفى الابهام
أولا والنيبين نايامز يد
تقريره وقيل بدل من
محل ذلك وقيل بدل من
حق أو عطف بيان له
وقرى بالصب على أنه
بدل من ذلك وما قيل من
أنه صفة له فقد قيل عليه
ان اسم الإشارة لا يوصف
الاباء عرف باللام يقال
بهذا الرجل ولا يقال
بهذا غلام الرجل (قل)
أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يقول
للمشركين (اعما أنمندر)
من جهته تعالى أنذركم

هذا به (وما من اله) فى الوجود (الا لله الواحد) الذى لا يقبل الشركة والكثرة أصلا (القهار) حاضرين
لكل شئ سواه (رب السموات والارض وما بينهما) من المخلوقات فكيف يتوهم أن يكون له شريك منها (العزيز)
الذى لا يغلب فى أمر من أموره (الفقار) المبالغ فى المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفى هذه الدعوات من تقرير

التوحيد والوعد لله وحده والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعد من وصف النهار والعزة وتقديرهما على وصف المعفرة لتوفية مقام الانذار حقه (قل) تنكر الامر للايدان بان المقول امر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به امرا وانذارا (هو) أي ما أتيناكم به من أنى منذر من جهته تعالى وأنه تعالى واحد لا شريك له وأنه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاطهر انه القرآن ﴿ ٢١٥ ﴾ وما ذكر داخل فيه دخولا وائيا كما يشهد به آخر السورة الكريمة

وهو قول ابن عباس ومجاهد وقسادة (نبا عظيم) وارد من جهته تعالى وقوله تعالى (أتتم عنه معرضون) استئناف تابع تدليلهم سويا بصنيعهم به يبدان أنهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرفون عنه مع عظيمنة وكونه موجبا للإقبال الكلي عليه وتاقبه بخس القبول وقيل صفة اخرى لنبا وقوله تعالى (ما كان من علم بالملا الأعلى) الخ استئناف مسوق لتعقيب انه نبا عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبا من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بيذة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر أنبائه أيضا كذلك والملا الأعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وإليس عليه

حاضرين لاجل انهم لحقارتهم تركوا أو لاجل انه زاعجت عنهم الابصار وقع التعبير عن حقارتهم بقواهم اتخذناهم سخريا وأما قراءة على سبيل الاستفهام فالتقدير لاجل اننا قد اتخذناهم سخريا وما كانوا كذلك فلم يدخلوا النار لاجل انه زاعجت عنهم الابصار واعلم انه تعالى لما حكى عنهم هذه المناظرة قال ان ذلك الذي حكىناه عنهم حتى لا يد وان يتكلموا به ثم بين ان الذي حكىناه عنهم ما هو فقال تخصصهم أهل النار وانما سمى الله تعالى تلك الكلمات تخصصا لان قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان اتبعوا ما حيا بكم من باب الخصومة بقوله تعالى (قل انما أنا مناد وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات الارض وما بينهما العرش العظيم) ثم عظمتم أتم عنه معرضون ما كان من علم بالملا الأعلى اذ يتخصصون ان يوحى الى الأعداء أن الذين آمنوا (اسم انه تعالى لما حكى في أول السورة أن محمدا صلى الله عليه وسلم لما دعا الناس الى أنه لا اله الا الله واحد والى انه رسول مبين من عند الله والى أن القول بالعبادة حق فأولئك الكفار أظهروا السفاهة وقالوا انه ساحر كذاب واستهزؤا بقوله ثم انه تعالى ذكر قصص الانبياء اوجهين (الأول) ليصير ذلك حاملا للحمد على الله عليه وسلم على الناس بالانبياء عليهم السلام في الصبر على سفاهة القوم (والثاني) ليصير ذلك رادعا للكفار على الاسرار على الكفر والسفاهة وذاعبا الى قبول الايمان ولانهم الله تعالى ذلك الطريق أدرفه بطريق آخر وهو شرح نعم أهل الثواب وشرح عقاب أهل العقاب فقام الله تعالى هذه البيانات عاد الى تقرير المطالب المذكورة في أول السورة وهي تقرير التوحيد والنبوة والبعث فقال قل يا محمد انما أنا منذر ولا بد من الاقرار بأنه ما من اله الا الله الواحد القهار فان الترتيب الصحيح ان تذكر شبهات الخصوم أولا ونجيب عنها ثم تذكر عقيب الدلائل الدالة على صحة المطالب فكذاهمنا أجاب الله تعالى عن شبهتهم وتبينه على فساد كلماتهم ثم ذكر عقيبه ما يدل على صحة هذه المطالب لان ازالة ما لا يخفى مقدمة على اثبات ما يشق وغسل الالوح من القلوب الفاسدة مقدم على كتب القلوب الصحيحة قيد ومن نظر في هذا الترتيب اعترف بان الكلام من أول السورة الى آخرها قد جاء على أحسن وجوه الترتيب وانظم أما قوله قل انما أنا منذر يعني أبلغ أحوال عقاب من أنكر التوحيد والنبوة والمعاد وأحوال ثواب من أقر بها وكابد في أول السورة بأدلة التوحيد حيث حكى عنهم انهم قالوا أجمع الآلهة الهة واحدا فكذلك بدأ ههنا بتقرير التوحيد فقال وما من اله الا الله الواحد القهار وفي هذه الكلمة إشارة الى الدليل الدال على كونه بمنزلة عن التبريك والتظهير وبيانه ان الذي يجعل شريكا لله في الألوهية اما أن يكون موجودا قادرا على الاطلاق على التصرف في العالم أولا لا يكون كذلك بل يكون جادا عاجزا (والأول) باطل لانه لو كان شريكا قادرا على الاطلاق لم يكن هو قادرا قاهرا ان يقدر ان يريد هو شيئا ويريد شريكه ضد ذلك الشيء لم يكن حصول أحد الامرين أولى من الآخر فبفضي الى الدفاع كل واحد

الاعتد وقوله تعالى (اذ يتخصصون) متعلق بمجدوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه على الصلوة والسلام بحالهم لا بدواتهم والتقدير ما كان في السابق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملا الأعلى على وقت اختصاصهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور وتنجيز للاوسع فان علمه على الصلوة والسلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل علم لها والافعال أيضا من جهة الملائكة ما احتكوا به كقوله حسبا تعلق به العبد

فلا بد من اعتبار العموم في نفيه أيضا لا محالة وقوله تعالى (ان يوحى الى الامم ان انذروا من انذارهم) اعتراض وسط بين اجال اختصاصهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه الصلاة والسلام وتعييننا لسبب الاذنان ان يتفانه فيما سبق لما كان منبأ عن ثبوته الا ان ومن البين عدم ملائمة علمه عليه الصلاة والسلام بشئ من مبادئ اليهودية تميم انه ليس الا بطريق الوحي حتما فعمل ذلك امر اعلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصد اوجمل ﴿ ٢١٦ ﴾ مصب الفائدة والقصد اخبار

منهما بالاخر وجهنا لئلا يكون قادرا فاهرا بل كان عاجزا ضاميا والاعجاز لا يصلح للاهية فتوله الا الله الواحد القهار اشارة الى ان كونه قهارا يدل على كونه واحدا (و اما الثاني) وهو ان يقال ان الذي جعل شمس بكاله لا يقدر على شئ البتة مثل هذه الاوثان فهذا أيضا فاسد لان صريح العقل يحكم بان عبادة الاله القادر التاهر اولى من عبادة الجماد الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يفتي عنك شيئا فتوله وما من اله الا الله الواحد القهار يدل على هذه الدلائل واعلم ان كونه سبحانه قهارا مشعرا بالترهيب والخوف فلما ذكر ذلك اوردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا مشعرا بالترهيب والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا مشعرا بالترغيب وهذا الموجود هو الذي يجب عبادته لانه هو الذي يخشى عقابه ويرجى فضله وثوابه ونذركر طريفة اخرى في تفسير هذه الآيات فتقول انه تعالى ذكر من صفاته في هذا الموضع خمسة الواحد واتقهار والرب والعزيز والغفار اما كونه واحدا فهو الذي وقع الخلاف فيه بين أهل الحق وبين المشركين واستدل تعالى على كونه واحدا بكونه قهارا وقد بينا وجه هذه الدلالة الى ان كونه قهارا وان دل على اثبات الواحدانية الا انه يوجب الخوف الشديد فأوردفه تعالى بذكر صفات ثلاثة دالة على الرحمة والفضل والكرم (أولها) كونه ربا للسموات والارض وبنهما وهذا انما تم معرفته بالنظر في آثار حكمة الله تعالى في خلق السموات والارض والعناصر الاربعه والموايد الثلاثة وذلك ليعر لاساحله فاذا تأملت في آثار حكمته ورحمته في خلق هذه الاشياء عرفت حينئذ تر بيته لاه كل وذلك يفيد الرجاء العظيم (وثانيها) كونه عزيزا والفائدة في ذكره ان لما نزل ان يقول هب انه رب ومرجى وكرم الا انه غير قادر على كل المقدورات فاجاب عنه بانه عن يراى قادر على كل الممكنات فهو يغلب الكل ولا يقابله شئ (وثالثها) كونه غفارا والفائدة في ذكره ان لما نزل ان يقول هب انه رب ومحسن ولكنه يكون كذلك في حق المطيعين المخلصين في العبادة فاجاب عنه بأن من اتى على الكفر سبعين سنة ثم تاب فاقب ازيل اسمه عن ديوان المذنبين واسترعايد بفضله ورحمته جميع ذنوبه وأوصله الى درجات الابرار واعلم انه تعالى لما بين ذلك قال قل هو نيا عظيم انتم عنه معرضون وهذا النيا العظيم يحتمل وجودها فيمكن أن يكون المراد ان القول بان الاله واحد نيا عظيم ويمكن أن يقال المراد ان القول بالنبوة نيا عظيم ويمكن أن يقال المراد ان القول بثبات الحشر والنشر والقيامة نيا عظيم وذلك لان هذه المطالب الثلاثة كانت مذكورة في أول السورة ولاجلها انجز الكلام الى كل ما سبق ذكره ويمكن أيضا ان يكون المراد كون القرآن معجزا لان هذا أيضا قد تقدم ذكره في قوله كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وهؤلاء الاقوام اعرضوا عنه على ما قال قل هو نيا عظيم انتم عنه معرضون واعلم أن قوله انتم عنه معرضون ترغيب في النظر والاستدلال ومنع من التقليد لان هذه المطالب مطالب شريفة عالية فان يتدبر أن يكون الانسان فيها على الحق يفوز بأعظم ابواب السعادة

ما هو داع الى الوحي ومصحح له تعقيفا لقوله تعالى انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عليه الصلاة والسلام بقصة الملا الاعلى فاقام مقام الفاعل ليوحي اما ضمير تائد الى الحلال المقدر أو ما عمن وغيره فله معنى ما يوحى الى حال الملا الاعلى أو ما يوحى الى ما يوحى من الامور الغيبية التي من جاتها حالهم الا انما انانذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه الصلاة والسلام كذلك من دواعي الوحي اليه ومن موجباته حقا واما ان التائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور أو هو وانما انانذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الى الا انذار أو ما يوحى الى الا ان انذر وأبلغ ولا افراط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف

في توجيه قصر الوحي على كونه الانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يسهل عليه ﴿ وبتقدير ﴾ سياق النظم الكريم وساقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجال الاختصاص وتفصيله فتأمل والله المرشد وقريء انما بالكسر علم الحكامة

وقوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة) شروع في تفصيل ما أجل من الاختصاص الذي هو ماجرى بينهم من القول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صبح ﴿ ٢١٧ ﴾ استناد الاختصاص الى الملائكة واذ بدل من اذ الاول وليس

من ضرورة البدلية
دخولها على نفس
الاختصاص بل يكفي اشتغال
ما في حيزها عليه فان
القصة ناطقة بذلك
تفصيلا وان تعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه الصلاة
والسلام لتسريفة
والايدان بأن وحى هذا
النبا اليمانية وتأييده
عليه الصلاة والسلام
والكاف وارد باعتبار
حال الامر لكونه أدل
على كونه وحيا من زملا من
عنده تعالى كافي قوله تعالى
قل يا عبادي الذين أسرفوا
على أنفسهم الخ دون
حال الأمر والاقتبل ربي
لانه داخل في حيز الامر
(اني خالق) أي فيما سيأتي
وفيه ما ليس في صيغة
المضارع من الدلالة
على أنه تعالى فاعله
البتة من غير صارف
يلوي به ولا ططف يثنية
(بشر) قبل أي جسمها
كشفا يلاق ويباشر
وقيل خلقا يادي البشرية
بلاصوف ولا شعر واصل
ما جرى عند وقوع
الحكي ليس هذا الاسم

و بتقدير أن يكون الانسان فيها على الباطل وقع في أعظم أبواب الشقاوة فكانت هذه
المباحث أنباء عظيمة ومطالب عالية بهيمة وصریح العقل بوجوب على الانسان أن يأتي فيها
بالاحتياط التام وان لا يكتفي بالساهلة والمساهلة اما قوله تعالى ما كان لي من علم الا
الأعلى اذ اختصمون فاعلم انه تعالى رغب المكلنين في الاحتياط في هذه المسائل الاربعة
وبانع في ذلك الترفيف من وجوه (الاول) أن كل واحد منهما نيا أعظم والنيا العظم يجب
الاحتياط فيه (الثاني) ان الملائكة على اختصاصها وأحسن ما قيل فيه انه تعالى لما قال
اني جماعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدسك قال اني أعلم ما لاتعلمون والمعنى انهم قالوا أي فائدة في خلق البشر مع
انهم يشتغلون بقضاء الشهوة وهو المراد من قوله من يفسد فيها وبامضاء الغضب وهو
المراد من قوله ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك فقال الله سبحانه وتعالى اني أعلم
ما لاتعلمون وتقرير هذا الجواب والله أعلم أن يقال ان المخلوقات بحسب النسبة العقلية
على أقسام أربعة (أحدها) الذين حصل لهم العقل والحكمة ولم تحصل لهم النفس
والشهوة وهم الملائكة فقط (وثانيها) الذين حصل لهم النفس والشهوة ولم يحصل لهم
العلم والحكمة وهي البهائم (وثالثها) الاشياء الخالصة عن القسمين وهي الجمادات وبقى
في التقسيم قسم رابع وهو الذي حصل فيه الامران وهو الانسان والمقصود من تخليق
الانسان ليس هو الجهل والتقليد والتكبر والتمرد فان كل ذلك صفات البهائم والسباع
بل المقصود من تخليقه ظهور العلم والحكمة والطاعة فقوله اني أعلم ما لاتعلمون يعني ان
هذا النوع من المخلوقات وان حصلت فيه الشهوة الداعية الى الفساد والغضب الحامل
له على سفك الدماء لكن حصل فيه العقل الذي يدعو الى المعرفة والمحبة والطاعة
والخدمة واذ ثابت أنه تعالى انما اجاب الملائكة بهذا الجواب وجب على الانسان أن
يسعى في تحصيل هذه الصفات وان يجتهد في اكتسابها وان يحترز عن طريقة الجهل
والتقليد والاصرار والتكبر واذ كان كذلك فكل من وقف على كيفية هذه الواقعة
صار وقوفه عليها داعيا له الى الجد والاجتهاد في اكتساب المعارف الحقة والاخلاق
الفاضلة زاجر له عن اضدادها ومقابلاتها فلهمنا السبب ذكر الله تعالى هذا الكلام
في هذا المقام فان قيل الملائكة لا يجوز أن يقال انهم اختصوا بسبب قولهم أتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء فان المخاصمة مع الله كفر قلنا لاشك أنه جرى هناك سؤال
وجواب وذلك بشابه المخاصمة والمناظرة والمشابهة على لجواز الجواز فلهمنا السبب حسن
اطلاق لفظ المخاصمة عليه ولما أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم أن يذكر هذا
الكلام على سبيل الرمز أمره أن يقول ان يوحى الى الانما أنما تذر مين يعني انما عرفت
هذه المخاصمة الا بالوحي وانما وحي الله الى هذه النصيحة لانذركم بها وتصير هذه القصة حاصلة
لكم على الاخلاص في الطاعة والاحترام عن الجهل والتقليد * قوله تعالى (اذ قال ربك

الذي لم يخق مسماه حينئذ فضلا عن ﴿ ٢٨ ﴾ سا تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله

وإنما عبرة بهذا الاسم عند الحكاية (من طين) لم تعرض لوصافه من الغير والاسوداد والمسوية اكتفاء بما ذكر في مواقع أخر (فاذا سويت) أي صورته بالصورة الانسانية ٢١٨ هـ والخلفه البشرية أوسويت أجزاء بدنه

بتعديل طباعته (ونفخت فيه من روعي) النفخ اجراء الريح الى نجوف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا نفوخ وانما هو تشبيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أي فاذا تكلمت استعداده وأفضت عليه ما يجبا به من الروح التي هي من أمرى (ففعواله) أمر من وقع وفيه دليل على أن الأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أي اسقطوا له (ساجدين) تحميلة وتكراما (فمسجد الملائكة) أي خلقه فسواه فنفخ فيه الروح فيسجد له الملائكة (كلهم) بحيث لا يبق منهم أحد الا سجد (أجمعون) أي بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيد التأكيد أيضا وقيل أ كذباً كيدين مبالغة في التعميم هذا وأما أن وجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الأمر يتعلق كما يتضميه هذه الآية الكريمة

للملائكة اني خالق بشر من طين فاذا سويت ونفخت فيه من روعي ففعواله ساجدين فمسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فانخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم المعلوم قال فبعرثك لأعدو بينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لا ملأن جهنم منك وعمن تيمك منهم أجمعين اعلم أن المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر وذلك لان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما نازعوا محمدا عليه السلام بسبب الحسد والكبر فانه تعالى ذكره هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرا لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين والحاصل انه تعالى رغب المكلفين في النظر والاستدلال ومنعهم عن الاصرار والتقليد وذكر في تقريره أموراً أربعة (أولها) انه نبأ عظيم فيجب الاحتياط فيه (والثاني) ان قصة سؤال الملائكة عن الحكمة في تخليق البشر يدل على أن الحكمة الاصلية في تخليق آدم هو المعرفة والطاعة لا الجهل والتكبر (الثالث) ان ابليس انما خصم آدم عليه السلام لاجل الحسد والكبر فيجب على العاقل أن يحترز عنهما فهنا هو وجد النظم في هذه الآيات واعلم أن هذه القصة قد تقدم شرحها في سور كثيرة فلا فائدة في الاعادة الا ما لا بد منه وفيها مسائل (المسئلة الاولى) في قوله اني خالق بشر من طين سوالات (الاول) ان هذا النظم انما يوضح أو ما يمكن خلق البشر من الطين كما اذا قيل انما نتخذ سوارا من ذهب فهنا انما يستقيم أو ما يمكن اتخاذه من الفضة (الثاني) ذكر ههنا انه خلق البشر من طين وفي سائر الآيات ذكر انه خلقه من سائر الاشياء كقوله تعالى في آدم انه خلقه من تراب وقوله من صلصال من حمأ مسنون وقوله خلق الانسان من عجل (الثالث) ان هذه الآية تدل على انه تعالى لما أخبر الملائكة بأنه خلق بشرا من طين لم يقولوا شيئا وفي الآية الاخرى وهي التي قال اني جاعل في الارض خليفة بين انهم أوردوا السؤال والجواب فينبغي تناقض والجواب عن الاول ان التقدير كأنه سبحانه وصف لهم أولان البشر شخص جامع للقوة البهيمية والسبعية والشيطنية والملكية فلما قال اني خالق بشر من طين فكأنه قال ذلك الشخص المستجمع لتلك الصفات انما خلقه من الطين والجواب عن الثاني ان المادة البعيدة هو التراب وأقرب منه الطين وأقرب منه الحما المسنون وأقرب منه الصلصال فثبت انه لا منافاة بين الكل والجواب عن الثالث انه في الآية المذكورة في سورة البقرة بين انهم أنه يخلق في الارض خليفة وبالآية المذكورة ههنا بين أن ذلك الخليفة بشر مخلوق من الطين (المسئلة الثانية) قال فاذا سويت ونفخت فيه من روعي وهذا يدل على أن تخليق البشر لا يتم الا بأمرين التسوية والتم نفخ الروح نابيا وهذا حق لان الانسان من كبر من جسد ونفس أما الجسد فانه انما يتولد من المنى

والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتيبه عليه من غير أن توسط بينهما شيء غير ما توضح عنه الفاء
الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح ﴿ ٢١٩ ﴾ أو على الامر التجيزي كما يتضبطه ما في سورة البقرة

وما في سورة الاعراف

وما في سورة بنى اسرائيل

وما في سورة الكهف

وما في سورة طه من

الآيات الكريمة فقد مر

تحقيقه بتوفيق الله عز

وجل في سورة البقرة

وسورة الاعراف

(الابليس) استثناء

متصل لما أنه كان جنيا

مفردا مغورا بالوف

من الملائكة موصوفا

بصفاتهم فغلبوا عليه

ثم استثنى استثناء واحد

منهم أولان من الملائكة

جنسا يتوالدون وهو

منهم أو منقطع وقوله

تعالى (استكبر) على

الأول استئناف مبين

لكيفية ترك السجود

المفهوم من الاستثناء

فان تركه يحتمل أن يكون

للتأمل والتوى وبه

يتحقق أنه اللابئ

والاستكبار وعلى الثاني

يجوز اتصاله بما قبله

أي لكن ابليس استكبر

(وكان من الكافرين)

أي وصار منهم بمخالفة

الامر واستكباره عن

الطاعة أو كان منهم

في علم الله عز وجل (قال

والتي انما يتولد من دم الطمث وهو انما يتولد من الاخلاط الاربعة وهي انما يتولد من
الاركان الاربعة ولا بد في حصول هذه التسوية من رعاية مقدار مخصوص لكل واحد
منها ومن رعاية كيفية امتزاجاتها وتركيباتها ومن رعاية المدة التي في مثلها حصل ذلك
المزاج الذي لاجله يحصل الاستعداد لقبول النفس الناطقة وأما النفس فاليها الاشارة
بقوله ونفخت فيه من روحي ولما أضاف الروح الى نفسه دل على أنه جوهر شريف علوي
قدسي وذهبت الحلوية الى أن كلمة من تدل على التبويض وهذا يوهم أن لروح جزء من
أجزاء الله تعالى وهذا في غاية الفساد لان كل ماله جزء وكل فهو مركب ويمكن الوجود
لذاتنا ومحدث وأما كيفية نفخ الروح فاعلم أن الأقرب أن جوهر النفس عبارة عن أجسام
شفاقة نورانية علوية العنصر قدسيتها الجوهر وهي تسمى في البدن سريران الضوء في الهواء
وسريران النار في الفحم فهذا التدر معلوم أما كيفية ذلك النفخ فما لا يعلمه الا الله تعالى
(المسئلة الثالثة) الفاء في قوله بقوله ساجدين تدل على انه كاتم نفخ الروح في الجسد
توجه أمر الله عليهم بالسجود وأما أن المأمور بذلك السجود ملائكة الارض أو دخل
فيه ملائكة السموات مثل جبريل وميكائيل والروح الاعظم المذكور في قوله يوم يقوم
الروح والملائكة صفحا ففيه مباحث عميقة وقال بعض الصوفية الملائكة الذين أمروا
بالسجود لا دم هم القوى النباتية والحيوانية الحسية والحركة فانها في بدن الانسان
خوادم النفس الناطقة وابليس الذي لم يسجد هو القوة الوهمية التي هي المنازعة لجوهر
العقل والكلام فيه طويل وأما بقية المسائل وهي كيفية سجد الملائكة لا دم وان
ذلك هل يدل على كونه أفضل من الملائكة أم لا وان ابليس هل كان من الملائكة أم لا
وأنه هل كان كافرا أصليا أم لا فكل ذلك تقدم في سورة البقرة وغيرها (المسئلة الرابعة)
احتج من أثبت الأعضاء والجوارح لله تعالى بقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت
بيدي في آيات يدي الله تعالى بأن قالوا وانما ظاهر الآية يدل عليه فوجب التصير البدو والآيات
الكثيرة الواردة على وفق هذا الآية فوجب القطع به واعلم أن الدلائل الدالة على نفي كونه
تعالى جسم امر كبا من الاجزاء والأعضاء قد سبق الأنا ذكر ههنا نكتنا جار بقبحرى
الالزامات الظاهرة (فالاول) ان من قال انه مركب من الأعضاء والاجزاء فاما ان ثبت
الأعضاء التي ورد ذكرها في القرآن ولا يزيد عليها وأما أن يزيد عليها فان كان الأول لزمه
الاثبات صورة لا يمكن أن يزداد عليها في القبح لانه يلزمه اثبات وجه بحيث لا يوجد منه
الاجرد رقعة الوجود سواء كل شيء هاتك الأوجه وهدو يلزمه أن يثبت في تلك الرقعة عيوننا
كثيرة لقوله تجرى بأعيننا وان يثبت جنبا واحدا لقوله تعالى يا حسرتا على ما فرطت في
جنب الله وأن يثبت على ذلك الجنب أيدي كثيرة لقوله تعالى مما عملت أيدينا ويتقدير أن
يكون له يدان فانه يجب أن يكون كلاهما على جانب واحد لقوله صلى الله عليه وسلم الحجر
الاسود يمسح الله في الارض وان يثبت له ساقا واحدا لقوله تعالى يوم يكشف عن ساق
يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أي ذاته بالذات من غير توسط أب وأم والثنية لابرار كالاعتناء

بمخالفه عليه الصلاة والسلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ (استكبرت)
بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل أي أنكبرت ﴿ ٢٢٠ ﴾ من غير استحقاق (أم كنت من العالمين)

المستحقين للتفوق وقيل
استكبرت الآن أم لم تزل
منذ كنت من المستكبرين
وقرى بجذف همزة
الاستفهام ثقة ببدلالة
أم عليها وقوله تعالى
(قال أنا خير منه) ادعاء
منه شيء مستلزم لمنعه
من السجود على زعمه
واشعار بأنه لا يليق
أن يسجد الفا ضل
للفضول كما يعرب عنه
قوله لم أكن لا يسجد
لبشر خلقته من صلصال
من جن مسنون وقوله
تعالى (خلا في من نار
وخلقته من طين)
تدليل بالادعاء من فضله
عليه عليه الصلاة
والسلام وتندا خطأ
الاعمين حيث خص
الفضل بسان جهة
المادة والعنصر وزل
عند ما من جهة الفاعل
كأبنا عند قوله تعالى
لما خلقنا بيدي ومان
جهة الصورة كآبنا
عليه قوله تعالى ونفخت
فيه من روحي ومان
جهة غاية وهو سلاك
الامر واذك أمر
الملائكة بسجوده عليهم

فيكون الحاصل من هذه الصورة مجرد رقة الوجه ويكون عليها عيون كثيرة وجنب
واحد ويكون عليه أيد كثيرة وساق واحد ومعلوم ان هذه الصورة أفتح الصور ولو كان
هنا عبدا لم يرغب أحد في شرائه فكيف يقول العاقل ان رب العالمين موصوف بهذه
الصورة (واما القسم الثاني) وهو ان لا يقصر على الاعضاء المذكورة في القرآن بل يزيد
وينقص على وفق التأويلات فيجئ بتدبير مذهب في الحمل على مجرد الظواهر ولا بدله من
قبول دلائل العقل (الحجة الثامنة) في ابطال قولهم انهم اذا أبتوا الاعضاء لله تعالى فان
أبتوا له عضو الرجل فهو رجل وانما أبتوا له عضو النساء فهو أنثى وان نفوسهما فهو
خمسى أو عشرين وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (الحجة التاسعة) انه في ذاته سبحانه
وتعالى امانان يكون جسما صليبا لا يتغير البتة فيكون حجرا صليبا واما أن يكون قابلا
للاعمار فيكون اينا قابلا للتفرق والتفرق وتعالى الله عن ذلك (الحجة الرابعة) انه ان كان
يحيث لا يمكنه أن يتحرك عن مكانه كان كل من المقدم العاجز وان كان بحيث يمكنه أن
يتحرك عن مكانه كان محلا لتغيرات فدخل تحت قوله لأحب الآفلين (الحجة الخامسة)
ان كان لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتحرك كان كالميت وان كان يفعل هذه الاشياء
كان انسانا كثيرا التهمة محتاجا الى الاكل والشرب والوقاع وذلك باطل (الحجة السادسة)
انهم يقولون انه ينزل كل ليلة من العرش الى السماء الدنيا فتقول لهم حين نزوله هل يبقى
مدبرا للعرش ويبقى مدبرا للسماء الدنيا حين كان على العرش وحينئذ لا يبقى في النزول
فائدة وان لم يبقى مدبرا للعرش فمئذ نزوله يصير معزولا عن الهيبة العرش والسموات (الحجة
السابعة) انهم يقولون انه تعالى أعظم من العرش وان العرش بالنسبة لعظمتاه عظمة
الكرسي وعلى هذا الترتيب حتى ينتهي الى السماء الدنيا فاذا كان كذلك كان السماء الدنيا
بأنسبة الى عظمتاه كاندرة بالنسبة الى البحر فاذا نزل فاما ان يقال ان الاله يصير صغيرا
بحيث تسعه السماء الدنيا واما أن يقال ان السماء الدنيا تصير أعظم من العرش وكل ذلك
باطل (الحجة الثامنة) ثبت ان العالم كرهة فان كان فوقه بالنسبة الى قوم كان تحته بالنسبة
الى قوم آخرين وذلك باطل وان كان فوقه بالنسبة الى الكل فحينئذ يكون جسما محيطا
بهذا العالم من كل الجوانب فيكون له العالم على هذا القول فلما من الافلاك (الحجة
التاسعة) لما كانت الارض ككرة وكانت السموات كرات فكل ساعة تفرض من
الساعات فانها تكون ثلث الليل في حق أقوام معينين من سكان كرهة العوارض فلو نزل
من العرش في ثلث الليل وجب أن يبقى أبدا نازلا عن العرش وأن لا يرجع الى العرش
البتة (الحجة العاشرة) انما تميز ايضا الهيبة الشمس والقمر للاثنا أنواع من العيوب (أولها)
كونه مؤلفا من اجزاء والابحاض (وثانيها) كونه محدودا امتناها (وثالثها) كونه
موسوقا بالمركة والسكون والظلمة والخروج والغروب فاذا كان له المشبهة مؤلفا من الاعضاء
والاجزاء كان مركبا فاذا كان على العرش كان محدودا متناها وان كان ينزل من العرش

السلام حين ظهر لهم انه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الارض وأزله خواص ﴿ ويرجع ﴾
ليست غير (قال فأتبرج منها) الفاء

لتزيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالباطل اى فاخرج من الجنة اومن زمرة
الملائكة وهو المراد بالامر ﴿ ٢٢١ ﴾ بالهبوط والهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لا دم عليه السلام كانت

ويرجع اليه كان موصوفا بالحركة والسكون فهذه الصفات الثلاثة ان كانت متنافية
للالهية وجب تنزيه الاله عنها باسرها وذلك يبطل قول المشبهة وان لم تكن متنافية للالهية
فحينئذ لا يتدرأ حد على الطعن في الهبة الشمس والقمر (الحجة الحادية عشرة) قوله تعالى
قل هو الله أحد وألفظ الاحد مبالغة في الوحدة وذلك يتنافى كونه مر كبا من الاجزاء
والابعاض (الحجة الثانية عشرة) قوله تعالى والله الغنى وأتم الفقراء ولو كان مر كبا من
الاجزاء والابعاض لكان محتاجا اليها وذلك يمنع من كونه غنيا على الاطلاق فثبت بهذه
الوجوه أنا نقول بآيات الاعضاء والاجزاء لله محال ولما ثبت بالدلائل القينية وجوب
تنزيه الله تعالى عن هذه الاعضاء فنقول ذكر العلماء في لفظ اليد وجوها (الاول) ان اليد
عبارة عن القدرة تقول العرب ماى بهمنا الامر من يدأى من قوة وطاقة قال تعالى
أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح (الثاني) اليد عبارة عن النعمة يقال ايدى فلان في حق
فلان ظاهرة والمراد النعم والمراد باليدين النعم الظاهرة والباطنة أو نعم الدين والدنيا
(الثالث) ان لفظ اليد قد يزداد لا أكيد كقول القائل لمن جئى باللسان هذا ما كسبت
يداك وكقوله تعالى بشرا بين يدي رحمتك والقائل أن يقول حمل اليد على القدرة عهدنا غير
حاضر ويدل عليه وجوه (الاول) ان ظاهر الآية يقتضى اثبات اليدين فلو كانت اليد
ببارة عن القدرة لزم اثبات قدرتين لله وهو باطل (والثاني) ان الآية تقتضى أن كون
آدم مخلوقا باليدين يوجب فضيلته وكونه مسجودا للملائكة فلو كانت اليد عبارة عن
القدرة لكان آدم مخلوقا بالقدرة لكن جميع الاشياء مخلوقة بقدرة الله تعالى فكما أن آدم
عليه السلام مخلوق بيد الله تعالى فكذلك ابلليس مخلوق بيد الله تعالى وعلى تقدير أن
تكون اليد عبارة عن القدرة لم تكن هذه العلة علة لكون آدم مسجودا لا يابىس أول
من أن يكون ابلليس مسجودا لآدم حينئذ يتخلل نظم الآية ويطل (الثالث) انه جاء في
الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال كلنا يدى بنى آدم ومعلوم أن هذا لو صح لا يليق بالقدرة
(وأما التأويل الثاني) وهو حمل اليدين على النعمتين فيه وأيضا باطل وجوه (الاول) ان
نعم الله تعالى كثيرة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وظاهر الآية يدل على أن اليد
لا تزيد على الاثنين (الثاني) لو كانت اليد عبارة عن النعمة لتقول النعمة مخلوقة فحينئذ
لا يكون آدم مخلوقا لله تعالى بل يكون مخلوقا لبعض المخلوقات وذلك بأن يكون سببا لمن يبد
انقصان أولى من أن يكون سببا لمزيد الكمال (الثالث) لو كانت اليد عبارة عن النعمة
لكان قوله تبارك الذى بيده الملك معناه تبارك الذى بعثه المنك وان كان قوله بيدك
الخير معناه بعثتك الخير وان كان قوله يدها مبسوطتان معناه نعمته مبسوطتان ومعلوم
ان كل ذلك فاسد (وأما التأويل الثالث) وهو قوله ان لفظ اليد قد يزداد لاجل
التأكيد فنقول لفظ اليد قد يستعمل في حق من يكون هذا العشر سائلا وفي حق من
لا يكون هذا العشر سائلا في حقه (أما الاول) فكقوله منى حتى من جنى بلسانه هذا

بعد هذا الطرد وقد
بين كيفية وسوسته
في سورة البقرة وقيل
اخرج من الحلقة التي
كسبت فيم او انسلخ منها
فانه كان يفخر بخلقته
فغير الله خلقته فاسود
بعدها كان ابيض وفتح
بعدها كان حسنا وأظلم
بعدها كان نورانيا وقوله
تعالى (فانك رجيم)
تعليل للامر بالخروج
أى طرد من كل خير
وكرامة فان من يطرد
يرجم بالحجارة او شيطان
يرجم بالشهب (وان
عليك لعنتى) أى ابعادى
عن الرحمة وتقبيدها
بالاضافة مع اطلاقها
في قوله تعالى وان عليك
العنة لما أن اعنته الا لعين
من الملائكة والنفلين
أيضا من جهته تعالى
وأهم يدعون عليه بالمنة
الله تعالى وابعاده من
الرحمة (الى يوم الدين)
أى يوم الجزاء والتوبة
وغية ايدان بأن اللعنة
مع كمال ذم اعتم اليست
جزاء الجنائس بل هي
أمودج لما ساقا مستمرا
الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهم ظاهرا التوقيت بل على أنه سياتى يومئذ من ألوان العذاب
وأما زين العقاب ما ينسى عتده اللعنة وتصدر كالرائل الأرمى الى قوله تعالى فان مؤذنين بينهم أن لعنة الله على

الظالمين وقوله تعالى ويامن بعضهم بعضا (قال رب فأظنني) أي أمهاني وأخرفني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي إذا جعلتني رجيمًا فأمهاني ولا تمنني (اليوم يمشون) ﴿ ٢٢٢ ﴾ أي آدم وذريته للبراء بعد قتلهم

وأراد بذلك أن يجد فسحة لا غواؤهم وياخذ منهم ثأره وينجو من الموت بالكلية إذ لا موت بعد يوم البعث (قال فانك من المنظرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لسؤال ما سأله لاخرين على وجود يشعر بكون المسائل تعالهم في ذلك دليل واضح على أنه اخبار بالانظار المقدر لهم ان لا ياتوا الانظار خاص به فدو قع اجابة ادعائه وأن استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا بتأخير العتوبية كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الذين أي انك من جملة الذين أخرت آجالهم ان لا حسب ما تقتضيه حكمة التكوين (اليوم الوقت المأموم) الذي قدره الله وعينه نقباء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى الى وقت البعث الذي هو المسؤل فالتعاليست لربط نفس الانسان بالانظار بل الربط

ما كسبت يدك والسبب في هذا أن محل القدرة هو اليد فاطلق اسم اليد على القدرة وعلى هذا التقدير فيصير المراد من لفظ اليد القدرة وقد تقدم ابطال هذا الوجه (وأما الثاني) فكقوله بين يدي عذاب شديد وقوله بين يدي الساعة الأنا تقول هذا المجاز بهذا اللفظ مذكور والمجاز لا يقاس عليه ولا يكون مطردا فلا جرم لا يجوز أن يقال ان هذا المعنى انما حصل بيد العذاب وبيد الساعة ونحن نسلم ان قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قد يجوز أن يراد به التأكيد والصلة أما المذكور في هذه الآية ليس هذا اللفظ بل قوله تعالى خلقت يدي وان كان القياس في المجازات باطلا فقط سقط كلامهم بالكلية فهذا منتهى البحث في هذا الباب والذي تلخص عندي في هذا الباب ان السلطان العظيم لا يتقدر على عمل شيء الا اذا كانت غاية عنايته مصروفة الى ذلك العمل فاذا كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد أمكن جعله مجازا عنه عند قيام الدلائل القاهرة فهذا ما لمحصناه في هذا الباب والله أعلم أما قوله تعالى أستكبرت أم كنت من العائين فالمعنى أستكبرت الآن أم كنت أبدا من المكبرين العائين فأجاب ابليس بقوله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فالمعنى اني لو كنت مساويا له في الشرف لكان يفرح أمرى بسجودى له فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيرا مندبا أصله من النار والنار أشرف من الطين فصح أن أصله خير من أصل آدم ومن كان أصله خيرا من أصله فهو خيره منه فهذه مقدمات ثلاثة (المقدمة الاولى) ان ابليس مخلوق من النار يدل عليه قوله تعالى حكايته عنه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله تعالى والجان خلقتنا من قبل من نار السموم (المقدمة الثانية) ان النار أفضل من الطين ويدل عليه وجوه (الاول) ان الاجرام الفلكية أشرف من الاجرام العنصرية والنار أقرب العناصر من الفلك والارض أبعدا عنها فوجب كون النار أفضل من الارض (الثاني) ان النار خليفة الشمس والقمر في اضاءة هذا العالم عند غيبتها والشمس والشمس أشرف من الارض فخليفة هاتين في الاضاءة أفضل من الارض (الثالث) ان الكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة والبرودة والحرارة أفضل من البرودة لان الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت (الرابع) الارض كثيفة والنار لطيفة والاطافة أشرف من الكثافة (الخامس) النار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة (السادس) النار خفيفة تشبه الروح والارض ثقيلة تشبه الجسد والروح أفضل من الجسد فالنار أفضل من الارض ولذلك فان الاطباء أطبقوا على أن العناصر الثنبرلين أعون على تركيب الاجساد وان العناصر الخفيفة أعون على تولد الارواح (السابع) النار صاعدة والارض هابطة والصاعد أفضل من الهابط (الثامن) ان أول بروج الفلك هو الحمل لانه هو الذي يبدأ من نقطة الاستواء السماوي ثم ان الحمل على طبيعة النار وأشرف أعضاء الحيوان النار والروح وهما على طبيعة النار وأخس أعضاء الحيوان هو النظم وهو بارد يابس أرضي (التاسع) ان الاجسام الارضية كلها كانت

الاخبار المذكور به كافي قول من قال فان ترجم فأنت اذك أهل * فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط * اشد * ماله تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هو لربط الاخبار بتلك الاهلية

لدرجة بوجوهها هذا وقد ركب التوفيق في سورة الاعراف ٥٠ ركب التمداد والفاء في الاستنظار والانظار نحو بلا على
ما ذكره هنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ﴿٢٢٣﴾ أن كل وجه من وجوه انظم الكرم لابد أن يكون له مقام

بقتضيه مغاير لمقام غيره
وأن ما حكى من اللعين
انما صدر عنه مرة وكذا
جوابه لم يقع الا دفعة
فتمام الاستنظار والانظار
ان اقتضى أحسا الوجود
الحكيمة فذلك الوجه
هو المطابق لمقتضى
الحال والبالغ الى رتبة
البلاغة ودرجة الاعجاز
وأما ما عده من الوجوه
فهو بمنزل من بلوغ
طبقة البلاغة فضلا
عن العروج الى معارج
الاعجاز فقد سلف
تحقيقه في سورة الاعراف
يفضل الله تعالى وتوفيقه
(قال فبعتك) الباء
للتسم والتناء لترتيب
مضمون الجملة على
الانظار ولا يتأيد فيه
قوله تعالى فيما أغويتني
وقوله رب بما أغويتني
فان اغواءه تعالى اياه
أثر من آثار قدرته تعالى
وعزته وحكمه من أحكام
قهره وسلطنته فآل
الاقسام بهما واحد
واعل اللعين أقسم بهما
جميعا فحكى تارة قسمه
بأحدهما وأخرى

أشد نورانية ومشابهة بالنار كانت أشرف وكلما كانت أكثر غيرة وكثافة وكثورة ومشابهة
بالارض كانت أخس مثاله الاجسام الشبيهة بالنار الذهب والياقوت والاحجار الصافية
النورانية ومثاله أيضا من الشب ابريس وما يتخذ منه وامان كل ما كان أكثر أرضية
وغيرة فهو أخس فالامر ظاهر (العاشر) ان القوة الباصرة قوة في غاية الشرف والجلالة
ولا يتم عملها الا بالشعاع وهو جسم شبه بالنار (الحادي عشر) ان أشرف أجسام العالم
الجماني هو الشمس ولا شك انه شبه بالنار في صورته وطبيعته وأثره (الثاني عشر) ان
النضج والهضم والحياة لا تتم الا بالحرارة واولا قوة الحرارة تمام النزاج وتولد المركبات
(الثالث عشر) ان أقوى العناصر الاربع في قوة الفعل هو النار واكثرها في قوة الانفعال
هو الارض وانقل أفضل من الانفعال فالنار أفضل من الارض أما القسايلون
بتفضيل الارض على النار فذكروا أيضا وجوها (الاول) ان الارض أمين مصلح فاذا
اودعتها حبة ردتها اليك شجرة مثمرة والنار خائفة تفسد كل ما سلمته اليها (الثاني)
ان الحس البصرى أثنى على النار فليستع ما يقوله الحس اللبى (الثالث) ان الارض
مستولية على النار فانها تطفى النار وأما النار فانها لا تؤثر في الارض الخالصة (واما
المقدمة الثالثة) فهي ان من كان أصله خيرا من أصله فهو خير متدافعا ان هذه المقدمة
كاذبة جدا وذلك لان أصل الرماد المثمر خير من الرماد أيضا فهب ان اعتبار هذه الجهة
معلوم بالضرورة أن الاشجار المثمرة خير من الرماد وأيضا فهب ان اعتبار هذه الجهة
يوجب التفضيل الا ان هذا يمكن ان يصير معارضا لجهة أخرى توجب الرجوع الى انسان
نسب عار عن كل الفضائل فان نسبه يوجب رجوعه الى الان الذي لا يكون نسبيا قد يكون
كثيرا عالم والزهد فيكون هو أفضل من ذلك النسب بدرجات لاحدها فالمقدمة الكاذبة
في القياس الذي ذكره ابلليس هو هذه المقدمة فان قال قائل هب أن ابلليس أخطأ في هذا
القياس لكن كيف لزمه الكفر من تلك المخالفة وبيان هذا السؤال من وجوه (اول)
ان قوله اسجدوا أمر والامر لا يقتضى الوجوب بل الندب ومخالفة الندب لا توجب
العصيان فضلا عن الكفر وأيضا فالذين يقولون ان الامر للوجوب فهم لا يتكفرون
كونه محتملا للندب احتمالا ظاهرا ومع قيام هذا الاحتمال الظاهر كيف يلزم العصيان فضلا
عن الكفر (الثاني) هب انه للوجوب الا ان ابلليس ما كان من الملائكة فأمر الملائكة
بسجود آدم لا يدخل فيه ابلليس (الثالث) هب انه يتناواه الا أن تخصيص العام بالقياس
جائز فخصص نفسه عن عموم ذلك الامر بالقياس (الرابع) هب انهم يسجد مع علمه بأنه
كان مأمورا به الا ان هذا القدر يوجب العصيان ولا يوجب الكفر فكيف لزمه الكفر
(والجواب) هب أن صيغة الامر لا تدل على الوجوب ولكن يجوز أن يتضمن اليها من
القرآن ما يدل على الوجوب وههنا حصلت تلك القرآن وهي قوله تعالى أستكبرت أم
كنت من العالمين فلما أتى ابلليس بقياسه الفاسد دل ذلك على انه انما ذكر ذلك القياس

بالآخر أي فأقسم بعزتك (لاغوينهم أجمعين) أي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم (الاعبادك منهم المخلصين) وهم
الذين أخلصهم الله تعالى اطاعته وعصمهم من الغواية وقرى المخلصين على صيغة الفاعل أي الذين أخلصوا

تعالى (قال) أى الله عز وجل (فالخلق والخلق أقول) برفع الاول على أنه مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المتبدأ ونصب الثانى على أنه مفعول لما بعده قدم عليه للتصريح أى لأقول الا لخلق والفاء لترتيب ما بهما على ما قبلها أى فالخلق قسمى (لاملان - جهنم) على أن الخلق اما قسمه تعالى أو تقضى الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به أو فانا الخلق أو قولى الخلق وقوله تعالى لاملان جهنم الخ حينئذ جواب قوله ٢٢٤ ثم لتسم محذوف أى والله لاملان

الخ وقوله تعالى والخلق أقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة التسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة أعنى قولى الخلق وقولنا منصوبين على أن الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملان وما بينهما مسا اعتراض وقولنا مجرورين على أن الاول مقسم به قد أضرحرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق أقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرى بجر الاول على ضمائر حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية (منك) أى من جنسك من الشياطين (ومن تبعك) فى الغواية والضلال (منهم) من ذرية آدم (أجمعين) تأكيد لكاف وما عطف

ليؤسئل به الى التدرج فى أمر الله وتكليفه وذلك يوجب الكفر * اذا عرفت هذا فقول ان ابليس لما ذكر هذا القياس الفاسد قال تعالى اخرج منها فالك رجيم واعلم انه ثبت فى أصول الفقه ان ذكر الحكيم عقب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكيم معللا بذلك الوصف وههنا الحكيم يكونه رجيماً ورد عقب ما حكى عندانه من نص النص بالقياس فلهذا يدل على أن تخصص النص بالقياس يوجب هذا الحكم وقوله منها أى من الجنة أو من السموات والرجيم المرجوم وفيد قولان (الاول) انه يجاز عن الطرد لان الظاهر ان من طرد بقدرى بالخجارة وهو الرجيم فلما كان الرجيم من لوازم الطرد جعل الرجيم كناية عن الطرد فان قالوا الطرد هو الناعن فلو قلنا قوله رجيم على الطرد لكان قوله بعد ذلك وان عليك لعنتي تكراراً والجواب من وجهين (الاول) اننا نحمل الرجيم على الطرد من الجنة أو من السموات ونحمل الله على الطرد من رحمة الله (والثانى) اننا نحمل الرجيم على الطرد ونحمل قوله وان عليك لعنتي الى يوم الدين على ان ذلك الطرد يعتد الى آخر القيامة فيكون هذا فائدة زائدة ولا يكون تكريراً (واقول الثانى) فى تفسير الرجيم ان نحمله على الحقيقة وهو كون الشياطين مرجومين بالشهب والله أعلم فان قيل كلمة الى لانتهاى الغاية فقوله الى يوم الدين يقتضى انقطاع تلك العنة عند مجئ يوم الدين أوجب صاحب الكشاف بأن العنة باقية عليه فى الدنيا فاذا جاء يوم القيامة جعل مع العنة أنواع من العذاب تصير العنة مع حضورها منسية * واعلم ان ابليس لما صار ملعوناً قال فانظرنى الى يوم يعثون قيل انما يطلب الانظار الى يوم يعثون لاجل أن يتخلص من الموت لانه اذا انظر الى يوم اليعث لم يمت قبل يوم اليعث وعند مجئ يوم اليعث لا يموت أيضاً فينتد يتخلص من الموت فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ومعناه انك من المنظرين الى يوم يعلم الله ولا يعلمه أحد سواه فقال ابليس فبمرتك وهوقسم بمررة الله وسلطانه لا غونهم أجمعين فههنا أضاف الاغواء الى نفسه وهو على مذهب القدر وقال مرة أخرى رب بما أغويتني فأضاف الاغواء الى الله على ما هو مذهب الجبر وهذا يدل على انه مخير فى هذه المسئلة وأما قوله الاعبادك منهم المخلصين فقيد فوائد (الفائدة الاولى) قيل غرض ابليس من ذكره هذا الاستثناء أن لا يقع فى كلامه الكذب لانه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى انه يعوى الكل لكان يظهر كذبه حين يعجز عن اغواء عباد الله الصالحين فكان ابليس قال انما ذكرت هذا الاستثناء لئلا يقع الكذب فى هذا الكلام وعند هذا يقال ان الكذب شئ يستكف منه ابليس فكيف يلقى بالسلم الاقدام عليه فان قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وما أرسلنا من رسول ولا نبى الا اذا معنى ألقى الشيطان فى أميته قلنا ان ابليس لم يقل انى لم أقصد اغواء عباد الله الصالحين بل قال لا اغوينهم وهو وان كان يقصد الاغواء الا انه لا يغويهم (الفائدة الثانية) هذه الآية تدل على أن ابليس لا يغوى عباد الله المخلصين وقال تعالى فى صفة يوسف انه من عبادنا المخلصين فتحصل من مجموع هاتين

عليه أى لاملان من المتبوعين والاتباع أجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم أجمعين (الآيتين) وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح أن مدار عدم المشيئة فى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس فى ذلك شائبة الجبر فتدبر

دل ما سألكم عليه) على القرآن أو على ما يوحى الي (من اجراء بيوى روى) حتى أتتهل النبوة وأتقول القرآن (أن هو) أي ماهو (الاذكر) من الله عز وجل (للعالمين) أي للثقلين كافة (ولتعلم نباءه) أي ما أتياه من الوعد والوعيد وغيرهما وصحة خبره وأنه الحق والصدق (بعد حين) بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وفتوه وقيل من بقي علم ذلك ﴿ ٢٢٥ ﴾ إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من

الآيتين ان ابلis ما أغوى يوسف عليه السلام وذلك يدل على كذب الحشوية فيما ينسبون الى يوسف عليه السلام من القبانج واعلم أن ابلis لما ذكر هذا الكلام قال الله تعالى فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عليهم وحجرة فالحق بالرفع والحق بالنصب والباقون بالنصب فيهما أما الرفع فتقديره فالحق قسمي وأما النصب فهلى القسم أي فبالحق كتوكك والله لا فعلن وأما قوله والحق أقول اتصّب قوله والحق بقوله أقول (المسئلة الثانية) قوله منك أي من جنسك وهم الشياطين ومن تبعك منهم من ذرية آدم فان قيل قوله أجمعين تأكيد لما إذا قلنا يحتمل أن يؤكد به الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لأملأن جهنم من المتبعين والتابعين لا أترك منهم أحدا (المسئلة الثالثة) اجتمع اصحابنا بهذه الآية في مسألة أن الكل يقضاء الله من وجوه (الاول) انه تعالى قال في حق ابلis اخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين فهذا اخبار من الله تعالى بأنه لا يؤمن فلو آمن لانقلب خبر الله الصدق كذبا وهو محال فكان صدور الايمان منه محالا مع انه أمر به (والثاني) انه قال فبعرتك لاغوا بينهم أجمعين فالله تعالى علم منه انه يغويهم وسمع منه هذه الدعوى وكان قادرا على منعه عن ذلك والقادر على المنع اذا لم يمنع كان راضيا به فان قالوا فعل ذلك المنع مفسد قلنا هذا قول فاسد لان ذلك المنع يخص ابلis عن الاضلال ويخلص بني آدم عن الضلال وهذا عين المصلحة (الثالث) انه تعالى أخبر انه يلا جهنم من الكفرة فلو لم يكفر والزم الكذب والجهل في حق الله تعالى (الرابع) انه لو أراد أن لا يكفر الكافر اوجب أن يسقى الانبياء والمصلحين وان يميت ابلis والشياطين وحيث قلب الامر علينا انه فاسد (الخامس) ان تكليف أولئك الكفار بالايمان يقتضي تكليفهم بالايمان بهذه الآيات التي هي دالة على أنهم لا يؤمنون البتة وحيث لا يلزم أن يصيروا مكلفين بأن يؤمنوا بأنهم لا يؤمنون البتة وذلك تكليف بما لا يطاق والله أعلم * قوله تعالى (قل ما سألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلم نباءه بعد حين) اعلم أن الله تعالى ختم هذه السورة بهذه الخاتمة الشريفة وذلك لانه تعالى ذكر طرفا كثيرة دالة على وجوب الاحتياط في طلب الدين ثم قال عند الختم هذا الذي أدعوا الناس اليه يجب أن ينظر في حال الداعي وفي حال الدعوة ليظهر انه حق أو باطل أما الداعي وهو أنا فاننا لا أسألكم على هذه الدعوة أجرا وما لا يؤمن الظاهر ان الكذاب لا يقطع طمعه عن طلب المال البتة وكان من الظاهر أنه صلى الله عليه وسلم كان بعد اعن الدنيا عديم الرغبة فيها وأما كيفية الدعوة فقال وما أنا من المتكلفين والمفسرون ذكروا فيه وجوها والذي يغلب على الظن أن المراد أن هذا الذي أدعواكم اليه دين ليس يحتاج في معرفة صحته الى التكلفات الكثيرة بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته فاني أدعواكم الى الاقرار بوجود الله وألهم أدعواكم نائبا

التهديدا لا ينبغي * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصم أن يصير على ذنب صغير او كبير وقال أبو امامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير أو كبير والله أعلم * (سورة الزمر مكية الاقوله قل لعبادي الآية وآيها خمس وسبعون أو ثمان وسبعون) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (تنزيل الكتاب) خبر لبسدا محذوف هو اسم اشارة أشير به الى السورة تنزيلها لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور تكام مرارا وقد قيل هو ضمير طائد الى الذكر في قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) صلة للتنزيل أو خبر ثمان أو حال من التنزيل ما سئل عن اشارة

أومن الكتاب الذي هو ﴿ ٢٩ ﴾ سا مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو رجع التنزيل الكتاب والوجه الاول أوفى بقتضى المقام الذي هو بيان أن السورة أو القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان أن تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيد الوجه الأخير وقري تنزيل الكتاب بالنصب على اضممار فعل نحو اقرأ أو ازم

والتعرض لوضعي العزة والحكمة الايدان بظهور اثرهما في الكتاب بجران احكامه ونفاذا وامرة ونواهيته من غير مدافع ولا مناع وابتناء جيم ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تعالى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) شروع في بيان شأن المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واطهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومن زيد الاعتناء ﴿ ٢٢٦ ﴾ بشأنه والباء امامتعاقة بالانزال أي بسبب الحق

واثباته واطهاره أو بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من تون العظمة أو من الكتاب أي انزلناه اليك محضين في ذلك أو انزلناه ملتبسا بالحق والصواب أي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به جتما والغا في قوله تعالى (فاعبد الله مخلصا له الدين) لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه الصلاة والسلام بالحق أي فاعبد الله تعالى معوضا له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبا بين في تضاعيف ما أنزل اليك وقرئ برفع الدين على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لنا كيدا الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى (الله الدين الخالص) استئناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى وويجوز بالامثال به وعلى القراءة الاخيرة

الى تنزيهه وتقديسه عن كل ما لا يليق به يقوى ذلك قوله ليس كمثل شئ وامثاله ثم ادعواكم ثالثا الى الاقرار بكونه موصوفا بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة ثم ادعواكم رابعا الى الاقرار بكونه معزها عن الشركاء والاضداد ثم ادعواكم خامسا الى الامتناع عن عبادة هذه الاوثان التي هي جادات خسية ولا منفعة في عبادتها ولا مضرة في الاعراض عنها ثم ادعواكم سادسا الى تعظيم الارواح الطاهرة المقدسة وهم الملائكة والانبيا ثم ادعواكم سابعا الى الاقرار بالبعث والقيامة ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحق ثم ادعواكم ثامنا الى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة فهذه الاصول الثمانية هي الاصول القوية المعتبرة في دين الله تعالى ودين محمد صلى الله عليه وسلم ويدان العقول وأوائل الافكار شاهدة بصدق هذه الاصول الثمانية فثبت أني لست من المتكافين في الشريعة التي ادعوا الخلق اليها بل كل عقل سليم وطبع مستقيم فانه يشهد بصحتها وجلالتها وبعدها عن الباطل والفساد وهو المراد من قوله ان هو الاذكار للعالمين ولما بين هذه المقدمات قل ولتعلن نباه بعد حين والمعنى انكم ان اصررتم على الجهل والتقليد وابتئتم قبول هذه البيانات التي ذكرناها فستعلمون بعد حين انكم كنتم مصيبين في هذا الاعراض أو مخطفين وذكر مثل هذه الكلمة بعد تلك البيانات المتقدمة مما لا يزيد عليه في الخوف والترهيب والله اعلم قال المصنف رحمة الله عليه تم تفسير هذه السورة يوم الخميس في آخر الثلاثاء الثاني من شهر ذي القعدة سنة ثلاث وستمائة والحمد لله على آله ونعمائه والصلاة على المطهرين من عباده في أرضه وسنائه والمدح والثناء كما يليق بصفاته وأسمائه والتعظيم التام لانيائه وأوليائه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

(سورة الزمر سبعون وخمس آيات مكية)
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زافى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار او اراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) اعلم ان في الآية مسائل (المسئلة الاولى) ذكر الفراء والزجاج في رفع تنزيل وجهين (أحدهما) أن يكون قوله تنزيل مبتدأ وقوله من الله العزيز الحكيم خبر (الثاني) أن يكون التقدير هذا تنزيل الكتاب فيضمر المبتدأ كقوله سورة أنزلناها أي هذه سورة قال بعضهم الوجه الاول أولى اوجوه (الاول) أن الاضمار خلاف الاصل فلا يبصار اليه الا ضرورة ولا ضرورة ههنا (الثاني) انا انزلنا تنزيل الكتاب من الله جملة تامة من المبتدأ والخبر

وذكر اختصاص الدين به تعالى أي الأهل الذي يجب أن يخص باخلاص الطاعة له لانه المنفرد بصفات ﴿ افاد ﴾ الالهية التي من جللتها الاطلاع على السر الربوي الضمير وقوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء) تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول

عبارة عن المشركين ومجمله الرفع على الابتداء خبره ماسياتي من الجملة المصدرية بان والاولياء عن الملائكة وعسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى (ما عبدهم الا بقربى نوالى الله زانق) حال بتقدير القول من واوا اتخذ وامينه لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل و زانق مصدر مؤنكد على غير لفظ المصدر ملاقيه فى المعنى اى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شاؤوها **٢٢٧** عبادا غير قائلين ما عبدهم لشي من الاشياء الا بقربى نوالى

الله تعالى تقرىبا (ان الله يحكم بينهم) اى وبين خصماتهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كفاى قوله تعالى لانفرق بين اءء من رسله على اءء الوجهين اى بين اءء منهم وبين غيره و عليه قول النابغة * فا كان بين الخير لوجاء ساءا * ابو حجر الالبال فلانل اى بين الخير و بينى وقيل ضمير بينهم للفرىقين جميعا (فيماهم فيه يفتخرون) من الدين الذى اءءلوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فرىق منهم صحة ما اءءله و حكمه تعالى فى ذلك ادخل الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفرىقين هذا هو الذى يستدعى مساق النظم الكريم واما تجوز ان يكون الموصول عبارة عن العبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويل على دلالة المساق

أفاد فائدة شريفة وهى ان تنزيل الكتاب يكون من الله لا من غيره وهذا الحصر معنى معتبرا ما اذا أضمرنا المبتدأ لم تحصل هذه الفائدة (الثالث) اذا أضمرنا المبتدأ صار التقدير هذا تنزيل الكتاب من الله وحينئذ يلزمنا مجاز آخر لان هذا اشارة الى السورة والسورة ليست نفس التنزيل بل السورة منزلة فحينئذ يحتاج الى أن تقول المراد من المصدر المفعول وهو مجاز تحملناه لا للضرورة (المسئلة الثانية) القائلون بخلق القرآن احتجاجا بأن قالوا انه تعالى وصف القرآن بكونه تنزيلا ومزلا وهذا الوصف لا يليق الا بالحدث المخلوق والجواب اننا نحمل هذه اللفظة على الصنيع والحروف (المسئلة الثالثة) الآيات الكثيرة تدل على وصف القرآن بكونه تنزيلا وآيات آخر تدل على كونه منزلا (أما الاول) فقوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين وقال تنزيل من حكيم حميد وقال حم تنزيل من الرحمن الرحيم (وأما الثانى) فقوله اننا نحن نزلنا الذكر وقال وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وأنت تعلم أن كونه منزلا أقرب الى الحقيقة من كونه تنزيلا فكونه منزلا مجاز أيضا لانه ان كان المراد من القرآن الصفة السابعة بذات الله فهو لا يقبل الانفصال والنزول وان كان المراد منه الحروف والاصوات فهى أعراض لا تقبل الانتقال والنزول بل المراد من النزول نزول الملك الذى بلغها الى الرسول صلى الله عليه وسلم (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة العز بنه والقادر الذى لا يغلب فهذا اللفظ يدل على كونه تعالى قادرا على ما لا نهاية له والحكيم هو الذى يفعل للداعية الحكمة للداعية الشهوة وهذا انما يتم اذا ثبت انه تعالى عالم بجميع المعلومات وانه غنى عن جميع الحاجات اذا ثبت هذا فنقول بكونه تعالى عز يز احكيما يدل على هذه الصفات الثلاثة العلم بجميع المعلومات والقدرة على كل الممكنات والاستغناء عن كل الحاجات فن كان كذلك امتنع أن يفعل القبيح وأن يحكم بالقبيح واذا كان كذلك فكل ما يفعله يكون حكمة وصوابا اذا ثبت هذا فنقول الانتفاع بالقرآن بتوقف على اصلين (اءءهما) أن يعلم ان القرآن كلام الله والدليل عليه انه ثبت بالعجز كون الرسول صادقا وثبت بالتواتر انه كان يقول القرآن كلام الله فيحصل من مجموع هاتين المقدمتين ان القرآن كلام الله (والاصل الثانى) ان الله أراد بهذه الالفاظ المعانى التى هى موضوعة لها ما بحسب اللغة أو بحسب القرينة العرفية أو الشرعية لانه لو لم يرد بها ذلك لكان ذلك تلبىسا وذلك لا يليق بالحكيم فثبت بما ذكرنا ان الانتفاع بالقرآن لا يحصل الا بعد تسليم هذين الاصلين وثبت انه لا سبيل الى اثبات هذين الاصلين الا باثبات كونه تعالى حكيما وثبت انه لا سبيل الى اثبات كونه خكيما الا بالبناء على كونه تعالى عز يز اءلهذا السبب قال تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم أما قوله تعالى اننا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ففقهه سوألان (السؤال الاول) لفظ التنزيل يشعر بأنه تعالى أنزله عليه نجما نجما على سبيل التدرىج ولفظ الانزال يشعر بأنه تعالى أنزله عليه دفعة واحدة فكيف الجمع بينهما والجواب ان صح الفرق بين التنزيل

عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما عبدهم الا بقربى نوالى الله ان الله يحكم بينهم اى بين العبد والمعبودين فيماهم فيه يفتخرون حيث يرجوا العبد شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التسفات بمزلة من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يءءل فيهما القرينة ان اءءلا

مخوجا الى الحكم والفصل وانما ذلك ما بين فر بنى الموحدين والمشركين في الدين من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم
القيامة وقرى قالوا ما نعبدهم فهو بديل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك من يدعيه وقرى
ما نعبدهم الا لقرى بونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرى نعبدهم اتباعا لآباء (ان الله لا يهدي) أى لا يوفق للاهتداء الى الحق
الذى هو طريق النجاة من المكروه والفوز بالمطلوب (من هو كاذب ﴿ ٢٢٨ ﴾ كفار) أى راسخ في الكذب مبالغ

و بين الانزال من الوجه الذى ذكرتم فطريق الجمع أن يقال المعنى انا حكمنا حكما كليما جزما
بأن يوصل اليك هذا الكتاب وهذا هو الانزال ثم أوصلناه نجما نجما اليك على وفق
المصالح وهذا هو التنزيل (السؤال الثاني) ما المراد من قوله انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق
والجواب فيه وجهان (الاول) المراد أنزلنا اليك الكتاب ملتبسا بالحق والصدق
والصواب على معنى كل ما أودعناه فيه من اثبات التوحيد والنبوذة والمعاد وأنواع
التكليف فهو حق وصدق يجب العمل به والمصير اليه (الثاني) أن يكون المراد انا أنزلنا
اليك الكتاب بناء على دليل حق دل على أن الكتاب نازل من عند الله وذلك الدليل هو ان
الفصحاء عجزوا عن معارضته ولو لم يكن معجزا معجزوا عن معارضته ثم قال فاعبد الله
مخلصا له الدين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى لما بين في قوله انا أنزلنا اليك الكتاب
بالحق ان هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق والصواب أردف هتاه بعض ما فيه من
الحق والصدق وهو أن يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص ويتبرأ
عن عبادة غير الله تعالى بالكليفة فأما اشتغاله بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فهو
المراد من قوله تعالى فاعبد الله مخلصا واما برأته من عبادة غير الله تعالى فهو المراد بقوله
ألا لله الدين الخالص لان قوله ألا لله يفيد الحصر ومعنى الحصر أن يثبت الحكم في
المدكور وينتفى عن غير المذكور واعلم أن العبادة مع الاخلاص لا تعرف حقيقة
الاذا عرفنا أن العبادة ماهى وان الاخلاص ماهو وان الوجوه المنافية للاخلاص ماهى
فهذه أمور ثلاثة لا بد من البحث عنها (أما العبادة) فهى فعل أو قول أو ترك فعل أو ترك
قول يوتى به بمجرد اعتقاد أن الامر به عظيم يجب قبوله (وأما الاخلاص) فهو ان يكون
الداعى له الى الاتيان بذلك الفعل أو الترك مجرد هذا الانتقياد والامثال فان حصل منه
داع آخر فاما أن يكون جانب الداعى الى الطاعة راجعا على الجانب الآخر أو معادله
أو مرجوحا أو أجروا على ان المعادل والمرجوح ساقط وأما اذا كان الداعى الى طاعة الله
راجعا على الجانب الآخر فقد اختلفوا في انه هل يفيد أم لا وقد ذكرنا هذه المسئلة مرارا
ونقظ القرآن يدل على وجوب الاتيان به على سبيل الخلوص لان قوله فاعبد الله مخلصا
صريح في أنه يجب الاتيان بالعبادة على سبيل الخلوص وتأ كدهذا بقوله تعالى وما
أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما بيان الوجوه المنافية للاخلاص فهى الوجوه
الداعية للشريك وهى اقسام (أحدها) أن يكون للرياء والسمعة فيه مدخل (وثانيها)
أن يكون مقصوده من الاتيان بالطاعة الفوز بالجنة والخلاص من النار (وثالثها)
أن يأتى بها ويعتقد أن لها تأثيرا في ايجاب الثواب أو دفع العقاب (ورابعها) وهو ان
يخلص تلك الطاعات عن الكبار حتى تصير مقبولة وهذا القول انما يعتبر على قول المعتزلة
(المسئلة الثانية) من الناس من قال فاعبد الله مخلصا له الدين المراد منه شهادة ان لا اله
الا لله واحتجوا بما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله حصنى ومن دخل

في الكفر كما يعرب عنه
قراءة كذاب وكذوب
فانهما فاقدان للبصيرة
غير قابلين للاهتداء
لتغيرهما الفطرة الاصلية
بالتمرن في الضلالة
والتمادي في النقي والجملة
تعليل لما ذكر من حكمه
تعالى (لو أراد الله أن
يتخذ ولدا) الخ استئناف
مسوق لتحقيق الحق
وابطسال القول بأن
الملائكة بنات الله وعيسى
ابن تعالى عن ذلك
علوا كبيرا بيان استحالة
اتخاذ الولد في حقه تعالى
على الاطلاق ليندرج
فيه استحالة ما قيل
اندرجا أو ليسا أى
لو أراد الله أن يتخذ ولدا
(لاصطفى) أى لا يتخذ
(بما خلق) أى من جملة
ما خلقه أو من جنس ما
يخلق (ما يشاء) ان يتخذ
اذلا موجود سواء الا وهو
مخلوق له تعالى لامتناع
تعدد الواجب ووجوب
استناد جميع ما عده اليه
ومن الين أن يتخذ الولد

منوط بالمائلة بين المتخذ والمخذون أن المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن أخذه ولدا فافرضنا من اتخاذ ولد لم يكن ﴿ حصنى ﴾
اتخاذ ولد بل اصطفا عبد واهيه أشير حيث وضع الاصطفاة موضع اتخاذ الذى تقتضيه الشرطية تذيها على استحالة
مقدمها الاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه أى لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولدا لفعل شيأ ليس هو من
اتخاذ الولد في شيء أصلا بل انما

هو اصطفاؤه عبدا ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو متع قطعاً فكأنه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على أن الامتناع منوط بمحقق الارادة بل على أنه متحقق عند عدمها بطريق الاووية على منوال لولم يتخذ الله لهم عبداً وقوله تعالى (سبحانه) تقر بربنا ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتأكيده ببيان تنزهه تعالى عنه أي تنزهه بالذات عن ذلك تنزهه ﴿ ٢٢٩ ﴾ الخ الخاص به على ان السجنان مصدر من سبح اذا بعد أو سبحه

حصى أمن من عذابي وهذا قول من يقول لا تضر المعصية مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر وأما الاكثرون فقالوا الآية متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي وهذا هو الاولى لان قوله فاعبد الله عام وروى ان امرأة الفرزدق لما قرب وفاتها أوصت أن يصلي الحسن البصري عليها فلما صلى عليها ودقنت قال الفرزدق يا أبا فراس ما الذي أعددت لهذا الامر قال شهادة أن لا اله الا الله فقال الحسن رضي الله عنه هذا العمود فأين الطنّب فبين بهذا اللفظ الوجيز أن عمود الحمية لا ينفع به الامم الطنّب حتى يمكن الانتفاع بالحمية قال القاضي فأما ما يروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعازل وأبي الدرداء وانزني وان سرق على رجم أنف أبي الدرداء فان صح فانه يجب أن يحمل عليه بشرط التوبة والام بجز قبول هذا الخبر لانه مخالف للقرآن ولانه يوجب أن لا يكون الانسان من جورا عن الزنا والسرقة وان لا يكون متذبذبا بفعلهما لانه مع شدة شهوته للقبیح يعلم أنه لا يضره مع تمسكه بالشهادتين فكان ذلك اغراء بالقبیح والكل ينافي حكمته الله تعالى ولا يلزم أن يقال ذلك فاقول بأنه يزول ضرره بالتوبة يوجب أيضا الاغراء بالقبیح لاننا نقول ان من اعتقد أن ضرره يزول بالتوبة فقد اعتقد أن فعل القبیح مضره الا انه يزول ذلك الضرر بفعل التوبة بخلاف قول من يقول ان فعل القبیح لا يضر مع التمسك بالشهادتين هذا اتمام كلام القاضي فيقال له أما قولك ان القول بالمغفرة مخالف للقرآن فليس كذلك بل القرآن يدل عليه قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال وان ربك اندومعفرة للناس على ظلمهم أي حال ظلمهم كما يقال رأيت الامير على أكله وشربه أي حال كونه أكلوا وشاربا وقال يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وأما قوله ان ذلك يوجب الاغراء بالقبیح فيقال له ان كان الامر كذلك وجب أن يقبح غفرانه عقلا وهذا مذهب البغداديين من المعتزلة وأنت لا تقول به لان مذهب البصريين أن عذاب المذنب جائز عقلا وأيضا فيلزم عليه أن لا يحصل الغفران بالتوبة لانه اذا علم أنه اذا أذنب ثم تاب غفر الله له لم يتزجر وأما الفرق الذي ذكره القاضي فبعد لانه اذا علم على أن يتوب عنه في الحال علم انه لا يضره ذلك الذنب البتة ثم نقول مذهبنا اننا نقطع بحصول العفو عن الكبائر في الجملة فأما في حق كل واحد من الناس فذلك مشكوك فيه لانه تعالى قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقطع بحصول المغفرة في الجملة الا أنه سبحانه وتعالى لم يقطع بحصول هذا الغفران في حق كل أحد بل في حق من شاء واذا كان الامر كذلك كان الخوف حاصلًا فلا يكون الاغراء حاصلًا والله أعلم (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشاف قرئ الدين بالرفع ثم قال وحق من رفعه أن يقرأ بخصايب فتح اللام لقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله لا اله الا الله الدين الخالص والخالص والخالص واحد الا أنه وصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واعلم انه تعالى للمبين ان رأس العبادات ورئيسها الاخلاص

تسبحا لانفا به على أنه علم للأنسبح مقول على السنة العباد أو سبحوه تسبحها حقيقة بشأنه وقوله تعالى (هو الله الواحد القهار) استثناف بين تنزهه تعالى بحسب الصفات الثريان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالهوية المستتعبة لصفات الكمال النافية لصفات نقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضى تنزهه تعالى عما قالوا قضاءه متقنا وكذا وصف القهار بقا ان اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فناءه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور أن يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق) تفصيل لبعض أقواله تعالى الدال على

تفرده بما ذكر من الصفات الجليلة أي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشبهة على الحكم والمصالح وقوله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) بيان كيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بحريك السموات أي بغشي كل واحد منهما الآخر كأنه

يلغز عليه ان الالباس على الالباس أو يغيبه به كما يغيب الملقوف باللقافة أو يجعله كالأرغفة كرامتا باعنا تابع اكوار العمامة
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد (وسخر الشمس والقمر) جعلها منقادين لأمره تعالى وقوله تعالى (كل يجري
لأجل مسمى) بيان الكيفية لتسخيرها أي كل منها يجري لنتهي دورته أو منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة (الأهو
العزيز) الغالب القادر على كل شيء من الأشياء التي من جنسها عقاب عمر (٢٣٠) كج الصفاة (الغفار) البالغ في المغفرة

ولذلك لا يعاجل بالعبودية
وسلب ما في هذه الصنائع
البدية من آثار الرحمة
وتصدير الجملة بحرف
التنبيه لاظهار كمال
الاعتناء بمضمونها
(خلقكم من نفس واحدة)
بيان لبعض آخر من
أفعاله الدالة على ما ذكر
وترك عطفه على خلق
السموات للأيذان
بإستقلاله في الدلالة
ولتعلقه بالعالم السفلي
والبداءة بتخلق الإنسان
لعراقته في الدلالة لما فيه
من تعاجيب آثار القدرة
وأسرار الحكمة وأصالته
في المعرفة فان الإنسان
بحال نفسه أعرف والمراد
بالنفس نفس آدم عليه
السلام وقوله (ثم جعل
منها زوجها) عطف
على محذوف هو صفة
لنفس أي من نفس
خلقتها ثم جعل منها
زوجها أو على معنى واحدة
أي من نفس وجدت ثم
جعل منها زوجها
فشقها أو على خلقكم
لتفاوت ما بينهما في

في التوحيد أردفه بدم طر بقية المشركين فقال والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم
الايقر بونا الى الله زاني وتقدير الكلام والذين اتخذوا من دونه أولياء يقولون ما نعبدهم
الايقر بونا الى الله زاني وعلى هذا التقدير فغير والذين محذوف وهو قوله يقولون واعلم
ان الضمير في قوله ما نعبدهم الايقر بونا الى الله زاني عائد على الأشياء التي عبت من دون
الله وهي قسمان العتلاء وغير العتلاء اما العتلاء فهو أن قوما عبدوا المسيح وعزيرا
والملائكة وكثير من الناس يعبدون الشمس والقمر والنجوم ويعتقدون فيها انها أحياء
عاقلة ناطقة وأما الأشياء التي عبت مع أنها ليست موصوفة بالحياة والعقل فهي الاصنام
اذا عرفت هذا فنقول الكلام الذي ذكره الكفار لائق بالعتلاء أما بغير العتلاء فلا يليق
وبيانه من وجهين (الاول) ان الضمير في قوله ما نعبدهم ضمير للعتلاء فلا يليق بالاصنام
(الثاني) أنه لا يعبدان يعتقد أولئك الكفار في المسيح والعزير والملائكة أن يشفعوا لهم
عند الله أما يعبد من العاقل أن يعتقد في الاصنام والجمادات أنها تقربه الى الله وعلى
هذا التقدير فرادهم أن عبادتهم لها تقربهم الى الله ويمكن أن يقال ان العاقل لا يعبد
الصنم من حيث انه خشب أو حجر وإنما يعبدونه لاعتقادهم انها تماثيل الكواكب
أو تماثيل الأرواح السماوية أو تماثيل الانبياء والصالحين الذين مضوا ويكون
مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات الى تلك الأشياء التي جعلوا هذه التماثيل
صورانها وحاصل الكلام لعباد الاصنام أن قالوا ان الاله الأعظم أجل من أن يعبد
البشر لكن اللائق بالبشر أن يشتغلوا بعبادة الأصنام من عباد الله مثل الكواكب
ومثل الأرواح السماوية ثم انها تشتغل بعبادة الاله الأكبر فهذا هو المراد من قولهم
ما نعبدهم الايقر بونا الى الله زاني واعلم أن الله تعالى لما حكى مذاهبهم أوجب عنهما من
وجوه (الاول) انه اقتصر في الجواب على مجرد التهديد فقال ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه
يختلفون واعلم أن الرجل المبطل اذا ذكر مذها باطلا وكان مصرا عليه فالطريق في
علاجه أن يخال بحيلة توجب زوال ذلك الاصرار عن قلبه فاذا زال الاصرار عن قلبه
فبعد ذلك يسمعه الدليل الدال على بطلانه فيكون هذا الطريق أفضى الى المقصود
والاطباء يقولون لا بد من تقديم المنضج على سقى المسهل فان تناول المنضج تصير المواد
الفاسدة رخوة قابلة للزوال فاذا سقى المسهل بعد ذلك حصل القضاء التام فكذلك ههنا
اسماع التهديد والتخويف أو لا يجري مجرى سقى المنضج أو لا واسماع الدليل ثانيا يجري
مجرى سقى المسهل ثانيا فهذا هو الفائدة في تقديم هذا التهديد ثم قال تعالى ان الله لا يهدي
من هو كاذب كفار والمراد أن من أصر على الكذب والكفر بقي مخروما عن الهداية
والمراد بهذا الكذب وصفهم لهذه الاصنام بانها آلهة مستحقة للعبادة مع علمهم بانها
جمادات خسيسة وهم يتخونها وتصرفوا فيها والعلم الضروري حاصل بأن وصف هذه
الأشياء بالالهية كذب محض وأما الكفر فيجتمه أن يكون المراد منه الكفر الراجع الى

الدلالة فانها وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الأولى لاستمرارها صارت معتادة وأما الثانية ﴿﴾ الاعتقاد
فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الأولى كما يشعر به التعبير عنها بالجملة دون الخلق كانت أدخل في كونها آية وأجلب
للتعجب من السامع فعطفت على الأولى بتم دلالة على مباينتها لها فضلا ومزينة وتراخيها عنها فيما

يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمزلة وقيل أخرج ذرية ادم من ظهره كذا ثم خلق منه حواء ففية ثلاث آيات مترتبة على خلق آدم عليه السلام بلا أب وام وخلق حواء من قصيرا ثم تشعب الخلق القانت للمحصر منهما وقوله تعالى (وأنزل لكم) بيان لبعض آخرون أفعاله الدالة على ما ذكر أي قضى أو قسم لكم فان قضيا وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ ﴿ ٢٣١ ﴾ أو أحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالامطار وأشمة

الاعتقاد والامر ههنا كذلك فان وصفهم لها بالالهية كذب واعتقادهم فيها بالالهية جهل وكفروا بمحتمل أن يكون المراد كفران النعمة والسبب فيه أن العبادة نهائية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام وذلك المنعم هو الله سبحانه وتعالى وهذه الاوثان لا تدخلها في ذلك الانعام فالاشغال بعبادة هذه الاوثان يوجب كفران نعمة المنعم الحق ثم قال تعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار والمراد من هذا الكلام اقامة الدلائل الشاهرة على كونه منزها عن الولد وبيان من وجوه (الاول) أنه لو اتخذ ولدا لما رضى الابا بكل الاولاد وهو الان فكيف نسبتهم اليه البنت (الثاني) أنه سبحانه واحد حقيقي والواحد الحقيقي يمنع أن يكون له ولد أما أنه واحد حقيقي فلانه لو كان مركبا لاحتاج الى كل واحد من أجزائه وجزؤه غيره فكان يحتاج الى غيره والمحتاج الى الغير يمكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته وأما أن الواحد لا يكون له ولد فوجوه (الاول) أن الولد عبارة عن جزء من أجزاء الشيء ينفصل عنه ثم يحصل له صورة مساوية لصورة الولد وهذا انما يعقل في الشيء الذي يتفصل منه جزء والفرد المطلق لا يقال ذلك فيه (الثاني) شرط الولد أن يكون مماثلا في تمام الماهية للوالد فتكون حقيقة ذلك الشيء حقيقة نوعية محمولة على شخصين وذلك محال لان تعيين كل واحد منهما ان كان من اوازم تلك الماهية يلزم أن لا يحصل من تلك الماهية الا الشخص الواحد وانما يكن ذلك التعيين من اوازم تلك الماهية كان ذلك التعيين معلوما بسبب منفصل فلا يكون الها واجب الوجود لذاته فثبت أن كونه الها واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحدا في حقيقته وكونه واحدا في حقيقته يمنع من ثبوت الوالد فثبت أن كونه واحدا يمنع من ثبوت الولد (الثالث) أن الولد لا يحصل الامن الزوج والزوجة والزوجان لا بد وأن يكونا من جنس واحد فلو كان له ولدا لما كان واحد بل كانت زوجته من جنسه وأما ان كونه قهारा يمنع من ثبوت الولد فلان المحتاج الى الوالد هو الذي يموت فيحتاج الى ولد يقوم مقامه فاحتاج الى الولد هو الذي يكون قهारा ولا يقهره غيره كان الولد في حقه محالا فثبت ان قوله هو الله الواحد القهار الفاظ مشتقة على دلائل قاطعة في نفي الولد عن الله تعالى ﴿ قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى إلا هو العز يز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فاني تصرفون ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تسكروا يرضه انكم ولا تزواجرة وزراخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور) اعلم ان الآية المقدمه تدل على انه تعالى بين كونه منزها

الاعتقاد والامر ههنا كذلك فان وصفهم لها بالالهية كذب واعتقادهم فيها بالالهية جهل وكفروا بمحتمل أن يكون المراد كفران النعمة والسبب فيه أن العبادة نهائية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن يصدر عنه غاية الانعام وذلك المنعم هو الله سبحانه وتعالى وهذه الاوثان لا تدخلها في ذلك الانعام فالاشغال بعبادة هذه الاوثان يوجب كفران نعمة المنعم الحق ثم قال تعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار والمراد من هذا الكلام اقامة الدلائل الشاهرة على كونه منزها عن الولد وبيان من وجوه (الاول) أنه لو اتخذ ولدا لما رضى الابا بكل الاولاد وهو الان فكيف نسبتهم اليه البنت (الثاني) أنه سبحانه واحد حقيقي والواحد الحقيقي يمنع أن يكون له ولد أما أنه واحد حقيقي فلانه لو كان مركبا لاحتاج الى كل واحد من أجزائه وجزؤه غيره فكان يحتاج الى غيره والمحتاج الى الغير يمكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته وأما أن الواحد لا يكون له ولد فوجوه (الاول) أن الولد عبارة عن جزء من أجزاء الشيء ينفصل عنه ثم يحصل له صورة مساوية لصورة الولد وهذا انما يعقل في الشيء الذي يتفصل منه جزء والفرد المطلق لا يقال ذلك فيه (الثاني) شرط الولد أن يكون مماثلا في تمام الماهية للوالد فتكون حقيقة ذلك الشيء حقيقة نوعية محمولة على شخصين وذلك محال لان تعيين كل واحد منهما ان كان من اوازم تلك الماهية يلزم أن لا يحصل من تلك الماهية الا الشخص الواحد وانما يكن ذلك التعيين من اوازم تلك الماهية كان ذلك التعيين معلوما بسبب منفصل فلا يكون الها واجب الوجود لذاته فثبت أن كونه الها واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحدا في حقيقته وكونه واحدا في حقيقته يمنع من ثبوت الوالد فثبت أن كونه واحدا يمنع من ثبوت الولد (الثالث) أن الولد لا يحصل الامن الزوج والزوجة والزوجان لا بد وأن يكونا من جنس واحد فلو كان له ولدا لما كان واحد بل كانت زوجته من جنسه وأما ان كونه قهारा يمنع من ثبوت الولد فلان المحتاج الى الوالد هو الذي يموت فيحتاج الى ولد يقوم مقامه فاحتاج الى الولد هو الذي يكون قهारा ولا يقهره غيره كان الولد في حقه محالا فثبت ان قوله هو الله الواحد القهار الفاظ مشتقة على دلائل قاطعة في نفي الولد عن الله تعالى ﴿ قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى إلا هو العز يز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فاني تصرفون ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تسكروا يرضه انكم ولا تزواجرة وزراخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور) اعلم ان الآية المقدمه تدل على انه تعالى بين كونه منزها

من بعد علة من بعد نطفة (في ظلمات ثلاث) متعلق بخلقكم وهي طلمة البطن وطلمة الرحم وطلمة المشيمة أو نطفة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) اشارة اليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد الايدان بعد منزلتكم تعالى في العظمة والكبرياء وتعله الرفع على الابتداء أي ذلكم العظيم الشأن الذي عذرت أفعاله (الله) وقوله تعالى (ربكم)

خبر اخر اى من يكتم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها وما لكم المستحق لتخصيص العبادة به (له الملك) على الاطلاق في الدنيا والاخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى (لا اله الا هو) والقائه في قوله تعالى (فانى تصرفون) لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شـ. وانه تعالى اى فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها * ٢٣٢ * بالكلية الى عبادة غيره من غير داع

اليها مع كثرة الصوارف عنها (ان تكفروا) به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فزون نعمائه ومعرفة شؤنة العظيمة الموجبة للايمان والشكر (فان الله غنى عنكم) اى فاعلموا انه تعالى غنى عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفاءهما (ولا يرضى اعباده الكافر) اى عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرده تعالى به (وان تشكروا يرضه لكم) اى يرضى الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لشوقكم بعبادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل بعباده لاكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقري باسكان الهاء (ولا تزر وازرة وزر اخرى) بيان لعدم سرية كفر الكافر الى غيره أصلا اى لا تحتل نفس حاصلة للوزر حال نفس اخرى

عن الوالد بكونه الها واحدا وقهارا غالبا اى كامل القدرة فلما بنى تلك المسئلة على هذه الاصول ذكر عقيبها ما يدل على كمال القدرة وعلى كمال الاستغناء وأيضا فانه تعالى طعن في الهية الاصنام فذكر عقيبها بالصفات التي باعتبارها تحصل الالهية واعلم اننا بنينا في مواضع من هذا الكتاب ان الدلائل التي ذكرها الله تعالى في اثبات الهية اما ان تكون فلكية أو عنصرية أو ما للفلكية فاقسام (أحدها) خلق السموات والارض وهذا المعنى يدل على وجود الاله القادر من وجوه كثيرة شرحناها في تفسير قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض (والثاني) اختلاف أحوال الليل والنهار وهو المراد ههنا من قوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وذلك لان النور والظلمة مسكران مهيبان عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك تارة وذلك هذا أخرى وذلك يدل على ان كل واحد منهما مغلوب مقهور ولا يد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله سبحانه وتعالى والمراد من هذا التكوير انه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص عن الآخر والمراد من تكوير الليل والنهار ما ورد في الحديث نعم ذليل الله من الحور بعد الكور اى من الادبار بعد الاقبال واعلم انه سبحانه وتعالى عبر عن هذا المعنى بقوله يكور الليل على النهار وبقوله يغشى الليل والنهار وبقوله يولج الليل في النهار وهو الذى جعل الليل والنهار خلقا لمن أراد أن يذكر (والثالث) اعتبار أحوال الكواكب لاسيما الشمس والقمر فان الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وأكثر مصالح هذا العالم من بوطلة لهما اوقوله كل يجري لاجل سمي الاجل المسمى يوم القيامة لا يزالان يجريان الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيامة ذهبوا ونظيره قوله تعالى وجمع الشمس والقمر والمراد من هذا التسخير ان هذه الافلاك تدور كدور المنجنون على حد واحد الى يوم القيامة وعنده تطوى السماء كطي السجل للكتاب ولما ذكر الله هذه الانواع الثلاثة من الدلائل الفلكية قال لاهوا العزير الغفار والمعنى ان خلق هذه الاجرام العظيمة وان دل على كونه عزيرا اى كامل القدرة الا انه غفار عظيم رحمة والفضل والاحسان فانه لما كان الاخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف والرهبة فكونه غفارا يوجب كثرة الرحمة وكثرة الرحمة توجب الرجاء والرغبة ثم انه تعالى أتبع ذكر الدلائل الفلكية بذكر الدلائل المأخوذة من هذا العالم الاسفل فبدأ بذكر الانسان فقال خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجا ودلالة تكون الانسان على الاله المخارق قد سبق بيانها مرارا كثيرة فان قيل كيف جاز ان يقول خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجا والزوج مخلوق قبل خلقهم أجاوبا عنه من وجوه (الاول) ان كلمة ثم كما يجيى ببيان كون احدى الواقعتين متأخرة عن الثانية فكذلك تجيى ببيان تأخر أحد الكلامين عن الآخر كقول القائل بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس اعجب ويقول أيضا قد أعطيتك اليوم شيئا ثم الذى أعطيتك أمس أكثر (الثاني) ان يكون التقدير خلقكم من نفس خلقت وحدها ثم جعل منها

(ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت) فبينتكم) عنه ذلك (بما كنتم تعملون) اى كنتم ﴿زوجها﴾ تعملونه في الدنيا من أعمال الكفر والايمان اى يجاز بكم بذلك ثوابا وعقابا (انه علم بذات الصدور) اى بعصمات القلوب فكيف بالأعمال الظاهرة وهو تعليل للتبينة

(واذامس الانسان ضربه) من مرض وغيره (دعواه منيبا اليه) راجعا اليه بما كان يدعو في حاله الرضا الحمد بانه ينزل من
القدرة على كشف ضربه وهذا وصف للجنس بحال ﴿ ٢٣٣ ﴾ بعض أفراده كنوله تعالى ان الانسان لظلم كفار (ثم

اذا خوله نعمة منه) أي
اعطاه نعمة عظيمة من
جنابه تعالى من الخول
وهو انه هدى أي جعله
خائلا مال من قولهم
فلان خائل مال اذا كان
متهداه حسن القيام
به أو من الخول وهو
الافتخار أي جعله يخول
أي يتخال ويفتخر (نسي
ما كان يدعو اليه) أي
نسي الضر الذي كان
يدعوا لله تعالى فيما سبق
الى كشفه (من قبل)
أي من قبل التخويل
أو نسي ربه الذي كان
يدعوه ويتضرع اليه
اماناه على أن ما بهي
من كافي قوله تعالى وما
خاق الذكر والاني
وقوله تعالى ولا أنتم
عابدون ما عبدوا ما ايدانا
بأن نسيانه بلغ الى
حيث لا يعرف مدعوه
ما هو فضلا عن أن يعرفه
من هو كما مر في قوله
تعالى عما أرضت
(وجعل الله أندادا)
شركا في العبادة (ليضل)
الناس بذلك (عن سبيله)
الذي هو التوحيد وقرئ
ليضل بفتح الياء أي
يزداد ضللا لا أو يثبت عليه والا ﴿ ٣٠ ﴾ سا فاصل الضلال غير متأخر عن الجمل المذكور واللام لام العاقبة
كافي قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا

زوجها) الثالث) أخرج الله تعالى ذر يه آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء واعلم
انه تعالى لما ذكر الاستدلال بخلق الانسان على وجود الصانع ذكر حقيقته الاستدلال
بوجود الحيوان عليه فقال وأزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وهي الأبل والبقر والضأن
والعز وقد بينا كيفية دلالة هذه الحيوانات على وجود الصانع في قوله والآنعام خلقها لكم
فيها هدف وفي تفسير قوله تعالى وأزل لكم وجود (الاول) ان قضاء الله وتقديره وحكمه
موصوف بالنزول من السماء لاجل انه كتب في الاوح المنهوظ كل كائن يكون (الثاني)
ان شيئا من الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء والتراب والماء ينزل من
السماء فصارت التقدير كانه أنزلها (الثالث) انه تعالى خلقها في الجنة ثم أنزلها الى الارض
وقوله ثمانية أزواج أي ذكر وأنثى من الأبل والبقر والضأن والعز والزواج اسم لكل
واحدة معها آخر فاذا انفرد فهو فرد منه قال تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ثم قال
تعالى يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق وفيه أنجاث (الاول) قرأ حرة يكسر
الالف والميم والكسائي يكسر الهجزة وفتح الميم والياقون أمهاتكم بضم الالف وفتح الميم
(الثاني) انه تعالى لما ذكر تخليق الناس من شخص واحد وهو آدم عليه السلام أردفه
بتخليق الأنعام وانما خصها بالذكر لانها أشرف الحيوانات بعد الانسان ثم ذكر حقيقته
ذكرها حالة مشتركة بين الانسان وبين الأنعام وهي كونها مخلوقة في بطون أمهاتهم
وقوله خلقا من بعد خلق المراد منه ما ذكره الله تعالى في قوله ولقد خلقنا الانسان من سلاله
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
المضغة عظما ما فكسونا العظام لحمنا أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين وقوله
في ظلمات ثلاث قبل الظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن
ووجه الاستدلال بهذه الحالات قد ذكرناه في قوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
واعلم انه تعالى لما شرح هذه الدلائل ووصفها قال ذلكم الله بكم أي ذلكم الشيء الذي
عرقتم عجائب أفعاله هو الله بكم وفي هذه الآية دلالة على كونه سبحانه وتعالى مزها عن
الاجزاء والاعضاء وعلى كونه مزها عن الجسمية والمكانية وذلك أنه تعالى عندما أراد أن
يعرف عبادته ذاته المخصوصة لم يذكر الا كونه فاعلا لهذه الاشياء ولو كان جسميا مركبا
من الاعضاء لكان تعرفه بتلك الاجزاء والاعضاء تعرفه للشيء بأجزائه حقيقته وأما
تعريفه بأحواله وفعاله وآثاره فذلك تعرفه بأمور خارجة عن ذاته والتعرف
الاول أكمل من الثاني ولو كان ذلك القسم ممكنا لكان الاكتفاء بهذا القسم الثاني
تفصيلا ونقصانا وذلك غير جائز فعلنا ان الاكتفاء بهذا القسم انما حسن لان القسم الاول
محال متمم الوجود وذلك يدل على كونه سبحانه وتعالى متعاليا عن الجسمية والاعضاء
والاجزاء ثم قال تعالى وهذا يفيد الحصر أي له الملاك لا غيره ولما ثبت انه لا ملك الا له
وجب القول بانه لا اله الا هو لانه لو ثبت اله آخر فذلك اله اما أن يكون له الملك أو لا يكون

يزداد ضللا لا أو يثبت عليه والا ﴿ ٣٠ ﴾ سا فاصل الضلال غير متأخر عن الجمل المذكور واللام لام العاقبة
كافي قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا

خلا أن هذا أقرب إلى الحقيقة لأن الجاعل ههنا قاصد يجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله
أهما اضلال وضلال وأمال فرعون فهم غير قاصدين ﴿٢٣٤﴾ بما يتناولهم العداوة أصلا (قل) تهديد الذاك

له الملك فان كان له الملك فحينئذ يكون كل واحد منهما اما الكافرا ويجري بينهما التنازع
كأثبت في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وذلك محال وان لم يكن للثاني شيء من
القدرة والملك فيكون ناقصا ولا يصلح للإلهية فثبت أنه لما دل الدليل على انه لا ملك الا لله
وجب أن يقال لا اله الا الله المين ولا معبود للخلق اجمعين الا الله الاحد الحق الصمد ثم اعلم انه
سبحانه لما بين هذه الدلائل كمال قدرة الله سبحانه وحياته وحكمته ورحمته رتب عليه تزييف
طريقة المشركين والضالين من وجوه (الاول) قوله فاني تصرفون تخجج به أصحابنا وتخجج به
المعتزلة أما أصحابنا فوجه الاستدلال لهم بهذه الآية انها صريحة في انهم لم ينصرفوا
بأنفسهم عن هذه البيانات بل صرفوها عنهم غيرهم واذك الغير الا لله وأيضا فدل العقل
بقوى ذلك لان كل واحد يريد لنفسه تحصيل الحق والصواب فلما لم يحصل ذلك وانما حصل
الجهل والضلال علمنا انه من غيره لامنه وأما المعتزلة فوجه الاستدلال لهم ان قوله فاني
تصرفون تعجب من هذا الانصراف ولو كان الفاعل لذلك التصرف هو الله تعالى لم يبق لهذا
التعجب معنى ثم قال تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم والمعنى أن الله تعالى ما كلف
المكلفين ليجري الى نفسه منفعة أو ليدفع عن نفسه مضرة وذلك لانه تعالى غني على الاطلاق
ويعتبر في حقه جر المنفعة ودفع المضرة وانما قلنا انه غني لوجوه (والاول) انه واجب الوجود
لذاته واجب الوجود في جميع صفاته ومن كان كذلك كان غنيا على الاطلاق (الثاني)
انه لو كان محتاجا لكانت تلك الحاجة اما قديمة واما حادثة (الاول) باطل والالزم أن يخلق
في الازل ما كان محتاجا اليه وذلك محال لان الخلق والازل متناقض (والثاني) باطل لان
الحاجة نقصان والحكيم لا يدعوه الداعي الى تحصيل النقصان لنفسه (الثالث) هب انه
يبقى الشك في انه هل تصح الشهوة والنفرة والحاجة عليه أم لا ما من المعلوم بالضرورة
ان الاله القادر على خلق السموات والارض والشمس والقمر والتجوم والعرش والكرسي
والعناصر الاربعة والموايد الثلاثة يتمتع أن ينفع بصلاة زيد وصيام عمرو وان يستنصر
بعدم صلاة هذا وعدم صيام ذاك فثبت بما ذكرنا ان جميع العالمين لو كفروا وأصروا على
الجهل فان الله غني عنهم ثم قال تعالى بعد ولا يرضى لعباده الكفر يعني انه وان كان لا ينفعه
ايمان ولا يضره كفران الا أنه لا يرضى بالكفر واحتج الجبائي بهذه الآية من وجهين
(الاول) ان المجبرة يقولون ان الله تعالى خلق كفر العباد وانه من جهة ما خلقه حق وصواب
قال ولو كان الامر كذلك لكان قد رضى الكفر من الوجه الذي خلقه وذلك ضد الآية
(الثاني) لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب علينا ان نرضى به لان الرضا بقضاء الله
تعالى واجب وحيث اجتمعت الامة على ان الرضا بالكفر كفر ثبت انه ليس بقضاء الله
وليس أيضا برضا الله تعالى وأجاب اصحابنا عن هذا الاستدلال من وجوه (الاول)
أن طاعة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالموثمين قال الله تعالى وعباد الرحمن الذين
يعشون على الارض هونا وقال عينا يشرب بها عباد الله وقال ان عبادي ليس لك عليهم

الضال والمضل ويانا
لجائه وما له (تمتع بكفره
قليل) أي تمتع قليلا
أوزمانا قليلا (انك من
اصحاب النار) أي من
ملازميها والعندين فيها
على الدوام وهو تعبد
لقلة التمتع وفيه من الاقنات
من النجاسة ما لا يخفى
كأنه قيل اذ قد آتيت
قبول ما أمرت به من
الايمان والطاعة فمن
حكمتك أن تؤمر بتكره
لتذوق عقوبته (أمن
هو قانت آتاء الليل) الخ
من تمام الكلام المأمور به
وأم اما متصلة قد حذف
معاد لها ثقة بدلالة مساق
الكلام عليه كأنه قيل له
تأكيد التهديد وتوهمكم اياه
أنت أحسن حالا وما لا
أم من هو قائم بواجب
الطاعات ودائم على
أداء وظائف العبادات
في ساعات الليل حالتي
السراء والضراء لا عند
فساس الضر فقط
كسدا بك حال كونه
(ساجدا وقائما) أي
جامعا بين الوصفين
المحمودين وتقديم
السجود على القيام

لكونه أدخل في معنى العبادة وقرى كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر (يخدر الآخرة) حال أخرى ﴿سلطان﴾
على الترادف أو التداخل أو استئناف وقع جوابا عما نشأ

من حكاية حاله من الفوت والهجود والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقبل يحذر عذاب الآخرة (ويرجو رحمة به) فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه ﴿٢٣٥﴾ كإني عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبثقة عن التبليغ الى

سلطان فعلى هذا التقدير قوله ولا يرضى لعباده الكفر أى ولا يرضى للمؤمنين الكفر وذلك لا يضرنا (الثاني) ان نقول الكفر بارادة الله تعالى ولا نقول انه برضا الله لان الرضا عبارة عن المدح والثناء فله قال الله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين أى بمدحهم ويبنى عليهم (الثالث) كان الشيخ الوالد غيباء الدين عمر رحمه الله يقول الرضا عبارة عن ترك اللوم والاعتراض وليس عبارة عن الارادة والدليل عليه قول ابن ذر بن

رضيت قسرا وعلى القسر رضا * من كان ذا سخط على صرف القضا

أثبت الرضا مع القسر وذلك يدل على ما قلناه (الرابع) هب ان الرضا هو الارادة الا ان قوله ولا يرضى لعباده الكفر صام فخصيصه بالآيات الدالة على انه تعالى يريد الكفر من الكافر كقوله تعالى وما نشأؤن الا ان يشاء الله والله اعلم ثم قال تعالى وان تشكروا يرضه لكم والمراد انه لمسا بين انه لا يرضى الكفر بين انه يرضى الشكر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلف القراء في هاء يرضه على ثلاثة أوجه (أحدها) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الهاء مختلصة غير مشبعة (وثانيها) قرأ أبو عمرو وحمزة في بعض الروايات يرضه ساكنة الهاء للتخفيف (وثالثها) قرأ نافع في بعض الروايات وابن كثير وابن عامر والكسائي مضمومة الهاء مشبعة قال الواحدى رحمه الله من القراء من أشبع الهاء حتى ألحق بها واوا والآن ما قبل الهاء تحرك فصار بمنزلة ضرب به وله فكما ان هذا مشبع عند الجميع كذلك يرضه ومنهم من خرك الهاء ولم يلحق الواو لان الاصل يرضاه والالف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها فكانت كالباقية ومع بقاء الالف لا يجوز اثبات الواو فكذا ههنا (المسئلة الثانية) الشكر حاله مركبة من قول واعتقاد وعمل (أما القول) فهو الاقرار بحصول النعمة (وأما الاعتقاد) فهو الاعتقاد صدور النعمة من ذلك النعم ثم قال تعالى ولا تزوروا زواجره وزواجره قال الجبائى هذا يدل على انه تعالى لا يعذب أحدا على فعل غيره فلو فعل الله كفرهم للمجاز أن يعذبهم عليه وأيضاً لا يجوز أن يعذب الأولاد بذنوب الآباء بخلاف ما يقول القوم واحتج أيضاً من أنكروا وجوب ضرب الدية على العاقلة بهذه الآية ثم قال تعالى ثم الى ربكم مرجعكم واعلم اننا ذكرنا كثيراً ان أهم المطالب للانسان أن يعرف خالقه بقدر الامكان وان يعرف ما يرضه وما ينفعه في هذه الحياة الدنيوية وان يعرف أحواله بعد الموت ففي هذه الآية ذكر الدلائل الكثيرة من العالم الاعلى والعالم الاسفل على كمال قسرة المسامحة وعلمه وحكمته ثم أتبعه بان أمره بالشكر ونهاه عن الكفر ثم بين أحواله بعد الموت بقوله ثم الى ربكم مرجعكم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المشبهة تمسكوا بلفظ الى على ان العالم في جهة وقد أجبنا عند مرارا (المسئلة الثانية) زعم القوم ان هذه الارواح كانت موجودة قبل الاجساد وتمسكوا بلفظ الرجوع الموجود في هذه الآية وفي سائر الآيات (المسئلة الثالثة) ذات هذه الآية على اثبات البعث والقيام ثم قال فينبئكم بما كنتم تعملون وهذا تهديد للعاصي وبشارة

الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجح لانه يحذر ضرر الدنيا ويرجو خيرها فقط وامام منقطع وما فيها من الاضرار للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملقى الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل أمن هو قانت الخ أفضل أم من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف (قل) بيان للحق وتنبها على شرف العلم والعمل (هل يستوى الذين يعلمون) حقائق الاحوال فيعلمون بموجب علمهم كالتقانات المذكور (والذين لا يعلمون) أى ما ذكر أو شياً فيعلمون بعقضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتبسيه على ان كون الاولين في اعلى معارج الخير وكون الآخرين في أقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابرو وقيل هو وارد على سبيل التشبيه أى كالأستوى المانئون والجاهلون لا يستون الساتون والعاصون وقوله تعالى (انما يذكر أولو الاباب) كلام مستقل غير داخل

في الكلام المأمور به وأرد من جهته تعالى بعد الأمر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي إيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كافي قول من قال ﴿ ٢٣٦ ﴾ * عوجوا فعيروا النعمى دمنة الدار * ماذا تحبون

من نوى واختار أي انما يظ هذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمنزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة الترخيص التذكير بأولى الالباب ايذانا بانهم هم كما يصرح به أي قل لهم قول هذا بينه وفيه اشهر بفاهم باضاً فهم الى ضمير الجلالة ومزيدا تشاء بشأن المأمور به فان نقل عين أمر الله ادخل في ايجاب الامثال به وقوله تعالى (للذين أحسنوا) تعليل للأمر أو اوجوب الامثال به وإيراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايدان بأنه من باب الاحسان وأنهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم

للطبع وقوله تعالى انه عليهم بذات الصدور كالهلة لما سبق يعني انه انما يمكنه أن ينشكم بأعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم * قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر دعار به متبالياه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار ا من هو قانت آناه الليل ساجدا وقائما تحذرا لآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب) واعلم ان الله تعالى لما بين فساد القول بالشرك و بين أن الله تعالى هو الذي يجب أن يعبد في هذه الآيات طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام متناقضة وذلك لانهم اذا مسهم نوع من أنواع الضر لم يرجعوا في طلب دفعه الا الى الله واذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام ومعانم أنهم انما رجعوا الى الله تعالى عند حصول الضر لانه هو المقادر على ابرص الخير ودفع الضر واذا صرخوا ان الامر كذلك في بعض الاحوال كان الواجب عليهم أن يعترفوا به في كل الاحوال فثبت ان طريقهم في هذا الباب متناقضة اما قوله تعالى واذا مس الانسان قليل المراد بالانسان أقوام معينون مثل عتبة بن ربيعة وغيره وقيل المراد به الكافر الذي تقدم ذكره لان الكلام يخرج على معهود تقدم وأما قوله ضر فيدخل فيه جميع المكروه سواء كان في جسمه أو في ماله أو أهله أو ولده لان اللفظ مطلق فلا معنى للتقييد ودعاه به أي استجار بر به وناداه ولم يؤمل في كشف الضر سواء فلذلك قال متبالياه أي راجعا اليه وحده في ازالة ذلك الضر لان الانابة هي الرجوع ثم اذا خوله نعمة منه أي أعطاه قال صاحب الكشاف وفي حقيقته وجهان (أحدهما) جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال ما اذا كان متعهدا بحسن القيام به ومنه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يخول أصحابه بالوعظة (والثاني) جعله يخول من خال يخول اذا اختال واقتخر وفي المعنى قالت العرب * ان الغنى طويل النذيل مياس * ثم قال تعالى نسي ما كان يدعوا اليه من قبل أي نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويتهل اليه وما معنى من كذوله تعالى وما خلق الذكرو الانثى وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما عبدوا وقوله تعالى فانكعبوا مطاب لكم من النساء وقبل نسي الضر الذي كان يدعوا الله الى كشفه والمراد من قوله نسي أي ترك دعاه كأنه لم يفزع الى ربه ولو اراد به التسيان الحقيقي لما ذمه عليه ويحتمل أن يكون المراد انه نسي أن لا يفزع وأن لا اله سواه فعاد الى اتخاذ الشركاء مع الله ثم قال تعالى وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ليضل بفتح الياء والباقون ليضل بضم الياء على معنى ليضل غيره (المسئلة الثانية) المراد انه تعالى يعجب العقلاء من مناقضتهم عند هاتين الحالتين فعند الضر يعتقدون أنه لا مفزع الى ما سواه وعند التمتع يعودون الى اتخاذ آلهة معه

يحسبون وفي قوله تعالى انه من يتق و يصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى (في هذه الدنيا) * ومعلوم * متعلق بأحسنوا أي عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على

ووجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله عليه السلام ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (حسنة) ٢٣٧ بحمد أي حسنة عظيمة لا يكتبها الله الا لمن هو متعلق

ومعلوم أنه تعالى اذا كان انما يفرغ اليه في حال الضر لاجل انه هو القادر على الخبر والشرو هذا المعنى باق في حال الراحة والفرغ كان في تقرير حالهم في هذين الوقتين ما يوجب المناقضة وقلة العتق (المسئلة الثالثة) معنى قوله ليضل عن سبيله انه لا يقتصر في ذلك على أن يضل نفسه بل يدعو غيره اما بقوله الى أن يشارك في ذلك فيزيد اذا نما على الله واللام في قوله ليضل لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وخرنا ذكرا لله تعالى عنهم هذا الفعل المتناقض هدهم فقال قل تمتع بـ كـ فرك قليلا وليس المراد منه الامر بل الزجر وأن يعرفه ذلك تمتعه في الدنيا ثم يكون مصيره الى النار ولما شرح الله تعالى صفات المشركين والضالين ثم تمسكهم بغير الله تعالى أردفد بشرح احوال المحقين الذين لا يرجعون لهم الا الى الله ولا يستمدون لهم الا على فضل الله فقال آمن هو قانت آباء الليل ساجدا وقائما وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا فاع وابن كثير وحرزة آمن مخففة الميم والباقون بالتشديد أما التخفيف ففيه وجهان (الاول) أن الالف الالف الاستفهام داخله على من والجواب محذوف على تقدير كن ليس كذلك وقيل كاندى جعل لله أندادا فما كتني بما سبق ذكره (والثاني) أن يكون ألف نداء كأنه قيل يا من هو قانت أنت من أهل الجنة وأما التشديد فقال الغراء الاصل أم من فادغمت الميم في الميم وعلى هذا القول هي أم التي في قولك أزيد أفضل أم عمرو (المسئلة الثانية) القانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الصحيح لانه يدعوقائما عن ابن عمر رضى الله عنده قال لأعلم القنوت الاقراءة القرآن وطول القيام وتلا من هو قانت وعن ابن عباس القنوت طاعة الله لقوله كل له قانتون أي مطيعون وعن قتادة آباء الليل ساعات الليل أوله ووسطه وآخره وفي هذه اللفظة تنبيه على فصل قيام الليل وانه أرجح من قيام النهار ويؤكد وجوده (الاول) ان عباد الله الليل استرعن العيون فتكون ابعد عن الرياء (الثاني) ان الظلمة تمتع من الابصار ونوم الخلق يمنع من السماع فاذا صار القلب فارغاً عن الاشتغال بالاحوال الخارجية عاد الى المطلوب الاصل وهو معرفة الله وخدمته (الثالث) ان الليل وقت النوم فتركه يكون أشق فيكون الثواب أكثر (الرابع) قوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلا وقوله ساجدا حال وقرئ ساجدا وقائم على أنه خبر والوار للجمع بين الصفتين واعلم ان هذه الآية الداعية الى اسرار عجيبة وأنها تبدأ فيها بذكر العمل وتتم فيها بذكر السلام اما العمل فكونه قائما ساجدا قائما وأما العلم فقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا يدل على ان كمال الانسان تصور في هذين المقصودين فالعمل هو البداية والعلم والمكاشفة هو النهاية (القائدة الثانية) انه تعالى يريد على ان الانتفاع بالعمل انما يحصل اذا كان الانسان مواظبا عليه فان القنوت عبارة عن كون الرجل قائما بما يجب عليه من الطاعات وذلك يدل على ان العمل انما يفي اذا واظب عليه الانسان وقوله ساجدا وقائما

بحسنة على أنه يسان
لمكانها أو حال من ضميرها
في الظرف فالمراد بها
حينئذ الصحة والعافية
(وأرض الله واسعة)
فن تعسر عليه التوفر
على التقوى والاحسان
في وطنه فليها جرائ
حيث يمكن فيه من ذلك
كما هو سنة الانبياء
والصالحين فانه لا عذر له
في التفریط أصلا وقوله
تعالى (انما يوفى الصابرون)
المخ ترغيب في التقوى
المأمور بها وايشار
الصابرين على المتقين
لا يذنان بأنهم حائزون
لفضيلة الصبر كما يارتهم
لفضيلة الاحسان لما
أشير اليه من استلزام
التقوى لهم مع ما فيه
من زيادة حث على
المصابرة والمجاهدة في
تحمل مشاق المهاجرة
ومناعها أي انما يوفى
الذين صبروا على دينهم
وحافظوا على حدوده
ولم يشطوا في مراعاة
حقوقه لما اعتراه في
ذلك من فتون الآلام
والهلايات من جملتها
مهاجرة الأهل ودفارقة

الاطوان (أجرهم) بمقابلة ما كابدوا من الصبر (بغير حساب) أي بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله
صه حالها يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف

وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوتون بها أجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صباحي يعني أهل العافية في الدنيا ن (٢٣٨) أجسادهم تفرض بالمقار يض مما يذهب به أهل

البلاء من الفضل (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما أمر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله الذي هو عبارة عما أمر به المؤمنون من القوى مسالفة في حثهم على الاتيان بما كفوه وتهيد المابعه مما خوطب به المشركون (وأمرت لان أكون أول المسلمين) أي وأمرت بذلك لاجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمقايرة الناسي الاول بتقيد باعلة والاشعار بأن العبادة المذكورة كانت قضي الامر بها لذا تم تقضيد لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لان أقوم بدليل قوله تعالى وأمرت أن أكون أول من أسلم فلعني وأمرت

اشارة الى أصناف الاعمال وقوله يحذرا الآخرة ويرجو رحمة ربه اشارة الى ان الانسان عند المواظبة ينكشف له في الاول مقام القهرو وهو قوله يحذرا الآخرة ثم بعده مقام الرحمة وهو قوله ويرجو رحمة ربه ثم يحصل أنواع المكاشفات وهو المراد بقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (الفائدة الثالثة) انه قال في مقام الخوف يحذرا الآخرة فإضاف الحذر الى نفسه وفي مقام الرجاء أضافه الى نفسه وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأبقى بحضرة الله تعالى (المسئلة الثالثة) قيل المراد من قوله أمن هو قانت آباء الليل عثمان لانه كان يحجى الليل في ركعة واحدة وقرأ القرآن في ركعة واحدة والصحيح ان المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة فيدخل فيه عثمان وغيره لان الآية غير مقتصرة عليه (المسئلة الرابعة) لاشبهة في أن في الكلام حذفا والتقدير أمن هو قانت كغيره وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه لانه تعالى ذكر قبل هذه الآية الكافر وذكر بعدها قل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وتقدير الآية قل هل يستوي الذين يعلمون وهم الذين صفتهم انهم يقتون آباء الليل سجدوا قياما والذين لا يعلمون وهم الذين وصفهم عند البلاء والخوف يوحدون وعند الراحة والفراسة يشركون فاذا قدرنا هذا التقدير ظهر المراد وانما وصف الله الكفار بأنهم لا يعلمون لانهم وان آباءهم الله آفة العلم الا أنهم أعرضوا عن تحصيل العلم فلهذا السبب جعلهم كأنهم ليسوا أولى الابواب من حيث انهم لم ينتفعوا بعقولهم وقولوا بهم واما قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تنبيه عظيم على فضيلة العلم وقد بالغنا في تقرير هذا المعنى في تفسير قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها قال صاحب الكشاف أراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم وهم النابتون وبالذين لا يعلمون الذين لا يأتون بهذا العمل كانه جعل القانتين هم العلماء وهو تنبيه على أن من لم يعمل فهو غير عالم ثم قال وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويقتنون فيها ثم يقتنون بالدين فيهم عند الله جهلة ثم قال تعالى انما يتذكر أولو الابواب يعني هذا التفاوت العظيم الحاصل بين العلماء والجهال لا يعرفه أيضا إلا أولو الابواب قيل لبعض العلماء انكم تعاونوا على العلم أفضل من المال ثم نرى العلماء يجتمعون عند ابواب الملوك ولا ترى الملوك يجتمعون عند ابواب العلماء فأجاب العالم بأن هذا أيضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء علموا ما في المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه * قوله تعالى (قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذي أحسنوا في هذا الدنيا حسنة وأرض الله واسعة انما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما مشتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم واهل بيوتهم يوم القيامة الا ذلك هو الخاسران ألمبين لهم من فوقهم ظليل من النار ومن تحتهم ظلال ذلك يخوف الله به عباده باعباد فاتقون

أن أكون اول من أسلم من أهل زمانى أو من قومي أو أكون اول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه (قل اني * اعلم * أخاف ان عصيت ربي) بترك الاخلاص والميل الى ما أتم عليه من الشرك

(عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة وصف بالعظمة اعظمة ما فيه من الداهي والاهوال (قل الله اعبد) لا عبرة
لا استقلال ولا اشتراكا (مخلصه ديني) ﴿ ٢٣٩ ﴾ من كل شوب أمر عليه الصلاة والسلام أو لا يبين كونه

مأمورا بعبادة الله تعالى
وإخلاص الدين له
ثم بالأخبار بخوفه
من العذاب على تقدير
العصيان ثم بالأخبار
بامثاله بالامر على
أبلغ وجهه وأكده
أظهار التصابي في الدين
وحسما لا طمعهم
المسارعة وتمهيدا
أتميدهم بقوله تعالى
(فاجتهدوا ما استطعتم)
أن تعبده (من دونه)
تعالى وفيه من الدلالة
على شدة الغضب عليهم
ما لا يخفى كأنهم لما
لم ينتموا عما نوهوا عنه
أمر وابهى يحصل
بهم العتاب (قل
إن الخاسرين) أي
الكاملين في الخسران
الذي هو عبارة عن
إضاعة ما يهدى واتلاف
ما لا بد منه (الذين
خسروا أنفسهم
وأهلهم) باختيارهم
الكفر لهما أي
أضاعوهما وتلفوهما
(يوم القيامة) حين
يدخلون النار حيث
عرضوهما للعذاب
السرمدى وأوقوهما

اعلم انه تعالى لما بين في المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم اتبعه بأن أمر رسوله بأن
يخاطب المؤمنين بأنواع من الكلام (النوع الاول) قوله قل يا عبادي الذين آمنوا
اتقوا ربكم والراد ان الله تعالى أمر المؤمنين بأن يعتموا الى الايمان التقوى وهذا من
أدل الدلائل على ان الايمان يبنى مع المعصية قل القاضي أمرهم بالتقوى لكيلا يخطوا
ايمانهم لان عند الاتقاء من الكبائر يسلم لهم الثواب وبالاقدام عليها يخبط فيقال لهذا
بأن يدل على ضد قولك أولى لانه لما أمر المؤمنين بالتقوى دل ذلك على انه يبنى مؤمنا
مع عدم التقوى وذلك يدل على أن النفس لا يزال الايمان واعلم انه تعالى لما أمر المؤمنين
بالاتقاء بين لهم ما في هذا الاتقاء من الفوائد فقال تعالى للذين أحسنوا في هذه الدنيا
حسنة فقوله في هذه الدنيا يتحمل أن يكون صلوة تقوله أحسنوا أو اسنة نعمى التقدير
الاول معناه للذين أحسنوا في هذه الدنيا كلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة
والتكبير في قوله حسنة للتعظيم يعنى حسنة لا يصل العقل الى كنهه كالألماع (وأما على
التقدير الثاني) فعناه الذين أحسنوا فلهم في هذه الدنيا حسنة والقائلون بهذا القول
قالوا هذه الحسنة هي الصحة والعافية وأقول الاول ان تحمل على الثلاث المذكورة في
قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس اهنهاية الأمن والصحة والكفاية ومن الناس من
قال القول الاول أولى ويدل عليه وجوه (الاول) ان التكبير في قوله حسنة يدل على
النهاية والجلالة والرفعة وذلك لا يليق بأحوال الدنيا فانها خسيسة ومنقطة وأما
يليق بأحوال الآخرة فانها شريفة وآمنة من الانقضاء والانقراض (والثاني) ان ثواب
الحسن بالتوحيد والاعمال الصالحة انما يحصل في الآخرة قال تعالى اليوم تجزي كل
نفس بما كسبت وأيضا فتعبد الدين من الصحة والأمن والكفاية حاصلة للكفار وأيضا
فحصولها للكافر أكثر وأتم من حصولها للمؤمن كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن
المؤمن وجنة الكافر وقال تعالى لعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم مستقما من فضة
ومعارج عليها يظهرون (الثالث) ان قوله للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة يفيد الحصر
يعنى انه يفيد أن حسنة هذه الدنيا لا تحصل الا للذين أحسنوا وهذا باطل اما لو حملنا هذه
الحسنة على حسنة الآخرة صح هذا الحصر فكان حمله على حسنة الآخرة أولى ثم قال
الله تعالى وأرض الله واسعة وفيه قولان (الاول) المراد انه لا عذر البتة للمتصرين
في الاحسان حتى انهم ان اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وانهم لا يتمكنون فيها من التوفرة
على الاحسان وصرف الهمم اليد قل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا من
هذه البلاد الى بلاد تقدر فيها على الاشتغال بالطاعات والعبادات واقتدوا بالانبياء
والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليرزقوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم
والمقصود منه الترغيب في الهجرة من مكة الى المدينة والصبر على مفارقة الوطن ونظيره
قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا من الضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة

في هلكة لاهلكة وراءها وقيل خسروا أهلهم لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم
وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا ياب بعده وفيه أن المحذور ذهاب مال وآب لا تنفع به الخاسر وذلك
غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم

لانهم لم يدخلوا مدخل الذين اهل في الجنة وخسروا اهلهم الذين كانوا يتبعون بهم لو آمنوا واما ما كان قليش المراد مجرد تعريف التاملين في الخسران فاذا ذكر بل بيان انهم ﴿ ٢٤٠ ﴾ اما يجعل الموصول عبارة عنهم

فهما يروا قوتها (والقول الثاني) قال ابو مسلم لا يستحق أن يكون المراد من الارض أرض الجنة وذلك لانه تعالى أمر المؤمنين بالتقوى وهي خشية الله ثم بين أن من أتى ذلك في الآخرة الجنة وهي الخلود في الجنة ثم بين أن أرض الله أي جنته واسعة لقوله تعالى نزلوا من الجنة حيث نشاء وقوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمقين (والشرك الاول) عندي اول لان قوله انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب لا يليق الا بالاول وفي هذه الآية مسائل (المسئلة الاولى) اما تحقيق الكلام في ماهية الصبر فقد ذكرناه في سورة البقرة والمراد ههنا بالصابرين الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى تجرع النعصص واحتمال البلايا في طاعة الله تعالى (المسئلة الثانية) تعمية المنافع وعد الله بها على الصبر بالاجر توهم ان العمل على الثواب لان الاجر هو المستحق الا انه قامت الدلائل القاهرة على أن العمل ليس عليه الثواب فوجب حل لفظ الاجر على كونه أجر بحسب الوعد لا بحسب الاستحقاق (المسئلة الثالثة) انه تعالى وصف ذلك الاجر بأنه بغير حساب وفيه وجوه (الاول) قال الجبائي المعنى انهم يعطون ما يستحقون ويزادون تفضلا فهو بغير حساب واولم يعطوا الا المستحق لكان ذلك حسبا قال القاضي هذا ليس بصحيح لان الله تعالى وصف الاجر بأنه بغير حساب واولم يعطوا الا الاجر المستحق والاجر غير الفضل (الثاني) ان الثواب له صفات ثلاثة (أحدها) انها تكون دائمة الاجر لهم وقوله بغير حساب معناه بغير نهاية لان كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناه فالنهاية له كان خارجا عن الحساب (وثانيها) انها تكون متافع كاملة في أنفسها وعقل المطيع ما كان يصل الى كنه ذلك الثواب قال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة ملاعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكل ما يشاهدونه من أنواع الثواب وجدوه أز يد مما تصوروه وتوقعوه وما لا يتوقعه الانسان فقد يقال انه ليس في حسابه فقوله بغير حساب محمول على هذا المعنى (والوجه الثالث) في التأويل ان ثواب أهل البلاء لا يقدر بالميزان والمكيال روى صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيؤنون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيؤنون بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا قال الله تعالى انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب حتى تعنى أهل العافية في الدنيا ان أجسادهم تفرض بالقار يض لمابه أهل البلاء من الفضل (النوع الثاني) من البيانات التي أمر الله رسوله أن يذكرها قوله تعالى قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا للدين قال مقاتل ان كفار قريش قالوا النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملك على هذا الدين الذي أتيتنا به الا تنظر الى ملة أهلك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى وأنزل الله قل يا محمد اني أمرت أن أعبد الله مخلصا للدين وأقول ان التكليف نوعان (احدهما) الامر بالاحترام عما لا ينبغي (والثاني) الامر بتحصيل

أو عما هم مندرجون فيه اندراجا أوليا وما في قوله تعالى (الأذلك هو الخسران المبين) من استثناف الجنة وأصديرها بحرف التثنية والاشارة بذلك اني بعد منزلة المنشار اليد في الشرو وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفضاعته وأنه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى (لهم من فوقهم ظلال من النار) الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تنويله بطريق الإيهام على أن لهم خبير انظلال ومن فوقهم متعلق بمحذوف قبل هو حال من ظلال والاطهر أنه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن انما رصفة انظلال أي لهم كائنة من فوقهم ظلال كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار (ومن تحتهم) أيضا (ظلال) أي أطباق كثيرة بعضها تحت

بعض ظلال لاخرين بل لهم أيضا عند ترديهم في دركاتها (ذلك) العذاب الفظيح هو الذي ﴿ ما ينبغي ﴾ (يخوف الله به عباده) ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليحذروا ما يوقعهم فيه (يا عباد فاتقون) ولا تعرضوا لما لا يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والمرحمة

ما ينبغي والمرتبة الأولى مقدمة على المرتبة الثانية بحسب الرتبة الواجبة اللازمة اذا ثبت هذا فقول انه تعالى قدم الامر بإزالة ما لا ينبغي فقال اتقوا ربكم لان التقوى هي الاحترام عما لا ينبغي ثم ذكر عتبه الامر بتخصيل ما ينبغي فقال اني أمرت أن أعبد الله تخلصا له الدين وهذا يشتم على تمييز (أحدهما) الامر بعبادة الله (والثاني) كون تلك العبادة خالصة عن شوائب الشرك الجلي وشوائب الشرك الخفي وانما خص الله تعالى الرسول بهذا الامر لينبه على أن غيره بذلك أحمق فهو كالتزييف للغير وقوله تعالى وأمرت لأن أكون أول المسلمين لاشبهته في أن المراد اني أول من تسلك بالعبادات التي أرسلت بها وفي هذه الآية فائدتان (الفائدة الأولى) كأنه يقول اني لست من الملوك الجبارة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلون ذلك بل كل ما أمرتكم به فانا أول الناس شروعا فيه وأكثرهم مداومة عليه (الفائدة الثانية) انه قال اني أمرت أن أعبد الله والعبادة لها ركنان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب أشرف من عمل الجوارح فقدم ذكر الجزاء الأشرف وهو قوله بتخصيل الدين ثم ذكر عتبه الادوز وهو عمل الجوارح وهو الاسلام فان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الاسلام في خبر جبريل عليه السلام بالأعمال الظاهرة وهو المراد بقوله في هذه الآية وأمرت لأن أكون أول المسلمين وليس التامل أن يقول ما الفائدة في تكرير انظر أمرت لأنما تقول ذكر لفظ أمرت أولا في عمل القلب وثانيا في عمل الجوارح ولا يكون هذا تكريرا (الفائدة الثالثة) في قوله وأمرت لأن أكون أول المسلمين النبي على كونه رسولا من عند الله واجب الطاعة لأن أول المسلمين في سرائع الله لا يمكن أن يكون الرسول الله لأن أوله من يعرف تلك السرائع والتكاليف هو الرسول المبلغ والمبين لله تعالى أمره بالانحلال بالقلب والأعمال الخفية وصحة وكان الامر يحتل الوجوب ويحتل التزييف بين ان ذلك الامر الوجوب فقال قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وفيه قوله (الفائدة الأولى) ان الله أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يجزي هذا الكلام على نفسه وانما تصود منه المبالغة في زجر العاصي عن المعاصي لادب جلاله قد روي عن النبي انه اذا أوجب أن يكون خائفا حذرا عن المعاصي فغيره بذلك أولى (الفائدة الثانية) دلل الآية على ان المرتبة على المعصية ليس حصول العقاب بل الخوف من العقاب وهذا يطابق قولنا ان الله تعالى قد فرغ عن المذنب والكبيرة فيكون اللازم عند حصول المعصية هو الخوف من العقاب لانفس حصول العقاب (الفائدة الثالثة) دلل هذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب وذلك لانه قال في أول الآية اني أمرت أن أعبد الله ثم قال بعده قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فيكون معنى هذا الدعوى ان ترك الامر الذي تقدم ذكره وذلك يقتضي أن يكون تارك الامر عاصيا والمعاصي يقتضي دليله الخوف من العقاب ولا معناه للوجوب الا ذلك (النوع الثالث) من الاشياء التي أمر الله رسوله أن

وقرى يا عبادي (والذين اجنبوا الطاغوت) أي البالغ أقصى غاية الطغيان فعلمت منه بتقديم اللام على العين بنى المبالغة في المصدر كالجحوت والعظمت ثم وصف به المبالغة في المنع والمراد به هو الشيطان (أن يعبدوها) بدل الاشتغال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها (وأنا بوالى الله) وأقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا (لهم البشرى) باشواب على السنة

بذكرها قوله قل الله أعبد مخلصاله ديني فان قيل مامعنى التكرير في قوله قل انى امرت أن
 أعبد الله مخلصاله الدين وقوله قل الله أعبد مخلصاله ديني قلنا هذا ليس بتكرير لان الاول
 اخبار بأنه مأمور من جهة الله بالاتيان بالعبادة والشانى اخبار بأنه أمر بأن لا يعبد
 أحدا غير الله وذلك لان قوله امرت أن أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله
 اعبد يفيد الحصر يعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا سواه والدليل عليه انه لما قل بعده
 قل الله أعبد قال بعده فاعبدوا ما شئتم من دونه ولا شبهة في أن قوله فاعبدوا ما شئتم
 من دونه ليس أمرا بل المراد منه الزجر كأنه يقول لما بلغ البيان في وجوب رعاية التوحيد
 الى العاية القصوى فبعد ذلك أتم أعرف بأنفسكم ثم بين تعالى كمال الزجر بقوله قل ان
 الخاسرين الذين خسروا أنفسهم او وقوعها في هلاك لا يعقل هلاك أعظم منه وخسروا
 أهلهم أيضا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا
 من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا يرجوع بعده البتة وقال ابن عباس ان لكل
 رجل منزلا وأهلا وخدما في الجنة فان أطاع أعطى ذلك وان كان من أهل النار حرم
 ذلك فخسر نفسه وأهله ومنزله وورثه غيره من المسلمين والخاسر المغبون ولما شرح الله
 خسرتهم وصف ذلك الخسران بغاية الفظاحة فقال الأذكي هو الخسران المبين كان
 التكرير لاجل التأكيد (الثانى) انه تعالى ذكر في أول هذه الكلمة حرف الأ وهو
 للتبني و ذكر التبني في هذا الموضع يدل على التعظيم كأنه قيل انه بلغ في العظمة الى
 حيث لا تصل عقولكم اليها فذهبوا لها (الثالث) ان كلمة هو في قوله هو الخسران المبين
 تفيد الحصر كأنه قيل كل خسران فانه بصير في مقارنته كلا خسران (الرابع) وصفه
 بكونه مبينا يدل على الجهول وأقول قد بينا ان لفظ الآية يدل على كونه خسرانا مبينا
 فلتبين بحسب البساحات العقلية كونه خسرانا مبينا وأقول نفقر الى بيان أمرين
 الى بيان كونه خسرانا ثم الى بيان كونه مبينا (اما الاول) فتشترطه انه تعالى أعطى
 هذه الحياة وأعطى العقل وأعطى المكنة وكل ذلك رأس المال اما هذه الحياة فمادة صود
 منها أن يكتب فيم الحياة الطيبة في الآخرة وأما العقل فانه عبارة عن العلوم البديهيية
 وهذه العلوم هي رأس المال والنظر والفكر لا معنى له الا ترتيب علوم ليتوصل بذلك
 الترتيب الى تحصيل علوم كسبية فذلك العلوم البديهيية المسماة بالعقل رأس المال
 وتركيبها على الوجوه المخصوصة يشبه تصرف الناجر في رأس المال وتركيبها على
 الوجوه بالبيع والشراء وحصول العلم بالنتيجة يشبه حصول الربح وأيضا حصول
 القدرة على الاعمال يشبه رأس المال واستعمال تلك القوة في تحصيل الاعمال البر والخير
 يشبه تصرف الناجر في رأس المال وحصول أعمال الخير والبر يشبه الربح اذا ثبت
 هذان فتقول ان من أعطاه الله الحياة والعقل والتكهن ثم انه لم يستفد منها الا معرفة الحق
 ولا عمل الخير البتة كان محروما عن الربح بالكسبية واذا مات فقد ضاع رأس المال

الرسول أو الملائكة عند
 حضور الموت وحين
 يحشرون وبعد ذلك
 (في بشرى بادي الدين
 يستنون القول في تبينون
 أحسنه) هم الموسوفون
 بالاجتناب والانتابة
 بأعبانهم لكن وضع
 موضع ضميرهم الظاهر
 تشير بفالهم بالاضافة
 ودلالة على أن مدار
 انصافهم بالوصفين
 الجليلين كونهم نقادا
 في الدين يميزون الحق
 من الباطل ويوثرون
 الافضل فالافضل
 (أو انك) اشارة اليهم

بالكلية فكان ذلك خسرا فلهذا بيان كونه خسرا (واما الثاني) وهو بيان كون ذلك
 الخسران مبينا فهو أن امرئ يربح الزيادة ولكنه مع ذلك سلم من الآفات والضار فهذا
 كالم يحصل له من يدفع لم يحصل له أيضا من يضر رأيا هو لئلا الكفار فقد استعملوا عواهم
 التي هي رأس ما لهم في استخراج وجوه الشبهات وتقوية الجهالات والضلالات
 واستعملوا قواهم وقدرهم في افعال الشر والباطل والفساد فهم قد جمعوا بين أمور
 في غاية الرداءة (أولها) أنهم اتعبوا أيدئهم وعقرواهم طلبا في تلك العقائد الباطلة
 والاعمال الفاسدة (وثانيها) أنهم عند الموت يضيع عنهم رأس المال من غير فائدة
 (وثالثها) أن تلك المناعب الشديدة التي كانت موجودة في الدنيا في نصرته تلك الضلالات
 تصير أسبابا للعتوبة الشديدة والبلاء العظيم بعد الموت وعند الوقوف على هذه المعاني
 يظهر انه لا يبقا خسرا أقوى من خسراهم ولا حرمان أعظم من حرمانهم ونسود بالله
 منه ولما شرح الله تعالى أحوال حرمانهم عن الربح وبين كيفية خسراهم بين أنهم
 لم يقصروا على الحرمان والخسران بل ضموا اليه استحقاق العذاب العظيم والعقاب
 الشديد فقال لهم من فوقهم ظل من انار ومن تحتهم ظل والمراد احاطة النار بهم من
 جميع الجوانب وتظيره في الاحوال النفسانية احاطة الجهل والحرمان والحرص وسائر
 الاخلاق الذميمة بالانسان فان قيل الظلال ما على الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلال
 والجواب من وجوه (الاول) انه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر كقوله
 وجزاء سيئة سيئة مثلها (الثاني) ان الذي يكون تحته يكون ظلة لانسان آخر تحته لان
 النار دركات كما أن الجنة درجات (والثالث) أن الظلة تختاب اذا كانت مشابهة
 للظلة الفوقانية في الحرارة والاحراق والايذاء اطلق اسم أحدهما على الآخر لاجل
 المماثلة والمشابهة قال الحسن هم بين طبقتين من النار لا يدرون ما فوقهم أكثر مما تحتهم
 وتظير هذه الآية قوله تعالى يوم يغشاهاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقوله
 تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ثم قال تعالى ذلك يخوف الله به عباده أي
 ذلك الذي تقدم ذكره من وصف العذاب وقوله ذلك مبتدأ وقوله يخوف الله به عباده
 خبر وفي قوله يخوف الله به عباده قولان (الاول) التقدير ذلك العذاب الممدد للكفار هي
 الذي يخوف الله به عباده أي المؤمنين لانا بينا أن لفظ العباد في القرآن مختص بأهل
 الايمان وانما كان تقويها للمؤمنين لاجل انهم اذا سمعوا ان حال الكفار ما تقدم خافوا
 فأخلصوا في التوحيد والطاعة (الوجه الثاني) ان هذا الكلام في تقدير جواب عن
 سؤال لانه يقال انه تعالى غني عن العالمين معز عن الشهوة والانتقام وداعية الايذاء
 فكيف يليق به أن يعذب هؤلاء المساكين الى هذا الحد العظيم وأجيب عنه بأن المقصود
 منه تخويف الكفار والضلال عن الكفر والضلال فاذا كان التكليف لا يتم الا
 بالتخويف والتخويف لا يكمل الانتفاع به الا بدخال ذلك الشيء في الوجود ووجب ادخال

باعتبار اتصافهم بما
 ذكر من التعمت الجليلة
 وما فيه من معنى البعد
 الايذان بعلو رتبهم
 وبعدم منزلتهم في الفضل
 ومحل الرفع على الابتداء
 خبره ما بعده من
 الموصول أي أو تلك
 المذموتون بالمخاسن
 الجليلة (الذين هدام
 الله) للدين الحق
 (وأولئك هم أولو
 الاسباب) أي هم
 أصحاب العقول
 السليمة عن معارضة
 الوهم ومنازعة الهوى
 المستحقون للهداية

ذلك النوع من العذاب في الوجود تخصصاً لذلك المطلوب الذي هو التكليف (والوجه
 الاول) عندى أقرب والدليل عليه انه قيل بعده يا عباد فأتقون وقوله يا عباد الاظهر
 منه ان المراد منه المؤمنون فكأنه قيل المقصود من شرح عذاب الكفار للمؤمنين
 تحذير بقى المؤمنين فبايها المؤمنون بانواع الخوف والحذر والتقوى * قوله تعالى
 (والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وأنا ابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى
 الذين يستمعون أقوال فيقيمون أحسنه أو تلك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا
 الآلآب أفن حق عليه كلمة العذاب أنابت تخد من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم
 عريف من قوم يعرفونهم من تحتها الأنيار وعباد الله لا يخاف الله المهاد) اعلم ان
 الله تعالى لا يذكر وعيد عبدة الأستنام والأوثان ذكر وسد من اجتناب عبادتها واحترز
 عن الشرك ليكون الوعد مقروناً بما وعيد أبداً فيحصل كلال الترهيب والترهيب وفيه
 مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف الطاغوت فعلوت من الطغيان
 كالمكوت والرحوت الآن فيها قلباً بتقديم اللام على العين وفي هذا ألفاظ أنواع من
 المبالغة (احدها) التسمية بالمصدر كان عين ذلك الشئ الطغيان (وثانيها) ان البناء
 بناء المبالغة فان الرحوت الرحمة الواسعة والمكوت الملك المتوسط (وثالثها) ما ذكرنا
 من تقديم اللام على العين ومثل هذا أعما بصار اليه عند المبالغة (المسئلة الثانية)
 اختلفوا في أن المراد من الطاغوت ههنا اشيطان أم الأوثان فقيل انه الشيطان فان
 قيل أنهم ما عبدوا الشيطان وأنما عبدوا الصنم قلنا الداعي الى عبادة الصنم لما كان هو
 الشيطان كان الاقدام على عبادة الصنم عبادة للشيطان وقيل المراد بالطاغوت الصنم
 وسميت طواغيت على سبيل المجاز لانه لا فعل لها والطغاة هم الذين يعبدونها الا انما
 حصل الطغيان عند مشاهدتها والقرب منها وصفت بهذه الصفة اطلاقاً لاسم المسبب
 على السبب بحسب الظاهر وقيل كل ما يعبد ويطاع من دون الله فهو طاغوت ويقال
 في التواريخ ان الاصل في عبادة الأستنام ان القوم كانوا مشبهة اعتقدوا في الاله انه نور
 عظيم وفي الملائكة انها أنوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل وصوراً على وفق
 تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقاد أنهم يعبدون الله والملائكة
 وأقول حاصل الكلام في قوله والذين اجتنبوا الطاغوت أى أعرضوا عن عبودية كل
 ما سوى الله قوله تعالى وأنا ابوا الى الله أى رجعوا بالكلية الى الله ورأيت في السفر
 الخامس من التوراة ان الله تعالى قال لموسى يا موسى أجب الهك بكل قلبك وأقول
 مادام يبقى في القلب الفغات الى غير الله فهو ما أجب الهه بكل قلبه وانما تحصل الاجابة
 بكل القلب اذا أعرض القلب عن كل ما سوى الله من باب الطاعات فكيف يعرض عنها مع
 انه بالحس يشاهد الاسباب الفضية الى المسببات في هذا العالم قلنا ليس المراد من اعراض
 القلب عنها أن يقضى عليها بالعدم فان ذلك دخول في السفسطة وهو باطل بل المراد ان

لاغيرهم وفيه دلالة
 على ان الهداية
 تحصل بفعل الله تعالى
 وقبول النفس لها (أفمن
 حق عليه كلمة العذاب
 أفأت تقعد من في
 النار) بيان لاحوال
 أمجاد المذكورين
 على طريقة الاجال
 وتحويل عليهم بحرمان
 الهداية وهم عبدة
 الطاغوت واتبعو
 خبطواتها كما يلوح به
 التعبير عنهم بن حق
 عليه كلمة العذاب فان
 المراد بها قوله تعالى
 لا يابس لاملان جهمهم
 منك ومن تبعك منهم
 أجمعين وقوله تعالى
 لمن تبعك

يعرف أن واجب الوجود لذاته واحد وان كل ما سواه فانه يمكن الوجود لذاته وكل ما كان
 ممكننا لذاته فانه لا يوجد الا بتكوين الواجب وايجاده ثم انه سبحانه وتعالى جعل تكوينه
 للاشياء على قسمين منها ما يكون بغير واسطة وهي عالم السموات والارض طابا ما يكون
 بواسطة وهو عالم العناصر والعالم الاسفل فاذا عرفت الاشياء على هذا الوجد عرفت أن
 الكل لله ومن الله وبالله وأنه لا مدبر الا هو ولا مؤثر غيره وحينئذ ينتظم نظره عن هذه
 الممكنات ويرى مشغول القلب بالوثر الاول والوجد الاول فانه ان كان قد وضع الاسباب
 الروحانية والجسمانية بحيث يناسى الى هذا المذلوب فهذا الشيء يحصل وان كان قد وضع
 بحيث لا يتقضى الى حصول هذا الشيء لم يتصل وانهما الطريق يتفهم نظره عن الكل
 ولا يبقى في قلبه التفات الى الشيء الا الى الوجود الاول وقد اتفق اني كنت أسمع بعض
 الصبيان في حفظ العرض والمال فعارضني وقال لا يجوز الاعتقاد على الجن واليهود بل يجب
 الاعتقاد على قضاء الله وقدره فنلت هذه كلمة حقة منها ولكنها ما عرفت معناها وذلك
 لانه لا شبهة ان الكل من الله تعالى الا انه سبحانه تدبر الاشياء على قسمين منها ما جعل حدوثه
 وحصوله معلوما باسباب معاومة ومنها ما يحدثه من غير واسطة هذه الاسباب (أما القسم
 الاول) فهو حوادث هذا العالم الاسفل (وأما القسم الثاني) فهو حوادث هذا العالم الاعلى
 واذا ثبت هذا فنقول من طلب حوادث هذا العالم الاسفل لامن الاسباب التي عينها
 الله تعالى لها كان هذا الشخص منازعا لله في حكمته مخائفا في تدبيره فان الله تعالى
 حكم بحدوث هذه الاشياء بناء على تلك الاسباب المعينة المعالومة وأنت تريد تخصيصها
 لامن تلك الاسباب فهذا هو الكلام في تحقيق الاعراض عن غير الله والاقبال
 بالكلية على الله تعالى فقوله تعالى والنين اجنبوا الطاغوت اشارة الى الاعراض عن
 غير الله وقوله تعالى وأنابوا الى الله اشارة الى الاقبال بالكلية على عبادة الله ثم انه تعالى
 وعد هؤلاء يا شبيا (أحدها) قوله تعالى لهم البشرى واعلم ان هذه الكلمة تتعلق
 بجهات (أحدها) ان هذه البشارة متى تحصل فنقول انها تحصل عند القرب من الموت
 وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبر وعند الوقوف في عرصة القيامة وعند
 ما يصير فريق في الجنة وفريق في السعير وعند ما يدخل المؤمنون الجنة فن كل موقف
 من هذه المواقف تحصل البشارة بنوع من الخير والروح والراحة والرحمان (وثانيها)
 ان هذه البشارة فيما اذا تحصل فنقول ان هذه البشارة تحصل بزوال المكروهات
 وبحصول المرادات اما زوال المكروهات فقوله تعالى أن لا تخافوا ولا تحزنوا وال خوف
 انما يكون من المستقبل والحزن انما يكون بسبب الاحوال الماضية فقوله ان لا تخافوا
 يعني لا تخافوا فيما تستقبلونه من احوال القيامة ولا تحزنوا بسبب ما فاتكم من خيرات
 الدنيا ولما أزال الله عنهم هذه المكروهات بشرهم بحصول الخيرات والسعادات فقال
 وأبشروا بالجنة وقال أيضا في آية أخرى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم

منهم لا ملان جهنم
 منكم أجمعين وأصل
 الكلام أمن حق عليه
 كلمة العذاب فانت تنفذه
 على أنها شرطية دخل
 عليها الهمزة لانكار
 مضموها ثم الفاء
 لعطفها على جملة
 مستتمة لها مقدرة
 بعد الهمزة ايتعلق
 الانكار والتقي
 بمضمونها معا أي
 أنت مالك أمر الناس
 فن حق عليه كلمة
 العذاب وأنت تنفذه
 ثم كررت الهمزة
 في الجزاء لا أكد
 الانكار وتذكيره
 لما طال الكلام ثم وضع
 موضع الضمير من في النار

الفاعل فهو الله سبحانه وهو المراد من قوله أولئك الذين هداهم الله وأما القابل فإليه الإشارة بقوله وأولئك هم أولوالآلآب فان الإنسان ما لم يكن عاقلاً كامل الفهم امتنع حصول هذه المعارف الحقيقية في قلبه وإنما قلنا ان الفاعل لهذه الهداية هو الله وذلك لان جوهر النفس مع ما فيها من نور العقل قابل للاعتقاد الحق والاعتقاد الباطل وإذا كان الشيء قابلاً للاضدين كانت نسبة ذلك القابل اليهما على السوية ومتى كان الامر كذلك امتنع كون ذلك القابل سياراً بجان أحد الطرفين ألا ترى أن الجسم لما كان قابلاً للحركة والسكون على السوية امتنع أن تصير ذات الجسم سياراً بجان أحد الطرفين على الآخر فان قائلوا لا نقول ان ذات النفس والعقل يوجب هذا الراجح بل نقول انه يريد تحصيل أحد الطرفين فتصير تلك الإرادة سياراً لذلك الراجح فتقول هذا باطل لان ذات النفس كما انها قابلة لهذه الإرادة فكذلك ذات العقل قابلة للإرادة فممتنع أن يكون جوهر النفس سياراً لتلك الإرادة فثبت ان حصول الهداية لا بد لها من فاعل ومن قابل (أما الفاعل) فممتنع أن يكون هو النفس بل الفاعل هو الله تعالى (وأما القابل) فهو جوهر النفس فلهذا السبب قل أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوالآلآب ثم قال أفن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ من في النار وفيه مسائل (المسئلة الأولى) في نطق الآية سؤال وهو انه يقال انه قال أفن حق عليه كلمة العذاب ولا يصح في الكلام العربي أن يدخل حروف الاستفهام على الاسم وعلى الخبر معاً فلا يقال أزيد أنتقله بل ههنا شئ آخر وهو انه كما دخل حرف الاستفهام على الشرط وعلى الجزاء فكذلك دخل حرف النفي عليها معارفاً بقوله أفن حق أفأنت تتخذ ولاجل هذا السؤال اختلف النحويون وذكروا قيد وجوهاً (الأول) قال الكسائي الآية جملتان والتقدير أفن حتى عليه كلمة العذاب أفأنت تصعيد أفأنت تتخذ من في النار (الثاني) قال صاحب الكشاف أصل الكلام أفن حتى عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ وهي جملة شرطية دخل عليها همزة الإنكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت انفاء التي في أوها لطف على محذوف يدل عليه الخُطاب والتقدير أفأنت مالك أمرهم فن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تتخذ والهمزة الثانية هي الأولى كررت لتوكيد معنى الإنكار والامتداد ووضع من في النار موضع الضمير والآية على هذا جملة واحدة (الثالث) لا يبعد أن يقال ان حرف الاستفهام اذا ورد ههنا لإفادة معنى الإنكار ولما كان استنكاره هذا المعنى كاملاً تماماً لا يجرم ذكر هذا الحرف في الشرط وأما في الجزاء تنبيهها على المبالغة التامة في ذلك الإنكار (المسئلة الثانية) احتج الأصحاب بهذه الآية في مسألة الهدى والضلال وذلك لانه تعالى قال أفن حتى عليه كلمة العذاب فإذا حقت كلمة العذاب عليه امتنع منه فعل الإيمان والضلالة والألزم انقلاب خبر الله الصدق ككذباً وانقلاب علمه جهلاً وهو محال (والوجه الثاني) في الاستدلال بالآية انه تعالى حكى بأن

وهم المخاطبون أيضاً فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وبين أن لها درجات عالية في جنات التيمم يقابلها ما لا تكفره من درجات سافلة في الجحيم أي لهم تلالى بعضها فوق بعض (مبيناً) بناء المنازل المبنية المؤسسة على الأرض في الرصانة والاحكام (تجري من تحتها) من تحت تلك الغرف (الأنهار) من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعداً لله) مصدره وكذا قوله تعالى لهم غرفا لعلهم يعدون أي وعد (لا يخاف الله المياد) لاستحالة عليه سبحانه

(الم تر ان الله انزل من السماء ماء) استئناف واراداما التمثيل الحياة الدنيا في سعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها ووزينتها وتحذيرا **﴿ ٢٤٩ ﴾** من الاعتزاز بزهرتها كما في اطار قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الآياتة والاستشهاد

حقيقة كلمة العذاب توجب الاستنكار التام من صدور الايمان والطاعة عنه ولو كان ذلك ممكنا ولم تكن حقيقة كلمة العذاب مانعة منه لم يبق لهذا الاستنكار والاستبعاد معنى (المسئلة الثالثة) احتج القاضي بهذه الآية على ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشتم لاهل الكفر بما رآه لان الله تعالى يحق عليهم العذاب فذلك السقاة تكون جارية بحرى انقاذهم من النار وان الله تعالى حكم عليهم بالانكار والاستبعاد فيقال له لانسل ان اهل الكفار قد حق عليهم العذاب وكيف يحق العذاب عليهم مع ان الله تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومع قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا والله أعلم (النوع الثاني) من الاشياء التي وعدها الله هولاء الذين اجنبوا وانابوا قوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية وهذا كالتقابل لما ذكر في وصف الكفار انهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال فان قيل ما معنى قوله مبنية قلت لان المنزل اذا بنى على منزل آخر تحته كان القوقاي اضعف بناء من الختاني قوله مبنية معناه انه وان كان فوق غيره لكند في القوة والشدة مساو للمنزل الاسفل والحاصل ان المنزل القوقاي والختاني حصل في كل واحد منهما فضيلة ومنتفعة اما القوقاي فضيلته العلو والارتفاع ومنتصاته الرخاوة والسخافة واما الختاني فبالضد منه اما منازل الجنة فانها تكون مستجمعة لكل الفضائل وهي عالية مرتفعة وتكون في غاية القوة والشدة وقال حكماء الاسلام هذه الغرف المبنية بعضها فوق البعض مثله من الاحوال النفسانية العلوم الكسبية فان بعضها يكون مبنيا على البعض والنتائج الآخرة التي هي عبارة عن معرفة ذات الله وصفاته تكون في غاية القوة بل تكون في القوة والشدة كالعلوم الاصلية البديعية ثم قال فيجري من تحتها الانهار وذلك معلوم ثم ختم الكلام فقال وعذابه لا يظلم الله المراد فقوله وعذابه مصدر مؤن كمدلان قوله لهم غرف في معنى وعذابه الله ذلك وفي الآية دققة غير يفوهي انه تعالى في كثير من آياته او عند صرح بأن هذا وعذابه وان لا يظلم وعذابه كذا كذا في آيات الوعيد البتة بل هذا التأكيدي والتقويدي وذلك يدل على ان جانب الوعيد ارجح من جانب الوعيد بخلاف ما يقوله المعتزلة فانوا ليس الله قال في جانب الوعيد ما يدل القول لدى وما نابضلام للعيد فبقوله ما يدل القول لدى ليس تصرح بجانب الوعيد بل هو كلام عام يتناول القسمين اعني الوعيد والوعيد فقلت ان الترجيح الذي ذكرناه حق والله أعلم بقوله تعالى (الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يخرج فتراه سجودا ثم يجعله حطابا ان في ذلك لذكرى لاولى الاباب) اعلم انه تعالى لما وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة العنيفة لاولى الاباب فيها ووصف الدنيا بصفة توجب اشتداد التفرقة عنها وذلك انه تعالى بين انه انزل من السماء ماء وهو المضر وقيل كل ما كان في الارض فهو من السماء ثم انه تعالى ينزله الى بعض المواضع ثم يسعه فسلكه ينابيع في الارض أي فيدخله وينفذ

على تحقق الموعد من الامهار الجارية من تحت العرف بما شاهد من انزال الماء من السماء وما يرتب عليه من آثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بل الماء المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يسعه الله تعالى بين البقاع (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينابيع في الارض) أي عيونها ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياهها تابعة لها فان الينابيع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول ينزع الجار أي في ينابيع (ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) أصنافه من ير وشعير وغير هذا وكيفياتها من الالوان والاصنوع وغيرهما وكلمة ثم العارضي في الرتبة او الزمان وصيغة الخضارع لاصحها اشار الصورة (ثم يخرج) أي ثم يخرجها وأشرف على اعلى أن نور من نباته (فتراه مصفرا) من بعد **﴿ ٣٢ ﴾** سا خضرته ونضرتة وقرى مصفرا (ثم يجعله حطابا) فثابا تكسرة كأن لم تغير بالامر ولكن هذه

كأن لم تغير بالامر ولكن هذه

العقول الخالصة عن شوائب الخلال وتبنيها لهم على حقيقة الخلال عند كون بذلك أن حال الحياة الدنيا في سرعة التفتي والانعساق كما يشاهدونه من حال الخلق كل عام فلا يفتنون بها ولا يفتنون بفتنتها أو يجزمون بأن من قدر على إزالة المساء من السماء واجراءه في شايخ الأرض قادر على اجراء الانهار من تحت العرف هذا وأما ما قيل أن في ذلك التذكرة أو تبيينها على أنه لا بد من صنائع حكيم وأنه كان من تقدير وتبيين الخلق في القول والمحال في القول من تفسير الآية الكريمة وإنما يلحق ذلك بالوذكر ما ذكر من الآثار والافعال الجارية من غير اسناد لها إلى مؤثرها فحيث ما ذكرت مستندة إلى الله عز وجل فهو أن يكون متعلقا بالتذكرة والتبني شأنه تعالى أو شؤن آثاره حيا بين الوجوده تعالى

يتابع في الأرض عبونا ومسالك وبحارى كالعروق في الاجسام ثم يخرج به زرع مختلفا ألوانه من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو مختلفا أصنافه من بر وشعر وسهم ثم يخرج بذلك لأنه إذ تم حقاؤه جازله أن يفصل عن منابته وان لم تفرق أجزاؤه فذلك الاجزاء كأنها اجت لان تفرق ثم يصير حطاما يابسا ان في ذلك لذكرى بمعنى ان من شاهد هذه الاحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والانسان كذلك وأنه وان طال عمره فلا بد له من الانتهاء إلى أن يصير مصفرا اللون من معظم الاعضاء والاجزاء ثم تكون عاقبة الموت فإذا كانت مشاهدة هذه الاحوال في النبات تذكره حصول مثل هذه الاحوال في نفسه في حياته فحينئذ تظم نفقته في الدنيا وطيباتها والحاصل انه تعالى في الآيات المتقدمة ذكر ما يقوى الرغبة في الآخرة وذكر في هذه الآية ما يقوى النفرة عن الدنيا وشرح صفات القيامة يقوى الرغبة في طاعة الله وشرح صفات الدنيا يقوى النفرة عن الدنيا وانما قدم الترهيب في الآخرة على التنفير عن الدنيا لان الترهيب في الآخرة مقصود بالذات والتنفير عن الدنيا مقصود بالعرض والمقصود بالذات مقدم على المقصود بالعرض فهذا تمام الكلام في تفسير الآية بقى ههنا ما يتعلق بالبحث عن الانفساط قال الواحدى والنساجيع جمع ينبوع وهو يقول من ينبع ينبع يقال ينبع الماء ينبع وينبع ثلاث افعال ذكرها الكسائي والقراء وقوله ينبع نصب بمعنى الخافض لان التقدير فسلكه في شايخ ثم يخرج أى يخضر والحطام ما ينجف ويفت ويكسر من التبت لقوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ذوريل لقب أسبقا ويومهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مما لن تقص منه جاودالدين خشونتهم ثم تدين جاودهم وقولهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهديهم من يشاء ومن ضل عن الله فاستأذ من هاد أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة قبل الظالمون ذنوبنا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وأذاهم الله الخرى في الحياة الدنيا والعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون وقد تاملت بالنس في هذا القرآن من كل مثل اعلمهم يتذكرون قرآنهم يساغفروا ذى عوج اعلمهم يقون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى ما بالغ في تقرير البيانات الساتعة وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى وجوب الاضرار عن الدنيا بين بعد ذلك أن الانتفاع بهما البيانات لا يكمل الا اذا شرح الله الصدور ونور القلوب فقال أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه واعلم اننا بلغنا في سورة الانعام في تفسير قوله من يرده الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام في تفسير شرح الصدور وفي تفسير البداية والاساس إعادة الكلام قائل ههنا نقول انه تعالى خلق جواهر النفوس مختلفة بالماهية فبعضها خيرة نورانية شريفة مائلة إلى الالهييات عظيمة الرغبة في الاتصال بالروحانيات وبعضها ثلث كدرة خسية مائلة إلى الجسمانيات وهذا التفاوت أمر

وقوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بالحاصل

الآبَابُ وَشَرَحَ الصُّدُورَ لِلإِسْلَامِ عِبَارَةً عَنْ تَكْمِيلِ الاستعداد له فإنه محل القلب الذي هو منبع الروح التي تتعلق بها النفس القابلة للإسلام فأشراخه مستدع ﴿ ٢٥١ ﴾ لاتساع القلب واستضاءته بنوره فإنه روي

حاصل في جواهر النفوس البشرية والاستقراء يدل على ان الأمر كذلك إذا عرفت هذا فنقول المراد بشرح الصدور هو ذلك الاستعداد الشديد الموجود في فطرة النفس وإذا كان ذلك الاستعداد الشديد حاصلًا كفي خرجت تلك النفس من القوة إلى الفعل بأدنى سبب مثل الكبريت الذي يشتعل بأدنى نار أما إذا كانت النفس بعيدة عن قبول هذه الجلائيا القدسية والاحوال الرومانية بل كانت مستترفة في طلب الحسنيات قليلة التأثير عن الاحوال المناسبة للاهبات فكانت قابلة كقوة طليانية وإنما كان إيراد الدلائل القوية والبراهين الباهرة عليها أكثر كانت قسوة وإرتدادها عن قبول هذه القاصدة فتقول أما شرح الصدور فهو ما ذكرناه وأما التوراة وعبارة عن الهداية والمرقاة ولم يحصل شرح الصدور أولًا لم يحصل النور تارة وإنما كان الحاصل هو القوة النفسانية لم يحصل الانتفاع البتة لجماع الدلائل وربما حار جوامع السلائخ حيلان زيادة القسوة واشدة النفرة فهذه أصول قياسية يجب أن تكون معلومة عند الإنسان حتى يحصل كمال الوقوف على معاني هذه الآيات أما استدلال أصحابنا في مسألة الجبر والقدر وكلام الخسوم عليه فقد تقدم هناك والله أعلم (المسئلة الثانية) من عريف الخبر كافي قوله أمن هو قانت والتقدير أمن شرح الله صدره للإسلام فاعترى كمن طمع على قلبه فلم يهتد لتسوته والجواب متروله لأن الكلام المذكور دل عليه وهو قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله (المسئلة الثالثة) قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله فيدسوا له وهو ان ذكر الله سبب لحصول النور والهداية وزيادة الاطمئنان كما قلنا لا بد ذكر الله تطمئن القلوب فكيف جعل في هذه الآية سببًا لحصول قسوة القلب والجواب أن يقول ان النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات شديدة الميل إلى الطبايع البهيمية والاخلاق الذميمة فإن ساعدتها الذكر الله يزيد قسوة وكدورة وتقر بهذا الكلام بالأمثلة فإن الفاعل الواحد يختلف أفعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس يسود ووجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتجمد الملح وقد نرى انسانا واحدا يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد فيستطيبه واحد ويستكرهه غيره وما ذاك إلا ما ذكرناه من اختلاف جواهر النفوس ومن اختلاف أحوال تلك النفوس ولما نزل قوله تعالى واقدخنا الانسان من سلالة من طين وكان قد حضر هناك عمر بن الخطاب وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر قال كل واحد منهم فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكتب فهكذا أنزلت فازداد عمر ايمانا على ايمان وازداد ذلك الانسان كفرا على كفر إذا عرفت هذا لم يعد أيضا أن يكون ذكر الله يوجب النور والهداية والاطمئنان في النفوس الفساهرة الروحانية ويوجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة الشيطانية إذا عرفت هذا فنقول ان رأس الادوية التي تفيد الصحة الروحانية ورئيسها

قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلبه فاعلام ذلك قال عليه الصلاة والسلام الا تابة الى دار الخلود والنجاة عن دار الغرور واليابس الموت قبل نزوله والكلام في العمرة والله كافي من في قوله تعالى أمن حتى عليه كلمة العذاب وخبر من عذوب الملائكة ما يمدد عليه والهداية لكل الناس سوا من شرح الله صدره أي فقدمت شرح الصدر مستدع للإسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير العوارض المكتسبة القادمة فيها (فهو) بموجب ذلك منتقرا (على نور) عظيم (من ربه) وهو اللطيف الالهي الفائق عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والنوفيق الالهي بها إلى الحق كمن قسا قلبه وخرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات النفي والضلالة فأعرض عن تلك الآيات

بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يعتنقها (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أي من أجل ذكره الذي حقق أن تشبه حله الصدور .

وتضمن به القلوب أي إذا ذكر الله تعالى عندهم أو آياته سبحانه وأمن أجله وازدادت ثقلو بهم فساوة كقوله تعالى قرابتهم
ريحسا وقري أي عن ذكر الله أي عن قبوله (أولئك) الجداء (٢٥٢) الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب

هو ذكر الله تعالى فإذا اتفق لبعض القوم أن صار ذكر الله تعالى حيا لا يزيدا عن غيرها
كان من من الله النفس من صفة تريحى زواله ولا يوقم علاجه وكانت في نهاية الأمر
والرأفة فها هنا المعنى قال تعالى فويل للذين كفروا بغيرهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين
وهذا الكلام كامل يمتنع ولما بين تعالى ذلك أردفه بإيدل على أن القرآن سبب حصول
النور والشفقة والهداية وزيادة الأطمئنان والمقصود منه بيان أن القرآن لما كان
موصوفه بهذه الصفات ثم إن في حق ذلك الإنسان صار سبب لما يدعى قساوة دل ذلك على أن
جوهر تلك النفس قد بلغ في الرذالة والفساسة إلى أقصى الغايات فنقول إنه تعالى وصف
القرآن بأنواع من صفات الكمال (الصفة الأولى) ذواته تعالى الله نزل أحسن الحديث
وفيه مسائل (المسئلة الأولى) القساوة من حدوث القرآن احتجوا بهذه الآية من وجوه
(الأول) أنه تعالى وصفه بكونه حديثا في هذه الآيات وفي آيات أخرى منها قوله تعالى
فلما أتوا بحديث مثله ومذها قوله تعالى أفبهذا الحديث أنتم مدهون والحديث لا يدوان
يكون حادثا فالويل الحديث أقوى في الدلالة على الحدوث من الحادث لأنه يصحح أن يقال
هذا حديث وليس عتيق وهذا عتيق وليس بحديث ولا يصحح أن يقال هذا عتيق وليس
بحدوث فثبت أن الحديث هو الذي يكون قريب العهد بالحدوث وسمى الحديث حديثا
لأنه مؤلف من الحروف والكلمات وتلك الحروف والكلمات تحدث حالا فحالا وساعة
فساعة فهذا تمام تقرير هذا الوجه (أما الوجه الثاني) في بيان استدلال القوم أن قالوا
إنه تعالى وصفه بأنه نزل والمترى يكون في محل تصرف الغير وما يكون كذلك فهو محدث
وحادث (وأما الوجه الثالث) في بيان استدلال القوم أن قالوا إن قوله أحسن الحديث
يشتمل أن يكون هو من جنس سائر الأحاديث كان قوله زيدا أفضل الأخوة يقتضى أن
يكون زيدا مشاركا له في صفات الأخوة ويكون من جنسهم فثبت أن القرآن
من جنس سائر الأحاديث ولذا كان سائر الأحاديث حادثا ويجب أيضا أن يكون القرآن
حادثا (أما الوجه الرابع) في الاستدلال أن قالوا إنه تعالى وصفه بكونه كتابا والكتاب
مشتق من الكتابة وهي الاجتماع وهذا يدل على أنه مجتموع على عامه ومحل تصرف من تصرف
وذلك يدل على كونه محدثا (والجواب) أن نقول نحمل هذا الدليل على الكلام المؤلف من
الحروف والأصوات والألفاظ والعبارات وذلك الكلام عندنا يحدث مخلوق والله أعلم
(المسئلة الثانية) كون القرآن أحسن الحديث أما أن يكون أحسن الحديث بحسب
لفظه أو بحسب معناه (القسم الأول) أن يكون أحسن الحديث بحسب لفظه وذلك من
وجهين (الأول) أن يكون ذلك الحسن لاجل الفصاحة والجزالة (الثاني) أن يكون
بحسب النظم في الأسلوب وذلك لأن القرآن ليس من جنس الشعر ولا من جنس الخطب
ولا من جنس الرسائل بل هو نوع يخالف الكل مع أن كل ذي طبع سليم يستطيه ويستلذه
(القسم الثاني) أن يكون كونه أحسن الحديث لاجل المعنى وفيه وجوه (الأول) أنه

(في ضلال) بعد عن
الخلق (مبين) بظاهر كونه
ضلالا لكل أحد من
نزلت الآية في حيزه على
رضي الله عنهم وما وأي
أحب وولد وقيل في
تجار بن ياسر رضي الله
عنه وأي جهول وذو به
(الله نزل أحسن الحديث)
هو القرآن الكريم روى
أن أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ما واهل فقالوا له عليه
الصلوة والسلام حدثنا
حديثا وعن ابن مسعود
وابن عباس رضي الله
عنه قالوا الواحد تناسبا
فتركت والمعنى أن فيه
مندوحسة عن سائر
الأحاديث وفي ارتفاع
الاسم الجليل ببدأ أو بناء
نزل عليه من تعظيم أحسن
الحديث ورفع تحسبه
والاستنهاد على حسنه
وتأكيد استناد إليه تعالى
وأنه من عنده لا يمكن
صدوره عن غيره والتبني
على أنه وحى عجز ما لا
يخلق (كتابا) يدل من
أحسن الحديث أحوال
منه سواء اكتسب من
المضاف إليه تعريفا

أولافان مساعف محي الحال من التكررة المضافة اتفاقا ووقوعه جالامع كونه أصحها ما لا تصافه كتاب
بقوله تعالى (متشابهها) أول كونه في قوة مكنوبا

ومعنى صكونه متشابهها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتداء على الحق والصدق واستباح منافع الخلق في المعاد والمعيش وتناسب أفعاله في الفساحة على ٢٥٣ في تجارب نفسه في الاستحسان (مثنى) صفة أخرى

كتاب منزله عن التناقض كما قال تعالى واوكان من عند غير الله لوجوهوا ليسوا اختلافاً كثيراً ومثل هذا الكتاب اذا خلا عن التناقض كل ذلك من المعجزات (الوحيد الثاني) اشتد على الشيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل (الوحيد الثالث) ان العلوم الوجودية فيه كثيرة جدا ومنبسطة على اعوار ان يقول العلوم النافذة هي ملازمة تسمى كتابها في قرابه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين ارحمن من رسله وتاوا سمعنا وأطعنا غير انك ربنا واليك المصير فهنا أحسن حسيط يمكن ذكر العلوم النافذة (أما القسم الاول) وهو الايمان بالله فاعلم ان لا يشغل على هذه اقسام من صفات الذات واصفات والافعال والاحكام والاسماء اما معرفة الذات فهي ان يعلم بوجود الله وفسده وبقائه وأما معرفة الصفات فهي نوعان (أحدهما) ما يجب تنزيهه عنده وهو كونه جوهرا من اجزا من الاعضاء والاجزاء وكونه مختصا بجزء وجهة ويجب ان يعلم ان الالفاظ الدالة على التنزيه أربعة ليس ولم وما ولا وهذه الاربعة المذكورة مذكورة في كتاب الله تعالى لبيان التنزيه اما كلمة ليس فتعني كونه شيء وأما كلمة لم فتعني لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأما كلمة ما فتعني له وما كان ربك نسيا ما كان له أن يتخذ من واد وأما كلمة لا فتعني لا تعني لا تأخذ سنة ولا نوم وهو بطعم ولا يطعم وهو يخبر ولا يخبر عليه وقوله في سبعة وثلاثين موضعاً من القرآن لا اله الا الله (وأما النوع الثاني) وهي الصفات التي يجب كونه موسوقاً بها من القرآن (فأولها) العلم بالله والعلم بكونه محدثاً من الازل تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض (وثانيها) العلم بكونه قادر على كل شيء في أول سورة القيامة يلي قادرين على أن نسوي بنانه وقال في آخر هذه السورة أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى (وثالثها) العلم بكونه تعالى علماً قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة (ورابعها) العلم بكونه عالماً بكل المعلومات قال تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله تعالى الله يعلم ما نحمل كل أتى (وخامسها) العلم بكونه حياً قال تعالى هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الذين (وسادسها) العلم بكونه من يد الله تعالى فمن يد الله أن يهديه يشرح صدره الاسلام (وسابعها) كونه سميعاً بصيراً قال تعالى وهو السميع البصير وقال تعالى انني معكم اسمع وأرى (وثامنها) كونه متكلماً قال تعالى واوان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر عدس من بعده سبعة أبحر ما نضدت كلمات الله (وتاسعها) كونه أمر قال تعالى لله الامر من قبل ومن بعد (وطاسرها) كونه رحماناً رحيماً متكافئاً تعالى الرحمن الرحيم ملك يوم الدين فهذا ما يتعلق بمعرفة الصفات التي يجب ان تصاف بها (وأما القسم الثالث) وهو الافعال فاعلم ان الافعال اما ارواح واما اجسام اما الارواح فلا سبيل لتوقف عليها الا لتلذذ كقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وأما الاجسام فهي اما العالم الاعلى واما العالم الاسفل اما العالم الاعلى فالبحث فيه من وجوه (أحدها) البحث عن أحوال السموات (وثانيها) البحث عن أحوال الشمس والقمر

(ثالثها) أحوال أخرى مسرورة وغيره من معنى مسرور ومكر لما أتى من قسده وأنبأه واحكامه وأوامره ونواهيته ووعده ووعيدته ووعظفه وقول كانه يبنى في الآخرة وقيل هو جرم مثني مقول من الثانية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكاتباً بانتهار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز أن ينصب على التمييز من متشابهها كما يقال رأيت رجلاً حسناً شمائل أي شمائله والمعنى متشابهة مثابة (تتشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) قول صفة لكاتباً أو حال منه انحصاره بالصفة والانظهر أنه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سماعه بعد بيان أوصافه في نفسه ولتقرر بكونه أحسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديداً وتركيبه من القشم وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعياً ود الإ

على معنى زائد يقال أقسر بخلدة وقف شعرة اذا عرض له خوف شديد من منكرها لدهمه بقلته والمراد اما بيان
اقراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول ﴿٢٥٤﴾ تلك الحالة وعروضها لهم بطريق

التحقيق والمعنى أنهم اذا سمعوا القرآن وقوارع آيات وعلمه أصابتهم هيبه وخشية نفسهم منها جلودهم وإذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى (ثم نلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمة تعالى وانسان يصبرح بها ايذانا بانها أول ما يخاطر بالبال عند ذكره تعالى (ذلك) أي الكتاب الذي شرح أحواله (هدى الله يهدي به من يشاء) أن يهديه بصرف مقدوره الى الهدى بما له فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى (ومن يضل الله) أي يخلق فيه الضلالة بصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكليسة وعدم تأثره بوعيده ووعده أصلا

قال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعني انزل النهار بظلمة حليشا والشمس والتمروا نجوم مسخرات بأمره (وثالثها) البحث عن أحوال الاضواء قال الله تعالى نور السموات والارض وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والتمر نورا (ورابعها) البحث عن أحوال الظلال قال الله تعالى لم ترالى ربك كيف مد الظلي ووشاه لجملة ساكنة (وخامسها) واختلاف الليل والنهار قال الله تعالى يكرر الليل على النهار ويكرر النهار على الليل (وسادسها) منافع النكاح قال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر (وسابعها) صفات الجنة قال تعالى وجنته عرضها كعرض السماء والارض (وثامتها) صفات النار قال تعالى لها سبعه أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (وثاسعها) صفات العرش قال تعالى الذين يعشرون العرش ومن حوله (وطاسرها) صفات الكرسي قال تعالى وسبع كرسيه السموات والارض (وحادي عشرها) صفات الأوح والقلم أما الأوح فتقول تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وأما القلم فتقول تعالى والقلم وما يسطره وأما شرح أحوال العالم الاقل (قواها) الارض وقد وصفها بصفات كثيرة (احداها) كونه مهدا قال تعالى الذي جعل لكم الارض مهدا (وثانيها) كونه مهدا قال تعالى ألم يجعل الارض مهدا (وثالثها) كونه كفاتا قال تعالى كفاتا أحياء وأمواتا (ورابعها) الدلول قال تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا (وخامسها) كونه باطلا قال تعالى والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فحلبا والكلام فيه طويل (وثانيها) البحر قال تعالى وهو الذي يحفر لكم انهارا كما ومنه المطر بنا (وثالثها) الهواء والرياح قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرايين يسي رحمة وقال تعالى وأرسلنا الرياح نافع (ورابعها) الآثار العلوية كالرعد والبرق قال تعالى ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيافته وقال تعالى فترى الودق يخرج من خلاله ومن هذا الباب ذكر الصواعق والاعطار وتراكم السحاب (وخامسها) أحوال الاشجار والثمار وأنواعها وأصنافها (وسادسها) أحوال الحيوانات قال تعالى ويث فيها من كل دابة وقال والانعام خلقها لكم (وسابعها) عجائب تكوين الانسان في أول الخلق قالوا وقد خلقنا الانسان من سلالة من طين (وثامتها) العجايب في سجدته وبصره ولسانه وعقله وفهمه (وثاسعها) توارخ الانبياء والملوك وأحوال الناس من أول خلق العالم الى آخر قيام القيامة (وطاسرها) ذكر أحوال الناس عند الموت وبعد الموت وكيفية البعث والقيامة وشرح أحوال السعداء والاشقياء فقد أشرنا الى عشرة أنواع من العلوم في عالم السموات والارض عشرة أخرى في عالم العناصر والقرآن مشتمل على شرح هذه الأنواع من العلوم العالية الرفيعة (وأما القسم الرابع) وهو شرح أحكام الله تعالى وتكاليفه فتقول هذه التكاليف اما أن تحصل في أعمال القلوب أو في أعمال الجوارح (أما القسم الاول) فهو المسمى بعلم الاخلاق وبيان تميز

أو ومن يتخذ (فاله من هاد) يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية هو الاخلاق والرجاء أثر هداية تعالى يهدي بذلك

الامر من يشاء من عباده ومن يضلل أي ومن لم يؤثر فيه لطفه لتسوية قلبه واصرارته على فجورة قتاله من هاذ من مؤثر فيه بشي قط (أفنى بوجهه) ٢٥٥ الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تبيان حال

الاخلاق الفاضلة والاخلاق الفاسدة والقرآن يشتمل على كل ما لا بد منه في هذا الباب قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتداء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (وأم الثاني) فهو الزكائيف الحاصلة في أعمال الجوارح وهو المسمى بعلم العقيد والقرآن مشتمل على جملة أصول هذا العلم على أكمل الوجود (وأم التسم الخامس) وهو معرفة أسماء الله تعالى نهومة كور في قوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوهن بأسمائها كما يحل بعرفة الله (وأم التسم الثاني) من الأصول المعتمدة في الإيمان الاقرار بالانصحة كما قال تعالى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته والقرآن يشتمل على شرح صفاتهم تارة على سبيل الاجمال وأخرى على طريق التخصيل اما الاجمال فقوله وملائكته وأم الملائكة فيها ما يدل على كونهم رسل الله تعالى سبحانه الملائكة رسله ومنها الامارات وهذا العلم فان تعالى قاله سمعت أمرًا فالدبرات أمر أو فأتتني والنسافات دسة أو منها حلة العرش قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنها الملائكة حول العرش قال وتري الملائكة ساقين من حول العرش ومنها اخرها النار قال تعالى عليهما ملائكة خلاط شداد ومنها الكرام الكاتبون قال وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ومنها المعينات قال تعالى له معينات من بين يديهم ومن خلفه وقد يصل بأحوال الملائكة أحوال الجن والشياطين (وأم التسم الثالث) من الأصول المعتمدة في الإيمان معرفة الكتب والقرآن يشتمل على شرح أحوال الكتب آدم عايد السلام قال تعالى فإني آدم من ربك ومنها أحوال صحف ابراهيم عليه السلام قال تعالى وإذ انزلنا الي ابراهيم ربه بكلمات فاتين ومنها أحوال التوراة والانجيل والفرزير (وأم التسم الرابع) من الاصوار المعتمدة في الإيمان معرفة الرسل والله تعالى قد شرح أحوال بعضهم والاسم احوال الباقيين قال منهم من قصصنا عدائيت ومنهم من نامتس عليك (التسم الخامس) ما يتعلق بأحوال المكلفين وهي على ترتيب (الاول) ان يقولوا بوجوب هذه التكاليف عليهم وهو الذي اذعن قولا وقالوا سمعنا وأطعنا (والثاني) ان يعتزوا بفساد القصد منهم من تلك الاعمال ثم يطالبوا بالتغفرة وهو المراد من قوله فإني انك ربنا نعم الكاشف تفسير رؤية التفسير في موافقت اليهودية بحسب المكاشفات في مطابقة عن اليهودية أسسكم كانت المكاشفات في تفسير اليهودية أكثر وكان قوله فإني انك ربنا أكثر (التسم السادس) معرفة المعاد والبعث والقيامة وهو المراد من قوله واليك المصير وهذا هو الاشارة الى معرفة المطالب المحيطة في طلب الدين والقرآن بمر لا نهاية له في تقرير هذه المطالب وتربيتها وشرحها لارثي في مشارق الارض ومعاربها كتابا يشتمل على جملة هذه العلوم كما يشتمل القرآن عليها ومن تأمل في هذا التفسير علم اننا نذكر من حمار فضائل القرآن لا تشرقة وان كان الامر على هذه الجملة لا يحرم مدح الله عز وجل القرآن قال تعالى ان الله عز أحسن الحديث

المهتدي والفضال والكلام في الهمة والفناء وحذف الخبر كالذي مر في نظيره والتقدير أكل الناس سواء فمن شأنه أنه يبقى نفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه (سواء العناب أي العناب السبيء الشديد) يوم القيامة) لتكون يدك التي لم تكن حتى المكاره والمخاوف معاولة الى عنقه كمن هو آمن لا يمتريه مذكروه ولا يحتاج الى الالتئام بوجوده من الوجود وقيل نزلت في أبي جهل (وقيل للفقهاء) عطف على يتى أي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والقرار وقيل هو سال من ضمير يتى بإضمار قد ووضوح المذهب في مقام المفسر لا تجعل عليهم باطلم والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أي وبك ما كنتم

تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي (كذب الذين من قبلهم) استئناف مسوق لبيان

ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الذي يرى أن ما يصيب الكل من العذاب الاخرى أي كتب الذين من قبلهم من الامم السالفة (فأناهم العذاب) المقدس لكل ﴿ ٢٥٦ ﴾ أمة منهم (من حيث لا يشعرون)

والله أعلم (الصفة الثانية) من صفات القرآن قوله تعالى كتابا متشابها أما الكتاب فقد فسرناه في قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه وأما كونه متشابها فاعلم ان هذه الآية تدل على ان القرآن كله متشابه وقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات يدل على كون البعض متشابها دون البعض وأما كونه كله متشابها كما في هذه الآية فقال ابن عباس معناه انه يشبه بعضه بعضا وأقول هذا التشابه يحصل في أمور (أحدها) ان الكتاب يبلغ اذا كتب كتابا طويلا فانه يكون بعض كلماته فصحا ويكون البعض غير فصيح والقرآن يخالف ذلك فانه فصيح كامل الفصاحة بجميع أجزائه (وثانيها) ان الفصيح اذا كتب كتابا في واقعة بألفاظ فصيحة فلو كتب كتابا آخر في غير تلك الواقعة كان الغالب ان كلامه في الكتاب الثاني غير كلامه في الكتاب الاول والله تعالى حكى قصة موسى عليه السلام في مواضع كثيرة من القرآن وكلامه متساوية متشابهة في الفصاحة (وثالثها) ان كل ما فيه من الآيات والبيانات فانه يقوى بعضها بعضا ويؤكد بعضها بعضا (ورابعها) ان هذه الانواع الكثيرة من العلوم التي عددناها متشابهة متشابهة في ان المقصود منها بأسمائها الدعوى الى الدين وتقرير عظمة الله ولذلك فانك لا ترى قصة من القصص الا ويكون محصلها المقصود الذي ذكرناه فهذا هو المراد من كونه متشابها والله الهادي (الصفة الثالثة) من صفات القرآن كونه مثاني وقد بالغنا في تفسير هذه اللفظة عند قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والجملة فأكثر الاشياء المذكورة وقعت زوجين زوجين مثل الامر والنهي والعام والخاص والمجمل والمفصل وأحوال السموات والارض والجنة والنار والظلمة والضوء واللوح والقلم والملائكة والشياطين والعرش والكرسي والوصد والوعيد والرجاء والخوف والمقصود من بيان ان كل ما سوى الحق زوج ويدل على ان كل شيء مبتلى بتدبيره وتقيضه وان الفرد الاحد الحق هو الله سبحانه (الصفة الرابعة) من صفات القرآن قوله تفشع منه جلود الذين يتشون بهم ثم انهم جلودهم وقالوا بهم الى ذكر الله وفيد مسائل (المسئلة الاولى) معنى تفشع جلودهم تأخذهم قسرة وهي تعبير يحدث في جلد الانسان عند الوجع والخوف قال المفسرون والمعنى انهم عند سماع آيات الرحمة والاحسان يحصل لهم الفرح فتلين قلوبهم الى ذكر الله وأقول ان المحققين من العارفين قالوا السائر في مبدأ جلال الله ان نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان لاح اهم أن من عالم الجمال عاشوا ويجب علينا ان نذكر في هذا الباب من يد شرح وتقرير فتقول الانسان اذا تأمل في الدلائل الدالة على انه يجب تزيين الله من الجمال والجلية فهم هنا يتشعرون بجلده لان آيات موجوده لا تدخل العالم ولا خارج ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم بما يصعب تصور فلهذا تفشع جلودهم اما اذا تأمل في الدلائل الدالة على انه يجب ان يكون فردا أحدا وثبت ان كل تعبير فهم ومنقسم فهم هنا بلين جلده وقلبه الى ذكر الله وأيضا اذا أراد أن يحيط عقله بمعنى الازل فيتقدم في ذهنه

من الجهة التي لا يختصون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها (وأذا فهم الله الخزي) أي الذل والصغار (في الحياة الدنيا) كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال (والعذاب الآخرة) المعد لهم (أكبر) لشدة وسرمدية (او كانوا يعلمون) أي لو كان من شأنهم أن يعلموا شيئا من ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) يحتاج اليه الناظر في أمور دينه (لعلهم يتذكرون) كي يتذكروا به ويتعظوا (فرأنا عربيا) مال مؤكدة من هذا على أن مدار التأكد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا ومدح له (غير ذي هوج) لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل المراد بالهوج الشك (لعلهم يتقون) علة أخرى مترتبة على الاولى

﴿ بمقدار ﴾

﴿ بمقدار ﴾

(ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) ايراد لمثل من الامثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة في ضربها هو التذكير والاتعاظ بها وتخصيل القوى ﴿٢٥٧﴾ والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها

بقدار ألف ألف سنة ثم يتسم أيضا بحسب كل لحظة من لحظات تلك المدة ألف ألف سنة ولا يزال يتخلل ويتقدم ويتخيل في الذهن فإذا بلغ رتوغل ورتغل انى استحضرت معنى الأزل قال العقل هذا ليس بشئ لان كل ما استحضرت في فهو مشتاه والأزل هو الوجود القديم على هذه المدة المتناهية فههنا يتعبر العقل ويتشعر الجند وأما افتراء هذا الاعتبار وقال ههنا وجود والوجود اما واجب واما ممكن فان كان واجبا فهو دائما منزه عن الاول والاخر وان كان ممكنا فهو محتاج الى الواجب فيكون أزليا أدينا فإذا استبرأ العقل فههنا معنى الأزل فههنا بيان جلده وقليه الى ذكر الله فثبت ان المتكلمين المذكورين في الآية لا يجب قسرها على سماع آية العذاب وأيضا قوله ذلك أول تمام المراتب وبقده مراتب لاحدائها ولا حصر في حصول تلك الخصال المذكورتين (المسئلة الثانية) روى الواحدى في البسيط عن قتادة انه قال القرآن دل على أوليا الله موصوفون بأنهم عبد المكاشفات والشاهدات تارة ففسر بجلودهم وأخرى تارة بجلودهم ووافو بهم الى ذكر الله وليس فيه ان عقولهم تزول وأن أعضائهم تضطرب فدل هذا على أن تلك الاحوال لو حصلت لكانت من الشيطان وأقول ههنا بحث آخر وهو ان الشيخ أبانما مد الغزالي أورد مسئلة في كتاب احياء علوم الدين وهى أن ترى كثيرا من الناس يظهر عليه الوجود الشديد التام عند سماع الآيات المشتملة على شرح انوصل والهمير وعند سماع الآيات لا يظهر عليه شئ من هذه الاحوال ثم انه سلم هذا المعنى وذكر العذر فيه من وجوه كثيرة وأما قول انى خلقت محروما عن هذا المعنى فالى كما تأملت فى أسرار القرآن اشعر بجلدى ووقف على شمرى وحصلت فى قلبى دهشة وروعة وكما سمعت تلك الاشعار غاب الهزل على وما وجدت البتة فى نفسى منها أثرا وأظن أن المنهج التويم والصراط المستقيم هو هذا وبيانه من وجوه (الاول) ان تلك الاشعار تلك مسئلة على وصل وهير وبعض وحب تارة بالخلق والتبانه فى حق الله تعالى كثر وأما الانتقال من تلك الاحوال الى مسان لأنفة بجلال الله فلا يصل اليها الا العلماء الراسخون فى العلم واما ما انى انى يستل عليه القرآن فهى أحوال لأنفة بجلال الله فن وقف عليها عند نظم الولف فى قلبه فان كان عنده نور الايمان وجب أن يعظم اضطرابه عند سماع قوله وعند سماع آية لا يعلم الا هو الى آخر الآية (والثانى) وهو أنى سمعت بعض المشايخ قال فان الكلام له أثر فكذلك صدور ذلك الكلام من القائل المعين له أن لان قوة نفس النازل تعين على نفاذ الكلام فى الروح والقائل فى القرآن ههنا والله بواسطة جبريل ينبلغ الرسول المصوم والقائل ههنا شاعر كتاب ملو من الشهوة وداعية الفجور (والثالث) ان مدار القرآن على الدعوة الى الحق قال تعالى وانك تهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وأما الشعر فصار على الباطل قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فهذه الوجوه الثلاثة فروع ظاهرة واما ما يتعلق

وجعلها أمثالها كما مر فى سورة قيس ومثلا مقبول أن اضرب ورجلا مقبول الاول آخر عن الثانى وتشو بق اليدوية تسل به ما هو من تمام التى هى العدة فى التليل وفيه ليس اصله اشركاء كما قيل بل هو خبره وبيان انه فى الاصل كذلك مما لا حاجة اليه والجملة فى حيز انصب على أنه وصف رجلا أو الوصف هو الجار والمجرور وشركاء من تقع به على القافية لاعتماد على الموصوف فالعنى جعل الله تعالى مثلا للشرك حسيما وقد ائمه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبودية عبدا يتشارك فيه جماعة يتجادون به ويتعاورونه فى مهماتهم المتباينة فى ضميره وتوزع قلبه (ورجلا) أى الواحد مثلا رجلا (سما) أى خالصا (رجل) فرد ليس لغيره عليه سبيل أصلا وقرى سلمة بفتح السين وكسرهما مع سكن الام والتكلى مصدر من سلمه كذا أى خالص نعمت بها مبالغة وأحذف منها فو وقرى سالما وسلم أى وهناك ﴿٢٣﴾ سا رجل سالم أو تخصصى الرجل لانه أفطن لما يجرى عليه من الضرب

من الضرب

والنفع (هل يستويان مثلا) انكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على ابلغ وجهه وأكدته وايدان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر أحد أن يتفوه باستوائيهما أو يتعظم ﴿ ٢٥٨ ﴾ في الحكم بتباينهما ضرورة أن أحدهما

بالوجدان من النفس فان كل أحد انما يخبر عما يجده من نفسه والذي وجدته من النفس والعقل ما ذكرته والله اعلم (المسئلة الثالثة) في بيان ما بقى من المشكلات في هذه الآية وتذكرها في معرض السؤال والجواب (السؤال الاول) كيف تركيب لفظ القشغرية الجواب قال صاحب الكشاف تركيبه من حروف التشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رابعا ودال اعلى معنى زائد يقال اقشعر جلده من الحرق ويقف شعره وذلك مثل في شدة الخوف (السؤال الثاني) كيف قال تين جلودهم رقلو بهم الى ذكر الله وما الوجد في تعديده بحرف الي والجواب التقدير تين جلودهم وقولو بهم حال وصوابها الى حضرة الله وهو لا يتيسر بالادراك (السؤال الثالث) لم قال الى ذكر الله ولم يقل الى ذكر رحمة الله والجواب أن من أحب الله لا يجلب رحمة فهو ما أحب الله وانما أحب شيئا غيره وأما من أحب الله لا شيء سواه فهذا هو المحب الحق وهو الدرجة العالية فلهذا السبب لم يقل ثم تين جلودهم وقولو بهم الى ذكر رحمة الله بل قال الى ذكر الله وقديين الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى فمن يرده الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام وفي قوله لا يذكر الله تضحثن القلوب وأيضا قال لامة موسى يا بني اسرأبل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وقال أيضا لامة محمد صلى الله عليه وسلم فاذا ذكره في أذكركم (السؤال الرابع) لم قال في جانب الخوف قشغرية الجلود فقط وفي جانب الرجاء لين الجلود والقلوب معا والجواب لان المكاشفة في مقام الرجاء أكل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والشمر مطلوب بالعرض ومحل المكاشفات هو القلوب والارواح والله أعلم ثم انه تعالى لما وصف القرآن بهذه الصفات قال ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فإله من هادفة قوله ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله يهدي به من يشاء من عباده وهو الذي شرح صدره أو لا قبول هذه الهداية ومن يضل الله أي من جعل قلبه قاسيا مطلقا يلبد الفهم منافيا لقبول هذه الهداية فإنه من هاد واستدلال أصحابنا بهذه الآية وسؤالات المعتزلة وجوابات أصحابنا عين ما تقدم في قوله فمن يرده الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام أما قوله تعالى أفن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة فاعلم أنه تعالى حكيم على القاسية قلوبهم يحكم في الدنيا ويحكم في الآخرة أما حكمهم في الدنيا فهو الضلال التام كما قال ومن يضل الله فإنه من هادوأما حكمهم في الآخرة فهو العذاب الشديد وهو المراد من قوله أفن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وتقديره ان اشرف الاعضاء هو الوجه لانه محل الحسن والصلاح وهو أيضا صومعة الحواس وانما يتميز بهض الناس عن بعض بسبب الوجه وأثر السعادة والثقاوة لا يظهر الا في الوجد قال تعالى ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة اولئك هم الكفرة الفجرة ويقال لمقدم القوم بوجه العرب ويقال للطريق الدال على كنه حال الشيء وجهه كذا هو كذا فثبت بما ذكرنا ان اشرف الاعضاء هو الوجه فاذا وقع الانسان في

في أعلى عليين والآخر في أسفل سافلين وهو السرف في ايها المفاضل والمفضول وانتصاب مثلا على التمييز أي هل يستوي حالهما بوصفتهما والاقصا في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقري مثلين كقوله تعاد أكثرأموالا وأولادا الاشعار باختلاف النوع أولان المراد هل يستويان في الوصفين على أن الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيدالخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى (الحمد لله) تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتبيينه للموحدين على أن ما لهم من الزينة يتوفيق الله تعالى وأنهنعمة جليلة موجبة عليهم أن يداوموا على حمده وعبادته أو على أن يباينه تعالى بضرب المثل أن لهم المثل الاعلى والمشركين مثل السؤ صنع جبل واطف تام منه عز وجل مستوجب الحمد وعبادته وقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) اضراب وانتقال من بيان

﴿ نوع ﴾

عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان أن أكثر الناس وهم

نوع من أنواع العذاب فإنه يجعل يده وقاية لوجهه وفدائه واذا عرفت هذا فنقول اذا كان القادر على الاتقاء يجعل كل مأسوى الوجه فداء للوجه لاجرم حسن جعل الاتقاء بالوجه كناية عن العجز عن الاتقاء ونظيره قول التابعه
 ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بين فلول من قراع الكتاب
 أي لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس بعيب فلا عيب فيهم اذن بوجه من الوجود فكناهما لا يقدران على الاتقاء بوجه من الوجوه الا بالوجد وهذا ليس باتقاء فلا قدرة لهم على الاتقاء البتة ويقال ايضا ان الذي يلقي في النار يلقى مغلوبة يده الى عنقه ولا يتهيأ ان يتقى النار الا بوجهه اذا عرفت هذا فنقول جوابه محذوف وتقديره أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ثم قال تعالى وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ولما بين الله تعالى كيفية عذاب القاسية قلوبهم في الآخرة بين أيضا كيفية وقوعهم في العذاب في الدنيا فقال كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وهذا تنبيه على مال هو لاء لان اتقاء في قوله فأتاهم العذاب يدل على أنهم اعانواهم العذاب بسبب التكذيب فاذا كان التكذيب حاصلًا ههنا لزم حصول العذاب استدلالًا بالعلو على المعلوم وقوله من حيث لا يشعرون أي من الجهة التي لا يشعرون ولا يخطر ببالهم ان الشرر يأتيهم منها بينما هم آمنون اذا أتاهم العذاب من الجهة التي توقعوا الأمن منها ولما بين تعالى انه أتاهم العذاب في الدنيا بين أيضا انه أتاهم الخزي وهو النك والاصغار والهوان والفائدة في ذكر هذا القيد أن العذاب النام هوان يحصل فيه الالم مترونا بالهوان والنك ثم قال ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون يعني أن أولئك وانزل عليهم العذاب والخزي كما تقدم ذكره فالعذاب المدخر لهم في يوم القيامة أكبر وأعظم من ذلك الذي وقع والمقصود من كل ذلك التخويف والترهيب فلماذا كرر الله تعالى هذه القرائد المكاثرة والنقائس المتوافرة في هذه المطالب بين تعالى انه بلغت هذه البيانات الى حد الكمال والتمام فقال واقدض ربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون والمقصود ظاهر وقالت المعتزلة ذات الآيات على ان افعال الله وأحكامه معللة ودلت أيضا على انه يريد الايمان والمعرفة من الكل لان قوله واقدض ربنا للناس مشعر بالتعذيل وقوله في آخر الآية لعلمهم يتذكرون مشعر بالتمليل أيضا ومشعر بأن المقصود من ضرب هذه الامثال ارادة حصول التذكروا والعلم ولما كانت هذه البيانات اثنا عشرة والبيانات الباهرة موجودة في القرآن لاجرم وصف القرآن بالمدح والثناء فقال قرآننا بيا غير ذي عوج لعلمهم يتقون وفيه مسائل المسئلة الاولى احتج القائلون بحدوث القرآن بهذه الآية من وجوه (الاول) ان قوله واقدض ربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون يدل على انه تعالى اعاد ذكر هذه الامثال ليحصل اهم التذكروا والشئ الذي يوتى به لغرض آخر يكون بعدنا فان التذم

المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فينبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) تهديد لما يقببه من الاختصاص يوم القيامة وقرئ مائت ومائون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته أي انكم جميعا بصدد الموت (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم) أي مالك أموركم (مختصون) فتعجب أنت عليهم بأنك بلغتهم ما أرسلت به من الاحكام والمواظب التي من جلتها ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة الى الحق حتى الاجتهاد وهم قد سلجوا في المكابرة والعماد وقيل المراد به الاختصاص العام الجاري في الدنيا بين الانام

والاول هو الاظهر
 الانسب بقوله تعالى
 (فن اظلم من كذب على
 الله) فانه الى آخره
 مسوق لبيان كل من
 طر في الاختصاص
 الجارى في شأن الكفر
 والايان لا غير اى اظلم
 من كل ظالم من افترى
 على الله سبحانه وتعالى
 بان اضاف اليه الشريك
 والوالد (وكذب
 بالصدق) اى بالامر
 الذى هو عين الحق
 ونفس الصدق وهو
 ما جاء به النبي صلى الله
 عليه وسلم (اذ جاءه)
 اى فى اول مجيئه من
 غير تدبر فيه ولا تأمل
 (اليس فى جهنم مثوى
 للكافرين) اى اهؤلاء
 الذين افتروا على الله
 سبحانه وسارعوا الى
 الكذب باصدق
 من اول الامر والجمع
 باعتبار معنى من كما ان
 الافراد فى الضمائر
 السابقة باعتبار
 لفظها او جنس الكفرة
 وهم داخون فى الحكم
 دخولا اوليا

هو الذى يكون موجودا فى الازل وهذا يمنع أن يقال انه انما أتى به لغرض كذا وكذا
 (والثانى) انه وصفه بكونه عريا وانما كان عريا لان هذه الالفاظ انما صارت دالة على
 هذه المعانى بوضع العرب وباصطلاحهم وما كان حصوله يسبب أوضاع العرب
 واصطلاحاتهم كان مخوفاً ومخدثاً (الثالث) انه وصفه بكونه قرآناً وقرآن عبارة عن
 القراءة والقراءة مصدر والمصدر هو المفعول المطلق فكان فعلاً ومفعولاً والجواب أنا
 نحمل كل هذه الوجوه على الحروف والاصوات وهى حادثة ومحدثة (المسئلة الثانية) قال
 الزجاج قوله عرياً منصوب على الحال والمعنى ضر بين الناس فى هذا القرآن فى حال عريته
 وبيانه ويجوز أن ينصب على المدح (المسئلة الثالثة) انه تعالى وصفه بصفات ثلاثة
 (أولها) كونه قرآناً والمراد كونه متلواً فى المحاريب الى قيام القيامة كما قال انما نحن زلنا
 الذكر واناله لحافظون (وثانيها) كونه عرياً والمراد انه أعجز الفصحاء والبلاء عن
 معارضته كما قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
 ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (وثالثها) كونه غير ذى عوج والمراد براءته عن التناقض
 كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً وأما قوله لعلمهم يتقون فالعترلة
 يتسكون به فى تهليل أحكام الله تعالى (وفيه بحث آخر) وهوانه تعالى قال فى الآية
 الاولى لعلمهم يتذكرون وقال فى هذه الآية لعلمهم يتقون والسبب فيه أن التذكرة متقدم
 على الاتقاء لانه اذا تذكره وعرفه ووقف على فحواه وأحاط بمعناه حصل الاتقاء والاحتراز
 والله أعلم * قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
 هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون الميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة
 عند ربكم تختصمون فن اظلم من كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس فى جهنم
 مثوى للكافرين) اعلم انه تعالى لما باع فى شرح وعيد الكفار أردفه بذكر مثل ما يدل
 على فساد مذهبهم وقبح طريقته فقال ضرب الله مثلا وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
 المتشاكسون المختلفون العسرون يقال شكس بشكس شكوسا وشكسا اذا عسر وهو
 رجل شكس أى عسر وتشاكس اذا عاسر قل الميت التشاكس التنازع والاختلاف
 ويقال الليل والنهار متشاكسان أى انهما متضادان اذ جاء احداهما ذهب الآخر وقوله
 فيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وأبو عمرو سلما
 بالالف وكسر اللام يقال سلم فهو سلما والباقون سلما بفتح السين واللام بغير الف ويقال
 أيضا بفتح السين وكسرهما مع سكون العين اما من قرأ سلما فهو اسم الفاعل تقدير مسلم
 فهو سلما واما ساثرانقرآت فهى مصدر سلم والمعنى ذا سلامة وقوله لرجل أى ذا خلوص له
 من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة وقرى بالرفع على الابتداء أى وهناك لرجل سلما لرجل
 (المسئلة الثالثة) تقدير الكلام اضرب لعمرك مثلا وقل لهم ما يقولون فى رجل من
 المهايك قد اشترك فى شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعى انه عبده فهم

(والذي جاء بالصدق وصدق به) الوصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما أن المراد في قوله تعالى
ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يتدبرون ﴿٢٦١﴾ هو عليه الصلاة والسلام وقومه وقبيل عن الجنس المتناول للرسول

والمؤمنين بهم ويؤيده
قراءة ابن مسعود رضي
الله عنه والذين جاؤا
بالصدق وصدقوا به
وقيل هو صفة اوصوف
مخذوف هو الفوج
أو الفريق (أوئك)
الموصوفون بما ذكر
من المجئ بالصدق
والتصديق به (هم
المتقون) المتقون
بالتقوى التي هي أجل
الغائب وقرئ وصدق
به بالتخفيف أي صدق
به الناس فأداه اليهم
كأنزل عليهم من غير تغيير
وقيل وصار صادقا به
أي بسببه لأن ما جاء به
من القرآن معجزة دالة
على صدقه عليه الصلاة
والسلام وقرئ صدق
به على البناء للفعول
(لهم ما يشاؤون عند
ربهم) بيان ما لهم
في الآخرة من حسن
المآب بعد بيان ما لهم
في الدنيا من محاسن
الاعمال أي لهم كل
ما يشاؤون من جلب
المنافع ودفع المضار
في الآخرة لا في الجنة
قط لما أن بعض

يتجادون في حوائجهم وهو مخبر في أمره فكلما أرضى أحدهم غضب الباقي وإذا
احتاج في مهم اليهم فكل واحد منهم يرد إلى الآخر فهو يتي محببا لا يعرف أيهم أولى
بأن يطلب رضاه وأيهم يعينه في حاجاته فهو بهذا السبب في عذاب دائم وتعب مقيم
ورجل آخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته
فأي هذين العبدین أحسن حالا وأجد شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى فان
أولئك الآلهة تكون متازعة متغابرة كما قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وقال ولعل بعضهم على بعض فيسقى ذلك المشرك محببا أيضا لا يدري أي هو لآلهة الآلهة
يعبد وعلى ربوية أيهم يعتمدون يطلب رزقه وعن يمين رفقدهم شفاع وقلبه
أوزوع أما من لم يثبت الا الهوا واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما استخطه فكان
حال هذا أقرب إلى الصلاح من حال الاول وهذا مثل ضرب في غاية الحسن في تقبيح
الشرك وتحسين التوحيد فان قيل هذا المثال لا يطبق على عبادة الاصنام لانها جمادات
فليس بينها منازعة ولا مشاكسة قلنا ان عبدة الاصنام مختلفون منهم من يقول هذه
الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة ثم
ان القوم يثبتون بين هذه الكواكب منازعة ومشاكسة الا ترى انهم يقولون زحل هو
الحس الاعظم والمشتري هو السعد الاعظم ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الارواح
الفلكية والقائلون بهذا القول زعموا ان كل نوع من أنواع حوادث هذا العالم يتعلق
بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة
وحينئذ يكون المثل مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الاشخاص من العلماء
والزهاد الذين مضوا ففهم يعبدون هذه التماثيل لتبصير أولئك الاشخاص من العلماء والزهاد
شفعا لهم عند الله والقائلون بهذا القول تزعم كل طائفة منهم أن الحق هو ذلك الرجل
الذي هو على دينه وان من سواه مبطل وعلى هذا التقدير أيضا ينطبق المثال فثبت أن هذا
المثال مطابق للتصود أما قوله تعالى هل يستويان مثلا فالتقدير هل يستويان منسفة فتقوله
مثلا نصب على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالتاهما وانما اقتصر في التمييز على
الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين ثم قال الحمد لله والمعنى انه لم يبطل القول باثبات الشركاء
والاندا وثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق ثبت ان الحمد لله لا غيره ثم قال بعده بل
أكثرهم لا يعلمون أي لا يعلمون ان الحمد لله لا غيره وان المستحق للعبادة هو الله لا غيره وقيل
المراد انه لما سبقت هذه الدلائل الظاهرة والبيئات الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه
البيانات وظهور هذه البيئات وان كان أكثر الخلق لم يعرفوها ولم يفقهوا عليها ولم يتم الله
هذه البيانات قال انك ميت وانهم ميتون والمراد أن هؤلاء الاقوام وان لم يلتفتوا إلى هذه
الدلائل القاهرة بسبب استيلاء المرض والحسد عليهم في الدنيا فلا يتبال بمحمد بهذا فانك
ميت وهم أيضا ميتون ثم تحشرون يوم القيامة وتخصمون عند الله تعالى والعاقل

ما يشاؤون من تكفير السيئات والأمن من الفزع الاكبر وسائر أهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة (ذاك) الذي ذكر
من حصول كل ما يشاؤون (جزاء المحسنين) أي الذين

أحسنوا أعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى (ليكفر الله عنهم اسوأ الذي علموا) الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور ﴿ ٢٦٢ ﴾ لا يتصور كونه غاية لشبوت ما يشاؤون

لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فعواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيهما منى بل بما سيثبت لهم فيما سياتى كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانه نصب به وعد الله كأنه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم ، ووجب ذلك الوعد أسوأ الذي علموا دفعا للمضارهم (ويجزهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) اعطاء لمنافعهم واطهار الاسم الجميل في موقع الاعتراف لابرار كمال الاعتناء بضمهم والكلام و اضاف الى الاسوا والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة الفضل الى الفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه للتصديق

الحق يحكم بينكم فيوصل الى كل واحد ما هو حقه وحينئذ يميز الحق من المبطل والصدىق من الزندق فهذا هو المقصود من الآية وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون أى انك واياهم وان كنتم احياء فالك واياهم في اعداد الموتى لان كل ما هو آت ثم بين تعالى نوعا آخر من قبائح أفعالهم وهو انهم يكذبون ويضمون اليه انهم يكذبون القائل الحق اما انهم يكذبون فهو انهم أثبتوا لله ولدا وشركاء واما انهم مصررون على تكذيب الصادقين فلانهم يكذبون محمد صلى الله عليه وسلم بعد قيام الدلالة القاطعة على كونه صادقا في ادعاء النبوة ثم أردفه بالوعيد فقال ليس في جهنم مثوى للكافرين ومن الناس من تمسك بهذه الآية في تكفير المخالف من أهل القبلة وذلك لان المخالف في المسائل كلها التقطعية يكون كاذبا في قوله و يكون مكذبا للذهب الذى هو الحق فوجب دخوله تحت هذا الوعيد * قوله تعالى (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى علموا ويجزى بهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) ليس الله يكاف عبده ويخوفونك بالدين من دونه ومن يضل الله فانه من هاد ومن يهد الله فانه من مضل ليس الله يعزى ندمه انتقام) اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الكاذبين والمكذبين الصادقين ذكر عقوبة وعيد الصادقين ووعد الصادقين ليكون الوعد مقرونا بالوعيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله والذى جاء بالصدق وصدق به تقديره والذى جاء بالصدق والذى صدق به وفيه قولان (الاول) ان المراد شخص واحد فالذى جاء بالصدق محمد والذى صدق به هو أبو بكر وهذا القول مروى عن علي بن ابي طالب عليه السلام وجماعة من المفسرين رضى الله عنهم (والثاني) ان المراد منه كل من جاء بالصدق فالذى جاء بالصدق الانبياء والذى صدق به الاتباع واحتج القائلون بهذا القول بأن الذى جاء بالصدق جماعة وان لم يجز أن يقال أولئك هم المتقون (المسئلة الثانية) ان الرسالة لا تتم الا بأركان أربعة المرسل والمرسل والمرسل اليه والمقصود من الارسال اقدم المرسل اليه على التبول والتصديق فأول شخص أتى بالتصديق هو الذى يتم به الارسال وسمعت بعض القاصيين من الذى بروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دعوا أبا بكر فانه من ثقة النبوة واعلم ان اسواء قلنا المراد بالذى صدق به شخص معين او قلنا المراد منه كل من كان موصوفا بهذه الصفة فان أبا بكر داخل فيه أما على التقدير الاول فدخل أبو بكر فيد ظاهر وذلك لان هذا يتناول أصدق الناس الى التصديق وأجمعوا على أن السابق الا فضل اما أبو بكر واما على وجه هذا اللفظ على أبي بكر أولى لان عليا عليه السلام كان وقت البعثة صغيرا فكان كالولد الصغير الذى يكون في البيت ومعلوم أن اقدامه على التصديق لا يفيد مزيد شوق وشوقا اما أبو بكر فانه كان رجلا كبيرا فى السن كبيرا فى المنصب فأقدمه على التصديق يفيد مزيد قوة وشوقا فى الاسلام فكان حمل هذا اللفظ على ابي بكر أولى (وأما على التقدير الثاني) فهو أن يكون المراد كل من كان موصوفا بهذه

والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما الاعتبار فيهما مطلق الفضل والزيادة لاعلى المضاف ﴿ الصفة ﴾ اليه المعين بخصوصه كافي قولهم الناقص والاشج اعدا بنى مروان

خلا أن الزيادة المعبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بها وان قلت واستصغار حسناتهم **عج ٢٦٣** وان جلت والثاني بالنظر الى

الصفة وعلى هذا التقدير يكون أبو بكر داخل فيه (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشاف قرئ وصدق بالتخفيف أى صدق به الناس ولم يكذبهم بمعنى أداء اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل وصار صادقا به أى بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح فيصير المدعى الرسالة صادقا بسبب تلك المعجزة وقرئ وصدق واعلم انه تعالى اثبت الذي جاء بالصدق وصدق به أحكاما كثيرة (فالحكم الاول) قوله أولئك هم المتقون وتقريره ان التوحيد والشرك ضدان وكلما كان أحد الضدين أشرف وأكمل كان الضد الثاني أخس وأرذل ولما كان التوحيد أشرف الاسماء كان الشرك أخس الاشياء والآتى بأحد الضدين يكون تاركا للآخر فالآتى بالتوحيد الذي هو أفضل الاشياء يكون تاركا للشرك الذي هو أخس الاشياء وأرذالها فلهذا المعنى وصف المصدقين بكونهم متقين (الحكم الثاني) للمصدقين قوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين وهذا الوعد يدخل فيه كل ما يرغب المكلف فان قيل لاشك ان الكمال محبوب لذاته مرغوب فيه لذاته وأهل الجنة لاشك انهم عقلاء فاذا شاهدوا الدرجات العالية التي هي الانبياء وأكابر الاولياء عرفوا انها خيرات عالية ودرجات كاملة والعلم بالشيء من حيث انه كمال وخير يوجب الميل اليه والرغبة فيه واذا كان كذلك فهم يشاؤون حصول تلك الدرجات لانفسهم فوجب حصولها لهم بحكم هذه الآية وايضا فان لم يحصل لهم ذلك المراد كانوا في الغصة ووحشة القلب وأجيب عنه بأن الله تعالى يزيل الحقد والحسد عن قلوب أهل الآخرة وذلك يقتضى ان أحوالهم في الآخرة بخلاف أحوالهم في الدنيا ومن الناس من تمسك بهذه الآية في أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة قالوا ان الذين يعتقدون انهم يرون الله تعالى لاشك انهم داخلون تحت قوله تعالى وصدق به لانهم صدقوا الانبياء عليهم السلام فمما ان ذلك الشخص يريدون بتالله تعالى فوجب أن يحصل له ذلك لقوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم فان قالوا لانهم ان أهل الجنة يشاؤون ذلك قلنا هذا باطل لان الرؤية أعظم وجوه التبعلي وزوال الحجاب ولا شك انها حالة مطلوبة اكل أحدنا نظر الى هذا الاعتبار بل اؤبت بالدليل كون هذا المطلوب متمتع الوجود لعينه فانه يترك طلبه لالاجل عدم مقتضى للطلب بل اقيام المانع وهو كونه متمتعاً في نفسه فثبت ان هذه الشبهة قائمة والنص يقتضى حصول كل ما ارادوه وشاؤوه فوجب حصولها واعلم أن قوله عند ربهم لا يفيد العندية بمعنى الجهة والمكان بل بمعنى الصمدية والاخلاص كما في قوله تعالى عند ملك مقتدر واعلم ان المعتزلة تمسكوا بقوله وذلك جزاء المحسنين على أن هذا الاجر مستحق لهم على احسانهم في العبادة (الحكم الثالث) قوله تعالى ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون فقوله لهم ما يشاؤون عند ربهم يدل على حصول الثواب على اكل الوجوه وقوله ليكفر الله عنهم يدل على سقوط العقاب عنهم على اكل الوجوه فقيل المراد انهم اذا

بجأهم من استغفام سيأثمهم وان قلت وان جلت والثاني بالنظر الى من استكثر الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالثوابات الكثير وحمل الزيادة على الحقيقة وان أمكن في الاول بناء على أن تخصيص الاسماء بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاووية ضرورة استنزام تكفير الاسماء بتكفير السيئ لكن لما لم يكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول الايدان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة (ليس الله يكاف عبده) انكاروا في عدم كفايته تعالى على ابلغ وجهه وآكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعد مها أو يتلثم في الجواب بوجودها والمراد بالعباد امارسول الله صلى الله عليه وسلم والجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا قراءة من قرأ بكا في عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة الغالبة اما من الكفاية لافادة

قراءة من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا قراءة من قرأ بكا في عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة الغالبة اما من الكفاية لافادة

المبالغة فيها وأما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قاله قر يش اننا نخاف
أن تخيلك آلهتنا ويصيبك مضرتها لسببك ﴿٢٦٤﴾ إياها وفي رواية قالوا تكفن عن شم آلهتنا أولي بصيرتك

صدقوا الانبياء عليهم السلام فيما اتوا فان الله يكفر عنهم أسوأ أعمالهم وهو الكفر
السابق على ذلك الايمان ويوصل اليهم أحسن أنواع الثواب وقال مقاتل يجوز بهم بالحسن
من أعمالهم ولا يجوز بهم بالمساوي واعلم أن مقابلة كان شيخ المرجئة وهم الذين يقولون
لا يضر شيء من المعاصي مع الايمان كما لا يضر شيء من الطاعات مع الكفر وادعى بهذه
الآية فقال انها تدل على أن من صدق الانبياء والرسول فانه تعالى يكفر عنهم أسوأ الذي
علموا ولا يجوز حل هذا الاسوأ على الكفر السابق لان الظاهر من الآية يدل على أن
الكفر انما حصل في حال ما وصفهم الله بالتقوى وهو التقوى من الشرك واذ كان
كذلك وجب أن يكون المراد منه الكبر الذي يأتي بها بعد الايمان فتكون هذه الآية
تنصيصا على أنه تعالى يكفر عنهم بعد ايمانهم أسوأ ما يأتون به وذلك هو الكبر (الحكم
الرابع) انه جرت العادة ان الباطنين يخوفون المحتمين بالخوفيات الكثيرة فحسم الله مادة
هذه الشبهة بقوله تعالى أليس الله بكاف عبده وذكره بلفظ الاستفهام والمراد تقرر ذلك في
النفوس والامر كذلك لانه ثبت انه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المهكنات غنى عن
كل الحاجات فهو تعالى عالم حاجات العباد وقادر على دفعها وابدائها بالخيرات والراحات
وهو ليس بخيلا ولا محتاجا حتى ينعده بخلة وحاجته عن اعطاء ذلك المراد واذ ثبت هذا كان
الظاهر انه سبحانه يدفع الآفات ويزيل البليات ويوصل اليه كل المرادات فلماذا قال
أليس الله بكاف عبده ولماذا كرر الله المقدمة رتب عليها النتيجة المطلوبة فقال ويخوفونك
بالذين من دونه يعني لما ثبت أن الله كاف عبده كان التخويف بغير الله عبثا وباطلاقا
أكثرأ قراء عبده بلفظ الواحد وهو اختيار أبي عبيدة لانه قاله ويخوفونك روى أن
قر بشا قات للذي صلى الله عليه وسلم اننا نخاف أن تخيلك آلهتنا فأنزل الله تعالى هذه
الآية وقرأ جماعة عباده بلفظ الجعم قيل المراد بالعباد الانبياء فان نوحا كفاه العرق
وابراهيم النار ويونس بالانجاء مما وقع له فهو تعالى كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك
وقيل أتم الانبياء قصدوهم بالسوء اقوله تعالى وهمت كل أمة برسولهم وكفاهم الله بشر من
عاداهم واعلم انه تعالى لما أظنبت في شرح الوعيد والوعد والترهيب والترغيب ختم
الكلام بخاتمة هي الفصل الحق فقال ومن يضل الله فانه من هاد ومن يهدي الله فانه من
مضل يعني هذا الفصل لا يرفع والبيئات الا اذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق وقوله
أليس الله بعز يزدي انتقام تهديد للكفار واعلم أن أصحابنا يتمسكون في مسألة خلق
الاعمال واردة الكائنات بقوله ومن يضل الله فانه من هاد ومن يهدي الله فانه من مضل
والمباحث فيه من الجانبين معلومة والمعتزلة يتمسكون على صحة مذهبهم في هاتين المسئلتين
بقوله أليس الله بعز يزدي انتقام ولو كان الخالق للكفر فيهم هو الله لكان الانتقام
والتهديد غير لائق به * قوله تعالى (وائن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
قل أفرايتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني

منهم خيل أو جنون
كما قال قوم هو دان نقول
الا اعتراك بعض آلهتنا
بسوء وذلك قوله تعالى
(ويخوفونك بالذين
من دونه) أي الاوثان
التي اتخذوها آلهة من
دونه تعالى والجملة
استثناف وقيل حال
(ومن يضل الله) حتى
غفل عن كفايته تعالى
وعصيته له عليه الصلاة
والسلام وخوفه بما لا
ينفع ولا يضر أصلا
(فانه من هاد) يهديه
الى خيرا (ومن يهد الله
فانه من مضل) بصرفه
عن مقصده أو يصيبه
بسوء يضل بسوءه
اذ لا راد لفعله ولا معارض
لارادته كما ينطق به
قوله تعالى (أليس الله
بعز يز) غالب لا يقاب
منيع لا يمانع ولا ينازع
(ذي انتقام) ينتقم من
أعدائه لا وياؤه واطهار
الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتحقيق مضمون
الكلام وترية المهابة
(ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن
الله) اوضح الدليل

وسنوح السبيل (قل) تبيكتالهم (أفرايتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) أي بعد ما تحققت أن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاجبروني أن آلهتكم ان أرادني
الله بضر هل يكشف عن ذلك الضير (أو أرادني

برحمة هل من مسكات رحمة قل حسب الله عليه يتوكل المتوكلون ولما يقوم اعمالوا على
ونصب ضرر ورحته وتعلق ارادة الضرر والرحمة بنفسه عليه الصلاة والسلام للرد في ضرورهم حيث كانوا خوفوه معرفة
الاوثان ولما فيه من الايدان بالمحاض الصحيحة (قل هو الله اعلم بحسب الله) أي في جميع أمورهم من اصابة الخير ودفع

برحمة هل من مسكات رحمة قل حسب الله عليه يتوكل المتوكلون ولما يقوم اعمالوا على
مكاتبكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخز به ويحيل عليه عذاب مقيم اعلم انه
تعالى لما طنّب في وعيد المشركين وفي وعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على تزييف
طريفة عبدة الاصنام وبني هذا التزييف على أصليين (الاصول الاول) هو ان هؤلاء
المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد بقوله ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله واعلم ان من الناس من قال ان العلم بوجود الاله
القادر الحكيم الرحيم متفق عليه بين جمهور الخلق لا نزاع بينهم فيه وفطرة الله القول شاهدة
بصحة هذا العلم فان من تأمل في عجائب احوال السموات والارض وفي عجائب احوال
النبات والحيوان خاصة وفي عجائب بدن الانسان وما فيه من انواع الحكم القريبة
والمصالح الجيبة علم انه لا بد من الاعتراف بالاله القادر الحكيم الرحيم والاصل الثاني
ان هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله قل أفرايتم ما تدعون
من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضرره أو أرادني برحمة هل هن مسكات
رحمة فثبت انه لا بد من الاقرار بوجود الاله القادر الحكيم الرحيم وثبت ان هذه
الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر واذا كان الامر كذلك كانت عبادة الله كافية
وكان الاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله قل حسب الله عليه يتوكل المتوكلون فاذا
ثبت هذا الاصل لم يلتفت العاقل الى تخويف المشركين فكان المقصود من هذه الآية هو
التبيه على الجواب عما ذكره الله تعالى قبل هذه الآية وهو قوله تعالى ويخوفونك بالذين
من دونه وقرى كاشفات ضرره ومسكات رحمة بالتوكل على الاصل وبالإضافة للتخفيف
فان قيل كيف قوله كاشفات ومسكات هل التأييد بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه
فلما المقصود التبيه على كمال ضعفها فان ادواته مظنة الضعف والانه كما يوصفونها
بأنثايت ويقولون اللات والعزى ومناة ولما أورد الله عليهم هذه الحجية التي لا دافع لها قال
بعده على وجه التهديد قل يا قوم اعلموا على مكاتبكم أي انتم تمتدون في أنفسكم انكم
في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا في انواع مكرم وكيدكم فاني طائل ايضا ان تشر ربوني
فسوف تعلمون ان العذاب والحزى يصيبني أو يصيبكم والمقصود منه التخويف بقوله
تعالى (انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فلنفسه انزلنا على
وما أنت عليهم بوكيل الله يتوفى النفس حين موتها والتي لم تنك في منامها لم يسك التي
قضى عليها الموت ورسلا الآخرة الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لعموم يفكر وان أم
اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا الايمان كرت شيئا ولا يعقلون فلله الشفاعة جميعا انه
ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) في آياته مسائل (المسئلة الاول) اعلم ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يعظم عليه اصرارهم على الكفر كما قال فإني انكسر نفسي
على آثارهم ان لم يؤمنوا وقال لعلاك يا خع نفسك ألا يكونوا مؤمنين وقال تعالى فلا تذهب

الشر روى أنه عليه
الصلاة والسلام لها
سألهم مكاتبوا فنزل
ذلك (عليه يتوكل
المتوكلون) لا على غيره
أصلا اعلمهم بان كل مأساة
تحت ملكوته تعالى (قل
يا قوم اعلموا على مكاتبكم)
على حالتكم التي انتم تمكثون
فيها فان المكاتب تستمار
من العيين للمعنى كما
تستار هنا وحيث للزبان
مع كونها للمكان وتقرى
على مكانا تكلم (الزم
طامل) أي على مكاتبتي
فهمذق للاختصاص
والمبالغة في الوعيد
والاشعار بان حاله لا تزال
تزداد قوة بنصر الله
عز وجل وتأييده ولذالك
توعدهم بكونه منعمورا
عليهم في الدارين بشوقه
تعالى (فسرف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه)
فان خزي أعدائه دليل
ذليلته عليه الصلاة
والسلام وقد عذبهم الله
تعالى وأخزاهم يوم
يدر (ويحل عليه عذاب
مقيم) أي دائم هو عذاب
النار (انا أنزلنا عليك
الكتاب للناس) لا جلهم
فانه مناط مصالحهم في ﴿ ٣٤ ﴾ سا العباد (بالحق) جان من قاعد انزلنا أو من مشواه (فمن اهتدى)

بان عمل بما فيه (فلنفسه)

أى انما نفع به نفسه (من ضل) بان لم يعمل بموجبه (فانما يضل عليها) لما ان وبال ضلاله مقصور عليها (وما أنت عليهم بوكيل) ليجبرهم على الهدى وما وظفتك الابلاغ وقد بلغت أى بلاغ (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها) أى يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها ﴿ ٢٦٦ ﴾ وتصرفها فيها اما ظاهرا و باطنا كما عند الموت

أوظاها فقط كما عند النوم (فيمسك التى قضى عليها الموت) ولا يردها الى البدن وقرى قضى على البناء للمفعول ورفع الموت (ويرسل الاخرى) أى النائمة الى بدنها عند اليقظة (الى أجل مسمى) هو الوقت المنضروب لموته وهو غاية جنس الارسال الواقع بعد الامساك بالفرده فان ذلك الامتداد فيه ولا كية وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتبصر والروح هى التى بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من التوفى على الوجهين والامساك فى أحدهما والارسال فى الآخر (لآيات) عجيبه دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته (اقوم يتفكرون) فى كيفية

نفسك عليهم حسرات فلما أطرب الله تعالى فى هذه الآية فى فساد مذاهب المشركين تارة باللائل والبيّنات وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعيد أردفه بكلام يزيد ذلك الخوف العظيم عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال انما أنزلنا عليك هذا الكتاب الكامل الشرى فلتنعم الناس ولا تهدأ عنهم به وجعلنا انزاله مقرونا بالحق وهو المعجز الذى يدل على انه من عند الله فن اهتدى فنفعه يعود اليه ومن ضل فضير ضلاله يعود اليه وما أنت عليهم بوكيل والمعنى انك است مأمورا بان تحملهم على الايمان على سبيل القهر بل القبول وعدمه مفوض اليهم وذلك لتسليبة الرسول فى اصرارهم على الكفر ثم بين تعالى أن الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى وذلك لان الهداية تشبه الحياة واليقظة والضلال يشبه الموت والنوم كان الحياة واليقظة وكذلك الموت والنوم لا يحصلان الا بتخليق الله عز وجل وابعاده فكذلك الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى فى القدر ومن عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب فصبر بالتنبيه على هذه الدقيقة سبيل الى ذلك الحزن عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا وجه النظم فى الآية وقيل نظم الآية أنه تعالى ذكر حجة أخرى فى اثبات انه الاله العالم ليدل على انه بالعبادة أحق من هذه الاصنام (المسئلة الثانية) المقصود من الآية انه تعالى يتوفى الانفس عند الموت وعند النوم الا انه يمسك الانفس التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى وهى النائمة الى أجل مسمى أى الى وقت ضربه موتها فقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها يعنى انه تعالى يتوفى الانفس التى نامت وما ماتت عندها منامها وقوله تعالى فيمسك التى قضى عليها الموت يعنى ان النفس التى يتوفاها عند الموت يمسكها ولا يردها الى البدن وقوله ويرسل الاخرى الى أجل مسمى يعنى ان النفس التى يتوفاها عند النوم يردها الى البدن عند اليقظة وتبقى هذه الحالة الى أجل مسمى وذلك الاجل هو وقت الموت فهذا تفسير لفظ الآية وهى مطابقة للحقيقة ولكن لا بد فيه من مزيد بيان فنقول النفس الانسانية عبارة عن جوهر مشرق روحانى اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه فى جميع الاعضاء وهو الحياة فتقول انه فى وقت الموت يقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه وذلك هو الموت وأما فى وقت النوم فانه يقطع ضوءه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه ولا يقطع ضوءه عن باطن البدن فثبت ان الموت والنوم من جنس واحد الا ان الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه واذا ثبت هذا ظهر ان القادر العالم الحكيم در تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه (أحدها) ان يقع ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه وذلك هو اليقظة (وثانيها) أن يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه وذلك هو النوم (وثالثها) أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت فثبت أن الموت والنوم يشتملان على كون كل واحد منهما توفيا للنفس ثم يمتاز أحدهما عن الآخر

تعلقها بالابدان وتوفيقها بها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تقنى بفنائها وما يمتريها بخواص من السعادة والشقاوة وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وار سالها حين انقضاء آجالها

وام احمدوا اي بن احمد ليس (من دون الله) من دون ادبه تعالى (شفعاء) تسع اهم عنده تعالى (قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون) الهمزة لانكار الواقع واستباحه والتوبيخ عليه أي قل اتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن أن ﴿ ٢٦٧ ﴾ يملكو الشفاعة عند الله تعالى أو هي لانكار الوقوع ونفيه

علمان المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء لأنه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك أظهر المحالات فالقدر حينئذ غير ما قدر أو لا وعلى أي تغدير كان فالواو واللام مطلق على شرطية قد حذف لدلالة المذكورة عليها أي أشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا ولو كانوا لا يعقلون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا (قل) بمدتبيكتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيق الحق (لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها لا يستطيع أحد شفاعة ما إلا ان يكون المشفوع له مر تضي والشفيع مأذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض) تقرير له وتأكيده أي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم في أمر من أموره بدون اذنه ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة لا إلى أحد

بخواص معينة في صفات معينة ومثل هذا التدبير الحبيب لا يمكن صدوره الا عن اعجاز العليم الحكيم وهو المراد من قوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ويحتمل أن يكون المراد بهذا أن الدليل يدل على أن الواجب على العاقل ان يعبد الهام ووصوفهم هذه القدرة وبهذه الحكمة وان لا يعبد الاوثان التي هي جادات لاشعورائها ولا ادراك واعلم ان الكفار أوردوا على هذا الكلام سوء الاقفاوا ونحن لانعبد هذه الاصنام لاعتقادنا انها آلهة تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل لاشخاص كانوا عند الله من المقربين فمن نعبدها لاجل أن يصبروا ولك الاكارب شفعاء لنا عند الله فأجاب الله تعالى بأن قال أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وتقرير الجواب أن هؤلاء الكفار اما أن يطعموا بتلك الشفاعة من هذه الاصنام أو من أوثان العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الاصنام تماثيل لها (والاول) باطل لان هذه الجادات وهي الاصنام لا تملك شيئا ولا تعقل شيئا فكيف يعقل صدور الشفاعة عنها (والثاني) باطل لان في يوم القيامة لا يملك أحد شيئا ولا يقدر أحد على الشفاعة الا بإذن الله فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله الذي يأذن في تلك الشفاعة فكأن الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا ثم بين انه لا ملك لاحد غير الله بقوله له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون ومنهم من تمسك في نفي الشفاعة مطلقا بقوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا وهذا ضيف لاننا نسلم انه سبحانه مالم يأذن في الشفاعة لم يقدر أحد على الشفاعة فان قيل قوله الله يتوفى الانفس حين موتها فيه سؤال لان هذا يدل على ان المتوفى هو الله فقط وتأكد هذا بقوله الذي خلق الموت والحياة ويقول رب الذي يحيي ويميت ويقول كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم ان الله تعالى قال في آية أخرى قل يتوفاكم ملك الموت وقال في آية ثالثة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وجوابه ان المتوفى في الحقيقة هو الله الا انه تعالى فرض في عالم الاسباب كل نوع من أنواع الاعمال الى ملك من الملائكة ففوض قبض الارواح الى ملك الموت وهو رئيس وتحت اتباع وخدم فاضيف التوفى في هذه الآية الى الله تعالى بالاضافة الحقيقية وفي الآية الثانية الى ملك الموت لانه هو الرئيس في هذا العمل والى سائر الملائكة لانهم هم الاتباع لملك الموت والله أعلم * قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحك بين عبادك فيما كانوا فيه يخلفون ولو ان للذين ظلموا في الارض جعلا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبد اللهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وبد اللهم سيئات ما كتبوا وواجب بهم ما كانوا به يستهزئون) اعلم ان هذا نوع آخر من الاعمال القبيحة للمشركين وهو انك اذا ذكرت الله وحده تقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ظهرت آثار التفرقة من وجوههم

سواه لا استقلال ولا اشتراك في فعل يومئذ ما يريد (واذا ذكر الله وحده) دون آلهتهم (اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي انقبضت ونفرت كافي قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن

حده ولو اعلى ادبارهم نفورا (واذا ذكر الذين من دونه) فرادى اومع ذكر الله تعالى (اذا هم يستبشرون) لفرط افتتاهم
بها ونسيانهم حتى الله تعالى ولقد بولغ في بيان ما تبهم القبيحين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب
سرو وراحتي ينسبط له يسر الوجة ١٦٨ والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغياة قبض منه اديم الوجه والعامل

وقلوبهم واذا ذكرت الاصنام والذوات ظهرت آثار الفرح والبشارة في قلوبهم
وصدورهم وذلك يدل على الجهل والحماقة لان ذكر الله رأس السمادات وعنوان الخيرات
واما ذكر الاصنام التي هي الجمادات الخسيسة فهو رأس الجهالات والحماقات فنفرتهم
عن ذكر الله وحده واستبشارهم بذكر هذه الاصنام من أقوى الدلائل على الجهل الغليظ
والحق الشديد قال صاحب الكشاف وقد يقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد
منهما غاية في اية لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرو وراحتي يظهر أثر ذلك السرور في بشرة
وجهه ويتهلل والاشمئزاز ان يمتلئ غم وغيظه فيقبض الروح الى داخل القلب فيبقى
في اديم الوجه أثر الغيرة والنظرة الارضية ولما حكى عنهم هذا الامر العجيب الذي تشهد
فطرة العقل بفساده اورد فده بامريرين (أحدهما) انه ذكر الدعاء العظيم فوصفه اولا بالقدرة
التامة وهي قوله قل اللهم فاطر السموات والارض وثانيا بالعلم الكامل وهو قوله تعالى
علم الغيب والشهادة وانما قدم ذكر القدرة على ذكر العلم لان العلم بكونه تعالى قادرا
متقدم على العلم بكونه عالما ولما ذكر هذا الدعاء قال انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون يعني ان نفرتهم عن التوحيد وفرحهم عند سماع الشرك امر معلوم الفساد
بيديهة العقل ومع ذلك القوم قد أصروا عليه فلا يقدر أحد على ازالتهم عن هذا
الاعتقاد الفاسد والمذهب الباطل الأنت عن أبي سلمة قال سألت عائشة بم كان يفتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلواته بالليل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل
واسرافيل فاطر السموات والارض علم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك وانك اتهدى من تشاء الى صراط
مستقيم واعلم انه تعالى لما حكى عنهم ذلك المذهب الباطل ذكر في وعيدهم اشياء (أولها)
ان هؤلاء الكفار لو لم ياكلوا في الارض من الاموال وما كسبوا مثله معه لجمعوا
العقل فدية لانفسهم من ذلك العذاب الشديد (وثانيها) قوله تعالى وبدالهم من الله مالم
يكونوا يحتسبون أي ظهرت لهم أنواع من العقاب لم تكن في حسابهم وكان الله صلى الله
عليه وسلم قال في سفة الثواب في الجنة فيهما الما لعين رأته ولأذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر فكذلك في العقاب حصل مثله وهو قوله وبدالهم من الله مالم يجمعوا ويحتسبون
(وثالثها) قوله تعالى وبدالهم سيئات ما كسبوا ومعناه ظهرت لهم آثار تلك السيئات التي
اكتسبوا أي ظهرت لهم أنواع من العقاب آثار تلك السيئات التي اكتسبوا وهائم قال
وحاق بهم من كل الجوانب جزاء ما كانوا يستهزئون به فنبه تعالى بهذه الوجوه على عظم
عقابهم * قوله تعالى (فاذا من الانسان ضرعا نائم اذا خولناه نعمتنا مناقل انما اوتيته
على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون فدعاها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا
يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيبيهم سيئات ما كسبوا
وما هم بمعجزين أولم يعلموا أن الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم

في اذا الاولى اشأزت
وفي الثانية ما هو العامل
في اذا المفاجأة تفسيره
وقت ذكر الذين من
دونه فاجسوا وقت
الاستبشار (قل اللهم
فاطر السموات والارض
علم الغيب والشهادة)
اي التحي اليه تعالى
بالدعاء لما عبرت في أمر
الدعوة وضجرت من
شدة شكيتهم في المكابرة
والعناد فانه القادر على
الاشياء بجمعيتها والعالم
بالاحوال برمتها (أنت
تحكم بين عبادك فيما
كانوا فيه يختلفون) أي
حكما يسلمه كل مكابر
معاند ويخضع له كل
عات ماردد وهو العذاب
الديني أو الاخرى
وقوله تعالى (ولو ان
للذين ظلموا من الارض
جميعا) الخ كلام مستأنف
مسوق لبيان آثار الحكم
الذي استدعا النبي
صلى الله عليه وسلم غاية
شدة وفضاعته أي لو
أنهم جمع ما في الدنيا
من الاموال والذخائر
مثله معه لا فندوا به
من سوء العذاب يوم

القيامة) أي لجمعوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهي هيات ولات حين مناص وهذا كآثرى ﴿يؤمنون﴾
وقد شيدوا فاقطاط كل ايه من الخلاص (و بدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم

من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (و بدالهم سيئات ما كسبوا) سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض عليهم
صنائعهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) ﴿ ٢٦٩ ﴾ أي أحاط بهم جزاؤه (إذ أمس الانسان ضرا

دعانا) اخبار عن الجنس
بما يفعله غالب أفرادها
والقاء لترتيب ما بعدها
من المناقضة والتعكيس
على ما مر من حالتهم
التي يحتمل وما بينهما
اعتراض مؤكّد
الإنكار عليهم أي أنهم
يشتمون عن ذكر الله
تعالى وحده ويستبشرون
بذكر الآلهة فأدامسهم
ضردعوا من أشأزوا
عن ذكره دون من
استبشروا بذكره
(ثم إذا خولناه نعمة منا)
أعطيناه إياها تفضلا
فإن الخويل مخصص
به لا يطلق على ما أعطى
جزاء (قال إنما أوتيته
على علم) أي على علم
منى بوجوه كسبه أو بانى
سأعطاه لمالى من الإ
ستحقاق أو على علم
من الله تعالى بى
وباستحقاقى والهاملما
ان جعلت موصولة وال
فإنهمة والتذكير لما
أن المراد شئ من النعمة
(بارهى فتنة) أى
محنة وابتلاءه أشكر
أم يكفر وهو رد لما قاله
وتغير السبب للباغاة

يؤمنون) اعلم أن هذا حكاية طريقة أخرى من طرائقهم الفاسدة وذلك لأنهم عند
الوقوع في الضر الذي هو الفقر والمرض يفرعون الى الله تعالى ويرون أن دفع ذلك
لا يكون الا منه ثم انه تعالى إذا خولاهم النعمة وهى اما السعة في المال أو العافية في
النفس زعم انه انما حصل ذلك بكسبه و بسبب جهده وجده فان كان مالا قال انما حصل
بكسبى وان كان صحة قال انما حصل ذلك بسبب العلاج الفلانى وهذا تناقض عظيم لانه
كان في حال العجز والحاجة أضاف الكل الى الله وفي حال السلامة والصحة قطعته عن
الله وأسندته الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح فيبين تعالى قبح طريقتهم فيما هم عليه عند
الشدة والرخاء بلفظة وجيزة فصيحة فقال بل هى فتنة يعنى النعمة التى خولاهم هذا الكافر
فتنة لان عند حصولها يجب الشكر وعند فواتها يجب الصبر ومن هذا حاله يوصف بأنه
فتنة من حيث يختبر عنده حال من أوتى النعمة كما يقال فنتت الذهب بالنار اذا عرضته على
النار لتعرف خلوصه ثم قال تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون والمعنى ما قدمنا ان هذا
التخويل انما كان لاجل الاختبار * وبقى في الآية أبحاث نذكرها في معرض السؤال
والجواب (السؤال الاول) ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء ههنا وعطف مثلها في
أول السورة بالواو والجواب أنه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية انهم يشتمون من سماع
التوحيد ويستبشرون بسماع ذكر الشركاء ثم ذكر بقاء التعقيب انهم اذا وقعوا في
الضر والبلاء والتجؤا الى الله تعالى وحده كان الفعل الاول متناقضا للفعل الثانى فذكر
فاء التعقيب ليدل على انهم واقعون في المناقضة الصريحة في الحال وانه ليس بين الاول
والثانى فاصل مع ان كل واحد منهما متناقض للثانى فهذا هو الفائدة في ذكر فاء التعقيب
ههنا فاما الآية الاولى فليس المقصود منها بيان وقوعهم في التناقض في الحال فلا جرم
ذكره الله بحرف الواو لا بحرف الفاء (السؤال الثانى) ما معنى التخويل الجواب التخويل
هو التفضل يعنى نحن نتفضل عليه وهو يظن انه انما وجد به بالاستحقاق (السؤال الثالث)
ما المراد من قوله قال إنما أوتيته على علم الجواب يحتمل أن يكون المراد انما أوتيته على علم
الله بكونى مستحقا لذلك ويحتمل أن يكون المراد انما أوتيته على علمى بكونى مستحقا له
ويحتمل أن يكون المراد انما أوتيته على علم لاجل ذلك العلم قدرت على اكتسابه مثل أن
يكون مريضا فيعالج نفسه فيقول انما وجدت الصحة لعلمى بكيفية العلاج وانما وجدت
المال لعلمى بكيفية الكسب (السؤال الرابع) النعمة مؤنثة والضمير في قوله أوتيته
عائد على النعمة فضمير التذكير كيف عاد الى المؤنث بل قال بعده بل هى فتنة فجعل الضمير
مؤنثا فالسبب فيه والجواب ان التقدير حتى إذا خولناه شئ من النعمة فلفظ النعمة
مؤنث ومعناه مذكر فلا جرم جاز الامر ان ثم قال تعالى قد قالها الذين من قبلهم فأنغى
عنهم الضمير في قائلها راجع الى قوله انما أوتيته على علم عندى لانها كلمة أو جملة من المقول
والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وقومه راضون به

فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو أمر مبان له بالكفاية وتأنيت الضمير باعتبار
لفظ النعمة أو باعتبار الخبر وقري بالتذكير (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كذلك وفيه دلالة على أن المراد
بالانسان هو الجنس (قد قالها الذين من قبلهم) الهاء لقوله

انما اوتيناه على علم لانها كلمة اوجلة وفريء باثذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيناه على علم عندي وهم رامنون به (فاعني عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (فاصابهم سيئات ماكسبوا) جزاء سيئات اعمالهم ﴿ ٢٧٠ ﴾ أو اجزية ماكسبوا ونسبتهما سيئات لانها في مقابلة

سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا من هؤلاء) المشركين ومن للبيان اولئك بعض اى افراطوا في الظلم وانعتوا (سيصيبهم سيئات ماكسبوا) من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك والسبب التاكيد وقد اصابهم اى اصابه حيث قطعوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر (وماهم بمجرمين) اى قاتلين (اولم يعلموا) اى اقالوا ذلك ولم يعلموا أو اغفلوا ولم يعاوا (أن الله يسطر الرزق لمن يشاء) أن يسطره (ويقدر) لمن يشاء أن يقدره من غير أن يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا (ان في ذلك) الذي ذكر (لايات) دالة على أن الحوادث كافة من الله عز وجل (لقوم يؤمنون) اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها (قل) يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم) اى على انفسهم (اى

فكانهم قالوا و يجوز ايضا أن يكون في الهم الخالية قائلون مثلها ثم قال تعالى فاعني عنهم ما كانوا يكسبون اى ما أعني عنهم ذلك الاعتقاد الباطل والقول الفاسد الذى اكتسبوه من عذاب الله شيئا بل اصابهم سيئات ماكسبوا ولما بين في أوامرك المتقدمين اذهم اصابهم سيئات ماكسبوا اى عذاب عقائدهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة قال وماهم بمجرمين اى لا يعجزوننى في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى أولم يعلموا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر اى أولم يعلموا أن الله تعالى هو الذى يسطر الرزق لمن يشاء تارة ويقبض تارة اخرى وقوله ويقدر اى ويقدر ويضيق والدليل عليه انما ترى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه ولا بد من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله لانما ترى العاقل القادر في أشد الضيق وترى الجاهل المريض الضعيف في أعظم السعة وليس ذلك أيضا لاجل الضبايع والأنجيم والأفلاك لان في الساعة التى وادفيتها ذلك الملك الكبير والسلطان القاهر قد ولد وقد افسد أيضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الانسان ويولد أيضا في تلك الساعة عالم من النبات فلما شاهدنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا انه ليس المؤثر في السعادة والشقاوة هو الطالع ولما بطلت هذه الاقسام علمنا ان المؤثر فيه هو الله سبحانه وصح بهذا البرهان العلى القاطم صحة قوله تعالى أولم يعلموا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر قال الشاعر فلا السعد يقضى به المشتري * ولا الخس يقضى علينا زجل ولكنه حكيم رب السما * وقاضى القضاة تعالى وجل

﴿ قوله تعالى (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) انه هو الغفور الرحيم وانيدوا الى ربكم واسئلوه من قبل ان يأتىكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتىكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو ان الله هدانا لكانت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو اننى كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) اعلم انه تعالى لما أذنب في الوعيد أرففه بشرح كمال رحمة وفضله واحسانه في حق العبيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يعفو عن الكبائر فقالوا انما بينا في هذا الكتاب ان عرف القرآن جار بتخصيص اسم العباد بالمؤمنين قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال عينا يشرب بها عباد الله ولان فضل العباد مذكور في معرض التظيم فوجب ان لا يقع الاعلى المؤمن اذ ثبت هذا ظهر ان قوله يا عبادى مختص بالمؤمنين ولان المؤمن هو الذى يعترف بكونه عبد الله أما المشركون فانهم يسمون انفسهم بعباد اللات والعزى وعبد المسيح فثبت ان قوله يا عبادى لا يلىق الا بالمؤمنين اذ ثبت هذا فنقول انه تعالى قال الذين اسرفوا على انفسهم وهذا

افراطوا في الجنابة عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو ﴿ عام ﴾ عرف القرآن الكريم (لا تقنطوا من رحمة الله) اى لا تياسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا (ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفو لمن يشاء

ولو بعد حين تعذب في الجملة وبغيره حسمات، وتقيد بالنوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيعاهد الشريك وما يدل عليه التعليل بقوله تعالى (انه هو الغفور الرحيم) على المبالغة واقادة الحصر والوعد بالرحمة بعد ﴿ ٢٧١ ﴾ المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي

عام في حق جميع المسرفين ثم قال تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهذا يقتضى كونه غافرا لجميع الذنوب الصادرة عن المؤمنين وذلك هو المقصود فان قيل هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والازم القطع بكون الذنوب مغفورة قطعا وانتم لا تقولون به فاعوه مدلول هذه الآية لا تقولون به والذي تقولون به لا يدل عليه هذه الآية فسمعت الاستدلال وأيضا انه تعالى قال عقيب هذه الآية وأنبأوا الي ربكم وأسألوا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون الى قوله بغنة وأنتم لا تشعرون ولو كان المراد من أول الآية أنه تعالى غفر جميع الذنوب قطعا لما أمر عقيب بالانابة والماخوف فهم ينزول العذاب عليهم من حيث لا يشعرون وأيضا قال أن تقول بنفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله واو كأت الذنوب كلها مغفورة نأى حاجة به الى أن يقول يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وأيضا فلو كان المراد ما يدل عليه ظاهر لفظ الآية لكان ذلك اغراء بالمعاصي والاطلاق في الاقدام عليها وذلك لا يليق بحكمة الله واذ ثبت هذا وجب ان يحتمل على ان يقال المراد منه التثبية على أنه لا يجوز أن يظن المعاصي انه لا يختص له من العذاب البتة فان من اعتقد ذلك فهو قاطب من رحمة الله اذ لا أحد من العصاة المذنبين الا ومن تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا أي بالنوبة والانابة والجواب قوله الآية تقتضى كون كل الذنوب مغفورة قطعا وانتم لا تقولون به قلنا بل نحن نقول به ونذهب اليه وذلك لان صيغة يغفر صيغة المضارع وهي الاستقبال وعندنا أن الله تعالى يخرج من النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى هذا التقدير فصاحب الكبيرة مغفوره قطعا اما قبل الدخول في نار جهنم واما بعد الدخول فيها فثبت أن ما يدل عليه ظاهر الآية فهو عين مذهبتنا أما قوله لو صارت الذنوب بأسرها مغفورة لما أمر بالنوبة فالجواب ان عندنا اتوبة واجبة وخوف العقاب قائم فانما لا تقطع بازالة العقاب بالكتابة بل نقول له له يغفوه مطلقا وامله يذهب بالنار مدة ثم يغفو بعد ذلك ويهدى الحرف يخرج الجواب عن بقية الاسئلة والله أعلم (المسئلة الثانية) اعلم ان هذه الآية تدل على رجاا الرحمة من وجود (الاول) انه سمي المذنب بالمبدع والعبودية مفسرة بالحاجة والذلة والسكنة واللاق بالرحيم الكريم افاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج (الثاني) انه تعالى احضافهم الى نفس بياد الاحضافة فقال يا عبادي الذين أسرفوا وشرفوا الاحضافة اليه يفيد الامن من العذاب (الثالث) انه تعالى قال أسرفوا على أنفسهم ومعناه ان ضرر تلك الذنوب ما عاد اليبذل هو عائد اليهم فيكف عنهم من تلك الذنوب عود مضارها اليهم ولا حاجة الى الحاق ضرر آخر بهم (الرابع) انه قال لا تقنطوا من رحمة الله فها هم عن القنوط فيكون هذا أمر بالرجاء والكريم اذا أمر بالرجاء فلا يليق به الا الكرم (الخامس) أنه تعالى قال اوليا عبادي وكان الاطلاق ان يقول لا تقنطوا من رحمتي لکنه ترك هذا اللفظ وقال لا تقنطوا من رحمة الله لان قولنا الله اعظم اسماء الله واجلها فالرحمة المضافة اليه

من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليلها بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير ادلاله على أنه المستغنى والمنعم على الاطلاق وانما كيد بالجمع وما روى من أسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضى اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالنوبة والاخلاص في قوله تعالى وأنبأوا الي ربكم وأسألوا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون (اذ ليس المدعى أن الآية تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لغنى عن الامر بها وتنافي الوعيد بالعذاب

(واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) أي اقرآن أو المأمور به دون المنهي عنه أو المراد من دور الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو النجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل ان يأتيكم العذاب بغنة وأنتم لا تشعرون) بمجيئه لتداركوا وتأهبوا له (أن تقول نفس) أي كراهة أن تقول والتشكير للتكثير كافي قوله تعالى علمت نفس

ما حضرت فانه مسلوك ردا بسلك عند اذاعة التكثير والتعميم وقدمر تحميته في مطلع سورة الحجر (يا حسرتنا) بالالف بدلا من يا الاضافة وقرى يا حسرتنا بهاء السكت وقفوا وقرى يا حسرتناي بالجمع بين العوضين وقرى يا حسرتي على الاصل أي احضري فهذا أوان حضورك (على ما قرطت) أي ﴿ ٢٧٢ ﴾ على تفریطی بتصیری (في جنب الله) أي

جانبه وفي حقه وطاعته وعليده قول من قال * أماتقین الله في جنب وامق * له كيد حري وعین تفرق * وهو كناية فيها سبغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف كاطاعة وقيل في قر به من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرى في ذكرا لله (وان كنت لمن الساخرين) أي المستهزئين بدين الله تعالى وأهله ومحل الجملة التعصب على الحال أي قرطت وأنا ساخر (أو تقول لو أن الله هداني بالارشاد الى الحق) (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصي (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كربة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) في العبيدة والسمل وأوتاد الخ على أنها لا تخور عن هذه الأقوال تحسرا وخيرا وتحذرا بلا طائل تحته وقوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) رد من الله تعالى عليه لما أقصمه

يجب أن تكون أعظم أنواع الرحمة والفضل (السادس) انه لما قال لا تقنطوا من رحمة الله كان الواجب أن يقول انه يغفر الذنوب جميعا ولكنه لم يقل ذلك بل أعاد اسم الله وقرن به لفظة ان المفيدة لا عظم وجوه التأكد وكل ذلك يدل على المبالغة في الوعد بالرحمة (السابع) انه لو قال يغفر الذنوب لكان المقصود حاسلا ولكنه أردفه باللفظ الدال على التأكد فقال جميعا وهذا أيضا من المؤكدات (الثامن) انه وصف نفسه بكونه غفورا ولفظ الغفور يفيد المبالغة (والسابع) انه وصف نفسه بكونه رحيمًا والرحمة تفيد فائدة زائدة على المعفرة فكان قوله انه هو الغفور اشارة الى ازالة موجبات العقاب وقوله الرحيم اشارة الى تحصيل موجبات الرحمة والثواب (العاشر) أن قوله انه هو الغفور الرحيم يفيد الحصر ومعناه انه لا غفور ولا رحيم الا هو وذلك يفيد الكمال في وصفه سبحانه بالعرفان والرحمة فهذه الوجوه العشرة مجموعة في هذه الآية وهي باسرها دالة على كمال الرحمة والغفران ونسأل الله تعالى الفوز بها وانجاة من العقاب بفضلته ورحمته (المسئلة الثالثة) ذكروا في سبب النزول وجوها قيل انها نزلت في أهل مكة فأنهم قالوا يزعم محمد أن من عبد الاوثان وقتل النفس لم يغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم وقيل نزلت في وحشي قاتل حرة لما أراد أن يسلم وخاف أن لا تقبل توبته فلما نزلت الآية أسلم فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه خاصة أم للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة وقيل نزلت في اناس أصابوا ذنوبا عظيما في الجاهلية فلما جاء الاسلام اسفقوا أن لا يقبل الله توبتهم وقيل نزلت في عياض بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين اسلموا ثم فتنوا فافتنوا وكان المسلمون يقولون فيهم لا يقبل الله منهم توبتهم فنزلت هذه الآية فكاتبها عمرو بعث بها اليهم فاسلموا وهاجروا واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فنزلت هذه الآيات في هذه الوقائع لا ينم عن عمومها (المسئلة الرابعة) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم يا عبادي: فتح اليد والباقيون وعاصم في بعض الروايات غير فتح وكلهم يفتنون عليها بآيات اليد الا انها في المصحف اذا قرأ بعض روايت أبي بكر عن عاصم انه يقف بغير ياء وقرأ أبو عمرو والكسائي نقشوا بكسر التون والباقيون بفتحها وهما لغتان قال صاحب الكشاف وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا ان يشاء ثم قال تعالى وأنبوا الي ربكم قال صاحب الكشاف أي وتوبوا اليه واسلموا له أي واخضعوا له العمل وانما ذكرنا الآية على الراجح لانه لا يطعم كلاما في خصوصها بغير توبة والدلالة على انها شرط فيها الا ان لا تحصل بغيره وأقول هذا الكلام ضعيف جدا لان عندنا التوبة بقية المعاصي واجبة فليزعم من وزود الأمر بها طمس في الوعد بالمعفرة فان قالوا لو كان الوعد بالمعفرة سائما فلهذا لا يخرج الى التوبة ثم التوبة ثم التوبة فاستقامت العقاب فاذا سقط العقاب بغير الله عنه فلا حاجة الى التوبة فتقول هنا ضعيف لان مذهبا انه تعالى وان كان يغفر الذنوب قطعا يغفر عنها قطعا لان هذا المقرب الغفران بقم على وجهين

قوله لو أن الله هداني من معنى التوب وقصده عند لما أن تقديمه يفرق اثره وتأخير الردود ينزل ﴿ تارة ﴾ بالترتيب الوجودي لانه لا يحسر بالانقراض ثم يعال بفقده الهداية ثم يتخى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا مفايد من استناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى

تارة يقع ابتداء وتارة يعذب مدة في النار ثم يخرج من النار ويعفو عنه فتأخذ التوبة
ازالة هذا العذاب فثبت ان الذي قاله صاحب الكشف ضعيف ولا فائدة فيه ثم قال
واتبعوا حسن ما أنزل اليكم من ربكم واعلم انه تعالى لما وعد بالعمرة أمر بعد هذا الوعد
بأشياء (فالاول) أمر بالانابة وهو قوله تعالى وأنبأوا الى ربكم (والثاني) أمر بمتابعة
الاحسن وفي المراد بهذا الاحسن وجوه (الاول) انه القرآن ومعناه واتبعوا القرآن
والدليل عليه قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا (الثاني) قال الحسن معناه
والترجموا طاعة الله واجتنبوا معصية الله فان الذي أنزل على ثلاثة أوجه ذكر التبع
ليجنب عنه والادون لئلا يرغب فيه والاحسن ليتقوى به ويتبع (الثالث) المراد
بالاحسن الناسخ دون المنسوخ لان الناسخ أحسن من المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ
من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ولان الله تعالى لما نسخ حكما أو أثبت حكما آخر كان
اعتادنا على النسخ أحسن لنا من اعتادنا على المنسوخ ثم قال من قبل أن يأتيكم
العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون والمراد منه التهديد والخريف والمعنى أنه يفجأ العذاب
وأنتم غافلون عنه واعلم انه تعالى لما خوفهم بالعذاب بين تعالى أن يتقديرتك العذاب
عليهم ماذا يقولون فحكى الله تعالى عنهم ثلاثة أنواع من الكلمات (فالاول) قوله تعالى
ان تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين وفيه مسائل
(المسئلة الاول) قوله ان تقول مفعول به أي كراهة أن تقول يا حسرتنا على ما فرطت
في جنب الله وأما تكبير لفظا نفس فزيد وجهان (الاول) يجوز أن تراد نفس متازة عن
سائر النفوس لاجل اختصاصها بيزيد اضرار بالآليني غيبها في العامي (والثاني)
يجوز أن يراد به الكثرة وذلك لأنه ثبت في علم أصول الفقه ان الحكم المنصكور
عقيب ووصف يناسب يفيد الظن بأن ذاك الحكم معلل بذلك الوصف فتواها يا حسرتنا
يدل على غاية الاسف ونهاية الحزن والله من كور عقيب قوله تعالى على ما فرطت في جنب
الله وانقر بط في طاعة الله تعالى يناسب شدة الحسرة وهذا يقتضي حصول تلك
الحسرة عند حصول هذا التفر يط وذلك يفيد العموم بهذا الطريق (المسئلة الثانية)
القائلون بأثبات الاعضاء لله تعالى استدلووا على اثبات الجنب بهذه الآية واعلم ان
دلائنا على نفي الاعضاء قد كثرت فلا بد من الاعادة ونقول بتفسير أن يكون المراد من
هذا الجنب عضو مخصوص والله تعالى فإنه يتبع وقوع التفر يط فيه فثبت انه لا بد من المصير
الى التأويل والفسرين فيه عبارات قال ابن عباس يريد ضيعت من ثواب الله وقال
مناهل ضيعت من ذكر الله وقال مجاهد في أمر الله وقال الحسن في طاعة الله وقال سعيد
ابن جبير في حق الله واعلم ان الاكثار من هذه العبارات لا يفيد شرح الصدور وشفاء
الغليل فتقول الجنب سمي جنبا لانه جانب من جوانب ذلك الشيء الذي يكون من
اوازم الشيء وتوابعد يكون كأنه جند من جنوده وجانب من جوانبه فلما حصلت هذه

وقرى بالتأنيث (ويوم
التيام تترى الذين كذبوا
على الله) بأن وصفوه
بالايليق بشأنه كأنخذ
الولد (وجوههم مسودة)
بما يسألهم من الشدة
أو بما يتخيل عليها من
ظلمة الجهل والجملة حال
قدا اكتفى فيها بالضمير
عن الواو على أن الرواية
بصرية أو مفعول ثان لها
على أنها عرفانية (أليس
في جهنم مثوى) أي مقام
(المتكبرين) من الايمان
والطاعة وهو تفرير لما
قبله من رؤيتهم كذلك
(وينجي الله السدين)
اتقوا الشرك والمعاصي
أي من جهنم وقرى
ينجس من الأنجس
(بمجازتهم) مصدر رمي
امان فاز بالطلب أي
ظفر به والباء متعلقة
بمعدوف هو حال من
الموصول مفيدة لمقارنة
تجيبتهم من العذاب
انيل الثواب أي نجيتهم
الله تعالى من مشوى
المتكبرين ملتبس بنفوزهم
بمشاؤ بهم الذي هو
الجنة وقوله تعالى (لا
يسسهم سوء ولاهم
يجزئون) اممال أخرى من

المشابهة بين الجنب الذي هو العضو وبين ما يكون لازماً بالثبوت وتابعه لاجرم حسن
 انطلاق لفظ الجنب على الحق والامر والطاعة قال الشاعر
 أمانتين الله في جنب وامنق * له كبد حرا عليك تقطم
 (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشاف قري يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على
 الجمع بين العوض والعوض عنه وأما قوله تعالى وان كنت لمن الساخرين أي انه ما كان
 مكتفياً بذلك التقصير بل كان من المستهزئين بالدين قال قتادة لم يكنه أن يضع طاعة الله
 حتى سخّر من أهلها ومحل وان كنت نصب على الجمال كانه قال فرطت في جنب الله وأنا
 ساخر أي فرطت في حال سخريتي (النوع الثاني) من الكفاحات التي حكاه الله تعالى
 عن أهل العذاب انهم يذكرونه بعد نزول العذاب عليهم قوله أو تقول لو أن الله هداني
 لكنت من المتقين (النوع الثالث) قوله أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون
 من المحسنين وحاصل الكلام ان هذا المقصود أي بثلاثة أشياء (أولها) الحسرة على
 التقرب في الطاعة (وثانيها) التعلل بفقد الهداية (وثالثها) تمنى الرجعة ثم أجاب الله
 تعالى عن كلامهم بأن قال التعلل بفقد الهداية باطل لان الهداية كانت حاضرة
 والاعتذار زائلة وهو المراد بقوله بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من
 الكافرين وههنا مسائل (المسئلة الاولى) قال الزجاج بلى جواب النفي وابس في الكلام
 لفظ النفي لأنه حصل فيه معنى النفي لان معنى قوله لو أن الله هداني انه ما هداني فلا
 جرم حسن ذكر لفظه بلى بعده (المسئلة الثانية) قال الواحدي رحمه الله القراءة المشهورة
 واقعة على التذكير في قوله بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت
 من الكافرين لان النفس تقع على الذكر والاني فخو طب المذكور وروى الربيع بن أنس
 عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ على التأييد قال أبو عبيد أو صح هذا عن
 النبي صلى الله عليه وسلم لكان حجة لا يجوز لأحد تركها ولكنها ليس بمسند لان الربيع
 لم يدرك أم سلمة وأما وجه التأييد فهو انه ذكر النفس ونفط النفس ورد في القرآن في أكثر
 الامر على التأييد بقوله سوات لي نفسي وان النفس لأماراة بالسوء وبآياتها النفس
 المظلمة (المسئلة الثالثة) قال القاضي هذه الآيات دالة على صحة القول بانقدر
 من وجوه (الاول) انه لا يقال فلان أسرف على نفسه على وجه الدم الا لما يكون من
 قبله وذلك يدل على أن افعال العباد تحصل من قباهم لامن قبل الله تعالى (وثانيها) ان طلب
 التفران والرجاء في ذلك أو اليأس لا يحسن الا اذا كان الفعل فعل العبد (وثالثها)
 اضافة الانابة والاسلام اليه من قبل أن يأتيه العذاب وذلك لا يكون الا مع تمكنه من
 مجاوزتها قبل نزول العذاب ومذهبهم أن الكافر لم يتمكن قط من ذلك (ورابعها) قوله
 تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وذلك لا يتم الا بما هو المختار للاتباع
 (وخامسها) ذمه الله على انهم لا يشعرون بما يوجب العذاب وذلك لا يصح الا مع التمكن

الموصول أو من ضمير
 مغازتهم مفيدة لتكون
 نجاتهم أو فوزهم بالجنة
 غير مسبوقه بمسلس
 العذاب والحزن وامان
 فاز منه أي نجاته والباء
 لللابسة وقوله تعالى لا
 يسهم الى آخره تفسير
 وبيان لمغازتهم أي
 يجيبهم الله تعالى ملتبسين
 بنجاتهم الخاصة بهم أي
 بنفي سوء والحزن عنهم
 أو السببية اما على حذف
 المضاف أي يجيبهم
 بسبب مغازتهم التي هي
 تقواهم كما يشعر به ايراده
 في حيز الصلة واما على
 انطلاق المفاضة على سببها
 الذي هو التقوى وليس
 المراد في دوام المساس
 والحزن بل دوام نفيهما
 كما مر مرارا (الله خالق
 كل شيء) من خير وشر
 وایمان وكفر لكن لا بالجبر
 بل ببشارة الكاسب
 لاسبابها (وهو على كل
 شيء وكيل) يتولى
 التصرف فيه كيفما
 يشاء (له مقاليد السموات
 والارض) الا تلك أمرها
 ولا يتمكن من التصرف
 فيها غيره وهو عبارة
 عن قدرته

تعالى وحفظه لها وفيها من بدلالة على ﴿ ٢٧٥ ﴾ الاستقلال والاستبداد لان الخزان لا يدخلها ولا يتصرف

فيها الا من بيده مفاتيحها
وهو جمع مفاتيح او
مقلاد من قلدته اذا
الزنته وقبل جمع اقليد
معرب كليلد على الشذوذ
كاللذا كبر وعن عثمان
رضي الله عنه انه سأل
النبي صلى الله عليه وسلم
عن المنايا فقال عليه
الصلاة والسلام
تفسيرها لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله
وبحمده واستغفر الله
ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم هو الاول
والاخر والظاهر
والباطن بيده الخير
يحيي ويميت وهو على
كل شيء قدير والمعنى
على هذا ان الله هذه
الكلمات بوحدها
ويجحد وهي مفاتيح
خير السموات والارض
من تكلم بها أصابه
(والذين كفروا آيات
الله أو تلك هم الخاسرون)
متصل بما قبله والمعنى
ان الله تعالى خالق
لجميع الاشياء
ومتصرف فيها كيفما
يشاء بالايجاب والامانة

من الفعل (وسادسها) قولهم يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ولا يتحسر المرء على امر
سبق مند الا وكان يصح منه ان يفعله (وسابعها) قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ومن
لا يقدر على الايمان كما يقول اقوم ولا يكون الايمان من فعله لا يكون مفرطاً (وثامنها)
ذمهم بانهم من الساخرين وذلك لا يتم الا ان تكون السخرية فعلهم وكان يصح
منهم ان لا يفعلوه (وتاسعها) قوله لو ان الله هدىني الى مكنى لكنت من المتين وعلى
قولهم اذا لم يقدر على التقوى فكيف يصح ذلك منه (وعاشرها) قوله لو ان لي كرة
فاكون من المحسنين وعلى قولهم اورد الله ابدا كرة بعدكرة وليس فيه الاقدرة الكفر
لم يصح ان يكون محسناً (والحادى عشر) قوله تعالى مو يخالهم بلى قد جاءتك آياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين فبين تعالى ان الحجمة عليهم لله لان الحجمة لهم
على الله ولو ان الامر كما قالوا لكان لهم ان يقولوا قد جاءنا الآيات ولكنك خالفت فينا
التكذيب بها ولم تفدنا على التصديق بها (والثاني عشر) انه تعالى وصفهم بالتكذيب
والاستكبار والكفر على جهة الذم واولم تكن هذه الاشياء اذما لا لهم لما صح هذا الكلام
(والجواب) عند ان هذه الوجوه معارضة بما ان القرآن ملوء من ان الله تعالى هو انذى
يضل ويمنع ويصدر منه اللين والقسوة والاستدراج ولما كان هذا التفسير او آمنه لم يكن
الى الاعادة حاجة * قوله تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
أليس في جهنم مثوى للكافرين وينجي الله الذين اتقوا بما فازتهم لا يمسهم السوء ولا هم
يحرزون) اعلم ان هذا نوع آخر من تقرير الوعيد والوعد اما الوعيد فقوله تعالى ويوم
القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وفيه بحثان (أحدهما) ان هذا
التكذيب كيف هو (والثاني) ان هذا السواد كيف هو اما الاول وهو البحث عن حقيقة
هذا التكذيب فنقول المشهور ان الكذب هو الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه
ومنهم من قال هذا القدر لا يكون كذبا بل الشرط في كونه كذبا ان يقصد الاتيان بخبر
يخالف المخبر عنه اذا عرفت هذا الاصل فنذكر أقوال الناس في هذه الآية قال الكعبي
ويرد الجبريان هذه الآية قد وردت في الحجيرة ثم قال والدليل على ان الامر كذلك ان هذه
الآية وردت عقيب قوله لو ان الله هدىني الى مكنى لكنت من المتين فلما حكي الله هذا
عن الكفار ثم ذكر عقوبته ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وجب ان يكون
هذا عائدا الى ذلك الكلام المتقدم ثم روى عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما بال أقوام يصلون ويقرؤون القرآن يزعمون ان الله كتب الذنوب على العباد وهم كذبة
على الله والله مسود وجوههم واعلم ان أصحابنا قالوا آخر الآية يدل على فساد هذا
التأويل لانه تعالى قال في آخر الآية أليس في جهنم مثوى للكافرين وهذا يدل على ان
أولئك الذين صارت وجوههم مسودة أقوام متكبرون والتكبر لا يليق بمن يقول
انا لا اقدر على الخلق والاعادة والايجاد وانما اقدر عليه هو الله سبحانه وتعالى أما الذين

والتنزيلية التي من جعلتها
 هاتيك الآيات الناطقة
 بذلك هم الخاسرون
 خسروا بالاختصار وراه
 هذا وقيل هو متصل
 بقوله تعالى وينجي الله
 وما بينهما اعتراض
 فتدبر (قل أفعير الله
 تأمروني أعبدوا أيها
 الجاهلون) أي أبعده
 مشاهدة هذه الآيات
 غير الله أعبدوا تأمروني
 اعتراض للدلالة على
 أنهم أمرؤ به عقيب
 ذلك وقالوا استلم بعض
 آلهتنا تؤمن بالله
 لفرط غباوتهم ويجوز
 أن ينصب قير بما يدل
 عليه تأمروني أعبد لانه
 بمعنى تعبدونني وتقولون
 لي أعبد على أن أصله
 تأمروني أن أعبد
 فجندف أن ورفع ما بعدها
 كما في قوله * ألا أبعدها
 الزاجري الحضر الوعى *
 وأن اشهد اللذات هل
 أنت مخلدى * ويؤيده
 قراءة أعبد بالنصب
 وقرئ تأمروني باظهار
 التوئين على

يقولون ان الله يريد شياً وأنا أريد بضد فيحصل مرادى ولا يحصل مراد الله فالتكبر
 بهذا القائل أليق فثبت أن هذا التأويل الذي ذكره فاسد ومن الناس من قال ان هذا
 الوعيد تختص باليهود والنصارى ومنهم من قال انه مختص بمشركي العرب قال القاضي
 يجب حمل الآية على الكل من المشبهة والمجبرة وكذلك كل من وصف الله بما لا يليق به نفيًا
 وإثباتًا فاضاف اليه ما يجب تزيهه عنه أو زهده عما يجب أن يضاف اليه فالكل منهم
 داخلون تحت هذه الآية لانهم كلهم كذبوا على الله فخصيص الآية بالمجبرة والمشبهة
 أو اليهود والنصارى لا يجوز واعلم أنا الواجربنا هذه الآية على عمومها كما ذكره القاضي
 لزمد تكفير الأمة لآتري فرقة من فرقة الأمة الا وقد حصل بينهم اختلاف شديد
 في صفات الله تعالى الآتري أنه حصل الاختلاف بين أبي هاشم وأهل السنة في مسائل
 كثيرة من صفات الله تعالى ويلزم على قانون قول القاضي تكفير أحدهما فثبت انه
 يجب أن يحمل الكذب المذكور في الآية على ما إذا قصد الاخبار عن الشيء مع أنه يعلم
 انه كاذب فيما يقول ومثال هذا كفار قريش فانهم كانوا يصفون تلك الاصنام بالالهية
 مع انهم كانوا يعاون بالضرورة كونها جادات وكانوا يقولون ان الله تعالى حرم البحيرة
 والسائبة والوصيلة والحام مع انهم كانوا ينكرون القول بأن الله حرم كذا وأباح كذا
 وكان قائله طالما بأنه كذب وإذا كان كذلك فالخاق مثل هذا الوعيد بهذا الجاهل
 الكذاب انضال المضل مناسباً أما من لم يقصد الحق والصدق لكنه أخطأ بعد الخاق
 هذا الوعيد به (البحث الثاني) الكلام في كيفية السواد الحاصل في وجوههم والاقرب
 أنه سواد يخالف لسائر أنواع السواد وهو سواد يدل على الجهل بالله والكذب على الله
 وأقول ان الجهل ظلمة والظلمة تخيل كأنها سواد فسواد قلوبهم أوجب سواد وجوههم
 وتحت هذا الكلام أسرار عميقة من مباحث أحوال القيامة فلما ذكر الله هذا الوعيد
 أردفه بالوعد فقال وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم الآية قال القاضي المراد به من اتقى
 كل الكبائر اذ لا يوصف بالاتقاء المطلق الا من كان هذا حاله فيقال له أمرت بحجب جدا
 فانك قلت لما تقدم قوله تعالى لو أن الله عداني لكننت من المتقين وجب أن يحمل قوله
 ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة على الذين قالوا لو أن الله
 عداني فعلى هذا القانون لما تقدم قوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
 مسودة ثم قال تعالى بعده وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وجب أن يكون المراد هم الذين
 اتقوا ذلك الكذب فهذا يقتضى ان كل من لم يتصف بذلك الكذب أن يدخل تحت الوعد
 المذكور بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وان يكون قولك الذين اتقوا المراد منه
 من اتقى كل الكبائر فاسداً فثبت ان التعصب بحمل الرجل العاقل على الكلمات
 المتناقضة بل الحق أن نقول المتقى هو الآتى بالاتقاء والآتى بصورة واحدة
 آت بمسمى الاتقاء وبهذا الحرف قلنا الامر المطلق لا يفيد التكرار ثم ذلك الاتقاء

غير مذكور بعينه في هذه اللفظة فوجب حمله على الاتقاء عن الشيء الذي سبق ذكره وهذا هو الكذب على الله تعالى ثبت ان ظاهر الآية يقتضي ان من اتقى عن تلك الصفة وجب دخوله تحت هذا الوعد الكريم ثم قال تعالى بمجازتهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بمجازاتهم على الجمع والباقون بمجازتهم على التوحيد وحكي الواحدى عن القراء انه قال كلاهما صواب اذ يقال في الكلام قد تبين أمر القوم وأمور القوم قال أبو علي الفارسي الافراد للمصدر ووجه الجمع ان المصادر قد تجتمع اذا اختلفت اجناسها كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا ولا شك ان لكل متق نوعا آخر من المفازة (المسئلة الثانية) المفازة منة من الفوز وهو السعادة فكان المعنى ان العجاة في القيامة حصلت بسبب فوزهم في الدنيا بالطاعات والخيرات فعبر عن الفوز باوقاتهما ومواضعهما ثم قال لا يسهم السوء ولاهم يحزنون والمراد انه كالتفسير تلك العجاة كانه قيل كيف يجزيهم قليل لا يسهم السوء ولاهم يحزنون وهذه كلمة جامعة لانه اذا علم انه لا يسهم السوء كان فارغ البال بحسب الحال عما وقع في قلبه بسبب فوات الماضي فحينئذ يظهر انه سلم عن كل الآفات ونسأل الله الفوز بهذه الدرجات منه وكرمه (المسئلة الثالثة) ذات الآية على ان المؤمنين لا ينالهم الخوف والرعب في القيامة ونا كذا بقوله لا يحزنونهم الفزع الاكبر قوله تعالى (الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون قل أغير الله تأمرونى أعبد ايها الجاهلون لقد أوحى اليك والى الذين من قبلك انن أشركت ليحبطن عملك وان تكونن من الخاسرين بل الله فاعبدو كن من الشاكرين) واعلم انه لما أطال الكلام في شرح الوعد والوعيد عاد الى دلائل الالهية والتوحيد وفي الآبة مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا في سورة الانعام ان أصحابنا تمسكوا بقوله تعالى الله خالق كل شئ على ان أعمال العباد مخلوق لله تعالى وأظننا هناك في الاسئلة والاجوبة فلا فائدة ههنا في الاعادة الا ان الكعبى ذكر ههنا كلمات فنذكرها ونجيب عنها فقال ان الله تعالى مدح نفسه بقوله لله خالق كل شئ وليس من المدح ان يخلق الكفر والقبائح فلا يصح أن يحتج المخالف به وأيضا فلم يكن في صدر هذه الامة خلاف في أعمال العباد بل كان الخلاف بينهم وبين الجوس والزنادقة في خلق الامراض والسباع والهوام فأراد الله تعالى أن يبين انها جمع من خلقه وأيضا لفظة كل قد لا توجب العموم لقوله تعالى وأوتيت من كل شئ تدمر كل شئ وأيضا لو كانت أعمال العباد من خلق الله لما أضافها اليهم بقوله كفار احسدا من عند أنفسهم ولما صح قوله ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ولما صح قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا فهذا جملة ما ذكره الكعبى في تفسيره وقال الجبائى لله خالق كل شئ سوى افعال خلقه التي صح فيها الامر والنهى واستحقوا بها الثواب والعقاب او كانت

الاصل ويحذف الثانية
(واتدأوحى اليك والى
الذين من قبلك) أى
من الرسل عليهم السلام
(انن أشركت ليحبطن
عملك وتكونن
من الخاسرين) كلام
وارد على طريقة الفرض
التي هي الرسل واقناط
الكفرة والايذان بغاية
شناعة الاشراك ووجهه
وكونه بحيث ينهى عنه
من لا يكاد يمكن أن يباشره
فكيف بمن عداه وافراد
الخطاب باعتبار كل
واحد واللام الاولى
موطئة للقسم والاخران
للجواب واطلاق الاحباط
يتمثل ان يكون من
خصم انفسهم عند الاشراك
منهم لان الاشراك
منهم أشد واقبح وأن
يكون مقيدا بالوت كما
صرح به في قوله تعالى
ومن يرتدد منكم
دينه فميت وهو كافر
وأولئك حبطت أعمالهم
وعطف الخسران عليه
من عطف المسبب على
السبب (بل الله فاعبد)
ردلما أمر به ولو لادلالة
التقديم على القصر يمكن
كذلك (وكن من

افعالهم خلق الله تعالى ما جاز ذلك فيه كما لا يجوز مثله في ألو انهم وصورهم وقال أبو مسلم الخاق هو التقدير لا اليجاد فاذا أخبر الله عن عباده أنهم يفتعون الفعل القلاني فقد قدر ذلك الفعل فيصيح أن يقال انه تعالى خلقه وان لم يكن موجداه واعلم أن الجواب عن هذه الوجوه قد ذكرناه بالاستقصاء في سورة الانعام فمن أراد الوقوف عليه فليطالع هذا الموضع من هذا الكتاب والله اعلم اما قوله تعالى وهو على كل شيء وكيل فالعنى ان الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك وهذا ايضا يدل على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لان فعل العبد او وقع بتخليق العبد لكان ذلك الفعل غير موكول الى الله تعالى فلم يكن الله تعالى وكيلاً عليه وذلك يتساقى عموم الآية ثم قال تعالى له مقاليد السموات والارض والمعنى سبحانه مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزان ومدبر أمرها هو الذى يده مقاليدها ومنه قولهم فلان أقيمت مقاليد الملك اليه وهى المفاتيح قال صاحب الكشاف ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ومقاليد وقيل مقلاذ ومقاليد مثل مفنح ومفاتيح وقيل اقليد وأقاليد قال صاحب الكشاف والكلمة أصلها فارسية الا أن القوم لما عرّبوها صارت عربية واعلم أن الكلام في تفسير قوله له مقاليد السموات والارض قريب من الكلام في قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب وقد سبق الاستقصاء هناك قيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده أستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير هكذا نقله صاحب الكشاف ثم قال تعالى والذين كفروا بايات الله أولئك هم الخاسرون وفيه مسألان (المسئلة الاولى) صريح الآية يقتضى انه لا خاسر الاكافرو وهذا يدل على ان كل من لم يكن كافرا فانه لا بد وأن يحصل له حظ من رحمة الله (المسئلة الثانية) أورد صاحب الكشاف سؤالاً وهو انه بم اتصل قوله والذين كفروا وأجاب عنه بأنه اتصل بقوله تعالى وينجى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمقازتهم والذين كفروا بايات الله أولئك هم الخاسرون واعترض ما بينهما انه خالق للاشياء كلها وان له مقاليد السموات والارض وأقول هذا عندى ضئيف من وجهين الاول ان وقوع الفاصل الكبير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد (الثانى) ان قوله وينجى الله الذين اتقوا بمقازتهم جملة فعلية وقوله والذين كفروا بايات الله هم الخاسرون جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز بل الاقرب عندى أن يقال انه لما وصف الله تعالى نفسه بالصفات الالهية والجلالية وهو كونه خالقاً للاشياء كلها وكونه مالكاً لمقاليد السموات والارض بأسرها قال بعده والذين كفروا بهذه الآيات الظاهرة الباهرة أولئك هم الخاسرون ثم قال تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبدونها الجاهلون وفيه مسائل

الشاكرين) انعام عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه (وما قدر والله حق قدره) ما قدروا عظمة تعالى في أنفسهم حتى عظمته حيث جعلوا له شريكاً ووصفوه بما لا يليق بشئونه الجلية وقرى بالتشديد (والارض جميعاً قبضته يوم القيامه والسموات مطويات بيمينه) تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتخبر فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على أن تخرب العالم أهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازاً كقولهم شايث لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرى بالنصب على الظرف تشبيهاً للموقت بالمبهم وتأكد الارض بالجيبس لان المراد بهما الارضون

(المسئلة الاولى) قرأ ابن عامر تأمروني بنونين سا كنة الباء وكذلك هي في مصاحف الشام قال الواحدى وهو الاصل وقرأ ابن كثير تأمروني بنون مشددة على اسكان الاولى وادغامها في الثانية وقرأ نافع تأمروني بنون واحدة خفيفة على حذف احدى النونين والياقون بنون واحدة مكسورة مشددة (المسئلة الثانية) أفتعير الله منصوب بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفتعير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون أسلم ببعض آلهتنا ونؤمن بأهلك وأقول نظير هذه الآية قوله تعالى قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وقد ذكرنا في تلك الآية وجه الحكمة في تقديم الفعل (المسئلة الثالثة) انما وصفتهم بالجهل لانه تقدم وصف الاله بكونه خاتما للاشياء وبكونه مالكا لمقاييد السموات والارض وظاهر كون هذه الاصنام جمادات انما لا تنضر ولا تنفع ومن أعرض عن عبادة الاله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة واشتغل بعبادة هذه الاجسام الخسيسة فقد بان في الجهل مبلغا لا مزيد عليه فللهذا السبب قال أيها الجاهلون ولاشك ان وصفهم بهذا الامر لأنق بهذا الموضوع ثم قال تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين واعلم ان الكلام التام مع الدلائل القوية والجواب عن الشبهات في مسئلة الاحباط قد ذكرناه في سورة البقرة فلانعيده قال صاحب الكشاف قرى ليحبطن عملك على البناء المفعول وقرى بالياء والنون أى ليحبطن الله أو الشرك وفي الآية سوالات (السؤال الاول) كيف أوحى اليه والى من قبله حال شركه على التعيين والجواب تقدير الآية أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله أو أوحى اليك والى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أى كل واحد منا (السؤال الثانى) ما الفرق بين اللامين الجواب الاول موطنه لا تقسم المحذوف والثانية لام الجواب (السؤال الثالث) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رساله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم والجواب ان قوله لئن أشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والنضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزائها الا ترى ان قواك او كانت الخمسة زيبا كانت منقصة بنسبها وبين قضية صادقة مع ان كل واحد من جزائها غير صادق قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولم يلزم من هذا صدق القول بأن فيهما آلهة وبأنهما قد فسدتا (السؤال الرابع) ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين والجواب كان طاعات الانبياء والرسول أفضل من طاعات غيرهم فكذلك القبائح التي تصدر عنهم فانها بتقدير الصدور تكون اقبح اقوله تعالى اذا لاؤذناك ضعف الحياة وضعف المات فكان المعنى ضعف الشرك الحاصل منه وبتقدير حصوله منه يكون تأثيره في جانب غضب الله أقوى وأعظم واعلم انه تعالى لما قدم هذه المقدمات ذكر ما هو القسود فقال بل الله فاعبدوا كن من الشاكرين والقصود منه رد ما أمره به من الاسلام ببعض آلهتهم كأنه قال انكم تأمروني بان لا أعبد الا غير الله

السبع أو جميع أبعاضها
البادية والغائرة وقرى
مطويات على أنها طال
والسموات معطوفة على
الارض منظومة في
حكيمها (سبحانه وتعالى
عما يشركون) ما أبعد
وما أعلى من هذه قدرته
وعظيمته عن اشراكهم
أو عما يشركونه من
الشركاء (ونفع في الصور)
هي النفخة الاولى (فصعق
من في السموات ومن في
الارض) أى خروا
أمواتا أو مفسدات عليهم
(الامن شاء الله) قيل هم
جنبريل وميكائيل أو
واسرافيل فانهم لا يموتون
بعد وقيل حلة العرش
(ثم نفع فيدا أخرى) نفخة
أخرى هي النفخة الثانية
وأخرى يحتمل النصب
والرفع (فاذا هم قيام)
قائمون من قبورهم أو
متوقفون وقرى بالنصب
على أن الخبر (ينظرون)
وهو حال من ضميره
والمعنى يقبلون أبصارهم
في الجوانب كالمجهونين
أو ينظرون ما يفعل بهم
(وأشرفن الارض يوم
ربها) بما أقام فيها

لان قوله قل افعير الله تأمروني أعبد يفيد أنهم عينوا عليه عبادة غير الله فقال الله انهم
 بئسما قالوا ولكن أنت على الضد مما قالوا فلا تعبد الا الله وذلك لان قوله يل الله فاعبد
 يفيد الحصر ثم قال وكن من الشاكرين على ما عدك الى انه لا يجوز الا عبادة الاله القادر
 على الاطلاق العليم الحكيم وعلى ما أرشدك الى أنه يجب الاعراض عن عبادة كل ما
 سوى الله ﴿ قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة
 والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات
 ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرققت الارض
 بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون
 ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون) واعلم انه تعالى المحكي عن المشركين انهم
 أمروا الرسول بعبادة الاصنام ثم أنه تعالى أقام الدلائل على فساد قولهم وأمر الرسول
 بأن يعبد الله ولا يعبد شيئا آخر سواء بين انهم لو عرفوا الله حق معرفته لما جعوا هذه
 الاشياء الحسية مشاركة له في العبودية فقال وما قدروا الله حق قدره وفي الآية
 مسائل (المسئلة الاولى) احتج بعض الناس بهذه الآية على ان الخلق لا يعرفون حقيقة
 الله قالوا لان قوله وما قدروا الله حق قدره يفيد هذا المعنى الا انا ذكرنا ان هذا صفة جبال
 الكفار فلا يلزم من وصف الكفار بأنهم ما قدروا الله حق قدره وصف المؤمنين بذلك
 فسقط هذا الكلام (المسئلة الثانية) قوله وما قدروا الله حق قدره أى ما عظموه حق
 تعظيمه وهذه الآية مذكورة في سورة ثلاثة في سورة الانعام وفي سورة الحج وفي هذه
 السورة واعلم انه تعالى لما بين انهم ما عظموه تعظيما لا تقا به أردفه بما يدل على كمال
 عظمتهم ونهاية جلالته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
 قال التفال وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة كتقول المسائل
 وما قدرتنى حق قدرى وانا الذى فعلت كذا وكذا أى لما عرفت ان حالى وصفنى هذا الذى
 ذكرت فوجب أن لا تحطبنى عن قدرى ومزالتى وتظهيره قوله تعالى كيف تكفرون بالله
 وكنتم أمواتا فأحياكم أى كيف تكفرون بمن هذا وصفه وحال ملكه فكذا ههنا والمعنى
 وما قدروا الله حق قدره اذ زعموا ان له شركاء وانه لا يقدر على احياء الموتى مع ان الارض
 والسموات فى قبضته وقدرته قال صاحب الكشاف الغرض من هذا الكلام اذا
 أخذناه كما هو بجملة ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنهه جلالة من غير ذهاب
 بالقبضة والبايعين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك ما روى ان يهود ياجاء الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع
 والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر
 الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا
 بما قال قال صاحب الكشاف وانا ضحك أفصح العرب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه

من العدل استعير له النور
 لانه يزين البقاع ويظهر
 الحقوق كما يسمى الظلم
 ظلمة وفي الحديث الظلم
 ظلمات يوم القيامة ولذلك
 أضيف الاسم الجليل الى
 ضمير الارض او بنور
 خلقه فيها بلا توسط
 أجسام مضيئة ولذلك
 اضيف الى الاسم الجليل
 (ووضع الكتاب)
 الحساب والجزاء من وضع
 المحاسب كتاب المحاسبة
 بين يديه أو صحائف
 الاعمال فى أيدي العمال
 واكتفى باسم الجنس عن
 الجمع وقيل اللوح المحفوظ
 يقابل به الصحائف (وجي
 بالنبيين والشهداء) للام
 وعليهم من الملائكة
 والمؤمنين وقيل
 المستشهدون (وقضى
 بينهم) بين العباد (بالحق
 وهم لا يظلمون) بنقص
 ثواب أو زيادة عقاب
 على ما جرى به الوعد
 (ووفيت كل نفس ما
 عملت) أى جزاءه (وهو
 أعلم بما يفعلون) فلا يفوته
 شئ من أفعالهم

علمه البيان من غير تصور امسك ولا اصبع ولا هز ولا شئ من ذلك ولكن فهمه وقع
 اول كل شئ واخره على الزبده والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال
 العظام التي تحير فيها الاوهام ولا تكتمها الاذهان هيئة عليه قال ولا ترى بياض علم
 البيان ادق ولا لطيف من هذا الباب فيقال له هل تعلم ان الاصل في الكلام حمله على
 الحقيقة وأنه انما يعدل عن الحقيقة الى المجاز عند قيام الدلالة على ان حمله على حقيقته
 ممتنع فحينئذ يجب حمله على المجاز فان أنكر هذا الاصل فحينئذ يخرج القرآن بالكفاية عن
 ان يكون حجة فان لكل أحد ان يقول المقصود من الآية القلانية كذا وكذا فانا أحل
 الآية على ذلك المقصود ولا نقتضى الى الظواهر مثاله من تمسك بالآيات الواردة في ثواب
 أهل الجنة وعقاب أهل النار قال المقصود بيان سعادات المطيعين وشقاوة المذنبين وانا
 أحل هذه الآيات على هذا المقصود ولا أثبت الأكل والشرب ولا سائر الاحوال
 الجماعية ومن تمسك بالآيات الواردة في الثبات وجوب الصلاة فقال المقصود منه
 ايجاب تنوير القلب بذكر الله فانا أكتفي بهذا القدر ولا أوجب هذه الاعمال المخصوصة
 واذا عرفت الكلام في هذين المثالين فقس عليه سائر المسائل الاصولية والفروعية
 وحينئذ يخرج القرآن عن أن يكون حجة في المسائل الاصولية والفروعية وذلك بانحل
 قطعا وأما ان العلم في علم القرآن ان يعتقد ان الاصل في الكلام حمله على حقيقته
 فان قام دليل منفصل على انه يتعذر حمله على حقيقته فحينئذ يمتنع صرفه الى مجازه فان
 حصلت هناك مجازات لم يمتنع صرفه الى مجاز معين الا اذا كان الدليل يوجب ذلك
 التعيين فنقول هو لفظ قبضة ولفظ اليقين حقيقة في الجارحة المخصوصة ولا يمكنك
 ان تصرف ظاهر الكلام عن هذا المعنى الا اذا أثبت الدلالة على ان حل هذه اللفاظ
 على ظواهرها ممتنع فحينئذ يجب حلها على المجازات ثم يبين بالدليل ان المعنى القلاني يصح
 حمله مجازا عن تلك الحقيقة ثم يبين بالدليل ان هذا المجاز أول من غيره واذا ثبتت هذه
 المقدمات وترتيبها على هذا الوجه فهذا هو الطريق الصحيح الذي عليه تمويل أهل
 التحقيق فانت ما أثبت في هذا الباب بطريقة جديدة وكلام غريب بل هو عين ما ذكره
 أهل التحقيق فثبت ان الفرح الذي أظهره من أنه اهتدى الى الطريق الذي يعرفه
 غيره طريق فاسد دال على قسلة وقوفه على المعاني ولن ترجم الى الطريق الحقيقي فنقول
 لاشك ان لفظ قبضة واليمين مشعر بهذه الاعضاء والجوارح الا ان الدلائل العقلية
 قامت على امتناع ثبوت الاعضاء والجوارح لله تعالى فوجب حل هذه الاعضاء على وجوه
 المجاز فنقول انه يقال فلان في قبضة فلان اذا كان تحت تدبيره وتسخيره قال تعالى
 الاعلى أزواجهم أو ما ملكك أيمانهم والمراد منه كونه مما وكاله ويقال هذه الدار في يد
 فلان وفلان صاحب اليد والمراد من الكل القدرة والفتها يقولون في الشروط وقبض
 فلان كذا وصار في قبضته ولا ير بدون الاخلوص ملكه واذا ثبت تعذر حل هذه

وقوله تعالى (وسيق
 الذين كفروا الى جهنم
 زمرا) الخ تفصيل
 للتوفية وبيان كيفيتها
 أي سيقوا اليها
 بالعنف والاهانتا فواجبا
 متفرقة بعضها في اثر
 بعض مرتبة حسب
 ترتيب طبقاتهم في الضلالة
 والشرارة والرجوع
 زمرة واشتاقها من
 الزمر وهو الصوت اذا
 الجماعة لا تغلوعه (حتى
 اذا جاؤاها ففتحت أبوابها)
 ليدخلوها وحتى هي
 التي تحكي بعدها الجملة
 وقرئ بالتشديد (وقال

الافاظ على حقائقها وجب حلها على مجازاتها صونا لهذه النصوص عن التعطيل
 فهذا هو الكلام الحقيقي في هذا الباب ولنا كتاب مفرد في اثبات تزييه الله تعالى
 عن الجسمية والمكان سميناها بتأسيس التعديس من أراد الاطناب في هذا الباب فليرجع
 اليه (المسئلة الشائنة) في تفسير الفاظ الآية قوله والارض المراد منه الارضون
 السبع ويدل عليه وجوه (الاول) قوله جميعا فان هذا التأكيدي لا يحسن ادخاله الاعلى
 الجمع ونظيره قوله كل الطعام وقوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء
 وقوله تعالى والخيل باسقات وقوله تعالى ان الانسان لقي خسر الا الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات فان هذه الالفاظ المخنة باللفظ المفرد تدل على أن المراد منه الجمع فكذا
 ههنا (والثاني) انه قال بعده والسماوات مطويات فوجب أن يكون المراد بالارض
 الارضون (الثالث) أن الموضوع موضع تعظيم وتفضيم فهذا مقتضى المبالغة وأما القبضة
 فهي المرة الواحدة من القبض قال تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم
 المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطني قبضة من كذا يريد معنى القبضة تسمية
 بالمصدر والمعنى والارضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة من
 قبضاته يعني ان الارضين مع ما هما من العظمة والبسطة لا يبلغن الاقبضة واحدة من
 قبضاته أما اذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين يجملتهما مقدار ما يقبضه
 بكف واحدة فان قيل ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب قلنا جعل القبضة ظرفا وقوله
 مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوى السماء كطي السجل وعادة
 طوى السجل أن يطويه بيته ثم قال صاحب الكشاف وقيل قبضته ملكه وبيته
 قدرته وقيل مطويات بيته أي مغنيات بتسميه لانه أقسم أن يقبضها ولما ذكر هذه الوجوه
 عاد الى القول الاول بأنها وجوه ركيكة وان حل هذا الكلام على محض التمثيل أولى
 وبالغ في تفرير هذا الكلام فأطنب وأقول ان حال هذا الرجل في اقدامه على تحسين
 طريقته وتبليغ طريقته القدماء عجيب جدا فانه ان كان مذهبه انه يجوز ترك ظاهر
 الالفاظ والمصير الى المجاز من غير دليل فهذا ظعن في القرآن واخراج له عن أن يكون
 حجة في شيء وان كان مذهبه أن الاصل في الكلام الحقيقة وأنه لا يجوز العدول
 عنه الا لدليل منفصل فهذا هو الطريقة التي أطبق عليها جمهور المتقدمين فأين الكلام
 الذي يزعم انه علمه وأين العلم الذي لم يعرفه غيره مع انه وقع في التأويلات العسرة
 والكلمات الركيكة فان قالوا المراد انه لمادل الدليل على انه ليس المراد من لفظ القبضة
 واليمين هذه الاعضاء وجب علينا أن نذكر في بهذا القدر ولا نشغل بتعيين المراد بل
 نفوض علمه الى الله فقول هذا هو طريق الموحدين السدين يقوون اننا نعلم انه ليس
 مراد الله من هذه الالفاظ هذه الاعضاء فاما تعيين المراد فاننا نفوض ذلك العلم الى الله
 تعالى وهذا هو طريق السلف المعرضين عن التأويلات فثبت ان هذه التأويلات التي

لهم خزنتها) تفريرا
 وتوبخا) ألم يا تكلم رسل
 منكم) من جنسكم وقرى
 نذر منكم) يتلون عليكم
 آيات ربكم وينذرونكم
 لقاء يومكم هذا) أي وقتكم
 هذا وهو وقت دخولهم
 النار وفيه دليل على
 أنه لا تكليف قبل الشرع
 من حيث انهم علاوا
 توبخهم بآيات الرسل
 وتبلغ الكذب) قالوا
 بلى) قد أتونا وأنذرونا
 (ولكن حقت كلمة العذاب
 على الكافرين) حيث
 قال الله تعالى

أتى بها هذا الرجل ليس تحتها شيء من الفائدة أصلاً والله أعلم واعلم انه تعالى للمبين عظيماً من الوجه الذي تقدم قال سبحانه وتعالى عما يشركون يعني ان هذا القادر القاهر العظيم الذي حارت العقول والالباب في وصف عظيماً تنزهه وتقدس عن أن يجعل الاصنام شركاً له في العبودية فان قيل السؤال على هذا الكلام من وجوه (الاول) ان العرش أعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية واذا وصف الملائكة بكونهم حاميين العرش العظيم فكيف يجوز تقدير عظمة الله بكونه حاملاً للسموات والارض (السؤال الثاني) ان قوله والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه شرح حالة لا تحصل الا في يوم القيامة والقوم ماشاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين للانبياء فهم يكونون معترفين بأنه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركاً لله تعالى فلا فائدة في ايراد هذه الحجة عليهم وان كان هذا الخطاب مع الكافرين بالنبوة وهم ينكرون قوله والارض جميعاً قبضته يوم القيامة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك (السؤال الثالث) حاصل القول في القبضة واليمين هو القدرة الكاملة الواضحة بحفظ هذه الاجسام العظيمة وكما ان حفظها وامساكها يوم القيامة ليس الا بقدرة الله فكذلك الآن فالفائدة في تخصيص هذه الاحوال بيوم القيامة (والجواب عن الاول) أن مراتب التعظيم كثيرة فأولها تقرر عظمة الله بكونه قادراً على حفظ هذه الاجسام العظيمة ثم بعد تقرر عظمته بكونه قادراً على امساك أوثك الملائكة الذين يحملون العرش (والجواب عن السؤال الثاني) ان المقصود ان الحق سبحانه هو المتولى لابقاء السموات والارضين على وجوه العمارة في هذا الوقت وهو المتولى لتخريبها وافنائها في يوم القيامة فذلك يدل على حصول قدرة تامة على الاعداد وتبنيه أيضاً على كونه غنياً على الاطلاق فانه يدل على انه اذا حاول تخريب الارض فسكانه يقبض قبضة صغيرة ويريد افنائها وذلك يدل على كمال الاستغناء (والجواب عن السؤال الثالث) انه انما خص تلك الحالة بيوم القيامة ليدل على انه كما ظهر كمال قدرته في الابداع عند عمارة الدنيا فكذلك ظهر كمال قدرته عند خراب الدنيا والله أعلم واعلم انه تعالى لما قرر كمال عظمته بما سبق ذكره أردفه بذكر طريقة أخرى تدل أيضاً على كمال قدرته وعظمته وذلك شرح مقدمات يوم القيامة لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فقال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون واختلفوا في الصفة منهم من قال انها غير الموت بل قيل قوله تعالى في موسى عليه السلام وخر موسى صعقا مع انه لم يميت فهذا هو النفخ الذي يورث الفزع الشديد وعلى هذا التقدير فالمراد من نفخ الصفة ومن نفخ الفزع واحد وهو المذكور في سورة النمل في قوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعلى هذا القول

لابليس لاملان جهنم
منك ومن تبعك منهم
أجمعين وقد كنا من تبعه
وكذبنا الرسل وقلنا
ما نزل الله من شيء ان أنتم
الاتكذبون (قيل ادخلوا
أبواب جهنم خالدين
فيها) أي مقدر
خلودكم فيها واهمام
القائل انهو بل القول
(فبئس مثوى المتكبرين)
اللام للجنس والتخصيص
بالذم محذوف ثقة
بذكره آنفاً أي فبئس
مثواهم جهنم ولا يقدح
ما فيه من الاشعار بأن
كون مثواهم جهنم
لتكبرهم عن الحق
في أن

ففتح الصور وليس الامر تين (والقول الثاني) ان الصعقة عبارة عن الموت والقاذلون بهذا القول قالوا انهم يموتون من الفزع وشدة الصعق انزل على هذا التقدير فان نفخة تحصل ثلاث مرات (اولها) نفخة الفزع وهي المذكورة في سورة النمل (والثانية) نفخة الصعق (والثالثة) نفخة القيام وهم المذكورون في هذه السورة واما قوله الامن شاء الله ففيه وجوه (الاول) قال ابن عباس رضي الله عنهما عند نفخة الصعق يموت من في السموات ومن في الارض الاجبريل وميكائيل واسرافيل ومالك الموت ثم يميت الله ميكائيل واسرافيل ويحيى جبريل ومالك الموت ثم يميت جبريل (والقول الثاني) انهم هم الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش (القول الثالث) قال جابر هذا المستثنى هو موسى عليه السلام لانه صعق مرة فلا يصعق ثانيا (القول الرابع) انهم الحور العين وسكان العرش والكرسي (والقول الخامس) قال قتادة الله اعلم بانهم من هم وليس في القرآن والاخبار ما يدل على انهم من هم ثم قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وفيه اجمات (الاول) لفظ القرآن دل على ان هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى لان لفظ ثم يفيد التراخي قال الحسن رحمه الله القرآن دل على ان هذه النفخة متأخرة عن النفخة الاولى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بينهما أربعين ولا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو أربعين سنة أو أربعين ألف سنة (البحث الثاني) قوله اخرى تقدير الكلام ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة اخرى واما حسن الخلق لدلالة اخرى عليها ولو كانت معاومة (الثالث) قوله فاذا هم قيام يعني قيامهم من القبور يحصل عقيب هذه النفخة الاخيرة في الحال من غير تراخي لان الفاء في قوله فاذا هم تدل على التعقيب (الرابع) قوله ينظرون وفيه وجهان (الاول) ينظرون يقبلون ابصارهم في الجهات نظر المبهوتين اذا اجأه خطب عظيم (والثاني) ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والحمود في مكان لاجل استيلاء الحيرة والدهشة عليهم ولما بين الله تعالى حال هاتين النفختين قال واشرقت الارض بنور ربها وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذه الارض المذكورة ليست هي هذه الارض التي يقعد عليها الان بدليل قوله يوم تبدل الارض غير الارض وبدليل قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتنا دكة واحدة بل هي ارض اخرى يخلقها الله تعالى لمخفل يوم القيامة (المسئلة الثانية) قالت المجسمة ان الله تعالى نور محض فاذا حضر الله في تلك الارض لاجل القضاء بين عباده اشرقت تلك الارض بنور الله واكدوا هذا بقوله تعالى الله نور السموات والارض واعلم ان الجواب عن هذه الشبهة من وجوه (الاول) انا بينا في تفسير قوله تعالى الله نور السموات والارض انه لا يجوز ان يكون الله سبحانه وتعالى نوراً بمعنى كونه من جنس هذه الانوار المشاهدة وبيانه لما تعذر حمل الكلام على الحقيقة وجب حمل لفظ

دخولهم النار اسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما احقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة (وسبق الذين انفوا ربهم الى الجنة) مساق اعزاز وتشريف للاشراع بهم الى دار الكرامة وقيل سبق مر اكبرهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين (زمرا) متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة (حتى اذ اجاؤها وقتت ابوا بها) وقرئ بالتشديد

النور ههنا على العدل فمحتاج ههنا الى بيان أن لفظ النور قد يستعمل في هذا المعنى ثم الى بيان أن المراد من لفظ النور ههنا ليس الا هذا المعنى أما بيان الاستعمال فهو أن الناس يقولون للملك العادل أشرفت الآفاق بعد لك وأضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون أظلمت البلاد بجورك وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وأما بيان أن المراد من النور ههنا العدل فقط أنه قال وحجى بالنبين والشهداء ومعلوم أن الحجى بالشهداء ليس الا لظاهر العدل وأيضا قال في آخر الآية وهم لا يظلمون فدل هذا على أن المراد من ذلك النور ازالة ذلك الظلم فكانه تعالى فتح هذه الآية باثبات العدل وختمها بنفي الظلم (والوجه الثاني) في الجواب عن الشبهة المذكورة ان قوله تعالى وأشرفت الارض بنور ربها يدل على انه يحصل هناك نور مضاف الى الله تعالى ولا يلزم كون ذلك صفة ذات الله تعالى لانه يكفي في صدق الاضافة أدنى سبب فلما كان ذلك النور من خلق الله وشرفه بأن أضافه الى نفسه كان ذلك النور نور الله كقوله بيت الله وناقة الله وهذا الجواب أقوى من الاول لان في هذا الجواب لا يحتاج الى ترك الحقيقة والذهاب الى المجاز (والوجه الثالث) انه قد يقال فلان رب هذه الارض ورب هذه الدار ورب هذه الجارية ولا يبعد أن يكون رب تلك الارض ملكا من الملوك وعلى هذا التقدير فلا يمتنع كونه نورا (المسئلة اشالة) انه تعالى ذكر في هذه الآية من أحوال ذلك اليوم أشياء (أولها) قوله وأشرفت الارض بنور ربها وقد سبق الكلام فيه (وثانيها) قوله ووضع الكتاب وفي المراد بالكتاب وجوه (الاول) انه اللوح المحفوظ الذي يحصل فيه شرح أحوال عالم الدنيا الى وقت قيام القيامة (الثاني) المراد كتب الاعمال كما قال تعالى في سورة سبحان وكل انسان أزمانه طائر في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقال أيضا في آية أخرى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها (وثالثها) قوله وحجى بالنبين والمراد أن يكونوا شهداء على الناس قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيدا وقال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أنجيتم (ورابعها) قوله والشهداء والمراد ما قلناه في وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وأراد بالشهداء المؤمنين وقال مقاتل يعني الحفظة ويدل عليه قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقيل أراد بالشهداء المستشهدين في سبيل الله ولما بين الله تعالى انه يحضر في محفل القيامة جميع ما يحتاج اليه في فصل الحكومات وقطع الخصومات بين تعالى أنه يوصل الى كل أحد حقه وعبر تعالى عن هذا المعنى بارج عبارات (أولها) قوله تعالى وقضى بينهم بالحق (وثانيها) قوله وهم لا يظلمون (وثالثها) قوله ووفيت كل نفس ما عملت أي وفيت كل نفس جزاء ما عملت (ورابعها) قوله وهو أعلم بما يفعلون يعني انه تعالى اذا لم يكن عالما بكيفيات أحوالهم فله لا يقضى بالحق لاجل عدم العلم أما اذا كان عالما بمقادير أفعالهم وبكيفياتها امتنع

وجواب اذا محذوف
الايذان بأن لهم حينئذ
من فنون الكرامات
ملا يصدق به نطاسق
العبارات كأنه قيل حتى
اذا جاؤها وقد فحمت
أبوابها (أوقال لهم
خزنتها سلام عليكم)
من جميع المكارة والالام
(طبتهم) طهرتم من
دنس المعاصي أو طبتهم
نفسا بما أتبع لكم من
التعيم (فادخلوها
خالدين) كان ما كان
ما يقصر عنه البيان
(وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده) بالبعث
والنواب

دخول الخطا في ذلك الحكيم ثبت أنه تعالى عبر عن هذا المقصود بهذه العبارات المختلفة والمقصود المبالغة في تقرير أن كل مكلف فانه يصل الى حقه * قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤاها فمحت ابوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قبل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال أهل القيامة على سبيل الاجال فقال ووفيت كل نفس ما عملت بين بعده كيفية أحوال أهل العقاب ثم كيفية أحوال أهل الثواب وختم السورة أما شرح أحوال أهل العقاب فهو المذكور في هذه الآية وهو قوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا قال ابن زيدان سوق الذين كفروا الى جهنم يكون بالعنف والدفع والدليل عليه قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعأى يدفعون دفعا نظيره قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم أى يدفعه ويدل عليه أيضا قوله تعالى ونسوق الجحريم الى جهنم وردا وأما الزمر فهي الافواج المنفرقة بعض في أثر بعض فبين الله تعالى انهم يساقون الى جهنم فاذا جاؤاها فمحت ابوابها وهذا يدل على أن ابواب جهنم انما تفتح عند وصول أولئك اليها فاذا دخلوا جهنم قال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم أى من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا فان قيل فلم أضيف اليوم اليهم قلنا أراد لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة واستعمال لفظ اليوم والايام في أوقات الشدة مستفيض فعند هذا تقول الكفار بلى قد أتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وفي هذه الآية مسثلتان (المسئلة الاولى) تقدير الكلام انه حقت علينا كلمة العذاب ومن حقت عليه كلمة العذاب فكيف يمكنه الخلاص من العذاب وهذا صريح في ان السعيد لا ينقلب شقيا والشقي لا ينقلب سعيدا وكلمات المعتزلة في دفع هذا الكلام معلومة واجوز بنا عنها ايضا معلومة (المسئلة الثانية) ذات الآية على انه لا وجوب قبيل مجيئ الشرع لان الملائكة يتنوا أنه ما بقى لهم حلة ولا عذر بعد مجيئ الانبياء عليهم السلام ولو لم يكن مجيئ الانبياء شرطا في استحقاق العذاب لما بقى في هذا الكلام فائدة ثم ان الملائكة اذا سمعوا منهم هذا الكلام قالوا لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قالت المعتزلة لو كان دخولهم في النار لاجل انه حقت عليهم كلمة العذاب لم يبق لقول الملائكة فبئس مثوى المتكبرين فائدة بل هذا الكلام انما بقى مفيدا اذا قلنا انهم انما دخلوا النار لانهم تكبروا على الانبياء ولم يقبلوا قولهم ولم يلتفتوا الى دلائلهم وذلك يدل على صحة قولنا والله اعلم بالصواب * قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤاها فمحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض ننبؤ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى

(وأورثنا الارض)
يريدون المكان الذي
استقروا فيه على
الاستعارة وإيراتها
تمليكها مخلقة عليهم
من أعمالهم أو تمكينهم
من التصرف فيها تمكين
الوارث فيما يرثه (ننبؤ)
من الجنة حيث نشاء
أى ينبؤ كل واحد منا
في أى مكان أراد من
جنته الواسعة على
أن فيها مقامات معنوية
لا يتأخر واردوها (فنعم
أجر العاملين) الجنة
(وترى الملائكة حافين)
محدقين (من حول
العرش) أى حوله ومن
مزينة أو لا يتداه
الحفوف

الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمدهم وقضى بينهم بالحق وقبل الحمد لله رب العالمين) اعلم انه تعالى لما شرح احوال أهل العقاب في الآية المتقدمة شرح احوال أهل الثواب في هذه الآية فقال وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فان قيل السوق في أهل النار للعذاب معقول لانهم لما مروا بالذهاب الى موضع العذاب والشقاوة ولا بد وأن يساقوا اليه واما أهل الثواب فاذا مروا بالذهاب الى موضع الكرامة والراحة والسعادة فأى حاجة فيد الى السوق والجواب من وجوه (الاول) ان المحبة والصدقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فاذا قيل لواحد منهم اذهب الى الجنة فيقول لأدخلها حتى يدخلها احبائي وأصدقائي فيتأخرون لهذا السبب فيئذ يحتاجون الى أن يساقوا الى الجنة (والثاني) ان الذين اتقوا ربهم قد عبدوا الله تعالى للجنة وللجنة فصار شدة استغراقهم في مشاهدة مواقف الجلال والجمال مانعة لهم عن الرغبة في الجنة فلا جرم يحتاجون الى أن يساقوا الى الجنة (والثالث) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أكثر أهل الجنة البله وعليون للابرار فلهذا السبب يساقون الى الجنة (والرابع) ان أهل الجنة وأهل النار يساقون الا ان المراد بسوق أهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سبق الى الحبس والقيود والمراد بسوق أهل الجنة سوق حرا كبرهم لانه لا يذهب بهم الا اراكين والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك فستان ما بين السوقين ثم قال تعالى حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الآية واعلم أن جملة هذا الكلام شرط واحد من كب من قبود (القيود الاول) هو فتحهم الى الجنة (والقيود الثاني) قوله تعالى وفتحت ابوابها فان قيل قال في أهل النار فتحت ابوابها فيغير الواو وقال ههنا بالواو والفرق قلنا الفرق ان ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها فاما ابواب الجنة فتفتحها يكون متقدما على وصولهم اليها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فذلك جى بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤوها وقد فتحت ابوابها (القيود الثالث) قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فبين تعالى أن خزنة الجنة يذكرون لأهل الثواب هذه الكلمات الثلاثة (فأولها) قولهم سلام عليكم وهذا يدل على انهم يشرونهم بالسلامة من كل الآفات (وثانيها) قولهم طبتم والمعنى طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا (وثالثها) قولهم فادخلوها خالدين والفاء في قوله فادخلوها يدل على كون ذلك الدخول من الابواب والطهارة قالت المعتزلة هذا يدل على ان أحدا لا يدخلها الا اذا كان طاهرا عن كل المعاصي قلنا هذا ضعيف لانه تعالى يبذل سيئاتهم حسنات وحينئذ يصيرون طاهرين طاهرين بفضل الله تعالى فان قيل فهذا الذي تقدم ذكره هو الشرط فان الجواب قلنا فيه وجهان (الاول) ان الجواب محذوف والقصود من الحذف

(يسبحون بحمد ربهم)
 أى يترهونه تعالى عما
 لا يابق به ملتبسين بحمده
 والجملة حال ثانية
 أو مقيدة للاول والمعنى
 ذاكين له تعالى
 بوصفي جلاله واكرامه
 تلذذا به وفيه اشعار
 بأن أقصى درجات
 العليين وأعلى لذائذهم
 هو الاستغراق في شؤنه
 عز وجل (وقضى بينهم
 بالحق) أى بين الخلق
 بادخال بعضهم النار
 وبعضهم الجنة أو بين
 الملائكة باقامتهم في
 منازلهم على حسب
 تفاضلهم (وقيل الحمد لله

ان يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره (الثاني) ان الجواب هو قوله تعالى
 وقال لهم خزنتها سلام عليكم والواو محذوف والصحيح هو الاول ثم أخبر الله تعالى بان
 الملائكة اذا خاطبوا المتقين بهذه الكلمات قال المتقون عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا
 وعده ن قوله ان لا تخافوا ولا تحزنوا واوبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وأورثنا الارض
 والمراد بالارض أرض الجنة وانما عبر عنه بالارث لوجوه (الاول) ان الجنة كانت
 في اول الامر لآدم عليه السلام لانه تعالى قال فكللا منها رغدا حيث شئتم فلما عادت
 الجنة الى اولاد آدم كان ذلك سببا لتسميتها بالارث (الثاني) ان هذا اللفظ مأخوذ من قول
 القائل هذا أورث كذا وهذا العمل أورث كذا فلما كانت طاعتهم قد أفادت لهم الجنة
 لاجرم قالوا وأورثنا الارض والمعنى ان الله تعالى أورثنا الجنة بأن وفقنا للاتيان بأعمال
 أورثت الجنة (الثالث) أن الوارث يتصرف فيما يرثه كما يشاء من غير منازع ولا مدافع
 فكذلك المؤمنون المتقون يتصرفون في الجنة كيف شاؤوا وأرادوا والمشابهة علة
 حسن المجاز فان قيل ما معنى قوله حيث نشاء وهل يدبوا أحدهم مكان غيره قلنا يكون
 لكل أحد جنة لا يحتاج معها الى جنة غيره قال حكما الاسلام الجنات نوعان الجنات
 الحسنية والجنات الروحانية فالجنات الحسنية لا يحتمل المشاركة فيها أما الروحانيات
 فعصولها الواحد لا ينعم من حصولها للآخرين ولما بين الله تعالى صفة أهل الجنة قال
 فنعم أجر العاملين قال مقاتل ليس هذا من كلام أهل الجنة بل من كلام الله تعالى لانه لما
 حكى ما جرى بين الملائكة وبين المتقين من صفة ثواب أهل الجنة قال بعده فنعم أجر
 العاملين ولما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش ذكر عقيبه ثواب الملائكة
 فقال كما ان دار ثواب المتقين المؤمنين هي الجنة فكذلك دار ثواب الملائكة جوانب
 العرش واطرافه فانها قال وترى الملائكة حافين من حول العرش أي محققين بالعرش
 قال الليث يقال حف التوم بسيدهم يحفون حفا اذا طافوا به اذا عرفت هذا فنقول بين
 تعالى ان دار ثوابهم هو جوانب العرش واطرافه ثم قال يسبحون بحمد ربهم وهذا
 مشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التمجيد والتسبيح وحينئذ يرجع حاصل الكلام الى أن
 أعظم درجات الثواب استغراق قلوب العباد في درجات التنزيه و منازل التقديس ثم قال
 وقضى بينهم بالحق والمعنى انهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة فلكل واحد منهم
 في درجات المعرفة والطاعة حد محدد ولا يتجاوزها ولا يتعداه وهو المراد من قوله وقضى بينهم
 بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين أي الملائكة لما قضى بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين
 على قضائه بيننا بالحق وهم نادققة أعلى مما سبق وهي انه سبحانه لما قضى بينهم بالحق فهم
 ما حمدوا لاجل ذلك القضاء بل حمدوه بصفته الواجبة وهي كونه رب العالمين فان من حمد
 الام لاجل ان انعمه وصل اليه فهو في الحقيقة ما حمد المنعم وانما حمد الانعام وأما من
 حمد المنعم لانه وصل اليه النعمة فهم نادقود وصل الى الجنة بجز التوحيد هذا اذا قلنا ان قوله

رب العالمين) أي على
 ما قضى بيننا بالحق
 وأنزل كلامنا منزله
 التي هي حقه والقائلون
 هم المؤمنون ممن قضى
 بينهم أو الملائكة وطى
 ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم
 * عن النبي صلى الله
 عليه وسلم من قرأ سورة
 الزمر لم يقطم الله تعالى
 رجاءه يوم القيامة
 واعطاه ثواب الخائفين
 وعن عائشة رضي الله
 عنها أنه عليه الصلاة
 والسلام كان يقرأ كل
 ليلة بنبي اسرائيل والزمر

* (سورة المؤمن مكية وآياتها خمس أو ثمان وثمانون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * (جم) بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرين بامانة الالف ﴿٢٨٩﴾ و باخراجها بين بين و بفتح الميم لانتقاء الساكنين أو نصبها باضمار

أقر أو نحوه ومنع الصرف
للتعريف والتأنيث أو
للتعريف وكونها على
زنا قائل وهابيل و بقية
الكلام فيه وفي قوله
تعالى (تنزيل الكتاب)
كالسدى ساق في أم
السجدة وقوله تعالى
(من الله العزيز العليم)
كأني مطلع سورة الزمر
في الوجوه كلها ووجه
التعرض لنعى العروة والعلم
ما ذكرهناك (غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب
ذو الطول) أما صفات
آخر التحقيق ما فيها من
التغريب والترهيب والحث
على ما هو المقصود
والإضافة فيها حقيقية
على أنه لم يرد بها زمان
مخصوص وأريد بشديد
العقاب مشدده أو الشديد
عقابه بحذف اللام
اللزواج وأمن الالتباس
أو أبدال وجعله وحده
بدلا كإفعله الزجاج
مشوش للنظم وتوسط
الواو بين الأولين لإفادة
الجم بين نحو الذنوب
وقبول التوبة أو تعابير
الوصفين أذربا
يؤهم الاتحاد أو تمايز
موقع الفعلين لان

وترى الملائكة حافين من حول العرش شرح أحوال الملائكة في الثواب أما إذا قلنا
أنه من بقية شرح ثواب المؤمنين فتقر به أن يقال إن المتقين لما قالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فقد ظهر منهم أنهم في الجنة اشتغلوا
بحمد الله و يذكره بالدح والثناء فبين تعالى أنه كان حرفة المتقين في الجنة الاشتغال بهذا
التحميد والتسبيح وكذلك حرفة الملائكة الذين هم حافون حول العرش الاشتغال
بالتحميد والتسبيح ثم إن جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة وحينئذ يظهر منذ أن
المؤمنين المتقين وإن الملائكة المقر بين يصيرون متواقفين على الاستغراق في تعبد الله
وتسبيحه فكان ذلك سببا أن يدا تذاذهم بذلك التسبيح والتحميد ثم قال وقضى بينهم بالحق
أي بين البشر ثم قال وقيل الحمد لله رب العالمين والمعنى أنهم يقدمون التسبيح والمراد منه
تزيين الله عن كل ما يليق بالالهية وأما قوله تعالى وقيل الحمد لله رب العالمين فالمراد وصفه
بصفات الالهية فالتسبيح عبارة عن الاعتراف بتعزيه عن كل ما يليق به وهو صفات
الجلال وقوله وقيل الحمد لله رب العالمين عبارة عن الاقرار بكونه موصوفا بصفات الالهية
وهي صفات الاكرام ومجموعهما هو المذكور في قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام وهو الذي كانت الملائكة يذكرونه قبل خلق العالم وهو قولهم ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك وفي قوله وقيل الحمد لله رب العالمين دقيقة أخرى وهي أنه لم يبين أن ذلك
التأمل من هو والمقصود من هذا الإبهام التنبيه على أن خاتمة كلام العقلاء في الشاء على
حضرة الجلال والكبرياء ليس إلا أن توالوا الحمد لله رب العالمين وتأكد هذا بقوله تعالى
في صفة أهل الجنة وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين * قال المعتز رحمة الله تعالى تم
تفسير هذه السورة في آية الثلاثة آخر ذي القعدة من سنة ثلاث وستائة يقول مصنف
هذا الكتاب الملائكة المقر بون بحجج واعن احصاء ثنائك فن أنا والانباء المرسلون اعترفوا
بالعجز والقصور فن أنا وليس معي إلا أن أقول أنت أنت وأنا أنا فنك الرحمة والفضل والجود
والاحسان وفي العجز والذات والخيبة والخسران يا رحمان يا ديان يا حنان يا منان أنض على
سبحال الرحمة وانقران برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي
وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليما كثيرا

* (سورة المؤمن وخمس آيات مكية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(جم) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول
لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يترك قلبهم في البلاد
كذبت قلوبهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادوا
بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمت ربك على
الذين كفروا أنهم أصحاب النار) اعلم أن في الآية مسائل (المسألة الاولى) قرأ طعم في

الفقر هو المسترعم بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان الثابت من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كاللوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد ﴿٢٩٠﴾ صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبها ورجحانها (لا اله

رواية أبي بكر وحزرة والكسائي حم بكسر الحاء والباقون بفتح الحاء ونافع في بعض الروايات وابن عامر بين الفتح والكسر وهو أن لا يفتحها فتحها شديدا قال صاحب الكشاف قرئ بفتح الميم وتسكينها ووجه الفتح التحريك لانقاء الساكنين واينار أخف الحركات نحو أين وكيف أو انصب باضم ارفأ ومنع الصرف اما لتأنيث والتعريف من حيث انها اسم لا ورة أو لانعريف وانها على زنة أعجمي نحو قاييل وهاميل وأما السكون فلا تأنيثنا أن الاسماء المجردة تذكر موقوفة الاوآخر (المسئلة الثانية) الكلام المستقصى في هذه الفوايح مذكور في أول سورة البقرة والاقرب ههنا أن يقال حم اسم للسورة فقوله حم مبتدأ وقوله تنزيل الكتاب من الله خبره والتقدير ان هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب فقوله تنزيل مصدر لكن المراد منه المنزل واما قوله من الله فاعلم انه لما ذكر أن حم تنزيل الكتاب وجب بيان أن المنزل من هو فقال من الله ثم بين ان الله تعالى موصوف بصفات الجلال وسمات العظمة ليعصيه ذلك حاملا على التشهير عن ساق الجرد عند الاستماع وزجره عن التهاون والتواني فيه فبين أن المنزل هو الله العزيز العليم واعلم ان الناس اختلفوا في ان العلم بالله ما هو فقال جمع عظيم انه العلم بكونه قادرا وبعده العلم بكونه عالما اذا عرفت هذا فتقول العزيز الذي لا يذل (أحدهما) الغالب فيكون معناه القادر الذي لا يساويه أحد في القدرة (والثاني) الذي لا مثل له ولا يجوز أن يكون المراد بالعزيز ههنا القادر لان قوله تعالى الله يدل على كونه قادرا فوجب حمل العزيز على المعنى الثاني وهو الذي لا يوجد له مثل وما كان كذلك وجب أن لا يكون جسما والذي لا يكون جسما يكون منزها عن الشهوة والغفلة والذي يكون كذلك يكون منزها عن الحاجة واما العليم فهو مبالغة في العلم والمبالغة التامة انما تتحقق عند كونه تعالى عالما بكل المعلومات فقوله من الله العزيز العليم يرجع معناه الى أن هذا الكتاب تنزيل من القادر المطلق العني المطلق العالم المطلق ومن كان كذلك كان عالما بوجوده المصالح والمفاسد وكان عالما بكونه غنيا عن جر المصالح ودفق المفاسد ومن كان كذلك كان رحيميا جوادا وكان أعماله حكمة وسوابا منزها عن القبيح والباطل فكانت سبحانه انما ذكر عقيب قوله تنزيل هذه الاسماء الثلاثة لكونها دالة على أن أفعاله سبحانه حكمة وسواب ومن كان الأمر كذلك لزم أن يكون هذا التنزيل حتما وسوابا وقيل الثالثة في ذكر العزيز العليم أمران (أحدهما) انه بقدرته وعلمه انزل القرآن على هذا الحد الذي يتضمن المصالح والاعجاز ولو لا كونه عزيزا عليهما لما صح ذلك (والثاني) أنه تكفل بحفظه وبعموم التكليف فيه وظهوره الى حين انقطاع التكليف وذلك لا يتم الا بكونه عزيزا لا يغلب وبكونه عليما لا يخفى عليه شيء ثم وصف نفسه بما يجمع الوعيد والوعود والترغيب والترغيب فعال غافر الذنب وقابل التوب شديدا العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فهذه ستة أنواع من الصفات (الصفة الاولى) قوله غافر الذنب قال الجبائي معناه انه غافر الذنب اذا استحق غفرانه اما بتوبة

الاهو) فيجب الاقبال الكلى على طاعتني أوامر ونواهي (اليه المصير) فعسب لا الى غير الاستقلال ولا اشتراكا فيجازي كلام المطيع والمعاصي (ما يجادل في آيات الله) أي بالطين فيها واستعمال المندمات الباطلة لادخاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق (الا الذين كفروا) بها وأما الذين آمنوا فلا يتخطف بالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها وأما الجدل فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكتابية وتوضيح مناهج الحق في مضامين الافهام ومنزلق الاقراء وابطال شبه أهل الزيف والضلال فن أعظم الطاعات وذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدد الا في القرآن كفر بالانكبير للفرق بين جدال وجدال والغناء في قوله تعالى (فلا يفرك تقابهم في البلاد) لترتيب

قوله ان غفران الخ غرضه ان من تاب بعد ما جنى فمضى الحسنيين العقلي الذي هو مذهب المعتزلة يجب ان يسامحة
وحيث ان يكون لافرق بين الله والعبيد * انتهى * ٢٩١ * أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم

بالكفر الذي لا شيء
أعقت منه عند الله
تعالى ولا أجلب الحسرات
الدنيا والآخرة فان
من تحقق ذلك لا يكاد
يعتبر بهم من حظوظ
الدنيا ويزار فهاقاتهم
ما خوذون عما قيل
أخذ من قبلهم من
الام حسبا ينطق به
قوله تعالى (كذبت
قبلهم قوم نوح
والاحزاب من بعدهم
أى الذين تعزبوا على
الرسول وناصبوهم بعد
قوم نوح مثل عاد وثمود
وأضرابهم) وهمت
كل أمة من تلك الامم
العانية (برسولهم)
وقرى برسولها
(ليأخذوه) ليتكنوا منه
فيصيبوا به ما أرادوا
من تعذيب أو قتل من
الاخذ بمعنى الاسر
(وجادلوا بالباطل)
الذى لا أصل ولا
حقيقة له أصلا
(ليد حضوا به الحق)
الذى لا يحيد عنه كما
فعل هؤلاء (فأخذتهم)
بسبب ذلك اخذ عزير
مقتر (فكيف كان

أوطاعة أعظم منه ومراده منه أن فاعل المعصية اما أن يقال انه كان قد أتى قبل ذلك بمداغة
كان ثوابها أعظم من عقاب هذه المعصية أو ما كان الامر كذلك فان كان الاول كانت
هذه المعصية صغيرة فيحيط عقابها وان كان الثاني كانت هذه المعصية كبيرة فلا يزول
عقابها الا بالتوبة ومذهب أصحابنا ان الله تعالى قد يفتوعن الكبائر بدون التوبة وهذه
الآية تدل على ذلك وبيانه من وجوه (الاول) ان غفران الكبيرة بعد التوبة وغفران
الصغيرة من الامور الواجبة على العبد وجميع الانبياء والاوصياء والصالحين من أوساط
الناس مشتركون في فعل الواجبات فلو جئنا كونه تعالى عاقر الذنب على هذا المعنى لم يبق
بينه وبين أقل الناس من زمرة المطيعين فرق في المعنى الموجب لهذا المدح وذلك باطل
فثبت انه يجب أن يكون المراد منه كونه عاقر الكبائر قبل التوبة وهو المطلوب (الثاني)
أن الغفران عبارة عن السترو معنى السترا بما يعقل في الشيء الذي يكون باقيا موجودا
فيستر والصغيرة تحجب بسبب كثرة ثواب فاعلمها معنى الغفر فيها غير متقول ولا يمكن حل قوله
عاقر الذنب على الكبيرة بعد التوبة لان معنى كونه قابلا للتوب ليس الا ذلك فلو كان
المراد بكونه عاقر الذنب هذا المعنى لزم التكرار وانه باطل فثبت ان كونه عاقر الذنب يفيد
كونه عاقر الذنوب الكبائر قبل التوبة (الثالث) ان قوله عاقر الذنب مذکور في معرض
المدح العظيم فوجب حمله على ما يفيد أعظم أنواع المدح وذلك هو كونه عاقر الكبائر قبل
التوبة وهو المطلوب (الصفة الثانية) قوله تعالى قابل التوب وفيد بحثان (الاول) في لفظ
التوب قولان الاول انه مصدر وهو قول أبي عبيدة والثاني انه جماعة التوبة وهو قول
الاخفش قال المبرد يجوز أن يكون مصدرا يقال تاب يتوب توبا وتوبا توبا مثل قال يقول قولاً
وقوله ويجوز أن يكون جمعا توبة فيكون توبا توبا مثل مرة وتوبا توبا المصداق لان
على هذا التقدير يكون تأويله انه يقبل هذا الفعل (البحث الثاني) مذهب أصحابنا أن
قبول التوبة من المذنب يقع على سبيل التفضل وليس بواجب على الله وقالت المعتزلة انه
واجب على الله واجتج أصحابنا بانه تعالى ذكر كونه قابلا للتوب على سبيل المدح والتثناء ولو
كان ذلك من الواجبات لم يبق فيه من معنى المدح الا القليل وهو القدر الذي يحصل لجميع
الصالحين عند اداء الواجبات والاحتراز عن المحظورات (الصفة الثالثة) قوله شديد
العقاب وفيه مباحث (البحث الاول) في هذه الآيات سؤال وهو ان قوله شديد العقاب يصلح
أن يكون نعتا للنكرة ولا يصلح أن يكون نعتا للمعرفة تقول مررت برجل شديد البطش ولا
تقول مررت بعبد الله شديد البطش وقوله الله اسم علم فيكون معرفة فكيف يجوز وصفه
بكونه شديد العقاب مع انه لا يصلح الا أن يجعل وصفا للنكرة قالوا وهذا بخلاف قولنا عاقر
الذنب وقابل التوب لانه ليس المراد منهما حدوث هذين الفعلين وانه يغفر الذنب ويقبل
التوبة الآن أو غدا وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب
العرش واما شديد العقاب فشكل لانه في تقدير شديد عقابه فيكون نكرة فلا يصح جعله

عقاب (الذى عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولا تخزن هؤلاء أيضا لآحادهم في طريقته واشترآكهم
في الجريرة كإني عنده قوله تعالى (وكذلك حققت كلمت ربك) أى كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب
على أولئك الامم المكذبة

المخزية على رسلهم المجادلة بالباطل لادخاض الحق به وجب أيضا (على الذين كفروا) أي كفروا بك ونحو بوا عليك وهما بالمتن والوا كائني عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه ﴿ ٢٩٢ ﴾ الصلاة والسلام فان ذلك

الاشعار بأن وجوب
كلما العذاب عليهم من
أحكام تربيته التي من
جعلها نصرته عليه
الصلاة والسلام
وتعذيب أعدائه وذلك
انما يتحقق بكون
الموصول عبارة عن
كفار قومه لاعتن الامم
المهلكة وقوله تعالى
(انهم أصحاب النار)
في حيز النصب بخذف
لام التعليل أي لانهم
مستحقون أشد العقوبات
وأفظةها التي هي
عذاب النار وما لازمها
ابدا لكونهم كفارا
معاندين مخزنين على
الرسول عليه الصلاة
والسلام كدأب من
قبلهم من الامم المهلكة
فهم لسائر فنون
العقوبات أشد استحقاقا
وأحق استيجابا وقيل
هو في محل الرفع على
أنه بدل من كلمة ربك
والمعنى مثل ذلك
الوجوب وجب على
الكفرة المهلكة كونهم
من أصحاب النار أي كما
وجب اهلاكهم في

صفة للمعرفة هذا تقرير السؤال وأجيب عنه بوجوه (الاول) ان هذه الصفة وان
كانت نكرة الا انها لما ذكرت مع سائر الصفات التي هي معارف حسن ذكرها كما في قوله
وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد (والثاني) قال الزجاج ان خفض شديد
العقاب على البدل لان جعل النكرة بدلا من المعرفة وبالعكس أمر جائز واعتبروا عليه
بأن جعله وحده بدلا من الصفات فيه نبوة ظاهرة (الثالث) انه لا نزاع في ان قوله غافر
الذنب وقابل التوب يحسن جعلها صفة وانما كان كذلك لانها مفيدان معنى الدوام
والاستمرار فكذلك قوله شديد العقاب يفيد معنى الدوام والاستمرار لان صفات الله تعالى
مترتبة عن الحدوث والتجدد فكونه شديد العقاب معناه كونه بحيث يشتد عقابه وهذا
المعنى حاصل ابدا وغير موصوف بأنه حصل بعد أن لم يكن كذلك فهذا ما قيل في هذا
الباب (البحث الثاني) هذه الآية مشعرة بترجيح جانب الرحمة والفضل لانه تعالى لما أراد
أن يصف نفسه بأنه شديد العقاب ذكر قبله أمرين كل واحد منهما يقتضي زوال العقاب
وهو كونه غافرا للذنوب وقابل التوب وذكر بعده ما يدل على حصول الرحمة العظيمة وهو
قوله ذي الطول فكونه شديد العقاب لما كان مسبوقا بتينك الصفتين ولمح وقابله الصفة دل
ذلك على أن جانب الرحمة والكرم أرجح (البحث الثالث) لقائل ان يقول ذكر الواو في
قوله غافر الذنب وقابل التوب ولم يذكرها في قوله شديد العقاب فما الفرق قلنا انه لولم يذكر
الواو في قوله غافر الذنب وقابل التوب لاحتمال أن يقع في خاطر انسان انه لامعنى لكونه
غافرا للذنوب الا كونه قابل التوب أم لا ذكر الواو زال هذا الاحتمال لان عطف الشيء على
نفسه محال اما كونه شديد العقاب فمعلوم انه مغاير لكونه غافرا للذنوب وقابل التوب
فاستغنى به عن ذكر الواو (الصفة الرابعة) قوله ذي الطول أي ذي الفضل يقال طال
علينا طولاً أي تفضل علينا تفضلاً ومن كلامهم طل على بفضلك ومنه قوله تعالى
أولوا الطول منهم ومضى تفسيره عند قوله ومن لم يستطع منكم طولا واعلم انه لما وصف
نفسه بكونه شديد العقاب لا بد وان يكون المراد بكونه تعالى آتيا بالعقاب الشديد الذي
لا يفتح منه آتيانه به بل لا يجوز وصفه تعالى بكونه آتيا بالفعل القبيح واذائت هذا فنقول
ذكر بعده كونه ذي الطول وهو كونه ذا الفضل فيجب أن يكون معناه كونه ذا الفضل
بسبب أن يترك العقاب الذي له ان يفعله لانه ذكر كونه ذا الطول ولم يبين انه ذو الطول
فماذا فوجب صرفه الى كونه ذا الطول في الامر الذي سبق ذكره وهو فعل العقاب
الحسن دفعا للاجمال وهذا يدل على انه تعالى قد يترك العقاب الذي يحسن منه تعالى فعله
وذلك يدل على أن العفو عن أصحاب الكبائر جائز وهو المطلوب (الصفة الخامسة) التوحيد
المطلق وهو قوله لا اله الا هو والمعنى انه وصف نفسه بصفات الرحمة والفضل فلو كان معه
اله آخر يشاركه ويساويه في صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شديدة
اما اذا كان واحدا وليس له شريك ولا شبهة كانت الحاجة الى الاقرار بعبوديته شديدة

الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل اليكاف على التقديرين ﴿ ٢٩٣ ﴾

النصب على

انه نمت لمصدر مخدوف (الذين يحملون العرش ومن حوله) وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجودا
وحملهم اياه وحفيظهم حوله مجاز ﴿ ٢٩٣ ﴾ عن حفظهم وتديبرهم له وكتابه عن زلفاهم من ذى العرش جل جلاله

ومكانتهم عنده ومحل
الموصول الرفع على الابتداء
خبره (يسبحون بحمد
ربهم) والجملة استئناف
مسوق لتسليمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ببيان
أن اشراف الملائكة
عليهم السلام مشاربون
على ولاية من معه من
المؤمنين ونصرتهم
واستدعاء ما يسعدهم
في الدارين أي يتزوهونه
تعالى عن كل ما لا يليق
بشأنه الجليل ملتبسين
بحمده على نعمائه التي
لا تنتهي (وبؤة نون به)
ايمانا حقيقا بحالهم
والانصریح بهم مع النبي
عن ذكره رأسا لظهار
فضيلة الايمان وابرار
شرف أهله والاشعار
بعله دعائهم للمؤمنين
حسبا ينطق به قوله
تعالى (ويستغفرون
للذين آمنوا) فمن
المشاركة في الايمان
أقوى المناسبات وأتمها
وأدعى الدواعي الى
النصح والشفقة وفي نظم
استغفارهم لهم في سلك
وظائفهم المفروضة
عليهم من تسبيحهم
وتحميدهم وانتمهم ايدان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه

فكان الترغيب والترهيب الكاملان يحصلان بسبب هذا التوحيد (الصفة السادسة)
قوله اليه المصير وهذه الصفة أيضا مما يقوى الرغبة في الاقرار بعبوديته لانه بتقدير أن
يكون موصوفا بصفات الفضل والكرم وكان واحدا لا شريك له الا أن القول بالحشر
والنشر ان كان باطلا لم يكن الخوف الشديد حاصل من عصيانه أما لما كان القول بالحشر
واقامة حاصل كان الخوف أشد والحذر أكل فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه
الصفات واخرج أهل التشبيه بلفظة الى قالوا انها تفيد انتهاء الغاية والجواب عنه مذکور
في مواضع كثيرة من هذا الكتاب واعلم انه تعالى لما قرآن القرآن كتاب أنزه ليهتدى به في
الدين ذكر أحوال من يجادل لغرض ابطاله واخفاء أمره فقال ما يجادل في آيات الله
الا الذين كفروا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان الجدل نوعان جدال في تقرير الحق
وجدل في تقرير الباطل أما الجدل في تقرير الحق فهو حرفة الانبياء عليهم السلام قال
تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي هي أحسن وقال حكاية عن الكفار انهم قالوا
انوح عليه السلام يا نوح قد جادلتنا وأكثرت جدالكنا وأما الجدل في تقرير الباطل فهو
مذموم وهو المراد بهذه الآية حيث قال ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وقال
ما ضرب بوهلك الاجدال بل هم قوم خصمون وقال وجادواوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقال
صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر فتوله ان جدالا على افظ التكبير يدل على
التمييز بين جدال وجدال واعلم ان لفظ الجدل في الشيء مشعر بالجدال الباطل ولفظ
الجدال عن الشيء مشعر بالجدال لاجل تقريره والذب عنه قال صلى الله عليه وسلم ان
جدالا في القرآن كفروا قال لا تماروا في القرآن فان المرء فيه كفر (المسئلة الثانية)
الجدال في آيات الله هو أن يقال مرة انه سحر ومرة انه شعر ومرة انه قول الكهنة ومرة
أساطير الاولين ومرة انها يعلمه بشر وأشباه هذا مما كانوا يقولونه من الشبهات الباطلة
فذكر تعالى انه لا يفعل هذا الا الذين كفروا وأعرضوا عن الحق ثم قال تعالى فلا يفرك
تقلبهم في البلاد أي لا ينبغي ان تغترباني أمهلهم واتركهم سالمين في أديانهم وأموالهم
يتقلبون في البلاد أي يتصرفون فيها للتجارات وطالب المعاش فاني وان أمهلتم فاني
سأخذهم وانتقم منهم كما فعلت باشسكالهم من الامم الماضية وكانت قريش كذلك
يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال الكثيرة يتجرون فيها ويربحون ثم كشف
عن هذا المعنى فقال كذبت قبليهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم فذكر من أولئك
المكذبين قوم نوح والاحزاب من بعدهم أي الامم المستمرة على الكفر كقوم عاد وثمود
وغيرهم كما قال في سورة ص كذبت قبليهم قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد وثمود وقوم
لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب وقوله وهمت كل أمة برسولهم أياخذوه أي وعزمت
كل أمة من هؤلاء الاحزاب ان يأخذوا رسولهم ليقتلوه ويعذبوه ويحبسوه وجادواوا
بالباطل أي هؤلاء جادواوا رسولهم بالباطل أي بإيراد الشبهات ليدحضوا به الحق أي ان

وتحميدهم وانتمهم ايدان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه

عند الله تعالى في موقع النبوة روى أن حلة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله

من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقد ماء في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وأنه يتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوضع وفي الحديث ان الله أمر جبرئيل الملائكة أن يفسدوا وروحوا بالسلام على حلة العرش تفضيلاً لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف طام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهملين مكبرين ومن رؤسهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتكبير والتكبير ومن رؤسهم مائة ألف صف قد وضعوا أيديهم على الشمايل ما منهم

يزيلوا بسبب إرادة تلك الشبهات الحني والصدق وأخذتهم فكيف كان عقاب أي فازت بهم من الهلاك ما هموا بالزال بالرسول وأرادوا أن يأخذوهم فاخذتهم أما فكيف كان عقابي إياهم اليس كان مهلكاً مستأصلاً مهيباً في الذكر والسمع فأنأ فعل بقومك كما فسدت بهؤلاء أن أصرروا على الكفر والجدال في آيات الله ثم كشف عن هذا المعنى فقال وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار أي ومثل الذي حق على أولئك أنهم السانئة من العقاب حقت كلمتي أيضاً على هؤلاء الذين كفروا من قومك فهم على شرف نزول العقاب بهم قال صاحب الكشف أنهم أصحاب النار في محل الرفع بدل من قوله كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بخذف لام التعليل وايصال الفعل واحتج أصحابنا بهذه الآية على أن قضاء الله بالسعادة والشقاوة لا يمكن تغيره فقالوا والله تعالى أخبر أنه حقت كلمة العذاب عليهم وذلك يدل على أنهم لا قدرة لهم على الإيمان لانهم أوتوا منه لتمكنوا من ابطال هذه الكلمة الحققة وتمكنوا من ابطال علم الله وحكمه ضرورة ان المتمكن من الشيء يجب كونه متمكناً من كل ما هو من اوازمه ولا يمتنع أن يمتنع منهم ان يؤمنوا بهذه الآية فحينئذ ككأنوا قد آمنوا بانهم لا يؤمنون أبداً وذلك تكليف ما لا يطاق وقرأناهم وابن عامر حقت كلمات ربك على الجمع والباقون على الواحد بقوله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وأدخلمهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آباءهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رجعت وذلك هو الفوز العظيم) اعلم انه تعالى لما بين ان الكفار يبالغون في اظهار العداوة مع المؤمنين بين ان أشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة الذين هم حلة العرش والحاقون حول العرش يبالغون في اظهار المحبة والتصرة للمؤمنين كأنه تعالى يقول ان كان هؤلاء الاراذل يبالغون في العداوة فلا يتبال بهم ولا تلتفت اليهم ولا تنقم لهم وزناً فان حلة العرش معك والحاقون من حول العرش معك ينصرونك وفي الآية مسئلة (المسئلة الاولى) انه تعالى حكى عن نوعين من فرق الملائكة هذه المسكيات (أحدهما) الذين يحملون العرش وقد حكى تعالى ان الذين يحملون العرش يوم القيامة ثمانية فيمكن أن يقال الذين يحملون في هذا الوقت هم أولئك الثمانية الذين يحملونه يوم القيامة ولا شك ان حلة العرش أشرف الملائكة وأكابرهم روى صاحب الكشف ان حلة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله تعالى من الملائكة فان خلقا من

الذي وهو يسبح بما لا يسمع به الآخر (ربنا) على إرادة القول أي يقولون ربنا على انه اما بيان لاستغفارهم الملائكة

النصب

أوحال (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلتك فأزيل عن أصله الاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عومها وتقديم ﴿ ٢٩٥ ﴾ الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا والفاء في قوله تعالى (فاغفر

الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مر في رأسه من سبع سموات وأنه ليتضائل من عظمتة الله حتى يصير كأنه الوضوح قيل انه طائر صغيره روى ان الله تعالى أمر جميع الملائكة ان يندوا ويروحوا بالسلام على حلة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين اقلعتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به ثلاثين مائة من كبرين ومن وراءهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتكبير ومن وراءهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على السمال ما منهم أحد الا ويسبح بما يسبح به الآخر هذه الأسماء نقلتها من الكشاف (واما القسم الثاني) من الملائكة الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الآية فقوله تعالى ومن حوله والآنظر أن المراد منهم ما ذكره في قوله وتري الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمدهم وأقول السائل يدل على ان حلة العرش والحافين حول العرش يجب أن يكونوا أفضل الملائكة وذلك لان نسبة الارواح الى الارواح كنسبة الاجساد الى الاجساد فلما كان العرش أشرف الموجودات الجسمانية كانت الارواح المتعلقة بتدبير العرش يجب أن تكون أفضل من الارواح المدبرة للاجساد وأيضا يشبه أن يكون هناك ارواح حاملة لجسم العرش ثم يتولد عن تلك الارواح القاهرة المستعلية المدبرة لجسم العرش ارواح أخر من جنسها وهي متعلقة اطراف العرش واليهم الاشارة بقوله وتري الملائكة حافين من حول العرش وبالجملة فقد ظهر بالبراهين اليقينية وبالكاشفات الصادقة انه لانسبة اعالم الاجساد الى عالم الارواح وكل ما شاهدته بعين البصر في اختلاف مراتب عالم الاجساد فيجب ان تشاهده بعين بصيرتك في اختلاف مراتب عالم الارواح (المسئلة الثانية) دلت هذه الآية على انه سبحانه مبرزه عن أن يكون في العرش وذلك لانه تعالى قال في هذه الآية الذين يحامون العرش وقال في آية أخرى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ولا شك ان حامل العرش يكون حاملا لكل من في العرش فلو كان الله تعالى في العرش لكان هو لواء الملائكة حاملين لاله العالم فحينئذ يكونون حافظين لاله العالم والحفاظ اقدار اولي بالالهية والمحمول المحفوظ أولى بالعبودية فحينئذ ينقلب الاله عبدا والعبدا لها رذائل فاسد فدل هذا على ان الله العرش والاجسام متعال عن العرش والاجسام واعلم انه تعالى حكى عن حلة العرش وعن الحافين بالعرش ثلاثة أشياء (أولها) قوله يسبحون بحمدهم ونظيره قوله حكايه عن الملائكة ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى وتري الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمدهم فالسبح عبارة عن تزيين الله تعالى عما لا ينبغي والمحميد الاعتراف بأنه هو المنعم على الاطلاق فالتسبح اشارة الى الجلال والتحميد اشارة الى انكرام فقوله يسبحون بحمدهم بهم قريب من قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام (والنوع الثاني) مما حكى الله عن هؤلاء الملائكة هو قوله تعالى ويؤمنون به فان قيل فاي

لذين تابوا واتبعوا سبيلك) أي الذين علمت منهم التوبة واتبعوا سبيل الحق لتقريب الداء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم (وقم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه وهو تصرح بعد اشعار للتاكيد (ربنا وأدخلهم) عطف على قهم وتوسيط الداء بينهما للمبالغة في الجوار (جنات عدن التي وعدتهم) أي وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أي صلاحا وصحفا لدخول الجنة في الجملة وان كان دون صلاح أصولهم وهو عطف على الضمير الاول أي وأدخلها معهم هؤلاء ايتهم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم أو على الثاني لكن لابناء على الوعد العام لكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى ألقنا

بهم ذرياتهم بأن يكونوا أعلى درجة من ذرياتهم قال سعيد ابن جبير يدخل المؤمن الجنة

فيقول أين أبي أين وادي أين زوجي فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول اني كنت أعملى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي حصول ﴿ ٢٩٦ ﴾ الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار

فأنة في قوله و يؤمنون به فان الاشتغال بالتسبيح والحمد لا يمكن الا وقد سبق الايمان بالله فلنا الفائدة فيه ما ذكره صاحب الكشاف وقد أحسن فيجد ان المقصود منه التبيد على أن الله تعالى لو كان حاضر بالعرش لكان حمله العرش والحافون حول العرش يشاهدونه ويعاينونه ولما كان ايمانهم بوجود الله موجبا للمدح والثناء لان الاقرار بوجوده شى حاضر مشاهد معين لا يوجب المدح والثناء الا ترى ان الاقرار بوجود الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح والثناء فلما ذكر الله تعالى ايمانهم بالله على سبيل الثناء والمدح والتعظيم علم انهم آمنوا به بدليل انهم ما شاهدوه حاضرا جالسا هناك ورحم الله صاحب الكشاف فلولم يحصل في كتابه الا هذه التكنة لكفاة فخره وشرفه (النوع الثالث) مما حكى الله عن هؤلاء الملائكة قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا واعلم انه قد ثبت ان كل السعادة مر بوطأ امر بن التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ويجب أن يكون التعظيم لامر الله مقدما على الشفقة على خلق الله وقوله يستغفرون للذين آمنوا مستعمل بالشفقة على خلق الله به مشعر بالتعظيم لامر الله وقوله ويستغفرون للذين آمنوا مستعمل بالشفقة على خلق الله ثم في الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج كثير من العلماء بهذه الآية في اثبات ان الملك أفضل من البشر قالوا لان هذه الآية تدل على ان الملائكة لما فرغوا من ذكر الله بالثناء والتقدس اشتغلوا بالاستغفار لغيرهم وهم المؤمنون وهذا يدل على انهم مستغفرون عن الاستغفار لانفسهم اذ كانوا محتاجين اليه اقدموا الاستغفار لانفسهم على الاستغفار لغيرهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك وأيضاً قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر انيك والمؤمنين والمؤمنات فأمر محمداً أن يذكر أولاً الاستغفار لنفسه ثم بعده يذكر الاستغفار لغيره وحكى عن نوح عليه السلام انه قال رب اغفرلى واوالدى وان دخل بيتى مؤمنا والمؤمنين والمؤمنات وهذا يدل على أن كل من كان محتاجا الى الاستغفار فانه يقدم الاستغفار لنفسه على الاستغفار لغيره فللملائكة او كانوا محتاجين الى الاستغفار لكان استغفارهم بالاستغفار لانفسهم مقدما على استغفارهم بالاستغفار لغيرهم وللملم يذكر الله تعالى عنهم استغفارهم لانفسهم علما ان ذلك انما كان لانهم ما كانوا محتاجين الى الاستغفار وأما الانبياء عليهم السلام فقد كانوا محتاجين الى الاستغفار بدليل قوله تعالى لمحمد عليه السلام واستغفر لذنبيك واذا ثبت هذه حقيقة دلتهم ان الملك أفضل من البشر والله أعلم (المسئلة الثانية) احتج الكعبى بهذه الآية على أن تأثير الشفاعة في حصول زيادة اشواب المؤمنين لاني استسقاط العقاب عن المذنبين قال وذلك لان الملائكة قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك قال وليس المراد فاغفر للذين تابوا من الكفر سواء كان مصرا على الفسق أو لم يكن كذلك لان من هذا حاله لا يوصف بكونه متبعا لسبيل ربه ولا يطلق ذلك فيه وأيضاً ان الملائكة يقولون وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وهذا لا يليق بالفاسقين لان خصوصنا لا يقطعون على

و عليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاول لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفي الثاني ضمنى وقرئ صلح بالضم وذر يشهم بالافراد (الملك أنت العزيز) أى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور (الحكيم) أى الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التى من جاتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها (وقههم السيئات) أى العقوبات لان جزاء السيئة سيئة مثلهما أو جزا السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بالاتباع أو المعاصى فى الدنيا فعن قوله تعالى (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) ومن تقه المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كأنهم طلبوا بهم السبب بعدما سألوا المسبب (وذلك) اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته أو إليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاسعار بعيد درجة المشار اليه ﴿ ان ﴾ (هو الفوز العظيم) الذى لا مطمع وراءه لطامع

﴿ ان ﴾ (هو الفوز العظيم) الذى لا مطمع وراءه لطامع

(ان الذين كفروا) شروع في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين في سابق أنهم أصحاب النار (ينادون) أي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم ﴿ ٢٩٧ ﴾ الامارة بالسوء التي وقوهوا فيما وقوهوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا أي أبغضوها أشد البغض وأنكروها وأبلغ الإنكار وأظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك (لمقت الله أكبر من منتكم أنفسكم) أي لمقت الله أنفسكم الامارة بالسوء أو مقته اياكم في الدنيا (اذ تدعون) من جهة الانبياء (الي الايمان) فتأبون قبوله (فكفرون) اتباعا لانفسكم الامارة ومساعدة الي هواها أو اقتداء بأخلاقكم المضلين واستحبابا لأراهم أكبر من منتكم أنفسكم الامارة أو من مقت بعضهم بعضا اليوم فاذا نلر في المقت الاول وان توسط بينهما ما الخبر لما في الظروف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقت رأى مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لذكروا والاول هو الوجه وقيل كلام المتقين في الآخرة واذ تدعون تعامل ما بين الطرفين

ان الله تعالى وعدهم الجنة وانما يجوزون ذلك فثبت ان شفاعة الملائكة لا تناول الأهل الطاعة فوجب أن تكون شفاعة الانبياء كذلك ضرورة أنه لا قائل بالفرق والجواب ان نقول هذه الآية تدل على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين فبين هذا نيجب عذره الكمبي أما بيان دلالة هذه الآية على ما قلناه فن وجوه (الاول) قوله ويستغفرون للذين آمنوا والاستغفار طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر الا في اسقاط العقاب أما طلب الذم الزائد فانه لا يسمى استغفارا (الثاني) قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا وهذا يدل على انهم يستغفرون لكل أهل الايمان فاذا دللنا على ان صاحب الكبيرة مؤمن وجب دخوله تحت هذه الشفاعة (الثالث) قوله تعالى فاغفر للذين تابوا طلب المغفرة للذين تابوا ولا يجوز ان يكون المراد اسقاط عقوبة الكبيرة بعد التوبة لان ذلك واجب على الله عند الحصر وما كل فعله واجبا كان طلبه بالدعاء فيجوز لا يجوز ايضا أن يكون المراد اسقاط عقوبة الصغائر لان ذلك أيضا واجب فلا يحسن طلبه بالدعاء ولا يجوز ان يكون المراد طلب زيادة منفعة على الثواب لان ذلك لا يسمى مغفرة فثبت أنه لا يمكن حل قوله فاغفر للذين تابوا الا على اسقاط عقاب الكبيرة قبل التوبة واذ ثبت هذا في حق الملائكة فكذلك في حق الانبياء لان عقاب الاجماع على انه لا فرق اما الذي يتك به الكمبي وهو انهم طلبوا المغفرة للذين تابوا فتقول نيجب أن يكون المراد منه الذين تابوا عن الكفر واتبعوا سبيل الايمان وقوله ان النائب عن الكفر المصغر على التسبق لا يسمى تابوا ولا متبعا سبيل الله فلنا ان نسلم قوله بل يقال انه نائب عن الكفر وتابع سبيل الله في الدين والشريعة واذ ثبت انه نائب عن الكفر ثبت أنه نائب الأثرى أنه يكفي في صدق وصفه بكونه ضارا ايضا كما صدور الضرب والضحك عنه مرة واحدة ولا يتوقف ذلك على صدور كل أنواع الضرب والضحك عنه فكذلك هو هنا (المسئلة الثالثة) قال أهل التحقيق ان هذه الشفاعة الصادرة عن الملائكة في حق البشر تجري مجرى اعتذار عن زلت سبقت وذلك لانهم قالوا في أول تخليق البشر أتجعل فيهم من يهدى فيها ويسفك الدماء فلما سبق منهم هذا الكلام تداركوا في آخر الامر بأن قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا كالنبيذ على ان من آذى غيره فالاولى ان يجبر ذلك الايذاء بإبصال نفع واعلم انه تعالى المحكي عن الملائكة انهم يستغفرون للذين تابوا بين كيفية ذلك الاستغفار فكمي عنهم انهم قالوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان الدعاء في أكثر الامر مذكور بافظر ربنا وويلك عليه ان الملائكة عند الدعاء قالوا ربنا بديل هذه الآية وقال آم عليه السلام ربنا خلنا أنفسنا وقال نوح عليه السلام رب اني أعوذ بك أن أسفك ما ليس لي به علم وقال أيضا رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقال أيضا رب اغفر لي ولوالدي وقال عن ابراهيم عليه السلام رب اني كيف تشي الموتى وقال رب اغفر لي ولوالدي والمؤمنين يوم تقوم الحساب

والسبب من علاقة اللزوم ﴿ ٢٩٨ ﴾ سا والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من

مقتكم أنفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فكفرون وتخصبص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اضرارهم
عما لا داعي اليه (قاوار بنا امتنا الذين واحببتنا الذين) ﴿ ٢٩٨ ﴾ صفحتان لمصدرى الفعاليين المذكورين أى اماتين

واحياه نين أو موتين
وحياتين على أنهما
مصدران لهما أيضا
بحذف الزوائد وأفعاليين
يدل عليهما المذكوران
فان الامانة والاحياء
ينشان على الموت والحياة
حننا كانه قيل أمتنا
فتساء موتين اثنين
واحبتنا فحينما
حياتين اثنين
على طريقة قول من
قال وعضة دهر يابن
مروان لم تدع من المال
الامحة أو تخلف أى
لم تدع فليبق الامحة
الح قيل أرادوا بالامانة
الاولى خلفهم أمواتنا
وبالثانية اماتهم عند
انقضاء آجالهم على أن
الامانة جعل الشئ
عالم الحياة أعمن أن
يكون بإنشائه كذلك
كأن قواهم سبحانه من
صغر البعوض وكبر الفيل
أو جعله كذلك بعد الحياة
وبالاحياء من الاحياء الاول
واحياه البعث وقيل
أرادوا بالامانة الاول
ما بعد حياة الدنيا
وبالثانية ما بعد حياة
التبرو بالاحياء من ما في

وقل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئنا أمة مسلمة لك وقال عن يوسف قد آتيتني
من الملك وقال عن موسى عليه السلام رب أرني أنظر اليك وقال في قصة الوكر رب انى
ظلمت نفسى فاغفرلى فغفرله انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون
ظهير للمجرمين وحكى تعالى عن داود أنه استغفر ربه وخررا كعوا وأتاب وعن سليمان
انه قال رب هبلى ملكا ومن زكريا انه نادى ربه تداء خفيا وعن عيسى عليه السلام انه
قال ربنا أنزل غايينا مأدنة من السماء وعن محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قاله
وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين وحكى عن المؤمنين انهم قالوا ربنا ما خلقت هذا
باطلا وأعادوا هذه اللفظة خمس مرات وحكى أيضا عنهم انهم قالوا غفرانك ربنا وانك
المصير الى آخر السورة ثبت بما ذكرنا ان من أرضى الدعاء أن يسأدى العبد ربه بقوله
يارب وتسام الاشكال فيه أن يقال لفظ الله أعظم من لفظ الرب فمصارف الرب تخصا
بوقت الدعاء والجواب كأن العبد يقول كنت فى كتم العدم المحض واشقى العصف
فأخرجتنى الى الوجود ووريتنى فاجعل تربيتك لى شقيعا اليك فى ان لا تخلينى طرفة عين
عن تربيتك واحسانك وفنالك (المسئلة الثانية) السنة فى الدعاء أن يبدأ فيه بإنشاء على
الله تعالى ثم يذكر الدعاء عقيبها والدليل عليه هذه الآية فان الملائكة لما عزموا على
الدعاء والاستغفار للمؤمنين بدوا بإنشاء فقالوا ربنا وسقت كل شئ رحمة وعلمنا وأيضا ان
الحليل عليه السلام لما أراد أن يذكر الدعاء ذكر الإنشاء أولا فقال الذى خلفنى فهو يمد يدي
والذى هو يطعمنى ويسقىنى وإذا مرضت فهو يشفين والذى يدينى ثم يحيين والذى أطعم
أن يغفرلى خطيئى يوم الدين فكل هذا إنشاء على الله تعالى ثم بعده ذكر الدعاء فقال رب
هبلى حكما وألحقنى بالصالحين واعلم ان العقل يدل أيضا على رعية هذا الترتيب وذلك لان
ذكر الله بإنشاء والتعظيم بالنسبة الى جوهر الروح كالأكسبر الاعظم بالنسبة الى الحساس
فكما ان ذرة من الأكسبر اذا وقعت على عالم من الحساس انقلب الكل ذهابا برزوا
فكذلك اذا وقعت ذرة من أكسبر معرفة جلال الله تعالى على جوهر الروح النطقية
انقلب من نحومة الحساس الى صفاء اقدس وبقاء عالم الطهارة فثبت ان عند اشراق نور
معرفة الله تعالى فى جوهر الروح يصير الروح أقوى صفاء وأكل اشراقا ومتى صار كذلك
كانت قوته أقوى وتأثيره أكل فكان حصول الشئ المطاوب بالدعاء أقرب وأكل وهذا
هو السبب فى تقديم إنشاء على الله على الدعاء (المسئلة الثالثة) اعلم أن الملائكة وسفوا
الله تعالى بثلاثة أنواع من الصفات الربوبية والرحمة والعلم أما الربوبية فهى اشارة الى
الابجاد والابداع وفيه لطيفة أخرى وهى ان قواهم ربنا اشارة الى الترتيبية والترتبية عبارة
عن ابقاء الشئ على أكل أحواله وأحسن صفاته وهذا يدل على ان هذه الممكنات كما انها
محتاجة حال حدوثها الى احداث الحق سبحانه وتعالى وابداعه فكذلك انها محتاجة
حال بقاءها الى ابقاء الله وأما الرحمة فهى اشارة الى ان جانب الخير والرحمة والاحسان

التبرو وما عند البعث وهو الانسب بحالهم وأما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حياة الدنيا فدفع هو راجع

لكن لا يقبل من عدم اعتقادهم بها الزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها بل بأن مقصودهم أحداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا ﴿ ٢٩٩ ﴾ كما ينطبق به قولهم (فاعترفنا بذنوبنا) والتزام العمل بموجب ذلك

الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما عنقوا به أطباعهم الفارغة من الرجوع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا فعمل مسألنا انما موقنون وهو الذي أرادوه بقولهم (فهمل الى خروج من سبيل) مع نوع استبعاد له واستشعار بأس منه لأنهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب في أن الذي كانوا ينكرونه ويفرغون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد الموت وأما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه اينظروا في سلك ما اعترفوا به وزعموا أن الاعتراف يجديهم نفعاً وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا اتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر فان مقصدهم الاصلى هو الاعتراف بالاحياء وانما ذكروا والا ماتين لترتيبهما عليهما ذكرا حسب ترتيبهما عليهما وجودا وتكبير سبيل الابهام أي من سبيل ما كلفها كان وقوله تعالى (ذلكم) الخ جواب اهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من

راجع على جانب الضرر وانه تعالى اعم اخلق الخلق الرحمة والخير لا الاضرار والشرفان قيل قوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فيه سؤال لان العلم وسع كل شيء اما الرحمة فاوصلت الى كل شيء لان المضرور حال وقوعه في الضرر لا يكون ذلك الضرر رحمة وهنا السؤال ايضا مذكور في قوله ورزقني وسعت كل شيء فلنا كل وجود فقد نال من رحمة الله تعالى نصيبا وذلك لان الموجود اما واجب واما ممكن أما الواجب فليس الا الله سبحانه وتعالى وأما الممكن فوجوده من الله تعالى وبتجاوزه وذلك رحمة فثبت انه لا موجود غير الله الا وقد وصل اليه نصيب ونصيب من رحمة الله تعالى قال ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وفي الآية دقيقتا أخرى وهي ان الملائكة قد مر ذكر الرحمة على ذكر العلم فقالوا وسعت كل شيء رحمة وعلما وذلك لان المطلوب بهم اوصول الرحمة وأن يتجاوزوا عن علمهم من أنواع الذنوب فالمطلوب بالذات هو الرحمة والمطوب بالعرض أن يتجاوزوا عن علمهم والمطلوب بالذات مقدم على المطلوب بالعرض الا ترى انه لما كان ابقاء الصحة مطلوباً بالذات وازالة المرض مطلوباً بالعرض لا جرم لما ذكر واحد اطب قدم وافيه حفظ الصحة على ازالة المرض فقالوا الطب علم يعرف منه أحوال بدن الانسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة للحفاظ الصحة حاصلة وتسته دزائله فكذلك ههنا المطلوب بالذات هو الرحمة وأما التجاوز عما علمه منهم من أنواع الذنوب فهو مطلوب بالعرض لاجل ان حصول الرحمة على سبيل الكمال لا يحصل الا بالتجاوز عن الذنوب فلهذا السبب وقع ذكر الرحمة سابقا على ذكر العلم (المسئلة الرابعة) دلت هذه الآية على ان المعصود بالقبضة الاولى في الخلق والتكوين انما هو الرحمة والفضل والجود والكرم ودلت الدلائل اليقينية على ان كل ما دخل في الوجود من أنواع الخير والشر والسعادة والشقاوة فبتضاء الله وقدره والجمع بين هذين الاصلين في غاية الصعوبة فعند هذا قالت الحكماء الخير مراد مرضى والشر مراد مكروه والخير مقضى به بالذات والشر مقضى به بالعرض وفيه غور عظيم (المسئلة الخامسة) قوله وسعت كل شيء رحمة وعلما يدل على كونه سبحانه عالما بجميع المعلومات التي لانهاية لهم من الكليات والجزئيات وأيضا فلولا ذلك لم يكن في الدعا والتضرع فائدة لانه اذا جاز أن يخرج عن علمه بعض الاشياء فعلى هذا التقدير لا يعرف هذا الداعي ان الله سبحانه يعلمه ويعلم دعاه وعلى هذا التقدير لا يلقى في الدعا فائدة البتة واعلم أنه تعالى لما حكى عنهم كيفية ثنائهم على الله تعالى حكى عنهم كيفية دعائهم وهو انهم قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم واعلم أن الملائكة طابوا بالدعاء من الله تعالى اشياء كثيرة للمؤمنين فالمطوب الاول الغفران وقد سبق تفسيره في قوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فان قيل لا معنى للغفران الا اسقاط العذاب وعلى هذا التقدير فلا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قوله وقهم عذاب الجحيم قلنا دلالة لفظ المغفرة على اسقاط عذاب الجحيم دلالة حاصلة على سبيل الرمن والاشارة فلما ذكر واهذا الدعاء على سبيل الرمن

سبيل الابهام أي من سبيل ما كلفها كان وقوله تعالى (ذلكم) الخ جواب اهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من

أعمالهم السيئة أي ذلكم الذي أتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل (بأنه) أي بسبب أن المشان (أذاعى الله) في الدنيا أي عبدا (وحده) أي منفردا ﴿٣٠٠﴾ (كفرتم) أي بتوحيده (وإن يشركه توأموا) أي بالاشركية

والإشارة أردفوه يذكروه على سبيل التصريح لاجل التأكيد والمبالغة واعلم انهم لما طلبوا من الله إزالة العذاب عنهم أردفوه بأن طلبوا من الله إيصال الثواب إليهم فقلوا ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم فأقبل أي نعم إن هذه الشفاعة إنما حصلت للمؤمنين وهذه الآية تبطل ذلك لأنه تعالى ما وعد المؤمنين بأن يدخلهم في جنات عدن قلنا لا نسلم أنه ما وعدهم بذلك لأننا بيننا الدلائل الكثيرة في القرآن دلت على أنه تعالى لا يدخل أهل الله إلا الله إذ الله محمد رسول الله في النار وإذا أخرجهم من النار وجب أن يدخلهم الجنة فكان هذا وعدا من الله تعالى إليهم بأن يدخلهم في جنات عدن إما من غير دخول النار وإما بعد أن يدخلهم النار قال تعالى ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم يعني وأدخلهم معهم في الجنة هؤلاء الطوائف الثلاثة وهم الصالحون من الآباء والأزواج والذريات وذلك لأن الرجل إذا حضر معه في موضع عيشه وسروره أهله وعشيرته كان ابتهاجه أكل قال الفراء والزجاج من نصب من مكانين فإن شئت رددته على الضمير في قوله وأدخلهم وإن شئت في وعدتهم والمراد من قوله ومن صلح أهل الإيمان ثم قالوا إنك أنت العزيز الحكيم وإنما ذكره في دعائهم هذين الوصفين لأنه لو لم يكن عز يزا بل كان بحيث يغلب ويمنع لما صح وقوع المطاوب منه ولو لم يكن حكيما لما حصل هذا المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة ثم قالوا بعد ذلك وقهم السيئات قال بعضهم المراد وقهم عذاب السيئات فإن قيل فعلى هذا التقدير لا فرق بين قوله وقهم السيئات وبين ما تقدم من قوله وقهم عذاب الجحيم وجب أن يلزم التكرار الخالي عن الفائدة وأنه لا يجوز قلنا بل التفاوت حاصل من وجهين (الأول) أن يكون قوله وقهم عذاب الجحيم دعاء مذكورا للأصول وقوله وقهم السيئات دعاء مذكورا للفروع (الثاني) أن يكون قوله وقهم عذاب الجحيم مقصورا على إزالة الجحيم وقوله وقهم السيئات يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة وعذاب الحساب والسؤال (والقول الثاني) في تفسير قوله وقهم السيئات هو أن الملائكة طلبوا إزالة عذاب النار بقولهم وقهم عذاب الجحيم وطلبوا إيصال ثواب الجنة إليهم بقولهم وأدخلهم جنات عدن ثم طلبوا بعد ذلك أن يصونهم الله تعالى في الدنيا عن العقائد الفاسدة والأعمال الفاسدة وهو المراد بقولهم وقهم السيئات ثم قالوا ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته يعني ومن تق السيئات في الدنيا فقد رحمته في يوم القيامة ثم قالوا وذلك هو الفوز العظيم حيث وجدوا بأعمال منقطعة نعيم لا ينقطع وبأعمال حقيرة ملكا لا تصل العقول إلى كنهه جلالة * قوله تعالى (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا الذين وأحييتنا الذين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ذلكم يأنه إذ ادعى الله وحده كفرتم وإن يشركه توأموا فالحكم لله العلي الكبير) اعلم أنه تعالى لما عاد إلى شرح أحوال الكافرين المجادلين في آيات الله وهم الذين ذكرهم الله في قوله

وتسارعوا في إيراد إذا وصيغة الماضي في الشرطية الأولى وإن وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك (فالحكم لله) الذي لا يحكم إلا بالحق ولا يقضى إلا بما تقتضيه الحكمة (العلي الكبير) الذي ليس كمثل شئ في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بأنه لا معقولة لا شرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم إلى الخروج أبدا (هو) الذي يريكم آياته الدالة على شؤنه العظيمة الموجبة لتفرد بالالوهية استندوا بها على ذلك وتعلموا بسوجبها فتوحدوه تعالى وتخصصوا بالعبادة (ويزل) بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال (لكم من السماء رزقا) أي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات

الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرد به عنون كونه من آثار رحمته وجلاله نعمته الموجبة للشكر ﴿٣٠١﴾ ما يجادل

وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الآراء والتزليل واستمرارها وتقديم الجار والمجرور على المفعول
لأمر غير مرة (وما يذكر) بتلك الآيات الباهرة ﴿ ٣٠١ ﴾ وما يعمل بمقتضاها (الأمن ينيب) إلى الله

تعالى ويتفكر فيما أودعه
في تضاعيف مصنوعاته
من شواهد قدرته
الكاملة ونعمته الشاملة
الوجبة لتخصيص
العبادة به تعالى ومن
ليس كذلك فهو بعزل
من التذكر والاعتناظ
(فادهو الله مخلصين
له الدين) أي إذا كان
الأمر كما ذكر من
اختصاص التذكر بمن
ينيب فاعبدوه أيها
المؤمنون مخلصين له
دينكم ، ويجب انما بكم
إليه تعالى وإيمانكم به
(ولو كره الكافرون)
ذلك وغايتهم اخلاصكم
(رفيع الدرجات) نحو
بديع السموات على أنه
صفة مشبهة أضيفت
إلى فاعلها بعد النقل
إلى فعل بالضم كما هو
المشهور وتفسيره بالرفع
ليكون من إضافة اسم
الفاعل إلى المفعول بعيد
في الاستعمال أي رفيع
درجات ملائكته أي
معارجهم ومساعدهم
إلى العرش (ذوالعرش)
أي مالكه وهما خبران
آخران لقوله تعالى هو

ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا بين انهم في القيامة يعترفون بنوبتهم واستحقاقهم
العذاب الذي ينزل بهم ويسألون الرجوع إلى الدنيا ليلتلافوا ما فرط منهم فقال ان الذين
كفروا يتادون لمقت الله أكبر من مقتكم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) في الآية
حذف وفيها أيضا تقديم وتأخير أما الحذف فتقديره لمقت الله ايكم وإنما التقديم والتأخير
فهو أن التقدير أن يقال لمقت الله لكم حال ما تدعون إلى الايمان فتكفرون أكبر من
مقتكم أنفسكم وفي تفسير مقتهم أنفسهم وجوه (الاول) انهم اذا شاهدوا القيامة
والجنة والنار متوا أنفسهم على اصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء في الدنيا
(الثاني) ان الاتباع يشتد مقتهم للروساء الذين دعوهم إلى الكفر في الدنيا والروساء أيضا
يشتد مقتهم للاتباع فعبء عن مقت بعضهم بعضا بأنهم مقتوا أنفسهم كما انه تعالى قال
فاقتلوا أنفسكم والمراد قتل بعضهم بعضا (الثالث) قال مجاهد كعب اذا خطبهم ابلس
هم في النار بقوله وما كان لي عليكم من سلطان إلى قوله ولو موأ أنفسكم في هذه
الحالة مقتوا أنفسهم واعلم أنه لا نزاع ان مقتهم أنفسهم انما يحصل في القيامة اما مقت
الله لهم ففيه وجهان (الاول) انه حاصل في الآخرة والمعنى لمقت الله لكم في هذا الوقت
يد من مقتكم أنفسكم في هذا الوقت (أو الثاني) وعليه الاكثرون ان التقدير لمقت الله
لكم في الدنيا اذ تدعون إلى الايمان فكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم الآن ففي
تفسير الانفاظ المذكورة في الآية أوجه (الاول) ان الذين يتادونهم ويذكرونهم هذا
الكلام هم خزنة جهنم (الثاني) المقت أشد البعض وذلك في حق الله تعالى بحال فالمراد
منه أباغ الانكار والزجر (الثالث) قال الفراء يتادون لمقت الله معناه انهم يتادون ان
مقت الله أكبر يقال ناديت ان زيدا قائم وان زيدا قائم (الرابع) قوله اذ تدعون إلى
الايمان فيه حذف والتقدير لمقت الله لكم اذ تدعون إلى الايمان فتأتون بالكفر أكبر من
مقتكم الآن أنفسكم ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا حوطوا بهذا الخطاب قالوا ربنا
أمتنا اثنين إلى آخر الآية والمعنى انهم لما عرفوا ان الذي كانوا عليه في الدنيا كان
فاسدا باطلا تمنوا الرجوع إلى الدنيا لكي يشتغلوا عند الرجوع إليها بالأعمال الصالحة
وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج أكثر العلماء بهذه الآية في اثبات عذاب
القبر وتقرير الدليل انهم أثبتوا لانفسهم موتين حيث قالوا ربنا أمتنا اثنين فأحد
الموتين مشاهد في الدنيا فلا بد من اثبات حياة أخرى في القبر حتى يصير الموت الذي يحصل
عقبها موتا ثانيا وذلك يدل على حصول حياة في القبر فان قيل قال كثير من المفسرين
الموتة الاولى إشارة إلى الحالة الحاصلة عند كون الإنسان نطفة وعلقة والموتة الثانية
إشارة إلى ما حصل في الدنيا فلم لا يجوز أن يكون الأمر كذلك والذي يدل على ان الأمر
ما ذكرناه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم والمراد من قوله
وكنتم أمواتا الحالة الحاصلة عند كونه نطفة وعلقة وتحقيق الكلام ان الامانة تستعمل

أخبر عنه بهما ايذا نابلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له أما
بطريق الاستشهاد بهما عليهما

فإن ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضى

عبارة عنهما بطريق
المجاز المنفرع على
الكتابة كالاستواء على
العرش وتمهيدا لما
يعقبهما من قوله تعالى
(يلقى الروح من أمره)
فانه خبر آخر لما ذكر
منه عن انزال الرزق
الروحاني الذي هو
الوحي بعد بيان انزال
الرزق الجسماني الذي
هو المطر أي ينزل الوحي
الجسدي من القلوب
منزلة الروح من الاجساد
وقوله تعالى من أمره
بيان للروح الذي أريد
به الوحي فانه أمر بالخبر
أحوال مند أي حال كونه
ناشئا ومبتدأ من أمره
أوصغفه على رأي
من يجوز حذف الموصول
مع بعض صلته أي
الروح الكائن من أمره
أو متعلق بياقي ومن
للسببية كالباء مثل
ما في قوله تعالى وما
خطبأتهم أي يلقي الوحي
بسبب أمره (على من
يشاء من عباده) وهو
الذي اصطفاه لرسالته
وتبليغ أحكامه اليهم
(لينذر) أي الله تعالى

بمئين (أحدهما) ابتداء للشيء ميتا (والثاني) تصغير الشيء ميتا بعد أن كان حيا كقولك
وسع الحيا طئوني بحتم انه خاطه واسعا ويحتمل أنه صيره واسعا بعد ان كان ضيقا فلم
لايجوز في هذه الآية ان يكون المراد بالامانة خلقها مائة ولا يكون المراد تصغيرها مائة
بعد ان كانت حية (السؤال الثاني) ان هذا كلام الكفار فلا يكون حجة (السؤال
الثالث) ان هذه الآية تدل على المنع من حصول الحياة في النبر وبيانه انه لو كان الامر
كذلك لكان قد حصلت الحياة ثلاث مرات اولها في الدنيا وثانيها في القبر وثالثها في
القيامة والمذكور في الآية ليس الاحيائين فقط فتكون احدهما الحياة في الدنيا
والحياة الثانية في القيامة والموت الحاصل بينهما هو الموت المشاهد في الدنيا (السؤال
الرابع) انه ان دلت هذه الآية على حصول الحياة في القبر فهنا ما يدل على عدمه وذلك
بالتفوق والمعقول أما المنقول فمن وجوه (الاول) قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل
ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فلم يذكر في هذه الآية الا الحذر عن
الآخرة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الحذر عنها حاصلا ولو كان الامر كذلك لذكره
ولم يذكره علمنا أنه غير حاصل (الثاني) انه تعالى حكى في سورة الصافات عن المؤمنين
المؤمنين أنهم يقولون بعد دخولهم في الجنة أفانحن بميتين الامواتنا الاولى ولا شك ان
كلام أهل الجنة حق وصدق ولو حصلت لهم حياة في القبر لكانوا قد ماتوا وموتين وذلك
على خلاف قوله أفانحن بميتين الامواتنا الاولى قالوا والاستدلال بهذه الآية أقوى
من الاستدلال بالآية التي ذكرتموها لان الآية التي تمسكنا بها حكاية قول المؤمنين الذين
دخلوا الجنة والآية التي تمسكتم بها حكاية قول الكافرين الذين دخلوا النار وأما
المعتول فمن وجوه (الاول) وهو ان الذي افترسته السباع وأكلته أو أعيد حيا لكان
اما أن يعاد حيا بمجموعه أو بأحد أجزائه والاول باطل لان الحس يدل على أنه لم يحصل
له مجموع والثاني باطل لانه لما أكلته السباع فلوجعلت تلك الاجزاء أحياء لحصلت أحياء
في معدة السباع وفي أمعائها وذلك في غاية الاستبعاد (الثاني) ان الذي مات لو تركناه
ظاهر بحيث يراه كل أحد فانهم يرونه باقيا على موته فلوجوز ناعم هذه الحالة انه يقال انه
صار حيا لكان هذا تشكيكا في المحسوسات وانه دخول في السفسطة (والجواب) قوله
لم لايجوز ان تكون الموتة الاولى هي الموتة التي كانت حاصلة حال ما كان نطفة وعلة
فتقول هذا لايجوز وبيانه أن المذكور في الآية ان الله أماتهم ولفظ الامانة مشروط
بسبق حصول الحياة اذ لو كان الموت حاصلا قبل هذه الحالة امتنع كون هذا امانة والالزم
تحصيل الحاصل وهو محال وهذا بخلاف قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا لان
المذكور في هذه الآية أنهم كانوا أمواتا وليس فيها ان الله أماتهم بخلاف الآية التي
نحن في تفسيرها لانها تدل على ان الله تعالى أماتهم مرتين وقد بينا ان لفظ الامانة لا يصدق
الا عند سبق الحياة فظهر الفرق أما قوله ان هذا كلام الكفار فلا يكون حجة فلنما ذكرنا

أو الملقى عليه أو الروح وقرئ لتندر على أن الفاعل هو الرسول عليه الصلاة والسلام أو الروح ذلك
لأنها قد توثت (يوم التلاق) أما ظرف للفعل الثاني أي لينذر الناس

العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلاقى فيه الارواح والاجسام وأهل السموات والارض أو هو المفعول الثاني اتساعاً أو أصالة فانه من شدة هولهِ ﴿ ٣٠٣ ﴾ وفظاعته حقيق بالانذار أصالة وقري ليدر على البناء المفعول

ورفع اليوم (يومهم بارزون) بدل من يوم التلاق أى خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء لكون الارض يومئذ قاعاً صاففاً ولا عليهم ثياب اتساع عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلاً وقيل ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي الابدان أو أعمالهم وسرايرهم (لا يخفى على الله منهم شئ) استئناف لبيان بروزهم وتقريره وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهمهما باطلاً أو خبرنا وقيل حال من ضمير بارزون أى لا يخفى عليهم تعالى شئ مما من أعيانهم وأعمالهم واحوالهم الجليلة والخفية السابقة واللاحقة (لمن الملك اليوم لله الواحد التهار) حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة

ذلك لم يكذبهم الله تعالى اذا وكانوا كاذبين لأظهر الله تكذيبهم الأترى أنهم لما كذبوا في قوالهم والله ربنا ما كنا مشركين كذبهم الله في ذلك فقال انظر كيف كذبوا وأما قوله ظاهر الآية ينبع من اثبات حياة في القبر اذ لو حصلت هذه الحياة لكان عدد الحياة ثلاث مرات لا مرتين فنقول الجواب عند من وجوه (الاول) هو ان مقصودهم تعديد أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة الموتة الاولى والحياة في القبر والموتة الثانية والحياة في القيامة فهذه الاربعه أوقات البلاء والمحنة فأما الحياة في الدنيا فليست من أقسام أوقات البلاء والمحنة فلهذا السبب لم يذكرها (الثاني) علمهم ذكروا الحياتين وهي الحياة في الدنيا والحياة في القيامة أما الحياة في القبر فأعلموا اذ كرها لقلته وجودها وقصر مدتها (الثالث) علمهم لما صاروا أحياء في القبور لم يموتوا بل بقوا أحياء إما في السادة وإما في السقاوة واتصل بها حياة القيامة فكانوا من جملة من أرادهم الله بالاستثناء في قوله فمستعنى من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله (الرابع) لو اثبتت الحياة في القبر لزم أن لا يصل الموت الامرة واحدة فكان اثبات الموت مرتين كذباً وهو على خلاف لفظ القرآن أما لو اثبتت الحياة في القبر لزمنا اثبات الحياة ثلاث مرات والمذكور في القرآن مرتين أما المرة الثالثة فليس في اللفظ ما يدل على ثبوتها أو عدمها فثبت ان نفي حياة القبر يقتضى ترك ما دل اللفظ عليه فأما اثبات حياة القبر فانه يقتضى اثبات شئ زائد على ما دل عليه اللفظ مع ان اللفظ لا اشعار فيه بثبوته ولا بعدمه فكان هذا أولى وأما ما ذكره في المعارضة الاولى فنقول قوله يحذر الآخرة تدخل فيه الحياة الآخرة سواء كانت في القبر أو في القيامة وأما المعارضة الثانية فجوأبها أنا بجمع قولنا بالأحاديث الصحيحة الواردة في عذاب القبر وأما الوجوهان العقلان مدفوعان لانا اذا قلنا ان الانسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو عبارة عن جسم نوراني سار في هذا البدن كانت الاشكالات التي ذكرتموها غير واردة في هذا الباب والله أعلم (المسئلة الثانية) اعلم انما اثبتنا حياة القبر فيكون الحاصل في حق بعضهم أربعة أنواع من الحياة وثلاثة أنواع من الموت والدليل عليه قوله تعالى في سورة البقرة ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم فهم أولاء أربع مراتب في الحياة حياتان في الدنيا وحياة في القبر وحياة رابعة في القيامة (المسئلة الثالثة) قوله الذين نعت لمصدر محذوف والتقدير اماتين اثنين ثم حكى الله عنهم اذ هم قالوا فاعترفنا بذنوبنا فلن قبل الفاء في قوله فاعترفنا نعتي أن تكون الامانة مرتين والاحياء مرتين سبباً لهذا الاعتراف فبينوا هذه السببية قلنا لانهم كانوا منكروين بالبعث فلما شاهدوا الاحياء بعد الامانة مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا الاقرار كالمسبب عن ملك الاحياء والامانة ثم قال فهل الى خروج من سبيل أى هل الى نوع من الخروج سريع أو بطى من سبيل أم اليأس وقع فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غاب عليه اليأس والتعوط واعلم

أو مستأنف يقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور أحوالهم كأنه قيل فاذا يسأل الخ أى يسألي

مناد لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد النهار وقبل الحجب هو السائل بعينه لما روي أنه يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد في أرض بيضاء كأنها سبيكة ﴿٣٠٤﴾ فضة لم يصب الله فيها قط فأول ما يتكلم به

أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد النهار وقبل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع أسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الأفاعيل بقبضة القدرة الإلهية (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) الخ أما من تمامه الجواب لبيان حكم اختصاص الملائكة تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء الحق أو حكاية المستبوه تعالى يومئذ عتبت السؤا والجواب أي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خيرا وشرا (لا ظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عذاب (إن الله سريع الحساب) أي سريع حسابه تماما إذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق فاطبة في أقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تعالى إذا أخذ في حسابهم لم يقل أهل الجنة الأفيها ولا أهل النار الأفيها فيكون

أن الجواب الصريح عند أن يقال لا أونعم وهو تعالى لم يفعل ذلك بل ذكر كلا ما يدل على أنه لا سبيل لهم إلى الخروج فقال ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا أي ذلكم الذي أنتم فيه وهو أن لا سبيل لكم إلى خروج قط أنما وقع بسبب كفركم بتوحيد الله تعالى وإيمانكم بالاشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السمومي وقوله العلي الكبير دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقابه لا يكون الا كذلك والمثبته استدوا بقوله تعالى العلي على العلو الاعلى في الجهة وبقوله الكبير على كبر الجنة والذات وكل ذلك باطل لاناد لنا على أن الحسمية والمكان محالان في حق الله تعالى فوجب أن يكون المراد من العلي الكبير العلو والكبرياء بحسب القدرة والاهلية * قوله تعالى (هو الذي يرزقكم آياته وبنزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الامن ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين واوكمه الكافرون) اعلم انه تعالى الماذكر ما يوجب التهديد الشديد في حق المشركين أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته ليصير ذلك دليلا على انه لا يجوز جعل هذه الاحجار المحوثة والخشب المصورة شركا لله تعالى في العبودية فقال هو الذي يرزقكم آياته واعلم ان أهم المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان فهو سبحانه وتعالى راعي مصالح اديان العباد باظهار البيئات والآيات وراعي مصالح ابدانهم بانزال الرزق من السماء فوقع الآيات من الاديان كوقم الارزاق من الابدان فالآيات حياة الاديان والارزاق حياة الابدان وعند حصولهما يحصل الانعام على أقوى الاعتبارات وأكل الجهات ثم قال وما يتذكر الامن ينيب والمعنى ان الوقوف على دلائل توحيد الله تعالى كالأمر المركز في العقل الأثن القول بالشرك والاشتغال بعبادة غير الله يصير كالمانع من تجلي تلك الانوار فاذا عرض العبد عنها وأتاب الى الله تعالى زال الغطاء والوظء فظهر الفوز التام وما قرر هذا المعنى صرح بالمطاوب وهو الاعراض عن غير الله والاقبال بالكلية على الله تعالى فقال فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ومن الانتفات الى غير الله واوكمه الكافرون قرأ ابن كثير ينزل خنفة والباقون بالتشديد قوله تعالى (رفيع الدرجات ذوالعرش باق الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يومهم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد النهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب) علم انه تعالى اذكر من صفات كبريائه واكرامه كونه مظهر الآيات منزلا الارزاق ذكر في هذه الآية ثلاثة أخرى من صفات الجلال والعظمة وهو قوله رفيع الدرجات ذوالعرش باق الروح قال صاحب الكشاف ثلاثة اخبار افعوله هو مرتبة على قوله الذي يرزقكم أو اخبار مبتدأ محذوف وهي تخرافة تعريف وتنكيراً وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح وأقول لا بد من تفسير هذه الصفات الثلاثة (فالصفة الارلى) قوله رفيع الدرجات واعلم ان الرفيع يحتمل أن يكون المراد منه الرفيع وان يكون المراد منه المرتفع أما فاحلناه على الاول فقيه وجوه (الوجه الاول) انه تعالى يرفع

تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق و يوم البروز ربا يومهم ﴿ درجات ﴾ استبعاد وقوع الكل فيه أو سر يع مجيئا فيكون تعليلا للآثار

درجات الانبياء والاولياء في الجنة (والثاني) رافع درجات الخلق في العلوم والاخلاق
 الفاضلة فهو سبحانه يعين لكل احد من الملائكة درجة معينة كما قال وما لنا الاله مقام
 معلوم وعين لكل واحد من العطاء درجة معينة فقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
 اوتوا العلم درجات وعين لكل جسم درجة معينة فيجعل بعضها سفلية عنصرية وبعضها
 فلكية كوكبية وبعضها من جواهر العرش والكرسي فيجعل لبعضها درجة اعلى من
 درجة الثاني وايضا جعل لكل احد مرتبة معينة في الخلق والرزق والاجل فتعال وهو الذي
 جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل لكل احد من السعداء
 والاستقياء في الدنيا درجة معينة من موجبات السعادة وموجبات الشقاوة وفي الآخرة
 لظهور آثار تلك السعادة والشقاوة فاذا جعلنا الرفيع على الرافع كان معناه ما ذكرناه وأما
 اذا جعلناه على المرتفع فهو سبحانه أرفع الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال أما
 في أصل الوجود فهو أرفع الموجودات لانه واجب الوجود لذاته وما سواه ممكن ومحتاج
 اليه وأما في دوام الوجود فهو أرفع الموجودات لانه واجب الوجود لذاته وهو الازلي
 والابدي والمسمى الذي هو أول لكل ما سواه وليس له أول وآخر لكل ما سواه وليس له
 آخر أما في العلم فلانه هو العالم بجميع الذوات والصفات والكمالات والجزئيات كما قال
 وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وأما في القدرة فهو أعلى القادرين وأرفعهم لانه في
 وجوده وجميع كمالات وجوده شئ عن كل ما سواه وكل ما سواه فانه يحتاج في وجوده وفي
 جميع كمالات وجوده اليه وأما في الوحدة فهو الواحد الذي يستع أن يحصل له ضدونه
 وشريك ونظير وأقول الحق سبحانه له صفتان (أحدهما) استغناؤه في وجوده وفي جميع
 صفات وجوده عن كل ما سواه (والثاني) افتقار كل ما سواه اليه في وجوده وفي صفات
 وجوده فالرفع ان فسرناه بالمرتفع كان معناه انه أرفع الموجودات واعلاها في جميع
 صفات الجلال والاکرام وان فسرناه بالرفع كان معناه ان كل درجة وفضيلة ودرجة ورتبة
 حصلت لشيء سواه فانما حصلت بايجاده وتكوينه وفضله ورحمته (الصفة الثانية) قوله
 ذوالعرش ومعناه انه مالك العرش ومدبره ومخالقه واحتج به من الآثار من المشبهة بقوله
 رفع الدرجات ذوالعرش وجاهه على أن المراد بالدرجات السموات بقوله ذوالعرش
 انه موجود في العرش فوق سبع سموات وقد أعظموا القرية على الله تعالى فاننا بيننا
 بالدلائل القاهرة العقلية والنقلية ان كونه تعالى جسما وفي جهة محال وايضا فظاهر
 اللفظ لا يدل على ما قالوه لان قوله ذوالعرش لا يفيد الاضافته الى العرش ويكفي فيه
 اضافته اليه بكونه مالكا له ونحو جلاله من عدم ان الوجود فأى ضرورة تدعونا الى
 الذهاب الى القول الباطل والمذهب الفاسد والقائدة في تخصيص العرش بالذكر هو انه
 أعظم الاجسام والمقصود بيان كمال الهيته وتفاذ قدرته فكل ما كان محال التصرف
 والتدبير أعظم كانت دلالاته على كمال القدرة أقوى (الصفة الثالثة) قوله ياتي الروح من

أمره على من يشاء من عباده وفيه مباحث (البحث الأول) اختافوا في المراد بهذا الروح والصحيح أن المراد هو الوحي وقد أطنبنا في بيان أنه لم يسم الوحي بالروح في أول سورة النحل في تفسير قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره وقال أيضا أومن كان ميتا فأحييناه وحاصل الكلام فيه أن حياة الأرواح بالاعراف الإلهية والجلاليات القدسية فإذا كان الوحي سببا لحصول هذه الأرواح سمي بالروح فإن الروح سبب لحصول الحياة والوحي سبب لحصول هذه الحياة الروحانية واعلم أن هذه الآية مشتملة على أسرار عجيبة من علوم المكاشفات وذلك لأن كمال كبرياء الله تعالى لا اتصل إليه العقول والأفهام فالطريق الكامل في تعريفه بقدر الطائفة البشرية أن يذكر ذلك الكلام على الوجه الكلي العقلي ثم يذكر عقبيه شي من المحسوسات المؤكدة لذلك المعنى العقلي ليصير المحصر بهذا الطريق معاضدا للعقل فهنا أيضا كذلك فقوله رفيع الدرجات إما أن يكون بمعنى كونه رافعا للدرجات وهو إشارة إلى تأثير قدرة الله تعالى في إيجاد الممكنات على اختلاف درجاتها وتباين منازلها وصفاتها أو إلى كونه تعالى مرتفعا في صفات الجلال ونعوت العزة عن كل الموجودات فهذا الكلام كلي عقلي برهاني ثم إنه سبحانه بين هذا الكلام الكلي يزيد تقرير وذلك لأن ما سوى الله تعالى إما جسمانيات وإما روحانيات فبين في هذه الآية أن كلالا القسمين مسخر تحت تسخير الحق سبحانه وتعالى أما الجسمانيات فأعظمها العرش فقوله ذو العرش يدل على استيلائه على كلية عالم الأجسام ولما كان العرش من جنس المحسوسات كان هذا المحسوس مؤكدا لذلك المعقول أعني قوله رفيع الدرجات وأما الروحانيات فكلها مسخرة للعق سبحانه واليه الإشارة بقوله يلقى الروح من أمره واعلم أن أشرف الأحوال الظاهرة في روحانيات هذا العالم ظهور آثار الوحي والوحي انما يتم بإركان أربعة (فأولها) المرسل وهو الله سبحانه وتعالى فلهذا أضاف القاء الوحي إلى نفسه فقال يلقى الروح (والركن الثاني) الإرسال والوحي وهو الذي سماه بالروح (والركن الثالث) أن وصول الوحي من الله تعالى إلى الأنبياء لا يمكن أن يكون إلا بواسطة الملائكة وهو المشار إليه في هذه الآية بقوله من أمره فالركن الروحاني يسمى أمرا قال تعالى وأوحى في كل سما أمرها وقال آله الخلق والأمر (والركن الرابع) الأنبياء الذين يلقى الله الوحي إليهم وهو المشار إليه بقوله على من يشاء من عباده (والركن الخامس) تعيين الغرض والمقصود الأصلي من القاء هذا الوحي إليهم وذلك هو إنباء الأنبياء عليهم السلام بصرفون الخلق من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ويحملونهم على الاعتراض عن هذه الجسمانيات والأقبال على الروحانيات واليه الإشارة بقوله اينذروا يوم التلاق يومهم يارزون فهذا ترتيب عجيب يدل على هذه الإشارات العالية من علوم المكاشفات الإلهية وبقى ههنا اثنين أنهما السبب في تسمية يوم القيامة بيوم التلاق وكم الصفات التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة يوم التلاق أما السبب في تسمية يوم القيامة بيوم التلاق ففيه

وجوه (الاول) ان الارواح كانت متباينة عن الاجساد فاذا جاء يوم القيامة سارت
الارواح ملاقة الاجساد فكان ذلك اليوم يوم التلاق (الثاني) ان الخلائق يتلاقون
فيه فيقف بعضهم على حال ابعض (الثالث) ان اهل السماء يتزاون على اهل الارض
فياتي فيه اهل السماء واهل الارض قال تعالى و يوم نشق السماء بالغمام ونزل الملائكة
تنزيلا (الرابع) ان كل احد يصل الى جزء عمله في ذلك اليوم فكان ذلك من باب التلاق
وهو ما اخوذ من قولهم فلان لقي عمله (الخامس) يمكن ان يكون ذلك ما اخوذ من قوله من
كان يرجو لقاء ربه ومن قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام (السادس) يوم يلتقي فيه العابدون
والمعبودون (السابع) يوم يلتقي فيه ادم عليه السلام وآخرواؤه (الثامن) قال ميمون بن
مهران يوم يلتقي فيه الظالم والمظلوم فر بما ظلم الرجل رجلا وانفصل عنه واو اراد ان يجده
لم يقدر عليه ولم يعرفه في يوم القيامة يحضران و ياتي بعضهم بعضا قرأ ابن كثير التلاق
والتنادي بايات الياه في الوصل والوقف وهادي وواقى بالياه في الوقف و بالتتوين في
الوصل واما بيان ان الله تعالى كم عدد من الصفات ووصف بها يوم القيامة في هذه الآية
فبقول (الصفة الاولى) كونه يوم التلاق وقد ذكرنا تفسيره (الصفة الثانية) قوله يوم هم
بارزون و في تفسير هذا البروز وجوه (الاول) انهم برزوا عن بواطن القبور (والثاني)
بارزون اى ظاهرون لا يسترهم شى من جبل أو كهة أو بناء لان الارض بارزة قاع صفصف
وليس عليهم ابضا ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة
غرا (الثالث) ان يجعل كونهم بارزين كناية عن ظهور اعمالهم وانكشاف اسرارهم
كما قال تعالى يوم تبلى السرائر (الرابع) ان هذه النفوس الناطقة البشرية كانهما في الدنيا
انغمست في ظلمات اعمال الايدان فاذا جاء يوم اقيامة اعرضت عن الاشتغال بتدبير
الجسمانيات وتوجهت بالكلية الى عالم القيامة وجمع از وحيات فكأنها برزت بعد
ان كانت كامنة في الجسمانيات مستترة بها (الصفة الثالثة) قوله لا يخفى على الله منهم
شى والمراد يوم لا يخفى على الله منهم شى والمقصود منه الوعيد فانه تعالى بين انهم اذا برزوا
من قبورهم واجتمعوا وتلاقوا فان الله تعالى يعلم ما فعله كل واحد منهم فيجازى كلا بحسبه
ان خيرا فخير وان شرا فشر فهم وان لم يعلموا تفصيل ما فعلوه فانه تعالى عالم بذلك
ونظيره قوله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال يوم تبلى السرائر وقال اذا بعثنا في
القبور وحصل ما في الصدور وقال يومئذ تحدث اخبارها فان قيل الله تعالى لا يخفى عليه
منهم شى في جميع الايام فامعنى تقييد هذا المعنى بذلك اليوم قلنا انهم كانوا يتوهمون
في الدنيا اذا استروا بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليهم اعمالهم فهم في ذلك
اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمونه
في الدنيا قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس
ولا يستخفون من الله وهو معنى قوله و برزوا لله الواحد القهار (الصفة الرابعة) قوله

تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والتقدير يوم ينادى فيه لمن الملك اليوم وهذا النداء في أى الاوقات يحصل فيه قولان (الاول) قال المفسرون اذا هلك كل من في السموات ومن في الارض فيقول الرب تعالى لمن الملك اليوم يعنى يوم القيامة فلا يجيبه أحد فهو تعالى يجب نفسه فيقول لله الواحد القهار قال أهل الاصول هذا القول ضعيف وبيانه من وجوه (الاول) انه تعالى بين ان هذا النداء انما يحصل يوم التلاق ويوم البروز ويوم تجزى كل نفس بما كسبت والناس في ذلك الوقت اجزاء فبطل قولهم ان الله تعالى انما ينادى بهذا النداء حين هلك كل من في السموات والارض (والثانى) أن الكلام لا بد فيه من فائدة لان الكلام اما أن يذكر حال حضور الغير أو حال ما لا يحضر الغير والاول باطل ههنا لان الشوم قالوا انه تعالى انما يذكر هذا الكلام عند فناء الكل والثانى أيضا باطل لان الرجل انما يحسن تكلمه حال كونه وحده اما لانه يحفظه شياً كالذى يكرر على الدرس وذلك على الله محال أو لاجل انه يحصل له اسرور بما يقوله وذلك أيضا على الله محال أو لاجل أن يعبد الله بذلك المذكور وذلك أيضا على الله محال فثبت أن قول من يقول ان الله تعالى يذكر هذا النداء حال هلاك جميع المخلوقات باطل لأصله (والقول الثانى) ان في يوم التلاق اذا حضر الاولون والآخرون وبرزوا لله نادية منادى من الملك اليوم فيقول كل الحاضرين في محفل اقامة لله الواحد القهار فالؤمنون يقولونه تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا به هذا الذكر المنزلة الرفيعة والكفار يقولونه على الصغار والذلة على وجد التحسر والندامة على ان فاتهم هذا الذكر في الدنيا وقال القائلون بهذا القول ان صح القول الاول عن ابن عباس وغيره لم يمنع أن يكون المراد ان هذا النداء يذكر بعد فناء البشر الا انه حضر هناك ملائكة يسمعون ذلك النداء وأقول أيضا على هذا القول لا يبعد أن يكون السائل والمجيب هو الله تعالى ولا يبعد أيضا أن يكون السائل جمعا من الملائكة والمجيب جمعا آخرين والكل ممكن وليس على التعيين دليل فان قيل وما الفائدة في تخصيص هذا اليوم بهذا النداء فتقول اناس كانوا مفرورين في الدنيا بالاسباب الظاهرة وكان الشيخ الامام الوالد عمر رضى الله عنه يقول لولا الاسباب لما ارتاب مرتاب وفي يوم اقامة زالت الاسباب وانعزات الارباب ولم يبق البتة غير حكم مسبب الاسباب فلهمنا اختص نداء يوم القيامة واعلم انه وان كان ظاهر اللفظ يدل على اختصاص ذلك النداء بذلك اليوم الا ان قوله لله الواحد القهار يفيد أن هذا النداء حاصل من جهة المعنى أبدا وذلك لان قونا لله اسم اوجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته واحد وكل ما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته ومعنى اليجاد هو ترجيح جانب الوجود على جانب العدم وذلك الترجيح هو قهر للجانب المرجوح فثبت ان الاله القهار واحد أبدا ونداء لمن الملك اليوم انما يظهر من كونه واحدا قهارا فاذا كان كونه قهارا باقيا من الازل الى الابد لا جرم كان نداء لمن الملك اليوم

باقيا في جانب المعنى من الازل الى الابد (الصفة الخامسة) من صفات ذلك اليوم قوله
 اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واعلم انه سبحانه لما شرح صفات القهر في ذلك اليوم
 أردفه ببيان صفات العدل والفضل في ذلك اليوم فقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
 وفيه مسئلتان (المسئلة الاولى) هذا الكلام اشتمل على أمور ثلاثة (اولها) اثبات
 الكسب للانسان (والثاني) ان كسبه يوجب الجزاء (والثالث) ان ذلك الجزاء انما
 يستوفى في ذلك اليوم فهذه الكلمة على اختصارها مشتملة على هذه الاصول الثلاثة في
 هذا الكتاب وهي أصول عظيمة الموقم في الدين وقد سبق تقرير هذه الاصول مرارا
 ولابأس بذكر بعض النكت في تقرير هذه الاصول أما الاول فهو اثبات الكسب للانسان
 وهو عبارة عن كون أعضائه سليمة صالحة للفعل والتك فسادا ميبقى على هذا الاستواء
 امتنع صدور الفعل والتك عنه فاذا انضاف اليه الداعي الى الفعل أو الداعي الى الترك
 وجب صدور ذلك الفعل أو الترك عنه وأما الثاني وهو بيان ترتيب الجزاء عليه فاعلم أن
 الافعال على قسمين منها ما يكون الداعي اليه طلب الخيرات الجسمانية الحاصلة في عالم
 الدنيا ومنها ما يكون الداعي اليه طلب الخيرات الروحانية التي لا يظهر كمالها الا في عالم
 الآخرة وقد ثبت بالتجربة أن كثرة الافعال بسبب حصول الملذات الراسخة فن غلب عليه
 القسم الاول استحكمت رغبته في الدنيا وفي الجسمانيات فعند الموت يحصل الغراق بينه
 وبين مطلوبه على أعظم الوجوه ويعظم عليه البلاء ومن غلب عليه القسم الثاني فعند
 الموت يفارق المغوض ويتصل بالمحبوب فتعظم الآلاء والنعمة فهذا هو معنى الكسب
 ومعنى كون ذلك الكسب موجبا للجزاء فظهر بهذا ان كمال الجزاء لا يحصل الا في يوم
 القيامة فهذا قانون كلي عقلي والشريعة الحقة أتت بما يقوى هذا القانون الكلي في
 تفاصيل الاعمال والاقوال والله أعلم (المسئلة الثانية) هذه الآية أصل عظيم في أصول
 الفقه وذلك لاننا نقول لو كان شيء من أنواع الضرر مشروعا لكان اما أن يكون مشروعا
 لكونه جزاء على شيء من الجنائيات أو لالكونه جزاء والقسمان باطلان فبطل القول بكونه
 مشروعا أما بيان انه لا يجوز أن يكون مشروعا ليكون جزاء على شيء من الاعمال فلان
 هذا النص يقتضى تأخير الاجزاية الى يوم القيامة فاثباته في الدنيا يكون على خلاف هذا
 النص وأما بيان انه لا يجوز أن يكون مشروعا للجزاء لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر
 ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله صلى الله عليه
 وسلم لا ضرر ولا ضرار في الاسلام عدنان عن هذه السمومات فيما اذا كانت المضارا جزئية
 وفيما ورد نص في الاذن فيه كذبح الحيوانات فوجب أن يبقى على أصل الحرمة فيما عداه
 فثبت بما ذكرنا ان الاصل في المضار والآلام التحريم فان وجدنا نصا خاصا يدل على
 الشرعية قضينا به تقديم الخاص على العام والافه وبقى على أصل التحريم وهذا أصل
 كلي منتفع به في الشريعة والله أعلم (الصفة السادسة) من صفات ذلك اليوم قوله لا ظلم

(وأنذرهم يوم الآزفة) أي القيامة سميت بها لآزوفها وهو القرب * ٣١٠ * غير أن فيه اشعاراً بضيق الوقت وقيل

الخطبة الآزفة وهي مشاركة أهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا إذا بلغت الحلقوم وقوله كلا إذا بلغت التراقي وقوله تعالى (إذا القلوب لدى الحناجر) يدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من أماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيبروحوا ولا تخرج فيستر محوا بالموت (كاطمين) على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى إذا الأصل قلوبهم أومن ضميرها في الظرف وجم السلامة باعتبار أن الكظم من أحوال العقلاء كقوله تعالى فظلمت أعناقهم لهم خاضعين أومن مفعول أنذرهم على أنها حال مقدره أي أنذرهم مقدر الكظمهم أو مشرفين الكظم (مالا لظالمين من حريم) أي قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) أي لا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله

اليوم المقصود أنه لما قال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت أردفه بما يدل على أنه لا يقع في ذلك اليوم نوع من أنواع الظلم قال المحققون وقوع الظلم في الجزاء يقع على أربعة أقسام (أحدها) أن يستحق الرجل ثواباً فينبع منه (وثانيها) أن يعطى بعض حقه ولكنه لا يوصل إليه حقه بالتمام (وثالثها) أن يعذب من لا يستحق العذاب (ورابعها) أن يكون الرجل مستحقاً للعذاب فحذبه ويزاد على قدر حقه فقوله تعالى لا ظلم اليوم يفيد في هذه الأقسام الأربعة قال القاضى هذه الآية قوية في إبطال قول المجبرة لأن على قولهم لا ظلم غالباً وشاهدنا الأمن بالله ولأنه تعالى إذا خلق فيه الكفر ثم عذبه عليه فهذا هو عين الظلم والجواب عنه معاً ثم قال تعالى إن الله سريع الحساب وذكر هذا الكلام في هذا الموضع لأن جلاله تعالى لما بين أنه لا ظلم بين أنه سريع الحساب وذات يدل على أنه يصل إليهم ما يستحقونه في الحال والله أعلم * قوله تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة إذا القلوب لدى الحناجر) كاطمين ما للظالمين من حريم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ * إن الله هو السميع البصير أولم يسروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من وفاق ذلك بأنهم كانت نياتهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب اعلم ان المقصود من هذه الآية وصف يوم القيامة بأنواع أخرى من الصفات الهائلة المهيبة وفي الآية مسائل (المسئلة الأولى) ذكروا في تفسير يوم الآزفة وجوهاً (الأولى) أن يوم الآزفة هو يوم القيامة والآزفة فاصلة من أرف الأمر إذا ساءوا وحضر لقوله في صفة يوم القيامة أرف الآزفة ليس إلهام من دون الله كاشفة وقال الشاعر

أرف الترحل غير أن ركابنا * لماتزل برحائنا وكان قد

والمقصود منه التنبيه على أن يوم القيامة قريب ونظيره قوله تعالى اقتربت الساعة قال الزجاج إنما قيل لها آزفة لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها وما هو كأش فهو قريب واعلم ان الآزفة نعت لمحذوف مؤنث على تقدير يوم اقيامة الآزفة أو يوم المجازاة الآزفة قال القفال واسماء القيامة تجرى على اثبات كاطامة والحفاة ونحوها كأنها يرجع معناها إلى الداهية (والقول الثاني) ان المراد بيوم الآزفة وقت الآزفة وهي مسارتهم دخول النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف (والقول الثالث) قال أبو مسلم يوم الآزفة بوالمنية وحضور الاجل والذي يدل عليه انه تعالى وصف يوم القيامة بأنه يوم التلاق ويومهم بارزون ثم قال بعده وأنذرهم يوم الآزفة فوجب ان يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم وأيضا هذه الصفة مخصوصة في سائر الآيات بيوم الموت قال تعالى فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون وقول كلا إذا بلغت التراقي وأيضا فوصف يوم الموت بأنقرب أولى من وصف يوم القيامة بأنقرب وأيضا الصفات المذكورة بعد قوله يوم

ضميرهم للتسجيل عليهم
 بالظلم وتعليل الحكم به
 (يعلم خائنة الاعين)
 النظرة الخائنة كالنظرة
 الثانية الى غير المحرم
 واستراق النظر اليه
 أو خيانة الاعين على
 أنها مصدر كالعاقبة
 (وما تخفي الصدور)
 من الضمائر والاسرار
 والجملة خبر آخر مثل
 يأتي الروح للدلالة
 على أنه مامن خفي الا
 وهو متعلق العلم والجزاء
 (والله يقضى بالحق)
 لأنه السالك الحاكم
 على الاطلاق فلا يقضى
 بشئ الا وهو حق
 وعدل (والذين
 يدعون) يسبونهم
 (من دونه) تعالى
 (لا يقضون بشئ)
 تمكهم بهم لان الجماد
 لا يقال في حقه يقضى
 او لا يقضى وقرئ
 تدعون على الخطاب
 القاتل أو على اضمار
 قل (ان الله هو السميع
 البصير) تفرير لعله
 تعالى بخائنة الاعين
 وقضائه بالحق ووعد
 لهم على ما يقولون
 ويفعلون وتعرض بحال ما يدعون من دونه (اولم يسبوا في الارض فينظروا

الآن فثلاثة بيوم حضور الموت لان الرجل عند معاناة ملائكة العذاب يعظم خوفه وكان
 قلوبهم تبلغ حناجرهم من شدة الخوف وبقوا كاطمين ساكتين عن ذكر ما في قلوبهم من
 شدة الخوف ولا يكون لهم حميم ولا شفيع يدفع ما بهم من أنواع الخوف والقلق (المسئلة
 الثانية) اختلفوا في أن المراد من قوله اذا القلوب لدى الحناجر كاطمين كناية عن شدة
 الخوف أو هو محمول على ظاهره قيل المراد وصف ذلك اليوم بشدة الخوف وانفراع ونظيره
 قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وقال فلولا اذا بلغت الحاقوم
 وأنتم حينئذ تنظرون وقيل بل هو محمول على ظاهره قال الحسن القلوب انتزعت من
 الصدور بسبب شدة الخوف وبلغت القلوب الحناجر فلا تخرج فيوتوا ولا ترجع الى
 مواضعها فيتنفسوا ويتروحووا ولكنها مقبوضة كالسجال كما قال فلما رأوه زفة سبئت
 وجوه الذين كفروا وقوله كاطمين أي مكروبين والكاظم السالك حال امتلائه غما
 وغيظا فان قيل بم انتصب كاطمين قلنا هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لان المراد
 اذا قلوبهم لدى الحناجر حال كونهم كاطمين ويحوز أيضا أن يكون حالا عن القلوب وان
 القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظمة جمع السلامة
 لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين وقال فظلت
 أعناقهم لها خاضعين وبعضه قراءة من قرأ كاطمون وبالجملة فالله يصود من الآية
 تقرير أمرين (أحدهما) الخوف الشديد وهو المراد من قوله اذا القلوب لدى الحناجر
 (والثاني) العجز عن الكلام وهو المراد من قوله كاطمين فان الملهوف اذا قدر على
 الكلام حصاته خفة وسكون اما اذا لم يقدر على الكلام وبث الشكوى عنده فقلته
 وقوى خوفه (المسئلة الثالثة) احتج أكثر المعتزلة في نفي الشفاعة عن المذنبين بقوله تعالى
 ما لظالمين من حميم ولا شفيع يطاع قالوا اني حصول شفيع لهم بطاع فوجب ان لا يحصل
 لهم هذا الشفيع أجاب أصحابنا عنه من وجوه (الاولى) انه تعالى نفي أن يحصل لهم شفيع
 يطاع وهذا لا يدل على نفي الشفيع الا ترى انك اذا قلت ما عندى كتاب يباع فيبذل يقضى
 نفي كتاب يباع ولا يقضى نفي الكتاب وقالت العرب * ولا ترى الضيف يابح فيبذل
 الطاعة يقضى حصول الرتبة فلهذا يدل على انه ليس لهم يوم القيامة شفيع * وبعد الله لانه
 ليس في الوجود أحد أعلى حالا من الله تعالى حتى يقال ان الله يطعمه (الوجود الثاني) في
 الجواب ان المراد من الظالمين ههنا الكفار والدليل عليه ان هذا المآل قد وردت في زجر
 الكفار الذين يجادلون في آيات الله فوجب أن يكون مختصا بهم وعندنا انه لا شفاعة في حق
 الكفار (والثالث) ان لفظ الظالمين اما أن يفيد الاستفراق واما أن لا يفيد فان افاد
 الاستفراق كان المراد من الظالمين مجموعهم ووجهتهم ويدخل في مجموع هذا الكلام
 الكفار وعندنا انه ليس لهذا المجموع شفيع لان بعض هذا المجموع هم الكفار وليس
 لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا المجموع شفيع وان لم يفد الاستفراق كان المراد من

كيف كان طاعة الذين كانوا من قبلهم) أى مال حال من قبلهم * ٣١٢ * من الأمم المكذبة لرسولهم كعاد

وتمسود وأضرابهم
(كانوا هم أشد منهم
قوة) قدرة وتمكننا
من التصرفات والمباحي
بضمير الفصّل مع
أن حقه التوسط بين
معرفة بين المضاهاة أفضل
من المعرفة فى امتناع
دخول اللام عليه
وقرى أشد منكم
بالكاف (وآنا را فى
الارض) مثل القلاع
الحصينة والمدائن
المتينة وقيل المعنى
وأكد آنا را كقولهم *
* متقلدا سبفا ورحما *
(فأخذهم الله
بنوهم) أخذنا
ويلا (وما كان لهم
من الله من واق) أى
من واق يفهم عذاب الله
(ذلك) أى ما ذكر
من الاخذ (بأنهم)
بسبب أنهم (كانت
تأتيهم رسولهم بالبينات)
أى بالمعجزات أو بالأحكام
الظاهرة (فكفروا
فأخذهم الله انه قوى)
متمكن مما يريد غاية
التمكن (شديد
العقاب) لا يؤبه
عند عقابه بعقاب

الظالمين بعض من كان وصوفاً هذه الصفة وعندنا ان بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس
لهم شفيق وهم الكافرون أجاب السنداون عن السؤال الاول فقالوا يجب حمل كلام
الله تعالى على محمل مفيد وكل أحد يعلم انه ليس فى الوجود شئ يطيعه الله لان المطيع ادون
حالا من المطاع وليس فى الوجود شئ على مرتبة من الله تعالى حتى يقال ان الله يطيعه
واذا كان هذا المعنى معلوماً بالضرورة كان حمل الآية عليه اخراجها من الغائبة فوجب
حمل الطاعة على الاجابة والذى يدل على ورود لفظ الطاعة بمعنى الاجابة قول الشاعر
رب من أنضجت غيظاً صدره * قد تمنى لى موتاً لم يطعم *

(وأما السؤال الثانى) فقد أجابوا عنه بان لفظ الظالمين صبغة جمع دخل عليها حرف
التعريف فبقيت العموم أقصى ما فى الباب ان هذه الآية وردت لدم الكفار لان العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وأما السؤال الثالث) فجوابه ان قوله ما للظالمين من
حريم يفيد ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حريم ولا شفيق يطاع فهم ذاتهم
كلام القوم فى تقرير ذلك الاستدلال أجاب أصحابنا عن السؤال الاول فقالوا ان القوم
كانوا يقولون فى الاصنام انهما شفعاؤنا عند الله وكانوا يقولون انهما شفع لنا عند الله من
غير حاجة فيدعى الى اذن الله ولهذا السبب رد الله تعالى عليهم ذلك بقوله من ذا الذى يشفع
عنده الا باذنه فهذا يدل على ان القوم اعتقدوا انه يجب على الله اجابة الاصنام فى تلك
الشفاعة وهذا نوع طاعة فالله تعالى نفي تلك الطاعة بقوله ما للظالمين من حريم ولا شفيق
يطاع وأجابوا عن الكلام الثانى بأن قالوا الاصل فى حرف التعريف ان ينصرف الى
المعهود السابق فاذا دخل حرف التعريف على صبغة الجمع وكان هناك مفهود سابق
انصرف اليه وقد حصل فى هذه الآية مفهود سابق وهم الكفار الذين يجادلون فى آيات
الله فوجب ان ينصرف اليه وأجابوا عن الكلام الثالث بأن قالوا قوله ما للظالمين من حريم
ولا شفيق يطاع يحتمل عموم السلب ويحتمل سلب العموم اما الاول فعلى تقدير ان يكون
المعنى ان كل واحد من الظالمين محكوم عليه بانه ليس له حريم ولا شفيق وأما الثانى فعلى
تقدير ان يكون المعنى ان مجموع الظالمين ليس لهم حريم ولا شفيق ولا يلزم من نفي الحكم
عن المجموع نفيه عن كل واحد من آحاد ذلك المجموع والذى يؤكده ما ذكرناه قوله تعالى
ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون قوله ان الذين كفروا
لا يؤمنون ان خلتاه على ان كل واحد منهم محكوم عليه بانه لا يؤمن من لزوم وقوع الخلف
فى كلام الله لان كثيراً من كفر فقد آمن بعد ذلك اما اولنا على ان مجموع الذين كفروا
لا يؤمنون سواء آمن بعضهم أو لم يؤمن من صدق وتخاصص عن الخلف فلا جرم خلتنا هذه الآية
على سلب العموم ولم يحملها على عموم السلب فكنا قوله ما للظالمين من حريم ولا شفيق
يجب حمله على سلب العموم لا على عموم السلب وحينئذ يستقط استدلال المعتزلة بهذه الآية
فهذا غاية الكلام فى هذا الباب (المسئلة الرابعة) فى بيان نظم الآية فتقول انه تعالى

لتغابر العنواين واما بعض مشاهرها كالمصا أفردت ﴿ ٣١٣ ﴾ بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لاناقتها

افراد جبريل وميكال به
مع دخولها في الملائكة
عليهم السلام (الى
فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب) أى
فيما أظهره من المعجزات
وفيما ادعاه من رسالتهم
العالمين (فلما جاءهم بالحق
من عندنا) وهو ما لم يهر
على يده من المعجزات
القاهرة (قالوا اقتلوا
ابناء الذين آمنوا معه
واستحيوا نساءهم) كما
قال فرعون سنقتل أبناءهم
ونستحي نساءهم أى
اعبدوا عليهم ما كنتم
تفعلونه أو لا وكان فرعون
قد كلف عن قتل الولدان
فلما بعث عليه الصلاة
والسلام وأحس بأنه
قد وقع ما وقع أعاده عليا
غيطا وحقا وزعامته
أنه يصدهم بذلك عن
مظاهرتهم ظنا منهم أنه
المواد الذى حكم
المنجمون والكهنة
بذهاب ملكهم على يده
(وما كيد الكافرين
الانى ضلال) أى فى
شرايعهم وبطلان لا يغنى
عنهم شيئا وينفذ
عليهم لا شئالة القدر

ذكر في هذه الآية جميع الاسباب الموجبة للخوف (فأولها) انه سمى ذلك اليوم يوم
الآزفة أى يوم القرب من عذابه لمن اجتلى بالذنب العظيم لانه اذا قرب زمان عقوبته كان
فى اقصى غايات الخوف حتى قيل ان تلك الغموم والهموم أعظم فى الاحتياش من حين تلك
العقوبة (والثاني) قوله اذا القلوب لدى الخناجر والمعنى انه بلغ ذلك الخوف الى أن انقلع
القلب من الصدر وارتفع الى الخبيجة والتصق بها وصار مانعا من دخول النفس
(والثالث) قوله كاطمين والمعنى انه لا يمكنهم أن ينطتوا وان يشرحوا ما عندهم من
الحرث والخوف وذلك بوجوب مزيد التلقى والاضطراب (والرابعة) قوله ما لا يظلمين من
حريم ولا شفيع يطاع فيمن انه ليس أهم قريب يتفهمهم ولا شفيع يطاع فيهم فتقبل شفاعة
(والخامسة) قوله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور والمعنى انه سبحانه عالم لا يعرب عن
علمه مثال ذرة فى السموات ولا فى الارض والحاسم اذا بلغ فى العلم الى هذا الحد كان
خوف الذنب منه شديدا جدا قال صاحب الكشاف الخائنة صفة النظرة أو مصدر
يعنى الخائنة كالعافية بمعنى العافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل أهل
الربب والمراد بقوله وما تخفى الصدور مضمرات القلوب والحاصل ان الافعال قسمة ان
افعال الجوارح وافعال القلوب أما افعال الجوارح فاختفاها خائنة الاعين والله أعلم بها
فكيف الحال فى سائر الاعمال وأما افعال القلوب فهى معلومة لله تعالى لقوله وما تخفى
الصدور فدل هذا على كونه تعالى عالما بجميع افعالهم (السادسة) قوله تعالى والله يقضى
بالحق وهذا أيضا بوجوب عظم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال وثبت
منه انه لا يقضى الا بالحق فى كل مادق وجل كان خوف الذنب منه فى الغاية القصوى
(السابعة) ان الكفار انما عولوا فى دفع العقاب عن أنفسهم على شفاعة هذه الاصنام وقد
بين الله تعالى انه لا فائدة فيها البتة فقال والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ (الثامنة)
قوله ان الله هو السميع البصير أى يسمع من الكفار نساءهم على الاصنام ولا يسمع منهم
نساءهم على الله ويصبر خضوعهم وسجودهم لهم ولا يصبر خضوعهم وتواضعهم لله
فهذه الاحوال الثمانية اذا اجتمعت فى حق المذنب الذى عظم ذنبه كان بالغاق الخوف الى
الحد الذى لا تقبل الزيادة عنايه ثم انه تعالى لما بالغ فى تخويف الكفار بعذاب الآخرة
أردفه ببيان تخويفهم بأحوال الدنيا فقال أول ما يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان
طائفة الذين كانوا من قبلهم والمعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار
كانوا أشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار وأقوى آثارا فى الارض منهم والمراد
حصونهم وقصورهم وعساكرهم فلما كذبوا رسالتهم أهلكتهم الله بضروب الهلاك معجلا
حتى ان هؤلاء الحاضرين من الكفار يشاهدون تلك الآثار فحذرهم الله تعالى من مثل
ذلك بهذا القول وبين بقوله وما كان لهم من الله من واق أنه لما نزل العذاب بهم عند
أخذه تعالى لهم لم يجدوا من يعينهم ويخلصهم ثم بين ان ذلك نزل بهم لاجل أنهم كذبوا
وكذبوا الرسل فحذر قوم الرسول من مثله وختم الكلام بانه قوى شديد العقاب بالغة

والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار ببلية الحكم أول الجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة
أهتراض بجي به في نضاعيف ما حكى ﴿ ٣١٤ ﴾ عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما أظهره من

في التحذير والتخويف والله أعلم وقرأ ابن عامر وحده كانوا هم أشد منكم بانكاف والباقون
بأهائهم (أما وجهه) قراءة ابن عامر فهو انصراف من الغيبة الى الخطاب كقوله اياك نعبد
واياك نستعين بعد قوله الحمد لله والوجه في حسن هذا الخطاب انه في شأن أهل مكة فجعل
الخطاب على أفعال المخاطب الحاضر لحضورهم وهذه الآية في المعنى كقوله مكنائهم في
الارض ما لم يمكن لكم وأما قراءة الباقيين على لفظ الغيبة فلاجل موافقة ما قبله من الفاظ
الغيبة ﴿ قوله تعالى ﴾ (واقدا رسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتنوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني
أخاف ان يبدل دينكم أو ان يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني غدت بري وبريكم
من كل مكبر لا يؤمن بيوم الحساب) واعلم انه تعالى لما سلى رسوله بذكر الكفار الذين كذبوا
الانبياء قبله وبمشاهدة آثامهم سلاه أيضا بذكر قصة موسى عليه السلام وأنه مع قوة
معجزاته بعثه الى فرعون وهامان وقارون فكذبوه وكابروه وقالوا هو ساحر كذاب واعلم
أن موسى عليه السلام لما جاءهم بتلك المعجزات الباهرة وبالنبوة وهي المراد بقوله فلما
جاءهم بالحق من عندنا حكى الله تعالى عنهم ما صدر عنهم من الجهالات (فالاول) انهم
وصفوه بكونه ساحرا كذابا وهذا في غاية البعد لان تلك المعجزات كانت قد بلغت في القوة
والظهور الى حيث يشهد كل ذي عقل سليم بانه ليس من السحر البتة (الثاني) انهم قالوا
اقتنوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم والصحيح ان هذا القتل غير القتل الذي
وقع في وقت ولادة موسى عليه السلام لان في ذلك الوقت أخبره المجمعون بولادة عدوله
يظهر عليه فأمر بقتل الانبياء في ذلك الوقت وأما في هذا الوقت فموسى عليه السلام قد
جاءه وأظهر المعجزات الظاهرة فعد هذا أمر بقتل أبناء الذين آمنوا معه ثلاثا وعلى
دين موسى فيتوى بهم وهذه الالهة مختصة بالبينين دون البينات فلهذا السبب أمر بقتل
الانبياء ثم قال تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال ومعناه ان جميع ما يستهون فيه من
مكيدة موسى ومكيدة من آمن معه يظل لان ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
(النوع الثالث) من قبائح أفعال أولئك الكفار مع موسى عليه السلام ما حكاها الله
تعالى وقال فرعون ذروني أقتل موسى وهذا الكلام كالدلالة على انهم كانوا يمتنون به من
قتله وفيه احتمالان (الاول) انهم منعه عن قتله لوجوه (الاول) لعله كان فيهم من يعتقد
بقلبه كون موسى صادقا فأبى بوجوه الخيل في منم فرعون من قتله (الثاني) قال الحسن
ان أصحابه قالوا له لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكنه ان يغلب سحرته وان قتله
أدخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محتما وعجزوا عن جوابه فقتلوه (الثالث) علمهم
كانوا يمتنون في منته من قتله لاجل ان يبق فرعون مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ
لأديب أولئك الاقوام فان من شأن الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى

الابرار والارعاد
واضحلاله بالرة (وقال
فرعون ذروني أقتل
موسى) كان ملؤه اذا هم
بقتله عليه الصلاة
والسلام كفوه بقولهم
ليس هذا بالذي تخافه
فانه أقل من ذلك وأضعف
وما هو الا بعض السحرة
وبقولهم اذا قتله أدخلت
على الناس شبهة واعتقدوا
أنك عجزت عن معارضته
بالجملة وغسدت الى
المقارعة بالسيف والظاهر
من دهاء الامم ونكارته
انه كان قد استيقن انه
نبي وأن ما جاء به آيات
باهرة وما هو بسحر ولكن
كان يخاف انهم بقتله
أن يعاجل بالهلاك وكان
قوله هذا تويها على قومه
وايها ما أنهم هم الكافرون
لا عن قتله ولولا هم لقتله
وما كان الذي يكفه الاماني
نفسه من الفرع الهائل
وقوله (وليدع ربه)
تجولد منه وإظهار عدم
المبالاة بدعائه ولكنه
أخوف ما يخافه (ان
أخاف) ان لم أقتله (أن
يبدل دينكم) أن يغير
ملازم عليه من الدين
الذي هو عبارة عن

عبادته وعبادة الاصنام لقرى بهم اليه (أو أن يظهر في الأرض الفساد) ما يفسد ذنباكم من التحارب والتهاجر انتم
يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرى ﴿ ٣١٥ ﴾ بالواو والجماعة وقرى بفتح الياء والهاء ورفع الفساد

وقرى يظهر بتشديد
الضاء والهاء من تظهر
بمعنى تظاهر أي تتابع
وتعاون (وقال موسى)
أي تقوم حين سمع بما
تقوله اللعين من حديث
قتله عليه السلام (اني
عدت بربي وربكم من
كل متكبر لا يؤمن بيوم
الحساب) صدر عليه
الصلاة والسلام كلامه
بان تأكيد له واظهارا
لمزيد الاغتناء بمضمونه
وفرط الرغبة فيه وخص
اسم الرب النبي عن
الحفظ والترية لانهما
الذي يستعديان وأضافه
اليه واليهم حالهم على
مواقفته في العبادته
تعالى والتوكل عليه فان
في تظاهر النفوس تأثرا
قويا في استجلاب
الاجابة ولم يسم فرعون
بل ذكره بوصف يعمد
وغيره من الجسارة
لتعميم الاستعاذة
والاشعار بعلة المساواة
والجرأة على الله تعالى
وقرى عدت بالادغام
(وقال رجل مؤمن
من آل فرعون) قيل
كان قبطيا ابن عم

يصبروا آمنين من شر ذلك الملك (والاحتمال الثاني) ان أحدا ما منع فرعون من قتل موسى
وانه كان يريد ان يقتله الا انه كان خائفا من انه لو حاول قتله لظهرت معجرات قاهرة تمنعه
عن قتله فيفتضح الا انه لو فاحته قال ذروني أقتل موسى وغرضه منه انه يوهم انه انما تمنع
عن قتله رعاية لتعذيب أصحابه وغرضه منه اخفاء خوفه اما قوله وايدع ربه فاما ذكره على
سبيل الاستهزاء يعني اني أفعله فليقل لربه حتى يخلصه مني وأما قوله اني أخاف أن يبدل
دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ففيه مسائل (المسئلة الاولى) فتجيب ان كثير الباء من
قوله ذروني وفتح نافع وابن كثير وأبو عمرو والياء من اني أخاف وأيضاً قرأ نافع وأبو عمرو وان
يظهر بالواو بخذف أو يعني انه يجمع بين تبديل الدين وبين اظهار الفساد والذين قرؤا
بصيغة أو فعناه انه لا بد من وقوع أحد الأمرين وقرى يظهر بضم الياء وكسر الهمزة الفساد
بالنصب على التعدي وقرأ حزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالفتحة أو يظهر بفتح الياء
والهمزة الفساد بالرفع أما وجه القراءة الاولى فهو انه استند الفعل الى موسى في قوله يبدل
فكذلك في يظهر ليكون الكلام على نسق واحد وأما وجه القراءة الثانية فهو انه اذا بدل
الدين فقد ظهر الفساد الحاصل بسبب ذلك التبديل (المسئلة الثانية) المقصود من هذا
الكلام بيان السبب الموجب لقتله وهو ان وجوده يوجب افساد الدين أو فساد الدنيا
أما فساد الدين فلان النوم اعتمدوا أن الدين الصحيح هو الذي كانوا عليه فلما كان موسى
ساعيا في افساده كان في اعتقادهم انه ساع في افساد الدين الحق وأما فساد الدنيا فهو انه
لا بد وان يجتمع عليه قوم وبصير ذلك سببا لوقوع الخصومات واثارة الفتن ولما كان حب
الناس لادبائهم فوق حبهم لاموالهم لاجرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال اني أخاف
أن يبدل دينكم ثم اتبعه بذكر فساد الدنيا فقال أو ان يظهر في الأرض الفساد واعلم انه تعالى
لما حكى عن فرعون هذا الكلام حكى بعده ما ذكره موسى عليه السلام فحكى عنه انه قال
اني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وفيه مسئلان (المسئلة الاولى)
قرأ نافع وأبو بكر وحزة والكسائي عدت بادغام الذال في التاء والباقون بالانفصال
(المسئلة الثانية) المعنى انه لم يأت في دفع شره الابان استعاذ بالله واعتمد على فضل الله فلا
جرم صانه الله عن كل بلية وأوصله الى كل أمنية واعلم ان هذه الكلمات التي ذكرها موسى
عليه السلام تشتمل على فوائد (الفائدة الاولى) أن لفظة اني تدل على التأكيد فهذا يدل
على أن الطريق المؤكد المعتبر في دفع الشرور والآفات عن النفس الاعتماد على الله
والتوكل على عهدة الله تعالى (الفائدة الثانية) انه قال اني عدت بربي وربكم فكما ان عند
القراءة يقول المسلم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فالله تعالى يصون دينه واخلاصه
عن وساوس شياطين الجن فكذلك عند توجه الآفات والخافات من شياطين الانس اذا قال
المسلم أعوذ بالله فالله يصونه عن كل الآفات والخافات (الفائدة الثالثة) قوله بربي
وربكم والمعنى كان العبد يقول ان الله سبحانه هو الذي رباني والى درجات الخيرات رقتني

أفرعون آمن بموسى سيرا وقيل كان اسرا بلبيا أو غريبا موحديا

(يكنم ايمانهم) أي من فرعون وملائته (أتقتلون رجلا) أتقتلون رجلا (أن يقول) لأن يقول أو كراهة أن يقول (ربي الله) أي وحده من غير روية وتأمل في أمره (وقد جاءكم ﴿ ٣١٦ ﴾ بالبينات) والحال أنه قد جاءكم

بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها (من ربكم) أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستترا لا لهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه) لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله (وان يك صادقا يصيبكم بعض الذي يعدكم) أي ان لم يصيبكم كله فلا أقل من اصابة بعضه لاسيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا ويصيبكم ما يعدكم من غذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كأنه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد * تراك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حوامها * من دود لمان

ومن الآفات وقائي وأعطاني نعم الاحكامها ولا حصر فلما كان المولى ايسر الا الله وجب أن لا يرجع العاقل في دفع كل الآفات الا الى حفظ الله تعالى (الفائدة الرابعة) ان قوله وربكم فيه بعث لقوم موسى عليه السلام على ان يقتدوا به في الاستعاذة بالله والمعنى فيه ان الارواح الطاهرة القوية اذا تطابقت على همة واحدة قوى ذلك التأثير جدا وذلك هو السبب الاصل في اداء الصلوات في الجماعات (الفائدة الخامسة) انه لم يذكر فرعون في هذا الدعاء لانه كان قد سبق له حق تربيته على موسى من بعض الوجوه فترك التبعين رعاية لذلك الحق (الفائدة السادسة) ان فرعون وان كان قد أظهر ذلك الفعل الا انه لا فائدة في الدعاء على فرعون به ينسب بل الاولى الاستعاذة بالله في دفع كل من كان موصوفا بتلك الصفة حتى يدخل فيه كل من كان عدوا سواء كان مظهر تلك العدو أو كان مخفيا لها (الفائدة السابعة) ان الموجب للاقدام على ايذاء الناس أمران (أحدهما) كون الانسان متكبرا قاسى القلب (والثاني) كونه منكرا للبعث والقيامة وذلك لان المنكبر القاسى قد يحمله طبعه على ايذاء الناس الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعا له من الجري على موجب تكبره فاذا لم يحصل عنده الايمان بالبعث والقيامة كانت الطبيعة داعية له الى الايذاء والممانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائلا واذا كان الخوف من السؤال والحساب زائلا فلا جرم تحصل القسوة والايذاء (الفائدة الثامنة) ان فرعون لما قاتل ذرئتي أقتل موسى قتل على سبيل الاستهزاء وليدع

ربه فقال موسى ان الذي ذكرته يا فرعون بطريق الاستهزاء هو الدين المبين والحق وأنا ادعو ربي وأطلب منه أن يدفع شرك عنى وسرى أن ربي كيف يفهرلك وكيف يسبى عليك واعلم أن من أحاط عقله بهذه الفوائد علم انه لا طريق الاصلح ولا انصوب في دفع كيد الاعداء وابطال مكرهم الا الاستعاذة بالله والرجوع الى حفظ الله والله أعلم * قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكنم ايمانهم اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصيبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) اعلم انه تعالى لما حكى عن موسى عليه السلام أنه ما زاد في دفع مكر فرعون وشركه على الاستعاذة بالله بين أنه تعالى قبض انسانا اجنبيا غير موسى حتى ذب عنه على أحسن الوجوه وبالغ في ذلك الفتنة واجتمعت في ازالة ذلك الشر * يقول مصنف هذا الكتاب رحمه الله * تربيت في أحوال نفسي انه كلما قصدني شرير بشر ولم أتعرض له وأكثني بتفويض ذلك الامر الى الله فانه سبحانه يقبض أقواما لأعرفهم البتة ياتون في دفع ذلك الشر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلفوا في ذلك الرجل الذي كان من آل فرعون فقيل انه كان ابن عمه وكان جاريا مجرى ولي العهد ومجربى صاحب الشرطة وقيل كان قبطيا من آل فرعون وما كان من آثاره وقيل انه كان من بني اسرائيل واتقول الاول أقرب لان لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة قال تعالى

ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لهداه الله تعالى الى البيئات ولما ايدته بتلك المعجزات وتابها ان كان كذلك
خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله وانه أراهم المعنى الثاني (٣١٧) وهو ما كف على المعنى الاول لتلين شكيتهم

وقد عرض به لفرعون
بأنه مسرف كذاب
لا يهديه الله سبيلا
الصواب ومنهاج البجاة
(يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهر بن) غالبين عالين
على بنى اسرائيل
(في الارض) أى أرض
مصر لا يقاومكم أحد
في هذا الوقت (من
يتصربا بأس الله) من
أخذه وعذابه (أن جانا)
أى فلا تفسدوا أمركم
ولا تتعرضوا لباأس الله
بقوله فانه ان جاءنا لم
يعتدنا منه أحد وانما نسب
ما يسره من الملك
والظهور في الارض
اليهم خاصة ونظم
نفسه في سلكهم فيما
يسره من مجي بأس
الله تعالى تطيبا قلوبهم
وايدانابانه مناصح لهم
ساع في تحصيل ما يجد
ودفع ما يرد بهم سعيه
في حق نفسه ليتأثروا
بنصحه (قال فرعون)
بعد ما سمع نصحه
(ما أرى بكم) أى ما أشير
عليكم (الا ما أرى)
وأستصوبه من قوله
(وما أهدى بكم) بهذا
الرأى (الاسبيل الرشاد) أى الصواب أولاً علمكم

الآل لوط نجيتهم بسحر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الصادقون ثلاثة
حبيب البجار مؤمن آل ياسين ومؤمن آل فرعون الذى قال أنقلون رجلا أن يقول ربى
الله والثالث على بن أبى طالب وهو أفضلهم ومن جمعهم بن محمد أنه قال كان أبو بكر خيرا
من مؤمن آل فرعون لانه كان يكتم ايمانه وقال أبو بكر جهارا أنقلون رجلا أن يقول
ربى الله فكان ذلك سرا وهذا كان جهارا (المسئلة الثانية) اعظم من في قوله من آل فرعون
يجوز أن يكون متعلقا بقوله مؤمن أى كان ذلك المؤمن شخصا من آل فرعون ويجوز أن
يكون متعلقا بقوله يكتم ايمانه والتقدير رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وقيل ان
هذا الاحتمال غير جائز لانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمته كذا قال تعالى
ولا تكتمون الله حديثا (المسئلة الثالثة) رجل مؤمن الا كتمون قروا بضم الجيم وقرى
رجل بكسر الجيم كما يقال عضد في عضد (المسئلة الرابعة) قوله تعالى أنقلون رجلا أن
يقول ربى الله استغمام على سبيل الانكار وقد ذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن
ذلك الاستنكار وذلك لانه ما زاد على ان قال ربى الله وجاء بالبيئات وذلك لا يوجب القتل
البتة وقوله وقد جاءكم بالبيئات من ربكم يحتمل وجهين (الاول) ان قوله ربى الله اشارة
الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبيئات اشارة الى تقرير النبوة باظهار المعجزة (الثانى) ان
قوله ربى الله اشارة الى التوحيد وقوله وقد جاءكم بالبيئات اشارة الى الدلائل المدالة على
التوحيد وهو قوله في سورة طه ربنا الذى أعطى كل شى خلقه ثم هدى وقوله في سورة
الشعراء رب السموات والارض وما بينهما ان كتمتم موقنين الى آخر الآيات ثم ذكر ذلك
المؤمن حجنا ثانية في أن الاقدام على قتله غير جائز وهى حجة مذكورة على طريقة التفسير
فقال ان كان هذا الرجل كاذبا كان وبال كذبه طائعا عليه فارتكبه وان كان صادقا
يصيبكم بعض الذى يعدكم فثبت ان على كلال التقديرين كان الاول ابقاء حيا فان قيل
السؤال على هذا الدليل من وجهين (الاول) أن قوله وان يك كاذبا فعليه كذبه معناه ان
ضرر كذبه مقصور عليه ولا يتعداه وهذا الكلام فاسد واجوه (أحدها) انما لا نسلم ان
بتقدير كونه كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه لانه يدعو الناس الى ذاك الدين الباطل
فيفتر به جماعة منهم ويقعون في المذهب الباطل والاعتقاد الفاسد ثم يقع بينهم وبين
غيرهم الخسومات الكثيرة فثبت ان بتقدير كونه كاذبا لم يكن ضرر كذبه مقصورا عليه بل
كان متعديا الى الكل ولهذا السبب فان العلماء أجمعوا على ان الرديق الذى يدعو الناس
الى زندقته يجب قتله (وثانيها) أنه ان كان هذا الكلام حجته فلا كذاب الا وعكته أن
يتمسك بهذه الطريقة فوجب تمكن جميع الزنادقة والمبطلين من تقرير اديانهم الباطلة
(وثالثها) ان الكفار الذين أنكروا نبوة موسى عليه السلام ووجب أن لا يجوز الانكار
عليهم لانه يقال ان كان ذلك المنكر كاذبا في ذاك الانكار فعليه كذبه وان يك صادقا انتفعت
بصدقه فثبت أن هذا الطريق يوجب تصويب ضده وما أفضى ثبوته الى عدمه كان باطلا

الاما اظلم ولاستر عنكم خلاف ما ظهره واتد كذب حيث كان مستشعر الخوف الشديد ولكنه كان يتجملذواولاه
لما استشار احد ابداء وقرى بشديد الشين لمبالغة من رشد كعلام ﴿ ٣١٨ ﴾ أو من رشد كعباد لامن ارشد كجبار

(السؤال الثاني) انه كان من الواجب ان يقال وان يك صادقا يصيبكم كل الذي بعدكم
لان الذي يصيب في بعض ما بعد دون البعض هم اصحاب الكهانة والنجوم أما الرسول
الصادق الذي لا يتكلم الا بالوحي فانه يجب ان يكون صادقا في كل ما يقول فكان قوله
يصيبكم بعض الذي بعدكم غير لائق بهذا المقام (والجواب) عن الاسئلة الثلاثة بحرف
واحد وهو ان تقدير الكلام ان يقال انه لا حاجة بكم في دفع شره الى قتله بل يكفيكم ان
تمنعوه عن اظهار هذه المقالة ثم تركوا قتله فان كان كاذبا فحينئذ لا يعود ضرره الا اليه
وان كان صادقا انتفعتم به والحاصل ان المقصود من ذكر ذلك التقسيم بيان انه لا حاجة
الى قتله بل يكفيكم ان تعرضوا عنه وأن تمنعوه عن اظهار دينه فبهذا الطريق الاسئلة
الثلاثة مدفوعة (وأما السؤال الثاني) وهو قوله كان الاول ان يقال يصيبكم كل الذي
بعدكم فالجواب عنه من وجوه (الاول) ان مدار هذا الاستدلال على اظهار الانصاف
وترك اللجاج لان المقصود منه ان كان كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه وان كان صادقا
فلا أقل من ان يصل اليكم بعض ما بعدكم وان كان المقصود من هذا الكلام ما ذكر صح
ونظيره قوله تعالى وانا اواباكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (والوجه الثاني) انه عليه
السلام كان يتوعدهم بعذاب الدنياو بعذاب الآخرة فاذا وصل اليهم في الدنيا عذاب
الدنيا فقد أصابهم بعض الذي بعدكم به (الوجه الثالث) حكى عن أبي عبيدة انه قال ورود
لفظ البعض بمعنى الكل جائزا حتى يقول لبيد

ترك أمكنة اذالم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حياهما

والجهمور على ان هذا القول خطأ قالوا وأراد لبيد ببعض النفوس نفسا والله أعلم ثم حكى
تعالى عن هذا المؤمن حكاية ثالثة في أنه لا يجوز ايداء موسى عليه السلام فقال ان الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب وتقرى بهذا الالليل ان يقال ان الله تعالى هدى موسى الى
الايان بهذه المعجزات الباهرة ومن هدا الله الى الايمان بالمعجزات لا يكون مسرفا كذبا
فهذا يدل على ان موسى عليه السلام ليس من الكاذبين فكان قوله ان الله لا يهدي من
هو مسرف كذاب اشارة الى عاوشان موسى عليه السلام على طريق الرمز واتعرض
ويحتمل أيضا ان يكون المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في
اقدامه على ادعاء الآلهية والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته بل يبطله ويهدم أمره
﴿ قوله تعالى ﴾ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرون من بأس الله ان جاءنا
قال فرعون ما أرى بكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذي آمن يا قوم اني
أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله
يريد ظملا لالعباد ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من
عاصم ومن يضل الله فاله من هاد اعلم ان مؤمن آل فرعون لما أقام أنواع الدلائل على انه
لا يجوز الاقدام على قتل موسى خوفهم في ذلك بعذاب الله فقال يا قوم لكم الملك اليوم

من اجبر لانه مقصور
على السماع اول النسبة
الى الرشد كعواج
وبسات غير منظور
فيه الى فعل (وقال
الذي آمن) مخاطبا لقومه
(يا قوم اني أخاف
عليكم) في تكذيبه
والتعرض له بالسوء
(مثل يوم الاحزاب)
مثل أيام الامم الماضية
يعنى وقائعهم وجمع
الاحزاب مع التفسير
أخفى من جمع اليوم
(مثل داب قوم نوح
وعاد وثمود) أى مثل
جزاه ما كانوا عليه
من الكفر وايداء الرسل
(والذين من بعدهم)
كقوم اوط (وما الله يريد
ظملا لالعباد) فلا يعاقبهم
بغير ذنب ولا يتغلى
الظالم منهم بغير انتقام
وهو ابلغ من قوله تعالى
وماريك بظلام للعبيد
لما ان المتنى فيه ارادة
ظلم ما فينتفى الظلم
بطريق الاولية
(ويا قوم اني أخاف
عليكم يوم التناد)
خوفهم بالعذاب
الاخروي بعد تخويفهم

بالعذاب الدنيوى ويوم التناد يوم القيامة لانه ينادى فيه بعضهم للاسنة أو يتصايحون بالويل ﴿ ظاهرين ﴾
والشور أو يتنادى أصحاب الجنة

وأصحاب النار حسبما حكى في سورة الاعراف وقرئ بشديد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقولهم تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحك إذا سمعوا ﴿ ٣١٩ ﴾ زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطر

الا وجدوا ملائكة
صفوا فبيناهم يوج
عضهم في بعض اذ سمعوا
مناديا أقبلوا الى الحساب
(يوم تولون مدبرين)
بذل من يوم التنادى
منصرفين عن الموقف
الى النار أو فارين منها
حسبما نقل آتفا (مالكم
من الله من عاصم) بعضهم
من عذابه والجملة حال
أخرى من ضمير تولون
(ومن يضل الله فإله
من هاد) يهديه الى
طريق الهدى (ولقد
جاءكم يوسف)
يوسف بن يعقوب
عليهما السلام على
أن فرعون فرعون
موسى أو على نسبة
أحوال الآباء الى الاولاد
وقيل سبطه يوسف بن
ابراهيم بن يوسف
الصدوق (من قبل)
من قبل موسى (بالبنات)
بالمعجزات الواضحة
(فما زاتم في شك مما
جاءكم به) من الدين
(حتى إذا هلك)
بالسوت (قلتم ان
يبعث الله من بعده
رسولا) حتى إلى تكذيب

ظاهر بن في الارض يعني قد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تترضوا لباس الله وعذابه فإنه لا قبل لكم به وإنما قال ينصرنا وجاء نالانه كان يظهر من نفسه انه منهم وأن الذي ينصحبهم به هو مشاركتهم فيه ولما قال ذلك المؤمن هذا الكلام قال فرعون ما أرى لكم الا ما أرى أى لا أشير اليكم برأى سوى ما قرأه أنه يجب قتله حسب المادة انفتحة وما أهدى بكم بهذا الرأى الاستيلاء الرشاد والصلاح ثم حكى تعالى ان ذلك المؤمن رد هذا الكلام على فرعون فقال انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب واعلم انه تعالى حكى عن ذلك المؤمن انه كان يكتف بآياته والذى يكتف كيف يكتف أن يذكر هذه الكلمات مع فرعون ولهذا السبب حصل ههنا قولان (الاول) ان فرعون لما قال ذرونى أقتل موسى لم يصرح ذلك المؤمن بأنه على دين موسى بل أوهم انه مع فرعون وعلى دينه الا انه زعم ان المصلحة تقتضى ترك قتل موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله والاتباع بالمعجزات القاهرة وهذا لا يوجب القتل والاقدام على قتله بوجوب الوقوع في السنة الناس باقبح الكلمات بل الاولى ان يؤخر قتله وأن يمنع من اظهار دينه لان على هذا التقدير ان كان كاذبا كان وبال كذبه عائدا اليه وان كان صادقا حصل الانتفاع به من بعض الوجوه ثم أكد ذلك بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يعنى انه ان صدق فيما يدعيه من اثبات الاله انقاد الحكيم فهو لا يهدى المسرف الكذاب فأوهم فرعون انه أراد بقوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب أنه يريد موسى وهو انما كان يقصده به فرعون لان المسرف الكذاب هو فرعون (والقول الثانى) ان مؤمن آل فرعون كان يكتف بآياته أولا فلما قال فرعون ذرونى أقتل موسى ازال الكتمان وأظهر كونه على دين موسى وشافه فرعون بالحق واعلم انه تعالى حكى عن هذا المؤمن أنواعا من الكلمات ذكرها لفرعون (فالاول) قوله يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب والتقدير مثل أيام الاحزاب الا أنه لما أضاف اليوم الى الاحزاب فسرهم بقوم نوح وعاد وحمود فبينما يظن أن كل حزب كان له يوم معين في البلاء فاقصر من الجمع على ذكر الواحد منهم الالتباس ثم فسره بقوله انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب بقوله مثل داب قوم نوح وعاد وحمود داب هو الآء دونهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى فيكون ذلك دابا ودابا لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاءد أبهم والمناصل أنه خوفهم بهلاكهم في الدنيا ثم خوفهم أيضا بهلاك الآخرة وهو قوله ومن يضل الله فإله من هاد والمقصود منه التنبه على عذاب الآخرة (النوع الثانى) من كلمات ذلك المؤمن قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد يعنى أن تدمير أولئك الاحزاب كان عدلا لانهم استوجبوه بسبب تكذيبهم للانباء فلك العلة قائمة ههنا فوجب حصول الحكم ههنا فالتا المعتبرة قوله وما الله يريد ظلما للعباد يدل على انه لا يريد أن يظلم بعض العباد بعضا ويدل على أنه لا يريد ظلم أحد من العباد فلو خلق الكفر فيهم ثم بعد ذلك الكفر لكان ظلما وإذا ثبت انه لا يريد الظلم اليه ثبت

رسالته تكذيب رساله من بعده أو جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ ان يبعث الله على ان بعضهم

يقرر بعضا بنى البعث (كذلك) مثل ﴿ ٣٢٠ ﴾ ذلك الاضلال الفظيع (يضلل الله من هو مسرف)

في عصبانه (مرتاب)
في دينه شك فيما تشهد
به البينات اعلية الوهم
والانهمك في التلديد
(الذين يجادلون
في آيات الله) يدل من
الموصول الاول او بيان له
أوصفة باعتبار معناه
كأنه قيل كل مسرف
مرتاب أو المسرفين
المرتابين (بغير سلطان)
متعلق بجادلون بغير
حجة صالحة للتمسك بها
في الجلمة (أنهم) صفة
سلطان (كبير مقنا
عند الله وعند الذين
آمنوا) فيسه ضرب
من التعجب والاستعظام
وفي كبر ضمير يعود الى
من وتذكيره باعتبار
اللفظ وقيل الى الجدل
المستفاد من يجادلون
(كذلك) أي مثل ذلك
الطبع الفظيع (يطبع الله
على كل قلب متكبر
جبار) فيصدر عنه
امثال ما ذكر من
الاسراف والارتياب
والجدالة بالباطل
وقرى بتأويل قلب
ووصفه بالتكبر والتجبر
لانه منبهها

انه غير خائف لافعال العباد لانه لو خلقها الارادها وثبت أبعضا أنه قادر على الظلم اذ لو لم يقدر
عابه لما حصل المدح بتك النظم وهذا الاستدلال قد ذكرناه مرارا في هذا الكتاب مع
الجواب فلا فائدة في الاعادة (النوع الثالث) من كلمات هذا المؤمن قوله ويا قوم اني
أخاف عليكم يوم التناد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) التناد تفاعل من النداء يقال
تنادى القوم أي نادى بعضهم بعضا والاصل النادى وحذف الياء بحسن في القواصل وذكرنا
ذلك في يوم التلاق واجمع المفسرون على ان يوم التناد يوم القيامة وفي سبب تسمية ذلك
اليوم بذلك الاسم وجوه (الاول) أن أهل النار يتنادون أهل الجنة وأهل الجنة يتنادون
أهل النار كما ذكر الله عنهم في سورة الاعراف ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى
أصحاب الجنة أصحاب النار (الثاني) قال الزجاج لا يبعد أن يكون السبب فيه قوله تعالى
يوم ندعو كل أناس بأمامهم (الثالث) انه ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والشبور
فيقولون يا ويلنا (الرابع) يتنادون الى المحشر أي يدعون (الخامس) يتنادى المؤمن هاؤم
اقروا كتابي والكافر باليتقى لم أوت كتابي (السادس) يتنادى باللعنة على الظالمين
(السابع) يجاء بالموت على صورة كبش ألمح ثم يندح ويتنادى بأهل القيامة لاموت
فيزداد أهل الجنة فرحا على فرحهم وأهل النار حزنا على حزنهم (الثامن) قال أبو علي
الفارسي التنادى مشتق من التناد من قولهم تدفان اذا هرب وهو قراءة ابن عباس
وفسرها فقال يتدون كما تند الابل ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى يوم يفر المرء من
أخيه الآية وقوله تعالى بعد هذه الآية يوم تولون مدبرين لانهم اذا سمعوا زفير النار
يتدون هاربين فلا يتون قطرا من الاذطار الا وجدوا ملائكة صفوا فيرجعون الى
المكان الذي كانوا فيه (المسئلة الثانية) انتصب قوله يوم التناد لوجهين (أحدهما)
الظرف للخوف وكأنه خاف عليهم في ذلك اليوم لما يلحقهم من العذاب ان لم يؤمنوا
(والآخر) أن يكون التقدير اني أخاف عليكم عذاب يوم التناد واذا كان كذلك كان
انتصاب يوم انتصاب المفعول به لانتصاب الظرف لان اعرابه اعراب المضاف المحذوف
ثم قال يوم تولون مدبرين وهو يدل من قوله يوم التناد عن فتادة منصرفين عن موقف يوم
الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ثم كذا التهديد فقال ما لكم
من الله من عاصم ثم نيه على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال ومن يضلل الله فإله من هاد
قوله تعالى (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فازتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك
فلتم ان تبعث الله من بعدة رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين
يجادلون في آيات الله بغير سلطان أناهم كبر مقنا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) واعلم أن مؤمن آل فرعون لما قال ومن يضلل
الله فإله من هاد ذكرهنا مثلا وهو أوز يوسف لما جاءهم بالبينات الباهرة فأصروا
على الشك واشبهته ولم ينفعوا بتلك الدلائل وهذا يدل على ان من أضله الله فإله

من هاد وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قيل ان يوسف هذا هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام ونقل صاحب الكشاف انه يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نيفا وعشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف بنى حياالى زمانه وقيل فرعون آخر والمتصود من الكل شئ واحد وهو أن يوسف جاء قومه بالبينات وفي المراد بها قولان (الاول) ان المراد بالبينات قوله أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (والثاني) المراد بهما المعجزات وهذا أول ثم اتهم بقوافي نبوته شاكين مرتابين ولم يذنبوا البتة بتلك البينات فلما مات قالوا انه لن يبعث الله من بعده رسولا وانما حكموا بهذا الحكم على سبيل التشهي والتفي من غير حجة ولا برهان بل انما ذكرنا ذلك ليكون ذلك أساسا لهم في تكذيب الانبياء الذين يأتون بعد ذلك وايس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا لاجل تصديق رسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من هو بعده مضموم الى تكذيب رسالته ثم قال كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أى مثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه قال الكعبى هذه الآية حجة لاهل التدر لانه تعالى بين كفرهم ثم بين انه تعالى انما أضلهم لكونهم مسرفين مرتابين فثبت ان العبد ما لم يضل عن الدين فان الله تعالى لا يضلهم ثم بين تعالى ما لاجله بقوافي ذلك الشك والاسراف فقال الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أى بغير حجة بل ابا بناء على التقليد المجرد واما بناء على شبهات خسيسة كبر مقتا عند الله والمقت هو أن يبلغ المرء في التوهم مبلغا عظيما فيمقته الله ويبغضه ويظهر خزيه وتعمسه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في ذمه اهلهم بأنهم يجادلون بغير سلطان دلالة على ان الجدل بالحجة حسن وحق وفيه ابطال للتقليد (المسئلة الثانية) قال القاضي مقت الله اياهم يدل على ان فعلهم ليس بخلق الله لان كونه فاعلا للفعل وما قتاله محال (المسئلة الثالثة) الآية تدل على انه يجوز وصف الله تعالى بأنه قديم مقت بعض عباد الله لان ذلك صفة واجبة التأويل في حق الله كما نفضب والحياة والتعجب والله أعلم ثم بين ان هذا المقت كما حصل عند الله فكذلك قد حصل عند الذين آمنوا ثم قال كذلك يطعم الله على كل قلب متكبر جبار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ بن عامر وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائي قلب منونامتكبر صفة للقلب والياقون بغير تنوين على اضافة القلب الى المتكبر قال أبو عبيد الاختيار الاضافة لوجوه (الاول) ان عبدا لله قرأ على قلب كل متكبر وهو شاهد لهذه القراءة (الثاني) ان وصف الانسان بالتكبر والجبروت أول من وصف القلب بهما وأما الذين قرؤا بالتونين فقالوا ان التكبر قد أضيف الى القلب في قوله ان في صدورهم الاكبر وقال تعالى فانه آثم قلبه وأيضا فيمكن أن يكون ذلك على حذف المضاف أى على كل ذى قلب متكبر وأيضا قال قوم الانسان الحقيقى هو القلب وهذا البحث طويل وقد ذكرناه في تفسير قوله نزل به الروح الامين على قلبك قالوا ومن أضف فلا بد له من تقدير حذف

(وقال فرعون ياها مان ابنى صرحا) أى بناء مكشوفاً طالبا من صرخ الشئ اذا ظهر (على أبلغ الأسياب) أى الطرق (اسباب السموات) بيان لها وفي ابراهامها ايضا حها ﴿ ٣٢٢ ﴾ تفخيم لثأنها وتشويق للسامع الى معرفتها (فاطلع

والتقدير بطبع الله على قلب كل متكبر (المسئلة الثانية) الكلام فى الطبع والرين والقسوة والقشوة قد سبق فى هذا الكتاب بالاستقصاء وأصحابنا يقولون قوله كذلك بطبع الله يدل على أن الكل من الله والمعتراة يقولون ان قوله كذلك بطبع الله على كل قلب متكبر جوار يدل على أن هذا الطبع انما حصل من الله لانه كان فى نفسه متكبرا جبارا وعند هذا نصير الآية حجة لكل واحد من هذين الفريقين من وجه وعليه من وجه آخر والقول الذى يخرج عليه الوجهان مذهبنا اليه وهو انه تعالى يخلق دواعى التكبر والرياسة فى القلب فتصير تلك الدواعى مانعة من حصول ما يدعى الطاعة والانقياد لامر الله فيكون القول بالقضاء والقدر حقا ويكون تعليل الصدق عن الدين بكونه متجبرا متكبرا باقيا فثبت ان هذا المذهب الذى اخترناه فى القضاء والقدر هو الذى ينطبق لفظ القرآن من أوله الى آخره عليه (المسئلة الثالثة) لا بد من بيان الفرق بين التكبر والجبار قال مقاتل متكبر عن قبول التوحيد جبار فى غير حق وأقول كمال السعادة فى أمرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل التكبر كالمضاد للتعظيم لامر الله والجبروت كالمضاد للشفقة على خلق الله والله أعلم * قوله تعالى (وقال فرعون ياها مان ابنى صرحا على ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلم الى اله موسى واتى لاطنه كاذبا وكذلك زين فرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب) اعلم انه تعالى لما وصف فرعون بكونه متكبرا جبارا بين انه بلغ فى البلادة والجماعة الى أن قصد الصعود الى السموات وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) احتج الجمع الكثير من المشبهة بهذه الآية فى اثبات ان الله فى السموات وقرروا ذلك من وجوه (الاول) ان فرعون كان من المتكبرين لوجود الله وكل ما يذكره فى صفات الله تعالى فذلك انما يذكره لاجل انه سمع ان موسى يصف الله بذلك فهو أيضا يذكره كما سمعه فلو لانه سمع موسى يصف الله بأنه موجود فى السماء والاماطليه فى السماء (الوجه الثانى) انه قال واتى لاطنه كاذبا ولم يبين انه كاذب فيما ذكره السابق متعين لصرف الكلام اليه فكان التقدير فاطلم الى اله الذى يزعم موسى انه موجود فى السماء ثم قال واتى لاطنه كاذبا أى واتى لاطن موسى كاذبا فى ادعائه ان اله موجود فى السماء وذلك يدل على ان دين موسى هو ان اله موجود فى السماء (الوجه الثالث) العلم بأنه او وجد اله لكان موجودا فى السماء علم يديه متقرر فى كل القول ولذلك فان الصبيان اذا تضرعوا الى الله رفعوا وجوههم وأيديهم الى السماء وان فرعون مع نهابة كثره لما طلب اله فقد طلبه فى السماء وهذا يدل على ان العلم بأن اله موجود فى السماء علم متقرر فى عقل الصديق والزنديق والمجد والموحد والعالم والجاهل فهنا جمل استدالات المشبهة بهذه الآية والجواب ان هؤلاء الجهال يكفهم فى كمال الحزى والضلال أن جمعوا وقول فرعون العين حجة لهم على صحة دينهم وأمام موسى عليه السلام فانه يزعم ان يعرف اله العالم على ذكر صفة الخلافة فقال فى سورة طه ربنا الذى

الى اله موسى) بالانصب
على جواب الترتي
وقرى بالرفع عطف على
أبلغ واعلمه أراد ان يبين له
رصد فى موضع عال
يرصد منه أحوال
الكواكب التى هى
أسباب مساوية تدل
على الحوادث الارضية
فبرى هل فيها ما يدل
على ارسال الله تعالى
اياه أو أن يرى فساد قوله
عليه الصلاة والسلام
بأن اخباره من اله السماء
يتوقف على اطلاعه
عليه ووصوله اليه
وذلك لا يتأتى الا بانصعود
الى السماء وهو على يقوى
عليه الانسان وما ذاك
الاجله لله بالله سبحانه
وكيفية استنباطه (واتى
لاطنه كاذبا) فيما يدعيه
من الرسالة (وكذلك)
أى ومثل ذلك الفريقين
البليغ المفرط (زين
لفرعون سوء عمله) فانهمك
فيه انهما كالايرعوى
عنه بحال (ومصد عن
السبيل) أى سبيل
الرشاد والفاسد فى
الحقيقة هو الله تعالى
ويؤيده قراءة زين
بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرى وصد عن السبيل عن الهدى بأمثال هذه ﴿ اعطى

التقويها والشبهات ويؤيده قوله تعالى (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى

أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال في سورة الشعراء ربكم ورب آبائكم الاولين رب المشرق
 والمغرب وما بينهما فظهر أن تعريف ذات الله بـكـونه في السماء دين فرعون وتعريفه
 بالخلافة والمجودة دين موسى فن قال بالاول كان على دين فرعون ومن قال بالثاني كان
 على دين موسى ثم نقول لانسلم أن كل ما يقوله فرعون في صفات الله تعالى فذلك قد سمعه من
 موسى عليه السلام بل عمله كان على دين المشبهة فكان يعتقد أن الاله او كان موجودا
 لكان حاصل في السماء فهو انما ذكر هذا الاعتقاد من قبل نفسه للاجل انه قد سمعه من
 موسى عليه السلام وأما قوله وانى لاظنه كاذبا فنقول عمله لما سمع موسى عليه السلام قال
 رب السموات والارض ظن انه عني به انه رب السموات كما يقال للواحد مناته رب الدار
 بمعنى كونه ساكن فيه فلغلب على ظنه ذلك حكى عنه وهذا ليس يستبعد فان فرعون كان
 قد بلغ في الجهل والجماعة الى حيث لا يبعد نسبة هذا الخيال اليه فان استبعد الخصم نسبة
 هذا الخيال اليه كان ذلك لا تقايم لانهم لما كانوا على دين فرعون وجب عليهم تعظيمه
 وأما قوله ان فطرة فرعون شهدت بأن الاله او كان موجودا لكان في السماء قلنا نحن
 لا نذكر أن فطرة أكثر الناس تخيل اليهم صحة ذلك لاسيما من بلغ في الجماعة الى درجة
 فرعون فثبت ان هذا الكلام ساقط (المسئلة الثانية) اختلف الناس في أن فرعون هل
 قصد بناء الصرح ايصعد منه الى السماء أم لا اما الظاهر يرون من المفسرين فقد قطعوا
 بذلك وذكروا حكاية طويلة في كيفية بناء ذلك الصرح والذي عندي انه بعيد والدليل
 عليه أن يقال فرعون لا يخلو امان يقال انه كان من المجانين أو كان من العقلاء فان قلنا
 انه كان من المجانين لم يجز من الله تعالى ارسال الرسول اليه لان العقل شرط في التكليف
 ولم يجز من الله أن يذكر حكاية كلام مجنون في القرآن واما ان قلنا انه كان من العقلاء
 فنقول ان كل عاقل يعلم ببديهة عقله انه يتعذر في قدرة البشر وضع بناء يـكـون ارفع من
 الجبل العالي ويعلم أيضا ببديهة عقله انه لا يتفاوت في البصر حال السماء بين أن ينظر اليه
 من أسفل الجبال وبين أن ينظر اليه من أعلى الجبال واذا كان هذان العمان بديهيين
 امتنع أن يقصد العاقل وضع بناء يصعد منه الى السماء واذا كان فساد هذا معلوما
 بالضرورة امتنع اسناده الى فرعون والذي عندي في تفسير هذه الآية ان فرعون كان من
 الدهرية ورضه من ذكر هذا الكلام ايراد شبهة في نفى الصانع وتقريره انه قال ان لا يرى
 شئاً يحكم عليه بأنه اله العالم فلم يجز اثبات هذا الاله امانه لاراه فلائنه لو كان موجودا
 لكان في السماء ونحن لا سبيل لنا الى صعود السموات فكيف يمكننا أن نراه ثم انه لاجل
 المبالغة في بيان انه لا يمكنه صعود السموات قال ياها مان ابنى صرحا له الى ابلع الاسباب
 والمقصود انه لما عرف كل أحد أن هذا الطريق ممتنع كان الوصول الى معرفة وجود الله
 بطريق الحس ممتعا وظنيره قوله تعالى فان استطعت أن تبني نفقا في الارض أو سما في
 السماء فأتيتهم بآية وائس المراد منه أن محمد صلى الله عليه وسلم طاب نفقا في الارض

خسار وهلاك أو على
 أنه من صد صدودا
 أي أعرض وقرى
 بكسر الصاد على نقل
 حركة الدال اليه وقرى
 وصد على انه عطف
 على سوء عمله وقرى
 وصدوا أي هو وقوه

أورضع سلبا الى السماء بل المعنى انه لما عرف ان هذا المعنى ممتنع فقد عرف انه لا سبيل لك
الى تحصيل ذلك المقصود فكنا ههنا نعرض فرعون من قوله يا هان ابن لي صرحا يعنى أن
الاطلاع على اله موسى لما كان لا سبيل اليه الا بهذا الطريق وكان هذا الطريق ممتعا
فحينئذ يظهر منه انه لا سبيل الى معرفة الاله الذي يثبت به موسى فنقول هذا ما حصلته في هذا
الباب واعلم أن هذه الشبهة فاسدة لان طرق العلم ثلاثه الحس والخبر والنظر ولا يلزم من
انتفاء طريق واحد وهو الحس انتفاء المطلوب وذلك لان موسى عليه السلام كان قد بين
افرعون أن الطريق في معرفة الله تعالى انما هو الحجة والدليل كما قال ربكم ورب آبائكم
الاولين رب المشرق والمغرب الا ان فرعون لحبسه ومكره تغافل عن ذلك الدليل وألقى الى
الجهال انه لما كان لا طريق الى الاحساس بهذا الاله وجب نفيه فهذا ما عندي في هذا
الباب وبالله التوفيق والعصمة (المسئلة الثالثة) ذهب قوم الى انه تعالى خلق بجواهر
الافلاك وحرركاتها بحيث تكون هي الاسباب لحداث الحوادث في هذا العالم الاسفل
واحتجوا بقوله تعالى لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات ومعلوم أنها ليست أسبابا
الحوادث هذا العالم قالوا ويؤكد هذا بقوله تعالى في سورة ص فليبر تقواني الاسباب
اما المفسرون فقد ذكروا في تفسير قوله تعالى لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات أن المراد
بأسباب السموات طرقها وأبوابها وما يؤدي اليها وكل ما أدرك الى شئ فهو سبب كالرشاء
ونحوه (المسئلة الرابعة) قالت اليهود اطبق الباحثون عن تواريخ بني اسرائيل وفرعون
أن هاما ما كان موجودا البتة في زمان موسى وفرعون وانما جاء بعدهما بزمان مديد
ودهر داهر فاقول بان هاما ما كان موجودا في زمان موسى وفرعون خطأ في التاريخ وليس
لقائل أن يقول ان وجود شخص يسمى بهاما ما بعد زمان فرعون لا يمنع من وجود شخص
آخر يسمى بهذا الاسم في زمانه قالوا الان هذا الشخص المسمى بهاما الذي كان موجودا
في زمان فرعون ما كان شخصا خفيا في حضرة فرعون بل كان كاوز يرله ومثل هذا
الشخص لا يكون مجهول الوصف والحلية فاو كان موجودا لعرف حاله وحيث أطبق
الباحثون عن أحوال فرعون وموسى ان الشخص المسمى بهاما ما كان موجودا
في زمان فرعون وانما جاء بعده باذوار علم انه غلط وقع في التواريخ قالوا ونظير هذا اننا نعرف
في دين الاسلام أن ابا حنيفة انما جاء بعد محمد صلى الله عليه وسلم فلو أن قائلادعى أن ابا
حنيفة كان موجودا في زمان محمد عليه السلام وزعم انه شخص آخر سوى الاول وهو
أيضا يسمى بأبي حنيفة فان أصحاب التواريخ يقطعون بخطئه فكنا ههنا والجواب أن
تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بهما واضطربت الاحوال والادوار فلم يبق على
كلام أهل التواريخ اعتماد في هذا الباب فكان الاخذ بقول الله أولى بخلاف حال
رسولنا مع أبي حنيفة فان هذه التواريخ قريبة غير مضطر بذيل هي مضبوطة فظهر
الفرق بين البابين فهذا جملة ما يتعلق بالباحث المعنوية في هذه الآية وبقي ما يتعلق

(وقال الذي آمن) أي مؤمن ال فرعون وقيل موسى عليه السلام (يا قوم اتبعون) فيما دلتكم عليه (أهدكم سبيل الرشاد) أي سبيل يصل سالكمه إلى المقصود ﴿ ٣٢٥ ﴾ وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه

سبيل النقي والضلال
(يا قوم اتبعوا هذه الحياة الدنيا متاع) أي تتم بسير لسرعة زوالها أجل لهم أولاهم فسر فافتح بدم الدنيا وتصغير شأنها لأن الاخلاص اليها رأس كل شر ومنه تشعب قنون ما يؤدى الى سخط الله تعالى ثم تبنى بتعظيم الآخرة فقال (وان الآخرة هي دار القرار) لخلودها وادوام ما فيها (من عمل) في الدنيا (سيئة فلا يجزى) في الآخرة (الامثلها) عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على أن الجنائيات تغرم بأمثالها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك) الذين عملوا ذلك (يدخلون الجنة) يرزقون فيها بغير حساب (أي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايان حالا للايمان لاعتباره بالعمل بدونه وأن ثوابه أعلى من ذلك

بالمباحث اللفظية قبل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد اشتدوه من صرح الشيء اذا ظهر وأسباب السموات طرقها فان قيل ما فائدة هذا التكرير واو قيل اعلى أبلغ أسباب السموات كان كافيا أوجب صاحب الكشاف عند فقال اذا فهم الشيء ثم أوضح كان تعظيما لشأنه فلما أراد تعظيم أسباب السموات اجمها ثم أرضعها وقوله فأطلع الى اله موسى قرأ حفص عن عاصم فأطلع بفتح العين والياء قون بالرفع قال المبرد من رفع وقد عطفه على قوله اباع والتقدير اعلى أبلغ الاسباب ثم اطاع الآن حرف ثم أشد تراخيا من الفاء ومن نصب جملة جوابا والمعنى اعلى أبلغ الاسباب فتى بفتحها اطاع والمعنى مختلف لان الاول اعلى أطلع والثاني اعلى اباع وانما ضمرا في متى بلغت فلا يدوان اطاع واعلم انه تعالى لما حكى عن فرعون هذه القصة قال بعدها وكذلك زين فرعون سوء عمله وصد عن السبيل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عاصم وجررة والكسائي وصد بضم الصاد قال أبو عبيدة وبه يقرأ لأن ما قبله فعل مبنى للمفعول به فجعل ما عطف عليه مثله والباقون وصد بفتح الصاد على انه منع الناس عن الايمان قالوا ومن صدده قوله لا قطعن أيديكم وأرجلكم ويؤيده هذه القراءة قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وقوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام (المسئلة الثانية) قوله تعالى زين لا بدله من المزين فقالت المعتزلة انه الشيطان فقيل لهم ان كان المزين فرعون هو الشيطان فالمزين للشيطان ان كان شيطانا آخر لزم اثبات التسلسل في الشياطين أو الدور وهو محال ولما بطل ذلك وجب انتهاء الاسباب والمسببات في درجات الحاجات الى واجب الوجود وأيضا قوله زين يدل على ان الشيء ان لم يكن في اعتقاد الفاعل موصوفا بأنه خير أو شر فإنه لا يقدم عليه الا ان ذلك الاعتقاد ان كان صوابا فهو العلم وان كان خطأ فهو الجهل ففاعل ذلك الجهل ليس هو ذلك الانسان لان العاقل لا يقصد تحصيل الجهل لنفسه ولانه انما يقصد تحصيل الجهل لنفسه اذا عرف كونه جهلا ومتى عرف كونه جهلا امتنع بقاؤه جاهلا فثبت أن فاعل ذلك الجهل ليس هو ذلك الانسان ولا يجوز أن يكون فاعله هو الشيطان لان البحث الاول بعينه عائد فيه فلم يبق الا أن يكون فاعله هو الله تعالى والله أعلم ويقوى ما قلناه ان صاحب الكشاف نقل انه قرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل ويدل عليه قوله الى اله موسى ثم قال تعالى وما كيد فرعون الا في تباب والتباب الهلاك والخسران وظهيره قوله تعالى وما زادوهم غير تنبيذ وقوله تعالى تبت يدا ابي لهب والله أعلم وقوله تعالى (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم اتبعوا هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الامثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)

(ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار واشركبني بالله واشركبني به علم وأنا أدعوكم الى العز والنفار لاجرم أنما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا الى (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار) كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح

به الاستفهام دعوتهم اليه الى النار ودعوته اياهم الى النجاة كأنه قيل أخبروني كيف هذه الحال أدعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ﴿ ٣٢٦ ﴾ مالي أراك حزينا أي مالك تكون حزينا وقوله

تعالى (تدعونني لا تكفر بالله) بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالتهدية في التعديبة بالي واللام (وأشرك به ما ليس له به) بشر كنهله تعالى في العبودية وقيل يربو بيته (علم) والمراد في المعلوم والاشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) الجامع لجميع صفات الألوهية من كمال القدرة والقابلية وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران (لا جرم) لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حتى وفاعله قوله تعالى (أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) أي حتى ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها أصلاً وعدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان

الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فتذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد) اعلم ان هذا من بنية كلام الذي آمن من آل فرعون وقد كان يدعوهم الى الايمان موسى والنسك بطريقته واعلم انه نادى في قومه ثلاث مرات في المرة الاولى دعاهم الى قبول ذلك الدين على سبيل الاجال وفي المرثين الباقيتين على سبيل التفصيل اما الاجال فهو قوله يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد وايس المراد بقوله اتبعون طريقة التقليد لانه قال بعده أهدكم سبيل الرشاد والهدى هو الدلالة ومن بين الادلة للغير بوصف بأنه هداة وسبيل الرشاد هو سبيل الثواب والخير وما يؤدى اليه لان الرشاد تقبض النخى وفيه تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل النخى وأما التفصيل فهو أنه بين حقارة حال الدنيا وكال حال الآخرة أما حقارة الدنيا فهي قوله يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع والمعنى انه يستمتع بهذه الحياة الدنيا في أيام قليلة ثم تنقطع وتزول واما الآخرة فهي دار انقار والبقاء والدوام وحاصل الكلام ان الآخرة باقية دائمة والدنيا منقضية منقرضة والدائم خير من المنقضى وقال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهباً فانيا والآخرة خرفاً باقياً لكانت الآخرة خيراً من الدنيا فكيف والدنيا خرفاً فان والآخرة ذهب باق واعلم ان الآخرة كان النعيم فيها دائم فكذلك العذاب فيها دائم وان الترغيب في النعيم الدائم والترهيب عن العذاب الدائم من أقوى وجوه الترغيب والترهيب ثم بين كيف تحصل المجازاة في الآخرة وأشار فيه الى أن جانب الرحمة غالب على جانب العقاب فقال من عمل سنة فلا يجزى الامثلها والمراد بالمثل ما يقابلها في الاستحقاق فان قيل كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر ساعة يوجب عقاب الابد قلنا ان الكافر يعتقد في كفره كونه طاعة وإيماناً فللهذا السبب يكون الكافر على عزم أن يبقى مصراً على ذلك الاعتقاد أبداً فلا جرم كان عقابه مؤبداً بخلاف الفاسق فإنه يعتقد فيه كونه خيائناً ومعصية فيكون على عزم أن لا يبقى مصراً عليه فلا جرم قلنا ان عقاب الفاسق منقطع أما الذي يقوله المعتزلة من أن عقابه مؤبد فهو باطل لان مدة تلك المعصية منقطة والعزم على الاتيان بها أيضاً ليس دائماً بل منقطعاً فقابلته بعقاب دائم يكون على خلاف قوله من عمل سنة فلا يجزى الامثلها واعلم أن هذه الآية أصل كبير في علوم الشرع فبما يتعلق بأحكام الجنائيات فانها تقتضى أن يكون المثل مشروطاً وأن يكون الزائد على المثل غير مشروع ثم نقول ليس في الآية بيان ان تلك المماثلة معتبرة في أي الامور فلو حملناه على رعاية المماثلة في شيء معين مع ان ذلك المعين غير مذكور في الآية صارت الآية مجملة ولو حملناه على رعاية المماثلة في جميع الامور صارت الآية عاملاً مخصوصاً وقد ثبت في أصول الفقه ان التعارض اذا وقع بين الاجال وبين التخصيص كان دفع الاجال أولى فوجب أن نحمل هذه الآية على رعاية المماثلة من كل الوجوه الا في مواضع التخصيص واذا ثبت هذا فالاحكام الكبيرة في باب الجنائيات على النفوس وعلى الاعضاء وعلى الاموال يمكن تفرعها على هذه الآية ثم نقول

دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الاظهار بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القاطع * انه * كما أن بد من لا بد لعل من التبديد أي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان

انه تعالى لما بين ان جزاء السيئة متصور على المثل بين ان جزاء الحسنة غير متصور على المثل بل هو خارج عن الحساب فقال ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واحتيج أصحابنا بهذه الآية فقالوا قوله ومن عمل صالحا نكرة في معرض الشرط في جانب الاثبات فجزى مجرى أن يقال من ذكر كلمة أو من خطأ خطوة فله كذا فانه يدخل فيه كل من أتى تلك الكلمة أو تلك الخطوة مرة واحدة فكذلك ههنا ويجب أن يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل الجنة ويرزق فيها بغير حساب والآتي بالايان والموظب على التوحيد والتعديس مدة ثمانين سنة قد أتى بأعظم الصالحات وبأحسن الطاعات فوجب أن يدخل الجنة والحصم يقول انه يفي محله في انار أبدأ الأباد فكان ذلك على خلاف هذا النص الصريح قالت المعتزلة انه تعالى شرط فيه كونه مؤمنا وصاحب الكبيرة عندنا ليس بمؤمن فلا يدخل في هذا الوعد والجواب اننا في أول سورة البقرة في تفسير قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب أن صاحب الكبيرة مؤمن فسقط هذا الكلام واختلفوا في تفسير قوله يرزقون فيها بغير حساب فمنهم من قال لما كان لانهاية لذلك الثواب قبل بغير حساب وقال الآخرون لانه تعالى يعطيهم ثواب أعمالهم ويضم الى ذلك الثواب من أقسام التفضل ما يخرج عن الحساب وقوله بغير حساب واقم في مقابلة الامثلةا يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير ثلاثين على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة وأقول هذا يدل على ان جانب الرحمة والتفضل راجع على جانب القهر والعقاب فاذا عارضنا عمومات الوعد بعمومات الوعيد وجب أن يكون الترجيح بجانب عمومات الوعد وذلك يهدم قواعد المعتزلة ثم استأنف ذلك المؤمن ونادى في المرة الثالثة وقال يا قوم مالي أدعوكم الى الهدى وتدعونني الى النار يعني أنا أدعوكم الى الايمان الذي يوجب الهدى وتدعونني الى الكفر الذي يوجب النار فان قيل لم كررناه قومه وارجاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني قلنا أما تكرر النداء ففيه زيادة تبيد لهم وايضا من سنة العقلة واطهار أن له بهذا المهم من يدهام على أو تلك الاقوام فرط شفقة وأما الحجى بالواو العاطفة فلأن الثاني يقرب من أن يكون عين الاول لأن الثاني بيان للاول والبيان عين المبين وأما الثالث فلأنه كلام مابين للاول والثاني فحسن ايراد الواو العاطفة فيه ولذا كرر هذا المؤمن انه يدعوهم الى الهدى وهم يدعونهم الى النار ففسر ذلك بانهم يدعونهم الى الكفر بالله والى الشرك به أما الكفر بالله فلأن الأكثرين من قوم فرعون كانوا يذكرون وجود الاله ومنهم من كان يقر بوجود الله الا انه كان يشبته بعبادة الاصنام وقوله تعالى وأشرك به ما ليس له علم المراد بنى العلم في المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس باله وما ليس بالله كيف يعقل جعله شريكا لاله ولما بين أنهم يدعونهم الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بالعزيز الغفار فتوجه العزيز اشارة الى كونه

الوهية الاصنام أي لا يتقطع في وقت ما فينتلب حقا ويؤيده قوله لا جرم أنه يفعل بضم الجيم و سكنون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد (وأن مردنا الى الله) أي بالموت عطف على أن ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى (وأن لمسرفين) أي في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) أي ملازموها (فستذكرون) وقرى فستذكرون أي فستذكر بضمكم بعضا عندهم عانة العذاب (ما أقول لكم) من النصائح (وأفوض أمري الى الله) فانه لما أذمهم كانوا توعده (ان الله بصير بالعباد) فيحرس من يلوذ به من المكارة

كامل القدرة وفيه تنبيه على أن الإله هو الذي يكون كامل القدرة وأما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها وأما الأصنام فإنها أحجار منحوتة فكيف يعقل القول بكونها آلهة وقوله الفخار إشارة إلى أنه لا يجب أن يكونوا آيين من رحمة الله بسبب إصرارهم على الكفر مدة مديدة فإن الله العالم وإن كان عزيزاً لا يغلب قادراً لا يغلب لكنهم كفروا سبعين سنة بآيات ساعية واحدة ثم قال ذلك المؤمن لا جرم الكلام في تفسير لا جرم مرفى سورة يهود في قوله لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون وقد أضافه صاحب الكشاف همنا فقال لا جرم مساقفة على مذهب البصريين أن يجعل لا ردالمالما دعاه أي قومه وجرم فعل بمعنى حق وإنما مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرم منكم شيئاً ثم أن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تمتدوا أي كسب ذلك الدعا أي بطلان دعوته بمعنى أنه ما حصل من ذلك الاظهار بطلان دعوته ويجوز أن يقال إن لا جرم نظيره لا بد فعل من الجرم وهو انقطع كما أن بد فعل من التبييد وهو التقريب وكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا أنه لا بد لك من فعله فكذلك لا جرم إنهم النار أي لا قطع لذلك بمعنى أنهم أبادوا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع بطلان دعوة الأصنام أي لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك في قلب حقا وروى عن بعض العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وقيل أخوان كرسدور شدو كعدم وعدم هذا كله أنماض صاحب الكشاف ثم قال إنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة والمراد أن الأوثان التي تدعونني إلى عبادتها ليس لها دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وفي تفسير هذه الدعوة احتمالان (الأول) أن المعنى أن ما تدعونني إلى عبادته ليس له دعوة إلى نفسه لأنها إجمادات والجمادات لا تدعو أحداً إلى عبادة نفسها أو قوله في الآخرة يعني أنه تعالى إذا فلبها حيواناً في الآخرة فإنها تتبرأ من هؤلاء العابدين (والاحتمال الثاني) أن يكون قوله ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة فسميت استجابة الدعوة بالدعوة اطلاقاً لاسم أحد المتضاميين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم قال وإن مررنا إلى الله فبين أن هذه الأصنام لا فائدة فيها البتة ومع ذلك فإن مررنا إلى الله العالم بكل المعلومات المتسار على كل الممكنات الغنى عن شكل الحاجيات الذي لا يبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد فأبى عاقل يجوز له عقله أن يشتغل بعبادة تلك الأشياء الباطلة وإن يعرض عن عبادة هذا الإله الذي لا بد وإن يكون مرده إليه وقوله وإن المسرفين هم أصحاب النار قال قتادة يعني المشركين وقال مجاهد السفاكين للدماء والصحيح أنهم أسرفوا في معصية الله بالكمية والكيفية أما الكمية فالدوام وأما الكيفية فبالعود والإصرار ولما بالغ مؤمن آل فرعون في هذه البيانات ختم كلامه بآياتة لطيفة فقال فستذكرون ما أقول لكم وهذا كلام مبهم يوجب التخوف ويحتمل

(فوقه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكروهم وما هموا به من الخاق أنواع العذاب من خالفهم قبل تجماع موسى عليه السلام (وحاق بال فرعون) أي فرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما آله ﴿ ٣٢٩ ﴾ فرأى جبل قائمه طالعة أخذوه فوجدوه يصلي

والوحوش مسنوف
 حوله فرجعوا ربنا فقلتم
 (سوء العذاب) العرق
 والقل والنار (النار)
 يعرضون عليها غدوا
 وعشيا) بطلبة مستأنفة
 مسوفة البيان كيفية
 سوء العذاب أو النار خير
 ميتا تحذوف كأن
 قالوا ما سوء العذاب
 فقيل هو النار ويعرضون
 استئناف البيان أو يدل
 من سوء العذاب ويعرضون
 حال منها أو من الآل
 ولا يشترط في الحيق أن
 يكون الحائق ذلك
 السوء بعينه حتى يرد أن
 آل فرعون لم يحسوا
 بعذابه بالنار ليكون
 ابتلاؤهم بها من قبيل
 رجوع ما هموا به عليهم
 بل يكفي في ذلك أن يكون
 ما يطلق عليه اسم السوء
 وقرنت منصوبة على
 الاختصاص أو باضمار
 فعل يفسره يعرضون
 مثل يصلون فإن عرضهم
 على النار باجرا فبهم بها
 من قواهم عرض
 الاسارى على السيف
 اذا قوا به وذلك
 لا رواجهم ناروى ابن

أن يكون المراد أن هذا الذك يحصل في الدنيا وهو وقت الموت وأن يكون في القيامة
 وقت مشاهدة الأهل والبالحة فهو تعذير شديد ثم قل وأفوض أمرى إلى الله وهذا
 كلام من هذب أمره يخافه فكانت خوفه بالقل وهو أيضا خوفهم بقوله فسندكرون
 ما أقول لكم ثم عول في دفع تخوفهم وكميدهم ومكرهم على فضل الله تعالى فقال
 وأفوض أمرى إلى الله وهو ما تعلم هذه الطريقة من موسى عليه السلام فإن فرعون
 لما خوفه بالقل رجع موسى في دفع ذلك الشر إلى الله حيث قال انى عدت ربى وربكم
 من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فيم نافع وأبو عمرو الياء من أمرى واليساقون
 بالاسكان ثم قال الله بصير بالعباد أى عالم بالحوالهم ويقادير حاجاتهم وتساك أحوالنا
 بقوله تعالى وأفوض أمرى إلى الله على أن الكل من الله وقالوا ان المعتزلة الذين قالوا ان
 الخير والشر يحصل بقدرتهم قد فوضوا أمر أنفسهم إليهم وما فوضوها إلى الله والمعتزلة
 تمسكوا بهذه الآية فقالوا ان قوله أفوض اعتراف بكونه فعلا مستقلا بالمثل والباحث
 المذكورة في قوله أعوذ بالله عائدة بتمامها في هذا الموضع والله أعلم وهو هنا آخر كلام مؤمن
 آل فرعون والله الهادى ﴿ قوله تعالى (فوقه الله سيئات ما مكروا وحاق بال فرعون
 سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون
 أشد العذاب واذا دعا جون في النار فتقول الضميمة الذين استكبروا اننا كنا لكم تباه فهل
 أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا اناكل فيها ان الله قد حكم بين
 العباد وقال الذين في النار لجزية جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا
 أولئك تأتيكم رسلكم بالبينات قاتلوا أولي قاتلوا قاتلوا قاتلوا الكافرين الا في ضلال)
 اعلم انه تعالى لما بين أن ذلك الرجل لم يقصر في تقرير الدين الحق وفي الذب عنه فأنه تعالى
 رد عند كيد الكافرين وقصد الشاكرين وقوله تعالى فوقه الله سيئات ما مكروا يدل على
 انه لما صرح بتقرير الحق فقد قصد به بنوع من أنواع السوء ﴿ قال مقاتل المذكر هذه
 الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم إلى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه وقيل المراد بقوله
 فوقه الله سيئات ما مكروا انهم قصدوا ادخاله في الكفر وصرفه عن الاسلام فوقه الله
 عن ذلك الا ان الاول أولى لان قوله بعد ذلك وحاق بال فرعون سوء العذاب لا يليق الا
 بالوجه الاول وقوله تعالى وحاق بال فرعون أى أحاط بهم سوء العذاب أى غرقوا
 في البحر وقيل بل المراد منه النار المذكورة في قوله النار يعرضون عليهم اقل الزجاج النار
 يدل من قواه سوء العذاب قال وجاز أيضا أن تكون مرتفعة على اعتسار تفسيره
 العذاب كأن قاتلوا ما سوء العذاب فقيل النار يعرضون عليها قرأه حاق بكسر
 الحاء وكذلك في كل القرآن والياقون بالفتح أما قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
 فمقدم مسائل (المسئلة الاولى) احتج أصحابنا بهذه الآية على اثبات عذاب القبر قوا

مسعودى الله عنه أن ارواحهم ﴿ ٤٣ ﴾ ما في اجواف طير سود تعرض على انوار بكرة وعشيا إلى يوم
 التامة ﴿ ٤٣ ﴾ ما في اجواف طير سود تعرض على انوار بكرة وعشيا إلى يوم

تعالى أعلم بحالهم وأما التأيد هذا مادامت الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال للملائكة (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أي عذاب جهنم فإنه أشد مما كانوا فيه وأشد عذاب جهنم فإن عذابها ألوان بعضها أشد من بعض وقرئ أدخلوا من الدنول أي يقال لهم أدخلوا آل فرعون ٣٣٠ فرعون أشد العذاب (وإذا تجاوزوا في النار)

الآية تقضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا وليس المراد منه يوم القيامة لأنه قال ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وليس المراد منه أيضا الدنيا لأن عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلا في الدنيا فثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء وإثبات في حقهم ثبت في حقيق غيرهم لأنه لا فائز بالفرق فإن قبل لم لا يجوز أن يكون المراد من عرض النار عليهم غدوا وعشيا عرض التمساح عليهم في الدنيا لأن أهل الدين إذا ذكروا لهم الترفيب والترهيب ونحو قودهم بعذاب الله فقد عرضوا عليهم النار ثم تقول في الآية ما يتم من حمله على عذاب القبر ويأتيه من وجهين (الأول) أن ذلك العذاب يجب أن يكون دائما غير منقطع وقوله يمرضون عليهم غدوا وعشيا يقتضي أن لا يحصل ذلك العذاب الا في هذين الوقتين فثبت أن هذا لا يمكن حمله على عذاب القبر (الثاني) أن العذوبة والعشيرة إنما يحصلان في الدنيا أما في القبر فلا وجود لهما فثبت بهذين الوجهين أنه لا يمكن حمل هذه الآية على عذاب القبر والجواب عن السؤال الأول أن في الدنيا عرض عليهم فلان تذكرهم أمر النار لأنه يعرض عليهم نفس النار فعلى قولهم يصير معنى الآية الكلامات المذكورة لأمر النار كانت تعرض عليهم وذلك ما يفهم من ترك ظاهر الماظ والدنول إلى الجوار أما قوله الآية يدل على حصول هذا العذاب في هذين الوقتين وذلك لا يجوز وإنما لا يجوز أن يكفى في القبر من حال عذاب القبر في هذين الوقتين ثم عند قيام القيامة يأتي في النار فيدرم عذابه بعد ذلك وأيضا لا يمتنع أن يكون ذكر العذوبة والعشيرة كناية عن الدوام كقولهم وأهم رزقهم فيها بكرة وعشيا أما قوله أنه ليس في القبر والقيامة فثبته وبشبهه قلنا لا يجوز أن يقال إن عند حصول هذين الوقتين لأهل الدنيا يعرض عليهم العذاب والله أعلم (المسئلة الثانية) قرأنا في حقه من الكسائي وحده عن عامر أدخلوا آل فرعون أي يقال لخزنة جهنم أدخلوهم في أشد العذاب والباقران إذا ذكروا إلى معنى أنه يقال لهم الكفار أدخلوا أشد العذاب والبراءة الأولى اختيار أي عبيد قوا حتى عابها بقوله تعالى يمرضون فهذا يفعل بهم فكذلك أدخلوا أو أواجه البراءة الثانية فتواه أدخلوا أبواب جهنم وههنا آخر الكلام في قصة مؤمن آل فرعون وأعلم أن الكلام في تلك القصة لما نجر إلى شرح أحوال النار لا جرم ذكر الله عقوبتها فممة المناظرات التي تجرى بين الرؤساء والاتباع من أهل النار فقال وإذا تجاوزوا في النار والمعنى إذا ذكر يا محمد فتومك إذا تجاوزوا أي يحتاج بعضهم ببعضهم شرح خصومتهم وذلك أن الضمائر قوا ونوا للرؤساء، أنا كذلك كما في الدنيا قال صاحب الكشاف بما كثرتم في جمع خادم أو ذوى تبع أي اتباع أو وصفها بالمصدر فهل أتم مقنون عنا نصيبا من النار أي قبول تقدرون على أن تدفعوا إليها الرساء عنا نصيبا من العذاب وأعلم أن أولئك الاتباع يعلمون أن أولئك الرؤساء لا قدر لهم على ذلك التخفيف وإنما مقصودهم

أي وإذا ذكروا تومك وقت تغابهم فيها (فيقول الضميمة) منهم (لأن الذين استكبروا) وهم رؤساء وولهم (أنا كالكلم تبعاً) أتباعا كخدم في جمع خادم أو ذوى تبع أي اتباع على اختيار المضاف أو تبع على الوصف بالمصدر مبالغة (وهل أتم مقنون عنا نصيبا من النار) بالدفع أو الحمل ونصيبا منه يوب بمفهوم يدل عليه مقنون أي ذاقون عذاب نصيبا الخ أو مقنون على نصيبه معنى الخ أي مقنون عذابا لمن نصيبا الخ أو نصيب على المصدر في كسائي قوله تعالى إن تعنى منهم أمراءهم ولا أولادهم من الله شريك له في موقع غناه وكذلك نصيبا قال الذين استكبروا التامل فيها) أي نحن وأتم فكيف تعنى عنكم ولو قدرنا لأفئتنا عن أنفسنا وقرئ كلا على التوكيد لاسم إن بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف إليه ولا

مساغ بعله حال من المستكن في الطرف فإنه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الطرف المتقدم فإنا نقول ﴿من كل يوم ناك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب﴾ (إن الله قد يجمع بين العباد)

وقضى قضاءه مما لا امر دله ولا مضب الحكمة (وقال الذين في النار) من الضعفاء والمسكرين جميعا لما صفت خيلهم
وعبت بهم علاهم (الخرقة جهنم) أي لا توام به مذيب أهل النار ووضع جهنم موضع الضمير التهويل والتفطير أو بيان مجازهم
فيما إن تكون جهنم أبعد درجات النار وفيها (٤٣١) أعني الكثرة وأطعمهم أو تكون الملازمة الموكلين بعذاب

أهلهم أفسر على الشفاعة
أزيد فر بهم من الله
تعالى (ادعوا ربكم
يخفف عنا يومنا) أي
مقدار يوم أو في يوم ما
من الأيام على أنه ظرف
للمعيار شيئاً (من العقاب)
واقصارهم في الاستدعاء
على ما ذكر من تخفيف
قدر يسير من العذاب
في مقدار قصير من
الزمان دون رفعه رأساً
أو تخفيف قدر كبير
منه في زمان مديد لأن
ذلك عندهم مما يس
في حيز الامكان ولا يكاد
يدخل تحت اعينهم
(فانسوا) أي الخزنة
(أو امك تأتيتكم رسولكم
بالبينات) أي الم تنبهوا
على هدايتكم تأتيتكم
رسلكم في الدنيا على
الاستمرار يا حبيب
الواضحة الدالة على
سوء عفة ما كنتم عليه
من الكفر والمعاصي
تأني قوله تعالى ألم يأتيكم
رسول منكم يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم
لذات يومكم هذا أرادوا
بذلك انذارهم
وتوبيخهم على انكسار

من هذا الكلام المباعدة في تخجيل أولئك الرؤساء وابلام قلوبهم لانهم هم الذين سوا
في ايقاع هؤلاء الاتباع في انواع الضلالات فعند هذا يقول الرسول انما اكل فيها يعني ان
كلنا واقعون في هذا العذاب ولو قدرت على ازالة العذاب عنك لبقوتك عن نفسي ثم
يقولون ان الله قد سحكم بين العباد يعني يحصل الى كل أحد مقدار حسنة من التعميم
أو من العذاب ثم عند هذا يحصل اليأس الاتباع من التوبين في جحيم الخزنة
جهنم ويقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يومنا من العذاب فان قيل الم اقول وقال
الذين في النار لخرقته ابل قال وقال الذين في النار لخرقته جهنم فلنا فيه وجهان (الاول)
أن يكون المتصور من ذكر جهنم التهويل والتفطير (والثاني) أن يكون جهنم اسماً
لوضع هو أبعد النار فمراد من قولهم يذبحونهم أي يبرقونهم وفيها أنظم أقسام
الكفار حقوبة وخرقة ذلك الموضع تكون أعظم خزنة جهنم عند الله درجة فلا تعرف
الكفار ان الامر كذلك استغاثوا بهم فأولئك الملائكة يقولون لهم ألم نذكركم
رسلكم بالبينات والمتصور أن قيل ارسال الرسل كان لا تقوم أن يتولوا المعاصي ما من يسير
والناظر اما بعد تجي الرسل فليبقى عند ولا علة كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولاً وهذه الآية تدل على ان الواجب لا يتحقق الا بعد مجي الشرع ثم ان أولئك
الملائكة يقولون للكفار ادعوا ربكم فانا لننجس ربكم على ذلك ولا نشفع الا بشرطين
(أولهما) كون المشفوع له مؤمناً (والثاني) حصول الاذن في الشفاعة ولم يوجد
واحد من هذين الشرطين فأقدمنا على هذه الشفاعة تمتع لكن ادعوا ربكم وليس
قواهم فادعوا ربكم المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه
فكيف يسمع دعا الكفار ثم يصرحون لهم بأنه لا اثر لدعائهم فيقولون وما دعاهم
الكافرين الا في ضلال فان قيل ان الحجة على الله تعالى واذا كان كذلك امتنع أن
يقال انه تأذى من هؤلاء المشركين بسبب جرمهم واذا كان التأذي محسباً عليه كانت
شهوة الانتقام ممتعة في حقه اذا ثبت هذا فنقول ايصال هذه المضار العظيمة الى أولئك
الكفار اضرار لا منفعة فيه الى الله تعالى ولا لاحد من العبيد فهو اضرار خال عن جميع
الجهات المتبعة فكيف يليق بالرحيم الكريم أن يبيح على ذلك الايلام ابد الآباد ودهر
الداهرين من غير أن يرحم حاجتهم ومن غير أن يسمع دعائهم ومن غير أن ينتفت الى
تضرعهم وانكسارهم ولو أن أفسى الناس قلباً فعل مثل هذا التعذيب ببعض عبيده
لدعاه كرمه ورحمته الى العفو عنه مع أن هذا السيد في محل النفع والضرر والحاجة فما كرم
الكرمين كيف يليق به هذا الاضرار فقلنا انفعال الله لا يعمل ولا يستعمل بما يفعل وهم
يسئلون فلما جاء الحكيم الحق به في الكتاب الحق وجب الاقرار به والله أعلم بالصواب
* قوله تعالى (انما نضر رسلكم والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم ولا جهنم ولا العتق ولا هم سو الدار وقد آتينا موسى الهدى وأورثنا

أوقات الدعاء وتطيل أسباب الاجابة (قالوا بلى) أي أتونا بها فكذبناهم كأنهم كانوا يقولون بلى قد آتيناها ما نذكر فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء ان أتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى (قالوا فادعوا ربكم فنجيبكم) فصححة كافي

قول من قال * فقد جثا خراسانا * أي إذا كان الأمر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يغفل ذلك مما يسحق صدورهم
عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرانه عن بيان ان سببهم كان يفسح عنه الفاء ر بما يوجبهم ان
الاذن في حيز الامكان وانهم لو اذن لهم في ٣٣٢ فيه لفعلاوا ولم يبدوا بأمرهم بالدعاء اطراهم في الاجابة بل

اقتطعهم منها واظهار
خبيثهم حسب ما سرخواه
في قولهم (وماء
الكافرين الا في ضلال)
أي ضياع واطلسان
وقوله تعالى (انا ننصر
رسلنا والذين آمنوا)
أخ كلام مستأنف مسوق
من جهته تعالى لبيان
ان ما أصاب الكفرة
من العذاب المحكي من
قروع حكم كلي تقتضيه
الحكمة وهو ان تأتينا
المستمر انا ننصر رسلنا
وأتباعهم (في الحياة
الدنيا) بالحجة والظفر
والانتقام لهم من الكفرة
بالاستئصال والقتل
والسبي وغير ذلك من
العقوبات ولا يقدح في
ذلك ما قد يقع فيهم من
صورة الغلبة المتخافتة
العبرة انما هي بالعواقب
وغاب الامر (ويوم
يقوم الاشهاد) أي يوم
القيامة عبر عنه بذلك
للاستعارة بكيفية النصر
وانها تكون عند جمع
الاوليين والآخرين
بشهادة الاشهاد
للسبيل بالتواضع وعلى
الكفرة بالتكديس (يوم
لا يفر الظالمين ولا ينجون
أي البعد عن الرحمة (ولهم جزاؤهم) ولقد آتينا

بين اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الابواب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك
وسبح بحمد ربك بالنعشي والابكار) اعلم ان في كيفية النظم وجوها (الاول) انه تعالى
لما ذكر وقاية الله بوسعي صلوات الله عليه وذلك المؤمن من مكر فرعون بين في هذه الآية
التي نصر رسله والذين آمنوا معه (الثاني) لما بين من قبل ما يقع بين أهل النار من
الخصام وانهم عند الفزع الى خزنة جهنم بقواون الميثاق التي تكلمتم بالبينات اتيم ذلك
بذكر الرسل وانهم ينصرونهم في الدنيا والآخرة (والثالث) وهو الاقرب عندى ان الكلام
في اول السورة انما وقع من قوله ما يبدل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يفررك تلقبهم
في البلاد واستدالكلام في الزد على اولئك الجنادين وعلى أن المحققين ابدأ كانوا مسوقين
يدفع كيد المبطلين وكل ذلك انما ذكره الله تعالى تسلية لرسول صلى الله عليه وسلم
وتفسيره على تحمل اذى قومك ولما بلغ الكلام في فقر بالمطلوب الى الغاية التصوي
وعنده الى رسوله بأن ينصره على أعدائه في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال انا ننصر
رسلنا الآية أما في الدنيا فهو المراد بقوله في الحياة الدنيا وأما في الآخرة فهو المراد بقوله
ويوم يقوم الاشهاد فحاصل الكلام انه تعالى وعد بان ينصر الانبياء والرسل وينصر
الذين ينصرونهم نصره بظهور أثرها في الدنيا وفي الآخرة واعلم ان نصره الله للمؤمنين يحصل
بوجوده (أحدها) ان نصره بالحجة وقد سعى الله بالحجة سلطانا في غير موضع وهذه النصره
صامه للمؤمنين أجمع ونعم ما سعى الله هذه النصره سلطانا لان السلطنة في الدنيا قد تبطل
وقد تبديل بانقر والدالة والحاجة والتصور أما السلطنة الحاصلة بالحجة فانها تبقى أبد
الآباد ويمتنع تطرف الخلل والفتور اليها (وثانيها) انهم منصورون بالمدح والاعظيم فان
الظلمة وان قهروا شخصاً من المؤمنين الا أنهم لا يقدر وون على استمات مدحه عن السنة
الناس (وثالثها) انهم منصورون بسبب ان بواطنهم مملوءة من أنوار الحجة وقوة اليقين
فانهم انما ينظرون الى الظلمة والجهال كما ينظر ملائكة السموات الى أخس الاشياء
(ورابعها) ان المبطلين وان كان يتفق لهم ان يحصل لهم استيلاء على المؤمنين في العالم
ان ذلك لا يسوم بل يكشف للناس ان ذلك كان امر او وقع على خلاف الواجب ونقض
الحق (وخامسها) ان الحق ان تتفق له ان وقع في نوع من أنواع المخذور فذلك يكون
سبباً لمن يدنو به وتهظيم درجاته (وسادسها) ان الظلمة والمبطلين كما يتوتون بموت آثارهم
ولا يبق لهم في الدنيا أثر ولا خير وأما المؤمنون فان آثارهم باقية على وجه الدهر والناس
بهم يقتدون في أعمال البر والخير والمحسنهم يتركون فهذا كله أنواع نصره الله للمؤمنين
في الدنيا (وسابعها) انه تعالى قد يثبتهم للانبياء والاولياء بعد موتهم كأن نصر يحيى بن زكريا
فانه لما قتل قتل به سبعون ألفاً وان نصرته تعالى ايها في الآخرة فذلك باعلاء درجاتهم
في مراتب الاواب وكونهم مصاحبين لانبياء الله كما قال فأوثقك مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا واعلم ان في قوله انا

لا يفر الظالمين ولا ينجون أي البعد عن الرحمة (ولهم جزاؤهم) ولقد آتينا
أي البعد عن الرحمة (ولهم جزاؤهم) ولقد آتينا

موسى الهدي (ما بهندي به من المعجزات والصحف والشرائع) (وأورشنا بني اسرائيل الكتاب) وتركنا عليهم
من بعده التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا (لاوى الابواب) الذوى العقول السلية
العاملين عا في تضاعيفه (فاصبر) على ماتك طو ٣٣٣ من اذية المشركين (ان عدالله) أى وعده الذى

لنصر رسالتنا الى قوله و يوم يقوم الاشهاد دقيقة متبرقة وهى ان السلطان العظيم اذا خص
بعض خواصه بالاكرام العظيم والتشريف الكامل عند حضور الجمع العظيم من أهل
المشرق والمغرب كان ذلك أشد وأجوع فقوله اننا ننصر رسالتنا الى يوم يقوم الاشهاد المقصود
منه هذه الدقيقة واختلافها في المراد بالاشهاد والظاهر ان المراد كل من يشهد بعمل العباد
يوم القيامة من ملك ونبي ومؤمن أما الملائكة فهم الكرام الكائون يشهدون بما
شاهدوا وأما الانبياء فقال تعالى فكيف اننا نحن من كل أمم يشهدون و نحن انك على هؤلاء
شهودا وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمم وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا قال المبرد يجوز أن يكون واحد الاشهاد شاهدا كالطيور ونظر أصحاب
وصاحب ويجوز أن يكون واحدا لاشهاد شهيدا كاشراف وشريف واتباعهم وبتيم ثم
قال تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولاهم واللعنة عليهم سوء الدار قرأ ابن كثير وأبو عمرو
وابن طاهر لا تنفع بالناء لتأنيث المعذرة والياقون بانيا كأنه أريد الاعتذار واعلم ان
المقصود أيضا من هذا شرح تعظيم ثواب أهل الثواب وذلك لانه تعالى بين أنه ينصرهم
في يوم يهتم فيه الاولون والآخرين فقال لهم في علو الدرجات في ذلك اليوم ما ذكرناه وأما
حال اعدائهم فهو أنه حصلت لهم أمور ثلاثة (أحدها) أنه لا ينفعهم شئ من المعاقرة البتة
(وثانيها) ان لهم اللعنة وهذا يفيد الحصر بمعنى اللعنة مقصورة عليهم وهى الاهانة
والاذلال (وثالثها) سوء الدار وهو العقاب الشديد فهذا اليوم اذا كان اعداء واقعين
في هذه المراتب الثلاثة من الوحشة والبلية ثم انه خص الانبياء والاولياء بأنواع
التشريفات الواقعة في الجمع الأعظم فهم يتأظهر أن سرور المؤمن كبريكون وان عظم
الكافرين الى أين تبلغ فان قيل قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يدل على أنهم يذكرون
الاعتذار الآن تلك الاعتذار لا تنفعهم فكيف يجمع بين هذا وبين قوله ولا يؤذن لهم
فيعتذرون قلنا قوله لا تنفع الظالمين معذرتهم لا يدل على أنهم ذكروا الاعتذار بل ليس فبد
الانه ليس عندهم عذر مقبول نافع وهذا القدر لا يدل على أنهم ذكروه أم لا وأيضا يقال
يوم القيامة يوم طويل فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت آخر ولما بين الله تعالى
أنه ينصر الانبياء والمؤمنين في الدنيا والآخرة ذكرنا نوعا من أنواع تلك النصرة في الدنيا
فقال ولقد آتينا موسى الهدى ويجوز أن يكون المراد من الهدى ما آتاه الله من العاوم
الكثيرة النافعة في الدنيا والآخرة ويجوز أن يكون المراد تلك الدلائل الباهرة التي
أوردناها على فرعون وأتباعه وكادهم بها ويجوز أن يكون المراد هو النبوة التي هي أعظم
المناصب الانسانية ويجوز أن يكون المراد انزال التوراة عليه ثم قال تعالى وأورشنا بني
اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاوى الابواب يجوز أن يكون المراد من الهدى ما آتاه الله من العاوم
الكثيرة النافعة في الدنيا والآخرة ويجوز أن يكون المراد من الهدى ما آتاه الله من العاوم
الكثيرة النافعة في الدنيا والآخرة ويجوز أن يكون المراد من الهدى ما آتاه الله من العاوم

ينطق به قوله تعالى
ولقد سبقت كلنا انعبادنا
المرسلين انهم لهم
المصورون وان جندنا
اهم الغابون او وعده
الخاص بك أوجع
مواعيد التي من جهتها
ذلك (حق) لا يستعمل
لاخلاف أصلا واستشهد
بجمال موسى وفرعون
(واستغفر لذيك)
تدارك المسافر ط منك
من ترك الاولى في بعض
الاحايين فانه تعالى
كافيك في نصرة دينك
واظهاره على الدين
كاه (وسبح محمد بك
بالعشى والابكار) أى
ودم على التسبيح قبل صل
بحمده تعالى وقبل صل
الهدين الوقين اذا كان
الواجب بمكة ركعتين
بكرة وركعتين عشيا
وقبل صل شكر ان بك
بالعشى والابكار وقبل
هما صلاة العصر وصلاة
الغجر (ان الذين يجادلون
في آيات الله) ويحجدون
بها (بغير سلطان أناهم)
في ذلك من جهته تعالى
وتقييد المجادلة
بذلك مع استحالة تانيه

لا يدينان بان التكلم في أمر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البتة ود بهام لكل مجادل مبطل وانزل
في مشركي مكة وقوله تعالى (ان في صدورهم الاكبر) لان أى ماني قلوبهم الا تكبر عن الحق وتكبر عن

التفكر والتعلم أو الارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق أو الارادة أن تكون النبوة انهم دونك حسداً وبقيا حسبا
قالوا اولازل هذا القرآن على رجل من انبيائهم ﴿ ٢٣٤ ﴾ عظيم وقاوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وان ذلك

والانجيل وان فرق بين الهدى والذكرى ان الهدى ما يكون دليلا على الشيء وليس من شرطه ان يذكر شيئا آخر كان معلوما ثم صار منسبا وأما الذكرى فهي الذي يكون كذلك فكتب انبياء الله مشتملة على هذين القسمين بعضها دلالات في أنفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الالهية المتقدمة ولما بين ان الله تعالى ينصر رسوله وينصر المؤمنين في الدنيا والآخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى وخاطب بعد ذلك محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فاصبر ان وعد الله حق فانه ناصر كما ناصرهم ومنجز وعده في حقه كما كان كذلك في حقهم ثم أمرهم بأن يقبل على طاعة الله النافعة في الدنيا والآخرة فان من كان لله مكان الله واعلم أن مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والاول مقدم على الثاني بحسب الرتبة الذاتية فوجب أن يكون مقدما عليه في الذكر أما التوبة عما لا ينبغي فهو قوله واستغفر لذنبك والطاعنون في عصمة الانبياء عليهم السلام يتسكون به ونحن نحمله على التوبة عن ترك الاولى والافضل أو على ما كان قد صدر عنهم قبل النبوة وقيل أيضا المقصود منه محض العبادة كما في قوله ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك فان آتاه ذلك الشيء واجب ثم انه أمرنا بطلبه وكتبه رب احكم بالحق مع اننا نعلم انه لا يحكم الا بالحق وقيل اضافة المصدر الى الفاعل والمفعول فقوله واستغفر لذنبك من باب اضافة المصدر الى المفعول أي واستغفر لذنب أمتك في حقه وأما الاشتغال بما ينبغي فهو قوله وسبح بحمديك بالعشي والابكار والتسبيح عبارة عن تزييه الله عن كل ما لا يابق به والعشي والابكار قبل صلاة العصر وصلاة الفجر وقيل الابكار عبارة عن اول النهار الى النصف والعشي عبارة عن النصف الى آخر النهار فدخل فيه كل الاوقات وقيل المراد طرفي النهار كما قال وأقم الصلاة طرفي النهار وبالجمله فالمراد منه الامر بالمواظبة على ذكر الله وأن لا يفتر الناس عنه وأن لا يغفل القلب عنه حتى يصير الانسان بهذا السبب داخلا في زمرة الملائكة كما قال في وصفهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون والله اعلم قوله تعالى (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آياتهم ان في صدورهم الاكبر ما هم بياتقون فاستعذ بالله انه هو السميع البصير خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا نسئ قليلا ما تذكرون ان الساعة لا تية لارىب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) اعلم اننا بينا ان الكلام في أول هذه السورة انما ابتدئ ردا على الذين يجادلون في آيات الله واتصل البعض ببعض وامتد على الترتيب الذي لخصناه والنسق الذي كشفنا عنه الى هذا الموضع ثم انه تعالى نبه في هذه الآية على الداعية التي تحمل أولئك الكفار على تلك المجادلة فقال ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آياتهم ان في صدورهم الاكبر ما هم بياتقون فاستعذ بالله انه هو السميع البصير خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) تحقيق الحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج ﴿ تمت ﴾

يجادلون فيها لأن فيه موقع جدال ما أو أمرهم شيئا يتوهم أن يصلح مدار المجادلانهم في الجملة وقوله تعالى (ما هم بياتقون) صفة لكبر ما هم بياتقون صفة لكبر ما هم بياتقون ما هم بياتقون مقتضى ذلك الكبر وهو ما أرادوه من الرياسة أو النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست مساحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح ابن داود يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسبب معه الانهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع اليها الملك فسمى الله تعالى تنبيههم ذلك كبروا في أن يلقوا متمناهم (فاستعذ بالله) أي فالجنى اليه من كيد من يحسدك ويغني عليك وفيه رمز الى أنه من هزات الشياطين (انه هو السميع البصير) لا قوا الكبر وأفعالكم وقوله تعالى (خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس)

أي استعذ بالله تعالى وليس الذي في السموات والارض

بقادر على أن يخلق مثلهم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لتصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلة هم واتباعهم لاهوائهم
 (وما يستوي الاعمى والبصير) ﴿ ٣٣٥ ﴾ أي الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا اله الا الله) أي

تحت يدك وأمرك ونهيك لان انبوة تحتها كل ملك ورياسة وفي صدورهم كبر لا يرضون
 أن يكونوا في خدمتك فهذا هو الذي يحملهم على هذه المجادلات الباطلة والمخاضات
 الفاسدة ثم قال تعالى ما هم ببالغيه يعني أنهم يريدون أن يكونوا تحت يدك ولا يصلون الى
 هذا المراد بل لا بد وان يصيروا تحت أمرك ونهيك ثم قال فاستعد بآية أي فالتجبي اليه من
 كيد من يجادلك انه هو السميع بما يقولون أو تقول البصير بما تعمل ويعلمون فهو
 يجعلك نافذا لحكم عليهم وبصوتك عن مكرهم وكيدهم واعلم انه تعالى لما وصف
 جدهم في آيات الله بأنه غير سلطان ولا حجة ذكر لها مثلا فقال خلق السموات والارض
 اكبر من خلق الناس والقادر على الاكبر قادر على الاصغر لا تخافه وتقرير هذا الكلام
 ان الاستدلال بالشيء على غيره على ثلاثة أقسام (أحدها) أن يقال لما قدر على الاضعف
 وجب أن يقدر على الاقوى وهذا فاسد (وثانيها) أن يقال لما قدر على الشيء قدر على مثله
 فهذا استدلال حق لما ثبت في العقول ان حكم الشيء حكم مثله (وثالثها) ان يقال لما قدر
 على الاقوى الاكبر فيسان يقدر على الاقل الاذل كان أولى وهذا الاستدلال في غاية
 الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة ثم ان هؤلاء القوم يسلمون أن خالق السموات
 والارض هو الله سبحانه وتعالى ويعلمون بالضرورة ان خلق السموات والارض أكبر من
 خلق الناس وكان من حقهم أن يقولوا بأن القادر على خلق السموات والارض يكون
 قادرا على إعادة الانسان الذي خلقه أولا وهذا برهان جلي في اقامة هذا المطلوب ثم ان
 هذا البرهان على قوته صار بحيث لا يعرفه أكثر الناس والمراد منهم الذين يتكرون المشرك
 والشركاء في هذا المثال أن هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا حجة بل
 بمجرد الحسد والجهل والكبر والتعصب ولما بين الله تعالى أن الجدال المقرون بالكبر
 والحسد والجهل كيف يكون وان الجدال المقرون بالحجة والبرهان كيف يكون نيه تعالى
 على الفرق بين البابين بذكر المثال فقال وما يستوي الاعمى والبصير يعني وما يستوي
 المستدل والجاهل المذلل ثم قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا اله الا الله فليعلموا
 أن تفاوت بين العالم والجاهل والمراد بالثاني التفاوت بين الآتي بالاعمال الصالحة وبين
 الآتي بالاعمال الفاسدة الباطلة ثم قال قليلا ما يتذكرون يعني أنهم وان كانوا يعلمون ان
 العلم خير من الجهل وان العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انه قليلا ما يتذكرون
 في النوع المعين من الاعتقاد أنه علم أو جهل والنوع المعين من العمل انه عمل صالح أو
 فاسد فان الحسد يعني قلوبهم فيعتقدون في الجهل والتقليد انه محض المعرفة وفي الحسد
 والحقد والكبر انه محض الطاعة فهذا هو المراد من قوله قليلا ما يتذكرون فراقصهم وحجرة
 والكأني يتذكرون بالثناء على الخطاب أي قل لهم قليلا ما يتذكرون والباقيون بالثناء على
 الغيبة ولما قرر الدليل الدال على امكان وجود يوم القيامة أردفه بأن أخبر عن وقوعها
 ودخولها في الوجود فقال ان الساعة لا تاتي الا بغتة وان أكثر الناس لا يؤمنون

والحسن والمسيق فلا بد
 أن تكون لهم حال أخرى
 يظهر فيها ما بين الفريقين
 من التفاوت وهي فيما بعد
 البعث وزيادة لافي المسي
 لنا كيد التي لطول الكلام
 بالصلة ولان المقصود
 نفي مساواته للحسن
 فيماله من الفضل والكرامة
 والعاطف الثاني عطف
 الموصول بما عطف
 عليه على الاعمى والبصير
 لتفسير الوصفين في
 المقصود أو الدلالة
 بالصراحة والتبديل
 (قليل ما يتذكرون)
 على الخطاب بطريق
 الالتفات أي تذكرا قليلا
 تتذكرون وقرئ على
 الغيبة والضمير للناس
 أو الكفار (ان الساعة
 لا تاتي الا بغتة لا يرب فيها) أي
 في حينها اوضح
 شواهدا واجماع الرسل
 على الوعد بوقوعها
 (ولكن أكثر الناس
 لا يؤمنون) لا يصدقون
 بها تصور أنظارهم
 على ظواهر ما يحسون
 به (وقال ربكم ادعوني)
 أي اعبدوني (استجب
 لكم) أي أجبكم لقوله
 تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين أدلاء وان فسر الدعاء بالسؤال
 كان الامر الصارف عنه

متمزلا منزلة الاستكبار عن العادة للعبادة أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أفضل أبوابها وقرئ سيدخلون على صيغة
المتن للمفعول من الادخال (الله الذي جعل لكم الليل ﴿ ٣٢٦ ﴾ لتسكنوا فيه) بأن خلقه باردا مظلم ليؤدي الى

ضيق الحركات وهدوء
الحواس وتصريحها وفيه
وتقديم الجوار والمجور
على المفعول قدم سره
مرارا (والنهار بصرا)
أي مبصرا فيسهل أوجه
(ان الله لودو فضل)
عظيم لا يوازيه ولا يدانيه
فضل (على الناس
ولكن أكثر الناس لا
يشكرون) بل هم بالنعم
واغفلوا هم مواضع النعم
وتكرار الناس التخصيص
الكفران بهم (ذنكم)
المتفرد بالافعال المتضمنة
للإلهوية والربوبية
(الله ربكم خالق كل
شيء لا اله الا هو) أخبار
متردفة تخصص
اللاحقة منها السابقة
وتقررهما وقرئ خالق
بالنصب على الاختصاص
فيكون لا اله الا هو
استثناء عما هو كالنتيجة
اللاوصاف المذكورة
(فأني توفكون) فكيف
ومن أي وجه تصرفون
عن عبادته خاصة الى
عبادة غيره (كذلك
ليؤفك الذين كانوا
بآيات الله ينجحون)
أي مثل ذلك الاك

والمراد بأكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث والقيامة قوله تعالى (وقال ربكم
ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لودو فضل على الناس ولكن أكثر
الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأني توفكون كذلك يؤفك
الذين كانوا بآيات الله ينجحون) اعلم انه تعالى لما بين ان القول بالقيامة حق وصدق
وكان من المعلوم باضرورة ان الانسان لا ينفع في يوم القيامة الا بطاعة الله تعالى لاجرم
كان الاشتغال بالطاعة من أهم المهمات ولما كان أشرف أنواع الطاعات الدعاء وانضرح
لاجرم أمر الله تعالى به في هذه الآية فقال وقال ربكم ادعوني أستجب لكم واختلف
الناس في المراد بقوله ادعوني فقيل انه الامر بالدعاء وقيل انه الامر بالعبادة بدليل انه قال
بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي ولو ان الامر بالدعاء أمر بمطلق العبادة لما بقى
لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي معنى وأيضا الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن
كقوله ان يدعون من دونه الا انانا وأجيب عند أن الدعاء هو اعتراف بالعبودية والذلّة
والمسكنة فكانه قيل ان تارك الدعاء استاركة لاجل أن يستكبر عن اظهار العبودية
وأجيب عن قوله ان الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن بأن ترك الظاهر لا يضر اليه الا
بدليل منفصل فان قيل كيف قال ادعوني أستجب لكم وقد بدعي كثيرا فلا يستجاب أجاب
الكعبي عنه بان قال الدعاء انما يصح على شرط من دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط هو
أن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة وحكمة ثم ما ن نفسه فقال فاهو أصح يفعله بلا دعا فاهو
القائدة في الدعاء وأجاب عنه من وجهين (الاول) ان فيه الفزع والاتضاع الى الله
(والثاني) ان هذا أيضا وارد على الكل لانه ان علم أنه يفعله فلا بد وان يفعله فلا فائدة
في الدعاء وان علم انه لا يفعله فإنه لا يفعله فلا فائدة في الدعاء وكل ما يقولونه هم متافهم
جوابنا هذا تمام ما ذكره عندى فيه وجه آخر وهو أنه قال ادعوني أستجب لكم فكل
من دعا الله وفي قلبه ذرة من الاعتماد على ماله وجهه وأقاربه واصدقائه وجده واجتراده
فهو في الحقيقة مادعا لله الابالسان أما ما طلب فانه معول في تحصيل ذلك المطلوب على
غير الله فهذا الانسان مادعا ربه في وقت أما اذا دعا في وقت لا يبق في القلب التفات الى غير
الله فالظاهر أنه يحصل الاستجابة اذا عرفت هذا فبه بشارة كاملة وهي ان انقطاع القلب
بالكلية عما سوى الله لا يحصل الا عند القرب من الموت فان الانسان قاطم في ذلك الوقت
بأنه لا ينفعه شيء سوى فضل الله تعالى فعلى اتقان الذي ذكرناه وجب أن يكون الدعاء
في ذلك الوقت مقبولا عند الله ونرجو من فضل الله واحسانه أن يوفقنا للدعاء المقرون
بالاخلاص والنضرح في ذلك الوقت واعلم ان الكلام المستقصى في الدعاء قد سبق ذكره
في سورة البقرة ثم قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي
صاغرين وهذا احسان عظيم من الله تعالى حيث ذكر الوعيد الذي يدل على ترك الدعاء فان

النجيب الذي لا وجه له ولا صحح أصلا ليؤفك كل من جحد بآياته تعالى أي آياته كانت لا أفكا قيل
آخره وجهه وصحح في الجملة

الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) بيان افضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء في فأحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير أى صوركم أحسن تصور **٣٢٧** حيث خلقكم منتمن القائمة بأدى البشرية متناسبي

الاعضاء والتخاطبات
 متهيئين لمراولة الصنائع
 واكتساب الكمالات
 (ورزقكم من الطيبات
 أى اللذائذ ذالكم) الذى
 نعت بما ذكر من النعمت
 الجلية (الله ربكم)
 خبر ان ذالكم (فتبارك
 الله) أى تعالى بذاته
 (رب العالمين) أى مالكهم
 ومربيهم والكل تحت
 ملكوته مقتر اليه فى ذاته
 ووجوده وسائر أحواله
 جميعا بحيث لو انقطع
 فيضه عند آتانا لنعلم
 بالكلية (هو الحى) المنفرد
 بالحياة الدائمة الحقيقية
 (لا اله الا هو) اذ لا موجود
 بذاته فى ذاته وصفاته
 وأفعاله (نادعوه) فاعبدوه
 خاصة لا اختصاص ما
 يوجد به تعالى (تخلصين
 له الدين) أى الطاعة من
 الشرك الجلى والحفى
 (الحمد لله رب العالمين)
 أى قائلين ذلك * عن ابر
 عباس رضى الله عنه ما
 من قال لا اله الا الله فليقل
 على اثرها الحمد لله رب
 العالمين (قل انى نهيت
 أن أعبد الذين تدعون
 من دون الله لما جادنى

قيل روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حكاية عن رب العزة انه قال من شغله
 ذكرى عن مسناتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين فهذا الخبر يقتضى أن ترك الدعاء
 أفضل وهذه الآية تدل على أن ترك الدعاء بوجوب الوعياك شديد فكيف الجمع بينهما فقلنا
 لاشك أن العمل اذا كان مستغرقا فى التناء كان ذلك أفضل من الدعاء لان الدعاء طلب للحفظ
 والاستغراق فى معرفة جلال الله أفضل من طلب الحفظ أما اذا لم يحصل ذلك الاستغراق كان
 الاشتغال بالدعاء أولى لان الدعاء يشتمل على معرفة عزة الربوبية وذلك العبودية ثم قال
 تعالى الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه واعلم أن تعاقبه بما قبله من وجهين (الاول)
 كأنه تعالى قال انى أنعمت عليك قبل طلبك لهذه النعم الجلية العظيمة ومن أنعم قبل
 السؤال بهذه النعم العالوية فكيف لا ينعم بالاشياء القابلة بعد السؤال (والثانى) انه
 تعالى لما أمر بالدعاء فكانه قيل الاشتغال بالدعاء لا يبد وأن يكون مسبوقا بحمد رسول المعرفة
 فالدليل على وجود الاله القادر وقد ذكر الله تعالى هذه الدلائل العشرة على وجوده
 وقدرته وحكمته واعلم اننا نينا أن دلائل وجود الله وقدرته اما فلسفية واما عنصرية أما
 الفلكليات فاقسام كثيرة (أحدها) تعاقب الليل والنهار وكان أكثره صالح العالم مر يوطا
 بهما فذكرهما الله تعالى فى هذا المقام و بين أن الحكمة فى خلق الليل حصول الراحة
 بسبب النوم والسكون والحكمة فى خلق النهار ابصار الاشياء ليحصل مكنة التصرف
 فيها على الوجه الانفع اما أن السكون فى وقت النوم سبب الراحة فيبانه من وجهين
 (الاول) ان الحركات توجب الاعياء من حيث ان الحركة توجب السخونة والجفاف
 وذلك يوجب التألم (والثانى) أن الاحساس بالاشياء انما يمكن بائصال الارواح الحسية
 الى ظواهر الحس ثم ان تلك الارواح تتحمل بسبب كثرة الحركات فتضعف الحواس
 والاحساسات واذا نام الانسان عانت الارواح الحسية فى باطن البدن وركبت وقويت
 وتخلصت عن الاعياء وأيضاً الليل بارد رطب فهو رطب برطابو يتم يتدار كان ما حصل فى
 النهار من الحر والجفاف بسبب ما حدث من كثرة الحركات فيبانه هي المنافع المطلوبة
 قوله تعالى الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وأما قوله والنهار مبصرا فاعلم ان
 الانسان مدنى بالطبع ومعناه انه ما ليحصل مدينة تامة ثم تنظم همهمات الانسان فى
 ما كواه ومشروبه وملبسه ومتكبه وتلك المهجمات لا تحصل الا باعمال كثيرة وتلك
 الاعمال تصرفات فى أمور وهذه التصرفات لا تكمل الا بالضوء والنور حتى يبين الانسان
 بسبب ذلك النور بين ما يوافقته وبين ما لا يوافقته فهذا هو الحكمة فى قوله والنهار مبصرا
 فان قيل كان الواجب بحسب رطابة النظم أن يقال هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
 والنهار لتبصروا فيه أو فجعل لكم الليل ساكنوا ولكن لم يقل كذلك بل قال فى الليل لتسكنوا
 فيه وقال فى النهار مبصرا فالقائدة فيه وأيضاً فالحكمة فى تقديم ذكر الليل على ذكر
 النهار مع ان النهار أشرف من الليل قلنا أما الجواب عن الاول فهو ان الليل والنوم فى

البيانات من ربى) من الحجج والآيات **٤٤** سا أو من الآيات لكونها مؤيدة لأدلة العقل متبهة عليها فان
 الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والآنفسية (وأمرت أن أسلم رب

المسلمين) أي بان اتساقه وأخلص له ديني (هو الذي خلقكم من تراب) أي في حين خلق آدم عليه
الصلوة والسلام منه حسبما من تحفيقه مرارا (ثم من نطفة) أي ثم خلقكم خلقا تفصيلا من نطفة أي مني
(ثم من علقه ثم نخرجكم طفلا) أي اطفالا والأفراد ٣٣٨ لارادة الجنس أو لارادة كل واحد من أفراد

(ثم لتبلغوا أشدكم) علة
ليخرجكم معطوفة على
علة أخرى له مناسبة لها
كأنه قيل ثم نخرجكم
طفلا لتكبروا وابتدأنا
ثم لتبلغوا الكرم في القوة
والعقل وكذا الكلام
في قوله تعالى (ثم لتكونوا
شيوخا) ويجوز عطفه
على لتبلغوا وقري شيخنا
كقوله تعالى طفلا (ومنكم
من يتوفى من قبل) أي
من قبل الشيخوخة بعد
بلوغ الأشد وقبله أيضا
(ولتبلغوا) متعلق بفعل
مقدر بعده أي ولتبلغوا
(أجلا مسمى) هو وقت
الموت أو يوم القيامة يفعل
ذلك (وله لكم أعمالون)
وليكن تعملوا ما في ذلك
من فنون الحكم والعبر
(هو الذي يحيى)
الأموات (ويحيى)
الأحياء أو الذي يفعل
الأحياء والأمانة (فإذا
قضى أمرا) أي أراد
أمرا من الأمور (فإنما
يقول له كن فيكون) من
غير توقف على شيء من
الاشياء أصلا وهذا تمثيل
لتأثير قدرته تعالى في
المقدورات عند تعلق

الحقيقة طبيعة عدمية فهو غير متصور بالذات اما باليقظة فأمر وجودية وهي مقصودة
بالذات وقديين الشيخ عبد القاهر العمري في دلائل الاعجاز أن دلالة صيغة الاسم على
التمام والكمال أقوى من دلالة صيغة الفعل عليه ما فهذا هو السبب في هذا الفرق والله أعلم
وأما الجواب عن الثاني فهو أن النطفة طبيعة عدمية والنور طبيعة وجودية والعدم في
المحدثات مقدم على الوجود وهذا السبب قال في أول سورة الانعام وجعل الظلمات
والنور واعلم انه تعالى لما ذكر ماني الليل والنهار من المصالح والحكم البالغة قال ان الله
لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون والمراد ان فضل الله على الحق كثير
جدا ولكنهم لا يشكرون واعلم ان ترك الشكر اوجوه (أحدها) أن يعتقد الرجل ان
هذه النعم ليست من الله تعالى مثل ان يعتقد أن هذه الافلاك واجبة الوجود لذواتها
وواجبة الدوران لذواتها فيعتقد هذا الرجل لا يعتقد أن هذه النعم من الله (وثانيها) أن
الرجل وان اعتقد أن كل هذا العالم حصل بتخليق الله وتكوينه الآن هذه النعم العظيمة
أعني نسمة تعاقب الليل والنهار لمادامت واستمرت نسبها الانسان فإذا تلبى الانسان
بفقدان شيء منها هرف قدرها مثل أن يتفق لبعض الناس والعياذ بالله أن يجسه بعض
الضلمة في آثار عبقة مضلمة مديدة فيعتقد بعض ذلك الانسان قدر نسمة الهوام الصافي
وقدر نسمة الضوء ورأيت بعض الملوك كان يعذب بعض خدمه بأن أمر أفراما حتى
ينعونه من الاستناد الى الجدار وعن النوم فتمتد وقم هذا التعذيب (وثالثها) أن الرجل
وان كان عارفا بواقع هذه النعم الا انه يكون حرا يساعى الدنيا محبا للإن والجناء فإذا غابته
المال الكثير والجاه العريض وقم في كفران هذه النعم العظيمة ولما كان أكثر الخلق
هالكين في أحد هذه الأودية الثلاثة التي ذكرنا هالاجرم قال تعالى ولكن أكثر الناس
لا يشكرون ونظيره قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور وقول ابليس ولا تجحد أكثرهم
شاكركم ولا بين الله تعالى بتلك الدلائل المذكورة وجود الاله القادر الرحيم الحكيم قال
ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لاله الا هو قال مساحب الكشاف ذلكم المعلوم المميز
بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم خالق كل شيء لاله الا هو أخبار
مترادفة أي هو الجاهم لهذه الاوصاف من الآلهة والربوبية وخلق كل شيء وانه لا ثاني
له فأي توفكون والمراد أي تصرفون ولم تعدلون عن هذه الدلائل وتكذبون بها ثم قال
تعالى كذلك يوفك الذين كانوا بآيات الله يحدون يعني أن كل من جحد بآيات الله ولم
يتأملها ولم يكن فيه همم لطلب الحق ونزف العقاب أنك كما أنكوا قوله تعالى
(الله انذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من
الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لاله الا هو فادعوه بتخصيص له
الدين الحمد لله رب العالمين قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جئني
البيئات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم نطفة ثم من

ارادته بها وتصوير اسرعة ترتيب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور والفاء حو حلقه
الاولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الأحياء والإمامة

بمعناه (لم ير الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون) تعقيب من احوالهم الشائعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يقصه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وفساد الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الخ ص ٣٣٩

علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم يتبعوا أشدكم ثم لنكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل
واتبعوا اجلاً سمى وأهلككم تعقلون) اعلم اننا بينا أن دلائل وجود الله وقدرته اما
أن تكون من باب دلائل الآفاق أو من باب دلائل الانفس أما دلائل الآفاق فالمراد كل
ما هو غير الانسان من كل هذا العالم وهي أقسام كثيرة والمذكور منها في هذه الآية
أقسام منها أحوال الليل والنهار وقد سبق ذكره (وثانيها) الارض والسماء وهو المراد
من قوله الله الذى جعل لكم الارض قراراً والسماء بناءً قال ابن عباس في قوله قراراً أى منزلاً
في حال الحياة وبعث الموت والسماء بناءً كما تبنى المضمرة على الارض وقيل مسك الارض
بلا عمد حتى أمكن التصرف عليها والسماء بناءً أى قائماً ثابتاً والوقوف علينا وأما دلائل
الانفس فالمراد منها دلالة أحوال بدن الانسان ودلالة أحوال نفسه على وجود الصانع
القادر الحكيم والمذكور منها في هذه الآية فسمان (أحدهما) ما هو حاصل ما هو حال
كامل حاله والثاني ما كان حاصله في ابتداء خلقه وتكوينه (أما القسم الاول) فأنواع
كثيرة والمذكور منها في هذه الآية انواع ثلاثة (أولها) حدوث صورته وهو المراد من
قوله وصوركم (وثانيها) حسن صورته وهو المراد من قوله فأحسن صوركم (وثالثها) انه
رزقه من الطيبات وهو المراد من قوله ورزقكم من الطيبات وقد أطنبنا في تفسير هذه
الاشياء في هذا الكتاب مراراً لاسيما في تفسير قوله تعالى واقدرنا من بنى آدم ولما ذكر
الله تعالى هذه الدلائل الخمسة اثني من دلائل الآفاق وثلاثة من دلائل الانفس قل
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين وتفسير تبارك اما الدوام والنبات واما كثرة
الخيرات ثم قال هو الحى لانه الاله وهذا يفيد الحصر وأن لاسى الاله هو فوجب أن يحمل
ذلك على الحى الذى يتمتع أن يموت امتناعاً ذاتياً وحينئذ لاسى الاله هو فكأنه أجرى الشئ
الذى يجوز زواله مجرى المعدوم واعلم ان الحى عبارة عن الدراك الفعال والدراك
اشارة الى العلم التام والفعال اشارة الى القدرة الكاملة ولما تبنى على هاتين الصفتين
من صفات الجلال تبنى على الصفة الثامنة وهى الواحدية بقوله لاله الاله وهو لما وصفت به هذه
الصفات أمر العباد بشيئين (أحدهما) بالذم (والثاني) بالاخلاص فيدفع قال فادعوه
مخلصين له الدين ثم قال الحمد لله رب العالمين فيجوز أن يكون المراد قول الحمد لله رب العالمين
ويجوز أن يكون المراد انه لما كان موصوفاً بصفات الجلال والعزة استحق لذاته أن يقال
له الحمد لله رب العالمين ولما بين صفات الجلال والعظمة قل انى نهيت أن أعبد الذين
تدعون من دون الله فأورد ذلك على المشركين بالبين قول بصرفهم عن عبادة الاوثان
وبين أن وجه النهى في ذلك ما جاءه من البيئات وتلك البيئات أن اله العالم قد ثبت كونه
موصوفاً بصفات الجلال والعظمة على ما تقدم ذكره وسريح العقل يشهد بأن
العبادة لا تليق الابد وان جعل الاجرار الممخوتة والخشب المصورة شركاءه في العبودية
مستنكر في بدعية العقل ولما بين انه نهى عن عبادة غير الله بين انه أمر بعبادة الله تعالى

الوجود هو الامنية
افارغة فلا تكرر فيه
أى انظر الى هؤلاء
المكابرين المجادلين
في آياته تعالى الواضحة
الوجبة للايمان بها
الراجعة عن الجدل فيها
كيف يصرفون عنها
مع تمام الدواعى الى
الاقبال عليها وانتفاء
الصوارف عنهما
بالكتابة وقوله تعالى
(الذين كذبوا بآياتنا)
أى بكل القرآن أو
بجنس الكتب السماوية
فان تكذيبه تكذيب
لها فى محل الجر على انه
يدل من الموصول الاول
أوفى حيز النصب أو
الرفع على الذم وإنما
وصل الموصول الثاني
بالتكذيب دون المجادلة
لان الاعتقاد وقوع
المجادلة فى بعض المواد
لا فى الكل وصيغة
الماضى للدلالة على
التحقق كما أن صيغة
المضارع فى الصلة
الاولى للدلالة على تجديد
المجادلة وتكررها
(وبما أرسلنا به رسالتنا)
من سائر الكتب أو

بطلب الوحي والشرائع (فسوف يعلمون) كنه ما فعلوا من الجدل والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته (اذا اغلغل
في أعتاقهم) ظرف يعلمون اذا المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه (والسلاسل) عطفت على الاغلال والجار
في نية التأخير وقبل مستداً حذف

خبره لدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى (يحيون) بخلاف الثالث أي يحيون بها وهو على الأولين حال من
المستكن في الظرف وقيل استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فاذا يكون حالهم بعد
ذلك فقيل يحيون (في الجميم) وقرئ بالسلاسل ٣٤٠ يحيون بالنصب وفتح الياء على تقديم

المفعول وعطف
الفعلية على الاسم
والسلاسل بالجر جلا
على المنى لان قوله
تعالى اذا اغلغلا في
أعناقهم في معنى
اعتناقهم في الاغلال
أو اصنار اللبأ ويدل
عليه القراءة به (ثم في
النار يسجرون) أي
يسجرون من سجر الثور
اذاملأه بالوقود وونه
المهبر تصديق كأنه
سجر بالحلب أي ملئ
والمراد بيان أنهم
يعذبون بأنواع العذاب
وينقلون من باب إلى
باب (ثم قيل لهم أين
ما كنتم تشركون من
دون الله قالوا ضلوا عنا)
أي يقال لهم ويقاؤون
وصيغة الماضي للدلالة
على التحقيق ومعنى
ضلوا عنا غابوا عنا
وذلك قيل أن يقربهم
آلهتهم أو ضاعوا عنا
فلم نجد ما كنا نتوقع
منهم (بل لم تكن تدعوا
من قبل شيئاً) أي بل
تبين لنا أنكم تكن تعبد
شيئاً بعبادتهم لما ظهر
لنا اليوم أنهم لم يكونوا

فقال وأمرت أن أسلم لرب العالمين وإنما ذكر هذه الأحكام في حق نفسه لأنهم كانوا
يعتقدون فيه انه في غاية العقل وكان الجوهري ومن المعلوم بالضرورة ان كل أحد فانه
لا يريد لنفسه الا الافضل الاكمل فاذا ذكر ان مصلحتهم لا تتم الا بالاعراض عن غير الله
والاقبال بالكلية على طاعة الله فظهر به ان هذا الطريق اكمل من كل ما سواه ثم قال هو
الذي خلقكم من تراب واعلم انما قد ذكرنا أن الدلائل على قسمين دلائل الآفاق والانس
أما دلائل الآفاق فكثيرة والمذكور منها في هذه الآية أربعة الميزل والنهار والارض
والسماء وامادلائل الانفس فقد ذكرنا أنها على قسمين (أحدهما) الاحوال الحاضرة
حال كل النعمة وهي أقسام كثيرة والمذكور ههنا منها ثلاثة أنواع الصورة وحسن
الصورة ورزق الطيبات (وأن القسم الثاني) وهو كيفية تكون هذا البدن من ابتداء
كونه نطفة وحينئذ الى آخره شيوخوخة والموت فهو المذكور في هذه الآية فقال هو
الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة فقيل المراد آدم وعندى لا حاجة اليه لان كل انسان
فهو مخلوق من المنى ومن دم الطمخ والمنى مخلوق من الدم فالانسان مخلوق من
الدم والدم اما يتولد من الاغذية والاعذية اما حيوانية واما نباتية والحال في تكون ذلك
الحيوان كالجمال في تكون الانسان فالاعذية بأسرها منتبهة الى النباتية والنبات اما
يكون من التراب والماء فثبت ان كل انسان فهو متكون من التراب ثم ان ذلك التراب
يصير نطفة ثم علقته ثم بعد كونه علقته مراتب كثيرة الى ان يفصل من بطن الام قاله تعالى
ترك ذكرها ههنا لاجل انه تعالى ذكرها في سابق الآيات واعلم انه تعالى رتب عمر الانسان
على ثلاث مراتب أولها كونه طفلاً وثانيها أن يبلغ أشده وثالثها الشيخوخة وهذا ترتيب
صحيح مطابق للعقل وذلك لان الانسان في أول عمره يكون في التزايد والنشوء والنماء وهو
المسمى بالطفولية والمرتبة الثانية أن يبلغ الى كمال النشوء والى أشد السن من غير أن يكون
قد حصل فيه نوع من أنواع الضعف وهذه المرتبة هي الراد من قوله لتبلغوا
أشدكم والمرتبة الثالثة أن يتراجع ويظهر فيه أثر من آثار الضعف والنقص وهذه المرتبة
هي المراد من قوله ثم انكوتوا شيوخاً واذا عرفت هذا التقسيم عرفت ان مراتب
العمر بحسب هذا التقسيم لا تزيد على هذه الثلاثة قال صاحب الكشاف قوله لتبلغوا أشدكم
متعاقب يفعل محذوف تقديره ثم يقبكم لتبلغوا ثم قال ومنكم من يتوفى من قبل أي من قبل
الشيخوخة أو من قبل هذه الاحوال اذا خرج ستطاً ثم قال ولتبلغوا أجالهم ومعناه
يفعل ذلك لتبلغوا أجالهم وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة ثم قال واعلمكم تعقلون
ما في هذه الاحوال العجيبة من أنواع العبر وأقسام الدلائل * قوله تعالى (هو الذي يحيى
ويميت فاذا قضى أمراً فاما يقول له كن فيكون) اعلم انه تعالى لما ذكر انتقال الانسان
من كونه تراباً الى كونه نطفة ثم الى كونه علقته ثم الى كونه طفلاً ثم الى بلوغ الأشد ثم الى
الشيخوخة واستدل به في التغيرات على وجود دالاه القادر قال بعده هو الذي يحيى ويميت

شيأ يعتقد به كقولك حسبه شيأ فلم يكن (كذلك) أي مثل ذلك الضلال العظيم (بضل الله الكافرين) حيث (يعني)
لا يهتدون الى شيء ينفعهم في الآخرة أو كاضل عنهم آلهتهم بضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصافوا
(فلكم) الاضلال (بما كنتم تفرحون في الارض)

أي بطرون وشكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والظلمان (وبما كنتم تفرحون) ثنوسعون في البطرون والاشتر والالغيات للباغية في التوبيخ (ادخلوا ابواب جهنم) أي ابواب السبعة المسمومة لكم (خالدين فيها) مقدرًا خلودكم فيها (فبئس مثوى المتكبرين) أي ﴿٣٤١﴾ من الحق والتعبر عن مدخلهم بالثوى ليكون دخولهم بطريق الخلود (فاصبر) إلى أن يلاقوا ما أعد لهم من العذاب (أن وعد الله) بتعذيبهم (حق) كأن لا محالة (فما ترى) أي فان ترك وما من يدق تأسد الشرايطية والذات لحقت التون الفعل ولا تلحقه معان وحدها (بعض الذي نعدهم) وهو القتل والاسر (أو توفيتك) قبل ذلك (فأينما يرجعون) يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم وهو جواب توفيتك وجواب نرىك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى أن نعدبهم في حياتك أول نعدبهم فانا نعدبهم في الآخرة أشد العذاب وأفضله كما ينبغي عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعنى (واقدم أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) إذ قيل عدد الأنبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفا والمدكور قصصهم أفراد

يعني كما أن الانتقال من صفة إلى صفة أخرى من الصفات التي تقدم ذكرها يدل على الإله القادر فكذلك الانتقال من الحياة إلى الموت وبالعكس يدل على إله القادر وقوله فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون فيه رجوه (الأول) معناه إنما نقل هذه الأجسام من بعض هذه الصفات إلى صفة أخرى لم يتعب في ذلك التصرف ولم يتوجه إلى التوارد فغير عن نفاذ قدرته في الكائنات والمحدثات من غير معارض ولا مدافع بما إذا قال كن فيكون (الوجه الثاني) أنه تعبر عن الأحياء والاموات بقوله كن فيكون فكأنه قيل الانتقال من كونه ترابا إلى كونه نظفة ثم إلى كونه عذبة الثقات تحصل على التدرج قليلا قليلا وأما صيرورة الحياة فهي إنما تحصل لتعلق جوهر الروح النطقية به وذلك يحدث دفعة واحدة فهذا السبب وقع التعبير عنه بقوله كن فيكون (الوجه الثالث) أن من الناس من يقول إن تكون الإنسان إنما يعتقد من المني والدم في الرحم في مدة معينة ويحسب انتقاله من حالات إلى حالات فكأنه قيل أنه يمتنع أن يكون كل إنسان عن إنسان آخر لأن السلسل محال ووقوع الحادث في الأزل محال فلا بد من الاعتراف بإنسان هو أول الناس فحينئذ يكون حدوث ذلك الإنسان لا بواسطة المني والدم بل بإيجاد الله تعالى ابتداء فغير الله تعالى عن هذا المعنى بقوله كن فيكون * قوله تعالى (لم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وما أرسلنا به رسلا فوسف يعلمون إذا اغلغلا في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله فآواضوا وإنما لم تكن تدعوا من قبل شيا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) اعلم أنه تعالى عاد إلى ذم الذين يجادلون في آيات الله فقال ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون وهذا ذم لهم على أن جادلوا في انكار آيات الله ودفعا لها والتكذيب بها فعبى تعالى منهم بقوله أنى يصرفون كما يقول الرجل لمن لا يبين أنى يذهب بك تعبعا من غفلة ثم بين أنهم هم الذين كذبوا بالكتاب أي بالقرآن وبما أرسلنا به رسلا من سائر الكتب فان قيل سوف الاستقبال واذا للماضي فقوله فسوف يعلمون إذا اغلغلا في أعناقهم مثل قولك سوف أصوم أمس فمما المراد من قوله اذهو إذا لان الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة متطوعا بما عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال هذا اللفظ صاحب الكشف ثم انه تعالى وصف كيفية عقابهم فقال إذا اغلغلا في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم والمعنى أنه يكون في أعناقهم الاغلال والسلاسل ثم يسحبون بتلك السلاسل في الحميم أي في الماء المسخن ينار جهنم ثم في النار يسجرون والسجور في اللغة الايقاد في التور ومعناه أنهم في النار فهي محيطه بهم ويقرّب منه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله فآواضوا

معدودة وقيل أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما كان لرسول) أي وما صح وما استقام لرسول منهم (أن يأتي بآية إلا بآذن الله) فان المعجزات على نزع فتونها أعطيا من الله تعالى قسمها بينهم حسب اقتضاه

مشتقة من النبي صلى الحكيم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايجار بعضها والاستعداد باثبات المترح منها (فاذا جاء امر الله) بالعذاب في الدنيا والآخرة (قضى بالحق) باجاء الحق واثابته واهلاك الباطل وتعذيبه (وخسر هناك) أي وقت يحيى أمر الله اسم مكان استعير الزمان (المبطلون) أي المتكفرون (٣٤٢) بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم

المعاندين المترحون دخولا
دنا أي قابوا عن عبوديتنا فلا تراهم وانما تشفع بهم ثم قالوا بل لم نكن ندعوهم من قبل شيأى
تبين لنا أنهم لم يكونوا شيأى وما كنا نعبدهم بعد ما دعوتهم شيأى كما تقول حسبت أن فلانا شيأى فاذا هو
ليس بشيأى اذا جرحه فم لم تجد عنده خيرا ويجوز أيضا أن يقال أنهم كذبوا وانكروا أنهم
عبدوا غير الله كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الانعام أنهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ثم
قال تعالى كذلك يضلل الله الكافرين قال القاضي معناه انه يفضلهم عن طريق الجنة اذ
لا يجوز أن يقال رضاهم عن الجحيم اذ قد دعاهم في الدنيا الى ما اوقل صاحب الكشاف كذلك
يضلل الله الكافرين مثل ضلال الالهة من عندهم ضلواهم عن آياتهم حتى أنهم اوطبوا والآلهة
أو طابوهم الآلهة لم يجد أحدهم الا شر ثم قال ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض أي
ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة
الاصنام ادخلوا ابواب جهنم السبعة المتسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل
باب منهم جزء مقسوم فإذ من فيها ليس مني من المشركين والمراد مند ما قال في الآية
المتقدمة في صفة هؤلاء الجاهدين ان في صدورهم الاكبر قال تعالى (فاصبر ان وعد الله
حق فاما ترى انك بعض الذي تعدهم أو تتوفيك قالينار بعبودون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله
فاذا جاء امر الله قضى بالحق وخسر هناك المبطلون) اعلم انه تعالى لما تكلم من أول السورة
الى هذا الموضع في تزييف طرفة الجاهدين في آيات الله أمر في هذه الآية برسوله بأن يصبر
على ايديهم وابعاشهم تلك المجادلات ثم قال ان وعد الله حق وعني به ما وعد به الرسول من
نصرتة ومن انزال العذاب على أعدائه ثم قال فاما ترى انك بعض الذي تعدهم يعني أولئك
الكفار من أنواع العذاب مثل القتل يوم بدر فذلك هو المطلوب أو تتوفيك قبل انزال
العذاب عليهم فإني ارجعون يوم القيامة فنتقم منهم أشد الانتقام ونظيره قوله تعالى فلم
نذهب بك فإنا نهم منتقمون أو ترى انك بعض الذي وعدناهم فإنا عليهم مقدرون ثم قال تعالى
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك والمعنى أنه قال
لمحمد صلى الله عليه وسلم أنت كإرسال من قبلك وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم تذكر حال الباقين
وايس فيهم أحدا أعطاه الله آيات ومعجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فيها وجرى عليهم
من الهمة ما يقارب ما جرى عليك فصبروا وكانوا اليدا يقترحون على الانبياء اظهارة المعجزات
الزائدة على قدر الحاجة على سبيل العناد والتعنت ثم ان الله تعالى لما علم أن الصلاح في
اظهار ما أظهره والام يظهره ولم يكن ذلك قادحا في نبوتهم فكذلك الحال في اقتراح قوتك
عليك المعجزات الزائدة للملم يكن اظهارة صلاحا لاجرم ما أظهرناها وهذا هو المراد من قوله
وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله ثم قال فاذا جاء امر الله قضى بالحق وهذا وعيد
ورد عقب اقتراح الآيات وأمر الله بالقيامه والمبطلون هم المعاندون الذين يجادون في
آيات الله ويقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت قوله تعالى (الله

أوليا) الله الذي جعل
لكم الانعام) قيل من
الابل خاصة أي خلتها
لاجلكم و مصلا لكم
وقوله تعالى (لتركبوا
منها و منها تاكلون)
تفصيل لما دل عليه
اللام اجتماعا ومن لا بداء
الغاية ومعناها ابتداء
الركوب والاكل منها
أي تعلقها بما بها وقيل
للتبعض أي لتركبوا
بعضها وتاكلوا بعضها
لا على أن كلاما من الركوب
والاكل مخصص ببعض
معين منها بحيث لا يجوز
تعلقه بما تعلق به
الاخر بل على أن كل
بعض منها صالح لكل
منها معا وتغيرا لنظم
الكريم في الجملة الثانية
لمراعاة الفواصل مع
الاشعار بأصالة الركوب
(ولكم فيها منافع)
أخر في الركوب والاكل
كأليانها وأوبارها
وجلودها (وتلبثوا
عليها حاجة في صدوركم)
يحمل أنفالك من بلد
الى بلد (وعليها وعلى
الفلك تحملون) اعل

المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك الذي
في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفن البر وقيل هي الأزواج الثمانية في الركوب والاكل منها تعلقها
بها اكل لكن لا على أن كلامنا محذور تعلقه بها منها
ذلك

ولا على أن كلامهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما يتعلق به الآخر بل على أن بعضها يتعلق به
الأكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالإبل والبقر والمنافع نعم الكلى وبلوغ الحاجة عليها يم البقر
(وير يكم آياته) دلالة السائلة على كل قدرته ووفور رحنه (فأى آيات الله) أى فأى آية من تلك الآيات الباهرة
(تتكرون) فإن كلامهما من الظهور $\frac{1}{2}$ ٣٤٣ $\frac{1}{2}$ بحيث لا يكاد يجترى على انكارها من له عقل فى الجملة وهو

ناصب لآى واصنافه
الآيات الى الاسم
الجليل لقرينة المهابة
وتحويل انكارها
مثل كونه هيا

الذى جعل لكم الانعام لتركبوها ومنها ما تكون ولكم فيها منافع ولتبتغوا عايدم الحاجنة
فى صدوركم وعليها وعلى الفاك تحملون وير يكم آياته فأى آيات الله تتكرون) اعلم انه تعالى
لما اظنبت فى تقرير الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود الاله الحكيم الرحيم والى ذكر
ما يصلح أن يعد انعاما على العباد قال الزجاج الانعام الابل خاصة وقال القاضى هى
الانعام الثلاثة فى الآيات $\frac{1}{2}$ ٣٤٣ $\frac{1}{2}$ والى آيات الله تتكرون

والتعظيم والصنائع ومخوذلك وهو عظم الانبياء الذي اظهره رسالهم على ان معنى فرحهم به صحتهم عنه واستهزائهم به
ويؤيده قوله تعالى (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وقيل الفرخ ايضاً للرسول فانهم لما شاهدوا اتماذي جهلهم وسوء
عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
(فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا ومدة قوله تعالى بمذاب بئس (قائوا) ٣٤٤ ﴿ آمن بالله وحده وكفروا بما كُتبه مشركين

يعتبر الاصلام (فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما رأوا
بأسنا) أي عند رؤية
عذابنا لم تنتفع قبواه
حينئذ ولذلك قيل فلم يك
يعني لم يصح وان يستقيم
والفاء الاولى بيان عاقبة
كثرتهم ومدة قوتهم وما
كانوا يكسبون بذلك زعم
منهم ان ذلك يغني عنهم
فلا يرتب عليه الاغتراب
الاغتراب فيها الاغتراب
جري مجرى النتيجة
وان كان عكس الغرض
وتفويض المطلوب
بما في قولك وعظمت لهم
يعطف والثانية تفسير
وتفصيل لما ابراهم وأجل
من عدم الاغتراب وقد كثرت
في الكلام مثل هذا الفاء
ومعناها على ان التفسير
بعذابهم والتفصيل
بعد الاجمال والثالثة
لتجرد التعقيب وجعل
ما بعدها تابعاً لما قبلها
واقعا عقيداً لان مضمر
قوله تعالى فلما جاءتهم
النج هو انهم كفروا فصار
مجموع الكلام بمنزلة
ان يقال فكفروا ثم لما رأوا

المتردين ليست الا الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عدداً وما لا وجهاً من هؤلاء
المتأخرين فلما لم يستفيدوا من تلك المكتبة العظيمة والدولة القاهرة الا الحمية والخسار
والخسرة والبوار فكيف يكون حال هؤلاء المتكفراء المساكين أمالين انهم كانوا اكثر
هؤلاء عدداً فلما يعرف في الاخبار وأما انهم كانوا أشد قوة وأكثر في الارض فلانه قد
بقيت آثارهم بمحسون عظيمة بعدهم مثل الاهرام الموجودة بصر ومثل هذه البلاد
العظيمة التي بناها الملوك المتقدمون ومثل ما حكى الله عنهم من انهم كانوا يفتخرون من
الجمال بيوثانهم قال تعالى فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون، ما في قوله فأغنى عنهم نافية
أو مضمنة عن الاستغناء ومحلها النصب وما في قوله ما كانوا يكسبون موصولة
أو مصدرية وتوحيدها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم ثم بين تعالى أن
أولئك الكفار الجاهلهم رسالهم بالبينات والمعجزات فرحوا بما عندهم من العلم واعلم ان
الضمير في قوله فرحوا يحتمل أن يكون عائداً الى الكفار وأن يكون عائداً الى الرسل اما اذا
قلنا انه عائداً الى الكفار فذلك العلم الذي فرحوا به أي علم كان وفيه وجوه (الاول) أن
يكون المراد الاشياء التي كانوا يصنعونها بالعلم وهي الشبهات التي حكاه الله عنهم في القرآن
كشواهم وما يملكون إلا ابدانهم وقولهم اوشاء الله ما أشركنا ولا آباءنا وقولهم من يعجبني العظام
وهي رميم وأن رددت الى ربي لأجدن خيراً منها من قبلي كانوا يفرحون بذلك ويدفعون به
علوم الانبياء كما قال كل حرب بما لديهم فرحون (الثاني) يجوز أن يكون المراد علوم
الفلاسفة عندهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علومهم وعن
سقراط انه سمع النبي بعض الانبياء فيقول له اوه اجرت اليه فتبأن من قوم مهديون فلا حاجة
بنا الى من يهدينا (الثالث) يجوز أن يكون المراد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها
يقول تعالى يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مما يعجبهم من
العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم السماوات وهي معرفة الله تعالى ومعرفة المعاد ونظير النفس
عن الرذائل لم يلبثوا اليها واستهزؤا بها واعتقدوا أنها لا علم أنفع واجلب لفلان فلما علمهم
فرحوا به أما اذا قلنا الضمير عائداً الى الانبياء ففيه وجهان (الاول) أن يجعل الفرخ للرسول
ومعناه ان الرسل لما رأوا من قوتهم جهلاً كاملاً واعراضاً عن الحق وعملوا سوء عاقبتهم
وما يلحقهم من العتور بشيء من جهلهم واعراضهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه
وحق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (الثاني) أن يكون المراد فرحوا بما عندهم الرسل
من العلم فرحوا به واستهزؤا به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبالجملة وانه من علم الوحي
فرحين ويشن عليه قواً تعالى وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن ثم قال تعالى فلما رأوا بأسنا
قاروا آمن بالله وحده وكفروا بما كُتبه مشركين البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى
بعباب بئس فلن قيل أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبين ما لوقيل فلم ينفعهم
ايمانهم فلنا هو مثل كان في نحو قوله ما كان الله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم

بأسنا آمنوا والراغب في قوله طمأنينة لان النافع هو الايمان الاختياري (سنة الله التي) (ان
قد خلت في عباده) أي سن الله تعالى ذلك سنة ما شئت في العباد وهو من المصادر المؤكدة (وخسر هؤلاء الكافرون)
أي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المؤمنون لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

﴿سورة السجدة مكية وآياتها ثلاث أو أربع وخمسون آية﴾ * ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * (حم) ان جعل اسمها للسورة فهو ما خبرياتها المحذوف وهو الاظهر الامر سره مرارا او مبتدأ خبره (تنزيل) وهو على الاول خبر بعد خبر وخبرياتها المحذوف ان جعل مسره داعلي نخط التعدي وقوله تعالى (من الرحمن الرحيم) متعلق به مؤكدا لسأفاده الثوبين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ﴿٣٤٥﴾ او خبر آخر او تنزيل مبتدأ لخصصه بالصفة خبره (كتاب)

وهو على الوجه الاول يدل منه أو خبر آخر أو خبر المحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايدان بأنه مدار المصالح الدينية والسيوية واقع بمقتضى الرحمة الربية حسبما ينشئ عنه قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (فصلت آياته)

ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في أساليب مختلفة ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواضع وأمثال ووعد ووعد وقرى فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الأساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا (قرآن عريبا) نصب على المدح أو الخالية من آداب التخصصه بالصفة أو من آياته (تقوم بعلوم) أي معانيه لكونه على اسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم

ان يفهم ايمانهم فان قيل اذكروا ضابطا في الوقت الذي لا يقع الايمان بالايمان فيه فلتنا انه الوقت الذي يعاين فيه نزول ملائكة الرحمة والعذاب لان في ذلك الوقت يصير المرء ملجأ الى الايمان فذلك الايمان لا ينفع انما ينفع مع القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا أما اذا طوى واعلامات الآخرة فلا يتم قال تعالى سنة الله التي قد خلت في عباده والمعنى ان عدم قبول الايمان حال اليأس سنة الله مطردة في كل الامم قال وخسر هنالك الكافرون فقوله هنالك مستعار للزمان أي وخسر واوقت روية اليأس والله الهادي للصواب * تم تفسير هذه السورة يوم السبت الثاني من ذي الحجة من سنة ثلاث وستمائة من الهجرة في بلدة هراة * يامن لا يبالغ أدنى ما استأثرت به من جلالك وعزتك أقصى نعوت الثائغين يامن تقاصرت عن الاحاطة بعبادى اسرار كبريائه أفهام المنفكرين وأنظار المتألمين لا تجمنا بفضلك ورحمتك في زمرة الخاسرين المبتلين ولا تجعلنا يوم القامة من الخسر ومين فانك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين وصلوات الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه أجمعين

﴿سورة فصلت السجدة خمسون وأربع آيات مكية﴾ *
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) تنزيل من الرحيم كتاب فصلت آياته قرآن عريبا تقوم بعلوم يعلمين بشرا ونذيرا فأعرض عنهم فهم لا يسمعون وقالوا طوبى لنا قبيح ما كنا نعبدون الله في الدنيا وقروا من ينشأ وينك حجاب فاعمل الصالحين من انما اناسم منكم بوحى الى انما اليحكم الله الواحد فاستحيوا اليه واستغفروه وويل للمتسركين الذين لا يؤمنون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اعلم ان في اول هذه السورة احتمالات (أشدها) وهو الاقوى ان يقال حم اسم السورة وهو في موضع المبتدأ وتنزيل خبره (وثانيها) قال الاخفش تنزيل رفيع بالابتداء وكتاب خبره (وثالثها) قيل ازجاج تنزيل رفيع بالابتداء وخبره كتاب فصلت آياته وجهه ان قوله تنزيل لخصصه بالصفة وهو قوله من الرحمن الرحيم فيجازه وقوله مبتدأ * واعلم انه تعالى حكى على السورة المسماة بحم بأشياء (أولها) كونها تنزيل بالاول والراد المنزل والسير عن المقبول المصدر مجاز وشهور يقال هذا بناء الامير أي عتبة وهذا الدرهم ضرب من السلطان أي مضمرة به والراد من كونها من لان الله تعالى كتبها في الموح المحفوظ بأمر جبريل عليه السلام بأن يحفظ تلك الكلمات ثم ينزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم ويأمر بها الدنيا حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل عليه السلام سمي لذلك تنزيلا (وثانيها) كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على كون التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان العمل القرون بالصفة لا يد وأن يكون مناسبات تلك الصفة فكونه تعالى رحمانا رحيم صفتان دالتان على كمال

المتقون به واللام ﴿ ٤٤ ﴾ سا متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى قرآنا أي كأننا تقوم الخ أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم ليست بصفة له أو بصفات (بشرا ونذيرا) صفتان آخرتان قرآنا أي بشرا لاهل السعادة ونذيرا لاهل المعصية أو حالان من كتاب أو من آياته وقرآنا برفع على الوصفية لكتاب أو الخبرية بالمحذوف (فأعرض أكثرهم) عن تدبره مع كونه على انهم (فهم لا يسمعون) سمع تفكر وتأمل حتى يفهموا حلالة قدره فؤمنوا به (وقالوا) أي رسول الله

صلى الله عليه وسلم عند ذمونه اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن (قلو بنا في الكفة) اي الخطيئة متكافئة (مما تدعو اليه وفي اذنانا قر) اي صم واصله الثقل وقرى بالكسر وقرى بفتح القاف (ومن ينسا او يترك حجاب) غليظ يمنعا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة وابقى ثمة فراغ أصلا وهذه تشيلات انبوة لو بهم عن ادراك ﴿ ٣٤٦ ﴾ الحق وقوله ووج اسماءه له كأن بها صمما وامتاع

مواصلتهم و موافقتهم
 للرسول عليه الصلاة
 والسلام (فاعل) أي
 على دينك وقيل في ابطال
 أمرنا (انما دعا مون) أي
 على ديننا وقيل ابطال
 امرنا والاول هو الاظهر
 فان قوله تعالى (قل انما
 انا بشر مثلكم يوحى الي
 أنا الهكم اله واحد)
 تدوين للجواب عند أي
 است من جنس مغاير
 لكم حتى يكون بيني
 وبينكم حجاب وتبيان
 مستحج لتبيان الاعمال
 والاديان كما ينبغي عند
 قولكم فاعمل انما دعوا لور
 بل انما انا بشر مثلكم
 ما مورعنا أمرتم به
 حيث أخبرنا جميعا
 بانو حيد بخطاب جهام
 بيني وبينكم فان الخطاب
 في الهكم محكي منتظم
 لا لكل لانه خطاب منه
 عليه الصلاة والسلام
 لا كفره كما في مثلكم وقيل
 المعنى استت ما كما
 ولا جنبا لا ينكم التناق
 منه ولا ادعوكم الى
 ما تدعو عنه العتول
 والاسماع وانما ادعوكم
 الى التوحيد والاستقامة

الرحمة فالتزبل المتضاف الى هاتين الصفتين لا بد وأن يكون دالا على أعظم وجوه النعمة
 والامر في نفسه كذلك لان الخلق في هذا العالم كالمريض والزمي والمحتاجين والقرآن
 مشتمل على كل ما يحتاج اليه المريض من الادوية وعلى كل ما يحتاج اليه الاصحى من الاغذية
 فكان أعظم النعم عند الله تعالى على أهل هذا العالم انزال القرآن عليهم (ومثالها) كونه
 كما بارق دينا أن هذا الاسم مشتق من الجمع وانما سمي كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين
 والآخرين (ورابعها) قوله فصوات آياته والمراد انه فرقت آياته وجمعت تفاصيل في معان
 مختلفة فبعضها في وصف ذات الله تعالى وشرح صفات التنزيه والتقدس وشرح كمال
 علمه وقدرته ورحمته وحكمته وبحجائب أحوال خلقه السموات والارض والكواكب
 وتعاقب الليل والنهار وبحجائب أحوال النبات والحيوان والانسان وبعضها في أحوال
 التكليف المتوجهة نحو القلوب ونحو الجوارح وبعضها في الوعد والوعيد والثواب
 والعقاب ودرجات أهل الجنة ودرجات أهل النار وبعضها في المواضع والتفاصيل وبعضها
 في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الاولين وتواريخ ناصحين وبالجملة
 فن انصف علم أنه ليس في هذا الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة والمباحث المتباينة
 مثل ما في القرآن (وخامسها) قوله قرآنا والوجه في تسميته قرآنا قد سبق وقوله تعالى قرآنا
 نصب على الاختصاص والمدح أي أر يدب هذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت
 وكيت وقيل هو نصب على الخال (وسادسها) قوله عز ييا والمعنى ان هذا القرآن انما نزل
 بلغة العرب وانما كنهه ذاب قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه (وسابعها) قوله
 تعالى لقوم اعلمون والمعنى انما جعلناه عز ييا للاجل اننا انزلناه على قوم عرب فعملناه بلغة
 العرب ليعرفها عوامه المراد فان قيل قوله لقوم اعلمون متعلق بما اذا قلنا يجوز ان يتعلق بقوله
 تنزيل او بقوله فصلت أي تنزيل من الله لا لجهلهم او فصوات آياته لا لجهلهم والاجود ان
 يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآنا عز ييا كما ان قوم عرب للايقظ بين الصلوات
 والصفات (وثامنها وتاسعها) قوله بشيرا ونذيرا يعز بشيرا للطمعيين باشواب ونذيرا
 للمجرمين بالعقاب والمعنى ان قرآن بشاره ونذارة الا انه أطلق اسم الفاعل عليه للتبيه
 على كونه كاملا في هذه الصفة كما يقال شعر شاعرو كلام قائل (الصفة العاشرة) كونهم
 معرضين عند الاستعانة ولا يلبثون اليه فهذه هي الصفات العشر التي وصف الله القرآن
 بها وتفرع عليها مسائل (المسئلة الاولى) القائلون بخلق القرآن احتجوا بهذه الآية من
 وجوه (الاول) انه وصف القرآن بكونه تنزيلا وتنزلا والمنزل والتنزيل مشعر بالتصيير من
 حال الى حال فوجب ان يكون مخلوقا (الثاني) ان التنزيل مصدر والمصدر هو المفعول
 المطلق او المصنوع الذي هو المفعول (الثالث) المراد بالكتاب اما الكتاب وهو المصدر الذي هو المفعول
 المطلق او المصنوع الذي هو المفعول (الرابع) ان قوله فصلت يدل على ان متصرفا
 يتصرف فيه بالتفصيل والتبويب وذلك لا يليق بالقديم (الخامس) انه انما سمي قرآنا لانه قرن

في العمل وقد تدلل عليه ما دلائل العقل وشواهد التمثل وقيل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم ﴿ بعض ﴾
 وقد أوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وانا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب علىكم اتباعى فتأمل والفساء في قوله
 تعالى (فاستمعوا اليه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من اشارة الوجدانية فان ذلك موجب لاستماعهم اليه تعالى
 بالتوحيد والاخلاص في الاعمال (واستغفروه)

فما كنتم عليه من سوء العقيدة والفعل وقوله تعالى (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) رهيب وتغيير لهم عن الشرك الرثيبهم في التوحيد وصفهم بقوله تعالى (الذين لا يؤمنون بالآخرة) زيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل (وهم بالآخرة هم كافرون) وهو عطف على يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية في ٣٤٧ لئلا يظن عدم إيمانها بتجدد الكفر أمر مستر ونقل عن ابن عباس

رشي الله عنهم ما أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكاة الانفس والنفوس لا يظهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى وتفسر وما سواها وقال الضعيفك ومقاتل لا يتقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يكون أعمالهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أي لا يمن عليهم من المن وأصله الأكل أو لا يقطع من منت الحبل قطعه وقيل نزلت في المرضى والهري اذا تجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما صح ما كانوا يعملونه (قل انكم تكفرون) انكاره تشبيها لكفرهم وان واللام اما لنا كيد الانكار وتقديم الشهرة لاقتضاها الصدارة لانكار التأكيد واما الاشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء

بعض اجزائه بالبعض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل ويجعل جاعل (السادس) وصفه بكونه عربيا وانما سمحت هذه النسبة لاجل ان هذه الالفاظ انما دخلت على هذه المعاني بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم وما جعل ليجعل جاعل وفعل فاعل فلا يدوان يكون محدثا ومخلوفا (والجواب) ان كل هذا وجوده في ذكرته وهما عائدة الى اللغات والى الحروف والكلمات وهي عندنا محدثة بخاروقة انما الذي تدعى قدمه شي آخر سوى هذه الالفاظ والله اعلم (المسئلة الثانية) ذهب أكثر المتكلمين الى انه يجب على المتكلمين ان يدل على المعاني التي هي موضوعات الالفاظ العربية فاما جعلها على معاني أخر لا بهذا الطريق فممتنا باطن فعلمنا وذلك مثل الوجوه التي يذكرها أهل الباطن مثل انهم تارة يحاؤون الحروف على حساب الجمل وتارة يحاؤون شكل حرف على شيء أخر وللصوفية طرق كثيرة في هذا الباب وليسونها علم المتكلمة والذي يدل على فساد تلك الوجوه بأشهرها قوله تعالى قرأنا عرييا وانما سماه عرييا لانه على هذه المعاني المتخصصة بوضع العرب وباصطلاحاتهم وذلك يدل على ان دلالة هذه الالفاظ لم تحصل الا على تلك المعاني المتخصصة وان ما سواها فهو باطل (المسئلة الثالثة) ذهب قوم الى انه حصل في القرآن من سائر اللغات كقوله استبق وسجيل فانهما فارسيتان وقوله مشكاة فانها من لغة الحبشة وقوله قسطاس فانها من لغة الروم والذي يدل على فساد هذا المذهب قوله قرأنا عرييا وقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة لفظ الايمان والكفر والصلاة والزكاة والصوم والحج الفاظ شرعية لا لغوية والمعنى ان الشرع نقل هذه الالفاظ عن مسمايتها الاغوية الاصلية الى معاني أخرى وعندنا ان هذا باطل وليس الشرع تصرف في هذه الالفاظ عن مسمايتها الا من وجه واحد وهو انه خصص هذه الالفاظ بنوع واحد من أنواع مسمايتها مثلا الايمان عبارة عن التصديق فخصصه الشرع بنوع معين من التصديق والصلاة عبارة عن الدعاء فخصصه الشرع بنوع معين من الدعاء وكذا القول في البواقي ودليلنا على صحة مذهبنا قوله تعالى قرأنا عرييا وقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه (المسئلة الخامسة) انما وصف الله القرآن بكونه عربيا في معرض المدح والتعظيم وهذا المطلوب لا يتم الا اذا ثبت ان لغة العرب أفضل اللغات واعلم ان هذا المقصود انما يتم اذا ضبطنا أقسام فضائل اللغات بضابط معلوم ثم يبين ان تلك الاقسام حاصلة فيد لا في غيره فنقول لاشك ان الكلام مركب من الكلمات المفردة وهي مركبة من الحروف فالكلمة لها مادة وهي الحروف وانما صورة وهي تلك الهيئة المعينة الحاصلة عند التركيب فهذه افضلية انما تحصل اما بحسب مادتها أو بحسب صورتها اما التي بحسب مادتها فهي آحاد الحروف واعلم ان الحروف على قسمين بعضها بيينة المخارج ظاهرة المقاطع وبعضها خفية المخارج مشتبهة المقاطع وحروف العرب بأسرها ظاهرة المخارج بيينة المقاطع لا يشبه شي من بالآخر وأما الحروف المستعملة

وقوعه فيحتاج الى التأكيدها على كفرهم بالوصول حيث قيل (بأبدي خلق الارض في يومين) لتعظيم شأنه تعالى واستغناء كفرهم به أي بالعظيم الشأن الذي قدر وجودها أي حكم بأنها ستوجد في مقدار يومين أو في نوبتين على أن ما يوجد في كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نبراتها وترتيب حركاتها (ويجملون له أندا) عطف على تكفرون داخل في حكم

الانكار والتوبيخ وجمع الابدان باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد أي وتعملون له أئدادا والحال أنه لا يمكن أن يكون له تدواحد (ذلك) إشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشارية للابدان بعده من لدن في العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من أن المراد ليس تعيين الخطابين وهو مبتدأ خبره ما بعده أي فذاك العظيم الشأن الذي فعل ما ذكر (رب العالمين) ﴿ ٣٤٨ ﴾ أي خالق جميع الموجودات ومر يبهدون

الأرض خاصة فكيف يتصور أن يكون أحسن مخلوقاته تشابه وقوله تعالى (وجعل فيها رواسي) عطفا على خلقها داخل في حكم الصلة والجمل أي في حديث لزوم الفصل بينهما كما جملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الأولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الإعادة له والثانية استثنائية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة تأكيد فالفصل بهما كلا فصل دلي أن فيه فائدة التنبيد على أن مجرد المعضوف عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحسانه أن يجعل له تدفك كيف إذا انضم اليه المعضوفات وقيل هو عطفا على متدرأى خلفها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وأياما كان قادر تقدير الجعل لا الجعل بالله وقوله تعالى (من فوقها) متعلق بجعل أو بمضمر هو صفتل وراسي

في سائر الابدان فليست كذلك بل قد يحصل فيها حروف يشتبه بعضها بالباقي بعض وذلك يخل بكمال الفصاحة في بعض الحركات المستعملة في ما رقت العرب حركات ظاهرة جلية وهي النصب والجر وكل واحد من هذه الثلاثة فانه يمتاز عن غيره امتياز ظاهر اجليا وأما ادغام الروم وقيل خصوصا في ما في لغات العرب وذلك أيضا من جنس ما يوجب الفصاحة وأما الكلمات الخاصلة بحسب التركيب فهي أنواع (أحدها) ان الحروف على قسمين متعارفة الخرج ومنه ما يندرج وأيض الحروف على قسمين منها صليقة ومنها رخوة فيحصل من هذا التقسيم أقسام أربعة الصلابة التقارية والرخوة التقارية والصلابة المتعادلة والرخوة المتعادلة فإذا اتوا في الكلمة حرقان صلبان متقاربان صعب اللفظ يمتاز بسبب تقارب الخرج بصير اللفظ بهما ليعبر عما إذا كان الانسان متيدا بمشي وبسبب الملازمة تلك الحروف تتوارد في الشاقة اقوية على الموضوع الواحد من الخرج وتوالي الاعمال الشاقة يوجب الضعف والاعياء ومثل هذا التركيب في اللغة العربية قليل (وثانيها) ان جنس بعض الحروف الذوا طيب في السمع وكل كلمة يحصل فيها حرف من هذا الجنس كان سماعه الطيب (وثالثها) الوزن فتقول الكلمة اما ان تكون ثنائية أو ثلاثية أو رباعية وأعدادها هو الثلاثي لان الصوت اما يتولد بسبب الحركة والحركة لا بد لها من مبدأ ووسط ومنتهي فهذه ثلاث مراتب فالكلمة لا بد وأن يحصل فيها هذه المراتب الثلاثة حتى تكون ثامة أما ثنائية فهي ناقصة وأما الرباعية فهي زائدة والغالب في كلام العرب الثلاثيات فثبت بما ذكرنا ضبط فضائل اللغات والاستفراء يدل على ان لغة العرب موصوفة بها وأما سائر اللغات فليست كذلك والله أعلم (المسئلة السادسة) فوالله لو يعلمون يعني انما جعلناه عربيا لاجل أن يعلموا المراد منه والقائلون بان افعال الله معانها بالمصالح والحكم تسكوا بهذه الآية وقاوا انها تدل على انه انما جعله عربيا لهذه الحكمة فهذا يدل على أن تعليل أفعال الله تعالى واحكامه جائز (المسئلة السابعة) قال قوم القرآن كله غير معلوم بل فيه ما يعلم وفيه ما لا يعلم وقال المتكلمون لا يجوز أن يحصل فيه شيء غير معلوم والدليل عليه قوله تعالى قرآننا عربيا لعل يعلمون يعني انما جعلناه عربيا ليصير معلوما والتول به غير معلوم بقدر فيه (المسئلة الثامنة) قوله تعالى فأعرض أكثرهم فهم لا يعلمون يدل على ان الهادي من هداة الله وان الضلال من أضله الله وتقريره ان الصفات التسعة المذكورة للقرآن توجب قوة الاهتمام بعرفته وبالوقوف على معانيه لاننا ان كونه نازلا من عند الله الرحمن الرحيم يدل على اشتغال على أفضل المنافع واجل المطالب وكونه قرآنا عربيا مفضلا يدل على انه في غاية الكشف والبيان وكونه بشيرا وتذيرا يدل على ان الاحتياج الى فهم ما فيه من أهم المهمات لان سعي الانسان في معرفة ما يوصله الى اثواب أو الى العقاب من أهم المهمات وقد حصلت هذه الموجبات الثلاثة في تأكيد الرغبة في فهم القرآن وفي شدة الميل الى الاطاعة به ثم مع ذلك

أي كناية من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعة معرضة لاهلها أو يظهر للنظار ما فيها من مراد ﴿ فقد الاعتراف ومطارح الأفكار (وبارك فيها) أي قدر أن يكتر خيرها بان يخفق أنواع الحيوانات التي من جعلها الانسان وأصناف النبات التي منها ما يشبههم (وقدر فيها اقواتها) أي حكم بالفعال بان يوجد في ما سبب لاهلها من الأنواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة

وقرى وقسم فيها أقواتها (في أربعة أيام) متعلق بموصول الأمور المذكورة لا بتقديرها أي قدر حصولها في يومين
وإنما قيل في أربعة أيام أي ثمة أربعة تصرف بها بالفضل (سواء) مصدر مؤكد كقصر هو صفة لأيام أي استوت
سواء أي استواء كإني عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في أقواتها أو في فيها وقرى بالرفع أي هي سواء
(للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا (٣٤٩) الحصر السائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها أو بقدر

فقد أعرضوا عنه ولم يلقوا الهدى ولم يوردوا نوراً ولم يوردهم وذلك يدل على أنه لا يهدي إلا من
هداه الله ولا ضلال لمن أضله الله وأعلم أنه تعالى لما وصف القرآن بأنهم أعرضوا عنه
ولا يسمونه بين أنهم صرحوا بيهن الشفرة والباعضة وذكروا ثلاثاً في قوله (أهداهم
قالوا فلو بناقأ كذبناهم ونالوا الهدى ما كنا نسمع حواويل كتمان هو الذي
يجمل فيه التسوأم (وإيهما) قولهم وفي آذاننا وقراى صم وتقل يسمع من استماع صوت
(وثأبنا) قواهم ومن يثأر بآب حجاب والحجاب هو الذي يسمع من الرذيلة والهدى كذبة
من في قوله ومن يثأر لك لو قيل يثأر بآب حجاب كذا كان المعنى أن حجاباً جعل في سمعنا يثأر
أما بزيادة لفظ من كان المعنى أن حجاباً ابتدأ منا وابتدأ منك فإسماهما الماصلة أيضاً
و يثأر مستوعبة بالحجاب وما في حرمها فأرغوا عن هذا الحجاب فكانت هذه اللفظة دالة
على قوة هذا الحجاب هكذا ذكر صاحب الكشاف وهو في غاية الحسن وأعلم أنه لما رفع
الاقصار على هذه الأعضاء الثلاثة وذلك لأن القلب محل المعرفة وساطن الدين والسمع
والبصر هما الآلتان المعينتان للحصول المعارف فلما بين أن هذه الثلاثة محجوبة كان ذلك
أقصى ما يمكن في هذا الباب وأعلم أنه إذا ما كدت الشفرة عن النبي صارت تلك الشفرة في
القلب فإذا سمع منه كلاماً يفسد معناه كإني وإذا قرأتم أصر تلك الروي يفسد اللوقوف
على دقائق أحوال ذلك المرئي وذلك لأن المدرك والشاعر هو النفس وشدة نفرة النفس عن
الشيء تمتعها من التدبر والوقوف على دقائق ذلك الشيء فإذا كان الأمر كذلك كان قواهم
قلوبنا في أكمة ما تدعونا إليه وفي آذاننا وقرو من بيننا وبينك حجاب استمارات كاملة
في إعادة المعنى المراد فإن قيل أنه تعالى حكى هذا المعنى عن الكفار في معرض التذم وذكر
أيضاً ما يقرب من ذلك في معرض التذم فقال وقالوا لو بنا غلاف بل إنهم الله بكفرهم ثم أنه تعالى
ذكر هذه الأشياء الثلاثة بعينها في معرض التذم في سورة الأنعام فقال وجعلنا
على قلوبهم أكمة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً فكيف الجلم بينهم فإنا لم نقل همنا أنهم
كذبوا في ذلك إنما الذي ذمهم عنه أنهم قالوا أنا إذا كنا كذلك لم يعز تكليفنا وتوجيه
الأمر والنهي علينا وهذا الثاني باطل أما الأول فلأنه ليس في الآية ما يدل على أنهم كذبوا
فيه وأعلم أنهم لما وصفوا أنفسهم بهذه الصفات الثلاثة قالوا فاعمل لنا طامولون والمراد
فاعمل على دينك لنا طامولون على ديننا ويجوز أن يكون المراد فاعمل في إبطال أمرنا لنا
طامولون في إبطال أمرك والحاصل عندنا أن التوهم ما كذبوا في قولهم قلوبنا في أكمة
تدعونا إليه وفي آذاننا وقرو من بيننا وبينك حجاب بل إنما أتوا بالكفر والكلام الباطل
في قواهم فاعمل لنا طامولون ولما حكى الله عنهم هذه الشبهة أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن
يجيب عن هذه الشبهة بقوله قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى وبين هذا الجواب كأنه
يقول إني لأقدر على أن أحللكم على الإيمان جبراً وقهراً فإني بشر مثلكم ولا امتياز بيني
و بينكم إلا مجرد أن الله عز وجل أوحى إلى وما أوحى إليكم فإنا أبلغ هذا الوحي إليكم ثم

أي قدر فيها أقواتها
لأجل السائلين أي
الطالبين لها المحتاجين
الربها من المقتاتين وقوله
تعالى (ثم استوى إلى
السماء) شروع في بيان
كيفية الكون أثر بيان
كيفية التدبير وأعمل
تخصيص البيان بما يتعلق
بالأرض وأهله المأان
بيان اعتداله تعالى بأمر
المخاطبين وترتيب مبادئ
معاشهم قبل خلقهم
ما يحتملهم على الإيمان
ويرجزهم عن الكفر
والظلمة أي ثم قصد
تدويرها قصداً سوياً
لا يلوى على غيره (وهي
دخان) أي أمر ظماني
عبر به عن مادتها
أو عن الأجزاء المتصغرة
التي ركبت هي منها
أودخان مرتفع من الماء
كإسبابي وانما خص
الاستواء بالسماء مع
أن الحطاب المرتب عليه
متوجه إليهما معاً حسبما
ينطق به قوله تعالى
(فقال لها والأرض)
اكتفاء بذكر تقديرها
وتقدير ما فيها كأنه قيل

فقال لها وللأرض التي قدر وجودها ووجود ما فيها (الدنيا) أي كونا واحداً على وجود معين وفي وقت مقدر لكل
منكما وهو عبارة عن تعاقب ارادته تعالى بوجودهما تعلقاً فعلياً بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون
هناك أمر وما مور كما في قوله تعالى كن وقوله تعالى (طوعاً أو كرهاً) تمثيل لاختتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستهالة
امتاعهما من ذلك لا إثبات الطوع والكراهية لهما وهما مصدران وقعاً موقع الحال أي طاعتين أو كارهتين

وقوله تعالى (فاننا انبأنا طائفتين) اي متفاضلتين تمثيل لكل حال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أمرنا به ونصوير لكون وجودهما كما هما عليه جارا على مقتضى الحكمة الباطنة فان الطوع مني عن ذلك والكره موهب للخلافة وانما قبل طائفتين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى (فتناهن سيم سموات) تفسير وتفصيل لكون السماء ٣٥٠ كم الجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لانه فعل

مترتب على تكونها
 أي خالقهن خلقا باعيا
 وأتقن أمرهن حسبها
 تقتضيه الحكمة والخصير
 اما السماء على المعنى
 أو مبهم وسبع سموات
 حال على الأول تميز
 على الثاني (في يومين)
 في وقت مقدر بيومين
 وقدين مقدار زمان
 خالق الارض وخالق
 ما فيها عند بيان تقديرهما
 فكان خلق انك في سنة
 أيام حسب ما نس عليه
 في واقع من التزييل
 (وأوحى في كل سماء
 أمرها) عطف على
 قضاها أي خلق في كل
 منها ما فيها من الملائكة
 والنبات وغير ذلك مما
 لا يعلمه الا الله تعالى كما قلنا
 فتادة والسدى فالوحى
 عبارة عن التكوين كالامر
 مقيد بما يقديه المعطوف
 عليه من الوقت أو أوحى
 الى أهل كل منها
 أو أمره وكافهم ما يليق
 بهم من التكليف فهو
 بمعناه ومطلق عن القيد
 المذكور وأيا ما كان فعلى

بعد ذلك ان شرفكم الله بالتمجيد والتوفيق قبلة ووان خذلكم بالحرمان رددتموه وذلك لا يتعلق بدقوى ورباني تم بين أن خلاصة ذلك الوحي ترجع الى أمرين العلم والعمل أما العلم فالرأس والرئيس فيه معرفة التوحيد وذلك لان الحق هو أن الله واحد وهو المراد من قوله انما انهم لله واحد واذا كان الحق في نفس الامر ذلك وجب علينا أن نعترف به وهو المراد من قوله فاستسقيوا اليد وفتظيره قوله انهم لنا الصراط المستقيم وقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله تعالى بأن هذا صراطي مستقيما فاتبوه وفي قوله تعالى فاستسقيوا اليد وجهان (الأول) فاستسقيوا متوجهين اليد (الثاني) أن يكون قوله فاستسقيوا اليد معناه فاستسقيوا له لان حروف الجر يقيم به ضمها معتم البعض واعلم أن التكليف له ركبان (أحدهما) الاعتقاد والرأس والرئيس فيه الاعتقاد التوحيد فلما أمر بذلك انتقل الى وظيفة العمل والرأس والرئيس فيه الاستعفار فلهذا السبب قالوا واستعفروا فان قيل المنعقد من الاستعفار والتوبة ازالتهما لا ينبغي وذلك مقدم على فعل ما ينبغي فم عكس هذا الترتيب ههنا وقد فعل ما ينبغي على ازالة ما لا ينبغي فلما ليس المراد من هذا الاستعفار الاستعفار عن التكفير بل المراد منه أن يعمل ثم يستعفر بعده لاجل الخوف من وقوع التصديق العمل الذي أتى به كما قال صلى الله عليه وسلم وانه ليعان على قلبي واني لاستعفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة ولما رغب الله تعالى في الخير وانطاعة أمر بالتحذير عما لا ينبغي فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرتهم كافرون وفي هذه الآية مسائل (المسئلة الأولى) وجد التنظيم في هذه الآية من وجوه (الأول) أن القول والشرايع ناطقة بأن خلاصة السعادات مر بولفة بأمرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وذلك لان الموجودات اما الخالق واما الخلق فاما الخالق فكمال السعادة في المعاملة معه أن يقر بكونه موصوفا بصفات الجلال والعظمة ثم يأتي بافعال دالة على كونه في نهاية العظمة في اعتقادنا وهذا هو المراد من التعظيم لامر الله واما الخلق فكمال السعادة في المعاملة معهم أن يسعي في دفع الشر عنهم وفي ايصال الخير اليهم وذلك هو المراد من الشفقة على خلق الله فثبت ان أعظم الطاعات التعظيم لامر الله وأفضل أبواب التعظيم لامر الله الاقرار بكونه واحدا واذا كان التوحيد أعلى المراتب وأشرفها كان ضده وهو الشرك أخس المراتب وأردن لها ولما كان أفضل أنواع المعاملة مع الخلق هو اظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكاة أخس الاعمال لانه ضد الشفقة على خلق الله اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى أثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلاثة (أولها) أن يكون مشركا وهو ضد التوحيد واليه الاشارة بقوله وويل للمشركين (وثانيها) كونه متمتعا من الزكاة وهو ضد الشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله الذين لا يؤتون الزكاة (وثالثها) كونه منكرا للقيامة مستغرقا في طلب الدنيا ولذاتها واليه الاشارة بقوله وهم بالآخرتهم كافرون ونتمام الكلام في انه لازيادة على هذه المراتب

ما قرر من التفصيل لادلالة في الآية الكريمة على التزييل بين ايجاد الارض وايجاد السماء ٣٥٣ الثلاثة ٣٥٣ وانما الترتيب بين التفسير والايجاد وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على ما بينها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سيم سموات تدلان على تقديم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطلاق أكثر

اهل التفسير وقد روي أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى أحدث في الماء اضطرابا
فأزبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه البيوضة فبعله أرضا واحدة ثم فثقتها فبعث عليها أرضين
وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وسماها وخلق
ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ﴿ ٣٥١ ﴾ وخلق السموات وما فيها من يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم

عليه السلام في آخر
ساعة منه وهي الساعة
التي تقوم فيها القيامة
وقيل ان خلق جرم
الارض مقدم على خلق
السموات لكن دحوها
وخلق ما فيها مؤخر
عنه قوله تعالى والارض
بعض ذلك سماها ولما
روى بن الحسن رحمه الله
من أنه تعالى خلق الارض
في موضع بيت المقدس
كهيئة النهر عليه
دخان ملتقى بهما ثم
أصعد الدخان وخلق
منه السموات وأمسك
النهر في موضعها وبسط
منها الارض وذلك
قوله تعالى كانتا رتقا
ففتقناهما الآية وليس
المراد بقطعها مع السماء
في سلك الامر بالآيات
انما هو واحد انها بل
انشاء دحوها وجعلها
على وجه خاص يليق
بها من شكل معين ووصف
تخصص كأنه قيل
انما علم ما ينبغي أن تأتي
عابداً في الارض مدحوة
قراراً ومنها دالهاك

الثلاثة أن الانسان له ثلاثة أيام الامس واليوم والغدا ما عرفة انه كيف كانت احوال
الامس في الازل فهو بعرفة الله تعالى الازل الخالق لهذا العالم وأما مع فذاته كيف يلبي
وفوق الاحوال في اليوم الحاضر فهو بالاخسان الى اهل العالم بقدر الطاقة وأما معرفة
الاحوال في اليوم المستقبل فهو الاقرار بالبعث والقيامة واذ كانت الانسان على ضد
الحق في هذه الراتب الثلاثة كان في نهاية الجاهل والضللال فانهذا حكم الله عابدها وويل
فقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرين وهذا ترتيب في غاية
الحسن والله أعلم (الوجه الثاني) في تقرير كيفية النظم أن يقال المراد بقوله لا يؤتون
الزكاة أي لا يزكون أنفسهم من ثوب الشرك بقولهم لا اله الا الله وهو مأخوذ من قوله
تعالى ونفس وما سواها (الثالث) قال الفراء ان قر يشا كانت تضع الحاج فخره واذنك على
من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم (المسئلة الثانية) احيى أحيانا في آيات أن الكفار
مخاطبون بفروع الاسلام بهذه الآية فقالوا والله تعالى الحق الوعيد الشديد على أمرين
(أحدهما) كونه مشركا (والثاني) انه لا يؤتى الزكاة فوجب أن يكون أكل واحد من
هذين الأمرين تأثير في حصول ذلك الوعيد وذلك يدل على أن عدم آية الزكاة من المشرك
تأثيرا عظيما في زيادة الوعيد وذلك هو المطلوب (المسئلة الثالثة) احيى بعضهم على أن
الامتناع من آية الزكاة يوجب الكفر فقال انه تعالى لما ذكر هذه الصفة ذكر دواها
ما يوجب الكفر وهو قوله وويل للمشركين وذكر أيضا بعدها ما يوجب الكفر وهو قوله
وهم بالآخرة هم كافرين فلو لم يكن عدم آية الزكاة كفرا لكان ذكرها بين الصفتين
الموجبتين للكفر في الكلام انما يكون فسيما اذا كانت المناسبة مرعية بين
أجزائه ثم أكد ذلك بأن أبكر الصديق رضي الله عنه حكم بكفر مانعي الزكاة والجواب
لما ثبت بالدليل ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب والاققرار باللسان وهما حاصلان
عند عدم آية الزكاة فلم يلزم حصول الكفر بسبب عدم آية الزكاة والله أعلم ثم انه تعالى
لما ذكر وعيد الكفار أردف بوعد المؤمنين فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر
غير ممنون أي غير مقطوع من قولك مننت الحبل أي قطعت ومنه قوائم قدمت السفر
أي قطعته وقيل لا يمن عليهم لانه تعالى للمساء أجر فاذا لا يوجب الجنة وقيل نزلت في
المرضى والضعفاء عن الضاعة كتب لهم الاجر كما حسن ما كانوا يعملون وقوله
تعالى (قل انكم لن تكفروا بالذي خلق الارض في يومين وتعملون له النداء ذلك رب
العالمين وحمل فيها اسم من فوقها وبارك فيها وقدرها اقواتها في اربعة ايام السماء
للسائلين ثم استوى الى اسماء وهي دخان فقال لها والارض اذا طوطأ أو كرها فانا انزلنا
طائرين فتضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء امرها وزيينا السماء الدنيا
بصايبح وحفظنا ذلك تقديرا لمن ير العلم اعلم انه تعالى لما أمر محمد صلى الله عليه وسلم في
الآية الأولى ان يقول انما أنا بشر مثكم يوحى الى أنا الهكم اله واحد فاستقيموا اليه

واثنى باسماء مقبلة سقاها لهم ومعنى الايمان الحصول على ذلك الوجود كما في عند قراءة آياتنا من المواناة وهي الموافقة
وأنت حبير بان المذكور قبل الامر بالآيات ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها أيضا من الامور
المتأخرة عن دحوها قطعا فالظاهر أن بسلك مسلك الاولين وتحمل الامر بالآيات على تكويتها متوافقين على الوجود
المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على

ذلك التكوين وإنما اللازم ترتيب حصول التوافق عليه ولا ريب في أن تكون السماء على الوجه اللائق بها كإثبات حصوله ولا يتدح في ذلك تكوين الأرض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يجعل الأرض في قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها منصوبا بـعضم فـدحا في على شرطية التفسير ويجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتوسيتها وغيرها إلى أنفسها وتحمل البعدية أما على أنه ما سر ٣٥٢ هـ عن الأول في الدلالة على القدرة القاهرة كإثبات

وأما على أنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المتوسطة بما في الأرض أكثر وتوافق مصالح الناس بذلك الظاهر وإحاطتهم بتفاصيلها أكثر ولا يس ما روى عن الحسن رضي الله عنه نصافي تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بعد الأرض معطوف على اصعاد السموات وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدى عن مقاتل أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلا عن دحوها فلا بد من جعل الأمر بالتيانها حينئذ أيضا على ما ذكر من التوافق والواناة ولا يتدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الأرض كالم يتدح فيه تقدم خلق الأرض على خلق السماء هذا كما على تقدير كون كلام التراخي الزماني وأما على تقدير كونها للتراخي الزمني

واستغفر وأردف بما يدل على أنه لا يجوز إثبات الشركة بينه تعالى وبين هذه الأصنام في الإلهية والعبودية وذلك بأن كل قدرته وحكمته في خلق السموات والأرض في مدة قليلة فمن هذا صفت كيف يجوز جعل الأصنام الخبيثة شركاء له في الإلهية والعبودية فهذا تقرير النظم وفي الآية مسائل (المسألة الأولى) قرأ ابن كثير أينكم لتكفرون بحرفة وياه بعدها خفيفة ساكنة بلامد وأمانافع في رواية قالون وأبو عمرو فعلى هذه الصورة الأتجاهيدين والياقون بهمزتين بلامد (المسألة الثانية) قوله تعالى أنكم استفهام بمعنى الإنكار وقد ذكر عنهم شئين منكرين (أحدهما) الكفر بالله وهو قوله الكفرون بالذى خلق الأرض في يومين (وثانيهما) إثبات الشركاء والانداد ويجب أن يكون الكفر المذكور أو لا فإثبات الإثبات الانداد له ضرورة أن عطف أحدهما على الآخر بوجود التغير والأظهر أن المراد من كفرهم وجود (الأول) قواهم أن الله تعالى لا يقدر على حشر الموتى فلما تنازعوا في ثبوت هذه القدرة فقد كفروا بالله (والثاني) أنهم كانوا ينازعون في صحة التكليف وفي بئس الأبياء وكل ذلك قدح في الصفات المعبرة في الإلهية وهو كفر بالله (والثالث) أنهم كانوا يضيفون إليه الأرواد وذلك أيضا قدح في الإلهية وهو يوجب الكفر بالله فالجاصل أنهم كفروا بالله لأجل قواهم بهذه الأشياء وأثبتوا الانداد أيضا لأجل قواهم بالإلهية تلك الأصنام واحتج بما على فساد قواهم بأن أثر فقال كيف يجوز الكفر بالله وكيف يجوز جعل هذه الأصنام الخبيثة أندادا لله تعالى مع أنه تعالى هو الذى خلق الأرض في يومين وتم بقية مسألتيها في يومين آخرين وخلق السموات بأسرها في يومين آخرين فمن قدر على خلق هذه الأشياء العظيمة كيف يعقل الكفر به وإنكار قدرته على الحشر والنشر وكيف يعقل النكار قدرته على التكليف وعلى بعثة الأنبياء وكيف يعقل جعل هذه الأصنام الخبيثة أندادا لله تعالى في العبودية والإلهية فإن قيل من استدلال بشئ على الباطن شئ فذلك الشئ المستدل به يجب أن يكون مسلما عندنا لخصم حين يصح الاستدلال به وكونه تعالى حائقا بالأرض في يومين أمر لا يمكن إثباته بالعقل المحض وإنما يمكن إثباته بالسمع وبسج الأبياء والكفار كانوا ينادون في الوحى والشبهة فلا يعقل تقرير هذه المسألة عليهم وإذا امتنع تقرير هذه المقدمة عليهم استبح الاستدلال بها على فساد مناهجهم فثبت إثبات كون السموات والأرض مخلوقا بضرير العقل يمكن فإذا ثبت ذلك أمكن الاستدلال به على وجود الإله النادر القاهر العظيم وحديثه يقال للكافرين فكيف يعقل التسوية بين لاله الموصوف بهذه القدرة الظاهرة وبين الصنم الذى هو جسد لا يضر ولا ينفع في العبودية والإلهية بقرى أن يقال فحينئذ لا يسبق في الاستدلال بكونه تعالى حائقا للأرض في يومين أثر فنقول هذا أيضا له أثر في هذا الباب وذلك لأن أول التوراة مشتمل على هذا المعنى فكان ذلك في غاية الشهرة بين أهل الكتاب فكفار مكة كانوا يعتقدون في أهل الكتاب أنهم أصحاب العلوم والحقائق

كإدخال الإله الأكثرين فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كإثبات الوجه الأول وعلى ذلك بنى الكلام والظاهر في تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا الآية وأعمال يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما جعل عليه ههنا توفية مقام الامتان حقه (وز بنا السماء الدنيا بمصابيح) من الكواكب فانها كلها ترى مثل ثلاثة على كائنها فيها والالغيات الى نون العظمة لابرار مز يد العتابة بالامر وقوله تعالى (وحفظا) مصدر مؤن كد لغول معطوف

والظاهر أنهم كانوا قد سمعوا من أهل الكتاب هذه المعاني واعتقدوا في كونها حقة وإذا كان الأمر كذلك فحينئذ يحسن أن يقال لهم إن الإله الموصوف بالقدرة على خلق هذه الاشياء العظيمة في هذه المدة الصغيرة كيف يليق بالعقل جعل الخشب المنجور والحجر المنحوت شرا بكماله في العبودية والالهية فظهر بما قررنا أن هذا الاستدلال قوى حسن وأما قوله تعالى ذلك رب العالمين أي ذلك الموجود الذي علمت من صفته وقدرته أنه خلق الأرض في يومين هو رب العالمين وخالقهم ومبدعهم فكيف أنتم له انداد من الخشب والحجر ثم إنه تعالى للمأخبر عن كونه خالقاً للأرض في يومين أخبر أنه أتى بثلاثة أنواع من الصنع العجيب والفعل البديع به ذلك (فالاول) قوله وجعل فيها رواسي من فوقها والمراد منها الجبال وقد تقدم تفسير كونها رواسي في سورة النحل فان قيل ما الفائدة في قوله من فوقها ولما يقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الأرض رواسي قلنا لأنه تعالى أوجعل فيها رواسي من تحتها لا وهم ذلك ان تلك الاساطين التي هي التي أمسكت هذه الأرض الثقلة عن النزول والكدن تعالى قال خلقت هذه الجبال الثقيل فوق الأرض ليرى الانسان بعينه ان الأرض والجبال الثقيل على أفعال وكماها مقنطرة الى المسك وحافظ وما ذلك الحافظ المنذر الا الله سبحانه وتعالى (والنوع الثاني) مما أخبر الله تعالى في هذه الآية قوله وبارك فيه والبركة كثرة الخير والخيرات الحاصلة من الأرض أكثر مما يحيط به السرح والبيان وقد ذكرناها بالاستقصاء في سورة البقرة قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد بشق الاخبار وخلق الجبال وخلق الاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه من الخيرات (والنوع الثالث) قوله تعالى وقدر فيها أوقاتها وفيه أقوال (الاول) ان المعنى وقدر فيها اقوات أهلها او ما يشبههم وما يصح لهم قال محمد بن كعب قدراً اقوات الابدان قبل أن يخلق الابدان (واقول الثاني) قال مجاهد وقدر فيها أوقاتها من المطر وعلى هذا القول فالاقوات الأرض للسكان والمعنى ان الله تعالى قد قدر لكل أرض حفظها من المطر (والقول الثاني) أن المراد من اضافة الاقوات الى الأرض كونها متولدة من تلك الأرض وحادية فيها لان النحر بين قالوا يعني في حسن الاضافة أدنى سبب فالشي قد يضاف الى فاعله تارة والى محله أخرى فقوله وقدر أوقاتها أي قدر الاقوات التي يخص حدوتها بها وذلك لأنه تعالى جعل كل بلدة معدة لنوع آخر من الاشياء المطلوبة حتى ان أهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشياء المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذه المعنى سبباً لرغبة الناس في التجارات من اكتساب الاموال ورأيت من كان يقول صنعة الزراعة والحراثة أكثر الحرف والصنائع بركة لان الله تعالى وضع الارزاق والاقوات في الأرض قال وقدر فيها أوقاتها وإذا كانت الاقوات موضوعة في الأرض كان طلبها من الأرض متعيناً ولما ذكر الله سبحانه هذه الانواع الثلاثة من التدبير قال

على زيناً على وحفظناها
 من الآفات أو من المسترفة
 حفظاً وقيل مفعول له
 على المعنى كأنه قيل
 وخلقنا المصائب حتى
 وحفظنا (ذلك) الذي
 ذكر بتفاصيله (تقدير
 العزيز العليم) المبالغ
 في القدرة والعلم (فان
 أعرضوا) متصل بقوله
 تعالى قل انكم الخ أي
 فان أعرضوا عن التدبير
 فيما ذكر من عظام
 الامور الداعية الى الايمان
 أو عن الايمان بدهنا
 البيان (فقل) أهم
 (أنذركم) أي أنذركم
 وصيغة الماضي تادلالة
 على تحقق الانتذار المتحقق
 عن تحقق المنذرين
 (صاعقة) أي عذاباً
 هائلاً شديداً وقع كأنه
 صاعقة (مثل صاعقة
 عاد وثمود) وقرئ صاعقة
 مثل صاعقة عاد وثمود
 وهي المرة من الصعق
 أو الصعق يقال صعقته
 الصاعقة صاعفاً فصعق
 صعفاً

بعده في أربعة أيام سواء السائلين وههنا سؤال الثالث (السؤال الاول) انه تعالى ذكر انه خلق الارض في يومين وذكر انه اصلى هذه الانواع الثلاثة في أربعة أيام آخره وذكر انه خلق السموات في يومين فيكون المجموع ثمانية أيام ولكنه ذكر في سائر الآيات انه خلق السموات والارض في ستة أيام فلزم التناقض واعلم ان العلماء اجابوا عنه بأن قالوا المراد من قوله وقدر فيها أوقاتها في اربعة أيام مع اليومين الاولين وهذا كقول القائل سرت من البصرة الى بغداد في عشرة أيام وسرت الى الكوفة في خمسة عشر يوماً يريد كلا المسائلين ويقول الرجل للرجل اعطيتك ألفاً في شهر وأوفاني شهرين فيدخل الألف في الألف والشهر في الشهرين (السؤال الثاني) انه لما ذكر انه خلق الارض في يومين فلو ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية في يومين آخرين كان أبعد عن الشبهة وأبعد عن الغلط فلم ترك هذا التسريح وذكر ذلك الكلام المجمل والجواب أن قوله في أربعة أيام سواء السائلين فيه فائدة زائدة على ما اذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين وذلك لانه لو قال خلقت هذه الاشياء في يومين لم يفد هذا الكلام كون هذين اليومين مستغرقين بذلك الاعمال لانه قد يقال علمت هذا العمل في يومين مع أن اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل اذ لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشياء ثم قال بعده في اربعة أيام سواء السائلين دل ذلك على أن هذه الأيام الاربعة صارت مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان (السؤال الثالث) فكيف الفرائد في قوله سرء والجواب قال صاحب الكشاف قري سواء بالحر كالتلاثة الجر على الوصف والنصب على المصدر استوت سواء أي استواء الرفع على هي سواء (السؤال الرابع) ما المراد من كون تلك الأيام الاربعة سواء فنقول ان الأيام قد تكون متساوية المتساوية كالأيام الموجودة في أما كن خط الاستواء وقد تكون مختلفة كالأيام الموجودة في سائر الاماكن فبين تعالى ان تلك الأيام الاربعة كانت متساوية غير مختلفة (السؤال الخامس) بحسب قوله للسائلين الجواب فيه وجهان (الاول) ان الزجاج قال قوله في اربعة أيام أي في تمدد اربعة أيام اذا عرفت هذا فالتقدير وقدر فيها أوقاتها في اربعة أيام لاجل السائلين أي الظالمين للاقوات المحتاجين اليها (والثاني) انه متعاق بمعدوف والتقدير كأنه قبل هذا الحصر والبيان لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها ولما شرح الله تعالى كيفية تخليق الارض وما فيها أتبعه بكيفية تخليق السموات فقال ثم استوى الى السماء وهي دخان وفيه مباحث (البحث الاول) قوله تعالى ثم استوى الى السماء من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجهها لا يلتفت معه الى عمل آخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقوا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السماء به دخلت الارض وما فيها من غير صارف بصرفه من ذلك (البحث الثاني) ذكر صاحب الاثر انه كان عرش الله على الماء قبل خلق

وهو من باب فئلته فنعمل (اذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولاستداد لجهله ظرفاً لا تذر تكم أوصفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جملة صفة لصاعقة عاد أي الكائنة اذ جاءتهم فغيبه حذف الموصول مع بعض صلته (من بين أيديهم ومن خلفهم) متعلق بجاءتهم أي من جميع حيوانهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضي الانذار مما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير مما يحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تزيين مجي الكلام ودعوتهم الى الحق منزلة مجي أنفسهم فان هو دار صالحاً كان داعين لهم الى الايمان بمواو يجتمع الرسل من

السموات والارض فأحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع زيد ودخان أمانك بدفني على وجه الماء فخلق الله منه السبوسة وأحدث منه الارض وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات واعلم ان هذه النصة غير موجودة في القرآن فان دل عليه دليل صحيح قبل والا فلا وهذه القصص مذكورة في أول الكتاب الذي يزعم اليهود انه النور اذ فيه انه تعالى خلق السماء من اجزاء مظلمة وهذا هو المعقول لانه قد دللنا في المعقولات على ان الظلمة ليست كيفية وجودية بل دليل انه لو جلس انسان في ضوء السراج وانسان آخر في الظلمة فان الذي جلس في الضوء لا يرى مكان الجالس في الظلمة ويرى ذلك الهواء مظلماً وأما الذي جلس في الظلمة فانه يرى ذلك الذي كان جالساً في الضوء ويرى ذلك الهواء مضيئاً واو كانت الظلمة صفة قائم بالهواء لما اختلفت الاحوال بحسب اختلاف احوال الناظر من ان الظلمة عبارة عن عدم انور فانه سبحانه وتعالى لما خلق الاجزاء التي لا تجرأ فقبل ان خلق فيها كيفية الضوء كانت مظلمة عديدة التورم لما ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمسا وقرا وأحدث صفة الضوء فيها فحينئذ صارت مستنيرة فثبت ان تلك الاجزاء حين قصد الله تعالى ان يخلق منها السموات والشمس والقمر كانت مظلمة فصيح تسميتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا اجزاء متفرقة غير متواصلة عديدة التورم فهذا ما خطر بالبال في تفسير الدخان والله اعلم بحقيقة الدخان (البحث الثالث) قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان مشعر بأن تخلق السماء حصل بعد تخلق الارض وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها مشعر بأن تخلق الارض حصل بعد تخلق السماء وذلك يوجب التناقض واختلف العلماء في هذه المسئلة والجواب المشهور ان يقال انه تعالى خلق الارض في يومين اولاً ثم خلق بعدها السماء ثم بعد خلق السماء دحا الارض وبهذا الطريق يزول التناقض واعلم ان هذا الجواب مشكل عندي من وجوه (الاول) انه تعالى بين انه خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد ان صارت الارض مدحوة لان خلق الجبال فيها لا يمكن الا بعد ان صارت الارض مدحوة منبسطة وقوله تعالى وبارك فيها منفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة ثم انه تعالى قال بعد ذلك ثم استوى الى السماء فهذا يشقني انه تعالى خلق السماء بعد خلق الارض وبعد ان جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال المذكور (الثاني) انه قد دلت الدلائل الهندسية على ان الارض كرة فهي في أول حدوثها ان قلنا انها كانت كرة والآن بقيت كرة ايضاً فهي منذ خلقت كانت مدحوة وان قلنا انها غير كرة ثم جعلت كرة فيلزم ان يقال انها كانت مدحوة قبل ذلك ثم ازيل عنها هذه الصفة وذلك باطل (الثالث) ان الارض جسم في غاية العنلم والجسم الذي يكون كذلك فانه من أول دخوله في الوجود يكون مدحواً فيكون القول بانها ما كانت مدحوة ثم صارت مدحوة قول

جاء من بين أيديهم أي من قباهم ومن يحيى من خلفهم أي من بعدهم فكان الرسل قد جاؤهم وخطبواهم بقوله تعالى (ان اعبدوا الله) أي بأعبدوا على أن ار مصدرية أو أي تعبدوا على أنهم مقسرة (قالوا لو شئنا أي ارسال الرسل لانزال الملائكة كما فعلنا فانه عار عن افاد ما ارادوه من نبي رسال البشر وقد مر في سالف (لانزال الملائكة أي لارسالهم لكن كان ارسالهم بطريق الانزال قبل لانزال) بما ارسلتم به) أي بزعمتكم وفيه ضمير تهكم بهم (كافروا لما انكم بشر مثلنا غير فضل لكم عدا روى أن ابا جهل في ملا من قريش التيس عاينا امره قالوا التستمر لنا رجلا بالشعر والكهانة

باطل والذي جاء في كتب التواريخ ان الارض خلقت في موضع الصخرة بيت المقدس
 فهو وكلام مشكل لانه ان كان المراد أنها على عظمها خلقت في ذلك الموضع فهذا قول
 يتداخل الاجسام الكثيفة وهو محال وان كان المراد منه انه خلق أولا أجزاء صغيرة
 في ذلك الموضع ثم خلق بقية أجزاءها وأضيفت الى تلك الاجزاء التي خلقت أولا فهذا
 يكون اعتقادا بأن تخليق الارض وقع متأخرا عن تخليق السماء (الرابع) انه لما حصل
 تخليق ذات الارض في يومين وتخليق سائر الاشياء الموجودة في الارض في يومين آخرين
 وتخليق السموات في يومين آخرين كان مجموع ذلك ستة أيام فاذا حصل دحو الارض
 من بعد ذلك فقد حصل هذا الدحو في زمان آخر بعد الالام الستة فحينئذ يقع تخليق
 السموات والارض في أكثر من ستة أيام وذلك باطل (الخامس) انه لا نزاع ان قوله تعالى
 بعد هذه الآية ثم استوى الى السماء فقال لها والارض انبيا طوعا أو كرها ايجاد
 السماء والارض فلو تقدم ايجاد السماء على ايجاد الارض لكان قوله انبيا طوعا أو كرها
 يقتضى ايجاد الوجود وان محال باطل فهذا تمام البحث عن هذا الجواب المشهور ونقل
 الواحدى في البسيط عن مقاتل انه قال خلق الله السموات قبل الارض وتأويل قوله ثم
 استوى الى السماء ثم كان قد استوى الى السماء وهى دخان وقال لها قبل أن يخلق
 الارض فأضربيه كان كما قال تعالى قالوا ان يسرق فقد سرق أخيه من قبل معناه ان يكن
 سرق وقال تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا والمعنى فكان قد جاءها هذا ما نقله
 الواحدى وهو عندى ضعيف لان تقدير الكلام ثم كان قد استوى الى السماء وهذا جمع
 بين الضدين لان كلمة ثم تقتضى التأخير وكلمة كان تقتضى التقديم والجمع بينهما يفيد
 التناقض وذلك دليل على انه لا يمكن اجراؤه على ظاهره وقد بينا ان قوله انبيا طوعا أو كرها
 انما حصل قبل وجودهما واذا كان الامر كذلك امتنع حمل قوله انبيا على الامر
 والتكليف فوجب حمله على ما ذكرناه بقى على لفظ الآية سوالات (السؤال الاول)
 ما الفائدة في قوله تعالى فقال لها والارض انبيا طوعا أو كرها (الجواب) المقصود منه اظهار
 كمال القدرة والتقدير انبيا شئنا ذلك أو أبيتما كما يقول الجبار لمن تحت يده انفعلمن هذا
 شئت أو لم تشأ واتفعله طوعا أو كرها وانتصاهما على الحال بمعنى طائعين أو مكرهين فقالتا
 انبينا على الطوع لا على الكره وقيل انه تعالى ذكر السماء والارض ثم ذكر الطوع والكره
 فوجب أن ينصرف الطوع الى السماء والكره الى الارض وتخصيص السماء بالطوع
 لوجوه (أحدها) أن السماء في دوام حر كنهها على نهج واحد لا يختلف تشبه حيوانا مطبعا
 لله تعالى بخلاف الارض فانها مختلفة الاحوال نارة تكون في السكون وأخرى
 في الحركات المضطربة (وثانيها) ان الوجود في السماء ليس الا الطاعة قال تعالى يخافون
 ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وأما أهل الارض فليس الامر في حقهم كذلك
 (وثالثها) السماء موصوفة بكمال الجمال في جميع الامور قالوا انها أفضل الالوان وهى

والسحر فكله ثم أنانا
 بيسان من أمر فقال
 عتبة بن ربيعة والله
 لقد سمعت الشعر
 والكهانة والسحر
 وعلمت من ذلك علما وما
 يخفى على فأناه فقال
 أنت يا محمد خير أم هاشم
 أنت خير أم عبد المطلب
 أنت خير أم عبد الله
 فبم نشتهم آلهتنا
 وتضلنا فان كنت تريد
 الرياسة عهدنا لك الالوان
 فكنت رئيسا وان تك
 بك الباءة زوجناك
 عشر نسوة نختارهن
 أى بنات قريش شئت
 وان كان بك المسال
 جمعنا لك ما تستغنى
 ورسول الله صلى الله
 عليه وسلم ساكت فلما فرغ
 عتبة قال عليه
 الصلاة والسلام
 بسم الله الرحمن الرحيم
 حم الى قوله تعالى مثل
 صاعقة عاد ومود
 فامسك عتبة على فيه
 عليه الصلاة والسلام
 وناشده بالرحم ورجع
 الى أهله ولم يخرج الى
 قريش فلما

المستتيرة وأشكالها أفضل الاشكال وهي المستديرة ومكانها أفضل الامكنة وهو الجو
 العالى واجرامها أفضل الاجرام وهي النكواب الثلاثة بخلاف الارض فانها مكان
 الظلمة والكثافة واختلاف الاحوال وتغير النوات والصفات فلاجرم وقع التعبير عن
 تكون السماء بالطوع وعن تكون الارض بالكراهة واذا كان مدار خلق الارض على
 الكراهة كان أهلها موصوفين ابداناً بوجوب الكراهة والكرب والقهقر والتسمر (السؤال
 الثانى) ما المراد من قوله انديا ومن قوله انديا الجواب المراد انديا الى الوجود والحصول
 وهو كقوله كن فيكون وقيل المعنى انديا على ما ينبغي ان تأتيا عليه من الشكل والوصف
 أى بأرض مدحوة قرارا ومهادا أى بسماة مقيبة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول
 والوقوع على وفق المراد كما تقول أتى غلته مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أيضا ان
 يكون المعنى لتأتى كل واحدة منكما صاحبتهما الاتيان الذى تفنضيه الحكمة والتدبير
 من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض (السؤال الثالث) هلا قيل
 طائعين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانهما سموات وأرضون (الجواب) لما جعلا
 مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكراهة قيل طائعين فى موضع طائعات نحو قوله
 ساجدين ومنهم من استدلل به على كون السموات اجزاء وقال الارض فى جوف
 السموات أقل من النذرة الصغيرة فى جوف الجبل الكبير فلهذا السبب صارت اللفظة
 الدالة على العقل والحياة غالبة الا ان هذا القول باطل لاجماع المتكلمين على فسادة ثم قال
 تعالى فقضاءهن سبع سموات فى يومين وقضاءه الشئ تمامه واتمامه والفرغ منه والضمير فى
 قوله فقضاءهن يجوز ان يرجع الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه اعجاز نخل خاوية
 ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصيبين ان أحدهما
 على الحال والثانى على التمييز * ذكر أهل الاثر انه تعالى خلق الارض فى يوم الاحد
 والاثنين وخلق سائر ما فى الارض فى يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها فى يوم
 الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فتحاق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم
 فيها القيامة فان قيل اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بسبب طوع الشمس
 وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم قلنا انما
 انه مضى من المدة ما لو حصل هناك ذلك وشمس المكان المقدار مقدرا يوم ثم قال تعالى
 وأوحى فى كل سماء أمرها قال مقاتل أمر فى كل سماء بما أراد وقال قتادة خلق فيها
 شمسهما وقرها ونجومها وقال السدى خاق فى كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من
 البحار وجبال البرد قال ولله فى كل سماء بيت يحج اليه ويطوف به الملائكة كل واحد
 منها مقابل الكعبة ولو وقعت مند حصة ما وقعت الاعلى الكعبة والاقرب ان يقال قد
 ثبت فى علم النحو انه يكفى فى حسن الاضافة أدنى سبب ولله تعالى على أهل كل سماء
 تكليف خاص فمن الملائكة من هو فى اقيام من أول خلق العالم الى قيام القيامة ومنهم

احتبس عنهم قالوا
 ما ترى عتبة الا قد صبا
 فانطلقوا اليه وقالوا
 يا عتبة ما حبسك عنا
 الا انك قد صبأت
 فغضب ثم قال والله
 لقد كلفه فاجابني بشئ
 والله ما هو بشعر ولا
 كهانة ولا سحر ولا باغ
 صاعقة عاد وثمود
 أمسكت بفيه وناشدته
 بالرحم ان يكف وقد علمتم
 ان محمدا اذا قال شيئا
 لم يكذب فمخفت ان ينزل
 بكم العذاب (فأما عاد
 فاستكبروا فى الارض)
 شروع فى حكاية
 ما يخص بكل واحدة
 من انطائنين من الجنابة
 والعذاب اثر حكاية
 ما يعم الكل من الكفر
 المطاق أى فعضوا
 فيها على اهلها
 أو استعملوا فيها واستولوا
 على اهلها (بغير الحق) أى
 بغير استحقاق للتعظيم
 والولاية (وقالوا) مداين
 بشدتهم وقوتهم (من
 أشد مناقرة) حيث
 كانوا ذى أجسام

ركوع لا ينتصبون ومنهم سجدوا لا يرفعون وإذا كان ذلك الأمر مختصاً بأهل ذلك السماء كان ذلك الأمر مختصاً بتلك السماء وقوله تعالى وأوحى في كل سماء أمرها أي وكان قد خص كل سماء بالأمر المضاف إليه كقوله وكلم من قرية أهلكتنا هاهنا فاجاءها بأسنا والمعنى فكان قد جاءها ههنا ما نقله الواحدى وهو عندى ضعيف لان تقدير الكلام ثم كان قد استوى الى السماء وكان قد أوحى وهذا جمع بين الضدين لان كلمة ثم تقتضى التأخير وكلمة كان تقتضى التقديم فالجمع بينهما يفيد التناقض ونظيره قول اقبال ضربت اليوم زيدا ثم ضربت عمرا بالاسم فكما ان هذا باطل فكذا ما ذكرتموه وانما يجوز تأويل كلام الله بما لا يوردى الى وقوع التناقض والركاكة فيه والمختر عندى أن يقال خلق السموات مقدم على خلق الارض بقى أن يقال كيف تأويل هذه الآية فنقول الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد والدليل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين لكان تقدير الآية أوجده من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال لانه يلزم انه تعالى قد قال لاشئ الذى وجد كن ثم انه يكون وهذا محال ثبت ان الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد بل هو عبارة عن التقدير والتقدير فى حق الله تعالى هو حكمه بأنه سيوجد وقضاؤه بذلك واذا ثبت هذا فنقول قوله خلق الارض فى يومين معناه انه قضى بحدوثه فى يومين وقضاء الله بأنه سيحدث كذا فى مدة كذا لا يقتضى حدوث ذلك الشئ فى الحال فقضاء الله تعالى بحدوث الارض فى يومين قد تقدم على احداث السماء ولا يلزم منه تقدم احداث الارض على احداث السماء وحيث يزول السؤال فهذهما وصلت اليه فى هذا الموضع المشكل ثم قال تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين واعلم ان ظاهر هذا الكلام يقتضى ان الله تعالى أمر السماء والارض بالاتبان فاطاعا وامثالا وعند هذا حصل فى هذه الآية قولان (الاول) ان تجرى هذه الآية على ظاهرها فنقول ان الله تعالى أمرها بالاتبان فاطعا قال القائلون بهذا القول وهذا غير مستبعد ألا ترى انه تعالى أمر الجبال أن تنطق مع داود عليه السلام فقال يا جبال أو بي معه والطير والله تعالى تجلى للجبل قال فلما تجلى ربه للجبل والله تعالى أنطق الإيدى والارجل قال يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وإذا كان كذلك فكيف يستبعد أن يخلق الله فى ذات السماء والارض حياة وعقلا وفهما ثم يوجد الأمر والتكليف عليهما وبأ كدهما الاختمال بوجوه (الاول) ان الاصل حمل اللفظ على ظاهره الا اذا منم منه مانع وههنا لامانع فوجب اجراؤه على ظاهره (الثانى) انه تعالى أخبر عنهما فقال قالتا أتينا طائعين وهذا الجم جمع ما يعقل ويعلم (والثالث) قوله تعالى ان اعرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وهذا يدل على كونها طارفة بالله مخصوصة بتوجيه تكليف الله عليها والاشكال عليه أن يقال المراد

طوال وخلق عظيم
وقد بلغ من قوتهم
أن الرجل كان ينزع
الصخرة من الجبل
فيقلها بيده (أولم يروا)
أى أغفلوا أو ألم ينظروا
ولم يعلموا علما جليا شيئا
بالمشاهدة والبيان
(ان الله الذى خلقهم
هو أشد منهم قوة) أى
قدرة فانه تعالى قادر
بالذات مقدر على ما لا
ينهاى قوى على ما لا
يقدر عليه غيره مفيض
للقوى والقدر على كل
قوى وقادر وانما أورد
فى خبر الصلة خلقهم
دون خلق السموات
والارض لادعائهم
الشدة فى القوة وفيه
ضرب من التهكم بهم
(وكانوا يأتينا المنزلة
على الرسل) (مجدون)
أى ينكرونها وهم
يعرفون حقيقتها وهو
عطف على فاستكبروا
كقوله تعالى وقالوا
وما ينتمى اعتراض
للذ على كلامهم الشنعاء
(فأرسلنا

من قوله انبساطوا أو كرها الاتيان الى الوجود والحدوث والحصول وعلى هذا التقدير
 فعال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت موجودة لصار حاصل
 هذا الامر ان يقال يا موجود كن وجودا وذلك لا يجوز فثبت أنها حال توجه هذا الامر
 عليها كانت معدومة واذا كانت معدومة لم تكن فاهمة ولا عارفة للخطاب فلم يجز توجيه
 الامر عليها فان قال قائل روى مجاهد عن ابن عباس انه قال قال الله سبحانه للسموات
 اطلعي شمسا وقرك ونجومك وقال للارض شقي اتهارك وأخرجي نهارك وكان الله تعالى
 أودع فيهما هذه الاشياء ثم أمرهما بإبرازها واطهارها فتقول فعلى هذا التقدير لا يكون
 المراد من قوله اتبناطائمين حدودهما في ذاتهما بل يصير المراد من هذا الامر ان يظهر اما
 كان مودعا فيهما الان هذا الكلام باطل لانه تعالى قال فقضاهن سبع سموات في يومين
 والفاء للتعقيب وذلك يدل على ان حدوث السموات انما حصل بهد قوله اتبناطوا
 أو كرها فهذا جملة ما يمكن ذكره في هذا البحث (القول الثاني) ان قوله تعالى قال لها
 وللارض اتبناطوا أو كرها ليس المراد منه توجيه الامر والتكليف على السموات
 والارض بل المراد منه انه أراد تكويتهما فلم يمتعاهما عليه ووجدتاهما كأرادهما وكان في
 ذلك كالأمر المطيع اذا ورد عليه أمر الامير المطاع ونظيره قول القائل الجدار للوند
 لم تشقني قال الوند اسأني من يدقني فان الحجر الذي وراهي ما خلاني وراهي واعلم ان هذا
 عدول عن الظاهر وانما جاز العدول عن الظاهر اذا قام دليل على انه لا يمكن اجراؤه على
 ظاهره وقد بينا ان قوله اتبناطوا أو كرها انما حصل قبل وجودهما واذا كان الامر
 كذلك امتنع حمل قوله اتبناطوا أو كرها على الامر والتكليف فوجب حمله على ما ذكرنا
 واعلم ان اثبات الامر والتكليف فيهما مشروط بحصول الماءور فيهما وهذا يدل على انه
 تعالى أسكن هذه السموات الملائكة وأنه تعالى أمرهم بأشياء ونهاهم عن أشياء وليس في
 الآية ما يدل على انه انما خلق الملائكة مع السموات أو أنه تعالى خلقهم قبل السموات ثم
 انه تعالى أسكنهم فيها وأيضا ليس في الآية بيان الشرائع التي أمر الملائكة بها وهذه
 الاسرار لا تليق بعقول البشر بل هي أعلى من مصاعداً فهمهم ومرامى أوهاهم ثم قال
 وزينا السماء الدنيا بمصابيح وهي النيرات التي خلقها في السموات وخص كل واحد بضوء
 معين وسرمعين وطبيعة معينة لا يعرفها الا الله ثم قال وحفظنا يعني وحفظناها حفظا يعني
 من الشياطين الذين يسترقون السمع فأعد لكل شيطان نجما يرميه به ولا يخطئه فنها
 ما يحرق ومنها ما يقتل ومنها ما يجعله نجبالا وعن ابن عباس ان اليهود ساءوا الرسول صلى
 الله عليه وسلم عن خلق السموات والارض فقال خلق الله تعالى الارض في يوم الاحد
 والاثنين وخلق الجبال والشجر في يومين وخلق في يوم الخميس السماء وخلق في يوم الجمعة
 النجوم والشمس والقمر والملائكة ثم خلق آدم عليه السلام وأسكنه الجنة ثم قالت اليهود
 ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا ثم استراح فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليهم يحاصر صرا
 أي باردة تنهك وتخرق
 بشدة بردها من الصر
 وهو البرد الذي يصير
 أي يجمع وينقبض
 أو عاصفة تصوت في
 هو بها من الصرير
 (في أيام نحسات) جمع
 نحسة من نحس نحسا
 نفيض سعد سعدا
 وقرى بالسكون على
 التخفيف أو على أنه
 نعت على فعل أو وصف
 مصدر مبالغة قبل كن آخر
 شوال من الاربعاء الى
 الاربعاء وما عذب قوم الا
 في يوم الاربعاء (تذيقهم
 عذاب الخزي في الحياة
 الدنيا) وقرى لتذيقهم
 على استناد الاذاقة
 الى الريح أو الى الايام
 وأضيف العذاب الى
 الخزي الذي هو اللذ
 والاستكانة على وصف
 له كما يعرب عنه قوله
 سبحانه (ولعذاب الآخرة
 أخزى) وهو في الحقيقة
 وصف للعذب وقد
 وصف به

فغزل قوله تعالى وما مننا من انبوب واعلم انه تعالى لما ذكر هذه التفاصيل قال ذلك تقدير العزيز العليم والعز بـ إشارة الى كمال القدرة والعليم إشارة الى كمال العلم وما أحسن هذه الخاتمة لان تلك الاعمال لا يمكن الا بقدرة كاملة وعلم محيط * قوله تعالى (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألاتعبدوا الا الله قالوا اوشاء بنا الانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به ككافرون وأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فإرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد لهم ولا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون) اعلم ان الكلام انما ابتدئ من قوله انما الهكم اله واحد واحتج عليه بقوله قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وحاصله ان الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز الكفر به وكيف يجوز جعل هذه الاجسام الخسيسة شركا له في الالهية ولستم تلك الحجمة قال فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وبيان ذلك لان وظيفة الحجمة قدمت على أكل الوجوه فان بقوا مصرين على الجهل لم يبق حينئذ علاج في حقهم الا انزال العذاب عليهم فلهدنا السبب قال فان أعرضوا فقل أنذرتكم بمعنى ان أعرضوا عن قبول هذه الحجمة القاهرة التي ذكرناها وأصروا على الجهل والتقليد فقل أنذرتكم والانهاد هو التخويف قال المبرد والصاعقة النائرة المهلكة لاي شيء كان وقرئ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قال صاحب الكشاف وهي المرة من الصعق ثم قال اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم وفيه وجهان (الاول) المعنى ان الرسل المبشرون اليهم أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأتوا بجمع وجوه الخيل فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان قوله ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لا تينهم من كل جهة ولا علم فيهم كل حيلة ويقول الرجل استدرت بفلان من كل جانب فلم تؤثر حيلتي فيه (السؤال الثاني) المعنى ان الرسل جاءتهم من قبلهم ومن بعدهم فان قيل الرسل الذين جاؤا من قبلهم ومن بعدهم كيف يمكن وصفهم بانهم جاؤهم قلنا قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما ويحميم الرسل وبهذا التقدير فكان جميع الرسل قد جاؤهم ثم قال الاتعبدوا الا الله يعني ان الرسل الذين جاؤهم من بين أيديهم ومن خلفهم أمرهم بالتوحيد ونفي الشرك قال صاحب الكشاف أن في قوله أن لاتعبدوا الا الله بمعنى أي أوتخففه من الثقله أصله بانه لاتعبدوا أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لاتعبدوا الا الله ثم حكى الله تعالى عن أولئك الكفار انهم قالوا اوشاء بنا الانزل ملائكة يعني انهم

العذاب للبالغة (وهم لا ينصرون) يدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه (وأما ثمود فهديناهم) فدلناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وأرحناعلاهم بالكلمة وقدمر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للفقير وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده وهو نافي الخالين وبضم الراء (فاستجبوا العمى على الهدى) أي اختاروا الضلالة على الهداية (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب بالغة أو أبذل منه (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجيننا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة

(ويوم يحشر أعداء الله) شروع في بيان ضروبهم الأجله الربان صفواتهم العاجلة والتعير عنهم بأعداء الله تعالى
لذمهم والايذان بمله ما يحق بهم ﴿ ٢٦١ ﴾ من ألوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين ويرده

كذبوا أولئك الرسل وقالوا الدليل على كونكم كاذبين انه تعالى لو شاء ارسال الرسل الى
البشر لجعل رسله من زمرة الملائكة لان ارسال الملائكة الى الخلق افضى الى المقصود
من البعثة والرسالة ولما ذكروا هذه الشبهة قالوا فانما أرسلتم به كافرون معناه فاذا أنتم
بشر ولستم بملائكة فأنتم لستم برسول واذا لم تكونوا من الرسل لم يلزمنا قبول قولكم وهو
المراد من قوله فانما أرسلتم به كافرون واعلم اننا لنعنا في الجواب عن هذه الشبهات في
سورة الانعام وقوله أرسلتم به ليس باقرار منهم بكون أولئك الانبياء رسلا وانما ذكره
حكاية لكلام الرسل أو على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم
لجنون ﴿ روى ان أبا جهل قال في ملا من قر يش التبس علينا أمر محجرفلوا لستم لنا رجلا
عالما بالشعر والسحر والكهانة فكله ثم اتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله
لقد سمعت الشعر والسحر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأناء فقال يا محمد
أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبدالمطلب أنت خير أم عبدالله لم تشتم آلهتنا وفضلنا فان
كنت تريد الرياسة عقدنا لك الاواء فكنت رئيسنا وان تمكن بك الياة زوجناك عشر
نسوة تختارهن أي بنات من شئت من قر يش وان كان المال مرادك جئنا لك ما تستغنى به
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من
الرحمن الرحيم الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيد وناشده بالرحم
ورجع الى أهله ولم يخرج الى قر يش فلما احتبس عنهم قالوا ان ترى عتبة الا قد صبأ فانظروا
اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت فغضب واقسم لا يكلم محمدا أبدا ثم قال
والله لقد كنته فاجابني بشي ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة ولما بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم ولقد علمت ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فغضت أن
ينزل بك العذاب واعلم انه تعالى لما بين كفر قوم عاد وثمود على الاجال بين خاصة كل
واحدة من هاتين الطائفتين فقال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وهذا الاستكبار
فيه وجهان (الاول) اظهار الخوة والكبر وعدم الانفات الى غير (والثاني) الاستعلاء
على الغير واستخدامهم ثم ذكر تعالى سبب ذاك الاستكبار وهو انه قالوا من أشد منا قوة
وكانوا مخصوصين بكبر الاجسام وشدة القوة ثم انه تعالى ذكر ما يدل على انه لا يجوز لهم ان
يفتروا بشدة قوتهم فقال أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة يعني أنهم وان
كانوا أقوى من غيرهم فالله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة فان كانت الزيادة في القوة
توجب كون الناقص في طاعة الكامل فهذه المعاملة توجب عليهم كونهم منقادين لله
تعالى خاضعين لاوامره ونواهيده واحتج أصحابنا بهذه الآية على اثبات القدرة لله فقالوا
القوة ههنا هي القدرة فقوله الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة يدل على اثبات التوة لله
تعالى ويأ كدهذا بقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان قيل صيغة افضل التفضيل
انما تجرى بين شيئين لاحدهما مع الآخر نسبة لكن قدرة العبد متناهية وقدرة الله

ما سياتى من قوله تعالى
في أم قد خلت من قبلم
من الجن والانس وقرى
يحشر على بناء الفاعل
ونصب أعداء الله وبنون
العظيمة وضم الشين
وكسرهما (الى النار)
أى الى موقف الحساب
اذهناك تتحقق الشهادة
الآتية لا بعد تمام السؤال
والجواب وسوقهم الى
النار والتعير عند النار
اما الايذان بانها عاقبة
حشرهم وانهم على
شرف دخولها واما
لان حسابهم يكون على
شفيها ويوم امام تصويب
بأذكر أو ظرف لمضمر
مؤخر قد حذف ايها ما
لتصور العباداة عن
تقصيله كما مر في قوله
تعالى يوم يجمع الله
الرسل وقيل ظرف لما
يدل عليه قوله تعالى
(فهم يوزعون) أى
يحبس أولهم على آخره
ليتلا حقوا وهو عبارة
عن كثرتهم وقيل
يساقون ويدفعون الى
النار وقوله تعالى (حتى
اذا ما جاؤها) أى
جميعا غاية يحشر

أو يوزعون أى حتى اذا حضرها ﴿ ٤٦ ﴾ سا وما من بدة انسا كيد اتصال الشهادة بالحضور

(شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقتروا بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن المراد بشهادة الجلود

شهادة الخروج وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) فإن ما شهد به من الزنا أعظم جناية وقبحا وأجلب الخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والأبصار من الجنائيات المكتسبة بتوسطها وقيل المراد بالجلود الجوارح أي سألوها سؤال توخيح لما روي أنهم قالوا لها فتمكن كنا نفاضل وفي رواية بعدا لكن وسعتا عنك كنت أجادل وصغفرت جمع العقلاء في خطاب الجلود وفي قوله تعالى (قالوا أئذنا الله الذي أنطق كل شيء) لو وقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء أي أنطقنا الله الذي أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما علمتم بواسطتنا من اقتباس وما كنا لها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وليس

لأنها إذا لها والمتناهي لأنسبته إلى غير المتناهي فإعنى قوله إن الله أشد منهم قوة قلنا هذا ورد على قانون قولنا الله أكبر ثم قال وكانوا يأتنا يتكبدون والمعنى أنهم كانوا يعترفون إسحاق وليكنتم جحدوها كما يتكبد المودع الودية وأعلم إن نظم الكلام أن يقال إما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وكانوا يأتنا يتكبدون وقوله وقالوا من أشد منا قوة أوليروا إن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة اعتراض وقع في البين لتقرير السبب الداعي لهم إلى الاستكبار وأعلم أن ذكرنا أن مجامع الخصال الحميدة الأحسان إلى الخلق والعظيم الخالق قوله استكبروا في الأرض بغير الحق مضاد للأحسان إلى الخلق وقوله وكانوا يأتنا يتكبدون مضاد للعظيم الخالق وإذا كان الأمر كذلك فكذلك فهم قد بلغوا في الصفات المدعومة الموجبة للهلاك والابطال إلى الغاية القصوى فلم هذا المعنى سلطان الله العذاب عليهم فقال فارسلنا عليهم نوحا صرصرا وفي الصرصر قولان (أحدهما) أنها العاصفة التي تضرر أي تصوت في هبوبها وفي الثانية التسمية وجوه قيل إن الريح عندما اشتداد هبوبها السمع منها صوت يشبه صوت الصرصر فسميت هذه الريح بهذا الاسم وقيل هو من صرير الباب وقيل من العسرة وهي السحبة ومنه قوله تعالى فاقبلت امرأته في صرة (والقول الثاني) أنها الباردة التي تخرق ببردتها كما تخرق النار بحررها وأصلها من الصر وهو البرد قال تعالى كمثل ريح فيها صر وروي عن رسول الله أنه قال الريح ثمان أربع منها عذاب العاصف والصرصر والعقيم والسموم وأربع منها ريحة الناشرات والبشرات والمرسلات والذاريات وعن ابن عباس إن الله تعالى ما أرسل على عباده من الريح إلا قدر خائفا والمقصود أنه مع قوته أهلك الكل وذلك يدل على كمال قدرته وأما قوله في أيام نحسات ففقه مسائل (المسألة الأولى) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ونحسات يسكون الماء والياقوت بكسر الهمزة قال صاحب الكشاف يقال نحس نحسان نقض سعد سعدا فهو نحس وأما نحس فهو إما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف به مصدر (المسألة الثانية) استدلال الأحكاميون من المجتهدين بهذه الآية على أن بعض الأيام قد يكون نحسا وبعضهم قد يكون سعدا وقالوا هذه الآية صريحة في هذا المعنى أجاب المتكلمون بأن قالوا أيام نحسات أي ذوات غبار وتراب تأثر لا يكاد يضر فيه ويتصرف وأيضا قالوا معنى كون هذه الأيام نحسات إن الله أهلكهم فيها أجاب المستدل الأول بأن النحسات في وضع اللغة هي المشومات لأن النحس يقابله السعد والكدر يقابله الصافي وأجاب عن السؤال الثاني إن الله تعالى أخبر عن إشفاق ذلك العذاب في تلك الأيام النحسات فوجب أن يكون كون تلك الأيام نحسة مغاير لذلك العذاب الذي وقع فيها ثم قال تعالى لتذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا أي عذاب الهوان والنذل والسبب فيه أنهم استكبروا فاقابل الله ذلك الاستكبار بإرسال الخزي والهوان والنذل إليهم ثم قال تعالى وأعداب الآخرة الخزي أي أشد أهانة وخزيا وهم لا ينصرون أي أنهم يقعون في الخزي الشديد ومع ذلك فلا يكون

بذلك لما فيه من إيهام الاضطرار في الأخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فإعنى ﴿لهم﴾

حينئذ ليس نطقنا بحجب من قدرة الله الذي أنطق كل حي (وهو خلقكم أول مرة واليد ترجعون) فان من قدر على خلقكم وانشايتكم أولا وعلى اعادتكم في ٣٦٣ مج ورجعتكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقة الجوارحكم وامل

لهم ناصري دفع ذلك الحيز عنهم ولما ذكر الله تعالى قصة ما دابته بقصة نوح وقال وأما نوح قال صاحب الكشاف قري نوح بالرفع والنصب تنونا وضرب نون والرفع اقصح او قومه بعد حرف الابتداء وقري بنهم انهم فهديتناهم أي دللتناهم على طريق الخير والشر فاستحبوا العمى على الهدى أي اختاروا الدخول في الضلالة على ما لدخول في الرشاد واعلم ان صاحب الكشاف ذكر في تفسيره في قوله تعالى هدى للذين ان الهدى عبارة عن الدلالة الموصلة الى البغية وهذه الآية تبطل قوله لا اله الا الله على ان الهدى قد حصل مع ان الافضاء الى البغية لم يحصل فثبت ان قيد كونه مقتضيا الى البغية غير معتبر في اسم الهدى وقد ثبت في هذه الآية سؤال يسأل بذلك الغاية لم يذكر جوابا شافيا فتركتها قلت المعتزلة هذه الآية دالة على ان الله تعالى قد نصب الدلائل ويرجع الاضمار والعهد الا ان الايمان انما يحصل من العبد لان قوله وأما نوح فهديتناهم يدل على انه تعالى قد نصب لهم الدلائل وقوله فاستحبوا العمى على الهدى يدل على انهم من عند أنفسهم اتوا بذلك العمى فهذا يدل على ان الكفر والايان يحصلان من العبد وأقول بل هذه الآية من أدل الدلائل على ان الله تعالى حصلان من الله لا من العبد وبيان من وجهين (الاول) انهم انما صدر عنهم تلك العمى لانهم احبوا تحصيله فلما وقع في قلوبهم هذه التجهتدون تحببته فان حصل ذلك الترجيح لا المرجح فهو باطل وان كان المرجح هو العبد عاد الطلب وان كان المرجح هو الله فقد حصل المطاوب (الثاني) انه تعالى قال فاستحبوا العمى على الهدى ومن المعام بالضرورة ان احد الايجاب العمى والجهل مع العلم بكونه عمى وجهلا بل ما لم يظن في ذلك العمى والجهل كونه تبصرة وعلما لا يرغب فيه فاقدمه على اختيار ذلك الجهل لا بد وان يكون مسبوقا بجهل آخر فان كان ذلك الجهل الثاني باختياره ايضا لم يتسلسل وهو محال فلا بد من انتهاء تلك الجهالات الى جهل يحصل فيه لا باختياره وهو المطلوب ولما وصف الله كفرهم قال فاخذتهم صاعقة العذاب الهون وصاعقة العذاب أي داهية العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو ابدل منه بما كانوا يكسبون يريد من شركهم وتكذيبهم صالما وعقرهم الناقة وشرع صاحب الكشاف ههنا في سفاهة عظيمة والاولى ان لا يلتفت اليه لانه وان كان قد سمي سعي احسانا فيما يتعلق بالالفاظ الا ان المسكين كان بعيدا من المعاني ولما ذكر الله الوعيد ارفده بالوعد فقال ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون يعني وكانوا يتقون الاعمال التي كان يأتي بها قوم عاد ونوح فان قيل كيف يجوز ان رسول صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه مثل صاعقة عاد ونوح مع العلم بان ذلك لا يقع في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد صرح الله تعالى بذلك في قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وجاء في الاحاديث الصحيحة ان الله تعالى رفع عن هذه الامة هذه الانواع من الآفات فلنا انهم لما عرفوا كونهم مشاركين لعاد ونوح في استحقاق مثل تلك الصاعقة جوزوا حدوث ما يكون من جنس ذلك وان كان اقل درجة منهم وهذا التقدير يكفي في

صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجوع لما ان المراد بالرجوع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يترب عليه من العذاب الخالد المترقب عند الخطايب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة التواصل وقوله تعالى (وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) حكاية لما يقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتفريع تفرير الجواب الجاود أي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم النواحيس مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافضاح عند سد هم بل كنتم جاخذين بالبعث والجزاء رأسا (ولكن ظنتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) من القبايح الخفية فلا يظنرها

في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايدان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ

لاياتها كانت عالة بما شهدت به عند صدوره عنهم * عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا بأستار الكعبة فله دخل
ثلاثة نفر ثقيان وقرشي أو قرشيان وثاني فقال أحدهم أترون أن الله ﴿ ٢٦٤ ﴾ يسمع ما تقول قال الآخر يسمع

ان جهرنا ولا يسمع ان
أخفنا فذكرت ذلك
ثاني صلى الله عليه وسلم
فأزل الله تعالى وما كنتم
تستترون الآية فالحكم
المحكي حينئذ يكون
مناصب من كان على ذلك
الاعتقاد من الكفرة
واعل الانسب أن يراد
بأنظ من بني حجازي يسم
معناه المستحق وما يبري
بجراه من الاعمال المبرية
منه كما في قوله تعالى
يحب أن ماله أخذه
ليعم ما حكى من المال
جميع أصناف الكفرة
تقدير (وذلكم) إشارة
الى ما ذكر من ظنهم
وما فيه من معنى البعد
للإيمان بغاية بعد
مزالته في الشرو السوء
وهو مبتدأ وقوله تعالى
(ظنكم الذي ظنتم بربكم
أرداكم) خبر إن له ويجوز
ان يكون ظنكم بدلا
وأرداكم خبرا
(فأصبحتم) بسبب ذلك
الظن السوء الذي
أهلككم (من الخاسرين)
اذ صار ما فتحوا لبيل
سعادة الدارين سببا
اشقاء النشأتين (فان
يصبروا فالنار مثوى لهم)

الخدورف وقوله تعالى (ويوم نحشر أعداء الله ان النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤا لها شهد
عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقاوا جلودهم ان شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو يخفكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون
أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن فطنتكم ان الله لا يلم كثيرا ما يعملون
وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم وأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى
لهم وان يستعتبوا منهم من المعتبين) واعلم أنه تعالى لما بين كيفية عقوبة أولئك الكفار
في الآيات قد بيانية عقوبتهم في الآخرة ليحصل منه تمام الاعتبار في الجزو والتحذير
وقرأنا نافع نحشر يا أيون أعداء بالنصب أنطق الخسرا في نفسه والتقدير يحشر الله من
وجل أعداء الكفار من الأولين والآخرين ويحشر الله معطوف على قوله ونجينا
فيحشر أن يكون على وقفه في اللفظ ويقويه قوله يوم نحشر المعتبين وحشرناهم وأما
الباقيون فقروا على فعل ما لم يسم فاعله لأن قصده تودق فذمت وقواد يوم يحشر أعداء كلال
آخر وأيضاً المحشرون لهم هم المؤمنون بقوله استشروا وهم الثلاثة وأيضاً ان هذه
القرأة موافقة لقوله فهم يوزعون وأيضاً فتقدير القراءة الأولى ان الله تعالى قال ويوم
نحشر أعداء الله الى النار فكان الأولى على هذا التقدير أن يقال ويوم نحشر أعداءنا الى
النار واعلم انه تعالى لما ذكر أن أعداء الله يحشرون الى النار قال فهم يوزعون أي يحبس
أولهم على آخرهم أي يوقف سوايهم حتى يصل اليهم تواليهم والمقصود بيان أنهم
اذا اجتمعوا سألوا عن أعمالهم ثم قال حتى اذا ما جاؤا لها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم
وجلودهم وفيه مسائل (المسئلة الأولى) التقدير حتى اذا جاؤا لها شهد عليهم سمعهم
وأبصارهم وجلودهم وعلى هذا التقدير فكلمة ماصلة وقيل فيها فائدة زائدة وهي تأكيد
ان عند مجيئهم لا بد وان تحصل هذه الشهادة كقوله أتم اذا ما وقع آمنتم به أي لا بد وقت
وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به (المسئلة الثانية) روى ان العبد يقول يوم القيامة يا رب
الفرقة ألسنت قد وعدتني ان لا تفعل عني فيقول الله تعالى فانك ذلك فيقول العبداني لأقبل
على نفسي شاهدا لا من نفسي فيحتم الله على فيه وينطق اعضاءه بالاعمال التي صدرت منه
فذلك قوله شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم واختلف الناس في كيفية الشهادة
وقية ثلاثاً أقوال (أحدها) انه تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد
الرجل على ما يعرفه (والثاني) انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة
على تلك المعاني كما خلق الكلام في الشجرة (والثالث) أن يظهر في تلك الاعضاء احوال
تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال
يشهد هذا العالم بتغيرات احواله على حدوثه واعلم ان هذه المسئلة صعبة على المعتزلة أما
القول الأول فهو صعب على مذهبهم لان البنية عندهم شرط لحصول العقل والقدرة
فاللسان مع كونه لساناً يتبع أن يكون محلاً للعقل والعقل فان خير الله تعالى تلك البنية

قوله وقري وان يستعبروا أي بصيغة المفعول والمعتين بصيغة الفاعل اه

أيذية لهم بحيث لا يراهم

منها والائتات الى الغيبة الايتان طو ٣٦٥ بقاء قضاء ما لهم أن يعرض عنهم ويحكي سوء حالهم لغيرهم أو

للشعاع بانفسهم
عن جبر الخطاب
والقائم في غاية دركات
النار (وان يستعبروا)
أي يسألوا العتي وهو
الرجوع الى ما يحبونه
بجرطائهم فيه (فاهم
من المعتين) المجابين
اليهم وانظروهم قوله تعالى
سواء غلبنا أجزعنا ام
صبرنا مالنا من نخيص
٩ وقري وان يستعبروا
فاهم من المعتين أي
ان يسألوا أن يرضوا
رهم فاهم فاعلون
اقوات الكفة (وقيضنا
اهم) أي قدرنا للكفرة
في الدنيا (قرناء) جم
قرين أي اخداننا من
الشياطين بسواون
عليهم استيلاء القيص
وهو القشر وقيل
أصل القيص البسمل
ومنه المقايضة المعاونه
(قرينوا لهم ما بين
أيديهم) من أمور الدنيا
واتباع الشهوات (وما
خلفهم) من أمور
الآخرة حيث اروههم
ان لا يبعث ولا حساب
ولا مكروه قط (وحق
عليهم القول) أي بات

والصورة خرج عن كونه لسانا وطلا وظهر الآية يدل على اضافة تلك الشهادة الى
السمع والبصر والجلود فان قلنا ان الله تعالى ما غير بنية هذه الاعضاء فعيننا يمنع عليها
صكونها عاقلة ناطقة فاهمة وأما القول الثاني وهو ان يقال ان الله تعالى خلق هذه
الاصوات والحروف في هذه الاعضاء وهذا أيضا باطل على أصول المعتزلة لان مذهبهم أن
المتكلم هو الذي نزل الكلام لا ما كان موصوفاً بالكلام فانهم يقولون ان الله تعالى خلق
الكلام في الشجرة وكان المتكلم بذلك الكلام هو الله تعالى لا الشجرة فهذه الوجة ان
الله خلق الاصوات والحروف في تلك الاعضاء لم أن يكون الشاهد هو الله تعالى لان تلك
الاعضاء ولم أن يكون المتكلم بذلك الكلام هو الله لان تلك الاعضاء وتظاهر القرآن يدل على
أن تلك الشهادة شهادة صدرت من تلك الاعضاء لان الله تعالى لا ان الله تعالى قال شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم وأرضائهم قالوا تلك الاعضاء لم شهدتم علينا فان تلك الاعضاء
أدلتنا الله الذي أنطق كل شيء وكل هذه الآيات دالة على ان المتكلم بتلك الكلمات هي
تلك الاعضاء وان تلك الكلمات ليست كلام الله تعالى فهنا توجيه الاشكال على هذين
القولين وأما القول الثالث وهو تفسير هذه الشهادة بظهور أمارات مخصوصة على هذه
الاعضاء دالة على صدور تلك الاعمال منهم فهذا عدول عن الحقيقة الى المجاز والاصل
عدمه فهذا انتهى الكلام في هذا البحث أما على مذهب أصحابنا فهذا الاشكال غير
لازم لان عندنا البنية ليست شرطاً للحياة ولا للعلم ولا للقدرة فأنه تعالى قادر على خلق العقل
والقدرة والتطيق في كل جزء من أجزاء هذه الاعضاء وعلى هذا التقدير فالاشكال زائل
وهذه الآية يحسن التمسك بها في بيان أن البنية ليست شرطاً للحياة ولا في الصفات
المشروط بها للحياة والله أعلم (المسئلة الثالثة) ما رأيت للمفسرين في تخصيص هذه الاعضاء
الثلاثة بالذكور سبياً وفائدة وأقول لاشك ان الحواس خمسة السمع والبصر والشم والذوق
واللمس ولا شك أن آلة اللمس هي الجلد فأنه تعالى ذكره هنا ثلاثة أنواع من الحواس
وهي السمع والبصر واللمس وأهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم لان الذوق داخل في
اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق إنما يأتي بان تصير جلد اللسان والحنك
حاسة لجرم الطعام فكان هذا داخل فيه فبقي حس الشم وهو حس ضعيف في الانسان
وليس لله فيه تكليف ولا أمر ولا نهى اذا عرفت هذا فنقول نقل عن ابن عباس أنه قال
المراد من شهادة الجلود شهادة الفروج قال هذا من باب التكنيات كما قال واصكن
لاتواعدوهن سرا وأراد النكاح وقال أوجاء أحدكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يتكلم من آدمي فخذ وكفه وعلى هذا التقدير
فتكون هذه الآية وعبد اشديدا في الايتان بالان لان مقدمة الزنا إنما تحصل بالكف ونهاية
الامر فيها إنما تحصل بالتخذ ثم حكى الله تعالى عنهم أنهم يقولون لتلك الاعضاء لم شهدتم
طينا قالوا نطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ومعناه

وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصدقها وهو قوله تعالى

لا بد من فالحق والحق اقول لا ملان جهنم منكم ومن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى من تبعك منهم لا ملان جهنم منكم اجمعين كما مر مرارا (في اسم) حال من الضمير الجوراي كالتين ﴿٣٦٦﴾ في جملته اتم وقيل في معنى مع وهذا كما ترى

صريح في أن المراد
باعداء الله تعالى في السابق
اليهودون من عاد
وثمود والكنعان من الاولين
والآخرين كما قيل
(قد خلت) صفة لانهم
أى مضت (من قبلهم
من الجن والانس)
على الكفر والعصيان
كذاب هؤلاء (انهم
كانوا خاسرين) تعليل
لاستحقاقهم العذاب
والاضحية للاولين
والآخرين (وقال
الذين كفروا) من رؤس
المشركين لأعقابهم
أوقال بعضهم بعض
(لا تسعوا بهذا القرآن)
أى لا تصنعوا به (والعوا
فيه) وعارضوه بأخرافات
من الرجز والشعر
والتصديفة والمكاذبة
أورفعوا أصواتكم
بها تشوشوه على
القارى بضم العين
والمعنى واحده يقال اغنى
يلغى كفى يلقى والغايلغو
إذا هسنى (اعلمكم
تعالون) أى تعلبونه على
قراءته (فلندين الذين
كفروا) أى فوالله
لندين هؤلاء القائلين

ان القادر على خلقكم وانصافكم في المرة الاولى حالما كنتم في الدنيا ثم على خلقكم
وانصافكم في المرة الثانية وهي حال القيامة والبحث كيف يستبعد منه انطاق الجوارح
والاعضاء ثم قال تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم
فما عن اثبات أنهم كانوا يستترون عند الاقدام على الاعمال القبيحة الا ان استنارهم
ما كان لاجل خوفهم من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وذلك لانهم كانوا
منكرين للبعث والقيامة ولكن ذلك الاستتار لاجل انهم كانوا يظنون أن الله لا يعلم
الاعمال التي يتدعون عابها على سبيل الخفية والاستتار عن ابن مسعود قال كنت مستترا
بأستار الكعبة فدخلت ثلاثه نفر على ثقبان وقرتني فقال أحدهم أترون الله باسم
ما تقولون فقال الرجلان اذ سمعنا أصواتنا سمع والام يسمع فذكرت ذلك للرسول صلى الله
عليه وسلم فغزل وما سمعتم تستترون ثم قال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم
أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وهذا نص صريح في ان من ظن بالله تعالى انه يخرج شئ
من المعلومات عن علمه فانه يكون من الهالكين الخاسرين قال أهل التحقيق الظن نسيان
ظن حسن بالله تعالى وظن فاسد أما الظن الحسن فهو أن يظن به الرحمة والتفضل قال صلى
الله عليه وسلم حكايته عن الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله والظن القبيح فاسد وهو أن يظن بالله تعالى أنه يعزب عن
علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان ظن منيع وظن مرد فالمنيع قوله انى
ظننت انى ملاق حسابه وقوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأما الظن المردى فهو وقوله
وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم قال صاحب الكشاف وذلكم رفع بالابتداء
وظنكم وأرداكم خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر ثم قال فان
يصبروا فإنا نره شوى لهم بمعنى ان أمسكوا عن الاستغاثة افرج ينظرونه لم يجدوا ذلك
وتكون النار شوى لهم أى مقاماتهم وان يستغثوا فإفهام من المعتبين أى الذين استغثوا
ولم يجابوا اليهم او نظيره قوله تعالى أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيصرين الذين استغثوا
فإفهام من المعتبين أى ان يسألوا أن يرصوا ربهم فإفهام فاعاون أى لا سبيل لهم الى ذلك * قوله
تعالى (وقيضنا لهم قرآنا) فمن يتوالههم ما بين أيديهم وما خذفهم وحق عليهم القول في ام قد
خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسعوا بهذا
القرآن وانعوا فبذلكم تعلبون فنديقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ
الذى كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء عما كانوا ياتسوا
بمجدون وقال الذين كفروا ربنا ان الذين أضلنا من الجن والانس يجعلهم ما نحت
أقدامنا ليكونا من الاسفلين) اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة
على كفراؤئك الكفار أردفه بذكر السبب الذي لاجله وقعوا في ذلك الكفر فقال وقيضنا
لهم قرآنا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الصحاح يقال قايضت الرجل مقايضة

واللاعين أو جمع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أو اياها عذابا شديدا لا يقدر قدره) ولنجزينهم ﴿اى﴾

أي عاوضته بتناع وهما قبيحتان كما يقال يعان وقبض الله فلانا فلان أي جاء به وأتى به له
ومنه قوله تعالى وقبضنا لهم قرناء (المسئلة الثانية) اخرج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى
يريد الكفر من الكافر فقالوا أنه تعالى ذكر أنه قبض لهم أولئك القرناء وكان عالما بأنهم من
قبض لهم أولئك القرناء فأنهم يزعمون الباطل لهم وكل من فعل قبلا وعلم أن ذلك الفعل
يفضي الى أثر لا محالة فإن فاعل ذلك الفعل لا يد وان يكون مريدا لذلك الأثر فثبت أنه
تعالى لما قبض لهم قرناء فقد أراد منهم ذلك الكفر أجاب الجبائي عند بأن قال لو أراد
المعاصي لكانوا يفعلها مطيعين اذا فاعل لما أرادته منه غيره ليجب أن يكون مطيعا له وان
قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون يدل على أنه لم يريد منهم الا العبادة فثبت بهذا أنه
تعالى لم يريد منهم المعاصي واما هذه الآية فتقول انه تعالى ايقول وقبضنا لهم قرناء ليعزبوا
لهم واتعاقل فزبنوا لهم فهو تعالى قبض القرناء لهم بمعنى انه تعالى اخرجهم كل واحد الى
آخر من جنسه فقبض أحد الزوجين الآخر والغنى لا تغير والثقل لا يثقل ثم بين تعالى ان
بعضهم يزبن المعاصي للبعض واعلم ان وجه استدلال أصحابنا بما ذكرناه وهو ان من فعل
قبلا وعلم قطعا أن ذلك الفعل يفضي الى أثر فان فاعل ذلك الفعل يكون مريدا لذلك الأثر
فههنا الله تعالى قبض أولئك القرناء لهم وعلم أنه من قبض أولئك القرناء لهم فأنهم يععون
في ذلك الكفر والضلال وما ذكره الجبائي لا يدفع ذلك وقوله ولو أراد الله منهم المعاصي
لكانوا يفعلها مطيعين لله قلنا لو كان من فعل ما أرادته غيره مطيعا له لوجب أن يكون الله
مطيعا لعباده اذا فعل ما أرادوه ومعلوم أنه باطل وأيضا فهذا الزام للفظي لأنه يقال ان
أردت بالطاعة انه فعل ما أراد فنهنا الزام للشيء على نفسه وان أردت غيره فلا بد من بيانه
حتى ينظر فيه انما على بصح أم لا (المسئلة الثالثة) اختلفوا في المراد بقوله فزبنوا لهم ما بين
أيديهم وما خلفهم وذكر الزجاج فيه وجهين (الاول) زبنوا لهم ما بين أيديهم من أمر
الآخرة انه لا يبعث ولا الجنة والنار وما خلفهم من أمر الدنيا فنزبنوا ان الدنيا قديمة وانه
لا فاعل ولا صناع الا الطبايع والافلاك (الاساني) زبنوا لهم أعمالهم التي يعملونها
ويشاهدونها وما خلفهم وما يزعمون أنهم يعملونها وخبر ابن زيد عنه فتسأل زبنوا لهم
ما مضى من أعمالهم الخبيثة وما بقى من أعمالهم الخبيثة ثم قال تعالى وحتى حالهم اتقول
في أمم قد خلقت من قبهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين فتوجه في أمم في محل النصب
على الحال من الضمير في عليهم والتقدير حق عليهم اتقول حال كونهم كائين في جملة امم
من المتقدمين انهم كانوا خاسرين واجتج أصحابنا ايضا بانه تعالى اخبر بان هؤلاء حق
عليهم اتقول فلولم يكونوا كفارا لانقلب هذا القول الحق باطلا وهذا العلم جعل هذا الخبر
ان صدق كذا ولو كل ذلك محال ومستلزم المحال محال فثبت ان صدق والايان عنهم وعدم
صدور الكفر عنهم محال وان لم ان الكلام في اول السورة ابتدئ من قوله وقاوا قلوبنا في
اكنة مما تدعوننا اليه الى قوله فاعل اننا عاملون فأجاب الله تعالى عن تلك الشبهة بوجوه

أعمالهم كإغاثة الملهوفين
وصلة الأرحام وقرى
الأضياف لانها محيطة
بالكفر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما عذابا
شديدا يوم بدر وأسوأ
الذي كانوا يعملون في
الآخرة (ذلك) مبتدأ
وقوله تعالى (جزاء
أعداء الله) خبره أي ما
ذكر من الجزاء جزاء
معد لا عداءه تعالى وقوله
تعالى (النار) عطף بيان
للجزاء أو ذلك خبر مبتدأ
تعدون أي الأمر ذلك
على انه عبارة عن مفعول
بالجملة لا عن الجزاء وما بعده
جملة مستقلة بيته لما قبلها
وقوله تعالى (لهم فيها
دارا خالد) جملة مستقلة
مقررة لما قبلها أو النار
مبتدأ هي خبره أي هي
يعتهد دارا فاعلمهم على
ان في تأخير يد وهو ان
يتزاع من امر ذي صفة
امرا آخر مثله بالغة لكماله
فيها كما يقال في البيضة
عشرون متاحديا وقيل
هي على معناها والمراد
ان لهم في النار المشتلة
على الدركات دارا
مخصوصة هم فيها
خالدون (جزاء بما كانوا ياتنا يبجدون) منصوب

من الاجوبة واتصل الكلام بعضهم ببعض الى هذا الموضع ثم انه تعالى حكى عنهم شبهة اخرى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون قال صاحب الكشاف قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمتها يقال اغى بالغى والغايلغوا والغوا الساقط من الكلام الذي لا طائل نفعه واعلم ان القوم علموا ان القرآن كلام كامل في المعنى وفي اللفظ وان كل من سمعه وقف على جزالة ألفاظه وأحاط بعقله بمعانيه وقضى عقله بانه كلام حق واجب القبول فديروا تديرا في منع الناس عن استماعه فقال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والاشعار الفاسدة والكلمات الباطلة حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته كانت قرئش يوصى بذلك بعضهم بعضا والمراد افعلوا عند تلاوة القرآن ما يكون لغوا وباطلا تخرجوا قراءه القرآن عن أن تصير مفهومة للناس فبهذا الطريق تغلبون فجدوا صلى الله عليه وسلم وهذا جهل منهم لانهم في الخلال أقروا بانهم مشتغلون بالغوا والباطل من العمل والله تعالى ينصر محمدا بفضاه ولما ذكر الله تعالى ذلك هددهم بالعذاب الشديد فقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا لان لفظ الذوق انما يذكر في القدر القليل الذي يوتى به لاجل التجربة ثم انه تعالى ذكر ان ذلك الذوق عذاب شديد فاذا كان القليل منه عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه ثم قال وانجز بهم أسوأ الذي كانوا يعملون واختلغوا فيه فقال الاكثر من المراد جزاء أسوأ أعمالهم وقال الحسن بل المراد أنه لا يجازيهم على محاسن أعمالهم لانهم أحب طوها بال كفره ضاعمت تلك الاعمال الحسنة عنهم ولم يبق معهم الا الاعمال القبيحة الباطلة فلا جرم لم تحصلوا الاعلى جزاء السيئات ثم قال تعالى ذاك جزاء أعداء الله النار والمعنى انه تعالى لما قال في الآية المتقدمة ولنجز ينهم أسوأ التي كانوا يعملون بين أن ذلك النار والذى جعل جزاء أعداء الله هو النار ثم قال تعالى لهم فيها دار الخلد أى لهم في جهنم النار دار السيئات معينة وهي دار العذاب المنطوق بها جزاء بما كانوا ياتينا يجحدون أى جزاء بما كانوا يلبثون في القراءة والتمسك بجود لانهم لما عملوا ان القرآن باغ الى حد الإعجاز خافوا من انه اوسع الناس لآمنوا به فاستخرجوا تلك الطريق بقراءة فاسدة وذلك يدل على أنهم علموا كونه معجبا لانهم جحدوا الحسد واعلم انه تعالى لما بين ان الذي جعلهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد بحال سنة قراءه السوء بين ان الكفار عند الوقوع في العذاب الشديد يقولون ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس والسبب في ذكر هذين القسمين ان الشيطان على ضرب بين جنى والذى قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقايل لان الكفر سنة ابليس والقتل بعبرحق وقرئ أرنا تخفيفا كفتخذي فخا وقيل معناه اعطناهما وقري باختلاس كمره الرء (تجعلها تحت اقدامنا) أى تدسها وقيل اتقنا منها وقيل تجعلها في الدرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) أى ذلا ومهانة ومكانا

يفعل مقدر أى يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بثله كافي قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه مراعاة التواصل أى بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الخفة او يلبثون فيها وذكر المحمود لكونه سببا لغوا (وقال الذين كفروا) وهم متلبون فيما ذكر من العذاب (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس) يعنون فرقي شياطين انواعين الفيضين لهم الخاملين ايه على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزويل وقيل هما ابليس وقايل فانهما سنا الكفر والقتل بعبرحق وقرئ أرنا تخفيفا كفتخذي فخا وقيل معناه اعطناهما وقري باختلاس كمره الرء (تجعلها تحت اقدامنا) أى تدسها وقيل اتقنا منها وقيل تجعلها في الدرك الاسفل (ليكونا من الاسفلين) أى ذلا ومهانة ومكانا

(ان الذين قالوا ربنا الله) شروع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما أي
قاوه اعترافا بربوبية الله تعالى واقراراً بوحديته ﴿ ٣٦٩ ﴾ (ثم استقاموا) أي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على أن

استعطاء معناه أعطى ثم قال تعالى نجعلهما تحت أقدامنا قال مقاتل يكونان
أسفل منا في النار ليكونا من الأسفلين قال الزجاج ليكونا في الدرك الأسفل من النار وكان
بعض اللامتنى من قيل إلى الحكمة يقول المراد بالذين يفضلان الشهوة والغضب واليهما
الإشارة في قصة الملائكة بقوله أجعل فيهما من يفسدنيهما وبسلك الإدماء ثم قال والمراد
بقوله نجعلهما تحت أقدامنا يعني ياربنا أعتنا حتى نجعل الشهوة والغضب تحت أقدام
جوهر النفس القدسية والمراد بكونها تحت أقدامهم كونهما مخربين بالنفس القدسية
مطمئنين لها وان لا يكونا مسئولين عليها فافهم من لهما فوالله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا) تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم
توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولكم
فيها ما لم تدعوا نزلا من غفور رحيم) اعلم انه تعالى لما طلب في الوعيد أن يذهب هذا الوعد
الشريف وهذا ترتيب لطيف مدار كل القرآن عليه وقد ذكرنا من الركن الكمال على
ثلاثة أقسام النفسانية والبدنية والخارجية وأشرف المراتب النفسانية وأوسطها
البدنية وأدونها الخارجية وذكرنا ان الكمال النفسانية محصورة في تعيين العلم اليقيني
والعمل الصالح فان أهل التعريف كانوا كمال الانسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل
العمل به ورأس المعارف اليقينية ورأسها معرفة ذاته واليه الإشارة بقوله ان الذين قالوا
ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة ورأسها أن يكون الانسان مستقيما في اوسع تقديره مثال
إلى طرفي الافراط والشر يسا كقولوا ان لا تخافوا ولا تحزنوا وقال أيضا همدنا الصراط
المستقيم واليه الإشارة في هذه الآية بقوله ثم استقاموا وصحمت اننا قارىء قرآن مجلس
العبادى هذه الآية فتان العبادى واليامة في القرامنة بغير الاستقامة اذا عرفت هذا
فقول قول تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والى المراد من قول الانسان فقط
لان ذلك لا يفيد الاستقامة فلما ذكر عقوب ذلك قول الاستقامة لعلنا ان قول كان
مقرونا باليقين التمام والعرفه الحقيقية اذا عرفت هذا فقول في الاستقامة قولان
(أحدهما) ان المراد منه الاستقامة بين الدين والنوح والسرقة (والثاني) ان المراد منه
الاستقامة في الاعمال الصالحة أما على قول القول فله عبارات قال أبو بكر الصديق
رضي الله عنه ثم استقاموا أي لم يفتروا إلى الله غيره قال ابن عباس في بعض الروايات هذه
الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان أبا بكر رضي الله عنه وقع في أنواع
شديدة من البلاء والحنة ولم يتغير بئذ عن دينه فذكر هو الذي قال ربنا الله وبني مستقيما
عليه لم يتغير بسبب من الأسباب وأقول يمكن فيه وجوه أخرى وذلك ان من أهدى بنا لهذا
العالم انها بقيت له مقامات أخرى (قاولها) أن لا يتوغل في جانب التي إلى حيث ينتهي
إلى التعطيل ولا يتوغل في جانب الآثبات إلى حيث ينتهي إلى التشديد بل يبقى على الخط
المستقيم الفاصل بين التشديد والتعطيل وأيضا يجب أن يبقى على الخط المستقيم الفاصل

ثم لا تخشى في الزمان أو
في الزينة فان الاستقامة
أهل الشان كله وما روى
عن الخلفاء الراشدين
رضي الله تعالى عنهم في
معناها من الآيات على
الزمان واخلاص العمل
وأداء الفرائض بيان
لجزياتها (تذكر عليهم
الملائكة) من جهته
تعالى بدوهم في بيان
أهم من الأمور الدينية
والسبوية بما يشرح
صدورهم وينفع عنهم
الخلوف والحزن بطريق
الاهم كما أن الكفرة
ينويهم ما قبض لهم من
مراد السوء بتزيين التبايح
وقيل تنزل عند الموت
باليسرى وقيل اذا قاموا
من قبورهم وقيل باليسرى
في مواطن ثلاثة عند الموت
وفي القبر وعند البعث
وانما ظهر هسو العدم
والاطلاق كما ستعرفه
(ان لا تخافوا) ما تقدمون
تخليه فان الخوف غم
يلحق لتوهم المكروه
(ولا تحزنوا) على ما
خلفتم فانه غم يلحق
لوقوعه من قوات
نافع أو حصول ضرار
وقيل المراد نهيهم ﴿ ٤٧ ﴾ سا عن العموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى

كتب لكم الامن من كل غم فلن تدوقوه أبدا وأن امامفسرة أو مخففة من الثقلة والاصل بأنه لا تخافوا ولا الهاء ضمير الشأن وقري لا تخافوا أى تقاون لا تخافوا على أنه حال من الملائكة ﴿ ٣٧٠ ﴾ أو استشاف (وأبشروا) أى

بين الجبر واقدر وكذا فى الرجاء والتوسط يجب أن يكون على الخط المستقيم فهذا هو المراد من قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وأما على القول الثانى وهو أن تحمل الاستقامة على الاتيان بالاعمال الصالحة فهذا قول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين قالوا وهذا أولى حتى يكون قوله ان الذين قالوا ربنا الله متناولا للقول والاعتقاد ويكون قوله ثم استقاموا متناولا للاعمال الصالحة ثم قال تنزل عليهم الملائكة قبل عند الموت وقبل فى مواقف ثلاثة عند الموت وفى القبر وعند البعث الى القيامة أن لا تخافوا ان يعنى أى أو مخففة من الثقلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن واعلم ان الغاية القصوى فى رعاية المصالح دفع المضار وجلب المنافع ومعلوم ان دفع المضرة أولى بالرعاية من جلب المصلحة والمضرة أما ان تكون حاصلة فى المستقبل أو فى الحال أو فى الماضى وههنا دقة عقلية وهى ان المستقبل مقدم على الحاضر والحاضر مقدم على الماضى فان الشئ الذى لم يوجد ويتوقع حدوثه يكون مستهلا فاذا وجد يصير حاضرا فاذا عدم وفى بعد ذلك يصير ماضيا وأيضا المستقبل فى كل ساعة يصير أقرب حصولا والماضى فى كل حالة أبعد حصولا وهذا قال الشاعر

فلا زال ماتهم وأقرب من غم * ولا زل ماتخشا أبعد من أمس

واذا ثبت هذا فالمضار التى يتوقع حصولها فى المستقبل أولى بالدفع من المضار الماضية وأيضا الخوف عبارة عن تألم القلب بسبب توقع حصول مضرة فى المستقبل وانغم عبارة عن تألم القلب بسبب خوف نفع كان موجودا فى الماضى واذا كان كذلك فدفع الخوف أولى من دفع الخزن الحاصل بسبب الغم اذا عرفت هذا فقول انه تعالى اخبر عن الملائكة اهم فى أول الامر يخبرون بأنه لا خوف عليكم بسبب ما تستقبلونه من أحوال القيامة ثم يخبرون بأنه لا حزن عليكم بسبب ما فاتكم من أحوال الدنيا وعند حصول هذين الأمرين فقد زالت المضار والنائب بالكلية ثم بعد ان تراخ منه يشرون بحصول المنافع وهو قوله تعالى وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون فان قيل البشارة عبارة عن الخبر الاول بحصول المنافع فلماذا أخبر الرجل بحصول منفعة ثم أخبر ثانيا بحصولها كان الاخبار اثنتى اخبارا ولا يكون بشارة والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فاذا سمع المؤمن هذا الخبر من الملائكة وجب أن يكون هذا اخبارا ولا يكون بشارة فما السبب فى تسمية هذا الخبر بالبشارة فلنا المؤمن يسمع ان من كان مؤمنا تقيا كان له الجنة امامن لم يسمع البشارة من أهل الجنة فاذا سمع هذا الكلام من الملائكة كان هذا اخبارا بفتح عظيم معانه هو الخبر الاول بذلك فكان ذلك بشارة واعلم ان هذا الكلام يدل على ان المؤمن عند الموت وفى القبر وعند البعث لا يكون فازعا من الاهوال ومن الفزع الشديد بل يكون آمن القلب ساكن الصدر لان قوله أن لا تخافوا ولا تخزنوا يفرد فى الحرف والخزن على الاطلاق ثم انه تعالى أخبر عن الملائكة انهم قالوا للمؤمنين نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

سروا (بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم فى أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا) الخ من بشاراتهم فى الدنيا أى أعوانكم فى أموركم ناهيكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم ومصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما ينظر بين المؤمنين المستر بن على الطاعات من أن ذلك يتوفيق الله تعالى وتأييده اهم بواسطة الملائكة عليهم السلام (وفى الآخرة) عندكم بالشفاعة وتلقاكم الكرامة حين يقع بين الكفرة وقرانهم ما يقع من التعادى والخصام (ولكم فيها) أى فى الآخرة (ما تشتهى أنفسكم) من فنون الطيبات (ولكم فيها ما تدعون) ما تشتهون اقتعال من الدماء بمعنى الضرب أى تدعون لانفسكم وهو أعم من الاول ولكم فى الموضعين خير وما مبتدأ وفيها حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهى الاشباع فى البشارة والايذان باستقلال كل * وهذا *

وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهى الاشباع فى البشارة والايذان باستقلال كل * وهذا *

منهما (نزل من غفور رحيم) حال مما تدعون مقيدة لكون ما يثبونه بالنسبة الى ما يعطون من عظام الاجور كالنزل للضيف (ومن احسن قولا من دعا ﴿ ٢٧١ ﴾ الى الله) أى الى توحيد تعال وطاعته * عن ابن عباس رضى الله عنهما

هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاني الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤمن والحق أن حكمها عام لكل من جمع ما فيهما من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال اننى من المسلمين) ايها الجاهل منهم أو اخذوا الاسلام دينا ونحلة من قواهم هذا قول فلان أى مذهبه لأنه تكلم بذلك وقرئ انى بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) جملة مستأنفة سبقت لبيان بحسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان بحسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان أى لا تستوى الحسنة والسيئة في الآثار

وهذا في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال وقد فضنا لهم قرنا ومعنى اولياء المؤمنين ان الملائكة تأثيرات في الارواح البشرية بالالهامات واليكشافات اليقينية والمقامات الحقيقية كما ان الشياطين تأثيرات في الارواح ببقاء الوسوس فيها وتخييل الاباطيل اليها وبالجملة فيكون الملائكة اولياء الارواح الطيبة الظاهرة عاجل من جهات كثيرة معلومة لارباب المكاشفات والمشاهدات فهم يقولون كان تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا فهي تكون باقية في الآخرة فان تلك العلائق ذاتية لازمة غير قابلة للزوال بل كانت تصير بعد الموت أقوى وأبقى وذلك لان جوهر النفس من جنس الملائكة وهي كالشمعة بالنسبة الى الشمس والقطرة بالنسبة الى البحر والنعائسات الجسمانية هي التي تتحول بينها وبين الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لان الشياطين يجمعون على قلوب بنى آدم لتظنوا الى ما كوت السموات فاذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات البدنية فسد زال الغطاء والوظائف فيتصل الاثر بالموثر والقطرة بالبحر والشمعة بالشمس فهذا هو المراد من قوله نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم وانفسكم فيها ما تدعون قال ابن عباس قوله ولكم فيها ما تدعون أى ما تدعون كقوله تعالى لهم فيها ما كهت وانفسكم فيها ما تدعون فان قيل فعلى هذا التفسير لا يفرق بين قوله ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم وبين قوله ولكم فيها ما تدعون قلنا الاقرب عندي ان قوله ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم اشارة الى الجنة الجسمانية وقوله ولكم فيها ما تدعون اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وتعتبتهم فيها سلام وآخردعواهم ان الحمد لله رب العالمين ثم قال نزل من غفور رحيم والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على المال قال العارفون دل هذه الآية على ان كل هذه الاشياء المذكورة جارية بمجرى النزل والكرام اذا أعضى النزل فلا يدوان بهت الخلع النفيسة بعدها وتلك الخلع النفيسة ليست الا السعادات الحاصلة عند الروية والتجلى والكشف التام نسأل الله تعالى ان يجعلنا اهلها بفضلها وكرمه انه قريب مجيب * قوله تعالى (ومن احسن قولا من دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وما يبغضك من الشيطان نزع فاستعد بالله انه هو السميع العليم) اعلم ان في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اننا ذكرنا في الكلام من اول هذه السورة انما ابتدئنا حيث قالوا للرسول قلوبنا في أكنة مما دعونا اليه ومرادهم ان لا تقبل قولك ولا تلغى الى ديلك ثم ذكرنا طريقة أخرى في السفاهة وقالوا لا تسعوا وهذا القرآن والوفايه وانه سبحانه ذكر الاجوبة الشافية والبيانات الكافية في هذه الشبهات وازالة هذه الضلالات ثم انه سبحانه وتعالى بين ان القوم وان أتوا بهذه الكلمات الفاسدة الا انه يجب عليك تتابع المواظبة على التبليغ

والاحكام ولا الثانية مزيدة لنا كيد اننى وقوله تعالى (ادفع بالتي هي احسن) الخ استئناف مبين لحسن طاعة الحسنة أى ادفع السيئة حيث اعترضتك

من بعض اغاديك باقى هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالا حسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجة
مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع للبالغ ولذالك وضع ﴿ ٣٧٢ ﴾ احسن موضع الحسنة وقوله تعالى

(فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولي حميم)
بيان نتيجة الدفع بالمور
ه أي فاذا فعلت ذلك صار
عدوك المشاق مثل الولي
الشفيق (وما يلقاها)
أي ما يأتي هذه الحصلة
والشجبة التي هي مقابلة
الاساءة بالاحسان
(ان الذين صبروا) أي
شأنهم الصبر (وما يلقاها)
الاذ وحظ عظيم) من
الخير وكال النفس وقيل
الحظ العظيم الجنة وقيل
هو الثواب قبل نزول
في أبي سفيان بن حرب
وكان مؤذيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فصار وليا مصافيا
(واما ينزغتك من
الشیطن نزع) النزغ
والنزع بمعنى وهو شبه
به وسوسة الشيطان
لانها بعث على الضرر
وجعل نازعا على طريقه
جدجده أو أريد واما
ينزغتك نازغ وصفا
للسيطان بالمصدر أي
وان صر ذلك الشيطان
نما وصيت به من الدفع
بالتى هي احسن (فاستعد
بالله) من شره ولا تقطعه

والدعوة فان الدعوة الى الدين الحق اكمل الصلوات ورأس العبادات وعبر عن هذا المعنى
فقال ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين فهذا وجه
شريف حسن في نظم آيات هذه السورة وفيه وجه آخر وهو ان مراتب السعادات اثنان
النام وفوق النام اما النام فهو ان يكسب من الصفات الفاضلة ما لا يجدها بصير كما لا في
ذاته فاذا فرغ من هذه الدرجة اشتمل بسدها بتكميل الناقصين وهو فوق النام اذا عرفت
هذا فنقول ان قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اشارة الى المرتبة الاولى وهي
اكتساب الاحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها فاذا حصل الفراغ من هذه المرتبة
وجب الانتقال الى المرتبة الثانية وهي الاشغال بتكميل الناقصين وذلك انما يكون
بدعوة الخلق الى الدين الحق وهو المراد من قوله ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله فهذا
ايضا وجه حسن في نظم هذه الآيات واعلم ان من اتاه الله قريحة قوية ونصايبا وافيما من
العلوم الالهية الكشفية عرف انه لترتيب احسن ولا أكمل من ترتيب آيات القرآن
(المسئلة الثانية) من الناس من قال المراد من قوله ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله هو
الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هم المؤمنون ولكن الحق المقطوع به ان كل من
دعا الى الله بطريق من الطرق فهو داخل فيه والدعوة الى الله مراتب (فالمرتبة الاولى)
دعوة الانبياء عليهم السلام ودعوتهم راجعة على دعوة غيرهم من وجوه (أحدها) انهم
جمعوا بين الدعوة بالحجة أولا ثم الدعوة بالسيف ثانيا وقما اتفق لغيرهم الجمع بين هذين
انطريقين (وثانيها) انهم هم المبتدئون بهذه الدعوة وأما العلماء فانهم ينون دعوتهم على
دعوة الانبياء والشارع في احداث الامر الشريف على طريق الابتداء أفضل (وثالثها)
ان نفوسهم أقوى قوة وأرواحهم أصفى جوهر افكانت تأثيراتها في احياء القلوب الميتة
واشراق الارواح الكدرة اكمل فكانت دعوتهم أفضل (ورابعها) ان النفوس على
ثلاثة أقسام ناقصة وكاملة لا تقوى على تكميل الناقصين وكاملة تقوى على تكميل
الناقصين (فالقسم الاول) العوام (والقسم الثاني) هم الاولياء (والقسم الثالث) هم
الانبياء واهذا السبب قال صلى الله عليه وسلم علماء أتى كانبيا بنى اسرائيل واذا عرفت
هذا فنقول ان نفوس الانبياء حصلت لها من تسان الكمال في الذات والتكميل لاغير
فكانت قوتهم على الدعوة أقوى وكانت درجاتهم أفضل وأكمل اذا عرفت هذا فنقول
الانبياء عليهم السلام لهم صفتان العلم والقدرة اما العلماء فهم نواب الانبياء في العلم وأما
الملوك فهم نواب الانبياء في القدرة والعلم يوجب الاستيلاء على الارواح والقدرة توجب
الاستيلاء على الاجساد فالعلماء خلفاء الانبياء في عالم الارواح والملوك خلفاء الانبياء في
عالم الاجساد واذا عرفت هذا فظهر ان اكمل الدرجات في الدعوة الى الله بعد الانبياء
درجة العلماء ثم العلماء على ثلاثة أقسام العلماء بالله والعلماء بصفات الله والعلماء باحكام الله
اما العلماء بالله فهم الحكماء الذين قال الله تعالى في حقهم يوثق الحكمة من يشاء ومن يوثق

الحكمة دأوى خيرا كثيرا وأما العلماء بصفات الله تعالى فهم أصحاب الأصول وأما
 العلماء بأحكام الله فهم أئمة العلماء ولكل واحد من هذه المقامات ثلاث درجات لانهاية اهلها
 فلهذا السبب كان للدعوة الى الله درجات لانهاية اهلها وأما الملوك فهم أيضا يدعون الى
 دين الله بالسيف وذلك بوجهين اما بتخصيله عند عدده مثل الحاربة مع الكفار واما
 بإبقائه عند وجوده وذلك مثل قوتنا المرتديقتل وأما المؤذنون فهم يدخلون في هذا
 الباب دخولا ضعيفا اما دخولهم فيه فلأن ذكر كان الاذان دعوة الى الصلاة فكان ذلك
 داخلا تحت الدعاء الى الله، واما كون هذه المرتبة ضعيفة فلان الظاهر من حال المؤذن
 انه لا يحيط بما في تلك الكلمات وبتقدير أن يكون محيطا بها الا انه لا يريد بذكرها تلك
 المعاني الشريفة فهذا هو الكلام في مراتب الدعوة الى الله (المسئلة الثالثة) قوله ومن
 أحسن قولاً من دعا الى الله يدل على أن الدعوة الى الله أحسن من كل ما سواها اذا عرفت
 هذا فتقول كل ما كان أحسن الاعمال وجب أن يكون واجبا لان كل ما لا يكون واجبا
 فالواجب أحسن منه فثبت أن كل ما كان أحسن الاعمال فهو واجب اذا عرفت هذا
 فتقول الدعوة الى الله أحسن الاعمال بمقتضى هذه الآية وكل ما كان أحسن الاعمال
 فهو واجب ثم ينتج أن الدعوة الى الله واجبة ثم تقول الاذان دعوة الى الله والدعوة اليه
 واجبة فينتج الاذان واجب وانعلم أن الأكثرين من الفقهاء زعموا أن الاذان خير واجب
 وزعموا أن الاذان غير داخل في هذه الآية والدليل القاطع عليه ان الدعوة المرادة بهذه
 الآية يجب أن تكون أحسن الاقوال وثبت أن الاذان ليس أحسن الاقوال لان الدعوة
 الى دين الله سبحانه وتعالى بالدلائل اليقينية احسن من الاذان ينتج من الشكل الثاني
 ان الداخل تحت هذه الآية ليس هو الاذان (المسئلة الرابعة) اختلف الناس في أن
 الاولى ان يقول الرجل أنا مسلم أو الاولى أن يقول أنا مسلم ان شاء الله فالقائلون بالقول
 الاول احتجوا على صحة قولهم بهذه الآية فان التقدير ومن أحسن قولاً من قال انى من
 المسلمين فعلم بأن هذا القول أحسن الاقوال واو كان قولنا ان شاء الله معتبرا في كونه
 أحسن الاقوال لبطل ما دل عليه ظاهر هذه الآية (المسئلة الخامسة) الآية تدل
 على أن أحسن الاقوال قول من جمع بين خصال ثلاثة (أولها) الدعوة الى الله
 (وثانيها) العمل الصالح (وثالثها) ان يكون من المسلمين أما الدعوة الى الله فقد شرحناها
 وهي عبارة عن الدعوة الى الله بإقامة الدلائل اليقينية والبراهين القطعية وأما قوله وعمل
 صالحا فاعلم أن العمل الصالح اما أن يكون عمل القلب وهو المعرفة أو عمل الجوارح
 وهو سائر الطاعات وأما قوله وقال انى من المسلمين فهو ان ينضم الى عمل القلب وعمل
 الجوارح الاقوال باللسان فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال أربعة (أحدها)
 الاقرار باللسان (وثاني) الاعمال الصالحة بالجوارح (وثالث) الاعتقاد الحق
 بالقلب (والرابع) الاشتغال بإقامة الحجية على دين الله ولاشك ان الموصوف

بهذه الحاصل الاربعة أشرف الناس وأفضالهم وكان الدرجة في هذه المراتب
 الاربعة ليس الا ل محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة
 واعلم اننا بيننا أن الكلام من اول السورة ابتدئ من ان الله حكى عنهم انهم قالوا
 قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه فاطهروا من أنفسهم الاصرار الشديد على اديانهم
 القديمة وسدوا التأمير بدلائل محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى أطلب في الجواب عنه
 وذكر الوجوه الكثرية وأردفها بالوعود والوعيد ثم حكى عنهم شبهة أخرى وهى قواهم
 لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وأجاب عنها أيضا بالوجوه الكثرية ثم انه تعالى بعد
 الاطناب في الجواب عن تلك الشبهات رغب محمد صلى الله عليه وسلم في أن لا يترك الدعوة
 الى الله فابتدأ أولا بأن قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلهم الثواب العظيم ثم ترقى
 من تلك الدرجة الى درجة أخرى وهى ان الدعوة الى الله من أعظم الدرجات فصارت الكلام
 من اول السورة الى هذا الموضع واقعا على أحسن وجه ترتيب ثم كأن سائلا سأل فقال
 ان الدعوة الى الله وان كانت طاعة عظيمة الا ان الصبر على سفاهة هؤلاء الكفار شديد
 لطافة لنا به فعند هذا ذكر الله ما صلح لان يكون دافعا لهذا الاشكال فقال ولا تستوى
 الحسنة ولا السيئة والمراد بالحسنة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الى الدين الحق
 والصبر على جهالة الكفار وترك الانتقام وتلك الانتقام اليهم والمراد بالسيئة ما ظهره
 من الجلافة في قواهم قالوا بنا في أكنة مما تدعونا اليه وماذكروه في قواهم لا تسمعوا لهذا
 القرآن والغوا فيه فكانه قال يا محمد فملك حسنة وفعلمهم سيئة ولا تستوى الحسنة
 ولا السيئة بمعنى انك اذا أتيت بهذه الحسنة تكون مستوجبيا للتعظيم في الدنيا والثواب
 في الآخرة وهم بالضد من ذلك فلا ينبغي أن يكون اقدا بهم على تلك السيئة ما نعا لك
 من الاشتغال بهذه الحسنة ثم قال ادفع باقى هى أحسن بعد ادفع سفاهتهم وجهالتهم
 بالطريق الذى هو أحسن الطرق فالك اذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى
 تقابل سفاهتهم بال غضب ولا اضرارهم بال ايذاء والايحاش يستحيوا من تلك الاخلاق
 المذمومة وتركوا تلك الافعال القبيحة ثم قال فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
 يعنى اذا قابلت اساءتهم بالاحسان وافعالهم القبيحة بالافعال الحسنة تركوا افعالهم القبيحة
 وانقلبوا من العداوة الى المحبة ومن البغضة الى المودة ولما أرشد الله تعالى الى هذا الطريق
 النافع فى الدين والدنيا والآخرة عظمه فقال وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها
 الا ذو حظ عظيم قال الزجاج أى وما يلقى هذه الفعلة الا الذين صبروا على تحمل المكاره
 وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام ثم قال وما يلقاها الا الذين صبروا على تحمل المكاره
 النفسانية والدرجة العالية فى القوة الروحانية فان الاشتغال بالانتقام والدفع لا يحصل
 الا بعد تأثر النفس وتأثر النفس من الواردات الخارجية لا يحصل الا عند ضعف النفس
 فلما اذا كانت النفس قوية الجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية واذا لم تتأثر منها

الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان من بد تحذير وتنفير عنه (ومن آياته) الدال على شؤنه العظيمة (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها مخلوق ﴿ ٢٧٥ ﴾ من مخلوقاته مسخر لأمرة (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما

من جملة مخلوقاته المسخرة
 لاوامر مثلكم (واسجدوا
 لله انظر ربه لا يحرم
 جماعة ملا يعقل حكم
 الانبياء والامان اولانها
 عبارة عن الآيات وتعليق
 الفعل بالكل مع كفاية
 بيان مخلوقية الشمس
 والقمر للايدان بكحال
 سقوطهما عن رتبة
 المعبودية بنظمهما
 في المخلوقية في سلك
 الاعراض التي لا قيام
 لها بذاتها وهو السر
 في نظم الكلى في سلك
 آياته تعالى (ان كنتم
 اياه تعبدون) فان السجود
 أقصى مراتب العبادة
 فلا بد من تخصيصه به
 سبحانه وهو موضع
 السجود عند الشافعي
 رحمه الله وعندنا آخر
 الآية الاخرى لانه تمام
 المعنى (فان استكبروا)
 عن الامثال (فالتين
 عند ربك) من الملائكة
 (يسجدون له بالليل
 والنهار) أي دائما
 (وهم لا يسأمون)
 لا يفترون ولا يملسون
 وقرئ لا يسأمون
 فقال أنزلنا

لم تصعب ولم تأذ ولم تشتغل بالانتقام فثبت أن هذه السيرة التي شرحناها لا يلقاها الاذو حفظ
 عظيم من قوة النفس وصفاء الجوهر وطهارة الذات ويحتمل أن يكون المراد وما يلقاها
 الاذو حفظ عظيم من ثواب الآخرة فعلى هذا الوجه قوله وما يلقاها الاذو حفظ عظيم
 بفعل الصبر وقوله وما يلقاها الاذو حفظ عظيم وعهد بأعظم الحظ من الثواب عليه طريقا
 الطريق الحسن الكامل في دفع الغضب والانتقام وفي ترك الخصومة قدس من الله انه هو
 آخر عظيم النفع أيضا في هذا الباب فقال واما يزعمونك من الشيطان حرس سورة الاعراف
 السميع العليم وهذه الآية مع ما فيها من الفوائد الجليلة مفسر واحد وهو شبه النفس
 على الاستمالة قال صاحب الكشاف النزغ والنزغ من النزغ نازغا كما قيل جد
 والشيطان ينزغ الانسان كأنه يتخذه يمشي على ما لا ينبغي له فآلة صود من الآية وان
 بجهه أو أريد واما يزعمونك نازغ وصف الشيطان بالصدور بالله من شرس واض على
 صرفك الشيطان عما شرعت من الدفع إلى هرب من النار والشمس والقمر لا تسجدوا
 شاك ولا تطعه والله أعلم * قوله تعالى آياته انما هي آياته تعبدون فان استكبروا غالدين
 للشمس والقمر واسجدوا لله عز وجل * قوله تعالى انما ترى الارض خاشعة فاذا
 عند ربك يسجدون له بالليل والنهار * قوله تعالى انما ترى الارض خاشعة فاذا
 أنزلنا عليهم الله اهتزت ور يتان من آياته * قوله تعالى انما ترى الارض خاشعة فاذا
 تعالى لما بين في الآية المقدمة ان آياته وصفاته فهذه تزيينات شريفة استفادة
 اردفه بذكر الدلائل الدالة على وجوده * قوله تعالى انما ترى الارض خاشعة فاذا
 تعالى عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على وجوده * قوله تعالى انما ترى الارض خاشعة فاذا
 من تناسق هذه الآيات فكان العلم هي العلم بجميع ما فيه من الاجزاء والابحاث
 الدلائل الدالة على هذه المطالب الحار وانما قدم ذكر الابل على ذكر النهار تزيينها على
 فيدأها بتذكر انفلكيات وهي الافلاك وسائر الكواكب على وجود الصانع فقد
 ان النظرة عند النور وجود وان آياته في تفسير قوله الحمد لله رب العالمين وفي تفسير قوله
 الاشياء وأما دلالة الشمس والقمر والليل والنهار على وجود الله تعالى
 شرحنا في هذا الكتاب مسجودوا للشمس والقمر يعني انهما عبادان دليلان على
 الحمد لله الذي خلق السموات والارضين والليل والنهار والقمر والشمس دليلان على
 على وجود الاله النادر قال هبة العظمى فهي لالتقى الابن كان أشرف الموجودات
 وجود الاله والسجود عبارة لانها عبادان مخلوقان واسجدوا لله الخالق القادر
 فقال لا تسجدوا للشمس والليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ملا يعقل
 الحكم والضمير في قوله خلقا بلام برزخها ويرتحن ولما قال ومن آياته ان في الاناث
 حكم الانبياء الاناث يقال انما تعبدون لان ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر
 فقال خلقهن وانما قال ان من خاشعة) بابسة متطامنة مستعار من الخشوع يعني

بكسر الاء (ومن آياته أنك ترى الارض
 عليها الماء) أي المطر (اهتزت

كالصائين في عبادتهم انكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود والله
 فهو اعن هذه الواسطة وأمروا أن لا يسجدوا الا لله الذي خلق هذه الاشياء فان قيل اذا
 كان لا بد في الصلاة من قبلة معينة فلو جعلنا الشمس قبلة معينة عند السجود كان ذلك
 الصلوات في الشمس جوهر مشرق عظيم الرفع على الدرجة فلو أذن الشرع في جعلها قبلة في
 الشمس لا لله ^{داعتياد السجود الى جانب الشمس} بما غلب على الاوهام ان ذلك السجود
 قبلة للسجود ^{الاجل الخوف من هذا المخذور} نهى الشارع الحكيم عن جعل الشمس
 حاصله والمخذور ^{الحجر المعين} فانه ليس فيه ما يوهم الالهية فكان المقصود من القبلة
 ان موضع السجود هو ^{يرزائله} كان هذا أولى واعلم ان مذهب الشافعي رضي الله عنه
 هو قوله وهم لا يسأمون ^{انه تعبدون لاجل أن قوله} والسجود والله متصل به وعند أبي حنيفة
 فان استكبروا فاندين عند ^{الكلام انما يتم} عنده ثم انه تعالى للأمر بالسجود قال بعده
 (السؤال الاول) ان الذين يسجدون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون وفيه سوالات
 يحصل لنا أهلية عبودية الله ^{تفرد} فكيف يليق أن يقتلوا اليه كبروا عن السجود لله (والجواب) ليس
 قول هؤلاء هكذا فكيف يليق أن يقتلوا اليه كبروا عن السجود لله (والجواب) ليس
 المراد من لفظ الاستكبار ما ذكرتم بل المراد ما ذكرتم كبروا عن قبول قولك يا محمد في النهي
 عن السجود للشمس والقمر (السؤال الثاني) ما لهم سجدوا لله تسكوا بقوله فالذين عند ربك في
 اثبات المكان والجهة لله تعالى والجواب انه ليس ^{فقد المالك من الجند} كذا وكذا ولا يراى
 به قرب المكان فكذا ههنا ويدل عليه قوله ^{انا} فلو بهم لاجل في متعدي صدق عند مالك مقتدروا قال عند الشافعي رضي الله عنه ان
 المسلم لا يقتل بالذمى (السؤال الثالث) هل تدل هذه ^{الاجل} الجواب نعم لانه انما يستدل بحال الاعلى على حال الا
 استكبروا عن طاعة فلان فالأكابر يخدعون به ويعترفون ^{تقدمه} فثبت أن هذا النوع
 من الاستدلال انما يحسن بحال الاعلى على حال الادون ^{السؤال الرابع} قال ههنا في
 صفة الملائكة يسجدون له بالليل والنهار فهنا يدل على ^{هم مواظبون على التسبيح} انهم مواظبون على التسبيح
 لا يتفكرون عنه لحظة واحدة واشغالهم بهذا العمل ^{سبيل الدوام يمنعهم من} انهم مواظبون على التسبيح
 الاشتغال بسائر الاعمال ككونهم ينزلون الى الارض كما قال ^{تزل به الروح الامين على} انهم مواظبون على التسبيح
 قلبك وقال ونبئهم عن ضيف ابراهيم وقال تعالى عليها ملائكة ^{لاظشداد} (والجواب) ان
 الذين ذكرهم الله تعالى ههنا يكونونهم مواظبين على التسبيح ^{اقوام معينون من الملائكة}
 وهم الاشراف الاكابر منهم لانه تعالى وصفهم بكونهم عنده ^{المراد من هذه العندية} كمال
 الشرف والتمتية وهذا لا ينافي كون طائفة أخرى من الملائكة ^{مشتغلين بسائر الاعمال}
 فان قالوا هب ان الامر كذلك الا انهم لا يدوان ^{سوا فاشتغالهم بذلك التنفس}

ورت (أي تحركت
 بالنبات وانتفعت لان
 الثبت اذا دنا أن يظهر
 ارتفعت له الارض
 وانتفعت ثم تصدعت
 عن النباتات وقيل
 تزخرفت بالنباتات
 وقرى ربأت أي ارتفعت
 (ان الذي أحياها) بما
 ذكر بعد موتها (لحيي
 الموتى) بالبعث (انه على
 كل شيء) من الاشياء
 التي من جعلها الاحياء
 قدير) مبالغ في القدرة

(ان الذين يلمدون) يملون عن الاستقامة وقربى يلمدون (في آياتنا) باطن فيها ونحوها على المحامل الباطلة
 (لا تخفون علينا) فحجاز بهم الخادم وقوله تعالى (أفمن يلقى في النار خيرا من يأتي آتيا يوم القيامة) تنبيه على كيفية الجزاء
 (اعلموا ما شئتم) من الاعمال الوديعة الى ما ذكر من الآيات في النار والآيات آتيا وشيد تمديد شديد (انه بما تعملون بصير)
 فحجاز بكم بحسب أعمالكم وقوله تعالى ﴿ ٢٧٧ ﴾ (ان الذين كفروا وبالذكر لما جاءهم) بدل من قوله تعالى ان الذين

يلمدون الخ وخبر ان ه
 الخبر السابق وقيل
 مستأنف وخبرها تنوذة
 وقال الكسائي سد مسده
 الخبر السابق والذكر
 القرآن وقوله تعالى (وا
 الكتاب عن ابن أي كشي
 المانع عدم النظر أو مت
 لا تأتي معارضته بجملة
 حالية مفيدة لها، اشتاد
 الكفرية وقوله تعالى
 (لا يأتيه الباطل من بين
 يديه ولا من خلفه) أي
 لا يتطرق اليه الباطل
 من جهة من الجهات
 مستأنف أخرى الكتاب
 وقوله تعالى (تنزيل
 حكيم حيد) خير ليتد
 محذوف اوصفة آخر
 لكتاب مفيدة لقاعا
 الاضافية كما أن الصفة
 السابقة مفيدة تار
 لقاعة الذاتية وقو
 تعالى لا يأتيه ا
 اعتراض عند من لا ي
 تقديم تحيد الصريح
 الصفات على الص
 كل ذلك لا كيد بطلا
 الكفر بالقرآن وقو
 تعالى (ما يقال لك)

يصددهم عن تلك الخاتمة من التسييح قلنا كان النفس سبب اصلاح حال الحياة بالنسبة الى
 البشر فذكر الله تعالى سبب اصلاح حالهم في حياتهم ولا يجب على العاقل المنتصف أن يقبس
 أحوال الملائكة في سقاء جبرها واشراق ذواتها واستغراقها في معارج معارف الله
 بأحوال البشر فان بين الحياتين بعد المشرفين ثم قال تعالى ومن آياته ألقى الأرض
 خاشعة واعلم الله تعالى لما ذكر الآيات الغر بعبارة كفية وهي الليل والنهار والشمس والقمر
 آتياها بذكر آية أرضية فقال وعبر آياته ألقى الأرض خاشعة والخشوع التذلل
 والتصاغر واستمع هذا اللفظ من الأرض حال خاشعة عن الطر والشات فذا أنشأها
 الماء اهتزت وربت أي تحركت بالتيارات ودرت تنفقت لأن التبت إذا قرب أن يظهر
 ارتفعت به الأرض وانفجرت ثم تسدست عن آيات ثم قال ان الذي أحياه الله في الموتى
 يعني ان القادر على احياة الأرض بعد موتها هو القادر على احياة بعد موت جسد بعد
 موتها وقد ذكرنا قريه هذا الدليل مرارا لا حصر له انتم قل الله على كل شيء قدير وهذا هو
 الدليل الاصلى وتقر به أن عودة النأيف والتركيب الى تلك الاجزاء المرفقة يمكن لذاته
 لعود الحياة والعقل والقدرة الى تلك الاجزاء بسبب اجزاءها أرضا أمر ممكن لذاته والله تعالى
 قادر على الممكنات فوجب أن يكون قادرا على إعادة التركيب والنأيف والحياة والقدرة
 العقل والفهم الى تلك الاجزاء وهذا يدل دلالة واضحة على أن حشر الاجساد ممكن
 بلا مشاع فيه البتة والله اعلم ﴿ ٢٧٧ ﴾ قوله تعالى (ان الذين يلمدون في آياتنا لا يخفون علينا أفن
 يلقى في النار خيرا من يأتي آتيا يوم القيامة اعلموا ما شئتم الله بما تعملون بصير ان الذين
 كفروا بالذكر لما جاءهم والله الكتاب من لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تعالى
 من حكيم حيد) اعلم الله تعالى المرين أن الدعوة الى دين الله تعالى أعظم المناصب وأشرف
 المراتب ثم بين الدعوة الى دين الله تعالى انما يحصل بذكر دلائل التوحيد والعدل
 وصحة البعث والقيامة عادى تهديد من يتوابع في تلك الآيات ويحاول التمسك بالشيوات
 فيها فقال ان الذين يلمدون في آياتنا يقال ألقى الخافر ولما دام حال من الاستقامة لا يخفى
 شق فالمحمد هو المحرف ثم يحكم العرف الخاص بالمحرف عن الحق الى الباطل وقوله
 لا يخفون علينا تهديد كما إذا قال الملك المهيبة للذين يازعون في ملكي أقرههم فانه
 يكون ذلك تهديدا ثم قال أفن يلقى في النار خيرا من يأتي آتيا يوم القيامة وهذا استفهام
 بمعنى التقرير والعرض انبيه على أن الذين يلمدون في آياتنا يلقون في النار والذين
 يؤمنون بآياتنا يأتون آمنين يوم القيامة ثم قال اعلموا ما شئتم الله بما تعملون بصير وما
 أيضا تهديد ثالث وظهيره، اي قوله الملك المهيب عند غضب الشديدا إذا أخذ ما تب بعض
 عبيده ثم يقول لهم اعلموا ما شئتم فان هذا يدل على الوعيد الشديد على ان الذين
 كفروا بالذكر لما جاءهم وهذا أيضا تهديد وفي جوابه وجهان (احدهما) انه مستغرق
 كسائر الاجزوة المحذوفة في القرآن على تقدير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم يحازون

تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ٤٨ ﴾ ما عماد يسيبه من أذية الكفار أي ما يقال في شأنك وسأن ما نر
 اليك من القرآن من جهة كفار قومك (انما قد قيل للرسول من قبلك) أي الامثل ما قد قيل في حقهم مما لا يخبر فيه (ان ر
 لدوم مغفرة) لآياتها (وذو عقاب أنهم) لا عدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتم من أعدائهم وسيتعمل مثل ذلك با
 وبأعدائك أيضا

(ولو جعلناه قرآنا أعجميا) جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر (لما والوا) فصلت آياته (أى) ينت بلسان نفة هه و قوله تعالى (أعجمي وعربي) انكاره مقرر للتخصيص والأعجمي يقال للكلام لا يفهمه والكلام به والياء المتباعدة في الوصف كالحري والمعنى أكلام أعجمي ورسول أو مرسل اليه عربي على أن الأفراد مع كون المرسل اليهم أمة جمة لما أن المراد بيان التناقض والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به ﴿٢٧٨﴾ لا بيان كون المخاطب واحدا أو جمة أو قرى

أعجمي أى أكلام منسوب الى أمة العجم وقرى أعجمي على الاخبار بأن القرآن أعجمي والشكلم والمخاطب عربي ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فيجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب وأيا ما كان فالقصد بيان أن آيات الله تعالى على أى وجه جاءتهم وجدوا فيها مستعنتا يتناولون به (قل هو الله الذي آمنوا هدى) يهديهم الى الحق (وشفا) لما في الصدور من شك وشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ خبير (في آذانهم وقر) على أن التقدير هو أى القرآن في آذانهم وقر على أن وقر خير للضمير المنقروفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو أوفق لقوله تعالى (وهو عليهم عسى) وقيل خبر الموصول في آذانهم وقرنا على الضرف وقيل وقر مبتدأ وانظر خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ومن يجوز العطف على عاملين عطف ﴿٢٧٩﴾ طاعته ﴿٢٨٠﴾ الموصول على الموصول الأول أى هو الأولين هدى وشفا، والآخرين وقر في آذانهم (أولئك) إشارة الى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وملاحظة ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار اليه للإيدان بعد منزلته في الشرع مع ما فيه من حال المناسبة للنداء من بعيد

بكفرهم أو ما أشبه ذلك (واثنى) أن جوابه قوله أوئك ينادون من مكان بعيد والأول أسلوب ولما بالغ في تهديد الذين يلحدون في آيات القرآن أتبعه ببيان تعظيم القرآن فقال وأنه لكتاب عزيز لا يؤمنون (أحدهما) الغالب القاهر (واثنى) الذى لا يوجد نظيره اما كون القرآن عزيزا بمعنى كونه غالبا فالامر كذلك لانه بقوة حجته غلب على كل ما سواه واما كونه عزيزا بمعنى صديقه النظر فالامر كذلك لان الأولين والآخرين عجزوا عن معارضته ثم قال لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفيه وجوه (الأول) لا تكذبه الكتب المنقولة عليه كالإنجيل والزبور والإنجيل كتاب من بعده يكذبه (الثاني) ما حكم القرآن بكونه حقا لا يصير باطلا وما حكم بكونه باطلا لا يصير حقا (الثالث) معناه انه محفوظ من أن ينقص منه فبأية الباطل من بين يديه أو يزداد فيه فبأية الباطل من خلفه والدليل عليه قوله وانما حافظون فعلى هذا الباطل هو الزيادة والنقصان (الرابع) يحتمل أن يكون المراد انه لا يوجد في المستقبل كتاب يمكن جعله معارضه ولم يوجد فيما تقدم كتاب يصلح جعله معارضه (الخامس) قال صاحب الكشاف هذا تمثيل والمقصود ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجرد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يتصل اليه واعلم ان لا يمس الاصفهاني أن يخبر بهذا الآية على انه لم يوجد النسخ فيه لان النسخ انطال فلو دخل النسخ فيه لكان قد أتانا الباطل من خلفه وأنه على خلاف هذه الآية ثم قال تعالى تنزل من حكيم حكيم في جميع احواله وأفعاله حميد الى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه وهذا السبب جعل الحمد لله رب العالمين فاتحة كلامه أخبر أن خاتمة كلام أهل الجنة هو قوله الحمد لله رب العالمين ﴿٢٨٠﴾ قوله تعالى (ما أشال لك انما قد قيل للرسول من ملكات ان ربك ذو مغفرة وذو عتاب أليم) ولو جعلناه قرآنا أعجميا لتألموا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي قل هو الذي آمنوا هدى وشفا، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عسى أولئك ينادون من مكان بعيد آياتنا معصية الكتاب فالخلاف فيه واه لا كلمة سبقت من ربك تقضي بينهم والهم اني شك مند مرتب من عمل صالحا فأنفسه ومن أساء فعليه ما وارثك بضلالهم العيب) واعلم انه تعالى لما هدانا للحسين في آيات الله ثم بين شرف آيات الله وعاو درجة كتاب الله رجع الى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتمسير على أذى قومه وان لا يضيق قلبه بسبب ما حكماء عنهم في أول السورة من آياتهم قالوا قلوا بنا في أكنته ما تدعوننا اليه الى قوله فاعمل انما انون فقال ما يبال لك الاما قد قيل للرسول من قبلك وفيه وجهان (الأول) وهو الاقرب ان المراد ما تقول لك كفار قومك الا مثل ما قد قال للرسول كفار قومه من الكاسات المؤذنة والمضامع في الكتب المتزلة ان ربك ذو مغفرة للحمقين وذو عتاب أليم للبطاين ففوض هذا الامر الى الله واشغل بما أمرت به وهو التبايع والدعوة الى الله تعالى (الثاني) أن يكون المراد ما قال الله لك الا مثل ما قال لسائر الرسل وهو انه تعالى أمر كل الأمم كل الانبياء بالتسبب على سفاهة الاقوام فن حثه أن يرجوه أهل

للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ومن يجوز العطف على عاملين عطف ﴿٢٧٩﴾ طاعته ﴿٢٨٠﴾ الموصول على الموصول الأول أى هو الأولين هدى وشفا، والآخرين وقر في آذانهم (أولئك) إشارة الى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وملاحظة ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار اليه للإيدان بعد منزلته في الشرع مع ما فيه من حال المناسبة للنداء من بعيد

أى أو تلك البغضاء الموصوفون بما ذكر من النصام عن الحق الذي يسمونه والتعاضد عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها
 (ينادون من مكان بعيد) تشيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها
 الأصوات (وإنما آتينا موسى الكتاب فخالص فيه) كلام يستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة
 الاعم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى في ٣٧٦ ﴿كَمَا يُقَالُ لَكَ إِذَا مَا قَدِيلٌ أُرْسِلَ مِنْ فِطْرِكَ أَيْ وَبِاللَّهِ لَتَدَّ آتِيَانَهُ

طاعته ويخافه أهل معصيته وقد ظهر من كلامنا في تفسير هذه السورة ان المقصود من
 هذه السورة هو ذكر الاجوبة عن قولهم وثناواوا فلو بنافي أكنة مما تدعوننا اليه وفي آذاننا
 وقرو من بيننا وبينك حجاب فاعمل انشغالون فتارة يتبدل على فساد هذه الطريقة وتارة
 يذكر الوعيد لمن لم يؤمن بهذه الآيات وأن يعرض عند الاعتدالكلام الى هذا
 الموضوع من أول السورة على الغريب الحسن والذم المثل ثم انه تعالى ذكره واما آخر
 عن قولهم وقالوا فلو بنافي أكنة مما تدعونوا اليه وفي آذاننا وفرقتنا ولو جعلناه قرآنا
 أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي وفيه مسائل (المسئلة الأولى) فرأ حرة
 والكسائي وأبو بكر عن جاسم الأعجمي به عشرين على الاستهزاء والبا قور بهم مرة واحدة
 ومدة على ألسنتهم في أمثلة قوله أنذرهم بحبها على الاستهزاء بهم وروى عن ابن عباس
 بهمرة واحدة على الخبر واما القراء بهم عشرين فاهمزة لا لول همزة انكار ولا أراد انكاروا
 وقالوا ان أعجمي ورسول عربي أو مرسل اليه عربي واما القراءه بغير همزة الاستهزاء بهم
 فلراد الاخبار بان القرآن أعجمي والمرسل اليه عربي (المسئلة الثانية) نقلا في سبب
 نزول هذه الآية ان الكفار لاجل التعتت قأوا الوزل القرآن ب لغة الأجم فنزلت هذه
 الآية وعندى ان أمثال هذه الكلمات فيها حيف عظيم على القرآن لانه يقتضى ورود
 آيات لا تعلق ببعض فيها بابعض وانما يوجب انقسام أنواع الاضمن فكيف يتم مع التزام مثل
 هذا السلس ادعاء كونه كتابا منظما فضلا عن ادعاء كونه معجزا بل الحق عندى ان هذه
 السورة من أولها الى آخرها كلام واحد على ما حكى الله تعالى عنهم من قولهم قلو بنافي
 أكنة مما تدعوننا اليه وفي آذاننا وفرقتنا وهذا الكلام أيضا متعلق به وجواب له والتقدير انا
 لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا قلو بنافي أكنة مما تدعوننا اليه أى من هذا الكلام
 وفي آذاننا وفرقتنا لانهم قد لا تحيط بمعناه امانا أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب
 وبالفاظهم وأنتم من أهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء ان قلو بكم في أكنة منها وفي
 آذانكم وقرنتها فظهورنا اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن ذلك الكلام بقيت السورة
 من أولها الى آخرها على أحسن وجوه التنظيم اما على الوجد الذي يذكره الناس فهو عجيب
 جدائم قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقرو وهو
 عليهم عى أو تلك ينادون من مكان بعيد واعلم ان هذا متعلق بقولهم وقالوا قلو بنافي أكنة
 مما تدعوننا اليه الى آخر الآية كأنه تعالى يقول ان هذا الكلام أرسلته اليكم بلغتكم
 لا بلغة اجنبية عنكم فلا يمكنكم أن تقولوا ان قلو بنافي أكنة منه بسبب جهلنا بهذه اللغة
 فيق أن يقال ان كل من آتاه الله طبعاً ما لئلا الى الحق وقلنا ما لئلا الى الصدق وهمه تدعوه
 الى بذل الجهد في طلب الدين فان هذا القرآن يكون في حقه هدى وشفاء اما كونه هدى
 فلائه دليل على الخيرات ويرشد الى كل السعادات واما كونه شفءا فانه اذا أمكنه

القرآنة فاختلف فيها
 فمن مسدق اهلها ومكذب
 وهكذا حال قومك في
 شأن ما آتيناك من القرآن
 فمن مؤمن به وكافر (ولو لا
 كلمة سبقت من ربك) في
 حق أمك المكذبة
 وهي العدة بتأخير
 عذابهم وفصل ما بينهم
 وبين المؤمنين من
 الخصومة الى يوم القيامة
 بنحو قوله تعالى بل الساعة
 موعدهم وقوله تعالى
 ولكن يؤخرهم الى
 أجل مبين (لقضى
 بينهم) باستئصال
 المكذبين كما فعل بكذبى
 الاعم السالفة (وانهم)
 أى كفسار قومك (بني
 شك منه مريب) أى
 من القرآن وجعل الضمير
 الاول لليهود والثاني
 للقرآنة مما لا وجد له (من
 عمل صالحا) بأن آمن
 بالكتب وعمل بموجبها
 (فلنفسه) أى فلنفسه
 بعمله أو فتفقد لنفسه
 لا غيره (ومن اساء فعليه)
 ضرره لا على غيره (ومار بك
 بظلام للعبيد) اعتراض
 تدبلى مقرر لخصون ما قبله

مبني على تنزيل ترك الالبه المحسن بعمله أو انا بة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة أو باساءة غيره منزل الظلم الذي
 يسبب صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الانفال
 (اليد رد علم الساعة) أى اذا سئل عنها يقال الله يعلم أو لا يعلمها الا الله تعالى (ما تخرج من ثمرات من أكمامها) أى من
 أوعبها جمع كم باليسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ

من لمة على ارادة الجنس والجمع لا اختلاف الانواع وقد قري بمجمع الضمير ايضا ومانافية ومن الاولى مزيدة الاستغراق واحتمال ان تكون ماموصولة معطوفة على الساعة ومن مبيدة بعيد (وما تحمّل من أنثى ولا تضع) أي حياها وقوله تعالى (الاية) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أي وما يحدث شي من خروج ثمرة ولا حل حامل ولا وضع واضع ملاسبشي من الاشياء الاملا بسبب العلم المحيط نحو ٣٨٠ (ويوم يناديهم أين شركائي) أي يزعمكم كائن علي في قوله تعالى أين شركائي

الدين زعمهم وفيه نهكم بهم وتقرّب لهم ويوم منصوب بالذكر أو ظرفي لضمير مؤخر قد ترك أيضا بقصد البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل (قالوا أذنك) أي أخبرناك (ما من من شهيد من أحد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم ولا طيننا الحلال وما مننا أحد الا وهو مؤمنك أو ما مننا من أحد يشاهدهم لانهم نسلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء أي ما من من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وقولهم أذنك امانان هذا التوبيخ مسبوقي بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب أولان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا لان امانا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمد من نفوسهم فكانتهم اعلموا أولان معناه الانشاء لا الاخبار بايدان قد كان قيل ذلك (وضل عنهم

اذ تمداه فقد حصل اليه في ذلك الهدى شانه من مرض الكفر والجهل وأمان كان فرقاً في بحر الخذلان وتام في مفاوز الحرمان وشغوا بما يتبذره الشيطان كان هذا القرآن في اذانه وقراناً فالفوق اذنا وقراناً وكان القرآن عليهم عنى كما قال ومن بيننا وبينك حجاب فأوانك ينادون من مكان بعيد بسبب ذلك الحجاب الذي حل بين الاتضاع ببيان القرآن وكل من أنصف ولم يتعسف علم اننا اذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه السورة من أوها الى آخرها تلاوا واحدا منتظما مسوقا لغرض واحد فيكون هذا التفسير أول مما ذكره وهو قرآنهم ورووه عليهم عنى على المصدر وقرا ابن عباس عم على التمت قال أبو عبيد بن الاول هو الوجه كتواه هدى وشفاؤك عنى هو مصدر مثاها ولو كان المذكور انه هادوشافي كان الكسر في عنى أجود فيكون نعمتا ملهما وقوله تعالى أولئك ينادون من مكان بعيد قال ابن عباس يريد مثل الشهادة التي لانهم الادعاء ونداء وقيل من دعي من مكان بعيد لاسم وان سمع ام يفهم فكذلك حال هؤلاء ثم قال تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه وأقول أيضا ان هذا متعلق بما قبله كأنه قيل انما آتينا موسى الكتاب اختلفوا فيه فقبله بعضهم وردة الآخرون فكذلك آتيناك هذا الكتاب فقبله بعضهم وهم أصحابك وردة آخرون وهم الذين يقولون قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ثم قال تعالى واولاكلة سبقت من ربك يعني في تأخير العذاب عنهم الى أجل مسمى وهو يوم القيامة كما قال بل الساعة موعدهم لقضى بينهم يعني المصدق والمكذب باعذاب الواقع بين كذب وانهم انى شك من صدق وكذبك مرير فلا ينبغي ان تستعظم استحقاقك من قواهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ثم قال من عمل صالحا فأنفسه ومن أساء فعليها يعني خفف على نفسك اعراضهم فانهم ان آمنوا فرفع ايماهم يعود عليهم وان كفر واقتصر كفرهم يعود اليهم والله سبحانه يوصل الى كل أحد ما يليق بعمله من الجزاء ومالك بنظلام لا يبيد * قوله تعالى (اليه يردعلم الساعة وما تخرج من ثمرة من أكامها وما تحمّل من أنثى ولا تضع الاملا ويوم يناديهم أين شركائي قالوا اذنك ما مننا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا حالهم من محض لايسام الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ونحن أذقناه رحمة منامن بعد ضراء مسه ايوان هذالي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي انى عنده للعسنى فالتسنى الذين كفروا بما دعوا وتديقنهم من عذاب قنوط واذا نعتنا على الانسان أعرض وأبى نجانبوا ذامه الشر قد ودعاه عرض فل رأيتهم ان كان من عنده ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد سزيم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه سلى كل شي شهيدا إلا أنهم في مرية من قار ربهم إلا انه بكل شي محيط اعلم انه تعالى لما هدد الكفار في الآية المشددة بقوله من عن صالحا فأنفسه ومن أساء فعليها ومعناه ان جزاء كل أحد يصل اليه في يوم القيامة وكان سائلا قال وحتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى انه

ما كانوا يدعون) أي يبدون (من قبل) أي غابوا عنهم أو ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كعبيتهم لا سبيل (وظنوا) أي أيقنوا (مانهم من محيص) مهرب والظن معاق عنه بحرف التني (لايسام الانسان) أي لا يعل ولا يفت (من دعاء الخير) من طلب السعة في التعمية واسباب المعيشة وقري من دعاء بالخير (وان مسه الشر) أي العسر والضيقة (فيؤس قنوط) فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط

يظهر أثره في الشخص في تضال وينكسر أي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب أفرادنا أن الأس من رحمته (٢٨١) تعالى لا يأتي الأمن الكافر وسبصر حبه (وأن أذناه رحمة

منا من بعد ضرا منه
بشر يجهل عنه (لأن
هذا) أي حتى استحقه
لأن من الفضل والعمل
أولى لا ينبغي فلا يزول
عني أبدا (وما ظن الساعة
قائمة) أي تقوم فيما
سأتي (وأن رجعت
الباري) على تقدير
قيامها (أن لي عنده
العسى) أي للعساة
الحسن من الكرامة
وذلك لا عساة أن ما
أصابه من نعم الدنيا
لا يستحقه فله وأنهم
الآخرة كذلك (فلا تبئ
الذين كفر وأباعدوا)
أي لعنهم بحقيقة
أعمالهم حين أظهرناها
بصورها الحقيقية
وقدمت حقيقة في سورة
الاعراف عند قوله تعالى
والوزن يومئذ الحاسن
وفي قوله تعالى انما بكم
على أنفسكم من سورة
يونس (والذي يقنهم
من عذاب غليظ)
لا يقدر قدره ولا يبالغ
كذبهم (وإذا نفعنا على
الإنس أعرض) أي
عن الشكر (ونأى بجانبه)
أي ذهب بنفسه وتماعد

لا سبيل للخلق إلى معرفة ذلك اليوم ولا يعلم إلا الله فقال اليمرد علم الساعة وهذه الحكمة
تفيد الحصر أي لا يعلم وقت الساعة بعينه إلا الله وكان هذا العلم ليس الاعتدال فكذلك
العلم بحدوث الحوادث المستقبلية في أوقاتها المعينة ليس الاعتدال سبحانه وتعالى ثم ذكر
من أمثلة هذا الباب مثالين (أحدهما) قوله وما نخرج من عمرة من أكلها (والثاني) قوله
وما نحمل من أنثى ولا نضع الأيمله قال أبو عبيدة أكلها أو عيتها وهي ما كانت فيه
الثرثرة واحدها كوكمة قرأ نافع وابن عامر وحسن عن عاصم من ثمرات بالانف على الجمع
والباقيون من عمرة بشر أنف على الواحد واعلم أن نظير هذه الآية قوله إن الله عنده علم
الساعة ويترن الغيب إلى آخر الآية فإن قيل ليس أن المتجهين قد يعرفون من طائع
سنة العالم أحوال كثيرة من أحوال العالم وكذلك قد يعرفون من طواع الناس أشياء
من أحوالهم وههنا شئ آخر يسمى علم الولى وهو كثيرا لمساواة وأيضاً علم التعبير بالاعتدالي
قد يدل على أحوال الغيبات فكيف الجمع بين هذه الدوام المشاهدة وبين هذه الآية فقلنا
إن أصحاب هذه العلوم لا يصفونهم القطع والجزم في شئ من المطالب البتة وإنما الغاية
التصوي ادعاء ظن ضعيف والمذكور في هذه الآية أن علمها ليس الاعتدال والعلم هو
الجزم واليقين وبهذا الطريق زالت المناهضة والمعادلة والله أعلم نعم أنه تعالى للذكر القيامة
أردفه بشئ من أحوال يوم القيامة وهذا الذي ذكره ههنا شديد التعلق أيضا بوضع
الابتدائه في أول السورة وذلك لأن أول السورة يدل على أن شدة تفورهم عن استماع
القرآن إنما حصلت من أجل أن محمد صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم إلى التوحيد وإلى
البراءة عن الأصنام والأوثان بدليل أنه قال في أول السورة قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى
إلي أنما ألهمكم الله الواحد فذكر في خاتمة السورة وعبدت قائلين بالشركاء والانداد فقال
ويوم ينسأ بهم فيقول أين شركائي أي بحسب زعمكم واعتقادكم قائلوا آذاك قال ابن
عباس أمعناك كقوله تعالى وأذنت لهما وحيت بمعنى سمعت وقال الكلبي أمعناك وهذا
يعيد لأن أهل القريظة يعلمون الله ويعلمون أنه يعلم الأشياء علمنا واجبا فالاعلام في حقه
محال ثم قال ما منا من شهيد وفيه وجوه (الأول) ليس أحد منا يشهد بأن الشريك
قائمة صودانهم في ذلك اليوم يتبرون من أليات الشريك لله تعالى (الثاني) ما منا من أحد
يشاهدهم لا يهمل ضلوا عنهم وضلت عنهم أنهم لا يبصرونها في ساعة الويخ (الثالث)
أن قوله ما منا من شهيد كلام الأصنام فإن الله يحيبها ثم انهما تقول ما منا من أحد يشهد
بصحة ما أضافوا اليان من الشركه وعلى هذا التقدير فمضى ضلالهم عنهم أنها لا تنفعهم
فكانت لهم ضلوا عنهم ثم قال وظنوا ما لهم من محصر وهذا ابتداء كلام من الله تعالى يقول
إن الكفار ظنوا أولا ثم أيتنوا أنه محصر لهم عن النار والعذاب ومنهم من قال أنهم
ظنوا أولان لا يمحصر لهم عن النار ثم أيقنوا ذلك بعده وهذا يعيد لأن أهل النار يعلمون
إن عقابهم دائم ولما بين الله تعالى من حلك هؤلاء الكفار أنهم بعد أن كانوا مصرين على

بكلية تكبرا وتفظها والجباب مجاز عن النفس كافي قوله تعالى في جنب الله ويجوز أن يراد به عطشه ويكون
جبارة عن الانحراف

والأزوار كما قالوا ثم عطائه وتولى بركته (وإذ اسمه الشرف ذو دعاء عرض متمسك للأشعار
بكثرته واستمراره وهو باق من الطويل إذا الطول أطول) ٣٨٢ ثم الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فظنك بطوله

أقول بآيات الشركاء والاضداد لله في السنين أتبروا عن تلك الشركاء في الآخرة بين أن
الإنسان في جميع الأوقات متبدل الأحوال متغير المصالح فان أحسن بخير وقدره انتفع
وتعظم وإن أحسن بيلا، ومحنة ذبل كاقيل في المثل ان هذا كان قري ان رأى خيرا تدلى وان
رأى شرا تولى فقال لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشرف فيوس قنوط يعني انه في
حال الأقبال ومحبي المرادات لا ينتهي قط الى درجة الاو يطلب الزيادة عليها ويطمع بالفوز
بها وفي حال الابدان والحمران يصير أيسا فانظافا لا تتقن من ذلك الرجاء الذي لا آخر له ان
هذا اليأس الكلي يدل على كونه متبدل الصفة متغير الحال وفي قوله يوس قنوط مبالغة
من وجهين (أولهما) من طريق بنية فعول (والثاني) من طريق التكرير واليأس من
صفة القلب والشغوظ أن يطهر آثارا يأس في الوجة والأحوال الظاهرة تم بين تعالي ان
هذا الذي يسار أيسا فانظافا لا تتقن وهو المراد من قوله ولئن أدقناه رحمة منا
من بعضنا مستدفان هذا الرجل يأتي بثلاثة أنواع من الأقاويل الفاسدة والمذاهب
الباطلة الموجبة للكفر والبعد عن الله تعالى (فأولها) انه لا بدوان بقول هذا وفيه
وجهان (الأول) معناه ان هنا حتى وصل الى لاني استوجبه بما حصل عندي من أنواع
الفضائل وأعمال البر والقربة من الله ولا يعلم المسكين ان أحدا لا يستحق على الله شيئا وذلك
لان ان كان ذلك الشخص عاريا عن الفضائل فهذا الكلام ظاهر الفساد وان كان
موصوفا بشيء من الفضائل والصفات الحميدة فهي بأسرها انما حصلت له بفضل الله
واحسانه واذا فضل الله بشيء على بعض عبده امتنع ان يصير تفضله عليه بتلك العطية
سبباً لان يستحق على الله شيئا آخر ثبت بهذا فساد قوله انما حصلت هذه الخيرات بسبب
استحقاقى (والوجه الثاني) ان هذا الى أي لا يزول عنى ويبنى على وعلى أولادى وذريتى
(والنوع الثاني) من كل نهم الفاسدة أن يقول وما أظن الساعة قائمة يعني انه يكون شديد
الرغبة في الدنيا عظيم التفرقة عن الآخرة فإذا آل الامر الى الأحوال الدنيا يقول ان هذا الى
واذا آل الامر الى الآخرة يقول وما أظن الساعة قائمة (والنوع الثالث) من كلماتهم
الفاسدة ان يقول وثن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى يعني ان الغالب على الظن ان
اشول بالبعث والقيامة باطل وبتقدير أن يكون حقا فان لي عنده للحسنى وهذه الكلمة
تدل على جرمهم بوصولهم الى الثواب من وجوه (الأول) ان كلمة ان تفيد التأكيد
(الثاني) ان تقديم كلى تدل على هذا التأكيد (الثالث) قوله عنده يدل على ان تلك
الخيرات حاضرة مهيئة عنده كما تقول لي عند فلان كذا من الدنيا نيران هذا يفيد كونها
حاضرة عنده فلو قلت ان لي على فلان كذا من الدنيا لا يفيد ذلك (والرابع) اللام في قوله
للحسنى تفيد التأكيد (الخامس) للحسنى يفيد الكمال في الحسنى ولما حكى الله تعالى عنهم
هذه الأقوال الثلاثة الفاسدة قال فلنذببن الذي كفر وابتاعوا أي نظهرا لهم ان الامر
على ضدهما اعتدوه وعلى عكس ما تصوروه كما قال تعالى وقد منال ما علموا من عمل في عملانه

ولعل هذا شأن بعض
غير البعض الذي حكى
فنه اليأس والشغوظ
أوشان الكل في بعض
الأوقات (قل أرايتم)
أي أخبروني (ان كان)
أي القرآن (من عند الله
ثم كفرتم به) مع تعاضد
موجبات الايمان به (من
أضل من هو في شقاق
بعيد) أي من أضل منكم
فوضع الموصول موضع
الضمير شرحا لمسألهم
وتعليل المز يدضلالهم
(سزيمهم آياتنا) الدالة
على حقيقته وكونه من
عند الله (في الآفاق)
هو ما أخبرهم به أثبت
صلى الله عليه وسلم من
الحوادث الآتية وآثار
النوازل الماضية وما
يسر الله تعالى له وخلقناه
من الفتن والظهور
لى آفاق الدنيا والاستيلاء
على بلاد المشارق
بالمغرب على وجه خارق
للعادة (وفي أنفسهم)
هو ما ظهر فيما بين أهل
مكة وما حل بهم وقال
ابن عباس رضى الله
عنهما في الآفاق أي
منازل الامم الخالية

هيا

وأنارهم وفي نفسهم أي يوم بدر وقال مجاهد والحسن والذي في الآفاق

ما يفتح الله من القرمي عليه عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفي أنفسهم فتح مكة وقيل في الاتفاق أي في أقطار
السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم ﴿ ٣٨٣ ﴾ وما يرتب عليهما من الليل والنهار والاضواء

والظلمات
ومن النبات والاشجار
والانهار وفي أنفسهم
من اطياف الصنعة

وبديع الحكمة في تكوين
الاجنة في ظلمات الارحام

وحدوث الاعضاء
العجيبة والتركيبات

الغريبة كقوله تعالى
وفي أنفسكم أفلا

تصرون واعتذرون
معنى السين مع أن اراءة

تلك الآيات قد حصلت
قبل ذلك أنه تعالى

سبطلعلمهم على تلك
الآيات زمانا فزمانا

وزيدهم وقوفاً على
حقائقها يوماً فيوماً

(حتى يبين لهم) بذلك
(الخالق) أي القرآن

أوالاسلام والتوحيد
(أولم يكف بربك)

استغافى وارتدوا وبخضم
على ترددهم في شأن

القرآن وعنادهم المحوج
الى اراءة الآيات وعدم

اكتفائهم باختياره تعالى
والهمزة للازكار والواو

للعطف على مقدر
يقضيد المقام أي المريفق

ولم يكف بربك والباء
من زيادة التأكيد ولا تكاد

هباء مشورا ولنديقنهم من عناب غايظ في مقابلة قولهم انلى عنده الحسنى ولما حكى الله
تعالى أقوال الذي أنعم عليه بعد وقوعه في الآيات حكى أقواله أيضا فقال وإذا أنعمنا
على الانسان أعرض عن التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وأى جوانبه أى ذهب
بنفسه وتكبر وتعاظم ثم ان مسد الضر والفقر أقبل على دوام الدعا وأخذ في الاتيهال
والتضرع وقد استعبر العرض لكثرة الدعا ودوامه رهو من صفات الاجرام ويستعار له
الطول أيضا كما استعير العاطفة لشدة العذاب راعى الله تعالى لذكر الوعيد العظيم على الشرك
وبين ان المشركين يرددون عن القول بالشرك في يوم القيامة ويظهرون من أنفسهم
الذلة والخضوع بسبب استدلال الحوف عليهم وبين ان الانسان حيل على التبدل فان وجد
لنفسه قوة بالغ في التكبر والتعظيم وان أحس بالتطور والضعف بالغ في اظهار الذلة
والمسكنة ذكر عقيدة كلاما آخر يوجب على هؤلاء الكفار ان لا ياتعوا في اظهار النفرة
من قبول التوحيد وان لا يفرطوا في اظهار العداوة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقال
قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في سفاق بعيد وتقرر هذا
الكلام انكم كلامهم هذا القرآن أعرضتم عنه وما أنتم فبيدو بالغتم في النفرة عنه حتى
قتلتم قلوبنا في أكنة مما ندعونا اليه وفي آذاننا وقرئتم من المعلوم بالضرورة انه ليس العلم
بكون القرآن بالاطلا على بيدها وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة غلما يديها
فقبل الدليل يحتل أن يكون صحيحا وان يكون فاسدا فبتقدير أن يكون صحيحا كان
اصراركم على دفعه من أعظم موجبات العقاب فهنا النظر في وجوب عليه كم ان تتركوا
هذه النفرة وان ترجعوا الى النظر والاستدلال فان دل الدليل على صحته ببقائه وان دل
على فساده تركوه فما قبل الدليل فالاصرار على الدفع والاعراض بعيد عن افعال وقوله
عن هو في سفاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وسفاههم ولما ذكر هذه الوجوه
الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة أجاب عن شبهات المشركين وتوهمات الضالين قال
سنريهم آياتنا في الاتفاق وفي أنفسهم حتى يبين لهم أنه الحق قل الواحد صرح واحد
اذفاق أفق وهو الشاحبة من نواحي الارض وتلنا الاتفاق العناني حين ارأناهم الاوف
تفسير قوله سنريهم آياتنا في الاتفاق وفي أنفسهم قولان (الاول ان المراد بالآيات
الاتفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الاضواء والظلمات
وآيات علم العناصر الاربية وآيات التواليد الثلاثة وقد ذكرنا منها في القرآن
وقوله وفي أنفسهم المراد منها الدلائل المأخوذة من كريمة تكون الاجنة في ظلمات الارحام
وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقالت تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون
يعنى تريهم من هذه الدلائل مرة بعد أخرى الى أن تزول الشبهات عن قلوبهم ويحصل فيها
الجزم والقطع بوجود الاله القادر الحكيم العليم المنزه عن الثن والخذل قال قيل هذا
الوجه ضعيف لان قوله تعالى سنريهم يقتضى أنه تعالى ما اطلعهم على تلك الآيات الى

تراد الامع كقوله تعالى (أنه على كل شىء شهيد) بل منه أى المريفق من اراءة الآيات الموعودة المينة
لحقية القرآن ولم يكفهم في

فإن أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه أن هذا الموعود من أظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه ﴿ ٣٨٤ ﴾ فيبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب

الذي هو على كل شيء شهيد أي مطاع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة والناصر حاملاوه هذه النصرة فأمل وأما ما قيل من أن المعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق أمرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بحال من نصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود برده قوله تعالى (ألاتهم في مرتبة من لقاء بهم) أي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فإنه صريح في أن عدم الكفاية معتبرا بالنسبة إليهم وقرئ مرتبة بالضم وهو لغة فيها (ألاته بكل شيء محيط) عالم بجميع الأشياء جلها وتفصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية

الآن وسيطعهم عليها بعد ذلك والآيات الموجودة في العالم الأعلى والأسفل قد كان الله أعلمهم عليها قبل ذلك فثبت أنه تعذر حمل هذا اللفظ على هذا الوجه قلنا إن القوم وإن كانوا قد رأوا هذه التشبيهات إلا أن العجائب التي أودعها الله تعالى في هذه الأشياء مما لا نهاية لها في عالمها يعلمهم على تلك العجائب زمانا فزمانا ومثاله كل أحد رأى بعينه بنية الإنسان وشاهد ما إلا أن العجائب التي أبدعها الله في تركيب هذا البدن كثيرة وأكثر الناس لا يعرفونها والذي وقف على شيء منها فكلاما ازداد تفكرا ازداد وقوفا على تلك العجائب والغرائب فصح بهذا الطريق قوله سبحانه في الآفاق وفي أنفسهم فتح مكة والثقاتون بهذا القول رجحوه على القول الأول لاجل أن قوله سبحانه بهم يليق بهذا الوجد ولا يليق بالأول إلا أن أجيبنا عنه بأن قوله سبحانه بهم لا يلائق بالوجه الأول كما قررناه فان قيل حمل الآية على هذا الوجه بعيد لأن أقصى ما في الباب أن سجدا صلى الله عليه وسلم استولى على بعض البلاد المحيطة بمكة ثم استولى على مكة إلا أن الاستيلاء على بعض البلاد لا يدل على كون المستولى محققا نازي ان الكفار قد يحصل لهم استيلاء على بلاد الإسلام وعلى ملوكهم وذلك لا يدل على كونهم محققين قلنا وإن هذا السبب قلنا ان حمل الآية على الوجه الأول أولى ثم نقول ان أردنا أن نتحقق هذا الوجه قلنا ان الاستيلاء مجرد استيلاء محمد صلى الله عليه وسلم على تلك البلاد على كونه محققا في ادعاء النبوة بل نستدل به من حيث أنه صلى الله عليه وسلم أخبر عن مكة أنه يستولى عليها ويقهر أهلها ويصير أصحابه قاهرين للاعداء فهذا الخبر عن الغيب رقت وقع تحيزه مطابقا لخبره فيكون هذا الخبر صادقا عن الغيب والأخبار عن الغيب معجزة فهذا الطريق يستدل بحصول هذا الاستيلاء على كون هذا الدين حقا ثم قال أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد وقوله بربك في موضع الرفع على أنه فاعل يكف وأنه على كل شيء شهيد يدل منه وتقديره أولم يكفهم ان ربك على كل شيء شاهيد ومعنى كونه تعالى شهيدا على الأشياء خلق الدلائل عليها وقد استقصدنا ذلك في تفسير قوله فلأي شيء أكبر شهادة قل الله والمعنى ألم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله تعالى وقررها في هذه السورة وفي كل سور القرآن الدالة على التوحيد والتبزيه والعدل والنبوة والمعاد ثم ختم السورة بقوله ألاتهم في مرتبة من لقاء بهم أي ان القوم في شك عندك وشبهه شديدة من البعث والقيامة وقرئ في مرتبة بالضم ثم قال ألاته بكل شيء محيط أي عالم بجميع وظواهرهم ويجازي كل أحد على فعله بحسب ما يليق به ان خيرا فخير وان شرا فشر فان قيل قوله ألاته بكل شيء محيط يقتضى أن تكون علومه متناهية فنناقضه بكل شيء محيط يقتضى أن يكون علمه محيطا بكل شيء من الأشياء فهذا يقتضى كون كل واحد منهما متناهيا لا كون مجموعهما متناهيا والله أعلم بالصواب ثم تفسير هذه السورة وقت ظهر الرابع من ذي

منهم وهو يجازي بهم على كفرهم ومرتبة لهم لا محالة عز رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ﴿ الحجة ﴾ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنة والله أعلم

(سورة حم عسق ويسمى الشورى مكتوبة وهي ثلاث وخمسون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم عسق) اسمان
للسورة ولذلك فصل بينهما وبعد آيتين وقبل اسم واحد والفصل يناسب سائر الحواميم وشري حم عسق فعلى الاول
هما خبران مبتدأ محذوف وقبل حم مبتدأ وسبق في ٣٨٥ خبره وعلى الثاني الكل خبره وحد قوله تعالى (كذلك

الحج سنة ثلاث وستة) والحمد لله رب العالمين وسئلته على حاتم النبيين محمد وآله وصحبه وسلم

(سورة شورى خمسون وثلاث آيات مكة) *

(اسم الله الرحمن الرحيم)

(حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما فى السموات
وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد اسموات تنفطرن من قوة هين واللائك يسهون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض اذ ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من
دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) اعلم ان الكلام فى أمثال هذه الفوائج
معلوم اذ ان فى هذا الموضع سؤالان زائدان (الاول) أن يقال ان هذه السور السبعة
مصدرة بقوله حم فى السبب فى اختتام هذه السورة بن يدعسقى (الثانى) انها اجتمعت
على أنه لا يفصل بين كهيمص وههنا يفصل بين حم وبين عسق فا السبب غيد واعلم ان
الكلام فى أمثال هذه الفوائج بضيق وقبح باب التمازجات مما لا يسيل اليه فالاولى أن
يفرض عليهما الى الله وقرأ ابن عباس وابن مسعود عن من أمارق الله تعالى كذا يوحى اليك
فالكاف معناه المثل وهذا الاشارة الى شئ سبق ذكره فيكون المعنى مثل حم عسق يوحى
اليك والى الذين من قبلك وعند هذا حصل قولان (الاول) نقل عن ابن عباس رضى الله
عنه أنه قال لاني صاحب كتاب الاوقاف يوحى اليه حم عسق وهذا عندى يريد (والثانى)
أن يكون المعنى مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحى اليه اليك والى الذين من قبلك وهذه
الأمثلة المراد منها المماثلة فى الدعوة الى التوحيد والعدل والنبوة والعدل والجميع
أحوال الدنيا والتعقيب فى التوجه الى الآخرة والشئ يؤكدها أنبأنا فى تفسير سورة
سبح اسم ربك الأعلى ان أوامها فى تقرير التوحيد أو سطها فى تقرير النبوة وآخرها فى
تقرير العدل ولما تم الكلام فى تقرير هذه المطالب الثلاثة قال ان هذا الذى أنصفه الاول
يصف ابراهيم وموسى يعنى أن المقدود من ازال جميع الكتب الا الهية ليس الا هذه
المطالب الثلاثة فكذلك هم نايمن مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحى اليه اليك والى
كل من قبلك من الانبياء والمراد بهذه المماثلة الدعوة الى هذه المطالب العالية والمباحث
المقدسة الالهية قال صاحب الكشف وان نقل أوحى اليك وان كان قال يوحى اليك على
لفظنا المضارع يدل على أن ايجاء مثله عادته وقرأ ابن كثير كذلك يوحى اليه الخاء على ما لم
يسم فاعله وهى احدى الروايتين عن أبى عمرو عن بعضهم يوحى بالنون وقرأ الباقون
يوحى اليك والى الذين من قبلك يكسر الخاء قال فى القراءه الاولى ما رفع اسم الله
تعالى قلنا ما دل عليه يوحى كأن قال من الموحى فتبيل الله وتعلمه قراءة السلمى
وكذلك زين الكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البهائم فعول ورفع شركائهم
فان قيل فإرافعه فين قرأ نوحى بالنون فلناير تقم بالابتداء والعزيز وما بعده أخبار

يوحى اليك والى الذين
من قبلك الله العزيز
الحكيم) كلام مستأنف
وارد لتحقيق أن مضمون
السورة موافق لمساقي
تضاعيف سائر الكتب
انزلة على الرسل المتقدمة
فى الدعوة الى التوحيد
والارشاد الى الحق أو أن
ايجاءها مثل ايجائها بعد
توحيها بالذكر اسمها
والتنبيه على فخامة
شأنها والكاف فى خبر
التصيب على أنه منقول
ايوحى على الاول وعلى
أنه نعت مصدره مؤكده
على الثاني وذلك على الاول
الاشارة الى ما فهم اوحى
الثانى الى ايجائها وما فيه
من معنى العدل الايدان
بعلور تية المشار اليه
وبعد مترادف فى الفضل
أى مثل ما فى هذه
السورة من المعانى
أوحى اليك فى سائر
السور والى من قبلك من
الرسل فى كتبهم على
أن مناط المماثلة ما أشير
السيد من الدعوة الى
التوحيد والارشاد الى
الحق وما فيه صلاح
العباد فى المعاش والمعاد

أو مثل ايجائها أوحى في ٤٩ سا اليك عند ايجاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايجاء كتبهم اليهم لا ايجاء
مغاراله كاذقوله تعالى انما احسن اليك كما أوحينا

الى نوح الاية على ان مدار القبة بونه بواسطة الملائكة وصيغته المصارغ على حجابها حين المصيبة بغيره من يجرى
وان اجماع مثله عاداته وفي جعل مضمون السورة أو أبحاثها مشبهاً به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصف العزة
والحكمة وتأخير الظاهر اعطاء الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ ٣٨٦ ﴿يوحى على البناء المفعول على أن

كذلك مبتدأ ويوحى خبره المستند الى ضمير أو مصدر ويوحى مستند الى اليك والله من نعمها دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحى فقبل الله والعزير الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما في فراءة نوحى والعزير بما بعده خبران له أو العزير الحكيم صفتان له وقوله تعالى (له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم) خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته (تكاد السموات) وقرئ بالياء (يفطرن) يتشققن من عظمتهم الله تعالى وقيل من دعا الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان مطاوع فطر وهننا مضارع فطر وقرئ تنفطرون بالياء كيد البائت وهو نادر (من فوقهن) أي مبتدأ الفطر من جهتهن الفوقية وتخصيصها على الاول لما أن أعظم الآيات وأدائها على العظمة والجلال من

أو العزير الحكيم صفتان وانظر في خبره وان ذكر أن هذا الكتاب حصل ياوحى بين أن الموحى من هو فقال انه هو العزير الحكيم وقد بينا في أول سورة حم المؤمن ان كونه عن يرا يدل على كونه قادراً على الانتهاب له وكونه حكيماً يدل على كونه عالماً بجميع المعلومات فنيا عن جميع الحاجات فيحصل الثامن كونه عزيراً حكيماً كونه قادراً على جميع المقدرات عالماً بجميع المعلومات فنيا عن جميع الحاجات ومن كان كذلك كانت أفعاله وأقواله حكمة وصواباً وكانت مبرأة عن العيب والعيث قال مصنف الكتاب قلت في قسيده

الحمد لله ذي الآلاء والنعيم * والفضل والجلود والاحسان والكرم
منازل الفعل عن عيب وعن عيب * مقدس الملك عن عزل وعن عدم
(والصفة الثالثة) قوله له ما في السموات وما في الارض وهذا يدل على مطلو بين في غاية الجلال (أحدهما) كونه موصوفاً بقدره كاملة نافذة في جميع أجزاء السموات والارض على عظيمها وسعتها بالايجاد والاعدام والتكوين والابطال (والشأنى) انه لما بين بقوله له ما في السموات وما في الارض أن كل ما في السموات وما في الارض فهو ملكه وملكه وجب أن يكون ميزها عن كونه حاسلاً في السموات وفي الارض والائتم كونه ملكاً لنفسه واذا ثبت أنه ليس في شيء من السموات امتنع كونه أيضاً في العرش لان كل ما سماك فهو سماك فاذا كان العرش موجوداً فوق السموات كان في الحقيقة سماك فوجب أن يكون كل ما كان حاسلاً في العرش وان قالوا انه تعالى قال له ما في السموات وكلمة ما لا تتناول من يمثل فلما هذا مدفوع من وجهين (الاول) ان انظمة ما وارده في حق الله تعالى قال تعالى والسماء وما بيناهما والارض وما عليها وقال لا تعبدوا ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما عابد (والثاني) ان صيغة من وردت في مثل هذه السورة قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبداً وكلمة من لانك أنها وارده في حق الله تعالى فدللت هذه الآية على أن كل من في السموات والارض فهو عبد الله فلو كان الله موجوداً في السموات والارض وفي العرش لكان هو من جملة من في السموات فوجب أن يكون عبد الله ولما ثبت بهذه الآية أن كل من كان موجوداً في السموات والارض فهو عبد الله وجب فيمن تقدست كبريائه عن تممة العبودية أن يكون ميزها عن الكون في المكان والجهة والعرش والكرسي (والصفة الرابعة والخامسة) قوله تعالى وهو العلي العظيم ولا يجوز أن يكون المراد بكونه علياً الما في الجهة والمكان لما ثبتت الدلالة على فساده ولا يجوز أن يكون المراد من العظيم العظمة بالجهة وكبر الجسم لان ذلك يقتضى كونه مؤلفاً من الاجزاء والابغاض وذلك ضد قوله الله أحد فوجب أن يكون المراد من العلي المتعالى عن مشابهة المكنات ومناسبة المعدنات ومن العظيم العظمة بالقدرة والقهر

تلك الجهة وعلى الثاني دلالة على انفطر من تحتها بأعزيرى الاول لان تلك الكلمة الشنعاء ﴿بالاستعلاء﴾ الواقعة في الارض حيث أرت في جهة الفوق فلان تؤثر

في جهة البحث أول وقبل الضمير الأرض فانه في معنى الارضين (والملائكة يسبحون بحمدهن بهن) بزهوه تعالى
لا يلبق به تلبسين حمده (ويستغفرون لمن في الارض) بالسبحي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب
الاسباب المقررة في الطاعة واستدعاء ٣٨٧ كذا تأخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الكافر وهذا يميز

بالاستعلاء وكان الالهية ثم قال تكاد السموات ينظرن من فوقهن وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر تكاد بالاء ينظرن بالياء والنون
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحنبل عن عاصم وحزرة تكاد بالياء ينظرن بالياء والراء وقرأ
نافع والكسائي بكاد بالياء ينظرن أيضا بالراء قال صاحب الكشاف وروى يونس عن
أبي عمرو قراءة غريبة تنظرن بالتسليم مع النون وتظيرها حرف ناء روى في نوادر
ابن الاعرابي الا بل تشتمن (المسئلة الثانية) في قاعدة قوله من فوقهن وجوه (الاول)
روى ثعلبة عن ابن عباس أنه قال تكاد السموات ينظرن من فوقهن قال والمضى
انها تكاد تنظرن من ثقل الله عليها واخذ ان هذا القول ضعيف ويجب التظهير براءة ابن
عباس عنه ويدل على فساده وجوه (الاول) أن قوله من فوقهن لا يفهم منه من فوقهن
(وثانيها) هب أنه يحصل على ذلك لكن لم يتم ان هذه الجملة انما حصلت من ثقل الله عليها
ولم لا يجوز أن يقال ان هذه الجملة انما حصلت من ثقل الملائكة عليها تاجها في الحديث
أنه صلى الله عليه وسلم قال أطت السماء وحقي لها أن تلمع ما فيها موضع شبرا أو فية ملك
قائم أو راعع أو ساجد (وثالثها) ان لا يجوز أن يكون المراد تكاد السموات تشق
وتنظرن من هبة من هرة فوقها فوقية بالانهاية وانهر والشفرة فثبت بهذه الوجوه ان
القول الذي ذكره في غاية الشك والركاكة (والوجه الثاني) في تأويل الآية ما ذكره
صاحب الكشاف وهو أن كلمة الكثر التي جاءت من الذين تحت السموات وكان انقباس
أن يقال ينظرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بواج في ذلك قلب
فجعلت مؤنثة في جهة النون كأنه قيل يكدر ينظرن من الجهة التي فوقهن ودع الجهة
التي تحتهن وتظير في المباشرة قوله تعالى يصيب من فوق رؤسهم الحكيم بصهر به ماني اعزوتهم
والجاء في قول مؤنثة في اجزائهم الباطنة (الوجه الثالث) في تأويل الآية أن يقال من
فوقهن أي من فوق الارضين لانه تعالى قال قبل هذه الآية ماني السموات وماني
الارض ثم قال تكاد السموات ينظرن من فوقهن أي من فوق الارضين (والوجه
الرابع) في التأويل أن يقال معنى من فوقهن أي من الجهة التي حصلت هذه السموات
فيها وتلك الجهة هي فوق فقوله من فوقهن أي من الجهة التي فوقها التي هي (المسئلة
الثالثة) اختلفوا في أن هذه الالهية ام حصلت وفيه قولان (الاول) انه تعالى لما بين ان
الموسى لهذا الكتاب هو الله العزير الحكيم بين وصف جلاله وكبريائه فقال تكاد السموات
ينظرن من فوقهن أي من هيبته وجلالته (والقول الثاني) ان السبب فيه اثباتهم الولد
لله قوله تكاد السموات ينظرن منه وهمنا السبب فيه اثباتهم الشركا لله قوله بعد هذه
الآية والذين اتخذوا من دونه أولياء والصحيح هو الاول ثم قال والملائكة يسبحون بحمد
ربهم ويستغفرون لمن في الارض واعلم ان مخذولات الله تعالى نوحان عالم الحسنيات
وأعظمها السموات وعالم الرحائيات وأعظمها الملائكة والله تعالى يقرر كان عظمت

المؤمن والكافر بل لو
فسر الاستغفار بالسبحي
فيما يدفع الخلل المتوقع
عم الحيوان بل الجسد
وحث خص بالأمواتين
صكحافي قوله تعالى
واستغفرون للذين آمنوا
فأراد به الشفاعة
(الآن الله هو الغفور
الرحيم) اذ ما من شائق
الأول حظ عظيم من
رحمة تعالى والآية
على الاول زيادة تشرير
اعظمته تعالى وعلى
الثاني بيان الكمال تقدسه
عما نسب اليه وأن ترك
معاملتهم بالعتاب على
تلك الكلمة الشنعاء
بسبب استغفار الملائكة
وفرط غفرانه ورحمته
فتبها من الى أنه تعالى
يقبل استغفارهم ويزيدهم
على ما طلبوه من المغفرة
رحمة (والذين اتخذوا
من دونه أولياء) شركاء
وأنادا (الله حفيظ
عليهم) رقيب على
أحوالهم وأعمالهم
فيجازيهم بها (وما أت
عليهم بوكيل) بوكيل
بهم أو بوكول اليك
أمرهم وانما وظيفتك

الانذار (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا) ذلك شارة الى مصدر أوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآنا
عربيا مفعول لأوحينا أي ومثل ذلك الايجاء البديع البين المفهم أوحينا اليك قرآنا عربيا لا يلبس

فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية التقدمية من انه تعالى هو الخفيظ عليهم وانما انت تذر بحسب الكاف
 مفعول به لا وحشا وقرأ ناعرا يحال من المفعول به أي أوحينا اليك وهو قرآن عز في بين (لتذرا أم القرى) أهلها وهي مكة
 (ومن حولها) من العرب (وتذرو يوم الجمع) أي يوم القيامة ﴿ ٣٨٨ ﴾ لانه يجتمع فيه الخلائق قال تعالى يوم

يجتمعكم ايوم الجمع وقيل
 تجتمع فيسد الارواح
 والاشباح وقيل الاعمال
 والعمال والانتشار بعدى
 الى دفعواين وقد يستعمل
 تاذيهما بالياء وقد حذف
 هو والثاني مفعول الاول
 وأول مفعولى الثاني
 للتحويل وايهام التعميم
 وقرئ لينذر بالياء على
 أن فاعله ضمير القرآن
 (لاريب فيه) اعتراض
 مقرر لما قبله (فريق في
 الجنة وفريق في السعير)
 أي بعد جمعهم في الموقف
 فانهم يجمعون فيه أولا
 ثم يفرقون بعد الحساب
 والتقدير منهم فريق
 والضمير للمجموع وعين لدلالة
 الجمع عليه وقرئان منصوبين
 على الحالية منهم أي
 وتذرو يوم جمعهم متفرقين
 أي مشارفين لتفرق
 أو متفرقين في دارى
 الثواب والعقاب (ولو
 شاء الله لجمعهم) أي
 في الدنيا (أمة واحدة)
 قيل مهتدين أو ضالين
 وهو تفصيل لما أجله
 ابن عباس رضى الله عنهما
 في قوله على دين واحد
 فعنى قوله تعالى (ولكن

لاجل نفاذ قدرته وهيبته في الجسمانيات ثم ردهه بنفسه قدرته واستيلاء هيبته على
 الرومانيات والنبيل عليه انه تعالى قال في سورة عم يساءون لما أراد تقرير العظمة
 والكبرياء بدأ بذكر الجسمانيات فقال رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون
 منه شيئا بل انما يتقون الى ذكر عالم الرومانيات فقال يوم يقوم الروح والملائكة صفا
 لا يتكلمون الا من اذن له من ربه وقال صوايا فكذلك القول في هذه الآية بين كمال عظمته
 باستيلاء هيبته على الجسمانيات فقال تكلموا السموات يفتخرون من فوقين ثم انتقل الى ذكر
 الرومانيات فقال والملائكة يسبحون بحمدهم ثم اورد الترتيب شريفا ويزان باهر واعلم
 أن الوجودات على ثلاثة أقسام مؤثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو أشرف
 الأقسام ومأثر لا يؤثر وهو القابلي وهو الجسم وهو أقسام وموجود يقبل الاثر
 من القسم الاول ويؤثر في القسم الثاني وهو الجواهر الروحانيات المقدسة وهو المرتبة
 المتوسطة اذا عرفت هذا فنقول الجواهر الروحانية لها اسقان تعلقي عالم الجلال والكبرياء
 وهو تعلق القبول فالجسالاتا التوسية والاضواء الصعدية اذا أشرفت على الجواهر
 الروحانية استغضت جواهرها وأشرقت ماهياتها ثم ان الجواهر الروحانية اذا استغضت
 تلك القوى الروحانية فويت بها على الاستيلاء على عوالم الجسمانيات واذا كان كذلك
 فلها رجمان وجه ان جانب الكبرياء وحضرة الجلال ووجدنا الى عالم الاجسام والوجه
 الاول أشرف من الثاني اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى يسبحون بحمدهم اشارة الى
 الوجه الذى إلهم الى عالم الجلال والكبرياء وقوله يستغفرون لمن في الارض اشارة الى
 الوجه الذى إلهم الى عالم الاجسام فأحسن هذه اللطائف وما أشرفها وما أشد تأثيرها
 في جذب الارواح من حضيض الخلق الى أوج معرفة الحق اذا عرفت هذا فنقول أما
 الجهة الاولى وهي الجهة العلوية المقدسة فقد اشتملت على أمرين أحدهما التسبيح
 وثانيهما التحميد لان قوله يسبحون بحمدهم يفيد هذين الأمرين والتسبيح مقدم على
 التحميد لان التسبيح عبارة عن تزيه الله تعالى عملا ينبغى والتحميد عبارة عن وصفه
 بكونه مفيض الكل الخيرات وكونه منزها في ذاته عما لا ينبغى مقدم بالرتبة على كونه فياضا
 للخيرات والسعادات لان وجود الشيء مقدم على إيجاد غيره وحصوله في نفسه مقدم على
 تأثيره في حصول غيره فلم هذا السبب كان التسبيح مقدما على التحميد وهذا قال يسبحون
 بحمدهم وأما الجهة الثانية وهي الجهة التي تلك الارواح الى عالم الجسمانيات
 فالاشارة اليها بقوله ويستغفرون لمن في الارض والمراد منه تأثيراتها في نظم أحوال هذا
 العالم وحصول الطربيق الاصبوب الاصلح فيها فهذه ملاحظ من المباحث العالية الالهية
 مدرجة في هذه الآيات المقدسة ولتخرج الى ما ياتى بعلم التفسير فان قيل كيف يصح أن
 يستغفروا لمن في الارض وفيهم الكفار وقد قال تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة
 فكيف يكونون لاعنين ومستغفرين إلهم فلنا الجواب عند من وجوه (الاول) ان قوله لمن

يدخل من يشاء في رحمة) أنه تعالى يدخل في رحمة من يشاء أن يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء * في
 أن يدخله فيه ولا ريب في ان مشيئته

تعالى لكل من الداخلين تامة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب
اختلاف حال الداخلين فيهما قطعاً فإشاً جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين واتما قبل (والظالمون
مالهم من ولي ولا نصير) الأيات بأن الأدخال في ٣٨٩ في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء

اختيارهم لا من جهته
تعالى كافي الأدخال
في الرحمة لا لما قبل من
المبايعين الواعدين
مؤمنين كلهم وهو
ما قاله تعالى على دين
السلام كافي قوله تعالى
واشياء الله الجموع على
الهدى وقواه تعالى
واوشنا لا ينال كل نفس
هداهوا والمعنى واشاء الله
مشيئة قدرة أقسرهم
على الإيمان والكنة
شاهدين حكمتهم كلفهم
وبنى أمرهم على
ما يتخارون ليدخل
المؤمنين في رحمته وهم
الرادون بقوله تعالى
يدخل من يشاء وترك
الظالمين بغيره ولا نصير
وأنت خير بأن فرض
جعل لكل مؤمنين
باباً تصدراً لا يندرج
بإدخال بعضهم في رحمته
إذا كل حين تدادخون
فيها فكان المناسب
حينئذ تصدير باخراج
بعضهم من بينهم
وادخالهم في عذابه
فان الذي يقتضيه سياق
النظم الكريم وسياقه
أن يراد الاعتداد في

في الارض لا يفيد العموم لانه يصح أن يقال انهم استغفروا لكل من في الارض وأن
يقال انهم استغفروا لبعض من في الارض دون البعض ولو كان قوله ان في الارض
صريحاً في العموم لم يصح ذلك التفسير (الثاني) هب ان هذا النص يفيد العموم الا انه
تعالى حكى عن الملائكة في سورة حم المؤمن فقال ويستغفرون للذين آمنوا بنا وسعت
كل شيء رحمة وعلماً فاستغفروا لنا وما سبناك (الثالث) يجوز أن يكون المراد من
الاستغفار أن لا يسألوا عنهم بالنسبة كقوله تعالى ان الله يستك السوات والارض أن
ترولا الى أن قال انه كان حلياً فغفورا (الرابع) يجوز أن يقال انهم يستغفرون لكل من
في الارض أمان حتى الكفار فبواسطة ذلك الإيمان لهم وأمان حتى المؤمنين من الجوار
عن سياتهم فانا نقول انهم اهد الكفار من وزين قلوبهم بنور البينات وأزى عن
خواتمهم وحشة الكفر وهذا في الحقيقة استغفار واعلم أن قواه ويستغفرون لمن في
الارض يدل على انهم لا يستغفرون لانفسهم ولو كانوا يصرون على العصية فكان
استغفارهم لانفسهم قبل استغفارهم ان في الارض وحيث لم يذكر الله عنهم استغفارهم
لانفسهم علمنا انهم مبرؤن عن كل الذنوب والاياد عليهم السلام لهم فتوب والذى لا ذنب
له البتة أفضل من له ذنب وأيضاً قوله ويستغفرون لمن في الارض يدل على انهم
يستغفرون للانبياء لان الانبياء من جملة من في الارض وإذا كانوا مستغفرين للانبياء
عليهم السلام كان الظاهر انهم أفضل منهم والمحكى الله تعالى عن الملائكة التسبيح
والتمجيد والاستغفار قال الا ان الله هو الغفور الرحيم والمقصود التنبيه على ان الملائكة
وان كانوا يستغفرون للبشر الا ان المغفرة المطلقة والرحمة المطلقة للعق سبحانه وتعالى
وبيانه من وجوه (الاول) ان اقدام الملائكة على طلب المغفرة للبشر من الله تعالى انما
كان لان الله تعالى خلق في قلوبهم داعية لطلب تلك المغفرة او لأن الله تعالى خلق في
قلوبهم تلك الدواعي والاملاء فقدموا على ذلك الطلب وإذا كان كذلك كان غفور المطلق
والرحيم المطلق هو الله سبحانه وتعالى (الثاني) ان الملائكة قاوا في أول الامر أن جعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ثم في آخر الامر صاروا
يستغفرون لمن في الارض وأما رحمة الحق واحسانه فقد كان موجوداً في الاول
والآخر فثبت ان الغفور المطلق والرحيم المطلق هو الله تعالى (الثالث) انه تعالى حكى
عنهم أنهم يستغفرون لمن في الارض ولم يحك عنهم انهم يطلبون الرحمة لمن في الارض فقال
الا ان الله هو الغفور الرحيم يعني انه يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم اليها الرحمة
الكاملة التامة ثم قال تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء أي جعلوا شركاء وأنداداً
الله حفيظ عليهم أي رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء وهو مناسب عليها
لارقيب عليهم الا هو وحده وما أنت يا محمد بقوض اليك أمرهم ولا أقسرهم على الإيمان
انما أنت منذر فحسب قوله تعالى (و كذلك أوحينا اليك قرآنا عربياً لئلا يحذر الاعمى

الكفر كافي قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الاية على أحد الوجوهين بأن يراد بهم الذين هم
في فترة ادريس اولى فترة نوح عليهما السلام فالعنى وارشاء الله لجعلهم أمة واحدة منفة على الكفر بأن لا يرسل
إليهم رسولا لينذرهم

مما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهول فينبوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمة
أى شأنه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ماذكر فيما أثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقتهم
الله للامان والطاعة ويدخلهم في رحمة ولا يثأر به ﴿ ٣٩٠ ﴾ الآخرون ويتعادون في غيرهم وهم الظالمون

ومن حوالها وتندر يوم الجمع لاريب فيه فر يق في الجنة وفر يق في السعير واوشاء الله جعلهم
أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمتهم والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير أم اتخذوا
من دونه أولياء فآله هو وولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شى قدير وما اختلفتم فيه من
شى فحكسد الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والارض
جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً ليدروا كم فيه ليس كمثل شى وهو السميع
اليسير له من المبدأ السموات والارض يسئل الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شى عليم (اعلم
أن كلمة ذلك الاشارة الى شى سبق ذكره قوله وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربياً يقتضى
تشبيه وحى الله بقرآن بشى ههنا قد سبق ذكره وليس ههنا شى سبق ذكره يمكن تشبيه وحى
القرآن به الا قوله والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل
يعنى كما أوحينا اليك انك است حفيظا عليهم واست وكيلاً عليهم وكذلك أوحينا اليك
قرآنا عربياً لئلا تكون نذير لهم وقوله تعالى لتندر أم القرى أى لتندر أهل أم القرى لان
البلد لا تعقل وهو كقوله واسئل القرية وأم القرى أصل القرى وهى مكة وسُميت بهذا
الاسم اجلالاً لان فيها البيت وقام ابراهيم والعرب تسمى أهل كل شى أمة حتى يقال
هذه القصبدة من أمهات قصائد فلان ومن حوالها من أهل البدو والحضر وأهل المدر
والانذار التخويف فان قيل فظاهر اللفظ يقتضى ان الله تعالى انما أوحى اليه لينذر أهل
مكة وأهل القرى المحيطة بمكة وهذا يقتضى أن يكون رسولا اليهم فقط وأن لا يكون
رسولا الى كل العالمين (والجواب) ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما سواه
فهذه الآية تدل على كونه رسولا الى هؤلاء خاصة وقوله وما أرسلناك الا كافة للناس
يدل على كونه رسولا الى كل العالمين وأيضاً المأثبات كونه رسولا الى أهل مكة وجب كونه
صادقاً ثم انه نقل النبأ بتواتره كان يدعى أنه رسول الى كل العالمين والصادق اذا أخبر
عن شى وجب تصديقه فيه ثبت انه رسول الى كل العالمين ثم قال تعالى وتندر يوم الجمع
الاصل أن يقال أنذرت فلانا بكذا فكان الواجب أن يقال لتندر أم القرى بيوم الجمع
وأيضاً فيه اخبار والتقدير لتندر أهل أم القرى بعذاب يوم الجمع وفى تسميته بيوم الجمع
وجوه (الاول) ان الخلائق يجتمعون فيه قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع فاجتمع فيه
أهل السموات مع أهل الارض (الثانى) أنه يجمع بين الارواح والاجساد (الثالث)
يجمع بين كل عامل وعمله (رابع) يجمع بين الظالم والمظلوم وقوله لاريب فيه صفة ليوم
الجمع أى يوم الجمع الذى لاريب فيه وقوله فر يق فى الجنة وفر يق فى السعير تقديره يوم
الجمع الذى من صفته يكون القوم فيه فر يقين فر يق فى الجنة وفر يق فى السعير فان قيل
قوله يوم الجمع يقتضى كون القوم مجتمعين وقوله فر يق فى الجنة وفر يق فى السعير يقتضى
كونهم متفرقين والجمع بين الصفتين محال قلنا انهم مجتمعون أولاً ثم يصيرون فر يقين

فيبقون فى الدنيا على
ما هم عليه من الكفر
ويصيرون فى الآخرة
الى السعير من غير ولى
يلى أمرهم ولا نصير
يخلصهم من العذاب
(أم اتخذوا من دونه
أولياء) جملة مستأنفة
مقررة لما قبلها من
انتفاء أن يكون للظالمين
ولى أو نصبروا م مقطعة
وما فيها من بل الانتقال
من بيان ما قبلها الى
بيان ما بعدها والهمزة
لانكار الوقوع ونفيه
على ابلغ وجه وأكده
لانكار الواقع واستقباحه
كما قبل اذا المراد بيان
أن ما فعلوا ليس من
اتخذوا الأولياء فى شى
لان ذلك فرع كون
الاصنام أولياء وهو
اظهر الممتعات أى
بل اتخذوا متجاوزين لله
أولياء من الاصنام
وغيرها هيئات وقوله
تعالى (فآله هو وولى)
جواب شرط محذوف
كأنه قيل بعد ابطال
ولاية ما اتخذوه أولياء
ان أرادوا ولى فى الحقيقة
فآله هو وولى لاولى

سواء (وهو يحيى الموتى) أى ومن شأنه ذلك (وهو على كل شى قدير) فهو الحقيق بان يتخذ ﴿ ثم ﴾
ولياً فليخصوه بالانخاذ دون من لا يقدر على شى (وما اختلفتم فيه من شى) حكاية لقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون اي وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أئمتهم وهم (فحكمهم) راجع
(الى الله) وهو ائمة المحققين وعباد المبتلين (ذالكم) الحاكم العظيم الشأن (الله ربى) مالكى (عليه توكلت) فى مجامع
أمورى خاصة لا على غيره (وايه أئمتهم) راجع فى كل ما عين من ماضيات الأمور لا الى أحد سواه

وحيث كان التوكل
أمرا واحدا مستمرا
والائمة متعددة متجددة
حسب تجدد موادها
أو ترى فى الاول صيغة
الماضى وفى الثانى صيغة
المضارع وقيل وما
اختلفتم فيه وتنازعتم
فى شئ من الخصومات
فتحاكموا فيه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ولا توتروا على حكومته
حكومة غيره وقيل وما
اختلفتم فيه من تأويل
آية واشتبسه عليكم
فارجعوا فى بيانه الى
الحكم من كتاب الله
والناظر من سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقيل وما وقع بينكم
الخلافا فيه من العلوم
التي لا تتعلق بتكليفكم
ولا طريق لكم الى علمه
فقولوا لله أعلم كهرفة
الروح ولا مساعج لجل
هذا على الاجتهاد
لعدم جوازه بعضرة
الرسول عليه الصلاة
والسلام (فاطر السموات
والارض) خير آخر
لذلك أو خير لمبتدأ
يخذوف أو مبتدأ خبره

ثم قال ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة والمراد تفرق بقوله وان الذين اتخذوا من دونه أولياء
الله حفظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل أى لا يمكن فى قدرتك أن تجعلهم على الايمان
ذلو شاء الله ذلك لفعلة لانه أقدر منك ولكنك جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا فتوابعه
يدخل من يشاء فى رحمة بدل على انه تعالى هو الذى أدخلهم فى الايمان والطاعة وقوله
والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير يعنى أنه تعالى ما أدخلهم فى رحمة وهذا يدل على ان
الاولين انما دخلوا فى رحمة لانه كان لهم ولى ونصير أدخلهم فى تلك الرحمة وهو الله ما كان
لهم ولى ولا نصير يدخلهم فى رحمة ثم قال تعالى أم اتخذوا من دونه أولياء والمعنى انه
تعالى حكى عنهم أولا انهم اتخذوا من دونه أولياء ثم قال بعده لئن لم يكن الله عليه وسلم
لست عليهم رقيب ولا حافظا ولا يجب عليك أن تجعلهم على الايمان شاؤا أم أبوا فان هذا
المعنى لو كان واجبا لفعلة الله لانه أقدر منك ثم انه تعالى أعاد بعبارة ذلك الكلام على سبيل
الاستنكار فان قوله أم اتخذوا من دونه أولياء استفهام على سبيل الانكار ثم قال تعالى
فان الله هو الولى وانفاه فى قوله فان الله هو الولى جواب شرط مقدر كأنه قال ان أرادوا أولياء
يحق فان الله هو الولى بالحق لاولى سواه لانه يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير فهو الحقيق بأن
يتخذوا يادون من لا يشتر على شئ ثم قال وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) وجه التنظيم انه تعالى كإمام الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحل
الكفار على الايمان فهرا فكذلك منع المؤمنين أن يشركوا معهم فى الخصومات
والتنازعات فقال وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله وهو ائمة المحققين فيه ومعاقبة
المبتلين وقيل وما اختلفتم فيه من شئ وتنازعتم فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا توتروا حكومة غيره على حكومته وقيل وما وقع بينكم فيه خلافا من الأمور
التي لا تصلى بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه كحقيقة الريح فتولوا الله أعلم به قال تعالى
ويستأونك عن الروح قل الروح من أمر ربي (المسئلة الثانية) تقدير الآية كأنه تعالى
قال قل يا محمد وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله والدليل عليه قوله تعالى ذلكم الله
ربى عليه توكلت واياه أئمتهم (المسئلة الثالثة) احتج نفاة القياس بهذه الآية فتناولوا
قوله تعالى وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله أما أن يكون المراد فحكمه مستفاد
من نص الله عليه أو المراد فحكمه مستفاد من القياس على ما نص الله عليه والثانى باطل
لانه يقتضى كون كل الأحكام مثبتة بالقياس وان باطل فيعتبر الاول فوجب كون كل
الأحكام مثبتة بالنص وذلك ينفي العمل بالقياس ولتأمل أن يقول لم لا يجوز أن يكون
المراد فحكمه يعرف من بيان الله تعالى سواء كان ذلك البيان بالنص أو بالقياس أجيب
عنه بأن المقصود من التحاكم الى الله قطع الاختلاف والرجوع الى القياس يقوى حكم
الاختلاف ولا يوضحه فوجب أن يكون الواجب هو الرجوع الى نصوص الله تعالى ثم
قال تعالى ذلكم الله ربى أى ذلكم الحاسم بينكم هو ربى عليه توكلت فى دفع كيد

(جعل لكم) وقرئ بالجر على أنه يدل من الضمير أو صف الاسم الجليل فى قوله تعالى وما بينهما اعتراض بين
الصفة والموصوف (من أنفسكم) من جنسكم

(ازواجاً) بساها وتقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة (ومن الانعام) اي وجعل للانعام
من جنسها (ازواجاً) او خلق لكم من الانعام اصنافاً ﴿٣٩٢﴾ اوردكورا وانا (يدروكم) يكثرتم من الذر وهو

البث وفي معناه الذر
والذر (فيه) اي فيما
ذكر من التدبير فان جعل
الناس والانعام ازواجاً
يكون بينهم توالد كالمسبح
للبث والتكثير (ليس
كثله شيء) اي ليس
مثله شيء في شأن من
الشؤون التي من جلتها
هذا التدبير البديع
والمراد من مثله ذاته كما
في قرائهم مثلك لا يفعل
كذالك لي قصد المبالغة
في نفيه عند فاته اذ اني
عن يناسبه كان نفيه
عنه أولى ثم سكت هذه
الطريقة في شأن من
لا مثل له وقيل مثله صفته
اي ليس كصفته صفة
(وهو السميع البصير)
المبائع في العلم بكل ما
يسمع ويبصر (له
مسايلد السموات
والارض) اي خزائنها
(يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر) يوسع
ويضيق حسبما تقتضيه
مشيئته المؤسسة على
الحكم البالغة (انه بكل
شيء عليم) مبائع
في الاحاطة به فيفعل
كل ما يفعل على ما ينبغي
ان يفعل عليه والجملة دليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى

الاعناء وفي طلب كل خير واليه ائيب اي واليه أرجع في كل المهمات وقوله عليه توكلت
يفيد الحصر اي لا أتوكل الا عليه وهو اشارة الى تزييف طريقة من اتخذ غير الله وابائتم
قال فاطر السموات والارض قري بالرفع والجر فالرفع على انه خبر ذلكم او خبر مبتدا
مخدوف والجر على تقدير ان يكون الكلام هكذا وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله
فاطر السموات والارض وقوله ذالكم الله ربي اعتراض وقم بين الصفة والموصوف جعل
لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجاً ومن الانعام ازواجاً اي خلق من الانعام
ازواجاً ومعناه وخلق ايضاً للانعام من انفسها ازواجاً يدروكم يكثرتم يقال ذر الله خلق
اي اكثرهم وقوله فيه اي في هذا التدبير وهو التزويج وهو ان جعل الناس والانعام
ازواجاً حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يدروكم يرجع الى
المخاطبين الا انه غلب فيه جانب الناس من وجهين (الاول) انه غلب فيه جانب العقلاء
على غير العقلاء (والثاني) انه غلب فيه جانب المخاطبين على الغائبين فان قيل مامعنى
يدروكم في هذا التدبير وما يقل يدروكم به قلنا جعل هذا التدبير كالمسبح والمعدن اهنا
التكثير الا ترى انه يقال للحبوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص
حياة ثم قال تعالى ليس كالمسبح وهو السميع البصير وهذه الآية فيها مسائل (المسئلة
الاولى) احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية في نفي كونه تعالى جسماً مركباً
من الاعضاء والاجزاء وحاصلاً في المكان والجهة وقاوا لو كان جسماً لكان مثلاً لسائر
الاجسام فيلزم حصول الامثال والاشباه له وذلك باطل بصريح قوله تعالى ليس كالمسبح
ويمكن ايراد هذه الحجة على وجد آخر فيقال اما ان يكون المراد ليس كالمسبح في ماهيات
الذات أو ان يكون المراد ليس كالمسبح في الصفات شيء والثاني باطل لان العباد يوصفون
بكونهم عاقلين قادرين كما ان الله تعالى يوصف بذلك وكذلك يوصفون بكونهم معلومين
مذكورين مع ان الله تعالى يوصف بذلك فثبت ان المراد بالمسئلة المساواة في حقيقة
الذات فيكون المعنى ان شيئاً من الذوات لا يساوي الله تعالى في الذاتية فلو كان الله تعالى
جسماً لكان كونه جسماً ذاتاً لا صفة فاذا كان سائر الاجسام مساوياً له في الجسمية اعنى
في كونها متغيرة طويلة عريضة عميقة فحينئذ تكون سائر الاجسام مساوية لذات الله
تعالى في كونه ذاتاً والنسب في ذلك فوجب ان لا يكون جسماً واعلم ان محمد بن اسحق بن
خزيمة اورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه بانوحيد وهو في
الحقيقة كتاب الشرك واعترض عليها وأنا اذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات
لانه كان رجلاً مضطرب الكلام قليل الفهم ناقص العقل فقال نحن نثبت لله وجهاً
ونقول ان اوجه ربنا من النور والضياء والبهائم ما لو كشف حجابها لا حرقت سبحات وجهه
كل شيء ادر كه بصره ووجه ربنا مني عنه الهلاك والفناء ونقول ان ابني آدم وجوها
كتب الله عليها الهلاك والفناء ونفي عنها الجلال والاکرام غير موصوفة بالنور والضياء

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والنبي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) وايدان بان ما شرع
لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان ﴿ ٣٩٣ ﴾ نسبه الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على

والبهاء واو كان مجرد اثبات الوجه لله يقتضي التشبيه لكان من قال ان لبني آدم وجوها
والخنزير والقردة والكلاب وجوها لكان قد شبهه وجوه بني آدم بوجوه الخنازير
والقردة والكلاب ثم قال ولا شك انه اعتقاد الجهمية لانه اوقيل له وجهك يشبه وجه
الخنزير والقردة لغضب ولشافهه بالسوء فعلمنا انه لا يلزم من اثبات الوجه واليد لله
اثبات تشبيه بين الله وبين خلقه وذكر في فصل آخر من هذا الكتاب ان القرآن دل على
وقوع التسوية بين ذات الله تعالى وبين خلقه في صفات كثيرة ولم يلزم منها ان يكون القائل
بهما مشبها فكناه هنا ونحن نمد الصور التي ذكرها على الاستقصاء (فالاول) انه تعالى قال
في هذه الآية وهو السميع البصير وقال في حق الانسان فجعلناه سميعا بصيرا (الثاني) قال
وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله وقل في حق المخلوقين اولم يروا الى الطير مستخرات
في جوار السماء (الثالث) قال واصتتم الفلك باعيننا واسبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال
في حق المخلوقين ترى اعينهم تقبض من الدمع (الرابع) قال لا بليس مانعك ان تسجد
لما خلقت بيدي وقال بل يدها بسوطتان وقال في حق المخلوقين ذلك بما قدمت ايديكم
ذلك بما قدمت يداك ان الدين يبايعوك انما يبايعون الله يدا الله فوق ايديهم (الخامس)
قال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال في الذين يركبون الدواب لتستروا على ظهوره
وقال في سفينة نوح واستوت على الجودي (السادس) سمي نفسه عزرا فقال العزيز
الجبار ثم ذكر هذا الاسم في حق المخلوقين بقوله يا ايها الذين آمنوا انزلوا من فوقها
العزير ثم ذكر هذا الاسم في حق نفسه بالملك وسمى بهض عبده ايضا بالملك فقال
وقال الملك اتوني به وسمى نفسه العظيم ثم اوقع هذا الاسم على المخلوق فقال رب العرش
العظيم وسمى نفسه بالجبار المنكبر واوقع هذا الاسم على المخلوق فقال كذلك يطيع الله
على كل قلب متكبر جبار ثم دل على ضرب الامثلة من هذا الجنس وقال ومن وقف على
الامثلة التي ذكرناها امكنا الاكثر منها فهداما اورد هذا الرجل في هذا الكتاب
واقول هذا المسكين الجاهل اذا وقع في امثال هذه الخرافات لانه لم يعرف حقيقة المثلين
وعلماء التوحيد حثوا الكلام في المثلين ثم فرغوا عليه الاستدلال بهذه الآية فنقول
المثلان هما اللذان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر في حقيقة وماهية وتحتيق
الكلام فيه مسبوق بقسمة اخرى فنقول المعتبر في كل شيء اما تمام ماهيته واما جزء من
اجزاء ماهيته واما امر خارج عن ماهيته ولكنه يكون من لوازم تلك الماهية واما امر
خارج عن ماهيته ولكنه ليس من لوازم تلك الماهية وهذا التسمي يبين على الفرق بين
ذات الشيء وبين الصفات القائمة به وذلك معلوم بالبداهة فاننا نرى الحبة من الحصرم كانت
في غاية الخضرة والجوضة ثم صارت في غاية السواد والحلاوة فالذات باقية والصفات
مختلفة والذات الباقية مغايرة لصفات المختلفات وايضا ترى الشجر قد كان في غاية الواد
ثم صار في غاية البياض فالذات باقية والصفات متبدلة والباقي غير المتبدل فظهر بما ذكرنا

كونه دينا قدما اجمع
عليه الرسل والخطاب
لامته عليه الصلاة
والسلام اى شرع لكم
من الدين ما وصى به
نوحا ومن بعده من ارباب
الشرايع واولى العزائم
من مشاهير الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وامرهم
به امر اؤكدا على ان
تخصيصهم بالذكر لما
ذكر من علو شأنهم
ولاستمالة قلوب الكفرة
اليه لا اتفاق الكل على
نبوة بعضهم وتفرد
اليهود في شأن موسى
عليه السلام وتفرد
النصارى في حق عيسى
عليه السلام والاقام
نبي الله وهو امور بما
اسروا به وهو عبارة عن
التوحيد ودين الاسلام
وما لا يختلف باختلاف
الامم وتبدل الاعصار
من اصول الشرائع
والاحكام كايدي عنه
التوصية فانها معرفة
عن تأكيد الامر
والاعتناء بشان المأمور
به والمراد بانخائه اليه
عليه الصلاة والسلام
اما ما ذكر في صدر
السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكانك اوحينا الآية ﴿ ٥٠ ﴾ سا او ما بهما وغيرهما واقم في سائر المواضع التي
من جعلها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا

وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهةم الله واحد وعبدتوا ما لم ينزل به سلطانا
والسلام بالذى لزيادة تفخيم شأنه من تلك الخبيثة وايشار الارجاء على ﴿ ٣٩٤ ﴾ ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة

ان الذوات مغايرة للصفات اذا عرفت هذا فتقول اختلاف الصفات لا يوجب اختلاف
الذوات البتة لان اذى الجسم الواحد كان ساكنا ثم يصير متحركا ثم يسكن بعد ذلك فالذوات
باقية في الاحوال كلها على نهج واحد ونسق واحد والصفات متعاقبة متزايلة فثبت
بهذا ان اختلاف الصفات والاعراض لا يوجب اختلاف الذوات اذا عرفت هذا فنقول
الاجسام التي منها تألف وجه الكلب والقرود مساوية للاجسام التي تألف منها وجه
الانسان والفرس وانما حصل الاختلاف بسبب الاعراض القائمة وهي الالوان
والاشكال والحشونة واللاسة وحصول الشعور فيه وعدم حصولها فلا اختلاف انما وقع
بسبب الاختلاف في الصفات والاعراض فاما ذوات الاجسام فهي متماثلة الا ان العوام
لا يعرفون الفرق بين الذوات وبين الصفات فلا جرم يقولون ان وجه الانسان مخاف
لوجه الحمار ولقد صدقوا فانه حصلت تلك المخالفة بسبب الشكل واللون وسائر الصفات
فاما الاجسام من حيث انها اجسام فهي متماثلة متساوية فثبت ان الكلام الذي اوردته
انما ذكره لاجل انه كان من العوام وما كان يعرف ان المتعبر في التماثل والاختلاف
حقائق الاشياء وما هياتها لا الاعراض والصفات القائمة بها بقي ههنا ان يقال فما الدليل
على ان الاجسام كلها متماثلة فنقول لانهما مقامان (المقام الاول) ان تقول هذه المقدمة
اما ان تكون مسلمة او لا تكون مسلمة فان كانت مسلمة فقد حصل المقصود وان كانت
منوعة فنقول فلم لا يجوز ان يقال اله العالم هو الشمس أو القمر أو الفلك أو العرش
أو الكرسي و يكون ذلك الجسم مخالفا لما هيته سائر الاجسام فكان هو قديما أزليا واجب
الوجود وسائر الاجسام محدثة مخلوقة ولو ان الاولين والآخرين اجتمعوا على ان
يسقوا هذا التزام عن المجسمة لا يقدرون عليه فان قالوا هذا باطل لان القرآن دل على
ان الشمس والقمر والافلاك كلها محدثة مخلوقة فيقال هذا من باب المجازة المفرطة لان
صحة القرآن وصحة نبوة الانبياء مفرعة على معرفة الاله فثبت معرفة الاله بالقرآن وقول
النبي لا يقوله عاقل يفهم ما يتكلم به (والمقام الثاني) ان علماء الاصول أقاموا البرهان
اقاطم على تماثل الاجسام في الذوات والحقيقة واثبت هذا ظهوره لو كان اله العالم
جسما لكان ذاته مساوية لذوات الاجسام الا ان هذا باطل بالعقل والنقل اما العقل
فلان ذاته اذا كانت مساوية لذوات سائر الاجسام وجب ان يصح عليه ما يصح على
سائر الاجسام فيلزم كونه محدثا مخلوقا قابلا لعدم والقناء قابلا للفرق والتمزق واما النقل
فتوجه تعالى ليس كمثل شئ فهذا تمام الكلام في تقرير هذا الدليل وعند هذا يظهر اننا
لا نقول بأنه متى حصل الاستواء في الصفة لزم حصول الاستواء في تمام الحقيقة الا اننا
نقول لما ثبت ان لاجسام متماثلة في تمام الماهية فلو كانت ذاته جسما لكان ذلك الجسم
مساويا لسائر الاجسام في تمام الماهية وحينئذ يلزم ان يكون كل جسم مثالا له لما بيننا
المتعبر في حصول المماثلة اعتبار الحقائق من حيث هي هي لا اعتبار الصفات القائمة بها

ما وقع في الآيات المذكورة
ولما في الايجاز من التصريح
برسالته عليه الصلاة
والسلام اقام لانكار
الكفرة والاتفات الى
نون العظيمة لظهور
كمال الاعتناء بآيائه وهو
السرفي تقديمه على ما
بعده مع تقدمه عليه
زمانا وتقديم توصية نوح
عليه السلام للمسارعة
الى بيان كون المشروع
لهم دينا قديما وتوجيه
الحساب اليه عليه الصلاة
والسلام بطريق
التلويح للتشريف
والتييد على أنه تعالى
شرع لهم على اسانه
عليه الصلاة والسلام
(ان أقيموا الدين) أي
دين الاسلام الذي هو
توحيد الله تعالى وطاعته
والايمان بكتبه ورسوله
ويوم الجزاء وسأمرنا
يكون الرجل به مؤمنا
والمراد باقامته تعديل
أركانها وحفظه من ان
يقع فيه زيغ أو المواطبة
عليه والتشمله ومجمل ان
أقيموا اما ان تصب على
أنه يدل من مفعول شرع
والعطفين عليه أو الرفع

على أنه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كأنه قبل وما ذلك فقيل هو اقامة الدين وقيل يدل نحو فظهر
من ضمير به وليس بذلك لما أنه مع

افضاه الى خروجه عن حيز الايمان الى النبي عليه الصلاة والسلام مستلزم ليكون الخطاب في قوله تعالى (ولا تترعوا فيه) فلا يبداء المذكورين عليهم الصلاة والسلام * ٣٩٥ * وتوجيه التهيى الى أنهم يحمل ظاهر مع أن الاظهر

انه متوجه الى امتد صلى الله عليه وسلم وأنهم المتفرقون كما سمع طيبه خبرا أى لا تفرقوا في الدين الذى هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المتخلقة حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما يتعلق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى (كبر على المشركين) شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم ماشرع من الدين القويم أى عظم وشق عليهم (ما تدعوهم اليه) من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعاد وه حيث قالوا اجعل الآلهة الهما واحد ان هذا لشيء عجبا وقوله تعالى (الله يجزيه) استثناء اليم من يشاء) استثناء واراد لتحقيق الحق وا اشعار بان منهم يجيب الى الدعوة أى الله يجلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء أن يجتنب اليه وهم من صرف اختياره الى ما

فظهر بالقرير الذى ذكرناه أن بحة أهل التوحيد في غاية القوة وان هذه الكلمات التي أوردناها هذا الايمان انما أوردناها لانه كان بعيدا عن معرفة الحقائق فجرى على منهج كلمات العوام فاغترت تلك الكلمات التي ذكرها ونسأل الله تعالى حسن الخاتمة (المسئلة الثانية) في ظاهر هذه الآية اشكال فانه يقال المقصود منها نفي المثل عن الله تعالى وظهارها يوجب اثبات المثل لله فانه يقتضى نفي المثل عن مثله لاعتنه وذلك يوجب اثبات المثل لله تعالى وأجاب العلماء عنه بان قالوا ان العرب تقول مثلك لا يجزل أى أنت لا تجزل فنقوا الجزل عن مثله وهم يريدون نفيه عنه ويقول الرجل هذا الكلام لا يقال لمثل أى لا يقال قال الشاعر * ومثل كمثل جنود النخيل * والمراد منه البلاغة فانه اذا كان ذلك الحكم منتفيا عن كان مشابها بسبب كونه مشابها له فلان يكون منتفيا عنه كان ذلك أولى ونظيره قواهم سلام على المجلس العالى والمقصود ان سلام الله اذا كان واقعا على مجلسه وموضعه فلان يكون واقعا عليه كان ذلك أولى فكذلك قوله تعالى انيس كمثل شئ والمعنى ليس كهموشى على سبيل المبالغة من الوجه الذى ذكرناه وعلى هذا التقدير فلم يكن هذا اللفظ ساقطا عديم الاثر بل كان مقيدا للمبالغة من الوجه الذى ذكرناه وزعم جهم ابن صفوان أن المقصود من هذه الآية بيان انه تعالى ليس مسمى باسم الشئ قال لان كل شئ فانه يكون مثلا لمثل نفسه فقوله ليس كمثل شئ معناه ليس مثل مثله شئ وذلك يقتضى أن لا يكون هو مسمى باسم الشئ وعندى فيد طريفة أخرى وهى ان المقصود من ذكر الجمع بين حرفي التشبيه الدليل الدال على كونه ممزعا عن المثل وتقريره أن يقال لو كان له مثل لكان هو مثل نفسه وهذا محال فاثبات المثل له محال أما بيان انه لو كان له مثل لكان هو مثل نفسه فالامر فيه ظاهر وأما بيان ان هذا محال فلانه لو كان مثل مثل نفسه لكان مساويا لمثله في تلك الماهية ومباينا له في نفسه وما به المشاركة غير ما به المباينة فتكون ذات كل واحد منهما مركبا وكل مركب ممكن فثبت انه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان هو في نفسه واجب الوجود اذا عرفت هذا فقوله ليس مثل مثله شئ اشارة الى انه لو صدق عليه انه مثل مثل نفسه لما كان هو شئ ثانيا على ما بينا انه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان واجب الوجود فهذا ما يحتمله اللفظ (المسئلة الثالثة) هذه الآية تدل على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الأعلى يقتضى اثبات المثل فلا بد من الفرق بينهما فنقول المثل هو الذى يكون مساويا للشيء في تمام الماهية والمثل هو الذى يكون مساويا له في بعض الصفات الخارجة عن الماهية وان كان مخالفا في تمام الماهية (المسئلة الرابعة) قوله وهو السميع البصير يدل على كونه تعالى سامعا للمسبوعات مبصرا للرييات فان قيل يمنع اجراء هذا اللفظ على ظاهره وذلك لانه اذا حصل قرع أو قلع انقلب الهواء من بين دينك الجسمين انقلابا بعنف فتمتوج الهواء بسبب ذلك ويتأدى ذلك التوج الى سطح الصماخ فهذا هو السماع واما الابصار فهو عبارة عن نثر الحدقة بصورة الرئي فثبت أن السمع

دعى اليه كما ينبغي عنه قوله تعالى (ويهدى اليه من ينيب) أى يقبل اليه حيث يمه بان توفيق والالطاف وقوله تعالى (وما تفرقوا) شروع في بيان احوال أهل الكتاب عقيب الاشارة

الاجابية الى احوال أهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين
أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة أي وما تفرقوا في ٢٩٦ في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا

كأمن بعضهم (الامن
بعد ما جاءهم العلم)
ببينة بما شاهدوا
في رسول الله صلى الله
عليه وسلم والقرآن من
دلائل الحقيقة حسبا
وجدوه في كتابهم
أو العلم بمبدأ علي
الصلوة والسلام
وهو استثناء مفرغ
من أعم الاحوال أو من
أعم الاوقات أي وما
تفرقوا في حال من
الاحوال أو في وقت
من الاوقات الاحمال
مجى العلم أو الاوقات
مجى العلم (بما بينهم)
وحجة وطلب للرياسة
لان لهم في ذلك
شبهة (والاكلة سبقت
من ربك) وهي العدة
بأخير العقوبة (الى
أجل مسمى) هو يوم
القيامة (لقضى بينهم)
لا وقع القضاء بينهم
باستصوابهم لاستصحاب
جناياتهم لذلك قطعا
وقوله تعالى (وان الذين
أوتوا الكتاب من
بعدهم) الخ بيان لكيفية
كفر المشركين بالقرآن
البيان كيفية كفر أهل

والبصر عبارة عن تأثير الحاسة وذلك على الله سبحانه فثبت ان اطلاق السمع والبصر على
علمه تعالى بالمسموعات والمبصرات غير جار (والجواب) الدليل على أن السماع مغاير
لتأثير الحاسة اذا دعتنا الصوت علمنا انه من أي الجوانب جاء، فعلما اننا أدركنا الصوت
حيث وجد ذلك الصوت في نفسه وهذا يدل على ان ادراك الصوت حالة مغايرة لتأثير
السماع عن توج ذلك الهواء وأما الرؤية فالدليل على انها حالة مغايرة لتأثير الحاسة وذلك
لان نعلم اننا نرى جسم صغير فيستحيل ان تطباع الصورة العظيمة فيه فنقول الصورة المنطبعة
صغيرة والصورة المرئية في نفس العلم عظيمة وهذا يدل على ان الرؤية حالة مغايرة لنفس
ذلك الانطباع واذا ثبت هذا فنقول لا يلزم من امتناع التأثير في حق الله امتناع السمع
والبصر في حقه فان قالوا هب ان السمع والبصر حالتان مغايرتان لتأثير الحاسة الا ان
حصولهما مشروط بحصول ذلك التأثير فلما كان حصول ذلك التأثير في حق الله تعالى
ممتعا كان حصول السمع والبصر في حق الله ممتعا فنقول ظاهر قوله وهو السمع البصير
يدل على كونه سمعا بصيرا فلم يجز لنا أن نعدل عن هذا الظاهر الا اذا قام الدليل على أن
الحاسة المسماة بالسمع والبصر مشروطة بحصول التأثير والتأثير في حق الله تعالى ممتنع
فكان حصول الحاسة المسماة بالسمع والبصر ممتعا وأنتم المدعون لهذا الاشتراط
فعليناكم الدلالة على حصوله وانما نحن متمسكون بظاهر اللفظ الى أن تذكروا ما يوجب
العدول عنه فان قال قائل قوله وهو السمع البصير يفيد الحصر فامعنى هذا الحصر
مع أن العباد أيضا موصوفون بكونهم سمعيين بصيرين فنقول السمع والبصير لفظان
مشعران بحصول هاتين الصفتين على سبيل الكمال والكمال في كل الصفات ليس الله
فهذا هو المراد من هذا الحصر اما قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فاعلم أن المراد
من الآية انه تعالى قاطر السموات والارض والاصنام ليست كذلك وأيضا فهو خالق
أفئتنا وأزواجنا وخالق أولادنا منا ومن أزواجنا والاصنام ليست كذلك وأيضا فله
مقاليد السموات والارض والاصنام ليست كذلك والمقصود من الكل بيان القادر المنعم
الكريم الرحيم فكيف يجوز جعل الاصنام التي هي جنادات مساوية في العبودية
فقوله له مقاليد السموات والارض يريد مقاليد الرزق من السموات والارض فقالمقاليد
السموات الامطار ومقاليد الارض النبات وذكرنا تفسير المقاليد في سورة الزمر عند قوله
يدسط الرزق لمن يشاء ويقدر لان مقاليد الرزاق بيده انه بكل شيء من البسط والتقدير
عليم * قوله تعالى (شرح لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به
ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) كبر على المشركين ما تدعوهم
اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من يريد وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ولو لم تكن سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين أوتوا الكتاب
من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك نادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت

الكتاب وقرى ورثوا وورثوا أي وان المشركين الذين أوتوا القرآن من بعد ما ورث أهل الكتاب وما
كتابهم (ان في شك منه) من القرآن (مريب) موقع في القلق أو في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لالحض البغي
والمكابرة بعد

ما علموا بحقيقته كدأب أهل الكتابين هذا وأما ما قبل من أن ضمير تفرقوا الاعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان المراد تفرق كل أمة بعد نبينا مع عليهم ^{٣٩٧} بحج بان التفرقة ضلال وفساد وأمر متوحد عليهم على أسنة الانبياء عليهم

عما انزل الله من كتاب وأمرت لأعدائهم يشكهم الله ربنا وربكم انساو لكم أعمالكم
لا يجدون الله بيّنهم الله يجمع بيننا وبينهم الصبر والذين يحاجون في الله من بعد ما استجب
له جحيم داخضة عند ربهم عندهم غضبنا عليهم عنان شديدان الذي أنزل الكتاب بالحق
والميراث وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا
مشفقون منها وما يؤمنون أنها الخلق إلا بال الذين يارون في الساعة في ضلال بعين الله أن يوف
بعباده رزق من شاء وهو الشورى العزيز) اعلم انه تعالى اساعظكم وحيد الى محمد صلى الله
عليه وسلم بقوله كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الخاسككم ذكر في هذه
الآية تفصيل ذلك فتال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والمعنى شرع الله لكم
بأصحاب محمد من الدين ما وصى به نوحا ومحمد ابا ابراهيم موسى وعيسى هذا هو التصود
من لفظ الآية وانما خص هؤلاء الانبياء الجملة بالذكر لانهم أكابر الانبياء وأصحاب
أشرايع العظمى والاتباع الكثيرة الا انه بقى في لفظ الآية اشكالات (أحدها) انه قال
في أول الآية ما وصى به نوحا وفي آخرها وما وصى به ابراهيم وفي الوسط والذي أوحينا
اليك فاما الغائبة في هذا التفاوت (وثانيها) انه ذكر نوحا عليه السلام على سبيل الغيبة
فقال ما وصى به نوحا والتسمين الباقيين على سبيل التكميم فقال والذي أوحينا اليك وما
وصينا به ابراهيم (وثالثها) انه بصير تقدير الآية شرع الله لكم من الدين الذي أوحينا
اليك فقوله شرع لكم خطاب الغيبة وقوله والذي أوحينا اليك خطاب الحضور فهذا
يقضى الجمع بين خطاب الغيبة وخطاب الحضور في الكلام الواحد بالاعتبار الواحد
وهو مشكل فهذه المضائق يجب البحث عنها والقوم مادارا وحاولها وبالجملة فالتمسود
من الآية انه يقال شرع لكم من الدين ديننا تطابقت الابداء على صحته وأقول يجب أن
يكون المراد من هذا الدين شيئا مغايرا للكليات والاحكام وذلك لانها مختلفة متفاوتة
قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فيجب أن يكون المراد منه الامور التي
لا تختلف باختلاف الشرائع وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
والايمان بوجوب الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والسعي في مكارم الاخلاق
والاحتراس عن ذنوب الاحوال ويجوز عندي أن يكون المراد من قوله ولا تفرقوا أى
لا تفرقوا بالآلهة الكثيرة كما قال يوسف عليه السلام أرباب متفرقون خير أم الله
الواحد النهار وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا
فاعبدون واحجج بعضهم بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا على ان النبي صلى الله
عليه وسلم في أول الامر كان مبعوثا بشريعة نوح عليه السلام والجواب ما ذكرناه انه
عطف عليه سائر الانبياء وذلك يدل على ان المراد هو الاخذ بالشريعة التي اتفق عليها بين اكل
ومحل أن أقيم الدين اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على
الاستئناف كأنه قيل ما ذلك المشروع فتبل هو اقامة الدين كبر على المشركين عظم عليهم

المسلاة والسلام في هذه
قوله تعالى واولاكلة
سبقت من ربك الى اجل
مسمى انضى بينهم وكننا
ما قيل من أن الناس
كانوا أمة واحدة
مؤمنين بعدما اهلك
الله تعالى أهل الارض
بأهلها فان فلما مات الآباء
اختلف الانبياء فيما بينهم
وذلك حين بعث الله
النبيين مبشرين
ومنذرين وجاءهم
العلم وانما اختلفوا للبعث
ينهم فان مشاهير الاعم
المذكورة قد أصابهم
عذاب الاستئصال من
غير انظار وامهال على
ان مساق النظم الكريم
ليبيان أحوال هذه
الامة وانما ذكر من ذكر
من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لتعريف
أن ما شرع لهؤلاء الذين
قديم أجمع عليه أولئك
الاعلام عليهم الصلاة
والسلام تأكيد الوجوب
اقامته وتشد يد الانجر
عن التفرق والاختلاف
فيه فالتعرض لبيان
تفرق أممهم عنه
رعايوهم الاخلال
بذلك المرام (فلذلك) أى فلاجل ما ذكر من التفرق واشك الربيب أو فلاجل انه شرع لهم الدين القويم القديم
الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون (فادع) أى الناس كافة الى اقامة

ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلان تفرقهم وكونهم في شك من رب ومن شرع ذلك الدين اهتم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب الدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه * ٣٩٨ * ما ذكر من التوسية والامر بالاقامة

والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بان ربك اوحى اليها أي قال ذلك الدين فادع (واستمع) عليه وعلى الدعوة اليه (كما أمرت) وأوحى اليك (ولا تنزع أهواءهم) الباطلة (وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) أي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالدين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعمير رض بهم وقدم بيان كيفية الايمان بها في خاتمة سورة البقرة (وأمرت لأعدل بينكم) في تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوى بيني وبينكم ولا آمركم بما لا أعلمه ولا أخالفكم الى ما نهاكم عنه ولا أفرق بين اكابركم وأصاغركم

وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله تعالى على سبيل الاتفاق والاجماع بدليل ان الكفار قالوا اجعل الآتية انها واحدا ان هذا الشيء بحجاب وههنا مسائل (المسئلة الاولى) احتج نفاة انقياس بهذه الآية قالوا انه تعالى اخبر ان اكابر الانبياء اطبقوا على انه يجب اقامة الدين بحيث لا يفضي الى الاختلاف والتنازع والله تعالى ذكر في معرض المنع على عباده انه أرشدهم الى الدين الخالي عن التفرق والمخالفة ومعلوم أن فتح باب انقياس بفضي الى أعظم أنواع التفرق والمنازعة فان المس شاهدهان هؤلاء الذين ينوا دينهم على الاختلاف انقياس تفرقوا تفرقا لارجاء في حصول لاتفاق بينهم الى آخر اقامة فوجب أن يكون ذلك محرما من نوعا عنه (المسئلة الثانية) هذه الآية تدل على أن هذه الشرائع على قسمين منها ما يتم دخول النسخ والتغيير فيه بل يكون واجب البقاء في جميع الشرائع والاديان كالتقوى بحسن الصدق والعدل والاحسان والقول بفتح الكذب والظلم والايذاء ومنها ما يختلف باختلاف الشرائع والاديان ودلت هذه الآية على أن سعي الشرع في تقرير النوع الاول أقوى من سعيه في تقرير النوع الثاني لان المواظبة على القسم الاول مهمة في اكتساب الاحوال المفيدة لحصول السعادة في الدار الآخرة (المسئلة الثالثة) قوله تعالى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه مشعر بأن حصول الموافقة أمر مطلوب في الشرع والعقل وبيان منفعة من وجوه (الاول) ان النفوس تأثرات واذا تطابقت النفوس وتوافقت على شيء واحد قوى التأثير (الثاني) انها اذا توافقت صار كل واحد منها معينا للآخر في ذلك المقصود المعين وكثرة الاعوان توجب حصول المقصود اما اذا تخالفت تنازعت وتجادلت فضعفت فلا يحصل المقصود (الثالث) ان حصول التنازع ضد مصلحة العالم لان ذلك يفضي الى الهرج والمرج والقتل والنهب فلهذا السبب أمر الله تعالى في هذه الآية باقامة الدين على وجه لا يفضي الى التفرق وقال في آية أخرى ولا تنازعوا فتفشاوا ثم قال الله تعالى يجزي اليه من يشاء ويهدي اليه من يشاء وفيه وجهان (الاول) انه تعالى لما أرشد أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى التمسك بالدين المتفق عليه بين أنه تعالى انما أرشدهم الى هذا الخير لانه اجتباهم واصطفاهم وخصهم بمن يدر الرحمة والكرامة (الثاني) انه انما اكبر عليهم هذا الدماء من الرسل لما فيه من الانقياد لهم تكبرا وانفة فيبين تعالى انه يخص من يشاء بالسائق ويلزم الانقياد لهم ولا يعتبر الحسب والنسب والغنى بل الكل سواء في انه يلزمهم اتباع الرسل الذين اجتباهم الله تعالى واشتقاق لفظ الاجتباء يدل على الضم والجمع فانه جبي الحراج واجتباؤه وجبي الماء في الحوض فقوله الله يجزي اليه أي يضمه اليه ويقربه منه تقر يب الأكرام والرحمة وقوله من يشاء كقوله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ثم قال ويهدي اليه من يشاء وهو كما روى في الخبر من تقرب مني شبرا تقر بت منه ذراعا ومن أتاني عشي أتته هرولة أي من أقبل الى بطاعته أقبلت اليه بهدائي وارشادي بان أشرح له صدره وأسهل أمره

واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف أي أمرت بذلك لأعدل أو زائدة أي أمرت ان أعدل والباء واعلم *
محذوفة (الله ربنا وربكم) أي خالقنا

جميعا ومتولى أمورنا (لنا أعمالنا) لا يتخطا بنا جزاؤها أو باكان أو هتبا (ولكم أعمالكم) لا تجاوزكم آثارها لتستفيد بحسناتكم
 وتضرر بسبب آتكم (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا حاجة ولا خصومة لأن الحق قد ظهر وارتقى للحاجة حاجة ولا للمخالفة
 محل سوى المكابرة (الله يجمع بيننا) ﴿ ٣٩٩ ﴾ يوم القيامة (والله المصير) فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى

محاجرة في مواقف
 المجاورة لا متاركة في
 مواطن المحاربة حتى
 يصار الى النسخ
 بآية القتال (والذين
 يجاجون في الله) أهدى
 دينه (من بعدما استجاب
 له) من بعدما استجاب له
 الناس ودخلوا فيه والتعبير
 عن ذلك بالاستجابة باعتبار
 دعوتهم اليه أو من بعد
 ما استجاب الله لرسوله
 عليه الصلاة والسلام
 وأيده بنصره أو من بعد
 ما استجاب له أهل الكتاب
 بأن أقروا بنبوته عليه
 الصلاة والسلام
 واستفتحوه قبل بعثه
 عليه الصلاة والسلام
 وذلك أن اليهود والنصارى
 كانوا يقولون للمؤمنين
 كتابنا قبل كتابكم ونبينا
 قبل نبيكم ونحن خير منكم
 وأولى بالحق (حجتهم
 داخضة عند ربهم)
 زائلة باطللة بل لا
 حجة لهم أصلا وإنما عبر
 عن باطلهم بالحجة مجازاة
 معهم على زعمهم الباطل
 (وعليهم غضب)
 عظيم لسكرانهم الحق
 بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد)

وأهل أنه تعالى لما بين أنه أمر كل الأنبياء والامم بالآخذ بالدين المتفق عليه كان لقائل أن
 يقول فلماذا نجدهم متفرقين فاجاب الله تعالى عنهم بقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم
 العلم بغيا بينهم يعني أنهم ما تفرقوا الا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك
 للبغي وطلب الرياسة فحملتهم الحمية النفسانية والافتقار الطبيعية على أن ذهب كل طائفة
 الى مذهب ودعا الناس اليه وفتح ما سواه طلبا للذكر والرياسة فصار ذلك سببا لوقوع
 الاختلاف ثم أخبر تعالى أنهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل الا انه تعالى أخرج عنهم
 ذلك العذاب لأن لكل عذاب عنده أجلا مسمى أي وقتا معلوما اما المحض المشبهة كما هو
 قولنا أولانه علم أن الصلاح تحفته به كما عند المعتزلة وهو معنى قوله وأولئك سبقت من
 ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم والاجل المسمى قد يكون في الدنيا وقد يكون في القيامة
 واختلفوا في الدين أريدوا بهذه الصفة من هم فقال الأكثرون هم اليهود والنصارى
 والدليل عليه قوله تعالى في آل عمران وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
 العلم بغيا بينهم وقال في سورة لم يكن وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم
 البينة ولأن قوله الا من بعد ما جاءهم العلم لا يلقى أهل الكتاب وقال آخرون أنهم هم العرب
 وهذا باطل للرجوع المذكورة لأن قوله تعالى بعد هذه الآية وان الذين أوتوا الكتاب من
 بعدهم لا يلقى العرب لأن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم هم أهل الكتاب الذين كانوا في
 عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي شك من كتابهم لا يؤمنون به حتى الايمان ثم قال تعالى
 فلذلك فادع واستقم كما أمرت يعني فلاجل ذلك التفرق ولاجل ما حدث من الاختلافات
 الكثيرة في الدين فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما
 أمر الله ولا تتبع أهواءهم المختلفة الباطلة وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب أي بأي
 كتاب صح ان الله أنزله يعني الايمان بجميع الكتب انزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض
 وكفروا ببعض ونظيره قوله أو من ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون ثم
 قال وأمرت لأعدل بينكم أي في الحكم اذا اختلفتكم فحاصلكم الى قال اتفقا مناه
 ان رب امرني أن لا أفرق بين نفسي وأنفسكم بأن أمركم بالأعماله وأوصانيكم الى
 ما نهيتكم عنه لكني أسوى بينكم وبين نفسي وكذلك أسوى بين أكبركم وأصاغركم فيما
 يتعلق بحكم الله ثم قال الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله
 يجمع بيننا واليه المصير والمعنى ان الله الكحل وكل واحد واحد بخصوص بعمل نفسه
 فوجب أن يشتغل كل واحد في الدنيا بنفسه فان الله يجمع بين الكل في يوم القيامة
 ويجازيه على عمله والمقصود منه التاركة واشغال كل أحد بمهم نفسه فان قيل كيف
 يليق بهذه التاركة ما فعل بهم من القتل وتخريب البيوت وقطع الخيل والاجلاء فلنا هذه
 التاركة كانت مشروطة بشرط أن يقبلوا الدين المتفق على صحته بين كل الانبياء ودخل
 فيه التوحيد وترك عباداة الاصنام والاقرار بنبوة الانبياء وبصحة البعث والقيامة فلما

بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد)

لا يقادر قدره (الله الذي أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (بالحق) ملتصا به في أحكامه وأخباره أو بما يحق أنزاله من
العقائد والأحكام (والميزان) والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوي بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة
الوزن (وما يدريك) أي أي شيء يحكم عالمنا (أهل الساعة) التي تغير مجيئها الكتاب الناطق بالحق (قريب) أي شيء
قريب أو قريب بحيثها أو قيل القريب بمعنى ذات قرب ﴿ ٤٠٠ ﴾ أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح

الآيات فاتبع الكتاب
واعمل به وواظب على
العدل قبل أن يفاجئك
اليوم الذي يوزن فيه
الأعمال ويوفي جزاؤها
(يستعمل بها الذين
لا يؤمنون بها) استعمال
انكار واستهزاء كانوا
يقاؤون منى هي ليتها
قامت حتى يظهر لنا الحق
أهو الذي ضمن عليه
أم الذي عليه محمد
وأصحابه (والذين آمنوا
مشفقون منها) خائفون
منها مع اعتناهم بالتوقع
الثواب (ويعلمون أنها
الحق) أي الكائن لا محالة
(ألا ان الذين يمارون في
الساعة) يجادلون فيها
من الرية أو من مرية
النافذة إذا صحت ضررهم
بشدة للحطب لأن كلام
المتجادلين يستخرج ما
عند صاحبه بكلام فيه
شدة (لن ضلال بعيد)
عن الحق فإن البعث أشبه
العائيات بالخشوات
فن لم يبتدأ إلى تجويره
فهو عن الإهداء إلى ما
وراءه أبعد وأبعد (الله
لطيف بعباده) أي يربط

لم يقاوا هذا الدين فحينئذ فالتشرط فلا جرم فالتشرط وواعلم أنه ليس المراد من قوله
لا تحفظ بيننا وبينكم تحريم ما يجري مجرى محاجتهم وبدل عليه وجوه (الاول) ان هذا
الكلام المذكور في معرض المحاجة فلو كان المقصود من هذه الآية تحريم المحاجة لزم
كونه محرمة لنفسها وهو متناقض (والثاني) انه لولا الأدلة لما وجد التكليف (الثالث)
أن الدليل يفيد العلم وذلك لا يمكن تحريمه بل المراد أن التوم عرفوا بالحجة صدق محمد صلى
الله عليه وسلم وانما تركوا تصديقه بقيا وعنادا فبين تعالى انه قد حصل الاستغناء عن
محاجتهم لانهم عرفوا بالحجة صدقه فلاحاجة معهم إلى المحاجة البتة وما بقوى قولنا انه
لا يجوز تحريم المحاجة قوله وجادلهم بالتي هي أحسن وقوله تعالى ادع إلى سبيل ربك وقوله
ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وقوله ياتوح قد جادنا نفاقا كثرت جادنا
وقوله وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ثم قال تعالى والذين يحتاجون في الله أي
يخاضعون في دينه من بعد ما استجب إليه أي من بعد ما استجاب الناس لذلك الدين حجتهم
داحضة أي باطلة وتلك الحجة الخاصة هي ان اليهود قالوا ألستم تقولون ان الاخذ بالتفق
أولى من الاخذ بالمختلف فنبوة موسى وحقية التوراة معلومة بالاتفاق ونبوة محمد ليست
متفقا عليها فإذا بئتم كلامكم في هذه الآية على ان الاخذ بالتفق أولى وجب أن يكون
الاخذ باليهودية أول فبين تعالى أن هذه الحجة داحضة أي باطلة فاسدة وذلك لأن اليهود
اطبقوا على انه انما يوجب الايمان بموسى عليه السلام لاجل ظهور المعجزات على وفق
قوله وهو ههنا ظهرت المعجزات على وفق قول محمد عليه السلام واليهود شاهدوا تلك المعجزات
فان كان نطقهم المعجزات يدل على الصدق فهي ما يجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وان كان لا يدل على الصدق وجب في حق موسى ان لا يقروا بنبوته واما الاقرار بنبوة
موسى والاصرار على انكار نبوة محمد مع استوائهما في ظهور المعجزة يكون متناقضا ولما
قرر الله هذه الدلائل يخوف المذكرين بعذاب القيامة فقال الله الذي أنزل الكتاب بالحق
والميزان وما يدريك أهل الساعة قريب والمعنى انه تعالى أنزل الكتاب المشتمل على أنواع
الدلائل والبيئات وأنزل الميزان وهو الفصل الذي هو القسطاس المستقيم وأنهم لا يعلمون
ان القيامة متى تفاجئهم وهي كان الأمر كذلك وجب على العاقل أن يجد ويجتهد في النظر
والاستدلال وبقا نظر بقا أهل الجهل والتقليد ولما كان الرسول يهددهم بنزول القيامة
وأكثر ذلك وأنهم ما رأوا منه أثرا قالوا على سبيل السخر يا فتى تقوم القيامة وليتم أقامت
حتى يظهر لنا ان الحق ما نحن عليه أو الذي عليه محمد وأصحابه فلدفع هذه الشبهة قال تعالى
يستعمل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها أو المذنبين ظاهرا وانما مشفقون
ويخافون لعلمهم ان سندها تمتع التوبه وأما منكر البعث فلانه لا يحصل له هذا الخوف
ثم قال ألا ان الذين يمارون في الساعة في ضلال بعيد والممارسة الملاحة قال الزجاج الذين
تدخلهم المرية وانشك في وقوع الساعة فيمارون فيها ويحسدون في ضلال بعيد لان

البرهم يفيض عليهم من فنون العرافة ما لا يكاد يناله أيدي الأفكار والظنون (برزق من يشاء) ﴿ واستيقاض ﴾
أي برزق كيفما يشاء ويخص كلامه بعباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم الباسخة (وهو
القوي) الباهر القدرة الغالب على كل شيء (العزيم) المنيع الذي لا يغلب

استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب في العدل فلو لم تحصل القيامة لم استناد الظلم الى الله تعالى وهذا من أمحل المحالات فلا جرم كان انكار القيامة ضلالا بعيدا ثم قال الله لطيف بعباده أي كثيرا لاحسان بهم وانما حسن ذكره في الكلام ههنا لانه أنزل عليهم الكتاب المشتمل على هذه الدلائل اللطيفة فكان ذلك من لطف الله بعباده وأيضا المشرقون استوجبوا العذاب الشديد ثم انه تعالى أخرج عنهم ذلك العذاب فكان ذلك أيضا من لطف الله تعالى فلما سبق ذكر اتصال أعظم المنافع اليهم ودفع أعظم المضار عنهم لا جرم حسن ذكره ههنا ثم قال يرزق من يشاء يعني ان أعمال الاحسان والبرعام في حق كل العباد وذلك هو الاحسان بالحياة والعقل والفهم واعطاء ما لا بد منه من الرزق ودفع أكثر الآفات والبلبات عنهم فاما مراتب العظيمة والبرحة فغاوتة مخفية ثم قال وهو اقوى أي القادر على كل ما يشاء العزيز الذي لا يغالب ولا يدافع * قوله تعالى (من كان يريد حرث الآخرة

تزدله في حربه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤوته منها وما له في الآخرة من نصيب أم بهم شركا شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولو لا كلمة الفصل لفضى بهم وان الظالمين انما عذابهم أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو اوقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير الذي يشكر الله عبادته الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسنا ان الله غفور شكور أم يقولون افتنى على الله كذبا فان يشأ الله يختم نبي فبئس وعيم الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه يلهم ذات الصدور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تصمرون ويستجب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويريدهم من فضله والكافرين اوتهم عذابا شديدا اعلم انه تعالى لما بين كونه لطيفا بعباده كثيرا لاحسان اليهم بين انه لا يبداهم من أن يسرهوا في طلب الخيرات وفي الاستئذان عن القبايح فبيان من كان يريد حرث الآخرة تزدله في حربه قال صاحب الكشاف انه تعالى سمي ما يعمله العامل مما يطب به القائدة حرثا على سبيل المجاز وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) انه تعالى أظهر الفرق في هذا الآية بين من أراد الآخرة وبين من أراد الدنيا من وجوه (الاول) انه قدم مرید حرث الآخرة في الذكر على مرید حرث الدنيا وذلك يدل على التفضيل لانه ومسند بكونه آخرة ثم قدمه في الذكر تبيينها على قوله نحن الآخرون السابقون (الثاني) انه قال في مرید حرث الآخرة تزدله في حربه وقال في مرید حرث الدنيا نؤوته منها وكلمة من التبعيض فانه في انه يعطيه بعض ما يطالبه ولا يؤتيه كله وقال في سورة بني اسرائيل عجزنا له فيها ما نشاء لمن نريد وأقول البرهان العاقل مساعد على البابين وذلك لان كل من عمل للآخرة وواظب على ذلك العمل فكثرت الاعمال سبب لحصول الملكات فكل من كانت مواظبته على تلك الاعمال أكثر كان بل

واستعمل في ثمرات الاعمال ونسأجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالانغلاق الحاصلة من البذور المتضمن تشبيه الاعمال بالبذور أي من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة (تزدله في حربه) نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فافوقها (ومن كان يريد بأعماله حرث الدنيا) وهو متاعها وطيباتها (نؤوته منها) أي شيئا منها حسيما فسناله لا ما يريد وبتغذية (وماله في الآخرة من نصيب) اذ كانت همة مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الاسراء (أم لهم شركاء) أي بل ألهم شركاء من الشياطين والهمة للتقريب والتقريب (شرعوا لهم) بالتسويل (من الدين ما لم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركا وهم أولادهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واستنادا لشرع

اليها لانها سبب ضلالتهم وافتانهم كقوله تعالى انهم ﴿ ٤٠٢ ﴾ أضلّان كثيرا أو تامل من سن الضلالة لهم

(ولو لا كلمة الفصل)
أى القضاء السابق
بتأخير الجزاء أو العدة
بأن الفصل يكون يوم
القيامة (نقضى بينهم)
أى بين الكافرين
والمؤمنين أو بين المشركين
وشركائهم (وان الظالمين
لهم عذاب أليم) وقرئ
بالتفخ عطا على كلمة
الفصل أى ولو لا كلمة
الفصل وتقدير عذاب
الظالمين فى الآخرة
لنقضى بينهم فى الدنيا
فان العذاب الاليم غالب
فى عذاب الآخرة (ترى
الظالمين) يوم القيامة
والخطاب لكل أحد من
يصلح له للتصديق أن
سوء حالهم غير مختص
برؤية راء دون راء
(مشفقين) خائفين (مما
كسبوا) من السيئات
(وهو واقع بهم) أى
ووباله لاحق بهم لاحتماله
أشققوا أولم يشققوا
والجملة حال من ضمير
مشفقين أو اعتراض
(والذين آمنوا وعملوا
الصالحات فى روضات
الجنات) مستقر ونفى
أطيب بقاعها وأزهرها
(لهم ما يشاؤون)

قلبه الى طلب الآخرة أكثر وكلما كان الأمر كذلك كان الابتهاج أعظم والسعادات
أكثر وذلك هو المراد بقوله نزلته فى حرته وأما طالب الدنيا فكلمة ساكنت مواظبته على
أعمال ذلك الطلب أكثر كانت رغبته فى الفوز بالدنيا أكثر وميله اليها أشد وإذا كان
الميل أبدأ فى التزايد وكان حصول المطاوب باقرب على حانة واحدة كان الحرمان لازما
لا محالة (الثالث) أنه تعالى قال فى طالب حرت الآخرة نزلته فى حرته ولم يذكر أنه تعالى
بعطية الدنيا لم لا بل بقى الكلام ساكتا عنه نغيا وإثباتا وأما طالب حرت الدنيا فإنه تعالى
بين أنه لا يعطيه شيئا من نصيب الآخرة على التخصيص وهذا يدل على التفاوت العظيم كأنه
يقول الآخرة أصل والدنيا فرع فواجب الأصل يكون واجد الفرع بقدر الحاجة إلا أنه لم
يذكر ذلك تبيينها على أن الدنيا أحسن من أن يقرن ذكرها بذكر الآخرة (الرابع) أنه تعالى
بين أن طالب الآخرة زاد فى مطاوبه وبين أن طالب الدنيا يعطى بعض مطاوبه من الدنيا
وأما فى الآخرة فإنه لا يحصل له منها نصيب البتة فبين بالكلام الأول أن طالب الآخرة
يكون حاله أبدأ فى الترقى والتزايد وبين بالكلام الثانى أن طالب الدنيا يكون حاله فى المقام
الأول فى نقصان وفى المقام الثانى فى البطلان السام (الخامس) أن الآخرة نسيئة والدنيا
تقد ونسيئة مرجوحة بالنسبة الى الانتقال الناس يقولون التقدير من النسيئة فبين
تعالى أن هذه القضية انعكست بالنسبة الى أحوال الآخرة والدنيا فالآخرة وإن كانت
نسيئة إلا أنها متوجهة للزيادة والدوام فكانت أفضل وأكمل والدنيا وإن كانت تقدا
الإلها متوجهة الى النقصان ثم الى البطلان فكانت أحسن وأرفق فهذا يدل على أن
حال الآخرة لا يناسب طالب الدنيا البتة وأنه ليس فى الدنيا من أحوال الآخرة إلا مجرد
الاسم كاهو مروى عن ابن عباس (السادس) الآية دالة على أن منافع الآخرة والدنيا
ليست حاضرة بل لا بدنى الباطن من الحرث والحراث لا يتأتى إلا بحمل المشاق فى البذر
ثم التسقية والتبعية ثم الحصد ثم التسقية فلما سمى الله كلام القسمين حرثا علمنا أن كل واحد
منهما لا يحصل إلا بحمل المتاعب والمشاق ثم بين تعالى أن مصير الآخرة الى الزيادة
والكمال وأن مصير الدنيا الى النقصان ثم الغناء فكانت قبل إذا كان لا بدنى القسمين جميعا
من تحمل متاعب الحرث والتسقية والتبعية والحصد والتسقية فلان تصرف هذه
المتاعب الى ما يكون فى التزايد والبقاء أولى من صرفها الى ما يكون فى النقصان
والانقضاء والغناء (المسئلة الثانية) فى تفسير قوله نزلته فى حرته قولان (الأول) المعنى أنا
نزلته فى توفيقه وإعائه وتسهيل سبل الخيرات والطاعات عليه وقال مقاتل نزلته
فى حرته بتضعيف الثواب قال تعالى ابوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله وعن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال من أصبح وهمه الدنيا اشقت الله تعالى عليه وهمه وجعل فقره بين
عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله هممه وجعل غناه
فى قلبه وأتمه الدنيا وهى راحة عن أنفسها وألفظ يقرب من أن يكون هذا معناه

عند ربهم) أي ما يشتهونه من فنون المستلذات ﴿ ٤٠٣ ﴾ حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرف

للاستقرار العامل في لهم
وقيل ظرف إيشاؤون
(ذلك) إشارة إلى ما ذكر
من حال المؤمنين وما
فيه من معنى البعد
الليذان بعد منزلة
المشار إليه (هو الفضل
الكبير) الذي لا يقدر
قدره ولا يبالغ غاية
(ذلك) الفضل الكبير
هو (الذي يبشر الله
عباده) أي يبشرهم به
فحذف الجارم العائد إلى
الموصول كما في قوله تعالى
أهدنا الذي بعث الله رسولا
أو ذلك التبشير الذي
يبشره الله تعالى عباده
(الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) وقرئ يبشر
من ابشركم (قل لا أسئلكم
عليه) روى أنه اجتمع
المشركون في مجمع لهم
فقال بعضهم لبعض
أترون أن محمدا يسأل
على ما يتعاطاه أجرا
فندلت أي لا تطلب منكم
على ما أنا عليه من التبليغ
والبشارة (أجرا) نفعا
(الالمودة في القربى)
أي الآن تودوني لقرايتي
منكم أو تودوا أهل
قرايتي وقيل الاستثناء
بمنقطع والمعنى

(المسئلة الثالثة) ظاهر اللفظ يدل على أن من صلى لأجل طلب الثواب أو لأجل دفع العقاب فإنه تصح صلاته وأجبه وأعلى أنها لا تصح (والجواب) أنه تعالى قال من كان يريد حرث الآخرة والحرث لا يتأتى إلا بالإنشاء البذر الصحيح في الأرض والبذر الصحيح لجميع الخيرات والسعادات ليس العبودية لله تعالى (المسئلة الرابعة) قال أصحابنا إذا توضحا بغيرنية لم يصح قالوا لأن هذا الإنسان ما أراد حرث الآخرة لأن الكلام فيما إذا كان غافلا عن ذكر الله وعن الآخرة فوجب أن لا يحصل له نصيب فيما يتعلق بالآخرة والخروج عن عهدة الصلاة من باب منافع الآخرة فوجب أن لا يحصل في الوضوء العار عن النية واعلم أن الله تعالى لما بين القاتون الأعظم والتسخطاس الأقوم في أعمال الآخرة والدينا أورد فيه بالتبنيبه على ما هو الأصل في باب الضلالة والشقاوة فقال أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ومعنى الهمة في أم التقرير والتقرير وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك واتكفروا به والعمل للدينا لأنهم لا يعلمون غيرها وقيل شركاؤهم أوثانهم وإنما أضيفت إليهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما كانت سببا لفضلاتهم جعلت شارعة لدين الضلالة كما قال إبراهيم صلى الله عليه وسلم رب انهن أضلان كثيرا من الناس وقوله شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله يعني أن تلك الشرائع بأسرها على ضد دين الله ثم قال ولو لا كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأخير الجزاء أو يقال ولو لا الوعد بأن الفصل يكون يوم القياسة لفضى بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم وقرأ بعضهم وإن يفتح الهمة في أن عطفه على كلمة الفصل يعني ولو لا كلمة الفصل وتقريره تعذيب الظالمين في الآخرة لفضى بينهم في الدنيا ثم انه تعالى ذكر أحوال أهل العقاب وأحوال أهل الثواب أما الأول فهو قوله ترى الظالمين مشفقين خائفين خوفا شديد ما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد أن وبالله واقع بهم سواء أشفقوا أولم يشفقوا وأما الثاني فهو أحوال أهل الثواب وهو قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لأن روضة الجنة أطيب بقعة فيها وفي الآية تنبيه على أن الفساق من أهل الصلاة كلهم في الجنة إلا أنه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بروضات الجنات وهي البقاع الشريفة من الجنة فالبتاع التي دون تلك الروضات لابد وأن تكون مخصوصة بمن كان دون أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال لهم ما يشاؤون عند ربهم وهذا يدل على أن كل الأشياء حاضرة عنده مهابة ثم قال تعالى في تعظيم هذه الدرجة ذلك هو الفضل الكبير وأصحابنا استدلووا بهذه الآية على أن الثواب غير واجب على الله وإنما يحصل بطريق الفضل من الله تعالى لأنه تعالى قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم فهذا يدل على أن روضات الجنات ووجدان كل ما يريدونه إنما كان جزاء على الأيمان والأعمال الصالحة ثم قال تعالى ذلك هو الفضل

لا أسألكم أجرا فطولكن أسألكم المودة وفي القربى حال منها ٤٠٤ أي المودة ثابتة في القربى ممكنة

في أهلها أو في حق
القرايب والقربى مصدر
كالزنى بمعنى القرابة
روى أنها المائزات قيل
يارسول الله من قرأ بك
هو لاء الذين وجبت
علينا مودتهم قال علي
وفاطمة وابيها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم
حرمت الجنة علي من ظلم
أهل بيتي وأذاني في
عسرتي ومن اصطنع
صنيعة إلى أحد من ولد
عبد المطلب ولم يجازه
فأنا أجازيه عليها
غدا إذا قبيني يوم القيامة
وقيل القربى التقرب
إلى الله أي الآن تودوا
الله ورسوله في نفر بكم
اليد بالطاعة والعمل
الصالح وقرى الامودة
في القربى (ومن يفتقر
حسنة) أي يكتب أي
حسنة كانت فنناول
مودة ذي القربى تناولا
أوليا وعن السدي أنها
المرادة وقيل نزلت في
الصديق رضي الله عنه
ومودته فيهم (نزدله فيها)
أي في الحسنة (حسنا)
بمضاعفة الثواب وقرى
يزد أي يزده الله

الكبير وهذا نصريح بان الجزاء المرتب على العمل إنما حصل بطريق الفضل لا بطريق
الاستحقاق ثم قال ذلك الذي يشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال صاحب
الكشاف قرى يبدش من بشره ويبدش من بشره وبشش من بشره واعلم ان هذه الآيات
دالة على تعظيم حال الثواب من وجوه (الاول) ان الله سبحانه رتب على الايمان وعمل
الصالحات روضات الجنات والسايطان الذي هو أعظم الموجودات وأكرمهم اذا رتب
علي أعمال شاقة جزاء دل ذلك على ان ذلك الجزاء قد بلغ الى حيث لا يعلم كأنه الله تعالى
(الثاني) انه تعالى قال لهم ما يشاؤون عند ربهم وقوله لهم ما يشاؤون يدخل في باب غير
المتأهي لانه لا درجة الا للانسان يريد ما هو أعلى منها (الثالث) انه تعالى قال ذلك هو
الفضل الكبير والذى يحكم بكبره من له الكبرياء والعظمة على الاطلاق كان في غاية الكبر
(الرابع) انه تعالى أعاد البشارة على سيدنا النبي فقال الذي يشر الله عباده وذلك يدل
أيضا على غاية العظمة نسأل الله ان يغفر لهما والوصول اليها واعلم انه تعالى لما وسخى الى محمد
صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الشريف العالى وأودع فيه ثلاثة أقسام الدلائل
وأصناف الشكاليب ورتب على الطاعة ثواب وعلى المعصية العقاب بين اني لأطلب
منكم بسبب هذا التبليغ نفعا عاجلا ومطلوبا عاجلا لا يتخيل جاهل أن مقصود محمد
صلى الله عليه وسلم من هذا التبليغ المال واجاه فقال قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في
القربى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكر الناس في هذه الآية بثلاثة أقوال (الاول)
قال الشعبي أكثر الناس علينا في هذه الآية فكاتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فكاتب
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسطه النسب من قريش ليس بطن من
بطونهم الا وقد واده فقال الله قل لا أسئلكم على ما دعوكم اليه أجرا الا أن تودوني لقرايب
منكم والمعنى انكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني فاذا قد أيتتم ذلك فاحفظوا حق
القربى ولا تؤذوني ولا تهجموا علي (والقول الثاني) روى الكلبي عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تعرفه نواذب وحقوق
وليس في يده سعة فقال الانصار ان هذا الرجل قد هداهم الله على يده وهو ابن أختكم
وجاركم في بلدكم فاجعوا والبطائفة من أموالكم ففعلوا ثم أتوه به فرده عليهم فنزل قوله
تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا أي على الايمان الا أن تودوا أقاربي فحتمهم على مودة أقاربه
(القول الثالث) ما ذكره الحسن فقال الا أن تودوا الى الله فيما يقر بكم اليه من التودد
اليه بالعمل الصالح فالقربى على القول الاول القرابة التي هي بمعنى الرحم وعلى الثاني
انقرابة التي هي بمعنى الاقارب وعلى الثالث هي فعلى من القرب والتقرب فان قيل الآية
مشكلة وذلك لان طلب الاجرة على تبليغ الوحي لا يجوز ويدل عليه وجوه (الاول) انه
تعالى حكى عن اكثر الانبياء عليهم السلام انهم صرحوا بنى طلب الاجرة فذكر في
قصة نوح عليه السلام وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين وكذا في

وقرى حسنى (ان الله غفور) لمن اذنب ﴿ ٤٠٥ ﴾ (شكور) لمن اطاع بتوفيق الثواب والتفضل عليه

قصة هو دوساخ وفي قصة لوط وشعيب عليهم السلام ورسولنا افضل من سائر الانبياء عليهم السلام فكان بان لا يطلب الاجر على النبوة والرسالة اولى (والثاني) انه صلى الله عليه وسلم صرح بتي طلب الاجر في سائر الآيات فقال قل ما سألنكم من اجر فهو ولكم وقال قل ما سألنكم عليه من اجر وما أنا من المتكلمين (والثالث) العنق يدل عليه وذلك لان ذلك التبليغ كان واجبا عليه قال تعالى بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وطلب الاجر على اداء الواجب لا يليق بأقل الناس فضلا عن أعلم العلماء (الرابع) أن النبوة افضل من الحكمة وقد قال تعالى في صفة الحكمة ومن آتت الحكمة فقد آتت خيرا كثيرا وقال في صفة الدنيا قل متاع الدنيا قليل فكيف يحسن في العقل مقابلة أشرف الاشياء بأخس الاشياء (الخامس) ان طلب الاجر كان يوجب التهمة وذلك يناق الفسح بصحة النبوة فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز من النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلب اجرا البتة على التبليغ والرسالة وظاهر هذه الآية يقتضى انه طلب اجرا على التبليغ والرسالة وهو المودة في اقرى هذا تقرير السؤال (والجواب) عنده انه لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على التبليغ والرسالة بقوله المودة في القرى نقول الجواب عند من وجهين (الاول) ان هذا من باب قوله

ولا عيب فيهم فخير ان سبب وفهم * بهما من قراع الدارعين فلول

بمعنى انادأطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس اجرا لان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والآيات والاخبار في هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين واجبا فخصوا بها في حق أشرف المسلمين وأكبرهم اولى وقوله تعالى قل لا أسئلكم عليه اجرا الا المودة في اقرى بتقديره والمودة في القرى ليست اجرا فرجع الحامل الى انه لا اجرا البتة (والوجه الثاني) في الجواب ان هذا استثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسئلكم عليه اجرا ثم قال الا المودة في القرى أى لكن اذكركم قرابتى منكم وكأنه في اللفظ اجر وليس باجر (المسئلة الثالثة) نقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات على حب آل محمد مات شهيدا أو من مات على حب آل محمد مات مغفورا له أو من مات على حب آل محمد مات نائبا أو من مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكر أو من مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما يزف العروس الى بيت زوجها أو من مات على حب آل محمد فحق له في قبره بيان الى الجنة أو من مات على حب آل محمد جعل الله قبره من ارض ملائكة الرحمة أو من مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة أو من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله أو من مات على بغض آل محمد مات كافرا أو من

بالزيادة (أم يقولون) بل أيقون (افترى) محمد (على الله كذبا) بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهزيمة لانكار التوحيخي كأنه قيل أيقون أن ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو الى الافتراء لاسيما الافتراء على الله الذي هو أعظم القرى وأشدها وقوله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك) استشهدا على بطلان ما قالوا ببيان أنه عليه السلام او افترى على الله تعالى لضعفه من ذلك قطعاً وتحقيقه أن دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لا يشاء صدورهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدورهم عنه ومن ضرورته منه عند قطعاً فكانه قيل او كان افتراء عليه تعالى انشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينها

فحينما تبين أنه من عند الله تعالى هذا وقبل المعنى ﴿ ٤٠٦ ﴾ ان يشأ يجعلك من المخنوم على قلوبهم فانه

لا يجترى على الافتراء عليه تعالى الامن كان كذلك ومؤداهما استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جلة المخنوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعنى لو افترى على الله الكذب لفعله ذلك وهذا معنى ما قيل لو كتب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك ير بط عليه بالصرحتى لا يشق عليك اذاهم (ويخو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) استئناف مقرر اننى الافتراء غير معطوف على يختم كما بينى عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما فى بعض المصاحف لا يباع اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشرأى ومن عادته تعالى أنه يحجو الباطل ويثبت الحق بوجه أو بفضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل

مات على بعض آل محمد لم يشم رائحة الجنة هذا هو الذى رواه صاحب الكشاف وأنا أقول آل محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين بول أمرهم اليه فكل من كان أمرهم اليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ولا شك ان فاطمة وعليها والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل وأيضا اختلف الناس فى الآل فقيل هم الاقارب وقيل هم أمتهم فان حملناه على القرابة فهم الآل وان حملناه على الامة الذين قبلوا دعوته فهم أيضا آل فثبت ان على جميع التفسيرات هم الآل وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فختلف فيه وروى صاحب الكشاف انه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت عايننا مودتهم فقال على وفاطمة وايناهما فثبت ان هؤلاء الاربعة اقارب النبي صلى الله عليه وسلم واذ ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمن يدانته عظيم ويدل عليه وجوه (الاول) قوله تعالى الامودة فى القرى ووجه الاستدلال به ما سبق (الثانى) لاشك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب فاطمة عليها السلام قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر عن محمد صلى الله عليه وسلم انه كان يحب عليا والحسن والحسين واذ ثبت ذلك وجب على كل الامة مثله لقوله واتبعوه لعلكم تهتدون ولقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره واقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولقوله سبحانه انه قد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة (الثالث) ان النداء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا النداء خاصة للشهدى فى الصلاة وهو قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمد وآل محمد وهذا التعظيم لم يوجد فى حق غير الآل فكل ذلك يدل على ان حب آل محمد واجب وقال الشافعى رضى الله عنه

يارا كبا قف بالمحصب من منى * واهنف بساكن خيفها والناهض
سحرا اذا فاض الحجج الى منى * فيضضا كما نظم الفرات القانض
ان كان رفضا حب آل محمد * فليس شهد الشعلان انى رافضى

(المسئلة الثالثة) قوله الامودة فى القرى فيه منصب عظيم للصحابة لانه تعالى قال والسابقون السابقون أولئك المقربون فكل من أطاع الله كان مقربا عند الله تعالى فدخل تحت قوله الامودة فى القرى والحاصل ان هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أصحابه وهذا المنصب لا يسلم الا على قول أصحابنا أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العتره والصحابة وسمعت بعض المذكورين قال انه صلى الله عليه وسلم قال مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا وقال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم ونحن الان فى بحر التكليف وتضر بنا أمواج الشبهات والشهوات وراكب البحر يحتاج الى أمرين (أحدهما) السفينة

فلو كان افتراء كإفتراء المحنة ودمغه ﴿٤٠٧﴾ أوعده لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يعجز الباطل الذي هم

عليه من البهت والتكذيب
ويثبت الحق الذي
هو عليه بالقرآن
أو بضمانه الذي لا مرد
له بصحته عليهم (أنه
عليهم بذات الصدور)
فيجري عليها أحكامها
اللائقة بها من المحو
والاثبات (وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده)
التوبة هي الرجوع
عن المعاصي باندم
طلبها والعزم على أن
لا يعاودها أبدا وروى
جابر رضي الله عنه أن
أعرابيا دخل مسجد
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اللهم
اني استغفرك وأتوب
إليك وكبر فلما فرغ من
صلاته قال له علي
رضي الله عنه يا هذا
ان سرعة اللسان
بالاستغفار توبة الكذابين
وتوبتك هذه تحتاج
إلى التوبة فقال يا أمير
المؤمنين وما التوبة
قال اسم يقع على ستة
معان على الماضي من
الذنوب الندامة
ولتضييع القرائض
الإعادة ورد الظالم وإذابة

الخالية عن العيوب واللقب (والثاني) انكواكب الظاهرة الطساعة النيرة فاذا ركب
تلك السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب الظاهرة كان رجاء السلامة غالبا فتلك
ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد ووضعوا أبصارهم على نجوم الصحابة
فرجوا من الله تعالى أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة ولنرجع إلى
التفسير أورد صاحب الكشاف على نفسه سؤالاً فقال هلا قيل الامودة القرني
أو الامودة للقرني وما معنى قوله الامودة في القرني وأجاب عنه بأن قال جعلوا مكانا
للمودة ومقرها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هو ولي وحب شديد تريد احبهم وهم
مكان حبي ومجمله ثم قال تعالى ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسنا فبلى نزلت هذه الآية في
أبي بكر رضي الله عنه والظاهر العموم في أي حسنة كانت الا أنها لما ذكرت عقب ذكر
المودة في القرني دل ذلك على ان المقصود التأكيد في تلك المودة ثم قال تعالى ان الله خفور
شكور والشكور في حق الله تعالى مجاز والمعنى انه تعالى يحسن إلى المطيعين في إيصال
الثواب اليهم وفي أن يريد عليه أنواع كثيرة من التفضيل وقال تعالى أم يقولون
افتري على الله كذبا واعلم ان الكلام في أول هذه السورة انما ابتدئ في تقرير ان هذا
الكتاب انما حصل يوحى الله وهو قوله تعالى كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله
العزيز الحكيم واتصل الكلام في تقرير هذا المعنى وتوافق البعض بالبعض حتى وصل إلى
هم نائم حكى ههنا شبهة التوهم وهي قولهم ان هذا ليس وحيا من الله تعالى فقال أم يقولون
افتري على الله كذبا قال صاحب الكشاف أم منقطعة ومعنى الهزيمة فيه التوبيح
كأنه قيل أيقع في قلوبهم ويحرق في ألسنتهم أن ينسبوا مثله إلى الافتراء على الله الذي هو
أقبح أنواع الفرية وأفحشها ثم أجاب عنه بأن قال فان يشاء الله يختم على قلبك وفيه وجوه
(الأول) قال جماعة يرتبط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يسبق عليك قواهم انه مقرر
كذاب (الثاني) يعني بهذا الكلام انه ان يشاء الله يجعلك من المخزوم على قلوبهم حتى
يفترى عليه الكذب فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الامن كان في مثل هذه
الحالة والمقصود من ذكر هذا الكلام المبالغة في تقرير الاستبعاد ومثاله أن ينسب رجل
بعض الامناء إلى الخيانة فيقول الأمين لعل الله خذلني لعل الله أعمى قاي وهو لا يريد
اثبات الخذلان وعمى القلب لنفسه وانما يريد استبعاد صدور الخيانة عنه ثم قال تعالى
ويح الله الباطل ويحق الحق أي ومن عادة الله ابطال الباطل وتقرير الحق ولو كان محمدا
مبطلا كذا بالنفسه الله ولكشف عن باطله ولما أيده بالقوة والنصرة ولما يكن الامر
كذلك علمنا انه ليس من الكاذبين المقترين على الله ويجوز أن يكون هذا وعدا
من الله لرسوله بأنه يعجز الباطل الذي هم عليه من البهت والفرية والتكذيب ويثبت
الحق الذي كان محمدا صلى الله عليه وسلم عليه ثم قال انه عليهم بذات الصدور أي ان الله عليهم
بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك

النفس في الطاعة كما ربيتها في العصية واذقتها مرارة ﴿ ٤٠٨ ﴾ الطاعة كما أذقتها حلاوة العصية والبكاء بدل

كل ضحكك ضحكته
(ويعفو عن السيئات)
صغيرها وكبيرها لمن
يشاء (ويعلم ما يعاونه)
كلنا ما كان من خير
وشرف في أزي وتجاوز
حسبنا تقصيد مشيئة
النبية على الحكم
والمصالح وقرى ما
تعاوننا (و يستجيب
الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) أي
يستجيب الله لهم فحذف
اللام كما في قوله تعالى
وإذا قالوا هم أي كأولهم
والمراد اجابة دعوتهم
والإجابة على طاعتهم
فذهبوا كدعاء وطلب
للمبرتب عابها ومنه
قوله عليه السلام
أفضل الدعاء الحمد لله
أو يستجيبون الله بالطاعة
إذا دعاهم إليها وعن
ابراهيم بن آدم أنه
قيل له ما باننا ندعو
فلا يجاب قال لأنه دعاءكم
ولم يجيبوه ثم قرأ والله
يدعو إلى دار السلام
(ويزيدهم من فضله)
على ما سألووا استحقوا
بموجب الوعد
(والكافرون لهم

القرآن و يقطع عنك لرحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعول الله به ذلك واعلم انه تعالى لما قال أم يقولون افترى على الله كذباً ثم برأسوله المضافوه إليه من هذا وكان من المعلوم أنهم قد استحقوا بهذه الفرقة عذاباً عظيماً لاجرم نذهبهم الله إلى التوبة وعرفهم أنه يقبأها من كل مسمى وإن عظمت اساءته فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وفي هذه الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف يقال قبلت منه الشيء وقبيلته عنه فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مهياً لقبول ومنشأه ومعنى قبلته عند أخذه عنده وإنما عند وقد سبق البحث المستقصى عن حقيقة التوبة في سورة البقرة وأقل ما لابد منه الذنب على الماضي والترك في الحال والعزم على أن لا يعود إليه في المستقبل وروى جابر أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى أستغفرك وأتوب إليك وكبر فأسأف فرغ من صلاته قال له على عليه السلام يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين فتوبتك تحتاج إلى توبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة فقال اسم يقع على سنة أشياء على الماضي من الذنوب التدامة وتضييع الفرائض الاعانة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في العصية واذافة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة العصية والبكاء بدل كل ضحكك ضحكته (المسئلة الثانية) قالت المعترف يجب على الله تعالى عند لقبول التوبة وقال الصحابة لا يجب على الله شيء وكل ما يفعله فاعماله بالكرم والفضل واحتجوا على صحة مذهبهم بهذه الآية فقالوا انه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان ذلك القبول واجباً لما حصل التمدح العظيم ألا ترى ان من مدح نفسه بأن لا يضرب الناس ظلماً ولا يقتلهم غضباً كان ذلك مدحاً قليلاً أما اذا قال انى أحسن اليهم مع ان ذلك لا يجب على كان ذلك مدحاً وثناء (المسئلة الثالثة) قوله تعالى ويعفو عن السيئات اما أن يكون المراد منه أن يعفو عن الكبائر بعد الايمان بالتوبة أو المراد منه انه يعفو عن الصغار أو المراد منه انه يعفو عن الكبائر قبل التوبة والاول باطل والاصحار قوله ويعفو عن السيئات عين قوله وهو الذى يقبل التوبة والتمسك بالاصل (والثاني) أيضاً باطل لأن ذلك واجب وأداء الواجب لا تمدح به فبقى القسم الثالث فيكون المعنى انه تارة يعفو بواسطة قبول التوبة وتارة يعفو ابتداءً من غير توبة ثم قال ويعلم ما يفعلون قرأ حرة والكسائى وحفص عن عاصم بن ثناء على المخاطبة والباقون بالياء على الغاية والمعنى انه تعالى يعلم فيثيبه على حسناته ويعاقبه على سيئاته ثم قال ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وفيه قولان (أحدهما) الذين آمنوا وعملوا الصالحات رفع على انه فاعل تقديره ويستجيب المؤمنون الله فيمسا دعاهم إليه (والثاني) محله نصب والفاعل مضمرة وهو الله وتقديره ويستجيب الله للمؤمنين الا انه حذف اللام كما حذف في قوله وإذا قالوا هم وهذا الثانى أولى لان الخبر فيما قبل وبعد عن الله لان ما قبل الآية قوله تعالى وهو الذى يقبل

(واو بسطة الله الرزق لعباده، بغوا في الارض) لكبروا وافسدوا وفيها بطرأ اولعابهم من فضله بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجيلة البشرية وأصل البغي طاب ﴿ ٤٠٩ ﴾ تجاوز الاقتصاد فيما يتجرى من حيث الكمية أو الكيفية (واكن

التوبة عن عباده ويعفون عن السيئات وما بعدهما قوله ويزيدهم من فضله فبئز يدعطف على ويستجيب وعلى الاول ويستجيب العبد ويزيد الله من فضله أما من قال ان الفعل للذين آمنوا فقيه وجهان (أحدهما) ويستجيب المؤمنون بهم فيما دعاهم اليه (والثاني) يطيعونه فيما أمرهم به والاستجابة الطاعة وأما من قال ان الفعل لله فقد اختلفوا فقيل يجب لله دعاء المؤمنين ويزيدهم ما يطلبوه من فضله فان قالوا تخصيص المؤمنين بإجابة الدعاء هل يدل على انه تعالى لا يجب دعاء الكفار قلنا قال بعضهم لا يجوز لان اجابة الدعاء تعظيم وذلك لا يليق بالكفار وقيل يجوز على بعض الوجوه وقائدة التخصيص ان اجابة دعاء المؤمنين تكون على سبيل التشریف واجابة دعاء الكافرين تكون على سبيل الاستدراج ثم قال ويزيدهم من فضله أى يزيدهم على ما طلبوه بالدعاء والكافرون لهم عذاب شديد والمتصود التهديد * قوله تعالى (واو بسطة الله الرزق لعباده بغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خير بصير وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بينهما من دابة وهو على جميعهم اذا شاء قدير وما أسألكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويسقوا عن كثير وما أنتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اسم الله تعالى لما قال في الآية الاولى انه يجب دعاء المؤمنين ورد تعالیه سؤال وهو ان المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعو فلا يشاهد أثر الاجابة فكيف الحال فيه مع ما تقدم من قوله ويستجيب الذين آمنوا فاجاب تعالى عنه بقوله واو بسطة الله الرزق لعباده بغوا في الارض ولا تقدموا على المعاصي وما كان ذلك محذوراً وجب أن لا يعطيهم ما يطلبونه قال الجبائي هذه الآية تدل على بطلان قول المجبرة من وجهين (الاول) الحاصل الكلام انه تعالى او بسطة الرزق لعباده لغوا في الارض والبغي في الارض غير مراد فإعادة بسطة الرزق غير مناسبة فهذا الكلام انما يتم اذا قلنا انه تعالى لا يريد البغي في الارض وذلك يوجب فساد قول المجبرة (الثاني) انه تعالى بين انه انما يريد بسطة الرزق لانه يعنى الى الفسدة فلما بين تعالى انه لا يريد ما يعنى الى الفسدة مما لا يكون مراداً للفسدة كان أولى اجاب أصحابنا بان الميل الشديد الى البغي والفسدة وانتهر صفة حدثت به انما تكن ذلالتها من فاعل وفاعل هذه الاحوال اما العبد أو الله (والاول) باطل لانه انما يفعل هذه الاشياء لومال طبعه اليها فيعود السؤال في أنه من المحدث تلك الميل الثاني ويلزم التسلسل وأيضاً فالليل الشديد الى الظلم والقسوة عيوب ونقصانات والعاقل لا يرضى بتخصيص موجبات نقصان لنفسه ولما بطل هذا ثبت ان محدث هذا الميل والرغبة هو الله تعالى ثم أورد الجبائي في تفسيره على نفسه سوء الاقل فان قيل أليس قد بسطة الله الرزق لبعض عباده

ينزل بقدر) أى بتقدير (ما يشاء) أن ينزله مما تقتضيه مشيئته (انه بعباده خير بصير) بحيث يخفيا أمورهم وجلالها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فينقر و يعفى ويتع و يعطى و يقبض و يبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية واو أغناهم جميعا بغوا واو أفقرهم اهلكوا وروى ان أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا أخصبوا اتجاروا واذا أجذبوا اتجمعوا (وهو الذى ينزل الغيث) أى المطر الذى يغيثهم من الجذب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من انزال (من بعد ما قنطوا) يتسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحقده بدونه أيضاً لذكر كمال النعمة وقرئ بكسر النون (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ونافعه في كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته

الواسعة المنتظمة لما ذكر ان نظاما اوليا (وهو الولي) الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة (الحمد) المستحق للحمد على ذلك لا غيره (ومن آياته خلق السموات والارض) على ﴿ ٤١٠ ﴾ ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها

وصفاتهن تدل على شؤنه العظيمة (وما بث فيهما) عضف على السموات أو الخلق (من دابة) من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب أو بما يدب على الارض فان ما يخص بأحد الشيتين التجاورين يصح نسبه اليهما كافي قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الظنيران فيوصفوا بالديب وأن يذلق الله في السماء حيوانا يشون فيها مشى الأناسى على الارض كما نبى عنه قوله تعالى ويخاف ما لاتعون وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة تحرب بين اقله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن واطلاهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم (وهو على جدهم) أي حشرهم بعد البعث للحاسبة وقوله تعالى

مع انه بنى وأجاب عند ان الذي عنده الرزق وبنى كان العلوم من حاله انه بنى على كل حال سواء اعطى ذلك الرزق أو لم يعط وأقول هذا الجواب فاسد ويدل عليه اقرآن والعقل أما القرآن فتقوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى حكمه مطلقا بان حصول الغنى سبب لحصول الطغيان وأما العقل فهو ان النفس اذا كانت مائلة الى الشر لكنهما كانت فاقدة الآلات والادوات كان الشر أقل واذا كانت واجدة لهما كان الشر أكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (المسئلة الثانية) في بيان الوجه الذي لاجله كان التوسع موجبا لاطغيان ذكروا فيه وجوها (الاول) ان الله تعالى لوسوى في الرزق بين الكل لا تمتنع كون البعض خادما للبعض واوصار الامر كذلك للحرب العالم وتعطلت المصالح (الثاني) ان هذه الآية مختصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم ووجدوا من ماء المطر ما يرويه ومن الكلا والعشب ما يشبعهم أقدموا على النهب والغارة (الثالث) ان الانسان متكبر بطبعه فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقه الاصلي وهو التكبر واذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر فعاد الى الطاعة والتواضع (المسئلة الثالثة) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك اننا نظرنا الى أموال بني قريظة والنضير وبنى قيناع ففتنناها وقيل نزلت في أهل الصفة ممن واسعة الرزق والغنى ثم قال تعالى ولكن ينزل بقه وما يشاء قرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل خفيفة والباقرن بالتشديد ثم نقول بقدر بتقدير يقل قدره قدر او قدر الله بعباده خير بصير يعني انه عالم بأحوال الناس و بطباعهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم ولما بين تعالى أنه لا يعطيهم ما زاد على قدر حاجتهم لاجل انه علم أن تلك الزيادة تضرهم في دينهم بين انهم اذا احتاجوا الى الرزق فانه لا ينعمهم - ه قال وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا قرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بشدة والباقرن مخففة قال صاحب التفسير قرى قنطوا بفتح النون وكسرهما وانزل الغيث بعد القنوط ادعى الى الشكر لان الفرج بحصول النعمة بعد البلية أتم فكان اغنام صاحبها على الشكر أكثر وينشر رحمته أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضى الله عنه انه قيل له أشد القنط وقنط الناس فقال اذن مطروا اراد هذه الآية ويجوز أن يريد رحمته الواسعة في كل شيء كانه قيل ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر سائر أنواع الرحمة وهو الولي الحميد الولي الذي يتولى عباده باحسانه والحميد المحمود على ما يوصل للخلق من أقسام الرحمة ثم ذكر آية أخرى تدل على الهيته فقال ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيها من دابة فنقول أما دلالة خلق السموات والارض على وجود الاله الحكيم فقد ذكرناها وكذلك دلالة وجود الحيوانات على وجود الاله الحكيم فان قيل كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلنا فيه وجوه (الاول) انه قد يضاق الفعل الى جماعة وان كان فاعله واحدا منهم يقال بنونان فلما وا كذا وانما فاعله واحد منهم ومنه قوله تعالى يخرج منها

(اذإشاء) متعلق بما قبله لا بقوله تعالى (قدر) ٤١١ كنهان القيد المشبهة بجمه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى

الوقت كاندخل الماضي
تدخل المضارع (وما
أصابكم من مصيبة)
أى مصيبة كانت (فما
كسبت أيديكم) أى فبى
بسبب معاصيكم التى
اكسبتموها وانفاء لان
ما شرطية أو متضمنة
لمعنى الشرط وقرئ
يدونها اكتفاء بما فى
الباء من معنى السببية
(وبعقوعن كثير) من
الذنوب فلا يعاقب
عليها والاية متضمنة
بالجزم من فان ما أصاب
غيرهم لاسباب آخر منها
تعريضه للثواب بالصبر
عليه (وما أنتم بمعجزين
فى الارض) فاشين
ما قضى عليكم من
المصائب وان هر يتم
من أقطارها كل مهرب
(ومالككم من دون الله
من ولى) يحمىكم منها
(ولانصبر) يدفعها
عنكم (ومن آياته الجوار)
السفن الجارية
(فى البحر) وقرئ
الجوارى (كالاعلام)
أى كالجبال على الاطلاق
لالتى عليها النار
للاهداء خاصة (ان

اللولؤ والمرجان) (الثانى) ان الديق هو الحركة والملائكة كمالهم حركة (الثالث) لا يعرف
أن يقال انه تعالى خلق فى السموات أنواعا من الحيوانات يشسبون مشى الاناسى على
الارض ثم قال تعالى وهو على جمهم اذإشاء قدير قال صاحب الكشاف اذاندخل على
المضارع كاندخل على الماضى قال تعالى والليل اذإعشى ومنه اذإشاء قدير والمقصود
انه تعالى خلقها متفرقة لالعجز ولكن لمصلحة فلهذا قال وهو على جمهم اذإشاء قدير
بمعنى الجمع للعشر والحاسبة والناقال على جمهم ولم يقل على جمها لاجل أن المقصود من
هذا الجمع الحاسبة فكانه تعالى قال وهو على جم العتلاء اذإشاء قدير واخرج الجبائى
بقوله اذإشاء قدير على ان مشيئة تعالى محدثة بأن قال ان كلمة اذتفيد ظرف الزمان
وكلمة إشاء صيغة المستقبل فلو كانت مشيئة تعالى قديما لم يكن تخصيصه بمابذالك الوقت
المعين من المستقبل فائدة ولما دل قوله اذإشاء قدير على هذا التخصيص علم ان مشيئة
تعالى محدثة (والجواب) أن هاتين الكلمتين كادخلتا على المشيئة أى مشيئة الله تعالى
دخلتا أيضا على لفظ التقدير فلمزم على هذا أن يكون كونه قار اصفة محدثة ولما كان هذا
باطلا فكذا القول فيما ذكرته والله أعلم ثم قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت
أيديكم وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء وكذلك
هى فى مصاحف الشام والديلم والباقون بانفاء وكذلك هى فى مصاحفهم وتقدير الاول
ان ما مبتدأ بمعنى الذى وبما كسبت خبره والمعنى والذى أصابكم وقع بما كسبت أيديكم
وتقدير اثنان تضمنين كلمة ما معنى الشرطية (المسئلة الثانية) المراد بهذه المصائب
الاحوال المكروهة نحو الآلام والاسقام والفحط والفرق والصواعق وأشباهاها
واختلفوا فى نحو الآلام انها هل هى عقوبات على ذنوب سلفت أم لا منهم من أنكر ذلك
لوجوه (الاول) قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت بين تعالى ان الجزاء انما يحصل
فى يوم القيامة وقال تعالى فى سورة الفاتحة مالك يوم الدين أى يوم الجزاء وأطلبوا على ان
المراد منه يوم القيامة (والثانى) أن مصائب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصديق وما
يكون كذلك أتمم جملة من باب العقوبة على الذنوب بل الاستقراء يدل على أن حصول
هذه المصائب لاصالحين والمنتقين أكثر منه للذنين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم خص
البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل (الثالث) ان الدنيا دار التكليف فلو جعل الجزاء
فيها لكانت الدنيا دار التكليف ودار الجزاء معا وهو محال وأما القائلون بأن هذه
المصائب قد تكون اجزية على الذنوب المتقدمة فقد تمسكوا أيضا بما روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا غيره الا يذنب اولفظ هذا معناه
وتمسكوا أيضا بهذه الآية وتمسكوا أيضا بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات وتمسكوا أيضا بقوله تعالى بعد هذه الآية أو يوبقهن بما كسبوا وذلك تصریح
بأن ذلك الاهلاك كان بسبب كسبهم واجاب الاولون عن التمسك بهذه الآية فقالوا ان

بشأ يسكن الریح) التى تجر بها وقرئ الرياح (فيظللان رواكد على ظهره) فيقين ثوابت على ظهر البحر أى غير
جاريات لا غير محركات أصلا

(ان في ذلك) الذي ذكر من السفن التي تجر ناراً ويركبن أخرى ﴿٤١٢﴾ على حسب مشيئته تعالى (آيات) عظيمة

حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان في التكليف لامن باب العقوبة كافي حق
الابياء والاولياء و يحمل قوله فيما كسبت ايديكم على أن الاصلح عند اتيانكم بذلك
الكسب انزال هذه المصائب عليكم وكذا الجواب عن بقية الدلائل والله أعلم (المسئلة
الثالثة) اخرج أهل التاسخ بهذه الآية وكذا الذين يقولون ان الاطفال والبهائم لا تتألم
فتاوادات الآية على ان حصول المصائب لا يكون الا لسابقة الجرم ثم ان أهل التاسخ
قالوا لكن هذه المصائب حاصلة للاطفال والبهائم فوجب أن يكون قد حصل لها ذنوب
في الزمان السابق وأما القائلون بأن الاطفال والبهائم ليس لها الم قالوا قد ثبت ان هذه
الاطفال والبهائم ما كانت موجودة في بدن آخر لفساد اقول بالتاسخ فوجب القطع
بأنها لا تتألم اذا لالم مصيبة (والجواب) ان قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت
أيديكم خطاب مع من يفهم ويعقل فلا يدخل فيه البهائم والاطفال ولم يقل تعالى ان جميع
ما يصيب الحيوان من المكاره فانه بسبب ذنب سابق والله أعلم (المسئلة رابعة) قوله
فبما كسبت أيديكم يقتضي اضافة الكسب الى اليد قال والكسب لا يكون باليد بل
بالقدرة القائمة باليد واذ كان المراد من لفظ اليد ههنا القدرة وكان هذا المجاز مشهوراً
مستعملاً كان لفظ اليد الوارد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيهاً لله تعالى عن
الاعضاء والاجزاء والله أعلم ثم قال تعالى ويعفوا عن كثير ومعناه انه تعالى قد يتذكر
الكثير من هذه التشديدات بفضله ورحمته وعن الحسن قال دخلنا على عمران بن حصين
في الوجع الشديد فقيل له اما لننتم لك من بعض ما ترى فقال لا تفعلوا فوالله ان أحبه الى
الله أحبه الى قرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فهذا بما كسبت يداي
وسأيتني عفوري وقد روى أبو سفيان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال ما عفا الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود اليه
في الآخرة وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعبد العذاب عليه في الآخرة رواه
الواحدى في البسيط وقال اذا كان كذلك فهذه ارجى آية في كتاب الله لان الله تعالى
جعل ذنوب المؤمنين منفيين صنف كفر عنهم بالمصائب في الدنيا وصنف عفا عنه في الدنيا
وهو كريم لا يرجع في عفوه وهذه سنة الله مع المؤمنين وأما الكافر فلائنه لا يعجل عليه
عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة ثم قال تعالى وما أنتم بمعجزين في الارض بقول ما أنتم
بمعشركم المشركين بمعجزين في الارض اي لا تعجزونني حيث ما كنتم فلا تسبقونني بسبب
هر يكتم في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والمراد بهم من يعبد الاصنام بين
أنه لا فائدة فيها البتة والنصير هو الله تعالى فلا جرم هو الذي تحسن عبادته * قوله تعالى
(ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظلان روادك على ظهره ان
في ذلك آيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين
يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص فأوتيتهم من شيء فغناغ الحياة الدنيا وما عند الله خير

في انفسها كثيرة في
العدد دالة على ما ذكر
من شئونه تعالى (الكل
صبار شكور) لكل من
حبس نفسه عن التوجه
الى ما لا ينبغي و وكل هتته
بالنظر في آيات الله تعالى
والفكر في آياته أو
لكل مؤمن كامل فان
الايان نصفه صبر
ونصفه شكر (أو
يوبقهن بما كسبوا)
عطف على يسكن
والعنى ان يشأ يسكن
الريح فيركن أو يرسلها
فيترقن بعصفها
وايقاع الايباق عليهن
مع أنه حال اهلهم
للبياسة والتهويل
واجراء حكمه على
العفو في قوله تعالى
(يعف عن كثير) لما
أن المعنى أو يرسلها
فيوبق ناساً ويبح
آخرين بطريق العفو
عنهم وقرئ ويعفوا
على الاستئناف (ويعلم
الذين يجادلون في
آياتنا) عطف على علة
مقدرة مثل لينقم منهم
ويعلم الخ كافي قوله تعالى
وليجمله آية للناس

وقوله ولنعلم من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجرم عطفاً على يعف * وابق

فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم

(مالهم من محيص) أي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها القمل (فأؤتيتهم من شيء) مما ترهبون وتتنافسون فيه
(فتخاف الحياة الدنيا) أي فهو متاعها ﴿ ٤١٣ ﴾ تتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير) ذاتا

نخلوص نفعه (وأبى)
زمانا حيث لا يزول
ولا يفنى (لأنهم آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون)
لاعلى غيره أصلا
والموصول الأول لما
كان متضمنا للمعنى الشرط
من حيث ان ابتداء ما أتوا
سبب للتمتع بها في الحياة
الدنيا دخلت جوابها
الفاء بخلاف الثاني
وعن علي رضي الله عنه
انه تصدق أبو بكر
رضي الله عنه بماله كله
فلامه جمع من المسلمين
فتزات وقوله تعالى
(والذين يجتنبون كبار
الانثم) أي الكبار من
هذا الجنس (والفواحش
وإذا ما غضبوا هم
يفغرون) مع ما بعده
صطف على الذين
آمنوا أو مدح بالنصب
أو الرفع وبتاء يفغرون
على التفسير خبره
للدلالة على أنهم
الاخصاء بالمعفرة حال
الغضب امرؤ متناها
وقرى كبير الانثم وعن
ابن عباس رضي الله
عنه ما كبير الانثم الشرك
(والذين استجابوا لربهم

وأبى نذرت آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبار الانثم والفواحش وإذا
ما غضبوا هم يفغرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم وما
رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) وفي الآية مسائل (المسئلة
الأولى) قرأ نافع وأبو عمرو والجواري بياء في الوصل والوقف فثبتت الياء على الاصل
وحذفها للتحقيق (المسئلة الثالثة) الجواري يعني السفن الجوارى فحذف في الموصوف
اعدم الالتباس (المسئلة الثانية) اعلم أنه تعالى ذكر من آياته أيضا هذه السفن العظيمة التي
تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح واسلم أن المقصود من ذكره أمران (أحدهما)
أن يستدل به على وجود القادر الحكيم (والثاني) أن يعرف ما فيه من انعم العظيمة لله
تعالى على العباد (أما الوجه الأول) فقد اتفقوا على ان المراد بالاعلام الجبال فانت
الخطباء في مرثد أخوها

وان صخر التائم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

ونقل ان النبي صلى الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوى الى هذا
البيت قال قاتنها الله ما رضيت بتدبيره هاله بالجبل حتى جعلت على رأسه نار اذا عرفت هذا
فقول هذه السفن العظيمة التي تكون كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب
الرياح على أسرع الوجوه وعند سكون هذه الرياح تنفقد قدينا بالدليل في سورة النحل
ان يحرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى اذ لا يقدر أحد على تحريكها من البشر ولا على
تسكينها وذلك يدل على وجود الاله القادر وأيضا ان تلك السفينة تكون في غاية الثقل
ثم انها مع ثقلها بقيت على وجه الماء وهو أيضا دلالة أخرى (وأما الوجه الثاني) وهو
معرفة ما فيها من المنافع فهو انه تعالى خص كل جانب من جوانب الارض بنوع آخر من
الامنة واذنقل متاع هذا الجانب الى ذلك الجانب في السفن وبالعكس حصلت المنافع
العظيمة في التجارة فاهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال هذه السفينة ثم قال تعالى ان يشأ
يسكن الريح فيظللان رواكده على ظهره قرأ أبو عمرو والجمهور بهجرة ان يشأ لان سكون
الهجرة علامة للجزم وعن ورش عن نافع بلا همز وقرأ نافع وحده يسكن الريح على الهمز
والباقون الريح على الواحد قال صاحب الكشاف قرى يظللان بفتح اللام وكسر هاء من
ظل يظل ويظل وقوله تعالى رواكده أي لا تجري على ظهره أي على ظهر البحر
في ذلك آيات اكل صبار على بلا الله شكور انعمائه والقصود التبيد على أن المؤمن
يجب أن لا يكون غافلا عن دلائل معرفة الله البتة لانه لا بد وأن يكون اما في البلاء واما
في الآلاء فان كان في البلاء كان من الصابرين وان كان في النعماء كان من الشاكرين
وعلى هذا التقدير فانه لا يكون البتة من الغافلين ثم قال تعالى أو يو بقهن بما كسبوا
يعنى أو يهلكهن يقال أو بقه أي أهلكه ويقال للعجم أو بقته ذنوبه أي أهلكته والمعنى
انه تعالى ان شاء ابتلى المسافر بن في البحر بأحدى بليتين اما أن يسكن الريح فتترصد

واقاموا الصلاة) نزل في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له

(وأمرهم شورى بينهم) أي فوشوري لا ينفردون برأي حتى يشاوروا ويحتمواها أيه وكانوا قبل الهجرة وبعد ما إذا حزن بهم أمر اجتماعوا وتشاوروا (ومما رزقناهم ينفقون) أي في سبيل الخير ﴿ ٤١٤ ﴾ وأمل فصله عن قرينه بذكر المشاورة

لوقوعها عند اجتماعهم
لاصلوات (والذين إذا
أصابهم البغي هم
يقتصرون) أي ينفقون
من بغي عليهم على
ما جعله الله تعالى لهم
كراهة التذلل وهو
وصف لهم بالشجاعة
بعد وصفهم بسائر
مهمات الفضائل
وهذا لا ينافي وصفهم
بالغفران فان كلامهما
فضيلة محمودة في موقع
نفسه وذيلة مذمومة
في موقع صاحبه فان
الحلم عن العاجز وصوراه
الكرام محمود وعن
المتغلب والمواد انشام
مذموم فانه اغراء على
البغي وعليه قول من قال
* اذا أنت أكرمت الكريم
ملكته * وان أنت
أكرمت اللئيم تمردا
* فوضع الندى في موضع
السيف بالاعلا * مضر
كوضع السيف
في موضع الندى *
وقوله تعالى (وجزاء
سيئة سيئة مثلها) بيان
لوجود كون الانتصار
من الخصال الحميدة مع
كونه في نفسه اسادة

الجواري على متن البحر وتقف وأما أن يرسل ازياح عاصفة فيها فيهلك من بسبب الاغراق
وعلى هذا التقدير قوله أو يو بقهن * معذوف على قوله يسكن لان التقدير أن يشأ يسكن
الرحم فيركن أو يهصفها فيترقن بعصفها وقوله و ينفقون كثير معناه ان يشأ يهلك ناسا
وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قيل فاعني ادخال العفو في حكم الايباق حيث
جعل مجز وما مثله قلنا معناه ان يشأ يهلك ناسا على طريق العفو عنهم وأما من
قرأ أو ينفق قد استأنف الكلام ثم قال ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص
قرآننا فع واين طامر يعلم بالرفع على الاستئناف وقرأ الباقر بان نصب فالقراءة بالرفع على
الاستئناف وأما بالنصب فلا عطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن ومنه قوله تعالى
يجادلون في آياتنا واعطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن ومنه قوله تعالى
والجمعة آية نانس وقوله تعالى خالق السموات والارض بالحق والجزى كل نفس بما كسبت
قال صاحب الكشاف أو من قرأ على جزم ويعلم فكانه قال أو ان يشأ يجمع بين ثلاثه
أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين اذا عرفت هذا فقول معنى الآية ويعلم
الذين يجادلون أي ينازعون على وجه التكذيب ان لا تلخص لهم اذا وقفت السفن واذا
عصفت الرياح فيصير ذلك سببا لاعتراضهم بأن الاله النافع الضار ليس الاله واعلم انه تعالى
لماذا كرر لائل اتوحيد أردفها بالتعريف عن الدنيا وتحقير شأنها لان الذي يمنع من قبول
الدليل انما هو الرغبة في الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه فاذا صغرت الدنيا في عين
الرجل لم يلتفت اليها فعبئنا بديفهم بذكر الدلائل فقال فمأ وتيتهم من شئ فناع الحياة الدنيا
وسماه متاعا تبيها على قلته وحقارته ولان الحس شاهد بأن كل ما يتعلق بالدنيا فانه يكون
سريع الانقراض والانقضاء ثم قال تعالى وما عند الله خير وأبقى والمعنى ان مطالب الدنيا
خسيسة مفترضة ونبه على خساستها بتسميتها بالمتاع ونبه على انقراضها بان جعلها من
الدنيا وأما الآخرة فانها خير وأبقى وصرح العقل يقتضي ترجيح الخير الباقى على
الخسيس الفانى ثم بين ان هذه الخير بما نأنا تحصل لمن كان موصوفا بصفات (الصفة
الاولى) ان يكون من المؤمنين بدليل قوله تعالى للذين آمنوا (الصفة الثانية) أن
يكون من المتوكلين على فضل الله بدليل قوله تعالى وعلى ر بهم يتوكلون فأما من زعم أن
الطاعة توجب الثواب فهو متكلم على عمل نفسه لا على الله فلا يدخل تحت الآية (الصفة
الثالثة) أن يكونوا مجتنبين لكبائر الاثم والفواحش عن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك
نقله صاحب الكشاف وهو عندي بعيد لان شرط الايمان مذكور أو لا وهو يعني عن
عدم الشرك وقيل المراد بكبائر الاثم ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات وبالفواحش
ما يتعلق بالقوة الشهوانية وقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون ما يتعلق بالقوة الغضبية
وانما خص الغضب بلفظ الغفران لان الغضب على طبع النار واستيلاؤه شديد ومقاومته
صعبة فلهذا السبب خصه بهذا اللفظ والله أعلم (الصفة الرابعة) قوله تعالى والذين

ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السببة على الثانية لانها تسوء من نزلت به (فن عفا)
على المسي اليه (واصلح) بينه وبين من **٤١٥** يعاديه بانعقوا والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه

عداوة كأنه ولي حميم
(فأجره على الله) عدة
مهية منبهة عن عظم
شأن الموعود وخروجه
عن الحد المعهود (انه
لا يحب الظالمين) البادئين
بالسيئة والتعدين في
الانتقام (ولن اتصم
بعد ظلمه) أي بعد ما ظلم
وقد قرئ به (فأوثق)
اشارة الى من باعتبار
المعنى كما أن الضميرين
لها باعتبار اللفظ (ما
عليهم من سبيل) بالمعانية
أو المعاقبة (انما السبيل
عن الذين يظلمون الناس)
يتدوّنهم بالاضرار أو
يعتدون في الانتقام
(ويبعثون في الارض بغير
الحق) أي يتكبرون فيها
تيمم او فساد (أو تلك)
الموصوفون بما ذكر من
الظلم والبغي بغير الحق
(لهم عذاب أليم) بسبب
ظلمهم وبعيهم (ولن
صبر) على الاذى
(وعفر) ان ظلمه ولم
يتصم وقوض أمره
الى الله تعالى (ان ذلك)
الذي ذكر من الصبر
والمغفرة (لن عزم الامور)
أي ان ذلك منه فحذف

استجابوا له وبالمراد منه تمام الانقياد فان قالوا أليس انه لما جعل الايمان شرطا فيه
فقد دخل في الايمان اجابة الله قلنا الاقرب عندي أن يحمل هذا على الرضاء بقضاء الله
من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة في أمر من الامور ولما ذكر هذا الشرط قال
وأقاموا الصلاة والمراد منه اقامة الصلوات الواجبة لان هذا هو الشرط في حصول
الثواب وأما قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم فقول كان اذا وقعت بينهم واقعة اجتمعوا
ونشاوروا فأنى الله عليهم أي لا يتفردون برأي بل ما لم يجتمعوا عليه لا يقدمون عليه وعن
الحسن ما تشاور قوم الاهدوا لا تشاورهم والشورى مصدر كالتشاور بمعنى التشاور
ومعنى قوله وأمرهم شورى بينهم أي ذو شورى (الصنف الخامسة) قوله تعالى والذين
اذا أصابهم البغي هم ينتصرون والمعنى أن يقتصروا في الانتصار على ما يجعله الله لهم
ولا يتعدونه وعن الخبي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يتأوا أنفسهم فيجترى
عليهم السفهاء فان قيل هذه الآية مشكلة لوجهين (الاول) انه لما ذكر قوله واذا
ما غضبواهم يغفرون فكيف يليق أن يذكر بعد ما يجرى مجرى التضاد وهو قوله والذين
اذا أصابهم البغي هم ينتصرون (الثاني) وهو ان جميع الآيات دافعة على أن العفو
أحسن قال تعالى وان تعفوا أقرب للتقوى وقال واذا مروا بالظالمين مروا كراما وقال خذ
العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال وان عاقبتهم فعاقبوا بما عاقبتم به
ولئن صبرتم لهو خيرا لأصابرين فهذه الآيات تناقض مداول هذه الآية (والجواب)
ان العفو على قهين (أحدهما) ان يصير العفو سببا لتسكين الفتنة وجناية الجاني
ورجوعه عن جنائحه (والثاني) أن يصير العفو سببا لما لا يد جراءة الجاني وانوة غيبته
وغضبه والآيات في العفو محمولة على التمس الاول وهذه الآية محمولة على التمس
الثاني وحينئذ يزول التناقض والله أعلم الا ترى ان العفو عن المصير يكون كما ذكر الله
وغيره فإو أن رجلا وجد عبده فجر بجوارته وهو مصر فلو عفا عنه كان مدموما وروى
أن زينا أقبلت على عائدة فشتتها فنهأها النبي صلى الله عليه وسلم لعنايته وسلم عنها فلم تنده فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فانتصرتي وأيضاً انه تعالى لم يوجب في الانتصار بل بين
انه مشروع فقط ثم بين بعده أن شرعه مشروط بغير عار للمالك ثم بين ان العفو أولى بقوله
فن عفا وأصلح فأجره على الله فزال الدوال والله أعلم قوله تعالى (وجزا سببة سببة
مثلهما فن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولن اتصم بعد ظلمه فأولئك
ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق
أو تلك لهم عذاب أليم ولن صبر وعفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله فانه من ولي
من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون
عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي قال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين
تفة بغاية تظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في الواد التي لا يؤدى العفو الى الشرك أشير

آية (ومن يضل الله فإله من ولي من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى آية (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) أي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق (يقولون هل إلى مرد) (٤١٦) أي إلى رجعة إلى الدنيا (من سبيل)

حتى تؤمن وتعمل صالحا (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار المدلول عليها بالعذاب والحطاب في الموضوعين لكل من يتأدى منه الرؤية (خاشعين من الذل) متذللين متضائلين ما دهاهم (ينظرون من طرف خفي) أي يتندى نظركم إلى النار من تعريك لأجفانهم ضعيف كالصبور ينظر إلى السيف (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين) أي المتصفين بحقيقة الخسران (الذين خسرو أنفسهم وأهلهم) بالتعرض للعذاب الخالد (يوم القيامة) أما طرف الخسران فإله في الدنيا أو قال فإله يوم القيامة أي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى (ألان الظالمين في عذاب مقيم) أما من تسام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم) برفع العذاب عنهم (من دون الله) حسبنا كانوا يرجون ذلك في الدنيا (ومن يضل الله فإله من بعده) يؤولون إلى الجحيم المرتد

خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ألان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فإله من سبيل) اعلم أنه تعالى لما قال والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون أردفه بما يدل على أن ذلك الانتصار يجب أن يكون مقبدا بالمثل فإن التقصان حيف والزيادة ظلم والتساوي هو العدل وبه قامت السموات والأرض فلهذا السبب قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وفي الآية مسائل (المسألة الأولى) لتأمل أن يقول جزاء السيئة مشروح مأذون فيه فكيف سمى بالسيئة أجاب صاحب الكشاف عنه كلنا الفعلة الأولى وجزاؤها سيئة لأنها تسوء من تنزل به قال تعالى وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا وأجاب غيره بأنه لما جعل أحدهما في مقابلة الآخر أطلق اسم أحدهما على الآخر على سبيل المجاز والحق ما ذكره صاحب الكشاف (المسألة الثانية) هذه الآية أصل كبير في علم الفقه فإن مقتضاها أن تقابل كل جنابة بمثلها وذلك لأن الإهدار يوجب فتح باب الشر والعدوان لأن في طبع كل أحد الظلم والبغي والعدوان فإذا لم يزجر عنه أقدم عليه ولم يتركه وأما الزيادة على قدر الذنب فهو ظلم والشرع مبره عنه فلم يبق إلا أن يقابل بالمثل ثم تأكد هذا النص بخصوص آخر كقوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقوله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الأمثلة وقوله عز وجل كتب عليكم القصاص في القتلى والقصاص عبارة عن المساواة والمماثلة وقوله تعالى والجروح قصاص وقوله تعالى ولكم في القصاص حياة فهذه التصوص بأسرها تقتضي مقابلة الشيء بمثله ثم هيئنا قاعدة وهي أنه إذا لم يمكن استيفاء الحق بالإستيفاء الزيادة فههنا وقع التعارض بين الحاق زيادة الضرر بالجاني وبين منع المجني عليه من استيفاء حقه فأيهما أولى فههنا عمل اجتهدا المجتهدين ويختلف ذلك باختلاف الصور وتفرع على هذا الأصل بعض المسائل تنبيهها على الباقي (المثال الأول) احتج الشافعي رضي الله عنه على أن المسلم لا يقتل بالذمي وإن الحر لا يقتل بالعبد بأن قال المسألة شرط لجرمان القصاص وهي مفقودة في هاتين المسئلتين فوجب أن لا يجزى القصاص بينهما أما بيان أن المماثلة شرط لجرمان القصاص فهي التصوص المذكورة وكيفية الاستدلال بها أن نقول أما أن نحمل المماثلة المذكورة في هذه التصوص على المماثلة في كل الأمور إلا ما خصه الدليل أو جعلها على المماثلة في أمر معين والثاني مرجوح لأن ذلك الأمر المعين غير مذكور في الآية فلو حملنا الآية عليها لزم الأجل وأوجهنا النص على القسم الأول لزم تحمل التخصيص ومعلوم أن دفع الأجل أولى من دفع التخصيص فثبت أن الآية تقتضي رعاية المماثلة في كل الأمور إلا ما خصه دليل العقل ودليل نقل منغصل وإذا ثبت هذا فنقول رعاية المماثلة في قتل المسلم بالذمي وفي قتل الحر بالعبد لا يمكن لأن الإسلام اعتبره الشرع في إيجاب القتل تحصيله عند عدمه كما في حق الكافر الأصلي ولا بقاءه عند وجوده كما في حق

دون الله) حسبنا كانوا يرجون ذلك في الدنيا (ومن يضل الله فإله من بعده) يؤولون إلى الجحيم المرتد

المرتد وأيضا الحربة صفة اعتبرها الشرع في حق القضاء والامامة والشهادة ثبت ان
 المماثلة شرط لجران القصاص وهي مفقودة ههنا فوجب المنع من القصاص (المثال
 الثاني) احتج الشافعي رضي الله عنه في أن الايدي تقطع باليد الواحدة فقال لاشك انه
 اذا صدر كل القاع أو بعضه عن كل أو تلك القاطنين أو عن بعضهم فوجب أن يشرع في
 حق أو تلك القاطنين مثله لهذه التصريح وكل من قال يشرع التقطع اما كلاء أو بوضعه في
 حق كلهم أو بعضهم قال بيجابه على الشكل بقى أن يقال فليتم منه استيفاء الزيادة من
 الجاني وهو ممنوع منه الا ان يقول لما وقع التعارض بين جانب الجاني وبين جانب المجني
 عليه كان جانب المجني عليه بالرعاية أولى (المثال الثالث) شريك الاب شرع في حقه
 القصاص والدليل عليه انه صدر عنه الجرح فوجب أن يقابل بمثله لتو له تعالى والجروح
 قصاص واذا ثبت هذا ثبت تمام القصاص لانه لا قاتل بالفرق (المثال الرابع) قال
 الشافعي رضي الله تعالى عنه من حرق حرفناه ومن غرق غرقناه والدليل عليه هذه
 النصوص الدالة على مقابلة كل شيء بمثله (المثال الخامس) شهود القصاص اذا رجعوا
 وقالوا تمدنا بالكذب يلزمهم القصاص لانهم بتلك الشهادة أهدروا دم فوجب أن يسير
 دمهم مهدرا قوله تعالى وجزاء سبئة سيئة مشها (المثال السادس) قال الشافعي رضي الله
 عنه المكره يجب عليه القود لانه صدر منه القتل ظمنا فوجب أن يجب عليه مثله أما انه
 صدر عنه القتل فالجس بدل عايه وأما أنه قتل ظمنا فلا بد للمسلمين أجمعوا على أنه مكلف من
 قبل الله تعالى بان لا يقتل وأجمعوا على أنه يستحق به الاثم العظيم والعقاب الشديد واذا
 ثبت هذا فوجب أن يقابل بمثله لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (المثال السابع) قال
 الشافعي رضي الله عنه القتل بالقتل يوجب القود والدليل عليه ان الجاني أبطل حياته
 فوجب أن يتمكن ولي المقتول من ابطال حياة القاتل لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
 (المثال الثامن) الحر لا يقتل بالعبد قصاصا ونحن وان ذكرنا هذه المسئلة في المثال الاول
 الا اننا ذكرها هنا ووجه آخر من البيان فنقول ان القاتل أتلف على مالك العبد شيئا يساوي
 عشرة دنانير مثلا فوجب عليه أداء عشرة دنانير لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها واذا
 وجب الضمان وجب أن لا يجب القصاص لانه لا قاتل بالفرق (المثال التاسع) منافع
 الغصب مضمونة عند الشافعي رضي الله عنه والدليل عليه ان الغاصب فوت على المالك
 منافع تقابل في العرف بدينار فوجب أن يفوت على الغاصب مثله من المال لقوله تعالى
 وجزاء سيئة سيئة مثلها وكل من أوجب تقويت هذا القدر على الغاصب قال بانه يجب
 أدائه الى المصوب منه (المثال العاشر) الحر لا يقتل بالعبد قصاصا لانه لو قتل بالعبد
 لكان هو مساويا للعبد في المعاني الموجبة للقصاص لقوله من عمل سيئ فلا يجزى الا مثله
 ولسائر النصوص التي تلونها ثم ان عبد غيره يقتل قصاصا بعبد نفسه فوجب أن يكون
 عبد غيره مساويا لعبد نفسه في المعاني الموجبة للقصاص لعين هذه النصوص التي ذكرناها

(استجيبوا لربكم) اذ دعاكم
 الى الايمان على اسان
 نبيه (من قبل أن يأتي
 يوم لا مرد له من الله)
 أي لا يرد الله بعد
 ما حكم به على أن من
 صلبه مرد أو من قبل أن
 يأتي من الله يوم لا يمكن
 رده (مالكم من مجأ
 يومئذ) أي مفر تلجئون
 اليه (ومالكم من تكبير
 لما أقرتوه لانه مدون
 في صحائف أعمالكم
 وتشهد عليكم جوارحكم
) فان أعرضوا فما
 أرسلناك عليهم حفيفا
 تاون للكلام وصرفه
 عن خطاب الناس بعد
 أمرهم بالا استجابة
 وتوجيهه الى الرسول
 عليه الصلاة والسلام
 أي فان لم يستجيبوا
 وأعرضوا عما تدعوهم
 اليه فما أرسلناك رقيبا
 وتحاسب عليهم (ان عليك
 الابلاغ) وقد فعلت
 (وانا اذا أذقنا الانسان
 منارحة) أي نعمة من
 الصحة والغنى والامن
 (فرح بها) أريد الانسان

الجنس لقوله تعالى (وان
 تصبهم سيئة) أي بلاء
 من مرض وفقر وخوف
 بما قدمت أيديهم فان
 الانسان كفور) بلغ
 الكفر ينسب النعمة
 رأسا ويذكر البايسة
 ويستغفها ولا يتأمل
 سببها بل يزعم أنها
 أسبابه بغير استحقاق
 لهما واسنادها من الحصلة
 أي الجنس مع كونها من
 خواص المجرمين لغايتها
 فيما بين الافراد وتصدير
 الشرطية الاولى باذامع
 اسناد الاذاقة الى نون
 العظمة التي تبدل على ان
 اتصال النعمة بتحقيق
 الوجود كثير الوقوع
 وأنه مقتضى الذات
 كما أن تصديرا الثانية بان
 واسناد الاحصاية الى
 السببية وتعليقها بأعمالهم
 للايمان بندرة وقوعها
 وأنها بمنزلة عن الانتظام
 في سلك الارادة بالذات
 ووضع الظاهر موضع
 الضمير للتسجيل على
 أن هذا الجنس موسوم
 بكفران النعم (لله ملك
 السموات

فعلى هذا التقدير يكون عبد نفسه مساويا لعبد غيره في المعاني الموجبة للقصاص فكان
 عبد نفسه مثلا مثل نفسه و مثل المثل مثل فوجب كون عبد نفسه مثلا لنفسه في المعاني
 الموجبة للقصاص واو قتل الحر بعبد غيره لقتل بعبد نفسه بالبيان الذي ذكرناه ولا يقتل
 بعبد نفسه فوجب ان لا يقتل بعبد غيره فقد ذكرنا هذه الامثلة العشرة في التفريع على
 هذه الايدي ومن أخذت القفطانة بيده سهل عليه تفريع كثير من مسائل الشريعة على هذا
 الاصل والله أعلم ثم ههنا بحث وهو ان ابا حنيفة رضي الله عنه قال في قطع الايدي لاشك
 انه صدر كل القطع أو بعضه عن كراهة أو عن بعضهم الا انه لا يمكن استيفاء ذلك الحق
 الاباستيفاء الزيادة لان تقويت عشرة من الايدي أز يد من تقويت يد واحدة فوجب ان
 يبقى على أصل الحرمة فقال الشافعي رضي الله عنه لو كان تقويت عشرة من الايدي في
 مقابلة يد واحدة حراما لكان تقويت عشرة من النفوس في مقابلة نفس واحدة حراما
 لان تقويت النفس يشتمل على تقويت اليد فتقويت عشرة من النفوس في مقابلة النفس
 الواحدة يوجب تقويت عشرة من الايدي في مقابلة اليد الواحدة فلو كان تقويت عشرة
 من الايدي في مقابلة اليد الواحدة حراما لكان تقويت عشرة من النفوس لاجل النفس
 الواحدة مستقلا على الحرام والمشتل على الحرام حرام فكان يجب أن يحرم قتل النفس
 العشرة في مقابلة النفس الواحدة وحيث أجمعنا على انه لا يحرم علمنا ان ما ذكرتم من
 استيفاء الزيادة غير ممنوع منه شرعا والله اعلم (المسئلة الثالثة) قد بينا ان قوله وجزاء
 سيئة سيئة مثلها يقتضى وجوب رعاية المماثلة مطلقا في كل الاحوال الا فيما خصه الدليل
 وانتهاء ادخال التخصيص فيه في صور كثيرة فتارة بناء على نص آخر اخص منه وأخرى بناء
 على اقياس ولاشك ان من ادعى التخصيص فعليه البيان والمكافىة يكفينا أن يتسك بهذا
 النص في جميع المسائل قال مجاهد بن السدي اذا قال له أخراه الله فليقل له أخراه الله أما
 اذا قذفه فلا يوجب الحد ذلك بل الحد الذي أمر الله به ثم قال تعالى فمن عفى
 وأصلح بينه وبين خصمه بالذم والاعتداء كما قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
 ولي حميم فأجره على الله وهو عندنا مبهم لا يقاس أمره في التعظيم ثم قال تعالى انه لا يجب
 الظالمين وفيه قولان (الاول) ان الفصود منه التبيد على ان المجنى عليه لا يجوز له استيفاء
 الزيادة من الظالم لان الظالم فيما وراء ظلمه معصوم والاتصاف لا يكاد يؤول من قيد تجاوز
 التسوية والتعدي خصوصا في حال الحرب والنهب الخمية فر بما صار المظلوم عند الاقدام
 على استيفاء القصاص ظالما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى
 مناد من كان له على الله أجر فليقمه قال في يوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن
 الذين عفووا نحن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله تعالى (الثاني) انه تعالى لما حث على
 العفو عن الظالم أخبر انه مع ذلك لا يجب تبيدها على انه اذا كان لا يجبه ومع ذلك فانه يندب
 الى عفو ظالم من الذي هو حبيب الله بسبب ايمانه أولى أن يعفوه عنه ثم قال تعالى ولن

انتصر بعد ظلمه أي ظلم الظالم إياه وهذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول فأوئك بمعنى المنتصرين ما عليهم من سبيل كعقوبة ومواخذة لانهم أتوا بما أيسخ لهم من الانتصار واحتج الشافعي رضي الله تعالى عنه بهذه الآية في بيان أن سرية القود مهدرة فقال الشرع إما أن يقال أنه أذن له في القطع مطلقاً وبشرط أن لا يحصل منه السرمان وهذا الثاني باطل لأن الأصل في القطع الحرمة فإذا كان تجوز به معلقاً بشرط عدم السرمان وكان هذا الشرط محجوراً ولا يجب أن يبقى ذلك القطع على أصل الحرمة لأن الأصل فيها هو الحرمة والحل إنما يحصل معلقاً على شرط محجور فوجب أن يبقى ذلك على أصل الحرمة وحيث لم يكن كذلك علمنا أن الشرع أذن له في القطع كيف كان سواء سرى أو لم يسر وإذا كان كذلك وجب أن لا يكون ذلك السرمان مضموناً لأنه قد انتصر من بعد ظلمه فوجب أن لا يحصل لاحد عليه سبيل ثم قال إنما السبيل على الذين يظلمون الناس أي يبدون بالظلم ويفنون في الأرض بغير الحق أو تلك لهم عذاب أليم ثم قال تعالى ولن مبر و غفران ذلك لمن عزم الأمور والمعنى وان صبراً أن لا يقتصر وغفر وتجاوز فن ذلك الصبر والتجاوز من عزم الأمور يعني ان عزمه على ترك الانتصار ان عزم الأمور الجيدة وحذف الراجع لأنه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلاً سب رجلاً في مجلس الحسن فكان المسبوب يكظمه ويعرق فيصيح العرق ثم قام وتلاه هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها الماضيها الجاهلون ثم قال تعالى ومن يضل الله فإله من ولي من بعده أي فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه أي من بعد اضلال الله إياه وهذا صريح في جواز الاضلال من الله تعالى وفي ان الهداية ليست في تقدر واحد سوى الله تعالى قال القاضي المراد ومن يضل الله عن الجنة فإنه من ولي بعده ينصره (والجواب) أن تقييد الاضلال بهذه الصورة المعينة خلاف الدليل وأيضاً فإنه تعالى ما ضله عن الجنة على قواكم بل هو أضل نفسه عن الجنة ثم قال تعالى وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل والمراد أنهم يطلبون الرجوع إلى الدنيا العظم ما يشاهدون من العذاب ثم ذكر حالهم عند عرض النار عليهم فقال وتراهم يعرضون عليهم خاشعين من الدل أي حال كونهم خاشعين حقيرين مهانين بسبب ما لحقهم من الدل ثم قال ينظرون من طرف خفي أي يبندى نظره من تحريك لاجنابهم ضعيف خفي بمسارقة كآرى الذي يتيقن أن يقتل فإنه ينظر إلى السيف كأنه لا يقدر على أن يفتح أجفانه عليه ويلا عينيه منه كما يفعل في نظره إلى المحبوبات فإن قيل أليس انه تعالى قال في صفة الكفار انهم يحشرون عبا فكيف قال ههنا انهم ينظرون من طرف خفي قلنا العليم يكونون في الابتداء هكذا هم يجعلون عبا وأهل هذا في قوم وذلك في قوم آخرين ولا وصف الله تعالى حال الكفار حتى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال وقال الذين آمنوا ان الحاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة قال صاحب الكشاف يوم القيامة اما ان يتعلق بخسر أو يكون

والارض) فن قضيتها أن يملك التصرف فيها وكل ما فيها كيفما يشاء ومن جعلته أن يقسم الشمة والبلية حسب ما يريد (يخلق ما يشاء) بما تعلمه وما لا تعلمه (يهب لمن يشاء) انانا) من الاولاد (ويهب لمن يشاء الذكور) منهم من غير أن يكون في ذلك مدخل لاحد (أو يزوجهم) أي يفرن بين الصغين فيهما جعما (ذكرانا وانانا) قالوا معنى يزوجهم أن تلد غلاماً ثم جارية أو جارية ثم غلاماً أو تلد ذكراً وأنثى توأمين (ويجعل من يشاء عتقا) والمعنى يجعل أحوال العباد في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيمن فيهم بعض اما صنفاً واحداً من ذكر أو أنثى واما صنفتين ويعقم آخرين وأهل تقديم الانك لانها أكثر تكثير النسل أولان مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيئته تعالى لا ما يتعلق

به مشيئة الانسان والانات
 كذلك اولان الكلام
 في البلاء والعرب
 تدهن اعظم البلايا
 اولتطبيب قلوب آباءهم
 اولاحسا فظة على
 الفواصل ولذلك عرف
 الذكور اولجبر الناخير
 وتغير العاطف في الثالث
 لانه قسم المشترك بين
 القسمين ولا حاجة اليه
 في الرابع لافصاحه بانه
 قسم المشترك بين الاقسام
 المتقدمة وقيل المراد بيان
 احوال الانبياء عليهم
 السلام حيث وهب
 لشعيب ولوط اناثا
 ولابراهيم ذكورا ولنبي
 صلى الله عليه وسلم ذكورا
 واناثا وجعل يحيى وعيسى
 عقيمين (انه عليم قدير)
 مبالغ في العلم والتندرة
 فيفعل ما فيه حكمة
 ومصالحة (وما كان لبشر)
 اى وما صح لفرد من
 افراد البشر (ان يكلمه
 الله) بوجه من الوجوه
 (الاوحيا) اى الابان
 يوحى اليه ويأهمه
 ويقذف في قلبه كما وصى
 الى ام موسى والى

قول المؤمنين واقعاني الدنيا واما ان يتعلق بقال اى يقواون يوم القيامة اذ ارأوهم على
 تلك الصفة ثم قال اذ ان الظالمين في عذاب مفيم اى دائم قال القاضى وهذا يدل على ان
 الكافر والغاسق يدوم عذابهما (والجواب) ان لفظ الظالم المطلق في القرآن مخصوص
 بالكافر قال تعالى والكافرون هم الظالمون والذي يؤكد هذا انه تعالى قال بعد هذه
 الآية وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله والمعنى ان الاصنام التى كانوا
 يعبدونها لاجل ان تشفع لهم عند الله تعالى ما اتوا بتلك الشفاعة ومعلوم ان هذا لا يلىق
 الا بالكفار ثم قال ومن يضلل الله فانه من سبيل وذلك يدل على ان المضل والهادى هو الله
 تعالى على ما هو قولنا ومذهبنا والله اعلم * قوله تعالى (استجبوا لربكم من قبل ان ياتى
 يوم لا مرد له من الله مالكم من ليل ايوئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا ف ارسلناك
 عليهم حفيظا ان عليك الابلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منارحة فرح بها وان
 تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق
 ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرا وانا وانا ناولي
 من يشاء عظيم (انه عليم قدير) اعلم انه تعالى لما نطب في الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو
 المتصود فقال استجبوا لربكم من قبل ان ياتى يوم لا مرد له من الله وقوله من الله يجوز ان
 يكون صلة لقوله لا مرد له يعنى لا يرد الله بعد ما حكم به ويجوز ان يكون صلة لقوله ياتى اى
 من قبل ان ياتى من الله يوم لا يقدر احد على رده واختلفوا في المراد بتلك اليوم فقيل هو
 يوم ورود الموت وقيل يوم القيامة لانه وصف ذلك اليوم بانه لا مرد له وهذا الوصف
 موجود في كلا اليومين ويحتمل ان يكون معنى قوله لا مرد له انه لا يقبل التقديم
 والتأخير وان يكون معناه ان لا مرد فيه الى حال التكليف حتى يحصل فيه التلاقي ثم
 قال تعالى في وصف ذلك اليوم مالكم من ملجأ ينفع في النجاص من العذاب وما لكم من
 نكير من ينكر ذلك حتى يتغير حالكم بسبب ذلك المنكر ويجوز ان يكون المراد من النكير
 الانكار اى لا تقدر و ان تنكروا شيئا مما افترقوه من الاعمال فان اعرضوا اى هؤلاء
 الذين امرتهم بالاستجابة ان لم يقبلوا هذا الامر ف ارسلناك عليهم حفيظا بان تحفظ اعمالهم
 وتحصنها ان عليك الابلاغ وذلك تسلية من الله تعالى ثم انه تعالى السبب في اصرارهم
 على مذاهبهم الباطلة وذلك انه وجدوا في الدنيا سعادة وكرامة والفوز بمطالب الدنيا فيبد
 القروروا الفجور والتكبر وعدم الانتباه للحق فقال وانا اذا اذقنا الانسان منارحة فرح
 بها ونعم الله في الدنيا وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى السعادات المعدة في الآخرة
 كانه طرة بالنسبة الى البحر فلذلك سماها ذوقا فبين تعالى ان الانسان اذا فاز بهذا القدر الحقيق
 الذى حصل في الدنيا فانه يفرح بها ويهظم غروره بسببها ويقع في العجب والكبر ويظن انه
 فاز بكل المنى ووصل الى اقاصى السعادات وهذه طريقة من يضعف اعتماده في سعادات

الآخرة وهذه الطريقة مخالفة لطريقة المؤمن الذي لا يعدنم الدنيا الا كالموصله الى نعم الآخرة ثم بين انه متى أصابتهم سيئة أى شئ يسوءهم في الحال كالمرض والفقر وغيرهما فانه يظهر منه الكفر وهو معنى قوله فان الانسان كفور والكفور الذي يكون مبالغا في الكفران ولم يقل فانه كفور ليعين ان طبيعة الانسان تقتضى هذه الحالة الا اذا أدبها الرجل بالأدب التي أرشد الله اليها ولما ذكر الله اذا قد الانسان الرحمة واصابته بضدها اتيم ذلك بقوله لله ملك السموات والارض والمقصود منه ان لا يفترا الانسان بما ملكه من المال والجاه بل اذا علم ان الكل ملك الله وملكه وانما حصل ذلك انقدر تحت يده لان الله انعم عليه به فحينئذ يصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة والخدمة وأما اذا اعتقد ان تلك النعم انما تحصل بسبب عقله وجده واجتهاده بنى مغرورا بنفسه معرضا عن طاعة الله تعالى ثم ذكر من أقسام تصرف الله في العالم انه يخص البعض بالاولاد الاناث والبعض بالذكر والبعض بهما والبعض بان يجعله محروما من الكل وهو المراد من قوله ويجعل من يشاء عقيما واعلم ان أهل الطبائع يتعاونون السبب في حدوث الود صلاح النطفة والرحم وسبب الذكورة استيلاء الحرارة وسبب الانوثة استيلاء البرودة وقد ذكرنا هذا الفصل بالاستقصاء التام في سورة النحل وابطناه بالدلائل القينية ونظهر ان ذلك من الله تعالى لانه من الطبائع والانجم والافلاك وفي الآيات سوالات (السؤال الاول) انه قد قدم الاناث في الذكر على الذكور فقال يهب لمن يشاء انا و يهب لمن يشاء الذكور ثم في الآية الثانية قدم الذكور على الاناث فقال أو يزوجهم ذكرانا وانا ما فما السبب في هذا التقديم والتأخير (السؤال الثاني) انه ذكر الاناث على سبيل التنكير فقال يهب لمن يشاء انا و وذكر الذكور بلفظ التعريف فقال ويهب لمن يشاء الذكور فما السبب في هذا الفرق (السؤال الثالث) لم قال في اعطاء الاناث وحدهن وفي اعطاء الذكور وحدهم بلفظ الهمزة فقال يهب لمن يشاء انا و يهب لمن يشاء الذكور وقال في اعطاء الصنفين معا أو يزوجهم ذكرانا وانا ما (السؤال الرابع) لما كان حصول الولد هبة من الله فكيف في عدم حصوله ان لا يهب فأى حاجة في عدم حصوله الى أن يقول ويجعل من يشاء عقيما (السؤال الخامس) هل المراد من هذا الحكم جمع معينون أو المراد الحكم على الانسان المطلق (والجواب) عن السؤال الاول من وجوه (الاول) أن الكريم يسبح في أن يقع الختم على الخير والراحة والسرور والبهجة فاذا وهب الولد الانثى أو لأم اعطاه الذكر بعده فكانه نقله من النعم الى الفرح وهذا غاية الكرم أما اذا أعطى الولد أو لأم أعطى الانثى ثانيا فكانه نقله من الفرح الى النعم فذكر تعالى هبة الولد الانثى أو لأم وثانيا هبة الولد الذكر حتى يكون قد نقله من النعم الى الفرح فيكون ذلك أليق بالكرم (الوجه الثاني) أنه اذا أعطى الولد الانثى أو لأم علم أنه لا اعتراض له على الله تعالى فيرضى بذلك فاذا أعطاه الولد الذكر بعد ذلك علم ان هذه الزيادة فضل من الله تعالى واحسان اليه فبرداذا شكره وطاعته ويعلم ان ذلك انما حصل

ابراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وقدروى عن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره أو بان يسمعه كلامه الذي يخلفه في بعض الاجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى (أو من وراء حجاب) فانه تمثيل له بحال الملك المتعجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام أو بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى (أو يرسل رسولا) أى ملكا (فيوحى) ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشرى (بأذنه) أى بأمره تعالى وتيسيره (ما يشاء) أن يوحيه اليه وهذا هو الذي يجرى بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا

وقوله تعالى أو يرسل
مصدران واقعان
موقع الحال وقوله تعالى
أو من وراء حجاب ظرف
واقع موقعها والتقدير
وما صح أن يكلم الاوحيا
أو سمعنا من وراء حجاب
أو مر سلا وقرى أو يرسل
بالرفع على ضمائر مبتدأ
وروى أن اليهود قالت
لنبي عليه الصلاة
والسلام الاتكلم الله
وتنظر اليه ان كنت
نبياً كما كلفه موسى ونظر
اليه فانان نؤمن حتى
تفعل ذلك فقال عليه
السلام لم ينظر موسى
عليه السلام الى الله
تعالى فنزلت وعن
عائشة رضی الله عنها
من زعم أن محمدا رأى
ربه فقد أعظم على الله
الفرية ثم قالت رضی الله
عنها أولم تسمعوا ربكم
يقول قلت هذه الآية
(انه على) متعال عن
صفات المخلوقين
لايتأتى جريان المفاوضة
بينه تعالى وبينهم
الا بأحسب قلبه ما وحي
المذكورة موسى والى
يجرى أفعاله على سنن

بعض الفضل والكرم (والوجه الثالث) قال بعض المذكرين الاثنى ضعيفة ناقصة
عاجزة فقدم ذكرها تنبيها على أنه كلما كان العجز والحاجة أتم كانت عناية الله به أكثر
(الوجه الرابع) كأنه يقال أيها المرأة الضعيفة العاجزة ان أباك وأمك يكرهان وجودك
فان كانا قد كرها وجودك فانا قدمنا في الذكر لتعلمي أن المحسن المكرم هو الله تعالى فاذا
علمت المرأة ذلك زادت في الطاعة والخدمة والبهمة عن موجبات الطعن والذم فهذه المعاني
هي التي لاجلها وقع ذكر الاناث متدما على ذكر الذكور وانما قدم ذكر الذكور بعد ذلك
على ذكر الاناث لان الذكر أكبر وأفضل من الاثنى والافضل الاكمل مقدم على الاخص
الارذل والخاص ان النظر الى كونه ذكر أو أثنى يقتضى تقديم ذكر الذكر على ذكر الاثنى
أما العوارض الخارجية التي ذكرناها فندأوجبت تقديم ذكر الاثنى على ذكر الذكر فلما
حصل المقضى التقديم وانما خيف في البابين اجرم قسم هدامرة وقدم ذلك مرة أخرى
والله أعلم (وأما السؤال الثاني) وهو قوله لم عبر عن الاناث بالفظ التنكير وعن الذكور
بالفظ التعريف فجاوبه أن المقصود منه التنبيه على كون الذكر أفضل من الاثنى (وأما
السؤال الثالث) وهو قوله لم قال تعالى في اعطاء الصنفين أو يزوجهم ذكرانا وانانا فجاوبه
ان كل شيتين يقرن أحدهما بالآخر فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج والكناية
في تزوجهم عائنة على الاناث والذكور التي في الآية الاولى والمعنى يقرن الاناث
والذكور فيجب عليهم أزواجاً (وأما السؤال الرابع) فجاوبه ان العقيم هو الذي لا يولد له يقال
رجل عقيم لا يلد وامرأة عقيم لا تلد وأصل العقم القطم ومنه قيل المالك عقيم لانه يقطع
فيه الارحام بالقتل والعقوق (وأما السؤال الخامس) فجاوبه قال ابن عباس يهب لمن
يشاء انانا يريد لوطا وشعبيا عليهما السلام لم يكن لهما الا البنات ويهب لمن يشاء الذكور
يريد ابراهيم عليه السلام لم يكن له الا الذكور أو يزوجهم ذكرانا وانانا يريد محمدا
صلى الله عليه وسلم كان له من البنين أربعة القاسم والطاهر وعبدالله و ابراهيم ومن
البنات أربعة زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عتيما يريد عسى و يحيى
وقال الاكثرون من المفسرين هذا الحكم عام في حق كل الناس لان المقصود بيان نفاذ
قدرة الله في تكوين الاشياء كيف شاء وأراد فلم يكن للتخصيص معنى والله أعلم ثم ختم
الآية بقوله انه عليهم قدير قال ابن عباس علم بما خلق قدبر على ما يشاء ان يخلق الله أعلم
﴿ قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا
فبوحى ما نزلنا لا اليمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى
الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير
الامر) اعلم انه تعالى لما بين كمال قدرته وعلمه وحكمته اتبعه ببيان انه كيف يخص أنبياءه
بالحكمة وفى الآية مسائل (المسئلة الاولى) وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر

أن يكلمه الله الاعلى أحد ثلاثة أوجه اما على الوحي وهو الالهام والقذف في القلب أو
 المنام كما وحي الله الى أم موسى وإبراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله
 تعالى الى نوح الى داود عليه السلام في صدره واما على أن يسمعه كلامه من غير واسطة مبالغ
 وهذا ايضا وحي بدليل أنه تعالى أسمع موسى كلامه من غير واسطة مع أنه سمعه وحيًا فقال
 تعالى فاستمع لما يوحى واما على أن يرسل اليه رسولا من الملائكة فيبلغ ذلك الملاك ذلك
 الوحي الى الرسول البشرى فطريق الحصر أن يقال وصول الوحي من الله الى البشر اما
 أن يكون من غير واسطة مبالغ أو يكون بواسطة مبلغ وإذا كان الأول وهو أن يصل اليه
 وحي الله لا بواسطة شخص آخر فهمنا اما أن يقال انهم يسمعون كلام الله أو يسمعون أما
 الأول وهو أنه وصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر وما سمع عين كلام الله فهو المراد
 بقوله الا وحيًا واما الثاني وهو أنه وصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر ولكن سمع عين
 كلام الله فهو المراد من قوله أو من وراء حجاب واما الثالث وهو أنه وصل اليه الوحي
 بواسطة شخص آخر فهو المراد بقوله أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء واعلم ان كل
 واحد من هذه الاقسام الثلاثة وحي الالهة تعالى خصص القسم الأول باسم الوحي لان
 ما يقع في القلب على سبيل الالهام فهو يقع دفقة فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى فهنا
 هو الكلام في تمييز هذه الاقسام بعضها عن بعض (المسئلة الثانية) القائلون بأن الله في
 مكان احتجوا بقوله أو من وراء حجاب وذلك لان التقدير وما كان لبشر أن يكلمه الله
 الاعلى أحد ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون الله من وراء حجاب وانما يصح ذلك لو كان
 مختصا بكان معين وجهة معينة (والجواب) ان ظاهر اللفظ وان أوهم ما ذكرتم الالهة
 ذلك الدلائل العقلية والنقلية على انه تعالى يتمتع حصولا في المكان راجحة فوجب حمل
 هذا اللفظ على التأويل والمعنى ان الرجل اذا سمع كلاما مع انه لا يرى ذلك المتكلم كان
 ذلك شيها بما اذا تكلم من وراء حجاب والمشابهة سبب لجواز المجاز (المسئلة الثالثة) قالت
 المتزلة هذه الآية تدل على انه تعالى لا يرى وذلك لانه تعالى حصر اقسام وحيه في هذه
 الثلاثة واوصحت روى بذلك الله اصح من الله تعالى أنه يتكلم مع العبد بما لا يراه العبد
 فحينئذ يكون ذلك قسما رابعا زائدا على هذه الاقسام الثلاثة والله تعالى اني القسم الرابع
 بقوله وما كان لبشر أن يكلمه الله الاعلى أحد هذه الالهة الثلاثة (والجواب) ان تدل في اللفظ
 قيدا فيكون التقدير وما كان لبشر أن يكلمه الله في الدنيا الاعلى أحد هذه الاقسام
 الثلاثة وحينئذ لا يلزم ما ذكرتموه وزيادة هذا التقيد وان كانت على خلاف الظاهر لكنه
 يجب المصير اليها لتوفيق بين هذه الآيات وبين الآيات الدالة على حصول الروبوتة في يوم
 القيامة والله اعلم (المسئلة الرابعة) أجمعت الامة على ان الله تعالى متكلم ومن سوى
 الاشعري واتباعه أطبقوا على ان كلام الله هو هذه الحروف المسموعة والاصوات الموثقة
 واما الاشعري واتباعه فانهم زعموا ان كلام الله تعالى صفة قديمة يعبر عنها بهذه الحروف

الحكمة فيكم نارة
 بواسطة وأخرى بدونها
 واما الالهة واما خطايا
 (وكذلك) أي ومثل
 ذلك الانحساء البدع
 (أو حينما اليك روحا
 من أمرنا) هو القرآن
 الذي هو لقلوب بمنزلة
 الروح الابدان حيث
 يحييها حياة أبدية
 وقيل هو جبريل عليه
 السلام ومعنى احتجائه
 اليه عندهما السلام
 ارساله اليه بالوحي
 (ما كنت تدري) قبل
 الوحي (ما الكتاب) أي
 أي شيء هو (ولا الايمان)
 أي الذي يتفاصيل
 ما في تضاعيف الكتاب
 من الامور التي لا تهتدى
 اليها العقول لا الايمان
 بما يستقل به العقل
 والنظر فان دراسته
 عليه الصلاة والسلام
 له ما لا ريب فيه قطعا
 (ولكن جعلناه) أي
 الروح الذي أوحينا
 اليك (نورا هدي به
 من نشاء) هدايته (من
 عبادنا) وهو الذي
 يصرف اختياره نحو
 الهداية به وقوله تعالى
 (وانك لتهدى) تقرير

والاصوات (أما الفريق الاول) وهم الذين قالوا كلام الله تعالى هو هذه الحروف والكلمات فهم فريقان (أحدهما) الخبيلة الذين قالوا بقدم هذه الحروف وهؤلاء أخس من أن يذكروا في زمرة العقلاء واتفق اني قلت يوما لبعضهم لو تكلم الله بهذه الحروف اما أن يتكلم بها دفعة واحدة أو على التعاقب والتوالي والاول باطل لان التكلم بجملة هذه الحروف دفعة واحدة لا يفيد هذا النظم المركب على هذا التعاقب والتوالي فوجب أن لا يكون هذا النظم المركب من هذه الحروف المتواليبة كلام الله تعالى والثاني باطل لانه تعالى لو تكلم بها على التوالي والتعاقب كانت محدثة ولما سمع ذلك الرجل هذا الكلام قال الواجب علينا ان نقر ونرى معنى نقر بأن القرآن قديم ونقر على هذا الكلام على وفق ما سمعناه فنحجبت من سلامة قلب ذلك القائل وأما العقلاء من الناس فقد أظنوا على ان هذه الحروف والاصوات كأنه بعد ان لم تكن حاصلة بعد ان كانت معدومة ثم اختلفت صباراتهم في انها هل هي مخلوقة أو لا يقال ذلك بل يقال انها حادثه أو يعبر عنها بعبارة أخرى واختلفوا أيضا في ان هذه الحروف هل هي قائمة بذات الله تعالى أو يتخلقها في جسم آخر فالاول هو قول الكرامية والثاني قول المعتزلة وأما الاشعرية الذين زعموا أن كلام الله صفة قديمة تدل عليها هذه الالفاظ والعبارات فقد اتفقوا على ان قوله أو من وراء حجاب هو ان الملك والرسول يسمعون ذلك الكلام المنزه عن الحروف والاصوات من وراء حجاب قالوا وكلاهما ان ترى ذات الله مع انه ليس بجسم ولا في حيز فأى بعد في ان يسمع كلام الله مع أنه لا يكون حرفا ولا صوتا وزعم أبو منصور الماتريدي السمرقندي أن تلك الصفة القائمة بمتن كونها مسبوقة وانما المسبوع حروف وأصوات يتخلقها الله تعالى في الشجرة وهذا القول قريب من قول المعتزلة والله أعلم (المسئلة الخامسة) قال القاضي هذه الآية تدل على حدوث كلام الله تعالى من وجوه (الاول) ان قوله تعالى أن يكلمه الله يدل عليه لان كلمة ان مع المضارع تفيد الاستقبال (الثاني) انه وصف الكلام بأنه وحى لان لفظ الوحي يفيد أنه وقع على أسرع الوجوه (الثالث) ان قوله أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء يقتضى أن يكون الكلام الذي يبلغه الملك الى الرسول البشرى مثل الكلام الذي سمعه من الله والذي يبلغه الى الرسول البشرى حادث فإذ كان الكلام الذي سمعه من الله مماثلا لهذا الذي بلغه الى الرسول البشرى وهذا الذي بلغه الى الرسول البشرى حادث ومثل الحادث وجب أن يقال ان الكلام الذي سمعه من الله حادث (الرابع) ان قوله أو يرسل رسولا فيوحى يقتضى كون الوحي حاصلا بعد الارسال وما كان حصوله متأخرا عن حصول غيره كان حادثا (والجواب) اننا صرف جملة هذه الوجوه التي ذكرتموها الى الحروف والاصوات ونعترف بانها حادثه كأنه بعد ان لم تكن وبديهة العقل شاهدة بان الامر كذلك فإى حاجة الى اثبات هذا المطلوب الذي علمت صحته ببديهة العقل وبظواهر القرآن والله أعلم (المسئلة السادسة) ثبت ان الوحي من الله تعالى

لهدائه تعالى وبيان لكيفيةها ومفعول تهدي محذوف ثقة بفساية الظهور أى وانك تهدي بذلك التور من تشاء هدايته (الى صراط مستقيم) هو الاسلام سائر الشرائع والاحكام وقرى تهدي أى ليهديك الله وقرى لندعو (صراط الله) يدل من الاول واصله الى الاسم الجليل ثم صفه بقوله تعالى (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيها من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بما يوجب ذلك أمم ايجاب (ألا الى الله تصير الامور) أى أمور ما فيها قاطبة لا لى غيره فقيه من الوعد للبهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون

المذكور
يجرى أفعاله

اما ان لا يكون بواسطة شخص آخر واما ان يكون بواسطة شخص آخر وبتتم ان يكون كل وحى حاصلا بواسطة شخص آخر والالزم اما التسلسل واما الدور وهم الاحتمال فلا بد من الاعتراف بمحصول وحى يحصل لا بواسطة شخص آخر ثم ههنا اثبات (البحث الاول) ان الشخص الاول الذي سمع وحى الله لا بواسطة شخص آخر كيف يعرف ان الكلام الذي سمعه كلام الله فان قلنا انه سمع ذلك الصيغة القديمة المنزهة عن كونها حرفا وصوتا لم يبعدها اذا سمعها علم بالضرورة كونها كلام الله تعالى واما بعد ان يقال انه يحتاج مدد ذلك الى دليل زائد اما ان قلنا ان المسوع هو الحرف وانصوت امتنع ان يقطع بكونه كلاما لله تعالى الا اذا ظهرت دلالة على ان ذلك المسوع هو كلام الله تعالى (البحث الثاني) ان الرسول اذا سمعه من الملاك كيف يعرف ان ذلك المبلغ ملك معصوم لا شيطان مضل والحق انه لا يمكنه القطع بذلك الا بناء على معجزة تدل على ان ذلك المبلغ معصوم لا شيطان خبيث وعلى هذا التقدير فالوحى من الله تعالى لا يتم الا بثلاث مراتب في ظهور المعجزات (المرتبة الاولى) ان الملاك اذا سمع ذلك الكلام من الله تعالى فلا بد له من معجزة تدل على ان ذلك الكلام كلام الله تعالى (والمرتبة الثانية) ان ذلك الملاك اذا وصل الى الرسول لا بد له ايضا من معجزة (والمرتبة الثالثة) ان ذلك الرسول ان وصله الى امة فلا بد له ايضا من معجزة فثبت ان التكليف لا يتوجه على الخلق الا بعد وقوع ثلاث مراتب في المعجزات (البحث الثالث) انه لا شك ان ملكا من الملائكة قد سمع الوحي من الله تعالى ابتداء فذلك الملك هو جبريل ويقال لعل جبريل سمعه من ملك آخر فانه كل من سمع الوحي واسطة ولم يوجد ما يدل على النطق بواحد من هذه الوجوه (البحث الرابع) هل في البشر من سمع وحى الله تعالى من غير واسطة من ظهور الوحي عليه السلام سمع كلام الله من غير واسطة بدليل قوله تعالى فاستمع لما يوحى وقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم سمع ايضا قوله تعالى فآوحى الى عبده ما اوحى (البحث الخامس) ان الملائكة يقدرون على ان يظهروا انفسهم على اشكال مختلفة فتقدير ان يراه الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مرة واجب ان يحتاج الى المعجزة يعرف ان هذا الذي رآه في هذه المرة عين ما رآه في المرة الاولى وان كان لا يرى شخصه كانت الحاجة الى المعجزة اقوى لاحتمال انه حصل الاثبات في الصوت الا ان الاشكال في ان الحاجة الى اظهار المعجزة في كل مرة لم يقل به أحد (المسئلة السابعة) دلت المناظرات المذكورة في القرآن بين الله تعالى وبين ابليس على انه تعالى كان يتكلم مع ابليس من غير واسطة فذلك هل يسمى وحيا من الله تعالى الى ابليس ام لا الاظهر منه ولا بد في هذا الموضوع من بحث غامض كامل (المسئلة الثامنة) قرأ نافع او يرسل رسولا برقع اللام فيوحى بسكون الياء ومجمله رفع على تقدير او هو يرسل فيوحى والباقون بالنصب على تأويل المصدر كانه قيل ما كان بشرا ان يكلمه الله الا وحيا او اسمعا لكلامه من وراء حجاب او يرسل لكن فيه اشكال لان قوله وحيا او اسمعا اسم وقوله او يرسل فعل

* (سورة الزخرف مكية وقيل الاقوله واسأل من أرسلنا واما نسمع وثمانون) *
 * بسم الله الرحمن الرحيم *
 (حم) الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما لا قرآن للسورة كما قيل فان ذلك محتمل بغير الة النظم الكريم (والكتاب) يا ابا جبر على أنه مقسم به اما ابتداء او عطف على حم على تقدير كونه مجردا باضمار به القسم على أن مدار العطف الفسيرة في العنوان ومناط كرى التسم المباشرة في تأكيد مضمون الجملة القسمية (البيان) أي البيان ان انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طريق انضال الموضح لكل ما يحتاج اليه في أبواب الديانة (انا جعلناه قرآنا عربيا) جواب للقسم لكن لا على أن مرجع التأكيده كجمله كذا كقول بل ما هو غاية

وعطف الفعل على الاسم فيج فاجيب عنه بان التقدير وما كان لبشر أن يكلمه إلا أن
يوحى اليه وحياً أو يسمع اسماً من وراء حجاب أو يرسل رسولا (المسئلة التاسعة) الصحيح
عند أهل الحق ان عندما يبلغ الملك الوحي الى الرسول لا يقدر الشيطان على انقاء الباطل
في أثناء ذلك الوحي وقال بعضهم يجوز ذلك لقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى أتى الشيطان في أميته وقالوا الشيطان أتى في أثناء سورة التجم تلك
الترائيق العلى منها الشفاعة ترجى وكان صديقنا الملك سام بن محمد رحمه الله وكان
أفضل من أميته من أرباب السلطنة يقول هذا الكلام بعد الدلائل القوية القاهرة باطل
من وجهين آخرين (الاول) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى في المنام فقد رأى
فان الشيطان لا يتل بصورتي فاذا لم يقدر الشيطان على أن يتل في المنام بصورة الرسول
فكيف قدر على التمشيه بغيره حال اشتغال تبليغ وحى الله تعالى (والثاني) أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما سلك عمر فجا الا وسلك الشيطان فجا آخر فاذا لم يقدر الشيطان
أن يحضر مع عمر في فح واحد فكيف يقدر على أن يحضر مع جبريل في موقف تبليغ وحى
الله تعالى (المسئلة العاشرة) قوله تعالى فيوحى باذنه ما يشاء يعنى فيوحى ذلك الملك باذن
الله ما يشاء الله وهذا يقتضى ان الحسن لا يحسن لوجه عائد عليه وان القبح لا يقبح لوجه
عائد اليه بل لله أن يأمر بما يشاء من غير تخصيص وان ينهى عما يشاء من غير تخصيص
اذ لو لم يكن الامر كذلك لما صح قوله ما يشاء والله أعلم ثم قال تعالى في آخر الآية انه على
حكيم يعنى أنه على عن صفات المخلوقين حكيم يجرى أفعاله على موجب الحكمة فيتكلم
تارة بغير واسطة على سبيل الالهام وأخرى باسماع الكلام وتارة بتوسط الملائكة
الكرام ولما بين الله تعالى كيفية أقسام الوحي الى الانبياء عليهم السلام قال وكذلك
أوحينا اليك روحا من أمرنا والمراد به القرآن وسماه روحا لانه بقيد الحياة من موت
الجهل أو الكفر ثم قال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان واختلف العلماء في
هذه الآية مع الاجماع على انه لا يجوز أن يقال الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر وذكروا
في الجواب وجوها (الاول) ما كنت تدري ما الكتاب أى القرآن ولا الايمان أى الصلاة
لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم (الثاني) أن يحمل هذا على
حذف المضاف أى ما كنت تدري ما الكتاب ومن أهل الايمان يعنى من الذى يؤمن ومن
الذى لا يؤمن (الثالث) ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان حين كنت طفلا في المهد
(الرابع) الايمان عبارة عن الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وانه قبل النبوة ما كان
عارفا بجميع تكاليف الله تعالى بل انه كان فارقا بالله تعالى وذلك لا ينافى ما ذكرناه
(الخامس) صفات الله تعالى على قسمين منها ما يمكن معرفته بمحض دلائل العقل ومنها
ما لا يمكن معرفته الا بالدلائل السمعية فهذا القسم الثاني لم تكن معرفته حاصلة قبل
النبوة ثم قال تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا واختلفوا في الضمير

التحقيق والتأكيد
لكونهما منبئة عن الاعتناء
بأمرهم واتمام النعمة
عليهم وازاحة أعذارهم
أى جعلنا ذلك الكتاب
قرأ ما هر يالكى تفهموه
وتحيطوا بما فيه من النظم
الرائق والمعنى الفائق
وتقفوا على ما ينضمه
من الشواهد الناطقة
بخروجه عن طوق البشر
وتعرفوا حق النعمة في
ذلك وتقطع أعذاركم
بالكلية (وانه في أم الكتاب)
أى فى اللوح المحفوظ فانه
أصل الكتب السماوية
وروى أم الكتاب بالكسر
(لدينا) أى عندنا (لعلى)
رفيع القدر بين الكتب
شريف (حكيم) ذو
حكمة بالغة ومحكم وهما
خبران لان وما بينهما
بيان لمحل الحكم كأنه قيل
بعد بيان انصافه بما ذكر
من الوصفين الجليلين
هنا فى أم الكتاب ولدينا
والجملة اما عطف على
الجملة المقسم عليها داخله
فى حكمها فى الأقسام
بانقرآن على علوقدره
عنده تعالى براعة بديعة
وايدان بأنه من علو
الشان بحيث

لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام * ٤٢٧ * بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك

في قوله ولكن جعلناه منهم من قال انه راجع الى القرآن دون الايمان لانه هو الذي يعرف به الاحكام فلا جرم شبه بالنور الذي يهتدى به ومنهم من قال انه راجع اليهم اماما وحسن ذلك لان معناهما واحد كقوله تعالى واذا رآوا تجارة او اموالهم انفقوا اليها ثم قال نهدي به من نشاء من عبادنا وهذا يدل على انه تعالى بعد ان جعل القرآن في نفسه هدى كما قال هدى للذنين فانه قد يهتدى به البعض دون البعض وهذه الهداية ليست عبارة عن الدعوة وايضا الادلة لانه تعالى قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانك لتهدى الى صراط مستقيم وهو يفيد العموم بالنسبة الى الكل وقوله نهدي به من نشاء من عبادنا يفيد الخصوص فثبت ان الهداية بمعنى الدعوة عامة والهداية في قوله نهدي به من نشاء من عبادنا خاصة والهداية الخاصة غير الهداية العامة فوجب ان يكون المراد من قوله نهدي به من نشاء من عبادنا امره غير الاظهار للدلائل ولازالة الاعتذار ولا يجوز ايضا ان يكون عبارة عن الهداية الى طريق الجنة لانه تعالى قال ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا اي جعلنا القرآن نورا نهدي به من نشاء وهذا لا يليق الا بالهداية التي تحصل في الدنيا وايضا فالهداية الى الجنة عندكم في حق البعض واجب وفي حق الآخرين محذور وعلى التقديرين فلا يبيح لقوله من نشاء من عبادنا فائدة فثبت ان المراد انه تعالى يهتدى من يشاء ويضل من يشاء ولا اعتراض عليه فيه ثم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وانك لتهدى الى صراط مستقيم فبين تعالى انه كان القرآن يهتدى وكذلك الرسول يهتدى وبين انه يهتدى الى صراط مستقيم وبين ان ذلك الصراط هو صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض شبه بذلك على ان الذي يجوز عبادته هو الذي يملك السموات والارض والغرض منه ابطال قول من يبدع غير الله ثم قال لا اله الا الله تصيرا لأمور وذلك كالوعيد والزجر فبين ان امر من لا يقبل هذه التكاليف يرجع الى الله تعالى أي الى حيث لاحاكم سواء فيجازي كلامهم بما يستحقه من ثواب أو عقاب (قال رضي الله عنه) تم تفسير هذه السورة آخر يوم الجمعة الثامن من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة * يامدبر الامور ويامدبر الدهور ويامعطي كل خير وسرور ويادافع البلايا والشورر اوصلنا الى منازل النور في ظلمات القبور بفضلك ورحمتك يا ارحم الراحمين

* سورة الزخرف وهي تسع وثمانون آية مكية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(حم والكتاب المبين اناجعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في أم الكتاب لدينا اعلى حكيم أفقضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبي في الاولين وما ياتيههم من نبي الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا أشد منهم بطشا ومعنى مثل الاولين) اعلم ان قوله حم والكتاب المبين يحتمل وجهين (الاول) ان يكون التقدير هذه حم والكتاب

من حيث الاقسام به كما أنه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى أنه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر أولى منه بالاقسام به واما مستأنفة مقررة لعلوا شأنه الذي أنبا عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانك لتهدى لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن ازاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بوجوبه عقب ذلك بانكار أن يكون الامر بخلافه فقيل (أفقضرب عنكم الذكر) أي تنجيهم وينعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغراب عن الحوض وفيه اشعار باقتضائه الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كأنه يتهاقت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام أي أنهم ملكتهم فنحى الذكر عنكم (صفحا) أي

إعراضا عنكم على أنه مفعول له المذكور أو مصدر

مؤكد لما دل هو عليه فان التسمية منبذة عن الصفع والاعراض * ٤٢٨ * قطعاً كأنه قيل أفنصفح عنك

صفعاً أو بمعنى الجانب
فإن تصب على الضرفية
أي أفنصفح عنكم جانباً
(أن كنتم قرناً
مسرفين) أي لأن
كنتم منهكمين في
المسراف مصرين
عليه على معنى أن طائفة
رأى انفضى تخذيتكم
وشأنكم حتى تموتوا
على الكفر والضلالة
وتنوفى العذاب الخالد
لكننا السعة رحمتنا
لنفعل ذلك بل نهدىكم
إلى الحق بإرسال
الرسول الأمين وانزال
الكتاب المبين وقرئ
ان يا لكسر على أن
الجملة شرطية مخرجة
للحقيق تخرج المشكوك
لاستجهاههم والجزاء
تخذف ثقة بدلالة
ما قبله عليه وقوله
تعاني (وكم أرسلنا
من نبي في الأولين وما
ياتيهم من نبي الا كانوا
به يستهزؤن) تقرير
لما قبله بيان ان مسراف
الامم السالفة لم يمنع
تعالى من ارسال الانبياء
اليهم وتسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم

المبين فيكون التسمم وافعال على أن هذه السورة هي سورة حم ويكون قوله انا جعلناه قرآناً
عربياً ابتداء للكلام آخر (والثاني) أن يكون التقدير هذه حم ثم قال والكتاب المبين
انا جعلناه قرآناً عربياً فيكون التسمم عليه هو قوله انا جعلناه قرآناً عربياً وفي المراد
بالكتاب قولان (أحدهما) ان المراد به القرآن وعلى هذا التقدير فقد أقسم بالقرآن انه
جعلناه عربياً (الثاني) ان المراد بالكتاب الكتابة والخط أقسم بالكتابة لكونه ما فيها من
المنافع فان العلوم انما تكاملت بسبب الخط فان المقدم اذا استنبط علماً والنتيجة في كتاب
وجاء المتأخر ووقف عليه امكند أن يزيد في استنباط النوائد فهذا الطريق تكاثر
النوائد وانتهت الى الغايات العظيمة وفي وصف الكتاب بكونه مبيناً وجوه (الاول)
أنه المبين للدين انزل اليهم لانه بلغتهم واساندهم (والثاني) المبين مواليق التي ابلان طريق اليهم
من طريق الضلالا فتأويل كل باب مما سواه وجعلها مفصلة للخدمة واعلم ان وصفه بكونه
مبيناً مجاز لان المبين هو الله تعالى يسمى القرآن بذلك توسعاً من حيث انه حصل البيان
تدبره أما قوله انا جعلناه قرآناً عربياً لعلمكم تسفلون ففقد مسائل (المسئلة الاولى) اقلون
يحدث القرآن احتجوا بهذه الآية من وجوه (الاول) ان الآية تدل على ان القرآن
مجموع والمجموع هو المصنوع المخلوق فان قالوا لم لا يجوز أن يكون المراد أنه سماه
عربياً قلنا هذا مدفوع من وجهين (الاول) انه وكان المراد بالجعل هذا الوجه أن من سماه
بجميعاً أن يصير بجميعاً وان كان بلغة العرب ومعلوم أنه اطل (الثاني) انه او صرف
الجعل الى التسمية لزم كون التسمية بمجولة والتسمية أيضاً كلام الله وذلك بوجه أنه
فعل بعض كلامه واذا صح ذلك في البعض صح في الكل (الثاني) انه وصفه بكونه قرآناً
وهو اسم سمي قرآناً لانه جعل بمضه مقروناً لبعض وما كان كذلك كان مصنوعاً معمولاً
(الثالث) انه وصفه بكونه عربياً وهو انما كان عربياً لان هذه الالفاظ انما اختصت
بسمياتها بوضع العرب واصطلاحاتهم وذلك يدل على كونه معمولاً ومجوعاً (الرابع)
ان القسم بغير الله لا يجوز على ما هو معلوم فكان التقدير حم ورب الكتاب المبين وتأكد
هذا أيضاً بما روى انه عليه السلام كان يقول يارب طه ويسن ويارب القرآن العظيم
(والجواب) ان هذا الذي ذكرتموه حق وذلك لانكم انما استدلتتم بهذه الوجوه على كون
هذه الحروف المنوالية والكلمات المتعاقبة محدثة مخلوقة وذلك معلوم بالضرورة ومن
الذي ينازعكم فيه بل كان كلامكم يرجع حاصلة الى اقامة الدليل على ما عرف ثبوت
بالضرورة (المسئلة الثانية) كلمة لعل للتمي والتجسي وهو لا يلبق بمن كان عالماً بعواقب
الامور فكان المراد منها ههنا كى أي انزلناه قرآناً عربياً لكي تعقلوا معناه وتحيطوا
بفحواه قالت المعتزلة فصار حاصل الكلام انا انزلناه قرآناً عربياً لا اجل أن تحيطوا بمعناه
وهذا يقيد أمرين (أحدهما) ان أفعال الله تعالى معللة بالاعراض والدواعي (والثاني)
انه تعالى انما أنزل القرآن ليهدى به الناس وذلك يدل على انه تعالى أراد من الكل

عن استهزاء قوم به وقوله تعالى ﴿ ٤٣٩ ﴾ (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي من هؤلاء القوم السرفين عدته

المهدية والمعرفة خلاف قول من يقول انه تعالى أراد من البعض الكفر والاعراض
واعلم ان هذا النوع من استدالات المعتزلة مشهور وأجوبتنا عنه مشهورة فلا فائدة
في الإعادة والله أعلم (المسئلة الثالثة) قوله لعلمكم تعقلون يدل على ان القرآن معام
وايسر فيه شيء مبهم مجهول خلافا لمن يقول القرآن بعرض معلوم وبمضد مجهول ثم قال
تعالى وانه في أم الكتاب لدينا أعلى حكيم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حزة
والكسائي أم الكتاب بكسر الالف والباقون بالضم (المسئلة الثانية) الضمير في قوله وانه
عائد إلى الكتاب الذي تقدم ذكره في أم الكتاب لدينا واختلفوا في المراد بأم الكتاب على
قولين (فانقول الاول) انه اللوح المحفوظ لقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ واعلم
ان على هذا التفسير فالصفات المذكورة ههنا كلها صفات اللوح المحفوظ (بالصفة
الاولى) انه أم الكتاب والسبب في ان أصل كل شيء أمه والقرآن مثبت عند الله في اللوح
المحفوظ ثم نقل الى سما الدنيا ثم أزل حاله بعد طحال بحسب المصلحة عن ابن عباس رضى
الله عندهما أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق فالتكتاب عنده فان
قبل وما الحكمة في خلق هذا اللوح المحفوظ مع انه تعالى علام الغيوب ويستحيل عليه
العدم والسيان قلنا انه تعالى لما ثبت في ذلك أحكام وادب المخلوقات ثم ان الملازمة
يسعدون ان جميع الحوادث انما تحدث على موافقة ذلك المكتوب استدلوا بذلك
على كمال حكمة الله وعلمه (الصفة الثانية) من صفات اللوح المحفوظ قوله لدينا هكذا
ذكره ابن عباس وانما خصه الله تعالى بهذا التشریف لكونه كتابا جامع الاحوال جميع
الحدثات فكانت أم الكتاب المشتمل على جميع ما يقع في ملك الله وملكوته فلا جرم حصل له
هذا التشریف قال الواحدى ويحتمل أن يكون هذا صفة القرآن والتقدير وانه لدينا
في أم الكتاب (الصفة الثالثة) كونه عليا والمعنى كونه طالبا عن وجوه الفساد والبطلان
وقيل المراد كونه طالبا على جميع الكتب بسبب كونه معجزا باقيا على وجه الدهر (الصفة
الرابعة) كونه حكيم أي محكما في أبواب البلاغة والفصاحة وقيل حكيم أي ذو حكمة
بالتقوى وقيل ان هذه الصفات كلها صفات القرآن على ما ذكرناه (والقول الثاني) في تفسير
أم الكتاب انه الآيات المحكمة لقوله تعالى هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
هن أم الكتاب ومعناه ان سورة حم واقعة في الآيات المحكمة التي هي الاصل والام
ثم قال تعالى أنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) قرأ نافع وحزق والكسائي ان كنتم بكسر الالف تقديره ان كنتم مسرفين
لانضرب عنكم الذكر صفحا وقيل ان بمعنى اذ كونه تعالى وذروا ما بقى من الزبان كنتم
مؤمنين وبالجملة فالجزء مقدم على الشرط والباقون بفتح الالف على التعليل أي لان
كنتم مسرفين (المسئلة الثانية) قال القراء والزجاج يقال ضربت عنه وأضربت عنه أي
تركته وامسكت عنه وقوله صفحا أي اعراضا والاصل فيه انك توأيت بصفحة عنك وعلى

عليه الصلاة والسلام
ووعيداهم بمثل ما جرى
على الاولين ووصفهم
بأشدية البطش لاثبات
حكمهم لهؤلاء بطريق
الاولوية (ومضى مثل
الاولين) أي ساف
في قرآن غير مرة ذكر
قصتهم التي حقهها
ان تسيروا بالمثل (ولئن
سألتم من خلق
السموات والارض
ليقولون خلقهن العزيز
العلم) أي ليستدن
خلقها الى من هذا
شأنه في الحقيقة وفي نفس
الامر لانهم يعبرون
عنه بهذا العنوان
وساوك هذه الطريقة
للاشعار بان اضافة
تعالى بما سرد من جلائل
الصفات والافعال
وبما استلزمه ذلك من
البعث والجزاء أمر بين
لا ريب فيه وأن الحجة
قائمة عليهم شاؤا أو
أبوا وقد جوز أن يكون
ذلك عين عبارتهم
وقوله تعالى (الذي جعل
لكم الارض مهادا)
استثناف من جهته
تعالى أي بسطها لكم
تستقرون فيها (وجعل لكم فيها

سبلا تسلكونها في أسفاركم (اعلمكم تهتدون) أي لكي تهتدوا بساواكمها ﴿٤٣٠﴾ إلى مقاصدكم أو بالتفكر فيها إلى

التوحيد الذي هو المقصد الأصلي (والذي نزل من السماء ماء بقدر) بقدر تقضيه مشيئته المنيعة على الحكم والمصالح (فأنشزنا به) أي أحيينا بذلك الماء (بلدة ميتا) خاليا عن السماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى الباد والمكان والالتفات إلى نون العظمة لظهور كمال العناية بأمر الأحياء والأشمار يعظم خطره (كذلك) أي مثل ذلك الأحياء الذي هو في الحقيقة إخراج النبات من الأرض (تخرجون) أي تبعثون من قبوركم أحياء وفي التعبير عن إخراج النبات بالإنشاء الذي هو إحياء الموتى وعن إحيائهم بالإخراج تفخيم لشأن الأنبياء وتحويل لأمر البعث لتقوم سنن الاستدلال وتوضح منهاج القياس (والذي خلق الأزواج كلها) أي

هذا فقوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا تقديره أفنضرب عنكم اضربا أو تقديره أفنصفح عنكم صفحا واختلفا في معنى الذكر فقيل معناه أفنزد عنكم ذكر عذاب الله وقيل أفنزد عنكم النصائح والمواعظ وقيل أفنزد عنكم القرآن وهذا استفهام على سبيل الإنكار يعني أنا لا نترك هذا الإعذار والإنذار بسبب كونكم مسرفين قال قتادة لو أن هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله برحمته كرره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة إذا عرفت هذا فنقول هذا الكلام يحتمل وجهين (الاول) الرحمة يعني أنا لا نترككم مع سوء اختياركم بل نذكركم ونعظكم إلى أن ترجعوا إلى الطريق الحق (الثاني) المبالغة في التعليل يعني أنظنون أن تتركوا مع ما تريدون كلابل نلزمكم العمل وتدعواكم إلى الدين ونؤاخذكم متى أخلتم بالواجب وأقدمتم على القبيح (المسئلة الثالثة) قال صاحب الكشاف الغاء في قوله أفنضرب للعطف على محذوف تقديره انه ملككم فنضرب عنكم الذكر ثم قال تعالى وكم أرسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون والمعنى ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم إلى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء فلا ينبغي أن تتأذى من قومك بسبب اقدامهم على التكذيب والاستهزاء لان المصيبة اذا عمت خفت ثم قال تعالى فاهلكنا أشد منهم بطشا يعني ان أولئك المتقدمين الذين ارسل الله اليهم الرسل كانوا أشد بطشا من قريش يعني أكثر عددا وجلدا ثم قال ومضى مثل الاولين والمعنى ان كفار مكة سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فيحذروا أن يعزل بهم من الحزبي مثل ما نزل بهم فقد ضر بنا لهم مثلهم كما قال وكلاضر بنا له الامثال وكقوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلى قوله وضر بنا لكم الامثال والله أعلم ﴿٤٣٠﴾ قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون) والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشزنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين واننا إلى ربنا المنتقلون) اعلم انه قد تقدم ذكر المسرفين وهم المشركون وتقدم أيضا ذكر الانبياء فقوله واثن سألهم يحتمل أن يرجع إلى الانبياء ويحتمل أن يرجع إلى الكفار الا ان الاقرب رجوعه إلى الكفار فيبين تعالى انهم مقرون بان خالق السموات والأرض وما بينهما هو الله العزيز الحكيم المقصود انهم مع كونهم مقرنين بهذا المعنى يفتدون معه غيره وينكرون قدرته على البعث وقد تقدم الاخبار عنهم ثم انه تعالى ابتداء والاعلى نفسه بذكر مصيوعاته فقال الذي جعل لكم الأرض مهدا ولو كان هذا من جملة كلام الكفار لوجب ان يقولوا الذي جعل لنا الأرض مهدا ولان قوله في انشاء الكلام

أصناف المخلوقات وهن
 ابن عباس رضى الله عنهما
 الأزواج الضروب
 والأنواع كالخمر والحامض
 والابيض والأسود
 والذكر والانثى وقيل
 كل ماسوى الله تعالى
 فهو زوج كالنوق
 والتحت واليمين واليسار
 الى غير ذلك (و جعل لكم
 من الفلك والانعام ما
 تركبون) أى ما تركبونه
 تغلب الانعام على الفلك
 فان الركوب متعدية
 واستعماله فى الفلك
 ونحوها بكلمة فى الرمن
 الى مكانيتها وكون
 حر كنها غير ارادية كما
 مر فى سورة هود عند
 قوله تعالى وقال اركبوا
 فيها (انستوا على ظهوره)
 أى لتستعلوا على ظهور
 ما تركبونه من الفلك
 والانعام والجميع باعتبار
 المعنى (ثم تذكروا نعمته
 ربكم اذا استويتم عليه)
 أى تذكروا بها قبلوكم
 معترفين بها مستغظا لها
 ثم تحمدوا عليها بالسنكم
 (وتقوالوا سبحان الذى
 سخر لنا هذا) متجيبين
 من ذلك كما يروى عن
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه

فأشهرنا به بلدة ميتا لا يلقى الا بكلام الله ونظيره من الكلام الناس أن يسمع الرجل رجلا
 يقول الذى بنى هذا المسجد فلان العالم فيقول السامع لهذا الكلام الزاهد الكريم كان
 ذلك السامع يقول أنا أعرفه بصفات جديدة فوق ما عرفه فازيدنى وصفه فيكون التعنان
 جميعا من رجلين لرجل واحد اذا عرفت كيفية النظم فى الآية فتقول انها تدل على
 انواع من صفات الله تعالى (الصفة الاولى) كونه خالقا للسماوات والارض والمتكلمون
 بينوا ان أول العلم بالله العلم بكونه محدثا للعالم فاعلامه فلهذا السبب وقع الابتداء بذكر
 كونه خالقا وهذا انما يتم اذا فسرنا الخلق بالاحداث والابداع (الصفة الثانية)
 العزيز وهو الغالب وما لا جله يحصل الممكنة من الغلبة هو القدرة فكان العزيز اشارة
 الى كمال القدرة (والصفة الثالثة) العليم وهو اشارة الى كمال العلم واعلم ان كمال العلم
 والقدرة اذا حصل كان الموصوف به قادر على خلق جميع الممكنات فلهذا المعنى أثبت
 تعالى كونه موصوفا بهاتين الصفتين ثم فرغ عليه سائر التفاصيل (الصفة الرابعة)
 قوله الذى جعل لكم الارض مهديا وقد ذكرنا فى هذا الكتاب ان كون الارض مهديا انما
 حصل لاجل كونها واقفة ساكنة ولاجل كونها موصوفة بصفات مخصوصة باعتبارها
 يمكن الانتفاع بها فى الزراعة وبناء الابنية وفى كونها ساكنة لعروب الاحياء والاموات
 ولما كان المهدي موضع الراحة للصبي جعل الارض مهديا لكثرة ما فيها من الراحة
 (الصفة الخامسة) قوله وجعل لكم فيها سبلا ومصودا ان انتفاع الناس انما يكمل اذا
 قدر كل أحد ان يذهب من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم ولولا ان الله تعالى هبأ تلك
 السبل ووضع عليها علامات مخصوصة والا لما حصل هذا الانتفاع ثم قال تعالى اعلمكم
 تهتدون يعنى المقصود من وضع السبل ان يحصل لكم الممكنة من الاهتداء والشانى
 المعنى لتهتدوا الى الحق فى الدين (الصفة السادسة) قوله تعالى والذى نزل من السماء
 ماء بقدرنا أشهرنا به بلدة ميتا وههنا مباحث (أحدها) ان ظاهر هذه الآية يقتضى
 ان الماء ينزل من السماء فهل الامر كذلك أو يقال انه ينزل من السحاب وسبى نازل
 من السماء لان كل ما سلك فوجمها وهذا البحث قد مر ذكره بالاستقصاء (وثانيها)
 قوله بقدر رأى انما ينزل الماء من السماء بقدر ما يحتاج اليه أهل تلك البقعة من غير زيادة
 ولا نقصان لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أغرقهم بل بقدر حتى يكون معاشا
 لكم ولا نعماكم (وثالثها) قوله فأنشأنا به بلدة ميتا أى خالية من النبات فاحييناها وهو
 الانشأ ثم قال كذلك تخرجون يعنى ان هذا الدليل كما يدل على قدرة الله وحكمته فكذلك
 يدل على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه انه يجعلهم احياء بعد الامانة كهذه
 الارض التى انشأت بعد ما كانت ميتة وقيل منهم بل وجه التشبيه أن يعيدهم
 ويخرجهم من الارض بما كانوا كالتبث والى وهذا الوجه ضعيف لانه ليس
 فى ظاهر الالفاظ الايات الاعادة فقط

خلق الأزواج كلها قال ابن عباس الأزواج الضروب والانواع كالحاو والحامض
والابيض والاسود والذكر والانثى وقال بعض المحققين كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق
والنحت واليمين واليسار والتمام والخلف والماضي والمستقبل والذوات والصفات
والصيف والشتاء والربيع والخريف وكونها أزواجا يدل على كونها ممكنة الوجود في
ذواتها محدثة مسبقة بالعدم فاما الحق سبحانه فهو الفرد المتزه عن الضد والند والمقابل
والعاصد فلهذا قال سبحانه والذي خلق الأزواج كلها أي كل ما هو زوج فهو مخلوق فدل
هذا على أن خالفها فرد مطلق متزه عن الزوجية وأقول أيضا العلماء يعلم الحساب يتنوا أن
الفرد أفضل من الزوج من وجوه (الاول) أن أقل الأزواج هو الاثنان وهو لا يوجد
الا عند حصول وحدتين فالزوج يحتاج الى الفرد والفرد وهو الوحدة غنية عن الزوج
والغنى أفضل من المحتاج (الثاني) ان الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد هو
الذي لا يقبل القسمة وقبول القسمة انفعال وتأثر وعدم قبولها قوة وشدة ومقاومة فكان
الفرد أفضل من الزوج (الثالث) ان العدد الفرد لا بد وان يكون أحد قسميه زوجا والثاني
فردا فالعدد الفرد حصل فيه الزوج والفرد معا وأما العدد الزوج فلا بد وأن يكون كل
واحد من قسميه زوجا والممثل على القسمين أفضل من الذي لا يكون كذلك (الرابع) ان
الزوجية عبارة عن كون كل واحد من قسميه معادلا للقسم الاخر في الذات والصفات
والمقدار واذا كان كل ما حصل له من الكمال فله حاصل تغير لم يكن هو كالملا على الإطلاق
أما الفرد فالفرد يذ كماله خاصة لا تغيره ولا مثله فكان كماله حاصله لا تغيره فكل أفضل
(الخامس) ان الزوج لا بد وان يكون كل واحد من قسميه مشاركا للقسم الاخر في بعض
الامور ومغايرا له في أمور أخرى وما به المشاركة غير ما به المخالفة فكل زوجين فهما ممكنا
الوجود لذاتيهما وكل ممكن فهو محتاج فثبت ان الزوجية منشأ الفقر والحاجة واما
افردانية فهي منشأ الاستغناء والاستقلال لان العدد محتاج الى كل واحد من تلك
الوحدات وأما كل واحد من تلك الوحدات فانه غني عن ذلك العدد فثبت ان الأزواج
ممكنات ومحدثات ومخلوقات وأن الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغني عن كل
ما سواه فلهذا قال سبحانه والذي خلق الأزواج كلها (الصفة الثامنة) قوله وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون وذلك لان السفر اما سفر البحر أو سفر البر اما سفر البحر
فالحامل هو السفينة واما سفر البر فالحامل هو الانعام وههنا سؤالان (الاول) لم لم يقل
على ظهورها أجابوا عنه من وجوه (الاول) قال أبو عبيدة التذكرة قوله ما والتقدير
ما تركبوه (الثاني) قال القراء أضاف الظهور الى واحد فيه معنى الجمع بمنزلة الجيش
والجند ولذلك ذكر وجع الظهور (الثالث) ان هذا التأنيث ليس تأنيثا حقيقيا فجاز ان
يختلف اللفظ فيه كما قال عندي من النساء من يوافقك (السؤال الثاني) يقال ركبوا
الانعام وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسيتين فكيف قال تركبون (والجواب) غلب

كان اذا وضع رجله في
الركاب قال بسم الله فاذا
استوى على الدابة قال
الحمد لله على كل حال
سبحان الذي منحنا
هذا الى قوله تعالى لتقلبون
وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا
(وما كناه مقرنين) أي
أي مطبقين من أقرن
الشيء اذا أطاقه وأصله
وجده قرينة لان الصعب
لا يكون قرينة للضعيف
وقرى بالتشديد والمعنى
واحد وهذا من تمام ذكر
نعمته تعالى اذ بدون
اعتراف المنعم عليه بالبحر
عن تحصيل النعمة لا يعرف
قدرها ولا حق المنعم بها
(وانا الى ربنا لتقلبون)
أي راجعون وفيه ايدان
بأن حق الراكب أن
يتأمل فيما يلابسه من
السيرو ويتذكر منه
المسافة العظيمة التي
هي الانقلاب الى الله
تعالى فيبني أمور في مسيره
ذلك على تلك الملاحظة
ولا يخطر بباله في شيء
مما يأتي ويذر امرا
يتأخرها ومن ضرورته
أن يكون ركوبه بالامر

(وجعلوا له من عباده جزءاً) متصل بقوله تعالى وثمن سألتهم الخ أي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولداوا بما عبر عنه بالجزء ٤٣٣ * لزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات

وقرى جزأ بضمين (ان
الانسان الكفور مبين)
ظاهر الكفران مبالغ
فيه ولذلك يقولون
ما يقولون سبحانه الله
عياصفون (أم تخذما
يخاق بنات) أم منقطعة
وما فيها من معنى بل
الاتصال من بيان
بطلان جعلهم له تعالى
ولما على الاطلاق الى
بيان بطلان جعلهم
ذلك الوالد من أخس
صنفه والهجرة لانكار
التوبيخ والتعجب
من شأنهم وقوله تعالى
(وأصفاكم بالبين) اما
عطف على انخذ داخل
في حكم الانكار والتعجب
أوحال من فاعله باضمار
قدأ وبدونه على الخلاف
المشهور والافادات الى
خطابهم لتأ كيد الالزام
وتشديد التوبيخ الى
بل أخذ من خلقه أخس
الصنفين واختار لكم
أفضلهما على معنى
هو أنكم اجترأتم على
اضافة اتخاذ جنس
الولد اليه سبحانه مع
ظهور استحاله وامتناعه
أما كان لكم شيء من

المتعدى بغير واسطة لقوته على التعدى بواسطة تم قال تعالى ثم تذكروا نسمة ربكم
اذا استويتم عابدين ومعنى ذكر نسمة الله ان يذكره في طوبىهم وذلك الذكر هو ان يعرف
ان الله تعالى خلق وجه البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجهه فكأن الانسان
من تصرف هذه السفينة الى أي جانب شاء واراهاذا تذكر وان خلق البحر وخلق الرياح
وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لاصريفات الانسان بالبحر يكاتبه ليس من ذلك
الانسان وانما هو من تدبير الحكيم العليم المتدبر في ان ذلك نسمة عظيمة من الله تعالى
فيحمله ذلك على الانقياد والطاعة لله تعالى وعلى الانشغال بالمشكر لنعمة التي لا نهاية لها ثم
قال تعالى وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين واعلم انه تعالى عين ذكرا
معين ركوب السفينة وهو قوله بسم الله نجرا وما ساهما وذكرنا آخر ركوب الانعام
وهو قوله سبحان الذي سخر لنا هذا وذكر عند دخول المنازل ذكرنا آخر وهو قوله رب
أزفني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين والتعريف القول فيه ان الدابة التي يركبها الانسان
لا بد وان تكون أكثر قوة من الانسان بكثير وليس انما عقل يهديها الى الطاعة الانسان
والكفة سبحانه خلق تلك الحيوان على وجوده مخصوصة في خلقها الظاهر وفي خلقها الباطن
يحصل منها هذا الاتفاخ اما خلقها بالظاهر فلائها تمشي على أربع قوائم فكان ظاهرها
كأوضع الذي يحسن استقرار الانسان عليه واما خلقها الباطن فلائها من قوتها
الشديدة فدخلها الله سبحانه بحيث تصير مفادة للانسان وسخرنا له فاذنا من الانسان
في هذه العجائب وغاص بعقله في بحار هذه الاسرار عظيم تعجب من تلك القدرة الباهرة
والحكمة الغير المتناهية فلا بد وان يقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال أبو
عبيدة فلان مقرن اعلان أي ضابط له قال الواحدي وكان اشتاقه من قوتك ضرب له قرنا
ومعنى انقرن فلان أي مثله في الشدة فكان المعنى انه ليس عندنا من القوة والطاعة ان
تقرن هذه الدابة والفلان وان تضبط من سخرها لنا بعدد حكمته وكان قدرته
روى صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجليه في الركاب
قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحانه الذي سخر لنا هذا
الى قوله لتعابرون وروى القاضى في تفسيره عن أبي عبد الله الحسن بن علي عليه السلام
رأى رجلا ركب دابة فقال سبحان الذي سخر لنا هذا فقال له ما بهذا أمرت أمرت أن
تقول الحمد لله الذي هدانا للاسلام الحمد لله الذي من علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم والحمد
لله الذي جعلنا من خيرامة أخرجت الناس ثم تقول سبحان الذي سخر لنا هذا وروى أيضا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا سافر وركب راحلته كبير ثلاثا ثم يقول سبحان
الذي سخر لنا هذا ثم قال اللهم انى أسألك في سفرى هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى
اللهم هون علينا السفر واوطئ عنا بعد الارض اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة على
الاهل اللهم احبنا في سفرنا واخفنا في أهنا وكان اذا رجع الى أهله يقول آيرون تأبون

العقل وينذ من الحياء حتى ٥٥ * سا اجترأتم على التقوى بالعظيمة الخارقة لامتول من ادعاء أنه تعالى آتكم
على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وتركه شرهما وادناهما وتشكيبات وتعريف

البين لترية ما اعبر فيهما من الحقارة والفضامة (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحن مثلا) الخ استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معني أنهم نسبو اليه ما ذكر * ٢٣٤ * ومن حاشهم أن أحدهم اذا بشر به اغتم والالتفات

للايدان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحكي لغيرهم تعجيبا منها أي اذا أخبر أحدهم بولادة ما جعله مثاله سبحانه اذا الولد لا بد أن يجانس الوالدو يمثله (نقل وجهه مسودا) أي صار أسود في الغاية من سوء ما بشر به (وهو كظيم) مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرى مسود ومسود على أن في ظل ضمير المبشرو ووجهه مسود جملة وقعت خبره (أو من ينشأ في الحلية) تكرر بالانكار وثنية لتوابع ومن منصوبة بمنشأه مسود على جعلوا أي أو جعلوا من شأنه أن يربي في الزينة وهو عاجز من أن يتولى لامره بنفسه فالهجرة لانكار الوقوع واستباحه وقد جوزوا تصابها بمضمر معضوف على اتخذ فالهجرة حيث لا نكار الوقوع واستباحه واقحامها بين المطوفين لتذكير ما في أم المنقطة من الانكار وتأكيد

ربنا حامدون قال صاحب الكشاف دلت هذه الآية على خلاف قول المجبرة من وجوه (الاول) انه تعالى قال تستووا على ظهوره ثم تذكر وانما ذكره بلام كي وهذا يدل على انه تعالى أراد منا هذا الفعل وهذا يدل على بطلان قولهم انه تعالى أراد الكفر منه وأراد الاصرار على الانكار (الثاني) ان قوله تستووا يدل على أن فعله معلى بالأغراض (الثالث) انه تعالى بين ان خلق هذه الحيوانات على هذه الطبائيم انما كان لغرض أن يصدر الشكر عن العبد ولو كان فعل العبد لله تعالى لكان معنى الآية اني خلقت هذه الحيوانات لاجل أن أخلق سبحانه الله في لسان العبد وهذا باطل لانه تعالى قادر على أن يخلق هذا اللفظ في لسانه بدون هذه الوسائط واعلم ان الكلام على هذه الوجه معلوم فلا فائدة في الاعادة ثم قال تعالى وانالي ربنا لتتقون واعلم ان وجه اتصال هذا الكلام بما قبله ان ركوب الفلك في خطر الهلاك فانه كثير ما تنكسر السفينة ويهلك الانسان وراكب الدابة أيضا كذلك لان الدابة قد يتفق اهما اتفاقات توجب هلاك الراكب واذا كان كذلك فركوب الفلك والدابة يوجب تعريض النفس الهلاك فوجب على الراكب أن يتذكر أمر الموت وان يقطع انه هالك لا محالة وانه منقلب الى الله تعالى وغير منقلب من فضائه وقدره حتى لو اتفق له ذلك المحذور كان وطن نفسه على الموت * قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم البين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انما أشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم ويسألون) اعلم انه تعالى لما قال واثن سألهم من خلق السموات الارض ليقول ان الله بين انهم مع اقرارهم بذلك جعلوا له من عباده جزءا والمقصود منه التثنية على قلة عقولهم وخافتة محصور لهم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قرأ عاصم في رواية أبي بكر جزءا يضم الزاي والهجرة في كل القرآن وهما لغتان واما حرة فاذا وقف عليه قال جزءا يفتح الزاي بلاهجرة (المسئلة الثانية) في المراد من قوله وجعلوا له من عباده جزءا قولان (الاول) وهو المشهور أن المراد انهم أئبتوا له ولدا وتقرر الكلام ان ولدا الرجل جزء منه قال عليه السلام فاطمة بضعة مني ولان المعقول من الوالد ان يفصل منه جزء من أجزائه ثم يربي ذلك الجزء ويولد منه شخص مثل ذلك الاصل واذا كان كذلك فولد الرجل جزء منه وبعض منه فقوله وجعلوا له من عباده جزءا معنى جعلوا حكموا وأئبتوا وقالوا به والمعنى انهم أئبتوا له جزءا وذلك الجزء هو عبد من عباده واعلم انه لو قال وجعلوا له من عباده جزءا لافاد ذلك انهم أئبتوا انه حصل جزء من أجزائه في بعض عباده وذلك هو الولد فكذا قوله وجعلوا له من عباده جزءا معناه وأئبتوا له جزءا وذلك الجزء هو عبد من عباده والحاصل انهم أئبتوا لله ولدا وذكر وانى تقرر هذا القول وجوهها أخر فقالوا الجزء هو الاثنى في لغة العرب واحتجوا في اثبات هذه اللغة ببينين فالاول قوله

والعطف للتغاير العنواني أي اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته (وهو) مع ما ذكر من التصور (في) ان * (الخصام) أي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه

الإنسان في العباد (غير مبين) غير مادي على غير دعواه وإمامه حجة نقصان عقله وضعف رايه واضافه غير لا تمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى التي وقرئ * 130 * ينشأ وينشأ من الأفعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد

وأظيره غلاء وأغلاء
وغلاء (وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن
اناثا) بيان تفضيل كفرهم
لذكور كفر آخر وتذريع
اهم بذلك وهو جعلهم
أكل العباد وأكرمهم
على الله عز وجل أنفهم
رأيا وأخسهم صنفا
وقرى عبود الرحمن
وقرى عند الرحمن على
تشيل زلفهم وقرى انشا
وهو جمع الجمع (أشهدوا
خلقهم) أي أحضروا
خلق الله تعالى إياهم
فشاهدوهم انما حتى
يحكموا بانوثهم فان
ذلك مما يعلم بالشاهدة
وهو تجهيل اهم وتمكم
يهم وقرى أ شهدوا
بهمز تين مفتوحة
ومضومة وآ شهدوا
بألف يندهما (ستكتب
شهادتهم) هذه في ديوان
أعمالهم (ويستلون)
عنها يوم القيامة وقرى
سيكتب وستكتب بالياء
والنون وقرى شهاداتهم
وهي قولهم ان الله جزأ
وان له بنات وان الملائكة
وقرى يساء لون من
المساءلة للمبالغة (وقالوا
نوشاء الرحمن ما عبادناهم)

ان اجزأت حرة يوما فلا يحب * قد تجزى الحرة المذكاة أحيانا
وقوله زوجتهما من بنات الاوس مجرئة * للوسج اللدن في آياتها غزل
وزعم الزجاج والزهري وصاحب الكشاف ان هذه اللفظ فاسدة وان هذه الايات
مصنوعة (وانقول الثاني) في تفسير الآية ان المراد من قوله وجعلوا له من عباده جزأ
اثبات اشركاء لله وذلك لانهم لما ثبتوا الشركاء لله تعالى قد زعموا ان كل العباد ليس لله
بل بعضهم الله وبعضها غير الله فهم ما جعلوا لله من عباده كلهم بل جعلوا له منهم بعضا
وجزأ منهم قالوا والذي يدل على ان هذا القول أولى من الاول اننا اذا حملنا هذه الآية
على انكار اشريك لله وحلنا الآية التي بعدها على انكارنا والله كانت الآية جامدة
لارد على جميع المبطلين ثم قال تعالى ام اتخذوا من خلق بنات وأصغاكم بالبنين واعلم انه تعالى
رتب هذه المناظرة على أحسن الوجوه وذلك لانه تعالى بين ان اثبات الولد لله محال وبه تقدير
أن يثبت الولد فجعله بنتا أيضا محال أما بيان ان اثبات الولد لله محال فلان الولد لا بد وان
يكون جزأ من الوالد وما كان له جزء كان مركباً وكل مركب ممكن وأيضاً ما كان كذلك
فانه يقبل الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق وما كان كذلك فهو عبد محدث فلا
يكون الها قدماً رأياً (واما المقام الثاني) وهو ان يتقدر ثبوت الوالد فانه يتم كونه بنتا
وذلك لان الابن أفضل من البنت فلو قلنا انه اتخذ لنفسه البنات وأعطى البنين اعباده لزم
أن يكون حال العبد أكل وأفضل من حال الله وذلك مدفوع في بديهة العقل يقال
أصغيت فلانا بكذا أي آثرته به ايثار حصل له على سبيل الصغاه من غير أن يكون له فيه
مشارك وهو كقوله أفصغاكم بكم بالبنين ثم بين نقصان البنات من وجوه (الاول) قوله
واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم والمعنى ان الذي بلغ
حاله في النقص الى هذا الحد كيف يجوز له ما قل اثباته لله تعالى وعن بعض العرب ان
امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت

مالأبي حرة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا * غضبان أن لانلد البنينا
ليس لنا من أمرنا ما شئنا * وانما نأخذ ما أعطينا
وقوله ظل أي صار كما يستعمل اكثر الأفعال الناقصة قال صاحب الكشاف قرى مسود
ومسود والتقدير وهو مسود فتقع هذه الجملة موقع الخبر (والثاني) قوله أو من ينشأ في
الخلية وهو في الخصام غير مبين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأ حرة والكسائي وحفص
عن عاصم بضم الياء وقحح انون وتشديد الشين على ما لم يسم فاعله أي يري والباقون ينشأ
بضم الياء وسكون النون وقحح الشين قال صاحب الكشاف وقرى ينشأ قال ونظير
المنشأة بمعنى الانشاء المفاعلة بمعنى الاغلاء (المسئلة الثانية) المراد من قوله أو من ينشأ في
الخلية التنبية على نقصانها وهو ان الذي يري في الخلية يكون ناقص الذات لانه لو لا نقصان
في ذاتها لما احتاجت تزيين نفسها بالخلية ثم بين نقصان حالها بطريق آخر وهو قوله وهو

بيان لقن آخر من كفرهم أي اوشاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبادناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق
مرضى عنده تعالى

وأنهم إنما يضلون به بشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبه بأنه بشيئته تعالى إياهم مع اعترافهم بجهنم حتى
يتهمض ذمهم به دليلًا للمعزة ومبني كلامهم الباطل ﴿ ٤٣٦ ﴾ على مقدمتين أحدهما أن عبادة قومهم بهم بشيئته

تعالى والثانية أن ذلك
مستلزم لكونها امر ضية
عنده تعالى ولقد أخذوا
في الثانية حيث جهلوا
أن الشبهة عبارة عن
ترجيح بعض الممكنات
على بعض كأنما كان
من غير اعتبار الرضا أو
المسخط في شيء من
الطرفين ولذلك جهلوا
بقوله تعالى (ما لهم بذلك)
أي بما أرادوا بقولهم
ذلك من كون ما فعلوه
بشيئته الارتضاء لا بمطلق
المشيئة فإن ذلك محقق
ينطق به ما لا يحصى من
الآيات الكريمة (من
علم) يستد إلى سندما
(إنهم لا يخفون)
يتعلمون عملا باطلا وقد
جوز أن يشار بذلك إلى
أصل الدعوى كأنه لما
أظهر وجوه فسادها
وحكى شبههم المزيفة
نق أن يكون لهم بما علم
من طريق العقل ثم
أضرب عنه إلى ابطال
أن يكون لهم سند من
جوه النقل فتقبل (أم
آياتهم كتابا من قبله)
من قبل القرآن أو من قبل
أدعائهم ينطق بصحة

في الخصام غير مبين يعني أنها إذا احتاجت إلى حجة والمنازعة عجزت وكانت غير مبين وذلك
لضعف أسانها وقلة عقلها وبلادة طبيعتها ويقال فلما تكلمت امرأة فأرادت أن تكلم
بجدها لا تكلمت بما كانت تحب عليه بل هذه الرجوه دالة على كمال تقصم فكيف يجوز
إضافتهن بالولاية إليه (المسئلة الثالثة) دلت الآية على أن الكلى مباح للنساء وأنه حرام
للرجال لأنه تعالى جعل ذلك من المعاييب وموجبات التمسك وإقدام الرجل عليه يكون
التألف في الذل وذلك حرام لقوله تعالى عباد السلام ليس للمؤمن أن يذل نفسه وإنما زينة
الرجل السبر على طاعة الله والقرين بزينة القوي قال الشافعي

تدرعت يوما للقوي حصىنة * أصون بهما عرضي وأجعلها ذخرا
ولم أحذر أدهر الخون وإنما * قصصاره إن يرمى بي الموت والفقرا
فأعددت للموت الإله وعفوه * وأعددت للفقرا الجلاء والصبرا

ثم قال تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناؤا وفيه مسائل (المسئلة الأولى)
المراد بقوله جعلوا أي حكموا به ثم قال أشهدوا خلقهم وهذا استفهام على سبيل الإنكار
يعني أنهم لم يشهدوا خلقهم وهذا مما لا سبيل إلى معرفته بالدلائل العقلية وأما الدلائل
النقلية فتكلمنا مفرعة على إثبات النبوة وهو إلقاء الكفار منكرين للنبوة فلا سبيل لهم إلى
إثبات هذا المطلوب بالدلائل النقلية فثبت أنهم ذكروا هذه الدعوى من غير أن عرفوه
بضرورة ولا بدليل ثم الله تعالى هدهم فقال استكتب شهادتهم ويسألون وهذا يدل على
أن القول بغير دليل منكر وإن تثليد يوجب الدم العظيم والعقاب الشديد قال أهل
التحقيق هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة أوجه (أولها) إثبات الولد لله تعالى
(وثانيها) أن ذلك الولد بنت (وثالثها) الحكم على الملائكة بالانوثة (المسئلة الثانية) قرأ
ناصع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن ياتون وهو اختيار أبي حاتم واحتج عليه بوجوه
(الأولى) أنه يوافق قوله أن الذين عند ربك وقوله ومن عنده (والثاني) أن كل الخلق عبادة
فلامدح لهم فيه (والثالث) أن التقدير أن الملائكة يكونون عند الرحمن لا عند هؤلاء
الكفار فكيف عرفوا كونهم إناؤا وأما الباقيون فقروا لعباد جمع عبد وقيل جمع عبد
كقائم وقيام وصائم وصيام وإنهم ونيام وهي قراءة ابن عباس واختيار أبي عبيد قال لأنه
تعالى رده عليهم قواهم أنهم يثبات الله أخبارهم عبيد ويؤيد هذا قراءة قوله بل عبادة
مكرمون (المسئلة الثالثة) قرأ نافع وحده أشهدوا بحمزة ومدة بعدها خفيفة لينة وضمة
أي أحضروا خلقهم وعن نافع غير مدود على ما لم يسم فاعله والباقيون أشهدوا بفتح الألف
من شهدوا أي أحضروا (المسئلة الرابعة) احتج من قال بفضيل الملائكة على البشر
بهذه الآية فقال أما قرأه عند ياثون فهذه العندية لاشك أنها عندية الفضل والقرب من
الله تعالى بسبب الطاعة وإفظة هم توجب الحصر والمعنى أنهم هم الموصوفون بهذه العندية
لا غيرهم فوجب كونهم أفضل من غيرهم رعاية للفظ الدال على الحصر وأما من قرأ عبادة

ما دعونه (فهم به) بذلك الكتاب (مستكون) وعليه معاون (بل قانوا) وأوجدنا آية ناعلى أمة واناعلى ﴿ جمع ﴾
آثارهم مهتدون) أنه الحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن

لاستدلالهم سوى تقليد آباؤهم الجهلة مثلهم والامة الذين والطريقة التي نام أي تقصد كالرحلة لما رخل اليه
وقرى امة بالكسر وهي الحسنة التي يكون ﴿ ٤٣٧ ﴾ عليها الام أي القاصد وقوله تعالى على آثارهم

مهتدون خبران والظرف
صلة لمهتدون (وكذلك)
أي والامر كما ذكر من
عبرهم عن الحجية
وتشبههم بنيل التقليد
وقوله تعالى (ما أرسلنا
من قبلك في قرية من
نذير الاقل مترفوها
انا ووجدنا آباءنا على أمة
وانا على آثارهم مقتدون)
استدناف مبين لذلك
دال على أن التقليد
فيما بينهم ضلال قديم
ليس لاسلافهم أيضا
سند غيره وتخصيص
الترفين بتلك المقالة
للإيدان بأن النتم وحب
البطالة هو الذي صرفهم
عن النظر الى التقليد
(قال) حكاية لما جرى
بين المنسدرين وبين
أمهم عند تعلمهم بتقليد
آباؤهم أي قال كل نذير
من أو تلك المنسدرين
لامهم (أو اوجنتكم)
أي أتقتدون بآبائكم
واوجنتكم (يا هدى)
بدين أهدي (ما وجدتم
عليه آباءكم) من الضلالة
التي ليست من الهداية
في شيء وانما عبر عنها
بذلك مجازاة معهم على

جمع اعيد فقد ذكر بان افظ الابد مخصوص في اقرآن بالواو من قوله هم عباد الرحمن
يفيد حصر العبودية فيهم فاذا كان اللفظ الدال على العبودية دالا على انفضل والشرف
كان اللفظ الدال على حصر العبودية دالا على حصر الفضل والمثوبة والشرف فيهم وذلك
يوجب كونهم أفضل من غيرهم الله اعلم * قوله تعالى (وقالوا الوشاة الذين ما عبدناهم
مالهم بئناك من علم انهم الاخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قاروا
انا ووجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من
نذير الاقل مترفون انا ووجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال اواوجنتكم
يا هدى ما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلناهم به كافرون فالتقينا منهم فانظر كيف
كان طاعة المكذبين) اعلم انه تعالى حكى نوعا آخر من كفرهم وشبهتهم وهو انه قالوا
لوشاء الرحمن ما عبدناهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قالت المعتزلة هذه الآية تدل على
فساد قول المجبرة في أن كفر الكافر يقع بارادة الله من وجهين (الاول) انه تعالى حكى عنهم
انهم قالوا الوشاة الذين ما عبدناهم وهذا صريح قول المجبرة ثم انه تعالى أبطله بقوله مالهم
بئناك من علم انهم الاخرصون فثبت انه حكى مذهب المجبرة ثم أورد فدا بابطال والافساد
فثبت ان هذا المذهب باطل ونظيره قوله تعالى في سورة الانعام سيقول الذين أشركوا لو شاء
الله ما أشركنا الى قوله فل هل عندكم من علم فتخرجوا انا ان تدعون الا الظن وان اتم
الاخرصون (والوجد الثاني) انه تعالى حكى عنهم قبل هذه الآية أنواع كفرهم (فالواها)
قوله ووجدناهم من عباده جراً (وثانيتها) قوله ووجدناهم الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا
(وثانيتها) قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلما حكى هذه الاقاويل الثلاثة
بعضها على اثر بعض وثبت ان القولين الاولين كفر محض وكذلك هذا القول الثالث
يجب أن يكون كفر او اعلم أن الواحدى أجاب في البسيط عنه من وجهين (الاول) ما ذكره
الزجاج وهو ان قوله تعالى مالهم بئناك من علم عائد الى قواهم الملائكة انك والى قولهم
الملائكة بنات الله (والثاني) انهم أرادوا بقواهم اوشاء الرحمن ما عبدناهم انه أمرنا بذلك
وانه رضى بذلك واقربنا عليه فانكر ذلك عليهم فهذا ما ذكره الواحدى في الجواب وعندى
هذان الوجهان ضعيفان (اما الاول) فلا لأنه تعالى حكى عن القوم قواين باطمين وبين وجه
بطلانها ثم حكى بعده مذهبها ثالثا في مسألة أجنبية عن المسئلتين الاوليين ثم حكم
بالبطلان والوعيد فصرف هذا البطلان عن هذا الذي ذكره عقبه الى كلام متقدم أجنبي
عنه في غاية البعد (واما الوجد الثاني) فهو أيضا ضعيف لان قوله لو شاء الله ما عبدناهم ليس
فيه بيان متعلق بتلك المشيئة والاجمال خلاف الدليل فوجب أن يكون التقدير لو شاء الله
ان لا نجدهم ما عبدناهم وكلمة لتوفيد انتفاء الشيء لانقضاء غيره فهذا يدل على انه لم توجد
مشيئة الله اعدم عبادتهم وهذا عين مذهب المجبرة فالابطال والافساد يرجع الى هذا المعنى
ومن انتاس من اجاب عن هذا الاستدلال بأن قال انهم انما ذكروا ذلك الكلام على

مسالك الانصاف وقرى قل على انه حكاية أمر ماض أوحى حينئذ الى كل نذير لاعلى أنه خطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى (قالوا انا بما أرسلناهم به كافرون) فانه حكاية عن الامم قطعا اي قال كل أمة
لنذيرها انا بما أرسلناهم به الخ

وقد أجل عند الحكاية للابحاز كما مر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وجعلته حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام يحمل صيغة الجمع على تعاليه ﴿ ٤٣٨ ﴾ على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجوه كفرهم

سبيل الاستهزاء والسخرية فلهذا السبب استوجبوا الطعن والذم وأجاب صاحب الكشاف عنه من وجهين (الاول) انه ليس في اللفظ ما يدل على انهم قالوا مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل (الثاني) انه تعالى حكى عنهم ثلاثة أشياء وهي انهم جعلوا له من عباده جزأ وانهم جعلوا الملائكة اناماً وانهم قالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم فلو قلنا بانه انما جاء الذم على القول الثالث لانهم ذكروه على طريق الهزؤ لا على طريق الجد وجب أن يكون الحال في حكاية القولين الاولين كذلك فلزم انهم لونهوا تلك الاشياء على سبيل الجدان يكونوا محتمين ومعلوم انه كفر واما القول بأن الطعن في القولين الاولين انما توجه على نفس ذلك القول وفي القول الثالث لا على نفسه بل على ايراده على سبيل الاستهزاء فهذا يوجب تشويش النظم وانه لا يجوز في كلام الله واعلم ان الجواب الحق عندي عن هذا الكلام ما ذكرناه في سورة الانعام وهو ان القوم انما ذكروا هذا الكلام لانهم استدلوا بمشبهة الله تعالى للكفر على انه لا يجوز ورود الامر بالايان فاعتقدوا ان الامر والارادة يجب كونهما متطابقين وعندنا ان هذا باطل فالقوم لم يستحقوا الذم بمجرد قولهم ان الله يريد الكفر من الكافر بل لاجل انهم قالوا لما أراد الكفر من الكافر وجب أن يفتح منه أمر الكافر بالايان واذا صرنا الذم والطعن الى هذا المقام سقط استدلال المعتزلة بهذه الآية وتام انقراض كور في سورة الانعام والله أعلم (المسئلة الثانية) انه تعالى لما حكى عنهم ذلك المذهب الباطل قال ما لهم بذلك من علم انهم الا يخرسون وتقريره كأنه قيل ان القوم يقولون لما أراد الله الكفر من الكافر وخلق فيه ما أوجب ذلك الكفر وجب أن يفتح منه ان يأمره بالايان لان مثل هذا التكليف فيصح في الشاهد فيكون فيجافي الغائب فقال تعالى ما لهم بذلك من علم أي ما لهم بصحة هذا القياس من علم وذلك لان أفعال الواحد منا وأحكامه مبنية على رعاية المصالح والمفاسد لاجل ان كل ما سوى الله فانه ينتفع بحصول المصالح ويستضرر بحصول المفاسد فلا جرم ان صريح طبعه وعقله يحمله على بناء أحكامه وأفعاله على رعاية المصالح اما الله سبحانه وتعالى فانه لا يتفعه شيء ولا يضره شيء فكيف يمكن القطع بأنه تعالى يبنى أحكامه وأفعاله على رعاية المصالح مع ظهور هذا الفارق العظيم فتوله تعالى ما لهم بذلك من علم أي ما لهم بصحة قياس الغائب على الشاهد في هذا الباب علم ثم قال انهم الا يخرسون أي كالم يثبت لهم صحة ذلك القياس فقد ثبت بالبرهان القاطم كونهم كذابين خراسين في ذلك القياس لان قياس المنزه عن النفع والضرر من كل الوجوه على المحتاج المنتفع المتضرر قياس باطل في بديهة العقل ثم قال أم آيتناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون يعني القول الباطل الذي حكاه الله تعالى عنهم عرفوا صحته بالعقل أو بالنقل اما آياتنا بالعقل فهو باطل لقوله ما لهم بذلك من علم انهم الا يخرسون واما آياتنا بالنقل فهو باطل لقوله أم آيتناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون والضمير في قوله من قبله لقرآن أول الرسول والمعنى انهم وجدوا ذلك الباطل

الى ما أرسل به الكل من التوحيد لاجتماعهم عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تحمل بعيد يرد بالكتابة قوله تعالى (فاتقننا منهم) أي بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المسكدين) من الامم المذكورين فلان كثرت بتكذيب قومك (واذ قال ابراهيم) أي واذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام (لا يبد وقومه) المكبين على التقليد كيف نبأ عما هم فيه بقوله (انني ابراهيم اعبدون) وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال أوليقلدوه ان لم يكن لهم يد من التقليد فانه أشرف آياتهم وبراء مصدر نعمت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكور المؤنث وقرى برى وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية أو موصولة حذف عائدها أي انني برى من عبادتك أو معبودكم (الا الذي فطرنى) استثناء منقطع

أو متصل على أن ماتم اولي العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والاصنام أو صفة على أن ما موصوفة أي انني ابراهيم من آلهة تعبدونها غير الذي فطرنى (فانه

سبيدين) أي سبقتني على الهداية أو سبهدين إلى ما وراء الذي هداني إليه الآن والأوجه أن السبب للتاكيد دون التسوية وصيغة المضارع الدلالة ﴿ ٤٣٩ ﴾ على الاستمرار (وجعلها) أي جعل إبراهيم كلمة التوحيد التي ماتكم

به عبارة عنها (كلمة باقية في عقبه) أي في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحده الله تعالى ويدعو إلى توحيده وقرئ بكلمة وفي عقبه على التخصيف (لعلهم يرجعون) علة للعمل أي جعلها باقية في عقبه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحدين (بل تمتع هؤلاء) أصراب عن محذوف ينساق إليه الكلام كأنه قبل جعلها كلمة باقية في عقبه بأن وصى بها بنبيه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحدين بل تمتع منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من أهل مكة (وآبائهم) بالمدني العمر والنعمة فاعتروا بالتملة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم) أي هؤلاء (الحنق) أي

في كيب منزل قبل القرآن حتى جازلهم أن يعولوا عليه وان تمسكوا به والمقصود منه ذكره في معرض الإنكار ولما ثبت انه لم يدل عليه لادليل عقلي ولا دليل نقلي وجب أن يكون القول به باطلا ثم قال تعالى بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آبارهم مهتدون والمقصود انه تعالى لما بين انه لا دليل لهم على صحة ذلك القول البتة بين انه ليس لهم حامل يحملهم عليه الا التقليد المحض ثم بين ان تمسك الجهال بطريفة التقليد أمر كان حاصله من قديم الدهر فقال وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آبارهم مقتدون وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال صاحب الكشاف قرئ على أمة بالكسر وكنائهما من الام وهو التصد فلامته الطريقة التي تؤم أي تقصد كالرحلة للرجول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الام وهو القاصد (المسئلة الثانية) لولم يكن في كتاب الله الا هذه الآيات لكفت في ابطال القول بالتقليد وذلك لانه تعالى بين ان هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في اثبات مذهبوا اليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي ثم بين انهم انما ذهبوا اليه بمجرد تقليد الآباء والاسلاف وانما ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتعجب وذلك يدل على ان القول بالتقليد باطل وما يدل عليه أيضا من حيث العقل ان التقليد أمر مشترك فيه بين المبطل وبين الحق وذلك لانه كما حصل لهذه الطائفة قوم من المقلدة فكذلك حصل لاضدادهم أقوام من المقلدة فلو كان التقليد طريقا إلى الحق لوجب كون الشيء وتقيضه حقا ومعاوم ان ذلك باطل (المسئلة الثالثة) انه تعالى بين ان الداعي إلى القول بالتقليد والحامل عليه انما هو حب النعم في طبيات الدنيا وحب الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال لقوله الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة والمترفون هم الذين أترفهم النعمة أي أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويغضون تحمل المشاق في طلب الحق واذا عرفت هذا علمت ان رأس جميع الآفات حب الدنيا واللذات الجسمانية ورأس جميع الخيرات هو حب الله والدار الآخرة فلهذا قال عليه السلام حب الدنيا رأس جميع الخيرات هو رسوله قل أو أوجنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم أي يدين أهدى من دين آباءكم فعند هذا حكى الله عنهم انه قالوا انا نابتون على دين آباءنا لا نتفك عنه وان جئنا بآباءهم أهدى فانا بما أرسلتم به كافرون وان كل أهدى مما كنا عليه فعند هذا لم يبق لهم هذر ولا علة فلهذا قال تعالى فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المذكبين والمراد منه تهديد الكفار والله أعلم * قوله تعالى (واذ قال إبراهيم لآبيه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سبيدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل تمتع هؤلاء وآبائهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون) اعلم انه تعالى لما بين في الآية المتقدمة انه ليس لأوثك الكفار داع يدعوهم إلى تلك الاقار بل الباطلة الاتقليد الآباء والاسلاف ثم بين انه طريق باطل ومنتهج فاسد وان الرجوع إلى الدليل أولى من

القرآن (ورسول) أي رسول (مبين) ظاهر الرسالة واضمحها بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والجميع وقرئ متعنا و تمتع بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله

الاعتماد على التقليد أردف هذه الآية والمقصود منها ذكر وجود آخر يدل على فساد القول
 بالتقليد وتفريجه من وجهين (الاول) انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام انه نبرأ عن
 دين آباءه بناء على السبيل فنقول اما أن يكون تقليد الآباء في الاديان محرما أو جازا فان
 كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جازا فلهوم ان أشرف آباء العرب هو
 ابراهيم عليه السلام وذلك لانه ليس لهم فخر ولا شرف الايمانهم من أولاده واذ كان كذلك
 فنقليد هذا الاب الذي هو أشرف الآباء أولى من تقليد سائر الآباء واذ ثابت ان تقليده
 أولى من تقليد غيره فنقول انه ترك دين الآباء وحكم بان اتباع الدليل أولى من متابعة
 الآباء واذ كان كذلك وجب تقليده في ترك تقليد الآباء ووجب تقليده في ترجيح
 الدليل على التقليد واذ ثبت هذا فنقول فقد ظهر ان القول بوجوب التقليد يوجب المنع
 من التقليد وما أفضى ثبوته الى نفيه كان باطلا فوجب أن يكون القول بالتقليد باطلا
 فهنا طريق دقيق في ابطال التقليد وهو المراد من هذه الآية (الوجود الثاني) في بيان ان
 ترك التقليد والرجوع الى متابعة الدليل أولى في الدنيا وفي الدين انه تعالى بين ان ابراهيم
 عليه السلام لما عدل عن طريقة آبيه الى متابعة الدليل لاجرم جعل الله دينه ومذهبها بقيا
 في عقبه الى يوم القيامة واما اديان آباءه ففقدت ندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى
 متابعة الدليل يبيح محمود الاثر الى قيام الساعة وان التقليد والاصرار ينقطع أثره ولا يبقى
 منه في الدنيا خبر ولا أثر فثبت من هذين الوجهين ان متابعة الدليل وترك التقليد أولى فهذا
 بيان المقصود الاصل من هذه الآية ولنخرج الى تفسير الفاظ الآية اما قوله اني براء مما
 تعبدون فقال الكسائي والفراء والمبرد والزجاج براء مصدر لا يثنى ولا يجمع مثل عدل
 ورضا وتقول العرب انا البراء منك والخلاء منك ونحن البراء منك والخلاء ولا تقولون
 البراءن ولا البراون لان المعنى ذوا البراء وذو البراء فان قلت برى وخلي ثبتت وجمعت ثم
 استثنى خاتمه من البراءة فقال الا الذي فطرني والمعنى انا ابراهيم ما تعبدون الا من الله عز
 وجل ويجوز أن يكون الابعنى لكن فيكون المعنى لكن الذي فطرني فانه سيهدين أى
 سيرشدني بسببه ويوقني اضاعته واعلم انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام في آية أخرى
 انه قال الذي خلقني فهو يهدين وحكى عنه ههنا انه قال سيهدين فاجمع بينهما وقسركا انه
 قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال وجمعهما أى
 وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله اني براء مما تعبدون جاريا مجرى لاله
 وقوله الا الذي فطرني جاريا مجرى قوله الا الله فكذلك مجموع قوله اني براء مما تعبدون الا
 الذي فطرني جاريا مجرى قوله لا اله الا الله نعم بين تعالى ان ابراهيم جعل هذه الكلمة باقية في
 عقبه أى في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيدها عليهم يرجعون الى الله
 من أشرك منهم يرجع بدعاء من يوحدهم وقيل وجعلها الله وقرى كلمة على التخفيف وفي
 عقيدته قال تعالى بل تمتع هؤلاء يعني أهل مكة وهم من عقب ابراهيم مالد في العمر

تعالى وجعلها كلمة باقية
 الخ مباعدة في تعبيرهم
 فان التشيع بزيادة النعم
 يوجب عليهم أن يجملوه
 سبباً لزيادة الشكر
 والنيات على التوحيد
 والايان فجعله سبباً لزيادة
 الكفران أقصى مراتب
 الكفر والضلال (ولما
 جاءهم الحق) نيبهم
 عما هم فيه من الغفلة
 ويرشدهم الى اتوحيد
 ازدادوا كفرا وعتوا
 وضمووا الى كفرهم
 السابق معاندة الحق
 والاستهانة به حيث
 (قالوا هذا سحر واناباه
 كافرون) فسموا
 انقرآن سحرا وكفروا به
 واستمفروا الرسول
 صلى الله عليه وسلم

(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أي من إحدى القريتين مكة والطائف على نهي قوله تعالى يخرج منها اللؤلؤ والمرجان (عظيم) أي بالجماء والمال كما وليدين المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود والثقة وقيل حبيب بن عمر بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكانا نذرا لعبد المطلب ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من صفاهم مع اعتقادهم **٤٤١** بقراءته بل استدلالا على عدمها يعني أنه لو كان قرآنا

والنعمة فاعتروا بالمهلة واشتغلوا بآثارهم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين بين رسالة وأوضحها بآثاره من الآيات والبيانات فكذبوا به وسعوه ما حراهم ما جاء به سمحوا وكفروا به ووجه التظلم أنهم لما عولوا على تقليد الآباء ولم يتفكروا في الحق اغتروا بطول الأسماء وامتاع الله أيهم بغير الدين إذ عرفوا عن الحق قال صاحب الكشف أن قيل ما وجه قراءة من قرأ تمت بفتح انا قلنا كان الله سبحانه اعترض على ذاته في قواه وجعلها كلمة باقية في عقيدتهم يرجعون فقال بل متعتهم بما تمنعهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شفاهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك المباغلة في تمبيرهم لأنه إذا تمتعهم بزيادة العلم وجب عليهم أن يعملوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثناء على التوحيد لأن بشر كراهه ويجهلوا له أندادا فخاله أن يشكو الرجل أساءة من أحسن اليدين ثم تقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بعرفك واحسانك اليه وفرضته بهنا الكلام توخي المسبب في تبريح فعل نفي قوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين لظلمناهم لولا أنزلنا رحمة ربك لنحسبنهم مبغضين في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات اتخذ بعضهم بعضا سخرى ورحمة ربك خير مما يجمعون) العلم ان هذا هو النوع الرابع من كفر يانهم التي حكاها الله تعالى عنهم في هذه السورة وهو الكفر بالسالكين قالوا ان تصيب رسالة الله منسب شريف فلا يلبق الا برحمن شريف وقد صدقوا في ذلك ان الله ضوأ الم مقدمة فاسدة وهي ان الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه وشخصا كذلك فلا يلبق رسالة الله به وانما يلبق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال في إحدى القريتين وهي مكة والطائف قال المفسرون والذي يركب هو لولدين المغيرة والذي بالطائف هو عروة بن مسعود الثاني ثم أبدل الله تعالى هذه الشبهة من وجهين (الاول) قوله أنهم يتسبون رحمة ربك وتقرين هذا الجواب من وجوه (أحدها) اننا أوفعنا التفاوت في مناصب الدنيا ولم بقدر أحد من الخلق على تغييره فانفاوت الذي أوفعناه في مناصب الدين والسورة بأن لا يقدر ما عدل التصرف فيه كأن أولي (وثانيها) أن يكون المراد ان اختصاص ذلك الشيء بذلك المال اكثيرا لما كان لاجل حكمتنا وفضلنا واحساننا اليه فكيف يلبق باعتل أن يجعل احساننا اليه بكثر المال حجة علينا في أن نحسن اليه أيضا بالنبوة (وثانيها) اننا أوفعنا التفاوت في الاحسان بتناصب الدنيا لا بسبب سابق فلم لا يجوز أيضا أن يقع التفاوت في الاحسان بتناصب الدين والنبوة لا لسبب سابق فهذا تقرير الجواب ونرجع الى تفصيل الاقاط فتقول العز في قوله أنهم يتسبون رحمة ربك لانكار الدال على الجهيل والتعجب من اعراضهم وتكلمهم وأن يكونوا هم المديرين لامر النبوة ثم ضرب بهذا مثلا فقال نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وقيد مسائل (المسئلة الاولى) اننا أوفعنا

انزل الى أحد هو لولدين
على ما زعموا من أن رسالة
منسب جليل لا يلبق به
الامن له جلالة من حيث
المال والجاه ولا يدروا
أنه رتبة روحانية لا يترقى
اليها الا هم الخواص
المتحصين بالنفوس الركية
المؤيدون بالقوة القدسية
بالتعاضد بالفضائل
الانسية وأما التخرقون
بالخارف السديوية
المتعمون بالحظوظ الدنية
فهم من استحق تلك
الرتبة بأف منزل وقوله
تعالى (أهم يتسبون رحمة
ربك) انكار فيه تجهيل
أهم وتعجب من تكلمهم
والمراد بالرحمة النبوة
(نحن قسمنا بينهم
معيشتهم) أي أسباب
معيشتهم (في الحياة
الدنيا) قسمنا تقاضيا
مشيئتنا المبنية على الحكم
والمصالح ولم نفوض
أمرها اليهم علما منا
بعجزهم عن تدبيرها
بالكلية (ورفعنا بعضهم
فوق بعض) في الرزق
وسائر مبادئ المعاش

(درجات) متفوتة بحسب القرب **٥٦** سا والبعد حسبا تقتضيه الحكمة فنضعف وقوى وقبيل وغنى
وخادم وتخديم وحاكم ومحكوم (لنخذل بعضهم بعضا مخزيا) ليصرف بينهم بعضنا في مصالحهم ويستخذمهم في مصالحهم
ويتسخرهم في أشغالهم حتى يتعاضدوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا الكمال في الموسع

واللغص في القتل او فوضنا ذلك الى تبييهم ايضا عوا واهلكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدينية وهو في طرف النمام على هذه الحال فاطنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو ابعث من مناط العوق ومن أين لهم البحث عن امر النبوة والخير انما يصلح لهم او يقوم بأمرها (ورحمة ربك) أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا الدينية الغائبة وقوله تعالى ﴿ ٤٤٢ ﴾ (ولو لأن يكون الناس أمة واحدة)

استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حنارة شأنه بحيث أولا أن يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا رأوا أهله في سعة وتعم فيجمعوا عليه لا عطية بل بسدافيره من هو شر الخلائق أو أدناهم منزلة وذلك بقوله تعالى (جعلنا لمن يكفر بالرحمن آيات من سقنا من فضة) أي مخففة عنها وليوتهم بدل اشتغال من لمن وجع الضمير باعتبار معنى من كما أن أفراد المستكن في يكفر بإعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن اقراء أنه جمع سقفة كسفن وسقينة وقري سقفا يسكون اتاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البوت وسقفا كأنه أمة في سقف وسقفا (ومعارج) أي جعلنا لهم معارج من فضة أي مصاعد جمع معراج وقري معارج جمع

هذا التناوت بين العباد في القوة والضعف والعلم والجهل والحقارة والبله والشهرة والحمول وانما فعلنا ذلك لانا وسو بنا بينهم في كل هذه الاحوال ان يخدم احدا ولم يصبر احدهم من غير غيره وحينئذ يفرض ذلك الى خراب العالم وفساد نظام الدنيا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على تغير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فان عجزوا عن الاعتراض عن حكمنا في أحوال الدنيا مع قلةها ودناءتها فكيف يمكنهم الاعتراض على حكمنا وقضائنا في تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة والرسالة (المسئلة الثانية) قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا يقتضى أن تكون كل أقسام معيشتهم اذا تحصل بحكم الله وتقديره وهذا يقتضى أن يكون الرزق الحرام والحلال كله من الله تعالى (والوجه الثاني) في الجواب ما هو المراد من قوله ورحمة ربك خير مما يجمعون وتقرير ان الله تعالى اذا خص بعض عبده بنوع من أنواع فضله ورحمته في الدين فهذه الرحمة خير من الاموال التي يجمعها لان الدنيا على شرف الانقضاء والافتراض بتفضل الله ورحمته تبقى أبدا لا يباد بقوله تعالى (ولو لأن يكون الناس أمة واحدة لجلعنا لمن يكفر بالرحمن آيات من سقنا من فضة ومعارج عليها يظهرون وليوتهم أبوابا وسررا) راعى فيها تكرار وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة يختص بك لاثنين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليسدو بينهم عن السبل ويحسون أنهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرفين قبس القرين وان يفتكم اليوم اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون (وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى اجاب عن الشبهة التي ذكرها بناء على تفضيل المعنى على التغير بوجدها ثالثه وانما الله تعالى بين ان منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيصة عند الله وبين حقارتها بقوله (ولو لأن يكون الناس أمة واحدة والمعنى لولا أن يرغب الناس في الكفر اذ رأوا الكافر في سعة من الخير الرزق لأخطيتهم اكثر الاسباب المفيدة للتمتع (أحدها) أن يكون سقفاهم من فضة (وثانيها) معارج أيضا من فضة عليها يظهرون (وثالثها) أن يجعل لبيوتهم أبوابا من فضة وسررا أيضا من فضة عابها يتكئون ثم قال وزخرفا وله تفسيران (أحدهما) أنه الذهب (والثاني) أنه الزينة بدليل قوله تعالى حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت فعلى التقدير الاول يكون المعنى ويجعل لهم مع ذلك ذهابا كثيرا وعلى الثاني اننا عطيتهم زينة عظيمة في كل باب ثم بين تعالى ان كل ذلك متاع الحياة الدنيا وانما سمى متاعا لان الانسان يستمتع به قليلا ثم ينتضى في الحال وأما الآخرة فهي باقية دائمة وهي عند الله تعالى وفي حكمه للفقير عن حب الدنيا المقبلين على حب الموتى وحاصل الجواب ان أولئك الجهال ظنوا ان لرجل الغنى أولى بمنصب الرسالة من محمد بسبب فقره فيبين تعالى ان المال والجاه حقير ان عند الله وانهم ما على شرف الزوال

معارج (عليها يظهرون) أي يملون السطوح والعلاني (وليوتهم) أي وجعلنا لبيوتهم (أبوابا) فحصولها (وسررا) من فضة (عليها) أي على السرر (يتكئون) ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التكرير (وزخرفا) أي زينة عطف على سقفا رذها عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الاشي يتعم.

به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا وقرئ يتخفيف ما على ان هي المخففة واللام هي
الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما وسولة قد حذف عاينها أي الذي هو متاع الخ كافي قوله تعالى تماما
على الذي أحسن (والآخرة) بما فيها من فنون التعم التي تنصر عنها البيان (عند ربك المتقين) أي عن الكفر والمعاصي
وبهذا تبين أن العظيم هو العظيم (١٤٣) في الآخرة لافي الدنيا (ومن يشأ) أي يتعمم (عن ذكر الرحمن) وهو

فحصولهما لا يفيد حصول الشرف والله أعلم (المسئلة الثانية) قرأ ابن كثير وأبو عمرو
سقفا بفتح السين وسكون القاف على لفظ الواحد لارادة الجنس كافي قوله فخر عليهم
السقف من فوقهم والباقون سقفا على الجعم واختلافه وقيل هو جمع يعقب كرهن ورهن
قال أبو عبيد ولا ثالث لهما وقيل السقف جمع سقف كرهن ورهن وزبروز بورفهو
جمع الجعم (المسئلة الثالثة) قوله ان يكفر بالرحمن لبيوتهم فقوله لبيوتهم بدل اشتمال من
قوله لمن يكفر قال صاحب الكشاف قرئ معارج ومبارج والمعارج جمع معرج أو اسم
جمع معراج وهي المصاعد الى المساكن العالية كالدرج والسلام عليها يظهر
أي على تلك المعارج يظهر ون في نصب قوله وزخرفا قولان قيل جعلنا لبيوتهم سقفا
من فضة وجعلنا لهم زخرفا وقيل من فضة وزخرف فلما حذف الخافض انتصب وأما
قوله وان كل ذلك للامتاع الحياة الدنيا قرأ عاصم وجزء لما تشديد الميم والباقون
بالتخفيف أمأقارة حجرة بالتشديد فانه جعل لسا في معنى الأوحى سيبويه نشدتك بالله
لما فعلت بمعنى الافعلت ويقوى هذه القراءة ان في حرف أي وما ذلك الامتاع الحياة
الدنيا وهذا يدل على ان للمعنى الاو اما القراءة بالتخفيف فمسال الواحدى لفظة مانعو
والتقدير لمتاع الحياة الدنيا قال أبو الحسن الوجه التخفيف لان لما معنى الا لا تعرف
وحكى عن الكسائي أنه قال لأعرف وجه التثني (المسئلة الرابعة) قالت المعتزلة دلت
الآية على انه تعالى انما يعط اناس نعم الدنيا لاجل انه اوفعل بهم ذلك ادعاهم ذلك
الى الكفر فهو تعالى لم يفعل بهم ذلك لاجل ان لا يدعوهم الى الكفر وهذا يدل على
أحكام (أحدها) أنه اذا لم يفعل بهم ما يدعوهم الى الكفر فلان لا يخلق فيهم الكفر أولى
(وثانيها) أنه ثبت ان فعل اللطف قائم مقام اراحة العذر والعلة فلما بين تعالى انه لم يفعل
ذلك اراحة للعذر والعلة عنهم دل ذلك على أنه يجب أن يفعل بهم كل ما كان اطقا داعيا
لهم الى الايمان فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على أنه يجب على الله تعالى فعل
اللطف (وثالثها) أنه ثبت بهذه الآية ان الله تعالى انما يفعل ما يفعله ويترك ما يترك لاجل
حكمة ومصلحة وذلك يدل على تعليل أحكام الله تعالى وأفعاله بالمصالح والمآل فان قيل
لما بين تعالى أنه لو فتح على الكافر أبواب النعم لاصار ذلك سببا لاجتماع الناس على الكفر
فلما لم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام قلنا لان الناس
على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المتأقين
فكان الاصول أن يضيء الامر على المسلمين حتى ان كل من دخل الاسلام فأنما يدخل
في ملتزمة الدليل ولطلب رضوان الله تعالى فحينئذ يعظم ثوابه لهذا السبب ثم قال تعالى
ومن يشأ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والمراد منه التبييد على آفات الدنيا
وذلك ان من فاز بالمال والجاه صار كالاعشى عن ذكر الله ومن صار كذلك صار من جلساء
الشياطين الضالين المضلين فهنا وجه تعلق هذا الكلام بما قبله قال صاحب الكشاف

القرآن وضافته الى
اسم الرحمن للايدان
ببزوا له رجة للعالمين
وقرئ يعيش بالفتح أي
يعم يقال عشي بعشي اذا
كان في بصره آفة وعشا
يعشو اذا عشي بلا آفة
كعرج وعرج وقرئ
يعشو على أن من موصولة
غير مضمرة معنى الشرط
والمعنى ومن يعرض عنه
لفرط اشتغاله بزهرة
الحياة الدنيا وانما ك
في حظوظها القانية
والشهوات (نقيض له
شيطانا فهو له قرين)
لا يفارقه ولا يزال يوسوسه
ويغويه وقرئ يقبض
بالياء على اسناده الى ضمير
الرحمن ومن رفع بعشو
فحقه أن يرفع يقبض
(وانهم) أي الشياطين
الذين يقبض كل واحد
منهم لكل واحد من
يعشو (اي يصدونهم)
اي قرناءهم فمدار جمع
الضمير باعتبار معنى
من كما أن مدار افراد
الضمائر السابقة اعتبار
لفظها (عن السبيل)

المستبين الذي يدعوا اليه القرآن (ويحسبون) أي العاشون (انهم) أي الشياطين (مهتدون) أي الى السبيل المستقيم
والا لا تبعوهم أو يحسبون أن انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك
لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون يتقدير المبتدا أو من فاعله أو منهما لاشتغالها على ضميريهما
أي وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم

يحبسون أنهم مهتدون البدو صيغة المضارع في الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار الجدي لقوله تعالى (حتى إذا جاءنا) فإن حتى وإن كانت ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية لكنها تقضي حتماً أن تكون غاية الأمر عند كمال مرادها وأفراد الضمير في جاء وما بعده لما أن المراد حكاية مفاضة كل واحد واحد من العاشرين ثم يندلج به ويل الأمر وتفضيم الخلال والمعنى يستمر العاشرون على ما ذكر من مقارن الشياطين والصدق ﴿ ٤٤٤ ﴾ والحسبان الباطل حتى إذا جاءنا كل واحد

فروى ومن يعش بضم الشين وفحوا أو اتفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قبل عشي وإذا نظر انظر اعشى والآفة قبل عشي واطير عرج ابن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الخطيب * من تأته نعو إلى ضوء ناره * أي تنظر إليها نظر العشي لما يصف بمسرك من عظم الوفود وتسا بالضرورة قري يعشو على أن من موصولة غير معقولة معنى الشرط وحتى هذا القاري أن رفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعش عن ذكر الرحمن وهو القرآن لقوله صم بكم عني أما المرأة باضم فمناها ومن يعلم عن ذكره أي يعرف أنه الحق وهم يتجاهلون وتعالي كقوله تعالى وجدوا بها واستبقتهما أنفسهم نقيض له شيئاً قال منان نضم إليه شيطاناً فهو له قرين ثم قال وانهم ليصدونهم عن السبيل يعني وأن الشياطين ليصدونهم عن سبيل الهدى والحق وذكر الكناية عن الإنسان والشياطين بالنظر الجمع لأن قوه ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً يعيد الجمع وإن كان اللفظ على الواحد ويحسبون أنهم مهتدون يعني الشياطين يصدون الكفار عن السبيل والكفار يحسبون أنهم مهتدون ثم عاد إلى لفظ الواحد فقال حتى إذا جاءنا يعني الكافر وقري جياتنا يعني الكافر وشيطانه روى أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبر أخذ شيطاناً بيده فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار فذلك حيث يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين والمراد يا ليت حصل بيني وبينك بعد على أعظم الوجوه واختلفوا في تفسير قوله بعد المشرقين وذكروا فيه وجوهاً (الأول) قال الأكثرون المراد بعد المشرق والمغرب ومن عادة العرب تسمية الشيتين المتقابلين باسم أحدهما قال الفرزقي * لتأقرا ما والنجوم الطوائع * يريد الشمس والقمر ويقولون للكوفة والبصرة البصرتان والعداة والعصر العصران ولا يكر وعمر العمران والماء والنرا السودان (الثاني) أن أهل النجوم يقولون الحركة التي تتكون من المشرق إلى المغرب هي حركة الأفلاك الأعظم والحركة التي من المغرب إلى المشرق هي حركة الكواكب الثابتة وحركة الأفلاك المثقلة التي للسيارات سوى القمر وإذا كان كذلك فالمشرق والمغرب كل واحد منهما مشرق بالنسبة إلى شيء آخر فثبت أن إطلاق لفظ المشرق على كل واحد من الجهتين حقيقة (الثالث) قالوا يحمل ذلك على مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبينهما بعد عظيم وهذا بعيد عندي لأن المفصود من قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين المباشرة في حصول البعد وهذه المباشرة إنما تحصل عند ذكر بعد لا يمكن وجود بعد آخر أز يد منه والبعدين مشرق الصيف ومشرق الشتاء ليس كذلك فيبعد جعل اللفظ عليه (الرابع) وهو أن الحس يدل على أن الحركة اليومية إنما تحصل بطولوع الشمس من المشرق إلى المغرب وأما القمر فإنه يظهر في أول الشهر في جانب المغرب ثم لا يزال يتقدم إلى جانب المشرق وذلك يدل على أن مشرق حركة القمر هو المغرب وإذا ثبت هذا فالجانب المسمى بالمشرق هو مشرق الشمس ولكنه مغرب القمر وأما الجانب المسمى بالمغرب فإنه

منهم مع قرينه يوم القيامة (قال) تذا طاباله (يا ليت بيني وبينك) في الدنيا (بعد المشرقين) أي بعد المشرق والمغرب أي يساعد كل منهما عن الآخر قلب المشرق وثني وأضيف اليه (يا ليت بيني وبينك) الترين أي أنت وقوله تعالى (ولأن ينفعكم) الخ حكاية لما يقال لهم - يند من جهة الله عز وجل تو ينجوا وتقر بها أي أن ينفعكم (اليوم) أي يوم القيامة تمنحكم لمباعدتهم (اذظلمتم) أي لاجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا يا ليت بابعكم أيهم في الكفر والمعاصي وقيل اذظلمتم بدل من اليوم أي اثبتين عندكم وعند الناس جميعاً أنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا وعليه قول من قال * إذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة * أي تبين أني لم تلدني لثيمة بل كريمة وقوله تعالى (انكم في العذاب مشتركون) تعالين في النفع أي لأن

حكمكم أن تشركوا أنفسكم في العذاب كما كنتم مشركين في سببه في الدنيا ويجوز أن يسند ﴿ مشرق ﴾ الفعل إليه لكن لا بد من أن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع أواقين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها بالتعاون في تحمل أعبائها وتقسيمها لأن لكل منهم ما لا يتبعه طاقته كما قيل لأن الانتفاع بذلك الوجه مما يخطر بالبالهم حتى يرد

عليهم بانه بل بمعنى ان يحصل لكم التشفي بكون قريباتكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتتهم
ضعفين من العذاب والعناب لعنا كبروا واولئك فآتهم عذابا مضاعفا من النار ونظائرهما انتشفوا بذلك * كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعا، فومه وهم لا يريدون الاغيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصامعا
يسمعونه من بيئات له ان فنز (أذانت نسمع) ٤٤٥ * (صم أو تهدي العمى) وهو انكار نجيب من أن يكون هو

مشرق القمر ولكنه مغرب الشمس وبهذا التقدير يصح تسمية المشرق والمغرب
بالمشرقين وأهل هذا الوجه أقرب الى مطابقة اللفظ ورعاية المقصود من سائر الوجوه
والله أعلم قال تعالى فليس القرين أى الكافر يقول ذلك الشيطان ياتى بينك وبينك
بعد المشرقين فليس القرين أنت فهذا ما يتعلق بتفسير الاماظ والمقصود من هذا الكلام
تحقير الدنيا وبيان ما فى الدال والجاه من المضار العظيمة وذلك لان كثرة المال والجاه
تجعل الانسان كالأعشى عن مطالعة ذكر الله تعالى ومن صار كذلك صار جليسا للشيطان
ومن صار كذلك ضل عن سبيل الهدى والحق وبقى وليس الشيطان فى الدنيا وفى القيامة
ومجاله الشيطان حاطة توجب الضرر الشديد فى القيامة بحيث يقول الكافر ياتى بينك
وبينك بعد المشرقين فليس القرين أنت فثبت بما ذكرنا ان كثرة المال والجاه توجب كان
التقصير والحرقان فى الدين والدنيا وإذا ظهر هذا فقد ظهر ان الذين قالوا اولئك
هذا القرآن على رجل من القرينين عظيم قالوا كلاما فاسدا وشبهه بالله ثم قال تعالى
وان يتعكم اليوم فظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون قوله انكم فى محمل الرفع على
الفاعلية يعنى وان يتعكم اليوم كونكم مشتركين فى العذاب والسبب فيه ان الناس
يقولون المعسبة اذا عمت طابت وقالت الخساء فى هذا المعنى

ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم ثقلت نفسى
ولا يكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالأسى

فبين تعالى ان حصول الشركة فى ذلك العذاب لا يفيد التخفيف كما كان يفيد فى الدنيا
والسبب فيه وجوه (الاول) ان ذلك العذاب شديد فاشتغال كل واحد بنفسه بذله عن
حال الآخر فلا جرم الشركة لا تفيد الخفة (الثانى) ان قوما اذا اشتروا فى العذاب
أعان كل واحد منهم صاحبه بما قدر عليه فيحصل بسببه بعض التخفيف وهذا المعنى
متعدى فى القيامة (الثالث) ان جلوس الانسان مع قرينه يفيد أنواعا كثيرة من السلوة
فبين تعالى ان الشيطان وان كان قرينا له الا ان مجالسته فى القيامة لا توجب المساواة
وخفة العقوبة وفى كتاب ابن محاهد عن ابن عامر قرأ اذ ظلمتم انكم يكسر الالف والباقون
انكم يفتح الالف والله أعلم * قوله تعالى (أذانت نسمع العمى) ومن كان
فى ضلال مبين فامانذهين بك فانما منهم من تقمون أو يزيدك الذى وعدناهم فانما عليهم
مقدرون فاستمسك بالذى أوحى إليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولتوكل
وسوف تسألون واسئلك من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة
يعبدون) اعلم انه تعالى لما وصفهم فى الآية المقدمة بالعشى وصفهم فى هذه الآية
بالصم والعمى وما أحسن هذا الترتيب وذلك لان الانسان فى أول اشتغاله بطلب الدنيا
يكون كمن حصل عينه رمد ضعيف ثم كلما كان اشتغاله بتلك الاعمال اكثر كان ميله الى
الجسمانيات أشد واعراضه عن الروحانيات أكثر لما ثبت فى علوم العقول ان كثرة

الذى يقدر على هدايتهم
وهم قد تم نوافى الكفر
واستغرقوا فى الضلال
بحيث صار ما بهر من
العشى عمى مقرونا بالصم
(ومن كان فى ضلال مبين)
عطف على العمى باعتبار
تغابر الوصفين ومدار
الانكار هو التمكن
والاستمرار فى الضلال
المفرد بحيث لا رعواله
منه لا توهم القصور عن
قبل الهادى ففقيه رمز
الى أنه لا يقدر على ذلك
الا الله تعالى وحده
بالصم والابلاء (فاما
تذهين بك) أى فان
فبضناك قبل أن تبصر
عناهم ونشقى بذلك
صدرك وصدور المؤمنين
(فانما منهم من تقمون)
لإحاطة فى الدنيا والآخرة
فما من بدنة أكيد بمنزلة
لام التسم فى أنها لا تفارق
النون المؤكدة (أوزيئك
الذى وعدناهم) أى أو
أردنا أن تزيدك العذاب
الذى وعدناهم (فانما
عليهم مقدرون) بحيث
لا مناص لهم من تحت

ملكنا وقرنا وقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر (فاستمسك بالذى أوحى إليك) من الآيات والشرائع سواء عجزنا لك
الموعود أو أخرناه الى يوم الآخرة وفرى أوحى على البناء للفاعل وهو لله عز وجل (انك على صراط مستقيم) تعليل
للاستمسك أو الامر به (وانه لذكر) لشرف عظيم (لك واقومك وسرف تسأون) يوم القيامة عنه وعن قيامكم

بمجموعة (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أي واسأل أممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك وفائدة هذا الجواز التنبه على أن المسؤول عنه عين مناطقت به السنة الرسل لا ما يقوله أممهم وعلماءهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم انما يخبرون عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أي هل حكم ابيعاد والاولئان وهل جاءت في ٤٤٦ في قوله من الملامم والمراد به الاستشهاد

باجماع الانبياء على التوحيد والتنبه على أنه ليس يبدع ابتدعه حتى يكذب وبعاذي (واقدا أرسلنا موسى بآياتنا) ملتبساً بها (الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين) أر يدباً فصاحه تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثرما أشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) أي فاجوا وقت ضحكهم منها أي استهزؤا بها اول مارأوها ولم يأمروا فيها (وما نزيهم من آية) من الآيات (الا هي أكبر من أختها) الا وهي بانفة أقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها والاوهى مخصصة بضرب من الاعجاز

الاقوال توجب حصول المنسكات الراسخة فينتقل الانسان من الرمد الى ان يصير اعشى فاذا واطب على تلك الحالة أياماً أخرى انتقل من كونه اعشى الى كونه أعشى فهذا ترتيب حسن موافق لما ثبت بالبراهين اليقينية روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا تصيحاً على الكفر وتنادياً في الغي فقال تعالى أوأنت تسمع الصبح أو تهدي العشى يعني أنهم بلغوا في الغفرة عنك وعن دينك ان حيث اذا سمعتهم القرآن كانوا كاذبهم واذا أريتهم المعجزات كانوا كالأعمى ثم بين تعالى ان صممهم وعماهم انما كان بسبب كونهم في ضلال مبين ولما بين تعالى ان دعوته لا تؤثر في قلوبهم قال فاما نذهم بك يريد حصول الموت قبل نزول النعمة بهم فانما منهم من تقمون بعدك أو نرى بك في حياتك ما وعدناهم من النذر والقتل فانما تتدرون على ذلك واهلم ان هذا الكلام يفيد كمال التسليية للرسول عليه السلام لانه تعالى بين أنهم لا تؤثر فيهم دعوته واليأس احدي الراحتين ثم بين انه لا بد وأن ينتقم لاجله منهم اما حال حياته أو بعد وفاته وذلك أيضا يوجب التسليية فيعد هذا أمره أن تمسك بما أمره الله تعالى به فقال فاستمسك بالذي أوحى اليك بأن تعتقد أنه حق وبأن تعمل بوجبه فانه الصراط المستقيم الذي لا يعيل عنه الاضلال في الدين ولما بين تأثير التمسك بهذا الدين في منافع الدين بين أيضا تأثيره في منافع الدنيا فقال وانه لذكر لك واقومك أي انه يوجب الشرف العظيم لك واقومك حيث يقال ان هذا الكتاب العظيم أنزله الله على رجل من قوم هؤلاء واعلم ان هذه الآية تدل على الانسان لا بد وأن يكون عظيم الرغبة في اثناء الحسن والذكر الجميل ولو لم يكن الذكر الجميل أمراً مرغوباً فيه لما من الله به على محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال وانه لذكر لك واقومك ولما طلبه ابراهيم عليه السلام حيث قال واجعل لي اسان صدق في الآخرين ولان الذكر الجميل قائم مقام الحياة الشريفة بل ان ذكر أفضل من الحياة لان أثر الحياة لا يحصل الا في مسكن ذلك السلي أما أثر الذكر الجميل فانه يحصل في كل مكان وفي كل زمان ثم قال تعالى وسوف تستلون وفيه وجوه (الاول) قال الكلبي تسألون هل أديتم شكر أنعامنا عليكم بهذا الذكرا الجميل (الثاني) قال مقاتل المراد أن من كتب به يسأل لم كذبه فيسأل سؤال توبيخ (الثالث) تسألون هل علمت بما دل القرآن عليه من التكليف واعلم أن السبب الأقوى في انكار الكفار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وابغضهم له أنه كان ينكر عبادة الاصنام فبين تعالى ان انكار عبادة الاصنام ليس من خواص دين محمد صلى الله عليه وسلم بل كل الانبياء والرسل كانوا مطمئنين على انكاره فقال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أ جعلنا من دون الرحمة آلهة يعبدون وفيه أقوال (الاول) دعناه واسأل مؤمنى اهل الكتاب أي أهل التوراة والانجيل فانهم سيخبرونك انهم يردون دين أحد من الانبياء عبادة الاصنام واذا كان هذا الامر متفقاً عليه بين كل الانبياء والرسل وجب ان لا يجعلوه سبباً لبعض محمد صلى الله

مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها (وأخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد وغيرها (اعلمهم) عليه (يرجعون) لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر (وقالوا يا أيها الساحر) نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية صتوهم ونهاية حياقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم

الحجر وقري الساجر يضم الهاء (ادخ تار بك) ليكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهدك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عن اهتدي او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والمناحة (اننا لمهندون) أي لوؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا دعوتك كقولهم لمن كشفت عنا الرجز لتؤمننك (فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوتهم (اذا هم ينكثون) فاجروا وقت ﴿ ٤٤٧ ﴾ نكث عهدهم بالاعتداء وقدمر تفصيله في الاعراف (ونادى

فرعون) بنفسه
أو يناديه (في قومه)
في محبتهم وفيما بينهم
بعد ان كشف العذاب
عنهم تخافذ أن يؤمنوا
(قال يا قوم أليس لي
ملك مصر وهذه
الانهار) أنهار النيل
والمعظمها أر بعسة
انهر نهر الملك ونهر
طواون ونهر مياط
ونهر نيس (تجري
من تحتي) أي من تحت
قصرى وأمرى وقيل
من تحت مصرى
لارتفاعه وقيل بين
يدى في جناتى وبساتينى
والواو اما عاطفة
لهذه الانهار على ملك
مصر تجري حال منها
أو للحال فهذه مبتدأ
والانها رصفتها
وتجري خبر للمبتدأ
(أفلاتبصرون) ذلك
يريد به استعظام
ملكه (أم أنا خير) مع
هذه المملكة والبسطة
(من هذا الذي هو
مهمين) ضعيف حقير
من المهانة وهي القلة

عليه وسلم) (واقول الثاني) قال عطاء عن ابن عباس لما أسرى به صلى الله عليه وسلم الى المسجد الأقصى بعث الله له آدم وجبريل المرسلين من ولده فأذن جبريل ثم أقام فقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة قال له جبريل عليه السلام واسأل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال صلى الله عليه وسلم لا أسأل لاني است شاك فيه (والقول الثالث) ان ذكر السؤال في موضع لا يمكن السؤال فيه يكون المراد منه النظر والاستدلال كقول من قال سل الارض من شق الهارك وغرس أشجارك وجرى نمارك فانها ان لم تجبك جوابا اجابك اعتبارا فهنا سؤال النبي صلى الله عليه وسلم على الانبياء الذين كانوا قبله تمتع فكان المراد منه انظر في هذه المسئلة بعقلك وتدبر فيها ففهمك والله أعلم ﴿ قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملآئه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذاهم منها يضحكون وماز بهم من آية الاهى كبر من آختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا ياها الساحر ادع انار بك بما عهد عندك اننا لمهندون فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلاتبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهمين ولا يكاد بين فلولا أنى عليه أسورة من ذهب أو جاءهمه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه وانهم كانوا قوما فاسقين فلما أمقونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعناهم سلفا واثلا للآخرين) وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم ان المقصود من اعادة قصة موسى عليه السلام وفرعون في هذا المقام تقرير الكلام الذي تقدم وذلك لان كفار قريش طعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كونه قتيلا عديم المال والجاه فبين الله تعالى أن موسى عليه السلام بعد ان أورد المعجزات القاهرة الباهرة التي لا يشك على صحيتها ما قل أورد فرعون عليه هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش فقال انى غنى كثير المال والجاه الأترون انه حصل لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي وأما موسى فانه فقير مهمين وليس له بيان واسنان والرجل الفقير كيف يكون رسولا من عند الله الى الملك الكبير الغنى فثبت ان هذه الشبهة التي ذكرها كفار مكة وهي قولهم اول انزل هذا القرآن على رجل من القريةين عظيم قد أوردناهم ايمانها فرعون على موسى ثم اننا انتقمنا منهم فأغرقناهم والمقصود من ايراد هذه القصة تقرير أمرين (أحدهما) ان الكفار والجهال ابدأ يمتحنون على الانبياء بهذه الشبهة الركيكة فلا يبالى بها ولا يلتفت اليها (والثاني) ان فرعون على غاية كمال حال الدنيا صار مقهورا باطلا فيكون الامر في حق أعدائك هكذا فثبت انه ليس المقصود من اعادة هذه القصة بل المقصود تقرير الجواب عن الشبهة المذكورة وعلى هذا فلا يكون هذا تقريراً للقصة البتة وهذا من نفائس الاجاث والله أعلم

(ولا يكاد بين) أي الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتقيضه عليه السلام في أعين الناس باعتبار ما كان في اسانه عليه السلام من نوع رثة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك وأم امانا قطعة والهمزة للتقرير كأنه قال اثر ما عدد اسباب فضله ومبىدى خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أنى أنا خير وهذه جالى من هذا الخ واما متصلة فالعنى افلا

تبصرون أم تبصرون خلائه وضع فوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصرا وهذا
من باب تنزيل السبب منزلة السبب ويجوز ان يجعل من تنزيل السبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب
فضله سبب على زعم حكيمهم بخبرته (فلولا أتى عليه أسورة من ذهب) أي فلهما أتى اليه مقابليد الملك ان كان
صادقا لما أنهم كانوا اذا سودوا رجلا سودوه وطوقوه ﴿ ٤٤٨ ﴾ بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرى

أساور جمع أسورة
وقرى أسورة جمع
أسوار بمعنى السوار
على تعويض السوار
من ياء أساور وقد
قرئ كذلك وقرئ
أتى عليه أسورة وأساور
على البناء للفاعل
وهو الله تعالى (أوجاء
معها الملائكة مفترنين)
مقروين يعينونه أو
يصدقونه من قرنته به
فافتن أو مفترنين
من افتن بمعنى تقارن
(فاستخف قومه)
فاستخفهم وطلب منهم
الخفة في مطاوعته
أو فاستخف أحلامهم
(فاطاعوه) في أمرهم
به (انهم كانوا قوما
فاسقين) فلذلك
سار عوا الى طاعة
ذلك الفاسق الغوي
(فلما أسفونا) أي
أغضبونا أشد الغضب
منقول من أسف اذا
أشد غضب (انتقمنا
منهم فأغرقناهم
جمعين) في اليم (فجعلناهم
سلفا) قدوة لمن بعدهم

(المسئلة الثانية) في تفسير اللفظ ذكر تعالى انه ارسل موسى باياته وهي المعجزات التي
كانت مع موسى عليه السلام الى فرعون وملأه أي قومه فقال موسى اني رسول رب
العالمين فلما جاءهم تلك الآيات اذاهم منها يضحكون قبل انه لما أتى عصاه صارا ثمانا ثم
أخذته فعاد عصا كل ضحكوا ولما عرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا
فان قيل كيف جاز ان يجاب عن ما اذا الذي يفيد المفاجأة فلنا ان فعل المفاجأة معها
مقدر كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم ثم قال وما نريهم من آية الا همي
ا كبر من أختها فان قيل ظاهر هذا اللفظ يقتضي كون كل واحد منها أفضل من الثاني
وذلك محال فلنا اذا أريد المباينة في كون كل واحد من تلك الاشياء بالغيا الى أقصى
الدرجات في التفضيل فقتيد كره هذا الكلام بمعنى انه لا يعمى في أناس ينظرون اليها ان
يقول هذا ان هذا أفضل من الثاني وأن يقول الثاني لابل الثاني أفضل وان يقول
الثالث لابل الثالث أفضل وحينئذ بصير كل واحد من تلك الاشياء متولا فبئانه أفضل
من غيره ثم قال تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون أي عن الكفر الى الإيمان
قالت المعتزلة هذا يدل على انه تعالى يريد الإيمان من الكل وانما أظهر تلك المعجزات
القاهرة لارادة ان يرجعوا من الكفر الى الإيمان قال القسرون ومعنى قوله وأخذناهم
بالعذاب أي بالاشياء التي سلبها عليهم كالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والشمس ثم قال تعالى وقالوا يا أيها السحار ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون
فان قيل كيف سمعوا بالسحار مع قواهم انما هتدون فلنا فيه وجوه (الاول) انهم كانوا
يقولون العالم الماهر ساحر لانهم كانوا يستعظمون السحر وكما يقال في زماننا في العامل
العجيب الكامل انه أتى بالسحر (الثاني) بأيها الساحر في زعم الناس ومتعارف قوم
فرعون كقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون أي نزل عليه الذكر في اعتقاده وزعم
(الثالث) ان قوامهم انما لمهتدون وقد كانوا عازمين على خلافة الأتري الى هوله فلما
كشفا عنهم العذاب اذاهم يكتفون فتسميتهم اياه لساحر لا ياتي في قولهم انما لمهتدون
ثم بين تعالى انه لما كشف عنهم العذاب شكروا ذلك العهد ولما حكى الله تعالى معاملة قوم
فرعون مع موسى حكى أيضا معاملة فرعون معه فقال ونادي فرعون في قومه والمعنى
انه أظهر هذا القول فقال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي يعني
الأنهار التي فصلوها من النيل ومعظمها أربعة نهر الملك . نهر دمياط ونهر
تلخس نيل كانت تجري تحت قصره وحاصل الامر انه اخرج بكثرة أمواله وقوة جاعده على
فضله نفسه ثم قال أم انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ومعنى يكونه مهينا كونه
فخيرا ضعيف الحال وبقوله ولا يكاد يبين حسنة كانت في لسانه واختلفوا في معنى
أم ههنا فقال أبو عبيدة مجازها بل انا خير وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله أفلا تبصرون
ثم ابتدأ فقال أم انا خير بمعنى بل انا خير وقال الباقون أم هذه متصلة لان المعنى

من الكفار يسلكون مسلكهم في استهجاب بل ما حل بهم من العذاب وهو امام صدر نعت به أوجع سالف أو افلا
كخدم جمع خادم وقرئ يضم السين واللام على أنه جمع سالف أي فر يق قد سلف كرفغف أو سالف كصبر أو سلف
كأسد وقرئ سلفا بابدال صمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أي ثلة قد سلفت (ومثلا للآخرين) أي عظة لهم
أو قصة مجيبة تسر مسر الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون

(والتأخرت ابن مريم **بلا**) أي ضرب به ابن الزبير حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال أهنا لنا ولا لهتنا أو لجميع الامم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولا لهتكم وجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة أليس النصراني يعبدون المسيح واليهود عزير او بنو ملاح الملايكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون **٤٤٩** نحن وأهملناهم ففرح به قومهم فحسبوا وارفتت

أفلا تبصرون أن تبصرون الا انه وضع قوله أباخير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وقال آخرون ان تمام الكلام عند قوله أم وقوله أباخير ابتداء الكلام والتقدير أفلا تبصرون أم تبصرون لكنه اكتفى فيه بذكر أم كما تقول لعريك أأكل أم أي أأكل أم لا تأكل تقتصر على ذكر كلمة أم اشارة للاختصار فكذا هي هنا فان قيل أليس أن موسى عليه السلام سأل الله تعالى أن يزيل الرثة عن لسانه بقوله واحلل حفة من لساني يفة هو واقولي فأعطاه الله تعالى ذلك بقوله قد أوتيت سؤلك يا موسى فكيف طاب فرعون بذلك الرثة (والجواب) عنده من وجهين (الاول) ان فرعون أراد بقوله ولا يكاديين جنه التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يردانه لا قدرته على الكلام (والثاني) انه طاب بما كان عليه أو لا وذلك أن موسى كان عند فرعون يمانا ملو بلا وفي لسانه حبسة فتسبه فرعون الى ما عهد عليه من الرثة لانهم يعلم ان الله تعالى أزال ذلك العيب عنهم فان فلو لا أتى عليه أسيرة من ذهب والمراد ان عادة التوم جرت بانهم اذا جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم سوره يسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب فطلب فرعون من موسى مثل هذه الخالة واختلاف القراء في اسورة فبعضهم قرأ اسورة وآخرون أسورة فاسورة جمع سرار لاذني العبد ككوكب حاروا حرة وغراب وغربة ومن قرأ أسورة فذلك لان أساور يرجع اسوار وهو اسوار فاسورة تكون الهاء عوضا عن الياء نحو يطيق وبطارقة وزندقة ويزي وفرازة فتكون أسورة جمع اسوار وحاصل الكلام يرجع الى حرف واحد هو ان فرعون كان يقول أنا أكثر ما ذرجاها فوجب أن أكون أفضل منه فيمتنع كونه رسولا من الله لان منصب النبوة يقتضي الخضوع والاحسان لا يكون محذوما لا شرف ثم المقام من التسمية هي قوله من كل أكثر ما ذرجاها فهو وأفضل وهي عين المقدمة التي تسك بها كقار قرشي في قوله لولا نزلها القرآن على رجل من القرشيين عديم نعم قال أوجاهه الملايكة فقترين يجوز أن يكون المراد قترين به من قولك قرته به فاقترن وان يكون من قولهم اقترنوا بمعنى تقارنوا قال الزجاج معناه يشور به معد فيدعون على صحة نبوتهم ثم قال تعالى فاستخف قومك فاطاعوه أي طلب منهم الخفة في الاتيان بما كان أمرهم به بأطاعوه أي اطاعوا فاقوا ما فاستخف حيث أطاعوا ذلك الجاهل الفاسق فلما آفونا غصنا ونأحكي أن ابن جريح غضب في شيء فقيل له أنت غضب بأباطند فقال قد غضب الذي خلق الاحلام ان الله يقول فلما آفونا أي أغضبونا ثم قال تعالى انتقمنا منهم واعلم ان ذكر لفظ الاسف في حق الله تعالى محال وذكر لفظ الانتقام وكل واحد منهما من التشابهات التي يجب أن يسار فيها الى التأويل ومعنى الغضب في حق الله ارادة العقاب ومعنى الانتقام ارادة العقاب لجرم سابق ثم قال تعالى فجعلناهم سافكا ومثلا للسفك كل شيء قدم من عمل صالح أو قرض فهو سلف والسلف أيضا من تقدم من آتاك وأقاربك واحدهم سالف ومنه قول طفيل يرثي قومه

فمن أول الامر عند سماع **٥٧** سا الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما أجهلك قوماك أما فهمت أن ما لنا لا يشق وانما يخص عليه السلام هذا الحكم بأنهم من بين سأل العاجز عن الخصوص والعموم **٥٨** بما ذكر من اختصاص كل ما غير العقل لان اخراج بعض العبودين منه عند الحاجة موهب للخصصة في عبادته في الجملة فعمد عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجماع الاشتراك في العبودية

من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عند الشياطين التي أمرتهم بذلك ان الملائكة والسيح يعملون
ان يكونوا معبودهم كما نطق به قوله تعالى سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآبية وقدم تحقيق المقام عند
قوله تعالى ان الذين سبقتهم من الحسنى الآبية بل انما كان ما أظهره من الاحوال المنكرة لحض وقاحتهم وتها لكهم على
المكارة والعناد كما نطق به قوله تعالى (ما ضرب بولك * ٤٥٠) الاجدلا أي ما ضرب بولك ذلك المثل الا لاجل الجدال

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم * وصرف المئابا بالرجال تغلب

فعلى هذا قال الفراء والزجاج يقول جعلناهم متقدمين ليعظ بهم الآخرون أي جعلناهم
سلفا للكفار أمه محمد عليه السلام وأكبر الفراء قروا بالفتح وهو جمع سالف كاذكرناه وقرأ
جزرة والكسائي سلفا بالضم وهو جمع سلف قال الليث يقال سلف بضم اللام بسلف ساوفا
فهو سلف أي متقدم وقوله ومثلا للاخرين يريد عظة لمن بقي بعدهم وآية وعبرة قال أبو علي
الفارسي المثل واحد يراد به الجموع ومن ثم عطف على سلف والدليل على وقوعه على أكثر
من واحد قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه فأدخل تحت
المثل اثنين والله أعلم * قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون
وقالوا آللهتنا خير مما ضرب الله مثلا لابل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا
عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولولوا شاء لجمعنا منكم ملائكة في الارض تغلفون وانه
لعلم للساعة فلا تترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم
عدو مبين) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) اعلم انه تعالى ذكر أنواعا كثيرة من كفر باتهم
في هذه السورة وأجاب عنها بالوجوه الكثيرة (فأولها) قوله تعالى وجعلناه من عباده
جزأ (وثانيها) قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انانا (وثالثها) قوله
وقالوا لو شاء ازحن ما عبدناهم (ورابعها) قوله وقالوا والازل هذا القرآن على رجل من
القرينين عظيم (وخامسها) هذه الآية التي نحن الآن في تفسيرها ونفط الآية لا يدل
الا على انه لما ضرب ابن مريم مثلا أخذ القوم يضجون ويرفون أصواتهم فاما ان ذلك
المثل كيف كان وفي أي شيء كان فاللفظ لا يدل عليه والمفسرون ذكروا فيه وجوها كلها
محملة (فالاول) ان الكفار لما سمعوا ان النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا عبدوا عيسى
فآلهتنا خير من عيسى وانما قالوا ذلك لانهم كانوا يعبدون الملائكة (الثاني) روى انه لما
نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال عبد الله بن الزبير هذا
خاصة لنا ولا آلهتنا أم لجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم بل لجمع الامم فقال خصمك
ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه خيرا وعلى أمه وقد علمت ان
النصارى يعبدونها واليهود يعبدون عزرا والملائكة يعبدون فاذا كان هؤلاء في النار
فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وفرح القوم
وضحكوا وضحوا فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون
ونزلت هذه الآية أيضا ولما ضرب عبد الله بن الزبير عيسى بن مريم مثلا وجادل
رسول الله بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش مندأى من هذا المثل يصدون أي يرتفع
لهم ضجيج وجاية فرحا وجدلا وضحكا بسبب ما رأوا من اسكات رسول الله فانه قد جرت
العادة فان احد الخصمين اذا انقطع أطهر الخصم الثاني الفرحة والضحج وقالوا آللهتنا
خير أم هو يعنون ان آلهتنا عندك ايست خيرا من عيسى فاذا كان عيسى من حصب

والخصام لا يطلب الحق حتى
يذعنوا له عند ظهوره بيبانك
(بل هم قوم خصمون) أي
لشداد الخصومة محبوبون
على الحكم واللباح وقيل
لما سمعوا وقوله تعالى ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب قالوا نحن اهدى من
النصارى لانهم عبدوا آدميا
ونحن نعبد الملائكة فترأت
فقولهم آللهتنا خير أم هو
حينئذ تفضل آللهتهم على
عيسى عليه السلام لان المراد
بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه
الح ما قالوا هذا القول
الا للجدل وقيل لما نزلت ان
مثل عيسى الآيقا واما يريد
بجد بهذا الأبن زعيده وأنه
يستأهل ان يعبد وان كان بشرا
فعبدت النصارى المسيح وهو
بشر ومعنى يصدون يضجون
ويضجرون والضمير في أم هو
لمحمد عليه الصلاة والسلام
وغر ضربه بالموازنة بينه عليه
السلام وبين آلهتهم الاستهزاء
به وقد جوز ان يكون مراده
الناصن عما ذكر عليهم من
قوايه الملائكة بنات الله
تعالى ومن عبادتهم لهم
كانهم قالوا ما قننا بدعائن

القوا ولا نعلمنا منكر من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فتمن أشف منهم فولا وفلا * جهنم *
حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى (ان هو الا عبد انعمنا عليه) أي بانوة (وجعلناه مثلا لبني
اسرائيل) أي أمر العجيبا حتى يقان بسيد ذكره كالمثل السائرة على الوجه الاول استئناف مسوق لتزبيد عليه السلام
عن أن ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحاً بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى

الآية وقية تنبيه على بطلان رأي من زعم عن زمنية اليهودية وتعرض بقصد رأي من روي رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني
والرابع ابيان أنه قاس باطل أو باطل على زعمهم وما عيسى الاعبد كسائر العبيد صاري أمره أنه من انعمنا عليهم بالنبوة
وخصصناه ببعض الخوص البديع ان خلقنا بوجد بدع وقد خلقنا آدم بوجه ابداع من فابن هو من رتبنا ابو يعقوب من أين
يتوهم صحة مذهب عيسيه حتى يتفخر عبدة ٢٥١ الملائكة بكونهم أهدي منهم أو يعتذروا بان حالهم أوقف

أو أخف من حالهم وأما على
الوجه الثالث فهو وزدهم
وتكذيبهم في افتراءهم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيان أن عيسى في اساقفة تدوم
أوحى الى الرسول عليها الصلاة
والسلام ليس الا أنه عبدهم
عليه كاذر فكيف يرضى عليه
السلام بعبوديته أو كيف
يتوهم الرضا بعبودية نفسه
وقوله تعالى (واولئاء) الخ
لتحقيق أن مثل عيسى عليه
السلام ليس يدع من قدرة الله
وأنة تعالى قادر على ابداع من
ذلك وأربع مع التنبيه على
سقوط الملائكة أيضا من درجة
المعبودية أي قدرتنا بحيث أو
نشاء (جعلنا) أي خلقنا بطريق
التوالد (منكم) وأتم رجال
ليس من شأنكم الولادة
(ملائكة) كما خلقناهم بطريق
الابداع (في الارض) مستقرين
فيها كما جعلناهم مستقرين في
السماء (يخلفون) أي يخلفونكم
مثل أولادكم فيما أتون وما تدرور
ويباشرون الافاعيل المنوطة
بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح
والتقديس في السماء في شأنهم
بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة
الربانية كيف يتوهم استحقاقهم

جهنم كان أمر آلهتنا أهون (الوجه الثالث) في التأويل وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما حكى أن النصارى عبدوا المسيح وجعلوه الها لأنفسهم قال كفار مكة ان محمد ايريد أن
يجعل لنا الها كما جعل النصارى المسيح الها لأنفسهم ثم عندهم هذا قوا أآلهتنا خير أم هو
يعنى أآلهتنا خير أم محمد وذكروا ذلك لاجل انهم قالوا ان محمد ايدعوننا الى عبادة نفسه
وأباؤنا رعو انه يجب عبادة هذه الاصنام واذ كان لا بد من أحد هذين الأمرين فعبادة
هذه الاصنام أولى لان آباءنا واسلافنا كانوا مطابقيين عليه وأما محمد فانه متهم في أمرنا
بعبادته فكان الاشتغال بعبادة الاصنام أولى ثم انه تعالى بين ان الم نقل ان الاشتغال بعبادة
المسيح طريق حسن بل هو كلام باطل فان عيسى ليس الاعبد انعمنا عليه فاذا كان الأمر
كذلك فقد زالت شبهتهم في قولهم ان محمد ايريد أن يأمرنا بعبادة نفسه فهذه الوجوه
الثلاثة مما يحتمل كل واحد منها لفظ الآية (المسئلة الثانية) قرأنا نافع وابن عامر والكسائي
وأبو بكر عن عاصم يصدون بضم الصاد وهو قراءة على بن أبي طالب عليه السلام والباقر
بكسر الصاد وهي قراءة ابن عباس واختلفوا فقال الكسائي هما بمعنى نحو يعرشون
ويعرشون ويعكفون ويعكفون ومنهم من فرق أما القراءة بالضم فن الصدود أي من
أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وأما بالكسرة فعناه يصدون (المسئلة
الثالثة) قرأ عاصم وحركة والكسائي آلهتنا استغفها ما بجزئين الثانية مطولة والباقر
استغفها ما بجزء ومدة ثم قال تعالى ما ضرب بولك هذا المثل الا لاجل
الجدل والغلبة في القول لا لطلب الفرق بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون مبايعون
في الخصومة وذلك لان قوله انكم وما تعبدون من دون الله لا يتناول الملائكة وعيسى وبيانه
من وجوه (الاول) ان كلمة ما لا تتناول العقلاء البتة (والثاني) ان كلمة ما ليست صريحة في
الاستغراق بدليل انه يصح ادخال لفظي الكل والبعض عليه فيقال انكم وكل ما تعبدون
من دون الله انكم وبعض ما تعبدون من دون الله (الثالث) ان قوله انكم وكل ما تعبدون
من دون الله أو وبعض ما تعبدون خطاب مشافهة فلهذا ما كان فيهم أحد يعبد المسيح
والملائكة (الرابع) ان قوله انكم وما تعبدون من دون الله هب انه عام الا ان النصوص
الدالة على تعظيم الملائكة وعيسى أخص منه والخاص مقدم على العام (المسئلة الرابعة)
القائلون بدم الجدل تمسكوا بهذه الآية الا انها قد ذكرنا في تفسير قوله تعالى ما يجادل في
آيات الله الا الذين كفروا ان الآيات الكثيرة دالة على ان الجدل موجب للهدم والثناء
وطريق التوفيق ان تصرف تلك الآيات الى الجدل الذي يفيد تقرير الحق وان تصرف
هذه الآية الى الجدل الذي يوجب تقرير الباطل ثم قال تعالى ان هو الا عبدا انعمنا عليه
يعنى ما عيسى الاعبد كسائر العبيد انعمنا عليه حيث جعلناه آية بان خلقناه من غير أب كما
خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصبرناه عبرة عجيبة كالل سائر واولئنا جعلناهم اولادنا
منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى

للمعبودية وانتم سابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا (واته) وان عيسى (اعلم للساعة) أي انه يتزوله شرط من أشرطها وتسميته
علما لخصوله به أو بحدوثه بغير أب أو باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة
في الساعة وقرى علم أي علامة وقرى للعلم وقرى لذكر على تسمية ما يذكر به ذكر التسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى
عليه السلام ينزل على نبيه

بالارض المقدسة يقال لها أفتيق ويده حربية وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح
في آخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب
وتخرب البيعة وانكناشس ويقتل النصراري الامن آمريه وقل الضمير ثم يقرأ القرآن في الاعلام بالساعة (فلا تترن بها)
فلا تترن في وقوعها (واتبعوا) أي واتبعوا هداى أو شرعى في ٤٥٢ أورسوس وقل هو قول الرسول ما موراً من

من قدس فعل انرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة وانرفوا ان دخول التولد والتولد في
اللائكة أمر ممكن وذات الله متعالية عن ذلك وان عيسى اعلم تساعة أي شرط من
أشراط انجيلي بمعنى الشرط الدال على الثبوت عظم الحصول العلم به وقرأ ان عباس اعلم
وهو الملائمة وقريباً اعلم وقرأ أي لشكر وفي الحديث ان عيسى ينزل على لذة في الارض
المقدسة يقال لها أفتيق ويده حربية وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في
صلاة الصبح والامام يوم يوم في آخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد
صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيعة وانكناشس ويقتل
النصراري الامن آمريه بدلائل تترن بها من الرتبة والشك والتبعون واتبعوا هداى وشرعى
هذا صراط مستقيم أي هذا الذي ادعواكم اليه صراط مستقيم ولا يصدكنم الشيطان انه
لكم هدو سبين قد بانته عداوته لكم ، جل انه هو الذي أخرج ناكم من الجنة ونزع عنه
لباس النور * قوله تعالى (ولمجا عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم
بعض الذي تخفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل
ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) اعلم انه تعالى ذكر انه لمسا به عيسى
بالمعجزات وبالشرائع البينات الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة وهي معرفة ذات الله
وصفاته واقفائه ولا بين لكم بعض الذي تخفون فيه يعني ان قوم موسى كانوا قد اختلفوا
في أشياء من أحكام التكليف واتفقوا على أشياء فجا عيسى يشين لهم الحق في تلك
المسائل الخلافية وبالجملة فالحكمة معناها أصول الدين وبعض الذي يختلفون فيه معناه
فروع الدين فان قيل لم يبين لهم كل الذي يختلفون فيه قلنا لان الناس قد يختلفون في
أشياء لا حاجة بهم الى معرفتها فلا يجب على الرسول بيانها ولمسا به الاصول والفروع قال
فاتقوا الله في الكفر به والاعراض عن دينه وأطيعون فيما أباغه اليكم من التكليف
ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم والمعنى ظاهر فاختلف الاحزاب أي
الفرق المتخربة بعد عيسى وهم الملكانية واليعقوبية والنسطورية وقبل اليهود
والتصاري فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم وهو وعيديوم الاحزاب فان قيل قوله
من بينهم الضمير فيه الى من يرجع قلنا الى الذين خاطبهم عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة
وهم قومه ثم قال هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقلنا ان تأتيهم بغتة فقلنا ان تأتيهم بغتة
والمعنى هل ينظرون الا بيان الساعة فان قالوا قوله بغتة يفيد عين ما يفيد قوله وهم
لا يشعرون فالقائدة فيه قلنا يجوز أن تأتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب انهم يشاهدونه
* قوله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عبادى لا خوف عليكم اليوم
وما أنتم بحزنون الذين آمنوا باياتنا وكانوا مسلمين ادخاوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون
يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهون الانفس وتلد الاعين وأنتم فيها

جهته تعالى (هذا) أي الذي
ادعواكم اليه أو قرآن على أن
الضمير في انه (صراط مستقيم)
موصول الى السابق (ولا يصدكنم
الشيطان) عن اتباعي (انه
لكم هدو سبين) بين عداوته
حيث أخرج أباكم من الجنة
وعرصكم للبيعة (ولمجا عيسى
بالبينات) أي بالمعجزات أو بآيات
الانجيل أو بالشرائع
الواضحات (قال) اي
اسرائيل (قد جئتكم بالحكمة)
أي الانجيل أو الشريعة (ولا بين
لكم) عطف على مقدر ينبت
عنه الجبري بالحكمة كأنه قيل
قد جئتكم بالحكمة لا اعلمكم
اياها ولا بين لكم (بعض الذي
تخفون فيه) وهو ما يتعلق
بامور الدين وأما ما يتعلق بامور
الدنيا فليس بيانه من وظائف
الانبياء عليهم السلام كما قال عليه
السلام أنتم اعلم بامور دنياكم
(فاتقوا الله) في مخالفتي
(وأطيعون) فيما أباغه عنه تعالى
(ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه)
بيان لما أمرهم بالخاطفة فيه وهو
اعتقاد التوحيد والتعبود
بالشرائع (هذا) أي التوحيد
والتعبود بالشرائع (صراط
مستقيم) لا يشغل سالكه وهو

امان تحت كلامه عليه السلام واستداف من جهته تعالى مقر لمقابلة عيسى عليه السلام (فاختلف الاحزاب) * خالدون *
الفرق في المخزبة (من بينهم) أي من بين من بعث اليهم من اليهود والتصاري (فويل للذين ظلموا) من المختلفين (من عذاب
يوم أليم) هو يوم القيامة (هل ينظرون) أي ما ينظر الناس (الا الساعة أن تأتيهم) أي الا بيان الساعة (بغتة) اي فجأة لكن
تد أولهم مترقبين لها بل غالمين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكربين لها وذلك قوله

تعالى (وهي لا شعرون الاخلاء) المحابون في الدنيا على الاطلاق اوفى الامور الدنياوية (يومئذ) يوم اذ تأتيهم الساعة
(بعضهم لبعض عدو) لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعقاب (الالمتقين) فان خلتهم
في الدنيا فكانت في الآخرة على جانبها بل تزداد بشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول
متصل على الثاني منقطع (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا يوم الاخرى) حقاية لما ينادي به القوم المحابون

في الله يومئذ نذريفا لهم
وتدبيره انزلو بهم (الذين آمنوا
بآياتنا) صفوة لما ندى ارضيب
على المسح (وكاوا مسلمين)
أى تخمين وجوههم لنا
جاءين أنفسهم سالدا لطاعتنا
وهو طان من وامنوا عن
مقاتل اذ ابعث الله الناس فزع
كل احد فينادي مناديا عبادي
فيرفع الخلائق رؤسهم على
الرجائم يتبعها الذين آمنوا
الآية فيكس أهل الايمان
الباطلة رؤسهم (ادخلوا الجنة
انتم يا أزواجكم) نساؤكم
المؤمنات (تخبرون) تسرون
سروروا بظهور جباره أى أثره
على وجوهكم أو تزبون من
الحيرة وهو حسن الهيئة
أو تكرمون اكراما بليغا والحيرة
البالغة فيما وصف بحميل
(يطاف عليهم) بعد دخولهم
الجنة حسب أمر ربه (بصحاف
من ذهب واكواب) كذلك
والصحاف جمع صحفة قبل هي
كالقصعة وقبل أعظم القصاع
الجنة ثم القصعة ثم الصحفة
ثم المكيلة والاكواب جمع كوب
وهو كوز لا عروة له (وفيها)
أى في الجنة (ما تشبهه الانفس)
من فنون الملاذ وفرى ما تشتهي

خالد ، وثبات الجنة التي أورتهم بها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها
تأكلون) اعلم انه تعالى لما قال هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة ذكر عقبيه بعض
ما يتعلق باحوال القيامة (فاولها) قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
والعق الاخلاء في الدنيا يومئذ يعني في الآخرة بعضهم لبعض عدو بمعنى ان الخلة اذا
كانت على العصبية والكفر صارت عداوة يوم القيامة الا للمتقين يعني المؤمنين الذين
يخال بعضهم بعضا على الايمان والشورى فان خلتهم لا تصير عداوة للحكام في تفسير هذه
الآية طريق حسن قانون المحبة أمر لا يحصل الا عند اعتقاد حصول خير أو دفع ضرر
ففي حصول هذا الاعتقاد حصلت المحبة لا محالة ومتى حصل الاعتقاد انه يوجب ضررا حصل
البغض وانقرة اذ اعرفت هذا فنقول تلك الخيرات التي كان اعتقاد حصولها يوجب
حصول المحبة اما أن تكون قابلة للتغير والتبدل أولا تكون كذلك فان كان الواقع هو
النسب الاول وجب أن تبدل تلك المحبة بالثغرة لان تلك المحبة لما حصلت لا تتباد حصول
الخير وراحمه فاذا زال ذلك الاعتقاد وحصل عقبيه اعتقاد أن الحاصل هو الضرر والالم
وجب أن تبدل تلك المحبة بالبعضة لان تبدل العلة يوجب تبدل الماثل أما اذا كانت
الخيرات الموجبة للمحبة خيرات باقية أبدية غير قابلة للتبدل واتغيرت تلك المحبة أيضا
محيطة بآية آمنة من التغير اذ اعرفت هذا الاصل فنقول الذين حصلت بينهم محبة ومودة
في الدنيا ان كانت تلك المحبة لاجل طلب الدنيا وطياتها ولذا انها فهذا الطالب لا يتقي في
القيامة بل يصير طلب الدنيا سببا لحصول الآلام والآفات في يوم القيامة فلا جرم تقلب
هذه المحبة الدنياوية بغضة ونفرة في اقامة أمان كان الموجب لحصول المحبة في الدنيا
الاشراك في محبة الله وفي خدمته وطاعته فهذا السبب غير قابل للتسخ والتغير فلا جرم
كانت هذه المحبة باقية في القيامة بل كأنها تصير أقوى وأصنى وأكمل وأفضل مما كانت
في الدنيا فهذا هو التفسير المطابق لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
(الحكم الثاني) من أحكام يوم القيامة قوله تعالى يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا يوم
تخزونون وقد كررنا مرارا ان عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالموثمين الطبيعيين
المتقين فقوله يا عبادي كلام الله تعالى فكان الحق يخاطبهم بنفسه ويقول لهم يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا يوم تخزونون وفيه أنواع كثيرة مما يوجب التفرح (أولها) ان الحق
سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة (وثانيها) انه تعالى وصفهم بالعبودية وهذا
تشريف عظيم يدل انما أراد ان يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال سبحان
الذي أسرى بعبيد (وثالثها) قوله لا خوف عليكم اليوم فزال عنهم الخوف في يوم القيامة
بانكيتهم وهذا من أساطير النعم (ورابعها) قوله ولا يوم تخزونون فنتى عنهم الحزن بسبب فوت
الدنيا الماضية ثم قال تعالى الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قبل الذين آمنوا مبتدأ وخبره
مضمر والتقدير يقال لهم ادخلوا الجنة ويحتمل أن يكون المعنى أعني الذين آمنوا قال

(ونفذ الاعين) أى تسليته وتفر بمشاهدته وقرى وتذره (وأتم فيها خالدون) انعام النعمة واكبال السرور فان كل نعم له
زوال بالآخرة مقارنة لخوفه لا محالة والالقاء للتشريف (وتلك الجنة) مبتدأ وخبر (التي أورتهم بها) وقرى ورتبها
(بما كنتم تعملون) في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالبر ان لا يتخلف العامل عليه وقبل تلك الجنة
مبتدأ وصفه والوصول مع صلته خيره وقيل هو وصف الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون

فتمتق الباء بمخدوف لا باور ثموها كافي الاواين (لكم فيها فاكهة كثيرة) بحسب الاواع والاصنافي لا بحسب الافراد فقط
(منها تأكلون) أي بعضها تأكلون في كل نوبة وأما الباقي فعلى الأشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلقت عن ثمرة خلقة
فهى مزينة بالثمار أبدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يذبح ربح في الجنة من ثمرة الا ابت مثلها مكانها
(ان المجرمين) أي الراسخين في الاجرام وهم الكفار ﴿ ٤٥٢ ﴾ حسبا ينبي عنه ابراهيم في مقابلة المؤمنين بالآيات

(في عذاب جهنم خالدون)
خيران أو خالدون هو الخبر
وفي متعلقة به (لا يفتقر عنهم)
أي لا يخفف العذاب عنهم
من قولهم ففرت عنه الحمى
اذا سكنت قليلا والتركيب
للضعف (وهم فيه) أي
في العذاب وقرئ فيها أي
في النار (مبلسون) أي
من النجاة (وما ظلمناهم) بذلك
(ولكن كانوا هم الظالمين)
لنعر يرضهم انفسهم للعذاب
الخالد (ونادوا) خازن النار
(يامالك) وقرئ يامال على
الترخيم بالضم والكسر وعله
رغم الى ضعفهم وعجزهم
عن تأدية اللفظ بتمامه (اي
علينا بك) أي ايما حتى
نستريح من قضى عليه اذا أمانه
والمعنى سل ربك أن يقضى
علينا وهذا لا ينافي ما ذكر
من ابلاسهم لانه جوارون من
للوت لقرط الشدة (قال انكم
ما كثرون) أي في العذاب أبدا
لا خلاص لكم منه يموت
ولا يفتره عن ابن عباس رضى
الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد
ألف سنة وقيل بعد مائة وقيل
بعد أربعين سنة (وقد جئناكم
بالحق) في الدنيا برسال الرسل
وانزال الكتب وهو خطاب

مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناديا ينادى لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا
النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فتكس أهل الايمان
الباطلة رؤسهم (الحكم الثالث) من وقائع القيامة انه تعالى اذا آمن المؤمن من الخوف
والمرن وجب ان يمر حسابهم على أسهل الوجوه وعلى أحسنها ثم يقال لهم ادخلوا الجنة
أنتم وأزواجكم تحبون والحبيرة البالغة في الاكرام فيما وصف بالجليل يعني بكرمون اكراما
على سبيل المبالغة وهذا ما سبق تفسيره في سورة الروم ثم قال يطاف عليهم بصحاف من
ذهب وأكواب قل انفراء الكوكب المستدير الرأس الذي لأذن له فقوله يطاف عليهم
بصحاف من ذهب إشارة الى المطهوم وقوله وأكواب إشارة الى المشروب ثم انه تعالى ترك
التفصيل وذكر بيانها كليا فقال وفيها ما تشبهه بالانفس ونلد الاعين وأنتم فيها خالدون ثم
قال وتلك الجنة التي أوردتموها بنا كمنتم تعملون وقد ذكرنا في وراثة الجنة وجهين في تفسير
قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ولما ذكر الطعام والشراب فيما تقدم
ذكره هنا حال الفاكهة فقال لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون واعلم انه تعالى بعث
محمد صلى الله عليه وسلم الى العرب أولا ثم الى العالمين ثانيا والعرب كانوا في ضيق شديد
بسبب المأكول والمشروب والفاكهة فلهم هذا السبب تفضل الله تعالى عليهم بهذه المعاني
مرة بعد أخرى تكميلا لرضياتهم وتقوية لبدانهم ﴿ قوله تعالى ﴾ ان المجرمين في عذاب
جهنم خالدون لا يفتقر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا
يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ما كثرون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق
كارهون أم أبرموا أمرا فانما مبرمون أم يحسبون اننا لنسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا
لديهم يكذبون اعلم انه تعالى لما ذكر الوعد أردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القرآن
وفيه مسائل (المسئلة الاولى) احتج القاضي على القاطع بوعيد الفاسق بقوله ان المجرمين
في عذاب جهنم خالدون لا يفتقر عنهم وهم فيه مبلسون ولفظ المجرم يتناول الكافر والفاسق
فوجب كون الكل في عذاب جهنم وقوله خالدون يدل على الخلود وقوله أيضا لا يفتقر عنهم
يدل على الخلود والدوام أيضا (والجواب) ان ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على ان
المراد من لفظ المجرمين هم الكفار أما ما قبل هذه الآية فلانه قال يا عبادي لا خوف
عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فهذا يدل على أن كل من
آمن بآيات الله وكانوا مسلمين فانهم يدخلون تحت قوله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم
ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين والفاسق من أهل الصلاة آمن بالله تعالى
وبآياته وأسلم فوجب أن يكون داخل تحت ذلك الوعد ووجب أن يكون خارجا عن هذا
الوعيد وأما ما بعد هذه الآية فهو قوله لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون
والمراد بالحق همنا اما الاسلام واما القرآن والرجل المسلم لا يكره الاسلام ولا القرآن
ثبت ان ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على أن المراد من المجرمين الكفار والله أعلم

تويخ وتفرج من جهه الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى (ولكن) المسئلة
أكثركم للحق) أي حق كان (كارهون) لا يقبأونه وينفرون عنه وأما الحق المعهود الذي هو التوحيد أو القرآن فكلهم
كارهون له مشتمون منه (أم أبرموا أمرا) كلام مبتدأ ناع عن المشركين ما فعلوا من الكيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من تويخ أهل النار الى حكاية جنانية هو الولد والهجرة

لا انكار فان اراد بالارام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاد وان اراد بالاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستبعاد أي أأرم مشركو مكة أمر من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانما يرمون) كيدنا حقيقة لاهم أو فانا يرمون كيدناهم حقيقة كما ارموا كيدهم صورة كذواه تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في أديبتهم وبتشاورون في أمورهم ٤٥٥ عليه الصلاة والسلام (أم يحسبون) أي بل أيحسبون

(المسئلة الثالثة) انه تعالى وصف عذاب جهنم في حق الجرمين بصفات ثلاثة (أحدها) الخلود وقد ذكرنا في مواضع كثيرة انه عبارة عن طول المكث ولا يفيد الدوام (وثانيها) قوله لا يفتر عنهم أي لا يخفف ولا ينقص من قولهم فثرت عند الحمى اذا سكنت ونقص حرها (وثالثها) قوله وهم فيه ملبسون والملبس الياثس الساكت سكوت يائس من فرج عن الضحك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يقفل عليه فيبيد خالدا لا يرى ولا يرى قال صاحب الكشاف وقرئ وهم فيها أي وهم في النار (المسئلة الثالثة) احتج القاضي بقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فقال ان كان خلق فيهم الكفر ليدخلهم النار فما الذي نفاه بقوله وما ظلمناهم وما الذي نسبه اليهم مما نفاه عن نفسه أو ليس لو أثبتناه ظلما لهم كان لا يزيد على ما يقوله القوم فان قالوا ذلك الفعل لم يقع بقدره الله عز وجل فقط بل انما وقع بقدره الله مع قدرة العبد معاذل يكن ذلك ظلما من الله قلنا عندكم ان القدرة على الظلم موجبة للظلم وخالف تلك القدرة هو الله تعالى فكأنه تعالى لما فعل مع خلق الكفر قدرة على الكفر خرج عن أن يكون ظلما لهم وذلك محال لان من يكون ظلما في فعل فاذا فعل معه ما يوجب ذلك الفعل يكون بذلك أحق يقال للناضى قدرة العبد هل هي صالحة للطرفين أو هي متعينة لاحد الطرفين فان كانت صالحة لكلا الطرفين فالترجيح ان وقع لالمرجع لزم نفي الصانع وان افتقر الى مرجع عند انقسام الاول فيد ولا بد وأن ينتهي الى داعية مرجحة يفتقها الله في العبد وان كانت متعينة لاحد الطرفين فحينئذ يلزمك ما أوردته علينا واعلم انه ليس الرجل من يرى وجه الاستدلال فيذكره انما الرجل الذي ينظر فيما قبل الكلام وفيما بعده فان رآه واردا على مذهبه بعينه لم يذكره والله أعلم (المسئلة الرابعة) قرأ ابن مسعود ما لم يحذف الكاف للترخيم فقيل لابن عباس ان ابن مسعود فرأوا نادوا يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن هذا الترخيم وأجيب عنه بأنه لما حسن هذا الترخيم لانه يدل على أنهم باعوا في الضعف والحقافة أي حيث لا يمكنهم ان يذكروا من الكفاية الا بعضها (المسئلة الخامسة) اخذوا في ان قولهم يا مالك ليتض علينا ربك على أي وجه طلبوه فقال بعضهم على التثني وقال آخرون على وجه الاستغاثة والافهم عالمون بأنه لا خلاص لهم عن ذلك العقاب وقيل لا يعدن يقال انهم أشد معاهم فيه من العذاب نسوا تلك المسئلة فذكروه على وجه الطلب ثم انه تعالى بين ان مالك يقول لهم انكم ما تكونوا ويس في القرآن من أجابهم هل اجابهم في الحال أو بعد ذلك بعدة وان كان بعد ذلك فهل حصل ذلك الجواب بعد ذلك السؤال بعدة قليلة أو بعدة طويلة فلا يتم أن توخر الاجابة استخفا فاجابهم وزيادة في غمهم فمن عبدالله بن عمر بعدار بعين سنة وعن غيره بعد ما نده سنة وعن ابن عباس بعد ألف سنة والله أعلم بذلك المقدار ثم بين تعالى ان مالك لما أجابهم بقوله انكم ما تكونوا ذكر بعده ما هو كالعلة لذلك الجواب فقال لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون والمراد نفرتهم عن محمد وعن القرآن وشدة

(أنا لا نسمع سرهم) وهو ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم في مكان خال (ونحوهم) أي ما نكلموا به فيما بينهم بطريق التامحي (بلى) نحن نسئهما ونطلع عليهما (ورسلنا) الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلزمونهم أنما كانوا (أديبتهم) عندهم يكتبون أي يكتبونهما أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونحوهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى أو حال أي نسئهما ونطلع عليهما أن رسلنا يكتبون (قل) أي للكفرة تحقير الحق وتبنيها لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست ابغضك وعداوتك لهم أو لمعبودهم بل انما هو لجنمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى (ان كان للرحمن) وادفانا أول العابدين) أي له وذلك لانه عليه الصلاة والسلام اعلم الناس بشؤنه تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز وأولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيمه والوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استئزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما عرّب عنه ايراد ان مكانه لو المنبثقة عن امتناع مقدم الشريعة وقيل ان كان للرحمن ولد فزعكم فانا أول العابدين لله تعالى وقيل فانا أول الآتقين أي المستكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبدي بعد

لا يجوز أولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيمه والوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استئزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما عرّب عنه ايراد ان مكانه لو المنبثقة عن امتناع مقدم الشريعة وقيل ان كان للرحمن ولد فزعكم فانا أول العابدين لله تعالى وقيل فانا أول الآتقين أي المستكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبدي بعد

إذا اشتد أُنْفَعُ وقيل إن نافية أي ما كان للرحمن والمدفانا أول من قال بذلك وقرئ ولد (سبحان رب السموات والأرض رب العرش
عما يصفون) أي يصفونه به من أن يكون له ولد وفي إضافة اسم الرب إلى أعظم الأجرام وأقواها تنبيه على أنه وما فيها
من الخوقات حيث كانت تحت ملكوته ورؤيته كيف توهم أن يكون شيء منها جزءاً منه سبحانه وفي تكرار اسم الرب تعظيم
لشأن العرش (قدرهم) حيث لم يدعوا للخلق بعد ما سمعوا هذا البرهان ﴿ ٤٥٦ ﴾ الجلي (تجسسوا) في أطلابهم

بعضهم أقبول الدين الحق فان قيل كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس قلنا
تلك أزممة متطاولة وأحزاب متدة فختلف بهم الأحوال فيسكتون أو فانا الغلبة اليأس
عليهم ويستغيثون أو فانا شدت ما بهم روي أنه يلقي على أهل النار الجوع حتى يمدن ما هم
فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكاً فيدعون يا مالك ليخض علينا ربك ولما ذكر الله
تعالى كيفية عذابهم في الآخرة ذكر بعده كيفية مكربهم وفساد باطنهم في الدنيا فقال أم
أبرموا أمرا أنا مبرمون والمعنى أم أبرموا مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكربهم برسول
الله فانا مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم
المكيدون قال مقاتل نزلت في تدبيرهم في المكر به في دار الندوة وهو ما ذكره الله تعالى
في قوله تعالى واذمكر بك الذين كفروا وقد ذكركنا القصص ثم قال أم يحسبون أنا لن نسمع
سرهم ونحوهاهم السر ما حدث به الرجل نفسا وغيره في مكان خال والجوى ما تكلموا به
فيما بينهم بل يسمعها ونطلع عليها ورسلنا يريد الحفظة يكتبون عليهم تلك الأحوال وعن
يحيى بن معاذ من سقر من الناس ذنوبه وأبداها الذي لا يخفى عليه شيء في السموات فتجمله
أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق * قوله تعالى (قل إن كانا لرحمن مدفانا
أول العابدين سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون قدرهم بتوهمشوا
ويعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله هو
الحكيم العظيم وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه
يرجعون وتبارك الذي يدع من يشاء من عباده أن يشهد بالحق وهم يعلون وتبين
سألهم من حاشهم يقولون الله فأنى يوكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فصنع
عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قرأ جزءا من الكتاب في واد
بضم الواو واسكان اللام والباءون لفتحهما فانا أول العابدين فانا م فانا لفتحها لم يلة
تلى لقون والباءون بلا تطويل (المسئلة الثانية) اعلم ان الناس ظنوا ان قوله قل كان
للرحمن ولد فانا أول العابدين أو أجز بناء على ظاهره فانه يقتضى وقوع اشك في اثبات
والدليل تعالى وذلك محال فلا جرم افتشروا الى أو يلى الآية وعندى أنه ليس الأمر كذلك
وليس في ظاهر اللفظ ما يوجب العدول عن الظاهر. فقررره ان قوله ان كان للرحمن مدفانا
أول العابدين قضية شرطية والقضية الشرطية مركبة من قضيتين خبريتين أدخل على
احدهما حرف الشرط وعلى الاخرى حرف الجزاء فحصل مجموعهما قضية واحدة
ومثاله هذه الآية فان قوله ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين قضية مركبة من
قضيتين (احدهما) قوله ان كان للرحمن ولد (والثانية) قوله فانا أول العابدين ثم أدخل
حرف الشرط وهو واظفة ان على القضية الاولى وحرف الجزاء وهو الفاء على القضية
الثانية فحصل من مجموعهما قضية واحدة وهي القضية الشرطية اذا عرفت هذا فتقول
القضية الشرطية لا تنبذ الاكون الشرط مستلزما للجزاء ليس فيها اشار كون

(ويعبوا) في دنياهم فان
ما هم فيسه من الافعال
والاقوال است الامن باب
الجهل واللعب والجرم في
الفعل لجواب الامر (حتى
يلاقوا يومهم الذي
يوعدون) من يوم اتيامة
فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا
وما يفعل بهم (وهو الذي
في السماء العوفى الارض اله)
الظرفان متعلقان بالمعنى
الوصفي الذي ينبت عنه
الاسم الجليل من معنى
المعبودية بالخلق بناء على
اختصاصه بالسود بالحق كما
مر في تفسير البسالة كما أنه
قيل وهو الذي مستحق لأن
يعبد ذبيحا وقد مر تعنيته
في سورة الانعام وقرئ وهو
الذي في السماء الله وفي الارض
الله والراجع الى قوله اول
مبتدأ فحذف الفاء وللمصلحة
يتعاطى الخبر والعطف عليه
ولا مساع لكون الجار
خبره فقدموا الله مبتدأ مؤخر
للزوم عراء الجملة حيث تدعن
العائد نعم يجوز ان يكون
صلة للوسول واله خبرا مبتدأ
مخدوف على ان الجملة بيان
للمصلحة وأن كونه في السماء
على سبيل الالهية لا على

سبيل الاستقرار وفيه في الاسمة السماوية والارضية خصوص لا سمحتم في الالهية به تعالى وقوله تعالى (وهو هو الشرطية)
الحكيم العليم) كالدليل على نافية (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما) اما على الدوام كالهواء أو في بعض
الاقوات كالطير (وعنده علم الساعة) أي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة (واليه ترجعون) للجزاء والثقات لله يدورق
على الغيبة وقرئ تحشرون باسماء (ولا يلك الذين يدعون) أي يدعونهم وقرئ بالباء مخفقا وشدا (من دونه الشفاعة)

الشرط حقا أو باطلا أو يكون الجزاء حقا أو باطلا بل نقول القضية الشرطية الحقة قد تكون مركبة من قضيتين حقيتين أو من قضيتين باطلتين أو من شرط باطل وجزاء حقا أو من شرط حقا وجزاء باطل (فأما القسم الرابع) وهو أن تكون القضية الشرطية الحقة مركبة من شرط حقا وجزاء باطل فهذا محال وانبتين امثلة هذه الاقسام الاربعة فاذا قلنا ان كان الانسان حيوانا فالانسان جسم فهذه شرطية حقة وهي مركبة من قضيتين حقيتين (احدهما) قولنا الانسان حيوان والثانية قولنا الانسان جسم واذا قلنا ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بتساويين فهذه شرطية حقة لكنها مركبة من قولنا الخمسة زوج ومن قولنا الخمسة منقسمة بتساويين وهما باطلان وكونهما باطلين لا يمنع من أن يكون استلزام أحدهما للآخر حقا وقد ذكرنا أن القضية الشرطية لا تفيد الاستلزام اذا قلنا ان كل الانسان حجر فهو حقا وهو قولنا الانسان جسم مركبة من شرط باطل وهو قولنا الانسان حجر ومن جراء حقا وهو قولنا الانسان جسم وانما جاز هذا لان الباطل قد يكون بحيث يلزم من فرض وقوعه حقا وفرضنا كون الانسان حجرا وجب كونه جسمنا فهذه شرطية باطل يستلزم جزاء حقا (وأما القسم الرابع) وهو تركيب قضية شرطية حقة من شرط حقا وجزاء باطل فهذا محال لان هذا التركيب يلزم منه كون الحقي مستلزما للبطل وذلك محال بخلاف القسم الثالث فانه يلزم منه كون الباطل مستلزما للحق ذلك ليس محال اذا عرفت هذا الاسفل فنخرج الى اربعة فتقول فوجه ان كل نار حمر ولدقنا أول العابدين قضية شرطية حقة من شرط باطل ومن جراء باطل لار قولنا كل نار حمر ولد باطل وقولنا أول العابدين ذلك الولد باطل أيضا الا اننا بيننا كون كل واحد منهما باطلا لا يمنع من أن يكون استلزام أحدهما للآخر حقا كما مضى بنا من امثال في قولنا ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بتساويين فثبت ان هذا الكلام لا يحتاج في اجرائه على ظاهره ان يكون المراد منه ان كان نار حمر ولدقنا أول العابدين لذلك اوله ولد فان السلطان اذا كان له ولد فكما يجب على عبده ان يخدمه فكذلك يجب عليه ان يخدم ولده وقد بينا ان هذا التركيب لا يدل على الاعتراف باليات واد أم لا وما يقرب من هذا الباب قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا فهذا الكلام قضية شرطية والشرط هو قولنا فيهما آلهة والجزاء هو قولنا فسدنا فالشرط في نفسه باطل والجزاء أيضا باطل لان الحق انه ليس فيهما آلهة وكلمة لو تفيد انتفاء الشيء بانتفاء غيره لانهما ما فسدنا ثم مع كون الشرط باطلا وكون الجزاء باطلا كان استلزام ذلك الشرط لهذا الجزاء حقا فكنا ههنا فان قالوا الفرق ان ههنا ذكر الله تعالى هذه الشرطية بصيغة لو فقال او كان فيهما آلهة وكلمة لو تفيد انتفاء الشيء لا انتفاء غيره وأما في الآية التي نحن في تفسيرها انما ذكر الله تعالى كلمة ان وهذه الكلمة لا تفيد انتفاء الشيء لا انتفاء غيره بل هذه الكلمة تفيد الشك في انه هل حصل الشرط أم لا وحصول هذا الشك للرسول

كأزعون (الامن شهد بالحق) الذي هو التوحيد (وشم يعلمون) بما يشهدون به عن بصيرة وإيقان وإخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كأن الافراد أو لا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالاصنام (ولئن سألتهم من خلقهم) أي سألت العابدين والمعويدين (لتقوان الله) لتعبدوا الله (انذار الانكار لتعبدوا بطولانه) أي لو فكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى (وقيله) بالجر اما على أنه مضاف على الساعة أي عنده علم الساعة وعلم فواده عليه الصلاة والسلام (يارب الخ فان القول والقيل والقال كلها مصادر أو على أن الواو والقسم وقوله

تعالى (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) جوابه وفي الاقسام به من رخم شأنه عليه الصلاة والسلام وتقخيم دعائه والتجانه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم أو على محل الساعة أو باضمار فعله أو بتقدير فعل اتسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم واقتطع عن ايمانهم (أو قل سلام) أي أمرى نسل منكم ومشاركة (فسوف يعلمون) حالهم البتة وان تأخر ذلك رهو وعيد من الله تعالى لهم وتسليبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يعلمون على أنه داخل في خبر قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة باصباح لا خوف

غير ممكن قلنا الفرق الذي ذكرتم صحيح الأبن مقصودنا بيان انه لا يلزم من كون الشرطية صادقة كون جزأيها صادقتين أو كاذبتين على ما قررنا، اما قوله ان لفظة ان تفيد حصول الشك في ان الشرط هل حصل أم لا قلنا هذا ممنوع فان حرف ان حرف الشرط وحرف الشرط لا يفيد الا كون الشرط مستلزما للجزء، واما بيان ان ذلك الشرط معلوم الوقوع أو مشكوك الوقوع فاللفظ لا دلالة فيه عليه البتة فظهر من المباحث التي لخصناها ان الكلام ههنا ممكن الاجراء على ظاهره من جميع الوجوه وانه لا حاجة فيه البتة الى التأويل والمعنى انه تعالى قال قل يا محمد ان كان للرحمن ولدنا أول العابدین لذلك الولد وانا أول الخادم مسين له والمقصود من هذا الكلام بيان اني لا انكر ولده لاجل العناد والمنازعة فان بتقدير أن يقوم الدليل على ثبوت هذا الولد كنت مقرابه معتزفا بوجوب خدمته الا انه لم يوجد هذا الولد ولم يقم الدليل على ثبوته البتة فكيف أقول به بل الدليل القاطم قائم على عدمه فكيف أقول به وكيف اعترف بوجوده وهذا الكلام ظاهر كامل لا حاجة به البتة الى التأويل والعدول عن الظاهر فهنا ما عندي في هذا الموضوع ونقل عن السدي من المفسرين انه كان يقول حمل هذه الآية على ظاهرها يمكن ولا حاجة الى التأويل والتقرير الذي ذكرناه يدل على أن الذي قاله هو الحق أما الغائلون بانه لا بد من التأويل فقد ذكروا فيه وجوها (الاول) قال الواحدى كثرت الوجوه في تفسير هذه الآية والاقوى أن يقال المعنى ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا أول العابدین أي الموحدين لله المتكذبين لتوابعكم باضافة الولد اليه ولقائل أن يقول اما ان يكون تقدير الكلام ان ثبت للرحمن ولد في نفس الامر فانا أول المنكرين له أو يكون التقدير ان ثبت لكم ادعاء ان للرحمن ولدا فانا أول المنكرين له والاول باطل لان ثبوت الشيء في نفسه لا يقتضى كون الرسول منكرا له لان قوله ان كان الشيء ثابتا في نفسه فانا أول المنكرين يقتضى اصراره على الكذب والجهل وذلك لا يليق بالرسول (والثاني) أيضا باطل لانهم سواء أثبتوا الله ولدا أو لم يثبتوه له فالرسول منكرا لذلك الولد فلم يكن زعمهم تأثير في كون الرسول منكرا لذلك الولد فلم يصلح جعل زعمهم اثبات الولد ونزافي كون الرسول منكرا للولد (والوجه الثاني) قالوا معناه ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدین الآتئين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتدت انفته فهو عبد وطابد وقرأ بعضهم عابدین واعلم ان السؤال المذكور قائم ههنا لانه ان كان المراد ان كان للرحمن ولد في نفس الامر فانا أول الآتئين من الاقرار به فهذا يقتضى الاصرار على الجهل والكذب وان كان المراد ان كان للرحمن ولد في زعمكم واعتقادكم فانا أول الآتئين فهذا التعليق فاسد لان هذه الالفه حاصلة سواء حصل ذلك الزعم والاعتقاد أو لم يحصلوا واذا كان الامر كذلك لم يكن هذا التعليق جائزا (والوجه الثالث) قال بعضهم ان كلمة ان ههنا هي النافية والتقدير ما كان للرحمن ولدنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولده واعلم أن التزام

هذه الوجوه البعيدة انما يكون للضرورة وقد بينا أنه لا ضرورة البتة فلم يجز المصير اليها
 والله أعلم ثم قال سبحانه وتعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون
 والمعنى ان الله العالم يجب أن يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو فرد
 مطلق لا يقبل التجزى يوجد من الوجوه والوحد عبارة عن ان يفصله عن الشيء جزء من
 أجزاءه فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل فيما تكون ذاته قابلة للتجزى
 والتبعض واذا كان ذلك مخالفاً في حق الله العالم امتنع الثبات الولد والمذكور هذا البرهان
 القاطع قال فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون والمقصود
 منه التهديد يعني قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما ذكرنا وهم لم يلتفتوا اليها لاجل
 كونهم مستغرقين في طلب المال والجاه والرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى
 يصلوا الى ذلك اليوم الذي وعدوا فيه بما وعدوا والمقصود منه التهديد ثم قال تعالى وهو
 الذي في السماء وفي الارض له وفيه البحاث (البحث الاول) قال أبو علي نظرت فيما يرتفع
 به الله فوجدت ارتفاعه يصح بان يكون خبيراً بتدبيره والتقدير وهو الذي في السماء
 هو الله (والبحث الثاني) هذه الآية من أدل الدلائل على انه تعالى غير مستقر في السماء
 لانه تعالى بين بهذه الآية ان نسبته الى السماء بالالهية كنسبته الى الارض فلما كان الهما
 للارض مع انه غير مستقر فيها فكذلك يجب أن يكون الهما للسماء مع انه لا يكون مستقراً
 فيها فان قيل وأي تعلق لهذا الكلام بنى الوارد عن الله تعالى قلنا تعلقه به انه تعالى خلق
 عيسى بمحض كنه فيكون من غير واسطة التطفن والاب فكأنه قيل ان هذا القدر
 لا يوجب كون عيسى واد الله سبحانه لان هذا المعنى حاصل في تخليق السموات والارض
 وما بينهما مع انتفاء حصول الولدية هناك ثم قال تعالى وهو الحكيم العليم وقد ذكرنا
 في سورة الانعام ان كونه تعالى حكيماً عليماً يتأني حصول الوالد له ثم قال وتبارك الذي له
 ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون واعلم ان قوله تبارك
 اما أن يكون مشتقاً من الثبات والبقاء واما أن يكون مشتقاً من كثرة الخير وعلى
 التقديرين فكل واحد من هذين الوجهين يتأني كون عيسى عليه السلام والذات الله تعالى
 لانه ان كان المراد منه الثبات والبقاء فعيسى عليه السلام لم يكن واجب البقاء والدوام
 لانه حدث بعد أن لم يكن ثم عند انصارى انه قتل ومات ومن كان كذلك لم يكن بينه وبين
 الباقي الدائم الا نزي تجانسة ومشابهة فامتنع كونه ولد له وان كان المراد بالبركة كثرة
 الخيرات مثل كونه خالقاً للسموات والارض وما بينهما فعيسى لم يكن كذلك بل كان
 محتاجاً الى الطعام وعند انصارى انه كان خائفاً من اليهود وبالآخرة أخذوه وقتلوه فالذي
 هذا صفة كيف يكون ولداً لمن كان خائفاً للسموات والارض وما بينهما واما قوله وعنده
 علم الساعة فالمقصود منه أنه لما شرح كمال قدرته فكذلك شرح كمال عمله والمقصود التنبه
 على ان من كان كاملاً في الذات والعلم والقدرة على الحد الذي شرحناه امتنع أن يكون

عليكم اليوم ولا أنتم
 تحزنون ادخلوا الجنة
 بغير حساب * (سورة
 الدخان مكية الاقوله
 انا كاشفوا العذاب
 الآية وهي سبع أو تسع
 وخمسون آية) *
 (بسم الله الرحمن الرحيم)
 (حم والكتاب المبين)
 الكلام فيه كالذي
 سلف في السورة السابقة
 (انا أنزلناه) أي الكتاب
 المبين الذي هو القرآن
 (في ليلة مباركة) هي
 ليلة القدر وقيل ليلة
 البراءة ابتدئ فيها انزاله
 أو أنزل فيها جله الى
 السماء الدنيا من اللوح
 واملاه جبريل عليه
 السلام على السفارة ثم
 كان ينزله على النبي
 صلى الله عليه وسلم
 نحو ما في ثلاث وعشرين
 سنة كما في سورة
 الفاتحة ووصفها بالبركة
 لما أن القرآن مستنبح
 للخصافع الدينية
 والدينية بأجمعها

أولاً فيها من تنزل
 الملائكة والرحمة واجابة
 الدعوة وقسم النعمة
 وفصل الاقضية وفضليه
 العبادة واعطاء تمام
 الشفاعة لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 وقيل يزيد في هذه الليلة
 ما من من زيادة ظاهرة
 (انا كنا منذرين)
 استئناف مبين لما يقتضى
 الانزال كأنه قيل انا
 أنزلناه لان من شأننا
 الانذار والتحذير من
 العقاب قيل جواب
 للقسم وقوله تعالى
 انا انزلناه الخ اعتراض
 وقيل جواب بغير عاطف
 (فيها يفرق كل أمر
 حكيم) استئناف كما قبله
 فان كونها مفرق الامور
 المحكمة أو الملتبسة
 بالحكمة الموافقة لها
 يستدعى أن ينزل فيها
 انقرآن الذى هو من
 عظائمها وقيل صفة
 أخرى لليلة وما بينهما
 اعتراض وهذا يدل على
 أنها ليلة القدر ومعنى

والده في العجز وعدم الوقوف على أحوال العالم بالحمد الذى وصفه النصارى ولما طنب الله
 تعالى في نفي الوجود أرفده ببيان نفي الشركاء فقال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
 الا من شهد بالحق وهم يعلمون ذكر المفسرون في هذه الآية قولين (أحدهما) ان الذين
 يدعون من دونه الملائكة وعيسى وعزير والمعنى ان الملائكة وعيسى وعزير لا يشفعون
 الا من شهد بالحق روى أن النضر بن الحرث ونفر معه قالوا ان كان ما يقول محمد حجة
 فحين تتولى الملائكة فهم احق بالشفاعة من محمد فانزل الله هذه الآية يقول لا يقدر
 هؤلاء ان يشفوا لاحد ثم استثنى فقال الا من شهد بالحق والمعنى على هذا القول
 هؤلاء لا يشفعون الا ان شهد بالحق فأضمر الام أو يقبل التقدير الشفاعة من شهد
 بالحق فحذف المضاف وهذا على لغة من يعنى الشفاعة غير لام فيقول شفعت فلان بمعنى
 شفعت له كما تقول كلد وكلت له ولصعد ونصحت له (والثول الثاني) ان الذين يدعون
 من دونه كل معبود من دون الله وقوله الا من شهد بالحق الملائكة وعيسى وعزير والمعنى
 ان الاشياء التى عبدها هؤلاء الكفار لا يتكبر الشفاعة الا من شهد بالحق وهم الملائكة
 وعيسى وعزير فان لهم شفاعة عند الله عز وجل ومعنى من شهد بالحق من شهد انه لا اله الا الله
 ثم قال تعالى وهم يعلمون وهذا اقيد يدل على ان الشهادة بالناس فقط لا تفيد البتة
 وجميع القائلون بان ايمان القتل لا يقع البتة بهذه الآية غسوا بين الله تعالى ان
 الشهادة لا تنفع الا اذا حصل معها العلم والعلم عبارة عن اليقين الذى اوشكك صاحبه
 فيه ان يتشكك وهذا لم يحصل الا عند الدليل فثبت ان ايمان القتل لا يقع البتة ثم
 قال تعالى وثمن سألتم من خلقهم ليقول ان الله فأنى يؤفكون وفيه مثلتان (المسئلة
 الاولى) ظن قوم ان هذه الآية وأمثالها في القرآن تدل على ان اقوم مضطرون الى
 الاعتراف بوجود الاله للعالم قال الجبائى وهذا لا يصح لان قوم فرعون قالوا الاله لهم
 غيره وقوم ابراهيم قالوا انا فى شك مما تدعوننا اليه فيقال لهم لانتم ان قوم فرعون
 كانوا منكرين لوجود الاله والدليل على قولنا قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
 أنفسهم ظلما وقال موسى لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض
 بصائر فالقراءة بفتح التاء فى علمت تدل على ان فرعون كان عارفا بالله وأما قوم
 ابراهيم حيث قالوا وانانى شك مما تدعوننا اليه فهو مصروف الى اثبات القيسامة
 واثبات التكليف واثبات النبوة (المسئلة الثانية) اعلم انه تعالى ذكر هذا الكلام
 فى أول هذه السورة وفى آخرها والمقصود التنبيه على انهم لما اعتقدوا ان خالق
 العالم وخالق الحيوانات هو الله تعالى فكيف أقدموا مع هذا الاعتقاد على عبادة
 أجسام خسيسة وأصنام خبيثة لا تنضر ولا تنفع هى جادات محضة وأما قوله فأنى
 تؤفكون معناه لم تكذبون على الله فتقولون ان الله أمرنا بعبادة الاصنام وقد احتج
 بعض أصحابنا به على ان افكهم ليس منهم بل من غيرهم بقوله فأنى تؤفكون وأجاب

يفرق أنه يكتب ويفصل
 كل أمر حكيم من أرزاق
 العباد وأجالهم وجميع
 أمورهم من هذه الليلة
 إلى الأخرى من السنة
 القابلة وقيل يبدأ في
 استنساخ ذلك من اللوح
 في ليلة البراءة ويقع الفراغ
 في ليلة القدر فتدفع
 نسخة الأرزاق إلى
 ميكائيل ونسخة الحروب
 إلى جبريل وكذا النزول
 والحسب والصواعق
 ونسخة الأعمال إلى
 اسمعيل صاحب سماء
 الدنيا وهو ملك هطيم
 ونسخة المصائب إلى
 ملك الموت عليهم السلام
 وقرى يفرق بالتشديد
 وقرى يفرق على البناء
 للفاعل أي يفرق الله
 تعالى كل أمر حكيم
 وقرى تفرق بنون
 العظمة (أمر من
 عندنا) نصب على
 الاختصاص أي أعني
 بهذا الأمر احصاها
 من عندنا على مقتضى
 حكمتنا وهو بيان

القاضي بأن من يضل في فهم الكلام أو في الطريق يقال له أين يذهب بك والمراد أين
 تذهب وأجاب الأصحاب بأن قول القائل أين يذهب بك ظاهره يدل على ان ذاهبا آخر
 ذهب به فصرف الكلام عن حقيقته خلاف الأصل الظاهر وأيضا فإن الذي ذهب به
 هو الذي خلق تلك الداعية في قلبه وقد ثبت بالبرهان الباهر ان خالق تلك الداعية هو
 الله تعالى ثم قال تعالى وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وفيه مباحث (الاول) قرأ
 الاكثرون وقيله بفتح اللام وقرأ عاصم وحزرة بكسر اللام قال الواحدي وقرأ أناس
 من غير السبعة بالرفع أما الذين قرؤا بالنصب فذكر الاخفش والفراء فيه قولين
 (أحدهما) انه نصب على المصدر بتقدير وقال قيله وشكاشكواه الى ربه يعني النبي صلى الله
 عليه وسلم فان نصب قيله باضمار قال (والثاني) انه عطف على ما تقدم من قوله انا
 لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وذاكر الزجاج فيه وجهان ثالثا فقال انه نصب على موضع
 الساعة فان قوله وعند علم الساعة معناه انه علم الساعة والتقدير علم الساعة وقيله ونصيره
 قولك محبت من ضرب زيد وعمرا وأما القراءة بالجر فقال الاخفش والفراء والزجاج انه
 معطوف على الساعة أي عنده علم الساعة وعلم قيله يارب قال المبرد العطف على المنسوب
 حسن ان تباعد المعطوف من المعطوف عليه لانه يجوز أن يفصل بين المنسوب وعامله
 والجرور يجوز ذلك فيه على قبح وأما القراءة بالرفع ففيها وجهان (الاول) أن يكون وقيله
 مبتدأ وخبر ما بعده (والثاني) أن يكون معطوفا على علم الساعة على تقدير حذف المضاف
 معناه وعند علم الساعة وعلم قيله قال صاحب الكشاف هذه الوجوه ليست قوية
 في المعنى لاسيما وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضهم ذكر
 وجهها آخر وزعم انه أقوى مما سبق وهو أن يكون النصب والجر على اضمار حرف القسم
 وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ويكون قوله ان هؤلاء قوم
 لا يؤمنون جواب القسم كأنه قيل واقسم بقوله يارب أو وقيله يارب قسمي وأقول هذا
 الذي ذكره صاحب الكشاف متكلف أيضا وههنا اضمار امتلاء القرآن منه وهو
 اضمار اذكر والتقدير واذكر قيله يارب وأما القراءة بالجر فالتقدير واذكر وقت قيله يارب
 واذواجب التزام الاضمار فلان يضم شيئا جرت العادة في القرآن بالتزام اضماره أولى
 من غيره وعن ابن عباس أنه قال في تفسير قوله وقيله يارب المراد وقيل يارب والهاء زيادة
 (البحث الثاني) القيل مصدر كقول ومنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن
 قيل وقال قال الليث تقول العرب أكثر في القيل والقيل وروى شمر عن أبي زيد يقال
 ما أحسن قيلك وقولك ومقالك وقالك ومقالك خمسة أوجه (البحث الثالث) الضمير
 في قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم (البحث الرابع) ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر
 منهم وعرف اصرارهم أخبر عنهم أنهم قوم لا يؤمنون وهو قرىب مما حكى الله عن نوح
 أنه قال رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ثم انه تعالى قال له فاصفح

عنهم فامرهم بان يصفح عنهم وفي ضمنه منعه من أن يدعوا عليهم بالعذاب والصفح هو
 الاعراض ثم قال وقل سلام قال سيبويه انما معناه المشاركة ونظيره قول ابراهيم لايه
 سلام عليك سأستغفر لك ربي وكتوله سلام عليكم لا يتبعي الجاهلين فسوف يعلمون
 المتصود منه التهديد وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرأنا نافع وابن عامر تعاون بالياء على
 الخطاب والباقون بالياء كناية عن قوم لا يؤمنون (المسئلة الثانية) احتج قوم بهذه الآية
 هل أتت يجوز السلام على الكافر وأقول ان صح هذا الاستدلال فهذا يوجب الافتصاف
 على مجرد قوله سلام وأن يقال المؤمن سلام عليكم والتصود النبيه على التحية التي
 تذكر للمسلم والكافر (المسئلة الثالثة) قال ابن عباس قوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام
 منسوخ بآية السيف وعندى التزام النسخ في أمثال هذه المواضع مشكل لان الامر
 لا يفيد العمل الامر واحدة فاذا أتى به مرة واحدة فقد سقطت دلالة اللفظ فأى حاجة
 فيه الى التزام النسخ وأيضا فقله بين الفور مشهورة عند الفقهاء وهي دالة على أن اللفظ
 المطلق قد يتقيد بحسب قرينة تعرف واذا كان الامر كذلك فلا حاجة فيه الى التزام
 النسخ والله أعلم بالصواب قال مولانا المؤلف عليه صحائب الرحمة والرضوان تم تفسير
 هذه السورة يوم الاحد الحادي عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وستمائة والحمد لله أولا
 وآخرا وباطنا وظاهرا والصلوة على ملائكته المقربين والانباء والمرسلين خصوصا
 على محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين أبا عبد بن ودهر الداهرين

* (سورة الدخان خمسون وتسع آيات مكية الاقوله انا كاشفوا العذاب) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم
 أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض
 وما بينهما ان كنتم موقنين لاله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاوين بل هم
 في شك يلعبون) في الآية مسائل (المسئلة الاولى) في قوله حم والكتاب المبين وجوه من
 الاحتمالات (اولها) أن يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين كقولك هذا زيد والله
 (وثانيها) أن يكون الكلام قد تم عند قوله حم ثم يقال والكتاب المبين انا أنزلناه
 (وثالثها) أن يكون التقدير وح حم والكتاب المبين انا أنزلناه فيكون ذلك في التقدير قسمين
 على شئ واحد (المسئلة الثانية) قالوا هذا يدل على حدوث القرآن لوجوه (الاول)
 ان قوله حم تقديره هذه حم يعنى هذا شئ مؤلف من هذه الحروف والمؤلف من الحروف
 المتعاقبة يحدث (الثاني) انه ثبت ان الحلف لا يصح بهذه الاشياء بل باله هذه الاشياء
 فيكون التقدير ورب حم ورب الكتاب المبين وكل من كان مر بوبا فمحدث (الثالث)
 أنه وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الجمع فعنه أنه مجموع والمجموع محل تصرف

لنخامته الاضافية بعد
 بيان فخامته الذاتية
 ويجوز كونه حال من
 كل أمر المخصصه
 بالوصف أو من ضميره
 في حكيم وقد جوز أن
 يراد به مقابل النهي
 ويجعل مصدرا مؤكدا
 ليفرق لانحاء الامر
 والفرقان في المعنى أو فاعله
 المضمر لما أن الفرق به
 أو حال من أحد ضميري
 أنزلناه أى أمرين أو
 مأمورا به (انا كنا
 مرسلين) بدل من انا
 كنا منذرين وقيل
 جواب ثالث وقيل
 مستأنف وقوله تعالى
 (رحمة من ربك) غاية
 للارسل متأخرة عنه
 على أن المراد بها الرحمة
 الواصلة الى العباد
 وباعت مقدم عليه
 على أن المراد مبدوعا
 أى انا أنزلنا القرآن لان
 من عادتنا ارسال الرسل
 بالكتب الى العباد
 لاجل افاضة رحمتنا
 عليهم أو لاقضاء
 رحمتنا السابقة

الغير وما كان كذلك فهو محدث (الرابع) قوله انا أنزلناه والميزان محل تصرف الغير وما كان كذلك فهو محدث وقد ذكرنا مرارا أن جميع هذه الدلائل تدل على ان الشيء المركب من الحروف المتعاقبة والاصوات المتواليه تحدث والعلم بذلك ضروري بديهى لا ينازع فيه الامن كان عديم العقل وكان غير عارف بمعنى القديم والحديث واذا كان كذلك فكيف ينازع في صحة هذه الدلائل انما الذى ثبت قدمه شئ آخر سوى ما تركب من هذه الحروف والاصوات (المسئلة الثالثة) يجوز أن يكون المراد بالكتاب ههنا الكتب المقدمة التى أنزلها الله على أنبيائه كما قال تعالى لقد أرسلنا رسالنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ويجوز أن يكون المراد اللوح المحفوظ كما قال سبحانه وما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال وانه في أم الكتاب لدينا ويجوز أن يكون المراد به القرآن وبهذا التقدير فقد أقسم بالقرآن على انه أنزل القرآن في ليلة مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل اذا أراد تعظيم رجل له حاجة اليه أستشفع بك اليك وأقسم بحقك عليك (المسئلة الرابعة) المبين هو المشتل على بيان ما بالناس حاجة اليه في دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا وان كانت حقيقة الابانة لله تعالى لاجل ان الابانة حصلت به كما قال تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل وقال في آية أخرى نحن نقص عليك أحسن القصص وقال أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا يشركون بوصفه بالكلام اذا كان غاية في الابانة فكأنه ذو لسان ينطق والمعنى فيد المبالغة في وصفه بهذا المعنى (المسئلة الخامسة) اختلفوا في هذه الليلة المباركة فقال الأكثرين انها ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة آخرون انها ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان (أما الاولون) فقد اختلفوا على صحة قولهم بوجوده (أولها) انه تعالى قال انا أنزلناه في ليلة القدر وههنا قال انا أنزلناه في ليلة مباركة فوجب أن تكون هذه الليلة المباركة هي تلك المسماة بليلة القدر لئلا يلزم التناقض (وثانيها) انه تعالى قال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن فبين ان انزال القرآن انما وقع في شهر رمضان وقال ههنا انا أنزلناه في ليلة مباركة فوجب أن تكون هذه الليلة المباركة واقعة في شهر رمضان وكل من قال ان هذه الليلة المباركة واقعة في شهر رمضان قال انها ليلة القدر وثبت انها ليلة القدر (وثالثها) انه تعالى قال في صفة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي وقال أيضا ههنا فيها يفرق كل أمر حكيم وهذا مناسب لقوله تنزل الملائكة والروح فيها وههنا قال أمر من عندنا وقال في تلك الآية باذن ربهم من كل أمر وقال ههنا رحمة من ربك وقال في تلك الآية سلام هي واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بأن احدي اللتين هي الاخرى (ورابعها) نقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة أنه قال نزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان والثوراة لست ليل منه والزابور لثنتي عشرة مضت منه والانجيل لثمان عشرة مضت منه

ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايدان بان ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشر يفه أو تعطيل ليفرق أو لقوله تعالى أمر على أن قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يسك فلا مرسل له أى يفرق فيها كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب في أن كلامنا قسمه الارزاق وغيرها والوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للنافع وقرى رحمة بالرفع أى تلك رحمة وقوله تعالى (انه هو السميع العليم) تحقيق لربوبيته تعالى وأنها لا تخفى الامن هذه نعوته (رب السموات والارض وما بينهما) يدل من ربك أو بيان أو نعت وقرى بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على ضمير مبتدا (ان كنتم موقنين)

وان قرآن لاربع وعشرين مضت من رمضان واليلة المباركة هي ليلة القدر (وخاسها)
 ان ليلة القدر انما سميت بهذا الاسم لان قدرها وشرفها عند الله عظيم ومعلوم انه ليس
 قدرها وشرفها السبب نفس ذلك الزمان لان الزمان شيء واحد في الذات والصفات فيتمتع
 كون بعضها أشرف من بعض لذاته فثبت ان شرفه وقدره بسبب انه حصل فيه أمور
 شريفة عالية لها قدر عظيم ومرتبة رفيعة ومعلوم ان منصب الدين أعلى وأعظم من
 منصب الدنيا وأعلى الأشياء وأشرفها منصب في الدين هو القرآن لاجل ان ثبتت نبوة
 محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل في سائر كتب الله المنزلة كما قال
 في صفته ومهيمنا عليه وبه ظهرت درجات أرباب السعادات ودرجات أرباب الشاوات
 فولى هذا الشيء الاو القرآن أعظم قدرا وأعلى ذكرا وأعظم منصباً منه فلو كان نزوله انما
 وقع في ليلة أخرى سوى ليلة القدر لكانت ليلة القدر هي هذه الثانية لا الاولى رحبت
 أطبقوا على ان ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان علما ان القرآن انما نزل في تلك
 الليلة وأما نقائلون بأن المراد من الليلة المباركة المذكورة في هذه الآية هي ليلة
 انصف من شعبان فإريت لهم فيه دليلا يعول عليه وانما قنعوا فيه بأن نقلوه عن بعض
 الناس فان صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه كلام فلا حيز يد عليه والافضل هو
 الاول ثم ان هؤلاء القائلين بهذا القول زعموا ان ليلة انصف من شعبان انها أرفع اسماء
 ليلة المباركة و ليلة البراءة و ليلة الصلح و ليلة الرجعة وقيل انما سميت بليلة البراءة و ليلة
 الصلح لان البندار اذا استوفى الخراج من أهله كتب ايام البراءة كذلك الله عز وجل
 يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هذه الليلة مختصة بخمس حصال
 (الاولى) تفريق كل أمر حكيم فيها قال تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم (والثانية) فضيلة
 العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله
 اليه مائة مائة ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون
 عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان (الخصلة الثالثة) نزول الرحمة قال
 عليه السلام ان الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب (والخصلة الرابعة)
 حصول المغفرة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة
 الا لكاهن أو مشاحن أو مد من خمر أو طاق للوالدين أو مصر على الزنا (والخصلة
 الخامسة) انه تعالى أعطى رسوله في هذه الليلة تمام الشفاعة وذلك انه سأل ليلة الثالث
 عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم
 سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع الا من شرد على الله شراد البعير هذا الفصل نقلته
 من الكشاف فان قيل لاشك ان الزمان عبارة عن المدة الممتدة التي تقديرها حركات
 الافلاك والكواكب وانه في ذاته أمر متشابه الاجزاء فيمتنع كون بعضها أفضل من بعض
 والكان أيضا عبارة عن الفضاء الممتد والخالي فيمتنع كون بعض أجزائه أشرف

أي ان كنتم من أهل
 الانفسان في العلوم أو
 ان كنتم موقنين في
 اقراركم بانه تعالى رب
 السموات والارض وما
 بينهما اذا سئتم من
 خلقها فقلتم علمتم ان
 الامر كما قلنا وان كنتم
 مردين اليقين فاعلموا
 ذلك (لا اله الا هو) جله
 مستأنفة مقررة لما قبلها
 وقيل خبر لقوله رب
 السموات الخ بما بينهما
 اعتراض (يعني: يميت)
 مستأنفة كما قبلها وكذا
 قوله تعالى (ربكم ورب
 آباءكم الاولين) باضمار
 مبتدأ أو بدل من رب
 السموات على قراءة الرفع
 أو بيان أو نعمته وقيل
 فاعل أميت وفي يحيى
 ضمير راجع الى رب
 السموات وقرئ بالجذر
 بدلا من رب السموات
 على قراءة الجذر (يلهم
 في شك) مما ذكر من شؤنه
 تعالى غير موقنين في
 اقرارهم (يلعبون)
 لا يقولون ما يقولون
 عن جسد وان كان بل
 مخلوطا بهز وواهب
 والقاء في قوله تعالى

(فارتب) ترتيب الارتباب أو الامر به على ما قلنا فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتماً أي فانه نظرهم (يوم تأتي السحاب خاضعين) أي يوم شدة ومجاعة فان الجمع يري بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما الضعف بصره أولان في عام القحط يظلم الهواء ثلاثة الامطار وكثرة نحو ٤٦٥ ٤٦٥ انقبار أولان العرب تسمى النسر الغالب دخانا وذلك ان قر يشالما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعلمين وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى (يعشى الناس) أي يحيط بهم (هذا عذاب اليم) أي قائلين ذلك فشى اليه عليه الصلاة والسلام أبو سفيان ونفر معه واشدوه الله تعالى والرحم وهو اعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى (ربنا اكشف عنا العذاب اننا مؤمنون) وهو يقول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار القراء والزجاج وقيل هو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة فيدل في اسماخ الكفرة حتى يكون رأس الواحد نحو ٥٤ سا كراس الحنيد ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم

من البعض واذا كان كذلك كان تخصيص بعض أجزاءه بمن يد الشرف دون الباقي ترجيحاً لاحد طرفي الممكن على الآخر لا يرجع اليه محار قلنا القول بثبات حدوث العالم وثبات أن فاعله فاعل مختار بناء على هذا الحرف وهو انه لا يبعد من الفاعل المختار تخصيص وقت معين باحداث العالم فيه دون ما قبله وما بعده فان بطل هذا الاصل فنبتطلى حدوث العالم وبطل الفاعل المختار وحينئذ لا يكون للخوض في تفسير اقرآن فائدة وان صح هذا الاصل فقد زال ما ذكرتم من السؤال فهذا هو الجواب المعتقد والناس قالوا لا يبعد ان يخص الله تعالى بعض الاوقات بمن يدتشرى حتى يصير ذلك داعياً للمكلف الى الإقدام على الطاعات في ذلك الوقت ولهذا السبب بين انه تعالى أخفاه في الاوقات وما لحينه لانه اذا لم يكن معينا جواز المكلف في كل وقت معين أن يكون هو ذلك الوقت الشريف فيصير ذلك حاملاً له على المواظبة على الطاعات في كل الاوقات واذا وقفت على هذا الحرف ظهر عندك ان الزمان والمكان انما هما زابا للتشريقات الزائدة تبعاً لشرف الانسان فهو الاصل وكل ما سواه فهو تبع له والله أعلم (المسئلة السادسة) روى أن عطية الحروري سأل ابن عباس رضى الله عنهما عن قوله انا انزلناه في ليلة الندر وقوله انا انزلناه في ليلة مباركة كيف يصح ذلك مع أن الله تعالى أنزل القرآن في جميع اشهر فقال ابن عباس رضى الله عنهما يا ابن الاسود لو هلكت أنا ووقع هذا في نفسك ولم تجد جوابه له لكتبت نزل القرآن جملة من الالواح المحفوظة الى البيت المعمور وهو في السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك في أنواع البرقاع حالاً فحالا والله أعلم (المسئلة السابعة) في بيان نظم هذه الآيات اعلم ان المنصود منها تعظيم القرآن من ثلاثة أوجه (أحدها) بيان تعظيم اقرآن بحسب ذاته (الثاني) بيان تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه (الثالث) بيان تعظيمه بحسب شرف منزلها أما بيان تعظيمه بحسب ذاته فمرثلاثاً (أحدها) انه تعالى أقسم به وذلك يدل على شرفه (وثانيها) انه تعالى أقسم به على كونه نازلاً في ليلة مباركة وقد ذكرنا أن القسم شيء على حالة من أحوال نفسه يدل على كونه في غاية شرف (وثالثها) انه تعالى وصفه بكونه مبیناً وذلك يدل أيضاً على شرفه في ذاته (وأما) وعاشقني وهو بيان شرفه لاجل شرف الوقت الذي أنزل فيه فهو قوله انا أنزلناه في ليلة مباركة وهذا تنبيه على ان نزوله في ليلة مباركة يقتضى شرفه وجلالته ثم نقول ان قوله انا أنزلناه في ليلة مباركة يقتضى أمرين (أحدهما) انه تعالى أنزله (والثاني) كونه تلك الليلة مباركة فذكر تعالى تعقيب هذه الكلمة ما يجري مجرى البيار لكل واحد منهما ما أمانيات انه تعالى لم أنزله فهو قوله انا كنا منذرين معنى الحكمة في انزال هذه السورة ان انذار الخلق لا يتم الا به وأما بيان ان هذه الليلة ليلة مباركة فهو أمران (أحدهما) انه تعالى يفرق فيها كل أمر حكيم (والثاني) ان ذلك الأمر الحكيم يكون مخصوصاً بشرف انه انما يظهر من عبده واليه الاشارة بقوله أمرنا من عندنا (وأما النوع الثالث) فهو بيان شرف القرآن لشرف منزلته وذلك هو قوله

حتى يكون رأس الواحد نحو ٥٤ سا كراس الحنيد ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم

وإنما يخرج من قدر حدثن أبي بن سفيان التمس إلى المشرك قال حديثه يا رسول الله وما الدنيا فتلا الآية وقال بل ما بين
المشرق والغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصديه كهيئة الزكوة وأما الكافر فهم كالسكران يخرج من مخزبه
واذنيه وديره الأول هو الذي يستدعيه مساق النظم * ٤٦٦ * الكرم قطعاً فإن قوله تعالى (أني أهم الذكري) الخرد

أنا كنا مرسلين فبين أن ذلك الإنذار والارسال إنما حصل من الله تعالى ثم بين أن ذلك
الارسال إنما كان لأجل تكميل الرحمة وهو قوله رحمة من ربك وكان الواجب أن يقال
رحمة منا لأنه وضع الظاهر ووضع المضمرة أي أن الربوبية تقتضي الرحمة على الربوبية
ثم بين أن تلك الرحمة وقعت على وفق حاجات المحتاجين لأنه تعالى يسمع تضرعاتهم ويعلم
أنواع حاجاتهم فلها قال أنه هو السميع العليم فهذا ما خطر بالبال في كيفية تعلق بعض
هذه الآيات ببعض (المسئلة الثامنة) في تفسير مفردات هذه الالفاظ أما قوله تعالى أنا
أزلتناه في ليلة مباركة فقد قيل فيه أنه تعالى أنزل كلية القرآن من اللوح المحفوظ إلى سكر
الديان في هذه الليلة ثم أنزل في كل وقت ما يحتاج إليه المكلف وقيل يبدأ في استنساخ ذلك
من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الرزاق إلى
ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبرائيل وكذلك الزلازل والصواعق والحسف ونسخة
الاعمال إلى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت
أما قوله تعالى فيها يفرق أي في تلك الليلة المباركة يفرق أي يفصل بين من قولهم فرقت
الشيء أفرقه فرقا وقرنا قال صاحب الكشاف وقرى يفرق بالتشديد و يفرق على اسناد
الفعل إلى الفاعل ونصب كل بالفارق هو الله عز وجل وقرأ زيد بن علي يفرق بانون أما قوله
كل أمر حكيم فالحكيم معناه ذوا الحكمة وذلك لأن تخصيص الله تعالى كل أحد بحالة
معينة من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة يدل على حكمة باقية لله تعالى فلما
كانت تلك الأفعال والأقضية دال على حكمة فاعلمها وصفت بكونها حكيم وهذا من
الاسناد المجازي لأن الحكيم صفة صاحب الأمر على الحقيقة ووصف الأمر به مجازاً
قال أمر من عندنا وفي التصاب قوله أمر أوجهان (الأول) أنه نصب على الاختصاص
وذلك لأنه تعالى بين شرف تلك الأقضية والأحكام بسبب أن وصفها بكونها حكيم ثم زاد في
بيان شرفها بأن قال أعني بهذا الأمر أمر إمامنا من عندنا كما نؤمن لئلا نرى
علمنا وتديبنا (والثاني) أنه نصب على الحال وفيه ثلاثة أوجه (الأول) أن يكون حالاً من
أحد الضميرين في أزلتناه أما من ضمير الفاعل أي أنا أزلتناه أمرين أمر أومن ضمير
المفعول أي أنا أزلتناه في حال كونه أمر من عندنا بما يجب أن يفعل (والثالث) ما حكاها
أبو علي الفارسي عن أبي الحسن رحمه الله أنه حمل قوله أمر على الحال وذو الحال قوله
كل أمر حكيم وهو نكرة ثم قال أنا كنا مرسلين يعني أنا إنما فعلنا ذلك الإنذار لأجل أن كنا
مرسلين يعني الأنبياء ثم قال رحمة من ربك أي للرحمة فهي نصب على أن يكون مفعولاً له ثم
قال أنه هو السميع العليم يعني أن تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لأن المحتاجين أما أن
يذكرها بالستهم حاجاتهم وأما أن لا يذكرها فإن ذكرها فهو تعالى يسمع كلامهم فيعرف
حاجاتهم وإن لم يذكرها فهو تعالى عالم بما ثبت أن كونه سميعاً عليماً يقتضي أن ينزل
رحمته عليهم ثم قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين وفيه مسائل

لكلامهم واستدعائهم
الكشف وتكذيب
لهم في الوعد بالآيات
لمني عن التذكري والاعاظ
اعتراهم من الداهية أي
كيف يتذكرون أو من
أين يتذكرون بذلك
ويفون بما وعدوه من
الآيات عند كشف
العذاب عنهم (وقد جاءهم
رسول مبين) أي والحال
أنهم شاهدوا من دواعي
التذكري وموجبات الاعاظ
ما هو أعظم منه في
إيجابها حيث جاءهم
رسول أعظم الشان
وبين لهم مناهج الحق
بإظهار آيات ظاهرة
ومعجزات فاهرة تخبرها
صم الجبال (ثم تولوا عنه)
عن ذلك الرسول وهو
هو ربنا شاهدوا منه
ما شاهدوه من العظام
الموجبة للإقبال عليه
ولم يفتعوا باتولى (وقالوا)
في حقه (معلم مجنون)
أي قالوا تارة يعلم غلام
أعجمي بعض نقيف
وأخرى مجنون أو يقول
بعضهم كذا وأخرون
كذا فهل يتوقع من قوم
هذه صفاتهم أن يتأثروا

بالعظة والتذكري وما مثلهم الا كمثل الكلب إذا جاع ضغفاً وإذا شبع طغى وقوله تعالى (أنا كاشفوا العذاب * المسئلة *
قليلاً انكم تأتون) جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب أنا مؤمنون بطريق

لا تخاف من ربك الواسع والتهديد وما يجهلها اعتراض أي الكشف العذاب اليهود ضحك كسفا قليلا أو زمانا قليلا
 نكح تعودون ان ذلك ان ما كنتم عليه من العنوا والاصرار على الكفر وتسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة
 على محققها الاحتمال والتدقيق كلاهما ٤٦٧ حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فاليشوا

ان عادوا الى ما كانوا
 عليه من العنوا والاعتاد
 ومن فسر الدخان بناهق
 من الاشرط قال اذا جاء
 الدخان تضورا المذبذبون
 به من الكفار والمنافقين
 وضوئوا وقالوا ربنا اكشف
 عنا العذاب انما مؤمنون
 فكشفه الله تعالى عنهم
 بعد اربعين يوما وربما
 يكشفه عنهم برنين
 ولا يتهنون (يوم نبطش
 البطشة الكبرى)
 يوم القيامة وقيل يوم
 بدر وهو ظرف لسادل
 عليه قوله تعالى
 (انما تتقون) لانتم تقون
 لان ان مائة من ذلك
 أي يومئذ ننقم انما تتقون
 وقيل هو بدل من يوم تأتي
 الحوقر يبطش أي
 نحمل الملايكة على أن
 يبطشوا بهم البطشة
 الكبرى وهو التناول
 بعنف وصولة أو نجعل
 البطشة الكبرى باطشة
 بهم وقرى يبطش بضم
 الطاء وهي لغة (واقعد
 فتناقبهم قوم فرعون)
 أي امتحناهم بارسال
 موسى عليه السلام او
 أوقفناهم في الفتنة

(المسئلة الاولى) قرأ اصم وحرزة والكسائي بكسر الباء من رب عطف على قوله رحمة من
 ربك والباقون بالرفع عطف على قوله هو السميع العليم (المسئلة الثانية) المقصود من هذه
 الآيات ان المنزل اذا كان موصوفا بهذه الجلالة والكبرياء كان المنزل الذي هو القرآن في
 غاية الشرف والرفعة (المسئلة الثالثة) الفائدة في قوله ان كنتم موقنين من وجوه (الاول)
 قال أبو مسلم معناه ان كنتم تطلبون اليقين وتريدونه فاعرفوا ان الامر كما قلنا كقولهم
 فلان منجدتهم أي يريدون مجدا وتهامة (الثاني) قال صاحب الكشاف كانوا يعرفون بأن
 للسموات والارض ربا يوافقون لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب
 سبحانه وتعالى ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذي أتتم مقرون به ومعترفون بأنه
 رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم ويتعين كما تقول هذا انعام زيد
 الذي تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وسمعت قصته ثم انه تعالى رد أن يكفونوا
 موقنين قوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم ويتعين ولا عن جد
 وحققة بل قول مخلوط بهنوء ولعب والله أعلم بقوله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان
 مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون أن لهم الذكرى
 وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انما اكشفوا العذاب قليلا لانكم طائدون
 يوم يبطش البطشة الكبرى انما تتقون) اعلم ان المراد بقوله فارتقب انتظر ويقال ذلك
 في المكروه والمعنى انتظر يا محمد عذابهم فحذف مفعول الارتقاب لدلالة ما ذكر بعده عليه
 وهو قوله هذا عذاب أليم ويجوز أيضا أن يكون يوم تأتي السماء مفعول الارتقاب وقوله
 بدخان فيقولان (الاول) ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قومه بمكة لما كذبوه فقال
 اللهم اجعل سنهم كسنى يوسف فارتفع المطر وأجدبت الارض وأصابت قرى يشاشدة
 الجماعة حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف فكان الرجل لسا به من الجوع يرى بينه
 وبين السماء كالدخان وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما في بعض الروايات ومقاتل
 ومجاهد واختيار الفراء والزجاج وهو قول ابن مسعود رضى الله عنه وكان يكرر أن
 يكون الدخان الهذا الذي أصابهم من شدة الجوع كالظلمة التي في أبصارهم حتى كانوا كأنهم
 يرون دخانا فالجاصل أن هذا الدخان هو الظلمة التي في أبصارهم من شدة الجوع وذكر ابن
 قتبية في تفسير الدخان بهذه الحالة وجهين (الاول) ان في سنة الفمحة معظم بئس الارض
 بسبب انقطاع المطر يرتفع الغبار الكثير يظلم الهواء وذلك يشبه الدخان ولهذا يقال
 لسنة الجماعة الغبراء (الثاني) ان العرب يسمون الشر الغالب بالدخان فيقولون كان بيننا
 أمر ارتفع له دخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه أو ضعفه أظلمت عيناه فيرى
 الدنيا كالملوهة من الدخان (والقول الثاني) في الدخان انه دخان يظهر في العالم وهو احدى
 علامات القيامة قالوا فاذا حصلت هذه الحالة حصل لاهل الايمان منه حالة تشبه الزكام
 وحصل لاهل الكفر حالة يصير لاجلها رأسه كراس الخنزير وهذا القول هو المنقول عن

بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرى بالتشديد للمبالغة أو لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله تعالى أو على
 المؤمنين أو في نفسه لان الله تعالى (أن أدوا الى عباد الله) أي بأن أدوا الى
 بنى اسرائيل

وارسلوهم بمعنى اوبان ادوا الى باعباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل انهم مشركون لان محي الرهول لا يكون
الابرسالة ودعوة وقيل تخفف من التذليل اى جاءهم بان اشارة ادوا الى الخ وبوله تعالى (انى انكم رسول امين) بتعليل الامر
اولوجوب الامور به اى رسال غير ظنين قد اثبتنى الله تعالى في 268 على وحيد وسدقنى بالمعجزات القاهرة

(وان لا تعلموا على الله)
اى لا تكبروا عليه تعالوا
بالاستهانة بوحده وبرسوله
وار كالتى سلفت وقوله
تعالى (انى آيتكم) اى
رجهته تعالى (بسلطنته
مبين) بتعليل للنهي اى
آيتكم بحجة واضحة
لا يسبيل الى انكارها
وايتكم على صيغة الفاعل
او المضارع وفي ايراد
الاداء مع الامين
والسلطان مع الغلاء
من الجزالة ما لا يخفى
(وانى عدت بربى وربكم)
اى التجأت اليه وتوكلت
عليه (ان ترجون) من
ان ترجونى اى تؤذونى
ضرباً او شتماً وان تقتلونى
قيل لما قال وان لا تعلموا
على الله توعدوه باقتل
وقرى بادغام الذال في
التاء (وان لم تؤمنوا لى
فاعتزلون) اى وان كابرتم
مقتضى العزل ولم تؤمنوا
الى فتحونى كفا فالاعلى
ولالى ولا تعرضوا لى
بشر ولاذى فليس ذلك
جزاء من يدعونكم الى ما فيه
فلا حكم وحمله على معنى
فاقتلوا واسباب الوصلة
عنى فلا موالاته بينى وبينى

على بن ابي طالب عليه السلام وهو قول مشهور لابن عباس (احج ما قالوا بهذا القول
بوجود) (الاول) ان بوله يوم نأتى السماء بدخا يقتضى وجود دخان نأتى به السماء وما
ذا كرتوه من الظلمة الحاصلة في العين بسبب شدة الجوع في الدخان دخلت به السماء
وكان حل لفظ الآية على هذا الوجه عدوا عن ظاهر الادليل منفصل وانه لا يجوز
(الثاني) انه وصف ذلك الدخان كونه مبيد والحياة التي ذكرتموه يست كذلك بنها
طارضة تعرض لبعض الناس في ادمتهم ومثل هذا لا يوصف بكونها خائفاً مبيداً (والثالث)
انه وصف ذلك الدخان بأنه يغشى الناس وهذا انما يصدق اذا وصل ذلك الدخان اليهم
واتصل بهم والحالة التي ذكرتموها لا توصف بأنها تغشى الناس الاعلى سبيل المجاز وقد
ذكرنا ان العندول من الحقيقة الى المجاز لا يجوز الا للدليل منفصل (الرابع) روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اول آيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم عليهما السلام ونار
تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال دخان يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين
يوماً وايلاً اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزنكة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من
مخزبه واذنيه ودره رواه صاحب الكشاف وروى القاضي عن الحسن عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال باكروا بالاعمال سناوذكر منها طلوع الشمس من مغربها والدجال
والدخان والداية اما القائلون بالقول الاول فلا شك ان ذلك يقتضى صرف اللفظ عن
حقيقته الى المجاز وذلك لا يجوز الا عند قيام دليل يدل على ان حمله على حقيقته متمم
والقوم لم يذكروا ذلك الدليل فكان المصير الى ما ذكره مشكلاً جداً فان قالوا الدليل على
ان المراد ما ذكرناه انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون
وهذا اذا حلناه على القحط الذي وقع بمكة استقام فانه نقل ان القحط لما اشتد بمكة مشى
اليه ابوسفيان وناشده بالله والرحم وأوعده انه ان دعا لهم وأزال الله عنهم تلك البلية ان
يؤمنوا به فلما أزال الله تعالى عنهم ذلك رجعوا الى شركهم أما اذا حلناه على ان المراد منه
ظهور علامة من علامات القيامة لم يصح ذلك لان عند ظهور علامات القيامة لا يمكنهم ان
يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون ولم يصح أيضاً ان يقال لهم انما كاشفوا العذاب
قليلاً انكم طائون (والجواب) لم لا يجوز ان يكون ظهور هذه العلامة تجارياً مجرى ظهور
سائر علامات القيامة في أنه لا يوجب تقطع التكليف فتحدث هذه الحسنة ثم ان الناس
يخافون جداً فيتضرعون فاذا زالت تلك الواقعة عادوا الى الكفر والفسق واذا كان
هذا محتملاً فقد سقط ما قالوه والله أعلم ولتراجع الى التفسير فنقول قوله تعالى يوم نأتى
السماء بدخان مبين اى ظواهر الحال لا يشك احد في أنه دخان يغشى الناس اى يشعلهم وهو
في محل الجر صفة لقوله بدخان ون قوله هذا عذاب ألم قولان (الاول) انه منصوب المحل
بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اى قائلين ذلك (الثاني) قال

من لا يؤمن باباه المقام (سطار به) بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام (ان هو لاه) اى بان هو لاه نحو الجرجاني
(قوم مجرمون) هو اى يضرب بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمى

فدعا وقرئ بالكنس على اضممار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعل فتنة للنوم الظالمين (فأسر بعبادي ليلا) باضممار القول اما بعد الفاء أي فقال ربه أسر بعبادي وأما قبلها فإنه قيل قال ان كان الامر كما تقول فأسر ﴿ ٤٦٩ ﴾ بعبادي أي بني اسرائيل فقدد رب الله تعالى

ان تقدموا وقرئ بوسل
 الهزيمة سرى (نكم
 متبعون) أي يذبحكم
 فرعون وجنوده بعد
 ما علوا بخروجكم (وارك
 البحر رهوا) مقتوما
 ذافجوة واسعة أو ساكننا
 على هيشه بعد ما جاوزته
 ولا تضرب به بعصاك
 لينطبق ولا تغبره عن حاله
 ليدخله القبط (انهم جند
 مفرقون) وقرئ رأينهم
 بالفتح أي لانهم (كم
 تركوا) أي كثيرا تركوا
 بصرا (من جنات وعيون
 وزروع ومقام كريم)
 محافل مزينة ومنازل
 محسنة (ونعمة) أي
 نعم (كانوا فيها فاكهين)
 متنعمين وقرئ فكهين
 (كذلك) الكاف في حيز
 النصب وذلك اشارة
 الى مصدر فعل يدل
 عليه تركوا أي مثل
 ذلك السلب سلبناهم
 ايها (وأورثناها قوما
 آخرين) وقيل مثل ذلك
 الاخراج أخرجناهم
 منها وقيل في حيز الرفع
 على الخبرية أي الامر
 كذلك في حيث يكون
 أورثناها معطوفا على

الجرماني صاحب النظم هذا اشارة اليه واخبار عن دنوه واقترابه كما يفار هذا العدو
 فاستقبه وانصرص منه التنبية على القرب ثم قال ربنا كشف عنا العذاب فان لنا التقدير
 يقول هذا عذاب اليم ربنا كشف عنا العذاب فالمعنى ظاهر وان لم يضر القول هناك
 أضمر اه ههنا والعذاب على القول الاول هو القحط الشديد وعلى القول الثاني الدخان
 المهللا امام مؤمنون أي محمد و بالقرآن والمراد منه الوعد بالايان ان كشف عنهم العذاب
 ثم قال مالي أي اسم الذكري يعني كيف يتذكرون وكيف يتعظون بهذه الحادثة وقد جاءهم
 ما هو عظيم وأدخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على رسول الله من المعجزات القاهرة
 والبيدات الباهرة ثم تولوا عنه ولم يلتفتوا اليه وقالوا معلم مجنون وذلك لان كفار مكة
 كانوا في ظهور القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام قولان منهم من كان يقول ان
 محمدا يتعلم هذه الكلمات من بعض الناس لقوله انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه
 أعجمي و قوله تعالى وأعان عليه قوم آخرون ومنهم من كان يقول انه مجنون والجن
 يلقون عليه هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي ثم قال تعالى انما كشفوا العذاب قليلا
 انكم تأتدون أي كما يكشف العذاب عنكم تعودون في الحال الى ما كنتم عليه من الشرك
 والمقصود التنبية على انهم لا يوفون بعهدهم وأنهم في حال العجز يتضرعون الى الله تعالى
 فاذا زال الخوف عادوا الى الكفر والتقليد لمذاهب الاسلاف ثم قال تعالى يوم يبطش
 البطشة الكبرى انما تتقون قال صاحب الكشاف وقرئ يبطش بضم الطاء وقرأ الحسن
 يبطش بضم النون كأنه تعالى يأمر الملائكة بأن يبطشوا بهم والبطش الاخذ بشدة
 وأكثر ما يكون بوقع الضرب المتتابع ثم صار بحيث يستعمل في ايصال الآلام المتتابعة
 وفي المراد بهذا اليوم قولان (الاول) انه يوم بدر وهو قول ابن مسعود وابن عباس
 ومجاهد ومقاتل وأبي العالية رضى الله تعالى عنهم قالوا ان كفار مكة لما أزال الله تعالى
 عنهم القحط والجوع عادوا الى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر (والقول الثاني) انه يوم
 القيامة رمى عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال قال ابن مسعود
 البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة وهذا القول أصح لان يوم بدر لا يبلغ
 هذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف العظيم ولان الانتقام انما يحصل يوم القيامة
 لقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ولان هذه البطشة لما وصفت بكونها كبرى
 على الإطلاق يجب ان تكون أعظم أنواع البطش وذلك ليس الا في القيامة ولفظ الانتقام
 في حق الله تعالى من التشابهات كالمغضب والحياة والتعجب والمعنى معلوم والله أعلم
 * قوله تعالى (ولقد فتناهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الى عباد الله انى
 لكم ورسول أمين وأن لا تعلموا على الله انى آتاكم بسلطان مبين وانى عدت ربى وربكم ان
 ترجعون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادي ليلا
 انكم متبعون وارك البحر رهوا انهم جند مفرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع

تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر (فآيتك عليهم السماء والارض) مجاز عن عدم الاكثرت بهلاكهم
 والاعتقاد بوجودهم فيد تمكهم بهم وبخالهم المنافية لحال من يعظم فقهه فيقال له بكت عليه السماء والارض
 ومنه ما روى ان المؤمن يبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومساعد

عمله ومهاسب رزقه وآثاره في الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض (وما كانوا) للجاد وقت هلاكهم
(منظرين) مهلين الى وقت آخر اوالى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا (ولقد نجينا بنى اسرائيل) بأن فعلنا
بفرعون وقومه ما فعلنا (من العذاب المهين) ﴿ ٤٧٠ ﴾ من استبداد فرعون اياهم وقتل آياتهم واستحياهم

ومقام كريم ونعمة كانوا فيها ما كهن كذلك وأورثناها قوما آخرين فابكت عليهم السماء
والارض وما كانوا منظرين) اعلم انه تعالى لما بين ان كفار مكة مصرعون على كفرهم بين
أن كثيرا من المتقدمين أيضا كانوا كذلك فينبى حصول هذه الصفة في أكثر قوم فرعون
قال صاحب الكشاف قرئ ولقد فتنا بالشدائد كيد قال ابن عباس ابتلينا قال الزجاج
ياونا والمعنى عاملناهم معاملة المخبر بعث الرسول اليهم وجاءهم رسول كريم وهو موسى
واختلفوا في معنى الكرم ههنا فقال الكلبي كريم على ربه يعنى انه استحق على ربه أنواعا
كثيرة من الاكرام وقال مقاتل حسن الخلق وقال الفراء يقال فلان كريم قومه لانه قل
ما بعث رسول الا من أشرف قومه وكرامهم ثم قال أن أدوا الى عباد الله وفي أن قولان
(الاول) أنها أن المنسرة وذلك لان يحيى الرسول الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه
لا يجيهم الا بشرا ونذيرا وداعيا الى الله (الثاني) انها المنخفضة من الثقلة ومعناه وجاءهم
بان الشبان والحديث أدوا وعباد الله مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم الى
وأرسلوهم يحيى وهو قوله فأرسل معناني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أيضا أن يكون نداء
لهم والتقدير أدوا الى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من الايمان وقبول دعوتى واتباع
سبيلى وعلل ذلك بانه رسول أمين فدعا الله تعالى على وحيه ورسالاته وأن لا تعلموا ان هذه
مثل الاولى في وجهيها أى لا تكبروا على الله باهانة وحيه ورسوله انا آتيكم بسلطان مبين
بحجة بينة يعترف بصحتها كل عاقل واني عدت برى وبكم أن ترجون قبل المراد ان تغفلون
وقيل أن ترجون يا تقول ففعلوا انه ساحر كذاب وان لم تؤمنوا بى أى ان لم تصدقونى
ولم تؤمنوا بالله لاجل ما أتيتكم به من الحجة فاللام فى لام الاجل فاعتزلون أى خلوا سبيلى
لالى ولاعلى قال مصنف الكتاب رحمه الله تعالى ان المعتزلة يتصلفون ويقولون ان لفظ
الاعتزال أينما جاء فى القرآن كان المراد منه الاعتزال عن الباطل لاعتزال الحق فانفق
حضورى معهم فى بعض المحافل وذكر بعضهم هذا الكلام فأوردت عليه هذه الآية
وقلت المراد من الاعتزال فى هذه الآية الاعتزال عن دين موسى عليه السلام وطريقته
وذلك لانه اعتزال عن الحق فانقطع الرجل ثم قال تعالى فدما ربه الفاء فى فدعائيل
على انه متصل بمخدوق قبله والتأويل انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا موسى ربه بان هو لاء قوم
مجرمون فان قالوا الكفر أعظم حالا من الجرم فالسبب فى أن جعل صفة الكفار كونهم
مجرمين حال ما أراد المبالغة فى ذمهم قلت لان الكافر قديكون عدلا فى دينه وقديكون
مجرما فى دينه وقديكون فاسقا فى دينه فيكون أخس الناس قال صاحب الكشاف قرئ
ان هو لاء بالكسر على اضمار القول اى فدما ربه فقال ان هو لاء فأسر بعبادى ايلاقرأ
ابن كثير ونافع فاسر موصولة الالف والباقون مقطوعة الالف سرى وأسرى اثنان أى
أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى ليلا انكم متبعون أى يتبعكم فرعون وقومه ويصير
ذلك سببا لهلاكهم واترك البحر رهوا وفى الرهوقولان (أحدهما) انه الساكن يقال عيش

نسايتهم على الخسف
والضيم (من فرعون)
يدل من العذاب اما على
جعل له نفس العذاب
لا فراطه فيه واما على
حذف المضاعف أى
عذاب فرعون أو حال
من المهين أى كائن من
فرعون وقرئ من
فرعون على معنى هل
تعرفونه من هو فى عتوه
وتفرغته وفى ابهام
أمره أو لاولوتبينه بقوله
تعالى انه كان عاليا من
المسرفين) ناسيا من
الافصاح عن كنه امره
فى الشر والفساد مالا
من يد عليه وقوله تعالى
من المسرفين اما خبر
نأن لكان أى كان متكبرا
مسرفا أو حال من الضمير
فى طالبى اى كان رفيع
الطبقة من بين المسرفين
فأنتالهم يليغى فى
الاسراف (ولقد اخترنا
هم) أى بنى اسرائيل
(على علم) أى عالين
بانهم أحقاء بالاختيار
أو عالين بانهم يزيدون
فى بعض الاوقات ويكثر
منهم القرطبات (على
العالمين) جميعا لكثرة

الانبياء فيهم أو على عالمى زمانهم (وآياتناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل العمائم وانزال المن ﴿ راء ﴾
والسلوى وغيرها من عظام الآيات التى لم يعهد مثلها فى غيرهم (ما فيه بلاه مبين) نعمة جليلة أو اختيار ظاهر
لتنظر كيف يعملون (ان هو لاء) يعنى كفار قر يش لان الكلام

فيهم وقصة فرعون وقومة مسوقة للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والهديز عن حلول مثل ما فعل بهم
(ليقولون ان هي الاموتنا الاولى) ٤٧١ أي ما العاقبة ونهاية الامر الاموتة الاولى المزيه للحياة الدنيوية

ولا قصد فيه الى اثبات
موتة اخرى كافي فوكلت
خرج زيدا للحجة الاولى
ومات وقيل لما قبل لهم
انكم تموتون موتة تعقبها
حياة كما تقدمتكم موتة
كذلك قالوا ما هي الا
موتتنا الاولى أي ما الموتة
التي تعقبها حياة الاموتة
الاولى وقيل المعنى ليست
الموتة الا هذه الموتة
دون الموتة التي تعقب
حياة القبر كما تزعمون
(وما نحن بمنشرين)
بموتين (فأتوا يا بئسنا)
خطاب لمن وعدهم
بالنشور من الرسول عليه
العلاقة والسلام والمؤمنين
(ان كنتم صادقين)
فيما تعدونه من قيام
الساعة وبعث الوقي
ليظهر أنه حق وقيل
كانوا يعذبون اليهم أن
يدعوا الله تعالى فينشر
لهم قصي ابن كلاب
لبشاوروه وكان كبيرهم
ومفرعهم في المعجمات
والملمات (أهم خير) رد
لقولهم وتهديد لهم أي
أهم خير في القوة والمنعة
التي يدفع بها السباب
الهلاك (أم قوم تبع)

راه اذا كان خافضا وادعا وافعل ذلك سهوا رهوا أي ساكتا بغير تشدد أراد موسى عليه
السلام لما جاوز البحران يضرب به بعصاه فينطلق كما كان فامر الله تعالى بان يتركه ساكتا
على هيئته فاراعلى حاله في انفلاق الماء وبقاء الطريق يبساح حتى يدخله القبط فاذا حصلوا
فيه أطبقه الله عليهم (والثاني) ان الرهوهو الفرجة الواسعة والمعنى ذا رهوا أي ذا فرجة
يعنى الطريق الذي أظهره الله فيما بين البحرانهم جند مغرفون يعنى اترك الطريق كما كان
حتى يدخلوا فيفرقوا وإنما أخبره الله تعالى بذلك حتى يبقى فارغ القلب عن شرهم وايدانهم
ثم قال تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم يدات هذه الآية على انه تعالى
أغرقهم ثم قال بعد غرقهم هذا الكلام وبين تعالى انهم تركوا هذه الاشياء الخمسة وهي
الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم والمراد بالمقام الكريم ما كان لهم من المجالس
والمنازل الحسنة وقيل المنابر التي كانوا يدحون فرعون عليها ونعمة كانوا فيها فاكهين
قال علماء اللغة نعمة العيش بفتح النون حسنة ونضارته ونعمة الله احسانه وعطاؤه قال
صاحب الكشاف النعمة بالفتح من التعمير بانكسر من الانعام وقرى فاكهين وفكهين
كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج أخر جناتهم منها وأورثناها أوفى
موضع الرفع على تقدير ان الامر كذلك وأورثناها فوما آخر بن لبسوا منهم في شيء من
قراية ولادين ولاولاهم بنو اسرائيل كانوا مستعبدين في أيديهم فأهلكهم الله على
أيديهم وأورثهم منكمهم وديارهم ثم قال تعالى فابكت عليهم السماء والارض وفيه وجوه
(الاول) قال الواحدى في البسيط روى أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من عبد الاوله في السماء بابان باب يخرج منه رزق وياب يدخل فيه عمله فاذا مات فقدها
وبكيا عليه وتلاهذه الآية قال وذلك لانهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا
فتبكي عليهم ولم يصعد لهم الى السماء كلام طيب ولا عمل صالح فتبكي عليهم وهذا قول أكثر
المفسرين (القول الثاني) التقدير فابكت عليهم أهل السماء وأهل الارض فحذف
المضاف والمعنى ما بكت عليهم الملائكة والامواتون بل كانوا يهلكهم مسرورين
(والقول الثالث) ان عادة الناس جرت بان يقولوا في هلاك الرجل العظيم الشأن انه أظلمت
له الدنيا وكسفت الشمس والقمر لاجله وبكت الريح والسماء والارض ويريدون المبالغة
في تعظيم تلك المصيبة لانفس هذا الكذب ونقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه ابكت عليه السماء والارض
وقال جرير الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكي عليك نجوم الليل والقمر
وفيه ما يشبه السخرية بهم يعنى انهم كانوا يستعظمون أنفسهم وكانوا يعتقدون في أنفسهم
انهم لوماتوا بكت عليهم السماء والارض فكانوا في هذا الخدبل كانوا دون ذلك وهذا
انما يذكر على سبيل التهكم ثم قال وما كانوا منظرين أي لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى
وقت آخر توبة وتدارك لتصير * قوله تعالى (ولقد نجينا بنى اسرائيل من السباب المهين

هو تبم الجسيري الذي سار بالجيش وحير الحيرة وبنى معرقند وقيل مدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك
ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك بحرا وبحرا أي

صحارا كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا نبيا فانه كان قد اسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدري آكان تبع نبييا
أو غير نبي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يتبعه قيل في ٤٧٢ م للوك الامين التباينة لانهم يتبعون كما قال لهم

الاقبال لانهم يتقبلون
(والذين من قبلهم)
عطف على قوم تبع والمراد
بهم عاد وثمود وأضرابهم
من كل جبار عنيد أول
بأس شديد والاستفهام
لتقرير أن أولئك أقوى
من هؤلاء وقوله تعالى
(أهلكناهم) استفهام
ليبين عاقبة أمرهم وقوله
تعالى (انهم كانوا مجرمين)
تعليل لاهلاكهم ليعلم
أن أولئك حيث أهلكوا
بسبب اجرامهم مع ما
كانوا في غاية القوة
والشدة فلأن يهلك
هؤلاء وهم شر كما لهم
في الاجرام أضعف منهم
في الشدة والقوة أولى
(وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما)
أي ما بين الجنسين
وقرى وما بينهما (لا تعين)
لاهيمن من قدير أن يكون
في خلقهم غرض صحيح
رعاية حميدة (ما خلقنا
هما) وما بينهما (الما
بالحق) استثناء مفرغ
من أهم الاحوال أو أهم
الاسباب أي ما خلقناهما
ملتبس بشئ من الاشياء
الما تبتسا بالحق أو ما

من فرعون انه كل طابا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وأيدت مع من
الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هي الاموت لنا الاولى ما نحن بنشر من
فأتوا يا بائنا ان كنتم صادقين أهم خيرا من قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا
مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا ليعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن
أكثرهم لا يعلمون اعلم انه تعالى لما بين كيفية اهلاك فرعون وقومه بين كيفية احسانه
الى موسى وقومه واعلم ان دفع الضرر مقدم على ايصال النفع فبدأ تعالى ببيان دفع
الضرر عنهم فقال ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين يعني قتل الابناء واستخدام
النساء والانتعاب في الاعمال الشاقة ثم قال من فرعون وفيه وجهان (الاول) ان يكون
التقدير من العذاب المهين الصادر من فرعون (الثاني) أن يكون فرعون بدلا من العذاب
المهين كأنه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم قال صاحب الكشاف
وقرى من عذاب المهين وعلى هذه القراءة فالمهين هو فرعون لانه كان عظيم السعي في اهانة
الحقين وفي قراءة ابن عباس من فرعون وهو بمعنى الاستفهام وقوله انه كان عاليا من
المسرفين جوابه كان التقدير ان يقال هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله
بقوله انه كان عاليا من المسرفين أي كان على الدرجة في طبقة المسرفين ويجوز أن يكون
المراد انه كان عاليا لقوله ان فرعون علا في الارض وكان أيضا مسرفا ومن اسرافه انه على
حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين الله تعالى انه كيف دفع الضرر عن بني اسرائيل بين
انه كيف أوصل اليهم الخيرات فقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد بحثنا والبحث
الاول) أن قوله على علم في موضع الحال ثم فيه وجهان (أحدهما) أي عالين بكونهم مستحقين
لان تخاروا ويرجعوا على غيرهم (والثاني) أن يكون المعنى مع علمنا بأنهم قد نزلوا
وبصدر عنهم الفرط في بعض الاحوال (البحث الثاني) ظاهر قوله ولقد اخترناهم على
علم على العالمين يقتضي كونهم أفضل من كل العالمين فقبل المراد على عالمي زمانه وقيل
هذا عام دخله التخصيص كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس ثم قال تعالى وآتاهم من
الآيات مثل فلق البحر ونظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيره من الآيات المتناهية
التي ما أنظر الله مثلها على أحد سواهم بلاء مبين أي نعمة ظاهرة بانه تعالى كان يبلو
بالحنة قد يبلو أيضا نعمة اختيارا ظاهر التميز الصديق عن الزنديق وهما من الكلام
في قصة موسى عليه السلام ثم رجع الى ذكر كفار مكة وذلك لان الكلام فيهم حيث قال
بل هم في شك يلبون أي بل هم في شك من البعث والقيامة ثم بين كيفية اصرارهم
على كفرهم ثم بين أن قوم فرعون كانوا في الاصرار على الكفر على هذه القصة ثم بين انه
كيف أهلكهم وكيف أنعم على بني اسرائيل ثم رجع الى الحديث الأول وهو كون كفار
مكة منكرين للبعث فقال ان هؤلاء ليقولون ان هي الاموت لنا الاولى وما نحن بنشر من

خلقناهما بسبب من الاسباب الاسباب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء (ولكن أكثرهم فرغان
لا يعلمون) أن الامر كذلك فيكون البعث والجزاء

المكان على الاطلاق فانه من الخالص الذي ﴿ ٤٧٥ ﴾ شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو

الطعام بالمهل وهو دردى الزيت وعكرا انطران ومذاب الححاس وسائر الفلزات وتم
الكلام ههنا ثم اخبر عن غلباته في بطون الكفارة فقال يغلي في البطون وقرئ بالثاء فن
قراباته فلنايت الشجرة ومن قرأ بالياء حمله على الطعام في قوله طعام الاثيم لان الطعام
هو الشجرة في المعنى واختار أبو عبيد الياء لان الاسم المذكور يعني المهل هو الذي يلى
الفعل فصار التذكير به أولى واعلم انه لا يجوز أن يحمل الغلي على المهل لان المهل مشبه
به وانما يغلي ما يشبه بالمهل كغلي الحميم والماء اذا اشتد غليانه فهو حميم ثم قال خذوه أى
خذوا الاثيم فاعتلوه وقرئ بكسر التاء قال اليبث العتل أن تأخذ بمنكب الرجل فتعته
أى تجره اليك وتذهب به الى حبس أو مخنة واخذ فلان بزمام الناقة يعتلها وذلك اذا
قبض على أصل الزمام عند الرأس وقدها قودا عتيقا وقال ابن السكيت عتلت الى
السجين واعتلته اذا دفعته دفعا عتيقا هذا قول جميع اهل اللغة في العتل وذكروا في
الناغين ضم التاء وكسرها وهما صحيجان مثل بكمون وبعكفون ويعرشون ويعرشون
قوله تعالى الى سواء الحميم أى الى وسط الحميم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم وكان
الاصل أن يقال ثم صبوا من فوق رأس الحميم يصب من فوق رؤسهم الحميم الا ان هذه
طائفة استعمارة أكل في المبالغة كأنه يقول صبوا عليه عذاب ذلك الحميم ونظيره قوله
تعالى ربنا أفرغ علينا صبرا ذق انك أنت العزيز الكريم وذكر وافية وجوها (الاول)
انه يخاطب بذلك على سبيل الاستهزاء والمراد انك أنت بالضعف منه (والثاني) ان أباجهل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جليلها أعز ولا أكرم منى فوالله ما نستطيع أنت
ولا ربك أن تفعلنا شيئا (والثالث) انك كنت تعتزلا بالله فانظر ما وقعت فيه وقرئ أنك
بمعنى لانك ثم قال ان هذا ما كنتم به تعترون أى ان هذا العذاب ما كنتم به تعترون أى
تشكون والمراد منه ما ذكره في أول السورة حيث قال بل هم في شك يلبسبون * قوله تعالى
(ان المتقين في مقام أمين في جناب وعيون يلبسون من سندس واستبرق منقابلين كذلك
وزوجناهم محجورين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
ووفاهم عذاب الحميم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعالمهم
يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون) اعلم انه تعالى لما ذكر الوعيد في الآيات المتقدمة
ذكر الوعد في هذه الآيات فقال ان المتقين قال أصحابنا كل من اتى الشرك فقد صدق
عليه اسم المتقى فوجب ان يدخل الفاسق في هذا الوعد واعلم انه تعالى ذكر من أسباب
تنعمهم أربعة اشياء (أولها) مساكنهم فقال في مقام أمين واعلم ان المسكن انما يطيب
بشرطين (أحدهما) أن يكون آمنا عن جميع ما يخاف ويحذر وهو المراد من قوله في
مقام أمين قرأ الجمهور في مقام بفتح الميم وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم قال صاحب
الكشاف المقام بفتح الميم هو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخالص الذي جعل
مستعملا في المعنى العام وبالضم هو موضع الإقامة والأمين من قولك امن الرجل امانة

موضع إقامة (أمين)
يا من صاحبه الآفات
والاشتغال عنه وهو من
الأمين الذى هو ضد
الحيازة وصف به
المسكان بطريق
الاستعارة كأن المكان
الخفيف يخون صاحبه
لما بقى فيه من المكاره
(في جنات وعيون)
يبدل من مقام حى به
دلالة على نزاهته واشتالته
على طبقات الماسكلى
والشارب (يلبسون)
من سندس واستبرق)
اما خبر ثان اوحال من
الضمير في الجار أو
استئناف والسندس
مارق من الحرير
والاستبرق ما غلظ منه
معرب (منقابلين) في
الجاس استأنس
بعضهم ببعض (كذلك)
أى الامر كذلك أو
كذلك أتينا هم
(وزوجناهم محجورين)
عين) على الوصف
وقرئ بالاضافة أى
قرناهم بين والحور جمع
الحوراء وهى البيضاء
والعين جمع العيناء
وهى العظيمة العينين

اختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) أى يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه
باكه لا يتخصص شئ منها

يتمكن ولا زمان (أمين) من كل ما بسوءهم (لا يدوقون فيها الموت) ﴿٤٧٦﴾ (الالموتة الاولى) بل يستمرون على الحياة

فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به الذئبان استمارة لان المكان الخفيف كأنه يخون صاحبه (والشرط الثاني) لطيب المكان أن يكون قد حصل فيه أسباب الزهة وهي الجنات والعبود فلما ذكر تعالى هذين الشرطين في مساكن أهل الجنة فقد وصفها بما لا يقبل الزيادة (والقسم الثاني) من نعماتهم اللبوسات فقال يلبسون من سندس واستبرق قيل السندس مارق من السباح والاستبرق ما غلظ منه وهو نوع ريب استبرك فان قالوا كيف جازو رواد العجمي في القرآن قلنا لما عرب فقد صار عربيا (والقسم الثالث) فهو جلوسهم على صفة التقابل والتعرض منه استئناس البهش بالبعش فان قالوا الجلوس على هذا الوجه موحش لانه يكون كل واحد منهم مطلعا على ما يفعله الآخر وأيضا فان الذي يقل ثوابه اذا اطاع على حال من يكثر ثوابه يتعص عيشه قلنا احوال الآخرة بخلاف احوال الدنيا (والقسم الرابع) أزواجهم فقال كذلك وزوجناهم بحور عين الكاف فيه وجهان أن تكون مرفوعة والتقدير الامر كذلك أو منصوبة والتقدير آتيناهم مثل ذلك قال أبو عبيدة جهنناهم ازواجنا كزوج البعل بالبعل أي جعلناهم اثنين اثنين واختلفوا في أن هذا اللفظ هل يدل على حصول عقد التزويج أم لا قال يونس قوله وزوجناهم بحور عين أي قرناهم بين وليس من عقد التزويج والعرب لا تقول تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها قال الواحدي رحمه الله والتزويج يدل على ما قال يونس وذلك قوله قلنا قضى زيد منها وطرا زوجنا بها ولو كان المراد تزوجت بها لقال زوجناك بها وأرضا فقول القائل زوجته به معناه انه كان فردا فزوجته بآخر كما يقال شفقت به بآخر وأما الحور فقال الواحدي أصل الحور البياض والنحو راتيبيض وقد ذكرنا ذلك في تفسير الحور بين وعين حوراء اذا اشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون حور عينيها بياضا في لون الجسد والدليل على أن المراد بالحور في هذه الآية البياض قراءة ابن مسعود بعين وعين والبياض وأما العين فجمع عيناء وهي التي تكون عظيمة العينين من النساء قال الجياني رجل أعين اذا كان ضخيم العين واسعها والانسى عيناء والجمع عين ثم اختلفوا في هؤلاء الحور العين فقال الحسن بن عمار زك الدرديني شهن الله خلقا آخر وقال أبو هريرة ذهبن ليسوا من نساء الدنيا (والنوع الخامس) من نعمات أهل الجنة المأكول فقال يدعون فيها بكل فاكهة آمنين قالوا انهم يأكلون جميع أنواع الفاكهة لاجل انهم آمنون من الخمج والامراض ولما وصف الله تعالى أنواع ما هم فيه من الخيرات والراحات بين ان حياتهم دائمة فقال لا يدوقون فيها الموت الالموتة الاولى وفيه سؤالات (السؤال الاول) انهم ماذا قوا الموتة الاولى في الجنة فكيف حسن هذا الاستثناء واجب عنه من وجوه (الاول) قال صاحب الكشف أريد أن يقال لا يدوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الالموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل ان كانت

أبدا والاستثناء منقطع أو متصل على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الإطلاق كأنه قيل لا يدوقون فيها الموت الا اذا أمكن ذوق الموتة الاولى حينئذ (وقاهم عذاب الجحيم) وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية (فضلا من ربك) أي أعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع أي ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاهة ونيل لكل المطالب وقوله تعالى (فانا يسرناه لسانك لعلهم يذكرون) فذلك لسورة الكريمة اي انما اتينا لكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قرك ويتذكرها ويعملوا بموجبه واذالم يفتوا واذلك (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) ما يحل بك * روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له ﴿سورة الجاثية مكية وهي سبع وأوست وثلاثون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الموتة﴾

أصبح مغفورا له ﴿سورة الجاثية مكية وهي سبع وأوست وثلاثون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الموتة﴾

(خم) الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة ﴿٤٧٧﴾ كما لو من فان جعل اسم السورة ثم حله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف

أي هذا مسمى بحم
والإشارة إلى السورة قبل
جريان ذكرها وقد وقفت
على سره مرارا وان
جعل مسرودا على نعت
التعديد فلا حظ له من
الاعراب وقوله تعالى
(تنزيل الكتاب) على
الأول خبر بعد خبر على
أنه مصدر أطاق على
الفعول مبالغة وعلى
الثاني خبر مبتدأ مضمرة
يلوح به ما قبله أي الموقوف
من جنس ما ذكر تنزيل
الكتاب وقيل هو خبر
الحم أي المسمى به تنزيل
النوع وقدم مرارا أن الذي
يجعل عنوانا للموضع
حقه أن يكون قبل ذلك
بما هو المناسب إليه
وإذ لا عهد بالتسمية بعد
فتحها إلا أخبارها
وأما جعله خبرا له بتقدير
انضاف وإبقاء التنزيل
على أصله أي تنزيل
حم تنزيل الكتاب فمع
عرائه عن أفادة فائدة
يعتد بها تحمل على تحمل
وقوله تعالى (من الله
العزير الحكيم) كما مر
في صدر سورة الزمر
على التفصيل وقيل حم

الموتة لاوى يمكن ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها (الثاني) أن لا بمعنى لكن والتقدير
لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الأولى قد ذاقوها (الثالث) أن الجنة حقيقتهما ابتهاج
النفوس وفرحها بعرفة الله تعالى وبطاعته ومحبته وإذا كان الأمر كذلك فإن الإنسان
الذى فاز بهذه السعادة فموفى الدنيا في الجنة وفي الآخرة أيضا في الجنة وإذا كان الأمر
كذلك فقد وقعت الموتة الأولى حين كان الإنسان في الجنة الحقيقية التي هي جنة
المعرفة بالله والمحبة فذكر هذا الاستثناء كالنتيجة على قولنا إن الجنة الحقيقية هي حصول
هذه الحالة لا الدار التي هي دار الأكل والشرب ولهذا السبب قال عليه السلام أنبياء الله
لا يموتون ولكن ينقلون من دار إلى دار (والرابع) أن من جرب شيئا ووقف عليه صح
أن يقال أنه ذاقه وإذا صح أن يسمى ذلك العلم بالذوق صح أن يسمى تذكرة أيضا بالذوق
فقوله لا يذوقون فيها الموتة الأولى يعني الإذوق الحاصل بسبب تذكرة الموتة
الأولى (السؤال الثاني) أليس أن أهل النار أيضا لا يموتون فلم بشر أهل الجنة بهذا مع أن
أهل النار يشاركونهم فيه (والجواب) أن الإشارة ما وقعت بدوام الحياة لا بدوام الحياة
مع سائر حصول تلك الخيرات والسعادات فظهور الفرق ثم قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم
فرى ووقاهم بالتشديد فان قالوا مقتضى الدليل أن يكون ذكر الوقاية عن عذاب الجحيم
متقدما على ذكر الفوز بالجنة لأن الذي وقى عن عذاب الجحيم قد يفوز وقد لا يفوز فاذا ذكر
بعده أنه فاز بالجنة حصلت الفائدة أما الذي فاز بخيرات الجنة فقد تخلص عن عقاب الله
لأنه لم يكن ذكر الفوز عن عذاب جهنم بعد ذكر الفوز بشواب الجنة مفيدا فلنا التقدير
كانه تعالى قال ووقاهم في أول الأمر عن عذاب الجحيم ثم قال فضلا من ربك يعني كل
ما وصل إليه المتقون من الخلاص عن النار والفوز بالجنة فأنما يحصل بفضل الله وأحسب
أصحابنا بهذه الآية على أن الثواب يحصل تفضلا من الله تعالى لا بطريق الاستحقاق
لأنه تعالى لما عدد أقدام ثواب المتقين بين أنها بأسرها إنما حصلت على سبيل الفضل
والاحسان من الله تعالى قال القاضي أكثر هذه الأشياء وإن كانوا قد استحقوه
بعملهم فهو بفضل الله لأنه تعالى تفضل بالكليف وغرضه منه أن يصيرهم إلى هذه المنزلة
فهو كما أعطى غيره ما لا يصل به إلى ملك شبيعة فإنه يقال في تلك الضبيعة أنها من فضله فلنا
مذهبنا أن هذا الثواب حق لازم على الله وأنه تعالى أو أخل به إحصار سفياها وخرج به عن
الالهية فكيف يمكن وصف مثل هذا الشيء بأنه فضل من الله تعالى ثم قال تعالى ذلك هو
الفوز العظيم وأحسب أصحابنا بهذه الآية على أن الفضل أعلى درجة من الشواب
المستحق فإنه تعالى وصفه بكونه فضلا من الله ثم وصف الفضل من الله بكونه فوزا عظيما
ويدل عليه أيضا أن الملك العظيم إذا أعطى الأجير أجرته ثم خلع على إنسان آخر فإن تلك
الخلعة أعلى حالا من إعطاء تلك الأجرة ولما بين الله تعالى الدلائل وشرح الوعد والوعيد
قال فأنما يسرناه بلسانك اعلمهم يتذكرون والمعنى أنه تعالى وصف القرآن في أول هذه

مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى (إن في السموات والأرض لايات للذين آمنوا) وهو على الوجوه

المقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبية على الآيات التكوينية الآفاقية ﴿ ٤٧٨ ﴾ والانفسية ومحل الآيات اما نفض

السورة بكونه كتابا بينا أى كثير البيان والفائدة وذكر في خاتمتها ما يؤيد ذلك فقال ان ذلك الكتاب المميز الكثير الفائدة انما يسرناه بلسانك أى انما أنزلناه عن يداي عنك لعلمهم بذكره قال القاضي وهذا يدل على انه تعالى أراد من الكل الايمان والمعرفة وأنه ما أراد من أحد الكفر وأجاب أصحابنا ان الضمير في قوله لعلمهم بذكره عائد الى أقوام مخصوصين فحينئذ يحمل ذلك على المؤمنين ثم قال فارتقب أى فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك مرتبسون بك السواثر والله أعلم * قال المصنف رحمه الله تعالى تم تفسير هذه السورة لله اثلاثا في نصف النازل الثاني عشر من ذى الحجة سنة ثلاث وستائة يادأم المعروف يا قسيم الاحسان شهيدك اشراق العرش وضوء الكرسي ومعارض السموات وانوار الثواب والسيارات على منابرها المتوخلة في العلو الاعلى ومعارضها المقدسة عن غبار عالم الكون والفساد بان الاول الحق الازلى لا يناسبه شئ من علائق العقول وشوائب الخواطر ومناسبات المحضات فالتعجب بسبب محوه مقرر بالتقصان والشمس بشهادة المعارج بتغيراتها معترفه بالحاجة الى تدبير الرحمن والطباع مقهورة تحت القدرة القاهرة فالله في غيبات المعارج العالمة والتغيرات شاهدة بعدم تغيره والمنعاقبات ناطقة بدوام سرمدية وكل ما توجد عليه انه ماضى وسيأتى فهو خافه وأعلى منه فيجوده الوجود واليجاد وباندامه القضاء والفساد وكل ما سواه فهو تائه في جبروته نائر عند طلوع نور ملكوته وليس عند عقول الخلق الا انه بخلاف كل الخلق له العز والجلال والقدرة والكمال والجود والافضال ربنا ورب مبادينا اياك نروم ولك نصلى ونصوم وهليك المعول وأنت المبدأ الاول سبحانه سبحانك

(سورة الجاثية ثلاثون وسيم آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للحوثنين وفي خلقكم ما بينت من دابة آيات اليوم يوقنون واختلف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) وفيه مسائل (المسئلة الأولى) اعلم ان في قوله حم تنزيل الكتاب وجوها (الاول) ان يكون حم مبتدأ وتنزيل الكتاب خبره وعلى هذا التقدير فلا بد من حذف مضاف والتقدير تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة لتنزيل (الثاني) أن يكون قوله حم في تقدير هذه حم ثم نقول تنزيل الكتاب واقم من الله العزيز الحكيم (الثالث) أن يكون حم قسما وتنزيل الكتاب نعتا له وجواب القسم ان في السموات واستقدير وحى الذى هو تنزيل الكتاب ان الامر كذا وكذا (المسئلة الثانية) قوله العزيز الحكيم يجوز جعلها صفة الكتاب

السموات والارض فانهما منظوران من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان واما خلقها كما في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض وهو الاوتى بقوله تعالى (وفي خلقكم) أى من نطفة ثم من علقة متقلبة في أطوار مختلفة الى تمام الخلق (وما بينت من دابة) عطف على المضاف دون المضاف اليه أى وفيما ينشروه ويفرقه من دابة (آيات) بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرية بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوز وقيل آية بالتوحيد وقيل آيات بانصب عطفاً على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما بينت من دابة آيات (لقوم يوقنون) أى من شأنهم أن يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه

(واختلف الليل والنهار) بالجر على اضممار الجار المذكور في الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد ﴿ ويجوز ﴾ باختلافهما اما نفاقهما أو تفاوتهما طولاً وقصراً

(وما أنزل الله من السماء)
 عطف على اختلاف
 (من رزق) أي من مطر
 وهو سبب الرزق عبر عنه
 بذلك تبيينها على كونه
 آية من جهتي القدرة
 والرحمة (فأحيى به
 الأرض) بأن أخرج منها
 أصناف الزروع والثمار
 والنبات (بعدموتها)
 وعراشها عن آثار الحياة
 وانتفاء قوة التنمية فيها
 وخلو أشجارها عن الثمار
 (وتصريف الرياح)
 من جهته إلى أخرى ومن
 حال إلى حال وقرئ
 بتوحيد الريح وتأخير
 عن انزال المطر مع تقدمه
 عليه في الوجود أما
 لا يذان بآية مستقلة
 حيث لوروى الترتيب
 الوجودي ليمتوهم
 أن مجموع تصرف
 الرياح وانزال المطر آية
 واحدة وأما لأن كون
 التصريف آية ليس
 مجرد كونه مبدأ لإنشاء
 المطر بل له واساير المنافع
 التي من جعلتها سوق
 السفن في البحار (آيات
 لقوم يعقلون) بالرفع على
 أنه مبتدأ أخبر ما تقدم
 من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب

ويجوز جعلها صفة لله تعالى إلا أن هذا الثاني أولى ويدل عليه وجوه (الاول) أنا إذا
 جعلناهما صفة لله تعالى كان ذلك حقيقة وإذا جعلناهما صفة الكتاب كان ذلك مجازا
 والحقيقة أولى من المجاز (الثاني) أن زيادة التقرب توجب الرجوع (الثالث) أنا إذا
 جعلنا عز الحكيم صفة لله كان ذلك إشارة إلى الدليل الدال على أن القرآن حق لأن
 كونه عز يدل على كونه قادرا على كل الممكنات وكونه حكما يدل على كونه عالما
 بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات ويحصل لنا من مجموع كونه تعالى عز برا حكما
 كونه قادرا على جميع الممكنات طالما بجميع المعلومات غنيا عن كل الحاجات وكل
 ما كان كذلك امتنع منه صدور العبث والباطل وإذا كان كذلك كان ظهور المعجز دليلا
 على الصدق ثبت أنا إذا جعلنا كونه عز برا حكما صفتين لله تعالى يحصل منه هذه
 الفائدة وأما إذا جعلناهما صفتين للكتاب لم يحصل منه هذه الفائدة فكان الاول أولى
 والله أعلم ثم قال تعالى ان في السموات والأرض لايات للمؤمنين وفيه مباحث (الاول)
 ان قوله ان في السموات والأرض لايات يجوز اجراءه على ظاهره لانه حصل في ذوات
 السموات والأرض - والدالة على وجود الله تعالى مثل مقاديرها وكيفياتها وحر كآتها
 وأيضاً الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار موجودة في السموات والأرض وهي
 آيات ويجوز أن يكون المعنى ان في خلق السموات والأرض كما صرح به في سورة البقرة
 في قوله ان في خلق السموات والأرض وهو يدل على وجود القادر المختار في تفسير قوله
 الحمد لله الذي خلق السموات والأرض (البحث الثاني) قد ذكرنا المجرى والكشيرة في دلالة
 السموات والأرض على وجود لاله القادر المختار في تفسير قوله الحمد لله الذي خلق السموات
 والأرض ولا بأس باعادة بعضهما فنقول انها تدل على وجود الاله من وجوه (الاول)
 انها أجسام لا تخاو عن الحوادث والتخاو عن الحوادث فهو حادث فهذه الاجسام
 حادثه وكل حادث فله محدث (الثاني) انها مركبة من الاجزاء وتلك الاجزاء مماثلة
 لما بينا ان الاجسام مماثلة وتلك الاجزاء وقع بعضها في العمق دون السطح وبعضها
 في السطح دون العمق فيكون وقوع كل جزء في الموضع الذي وقع فيه من الجارات
 وكل جائز فلا بد له من مرجع ومخصص (الثالث) ان الافلاك والعناصر مع تماثلها
 في تمام الماهية الجسمية اختص كل واحد منها بصفة معينة كالحرارة والبرودة
 والظافة والكثافة الفلكية والعنصرية فيكون ذلك أمرا جائزا ولا بد لها من مرجع
 (الرابع) ان اجرام الكواكب مختلفة في الالوان مثل كودة زحل وبياض المشتري
 وحرارة المريح والضوء الباهر للشمس ودرية الزهرة وصفرة عطارد ومحو القمر وأيضاً
 فبعضها سعدة وبعضها نحسة وبعضها نهارى ذكر وبعضها ليلى انى وقد بينا ان الاجسام
 في ذواتها مماثلة فوجب أن يكون اختلاف الصفات لاجل ان الاله القادر المختار
 خصص كل واحد منها بصفة معينة (الخامس) ان كل فلك فانه مختص بالحركة الى جهة

من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب

معينة ومختص بمقدار واحد من السرعة والبطء وكل ذلك أيضا من الجائزات فلا بد من
 انفعال المختار (السادس) ان كل فناء مختص بشئ معين وكل ذلك ايضا من الجائزات
 فلا بد من انفعال المختار ونمام الوجوه مذكور في تفسير تلك الآيات (البحث الثالث)
 قوله لا آيات للمؤمنين يقتضى كون هذه الآيات مختصة بالمؤمنين وقالت المعتزلة انها
 آيات للمؤمن والكافر الا انه لما انتفع بها المؤمن دون الكافر اضيف كونها آيات الى
 المؤمنين ونظيره قوله تعالى هدى للمؤمنين فانه هدى لكل الناس كما قال تعالى هدى
 للناس الا انه لما انتفع بها المؤمن خاصة لاجرم قيل هدى للمؤمنين فكذا هيمنسا وقال
 اصحاب الدليل والآية هو الذي يترتب على معرفته حصول العلم وذلك العلم انما حصل
 بتخلق الله تعالى لا يوجب ذلك الدليل والله تعالى انما خلق ذلك العلم للمؤمن لا للكافر
 فكان ذلك آية دليلا في حق المؤمن لا في حق الكافر والله اعلم ثم قال تعالى وفي خلقكم
 وما يت من دابة آيات لقوم يوقنون وفيه مباحث (البحث الاول) قال صاحب الكشاف
 قوله وما يت عطف على الخلق المضاف لاعلى الضمير المضاف اليه لان المضاف ضمير
 منصل مجرور والعطف عليه مستفجع فلا يقال مررت بك وزيد بل وزيد ولهذا طعنوا في قراءة
 حرة تسألون به والارحام بالجر في قوله والارحام وكذلك ان الذين استفتحوا هذا العطف
 فلا يقولون مررت بك أنت وزيد (البحث الثاني) قرأ حرة والكسائي آيات بكسر التاء
 وكذلك الذي بعده وتصريف الرياح آيات والباقون بالرفع فهما أما الرفع من وجهين
 ذكرهما المبرد والزجاج وأبو علي (أحدهما) العطف على موضع ان وما علمت فيه لان
 موضعهما رفع بالابتداء فيحمل الرفع فيه على الموضع كما تقول ان زيدا مطلق وعمر ووان
 الله يرى من المشركين ورسوله لان معنى قوله ان الله يرى أن يقول الله يرى من
 المشركين ورسوله (والوجه الثاني) ان يكون قوله وفي خلقكم مستأنفا ويكون الكلام
 جملة معطوفة على جملة أخرى كما تقول ان زيدا مطلق وعمر ووان زيدا مطلق وعمر ووان
 كاتب كلاما آخر كما تقول زيد في الدار واخرج غدا الى بلد كذا فانما حدثت بحدِيثين
 ووجهات أحدهما بالآخر بانوا وهذا الوجه هو اختيار أبي الحسن والقراء وأما وجه
 القراءة بالنصب فهو بالعطف على قوله ان في السموات على معنى وان في خلقكم لا آيات
 ويقولون هذه القراءة انها في قراءة ابي وعبدالله لا آيات ودخول اللام يدل على ان
 الكلام محمول على ان (البحث الثالث) قوله وفي خلقكم معناه خلق الانسان وقوله وما
 يت من دابة اشارة الى خلق سائر الحيوانات ووجه دلالتها على وجود الاله القادر المختار
 ان الاجسام منسوبة فاخصاص كل واحد من الاعضاء بكون العين وصفته المعينة
 وشكله المعين لا بد وأن يكون بتخصيص اقدار المختار ويدخل في هذا الباب انتقاله من
 سن الى سن آخر ومن حال الى حال آخر والاستقصاء في هذا الباب قد تقدم ثم قال تعالى
 واختلاف الليل والنهار وهذا الاختلاف يقع على وجوه (أحدها) تبدل النهار بالليل

على الاختصاص وقبل
 على أنه السمع ان والمجرور
 المتقدم خبرها بباريقي
 العطف على معمولي
 طالبين مختلفين هما ان
 وفي أقيمت الواو متماهما
 فعلت الجبر في اختلاف
 والنصب في آيات وتكبر
 آت في المواقع الثلاثة
 للتفخيم كما وكيفا واختلاف
 انقوا صل لاختلاف
 مراتب الآيات في الدقة
 والجلالة (تلك آيات الله)
 مبتدأ وخبر وقوله تعالى
 (تناوها عابك) حال
 عاملها معنى الاشارة وقيل
 هو الخبر وآيات الله بدل
 أو عطف بيان (بالحق)
 حال من فاعل تناووا من
 ههنا وله أي تناووها محقين
 أو ما تبسبب بالحق (فبأي
 حديث) من الاحاديث
 (بعد الله وآياته) أي بعد
 آيات الله وتقديم الاسم
 الجليل لتعظيمها كما في
 قولهم أعجبت زيدو كرمه
 أو بعد حديث الله الذي
 هو القرآن حسب انطلق
 بقوله تعالى الله نزل أحسن
 الحديث وهو المراد بآياته
 أيضا ومناط العطف
 التغير العنواني (يومنون)

(ويقال لكل آفاك) كذاب (أثيم) كثيرا الآثام (يسمع آيات الله) صفة أخرى لآفاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير في أثيم (تتلى عليه) حال من آيات الله ولا مبالغ لعله مفعولا ثانيا يسمع لان شرطه أن يكون ما بعده مما يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ (ثم بصر) أي يقم على كفره وأصله من اصرار الحمار على العائذ (مستكبرا) عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به ﴿ ٤٨١ ﴾ من الحق مزديا لها معجبا بما عنده من الاباطيل

وقيل نزلت في التضربن الحرت وكان يشتري من أحاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير صيرته ما هم فيه من الشر وفساد ركة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقه أن تدع لها القلوب وتخضع لها الرقاب كافي قول من قال ﴿ يرى غمرات الموت ثم يزورها ﴾ (كأن لم يسمعها) أي كأنه لم يسمعها فحذف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من بصري يصبر شبيها بغير السامع (فبشره بعذاب أثيم) على اصراره واستكباره (وإذا علم من آياتنا شيئا) أي إذا بلغه من آياتنا شيء وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه يعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن أن ينسب به المعاند ويجده محملا فاسدا يتوصل به الى

ويا ضد منه (وثانيتها) انه تارة يزداد طول النهار على طول الليل وتارة بالاكس وبمقدار ما يزداد في النهار الصبي يزداد في الليل الشوي (وثانيتها) اختلاف مصالح الشمس في أيام السنة ثم قال تعالى وما أنزل الله من السماء من رزق فأحى به الأرض بعد موتها وهو يدل على القول بالفاعل المختار من وجوه (أحدها) انشاء السحاب وانزال المطر منه (وثانيتها) تولد النبات من تلك الحبة الواقعة في الأرض (وثانيتها) تولد الانواع المختلفة وهي ساق الشجرة وأغصانها وأوراقها وأثمارها ثم تلك الثمرة منها ما يكون القشر محيطا باللب كالجوز والتوز ومنها ما يكون اللب محيطا بالقشر كالشمس والخوخ ومنها ما يكون خاليا عن القشر كالبين فتولد أقسام النبات على صكثرة أصنافها وتبين أقسامها يدل على صحة القول والفاعل المختار الحكيم الرحيم ثم قال وتصريف الرياح وهي تنقسم الى أقسام كثيرة بحسب تسميات مختلفة فمنها المشرقية والمغربية والشمالية والجنوبية ومنها الحارة والباردة ومنها الرياح النافعة والرياح الضارة ولما ذكر الله تعالى هذه الانواع الكثيرة من الدلائل قال انها آيات أقوم بعثون اعلم ان الله تعالى جمع هذه الدلائل في سورة البقرة فقال ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفقاك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات أقوم يعقلون فذكر الله تعالى هذه الاقسام الثمانية من الدلائل التي توت بين الوضعين من وجوه (الاول) انه تعالى قال في سورة البقرة ان في خلق السموات والأرض وقال ههنا ان في السموات والصحیح عند اصحابنا ان خلق عين الخوف في وقد ذكرنا لفظ الخلق في سورة البقرة ولم يذكر في هذه السورة تنقسم اعلى ان لا لفظ وت بين ان يقان السموات وبين ان يقال خلق السموات فيكون هذا ليلا على ان الخلق عين الخلق (الثاني) انه ذكر هناك ثمانية أنواع من الدلائل وذكرها بتسعة أنواع واهل منها فقيل بالسحاب والسبب ان مدار حر كذا فقالت والسحاب عين الرياح الخ فاعلم ان ذكر الرياح الشبي هو كالسبب يعني عن ذكرهما (والثالث) انه جمع لكل وذكرها بقسط واحد وهو ههنا تيهاسلي ثلاثة مقاطع والغرض التبيد على انه لا بد من افراد كل واحد منها بغير تام شاف (والثاني) انه تعالى ذكر في هذا الموضع ثلاثة مقاطع (أولها) يؤتون (وثانيتها) يوفون (وثانيتها) يعقلون وأظن ان سبب هذا الترتيب انه قيل ان كنتم من المؤمنين فادعوا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين بل أنتم من طلاب الحق واليقين فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل واعلم ان كثير من ائمة يفتقرون انهم ليس في القرآن العلوم التي يبحث عنها المتكلمون بل ليس فيه الا ما يتعلق بالاحكام والفقه وذلك غفلة عظيمة لانه ليس في القرآن سورة طوية مفردة بذكر الاحكام وفيه سور كثيرة خصوصا المكيات ليس فيها الا ذكر دلائل

الطعن والغميرة (أخذها) أي ﴿ ٦٦ ﴾ سا الآيات كلها (هزوا) أي هزواها الا ما سمعنا فقط وقيل الضمير للشئ والثاني لان في معنى الآية (أولئك) اشارة الى كل آفاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبايح والجمع باعتبار الشمول لكل كافي قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما أن الافراد فيما سبق من الضمار باعتبار كل واحد واحد (لهم) بسبب جنائياتهم المذكورة (عذاب مهين) وصف العذاب

بلاها انه توفيق خلق استكبارهم واشتهر انهم بايات الله سبحانه وتعالى (من ورائهم جهنم) أي من قدامهم لانهم متوجهون الى ما أعد لهم أو من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك متبلون على الدنيا فان الوراثة اسم للجهة التي يورثها الشخص من خلفه وقدمه (ولا يفتح عنهم) ولا يدفع (ما كتبوا) من الاموال والاولاد (شيئا) من عذاب الله تعالى أشياء من الاغصان (ولما اتخذوا من دون الله اولياء) أي الاصنام ﴿٤٨٢﴾ وتوسط حرف التثنية في قوله تعالى ان عدم

فناء الاصنام أظهر وأجلى من عدم اعتناء الاموال والاولاد قطعاً مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعة عنهم وفيه تهكم (ولهم) فيما وراءهم من جهنم (عذاب عظيم) لا يقادر قدره (هكذا) أي القرآن (هدى) في غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها (والذين كفروا) أي باقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى (بايات ربهم) لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظير حالهم (لهم عذاب من رجز) أي من أشد العذاب (أليم) بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على أنه صفة رجز وتوحيب عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعها على الابتداء واما على الفاعلية (الله الذي سخر لكم البحر) بان جعله أملاًس السطوح يطفو عليه ما يتخلف كالأخشاب ولا يمتنع الغوص

التوحيد والنبوة والبعث والقيامة وكل ذلك من علوم الاصوليين ومن تأمل علمهم في يد علماء الاصول التفصيل ما اشتمل القرآن عليه على سبيل الايمان ثم قال في تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق والمراد من قوله بالحق هو ان صحته بانه ومة بالدلائل العقلية وذلك لان العلم بانها حقة صحيحة اما أن يكون مستفاداً من النقل أو النقل والاول باطل لان صحة الدلائل العقلية موقوفة على سبق العلم بايات الاله العالم القادر الحكيم وبايات النبوة وكيفية دلالة المعجزات على صحته فلما ثبتت هذه الاصول بالدلائل العقلية لم يبق الدور وهو باطل ولما بطل هذا ثبت ان العلم بحقيقة هذه الدلائل لا يمكن تحصيله الا بحض العقل واذا كان كذلك كان قوله تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق من أعظم الدلائل على التعريب في علم الاصول وتقرير المباحث العقلية ثم قال تعالى فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون يعني ان من لم يذفع بهذه الآيات فلاشئ بعده يجوز أن ينتقم به وأبطل بهذا قول من يزعم ان التقليد كاف وبين انه يجب على المكلف التأمل في دلائل دين الله وقوله يؤمنون قرئ بالياء والهاء واختار أبو عبيد الياء لان قبله غيبة وهو قوله يقوم يؤمنون ويقوم يعقلون فان قيل ان في أول الكلام خطاباً وهو قوله وفي خلقكم قلنا الغيبة التي ذكرنا أقرب الى الحرف المختلف فيه والأقرب أولى ووجه قول من قرأ على الخطايا ان قل فيدمقد رأى قل لهم فبأي حديث بعد ذلك يؤمنون قوله تعالى (ويل لكل أثمم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرم مستكبراً كأن لم يسمعها) فيشره بعذاب أليم إذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب عظيم من ورائهم جهنم ولا يفتح عنهم ما كتبوا شيئاً ولما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) علم انه تعالى لما بين آيات التكفار وبين انهم بأي حديث بعده يؤمنون اذا لم يؤمنوا بها مع ظهورها اتبعوا بوعيد عظيم لهم فقال ويل لكل أثمم الا فلان الكذاب والاثم المبالغ في افتراء الاثم واعلم ان هذا اثم له مقامان (الاول) ان يبقى مصرأ على التكفار والاستكبار فقال تعالى يسمع آيات الله ثم يصرم أي يقم على كفره اقامة بقوة وشدة مستكبراً عن الايمان بايات معجبا بما عنده قبل نزول في التضرب الحث وما كان يشترى من أحاديث الطاجم ريشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عاقبة في كل من كان موصوفاً بصفة المذكورة فان قالوا ماء مني ثم في قوله ثم يصرم مستكبراً فلنا نظيره قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض الى قوله ثم الذين كفروا بر بهم يعدلون ومعناه انه تعالى لما كان خالق السموات والارض كان من المستبعد جعل هذه الاصنام مساوية له في العبودية ككذاهمنا سماع آيات الله على قوتها وظهورها من المستبعد أن يقابل بالانكار والاعراض ثم قال تعالى كأن لم يسمعها الاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة انصب على الحال أي يصير مثل غير السامع (المقام الثاني) ان ينقل من مقام الاصرار والاستكثار الى مقام الاستهزاء فقال واذا علم من آياتنا

والحرق لميعانه (تجربى الفلك فيه بامر) وأتم راكبوها (وتبتغوا من فضله) بالبحارة والغوص ﴿٤٨٣﴾ شياً والصيد وغيرها (واعلمكم تشكرون) ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك (وسخر لكم مافي السموات وما في الارض) من الموجودات بان جعلها مداراً لمنافعكم (جميعاً) اماط من مافي السموات والارض أو توكيده (ممد) متعلقاً بحذرف هو صفة لجمعها أوجال من مأي جميعاً كأنما منته تعالى أو سخر لكم هذه الاشياء

كأنه منه مخلوقه تعالى او خبر محذوف أي هي جبري منه تعالى وقري منه على المفعوله ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مستند محذوف أي ذلك منه (ان في ذلك) أي فيما ذكر من الامور العظام (لايات) عظيمة الشأن كشوة العدد (اقوم يتفكرون) في بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها و يوقنون لشكرها (قل الذين آمنوا) حذف المقول ﴿ ٤٨٣ ﴾ لدلالة (يعفروا) عليه فانه جواب الامر باعتبار تعنته به لا باعتبار نفسه فقط أي قل لهم

شيئا اتخذها هزوا وكان من حق الكلام ان يقال اتخذها هزوا أي اتخذ ذلك الشيء هزوا لان الله تعالى قال اتخذها للاشعار بان هذا الرجل اذا أحس شيئا من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاص في الاستهزاء بجمع الآيات ولم يقصر على الاستهزاء بذلك الواحد ثم قال تعالى أولئك لهم عذاب مهين أو وثق أشار الى كل أولئك أنهم لشموله جميع الأفاكين ثم وصف كيفية ذلك العذاب المهين فقال من يرانهم جهنم أي من قد ادهم جهنم قال صاحب الكشاف الوراء اسم الجهة التي توارى بها الشخص من حذف أو ودام ثم بين ان ما منكوه في الدنيا لا يقع عنهم فقال ولا يعني عنهم ما كسبوا شيئا ثم بين ان أصنامهم لا تنفعهم فقال ولا لنا الضمير من دون الله أولياء ثم قال ولهم عذاب عظيم فان قائلوا انه قال قبل هذه الآية لهم عذاب مهين فما القائل في قوله بعده ولهم عذاب عظيم فتنا كور العذاب مهين يدل على حصول انذارها ثم عذاب العذاب وكونه عذابا يدل على كونه بالغالى أو حتى العاقبات في كونه ضررا ثم قال هذا هدى أي كامل في كونه هدى والذين كفر وأبايات ربهم لهم عذاب من رجز أليم وال رجز أشد العذاب بدلالة قوله تعالى فأزلقنا على الذين ظلموا رجزا من السماء وقوله لن كشفنا عنا الرجز وقري أليم بالجر والرفع أما الجر فتقدره لهم عذاب من عذاب أليم وإذا كان عذابهم من عذاب أليم كان عذابهم أليما ومن رفع كان المعنى لهم عذاب أليم ويكون المراد من الرجز الرجز الذي هو النجاسة ومعنى النجاسة فيه قوله ويسقى من ماء صديد وكان المعنى لهم عذاب من تجرع رجز أو شرب رجز فتكون من تبييننا للعذاب * قوله تعالى (الله الذي سخر لكم البحر ليجرى الفلك فيه بامرنا ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يعفروا وللذين لا يرجون أيام الله ليجرى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) اعلم أنه تعالى ذكر الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل الا بسبب تسخير ثلاثة أشياء (أحدها) الرياح التي تجرى على وفق المراد (وثانيها) خلق وجه الماء على الملاسة التي تجرى عليها الفلك (وثالثها) خلق الحسبة على وجه تيق طافية على وجه الماء ولا تعوض فيه وهذه الاحوال الثلاثة لا يتدر عليها واحد من البشر فلا بد من وجود قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى وقوله بتدبيره فله معناه اما بسبب التجارة أو بالعوض على اللؤلؤ والمرجان أو لاجل استخراج اللعيم صدى ثم قال تعالى وسخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا منه والمعنى بولأن الله تعالى أوقف أجرام السموات والارض في مقارها واحباها لئلا يحصل الاتفاح لان تقدير كون الارض هابطة أو صاعدة لم يحصل الاتفاح بها وتقدير كون الارض من الذهب أو الفضة أو الحديد لم يحصل الاتفاح وكل ذلك قد بيناه فان قيل مامعنى منه في قوله جميعا منه فلنا معناه انها واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كأنه

اعفروا ويعفروا (للذين لا يرجون أيام الله) أي عفووا ويصفحوا عن الذين لا يتوقفون وفائعه تعالى باعدائه من قوالهم أيام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم ان يفرز فيها قبل تزات قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه غفاري فهم ان يبسط به وقيل حين قال ابن أبي مائل وذلك انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسع فارسل ابن أبي غلامه يستقي فابضا عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فترك أحدا يستقي حتى ملاقرب النبي صلى الله عليه وسلم وبني بار قال ابن أبي مائل وسئل هو لا الاكلا قبل ذلك كالك يا كلك فباع ذلك عمر رضي الله عنه فاشتل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى (لجبري قوما بما كانوا يكسبون)

تعليل الامر بالمعفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتكبير لدحهم وانشاء عليهم أي أمره بذلك ليجري يوم القيامة قوما بما يقوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جعلتها الصبر على اذية الكفار والاضضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المسكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا

وقد يجوز أن يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جعلها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتكبير للتحقير
 وفيه أن مطلق الجزاء لا يصلح تعديلاً للامر بالمعزة لتحقيقه على تقدير المعزة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان
 لا يتحقق بعض منه في الدنيا أو ما يصدر عنه تعالى الذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وأن يراد كلا الأمرين وهو أكثر
 تكلفاً وأشدّ تحملاً وقرئ بجري قوم ويجري قوم أي بجري * ٤٨٤ * الجزء قوماً وقرئ بجري بنون العظمة

(من عمل صالحاً فلنفسه
 ومن أساء فعليها) لا يكاد
 يسرى عمل إلى غير عامله
 (ثم إلى ربكم) ما لك أموركم
 (ترجعون) فيجازيكم على
 أعمالكم خيراً كان أو شراً
 (وقد آتينا بني إسرائيل
 الكتاب) أي التوراة
 (والحكم) أي الحكمة
 النظرية والعملية الفقه
 في الدين أو فصل
 الخصومات بين الناس
 اذ كان الملك فيهم
 (والنبوة) حيث كثرتهم
 الانبياء ما لم يكن في غيرهم
 (ورزقناهم من الطيبات)
 ما أحل الله تعالى من
 اللذات كاللبن والسوى
 (وفضلناهم على
 العالمين) حيث آتيناهم
 ما لم نؤت من عبادهم من
 خلق الجبر واطلال العلم
 ونظائرهما وقبل على عالمي
 زمانهم (وآتيناهم بينات
 من الامر) دلائل ظاهرة
 في أمر الدين ومعجزات
 قاهرة وقال ابن عباس
 رضي الله عنهما هو العلم
 بمبعث النبي صلى الله عليه
 وسلم وما بين لهم من أمره
 وأنه يهاجر من تهمته إلى

منه وحاصله من عنده يعني أنه تعالى مكوّنهما وهو جدها بقرته وحكمته ثم مسخرها
 لخلقها قال صاحب الكشاف قرأ سورة بن محارب منه على أن يكون منه فاعل مسخر على
 الاستناد الجازي أو على أنه خير من تدان محذوف أي ذلك منه وهو منه وإعلم أنه تعالى لما علم
 عباده دلائل التوحيد والقدرة والحكمة اتبع ذلك بتعليم الاخلاق الفاضلة والافعال
 الحميدة بقوله قل الذين امنوا ويعتقوا الذين لا يرجون أيام الله والمراد بانين لا يرجون أيام
 الله الكفار واختلفوا في سبب نزول الآية قال ابن عباس قل للذين آمنوا يعني عمر
 يغفروا للذين لا يرجون أيام الله يعني عبد الله بن أبي وذلك أنهم تزواوا غزوة بني المصطلق
 على نثر قال به المريسع فأرسل عبد الله غلامه يستقي الماء فابيض عليه فلما اتاه قال له
 ما حبسك قال غلام عمر فعد على طرف البئر فترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى
 الله عليه وسلم وقرب أبي بكر وملاً لولاء فقال عبد الله ما حدثنا من هو لاء الاكفول من
 كلبك ياكلت فباغ قوله عمر فاشتمل بسفده يريد التوحيد اليد فارتل الله هذه الآية وقال
 مقاتل شتم رجل من كفار قريش عمر بمكة فبهم أن يخطب به فامر الله بالعتق والتجاوز
 وأنزل هذه الآية وروى عيون بن مهران أن شخص اليهودي لما نزل قوله من ذا الذي
 يقرض الله قرضاً حسناً قال احتاج ربي فسمع بذلك عمر فاشتمل على سيفه وخرج في
 طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى رده وقوله للذين لا يرجون أيام الله قال
 ابن عباس لا يرجون نواب الله ويخفون عقابه ولا يخشون مثل عقاب الامم الخالية
 وذكرنا تفسير أيام الله عند قوله وذكرهم بأيام الله وأكثر المفسرين يقولون انه منسوخ
 وانما قالوا ذلك لانه يدخل تحت الغفران أن لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما أمر الله بهذه المقاتلة
 كان نهيها والاقرب ان يقال انه شمول على ترك المنازعة في المحترات وعلى التجاوز عما
 يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة ثم قال تعالى لجري قوماً بما كانوا
 يكسبون أي لكي يجازي بالمعزة قوماً يعمدون الخير فان قيل ما الفائدة في التكبير في قوله
 لجري قوماً مع ان المراد بهم هم المؤمنون المذكورون في قوله قل للذين آمنوا قلنا التكبير
 يدل على تعظيم شأنهم كأنه قيل لجري قوماً أي قوم من شأنهم الصفح دع شغل السيئات
 والتجاوز عن المؤذيات وتحمل الوحشة وتجرح الكبر وقيل لأن خرون معنى الآية قل
 للمؤمنين يتجاوزوا عن الكفار لجري الله الكفار عما كانوا يكسبون من الاثم كأنه قيل
 لهم لا تكافؤهم أنتم حتى تكافؤهم نحن ثم ذكر الحكم العام فقالت بدل من عمل صاف لنفسه
 وهو مثل ضر به الله للذين يغفرون ومن أساء فعليها مثل ض المسر به للكفار الذين كانوا
 يقدمون على ابداء الرسول والمؤمنين وعلى ما لا يحل فبين تعالى زمان العمل الصالح يعود
 بالنفع العظيم على فاعله والعمل الردي يعود بالضرر على فاعله وهو انه تعالى أمر بهذا ونهى
 عن ذلك لحظ العبد لا نفع يرجع اليه وهذا ترغيب منه في العمل الصالح وزجر عن العمل
 الباطل * قوله تعالى (وقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من

يبث ويكون أنصاره أهل يثرب (فاختلفوا) في ذلك الامر (الامن بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته وحقبته * (الطيبات) *
 فجعلوا ان جب زوال الخلاف موجباً لسوخته (بغيا بينهم) أي عداوة وحسد لا شكافيه (ان ربك يقضى بينهم
 يوم التزصفة ليخضعوا للجزء (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (ثم جعلناك

على شريعة) أي سنة وطرقة عظيمة الشأن (من الأمر) أي أمر الدين (فاتبها) بإجراء أحكامها في نفسك وفي غيرك من غير إخلال بشيء منها (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أي آراء الجاهلة واعتقاداتهم الزائفة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع إلى دين آباءك (انهم لم يغفوا عنك من الله شيئا) أراد بك ان اتبعهم (وان الظالمين ﴿ ٤٨٥ ﴾ بعضهم أولياء بعض) لا يوالوهم ولا يتبع أهواءهم

الامن كان ظالما منهم
 (والله ولي المتقين)
 الدين أنت قوتهم
 قدم على ما أنت عليه
 من توليه خاصة
 والاعراض عما سواه بالكلية
 (هدا) أي القرآن
 واتباع الشريعة (بصائر
 للناس) فان ما فيه من
 معالم الدين وشعائر
 اشرائع بمنزلة البصائر
 في القلوب (وهدي)
 من ورطة الضلالة
 (ورجة) عظيمة (قوم
 يوقنون) من شأنهم
 الايقان بالامور (أم حسب
 الذين اجترحوا السيئات)
 استأنف مسوق لبيان
 تباين حالي المسبيين
 والمحسنين اثر بيان تباين
 حالي الظالمين والمتقين
 وأم منقطعة وما فيها
 من معنى بل للاتقال
 من ايمان الاول الى
 الثاني والهمزة لانكار
 الحسبان لكن لا بطريق
 انكار الوقوع ونفيه
 كافي وقوله تعالى أم نجعل
 الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات كالمفسدين

الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم اغناهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ان اغفوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين هذ بصائر للناس وهدي ورجة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون اعلم انه تعالى بين انه نعم نعم كثيرة على بني اسرائيل مع انه فصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد والمفردان يبين ان طريقة قومه كطريق قومه من تقدم واعلم ان نعم على قسعين نعم الدين ونعم الدنيا ونعم الدين أفضل من نعم الدنيا فلهدا بدأ الله تعالى بذكر نعم الدين فقال واقدنا آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة والاقرب ان كل واحد من هذه الثلاثة يجب أن يكون غابرا لصاحبها اما الكتاب فهو التوراة واما الحكم ففقه وجوه يجوز أن يكون المراد العلم والحكمة ويجوز أن يكون المراد العلم بفصل الحكومات ويجوز أن يكون المراد معرفة أحكام الله تعالى وهو علم الفقه واما النبوة فمعلومة واما نعم الدنيا فهي الاموال من قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات ذلك لانه تعالى وسع عليهم في الدنيا فاورثهم أموال قوم فرعون وديارهم ثم أنزلت بهم ان والسواوي ولما بين تعالى انه أعطاهم من نعم الدين ونعم الدنيا نصيبا وافرأ قال وفضلناهم على العالمين يعني انهم كانوا أكبر درجة وأرفع منقبة عن سواهم في وقتهم فلهدا المعنى قال المفسرون المراد وفضلناهم على عالمي زمانهم ثم قال تعالى وآتيناهم بينات من الأمر وفيه وجوه (الاول) انه آتاهم بينات من الأمر أي أدلة على أمور الدنيا (الثاني) قول ابن عباس يعني بين لهم من أمر النبي صلى الله عليه وسلم انه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب (الثالث) المراد وآتيناهم بينات أي معجزات قاهرة على صحة نبوتهم والمراد معجزات موسى عليه السلام ثم قال تعالى فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم يغناهم بينهم وهذا مفسر في سورة حم عسق والمقصود من ذكر هذا الكلام التعجب من هذه الحالة لان حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف وههنا صار محي العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك لانهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم وانما المقصود منه طلب الرياسة والتقدم ثم ههنا احتمالات يريدانهم عملوا ثم طأندوا ويجوز أن يريد بالعلم الدلالة التي توصل الى العلم والمعنى انه تعالى وضع الدلائل والبيانات التي لو تأملوا فيها لعرفوا الحق لكنهم على وجه الحسد والافتاد اختلفوا وأظهروا النزاع ثم قال تعالى ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون والمراد انه لا ينبغي أن يغتر المبطل بنعم الدنيا فانها وان ساوت نعم الحق أوزادت عليها فانه سيرى في الآخرة ما يسوءه وذلك كان جزاء لهم ولما بين تعالى انهم أعرضوا عن الحق لاجل البغي والحسد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم لبيان فضل عن تلك الطريقة وان تمسك بالحق وان لا يكون له عرض سوى اظهار

في الارض أم نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستباحه والتهميم
 نجعلهم) أي نصبهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مس
 الصالحات) وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعامهم معاملة لهم في الكرم
 محياهم ومماتهم) أي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في انظر

على ضمير محما على أن السواء بمعنى المستوي ومحباهم ومماتهم من نعمان به على الفاعلية والمعنى أم حسبوا أن يجعلهم
كأئنين مثلهم حال كون الكل مستويا محباهم ومماتهم كالأئستون في شيء منها فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة
وشرفهما في الحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات وأوتك في ذل الكفر والمعاصي وهو انهما في المحاب وفي لعنة الله
والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل ﴿ ٤٨٦ ﴾ المراد انكار أن يستووا في الممات كما استووا

في الحياة لان المسيئين
والمحسنين مستو محباهم
في الرزق والصحة وانما
يفتقرون في الممات وقرئ
محباهم ومماتهم بالنصب
على انهما ظرفان
كقدم الحاج وسواء حال
على حاله أي حال كونهم
مستوين في محباهم
ومماتهم وقد ذكر في
الآية الكريمة وجوه
اخر من الاعراب والذي
يليق بجملة التزييل هو
الاول فسدبر وقرئ
سواء بالرفع على أنه خبر
ومحباهم مبتدأ ققبل
الجملة بدل من الكاف
وقيل حال وأياما كان
فتسبب حسبان التساوي
اليهم في ضمن الانكار
التويخي مع انهم يعمل
منه جازمون بفضلهم
على المؤمنين للباقة
في الانكار والتشديد
في التويخ فان انكار
حسبان التساوي
والتويخ عليه انكار
لحسبان الجزم الفضل
وتويخ عليه على أبلغ
وجه وأكد (ساء

الحق وتقرير الصدق فقال تعالى ثم جعلناك على شريعة من الأمر أي على طريقة
ومنهاج من أمر الدين فتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والبيئات ولا تتبع ما لا حجة عليه
من أهواء الظالم وأديانهم المبتدعة على الأهواء والجهل قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم هو بمكة ارجع الى ملة آتالك فهم كانوا أفضل منك واسن وأنزل
الله تعالى هذه الآية ثم قال تعالى انهم لم يغنوا عنك من الله شيئا أي اوملت الى أديانهم
الباطلة فصرت مستغنيا للعذاب فهم لا يقدرين على دفع عذاب الله عنك ثم بين تعالى ان
الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا وفي الآخرة لاولى لهم ينفعهم في اوصول الثواب
وارالة العقاب واما الملقون المهتدون فانه وليهم وانصرهم وهم موالوه وما أبين الفرق بين
الولائين ولما بين الله تعالى هذه البيئات الباقية الشامة قال هذا بصائر للناس وهدى
ورحمة لقوم يوقنون وقد فسرناه في آخر سورة الاعتراف والمعنى هذا القرآن بصائر للناس
جعل ما بين من البيئات الشافية والبيئات الكافية بمنزلة البصائر في السلوب كما جعل في
سائر الآيات روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن ولما بين
الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المؤمنين من الوجه الذي تقدم بين ان في بينهما من وجه
آخر فقال أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
وفيه مباحث (البحث الاول) أم كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفا على
شيء آخر سواء كان ذلك المعطوف مذكورا او مضمرا والتقدير ههنا أفيعلم للمشركون
هنا أم يحسبون ان اتولى هم كاتولى المتقين (البحث الثاني) الاجترار الاكتساب ومنه
الجوارح وفلان جارحة أهله أي كآبئهم قال تعالى ويعلم ما جرحتهم بالنهار (البحث الثالث)
قال الكلبي نزلت هذه الآية في علي وحزرة وأبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم وفي
ثلاثة من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا للمؤمنين والله ما أنتم على شيء
ولو كان ما تقولون حقا لكان حالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما اننا أفضل حالا منكم
في الدنيا فانكر الله عليهم هذا الكلام وبين انه لا يمكن أن يكون حال المؤمن المطيع
مساويا لحال الكافر المعاصي في درجات الثواب ومنازل السعادات واعلم ان نطق حسب
يستدعي مفعولين (أحدهما) الضمير المذكور في قوله ان يجعلهم (والثاني) الكاف في
قوله كالذين آمنوا والمعنى أحسب هؤلاء المجترحين ان يجعلهم أمثال الذين آمنوا ونظيره
قوله تعالى أفز كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون وقوله انما انصرت رسولنا والذين آمنوا
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم العنة وهم سوء
الدار وقوله تعالى أفحسب المسلمون كالجبريين مالكم كيف تحكمون وقوله أم يحسب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كالفسقين في الارض أم جعل المتقين كالفسقار ثم قال تعالى سواء
محباهم ومماتهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فرأ حزة والكسائي وحفص عن عاصم
سواء بالنصب والياقون بالرفع واختيار أبي عبيد انصب أما وجه القراءة بالرفع فهو ان

ما يحكمون) أي ساء حكمهم هذا أو بنس شيا حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والارض بالحق) قوله ﴿
استأناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى أهما ولما فيهما بالحق المقضى للعدل يستدعي لامحالة تفضيل
المحسن على المسيء في الحيا والممات وانتصار المظلوم من الضالم واذا لم يطرد ذلك في الحيا فهو بعد الممات حتما
(وتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها

مقرونة بالحكمة والصوات دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك وتجري الخاء على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو يدل وتجري (وهم أي النفوس الدالول عليها بكل نفس (لا يظلمون) يخص ثواب أو بزياء عقاب وتسمية ذلك ظلم معاً وليس كذلك على ما عرف من قاعة أهل السنن بيان غاية تزهة ساحه ملطفه تعالى عند كرتة بلبه من إزالة الظلم الذي يستحق سدوره عند تعالى ﴿ ٤٨٧ ﴾ (أرأيت من اتخذ الهوا هواه) تحب من حال من ترك متابعة الهدى

الى مطاوعة الهوى فكانته عبده أى أنظرت فرائده فان ذلك مما يقضى منه العجب وقرى آلهته هواه لان أحدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى أحسن منه رفضه اليه فكانته اتخذ آلهة شتى (وأضله الله) وخذله (على علم) أى عالم بالضلالة وتبديله لفظرة الله تعالى التي فطر الناس عليها (وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات والنذر) (وجعل على بصره غشاوة) مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرى بفتح الغين وضمة وقرى غشوة (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتناديه في الخي (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلان تذكرون وقرى تذكرون على الاصل (وقالوا) بيان لاحكام ضلالهم المحكي

فعله سواء بحياتهم ومآلهم مبتدأ وجملة في حكم المفرد في محل انصب على البدل من المفعول الثاني لقوله أم تجعل وهو الكاف في قوله كالذين آمنوا ونظيره قوله ظننت زيدا أبوه من خلق وأما وجه اقرء بالانصب فقال صاحب الكشاف أجرى سواء تجرى مستويا فارتفع بحياتهم ومآلهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومآلهم بالانصب جعل بحياتهم ومآلهم ظرفين كقدم الحاج وخفوق الجحيم أى سواء في بحياتهم ومآلهم قال أبو على من نصب سواء جعل المحيا والممات بدلا من الضمير المنصوب في محلهم فيصير التقدير أن يجعل بحياتهم ومآلهم سواء قال ويجوز أن يجعله حالا ويكون المفعول الثاني هو الكاف في قوله كالذين (المسئلة الثانية) اختلفوا في المراد بقوله بحياتهم ومآلهم قال مجاهد عن ابن عباس يعنى أحسبوا ان حياتهم ومآلهم كحياة المؤمنين ومآلهم كآلهم يعيرون كافرين ويعوتون كافرين والمؤمنون يعيرون مؤمنين ويعوتون مؤمنين لان المؤمن مادام يكون في الدنيا فانه يكون وليه هو الله وأنصاره المؤمنون حجة الله معه والكافر بالاضد منه كاذكره في قوله وان الظالمين بعضهم أولياء بعض وعند الترتب الى الموت فان حال المؤمن ماذا كره في قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة وحال الكافر ماذا كره في قوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم واما في القيامة فقال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة فهذا هو الاشارة الى بيان وقوع التفاوت بين الخائتين (واوجه الثاني) في تأويل الآية أن يكون المعنى انكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة وذلك لان المؤمن والكافر قد يستوى بحياتهم في الصحة والرزق والكنية يدل قديكون الكافر أرجح حالا من المؤمن واما يظفر الفرق بينهم في الممات (والوجه الثالث) في تأويل ان قوله سواء بحياتهم ومآلهم مستأنف على معنى ان يحيا المسيئين ومآلهم سواء فكذلك يحيا المحسنين ومآلهم أى كل يموت على حسب ما عاش عليه ثم تعالى صرح بانكار تلك التسمية بقوله قال ساعما يحكمون وهو ظاهر قوله تعالى (وخلق الله السموات والارض بالحق وتجري كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) أرأيت من اتخذ الهوا هواه واضله الله على علم ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون قالوا ما هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نهبلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا نتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حججهم الا أن قالوا أتوانا بأشئنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الي يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون اعلم انه تعالى لما أفنى بان المؤمن لا يساوى الكافر في درجات السعادات أتبعه بالدلالة الظاهرة على صحة هذه الفتوى فقال وخلق الله السموات والارض بالحق وأولم يوجد البعث لما كان ذلك بالحق بل كان بالباطل لانه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف ثم لا ينقم للمظلوم من الظالم كالمظلوم او كان ظالما لباطل انه خلق السموات

أى قالوا ومن غاة غيهم وضلالهم (ماهى) أى ما الحياة (الاحياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيا) أى بصيونا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفة وما قبلها وما بعدها ونحيا بعد ذلك أو نموت بانفسنا ونحيا بقاء أولادنا أو نموت بعضنا ونحيا بعضنا وقد جوز أن يريدوا به استاسخج فانه قد عبدة الاوثان وقرى نحيا (وما يهبلكنا الا الدهر) الامر والزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره

اي غلبة وقرى الادهر يمر وكانوا يزعمون أن الموت في هلاك الانفس هو مورا الايام واللبالي ويكروون ملك الموت وقبضه
للارواح باسم الله تعالى وبتصريفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر قال الله هو
الدهر اي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر (وما هم بذلك) اي بما ذكر من اقتصار الحياة على ما في الدنيا واستناد
الحياة والموت الى الدهر (من علم) ما مستند الى عقله نقل ﴿ ٤٨٨ ﴾ (انهم الايظنون) ما هم الا قديمه صاري

أمرهم الظن والتقليد
من غير أن يكون لهم
شيء يصح أن يمسك
به في الجلة هذا معتقدهم
الفاقد في أنفسهم
(وإذا تبلى عليهم آياتنا)
الناطقة بالحق الذي
من جنته البعث (بينات)
واختصت الدلالة على
ما نطقت به أو مبيئات له
(ما كان حجتهم) بالانصب
على انه خير كان أي
ما كان منسك كالههم شيء
من الاشياء (الآن قالوا)
أثوا بآياتنا ان كنتم
صادقين) في آياتنا
بعد الموت أي الاهنا
اقول الباطل الذي
يستحيل أن يكون من قبيل
الحجة وتسميته حجة ما
لسوقهم اياه مساق الحجة
على سبيل التهمك بهم أو
لأنه من قبيل تحية بينهم
ضرب وجميع * وقرى
يرجع حجتهم على أنها
اسم كالقائني ما كان
حجتهم شيئاً من الاشياء
الاهنا اقول الباطل
(قل الله يحكمكم) ابتداء
(ثم عيتكم) عند انقضاء
آجالكم لا كما تزعمون
من أنكم تحبون وتوتون
بحكم الدهر (ثم يحكمكم)

والارض بالحق وتما تقرر بهذا للدلائل المذكور في أول سورة نه اس قال القاضي هذه
الآية تدل على أن في مقدور الله ما لو حصل لكان ظلما وذلك لا يصح الاعلى مذهب لمحبرة
الذين يقولون او فعل كل شيء أراداه لم يكن ظلما وعلى قول من يقول انه لا يوصف يا قدرة
تدلي الظلم وأجاب الأصحاب عنه بان المراد فعل ما وقع له غيره لكان ظلما كما أن المراد من
الابتلاء والاختبار فعل ما وقع له غيره لكان ابتلاء واختبارا وقوله تعالى وتجزى فيه
وجهان (الاول) انه معطوف على قوله بالحق فيكون التقدير وخلق الله السموات
والارض لاجل اظهار الحق وتجزى كل نفس (الثاني) أن يكون العطف على محذوف
والتقدير خلق الله السموات والارض بالحق ليدل بهما على قدرته وتجزى كل نفس والمعنى
ان المتصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث
والقيامه وحصل التفاوت في الدرجات والدركات بين المحققين وبين الباطلين ثم عادته الى
شرح احوال الكفار وقبائح طرائقهم فقال أفرايت من اتخذ الهه هواه يعني تركوا
متابعة الهدى وأقبلوا على متابعة الهوى فكانوا يعبدون الهوى كعبدة الرجز الهه
وقرى آلهته هواه لانه كما مال طبيعة الى شيء اتبعه وذهب خلقه فكانت اتخذوا آلهة
شتم يعبد كل وقت واحدا منها ثم قال تعالى وأضله الله على علم يعني على علم بان جوهر روجه
لا قبل التصلاح ونظيره في جانب التعظيم قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته وحقيق
الكلام في ان جواهر الارواح البشرية مختلفة فتمسكها مشرقة نورانية عاوية آلهية منها
كدرجة ظلمانية سفلية عظيمة الميل الى السموات الجسمية فهو وتعالى يقابل كلامهم بحسب
ما يليق بجوهر وما هيته وهو المراد من قوله وأضله الله على علم في حق المردودين بقوله
الله أعلم حيث يجعل رسالته في حق المتبوين ثم قال وختم على سمعهم وقبض على بصره
غشاوة فقوله وأضله الله على علم هو المذكور في قوله ان الذين كفروا الى قوله لا يؤمنون
وقوله وختم على سمعهم وجعل على ابصارهم غشاوة هو المراد من قوله ختم الله على سمعهم
وعلى ابصارهم وعلى ابصارهم غشاوة وكل ذلك قد مر تفسيره في سورة البقرة بالاستهساء
والتفاوت بين الآيتين انه في هذه الآية قدم ذكر السمع على البصر وفي سورة البقرة قدم
البصير على السمع وتفرق ان الانسان قد يسمع كلاما فيسمع قلبه منه أثر ثم ان رجوعه من
الكفار كانوا يذهبون الى الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم شاعر وكاهن وأنه يطلب الملك
والرياسة فالسامعون اذا سمعوا ذلك ابدضوه ونفرت قلوبهم عنه وأما كفار مكة فهم كانوا
يغضونه بقلوبهم بسبب الحسد الشديد فكانوا يستهون اليه واوسموا وكلامهم فهموا
منه شيئاً فاعاد في الصورة الاولى من الأثر بصد من البدن الى جوهر النفس وفي الصورة
الثانية كان الأثر ينزل من جوهر النفس الى قرار البدن فلما اختلف القسمين لاجرم
ارشد الله تعالى الى كلاهذين القسمين بهذين الترتيبين اللذين نبهنا عليهما ولما ذكر الله
تعالى هذا الكلام قال فمن يهديه من بعد الله أي من بعد ان اضله الله أفلا تذكرون أيها

بعد الموت (الي يوم القيامة) للجزاء (لا ريب فيه) أي في جميعكم فان من قدر على البدي قدر على الاعادة والحكمة (الناس) *
اقتضت الجمع للجزاء محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما الايتان بايتهم حيث كان من احكام الحكمة
التشرعية امتنع ايقاعه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو ما من تمام الكلام المأمورية
أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبها على أن ارتبابهم لجهلهم وقصدهم في النظر والتفكير لان فيه شأنا يرب ما

(ولله ملك السموات والارض) بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والامانة ﴿ ٤٨٩ ﴾ والبعث والجمع بالحجازة (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر

المبتلون) العامل في يوم يخسر ويومئذ يبدل منه (وترى كل أمة) من الامم المجموعة (جائية) باركة على الركب مستوفزة وقرى جاذية أي جالسة على أطراف الاصابع والجذو أشد استيفازا من الجنووعن ابن عباس رضي الله عنهما جائية مجتمعة وقبل جماعات من الجثوة وهي الجماعة (كل أمة تدعى الى كتابها) لي صحيفة أعمالها وقرى

كل بالنصب على أنه بدل من الاول وتدعى صفة أحوال أو مفهول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك وقوله تعالى (هذا كتابنا) الخ مر تمام ما يقار حينئذ وحيث كان ذلك كل أمة مكتوبا بأمر الله تعالى أضرب الى نون العظمة تعظيما لشأنه وهو بلا امره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى (ينطق عليكم أي يشهد عليكم) بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر آخر أو حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى (الما كننا نستخسج) ﴿ ٦٢ ﴾ سا الخ تعليل انطقه عليهم بأعمالهم من

الناس قال الواحدى وأيس يبقى للتدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله تعالى صرح بمنعه اياهم عن الهدى حين أخبرانه ختم على سمع هذا الكافر وقلبه وبصره وأقول هذه المناظرة قد سبقت بالاستقصاء في أول سورة البقرة واعلم أنه تعالى حكى عنهم بعد ذلك شبهتهم في انكار القيامة وفي انكار الاله انقار اما شبهتهم في انكار القيامة فهي قوله تعالى وقالوا ما هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا فان قالوا الحياة مقدمة على الموت في الدنيا فنكر واقسامه كان يجب أن يقولوا نحيا ونموت فما السبب في تقديم ذكر الموت على الحياة قلنا فيه وجوه (الاول) المراد بقوله نموت حال كونهم نطقا في أصلاب الآباء وأرحام الامهات وبقوله نحيا ما حصل بعد ذلك في الدنيا (الثاني) نموت نحن ونحيا بسبب بقائه أولادنا (الثالث) نموت بعض ونحيا بعض (الرابع) وهو الذي خطر بالبال عند كتابة هذا الموضوع انه تعالى قدم ذكر الحياة فقال ما هي الاحياتنا الدنيا ثم قال بعده نموت ونحيا يعني ان تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك في حق الذين ماتوا ومنهم ما لم يطرأ الموت عليها وذلك في حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد واما شبهتهم في انكار الاله الفاعل المختار فهو قولهم وما يهلكنا الا الدهر يعني تولد الاشخاص انما كان بسبب حركات الافلاك الموجبة لامتزاجات العنبايع واذا وقعت تلك لامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة واذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالوجوب للحياة والموت تأثيرات الطبائيم وحركات الافلاك ولا حاجة في هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهذه الطائفة جوهرا بين انكار الاله وبين انكار البعث والقيامة ثم قال تعالى وما منهم من علم انهم الاطمنون والمعنى ان قبل انظر وعرفه بتدليل الاحتمالات بأسرها قائم فأتى قالوه يحتمر وحمده أيضا يحتمل ذلك عموما يكون قويا بالبعث والقيامة حقا وان يكون القول بوجود الاله الحكيم حقا فانهم لم يذكروا شبهة ضعيفة ولا فوية في أر هذا الاحتمال الثاني باطن وتكند حطرت بيالهم ذلك الاحتمال الذي لم يردوا به وأصروا عليه من غير حجة ولا بينة تثبت أنه ليس لهم علم ولا جزم ولا يقين في صحة القول الذي اختاروه بسبب السان والحسبان وميل الذات اليه من غير وجه وهذه آياتهم من أقوى الدلائل على ان القول بغير حجة يندف قول بالحل فاسد وار منبهة الظن والحسبان منكر عند الله تعالى ثم قال تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حججهم الا أنهم قالوا ما بآياتنا ان كنتم صادقين وفيه مسائل (المسئلة الاول) قرى حججهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخير (المسئلة الثانية) سمي قولهم حججنا وجوه (الاول) انه في زعمهم حجة (الثاني) ان يكون المراد من كان حججهم هذا فليس لهم البتة حجة كقوله *حجة بينهم ضرب وجمع (الثالث) انه ذكروها في معرض الاحتجاج بها (المسئلة الثالثة) ان حججهم على انكار البعث أن قالوا اوضح ذلك فأتوا بآياتنا الذين ماتوا اي شهدوا لنا بصحة البعث واعلم ان هذه الشبهة ضعيفة جدا لانه ليس كل ما لا يحصل في الحال وجب أن يكون ممنوع

ينطق وقوله تعالى (الما كننا نستخسج) ﴿ ٦٢ ﴾ سا الخ تعليل انطقه عليهم بأعمالهم من

فأم الخطاب الى غيابة النار (ولا هم يستعشون) أي يطلب منهم أن يشعروا بهم أي برضوه انقوات أوانه (ولله الحمد)
خاصة (رب السموات ورب الأرض رب العالمين) فلا يستعشون ﴿ ٤٩٢ ﴾ الحمد أحد سواء وتكرير الرب للتأكيد

الإيدان بان ربوبيته
على لكل منها الطريق
الاسماة وفي رفع
اللائحة على المرح
باعتباره (وإن الكبرياء
في السموات والأرض)
لظهور آثارها واحكامها
فيهما وانما ههنا في
موقع الاضمار تفخيم
شان الكبرياء (وهو
العزيز) الذي لا يغلب
(الحكيم) في كل ما قضى
وقدر فاجسه وكبروه
وأطيعوه * عن النبي
عليه الصلاة والسلام
من قرأ أح الجاثية ستر
الله تعالى عورته وسكن
روحه يوم الحساب
﴿ سورة الاحقاف
مكية وآياتها أربع أو
خمس وثلاثون آية ﴾
﴿ بسم الله الرحمن
الرحيم ﴾ (حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز
الحكيم) الكلام فيه
كالذي مر في مطلع
السورة السابقة
(ما خلقنا السموات
والأرض) بما فيها
من حيث الجزئية منها
ومن حيث الاستقرار
فيهما (وما بينهما)

باعتق (المسئلة الثالثة) جواب أما عندك واشتد وأما الدين كفر وأما فيسا لهم
اذم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم من قبل آياتي وكنتم قوماً كافرين فان قالوا كيف
يحسن وصف الكافر بكونه محرم ما في مرضا طم فيه والدمية فبنا معناه انهم مع كونهم
كفاراً ما كانوا عدولاً في أديان أنفسهم بل كانوا فاسقاً في ذلك الدين والله أعلم * قوله
تعالى (واذا قيل ان وعد الله حتم الساعة لرب فيما فلتن ما ندري ما الساعة ان لن ينظن
الاطنا وما نحن بمستيقنين وبدلهم آيات ما نعدهم ان يأتوا بهم وكانوا يستهزئوا به
اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وما لكم بالذات وما لكم من ناصرٍ ذكركم بالكم
انفذتم آيات الله هزوا وبغروكم الحياة الدنيا فأيهم لا يخرجون منها ولا هم يستعشون
فله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وإن الكبرياء في السموات والأرض هو
العزيز الحكيم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في الساعة رفعا ونصبا قال الزجاج
من نصب عطفت على الوعد ومن رفع فعلى معنى وقيل الساعة لا ريب فيها قال الاخفش
الرفع أجود في المعنى وأكثر في كلام العرب اذا جاز بهد خبر ان لأنه كلام مستقل بنفسه
بعد مجيء الكلام الاول بتمامه (المسئلة الثانية) حكى الله تعالى عن الكفار أنهم اذا قيل
ان وعد الله بالثواب والعقاب حتم وان الساعة آتية لا ريب فيها قالوا ما ندري ما الساعة
ان لن ينظن الاطنا وما نحن بمستيقنين أقول الاغلب على الظن أن العوم كانوا في هذه المسئلة
على قولين منهم من كان قاطعا بنى البيث والقيامة وهم الذين ذكرهم الله في الآية
المقدمة بقوله وقالوا ما هي الاحياتنا الدنيا ومنهم من كان شاكا متحيرا فيه لانهم لكثرة
ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم ولكثرة ما سمعوه من دلائل القول بصحته صاروا
شاكين فيه وهم الذين أرادهم الله بهذه الآية والذي يدل عليه انه تعالى حكى مذهب
أولئك القاطعين ثم اتبعه بحكاية قول هؤلاء فوجب كون هؤلاء مغايرين للفريق الاول
ثم قال تعالى وبدلهم أى في الآخرة سيئات ما عملوا وقد كانوا من قبلهم دونها حسنات
فصار ذلك أول خسرتهم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون وهذا كالدليل على ان هذه
الفرقة لما قالوا ان لن ينظن الاطنا انما ذكروه على سبيل الاستهزاء والسخرية وعلى هذا الوجه
فهذا الفريق شر من الفريق الاول لان الاولين كانوا منكرين وما كانوا مستهزئين وهذا
الفريق ضموا الى الاصرار على الانكار الاستهزاء ثم قال تعالى وقيل اليوم ننساكم
كما نسيتم لقاء يومكم هذا وفي تفسير هذا النسيان وجهان (الاول) نترككم في العذاب
كما تركتم الطاعة التي هي الزاد ليوم المعاد (الثاني) نجعلكم بمنزلة الشئ المنسى غير المبالي
به كالم تبالوا أتنم بلقاء يومكم ولم تلتفتوا اليه بل جعلتموه كالشئ الذي يطرح نسباً منسيا
فجمع الله تعالى عليهم من وجوه العذاب الشديد ثلاثه أشياء (فأولها) قطع رحمة الله تعالى
عنهم بالكلية (وثانيها) انه يصير ما وهم النار (وثالثها) أن لا يحصل لهم أجر من الاعوان

من المخلوقات (الابالحق) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى الاخلاق ملتبسا بالحق الذي تقتضيه ﴿ والانصار ﴾
الحكمة التكوينية والتشريعية

او من أعم الاحوال من فاعل خلقناها أو من مفعوله أي ما خلقناها في حال من الاحوال الاحال ملايستنا بالحق أحوال ملايستنا به وفيه من الدلالة على ٤٩٣ وجود الصانع تعالى وصفات كماله وايتناء افعاله على حكم بانة

وانتهاؤها الى غايات
جدلة مالا يتخفى (وأجل
مسمى) عطف على
الحق بتقدير مضاف
أي بتقدير أجل مسمى
يتسمى اليه أمر الكل
وهو يوم القيامة يوم
تبدل الارض غير
الارض والسموات
وبرز لله الواحد القهار
وقيل هو آخر مدة البقاء
المفسد لكل واحسد
ويأباه قوله تعالى والذين
كفروا عما أنذروا
معرضون) فان ما أنذروه
يوم القيامة وما فيه
من الطامة الثامنة
والاهوال العامة لا آخر
أعمارهم وقد جوز
كون ما مصدرية والجملة
حالية أي ما خلقنا
الخلق الابالحق بتقدير
الاجل الذي يجازون
عنده والحال أنهم غير
مؤمنين به معرضون
عنه وعن الاستعداد له
(قل) توحيها لهم وتبيكنا
(أرايتهم) أخبروني وقرئ
أرايتكم (ماتدعون)
ماتدعون (من دون الله)
من الاصنام (أروني)
تأكيد لأرايتهم (ماذا
خلقوا من الارض)

والانصار ثم بين تعالى انه يقال لهم انكم انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلاثة من
العذاب الشديد لاجل انكم أتيتم بثلاثة انواع من الاعمال الفبيحة (فأولها) الاصرار
على تكذيب الحق (وثانيها) الاستهزاء به والسخرية منه وهذا الوجهان داخلان
تحت قوله تعالى انكم بانكرتخذتم آيات الله هزوا (وثالثها) الاستغراق في حب الدنيا
والاعراض الكلبة عن الآخرة وهو المراد من قوله تعالى وغيرتكم احياة الدنيا ثم
قال اني ما لوم يخرجون منها من آخرة وانك اني يخرجون بفتح الياء والياءون بضمها
ولاه يستون أي ولا يعذب منهم أن يعتبروا ربهم أي رضوه واستم الكلام في هذه
المبانيث شريفة الروحانية ختم السورة بحميد الله تعالى فقال قوله الحمد رب السموات
ورب الارض رب العالمين أي فاحمدوا الله الذي هو خالق السموات والارض بل خالق كل
العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه الربوبية توجب الحمد
والشكر على كل أحد من المخلقين والمربوبين ثم قال تعالى وله الكبرياء في السموات
والارض وهذا مشعر بامرئين (أحدهما) ان التكبير لا بدو أن يكون بعد الحمد
والإسادة الى أن الخامدين اذا حمدوه وجب أن يعرفوا انه أعلى وأكبر من ان
يكور الحمد الذي ذكروه لأتقانا ما تبدل هو أكبر من حمد الخامدين وأباه أعلى وأجل
من شكر الشاكرين (والثاني) ان هذا الكبرياء له لا لغيره لان واجب الوجود لذاته ليس
الاهو ثم قال تعالى وهو العزيز الحكيم يعني انه لكمال قدرته يقدر على خلق أي شيء
أراد و لكمال حكمته يخص كل نوع من مخلوقاته بآثار الحكمة والرحمة والفضل
والكرم وقوله وهو العزيز الحكيم يفيد الحصر فهذا يفيد ان التكامل في القدرة وفي
الحكمة وفي الرحمة ليس الاهو وذلك يدل على انه لا اله الا هو ولا يحسن ولا متفضل
الاهو قال مولانا رضي الله عنه تم تفسير هذه السورة يوم الجمعة بعد الصلاة الخامسة عشر
من ذي الحجة سنة ثلاث وستائة والحمد لله جدا دائما طيبا مباركا تحمدا مؤبدا كما يليق
بعواشانه وباهر برهانه وعظيم احسانه والصلاة على ارواح الطاهرة المقدسة من
ساكني اعلى السموات ونجوم الارضين من الملائكة والانباء والاباء والموحدين
خصوصا على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة الاحقاف وهي ثلاثون وخمس آيات مكيدة وقيل أربع وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرايتهم ماتدعون من
دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أتوني بكتاب من قبل
هذا أو آتارة من علم ان كنتم صادقين) اعلم ان نظم أول هذه السورة كنظم أول سورة

يسان للابهام في ماذا (أم لهم شرك) أي شراكة مع الله تعالى (في السموات) أي في خلقها أو ملكها وتديرها

سعى نحوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لمدخل له في وجوده شيء من الاشياء بوجه من الوجود فهو
يعمل من ذلك الاستحقاق بالمرّة وان كان من الاحكام الملافاظ كقوله ٤٩٤ ﴿ بالجمادى وقوله تعالى (التوفى بكتات)

الجائبة وقد ذكرنا ما فيه وأما قوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق فهذا يدل على اثبات الاله بهذا العالم ويدل على أن ذلك الاله يجب أن يكون عادلا رحيمًا بعباده ناظرًا لهم معنًا بهم ويدل على ان القيامة حق (أما المطلوب) الاول وهو اثبات الاله بهذا العالم وذلك لان الخلق عبارة عن التقدير وأما التقدير ظاهرة في السموات والارض من الوجوه العشرة المذكورة في سورة الانعام وقد بينا ان جملة تلك الوجوه تدل على وجود الاله القادر المختار (وأما المطلوب) الثاني وهو اثبات ان الاله العالم عادل رحيم فيدل عليه قوله تعالى الابالحق لان قوله الابالحق معناه الاجل الفضل والرحمة والاحسان وان الاله يجب أن يكون فضله زائدًا وان يكون احسانه راجعًا وان يكون وصول المنافع منه الى المحتاجين أكثر من وصول المضار اليهم قال الجبتي هذا يدل على ان كل ما بين السموات والارض من القبائح فهو ليس من خلقه بل هو من افعال عباده والازم أن يكون شامًا لكل باطل وذلك ينافي قوله ما خلقناهما الابالحق اجاب أصحابنا وقالوا خلق الباطل غير الخلق بالباطل غير فحقن نقول انه هو الذي خلق الباطل الا انه خلق ذلك الباطل بالحق لان ذلك تصرف من الله تعالى في ملك نفسه وتصرف المالك في ملك نفسه يكون بالحق بالباطل قاوا والذي يقرر ما ذكرناه ان قوله تعالى ما خلقنا السموات والارض وما بينهما يدل على كونه تعالى خالقًا لكل أعمال العباد لان أعمال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب كونهما مخلوقه لله تعالى ووقوع التعارض في الآية الواحدة محال فلم يبق الا أن يكون المراد ما ذكرناه فان قالوا افعال العباد اعراض والاعراض لا توصف بأنها حاصله بين السموات والارض فتقول فعلى هذا التقدير سقط ما ذكرتموه من الاستدلال والله أعلم (وأما المطلوب الثالث) فهو دلالة الآية على صحة القول بالبعث والقيامة وتقديره انه اولم توجد القيامة لتعطل استيفاء حقوق المظلومين من الظالمين وتعطل توفية اشواب على المطيعين وتوفية العقاب على الكافرين وذلك يمنع من القول بأنه تعالى خلق السموات والارض وما بينهما الابالحق وأما قوله تعالى وأجل مسمى فالمراد انه ما خلق هذه الاشياء الابالحق والاجل مسمى وهذا يدل على ان الاله العالم ما خلق هذا العالم ليعبئ مخلدًا سرمدًا بل انما خلقه ليكون دارًا للعامل ثم انه سبحانه يفنيه ثم يعيده فيقع الجزاء في الدار الآخرة فعلى هذا الاجل المسمى هو الوقت الذي عينه الله تعالى لافناء الدنيا ثم قال تعالى والذين كفروا عما أنذروا معرضون والمراد ان مع نصب الله تعالى هذه الدلائل ومع ارسال الرسل وانزال الكتب ومع مواظبة الرسل على الترغيب والترهيب والاعذار والانداز بقي هؤلاء الكفار معرضين عن هذه الدلائل غير ملتفتين اليها وهذا يدل على وجوب النظر والاستدلال وعلى أن الاعراض عن الدليل مذموم في الدين والدنيا واعلم انه تعالى لما قرر هذا الاصل الدال على اثبات الاله وعلى اثبات كونه عادلا رحيمًا وعلى اثبات البعث والقيامة بنى عليه

الخ تبصكيت لهم
بتحيزهم عن الاثبات
بستد نظري بعد تبكيكيتهم
بالتعبير عن الاثبات بستد
عقلي أي اثوني بكتاب
(من قبل هذا) الكتاب
أي القرآن النساطق
بالتوحيد وابطال أشرك
دال على صحة دينكم
(أو اشارة من علم) أو بيقية
من علم بيقية علمكم
من علوم الاولين شاهدة
باستحقاقهم للعبادة
(ان كنتم صادقين)
في دعواكم فانها لا تكاد
تصح ما لم يقم عليها
برهان عقلي أو سلطان
نقلي وحيث لم يقم عليها
شيء منها وقد قامت
على خلافها أدلة العقل
والنقل تبين بطلانها
وقرى اشارة بكسر الهمزة
أي مناظرة فانها تشير
المعاني وأثرة أي شيء
أوترتم به وخصصم من
علم مطوى من غيركم
وأثرة بالحركات الثلاث
مع سكون الشاء أما المكسورة
فيعني الاثرة وأما المفتوحة
فهى المرة من أثر الحديث
أي رواه وأما المضمومة
فاسم ما يؤثر كالخطبة

التي اسم ما يخاطب به (ومن أصل بمن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) انكارون في لأن يكون أحد في التفاريع

يساوي الشرايين في الضلال وان كان سبب الترتيب لئلا يضل منهم من غير عرض لئلا المساوي كما مر في حكمة أي هم
أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم ٤٩٥ بحج السميع القادر المحيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري

عن السمع والقدرة
والاستجابة (الى يوم
القيامة) غاية لئلا
الاستجابة (وهم عن
دعائهم) الضمير الاول
لمفعول يدعو والثاني
فاعله والجم فيهما باعتبار
معنى من كما أن الافراد
فيما سبق باعتبار انظما
(غافلون) اسكونهم
جادات وضمائر العقلاء
لاجرائهم اياها مجرى
العقلاء ووصفها بما ذكر
من ترك الاستجابة والعقلاء
مع ظهور حالها اللهكم
بهاو يبدئها كقوله تعالى
ان تدعوهم لا يسعوا
دعائكم الآية (واذا حشر
الناس) عند قيام القيامة
(كانوا لهم أعداء وكانوا
بعبادتهم كافرين) أي
مكدين بلسان الحال
أو المقال على ما يروى
أنه تعالى يحى الاصنام
فتبرأ عن عبادتهم وقد
جوز أن يراد بهم كل
من يعبد من دون الله
من الملائكة والجن
والانس وغيرهم ويبنى
ارجاع الضمائر واسناد
العداوة والكفر اليهم
على التغليب ويراد
بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قواهم والله بنا ما كنا مشركين (واذا تلى عليهم

التفاريح (فامرغ الاول) رد على عبدة الاصنام فقال قل أرايتم ما تدعون من دون الله
وهي الاصنام أروني أي أخبروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات
والمراد ان هذه الاصنام هل يعقل أن يضاف اليها خلق جزء من أجزاء هذا العالم فإن
لم يصح ذلك فهل يجوز أن يقال انها أعانت الله العالم في خلق جزء من أجزاء هذا العالم ولما
كان صريح العقل كما بأنه لا يجوز اسناد خلق جزء من أجزاء هذا العالم اليها وان كان
ذلك الجزء أقل الاجزاء ولا يجوز أيضا اسناد الاعانة اليها في أقل الافعال وأذاها فحينئذ
صح ان الخالق الحقيقي لهذا العالم هو الله سبحانه وان المنعم الحقيقي بجميع أقسام النعم هو
الله سبحانه والعبادة عبارة عن الاتيان بأكل وجوه التعظيم وذلك لا يليق الا بئس صدر
عنه أكل وجوه الانعام فلما كان الخالق الحق والمنعم الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى وجب
أن لا يجوز الاتيان بالعبادة والعبودية الاله ولا لجله لئلا يقال انا لا نعبدها لانها تستحق
هذه العبادة بل انما نعبدها لاجل ان الاله الخالق المنعم أمرنا بعبادتها فعند هذا ذكر
الله تعالى ما يجرى مجرى الجواب عن هذا السؤال فقال أتوني بكتاب من قبل هذا
أو أنارة من علم وتقرير هذا الجواب ان ورود هذا الامر لاسبيل الى معرفته الا بالوحي
والرسالة فتقول هذا الوحي الدال على الامر بعبادة هذه الاوثان اما أن يكون على محمد
أو في سائر الكتب الالهية المنزلة على سائر الانبياء وان لم يوجد ذلك في الكتب الالهية
لكنه من تقابل الامور المنقولة عنهم والكل باطل اما اثبات ذلك بالوحي الى محمد صلى الله
عليه وسلم فهو معلوم البطالان واما اثباته بسبب اشتغال الكتب الالهية المنزلة على الانبياء
التمدين عاين فهو أيضا باطل لانه علم بالنواتر الضروري اطباق جميع الكتب الالهية
على المنع من عبادة الاصنام وهذا هو المراد من قوله تعالى أتوني بكتاب من قبل هذا
واما اثبات ذلك بالعلوم المنقولة عن الانبياء سوى ما جاء في الكتب فهذا أيضا باطل
لان العلم الضروري حاصل بأن أحدا من الانبياء مادعا الى عبادة الاصنام وهذا هو
المراد من قوله أو أنارة من علم ولما بطل اسكل ثبت ان الاشتغال بعبادة الاصنام عمل باطل
وقول فاسد وبقى في قوله تعالى أو أنارة من علم نوعان من البحث (النوع الاول) البحث
النفوى قال أبو عبيد والفراء والزجاج أنارة من علم أي بقية وقال المبرد أنارة ما يؤثر من
علم أي بقية وقال المبرد أنارة تؤثر من علم كقولك هذا الحديث يؤثر عن فلان ومن هذا
المعنى سميت الاخبار بالآثار يقال جاء في الاثر كذا وكذا قال الواحدى وكلام أهل اللغة
في تفسير هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال (الاول) البقية واشتقاقها من أثرت
الشيء أثره اثاره كأنها بقية تستخرج فنتار (والثاني) من الاثر الذي هو ال راية
(والثالث) هو الاثر بمعنى العلامة قال صاحب الكشاف وقرئ أثره أي من شيء أو أثره به
وخصصتم من علم لانحاطة به غيركم وقرئ أثره بالحركات الثلاث مع سكون الاء فالآثرة
بالكسر بمعنى الاثر واما الآثرة فالآثرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه وأما الآثرة بالضم

بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قواهم والله بنا ما كنا مشركين (واذا تلى عليهم

آياتنا بينات) واضحات ، مبينات (قال الذين كفروا الحق) أى لا بخله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المنطوقة وضم موضع ضميرها تصبصا على حقيقتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول ﴿ ٢٩٦ ﴾ موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا

عليهم يكسأل الكفر والضلال (لما جاءهم) أى فى أول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل (هذا شهر مبین) أى ظاهر كونه سحرا (أم يقولون افتراه) اضراب وانتقال من حكاية شاعتهم السابقة الى حكاية ما هو أشهر منها وما فى أم من الهمة للانكار التو بىخى المتضمن للتعجب أى بل يقولون افترى القرآن (قل ان افترينه) على الفرض (فلا تملكونى من الله شيئا) اذ لا ريب فى أنه تعالى بما جاتى حينئذ بالعبودية وكيف اجترأ على أن افترى عليه تعالى كذبا فأعرض نفسى للعقوبة التى لامناص عنها (هو أعلم بغير تصور فيه) أى تدعون فيه من القدر فى وحى الله والسخر فى آياته وتسميته سحر اشارة وفريفة اخرى (كفى به شهيدا بينى وبينكم) حيث يشهدى بالصدق والبلاغ عليكم بالكذب والجود وهو وعيد يجزاء افاضتهم

فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم لما يخطب به وههنا قول آخر فى تفسير قوله تعالى أو اشارة من علم وهو ما روى عن ابن عباس انه قال أو اشارة من علم هو علم الخط الذى يخط فى الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان نبي من الانبياء يخط فى رمل يخطه خطه علمه وعلى هذا الوجه فعنى الآية أتونى بعلم من قبل هذا الخط الذى تخطونه فى الرمل يدل على صحة مذهبكم فى عبادة الاصنام فان صح تفسير الآية بهذا الوجه كان ذلك من باب النهكم بهم وبأقوالهم ودلائلهم والله تعالى أعلم ﴿ قوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا الحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل ان افترته فلا تملكونى من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم) اعلم أنه تعالى بين فيما سبق أن القول بعبادة الاصنام قول باطل من حيث انها لا قدرة لها البتة على الخلق والفعل والايحاء والاعدام والنفع والضرر فاردفه بدليل آخر يدل على بطلان ذلك المذهب وهى أنها اجادات فلا تسمع دعا الداعين ولا تعلم حاجات المحتاجين وبالجملة فالدليل الاول كان اشارة الى نفي العلم من كل الوجوه واذا اتقى العلم والقدرة من كل الوجوه لم يبق عبادة معلومة ببدئية العقل فتقوله ومن أضل ممن يدعو من دون الله استفهام على سبيل الانكار المسمى انه لا امرأ أبعد عن الحق وأقرب الى الجهل ممن يدعو من دون الله الاصنام فتخبرها الهمة ويعبدها وهى اذا دعيت لا تسمع ولا تصح منها الاجابة لافى الحال ولا بعد ذلك ليوم ال يوم القيامة وانما جعل ذلك غاية لان يوم القيامة قد قيل انه تعالى يجيبها وتنع بينها وبين مرعبدها مخاطبة فلذلك جعله تعالى حدا واذا قامت القيامة وحشر الناس فهذه الاصنام تعادى هؤلاء العابدين واختلفوا فيه فلا يذكرون على انه تعالى يجيب هذه الاصنام يوم القيامة وهى تظهر عداوة هؤلاء العابدين وتبأ منهم وقال بعضهم بل المراد عبدة الملائكة وعيسى قال لهم فى يوم القيامة يظهر من عداوة هؤلاء العابدين فان قيل ما المراد بقوله تعالى وهم عن دعائهم غافلون وكيف يعقل وصف الاصنام وهى اجادات بالغة وأيضا كيف جاز وصف الاصنام بما لا يلىق الا بالاعفلاء وهى العفة من وقوله هم غافلون قلنا انهم لما عبدها وتزلواها منزلة من يضرب ويتفجع صبحا ويقار فيها انها بمنزلة الغافل الذى لا يسمع ولا يجيب وهذا هو الجواب أيضا عن قوله ان غفلة من وافظة هم كيف يلىق بها وأيضا يجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الملائكة وعيسى وعزير والاصنام الا انه قلب غير الاوثان على الاوثان واعلم انه تعالى لما تكلم فى تقرير التوحيد ونفى الاضداد والانداد تكلم فى النبوة و بين أن محمدا صلى الله

وقوله تعالى (وهو الغفور الرحيم) وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشتعار بحلم الله تعالى ﴿ عليه ﴾ عنهم مع عظم جرائمهم

(قل ما كنت بدعاً من الرسل) البدع بمعنى القديم كالحل بمعنى الخليل وهو ما لا مل له وقري: بفتح الدال على أنه
صفة كقيم وزيم أوجع مقدر مضاف أي ذابح وقد جوز ذلك في القراءة الأولى أيضاً على أنه مصدر كانوا يقترحون
عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة منسأته ﴿٢٩٧﴾ عن الغيبات عند أومكاره فأمر عليه السلام بأن

يقول لهم ما كنت بدعاً من
الرسول فأدرا على ما لم
يقدروا عليه حتى أتيتكم
بكل ما تقرحونه واخبركم
بكل ما نسألون عنه من
الغيب فان من قبلي من
الرسول عليهم الصلاة
والسلام ما كانوا يؤتون
الآيات أنهم الله تعالى
من الآيات ولا يخبرونهم
الآيات أوحى إليهم
(وما أدري ما يفعل بي
ولا بكم) أي أي شيء
يصيبنا فيما يستقبل من
الزمان من أفعاله تعالى
وماذا يقدر لنا من قضائه
وعن الحسن رضي الله
عنه ما أدري ما يصير
إليه أمرى وأمر كفى
الدينار عن ابن عباس
رضي الله عنهم ما ما يفعل بي
ولا بكم في الآخرة
وقال هي منسوخة
بقوله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر وقيل يجوز أن
يكون المنفي هي الدراية
المفصلة والظاهر الأوفق
لما ذكر من سبب النزول
أن ما عبارة عما ليس
علمة من وظائف
النسوة من الحوادث

عليه وسلم كما عرض عليهم نوعاً من أنواع المعجزات زعموا أنه سحر فقال وإذا تلى
عليهم الآيات البينة وعرضت عليهم المعجزات الماهرة وهو بالسحر وما بين أنهم يسعون
المعجزة بالسحر بين أنهم متى سمعوا القرآن قالوا إن محمداً افتراه واختلقه من عند نفسه
ومعنى الهمة في أم اللانكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واسمع القول المنكر العجيب ثم
انه تعالى بين بطلان شبهتهم فقال ان افتروا على سبيل القرص فان الله تعالى يعاجلني
بعقوبة بطلان ذلك الافتراء وأنتم لا تقدررون على دفعه عن معاجلتي بالعقوبة فكيف
أقدم على هذه القرية وأعرض نفسي لعنابه يقال فلان لا يملك نفسه اذا غضب ولا يملك
عنايته اذا صمم ومثله فن يملك من الله شيئاً ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله
فنتد فلن يملك له من الله شيئاً ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يملك لكم من الله شيئاً ثم قال
تعالى هو أعلم بما تفيضون بيد أي تدفعون فهدى من القدح في وحي الله تعالى والطمع في
آياته وتسميته سحر انارة وقرينة أخرى كفي به شهيداً بيني وبينكم يشهد بالصدق
ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد لهم على اقامتهم في
الطمع والشتم ثم قال وهو القنور الزحيم بن رجم عن الكفر وقاب واستعان بحكم الله
عليهم مع عقابهم ما ارتكبهوه بقوله تعالى (قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي
ولا بكم ان أتبع الامايوحى الي وما أنا الا نذير مبين قل أأتيتم ان كان من عند الله وكفرتم
به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال الذين كفروا الذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا لله وانهم يفتنوا به فسيقولون هذا
اذك قديم ومن قبله كتاب موسى امة مورا ورحمة هذا كتاب مصدق لسانا نعرى بالينذر الذين
ظلموا وبشرى للمعتدين) اعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم طعنوا في كون القرآن معجزة
بان قالوا انه يتخلقه من عند نفسه ثم يذسبه الى ايه كلام الله على سبيل القرية حكى عنهم نوعاً
آخر من الشبهات وهو أنهم كانوا يقترحون منه معجزات عجيبة فاهرة وبطالونه بأن
يخبرهم عن الغيبات فأجاب الله تعالى عنه بان قال قل ما كنت بدعاً من الرسل والبدع
والبدع من كل شيء البدأ والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجوداً قبله بحكم السنة وفيه
وجوه (الأول) ما كنت بدعاً من الرسل أي ما كنت أولهم فلا ينبغي أن تنكروا اخبارى
باني رسول الله إليكم ولا تنكروا دعائي لكم الى التوحيد ونهي عن عبادة الاصنام فان كل
الرسول انما يشوا بهذا الطريق (الوجه الثاني) انهم طلبوا منه معجزات عظيمة واخبارا
عن الغيب فقال قل ما كنت بدعاً من الرسل والمعنى ان الايمان بهذه المعجزات القاهرة
والاخبار عن هذه الغيوب ليس في وسع البشر وانما من جنس الرسل واحدمتهم لم يقدر
على ما تر يدونه فكيف أقدر هليد (الوجه الثالث) انهم كانوا يسيبونه بأكل الطعام
ويشئ في الاسواق وبأنه فقير وبأن أتباعه فقراء فقال قل ما كنت بدعاً من الرسل وكلامهم

والواقعات ﴿٦٣﴾ سا الدنياوية دون ما يقع في الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به
الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روى عن

الحكي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على
هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أترك بمكة أم أمر بالخروج الى أرض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورأيتها
يعنى في منامه وجوز أن تكون مأموصولة والاستههامية هو ٤٩٨ ❖ أفضى لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير

كانوا على هذه الصفة وبهذه المثابة فهذه الاشياء لا تندرج في نبوتى كما لا تندرج في نبوتهم
ثم قال وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في تفسير الآية وتوجهان
(أحدهما) ان يحمل ذلك على أحوال الدنيا (والثاني) ان يحمل على أحوال الآخرة
(أما الاول) ففيه وجوه (الاول) لأدري ما يصير اليه أمرى وأمركم ومن الغالب منا
والغالب (والثاني) قال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد البلاء باصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم بمكة رأى في المنام أنه يهاجر الى أرض ذات نخيل وشجر وما قصها على
أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا أن ذلك فرج مما هم فيه من اذى المشركين ثم انهم مكثوا
برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي قلت ومتى نهاجر
الى الارض التي رأيتها في المنام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأترى الله تعالى ما أدري
ما يفعل بي ولا بكم وهو شئ رأيت في المنام وأتانا أتبع الاما وأوحاه الله الى (الثالث) قال
الضحك لا أدري ما تؤمرون به ولا أمر به في باب التكليف والشرائع والجهاد ولا في
الابتلاء والامتحان وإنما أنذركم بما أعلمني الله به من أحوال الآخرة في الثواب والعقاب
(والرابع) المراد انه يقول لأدري ما يفعل بي في الدنيا أموت أم أقتل كما قتل الانبياء
قبلي ولأدري ما يفعل بكم أيها المكذبون الترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم
يفعل بكم ما فعل يسائر الامم أما الذين حياوا هذه الآية على أحوال الآخرة فروى عن
ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا
كيف نذبح نبيا لا يدري ما يفعل به وينافقون الله تعالى انافقنا ذلك فحمايينا يغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك الى قوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فين تعالى ما يفعل به
وبمن اتبعه ونسخت هذه الآية وأرغم الله أنف المنافقين والمشركين وأكثر المحققين
استبعدوا هذا القول واحتجوا عليه بوجوه (الاول) أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يد
وان يعلم من نفسه كونه نبيا ومتى علم كونه نبيا علم انه لا تصدر عنه الكبار وانته مغفوره
واذا كان كذلك امتنع كونه شاكفا في انه هل هو مغفوره أم لا (الثاني) لا شك ان الانبياء
أرفع حال من الاولياء فلما قال في هذا ان الدين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فكيف يعقل أن يبقى الرسول الذي هو رئيس الاتقياء وقدموا الانبياء
والاولياء شاكفا في انه هل هو من المغفورين أو من المعتدين (الثالث) انه تعالى قال الله
أعلم حيث يجعل رسالته والمراد منه كمال حاله ونهاية قربه من حضرة الله تعالى ومن هذا
حاله كيف يليق به أن يبقى شاكفا في أنه من المعتدين أو من المغفورين فثبت أن هذا القول
ضئيف (المسئلة الثانية) قال صاحب الكشاف قرئ ما يفعل بفتح الياء أى يفعل الله عز
وجل فان قالوا ما يفعل مثبت وغير منفي وكان وجه الكلام أن يقال ما يفعل بي وبكم
فلنا التقدير ما أدري ما يفعل بي وما أدري ما يفعل بكم ثم قال تعالى ان أتبع الاما يوحى
الى يعنى انى لأقول قولاً ولا أعمل عملاً الا بمتضى الوحي واحتج نفاة القياس بهذه

للتذكير التفي المنسحب
اليه وتأكيده وقرئ
ما يفعل على استناد الفعل
الى ضميره تعالى (ان
أتبع الاما يوحى الى) أى
ما أقول الا بما يوحى
الى على معنى قصر أفعاله
عليه الصلاة والسلام
على اتباع الوحي
لا قصر اتباعه على
الوحي كما هو المتسارع
الى الافهام وقدم
تحقيقه في سورة الانعام
وقرئ يوحى على البناء
للفاعل وهو جواب عن
اقتراحهم الاخبار عالم
يوح اليه عليه السلام
من الغيوب وقيل عن
استعمال المسنين أن
يتخلصوا عن اذية
المشركين والاول هو
الاولى قوله تعالى (وما
أنا الا نذير) أنذركم عقاب
الله تعالى حسبما يوحى الى
(مبين) بين الانذار
بالمعجزات الباهرة (فل
أرأيتم ان كان) أى
ما يوحى الى من القرآن
(من عند الله) لا سحر
ولا مقترى كما زعمون
وقوله تعالى (وكفرتم به)
حال باضمار قد من

الضمير في الخبر وسلطت بين اجزاء الضرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر أو عطف على كان ثم الآية ❖
كفى قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على أن نطعمه في

بذلك الشرط المرددين الوقوع وعندهم باعتبارهما في حسيب باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به
أمر محقق عندهم أيضا وانما ترددهم في أن ذلك كفر بما عن الله تعالى أم لا وكذا الحال في قوله تعالى (وشهد شاهد
من بني إسرائيل) وما بعده من الفعلين ﴿ ٤٩٩ ﴾ فان انكل أمر محقق عندهم وانما ترددهم في أنها شهادة وإيمان

بما من عند الله تعالى
واستكبار عند أولي الأمان
أخبروني أن كان ذلك في
الحقيقة من عند الله
وكفرتم به وشهد شاهد
عظيم الشأن من بني
إسرائيل الواقفين على
شؤون الله تعالى وأسرار
الوحي بما أنووا من التوراة
(على مثله) أي مثل القرآن
من المعاني المنطوية في
التوراة المطابقة لما
في القرآن من التوحيد
والوعد والوعيد وغير
ذلك فانها عين ما فيه
في الحقيقة كما يعرب عنه
قوله تعالى وانه اني زير
الأولين وقوله تعالى ان
هذا اني الحذف الأول
والمثلية باعتبار أن أدبها
بعبارات أخرى وعلى
مثل ما ذكر من كونه من
عند الله تعالى والمثلية
لما ذكر وقيل المثل صلة
والفاء في قوله تعالى
(فآمن) للدلالة على أنه
سارع الى الإيمان بالقرآن
لما علم أنه من جنس الرحي
الناطق بالحق وهو عبد الله
بن سلام لما سمع بمقدم
رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة أنا فنظر الى

الآية فقالوا النبي صلى الله عليه وسلم ما قال قولوا ولا عمل عملا إلا بالنص الذي أوجاه الله
إليه فوجب أن يكون جانا كذلك (بيان الأول) قوله تعالى ان أتبع الامايوحى الى
(بيان الثاني) قوله تعالى واتبعوه وقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ثم قال تعالى
وما أنا الا نذير مبين كانوا ايضا يبونه بالاعجاز العجيبة وبالاخبار عن الغيوب فقال قل
وما أنا الا نذير مبين والقادر على تلك الاعمال الخارجة عن قدرة البشر والعالم بتلك
الغيوب ليس الا الله سبحانه * ثم قال تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين)
وفيه مسائل (المسئلة الأولى) الشرط محذوف والتقدير ان يقال ان كان
هذا الكتاب من عند الله ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على صحته ثم استكبرتم
لكنتم من الخاسرين ثم حذف هذا الجواب ونظيره قولك ان أحسنت اليك وأسات
الى وأقبلت عليك وأعرضت عنى فقد ظنتنى فكذا هي التقديرا أخبروني ان ثبت ان
القرآن من عند الله بسبب معجز الخلق عن معارضته ثم كفرتم به وحصل أيضا شهادة اعلم
بني اسرائيل بكونه معجزا من عند الله فلو استكبرتم وكفرتم انتم أضل الناس
وأظلمهم واعلم ان جواب الشرط قد تحذف في بعض الآيات وقد يذكر اما الحذف فكما
في هذه الآية وكما في قوله تعالى واوأن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلف به
الموتى وأما المذكور فكما في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل
وقوله قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله
يا أيكم بفضياء (المسئلة الثانية) اختلفوا في المراد بقوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
على قولين (الأول) وهو الذي قال به الاكثرون أن هذا الشاهد عبد الله بن سلام روى
صاحب الكشاف انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه
ليس بوجه كذاب وتأمله وتحقق انه هو النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر فقال له انى
سألتك عن ثلاث ما يعلمهن الانبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة
والوالدينزع الى أبيه أو الى أمه فقال صلى الله عليه وسلم اما أول اشراط الساعة فانار
تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزياة كبد الحوت وأما
الوالدينزع الى سبى ماء الرجل نزع له وان سبى ماء المرأة نزع من خلفه ان أشهد انك رسول الله
حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا انى قبل ان نسألهم عنى بهتوني
عندك فجات اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا
خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا فقال أرأيتم ان أسلم عبد الله
فقالوا أعاده الله من ذلك فخرج عليهم عبد الله فقال أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا
رسول الله فقالوا شرتنا وابن شرتنا وانت قصوه فقال هذا ما كنت أعنف يا رسول الله فآمن
سعد بن أبى وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا حد يمشى على الارض

وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فحقق انه النبي المنتظر فقال له انى سألتك عن ثلاث ما يعلمهن الانبي
ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والوالدينزع الى أبيه

أوالى أمة يقال عليه الصلاة والسلام أما أول اشراط الساعة فتلذذ بحشرهم من الشرقي الى المغرب وأما أول طلعهم أهل الجنة فزيادة كبدهوت وأما الولد فان سبق ماء الرجل نزعته وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامي نحو ٥٠٠ يوم قبل ان تسألهم حتى يهتوني عندك فجات اليهود فقال لهم النبي

عليه الصلاة والسلام أي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فأرأيتهم ان ابن أعيا نقل أرايتهم ان أسلم عبد الله فأوا أعاده الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرتا وابن شرتا وانتصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأخذ قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد عشي على الارض انه من أهل الجنة الا عبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته بنافي التوراة من بعثة النبي عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان أي حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبي

انه من أهل الجنة الا عبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله واعلم أن الشعبي ومسر وقات وجاعة آخرين أنكروا أن يكون الشاهد المذكور في هذه الآية هو عبد الله بن سلام قالوا لان اسلامه كان بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل هذه الآية المكية على واقعة حدثت في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأجاب الكلبي بأن السورة مكية الا هذه الآية فانها مدنية وكانت الآية تنزل فيؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في سورة كذا فهذه الآية نزلت بالمدينة وان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين واقابل أن يقول ان الحديث الذي رويتم عن عبد الله بن سلام مشكل بذلك لان ظاهر الحديث يوهم انه لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اسئلة الثلاثة وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الجوابات آمن عبد الله بن سلام لاجل أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الجوابات وهذا بعيد جدا الوجهين (الاول) ان الاخبار عن أول اشراط الساعة وعن أول طلعهم يأكله أهل الجنة اخبار عن وقوع شيء من الممكنات وما هذا سبيله فانه لا يعرف كون ذلك الخبر صدقا الا اذا عرف أولا كور الخبر صدقا فلو اننا عرفنا صدق الخبر يكون ذلك الخبر صدقا لزم الدور وانه محال (الثاني) اننا علم بالضرورة ان الجوابات المذكورة عن هذه المسائل لا يبلغ العلم بها الى حد الاستحسان بل نقول الجوابات القاهرة عن المسائل الصعبة لما لم تبلغ الى حد الاستحسان فامثال هذه الجوابات عن هذه السؤالات كيف يمكن أن يقال انها بلغت الى حد الاستحسان (والجواب) يحتمل انه جاء في بعض كتب الانبياء المتقدمين أن رسول آخر الزمان يسأل عن هذه المسائل وهو يحجب عنها بهذه الجوابات وكان عبد الله بن سلام عالم بهذا المعنى فلما سأل النبي صلى الله عليه وسلم وأجاب بتلك الاجوبة عرف بهذا الطريق كونه رسولا حقا من عند الله وعلى هذا الوجه فلا حاجة بنا الى أن نقول العلم بهذه الجوابات معجز والله أعلم (القول الثاني) في تفسير قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل انه ليس المراد منه شخصا معين بل المراد منه ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم موجود في التوراة والبشارة بمقدمه حاصلة فيها فتقدير الكلام لو ان رجلا منصف اعترف بان توراة أقر بذلك واعترف به ثم انه آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنكرتم أستم ظالمين لانفسكم ضالين عن الحق فهذا الكلام مقرر سواء كان المراد بذلك الشاهد شخصا معينا أو لم يكن كذلك لأن المقصود الاصل من هذا الكلام انه ثبت بالمعجزات القاهرة ان هذا الكتاب من عندنا وثبت ان التوراة مشتقة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم وبمعجزات هذين الامرين كيف يابق بالعقل انكار نبوته (المسئلة الثالثة) قوله تعالى على مثله ذكروا فيه وجوها والا قرب ان نقول انه صلى الله عليه وسلم قال لهم أرايتهم ان كان هذا القرآن من عند الله كما أقول وشهد شاهد من بني اسرائيل

بجذوف والمعنى أخير وني ان كان من عطف على شهد شاهد وجواب الشرط ﴿ على ﴾

عند الله تعالى وشهد على ذلك أصلي بنى إسرائيل فأمن به من غير تعلم واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل من هو في شقاق بعيد وقوله تعالى (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) فان عدم الهداية مما يلى عن الضلال قطعاً وسببهم بالظلم للاشعار بعلية الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم ﴿ ٥٠١ ﴾ (وقال الذين كفروا) حكاية بعض آخر من أقاربهم

على مثل ما قلت فأمن واستكبرتم أستم كنتم ظالمين أنفسكم ثم قال تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) انه تمديد وهو قائم مقام الجواب المحذوف والتقدير قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم بتكونون مهتدين بل تكونون ضالين (المسئلة الثانية) قالت المعترضة هذه الآية تدل على انه تعالى انما منعهم الهداية بناء على الفعل القبيح الذي صدر منهم أو لافان قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين صريح في انه تعالى لا يهديهم لكونهم ظالمين أنفسهم فوجب أن يستندوا في جميع الآيات الواردة في المنع من الايمان والهداية أن يكون الخلل فيها كما هي هنا والله أعلم ثم قال تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذه شبهة أخرى للتوفيق في تكارره صلى الله عليه وسلم وفي سبب نزوله وجوه (الاول) ان هذا كلام كفار مكة قالوا ان جماعة من يتبع محمداً الغفراء والاراذل مثل عمار وصهيب وان مسعود ولو كان هذا الدين خيراً ما سبقنا اليه هؤلاء (الثاني) قيل لنا أسلمت بجهينة ومنينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد واشجع لو كان هذا خيراً ما سبقنا اليه رضاء الهمم (الثالث) قيل ان أمة لعمر أسلمت وكان عمر يضربها حتى يفتروا يقولون لا انى فترت لذنتك ضرب بافكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو محمداً اليه حتماً ما سبقنا اليه فلانة (الرابع) قيل كان اليهود يقولون هذا الكلام عند اسلام عبد الله بن سلام (المسئلة الثانية) الاصح في قوله تعالى للذين آمنوا ذكر فيه وجهين (الاول) أن يكون المعنى وقال الذين كفروا للذين آمنوا على وجه الخطاب كما تقول قال زيد لعمر ثم تترك الخطاب وتذلل الى التسمية كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم (الثاني) قال صاحب الكشاف للذين آمنوا لاجلهم يعني ان الكفار قالوا لاجل ايمان الذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقنا اليه وعندى فيه وجه ثالث وهو ان الكفار لما سمعوا ان جماعة آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبوا جماعة من المؤمنين الحاضرين وقالوا الهمم لو كان هذا الدين خيراً لما سبقنا اليه أولئك الغائبين الذين أسلموا واعلم انه تعالى لما حكى عنهم هذا الكلام أجاب عنه بقوله واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم والمعنى انهم لما لم يقفوا على وجه كونه معجزاً فلا يد من عامل في الظرف في قوله واذلم يهتدوا به ومن متعلق بقوله فسيقولون وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالات المعنى والاستنبال فواجه هذا الكلام وأجاب عنه بان العامل في اذمحذوف لسالة الكلام عابده وان تدبر واذلم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم ثم قال تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة كتاب موسى مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبر مقصداً عليه وقوله اما ان نصب على الخلال كدواك في انداز زيد قائماً وقرياً ومن قبله كتاب موسى والتفسير وآيتنا التي قبله التوراة ومعنى اماما أي قدوة ورحمة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به

الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به أى قال كفار مكة (للذين آمنوا) أى لاجلهم (لو كان) أى ما جابه عليه الصلاة والسلام من اشران والمدين (خيراً ما سبقونا اليه) فان معالى الامور لا يتأهلها أيدي الاراذل بهم سقطت عنادتهم فقراء وحوال ورعاة فأوه زعماً منهم أن الزياسة ايديهم عاينال بأسباب دنيوية كما قالوا ان لا ينزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم أنها منوطة بكلمات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكتابة وأن من فاز بهما فقد حازها بمخداً غيرها ومن حرمها فوله منها من خلاق وقيل فله بنو عامر وغطفان وأسدوا شجع لما سلم جهينة ومنينة وأسلم وغفار وقيل قالته اليه ودحين أسلم عبد الله

بن سلام وأصحابه ويا بآه ان السورة مكية ولا بد حينئذ من الالتجاء الى انحاء ان الآية نزلت بالمدينة (واذلم يهتدوا به) ظرف المحذوف يدل عليه ما قبله وبتربت عليه ما بعده أى واذلم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا (فسيقولون) غير مكلفين بنى خيرته (هذا افك قديم) كما قالوا أساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بدلاً (ومن قبله) أى من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى (كتاب

موسى) قيل وأجلته حالية أو مستأنفة وأياما كان فهو لرد قولهم هذا منك قديم وإبطاله فإن كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيقته قطعا (أماما ورجحة) حالان من كتاب موسى أي أماما يقتدى به في دين الله تعالى وشراة كما يقتدى بالأمام ورجحة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بوجوه (وهذا) الذي يقولون في حقه ما يقولون (كتاب) عظيم الشأن (مصدق) أي لكتاب موسى الذي ﴿٥٠٢﴾ هو أمام ورجحة أولميين يديه من جميع الكتب

الالهية وقد قرئ كذلك (لساناعربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق أو من نفسه تخصصه بالصفة وعاملها معنى الإشارة وعلى الأول مصدق وقيل مفعول لمصدق أي يصدق ذاللسان عربيا (لينذر الذين ظلموا) متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الأخير القراءة تاء الخطاب (وبشرى للمحسنين) في حيز النصب عطف على محل لينذر وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبدا مضمرة أي وهو بشرى وقيل على أنه عطف على مصدق (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى العمل وثمرته لدلالة على رتبة العمل وتوقف الاعتداد به

وعمل بما فيه ووجه تعلق هذا الكلام بما قبله ان اقوم طعنوا في صحة القرآن وقالوا لو كان خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء الصعاليق وكأنه تعالى قال الذي يدل على صحة القرآن انكم لا تنازعون في ان الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام وجعل هذا الكتاب أماما يقتدى به ثم ان التوراة مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فإذا سئتم كون التوراة أماما يقتدى به فاقبلوا حكمه في كون محمد صلى الله عليه وسلم حقا من الله ثم قال تعالى وهذا كتاب مصدق لساناعربيا أي وهذا القرآن مصدق لكتاب موسى في أن محمد رسول الله حق من عند الله وقوله تعالى لساناعربيا نصب على الحال ثم قال لينذر الذين ظلموا قال ابن عباس مشركي مكة وفي قوله لينذر قرأتان التاء لكثرة ما ورد من هذا المعنى بالخطابة كقوله تعالى تنذر به وذكرى للمؤمنين واليهاء لتقدم ذكر الكتاب فأستدل الانذار الى الكتاب كما أستدل الى الرسول وقوله تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب الى قوله لينذر بأسنه ليدان نذنه ثم قال تعالى وبشرى للمحسنين قال الزجاج الأجود أن يكون قوله وبشرى في موضع رفع والمعنى وهو بشرى للمحسنين قال ويجوز أن يكون في موضع نصب على معنى لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين وحاصل الكلام ان المقصود من انزال هذا الكتاب انذار المعرضين وبشارة المطيعين ﴿٥٠٢﴾ قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أو تلك أصحاب الجنة خالدون فيها جزاء بما كانوا يعملون ووعدنا الانسان بالدينه احسانا الجنة أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأرا عمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت اليك وإني من المسلمين أو تلك الذين تنقل عنهم أحسن ما عملوا وفضلوا عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعدان مصدق الذي كانوا يوعدون) اعلم انه تعالى لما قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبهات المنكرين وأجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحققين والمحققين فقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقد ذكرنا تفسير هذه الكلمة في سورة المجيدة والفرق بين الموضوعين ان في سورة المجيدة ذكر ان الملائكة ينزلون ويقولون ان لا تخافوا ولا تحزنوا وههنا رفع الواسطة من البين وذكر انه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإذا جمعنا بين الآيتين حصل من مجموعهما ان الملائكة يبلغون اليهم هذه البشارة وان الحق سبحانه يسعهم هذه البشارة أيضا من غير واسطة واعلم ان هذه الآيات دالة على أن من آمن بالله وعمل صالحا فانهم بعد الحشر لا ينالهم خوف ولا حزن ولهذا قال أهل التحقيق انهم يوم انقيامة آمنون من الأهوال وقال بعضهم خوف العقاب زائل عنهم اما خوف الجلال والهيبة فلا يزول اليمة عن العبد ألا ترى ان الملائكة مع علو درجاتهم وكال عصمتهم لا يزول الخوف عنهم فقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وهذه المسئلة سبقت بالاستقصاء

على التوحيد (فلا خوف عليهم) من حقوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات محبوب وانفاء ﴿٥٠٢﴾ في ﴿٥٠٢﴾ لنضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا بيان نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقدم بيانه مرارا (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين (أصحاب الجنة خالدون فيها) حال من المستكن في أصحاب وقوله تعالى (جزاء) منصوب اما بعامل

مقدرا أي يجزون جزاء أو بمعنى ما نعني فان قوله تعالى أو تلك أصحاب الجنة في معنى جاز ينهم (بما كانوا يعملون)
 من الحسنة العلمية والعملية (ووصيتنا الإنسان) بأن يحسن (بوأديه احسانا) وقرئ حسنا أي بأن يفعل بهما
 حسنا أي فعلا ذاهنا أو كأنه في ذاته نفس الحسن فخرط حسنه وقرئ بضم السين أيضا وفتح ههما أي بأن يفعل
 بهما فعلا حسنا أو وصيتنا إيضا ﴿ ٥٠٣ ﴾ حسنا (جعلته أسدا كرها ووضعته كرها) أي ذات كره أو جلا
 ذا كره وهو المشقة

و قرئ بالقبح وهو الغان
 كالفقر والفقر وقيل
 المضموم اسم والمفتوح
 مصدر (وحله وقصاله)
 أي مدة حله وقصاله
 وهو الفطام وقرئ
 وفصله والفصل
 والفصال كالفطم
 والفطام بناء ومعنى
 والمراد به الرضاع
 التام المنتهي به كما أراد
 بالامد المدة من قال
 كل حي مستكمل مدة
 العمر * ومود إذا انتهى
 أمده (ثلاثون شهرا)
 محضى عليها بما ناة
 المشاق ومقاساة
 الشدائد لاجله وهذا
 دليل على أن أقل مدة
 الحمل ستة أشهر لما أنه
 إذا حط عنه للفصال
 حولان نقوله تعالى
 حولين كاملين لمن أراد
 أن يتم الرضاعة يبقى
 للحمل ذلك قيل ولعل
 تعيين أقل مدة الحمل
 وأكثر مدة الرضاع
 لانضباطهما وتعلق
 ارتباط النسب والرضاع

في آيات كثيرة منها قوله تعالى لا يجزونهم انزعج الاكبر ثم قال تعالى أو تلك أصحاب الجنة
 خالد بن فيها جزاء بما كانوا يعملون قالت المعتزلة هذه الآية تبدأ على مسائل (أوأيهما) قوله
 تعالى أو تلك أصحاب الجنة وهذا يفيد الحصر وهذا يدل على أن أصحاب الجنة ليسوا الا
 الذين قانوار بنا الله ثم استقاموا وهذا يدل على أن صاحب الكبيرة قبل التوبة لا يدخل
 الجنة (وثانيها) قوله تعالى جزاء عما كانوا يعملون وهذا يدل على فساده قول من يقول
 الثواب فضل لاجزاء (وثالثها) ان قوله تعالى بما كانوا يعملون يدل على ان آيات العمل للعبد
 (ورابعها) ان هذا يدل على انه يجوز أن يحصل الاثر في حال الموت أو أي أن كان موجودا
 قبل ذلك بدليل أن العمل المتقدم أوجب الثواب المتأخر (وخامسها) كون العبد
 مستحسنا على الله تعالى وأعظم أنواع هذا النوع الاحسان الى الوالدين لاجرم أوردوه
 بهذا المعنى فقال تعالى ووصيتنا الإنسان بوأديه حسنا وقد تقدم الكلام في نظير
 هذه الآية في سورة العنكبوت في سورة لقمان وفيه مسائل (المسئلة الأولى) قرأ
 عاصم وحجرة والكسائي بوأديه احسانا والباقون حسنا واعلم أن الاحسان خلاف
 الاساءة والحسن خلاف القبح فمن قرأ احسانا فحجته قوله تعالى في سورة بنى اسرائيل
 وبالوالدين احسانا والمعنى أمرناه بأن يوصل اليهما احسانا وحجة القراءة الثانية قوله
 تعالى في العنكبوت ووصيتنا الإنسان بوأديه حسنا ولم يخالفوا فيه والمراد أيضا أنا
 أمرناه بأن يوصل اليهما فعلا حسنا لانه سمى ذلك الفعل الحسن بالحسن على سبيل المبالغة
 كما يقال هذا الرجل علم وكرم واتصفت حسنا على المصدر لان معنى ووصيتنا الإنسان بوأديه
 أمرناه أن يحسن اليهما احسانا ثم قال تعالى جعلته أمدا كرها ووضعته كرها وفيه مسائل
 (المسئلة الأولى) قرأ ابن عامر وعاصم وحجرة والكسائي كرها بضم الكاف والباقون
 بفتحها قيل هما لغتان مثل الضعيف والضعف والفقر والفقر ومن غير المصادر الدف
 والدف والشهد والشهد قال الواحدى الكره مصدر من كرهت الشيء كرهه والكره
 الاسم كأنه الشيء المكروه وقال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم فهنا بالاضم وقال
 ابن ثرثوا النساء كرها فهنا موضع الحال ولم يقرأ الثانية بغير القبح فما كان مصدرا أوفى
 موضع الحال فالقبح فيه أحسن وما كان اسما نحو ذهبت به على كرهه كان الضم فيد أحسن
 (المسئلة الثانية) قال المفسرون جعلته أمدا على مشقة ووضعته في مشقة وليس يريد ابتداء
 الحمل فان ذلك لا يكون مشقة وقد قال تعالى فلما أنشأها حات جلاخه بقاير يدا ابتداء الحمل
 فان ذلك لا يكون مشقة فالحمل نطفة وعلافة ومضغة فإذا انقلبت فحيتلذ جعلته كرها ووضعته
 كرها يريد شدة الصلوق (المسئلة الثالثة) دلت الآية على أن حق الام أعظم لانه تعالى قال
 أولا ووصيتنا الإنسان بوأديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكرة فقال جعلته أمدا
 كرها ووضعته كرها وذلك يدل على أن حقها أعظم وان وصول المشاق اليها بسبب الولد
 أكثر والاخبار كثيرة مذكورة في هذا الباب ثم قال تعالى وحله وقصاله ثلاثون شهرا

بهما (حتى إذا بلغ أشده) أي اكتمل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يعنى
 حتى إذا استوى وبلغ أشده (قال رب أوزعني) أي اللهم وأسله أو لعني من أوزعتك بالذم (أن أشكر نعمتك التي
 أنعمت علي وعلى والدي) أي نعمة الدين أو ماله معها وغيرها (وان عمل مسألنا رضاه) التكبير للتفخيم والتكثير
 (وأصلح لي في ذريتي) أي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كافي

قوله يخرج في حرافيهها نضلي قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضي الله عنهم فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة وامير شيطان الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصالح لي في ذريتي فاحابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام $\text{ع} ٥٠٤$ أبو به واولاده جميعا فأدرك ابوه أبو فحافة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين (انى ثبت اليك) عما لا يرضاه أو عما يشغى عن ذكرك (وانى من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم) (وانك) اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المنتصف بالوصف المحكى عنه وما فيها من معنى البعد الاشارة بعلو مرتبته وبعده منزله اى ارفعك المنعوتون بما ذكر من التعوت الجليله (الذين نتقوا عنهم احسن ما عملوا) من الطاعات فان المباح حسن ولا يشاب عليه (وتجاوز عن سيئاتهم) وقرى الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل

وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذا من باب حذف المضاف والتقدير بوجه حمله ودسالة ثلاثون شهرا والقسم الفطام وهو فصله عن اللبن فان قيل المراد بيان مدة الرضاعة لا الفطام فكيف عبرت بالفصال فلنما كان الرضاع يليه الفصال ولائذ لانه يذهى ويتم به سعى فصلا (المسئلة الثانية) دلت الآية على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانه لما كان مجموع مدة الحمل ورضاع ثلاثون شهرا قال والوالدات يرضعن اولادهن سولين كاملين فاذا أسقطت الحولين الكاملين وهى أربعة وعشرون شهرا من الثلاثين بقى أقل مدة الحمل ستة أشهر روى عن عمران امرأة رفعت اليد وكانت قد ولدت لستة اشهر فامر برجمها فقال على لا رجم عليها او ذكر الطريق الذى ذكرناه وعن عثمان انه هم بذلك فقرأ ابن عباس عليه ذلك واعلم ان العقل والتجربة يدلان ايضا على ان الامر كذلك قال اصحاب التجارب ان لتكوين الجنين زمانا مقدرا فاذا تضاعف ذلك الزمان تحرك الجنين فاذا انضاض الى ذلك المجموع مثله ان فصل الجنين عن الام فلان فرض انه يتم خلقه في ثلاثين يوما فاذا تضاعف ذلك الزمان حتى صار ستين تحرك الجنين فاذا تضاعف ذلك الى هذا المجموع مثله وهو مائة وعشرون حتى صار المجموع مائة وثمانين وهو ستة اشهر فحينئذ يفصل الجنين فلن فرض انه يتم خلقه في خمسة وثلاثين يوما فتحرك في سبعين يوما فاذا انضاض اليه مثله وهو مائة وأربعون يوما صار المجموع اثنتين وعشرة أيام وهو ستة اشهر انفصل الوالد فن فرض انه يتم خلقه في أربعين يوما فتحرك في ثمانين يوما فينضاض عن مائتين وأربعين يوما وهو ثمانية اشهر ونفرض انه تمت الخلق في خمسة وأربعين يوما فتحرك في تسعين يوما فينضاض عن مائتين وسبعين يوما وهو تسعة اشهر فلهذا هو ضبط الذى ذكر اصحاب التجارب قال جالينوس انى كنت شديد التفحص عن مقادير ازمدة الحمل فترأيت امرأه ولدت في المائذ والاربع والثمانين ليلة وزعم أبو على بن سينا انه شاهد ذلك فقد صار أقل مدة الحمل بحسب نص القرآن وبحسب التجارب الطبيعية شيئا واحدا وهو ستة اشهر واما أكثر مدة الحمل فليس في القرآن ما يدل عليه قال أبو على بن سينا فى الفصل السادس من المقالة التاسعة من عنوان الشفاء بالغنى من حيث وثقت به كل ثقة ان امرأة وضعت بعد الاربعة من سن الحمل ولدا قد نبتت اسنانه وعاش وحكى عن ارسطاطاليس انه قال ازمدة الولادة وحبل الحيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت الحبلى لسبعة أشهر وربما وضعت فى الثامن وقيل يعيش المولود فى الثامن الا فى بلاد مينة مثل مصر والغالب هو الولادة بعد التاسع قال أهل التجارب والذى قلناه من انه اذا تضاعف زمان التكوين تحرك الجنين واذا انضم الى المجموع مثله انفصل الجنين انما قلناه بحسب الترتيب لا بحسب التحديد فانه ربما زاد وانقص بحسب الايام لانهم يقوم على هذا الضبط برهان انه هو تقريبا ذكره بحسب التجربة والله أعلم ثم قالوا المدة

وكذا الجار والمجرور (فى صحاب الجنة أى كائنين فى عدادهم منتظرين فى سلكهم) (وعدا الصدق) (بسر رضى النبي ع مؤكدا لما ن قوله تعالى تتقبل وتجاوز وعمن الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز) (الذى كانوا يوعدون) على ألسنة الرسل

التي فيها تم خلقة الجنين تنقسم الى اقسام (فاولها) ان الرحم اذا اشتملت على المني ولم
تغذفه الى الخارج استدار المني على نفسه منحصر الى ذاته وصار كالكرة ولما كان من
شأن المني ان يفسده الحركان لاجرم يتخفن في هذا الوقت وبالحرى ان خلق المني من مادة
تجف بالحر اذا كان الغرض منه تكون الحيوان واستحساف اجزائه و بصير المني ز بدا
في اليوم السادس (وثانيها) ظهور النقط الثلاثة الدموية فيه (احداها) في الوسط وهو
الموضع الذي اذامت خلقته كان قلبا (والثاني) فوق وهو الدماغ (والثالث) على
اليمن وهو الكبد ثم ان تلك النقط تنباعدو يظهر فيما بينها خيوط جرو ذلك يحصل بعد
ثلاثة ايام اخرى فيكون المجموع تسعة ايام (وثالثها) ان تغذ الدموي بقى الجميع فيصير
حلقة وذلك بعد ستة ايام اخرى حتى يصير المجموع خمسة عشر يوما (ورابعها) ان يصير
الحجوف تميزت الاعضاء الثلاثة وامست رطوبد الخناج وذلك انما يتم باثني عشر يوما
فيكون المجموع سبعة وعشرين يوما (وخامسها) ان يفصل الرأس على المتكبين
والاطراف عن الضرع والبطن يبرز لحم في بعض ويخفى في بعض وذلك يتم في تسعة
ايام اخرى فيكون المجموع ستة وثلاثين يوما (وسادسها) ان يتم اتصال هذه الاعضاء
بعضها عن بعض ويصير بحيث يظهر ذلك اللحم ظهورا بينا وذلك يتم في اربعة ايام اخرى
فيكون المجموع اربعين يوما وقد يتأخر الى خمسة واربعين يوما قالوا لادل هو الثلاثون
فصارت هذه الجوار الطبية مطابقة لما ابرع الصادق المصدوق في قوله صلى الله
عليه وسلم يجتمع خلق احدكم ببطن امه اربعين يوما قال صاحب الجرب راد على بعد
الاربعين اذا شق عنه السلالة ووضع في الماء البارد ظهر شيء اصغر من تميز الاطراف
(المسئلة الثالثة) هذه الآية دلت على اقل مدة الحمل وعلى اكثر مدة الرضاع اما انها تدل
على اقل مدة الحمل فقد بيناه واما انها تدل على اكثر مدة الرضاع فلعله تعالى والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة والفقهاء ربطوا بهذين
الضابطتين احكاما كثيرة في الفقه وايضا فاذا ثبت ان اقل مدة الحمل هو الاشهر الستة
فبتقدير ان تاتي المرأة بالولد في هذه الاشهر يبقى جانبها مصون على تهمة الزنا والفاحشة
و بتقدير ان يكون اكثر مدة الرضاع ما ذكرناه فاذا حصن الرضاع بعد هذه المدة لا يترتب
عليها احكام الرضاع فتبقى المرأة مستورة عن الاجانب وعند هذا يظهر ان المقصود من
تقدير اقل الحمل ستة اشهر وتقدير اكثر الرضاع حولين كاملين السعي في دفع المضار
والفواحش وانواع التهمة عن المرأة فسبحان من له تحت كل كلمة من هذا الكتاب
الكريم اسرار عجيبة ونفائس اطيفة تبحر العقول عن الاحاطة بكما لها وروى الواحدى
في البسيط عن عكرمة انه قال اذا حملت تسعة اشهر ارضعت احد او عشرين شهرا واذا
حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا والصحيح ما قدمناه ثم قال تعالى حتى اذا
بلغ اشده وبلغ اربعين نساء قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التي انعمت على وعلى

(والذي قال لوالديه)
عند دعوتهم الى الايمان
(أف انكما) هو صوت
يصدر عن المرء عند
تضجيره واللام ايمان
الموافق له كافي هيت لك
وقرى أف بالفتح والكسر
بغير تنوين وبالحر كات
الثلاث مع التنوين
والمرصول عبارة عن
الجنس القائل ذلك
انقول ولذلك اخبر
بالمجموع كما سبق قال
هو في الكافر العاق
وانديه المكذب باليت
وعن

والدى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اختلف المفسرون في تفسير الاشد قال ابن عباس في رواية عطاء يريد ثمانى عشرة سنة والاكثر من المنسرين على انه ثلاثة وثلاثون سنة واحتج الفراء عليه بأن قال ان الاربعين اقرب في المنسقى الى ثلاث وثلاثين منها الى ثمانية عشر الا ترى انك تقول أخذت طامة المال أو كلفه فكون أحسن من قولك أخذت أقل المال أو كلفه ومثله قوله تعالى ار ربك يعلم أنك تقوم أدنى من نسي الليل ونصفه وثله فبعض هذه الاقسام قريب من بعض فكذا هي هنا وقال الزجاج الاولى حمله على ثلاث وثلاثين سنة لان هذا الوقت الذى يكمل فيه بدن الانسان وأقول تحقق الكلام في هذا الباب أن يقال ان مراتب سن الحيوان ثلاثة وذلك لان بدن الحيوان لا يتكون الا برطوبة غريزية وحارة غريزية ولا شك ان الرطوبة الغريزية غالبة في أول العمر وناقصة في آخر العمر والاتصال من زيادة الى النقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل الاستواء في وسط ما بين المدين فثبت ان مدة العمر منقسمة الى ثلاثة أقسام (أولها) ان تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية وحينئذ تكون الاعضاء قابلة للتمدد في ذواتها والزيادة بحسب الطول والعرض والعمق وهذا هو سن النشو والنماء (والمرتبة الثانية) وهي المرتبة المتوسطة أن تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو سن الشباب (والمرتبة الثالثة) وهي المرتبة الاخيرة أن تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان على قسمين (فالاول) هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة (والثاني) هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة فهذا ضبط معلوم ثم ههنا مقدمة أخرى وهي ان دور القمر انما يكمل في مدة ثمانية وعشرين يوماً وشيئاً فاذا قسمنا هذه المدة بأربعة أقسام كان كل قسم منها سبعة فلهمذا السبب قدروا الشهر بالسابع الاربعة ولمهذه الاسباب تأثيرات عظيمة في اختلاف أحوال هذا العالم اذا عرفت هذا فنقول ان المحققين من أصحاب التجارب قسموا مدة سن النماء والنشو الى أربعة أسابيع ويحصل للأدمى بحسب انتهاء كل سابع من هذه السوابيع الاربعة نوع من التغيير يؤدي الى كماله اما عند تمام السابع الاول من العمر فتصلب أعضاؤه ببعض الصلابة وتقوى افعاله أيضا بعض القوة وتبدل امنائه الضعيفة الواهية باسنان قوية وتكون قوة الشهوة في هذا السابع أقوى في الهضم مما كان قبل ذلك واما في نهاية السابع الثاني فتقوى الحرارة وتقل الرطوبات وتوسع المجارى وتقوى قوة الهضم وتقوى الاعضاء وتصلب قوة وصلابة كافية وتولد فيه مادة الزرع وعند هذا يحكم الشرع عليه بالبلوغ على قول الشافعي رضى الله عنه وهذا هو الحق الذى لا يحيد عنه لان هذا الوقت لما قويت الحرارة الغريزية قلت الرطوبات واعتدل الدماغ فتكامل القوى النفسانية التى هى الفكر والذكر فلا جرم يحكم عليه يكامل العقل فلا جرم حكمت

قتادة هو نعت عبد سوء عاق والديه فاجر له به وماروى من أنهارك في عهد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قبل اسلامه يرده ماسياً من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضى الله عنها من قال ذلك (أتعد اننى أن أخرج) أبعث من القبر بعد الموت وقرئ أخرج من الخروج (وقد دخلت القرون من قبلى) ولم يبعث

الشرعية بالبلوغ وتوجه التكليف الشرعية فأحسن قول من ضبط البلوغ الشرعي
 بخمس عشرة سنة واعلم انه يتفرع على حصول هذه الحالة أحوال في ظاهر البدن
 (أحدها) انفراف طرف الأرنبة لان الرطوبة الغريزية التي هناك تنقص فيظهر
 الانفراف (وثانيها) نتوء الخجيرة وقلظ الصوت لان الحرارة التي تنهض في ذلك الوقت
 توسع الخجيرة فتنتوء ويقلظ الصوت (وثالثها) تغير ريح الأبط وهي الفضلة العفينة التي
 يدفعها القلب الى ذلك الموضع وذلك لان القلب لما قويت حرارته لاجرم قويت على
 انضاج المادة ودفعها الى اللحم الغددي الرخو الذي في الأبط (ورابعها) نبات الشعر
 وحصول الاحتلام وكل ذلك لان الحرارة قويت فقدرت على توليد الأبخرة المولدة للشعر
 وعلى توليد مادة الزرع وفي هذا الوقت تتحرك الشهوة في الصبليا وينهض ثديين ويغزل
 حبيضهن وكل ذلك بسبب ان الحرارة الغريزية التي فيهن قويت في آخر هذا السابوع وأما
 في السابوع الثالث فيدخل في حد الكبر ويثبت الذكر اللينة ويزداد حسنه وكثاله وأما في
 السابوع الرابع فلا تزال هذه الأحوال فيه متكاملة متزايدة وعند انتهاء السابوع الرابع
 نهاية أن لا يظهر الازيد امامه من الشباب وهي مدة الوقوف فسابوع واحد
 فيكون المجموع خمسة وثلاثين سنة لما كانت هذه المدة اما قد تزداد واما قد تنقص بحسب
 الامزجة جعل الغاية في مدة أربعين سنة وهذا هو السن الذي يحصل فيه الكمال
 الناتق بالإنسان شرعا وطائمان في هذا السن من أسكن أفعال القوى الطبيعية بعض
 السكون وتندمى له أفعال القوة الحيوانية فاعلم ان أفعال القوة النفسانية بالقوة
 والكمال واذا عرفت هذه القسمة طهرت ان يدع لإنسان وقت الاشد شي وبلوغه
 الى الاربعين شي آخر فان دونه الى وقت الاشد عبارة عن الوصول الى آخر سن النشو
 والنماء وأن دونه الى الاربعين عبارة عن الوصول الى آخر مدة الشباب ومن ذلك الوقت
 تأخذ القوى الطبيعية والحيوانية في الانحسار وتأخذ القوة العقلية والنطقية
 في الانقاص والنفس من وقت الاربعين تأخذ في الاستكمال ولو كانت النفس عين البدن
 لحصل للشي الواحد في الوقت الواحد الكمال والتمتصان وذلك محال وهذا الكلام
 المذكور في كتابه والخصناه مذكور في صريح لفظ القرآن لاننا ان عند الاربعين تنتهي
 الكمالات الحاصلة بسبب القوى الطبيعية والحيوانية وأما الكمالات الحاصلة بحسب
 القوى النطقية والعقلية فانها تبتدى بالاستكمال والدليل عليه قوله تعالى حتى اذا بلغ
 أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي
 فهذا يدل على ان توجه الانسان الى علم العبودية والاشتغال بطاعة الله انما يحصل من
 هذا الوقت وهذا صريح بان القوة النفسانية العقلية النطقية انما تبتدى بالاستكمال
 من هذا الوقت فسبحان من أودع في هذا الكتاب الكريم هذه الاسرار الشريفة

منهم أحد (وهما
 يستفيضان الله) بسألانه
 أن يفينه ويوفقه
 للإيمان (ويلاك) أي
 قائلين له ويلاك وهو في
 الاصل دعاء عليه
 بالثور أريد به الخث
 والتحرير على الإيمان
 لاحقيقة الهلاك آمن
 ان وعد الله حق أي
 البعث أضعف الله على
 تحقيق الحق وتبليها
 على خطئه في اسناد
 او عدليه كما ودرى
 أن وعد الله أي أن بان
 وعد الله حق (فيقول)
 مكرها لهما

المقدسة قال المفسرون لم يمت نبي قط الا بعد اربعين سنة وأقول هذا مشكل بعيسى عليه السلام فان الله جعله نبيا من أول عمره الا انه يجب أن يقال الاغلب أنه ما جاءه الوحي الا بعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم ويروى ان عمر بن عبد العزيز لما بلغ اربعين سنة كان يقول اللهم أوزعني أن أشكر نعمتك الى تمام الدعاء وروى انه جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يوم مر الحافظان أن ارقعا بعبدى من حدائثه سنة حتى اذا بلغ الاربعين قيل احفظا وحققا فكان راوى هذا الحديث اذا ذكر هذا الحديث بكى حتى يتبل لحينه رواه القاضي في التفسير (المسئلة الثانية) اعلم ان قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ اربعين سنة يدل على ان الانسان كالنخاج الى مرعاة الوالد الى قريب من هذا المدة وذلك لان العقل كان ناقصا فلا بداه من رعاية الابوين على رعاية الصالح ودفع الآفات وفيه تنبيه على ان نعم الله الدين على الله بعد دخوله في الوجود ثم الى هذا المدة الطويلة ذلك يدل على ان نعم الوالد ان كان يخرج عن وسع الانسان مكافأتها بالاعطاء والتذكر الجليل (المسئلة الثالثة) حكى الواحدى عن ابن عباس وقوم كثير من متأخري المفسرين ومقدمهم ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه قالوا والرسول عليه ان الله تعالى قدر قوت الخلق والفصال ههنا بمقدار يعلم انه ودينه نفس وقد يزيد عنه بسبب اختلاف الناس في هذه الاحوال فوجب أن يكون المنصود منه شخصا واحدا حتى يقال ان هذا التقدير اخبار عن حاله فيمكن ان يكون أبو بكر كان حله وفصله هو الفدر ثم قال تعالى في صفة ذلك الانسان حتى اذا بلغ أشده وبلغ اربعين سنة قال رب أوزعني ان أشكر نعمك التي أنعمت على وعلى والدي ومعلوم انه ليس كل انسان يقول هذا القول فوجب أن يكون المراد من هذه الآية انسانا معينا قال هذا القول واما أبو بكر فقد قال هذا القول في قريب من هذا السن لانه كان أقل سنا من النبي صلى الله عليه وسلم بستين وشي والنبي صلى الله عليه وسلم بعث عند الاربعين وكان أبو بكر قريبا من الاربعين وهو قد صدق النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به فثبت بما ذكرناه ان هذه الآيات صالحة لان يكون المراد منها أبو بكر واذا ثبت القول بهذه الصلاحية فتقول ندعى انه هو المراد من هذه الآية ويدل عليه انه تعالى قال في آخر هذه الآية اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وبتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وهذا يدل على ان المراد من هذه الآية افضل الخلق لان الذي يتقبل الله عنه أحسن أعماله ويتجاوز عن كل سيئاته يجب أن يكون من أفضل الخلق وأكبرهم واجود الامة على ان افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أبو بكر واما على ولا يجوز أن يكون المراد من هذه الآية على بن أبي طالب رضى الله عنه لان هذه الآية انما تليق بمن أتى بهذه الكلمة عند بلوغ الأشد وعند القرب من الاربعين وعلى بن أبي طالب ما كان كذلك لانه انما آمن في زمان الصبا او عند القرب من

(ما هذا) الذي تسميه
 وعد الله (الأساطير
 الاولين) أباطلهم التي
 سطروها في الكتب
 • غير أن يكون لها
 حقيقة (أولئك)
 اتقنلون هذه المات
 اباطة (الذين حتى
 عليهم القول) وهو
 قوله تعالى لا يلبس
 لاملان جهنم منك
 ومن تبعك منهم
 أجمعين كما ينبت عنه
 قوله تعالى (في أم قد
 نلت من قلبهم من
 الجن والانس) وقدم
 تفصيله في سورة ألم
 السجدة

الصبا فثبت ان المراد من هذه الآية هو أبو بكر والله أعلم (المسئلة الرابعة) قوله تعالى
 أوزعني قال ابن عباس معناه ألهمني قال صاحب الصحاح أوزعته بالشيء أخرت به فأوزع
 به فهو موزع به أى معزى به واستوزعت الله شكره فأوزعنى أى استلهمته فالهمنى
 (المسئلة الخامسة) اعلم انه تعالى حكى عن هذا الساعى انه طلب من الله تعالى ثلاثة أشياء
 (أحدها) ان يوفقه الله للشكر على نعمه (والثانى) ان يوفقه اللاتيان بالطاعة المرضية عند
 الله (والثالث) أن يصلح له في ذريته وفي ترتيب هذه الاشياء الثلاثة على الوجه المذكور
 وجمهور (الاول) ان ياتيان مراتب السعادات الثلاثة أكملها النفسانية وأوسطها البدنية
 وأدونها الخارجية والسعادات النفسانية هى اشتغال القلب بشكر آلاء الله ونعمائه
 وسعادات ابدية هى اشتغال البدن بالطاعة والخدمة والسعادات الخارجية هى
 سعادات اهل والنول فلما كانت المراتب محصورة في هذه الثلاثة لاجرم رتبها الله تعالى على
 هذا الوجه (والسبب الثانى) لرعاية هذا الترتيب أنه تعالى قدم الشكر على العمل لان
 الشكر من أعمال القلوب والعمل من أعمال الجوارح وعمل القلب أشرف من عمل
 الجارحة وأيضاً للتصود من الأعمال الظاهرة أحوال القلب قال تعالى وأقم الصلاة
 لذكرى بين ان الصلاة مطلوبة لاجل انها تغيب الذكر فثبت ان أعمال القلوب أشرف من
 أعمال الجوارح والأشرف يجب تقديمه في الذكر وأيضاً لاشتغال بالشكر اشتغال بقضاء
 حقوق النعم الماضية والاشتغال بالطاعة الظاهرة اشتغال بصواب النعم المستقبلية وقضاء
 الحقوق الماضية يجزى مجزى قضاء الدين وطب المذموم المستقبلية طلب الزهد ومعلوم
 ان قضاء الدين مقدم على سائر المهمات لهذا السبب قدم الشكر على سائر الطاعات
 وأيضاً أنه قدم طلب التوفيق على الشكر وطلب التوفيق على الطاعة على طلب أن يصلح له
 ذريته وذلك لان المطلوب بين الاولين اشتغال بالتعظيم لامر الله والمطلوب الثالث اشتغال
 بالشقة على خلق الله ومعلوم ان التعظيم لامر الله يجب تقديمه على الشقة على خلق الله
 (المسئلة السادسة) قال أصحابنا ان العبد يطلب من الله تعالى أن يلهمه الشكر على نعم
 الله وهذا يدل على انه لا يتم شئ من الطاعات والاعمال الا باعانة الله تعالى واوكان
 العبد مستقلاً بافعاله لكان هذا الطاب عبثاً وأيضاً المفسرون قالوا المراد من قوله
 أوزعني ان أشكر نعمتك التى أنعمت على هو الايمان أو الايمان يكون داخل فيه والدليل
 عليه قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم والمراد صراط الذين
 أنعمت عليهم بنعمة الايمان واذا ثبت هذا فنقول العبد يشكر الله على نعمة الايمان فلو
 كان الايمان من العبد لامن الله لكان ذلك شكر الله تعالى على فعله لا على فعل غيره
 وذلك قبيح لقوله تعالى ويحبون أن يمحضوا بيمانهم لعلهم يشكروا الله
 على ما أنعم به عليه فكيف يشكره على النعم التى أنعم به على والديه وانما يجب على
 الرجل أن يشكر ربه على ما يصل اليه من النعم قلنا كل نعمة وصلت من الله تعالى الى

(انهم) جميعاً كانوا
 خاسرين (قد ضيعوا)
 فطرهم الاصلية الجارية
 مجرى رؤسهم والهم
 يتابعهم الشيطان
 والجملة تعليل للحكم
 بطريق الاستئناف
 العفة فى (واكل)
 من القرنيين المذكورين
 (درجات مما عملوا) مراتب
 من اجزية ما عملوا
 من الخير والشكر والدرجات
 المثوبة وايرادها ههنا
 بطريق التغليب
 (وليوفهم أعمالهم) أى

والديه فقد وصل منها أثره فلذلك وصاه الله تعالى على ان يشكر ربه على الامرين
 (وأما المطلوب الثاني) من المطالب المذكورة في هذا الدعاء فهو قوله وأن اعمل صالحا
 ترضاه واعلم ان الشيء الذي يعتقد الانسان فيه كونه صالحا على قسمين (أحدهما) الذي
 يكون صالحا عنده ويكون صالحا عند الله تعالى (والثاني) الذي يظنه صالحا ولكنه
 لا يكون صالحا عند الله تعالى فلما قسم الصالح في ظنه الى هذين القسمين طلب من الله
 أن يوفقه لان يأتي بعمل صالح يكون صالحا عند الله ويكون مرضيا عند الله (والمطلوب
 الثالث) من المطالب المذكورة في هذه الآية قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي لان ذلك من
 أجل نعم الله على الوالد كما قال ابراهيم عليه السلام واجتنبني وبنى أن تهبوا الاصنام
 فان قبل ما معني في في قوله وأصلح لي في ذريتي قلنا تقدير الكلام هب لي الصلاح في ذريتي
 وواقعه فيهم واعلم انه تعالى لما حكى عن ذلك الداعي انه طلب هذه الاشياء الثلاثة قال
 بعد ذلك اني ثبت اليك واني من المسلمين والمراد ان الدعاء لا يصح الا مع التوبة الامع
 كونه من المسلمين فتبين اني انما أقدمت على هذا الدعاء بعد ان ثبت اليك من الكفر
 وكل قبيح وبعد ان دخلت في الاسلام والانقياد لامر الله تعالى وفضائه وعلم ان
 الذين قالوا ان هذه الآية تزات في أي بكر قالوا ان أبابكر أسلم والداء ولم يتفق لاحد من
 صحابة والمهاجر بن اسلام الابوين الاله قابوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخطابت
 صح بن عمرو وقوله وأرأعز صالحا ترضاه قال ابن عباس فاجابه الله ابيه دعق قد نعمت
 المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شأ من الخير فبصاه الله عليه
 ودوه تعالى وأصلح لي في ذريتي قال ابن عباس لم يبق لابي بكر ولد من الذور لانك
 الا وقد آمنوا ولم يتفق لاحد من الصحابة أن أسلم أبواه وجيم أولاده المذكور وانك
 الا اني بكر ثم قال تعالى أو انك أي اهل هذا القول الذين تتقبل عنهم قري ضم اليه
 على بناء الفعل للمفعول وقري بالنون المفتوحة وكذلك تتجاوز وكلاهما في معنى واحد
 لان المعنى وان كان مبني للمفعول فمعلوم انه لله سبحانه فهو كقوله يغفر لهم ما قد سلف
 فبين تعالى بقوله أو انك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا أن من تقدم ذكره من يدعو
 بهذا الدعاء وبسلك هذه الطريقة التي تقدم ذكرها تتقبل عنهم والتقبل من الله هو
 ايجاب الثواب له على عمله فان قيل ولم قال تعالى أحسن ما عملوا والله يتقبل احسن
 وما دونه قلنا الجواب من وجوه (الاول) المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى واتبعوا
 أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقولهم الناقص والاشيخ اعد لابني مروان أي عاد لابني
 مروان (الثاني) ان الحسن من الاعمال هو المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب
 والاحسن ما يغير ذلك وهو كل ما كان مندوبا او واجبا ثم قال تعالى وتجاوز عن
 سيئاتهم والمعنى انه تعالى يتقبل طاعاتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ثم قال في أصحاب الجنة
 قال صاحب الكشاف ومعنى هذا الكلام مثل قولك أكرمني الامير في مائتين من أصحابه

أجزية أعمالهم وقري
 بنون العظمة (وهم
 لا يظلمون) بنقص ثواب
 الاولين وزيادة عقاب
 الاخرين والجملة اما
 حال مؤكدة للتوفية
 أو استئناف مقرر لها
 واللام متعلقة بمحذوف
 مؤخر كأنه قيل ولبؤفهم
 أعمالهم ولا يظلمهم
 حقوقهم فعل ماض
 من تقدير الاجزية
 على مقادير أعمالهم
 فيجوز ثواب درجات
 والعقاب درجات (ويوم
 به من

يريدنا كرمي في جملة من أكرم منهم وضمني في عدادهم ومحل التصب على الحال على
 معنى كاشين في أصحاب الجنة ومعدودين منهم وقوله وعد الصدق مصدر مؤكداً لقوله
 تقبل وتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز والمقصود بيان أنه تعالى يعامل من
 صدقه ما قدمناه بهذا الجزاء وذلك وعدم من الله تعالى فبين أنه صدق بولا شك * قوله
 تعالى (والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما
 يستغيثا بالله وبلك آمن أن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين أو تلك
 الذين حن عليهم أفل في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
 ولكل درجات مما عداوا وبوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا
 على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون
 بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تكفرون) اعلم انه تعالى لما وصف
 الولد البار بوالديه في الآية المقدسة وصف الولد العاق لوالديه في هذه الآية فقال والذي
 قال لوالديه أف لكما وفي هذه الآية قولان (الاول) انهما نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر
 قالوا كان أبواه يدعوانه الى الاسلام فيأبى وهو قوله أف لكما واحتج القائلون بهذا القول
 على صحته بأنه لما كتب معاوية الى مروان بن ابان يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن بن
 أبي بكر لقد جئتم مهاجرة قريظة أتياهمون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذي قال
 الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما (والقول الثاني) انه ناس المراد منه شخص معين بل
 المراد منه كل من كان موصوفاً بهذه الصفة وهو كل من دعاه أبواه الى الدين الحق فأباه
 وأنكره وهذا القول هو الصحيح عندنا ويبدل عليه وجوه (الاول) انه تعالى وصف هذا
 الذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني بقوله أولئك الذين حن عليهم القول في أمم قد خلت
 من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولا شك ان عبدالرحمن آمن وحسن
 اسلامه وكان من سادات المسلمين فبطل حمل الآية عليه فان قالوا روى انه لما دعاه
 أبواه الى الاسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت قال أتعدانني أن أخرج من القبر يعني
 أبعث بعد الموت وقد خلت القرون من قبلي يعني الامم الخالية فلم أر أحدا منهم بعث فابن
 عبد الله بن جدعان وابن فلان وفلان اذا عرفت هذا فنقول قوله أولئك الذين حن عليهم
 القول المراد هؤلاء الذين ذكرهم عبدالرحمن من المشركين الذين ماتوا قبله وهم الذين حن
 عليهم القول وبالجملة فهو عائد الى المشار اليهم بقوله وقد خلت القرون من قبلي لا الى
 المشار اليه بقوله والذي قال لوالديه أف لكما هذا ما ذكره الكلبي في دفع ذلك الدليل وهو
 حسن (والوجه الثاني) في ابطال ذلك القول ما روى ان مروان لما خاطب عبدالرحمن
 ابن أبي بكر بذلك الكلام سمعت عائشة ذلك فغضبت وقالت والله ما هو به ولكن الله أمن
 أبلك ماتت في صلبه (الوجه الثالث) وهو الاقوى أن يقال انه تعالى وصف الولد البار

الذين كفروا على النار
 أي يعذبون بها من أولهم
 عرض الاسارى على
 السيف أو قود وويل
 بعرض نساء طيبهم
 نظر ابو الغلب مائة
 (أذعنتم طيباتكم أي
 نساءهم ذات وهو
 الاصططراف وهو
 اذعنتم سمريتين وبأف
 بينهما على لاستفهام
 لتوبين أي أصبتم
 واخذتم ما كتب لكم
 من حظوظ الدنيا
 ولذا نذها (في حياتكم
 الدنيا

بأبويه في الآية المقدمة ووصف الوالد العاق لأبويه في هذه الآية وذكر من صفات
 ذلك الولد انه باع في العتوق الى حيث لماداه أبواه الى الدين الحق وهو الاقرار بالبعث
 والقيامه أصراً على الانكار وأبى واستكبر وعول في ذلك الانكار على شبهات خبيسة
 وكلمات واهية واذا كان كذلك كان المراد كل ولد اتصف بالصفات المذكورة ولا حاجة
 البتة الى تخصيص اللفظ المطلق بشخص معين قال صاحب الكشاف قرئ أف بالفتح
 والكسر بغير تنوين وبالمركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم
 انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان معناه هذا الألف لكما خاصة
 ولاجل كعادون غير كاه قرئ أعداني بنونين وأعداني باحدهما وأعداني بالادغام وقرأ
 بعضهم أعداني بفتح النون كانه استقل اجتماع النونين والكسرين والياء ففتح الاولى
 تحريراً للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن طرح أحدهما ثم قال أن اخرج أي ان ابعث
 وأخرج من الارض وقرئ أخرج وقد دخلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم أحد
 ثم قال وهما يستغيثان الله أي الوالدان يستغيثان الله فان قالوا كان الواجب أن يقال
 يستغيثان بالله قلنا الجواب من وجهين (الاول) ان المعنى انهما يستغيثان بالله من كفره
 وانكاره فلما حذف الجار وصل الفعل (الثاني) يجوز أن يقال الباء حذف لانه أريد
 بالاستغاثة ههنا الدعاء على ما قاله المفسرون يدعون الله فلما أريد بالاستغاثة الدعاء حذف
 الجار لان الدعاء لا يقتضيه وقوله وبلك أي يقولان له وبلك آمز وصدق يا بعث وهو دعاء
 عليه باشبور والمراد به الحث والتحرير بض على الايمان لاحقية الهلاك ثم قال ان الله
 بالبعث حق فيقول لهما ما هذا الذي تقولان من أمر البعث وتدعوانني اليه الأساطير
 الاولين ثم قال تعالى التث الذي حق عليهم القول أي حقت عليهم كلمة العذاب ثم ههنا
 قولان فالذين يقولون المراد بنزول الآية عبد الرحمن بن أبي بكر قالوا المراد به هؤلاء الذين
 حقت عليهم كلمة العذاب هم القرون الذين خلوا من قبله والذين قالوا راد به ليس
 عبد الرحمن بل كل ولد كان موصوفاً بالصفة المذكورة قالوا هذا الرعيد مختص بهم وقوله
 في أمم نظير لقوله في أصحاب الجنة وقد ذكرنا أنه نظير لقوله أكرمني الامير في اناس من
 أصحابه يريد أكرمني في جله من أكرم منهم ثم قال انهم كانوا خاسرين وقرئ أن بافتح
 على معنى آمن بأن وعد الله حق ثم قال ولكل درجات مما عملوا وفيه قولان (الاول) ان الله
 تعالى ذكر الولد البار ثم أردفه بذكر الوالد العاق فقوله ولكل درجات مما عملوا خاص
 بالمومنين وذلك لان المؤمن البار بوالديه له درجات متفاوتة ومراتب مختلفة في هذا الباب
 (والقول الثاني) أن قوله ولكل درجات مما عملوا عائد الى الفريقين والمعنى ولكل واحد
 من الفريقين درجات في الايمان والكفر والطاعة والمعصية فان قالوا كيف يجوز ذكر
 لفظ الدرجات في أهل النار وقد جاء في الاثر الجنة درجات والنار درجات قلنا فيه وجوه
 (الاول) يجوز أن يقال ذلك على جهة التغليب (الثاني) قال ابن زيد درج أهل الجنة

واستغتم بها فلم يبق
 لكم بعد ذلك شيء منها
 (فاليوم يخرجون عذاب
 الهون) أي الهوان
 وقد قرئ كذلك (بما
 كنتم) في الدنيا (تستكبرون
 في الارض بغير الحق)
 بغير استحقاق لذلك
 (وبما كنتم تفسفون)
 أي تخرجون عن طاعة
 الله عز وجل أي بسبب
 استكباركم وفسقكم
 المسترئين وقرئ تفسفون
 بكسر السين

(واذكر) أي لِكْفَارِ مَكَّةَ (أضاعاد) أي هـ، دعوية السلام (إذا نذر قومه) بدل اشتغال منه أي وقت انذاره إياهم (بالحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع وما أشبهه من الحوافر، وإذا عوج وكانت عاداً عذاب عذب يسكنون بين رمال مشرفة على البحر يارض يقال لها الشكر من بلاد اليمن، وقبل بين عمان ومهرة (وقد خلت انذر) أي الرسل جمع نذر بمعنى المنذر (م بين يديه) أي م قبله ﴿ ٥١٣ ﴾ (ومن خلفه) أي من بعده، والجملة اعتراض مقرر لما قبله، مؤكداً

وجود العمل بوجود
الانذار وسط بين انذار
قومه وبين قوله لا
تعبدوا الا الله مساره
الى ما ذكر من التقرير
التأكيد والذات باشتراكهم
في العبادة للحكمة والمعنى
واذكر نفوسك انذار هود
بوجود عبادة اشرك
والعذاب العظيم وقد
انذر من تقدمه من الرسل
ومن تأخر عنه قومهم
مثل ذلك فاذا كرههم أو اما
جعلها حالاً من فاعل أنذر
على معنى أنه عليه الصلاة
والسلام أنذرهم وقال
لهم لا تعبدوا الا الله (أي
أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم) وقد أعلمهم أن
الرسل الذين بعثوا قبله
والذين سببوا بعده
كلهم منذرون نحو انذاره
فمع ما فيه من تكلف تقدير
الاعلام لا بد في نسبة
الحوال الى من بعده من
الرسل من تنزيل الآتي
منزلة الخالي (قالوا
اجتئنا لئلا فكنا) أي
نصرفنا (عن آلهتنا)
عن عبادتها (فاننا بما

يذهب علواً ودرجاً أهـ انذار ينزل هبوطاً (الثالث) المراد بالدرجات المراتب المترتبة
الان زبادات أهل الجنة من الحرات والسخانات وزبادات أهل النار في المعاصي
والسيئات ثم قال تعالى، ليعرفهم فري بالبين، هذا تعبير معناه محذوف لدلالة الكلام
عليه كأنه قيل، وليعرفهم أعمالهم وبطونهم - قوتهم قدر جزاءهم على مقادير
أعمالهم فجعل الثواب درجات والسيئات درجات والباين الله تعالى انه يوصل حتى كل
أحد اليه بين أمور أهل الجنة وأهل النار و يوم يعرض الذين كفروا على النار فويل
يدخلون النار فويل لهم فيها وهم فيها لا يفتخرون (أهلها أفهنتهم طيباتكم في حياتكم
الدنيا) أي من كثير أفهنتهم استفهام بهمة ومدة وابن عامر استفهام بهمة منين بلامد
والباقون أفهنتهم بألف الخبر والمعنى ان كل ما قدر لكم من الطيبات والراحات فقد
استوفيتوه في الدنيا وأخذتموه فلم يبق لكم به استيفاء حظكم شيء منها وعن عمرو شنت
لكتب أطيبكم طعاماً وأحسنكم لباساً ولكن استبق طيباتى وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه دخل على أهل الصفة وهم رقعون ثيابهم بالادم ما يجدون اياماً فلما فقال
أتم اليوم خيرام يوم بعد واحدكم في حلة و يروح في أخرى و يغدى عليه بحقنة و يراح
عليه بأخرى و يستزيت به كانتر الكعبة فإنا نحن يومئذ خير قال بل أتم اليوم خير رواه
صاحب الكشاف قال الواحدى ان الصالحين يؤثرون النشف والزهد في الدنيا رجاها
ان يكون ثوابهم في الآخرة أتم الا ان هذه الآية لا تدل على المنع من التمتع لان هذه
الآية وردت في حق الكافر وانما ونج الله الكافر لانه يتعمق بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم
بطاعته والايان به وأما المؤمن فانه يؤدى بإيمانه شكر المنعم فلا يوجب نعمة والدليل
عنه قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ينكر
ار الاحتراز عن التمتع أولى لان النفس اذا اعتادت التمتع صعب عليها الاحتراز
والانقباض وحينئذ فر بما حله الميل الى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي وذلك مما يجبر
بعضه الى بعض ويقع في البعد عن الله تعالى بسببه ثم قال تعالى فاله يوم تجزون عذاب
الهون أى الهوان وقربى عذاب الهوان بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق
و بما كنتم تفسقون فعلى تعالى ذلك العذاب بأمرين (أولهما) الاستكبار والترف وهو
ذنب القلب (والثانى) الفسق وهو ذنب الجوارح وقدم الاول على الثانى لان أحوال
القلوب أعظم وقعا من أعمال الجوارح ويمكن أن يكون المراد من الاستكبار انهم
يشكرون عن قبول الدين الحق ويستكفون عن الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام
وأما الفسق فهو والمعاصى واحتمل أصحابنا بهذه الآية على ان الكفار مخاطبون بفروع
الشرايع قالوا لانه تعالى علل عذابهم بأمرين (أولهما) الكفر (وثانيهما) الفسق وهذا
الفسق لا بد وأن يكون مغايراً لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت ان فسق
الكفار يوجب العذاب في حقهم ولا معنى للفسق الا ترك الأمور وفعل المنهيات

تعدنا) من العذاب العظيم (ان كنت ﴿ ٦٥ ﴾ سا من الصادقين) في وعدك بزواله بنا (قال انما العلم) أى بوقت
زواله أو العلم بجميع الاشياء التي من جنتها ذلك (عند الله) وحده لا علمى بوقت زواله ولا مدخلى في آياته وحلوله وانما
عليه عند الله تعالى وبأيديكم به في وقت لمقدره (وابلاغكم ما أرسلت به) من مواجب الرسالة التي من جلتها

بيان نزول العذاب ان لم تنهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرى ابلغكم من الابلاغ (وهي يوم عوم
تجهلون) حيث تقترحون على ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والقاء في قوله تعالى (فلما رآه)
فصيحة والضمير امامهم يوضحه قوله تعالى (عارضاً) اما تبييراً او حالاً او راجع الى ما استجلبوه بقولهم فأتينا بما تعدنا اى
فأتاهم فلما رآه مصابياً عرض في أفق السماء (مستقبل اوديتهم) ﴿٥١٤﴾ أى متوجه اوديتهم والاضافة فيه

الفضية كافي قوله تعالى
قالوا هذا عارض مطرنا
ولذلك وقعا وصفين
للتكرة (بل هو) أى قال
هود وقد قرى كذلك
وقرى قل وهو رعد عليهم
أى ليس الامر كذلك
بل هو (ما استجلبتم به)
من العذاب (ريح) بدل
ما أوحى لم يتدخلكم
(فيها عذاب أليم) سفوف
ريح وكذا قوله تعالى
(تدمر) أى تهلك (كل
شئ) من نفوسهم
وأموالهم (بأمر ربها)
وقرى يدمر كل شئ
من دمردار اذا هلك
قاله ائدالى الموصوف
بنوف أو هو الهاء في ربها
ويجوز أن يكون استنفاة
وارد البيان أن لكل يمكن
فناءه فمضاهموا طابا
بارئ وتكون الهاء لكل
شئ الكونه بمعنى الاشياء
وفي ذكر الامر والرب
والاضافة الى الريح من
الدلالة على عظمة شأنه
عز وجل ما لا يخفى والفاء
في قوله تعالى (فأصبحوا
لا يرى الامساكنهم)

فصيحة أى فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى الامساكنهم وقرى ترى بالباء ونصب مساكنهم ﴿٥١٥﴾
خطاباً لكل احد أتى منه الرواية تنبيهاً على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها الامساكنهم
(كذلك) أى مثل ذلك الجزء الفطيم (نجزي القوم المجرمين) وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف

وقد روي ان الريح كانت تحمل الغسماط والطعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كسهب النار وروي ان أول ما عرفوا به انه عذاب مارا أو اما كان في الصحراء من رحالهم وما شبههم يطير بهما الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم بأمر الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها ٥١٥ سبع ليال وثمانية أيام لهم انين ثم كشف الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروى أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حاضرة ما يصيبهم من الريح الا ما يبلين على الجلود وتلذذ الانفس وانها تمر من عاديا طعن بين السماء والارض وتدهفهم بالجرارة (ولكن مكناهم) أي قرنا عاد أو أقدربناهم وماذا قوله تعالى (فيمان مكنانم فيه) موصولة أو موصوفة وان تافية أي في الذي أوفى شيء ما مكنناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادئ التصرفات كما في قوله تعالى ألم يرواكم أهلكننا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وما يحسن موقع ان ههنا التفصي عن تكرار لفظه ما هو

لم يبعثوا سائرين عن غير ما أذنناهم فيه وانما بعثوا مبلغين (الثاني) أراكم قوما يجهلون من حيث انكم بغيتم مصرين على كفركم وجهلكم فغلب على ظن انه قرب الوقت الذي ينزل عليكم العذاب بسبب هذا الجهل المفرط والوقاحة الشامة (الثالث) اني أراكم قوما يجهلون حيث تصرون على طلب العذاب وهب انهم يظهر لكم كوني صادقا ولكن لم يظهر أيضا لكم كوني كاذبا فالآفة ام على الطلب الشديد لهذا العذاب جهل عظيم ثم قال تعالى فلما رأوه ذلك البرد في الضمير في رأيه فوالين (احدهما) انه عائد الى غير مذكور وبيته قوله عارضا كما قال ماترك على ظهرها من دابة وام يذكر الارض لكونها معلومة فكذا ههنا الضمير عائد الى السحاب كأنه قيل فلما رأى السحاب عارضا وهذا اختيار الزجاج ويكون من باب الاضمار لا على شريطة انفسر (والقول الثاني) أن يكون الضمير عائدا الى ما في قوله فأتينا بنائسنا أي فلما رأى اياهم بعدون به عارضا قال أبو زيد العارص السحابة التي ترى في ناحية السماء ثم تطبق وقوله مستقبل أوديتهم قال انفسرون كانت عاد قد حبس عنهم المطر أياما فساق الله اليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا وقالوا هذا عارض مطرنا والمعنى مطر اياما قيل كان هود قاعدا في قومه فجاء سحاب مكثر فثابوا وهذا عارض مطرنا فقال بل هو ما استجئتم به من العذاب ثم بين ماهيته فقال ريح فيها عذاب انهم ثم وصف تلك الريح فقال تدمر كل شيء أي تهلك كل شيء من الناس والحيوان والنبات بأمر ربها والمعنى ان هذا ليس من باب تأثيرات الكواكب والقرانات بل هو امر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم فأصبحوا يعني عاد لا ترى الامساكنهم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) روي ان الريح كانت تحمل الغسماط فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كسهب النار وروي ان اول ما عرفوا به انه عذاب اليم انهم رأوا اما كان في الصحراء من رحالهم وما شبههم يطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وأحال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم انين ثم كشف الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروى ان هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع فكانت الريح التي تصيبهم ريحا لينة هادية طيبة والريح التي تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطيرهم الى السماء وتضر بهم على الارض وأثر العجزة انما ظهر في تلك الريح من هذا الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أمر الله خازن الرياح أن يرسل على عاد الامثل مقدار الخاتم ثم ان ذلك القدر أهلككم بكنيتهم والمقصود من هذا الكلام اظهار كمال قدرة الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأى الريح فزع وقال اللهم اني أسالك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها ومن شر ما أرسلت به (المسئلة الثانية) قرأ اعاصم

الداعي الى قلب الها هاء في مهما وجعلها شرطية أوزائدة مما لا يلقى بالقام (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نبطت به معرفته من فنون التعم ويستدلوا بها على شئون منعمها عز وجل ويبدأ وما على شكره (فأغنى عنهم سمعهم) حيث لم يستعملوه في استماع الوحي وما اعطى الرسل (ولأبصارهم) حيث لم يجتعلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة

في صحائف العالم (ولا أفئدتهم) حيث لم يستعملوه في معرفة الله تعالى (من شيء) أي شيئاً من الاعتقاد ومن زيادة لا اله الا الله وقوله تعالى (اذ كانوا يجحدون بآيات الله متعلق بما أغنى وهو طرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم من على ما أضيف اليه فان قولك أكرمته اذا كرمته في قوة قولك اكرمته لا كرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه في أكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال في حيث (وحاق ٥١٦) بهم ما كانوا به يستهزئون) من العناد

وحجة لا يرى بالياء وضمتها مساكنهم بضم النون قال الكسائي معناه لا يرى شيء الامساكنهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر وابن عامر والكسائي لا ترى على الخطاب أي لا ترى أنت أي المخاطب وفي بعض الروايات عن عاصم لا ترى بالياء مساكنهم بضم النون وهي قراءة الحسن والتأويل لا ترى من بقايا عباد أشياء الامساكنهم وقال الجمهور هذه القراءة ليست بالقوية ثم قال تعالى كذلك نجزي القوم المجرمين والمقصود منه تفويف كفار مكة فان قيل ناقال الله تعالى وما كان الله يعذبهم وأنت فيهم فكيف يبي التخويف حاصلنا قوله وما كان الله يعذبهم وأنت فيهم انما نزل في آخر الامر فكان التخويف حاصلنا قبل نزوله ثم انه تعالى خوف كفار مكة وذكر فضل عاد بالقوة والجسم عليهم فقال واقدما مكناهم في ان مكناكم فيه قال المبرد معاني قوله فيما بمنزلة الذي وان بمنزلة ما والتقدير واقدما مكناهم في الذي ما مكناكم فيه والمعنى انهم كانوا أقوى منكم قوة وأكثر منكم أموالا وقال ابن قتيبة كلمة ان زائدة والتقدير ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وهذا غلط الوجوه (الاول) ان الحكم بأن حرقا من كتاب الله عيب لا يقول به عاقل (واشأن) ان المقصود من هذا الكلام انهم كانوا أقوى منكم قوة ثم انهم مع زيادة القوة ما جوا من عقاب الله فكيف يكون حالكم وهذا المقصود انما يتم اودت الآية على انهم كانوا أقوى قوة من قوم مكة (واشأن) ان سائر الآيات تفيد هذا المعنى فان تعالى هم أحسن أنانا وربنا وقال كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض ثم قال تعالى وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة والمعنى انما فهمت عليهم أبواب النعم وأعطيناهم سمعا وبصيرة استعملوه في سماع الدلائل وأعطيناهم أوصارا فما استعملوها في تأمل العبر وأعطيناهم أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله تعالى شيئا ثم بين تعالى انه انما لم يفر عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم لاجل انهم كانوا يجحدون بآيات الله وقوله اذ كانوا يجحدون بمنزلة التعليل ولقد اذ قد يذكر لفادة التعليل تقول ضربته اذا ساء والمعنى ضربته لانه أساء وهذه الآية تخويف لاهل مكة فان قوم عاد لما غتروا بدينهم واعرضوا عن قبول الدليل والحجة بل بهم عذاب الله ولم تغن عنهم قوتهم ولا كثرتهم فاهل مكة مع عجزهم وضعفهم أولى بأن يجحدوا من عذاب الله تعالى ويخافوا ثم قال تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون يعني انهم كانوا يطلبون نزول العذاب وانما كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء والله أعلم بقوله تعالى (ولقد أهلكنا ما حوالكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهل انصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذ وهم آلهة حال كونها مقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهو لاء شفاعا وناعند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان

الذي كانوا يستعملونه بطريق الاستهزاء ويقولون فاتنا بما عدنا ان كنت من الصادقين (ولقد أهلكنا ما حوالكم) (بأهل مكة) (من القرى) كعجرومود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) (لعلهم يرجعون) لكي يرجعوا إليهم فيه من الكفر والمعاصي (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما يتقرب به الى الله تعالى وأحد مفعولى اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهل انصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذ وهم آلهة حال كونها مقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهو لاء شفاعا وناعند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان

البدل وان كان هو المقصود ولكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم في وجبت من دون الله قربانا أي مقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى مقرب اليه لا مقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرى قربانا بضم الراء (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم انقيت

وضاهواهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالكفاية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر العائيب عن التصور (وذلك) أي ضياع
 لهم عنهم وامتناع نصرهم (افكهم) أي أترافكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة وتبيحة شركهم وقرئ أفكهم
 كلاهما مصدر كالخذرو والخذرو قرئ أدكهم على صيغة الماضي فذلك إشارة حيث ذاك الاتخاذ الذي هذه
 عمرته وناقبته صرفهم عن الحق ﴿ ٥١٧ ﴾ وقرئ أفكهم بالتشديد للبالغه وأفكهم من الافعال أي جعلهم أفكين

وقرئ أفكهم على
 صيغة اسم الفاعل
 مضافا إلى ضميرهم أي
 قولهم الأفك أي
 ذوالأفك كما يقال قول
 كاذب (وما كانوا
 يفترون) عطف على
 أفكهم أي وأترافترأهم
 على الله تعالى أو أتر
 ما كانوا يفترونه عليه
 تعالى وقرئ وذلك أفك
 ما كانوا يفترون أي
 بعض ما كانوا يفترون
 من الأفك (واذ صرفنا
 إليك نفرا من الجن)
 أملائهم إليك واقبلناهم
 نعوك وقرئ صرفنا
 بالتشديد لا كثيرا لأنهم
 جماعة وهو السرفي جمع
 الضمير في قوله تعالى
 (يستمعون القرآن)
 وما بعده وهو حال
 مقدره من نفرا المخصوصه
 بالصفة أو صفة أخرى له
 أي واذكرا قومك وقت
 صرفنا إليك نفرا كأننا
 من الجن مقدره استماعهم
 القرآن (فلما حضروه)
 أي القرآن عند تلاوته
 أو الرسول عند تلاوته

وحدث قبل الإهلاك قال الجبائي قوله لعلمهم يرجعون معناه لكي يرجعوا عن كفرهم دل
 بذلك على أنه تعالى أراد رجوعهم ولم يرد أصرارهم (والجواب) أنه فعل ما نوقله غيره
 لكان ذلك لأجل الإرادة المذكورة وإنما ذهبنا إلى هذا التأويل للدلائل الدالة على أنه
 سبحانه مريد لجميع الكائنات ثم قال تعالى فلو لا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
 آلهة القربان ما تقرب به إلى الله تعالى أي اتخذوهم شفعا مقربا بهم إلى الله حيث قالوا
 هو الله شفعا وناعدنا لله وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وفي إعراب الآية وجوه
 (الأول) قال صاحب الكشاف أحد مفعولى اتخذ الرجوع إلى الذين هو تخذوف
 (والثاني) آلهة وقر بآنا حال وقيل عليه إن الفعل المتعدى إلى مفعولين لأنهم لا يذكرونها
 نفقا والحال مشعر بنجام الكلام ولا شك أن إثبات الحال بين المفعولين على خلاف
 الأصل (الثاني) قال بعضهم قر بآنا مفعول ثان قدم على المفعول الأول وهو آلهة فقبل
 عليه أنه يؤدي إلى خلو الكلام عن الرجوع إلى الذين (والثالث) قال بعض المحققين
 يضمر أحد مفعولى اتخذوا وهو الرجوع إلى الذين ويجمل قر بآنا مفعولا ثانيا وآلهة عطف
 بيان إذا عرفت الكلام في الإعراب فتقول المقصود أن يقال أن أولئك الذين أهلكتهم
 الله هل أنصرهم الذين عبدوهم وزعموا أنهم مقربون بعبادتهم إلى الله ليشفعوا لهم بل
 ضاهوا عنهم أي ضاهوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى أن كون آلهتهم ناصرين لهم أمر
 مبتدأ ثم قال تعالى وذلك أفكهم أي وذلك الامتناع أترافكهم الذي هو اتخاذهم إياها
 آلهة وثمرة شركهم وافتراءهم على الله الكذب في إثبات الشرك كاله قال صاحب الكشاف
 وقرئ أفكهم والأفك والأفك كالخذرو والخذرو قرئ وذلك أفكهم بفتح الفاء والكاف
 أي ذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وعمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم على التشديد
 للبالغه أفكهم جعلهم أفكين وأفكهم أي قولهم الأفك أي ذوالأفك كما تقول فون
 كاذب ثم قال وما كانوا يفترون والتقدير وذلك أفكهم وافتراءهم في إثبات الشركاء
 لله تعالى والله أعلم ﴿ قوله تعالى (واذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما
 حضروه قاموا أنسوا وعلقوا قضيوا) والى قومهم منذرين قالوا يا قومنا اناسمنا كتابا أنزل
 من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أحيوا
 داعي الله وآتوا به بغفرانكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله
 فليس يحجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين) في الآية مسائل
 (المسئلة الأولى) اعلم أنه تعالى لما بين أن في الأنس من آمن وفيهم من كفر بين أيضا أن
 الجن فهم من آمن وفيهم من كفروا من مؤمنهم معرض للثواب وكافرهم معرض للعقاب
 وفي كيفية هذه الواقعة قولان (الأول) قال سعيد بن جبيرة كانت الجن تستمع فلما رجوا
 قالوا هذا الذي حدث في السماء إنما حدث شيء في الأرض فذهبوا يطلبون السبب

له على الالتفات والاول هو الاظهر (قالوا) أي قال بعضهم لبعض (أنصتوا) أي اسكتوا والسمع (فلما قضى) ثم وفرغ
 عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد ضمير حضروه إليه عليه
 الصلاة والسلام (وأوالى قومهم منذرين) مقدرين انذارهم عند رجوعهم إليهم ﴿ روى أن الجن كانت تسترق
 السمع فلما حرست السماء ورجوا

بالشهب قالوا ما هذا الا نأخذت فنهض سبعة نفر من اشراف جن نصيبين اوتوا منهم زواياهم فصرخوا
حتى بلغوا ناهية ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي اوفى صلاة
الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الجن ولا رآهم وانما كان تلاو في صلاته فروا به ووقفوا مستمعين نحو ٥١٨ وهو لا يشعر بهم فتابا الله تعالى باستماعهم

وقيل بل أمره الله تعالى
أن ينذر الجن ويقرأ
عليهم فصرف اليه
نقرا منهم جمعهم له
فقال عليه الصلاة
والسلام اني امرت ان
أقرأ على الجن الليلة فمن
يتبعني قالها ثلاثا
فاطرقوا الاعباد الله
ابن مسعود رضى الله
عنه قال فانطلقنا حتى
اذا كنا باعلى مكة
في شعب الحجون خطلى
فقال لا تخرج منه حتى
اعود اليك ثم افتتح
القرآن وسمعت لفظا
شديدا حتى خفت على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وغشيت به اسودة
كثيرة حالت بيني وبينه
حتى ما أسمع صوته عليه
الصلاة والسلام ثم
انقطعوا كقطع السحاب
فقال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل رأيت
شيئا قلت نعم رجالا سوداء
مستشعري ثياب بيض
فقال أولئك جن نصيبين
وكانوا اثني عشر ألفا
والسورة التي قرأها

وكان قد اتفق ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أيس من أهل مكة ان يجيبوه خرج الى
الطائف يدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان يطن لنخل قام يقرأ القرآن في
صلاة الفجر فربه نفر من اشراف جن نصيبين لان ابليس بعثهم ليعرفوا السبب الذي
أوجب حراسة السماء بالرجم فسمعوا القرآن وعرفوا ان ذلك هو السبب (واقول
الثاني) ان الله تعالى أمر رسوله ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم
القرآن فصرف الله اليه نفر من الجن ليستمعوا منه القرآن وينذروا قومهم ويتفرع على
ما ذكرناه فروع (الاول) نقل عن القاضي في تفسيره الجن انه قال انهم كانوا يهودا لان
في الجن ملائكا في الانس من اليهود والنصارى والمجوس وعبيدة الاصنام وأطبق
المحققون على ان الجن مكلفون (مثل ابن عباس) هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم
عقاب يلتقون في الجنة ويزدجون على ابوابها (الفرع الثاني) قال صاحب الكشاف
النفر دون العشرة ويجمع على أنفارهم روى محمد بن جرير الطبري عن ابن عباس ان
أولئك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى
قومهم وعن زر بن حبيش كانوا تسعة أحدهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا انهم صرخوا
اليه من ساوة (الفرع الثالث) اختلفوا في انه هل كان عبد الله بن مسعود مع النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة الجن والروايات فيه مختلفة ومشهورة (الفرع الرابع) روى
القاضي في تفسيره عن أنس قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حبال مكة اذ
أقبل شيخ متوكئ على عكازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مشية جني ونغمته فقال أجل
فقال من أي الجن أنت فقال انها هامة بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال أرى يدك وبين
ابليس الأبوين فكلم أي عليك فقال أكلت عمر الدنيا الأقلها وكنت وقت قتل قاتل
هايل امشي بين الآكام وذكر كثيرا ما مر به وذكر في جلته ان قال قال لي عيسى بن مريم
ان اقيت محمدا فاقرئه مني السلام وقد بلغت سلامه وأمنت بك فقال عليه السلام وعلى
عيسى السلام و عليك يا هامة ما حاجتك فقال ان موسى عليه السلام علمني التوراة وعيسى
علمني الانجيل فعلمني القرآن فعلمه عشر سور و قبض صلى الله عليه وسلم ولم ينعه قال عمر بن
الخطاب ولأراه الاحيا واعلم ان تمام الكلام في قصة الجن مذکور في سورة الجن
(المسئلة الثانية) اختلفوا في تفسير قوله واذ صرفنا اليك نفر من الجن فقال بعضهم
لما يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة القرآن عليهم فهو تعالى التي في قلوبهم ميلا
وداعية الى استماع القرآن فلهمذ السبب قال واذ صرفنا اليك نفر من الجن ثم قال تعالى
فلما حضروه الضمير للقرآن أول رسول الله قالوا أي قال بعضهم لبعض انصتوا أي اسكتوا
مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له فلما فرغ من القراءة ولوا الى قومهم منذرين
ينذرونهم وذلك لا يكون الا بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى استماع القرآن
والتصديق به الا وقد آمنوا فعنده قالوا يا قومنا اناسمنا كتابا أنزل من بعد موسى ووصفوه

عليهم اقرأ باسم ربك (قالوا) أي عند رجوعهم الى قومهم (يا قومنا اناسمنا كتابا أنزل من بعد موسى) بوصفين
قيل قالوا لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقا
لما بين يديه) ارادوا به التوراة (بهدي الى الحق) من العقائد الصحيحة (والى طريق مستقيم) موصل اليه وهو الشرائع

والاعمال الصالحة (يا قومنا اجيبوا داعي الله وايمانوا به) اذ انوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهم ما دعوه الى ذلك بعد ان حقت به واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم أكدوه بقولهم (يعفركم من ذنوبكم) أي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خاص حق الله تعالى فان حقوق العباد لاتعزف بالايمن (ويجركم من عذاب اليم) ﴿٥١٩﴾ معدلا للكفرة واختلف في ان لهم اجر اخر هذا أولا والاظهر أنهم

في حكم بنى آدم لو ابا
وعقابا وقوله تعالى (ومن
لا يجيب داعي الله فليس
بمعجز في الارض) ايجاب
للاجابة بطريق التهريب
ثم ايجابها بطريق
الترغيب وتحديق لكونهم
منذرين واظهار
داعي الله من غيرا كنفاء
ياحدا الضميرين للبالغة
في الايجاب بزيادة
الترغيب وثورية المهابة
واذعان الروعة وتقييد
الاجاز بكونه في الارض
لتوسيع الدائرة أي فليس
بمعجزه تعالى بالهرب
وان هرب كل مهرب
من أقطارها أو دخل
في أعماقها وقوله تعالى
(وليس له من دونه أولياء)
بيان لاستحالة نجاة
بواسطة الغير اثر بيان
استحالة نجاته بنفسه
وجمع الأولياء باعتبار
معنى من فيكون من باب
مقالة الجمع بالجمع لانقسام
الاتحاد الى الاتحاد كما
أن الجمع في قوله تعالى
(أولئك) بذلك الاعتبار
أي أولئك الموصوفون

بوصفين (الاول) كونه مصدقا لما بين يديه أي مصدقا لكتب الانبياء والمعنى ان كتب
سائر الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد والنبوة والمعاد والامر بشطهير
الاخلاق فكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني (الثاني) قوله يدي الى الحق والى
طريق مستقيم واعلم ان الوصف الاول يفيد ان هذا الكتاب يماثل سائر الكتب الالهية
في الدعوة الى هذه المطالب العالية الشريفة والوصف الثاني يفيد ان هذه المطالب التي
اشتمل القرآن عليها مطالب حقة صدق في أنفسها يعلم كل أحد بصريح عقله كونها
كذلك سواء وردت الكتب الالهية قبل ذلك بها أولم ترد فان قالوا كيف قالوا من بعد
موسى قلنا قد نقلنا عن الحسن انه قال انهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن
ما سمعت امر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى ثم ان الجن لما وصفوا القرآن بهذه
النصفات الفاضلة قالوا يا قومنا اجيبوا داعي الله واختلفوا في انه هل المراد بداعي الله
الرسول أو الواسطة التي تبلغ عنه والا قرب انه هو الرسول لانه هو الذي يطلق عليه هذا
الوصف واعلم ان قوله اجيبوا داعي الله فيه مستلثان (المسئلة الاولى) هذه الآية تدل
على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس قال مقاتل
ولم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله (المسئلة الثانية) قوله اجيبوا داعي الله امر
باجابته في كل امر به فيدخل فيه الامر بالايمان الا انه أعاد ذكر الايمان على التعيين
لاجل انه أهم الاقسام وأشرفها وقد جرت عادة القرآن بان يذكر اللفظ العام ثم يعطف
عليه أشرف أنواعه كقوله وملائكته وجبريل وقوله واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم
ونذكهم نوح ولما أمر بالايمان به ذكر فائدة ذلك الايمان وهي قوله يعفركم من
ذنوبكم وفيه مستلثان (المسئلة الاولى) قال بعضهم كل من ههنا زائدة والتقدير يعفركم
لكم ذنوبكم وقيل بل الفائدة فيه ان كلمة من ههنا لا ابتداء الغاية فكان المعنى انه يقع
ابتداء العفران بالتوب ثم ينتهي الى عفران ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكثر
(المسئلة الثانية) اختلفوا في ان الجن هل لهم ثواب أم لا فيقبل لاثواب لهم الا الحجة من
النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل الهائم واحتملوا على صحة هذا المذهب بقوله تعالى
ويجركم من عذاب اليم وهو قول أبي حنيفة والصحيح انهم في حكم بنى آدم فيستحقون
الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهذا القول قول ابن أبي يئلى ومالك وجرت
بينه وبين أبي حنيفة في هذا السبب مناظرة قال الضحاك يدخلون الجنة وياكلون
وبشر بون والدليل على صحة هذا القول ان كل دليل دل على ان البشر يستحقون
الثواب على الطاعة فهو بعينه قائم في حق الجن والفرق بين البابين بعيد جدا واهل
ان ذلك الجنى لما أمر قوموا باجابة الرسول والايمان به حذرهم من ترك تلك الاجابة فقال
ومن لا يجيب داعي الله فليس بمعجز في الارض أي لا يجيب منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق
ونظيره قوله تعالى واننا نطقنا ان ان نعجز الله في الارض وان نعجزه هربا ولا يجدها أيضا وايا

مدم اجابة داعي الله (في ضلال مبين) أي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على أحد حيث أعرضوا عن اجابة من هذا
بأنه (أولم يروا) الهمة لانكار الواو لا عطف على مفرد يستدعيه المقام والرؤية قلبية أي لم يفكروا ولم يعلموا علما جازما
تناخا للشاهدة والعيان (أن الله الذي خلق السموات والارض) ابتداء من غير مثال

بخطبه ولا قانون يتجه (ولم يخلق من) أي لم يتعمد ولم ينصب بذلك أصلاً ولم يعجز عنه يقال عيبت الأمر إذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى (بقادر) في حيز الرفع لأنه خبر أن كائني عنه اقراءة بغيره ووجه دخولها في القراءة الأولى اشتمال النبي الوارد في صدر الآية على أن وما في حيزها كأنه قيل أوليس الله بقادر (على أن يحيى الموتى) ولذلك أحيب عنه بقوله تعالى (على أنه على كل شيء قدير) تقرر برأه القدرة على وجه طار يكون ﴿٥٢٠﴾ كالمبرهان على المقصود (ويوم يعرض

ولا نصبراً ولا دافعاً من دون الله ثم بين أنهم في ضلال مبين * قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض وما يعي بحفظهم بقادر على أن يحيى الموتى بني أنه على كل شيء قدير) يوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قاً وأبلى وربنا قال ودعوا العذاب بما كنتم تكفرون) وفي الآية مسائل (المسئلة الأولى) اعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة ما يدل على وجود الإله القادر الحكيم المختار ثم فرغ عاينه فرسين (أول) ابطال قول عبدة الأصنام (والثاني) اثبات النبوة وذكر شبهاتهم من الصعق في النبوة وأجاب عنها ولما كان أكثر أعراض كفار مكة من قبول الدلائل بسبب اختراعها بالدنيا واستغراقهم في استغناء طبيعتها وشهواتها وبسبب أنه كان يمثل عليهم لا يقبل محمد والاعتراف بتقدمه عليهم ضرب لذلك مثلاً وهم قوم غاد فانهم كانوا أكل في منافع الدنيا من قوم محمد فلما أصروا على الكفر أباهم الله وأهلكهم فكان ذلك تحذيراً لغيرهم من كفارهم باصرارهم على إنكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ثم لما قرر نبوته على الأتس أردفه بآيات نبوته في الجن والي ههنا فدم الكلام في التوحيد وفي النبوة ثم ذكر فنيهما تقرير مسألة المعاد ومن تأمل في هذا البيان الذي ذكرناه علم أن المقصود من كل القرآن تقرير التوحيد والنبوة والمعاد وأما القصص فالمراد من ذكرها ما يجري مجرى ضرب الأمثال في تقرير هذه الأصول (المسئلة الثانية) المنصود من هذه الآية إقامة الدلالة على كونه تعالى قادراً على البعث والدليل عليه أنه تعالى أقام الدلائل في أول هذه السورة على أنه هو الذي خلق السموات والأرض ولا شك أن خلقها أعظم وأفخم من إعادة هذا الشخص حياً بعد أن صار هيتاً والقادر على الأقوى الأكل لا بد وأن يكون قادراً على الأقل الأضعف ثم حتم الآية بقوله أنه على كل شيء قدير والمقصود منه أن تعلم الروح بالجسد أمر ممكن إذ لو لم يكن ممكناً في نفسه لما وقع أولاً والله تعالى قادر على كل الممكنات فوجب كونه قادراً على تلك الإعادة وهذه الدلائل يقينية ظاهرة (المسئلة الثالثة) في قوله تعالى بقادر ادخل الباه على خبران وإنما جاز ذلك لدخول حرف النبي على أن وما يتعلق بهما فكانه قيل أوليس الله بقادر قال الزجاج لو قلت ظننت أن زيداً بقاءم جاز ولا يجوز ظننت أن زيداً بقاءم والله أعلم (المسئلة الرابعة) يقال عيبت بالأمر إذا لم تعرف وجهه ومنه أفعبينا بالخلق الأول واعلم أنه تعالى لما أقام الدلالة على صحة القول بالمشرو والنشر ذكر بعض أسوال الكفار فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قاً وأبلى وربنا قال فدعوا العذاب بما كنتم تكفرون فقوله أليس هذا بالحق التقدير يقال لهم أليس هذا بالحق والمقصود التهكم بهم والتوبيخ على استهزائهم بوعده الله ووعيد وقولهم وما نحن بمعذبين * قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) وأعلم

الذين كفروا على النار) ظرف حاله قول مضمرة مقوله (أليس هذا بالحق) على أن الإشارة إلى ما يشاهدونه حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكيره وتأنيده اذ هو الأثر يتهو إليه وتفتحه وقد مر في سورة الأحزاب وقيل هي إلى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعده الله ووعيدهم وما نحن بمعذبين (قالوا بلى وربنا) اكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطعمسون في الخلاص الاعتراف بحقيتها كما في الدنيا وأنى لهم ذلك (قال فدعوا العذاب بما كنتم تكفرون) يهاني الدنيا ومعنى الأمر الإهانة بهم والتوبيخ لهم والقائه في قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) جواب شرط محذوف أي إذا كان عاقبة أمر الكفرة ماذا كفاصبر

على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولوا العزم من الرسل فإلك من جملتهم بل من عليتهم ومن التبين وقيل ﴿٥﴾ أنه للتعبير والمراد بأولى العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاققها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل لهم

انه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة وهي التوحيد والسنو والمعاد وأجاب عن الشبهات
 أردفه بما يجري مجرى الوعظ والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار كانوا
 يذونه ويوحسون صدره فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل أي أولوا الجند
 والصبر والثبات وفي الآية قولان (الاول) أن تكون كلمة من التبويض ويراد بأولو
 العزم بعض الانبياء قبلهم نوح صبر على اذى قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه
 وإبراهيم على النار وذبح الرائد واسحق على الذبح وبه توب على فقدان الولد وذهاب
 البصر ويوسف على الحب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انالدركون
 قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على زانه أربعين سنة وعيسى لم يضع لينة على لينة
 وقال انها عبرة فاعبروها ولا تمروها وقال الله تعالى في آدم ولم نجعله عزما في نونس ولا
 تكن كصاحب الحوت (والقول الثاني) ان كل الرسل أولوا عزم ولم يبعث الله رسولا الا
 كان ذا عزم وحزم ورأى وكال وعقل ولفظة من في قوله من الرسل تبين لاتبويض كما
 يقان كسبته من الخنز وكأنه قبل اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومههم وصفهم
 بالعزم لصبرهم وشباههم ثم قال ولا تستعجل لهم ومفعول الاستعجال محذوف والتقدير
 لا تستعجل لهم بالعذاب قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه بعض الضجر وأحب
 أن يترن الله العذاب بن أبي من قومه فأمر بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر أن ذلك
 العذاب منهم قريب وانه نازل بهم لاجلهم وان أخر وعند نزول ذلك العذاب بهم
 يستقصرون مدة قبائهم في الدنيا حتى يحسبوا ساعة من نهار والمعنى انهم اذا طأنوا
 العذاب صار طول قبائهم في الدنيا والبرزخ كما كانت ساعة من النهار أو كما لم يكن اهدول
 ما طأنوا والاولان شيئا اذا مضى سار كأنه لم يكن وان كان طويلا قال الشاعر

كأر شيئا لم يكن اذا مضى * كان شئ لم يزل اذا أتى

واعلم انه تم الكلام ههنا ثم قال تعالى بلاغ أو هذا بلاغ أو نصيره قوله تعالى هذا بلاغ
 للناس أي هذا الذي وعظتم به فبه تفرقة في اوعية أو هذا بلاغ من الرسل فهل يهلك
 الا الخارجون من الاعتظ واعلم بموجبه والله أعلم قال الصنف رحمه الله تعالى تم
 تفسير هذه السورة يوم الاربعاء العاشر من ذي الحجة سنة ثلاث وست مائة والحمد لله
 رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله واصحابه أزواجه والتابعين لهم باحسان الى
 يوم الدين

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثون وتسع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أصل أعمالهم) أول هذه السورة مناسب لا آخر
 السورة المتقدمة فان آخرها قوله تعالى فهل يهلك الا القوم الفاسقون فان قال قائل
 كيف يهلك الفاسق وله أعمال صالحة كاطعام الطعام وصلة الارحام وغير ذلك مما

الصابرون على بلاء الله
 كنوح صبر على اذية
 قومه كانوا يضربونه
 حتى يغشى عليه وإبراهيم
 صبر على النار وعلى ذبح
 وانه والذبح على الذبح
 ويعقوب على فقد الولد
 والبصر ويوسف على
 الحب والسجن وأيوب
 على الضر وموسى قال له
 قومه انالدركون قال كلا
 ان معي ربي سيهدين
 وداود بكى على خطيئته
 أربعين سنة وعيسى لم
 يضع لينة على لينة صلوات
 الله تعالى وسلامه عليهم
 أجمعين (ولا تستعجل
 لهم) أي لكفار مكة
 بالعذاب فانه على شرف
 النزول بهم (كأنهم يوم
 يرون ما يوعدون) من
 العذاب (لم يشعروا) في
 الدنيا (الا ساعة) يسيرة
 (من نهار) لما يشهدون
 من شدة العذاب وطول
 مدته وقوله تعالى (بلاغ)
 خبر مبتدأ محذوف أي
 هذا الذي وعظتم به
 كفاية في الموعدة
 أو تبلغ من الرسول

لا يخلو عنه الانسان في ملول عمره فيكون في اهلاكه اهدار عمله وقد قال تعالى فمن يعمل
 مثقال ذرة خيرا يره وقال تعالى الذين كفروا اصدوا عن سبيل الله افضل اعمالهم اى لم
 يبق لهم عمل ولم يوجد فلم ينتفع الاهلاك وسبب كيف ابطال الاعمال مع تحديق القول
 فيه وتعالى الله عن الظلم وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) من المراد بقوله الذين
 كفروا قلتا فيه وجوه (الاول) هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم اوجهل
 والحرب ابناء هاشم وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم (الثاني) كفار قريش (الثالث) اهل
 الكتاب (الرابع) هو عام يدخل فيه كل كافر (المسئلة الثانية) في الصدوجهما (أحدهما)
 صدوا أنفسهم معناه انهم صدوا أنفسهم عن السبيل ومنعوا عتوانهم من اتباع الدليل
 (وثانيهما) صدوا غيرهم ومنعواهم كما قال تعالى عن المستضعفين قال الذين استضعفوا
 للذين استكبروا اولادنا لهم لكتابنا مؤمنين وعلى هذا فيه بحث وهو ان اضلال الاعمال
 مرتب على الكفر والصدوا المستضعفون ان يصدوا فلا يضل أعمالهم فنقول التخصص
 بانذ كر لا يدل على نفي ما عداه ولا سيما اذا كان المذكور أولى بانذ كر من غيره وههنا الكافر
 الصادأد خلى في الفساد فصار هو أولى بانذ كر أو نقول كل من كفر صار صادأد بهرأما
 المستكبر فظاهر وأما المستضعف فلانه يتابعه أثبت للمستكبر بايمنه من اتباع الرسول
 فانه بعد ما يكون متبوعا يشق عليه بان يصيرنا بعاو لان كل من كفر صار صادأد لمن بعده
 لان عادة الكفار اتباع المتقدم كما قال عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم
 مهتدون او مقتدون فان قيل فعلى هذا كل كافر صاد فالفائدة في ذكر الصد بعد الكفر
 نقول هو من باب ذكر السبب وعطف السبب عليه تقول أكلت كثيرا وشعبت والكفر
 على هذا سبب الصد ثم اذا قلنا بان المراد منه انهم صدوا أنفسهم ففيه اشارة الى أن ما في
 الانفس من الفطرة كان داعيا الى الايمان والامتناع لما منع وهو الصد انفسه (المسئلة
 الثالثة) في المصدود عنه وجوه (الاول) عن الانفاق على محمد عليه السلام وأصحابه
 (الثاني) عن الجهاد (الثالث) عن الايمان (الرابع) عن كل ما فيه طاعة الله تعالى وهو
 اتباع محمد عليه السلام وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم على الصراط المستقيم هاد
 اليه وهو صراط الله قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله فمن منع من
 اتباع محمد عليه السلام فقد صد عن سبيل الله (المسئلة الرابعة) في الاضلال وجوه
 (الاول) المراد منه الاضلال ووجهه هو ان المراد انه اضله بحيث لا يجده فالطالب انما
 يطالبه في الوجود وما لا يوجد في الوجود فهو معدوم فالقول كيف يبطل الله حسنة
 أو جده انقول ان الاضلال على وجوه (احدها) يوازن بسببهم الحسنات التي صدرت
 منهم ويسقطها بالموازنة ويبقى لهم سيئات محضة لان الكفر يز يد على غير الايمان من
 الحسنات والايمان يترجم على غير الكفر من السيئات (وثانيها) ابطالها فقد شرط
 ثبوتها واثباتها وهو الايمان لانه شرط قبول العمل قال تعالى من عمل صالحا من ذكر

ويؤيده أنه قرى باغ
 وقرى بلاغا اى بلغوا
 بلاغا (فهل يهلك الا
 التوم الفاسقون) اى
 الخارجون عن الاتماظ به
 أو عن الطاعة وقرى
 بفتح الياء وكسر اللام
 وفتحهما من هلك
 وعلك وبتون العظمة
 من الاهلاك ونصب
 اقوم ووصفه * عن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 من قرأ سورة الاحقاف
 كتب له عشر حسنات
 بعدد كل رملة في الدنيا
 * (سورة محمد صلى
 الله عليه وسلم وتسمى
 سورة اقبال وهي مدينية
 وقيل مكية وآياتها تسع
 أو ثمان وثلاثون) *
 * (بسم الله الرحمن
 الرحيم) * الذين
 كفروا وصدوا عن
 سبيل الله اى أعرضوا
 عن الاسلام وسلوك
 طريقه من صد صدودا
 او منعوا الناس عن ذلك
 من صد صدوا كالمطعمين
 يوم بدر وقبلهم اثنا
 عشر رجلا من اهل
 الشرك

أواني وهو مؤمن وإذا لم يقبل الله العمل لا يكور له وجود لان العمل لا يقبله في نفسه بل هو يعدم عقيب ما يوجد في الحقيقة غير ان الله تعالى يكتب عنده بفضله ان فلانا عمل صالحا وعندي جزاؤه فينتي حكما وهذا البقاء حكما خيرا من البقاء الذي للاجسام التي هي محل الاعمال حقيقة فان الاجسام وان بقيت غير ان ما لها الى الفناء والعمل الصالح من الباقيات عند الله أبدا واذ ثبت هذا تبين أن الله بالقبول متفضل وقد أخبرني لأقبل الامن مؤمن من فن عمل وتعب من غير سبق الايمان فهو المضيع تعب لانه لا يقبل (وثالثها) لم يعمل الكافر عمله لوجه الله تعالى فلم يأت بخير فلا يرد علينا قوله فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ويانه هو ان العمل لا يتميز الا بمن له العمل لا بالعمل ولا بنفس العمل وذلك لان من قام ليقتل شخصا ولم يتفق قتله ثم قام ليكرمه ولم يتفق الاكرام ولا القتل وأخبره عن نفسه انه قام في اليوم التالي لقتله وفي اليوم الآخر لاكرامه يتم التيامان لا بالنظر الى التيام فانه واحد ولا بالنظر الى انقائه فانه حقيقة واحدة وانما يتميز بما كان لاجله التيام وكذلك من قام وقصد بقيامه اكرام الملك وقام وقصد بقيامه اكرام بعض العوام يتميز أحدهما عن الآخر بمنزلة العمل لكن نسبة الله الكريم الى الاصنام فوق نسبة الملوك الى العوام فالعمل للاصنام ليس بخير ثم ان اتفق ان يقصد واحد بعمله وجه الله تعالى ومع ذلك يعبد الاوثان لا يكون عمله خيرا لان مل ما أتى به لوجه الله أتى به للاصنام المنحوت فلا تعظيم (الوجه الثاني) الاضلال هو جعله مستمرا كاد حقيقته هو انه اذا كفر وأتى الاحجار والاشباب بالركوع والسجود فلم يبق لنفسه حرمة وقوله لا يبق معتبرا بسبب كونه وهذا كمن يخدم عند الحارس والسايس اذا قام فالسلطان لا يعظم قيامه تعظيما لحسته كذلك الكافر وأما المؤمن فيتقدم ما يتكبر على غير الله بظهور تعظيمه لله كالتام الذي لا يتبادر لاحدا اذا اتقاد في وقت لملك من الملوك يتبين به عظيمته (الوجد الثالث) أضله أي أهمله وتركه كما يقال أضل بعيره اذا تركه مسيئا فضع ثم ان الله تعالى لما بين حال الكفار بين حال المؤمنين * فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا مرارا ان الله تعالى كلما ذكر الايمان والعمل الصالح رتب عليهما المغفرة والاجر كما قال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم وقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم وقتنا بأن المغفرة ثواب الايمان والاجر على العمل الصالح واستوفينا البحث فيه في سورة العنكبوت فنقول ههنا جزاء ذلك قوله كفر عنهم سيئاتهم اشارة الى ما يشب على الايمان وقوله وأصلح بانهم اشارة الى ما يشب على العمل الصالح (المسئلة الثانية) قالت المعتزلة تكفير السيئات مرتب على الايمان والعمل الصالح فمن آمن ولم يعمل الصالحات بقي في العذاب خالدا فنقول لو كان كما ذكرتم لكان الاضلال مرتبا على الكفر والمصدق يكفر لا ينبغي أن تضل أعماله أو نقول قد ذكرنا ان

كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرهم بالكفر وقيل أهل الكتاب الذين كفر واوصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أي أبطأها وأحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها أصلا لكن لا يعني أنه أبطأها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل يعني أنه حكم بطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملون من أعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من أصلها لعدم مقارنتها للايمان أو بطل ما عملوه من التكبير رسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واطهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتي من قوله تعالى فنعالمهم وأضل أعمالهم وقوله تعالى فاذا قيمتم

الح (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قيل هم ناس من فرئيس و قيل من الانصار وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب وقيل عام الكل (و آمنوا بانزل على محمد) خص بان ذكر الايمان بذلك مع اندراجهم فيما قبله تنويها باشأه وتنبيها على سمومكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وأنه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله تعالى (وهو الحق من ربهم) بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيقته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل وأيا ما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء الفاعل وأنزل على البناء بن و نزل بالتحقيق (كفر عنهم سيئاتهم) أي سترها بالايمان والعمل الصالح (واصلح بهم) أي حالهم في الدين والدنيا بالتأييد

الله تعالى رب امرين على امرين فمن آمن كفر سيئاته ومن عمل صالحا صلح بالله وانقول اي مؤمن يتصور انه غيرات بان الصالحات بحيث لا يصدر عنه صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا اطعام وعلى هذا قوله وعلمنا انطق السبب على السبب كما ساقى قول انزل اكلت كثيرا وشيعت (المسئلة المذكورة) قوله آمنوا نزل على محمد مع ان قوله آمنوا وعملوا الصالحات أفادها المعنى فالخكمة فيه و كيف وجهه من كل ما وجد في بيانه من وجوه (الاول) قوله والذين آمنوا أي بالله رسوله واليوم الآخر وقوله وآمنوا بما نزل أي بجميع الاشياء الواردة في كلام الله و قوله نعمم بعلمهم بعلمهم و هو حسن تقول خلق الله السموات والارض وكل شئ اما على معنى وكل شئ غير ما ذكرنا و اما على العموم بعد ذكر الخصوص (الثاني) أن يكون لمعنى آمنوا آمنوا من قبل بما نزل على محمد وهو الحق المعجز الفارق بين الكاذب والصادق يعني آمنوا بالبعين وأبته نوابان القرآن لا يأتي به غير الله فآمنوا وعملوا الصالحات والواو للجمع المطلق ويجوز أن يكون المتأخر ذكره متقدما هو ما وهذا كقول اناس آمن به وكان الايمان به واجبا أو يكون بيانا لايمانهم كأنهم آمنوا وآمنوا بانزل على محمد أي آمنوا وآمنوا بالحق كما يقول القائل خرجت وخبرجت مصيبا أي ركان خروجي جيدا حيث نجوت من كذا و رجت كذا فكذلك لما قال آمنوا بين ان ايمانهم كان بما أمر الله وأنزل الله لا بما كان باطلا من عند غير الله (الثالث) ما قاله أهل المعرفة وهو ان العلم والعمل والعمل العلم فالعلم يحصل ليميل به لما جاء اذا عمل العالم العمل الصالح علم ما لم يكن يعلم فيعلم الانسان مثلا قدرة الله بالدليل وعلمه وامره فيحمله الامر على الفعل ويحثه عليه علمه فعله بحاله وقد رته على ثوابه وعقابه فاذا اتى بالعمل الصالح علم من انواع مقدورات الله ومعلومات الله تعالى ما لم يعلم احد الا باطلاع الله عليه وبكشفه ذلك له فيؤمن وهذا هو المعنى في قوله هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فاذا آمن المكلف بمحمد بالبرهان وبالعجزة وعمل صالح حمله علمه على ان يؤمن بكل ما قاله محمد ولم يتحدق في نفسه شك ولا مؤمن في المرتبة الاولى احوال وفي المرتبة الاخيرة احوال امان الايمان بالله في الاول يجعل الله عبودا و قد يقصد غيره في حوائج فيضلب الرزق من زيد وعمره ويجعل امر اسببا لامر وفي الاخيرة يجعل الله مقصودا ولا يقصد غيره ولا يرى الامنه سره وجهه فلا يذب الى شئ في شئ فهذه هو الايمان الآخر بالله وذلك الايمان الاول واما ما في النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اولاهو صادق فيما ينطق ويقول آخره لا انطق له الا بالله ولا كلام يسمع منه الا وهو من الله فهو في الاول يقول بالصدق ووقوعه منته وفي الثاني يقول بعدم امكان الكذب منه لان حاكى كلام الغير لا ينسب اليه الكذب ولا يمكن الا في نفس الحكاية وقد علم هو انه حاك عنه كما قاله وما في المرتبة الاولى فيجعل الحشر مستقبلا والحياة العاجلة حالا وفي المرتبة الاخيرة يجعل الحشر حالا والحياة الدنيا ماضيا فيقسم حياة نفسه

في كل لحظة ويجعل انبياءها اعداء ما لا يلتفت اليها ولا يقبلها (المسئلة الرابعة) قوله
 وآمنوا بما نزل على محمد هو في مقابلة قوله في حق الكافر وصدوا الانبياء في وجه ان المراد
 بهم سدوا عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهذا حدث على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
 فهم سدوا أنفسهم عن سبيل الله وهو محمد عليه السلام وما أنزل عليه وهو لا، حذوا
 أنفسهم على اتباع سبيله لاجرم حصل لهؤلاء (المسئلة الخامسة) قوله تعالى وهو الخ من ربه
 يمكن ان يكون من ربه وصفا فارقا كما يقال رأيت رجلا من بغداد فيمصر وصفا للرجل
 فارقا بينه وبين من يكون من الموصل وغيره نقول لان كل ما كان من الله فهو الحق
 فليس هذا هو الحق من ربه بل قوله من ربه خير بعد خبر كانه قال وهو الحق وهو من
 ربه أو ان كان وصفا فارقا فهو على معنى انه الحق انزل من ربه لان الحق في ربه
 مشاهد فان كون الشمس مضيئة حق وهو ليس نارا من الرب بل هو علم حاصل بذات ربه
 يسره الله تعالى له ثم قال تعالى (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) أي سترها وفيه اشارة ان
 اشارة ما كانت تحصل بقوله اعداءها ومحاولان نحو الشيء لا يبين عن اثبات امر آخر مكانه
 وأما استرفيبي عنه وذلك لان من يريد استنوب بال أو مسح لا يستر بثقه وانما يستر بثوب
 نفيس نظيف ولا سيما الملك الجواد اذا ستر على عبده من عبده ثوبه البالي أمره باحضار ثوب
 من الجنس العالي لا يحصل الا بالثمن العالي فليس هذا هو الستر بينه وبين المحبوب بين
 وكذلك المغفرة فان المغفرة والتكفير من باب واحد في المعنى وهذا هو المذكور في قوله
 تعالى فأوثق يديك سيئاتهم حسنات وقوله وأصلح بالهم اشارة الى ما ذكرنا من انه
 يبدلها حسنة فان قيل كيف تبدل السيئة حسنة نقول معناه انه يجزيه بعد سيئاته
 ما يجزي المحسن على احسانه فان قال الاشكال باق وبادوما زال بل زاد فان الله تعالى لو
 اصاب على السيئة كما يشيب عن الحسنه لكان ذلك حثا على السيئة نقول ما قلنا انه يشيب
 على السيئة وانما قلنا انه يشيب بعد السيئة بما يشيب على الحسنه وذلك حيث يأتي المؤمن
 بسنة ثم يتبته ويندم ويقف بين يدي ربه معترفان به مستحقرا لنفسه فيصير أقرب الى
 الرحمة من الذي لم يذنب ودخل على ربه معترفان في نفسه فصار الذنب شرطا للندم والثواب
 ليس على السيئة وانما هو على الندم وكان الله تعالى قال عبدي اذنب ورجع الى ففعله
 سيئ لكن ظنه في حسن حيث لم يجد ملجأ غيري فانكل على فضلي والظن عمل القلب
 والفعل عمل البدن واعتبار عمل القلب أولى الأثرى ان التأم والغمى عليه لا يلتفت الى
 عمل بدنه والمفاجع الذي لاخر كقوله يعتبر قصيد قلبه ومثال الروح والبدن راكب دابة ركض
 فرسه بين يدي ملك يدفع عنه العدو بسيفه وسنانه رماح الحرس والملك ركض في
 استنائه فهل يلتفت الى فعل الدابة مع فعل الفارس بل لو كان راكب فارغا وانقرس
 بوذي بالنويس يخاطب الفارس به فكذلك الروح راكب والبدن من كوابل كانت

وانتوفى (ذلك) اشارة
 التي ما من من اضلال
 الاعمال والكثير السببات
 واصلاح البال وهو
 يتبدأ خيره قوله تعالى
 (أن الذين كفروا اتبعوا
 الباطل وأن الذين آمنوا
 اتبعوا الحق من ربهم)
 أي ذلك كأن يسبب
 أن الاولين اتبعوا
 الشيطان كما قاله مجاهد
 فذبحوا ما فعلوا من الكفر
 والصد في بيان سببية
 اتباعه للاضلال المذكور
 متضمن لبيان سببية سببه
 لكونه أصلا مستتبعا
 لهما قطعاً وبسبب
 أن الآخرين اتبعوا
 الحق الذي لا يحمده عنه
 كأننا من ربهم ففعلوا
 ما فعلوا من الايمان به
 وبكتابه ومن الاعمال
 الصالحة في بيان سببية
 اتباعه لما ذكر من اشكاف
 والاصلاح بعد الاشعار
 بسببية الايمان والعمل
 الصالحه متضمن لبيان
 سببية حاله لكونه مبدأ
 ومنشأ لهما حتماً
 الا لانه الى الله ما كنتم
 فلا تدافع بين الاشعار
 والتصريح في شيء

الروح مشغولة بعبادة الله وذكره ويصدر من البدن شيء لا يلتفت اليه بل يستحسن منه ذلك ويزاد في تزييد الفرس الرافض ويهجر الفرس الواقف وان كان غير مشغول فهو مؤاخذاً بأفعال البدن * ثم قال تعالى (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أي ذلك الاضلال والابطال بسبب اتباعهم الباطل وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في الباطل وجوه (الاول) ما لا يجوز وجوده وذلك لانهم اتبعوا الها غير الله والها غير الله محال الوجود وهو الباطل وغاية الباطل لان الباطل هو المعدوم يقال بطل كذا أي عدم والمعدوم الذي لا يجوز وجوده ولا يمكن أن يوجد ولا يجوز أن يصير حقا وموجودا فهو في غاية البطلان فبلى هذا فالحق هو الذي لا يمكن عدمه وهو الله تعالى وذلك لان الحق هو الموجود يقال تحقق الامر أي وجد وثبت والموجود الذي لا يجوز عدمه هو في غاية الثبوت (الثاني) الباطل الشيطان بدليل قوله تعالى لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين فبين ان الشيطان متبوع واتباعه هم الكفار والفجار وعلى هذا فالحق هو الله لانه تعالى جعل في مقابلة حرب الشيطان حرب الله (الثالث) الباطل هو قول كبرائهم ودين آباءهم كما قال تعالى عنهم اننا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون ومقتدون فعلى هذا الحق ما قاله النبي عليه السلام عن الله (الرابع) الباطل كل ما سوى الله تعالى لان الباطل والها تلك بمعنى واحد وكل شيء هالك الا وجهه وعلى هذا فالحق هو الله تعالى أيضا (المسئلة الثانية) او قال قائل من ربهم لا يلائم الاوجهها واحدا من أربعة أوجه وهو قولنا المراد من الحق هو ما أنزل الله وما قال النبي عليه السلام من الله فأما على قولنا الحق هو الله فكيف يصح قوله اتبعوا الحق من ربهم نقول على هذا من ربهم لا يكون متعلقا بالحق وانما يكون تعلقه بقوله تعالى اتبعوا أي اتبعوا أمر ربهم أي من فضل الله أو هدايته ربهم اتبعوا الحق وهو الله سبحانه (المسئلة الثالثة) اذا كان الباطل هو المعدوم الذي لا يجوز وجوده فكيف يمكن اتباعه نقول لما كانوا يقولون انما يعبدون الاصنام وهي آلهة وهي تؤجرهم بذلك كانوا متبعين في زعمهم ولا متبعين هكذا (المسئلة الرابعة) قال في حق المؤمنين اتبعوا الحق من ربهم وقال في حق الكفار اتبعوا الباطل من آلهتهم أو شيطان نقول أما آلهتهم فلانهم لا كلام لهم ولا عقل وحيث ينقلهم الله ينكرون فعلمهم كما قال تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم وقال تعالى وكانوا يعبدونهم كافرين والله تعالى رضى بفعالهم وثبتهم عليه ويحتمل أن يقال قوله من ربهم عائدا الى الامرين جميعا أي من ربهم اتبعوا هو لاء الحق أي من حكم ربهم ومن عند ربهم * ثم قال تعالى (كذلك يضرب الله للناس الذين اتبعوا الباطل) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) أي مثل ضرب به الله تعالى حتى يقول كذلك يضرب الله للناس أمثالهم نقول فيه وجهان (أحدهما) اضلال أعمال الكفار وتكفير سيئات الابرار (الثاني) كون الكافر متبعا للباطل وكون المؤمن متبعا للحق ويحتمل وجهين آخرين

من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا أصل له أصلا فالتصریح بسببية اتباعه لاضلال أعمالهم وابطالها البيان أن ابطالها لبطولان مبناها وزواله وأما حمله على ما لا ينفع به فليس كما ينبغي لما أن الكفر والصد أفحش منه فلا وجه للتصریح بسببيته لما ذكر من اضلال أعمالهم بطريق النقص بعد الاشعار بسببيتها له فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتها لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح فصرح بها بالسببية المشعر بها في الواقعين (كذلك) أي مثل ذلك الضرب البديع (يضرب الله) أي يبين (للساس أمثالهم) أي أحوال القرينين وأوصافهما الجارية في القرابة

(أحدهما) على قولنا من ربهم أي من عند ربهم اتبع هو الاء الباطل وهو الاء الحق نقول هذا مثل يضرب عليه جميع الامثال فان الكل من عند الله الاضلال وغيره والاتباع وغيره (وثانيهما) هو ان الله تعالى لما بين ان الكافر بضل الله عمله والمؤمن يكفر الله سيئاته وكان بين الكفر والايان مبانة ظاهرة فانها بضل الله تعالى ان السبب كذا أي ليس الاضلال والتكفير بسبب المضادة والاختلاف بل بسبب اتباع الحق والباطل واذا علم السبب فالضلال قد يتحدان صورة وحقيقة وأحدهما يورث ابطال الاعمال والآخر يورث تكفير السيئات بسبب ان أحدهما يكون فيه اتباع الحق والآخر اتباع الباطل فان من يؤمن ظاهرا وقلبه مملوء من الكفر ومن يؤمن بقلبه وقلبه مملوء من الايمان أحد فعلاهما في الظاهر وهما مختلفان بسبب اتباع الحق واتباع الباطل لا بدع من ذلك فان من يؤمن ظاهرا وهو يسر الكفر ومن يكفر ظاهرا بالاكراه وقلبه مطمئن بالايمان اختلف الضلالان في الظاهر وابطال الاعمال لمن أظهر الايمان بسبب ان اتباع الباطل من جانبه فكأنه تعالى قال الكفر والايان مثلان يثبت فيهما حكمان وعلم سببه وهو اتباع الحق والباطل فكذلك اعلموا ان كل شيء اتبع فيه الحق كان مقبولا مثابا عليه وكل أمر اتبع فيه الباطل كان مردودا معاقبا عليه فصار هذا عاما في الامثال على ان نقول قوله كذلك لا يستدعي ان يكون هناك مثل مضروب بل معناه انه تعالى لما بين حال الكافر واضلال أعماله وحال المؤمن وتكفير سيئاته وبين السبب فيهما كان ذلك غاية الايضاح فقال كذلك أي مثل هذا البيان يضرب الله للناس أمثالهم وبينناهم أحوالهم (المسئلة الثانية) التعبير في قوله أمثالهم طأد الى من فيه وجهان (أحدهما) الى الناس كافة قال تعالى يضرب الله للناس أمثالهم على أنفسهم (وثانيهما) الى الفريقين السابقين في الذكر معناه يضرب الله للناس أمثال الفريقين السابقين ثم قال تعالى (فاذا نفيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اختمتموهم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان قوله فاذا نفيتم يستدعي متعلقا يتعلق به ويترتب عليه فاقوجه التعاقب بما قبله تقول هو من وجوه (الاول) لما بين ان الذين كفروا أضل الله أعمالهم واعتبار الانسان بالعمل ومن لم يكن له عمل فهو وهمج فان صار مع ذلك يوفى حسن اعدامه فاذا نفيتم بعد ظهوره لان لاجرمه لهم وبعد ابطال أعمالهم فاضربوا عنقهم (الثاني) اذا تبين تباين الفريقين وتباعد الطريقين وان أحدهما يتبع الباطل وهو حزب الشيطان والآخر يتبع الحق وهو حزب الرحمن حق القال عند الحرب فاذا نفيتموهم فاقتلوهم (الثالث) ان من الناس من يقول لضعف قلبه وقصور نظره ايلام الحيوان من الظلم والطغيان ولا سيما القتل الذي هو تخريب بنيان فيقال ردا عليهم لما كان اعتبار الاعمال باتباع الحق والباطل فن يقتل في سبيل الله العظيم أمر الله لهم من الاجر ما العلى والصائم فاذا نفيتم الذين كفروا فاقتلوهم ولا تأخذكم بهما رأفة فان ذلك اتباع الحق والاعتبار به لا بصورة الفعل (المسئلة الثانية)

يجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والثناء في قوله تعالى (فاذا نفيتم الذين كفروا) لتزيت ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يرتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام أي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا نفيتموهم في المحاربة (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فعذف الفعل وقدم المصدر وأتبع مناه به مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيدها بالغ والتعبير به عن القتل تصويره بأشبه صورة وهو يدل لامره وارشاده للفرقة الى ايسر ما يكون

فضرب منصوب على المصدر أي فاضر بواضرب الرقاب (المسئلة الثالثة) ما لحكمة في اختيار ضرب الرقبة على غيرها من الاعضاء نقول فيه للمبين أن المؤمن ليس يدافع انما هو دافع وذلك ان من يدفع الصائل لا ينبغي ان يقصد أولامقتله بل يتدرج و يضرب على غير المقتل فان اندفع فذاك ولا يترقى الى درجة الاهلاك فقال تعالى ليس المقصود الا دفعهم عن وجه الارض واطهير الارض منهم وكيف لا والارض لكم مسجد والمشركون نجس والمسجد يطهر عن النجاسة فاذا ينبغي أن يكون قصدكم أولاً أن يقتلهم بخلاف دفع الصائل والرقبة أظهر المقاتل لان قطع الخنوق والادواح مستلزم للموت لكن في الحرب لايتهاً ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضرب بها عن العنق وهو مستلزم للموت بخلاف سائر المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله لقيتم ما ينبغي عن مخالفتهم الصائل لان قوتهم يدل على ان القصد من بيانهم بخلاف قولنا لقيتم ولذلك قال في غير هذا الموضوع فاذا وهم حيث نفقتوهم (المسئلة الرابعة) قال ههنا ضرب الرقاب باظهار المصدر وترك الفعل وقال في الانفال فاضر بوا فوق الاعناق باظهار الفعل وترك المصدر فهل في فائدة نقول نعم وتبينها بتقديم مقدمة وهي ان المقصود أولاً في بعض السور قد يكون صدور الفعل من فاعله يتبعه المصدر ضمناً اذ لا يمكن ان يفعل فاعله اذ يقع منه المصدر في الوجود وقد يكون المقصود أولاً المصدر ولكنه لا يوجد الامن فاعله فيصاحب منه ان يفضل مثله من قال اني حلفت أن اخرج من المدينة فيقال له فاخرج صار المقصود منه صدور الفعل منه والخروج في نفسه غير مقصود الانتفاء ولو أمكن أن يخرج من غير تحقق الخروج منه لما كان عليه الا أن يخرج لكن من ضرورات الخروج ان يخرج فاذا قال نائل فساق في المكان بسبب الاعداء فيقال له مثلاً الخروج يعني الخروج فاخرج فان الخروج والمطاب حتى أو أمكن الخروج من غير فاعله الحسب الفاضر لكنه محال ففعله الفعل فاعرفت هذا فنقول في الانفصال الحكاية عن الحرب الحكاية وهم كانوا فيهم او الملائكة أنزلوا العصاة من حضر في صف القتال فصدور الله عنهم مذنب وهمنا الامر وارد وليس في وقت القتال دليل قوله تعالى فاذا قاتلتموهم فاصدوهم كون المصدر مظلوماً تقدم الامور على الفعل قال فضرب الرقاب وفيما ذكرنا تبين فائدة أخرى وهي ان الله تعالى قال هناك واضر بواضربهم كل بيان وذلك لان الوقت وقت القتال فأرشدنا الى القتل وغيره ان لم يصيبوا المقتل وههنا ليس وقت القتال فبين ان المقصود القتل وغرض المسلم ذلك (المسئلة الخامسة) حتى لبيان غاية الامر لا لبيان غاية القتل أي حتى اذا ائتمتموهم لا يبقى الامر بالقتل ويبقى الجواز ولو كان لبيان القتل لما جاز القتل واقتل جاز اذا التحن بالتحن بالشيخ الهرم والمراد كما اذا قطعت يده ورجلاه فنهى عن قتله * ثم قال تعالى (فشدوا الوثاق) أمر ارشاده ثم قال تعالى (فاما من بعد واما فداء) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اما وانما المحصر وحالهم بعد الاسر غير منحصر

منه (حتى اذا ائتمتموهم) أي اكثرتهم قتلهم واغظتوهم من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبت عنهم اتهوس (فشدوا الوثاق) فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك (فاما من بعد) أي فاما تكون من بعد ذلك أو تفدون فداء والمعنى الخبير بين القتل والاسترقاق وان فداء وهذا ثابت عند السامعي رحمه الله تعالى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ بحكم اما القتل أو الاسترقاق ومن يجاهد ليس اليوم من لا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق

وقرى فداكصا (حتى تضع الحرب) ﴿ ٥٢٩ ﴾ (أوزارها) أوزار الحرب ألتها وأتقالها التي لاتقوم الا بها

في الامرين بل يجوز القتل والاسترقاق والرزق والتبذير فتقول هذا ارشاد فذكر الامر العام الجائز في سائر الاجناس والاسترقاق فميرجائز في أسر العرب قال النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم فلم يذكر الاسترقاق وأما القتل فلان النضام في المنعن الا زمان ولان القتل ذكره بقوله فضرب الرقاب فلم يبق الا الامران (المسئلة الثانية) منا وفداء منصوبان لكونهما مصدرين تقديره فاماتون منا واما تفدون فداء وتديم المن على الفداء اشارة الى ترجيح حرمة النفس على طلب المال والفداء يجوز أن يكون مالا وأن يكون غيره من الاسرى أو شرطاً بشرط عليهم أو عليه وحده (المسئلة الثالثة) اذا قدرنا الفعل وهو تمنين أو تفدون على تقدير المشغول حتى تقول اماتون عليهم منأ وتدونهم فداء تقول لالان المقصود المن والفداء لاجلهم وبهم كما يقول التامل فلان يعطى وينع ولا يقال يعطى زيدا وينع عمرا لان فرضه ذكر كونه فاعلا لا بيان المقبول وكذلك معناه المنصود ارشاد المؤمنين الى الفضل ثم قال تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) وفي تعلق حتى وجهان (أحدهما) تعلقها بالقتل أقتلوهم حتى تضع (وثانيهما) بالمن والفداء ويحتمل أن يقال متعلقة بشدوا الوثاق وتعلقها بالقتل أظهر وان كان ذكره أبعد وفي الأوزار وجهان (أحدهما) السلاح (والثاني) الأنام وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان كان المراد الأثم فكيف تضع الحرب الأثم والأثم على المحارب وكذلك السؤال في السلاح لكنه على الاول اشد توجهها فنقول تضع الحرب الأوزار لان نفسها بل تضع الأوزار التي على المحاربين والسلاح الذي عليهم (المسئلة الثانية) هل هذا كقوله تعالى واسئل القرية حتى يكون كأنه قال حتى تضع أمة الحرب أو فرقة الحرب أوزارها تقول ذلك محتمل في النظر الاول لكن اذا أمعنت في المعنى تجد بينهما فرقا وذلك لان المنصود من قوله حتى تضع الحرب أوزارها انقراض الحرب بأنكابة بحيث لا يبقى في الدنيا حرب من أحزاب الكفر بحارب حريا من احزاب الاسلام ولو قلنا حتى تضع أمة الحرب جاز أن يضعوا الاسلحة ويتركوا الحرب وهي باقية بمدتها كما تقول خسومتي ما انفصلت ولكني تركتها في هذه الايام واذا أسندنا الوضع الى الحرب يكون معناه ان الحرب لم يبق (المسئلة الثالثة) لو قال حتى لا يبقى حرب أو ينقض الحرب هل يحصل معنى قوله حتى تضع الحرب أوزارها فنقول لا وانساوت بين المبارتين مع فاعلم النظر عن التسم بل النظر الى نفس المعنى كالنساوت بين قولك انقضت دواة بني أمية وقولك لم يبق من دواتهم أثر ولا شك ان الثاني ابلغ فكذلك ههنا قوله تعالى أوزارها معناه آثارها فان أوزار الحرب آثارها (المسئلة الرابعة) وقت وضع اوزار الحرب متى هو فنقول فيه اقوال حاصلها راجع الى أن ذلك الوقت هو الوقت الذي لا يبقى فيه حزب من احزاب الاسلام وحرب من احزاب الكفر وقيل ذلك عند قتال الدجال ونزل عيسى عليه السلام ثم قال تعالى (ذات جوار يشاء الله لاتصمر منهم) في معنى ذلك وجهان (أحدهما) امر ذلك وليتدا محذوف ويحتمل ان يقال ذلك واجب او مقدم

من السلاح والكراع وأسند وضمها اليها وحولهاها اسنادا يجوز يا وحتى غاية عند الشاذعي لاحد الامور الاربعة أو للمجموع والمعنى أنهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لا تبقى لهم شوكة وقيل بأن ينزل هبسي عليه السلام وأما عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى فان حل الحرب على حرب بدر فهمي غاية للمن والفداء والمعنى عن عليهم ويقادون حتى تضع حرب بدر أوزارها وان حلت على الجنس فهمي غاية للضرب والشد والمعنى أنهم يقتلون ويؤثرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة وقيل أوزارها آثارها أي حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن أسلوا (ذلك) أي الامر ذلك أو افعلوا ذلك (ولو يشاء الله لاتصمر منهم) لاتصم منهم بعضهم

أسباب الهدى ﴿ ٦٧ ﴾ ما والاستئصال (ولكن) لم يشأ ذلك (ليلو بهضكة

كَيْ يَقُولُ الْقَاتِلُ أَنْ فَعَلْتُ فَذَاكَ أَيْ فَذَاكَ مَقْصُودٌ وَمَطْلُوبٌ ثُمَّ بَيْنَ أَنْ فَعَلْتُمْ لَيْسَ طَرِيقًا
 مَعْنِيًا بَلِ اللَّهُ أَوْ أَرَادَ أَهْلُكُمْ مِنْ غَيْرِ جَنْدٍ * قَوَاهُ تَعَالَى (وَلَكِنْ لِيَأُو بِكُمْ بِبَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ) أَيْ
 وَلَكِنْ لِيُكَافَأَكُمْ بِهِ فَيَحْصُلُ لَكُمْ شَرَفٌ بِاخْتِيَارِهِ أَيْ لِهَذَا الْأَمْرِ فَإِنْ قِيلَ مَا الْحَقِيقَةُ فِي قَوْلِنَا
 التَّكْلِيفِ ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا وَاللَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى وَمَا ذَابَفَهُمْ مِنْ قَوْلِهِ وَلَكِنْ لِيَأُو بِكُمْ
 بِبَعْضِكُمْ تَقُولُ فِيهِ وَجُوهٌ (الْأَوَّلُ) الْمُرَادُ مِنْهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَعَلُ الْمُبْتَلِينَ أَيْ كَمَا يَفْعَلُ الْمُبْتَلَى
 الْمُخْتَبَرُ وَمِنْهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأُو لِيُظْهِرَ الْأَمْرَ لِغَيْرِهِ أَمَا اللَّامُ الْثَلَاثَةُ وَأَمَا النَّاسُ وَالتَّحْقِيقُ هُوَ أَنَّ
 الْإِبْتِلَاءَ وَالْامْتِحَانَ وَالْإِخْتِبَارَ فَعَلٌ يَظْهَرُ بِسَبَبِهِ أَمْرٌ غَيْرٌ مَعْنِيٍّ عِنْدَ الْعَقْلِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ
 فَصَدَّ إِلَى ظَهْوَرِهِ وَقَوْلِنَا فَعَلٌ يَظْهَرُ بِسَبَبِهِ أَمْرٌ ظَاهِرٌ الدَّخُولُ فِي مَفْهُومِ الْإِبْتِلَاءِ لِأَنَّ
 مَا لَا يَظْهَرُ بِشَيْءٍ أَيْ صِلَا لَا يَسْمَى ابْتِلَاءً وَأَمَا قَوْلِنَا أَمْرٌ غَيْرٌ مَعْنِيٍّ عِنْدَ الْعَقْلِ وَذَلِكَ لِأَنَّ
 مَنْ يَضْرِبُ بِسَبَبِهِ عَلَى الْقَتْلِ وَالْخِيَارَ لَا يُقَالُ أَنَّهُ يَمْتَحَنُ لِأَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي يَظْهَرُ مِنْهُ مَعْنِيٌّ
 وَهُوَ الْقَطْعُ وَالْقَدِّ بِمَعْنِيٍّ فَإِذَا ضَرِبَ بِسَبَبِهِ سَبْعًا يُقَالُ يَمْتَحَنُ سَبْعَةً لِأَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ غَيْرٌ مَعْنِيٍّ
 وَقَدْ يَقْدَهُ وَقَدْ لَا يَقْدَهُ وَأَمَا قَوْلِنَا يَظْهَرُ مِنْهُ ذَلِكَ فَلَنْ مَنْ يَضْرِبُ سَبْعًا بِسَبَبِهِ لِيَقْدَهُ عَنْ
 نَفْسِهِ لَا يُقَالُ أَنَّهُ يَمْتَحَنُ لِأَنَّ ضَرْبَهُ لَيْسَ لَظْهَرًا مِنْ مَعْنِيٍّ إِذَا عَمِلَ هَذَا فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا
 أَمَرَ نَابِعُ فَعَلٌ يَظْهَرُ بِسَبَبِهِ أَمْرٌ غَيْرٌ مَعْنِيٍّ وَهُوَ أَمَا الطَّاعَةَ أَوْ الْمَعْصِيَةَ فِي الْعَقْلِ لِيُظْهِرَ ذَلِكَ
 يَكُونُ يَمْتَحَنًا وَإِنْ كَانَ عَالِمًا بِهِ لَكُنْ عَدَمُ الْعِلْمِ مَقَارِنًا فَيُنَا لَابْتِلَاءً فَذَا ابْتِلَاءٌ وَعَدَمُ الْعِلْمِ
 فَيُنَا مَسْتَمِرٌّ أَمْرًا وَلَيْسَ مِنْ ضَرُورَاتِ الْإِبْتِلَاءِ فَإِنْ قِيلَ الْإِبْتِلَاءُ فَأَلْتَهُ حُصُولُ الْعِلْمِ عِنْدَ
 الْمُبْتَلَى فَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَالِمًا غَايَةً فَأَلْتَهُ فِيهِ نَقُولُ لَيْسَ هَذَا سِوَا الْإِخْتِصَالِ بِالْإِبْتِلَاءِ فَإِنْ
 قَوْلُ الْقَاتِلِ أَيْ يَتَلَى كَقَوْلِ الْقَاتِلِ لِمُحَاقِبِ الْكَافِرِ وَهُوَ مَسْتَعْنٌ وَلِمُخْلِيقِ النَّارِ حَرْقَةً وَهُوَ
 قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَهَا بِحَيْثُ تَشَاءُ وَلَا تَضُرُّ (وَجَوَابُهُ) لَا يَسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَنَقُولُ حَيْثُ سَأَلَهُ
 الْمُتَقَدِّمُونَ أَنَّهُ لَظْهَرُ الْأَمْرِ الْمَعْنِيٍّ لِأَنَّهُ وَبَعْدَ هَذَا فَقَوْلُ الْمُبْتَلَى لِأَحْجَاةٍ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي
 يَظْهَرُ مِنَ الْإِبْتِلَاءِ فَإِنَّ الْمَسْتَحْنَ السَّيْفَ فَيَمَازُ كَرْنَا مِنْ الْأَصُورَةِ لِأَحْجَاةٍ إِلَى قَطْعِ مَا يَجْرِبُ
 السَّيْفَ فِيهِ حَتَّى أَنَّهُ لَوْ كَانَ يَحْتَاكُمُ كَمَا ضَرَبْنَا مِنْ مِثَالِ دَفْعِ السَّبْعِ بِالسَّيْفِ لَا يُقَالُ أَنَّهُ
 يَمْتَحَنُ وَقَوْلُهُ لِيَأُو بِكُمْ بِبَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ الْحَاجَةِ تَقْرِيرُ الْقَوْلِ تَعَالَى ذَلِكَ لَوْ يَشَاءُ
 اللَّهُ لَا تَصْرُفُهُمْ * ثُمَّ قَالَ تَعَالَى (وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) قَرَأُوا
 وَقَاتَلُوا وَالرَّكْلُ مَنَاسِبٌ لِمَا تَقْدِمُ أَمَّا مَنْ قَرَأَ قَتَلُوا فَلِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ فَضْرِبُ الرِّقَابِ وَمَعْنَاهُ
 فَأَقْتَلُوهُمْ بَيْنَ مَا لِقَاتِلِ بِقَوْلِهِ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ رَدَّاهِلِيٍّ مِنْ زَعْمِ
 أَنَّ الْقَتْلَ فَسَادٌ مَحْرَمٌ إِذْ هُوَ أَفْعَاءٌ مِنْ هُوَ مَكْرٌ فَقَالَ عَلَيْهِمْ لَيْسَ كَمَسْنَةِ الْكَافِرِ يَبْطُلُ بَلْ هُوَ
 فَوْقَ حَسَنَاتِ الْكَافِرِ أَضَلَّ اللَّهُ أَعْمَالَ الْكَافِرِ وَلَنْ يُضِلَّ اتِّقَاتِلِينَ فَكَيْفَ يَكُونُ الْقَتْلُ
 سِنَةً وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ قَاتَلُوا فَهِيَ أَكْثَرُ فَأَلْتَهُ وَأَعْمَتْنَا لِأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ فِي الْقَتْلِ سِوَا
 قَتْلِ أَوْلَى يَقْتُلُ وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ وَالَّذِينَ قَتَلُوا عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفِعْلِ فَتَقُولُ هِيَ مُنَاسِبَةٌ لِمَا تَقْدِمُ مِنْ
 وَجُوهٍ (أَحَدُهَا) هُوَ أَنَّ تَعَالَى لَمَّا قَالَ فَضْرِبُ الرِّقَابِ أَيْ أَقْتَلُوا وَالْقَتْلُ لَا يَتَأْتَى إِلَّا بِالْأَقْدَامِ

والكافرين بكم ليعاجلهم
 على أيديكم ببعض
 عنايتهم كي يرتدع بعضهم
 عن الكفر (والذين
 قتلوا في سبيل الله) أي
 استشهدوا وقرى قاتلوا
 أي جاهدوا وقتلوا
 وقتلوا (فلن يضل
 أعمالهم) أي فلن
 يضيعها وقرى يضل
 أعمالهم على البناء
 للمفعول ويضل أعمالهم
 من ضل وعن فتادة أنها
 تزلت في يوم أحد
 (سيهديهم) في الدنيا
 إلى أرشد الأمور وفي
 الآخرة إلى الثواب
 أو سيثبت هدايتهم
 (ويصلح بهم) ويدخلهم
 الجنة عرفهم بهم) في
 الدنيا يذكر أوصافها
 بحيث استنقوا إليها
 أو ينهالهم بحيث يعلم
 كل أحد منزلته ويهتدى
 إليه كأنه كان ساكنه
 منذ خلق وعن مقاتل أن
 الملك الموكل بعمله في
 الدنيا يمشي بين يديه
 فيعرفه كل شيء أعطاه
 الله تعالى أو طيبها لهم
 فنن العرف وهو طيب
 الرائحة أو حدها لهم

وخوف ان يقتل المقدم يمنعه من الاقدام فقال لا تخافوا قتل فان من يقتل في سبيل الله له من الاجر والثواب ما لا يمتنع المقاتل من القتال بل يحثه عليه (وثانيها) هو انه تعالى لما قال ليبلو بضعكم ببعض المبتلى بانثى له عن كل وجه من وجوه امثال الظاهر بالابتلاء حال من الاحوال فان السيف المعتمن ترد قيمته على تقدير ان يقطع وتقص على تقدير ان لا يقطع فحال المبتلى ان قتل فله ان لا يضل عمله ويهدى ويكرم ويدخل الجنة واما ان قتل فلا يخفى امره عاجلا و آجلا وتركيبه على تقدير كونه قاتلا اصبوره وبين حاله على تقدير كونه مقتولا (وثالثها) هو انه تعالى لما قال ليبلو ولا يبتلى الشيء النفيس بما يخاف منه هلاكه فان السيف المهند العضب الكبير القيمة لا يجرب بانثى الصلب الذي يخاف عليه منه الانكسار ولكن الاذى مكرم كرمه الله وشرفه وعظمه فلماذا ابتلاه بالقتال وهو يفضى الى القتل والهلاك افضاء غير نادر فكيف يحسب هذا الابتلاء فنقول القتل ليس باهلاك بالنسبة الى المؤمن فانه يورث الحياة الابدية فاذا ابتلاه بالقتال فهو على تقدير ان يقتل مكرم وعلى تقدير ان لا يقتل مكرم هذا ان قاتل وان لم يقاتل فالموت لا يدمنه وقد فوت على نفسه الاجر الكبير واما قوله تعالى فان يضل اعمالهم قد علم معنى الاضلال بقى الفرق بين العبارتين في حق الكافر والاضال قال اصل وقال في حق المؤمن الداعي ان يضل لان المقاتل داع الى الايمان لان قوله حتى تضع الحرب اوزارها قد ذكر ان معناه حتى لم يبق اثم بسبب حرب وذلك حيث يسلم الكافر فالمقاتل يقول امان تسلم واما ان تقتل فهو داع والكافر صاد وبينهما تبان وتضاد فقال في حق الكافر اصل بصيغة الماضي ولم يقل يضل اشارة الى ان عمله حيث وجد عدمه وكأنه لم يوجد من اصله وقال في حق المؤمن فلن يضل ولم يقل ما اصل اشارة الى ان عمله كما ثبت عليه أثبت له فلن يضل للتأييد بينهما غاية الخلاف كما أن بين الداعي والصاد غاية التباين والتضاد فان قيل ما معنى الفاء في قوله فلن يضل جوابه لان في قوله تعالى والذين قتلوا معنى الشرط وقوله تعالى (سبهديهم) ان قري قتلوا وقتلوا فالهداية محمولة على الآجلة والعاجلة وان قري قتلوا فهو في الآخرة سبهديهم طر بق الجنة من غير وقعة من قبورهم الى موضع قبورهم * وقوله (و يصلح بالهم) قد تقدم تفسيره في قوله تعالى اصلح بالهم والماضي والمستقبل راجع الى ان هناك وعدهم ما وعدهم بسبب الايمان والعمل الصالح وذلك كان واقعا منهم فاخبر عن الجزاء بصيغة تدل على الوقوع وههنا وعدهم بسبب القتال والقتل فكان في اللفظ ما يدل على الاستقبال لان قوله تعالى فاذا قيمتم يدل على الاستقبال فقال و يصلح بالهم * ثم قال تعالى (و يدخلهم الجنة) وكان الله تعالى عند حشرهم بهديهم الى طريق الجنة ولبسهم في الطريق خلع الكرامة وهو اصلاح البال ويدخلهم الجنة فهو على ترتيب الوقوع * واما قوله (عرفها لهم) ففيه وجوه (أحدها) هو ان كل احد يعرف منزله وماواه حتى ان أهل الجنة يكونون اعرف بمنزلهم فيها من أهل الجمعة ينتشرون

دينه ورسوله (ينصرون) على أعدائكم و يفتح لكم (ويثبت أقدامكم) في مواطن الحرب ومواقفها أو على حجة الاسلام (والذين كفروا فتعسا لهم) تعسا الهلاك والعار والسقوط والشرا والبعث والاختطاط ورجل تعسا وتعسا واتصافه بفعله الواجب حذفه سماعا أي فقال تعسا لهم أو قضى تعسا لهم وقوله تعالى (وأضل أعمالهم) عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول (ذلك) أي ما ذكر من التعسا واضلال الاعمال (بأنهم) بسبب أنهم (كروهوا ما أنزل الله) من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما أنفوه واشتبهت أنفسهم الامارة بالسوء (فأحبط) لاجل ذلك (أعمالهم) التي لو كانوا عملوها مع الايمان لا يبدوا عليها (أفلم يسبوا في الارض) أي أقعدوا في اماكنهم فلم يسبوا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين

في الارض كل احد ياوى الى منزله وهم من قات الملك الموكل باعماله يهديه (الوجه الثاني) عرفها لهم أى طيها يقال طعام معرف (الوجه الثالث) قال الزنجشري يحتمل أن يقال عرفها لهم حدها من عرف الدار وأرفها أى حدها وتحديدها في قوله ووجه عرضها السموات والارض ويحتمل أن يقال المراد هو قوله تعالى وتلك الجنة التي أوردناهم فيها معرفة بانها هي تلك وفيه وجه آخر وهو أن يقال معناه عرفها لهم قبل القتل فان الشهيد قبل وفاته تعرض عليه منزله في الجنة فيشتاق اليه (ووجه ثان) معناه يدخلهم الجنة ولا حاجة الى وصفها فانه تعالى عرفها لهم مرارا ووصفها (ووجه ثالث) وهو من باب تعرض الضالفة فان الله تعالى لما قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فكانه تعالى قال من يأخذ الجنة ويطلبها بماله أو بنفسه فالذي قتل مع التعريف وبذل ما طالب منه عليها فادخلها ثم انه تعالى لما بين ما على القتال من الثواب والاجر وعدهم بالنصر في الدنيا زيادة في الخث ليزداد منهم الاقدام ﴿ فقال (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وفي نصر الله تعالى ووجه (الاول) ان تنصروا بن الله وطر يقه (والثاني) ان تنصروا حزب الله وقر يقه (والثالث) المراد نصره الله حقيقة فنقول النصره تحقيق مطلوب أحد المتعادين عند الاجتهاد راخذ في تحقيق علامته فالشيطان عدو الله يجتهد في تحقيق الكفر وغلبة أهل الايمان والله يطلب مع الكفر وأهلك أهله وافناء من اختار الاشرار بجمله فن حقق نصره الله حيث حقق مطلوبه لا تقول حقق مراده فان مراده الله لا يتحققه غيره ومطلوبه عند أهل السنة شير مراده فانه طالب الايمان من الكافر ولم يرده والا لوقع ثم قال ينصركم فان قيل فلام قلت اذا نصر المؤمنين الله تعالى فقد حقق ما طلبه فكيف يتحقق ما طلبه العبد وهو شئ واحد فنقول المؤمن ينصر الله بخروجه الى القتال واقدامه والله ينصره بتقويته وتثبت اقدمه وارسال الملائكة الحافظين له من خلفه وقدامه ﴿ ثم قال تعالى (والذين كفروا فاعمالهم) هذا زيادة في تقوية قلوبهم لانه تعالى لما قال ويثبت أقدامكم جازان يتوهم أن الكافر أيضا يصبر ويثبت للقتال فيدوم القتال والحراب والطعان والضراب وفيه المشقة لعظيمة فقال تعالى لكم اشيات وانهم الزوال والتغير والهلاك فلا يكون الثبات وسبب مظاهر لان آلهتهم جادات لا قدرة لها والاثبات عند من له قدرة فهي غير صالحة لدفع ما قدره الله تعالى عليهم من الدمار وعند هذا لا بد من زوال القدم والعتار وقال في حق المؤمنين ويثبت بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شئ وقال في حقهم بصيغة الدعاء وهي أبلغ من صيغة الاخبار من الله لان عشا هم واجب لان عدم النصره من آلهتهم واجب الوقوع اذ لا قدرة لها والاثبات من الله ليس بواجب الوقوع لانه قادر مختار يفعل ما يشاء ﴿ وقوله (واضل أعمالهم) اشارة الى بيان مخالفة موتاهم لقتلى المسلمين حيث قال في حق قتلهم فلن يضل أعمالهم وقال في موتى الكافرين اضل أعمالهم ثم بين لله تعالى سبب

استئاف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله تعالى عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهلبيهم وأموالهم يقال دمره أهلكه ودم من عابه أهلك عليه ما يختص به (وللكافرين) أى واهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم (امثالها) أمثال عواقبهم أو عقوباتهم لكن لا على أنهم هؤلاء أمثال ما لا وتلك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لتواقب متعددة حسب تعدد الامم العسدية وقيل يجوز ان يكون عذابهم أشد من عذاب الاولين وقد قتلوا وأسروا بأيدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل أشد ألمان الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المشركون بطريق وضع الظاهر موضع

الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها (ذلك) اشارة الى ثبوت أمثال ﴿ ما اختلفوا ﴾ عقوبة الامم السالفة لهؤلاء (بأن الله مولى الذين آمنوا)

أى ناصرهم على أعدائهم وقرئ ﴿ ٥٣٣ ﴾ ولى الذين (وأن الكافرين لامولى لهم) فيدفع عنهم ما حل بهم

ما لفته فدية فقال (ذلك بانهم كرهوا ما أنزل الله فاحبوا أعمالهم) وفيه وجوه (الاول)
المعنى القرآنى ووجهه هو ان كيفية العمل الصالح لا تعلم بالعقل واعتادك بالشرع والشرع
بالله آت فلذا أعرضوا لم يعرفوا العمل الصالح وكيفية الايمان به فأتوا بالباطل فأحبوا أعمالهم
(الثانى) كرهوا ما أنزل الله من بيان التوحيد كما قال الله تعالى عنهم أمثال النار كوالهم تنان
وقال تعالى أجعل الآهة الها واحدا الى ان قال ان هذا الاختلاف وقال تعالى واذا
ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ووجهه ان الشرك يحبط العمل قال
الله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وكيف لا والعمل من الشرك لا يقع ووجه الله فلا يبقاء
له في نفسه ولا يبقاه لبقاء من له العمل لان كل ما سوى وجه الله تعالى هالك محبض (الثالث)
كرهوا ما أنزل الله من بيان امر الآخرة فلم يعملوا بها والدنيا وما فيها وما آتاهم بالباطل فأحبوا
الله أعمالهم * وقوله (افل يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)
فيدة مناسبة للوجه الثالث يعنى فينظروا الى حالهم ويعلموا ان الدنيا قافية * وقوله (دمر
الله لميهم) أى اهلك عليهم منافع الدنيا من الاموال والاولاد والارواح والاجساد * قوله
تعالى (وللكافرين أمثالها) يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون المراد لهم أمثالها
الدنيا وحينئذ يكون المراد من الكافرين هم الكافرون بمحمد عليه الصلاة والسلام
(وثانيهما) أن يكون المراد لهم أمثالها فى الآخرة فى أمثالها فى العاقبة فى قوله أمثالها
دمر الله عليهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة أمثالها فى العاقبة فى قوله أمثالها
وجهان (أحدهما) هو المذكور وهو العاقبة (وثانيهما) هو المفهوم وهو العقوبة لان
التدمير كان عقوبة لهم فان قيل على قولنا المراد الكافرون بمحمد عليه السلام أمثال
ما كان لمن تقدمهم من العاقبة يرد سؤال وهو ان الاولين اهلكوا بوقائع شديدة كالزالزل
والنيران وغيرهما من الرياح والظوفان ولا كذلك قوم محمد صلى الله عليه وسلم نقول جاز
أن يكون عذابهم أشد من عذاب الاولين لكون دين محمد أظهر بسبب تقدم الانبياء عليهم
السلام عليه واخبارهم عنه وانذارهم به على انهم قتلوا واسروا بأيدى من كانوا
يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل ألم من الهلاك بسبب عام (وسؤال آخر) اذا
كان الضمير عائدا الى العاقبة فكيف يكون لها أمثال قلنا يجوز أن يقال المراد العذاب
الذى هو مدلول العاقبة أو الالم الذى كانت العاقبة عليه * ثم قال تعالى (ذلك بأن الله مولى
الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم) ذلك يحتمل أن يكون اشارة الى النصر وهو
اختار جماعة ذكره الواحدى ويحتمل وجهها آخر أعرب من حيث النقل واقرب من حيث
العقل وهو ان الما يبين ان قوله تعالى وللکافرين أمثالها اشارة الى ان قوم محمد عليه الصلاة
والسلام اهلكوا بأيدى أمثالهم الذين كانوا الايرضون بمجساتهم وهو ألم من الهلاك
بالسبب العام قال تعالى ذلك أى الاهلاك والهوان بسبب ان الله تعالى ناصر المؤمنين
والكافرون اتخذوا آلهة لاتنفع ولا تضر وتروكوا الله فلان ناصر لهم ولا شك ان من ينصره

من اعقوبة والعذاب
ولا يخاف هذا قوله
تعالى ثم ردوا الى الله
مولاهم الحق فان المولى
هناك بمعنى المالك (ان
الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها
الانهار) بيان لحكم
ولا يشك تعالى لهم وثمرتها
الآخرة (والذين
كفروا يتعذبون) أى
يتعذبون فى الدنيا بما عذبها
(وبأكلون كما تأكل
الانعام) غافلين عن
عواقبهم (والنار مشوى
لهم) أى مغل نواء
واقامة والجملة اما حال
مقدرة من واوباكلون
أو استثنائى (وكأين)
كلمة مركبة من الكاف
واى بمعنى كم الخبرية
ومحلها الرفع بالابتداء
وقوله تعالى (من قرية)
تميز لها وقوله تعالى
(هى أشد قوة من
قريتك) صفة لقرية
كما أن قوله تعالى (التي
أخرجك) صفة
لقريتك وقد حذف
عنهما المضاف وأجرى
أحكامه عليهما كما

يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى (أهلكناهم) أى وكن من أهل قرية

هم أشد قوة من أهل قرية كانوا أسيراً لخروجك من بينهم ﴿ ٥٣٤ ﴾ ووصف القرية الأولى بشدة القوة

الله تعالى يقدر على القتل والأسروان كان له أنف ناصر فضلا عن أن يكون لناصر لهم
فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى لا مولى لهم وبين قوله مولا لهم الحق نقول المولى ورد
بمعنى السيد والرب والناصر فحيث قال لا مولى لهم أراد لناصر لهم وحيث قال مولا لهم
الحق أى ربهم وما نكفهم كما قال تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم وقال ربكم ورب آبائكم
الأولين وفى الكلام تباين عظيم بين **أنت** أفرو المؤمن لأن المؤمن ينصر الله وهو خير
الناصرين والكافر لا مولى له بصيغة نافية للجنس فليس له ناصر وإنه شر الناصرين * ثم قال
تعالى (ان الله يدخل المؤمنين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين
كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) لما بين الله تعالى حال
المؤمنين والكافرين فى الدنيا بين حالهم فى الآخرة قال انه يدخل المؤمن الجنة والكافر
النار وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كثيرا ما يقتصر الله على ذكر الأنهار فى وصف الجنة
لان الأنهار يتبعها الأشجار والأشجار تتبعها الثمار ولانه سبب حياة العالم والناس سبب
الاعدام والمؤمنين الماء ينظر اليه وينعم به وللکافر النار يتقلب فيها ويتضرر بها
(المسئلة الثانية) ذكرنا مرارا ان من فى قوله من تحتها الأنهار يحتمل أن يكون صلة معناه
تجربى تحتها الأنهار ويحتمل أن يكون المراد ان ماءها منها لا يجربى اليها من موضع آخر
فيقال هذا النهار متبعه من أين يقال من عين كذا من تحت جبل كذا (المسئلة الثالثة)
قال والذين كفروا يتمتعون خصهم بالذکر مع ان المؤمن أبعضاله التمتع بالدنيا وطيباتها نقول
من يكون له ملك عظيم ويملك شيئا يسيرا أيضا لا يذكر الا بالملك العظيم لا يقال فى حق الملك
العظيم صاحب الضيعة القلانية ومن لا يملك الاشياء يسيرا فلا يذكر الا به فالؤمن له ملك
الجنة فناع الدنيا لا يلتفت اليه فى حقه والكافر ليس له الا الدنيا ووجه آخر الدنيا للؤمن من
سجن كيف كان ومن يأكل فى السجن لا يقال انه يتمتع فان قيل كيف تكون الدنيا سجننا
مع ما فيها من الطيبات نقول للؤمن فى الآخرة طيبات معدة واخوان مكرمون نسبتها
ونسبتهم الى الدنيا ومن فيها تبين بمثل وهو ان من يكون له بستان فيه من كل الثمرات الطيبة
فى غاية اللذة وأنهار جاررية فى غاية الصفاء ودور وعرف فى غاية الرفعة وأولاده فيها وهو قد
غاب عنهم سنين ثم توجه اليهم فيها فلما قرب منهم عوق فى أجرة فيها من بعض الثمار
العفصة والمياه الكدرة وفيها سباع وحشرات كثيرة فهل يكون حاله فيها كحال مسجون
فى بئر مظلمة وفى بيت خراب أم لا وهل يجوز أن يقال له اترك ما هو لك وتعلل بهذه الثمار وهذه
الأنهار أم لا كذلك حال المؤمن وأما الكافر فحال كحال من يقدم الى القتل فيصير عليه
أياما فى مثل تلك الاجرة التى ذكرناها يكون فى جنة ونسبة الدنيا الى الجنة والنار دون
ما ذكرنا من المنال لكنه ينبي ذابال عن حقيقة الحل وقوله كما تأكل الأنعام يحتمل
وجوها (أحدها) ان الأنعام بهمها الاكل لا غير الكافر كذلك المؤمن يأكل ليعمل
صالحا ويقوى عليه (وثانيها) الأنعام لا تستدل بالمأكول على خالقها والكافر كذلك

للإيدان بأولوية الثانية
منها بالاهلال للضعف
قوتها كما أن وصف
الثانية بإخراجه عليه
الصلاة والسلام
للإيدان بأولويتها به
قوة جنائنها وعلى
طريقته قول النافعة
* كما يبصرى كان أكثر
ناصر * وأيسر جرما
منك ضريح بالدم * وقوله
تعالى (فلان ناصر لهم)
بيان لعدم خلاصهم
من العذاب بواسطة
الاعوان والانصار اثر
بيان عدم خلاصهم
منه بأنفسهم والفاء
لترتيب ذكر ما بالغير على
ذكر ما بالذات وهو
تحكاية حال ماضية (أفن
كان على ينة من ربه)
تفرير لتباين حال فربقى
المؤمنين والكافرين
وكون الاولين فى أعلى
عليين والآخرين فى
أسفل سافلين وبيان
لعله مال كل منهما من
الحال والهمزة لانكار
والفاء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام
وقد قرئ بدونها ومن
عبارة عن المؤمنين
المتسكين بأدلة الدين

وجعلها عبارة عن النبي عليه الصلاة والسلام أو عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم ﴿ وناشها ﴾ على ان الموازنة بينه عليه الصلاة

والسلام وبينهم مما يابا، منصبه الجليل ﴿ ٥٢٥ ﴾ والتقدير أليس الأمر كما ذكر فن كان مستترا على حجة ظاهرة

(وثالثها) الانعام تعلف لتسمن وهي غافلة عن الامر لاتعلم انها كلما كانت أسمن كانت أقرب الى الذبح والهلاك وكذلك الكافر ويناسب ذلك قوله تعالى والنار مثوى لهم (المسئلة الرابعة) قال في حق المؤمن ان الله يدخل بصيغة الوعد وقال في حق الكافر والنار مثوى لهم بصيغة تنبي عن الاستحقاق لماذا ذكرنا ان الاحسان لا يستدعي أن يكون عن استحقاق فالحسن الى من لم يوجد منه ما يوجب الاحسان كريم والمعذب من غير استحقاق ظالم * قوله تعالى (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتناهم فلاناصرهم) لما ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله أفلم يسيروا في الارض ولم يتفقههم مع ما تقدم من الدلائل ضرب للنبي عليه السلام مثلاتسليته له فقال وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتناهم وكانوا أشد من أهل مكة كذلك نفع لهم فاصبر كما صبر رسلهم وقوله فلاناصرهم قال الزنجشري كيف قوله فلاناصرهم مع ان الاهلاك ماض وقوله فلاناصرهم المحال والاستعجال والجواب انه محمول على الحكاية والحكاية كالحال الحاضر ويحتمل ان يقال أهلكتناهم في الدنيا فلاناصرهم ينصرهم ويختصهم من العذاب الذي هم فيه ويحتمل أن يقال قوله فلاناصرهم عائد الى أهل قرية محمد عليه السلام كأنه قال أهلكتنا من تقدم أهل قريتك ولاناصر لأهل قريتك ينصرهم ويخصهم بما جرى على الاولين * ثم قال تعالى (أفمن كان على بينة من ربه كن زينا له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) اعلم ان هذا اشارة الى الفرق بين النبي عليه السلام والكفار ليعلم ان اهلاك الكفار ونصرة النبي عليه السلام في الدنيا محقق وان الحال يناسب تعذيب الكافر والاتباع المؤمن وقوله على بينة فرقى فارق وهو له من ربه مكمل له وذلك ان البينة اذا كانت نظرية تكون كافية للفرق بين المتمسك بها وبين المتقاتل قولنا لا دليل عليه فاذا كانت البينة منزلة من الله تعالى تكون أقوى وأظهر فتكون أعلى وأجبر ويحتمل أن يقال قوله من ربه ليس المراد انزالها منه بل المراد كونها من الرب بمعنى قوله يهدي من يشاء وقولنا الهداية من الله وكذلك قوله تعالى كن زينا له سوء عمله فرقى فارق وقوله واتبعوا أهواءهم تكملة وذلك ان من زينا له سوء عمله وراجت الشبهة عليه في مقابلة من يتبين له البرهان وقبله لكن من راجت الشبهة عليه فديتفكر في الامر ويرجع الى الحق فيكون أقرب الى من هو على البرهان وديتبع هواه ولا يتدبر في البرهان ولا يتفكر في البيان فيكون في غاية البعد فاذا حصل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمن مع الكافر في طرفي التضاد وغاية التباعد حتى مدهم بالبينة والكافر له الشبهة وهو مع الله وأولئك مع الهوى وعلى قولنا من ربه معناه الاضافة الى الله كقولنا الهداية من الله فقوله اتبعوا أهواءهم مع ذلك القول يفيد معنى قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله كن زينا له سوء عمله بصيغة التوحيد محمول على لفظة من وقوله واتبعوا أهواءهم محمول على معناه فانها للجمع والعموم وذلك لان التزيين للكامل على حد واحد فحمل على

وبرهان نير من مالك
امرهم ومريه وهو القرآن
الكريم وسائر المعجزات
والجمع العقلية (كن زينا
له سوء عمله) من الشرك
وسائر المعاصي مع كونه
في نفسه أفصح الشبايح
(واتبعوا) بسبب ذلك
التزيين (أهواءهم)
الزائفة وانما يكون في فنون
الضلالات من غير أن
يكون لهم شبهة تؤهم
صحة ما هم عليه فضلا
عن حجة تنيل عليه وجمع
الضميرين الاخسرين
باعتبار معنى من كما أن
افراد الاولين باعتبار
لفظها (مثل الجنة التي
وعدا المتقون) استئناف
مسوق اشرح محاسن
الجنة الموصودة آنفا
للمؤمنين وبيان كيفية
أنهارها التي أشعير الى
جريانها من قيعتها وديبر
عنهم بالمتقين ايذانا بان
الايمان والعمل الصالح
من باب التقوى الذي
هو عبارة عن فعل
الواجبات بأسرها
وترك السببات عن
آخرها ومثلها وصفها
العجيب الشأن وهو

مبتدأ محذوف الخبر قدره النضر بن شبيل مثل الجنة ما نسعون وقوله تعالى (فيها أنهار)

المثل زائدة كزيادة الاسم في قول من قال * الى الحول ثم اسم السلام عليهما * والجنة مبتدأ خبره فيها أنهار الخ (من ماء غير آسن) أي غير متغير الطعم والرائحة وقرى غير آسن (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) بأن صار قارصا ولا اذرا كاللبان الدنيا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذية ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وانما هي تليذ محض ولذة اما تأنيذا بمعنى الذيد او مصدر نمت به مبالغة وقرى لذة بالرفع على انها صفة انهار و بانصب على العلة أي لاجل لذة الشاربين (وأنهار من عسل مصفى) لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجرى مجرى الاشرى في الجنة بأنواع ما يستطيب منها ويستند في الدنيا بالخلية عما ينقصها وبتقصها والتخية بما يوجب غزارتها ودوامها

اللفظ نقر به منه في الحس والذكر وعند اتباع الهوى كل أحد يتبع هوى نفسه فطهر التعدد فحمل على المعنى * قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) لما بين الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بينهما في مرادهما وما لهما وكما قدم من على البيئة في الذكر على من اتبع هواه قدم حاله في ما آله على حال من هو بخلاف حاله وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) قوله تعالى مثل الجنة يستدعي أمرا يمثل به فاهو نقول فيه وجوه (الاول) قول سيبويه حيث قال المثل هو الوصف معناه وصف الجنة وذلك لا يقتضي مثالا به وعلى هذا فقيه الاحتمال ان (احدهما) ان يكون الخبر محذوف او يكون مثل الجنة مبتدأ تمديره فيما قصصناه مثل الجنة ثم يستأنف ويقول فيها أنهار وكذلك القول في سون الرعد يكون قوله تعالى تجري من تحتها الأنهار ابتداء بيان (والاحتمال الثاني) ان يكون فيها أنهار وقوله تجري من تحتها خبر كما يقال صفلى زيدا فيقول القائل زيدا حمر قصير والقول الثاني ان المثل زيادة والتقدير الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار (الوجه الثاني) ههنا المثل به محذوف غير مذكور وهو يحتمل قولين (احدهما) قول الزجاج حيث قال مثل الجنة جنة تجري فيها أنهار كما يقال مثل زيد رجل طويل أسمر فيذكر عين صفات زيد في رجل متكر لا يكون هو في الحقيقة الا زيدا (الثاني) من القولين هو أن يقال معناه مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب أو شئ عظيم أو مثل ذلك وعلى هذا يكون قوله فيها أنهار كلاما مستأنفا مما تقدمنا مثل عجيب (الوجه الثالث) المثل به مذكور وهو قول الزجاج شري حيث قال كمن هو خالد في النار شبه به على طريقة الانكار وحينئذ فهذا كقول القائل حر كات زيدا وأخلاقه كعمرو وعلى أحد التأويلين اما على تأويل حر كات عمرو أو على تأويل زيد في حر كات عمرو وكذلك ههنا كأنه تعالى قال مثل الجنة كمن هو العاقبي النار وهذا أقصى ما يمكن ان يقرر به قول الزجاج شري وعلى هذا فقولته تعالى فيها أنهار وما بعد ما جعل اعتراضية وقعت بين المبتدأ والخبر كما يقال نظير زيد فيه مروءة وعندنا علم وله أصل عمرو * ثم قال تعالى (فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى) اختار الأنهار من الاجناس الاربعه وذلك لان المشروب اما ان يشرب اطعمه واما ان يشرب لامر غير طائفي الطعم فان كان للطعم قائله و تسعة المر والمالح والحريف والحامض والعفص والقابض وانقه الخلو والدمس اندها الخلو والدمس لكن احلى الاشياء العسل فذكر واما ادمس الاشياء فاندهن لكن الدسومة اذا تمحضت لا تطيب الاكل ولا للشرب فان الدهن لا يؤكل ولا يشرب كما هو في الغالب واما اللبن فبما دسم الكائن في غيره وهو طيب الاكل و به تغذية الحيوان اولا فذكره الله تعالى واما ما يشرب لالامر عائد الى الطعم فالله والحمر فالخمر فيها امر يشربها الشارب لاجله وهي كريمة الطعم يتفق من يشربها وحصول التواتر به ثم عرى كل واحد من الاشياء الاربعه عن صفات انقص التي هي فيها وتنفخ بها في الدنيا فالله يتغير بقول آسن

(ولهم فيها) مع ما ذكر من فنون الانهار ﴿ ٥٧٧ ﴾ (من كل الثمرات) اي صنف من كل الثمرات (ومغفرة) أي ولهم

مغفرة عظيمة لا يقاوم
قدرها وقوله تعالى
(من ربهم) متعلق
بمخدوف هو صفة لمغفرة
مؤكدة لما افاده التوكيد
من الغضامة الذاتية
بالغضامة الاضافية
أي كائنة من ربهم وقوله
تعالى (كن هو خالدي
النار) خبر مبتدأ مخدوف
تقديره أمن هو خالدي
هذه الجنة حسبما جرى
به الوعد كن هو خالدي
في النار كما نطق به قوله
تعالى والنار تؤوى لهم
وقيل هو خبر مثل الجنة
عسى أن في الكلام
حذف تقديره أمثل الجنة
كمثل جزاء من هو
خالدي النار أو مثل
أهل الجنة كما في من
هو خالدي النار ويرى
عن حرف الاذكار
وحذف ما حذف تصويرا
للكآبة من بسون بين
التمسك بالبينه وبين
التابع للهوى بكآبة
من سوى بين الجنة
الموصوفة بما فصل من
الصفات الجليلة وبين
النار (وسقوا ماء حميا)
مكان تلك الاشربة

الماء يأسن على وزن أمن يأمن فهو آسن وأسن اللبن اذا بقي زمانا لم يغير طعمه والحمير يكره
الشارب عند الشرب والعسل يشوبه اجزاء من الشمع ومن الحبل يموت فيه كثيرا ثم ان
الله تعالى خلط الجنسين فذكر الماء الذي يشرب لالا طعم وهو عام الشرب وقرن به اللبن
الذي يشرب لطعمه وهو عام الشرب اذا من أحد الا وكان شر به اللبن ثم ذكر الحمير الذي
يشرب لالا طعم وهو قليل الشرب وقرن به العسل الذي يشرب للطعم وهو قليل الشرب
فان قيل العسل لا يشرب نقول شراب الجلاب لم يكن الامن العسل والسكر قريب الزمان
الاترى ان السكجيين من سرکه وانكبين وهو الخل والعسل بالفارسية كما أن استخراج
كان أو الامن الخل والعسل ولم يعرف السكر الا في زمان متأخر ولان العسل اسم يطلق
على غير عسل النحل حتى يقال عسل النحل للتميز والله أعلم (المسئلة الثامنة) قال في الحمر اذ
للشاربين ولم يقل في اللبن لم يغير طعمه لاطما عين ولا قال في العسل مصفى للناظرين لان
اللذة تختلف باختلاف الاشخاص فرب طعام يلذبه شخص ويعافه الآخر فقال لذة
للشاربين بأسرهم ولان الحمير كرهية الطعم فقال لذة أي لا يكون في خمر الآخرة كراهة
الطعم وأما العظم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس فان الحلو والحامض وغيرهما
يدركه كل أحد كذلك لكنه قد يعافه بعض الناس ويلذبه البعض مع اتفاقهم على ان له
طعما واحدا وكذلك اللون فلم يكن الى الصريح بالعميم حاجة وقوله لذة يختم وجهين
(أحدهما) ان يكون تأنيث لذيغال طعام لذيذ واطعمة لذذة ولذينة (وثانيها) أن يكون
ذلك وصفا بنفس المعنى لا بالاشتق منه كما قد ذكر للحمير هو لحم كاه والله اعلم قال ثم قال
تعالى ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم ﴾ بعد ذكر المشروب أشار الى الماء كقول
ولما كان في الجنة الاكل اللذيذ لا للحمير ذكر ثم قالها تارة كل لذة بخلاف الحبز واللحم وهذا
كقوله تعالى في سورة الرعد مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم
وظلها حيث أشار الى الماء والشرب وهو هنا لذيذة وهي انه تعالى قال فيها وظلها
ولم يقل ههنا ذلك نزل قال ههنا ومغفرة واظن في معنى السر والمغفرة كذلك ولان
المغفور تحت نظر من رحمة الغافر يقال نحن تحت ظل الامير وظلها هو رحمة الله ومغفرته
حيث لا يستهم حر ولا برد (المسئلة التاسعة) التي لا يدخر الجنة الا بعد المغفرة فكيف
يكون لهم فيها مغفرة فنقول (الجواب) عند من وجهين (الاول) ليس بلازم أن يكون
المعنى لهم مغفرة من ربهم فيها بل يكون عطف على قوله لهم كانه نمار قال لهم الثمرات
فيها ولهم المغفرة قبل دخولها (والثاني) هو ان يكون المعنى لهم فيها مغفرة أي رفع
التكليف عنهم فبأكلون من غير حساب بخلاف الدنيا فان الثمار فيها عليها حساب
أو عقاب ووجه آخر وهو ان الأكل في الدنيا لا يخلو عن استنتاج فبيح أو مكروه كرجس
أو حاجة الى تبرز فقال لهم فيها من كل الثمرات ومغفرة لا يبيح على الأكل بل هو مستور
القبائح مغفور وهذا استفدته من المعلمين في بلادنا فانهم يعوّدون الصبيان بان يقولوا

(قطع أمعاءهم) من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم

شوى وجوههم وانما رت فروة رؤسهم فاذا شربوه ﴿ ٥٣٨ ﴾ فطم امعاءهم (ومنهم من يستمع اليك) هم

المتأقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كان جسه فيما سبأى باعتبار معناه كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يسمعونه ولا يراونه حق رطابته نها وانما منهم (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم) من الصحابة رضى الله عنهم (ماذا قال انما) الذى قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلاء وانما من قولهم انما الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشئ وانف وهو ظرف بمعنى وقتا متفقا وخالف من الضمير في قال وقرئ انما (اولئك) الموصوفون بما ذكر (الذين طبع الله على قلوبهم) امدم توجههم نحو الخير اصلا (واتبعوا أهواءهم) الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه (والذين اهدوا) الى طريق الحق (زادهم)

وقت حاجتهم الى اراقة البول وغيره يامعلم غير الله لك فيفهم العلم انهم يطلبون الاذن في الخروج لقضاء الحاجة فيأذن لهم فقلت في نفسى معناه هو ان الله تعالى في الجنة خفر لمن اكل وأما في الدنيا فلان الاكل توابع واوازم لا يدمنها فيفهم من قولهم حاجتهم ثم قال تعالى (كن هو خالد في النار وسقوا ماء حميا فقطع امعاءهم) وفيه ايضا مسائل (المسئلة الاولى) على قول من قال مثل الجنة معناه وصف الجنة فقوله كن هو بماذا يتعلق نقول قوله لهم فيم من كل الثمرات يتضمن كونهم فيها فكانه قال هو فيها كن هو خالد في النار فالشبه يكون مجذوما مدولا عليه بما سبق ويحتمل أن يقال ما قيل في تقرير قول الزمخشري ان المراد هذه الجنة التي مثلها ما ذكرنا كقسام من هو خالد في النار (المسئلة الثانية) قال الزجاج قوله تعالى كن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كأنه تعالى قال أفن كان على بيته من ربه كن زين له سوء عمله وهو خالد في النار فهل هو صحيح أم لا نقول لناظر الى اللفظ فيمكن تحججه بتعسف ونظر الى المعنى لا يصح الابان يعود الى ما ذكرناه اما التصحيح فمهدف كن في المرة الثانية أو جعله بدلا عن المتقدم أو باضمار عاطف يعطف كن هو خالد على كن زين له سوء عمله وكن هو خالد في النار أو ما التعسف فين نظر الى الخذف والى الاضمار مع الفاصل الطويل بين المشبه والمشبه به وأما طريقة البدل ففاسدة والالكان الاعتماد على الثانى فيكون كأنه قال أفن كان على بيته كن هو خالد وهو سمج في التشبيه تعالى كلام الله عن ذلك والقول في اضمار العاطف كذلك لان المعطوف أيضا بصير مستقلا في التشبيه اللهم الا أن يقال يقابل المجموع بالمجموع كأنه يقول أفن كان على بيته من ربه وهو في الجنة التي وعد المتقون فيها انهار زين له سوء عمله وهو خالد في النار وعلى هذا تقع المقابلة بين من هو على بيته من ربه وبين من زين له سوء عمله وبين من في الجنة وبين من هو خالد في النار وقد ذكرناه فلا حاجة الى خلط الآية بالآية وكيف وعلى ما قاله تقع المقابلة بين من هو في النار وسقوا ماء حميا وبين من هو على بيته من ربه وأية مناسبة بينهما بخلاف ما ذكرناه من الوجوه الاخر فان المقابلة فيها بين الجنة التي فيها الانهار وبين النار التي فيها الماء الحميم وذلك تشبيه انكار مناسب (المسئلة الثالثة) قال كن هو خالد حملا على اللفظ الواحد وقال وسقوا ماء حميا على المعنى وهو جمع وكذلك قال من قبل كن زين له سوء عمله على التوحيد والافراد واتبعوا أهواءهم على الجمع فما الوجه فيه نقول المستدالى من اذا كان متصلا فرطية اللفظ أولى لانه هو المسموع واذا كان مع انفصال فالعود الى المعنى أولى لان اللفظ لا يبقى في السمع والمعنى يبقى في ذهن السامع فالجمل في الثانى على المعنى أولى وحل الاول على اللفظ أولى فان قيل كيف قال في سائر المواضع من آمن وعمل صالحا ومن تاب وأصلح نقول اذا كان المعطوف مفردا أو شبيها بالمعطوف عليه في المعنى فالاولى ان يختلفا كما ذكرت فانه عطف مفرد على مفرد وكذلك لو قال كن هو خالد في النار ومعذب فيها لان

المشابهة

أى تعالى (هدى) بالتوفيق والالهام

(وَأَنَّهُمْ تَقَوَّاهُمْ) أَعَانَهُمْ عَلَى ﴿ ٥٣٩ ﴾ تَقَوَّاهُمْ أَوْ أَعْطَاهُمْ جَزَاءَهَا أَوْ بَيْنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ (فَهَلْ يَنْظُرُونَ

المشابهة تنافي المخالفة وأما إذا لم يكن كذلك كما في هذا الموضع فإن قوله ستقوا ما جسدته غير مشابهة لقوله هو خالد وقوله تعالى وسقوا ما حميا بيان للمخالفة في سائر أحوال أهل الجنة فلم أنهار من ماء غير آسن ولهم ما يحيم فإن قيل المشابهة الانتكارية بالمخالفة على ما ثبت وقد ذكرت البهض وقلت بأن قوله على بينة في مقابلة زين له سوء عمله ومن ربه في مقابلة قوله واتبعوا أهواءهم والجنة في مقابلة النار في قوله خالد في النار والماء الحميم في مقابلة الأنهار فأين ما يقابل قوله وأهم فيهما من كل الثمرات ومغفرة فنقول تقطع الامعاء في مقابلة مغفرة لا يابن على أحد الوجوه أن المغفرة التي في الجنة هي تعرية أكل الثمرات عما يلزمه من قضاء الحاجة والأمراض وغيرها كما قال الله ومن أكل وشرب مطهر طاهر لا يحتم في جوفهم فيؤذيهم ويحوجهم إلى قضاء حاجة ولا يكفر ما حميم في أول ما يصل إلى جوفهم يقطع أمعاءهم ويشتهون خروجه من جوفهم وأما الثمار فلم يذكر مقابله إلا في الجنة زيادة مذكورة فحقها بذكر أمر زائد (المسئلة الرابعة) الماء الحار يقطع أمعاءهم لأمر آخر غير الحرارة وهي الحمة التي تكون في السموم المدونة والافجورد الحرارة لا يقطع فإن قيل قوله تعالى فقطع بالساء بقضى أن يكون القطع بما ذكره فنقول نعم لكنه لا يقتضى أن يقال يقطع لأنه ماء حميم فحسب بل ماء حميم مخصوص يقطع * ثم قال تعالى (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) لما بين الله تعالى حال الكافر ذكر حال المنافق بأنه من الكفار وقوله ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا لا يمكن أن يكون الضمير عائدا إلى الناس كما قال تعالى في البقرة ومن الناس من يقول آمنا بالله بعد ذكر الكفار ويحتمل أن يكون راجعا إلى أهل مكة لأن ذكرهم سبق في قوله تعالى هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتهم ويحتمل أن يكون راجعا إلى معنى قوله هو خالد في النار وسقوا ما حميا يعني ومن الخالدين في النار قوم يستمعون إليك وقوله حتى إذا خرجوا من عندك على ما ذكرنا حل على المعنى الذي هو الجمع ويستعمل على اللفظ وقد سبق التحقيق فيه وقوله حتى للعطف في قول المفسرين وعلى هذا فالعطف يعني لا يحسن إلا إذا كان المعطوف جزءا من المعطوف عليه أما علاه أو دونه كقول القائل أكرمى الناس حتى الملك وجاء الحاج حتى المشاة وفي الجملة ينبغي أن يكون المعطوف عليه من حيث المعنى ولا يشترط في العطف بالواو وذلك فيجوز أن تقول في الواو جاء الحاج وما علمت ولا يجوز مثل ذلك في حتى إذا علمت هذا فوجه التعلق ههنا هو أن قوله حتى إذا خرجوا من عندك يفيد معنى زائدا في الاستماع كأنه يقول يستمعون استماعا بالغا جيدا لأنهم يستمعون وإذا خرجوا يستعبدون من العلماء كما يفعله المجتهد في التعلم الطالب للفهم فإن قلت فعلى هذا يكون هذا صفة مدح لهم وهو ذكرهم في معرض الذم فنقول يتميز بما بعده وهو أحد أمرين إما كونهم بذلك مستمرين كالذي يقول لا يبدا أعد كلامك حتى أفهمه ويرى في نفسه أنه مستمع إليه غاية الاستماع وكل أحد يعلم أنه

الإساعة) أى القيامة وقوله تعالى (أن تأتيهم بغتة) أى تباغتهم بغتة وهى المفاجأة بدل اشتغال من الساعة والمعنى أنهم لا يتذكرون بذكر أهوال الأمم الخالية ولا بالأخبار بآيات الساعة وما فيها من عظام الأهوال وما ينظرون للتذكر الآتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح العين وقوله تعالى (فقد جاء أشرطها) تعليل للمفاجأة الآتية منها مطلقا على معنى أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكر أمر متروك ينتظر ونه سوى آيات نفس الساعة إذ قد جاء أشرطها فلم يرفعوا الهمار أسا ولم يعدوها من مبادئ آياتها فيكون آياتها بطريق المفاجأة لا محالة والأشراط جمع شرط بالتحريك وهى السلامة والمراد بها بعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخيه التذكري إلى آياتها

بيان استعماله تنفع التذكار حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر ﴿ ٥٤٠ ﴾ الانسان وأنى له الذكرى أى وكيف اهم

مستترى غير مستغيد ولا مستعبد واما كونهم لا يفهمون مع انهم يستمعون ويستعيدون ويناسب هذا الثانى قوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب المجرمين والاول بوجه كنه قوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون (والثانى) بوجه كنه قوله تعالى فانت الاعراب آمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولمسا يدخل الاعيان في قلوبكم وقوله آنفا قال بعض المفسرين معناه الساعة ومنه الاستناق وهو الابتداء فعلى هذا فالاولى أن يقال بقاؤون ماد قال آنفا بمعنى انهم يستعيدون كلامه من الابتداء كما يقول المستعيد للمعيد اعد كلامك عن الابتداء حتى لا يفوتى شئ منه * ثم قال تعالى (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وتبصروا أهواءهم) أى تركوا اتباع الحق اما بسبب عدم انهم أو بسبب عدم الاستماع للاستفادة واتباعوا ضده * ثم قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) نايين الله تعالى أن المنافق يستمع ولا ينفع ويستعيد ولا يستفيد ان حال المؤمن المهتدى بخلافه يستمع فينفعهم ويعمل بما يعلم والمنافق يستعيد والمهتدى يفسر ويعيد وفيه فائدتان (أحدهما) ما ذكرنا من بيان التباين بين الفريقين (وثانيهما) قطع عذر المنافق وابطاح كونه مذموم الطريقة فانه لو قال ما فهمته لغرضه وكونه مهمى يرد عليه وبقول ايس كذلك فان المهتدى فهم واستنبطوا زمامه وتوابعه فذلك اعماق القلوب لان الحقائق المطلوب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الفاعل للزيادة في قوله زادهم نقول فيه وجوه (الاول) المسموع من النبى عليه الصلاة والسلام من كلام الله وكلام الرسول يدل عليه قوله ومنهم من يستمع اليك فانه يدل على مسموع والمقصود بيان التباين بين الفريقين فكانه قال لهم لم يفهموه وهـ لانه فهموه (والثانى) ان الله تعالى زادهم ويدل عليه قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وكانه تعالى طبع على قلوبهم فزادهم عمى والمهتدى زادهم هدى (والثالث) استهزاء المنافق زاد المهتدى هدى ووجهه هو انه تعالى لما قال واتبعوا أهواءهم قال والذين اهتدوا زادهم اتباعهم الهدى فأنهم استنجحوا فعملهم فاجتنبوه (المسئلة الثانية) ما معنى قوله وآتاهم تقواهم نقول فيه وجوه منقولة ومستنبطة اما المنقولة فنقول قيل فيه ان المراد آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم من غير اضمحار يعنى بين لهم القوى وقيل آتاهم توفيق العمل بما علموا واما المستنبط فنقول يحتمل أن يكون المراد به بيان حال المستمعين للقرآن الفاهمين لعانيه المفسرين له بيان غاية الخلاق بين المنافق فانه استمع ولم يفهمه واستعاد ولم يعلم والمهتدى فانه علمه وبينه لغيره ويدل عليه قوله تعالى زادهم هدى ولم يقل اهتداء والهدى مصدر من هدى قال الله تعالى فيهم اهداهم اقتده أى خذ بما هدوا واهد كما هدوا وعلى هذا فاقوله تعالى وآتاهم تقواهم معناه جنهم عن القول في القرآن بغير برهان وحيلهم على الاتقاء من التفسير بالرأى وعلى هذا فاقوله زادهم هدى معناه كانوا مهتدين فزادهم على الاهتداء هدى حتى

اذا جاءتهم هلى أنانى
خير عند وذكرهم مبتدأ
واذا جاءتهم استراض
وسمى بينهما رمزاً الى
غايه سرعة مجيئها
واط فى المجرى معنى قيد
ابتنه ان مدار استحقاقه
نفع التذكار كونه عند
مجيئها مطلقاً لا مقيداً بقيد
البخة وقرى ان تأتهم
على أنه شرط مسانف
جزاؤه فأتى لهم الخ والمعنى
ان تأتهم الساعة بقتة
لانه قد ظهر أماراتها
فكيف لهم تذكرهم
واتعاضهم اذا جاءتهم
(فاعلم أنه لا اله الا الله)
أى اذا حملت أن مدار
السعادة هو التوحيد
والطاعة ومناط الشقاوة
هو الاشرار والكوا العصيان
فأثبت على ما أنت عليه
من العلم بالوحدانية والعمل
بوجبه (واستغفرانك)
وهو الذى ر بما يصدر
عنه عليه الصلاة والسلام
من ترك الاولى عبرته
بالذنب نظراً الى منصبه
الجليل كيف لا وحسنات
الابرار سيئات المقر بين
وارشاده عليه الصلاة
والسلام الى التواضع

وهضم النفس واستقصار العمل (وللمؤمنين ﴿ ٥٤١ ﴾ والمؤمنات) أى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم

ارتقوا من درجة المهتدين الى درجة الهادين ويحتمل أن يقال قوله زادهم هدى إشارة الى العلم وآثارهم تقواهم إشارة الى الاخذ بالاحتياط فيما لم يعلموه وهو مستنبط من قوله تعالى يبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله تعالى والراشخون فى العلم يقولوا آمنا به (المعنى الثالث) يحتمل أن يكون المراد بيان ان المخلص على خطر فهو أخصى من غيره وتحقيقه هو انه لما قال زادهم هدى أفاد أنهم ازداد علمهم وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فقال آتاهم خشيتهم التى يفيدها العلم (والمعنى الرابع) تقواهم من يوم اقامته كما قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واحشوا يوما لا يجزى والدعوى والى و يدل عليه قوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيتهم بغتة وكان ذكر الساعه عقب التقوى يدل عليه (المعنى الخامس) آتاهم تقواهم التقوى التى تليق بالؤمن وهى التقوى التى لا يخاف معها لومة لائم قال تعالى الذين يبلغون رسالت الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكذلك قوله تعالى يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وهذا الوجه مناسب لان الآية لبيان تباين الفريقين وهذا يخفق ذلك من حيث ان المنافق كان يخشى الناس وهم الفريقان المؤمنون والكافرون فكان يتردد بينهما ويرضى الفريقين ويستخط الله فقال الله تعالى المؤمن المهتدى بخلاف المنافق حيث عز ذلك ولم يعلم ذلك واتق الله لا غيره واتق ذلك غير الله * ثم قال تعالى (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيتهم بغتة فقد جاء اشراطها) يعنى الكافرون والمنافقون لا ينظرون الا الساعة وذلك لان البراهين قد صحت والامور قد انصحت وهم لم يؤمنوا فلا يتوقع منهم الايمان الا عند قيام الساعة وهو من قبيل بدل الاشتمال على تقدير لا ينظرون الا الساعة اتيانها بغتة وقرى فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيتهم على الشرط وجزاؤه لا ينفعهم ذكراهم يدل عليه قوله تعالى فأتى لهم اذا جاءتهم ذكراهم وقد ذكرنا ان القيامة سميت بالساعة لسرعة الامور الواقعة فيها من البعث والحشر والحساب وقوله فقد جاء اشراطها يحتمل وجهين (أحدهما) لبيان غاية عنادهم وتحقيقه هو ان الدلائل لما ظهرت ولم يؤمنوا لم يبق الايمان اليأس وهو عند قيام الساعة لكن اشراطها بانث مكان ينبغي أن يؤمنوا ولم يؤمنوا فهم فى لجة الفساد وغاية العناد (ثانيهما) أن يكون تسلية قلوب المؤمنين كأنه تعالى لما قال فهل ينظرون فهم منه تعذيبهم والساعة عند العوام مستبهاة فكان قائلا قال متى تكون الساعة فقد جاء اشراطها كنوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والاشراط العلامات قال المفسرون هى مثل انشقاق القمر ورسالة محمد عليه السلام ويحتمل أن يقال معنى الاشرط البنات الموضحة لجواز الحشر مثل خلق الانسان ابتداء وخلق السموات والارض كما قال تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم والاول هو التفسير * ثم قال تعالى (فأتى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعنى لا تنفعهم الذكرى اذ لا تقبل التوبة ولا يحسب

فما يستدعى غير انهم وفى اعادة صلاة الاستغفار تنبيه على اختلاف تعاقبه جنسا و حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقام اشعار بعراقهم فى الذنب وقرط افتقارهم الى الاستغفار (والله يعلم متذكم) فى الدنيا منها من اجل لا بد من فطرها لا محالة (ومثواكم) فى العقبي فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيها فبادروا الى الامتثال بما أمركم به فانه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها (ويقول الذين آمنوا) حرصا منهم على الجهاد (اول انزلت سورة) هل انزلت سورة نوح فيها بالجهاد (فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) بطريق الامر به أى سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها الوجه آخر سوى وجوب القتال

من فتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة ﴿ ٥٤٢ ﴾ لم تلتحج وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ

الايان والمراد فكيف اهتم الخال اذا جاءتهم ذكراهم ومعنى ذلك يحتمل أن يكون هو قوله تعالى هذا يومكم الذي كنتم توعدون هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون فيذكرون به للهمسر وكذلك قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ثم قال تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) وليان المناسبة وجوه (الاول) هو انه تعالى لما قال فقد جاء اشراطها قال فاعلم أنه لا اله الا الله يأتي بالساعة كما قال تعالى أزفت الآزفة ليس لها من دين الله كاشفة (ثانيها) فقد جاء اشراطها وهي آية فكان فالإفلاك متى هذا فقال فاعلم أنه لا اله الا الله فلا تشتغل به واشتغل بما عليك من الاستغفار وكن في أي وقت مستعدا لاقائها ويناسبه قوله تعالى واستغفر لذنبك (الثالث) فاعلم أنه لا اله الا الله ينفعك فان قيل النبي عليه الصلاة والسلام كان طالما بذلك فامعنى الامر نقول لجواب عنه من وجهين (أحدهما) فانت على ما أنت عليه من العلم كقول الغائل لجالس يريد اقيام اجلس أي لا تقم (ثانيها) الخطاب مع النبي عليه الصلاة والسلام والمراد قومه والضمير في انه للشان وتفسير هذا هو انه عليه السلام لما دعا القوم الى الايمان ولم يؤمنوا ولم يبق شيء يحملههم على الايمان الا ظهور الامر بالبعث والنشور وكان ذلك مما يحزن النبي عليه الصلاة والسلام فسلى قلبه وقال أنت كامل في نفسك مكمل لغيرك فان لم يكمل بك قوم لم يرد الله تعالى بهم خيرا فانت في نفسك عامل بعلمك وعلمك حيث تعلم ان الله واحد وتستغفر وأنت بحمد الله مكمل تكمل المؤمنين والمؤمنات وأنت تستغفر لهم فقد حصل لك الوصفان فانت على ما أنت عليه ولا يحزنك كفرهم وقوله تعالى واستغفر لذنبك يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون الخطاب معه والمراد المؤمنون وهو بعيد لافراد المؤمنين والمؤمنات بالذكر وقال بعض الناس لذنبك أي الذنب أهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات أي الذين ليسوا منك باهل بيت (ثانيها) المراد هو النبي والذنب هو ترك الافضل الذي هو بالنسبة اليه ذنب وحاشاه من ذلك (وثالثها) وجه حسن مستنبط وهو ان المراد توفيق العمل الحسن واجتناب العمل السيئ ووجهه ان الاستغفار طلب الغفران والغفران هو الستر على القبيح ومن عصم فقد ستر عليه قبيح الهوى ومعنى طلب الغفران أن لا تفضحنا وذلك قد يكون بالعصمة منه فلا يقع فيه كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون بالستر عليه بعد الوجود كما هو في حق المؤمنين والمؤمنات وفي هذه الآية لطيفة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم له أحوال ثلاثة حال مع الله وحال مع نفسه وحال مع غيره فاما مع الله فوحده واما مع نفسك فاستغفر لذنبك واطلب العصمة من الله واما مع المؤمنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله والله يعلم متقلبكم ومثواكم يعني حالكم في الدنيا وفي الآخرة احوالكم في الليل والنهار ثم قال تعالى (ويقول الذين آمنوا اولا نزلت سورة فاذا نزلت سورة

وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم (ينظرون اليك نظر الغشي عليه من الموت) أي تشخص ابصارهم جنبنا وها ما كدأب من أصابته غشية الموت (فأولى لهم) أي فويل لهم وهو أفعال من الولي وهو اقرب وويل من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يلبهم المكروه أو يؤن اليه أمرهم وقيل هو مشتق من اويل وأصله أو ويل نقلت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أي أمرهم طاعة الخ أو طاعة وقول معروف خبر لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف أي أمرنا ذلك (فاذا عزم الامر) أسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل

الظرف محذوف أي خائفوا وتخلفوا ﴿٥٤٣﴾ وقبل ناقضوا وقبل كرهوا وقبل هو قوله تعالى (فلو صدقوا الله)

بمحكمة وذكريتها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم) لما بين الله حال المنافق والكافر والمهتدي المؤمن عند استماع الآيات العلمية من التوحيد والحشر وغيرهما بقوله ومنهم من يستمع اليك وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى بين حالهم في الآيات العلمية فان المؤمن كان ينظر ورودها ويطلب تنزيهاها واذناخر عنه التكليف كان يقول هلا أمرت بشئ من العبادة خوفا من أن لا يؤهل لها والمنافق اذا نزلت السورة أو الآية وفيها تكليف شق عليه اعلم تبيين الفرق بين في العلم والعمل حيث لا يفهم المنافق العلم ولا يريد العمل والمؤمن يعلم ويحب العمل وقوله لولا نزلت سورة المراد منه سورة فيها تكليف بحسن المؤمن والمنافق ثم انه تعالى أنزل سورة فيها القتال فانه أشق تكليف وقوله سورة محكمة فيها وجوه (أدها) سورة قد نسخ (نازها) سورة فيها الفاظ أريدت حقائقها بخلاف قوله الرحمن سبي العرش أووى وقوله في جنب الله فان قوله تعالى فاضرب الرقاب أراد القتل وهو أسخ - قوله أو ملوهم وقوله واقتلوهم حيث نقتلهم صريح وكذلك غير هذا من آيات القتال وتعالى اوجهين فقوله محكمة فيها عائدة زائدة من حيث انهم لا يمكنهم ان يفوا والمراد غير ما يظهر منه أو يقولوا هذه آية وقد نسخت فلا نقاتل وقوله رأيت الذين في قلوبهم مرض أي المساكين ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت لان عند التكليف باستال لا يبقى لتفاهيم فائدة قائلهم قبل القتال كانوا يترددون الى القبلتين وعند الامر بالقتال لم يبق لهم امكان ذلك فأولى لهم دعاء كقول القائل فويل لهم ويحتمل أن يكون هو خبر مبتدأ محذوف سبق ذكره وهو الموت كان الله تعالى لما قال نظر المغشى عليه من الموت قال فآوت أولى لهم لان الحياة التي لا في طاعة الله ورسوله الموت خير منها وقال الواحدى يجوز أن يكون المعنى فأولى لهم طاعة أى الطاعة أولى لهم * ثم قال تعالى (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف محذوف الخبر تقديره خير لهم أى أحسن وأمثل لا يقال طاعة نكرة لا تصلح للابتداء لانا نقول هي موصوفة يدل عليه قوله وقول معروف فانه موصوف فكانه تعالى قال طاعة مخصصة وقول معروف خير وقيل معناه قالوا طاعة وقول معروف أى قولهم أمرنا طاعة وقول معروف ويدل عليه قراءة أبى يقولون طاعة وقول معروف * وقوله تعالى (فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) جوابه محذوف تقديره فاذا عزم الامر خائفوا وتخلفوا وهو مناسب لمعنى قراءة أنى كانه يقول فى أول الامر قالوا سمعنا وطاعة وعند آخر الامر خالفوا وأخلفوا موعدهم ونسب العزم الى الامر والعزم لصاحب الامر معناه فاذا عزم صاحب الامر هذا قول الزمخشري ويحتمل أن يقال هو مجاز كقولنا جاء الامر وولى فان الامر فى الاول يتوقع أن لا يقع وعند اخلاله ويجز الكاره عن ابطاله فهو واقع فقال عزم والوجهان متقاربان وقوله تعالى فلو صدقوا فيه وجهان على قولنا المراد من قوله طاعة انهم قالوا طاعة فعنا لم يصدقوا فى ذلك

على طريقة قولك اذا حضرنى طعام فأوججتنى لاطعمتك أى فلو صدقوه تعالى في اقالوا من الكلام النبى عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجب (لكان) أى الصدق (خيرا لهم) ووجه دلالة على شتركة اسكل فيما حكى عنهم من قوله تعالى لولا انزلت سورة وقيل فله صدقوه فى الامنان وطأت فلو لم فى ذنبت انفسهم وأياما كان المراد بهم الدين فى قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى (فهل عسىتم) الخ بطريق الانتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التفرغ أى هل يتوقع منكم (ان توليتم) أمور الناس وأمرتم عليهم (ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على الملاك وتمالكوا على الدنيا فان من شاهد أحوالكم الدالة على الضعف فى الدين والحرص على الدنيا حين أمرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن اجراء كل خير وصلاح ودفع كل

شر وفساد وأتم ماورون شأنكم الطاعة والقول المعروف ﴿ ٥٤٤ ﴾ يتوقع منكم اذا طلقت اصنتكم وصرتم

القول وأطاعوا لكان خيرا لهم وعلى قولنا طاعة وقول معروف خيرا لهم وأحسن فغناه
لو صدقوا في ايمانهم واتباعهم الرسول لكان خيرا لهم ثم قال تعالى (فهل عسيتم ان
توليتهم ان يفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم) وهذه الآية فيها اشارة الى فساد
قول قالوه وهو انهم كانوا يقولون كيف نقاتل والقتل افساد والعرب من ذوى ارحامنا
وقبائلنا فقال تعالى ان توليتهم لا يتبع منكم الا الفساد في الارض فانكم تقتلون من
تقدرون عليه وتتهبونوا والقتال واقع بينكم اليس قتلكم البنات افسادا وقطعا لمرحم
فلا يصح تعلابكم بذلك مع انه خلاف ما أمر الله وهذا طاعة وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
في استعمال عسى ثلاثة مذاهب (أحدها) الاثبات بها على صورة فعل ماض معه فاعل
تقول عسى زيد وعسبنا وعسوا وصبت وعسبنا وعسبت وعسبت وعسبت وعسنا (والثاني)
أن يوتى بها على صورة فعل معه مفعول تقول عسا، وعساها، وعساك، وعساك، وعساى
وعسانا (والثالث) الاثبات بها من غير ان يقرن بها شئ تقول عسى زيد يخرج وهى أنت
تخرج وعسى أنا أخرج والكل له وجه وما عليه كلام الله أوجه وذلك لان عسى من
الافعال الجامدة واقتران الفاعل بالفعل أولى من اقتران المفعول لان الفاعل كالجزء
من الفعل ولهذا لم يحجز فيه أربع متحركات في مثل قول القائل نصرت وحوز في مثل
قولهم نصرت ولا ركل فعل له فاعل سواء كان لازما أو متعديا ولا كذلك المفعول به
فصبت وعساك كعصيت وعصاك في اقتران الفاعل بالفعل والمفعول به وأما قول من قال
عسى أنت تقوم وعسى ان أقوم فدون ما ذكرنا لتطو بلا الذى فيه (المسئلة الثانية)
ان سافه ام لا تقرير المواقفانه وقال على سبيل الاخبار عسيتم ان توليتهم لكان للخطاب
أن ينكره فاذا قال بصيغة الاستفهام كانه يقول أنا أسألك عن هذا أنت لا تدر أن
تجيب ابلا أنهم فهو مقرر عندك وعندى (المسئلة الثالثة) عسى للتوعد والله تعالى
عالم بكل شئ فنقول فيه ما قلنا في اهل وفي قوله انبلوه ان بعض الناس حال يفعل بتم فعل
الترجي والمبتلى والمتوقع وقال آخرون كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك ونحن قلنا
هو محمول على الحقيقة وذلك لان الفعل اذا كان ممكنا في نفسه فالنصر اليه غير مستلزما
وانما الامر يجوز أن يحصل منه تارة ولا يحصل منه أخرى فيكون الفعل كذلك الامر
المطلوب على سبيل الترجي سواء كان الفاعل يعلم حصول الامر منه وسواء أن لم يكن يعلم
مثاله من نصب شبكة لاصطياد الصيد يقال هو متوقع لذلك فان حصل له العلم بوقوعه فيه
باخبار صادق أنه سقع فيه أو بطر بق أخرى لا يخرج عن الوقوع غاية ما في الباب ان في
الشاهد لم يحصل لنا العلم فيما نتوقعه فيظن ان عدم العلم لازم للتوقع وليس كذلك بل
التوقع هو المنتظر لامر ليس بواجب الوقوع نظرا الى ذلك الامر فحسب سواء كان
له به علم أو لم يكن وقوله ان توليتهم فيه وجهان (أحدهما) انه من الولاية بمعنى ان أخذتم
الولاية وصار الناس بأمركم أفسدتم وقطعتم الارحام (وثانيهما) هو من التولى الذى

أمرين ما ذكر من
الافساد وقطع الارحام
وقيل ان أعرضتم عن
الاسلام أن ترجعوا الى
ما كنتم عليه في الجاهلية
من الافساد في الارض
بالغاوير والتأهب وقطع
الارحام بمقاتلة بعض
الافار ب بعضا ووأد
البنات وفيه أن الواقع
في حيز الشرط في مثل
هذا المقام لا بد أن تكون
محدور يشه باعتبار ما
يستتبعه من الفساد
لا باعتبار ذاته ولا ريب
في ان الاعراض عن
الاسلام رأس كل شر
وقساد فحقه أن يجعل
عمدة التوبيخ لاسئلة
للتوبيخ نادونه من المفسد
وهى وتتم على البناء
للمؤمن أى جعلتم ولاية
وقرى توليتهم أى توليتكم
ولاية جور خرجتم معهم
وساعدتموهم في الافساد
وقطعية الرحم وقرى
وتقطعوا عن التقطع
بجذف احدى التاءين
فان تصاب ارحامكم
حينئذ على زرع الجار
أى في ارحامكم وقرى
وتقطعوا من القطع

﴿ هو ﴾

والحاق الضمير بعسى لغة أهل الحجاز وأما بتويعم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا

(أولئك) إشارة إلى المخاطبين بطريق الانتقالات ايذاناً بأن ذكر هياتهم أوجب استماعهم من رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ ﴿٥٤٥﴾ خبره (الذين لعنهم الله) أي أبعدهم من رحمة (فأصمهم)

هو الاعراض وهذا مناسب لما ذكرنا أي ان كنتم تتركون القتال وتقولون فيه الافساد وقطع الارحام لكون الكفار أقاربنا فلا يقع منكم الاذنب حيث تقاتلون على أنبيء شئ كما كان عادة العرب (الاول) يؤكد قراءة من قرأ وليتم قراءة على عليه السلام تواتر أي ان تولاكم ولا غلظة جفافة غشمة ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بأفسادهم منهم وقطعت أرحامكم والنبى عليه السلام لا يأمركم الا بالاصلاح وصلة الارحام فلم تقاعدون عن القتال وتباعدون في الضلال * ثم قال تعالى (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) إشارة لمن سبق ذكرهم من المنافقين أبعدهم الله عنه وعن الخير فأصمهم فلا يسمعون الكلام المستبين وأعمى أبصارهم فلا يذوقون الصراط المستقيم وفيه ترتيب حسن وذلك من حيث أنهم استمعوا الكلام العلى ولم يفهموه فهم بالنسبة اليه صم أصمهم الله وهذا الامر بالعمل تركوه وعللوا بكونه افساداً وقطعاً للرحم وهم كانوا يتعاطونه عند النهى عنه فلم يروا حالهم وما هم عليه وتركوا اتباع النبى الذى يأمرهم بالاصلاح وصلة الارحام وادعاهم من يأمر بالافساد وقطعة الرحم لا يتبعوه فهم عمى أعماهم الله وفيه لطيفة وهي ان الله تعالى قال أصمهم ولم يقل أصم أذانهم وقال أعمى أبصارهم ولم يقل أعماهم وذلك لان العين آلة الروية وأصابها آفة لا يحصل الابصار والاذن لو أصابها آفة من قطع أو قلع نسمع الكلام لان الاذن خلقت وخلق فيها تعاريج ليكثر فيها الهواء المتوج ولا يقرع الصماخ بعنف فيؤذى كما يؤذى الصوت القوى فقال أصمهم من غير ذكر الاذن وقال أعمى أبصارهم مع ذكر العين لان البصر ههنا بمعنى العين ولم نذكر جمعه بالابصار او كل مصدرها لما جمع فلم يذكر الاذن اذ لا يدخلها في الاصمام والعين لها مدخل في الروية بل هي الكل ويدل عليه ان الآفة في غير هذه المواضع لما أضافها الى الاذن سماها وعما كما قال تعالى وفي آذاننا وقرو وقال كان في آذنيه وقرا والوقردون الصم وكذلك انطرش * ثم قال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ولذا ذكر تفسيرها في مسائل (المسئلة الاولى) لما قال الله تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم كيف يمكنهم التدبر في القرآن قال تعالى أفلا يتدبرون وهو كقول القائل للاعمى أبصر والاصم اسمع فتقول (الجواب) عنه من ثلاثة أوجه مترتبة بعضها أحسن من البعض (الاول) تكليفه ما لا يطاق جاز والله أمر من علم انه لا يؤمن بأن يؤمن فكذلك جاز أن يعصمهم ويذمهم على ترك التدبر (الثانى) ان قوله أفلا يتدبرون المراد منه الناس (الثالث) ان نقول هذه الآية وردت محققة لمعنى الآية المقدمة فانه تعالى قال أولئك الذين لعنهم الله أي أبصدهم عنه أو عن الصدق أو عن الخير أو غير ذلك من الامور الحسنة فأصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام وأعمى أبصارهم لا يتبعون طريق الاسلام فاذن هم بين أمرين اما لا يتدبرون القرآن فيبعدون منه لان الله تعالى لعنهم وأبصدهم عن الخير والصدق والقرآن منهما الصنف الاعلى بل النوع الاشرف واما يتدبرون لكن لا تدخل معانيه في

عن استماع الحق تصاميم
عنه بسوء اختيارهم
(رأعى أبصارهم)
لتعاميم عايشاهدون
من الآيات المنصوبة
في النفس والآفاق
(أفلا يتدبرون القرآن)
أي الايلا حظونه ولا
يتصفونه وما فيه من
المواظف والزواجر حتى
لا يبقوا فيما وقعوا فيه
من الموبقات (أم على
قلوب أقفالها) فلا يكاد
يصل اليها ذكر أصلاً
وأم منقطة وما فيها
من معنى بل للانتقال من
التوخيح بكون قلوبهم
مقفلة لا تقبل التدبر
والفكر والهمزة لتعريف
وتكبير القلوب امانتهم بل
حالتها وتفظيم شأنها
بابهام أمرها في القساوة
والجهالة كأنه قيل على
قلوب منكرا لا يعرف
حالتها ولا يقادر قدرها
في القساوة واما لان المراد
بها قلوب بعض منهم
وهم المنافقون واصنافه
الاقفال اليها للدلالة
على انها أقفال مخصوصة
بها مناسبة لها غير
مجانسة لسائر الاقفال

المهودة وقرئ أففلها واقفالها ﴿٦٩﴾ سا على المصدر (ان الذين ارتدوا على أديبارهم) أي رجعوا الى ما كانوا

عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وضعوا فيما سلف مرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به هذه الصلاة والسلام (من بعد ما تبين لهم ﴿ ٥٤٦ ﴾ الهدي) بالدلائل الظاهرة والمعجزات

القاهرة وقبل هم اليهود
وقيل أهل الكتابين
جما كفروا به عليه
الصلاة والسلام بهما
وجدوا وانتم في كتابهم
وجرفوا أنه المنعوت بذلك
وقوله تعالى (الشیطان
سولهم) جملة من مبتدأ
وخبر وقت خبر الان أي
سهل لهم ركوب العظام
من السول وهو الاسترخاء
وقيل من السول المنخف
من السؤل لاستمرار
القلب فعني سؤل له أمرا
حينئذ أوقعه أميته فان
السؤل الامنية وقرئ
سؤل مینیا للفعول على
حذف المضاف أي كيد
الشیطان (وأملى لهم)
وسدلهم في الامنی
والآمال وقيل امهالهم
الله تعالى ولم يعاجلهم
بالعقوبة وقرئ وأملى
لهم على صيغة التكلم
فالمعنى أن الشیطان
ینو بهم وأنا أنظرهم
فالواو للمحال أو للاستئناف
وقرئ أملى لهم على البناء
للفعول أي أمهلوا ومد
في صبرهم (ذلك) إشارة
الی ما ذكر من ارتدادهم
لالی الاملاء كما نقل عن

فلو بهم لكونها مقفلة تقديره أقل يتدبرون لقا آسكونهم ما عودت سيودين أم على
قرب افعال فيتدبرون ولا يفهمون وعلم هذا لا يحتاج ان تقول أم بمعنى بل بل هي على
حقيقتهما الاستفهام واقعة في وسط الكلام ولهم ما أحدث مكانها وهو الصدر وأم
دخلت على القلوب التي في وسط الكلام (المسئلة الثانية) قوله على قلوب على التذكير
ما فائدته فيقول قال الرخشمي يحتمل أن يكون التثنية على كونه
موصوفا لان التكرة بالوصف أولى من المعرفة فكأنه قال أم على قلوب قاسية أو مظلمة
(الثاني) أن يكون للتبعض كأنه قال أم على بعض القلوب لان التكرة لانهم نقول جاءني
رجال فيفهم البعض وجاءني الرجال فيغيب الكل ونحن نقول التذكير للقلوب للتبعية على
الانكار الذي في القلوب وذلك لان القلب اذا كان عارفا كل معروفا لان القلب خلق
للمعرفة فاذا لم تكن فيه المعرفة فكانه لا يعرف وهذا كما قول القائل في الانسان المؤذي
هذا ليس بانسان هذا سبع ولذلك يقال هذا ليس بقلب هذا حبرا اذا علم هذا فالتعريف اما
بالالف واللام واما بالاضافة واللام لتعريف الجنس أو لانه ولم يمكن ارادة الجنس
اذ ليس هلى كل قلب قفل ولا تعريف العهد لان ذلك القلب ليس ينبغى أن يقال له قلب واما
بالاضافة فان نقول على قلوب أفعالها وهي لعدم عود فائدة اليهم كأنها ليست لهم فان قيل
فقد قال ختم الله على قلوبهم وقال فويل للقاسية قلوبهم فنتقول الافعال أبلغ من الختم
فتلك الاضافة لعدم انتفاعهم رأسا (المسئلة الثالثة) في قوله أفعالها بالاضافة ولم يقل
افعال كما قال قلوب لان الافعال كانت من شأنها فاضافها اليها كأنها ليست الا وهما وفي
الجملة لم يضاف القلوب اليهم لعدم نفعها اليهم واضاف الافعال اليها لكونها مناسبة لها
ونقول أراد به افعالا مخصوصة هي افعال الكفر والعناد * ثم قال تعالى (ان الذين
ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سؤل لهم وأملى لهم) إشارة الى
أهل الكتاب الذين تبين لهم الحق في التوراة بعث محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه وارتدوا
أوالى كل من ظهرت له الدلائل وسمعها ولم يؤمن وهم جماعة منعهم حب الرياسة عن اتباع
محمد عليه السلام وكانوا يقولون انه الحق الشيطان سؤل لهم وأملى لهم يعني قالوا
نعيش أيا ما نؤمن به وقرئ وأملى لهم فان قيل الاملاء والامهال وحق الآجال لا يكون
الامن الله فكيف يصح قراءة من قرأ وأملى لهم فان المولى حينئذ يكون هو الشيطان
نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) جاز أن يكون المراد وأملى لهم الله فيقف على
سؤل لهم (وثانيهما) هو ان السؤل أيضا ليس هو الشيطان وانا أسند اليه من حيث ان
الله قدر على يده ولسانه ذلك فذلك الشيطان يلبسهم ويقول لهم في آجالكم فسمعتهم فتمتوا
برياستكم ثم في آخر الامر تؤمنون وقرئ وأملى لهم بفتح الياء وضم الهمزة على البناء
للفعول * ثم قال تعالى (فكذبهم قالوا الذين كرهوا ما نزل الله سنطبعكم في بعض الامر
والله يعلم اسرارهم) قال بعض المفسرين ذلك إشارة الى الاملاء أي ذلك الاملاء بسبب

الواحدى ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا عن القول الآتى وهو مبتدأ خبره قوله ﴿ انهم ﴾
تعالى (بانهم) أي بسبب انهم

(قالوا) بمعنى المناقضين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نعمة في التوراة كما قيل كان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض ^{٥٤٧} صدورهم عنهم سواء كان القول لهم المناقضين أو المشركين

انهم قالوا للذين كرهوا وهو اختيار الواحدى وقال بعضهم ذلك اشارة الى التسويل ويحتمل ان يقال ذلك الارتداد بسبب انهم قالوا سنطيعكم وذلك لاننا نبين ان قوله سنطيعكم في بعض الامر هو انهم قالوا نوافقكم على ان محمد ليس برسول وانما هو كاذب ولكن لانوافقكم في انكار الرسالة والحشر والاشراك بالله مع الاجتنام ومن لم يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام فهو كافر وان آمن بغيره لا يل من لم يؤمن بمحمد عليه السلام لا يؤمن بالله ولا يرسله ولا بالحشر لان الله كما أخبر عن الحشر وهو جاز أخير عن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وهي جائزة فاذا لم يصدق الله في شئ لا ينفي الكذب بقول الله في غيره فلا يكون مصدقا موقفا بالحشر ولا برسالة أحد من الانبياء لان طريق معرفتهم واحد والمراد من الذين كرهوا ما نزل الله من المشركون والمناقضون وقبل المراد اليهود فان أهل مكة قالوا لهم نوافقكم في اخراج محمد وقوله وقاتل اصحابه والاول اصح لان قوله كرهوا ما نزل الله لو كان مستندا الى أهل الكتاب لكان مخصوصا بيهض ما نزل الله وان قلنا بانه مستند الى المشركين يكون عاما لانهم كرهوا ما نزل الله وكذبوا المرسل بأسرهم وانكروا الرسالة رأسا وقوله سنطيعكم في بعض الامر يعني فيما يتعلق بمحمد من الايمان به فلا يؤمن والكذب به فكذبته كما تكذبونه والقتال معه وأما الاشراك بالله واتخاذ الانداله من الاصنام وانكار الحشر والنبوة فلا وقوله والله يعلم اسرارهم قال أكثرهم المراد منه هو انهم قالوا ذلك سرا فاشاء الله وأظهره لنبه عليه السلام والاظهر ان يقال والله يعلم اسرارهم وهو ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد عليه السلام فانهم كانوا مكابرين معاندين وكانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناءهم وقرى اسرارهم يكسر الهمزة على المصدر وما ذكرنا من المعنى طهر على هذه القراءة فانهم كانوا يسرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وعلى قولنا المراد من الذين ارتدوا المناقضون فكانوا يقولون للجهالدين من الكفرة سنطيعكم في بعض الامر وكانوا يسرون انهم انقلبوا كما قال الله تعالى ^{٥٤٨} ان نصر من ربك فاعلم انك انت معكم وقال تعالى فاذا جاء الخوف ساقواكم باسنة حديد ^{٥٤٩} ثم قال تعالى (فكيف اد توبتهم الملائكة يضربون وجوههم وأديبارهم) انه ناقلا الله تعالى والله يعلم اسرارهم قال فذهب عنهم اسرارهم والله لا يظهره ابيوم فكيف بقي مخفيا وقت وفاتهم أو تقول كما قال تعالى والله يعلم اسرارهم وذهب عنهم يختارون القتال ذافنه من اضراب والسمان مع انه مقيد على الوجهين جميعا ان هابوا فالمال في الحال والثواب في المال وان هابوا وشهادة والسعادة فكيف حالهم اذا ضرب وجوههم وأديبارهم وعلى هذا فيه لطيفة وهي ان القتال في الحلال ان أهدم المبارز فر بما يهزم الخصم ويسلم وجهه وفضاه وان لم يهزمه فاضرب على وجهه ان صبر وثبت وان لم يثبت وان هزم فان قاتل القرن فقد سلم وجهه وفضاه وان لم يفته فاضرب على قضاة لا غير ويوم الوفاة لانصرته ولا مقر فوجهه وظهوره مضروب مطعون فكيف يحترض عن الاذى

على رأى القائل بل من حين بعثته عليه الصلاة والسلام (للذين كرهوا ما نزل الله) أى لليهود الكافرين لتزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطعنا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى (سنطيعكم في بعض الامر) عبارة قطعا عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم ترى الذين ناقضوا بقرانهم لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لتخرجن معكم ولا تطع فكم أحد أبدا وان قوتلتهم لنصبرنكم وهم يتوقرون بظلمة والضيم الذين كانوا يواونهم ويواونونهم وأرادوا باليهض الذى أشاروا الى عدم اطاعتهم في اظهار كفرهم وعلانية امرهم بالفضل قائلهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا بأبوز ذلك قبل اساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم

في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى (والله يعلم اسرارهم) أى اخفاءهم لما يقولونه

للإهود وقرى أسرارهم أي جميع أسرارهم التي من جعلها قلوبهم هذا وبالجملة اعتراض ضروري لما قبله متضمن للاقتداء في الدنيا والتعذيب في الآخرة والغناء في قوله تعالى (فكيف إذا توفيتهم ﴿٥٤٨﴾ الملائكة) لترتيب ما بعدهما على

ما قبلها وكيف منصوب يفعل بخذوف هو العامل في الظرف كأنه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحبل فكيف يفعلون إذا توفيتهم الملائكة وقيل مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي فكيف حالهم أو حينئذ إذا توفيتهم الخ وقرى توفاهم على أنه ما مضى أو مضارع قد حذف إحدى تاءيه (يضربون وجوههم وأديبارهم) حال من فاعل توفيتهم أو من مفعوله وهو تصوير لتوفيتهم على أهل الوجوه وأذنتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية إلا يضرب الملائكة وجهه وديره (ذاك) التوفى الهائل (بأنهم) أي بسبب أنهم (اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر والمعاصي (وكرهوا رضوانه) أي ما يرضاه من الإيمان والطاعة حيث كفروا بعد الإيمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا

وتختار العذاب الأكبر * قوله تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) وفيه لطيفة وهي أن الله تعالى ذكر أمرين ضرب الوجد وضرب الأدبار وذكر بعدهما أمرين آخرين اتباع ما أسخط الله وكرهه رضوانه فكانت تعالى قابل الأمرين فقال يضربون وجوههم حيث أقبلوا على سخط الله فإن المتبع للشيء متوجه إليه ويضربون أديبارهم لأنهم تولوا عافيه رضاه الله فإن الكاره للشيء يتولى عنه وما أسخط الله يحتمل وجوها (الأول) انكار الرسول عليه الصلاة والسلام ورضوانه الإفرار به بالسلام (الثاني) الكفر هو ما أسخط الله والإيمان يرضيه يدل عليه قوله تعالى ان تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية الى ان قال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية الى ان قال رضي الله عنهم ورضوانه (الثالث) ما أسخط الله تسويل الشيطان ورضوان الله التعويل على البرهان والبرهان فان قيل هم ما كانوا يكرهون رضوان الله بل كانوا يقولون ان ما نحن عليه فيد رضوان الله ولا نطلب الارضاء الله وكيف لا والمشركون بأشراكهم كانوا يقولون اننا نطلب رضاه الله كما قالوا ليقرّبونا الى الله زلفى وقالوا ليشفعوا لنا فنقول معناه كرهوا ما فيه رضاه الله تعالى (وفيه لطيفة) وهي ان الله تعالى قال ما أسخط الله ولم يقل ما أَرْضَى الله وذلك لان رحمة الله سابقة فله رحمة تامة وهي منشأ الرضوان وغضب الله متأخر فهو يكون على ذنب فقال رضوانه لانه وصف ثابت لله سابق ولم يقل سخط الله بل ما أسخط الله اشارة الى أن السخط ليس ثبوته كثبوت الرضوان ولهذا المعنى قال في اللعان في حق المرأة والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من العاصقين فقال غضب الله مضافا لان اسائه قد سبق مظهر الزنا بقوله وأيمانه وقيله لم يكن الله غضب ورضوان الله أمر يكون منه الفعل وغضب الله أمر يكون من فعله ولنضرب له مثلا الكريم الذي رسخ الكرم في نفسه يجعله الكرم على الأفعال الحسنة فاذا كثرت السيئ الاساءة فنضبه لا لامر يعود اليه بل غضبه عليه يكون لاصلاح حاله وزجرا لامثاله عن مثل فعله فيقال هو كان الكريم فكرمه لمسافيه من العريضة الحسنة لكن فلانا أغضبته بظهور منه الغضب فيجمل الغضب ظاهرا من الفعل والفعل الحسن ظاهرا من الكرم فالتعجب في الكريم بعد فعل وانفعل منه بعد كرم ومن هذا يعرف لطف قواد ما أسخط الله وكرهوا رضوانه * ثم قال تعالى (فأحبط أعمالهم) حيث لم يطلبوا رضاه الله وانما طلبوا رضاه الشيطان والاصنام * قوله تعالى (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله اضغانهم) هذا اشارة الى المنافقين وأم تستدعي جملة أخرى استفهامية اذا كانت للاستفهام لا كلمة أم اذا كانت متصلة استفهامية تستدعي سبق جملة أخرى استفهامية يقال أزيد في الدار أم عمرو واذا كانت منقطعة لا تستدعي ذلك يقال ان هذا زيد أم عمرو وكما يقال بل عمرو والمفسرون على انها منقطعة ويحفل ان يقال انها استفهامية والسابق مفهوم من قوله تعالى والله يعلم أسرارهم فكانت تعالى قال

من المعاملة مع الإهود (فأحبط) لاجل ذلك (أعمالهم) التي عملوها حال إيمانهم من الطاعات ﴿٥٤٩﴾ حسب ﴿٥٤٨﴾ أو بعد ذلك من أعمال البر التي اعملوها حال الإيمان لانتفعوا بها (أم حسب الذين في قلوبهم مرض)

هم المنافقون الذين فصات أحوالهم الشبهة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار المانعي عليهم بقوله تعالى (أن لن يخرج الله أضغانهم) وأم منقطعة وأن ﴿ ٥٤٩ ﴾ مخفية من أن ضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف وإن بما في حيزها

أحسب الذين كفروا أن يعلم الله أسرهم أم حسب المنافقون أن لن يظهرها وانكل قاصروا عما أعلمها و يظهرها و يؤيد هذا ان المنقطعة لا تكاد تقع في صدر الكلام ولا يقال ابتداء بل جاز يدو لا أم جاء عمر و والاخراج بمعنى الاظهار فإنه ابراز و الاضغان هي الخمود و الأمر من واحد ما ضغن ثم قال تعالى (و لو نشاء لآرينا لكم فلعرفتهم بسيماهم و لعرفتهم في لحن القول و الله يعلم أعمالكم) إما كان مفهوما قوله أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم أن الله يظهر ضمائرهم و يبرز سر أروهم كان قائلا قل فلم يظهر فقال أخرناه لمحض المشبهة لالخوف منهم كالانقشأ أسرار الاكابر خوفا منهم و لو نشاء لآرينا لهم أي لا مانع لنا و الاراءة بمعنى التعريف وقوله فلنعرفتهم زيادة فائدة وهي ان التعريف قد يطلق و لا يلزم المعرفة يقال عرفته و لم يعرف و فحتمته و لم يفهم فقال ههنا فلنعرفتهم يعني عرفناهم تعريفنا تعرفهم به اشارة الى قوة التعريف و اللام في قوله فلنعرفتهم هي التي تقع في جزاء لو كما في قوله لآرينا لكم أم دخلت على المعرفة اشارة الى أن المعرفة كالمرتبة على المشبهة كأنه قال و لو نشاء لعرفتهم اي فهم أن المعرفة غير متأخرة عن التعريف فنفيد تأكيد التعريف أي او نشاء لعرفناك تعريفنا مع المعرفة لابعده و اما اللام في قوله تعالى و لعرفتهم جواب اقسام محذوف كأنه قال و لعرفتهم والله وقوله في لحن القول فيه وجوه (أحدها) في معنى القول وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد من القول قولهم أي لعرفتهم في معنى قولهم حيث يتناولون ما معناه اتفاق قولهم حين يحسب النصرانا كننا معكم وقولهم نحن رجسنا الى المدينة ليخرجن وقولهم اني يوتنا سورة وغير ذلك و يحتمل أن يكون المراد قول الله عز وجل أي لعرفتهم في معنى قول الله تعالى حيث قال ما تعلم منه حال المنافقين كقولهم تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله و اذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا و قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله و جات قلوبهم الى غير ذلك (وثانيها) في ميل القول عن الصواب حيث قالوا لم يعتقدوا قائلوا كلامهم حيث قالوا نشهد انك رسول الله و الله يعلم انك رسول الله و الله يشهد ان المنافقين لكاذبون و قالوا اني يوتنا سورة و ما هي بمورة و لقد كابر اعادوا الله من قبل لا يواون الاذبار الى غير ذلك (وثالثها) في لحن القول أي في الوجد الخفي من القول الذي يفهمه انبي عليه السلام و لا يفهمه غيره و هذا يحتمل أمرين أيضا النبي عليه السلام كان يعرف المنافق و لم يكن يظهر أمره الى ان أذن الله تعالى له في اظهار أمرهم و منع من الصلاة على جنازتهم و القيام على قبورهم و اما قوله بسيماهم فالتظاهر المراد ان الله تعالى لو شاء لجعل على وجوههم علامة أو يمسحهم كما قال تعالى و لو نشاء لمسخناهم و روى ان جماعة منهم أصبحوا و على جباههم مسكوب هذا مذاق و قوله تعالى و الله يعلم أعمالكم و عد للمؤمنين و بيان لكون حالهم على خلاف حال المنافق فان المنافق له قول بلا عمل و للمؤمن كان له عمل و لا يقول به و انما قوله التسميع و يدل عليه قوتعالى ربنا لاتواخذنا ان نسينا

خيرها و الاضغان جمع ضغن وهو الحقد أي بل أحسب الذين في قلوبهم حقد و عداوة للمؤمنين أنه لن يخرج الله أضغانهم و لن يبرزها رسول الله صلى الله عليه وسلم و للمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة و المعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال (و لو نشاء) ارايتهم (لآرينا لكم) لعرفناكم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة تامة لا روية و الالفات الى نون العظمة لابرار العناية بالاراءة (فلنعرفتهم بسيماهم) بملامتهم التي تسميهم بها و عن انس رضى الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم و لقد كنا في بعض القربوات و فيها تسمة من المنافقين يشكروهم الناس فتأمو ذات ليلة و أصبحوا و على كل واحد منهم مكتوب هذا منافق و اللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد و الغاء لترتيب المعرفة على الارادة و أم ما في قوله تعالى

(ولتفرقهم في الحن القول) فجواب قسم محدود وطن القول صوره وأسلوبه أو أماله إلى جهة تسمى بعض وتورية ومنه قيل للمتطعي لأحسن لمدله بالكلام عن سمات الصواب (والله يعلم أعمالكم) ﴿ ٥٥٠ ﴾ فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا قصد

أو أخطأنا وقوله ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وكانوا يعملون الصالحات ويتكلمون في السيئات مستعقرين مشفقين والمنافق كان يتكلم في الصالحات كقوله انامعكم قالت الاعراب آمننا من الناس من يقول آمنا ويعمل السيئ فقال تعالى الله يسمع أقوالهم الفارغة ويعلم أعمالكم الصالحة فلا يضيع * ثم قال تعالى (وانبلونكم حتى تعلم الجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) أي لتأمرنكم بما لا يكون متعبنا لا وقوع بل بما يحتمل الوقوع ويحتمل هدم الوقوع كما يفعل المختبر وقوله تعالى حتى تعلم الجاهدين أي تعلم الجاهدين من غير الجاهدين ويدخل في علم الشهادة فانه تعالى قد علم علم الغيب وقد ذكرنا ما هو التبعي في الابتلاء وفي قوله حتى تعلم وقوله الجاهدين أي المتقدمين على الجهاد والصابرين أي اللاحقين الذين لا يولون الادبار وقوله ونبلوا أخباركم يحتمل وجوهها (أحدها) قوله آمنا لان المنافق وجد منه هذا الخبر والمؤمن وجد منه ذلك أيضا وبالجهاد يعلم الصادق من الكاذب كما قال تعالى أو أئنت هم الصادقون (وثانيها) اخبارهم من عدم التولية في قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار الى غير ذلك فالؤمن وفي بعده وقائل مم أصحابه في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص والمنافق كان كالهباء يزهج بأدنى صيحة (وثالثها) المؤمن كان له أخبار صادقة مسموعة من النبي عليه السلام كقوله تعالى تدخلن المسجد الحرام لا غابن أنا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون والمنافق اخباره هي أراجيف كما قال تعالى في حقهم والمرجعون في المدينة فعند تحقق الأراجيف يبين الصادق من الأراجيف * ثم قال تعالى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاءوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ان يضروا الله شيئا وسيجلب أعمالهم) وفيه وجهان (أحدهما) هم أهل الكتاب قرينة والضمير (والثاني) كفار قرين يشيد على الاول قوله تعالى من بعد ما تبين لهم الهدى قيل أهل الكتاب تبين لهم صدق محمد عليه السلام وقوله ان يضروا الله شيئا تهديد معناه هم يظنون ان ذلك الشقاق مع الرسول وهم به يشاققونه وليس كذلك بل الشقاق مع الله فان محمدا رسول الله ما عليه الا البلاغ فان ضروا يضروا المراد لكن الله منزّه عن أن يضمر يكفر كافر وفسق فاسق وقوله وسيجلب أعمالهم معناه فان قل قد تقدم في أول السورة ان الله تعالى أحبط أعمالهم فكيف يجلب في المستقبل فتدول الجواب هذه من وجهين (أحدهما) ان المراد من قوله الذين كفروا يصدوا عن سبيل الله في أول السورة المشركون ومن أول الامر كانوا مبطلين وأعمالهم كانت على غير شريعة والمراد من الذين كفروا ههنا أهل الكتاب وكانت لهم أعمال قبل لرسول فاحبطها الله تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولا يفتهمهم ايمانهم بالحشر والرسول والتوحيد والكافر المشرك أحبط عمله حيث لم يكن على شرع أصلا ولا كان ممترقا الحشر (الثاني) هم وان المراد بالأعمال ههنا ما كان في القتال وذلك قد تحقق منهم والله سيطله حيث يكون الكسر للمؤمنين والمراد بالأعمال في أول السورة هو ما ظنوه حسنة * ثم قال

للمؤمنين و ايدان بان حالهم بخلاف حال المنافقين (وانبلونكم) بالامر بالجهاد ونحوه من التكليف الشاقفة (حتى تعلم الجاهدين منكم والصابرين) على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء (ونبلوا أخباركم) ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسناتها وقبحها وقرئ ويألو بالياء وقرئ نبلوا بسكون الواو على ونهن نبلوا (ان الذين كفروا وصدوا) الناس (عن سبيل الله و شاقوا الرسول) وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) بما شاهدوا نته عليه الصلاة والسلام في اتوراة و يما ظهروا على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قرينة لضمير او المظهور يوم بدر (ان يضروا الله) بكفرهم وصدهم (شيئا) من الاشياء أو شيئا من الضرر أو ان يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقفته شيئا وقد حذف

المضاف لتعظيمه وتفطيع مشاقفته (وسيحبط أعمالهم) أي مكابدهم التي نصبوها في ابطال ﴿ تعالى ﴾ دينه تعالى ومشاقفة رسوله عليه

الصلاة والسلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يفعلون من العوائل ولا تخربهم الاثمل والجلاد عن اوطانهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا ﴿ ٥٥١ ﴾ أعمالكم) بما يبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والتفارق

تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) انعم الله علينا من باب عطف المسبب على السبب يقال اجلس واسترح وقم واشد لان طاعة الله تحمل على طاعة الرسول وهذا اشارة الى العمل بعد حصول العلم كانه تعادى قال يا أيها الذين آمنوا علموا الحق فافعلوا الخير وقوله ولا تبطلوا أعمالكم يحتمل وجوها (أحدها) وموا على ما أنتم عليه ولا تشركوا وتبطل أعمالكم قبل تعالى لئن أشركت ليحبصن عملك (الوجه الثاني) لا تبطلوا أعمالكم بتك طاعة الرسول كما يبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب الرسول وعصيانه ويؤيده قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفوا أصواتكم لي أن قال أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (الثالث) لا تبطلوا أعمالكم بالن والافى كما قال تعالى يمتنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم وذلك ان من من باطاعة على الرسول كأنه يقول هذا فعلته لاجل قلبك واولا رضاك به لما فعلت وهو منافى للاخلاص والله لا يقبل الا العمل الخالص * ثم قال تعالى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) بين أن الله لا يغفر الشرك وما دون ذلك يغفره ان شاء حتى لا يظن ظان ان أعمالهم وان بطلت لكن فضل الله باق يغفر لهم بفضله وان لم يغفر لهم بمعملهم * ثم قال تعالى (فلانتهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يترجم أعمالكم) لما بين ان عمل الكافر الذي له صورة الحسنات محبط وذنبه الذي هو اقبح السيئات غير مغفور بين ان لاحرمة له في الدنيا ولا في الآخرة وقد أمر الله تعالى بطاعة الرسول بقوله وأطيعوا الرسول وأمر بالقتال بقوله فلانتهنوا أى لانضعفوا بعد ما وجد السبب في الحد في الامر والاجتهاد في الجهاد فقال فلانتهنوا وتدعوا الى السلم وفي الآيات ترتيب في غاية الحسن وذلك لان قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يقتضى السعى في القتال لان أمر الله وأمر الرسول ورد بالجهاد وقد أمروا بالطاعة فذلك يقتضى أن لا يضعف المكلف ولا يكسل ولا يهن ولا يتهان ثم ان بعد مقتضى قد يتحقق مانع ولا يتحقق المسبب والمانع من القتال اما أخروي واما دنيوي فذكر الأخروي وهو ان الكافر لاحرمة له في الدنيا والآخرة لانه لا عمل له في الدنيا ولا مغفرة له في الآخرة فاذا وجد السبب ولم يوجد المانع ينبغي أن يتحقق المسبب ولم يقدم المانع الدنيوي على قوله فلانتهنوا اشارة الى أن الامور الدنيوية لا ينبغي أن تكون مانعة من الايمان فلانتهنوا فان لكم النصر أو عليكم بالعزيمة على تقدير الاعترام للعزيمة ثم قال تعالى بعد ذلك المانع الدنيوي مع أنه لا ينبغي أن يكون مانعا ليس بوجود أيضا حيث أنتم الاعلون والاعلون والمصطفون في الجمم حالة الرفع معلوم الاصل ومعلوم ان الامر كيف آل الى هذه الصيغة في التصريف وذلك لان أصله في الجمع الموافق اعليون ومصطفون فسكنت الياء لكونها حرف علة فتحرك ما قبلها والواو كانت ساكنة فالتقى ساكنان ولم يكن بينهما حذف أحدهما أو تحريكه والتحرريك كان يوقع في المحذور الذي اجتنب منه فوجب الحذف والواو كانت

والعجب والرياء والمان والاذى ونحوها وبس فيه ليه على ط الطاعات والكبائر (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) حكم بعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في أصحاب الغيب (فلانتهنوا) أى لانضعفوا (وتدعوا الى السلم) أى ولانضعفوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنيا ويجوز أن يكون منصوبا باضمار أن على جواب النهي وقرئ ولانضعفوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتدوا والعصيدة وتراموه ومنه تراموا والهملال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على أحد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى (وأنتم الاعلون) جلة حالبة

مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجود الانتهاء وكذا قوله (والله معكم) فان كونهم الاعلين وكونه

من وجب ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يورهم الذل ﴿ ٥٥٢ ﴾ والضراعة وكذا توفيقه تعالى لا يجوز

الاعمال حسبا يعرب
عنه قوله تعالى (ولن
يتركم أعمالكم) أي وان
بضيعها من وترت الرجل
اذا قتلت له قتيلا من ولد
أو أخ أو حميم فأفردته
عنه من الوتر الذي هو
الغرد وعبر عن ترك الانابة
في مقابلة الاعمال بالوتر
الذي هو اضعافه شيء
معتد به من النفس
والاموال مع أن الاعمال
غير موجبة للثواب على
قاعدة أهل السنة ابرازا
اغاية اللطيف بتصوير
الثواب بصورة الحق
المستحق وتغزيل ترك
الانابة منزلة اضعافه
أعظم الحقوق واتلافها
وقدم في قوله تعالى
فاستجاب لهم ربهم
أني لأضع عمل عامل
منكم (انما الحياة الدنيا
لعاب ولهو) لا ثبات لها
ولا اعتداد بها (وان
تؤمنوا وتتقوا يوركم
أجوركم) أي ثواب
إيمانكم وتقواكم من
الباقيات الصالحات
التي يتنافس فيها
المتنافسون (ولا يستلکم
أموالکم) بحيث يخل
أداؤها بما شكم وانما اقتصر على نزع يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائکم

فيه ليعني لا يستفاد الا منها وهو الجمع فاستقطت الباء وبنى أعاون وبهذا الدليل صار في الخبر
أعلين ومصطفين بقوله تعالى والله معكم هداية وارشاد يمنع المكلف من الاعجاب بنفسه
وذلك لانه تعالى لما قال أتم الاعاون كان ذلك سبب الافتخار فقال والله معكم يعني ليس
ذلك من أنفسكم بل من الله أو تقول لما قال وأتم الاعلون فكان المؤمنون يرون ضعف
أنفسهم وقلتهم مع كثرة الكفار وشوكتهم وكان يقع في نفس بعضهم انهم كيف يكون انهم
الغلبة فقال ان الله معكم لا يبقى لكم شك ولا ارتياب في أن الغلبة لكم وهذا كقوله تعالى
لا تخبن أناورسلي وقوله وان جنودنا هم الغالبون وقوله وان يتركم أعمالكم وعد آخر وذلك
لان الله لما قال ان الله معكم كان فيه أن النصره بالله لا بكم فكان القائل يقول لم يصدر مني
عمل له اهتبار فلا استحق تعظيما فقال هو ينصركم ومع ذلك لا ينص من أعمالكم شيئا
ويجعل كأن النصره جعلت بكم ومنكم فكانتكم مستقلة في ذلك ويعطيتكم أجر المستبد
والنصرة النقص وعنه الوتر كأنه نقص منه ما يشغله ويقول عند القتال ان قتل من
الكافر ين أحد فقد وتروا في أهلهم وعملهم حيث نقص عددهم وضاع علمهم والمؤمن
ان قتل فانما ينقص من عدده ولم ينقص من عمله وكيف ولم ينقص من عدده أيضا فانه حتى
مر زوق فرح بما هو اليه مسوق ﴿ ثم قال تعالى ﴾ انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا
وتتقوا يوركم أجوركم ولا يسألکم أموالکم ﴾ زيادة في التسلية يعني كيف تمنعك الدنيا
من طلب الآخرة بالجهاد وهي لا تفوتك لكونك منصورا غالبا وان فاتتكم فعملك غير موتر
فكيف وما يفوتك فان فاتت ولم يموض لا ينبغي لك ان تلفت اليها لكونها عابا ولمها
وقد ذكرنا في اللعب واللهو مرارا ان اللعب ما تشغل به ولا يكون فيه ضرورة في الحال
ولا منفعة في المآل ثم ان استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم يثنه عن اشغاله المهمة
فهو عاب وان شغله ودهشه عن مهماته فهو لهو ولهذا يقال ملاهي لآلات الملاهي لانها
مشغلة عن الغير ويقال لما دونه لعب كاللعب بالسطرنج والحمام وقد ذكرنا ذلك غير مرة
وقوله وان تؤمنوا وتتقوا يوركم أجوركم إعادة للوعده والاضافة للتعريف أي الاجر الذي
وعدكم بقوله أجر كريم وأجر كبير وأجر عظيم وقوله ولا يسئلکم أموالکم يحتمل وجوها
(أحدها) ان الجهاد لا بد له من انفاق فلو قال قائل انما لا تنفق مالي فيقال له الله لا يسئلکم
مالکم في الجهات المعينة من الزكاة والغنيمه وأموال المصالح فيما يحتاجون اليه من المال
لا ترعون باخراجه (وثانيها) الاموال لله وهي في أيديكم طارئة وقد طلب منكم أو أجاز
لكم في صرفها في جهة الجهاد فلا معنى لاجتلكم بماله والى هذا أشار بقوله تعالى ومالکم
أن لا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والارض أي الكل لله (وثالثها) لا يسئلکم
أموالکم كلها وانما يسألکم شيئا يسيرا منها وهو ربع العشر وهو قليل جدا لان العشر هو
الجزء الاقل اذا ليس دونه جزء آخر وليس اسما مفردا وأما الجزء من أحد عشر ومن اثني
عشر ومن مائة جزء لما لم يكن ملتقنا اليه لم يوضع له اسم مفرد ثم ان الله تعالى لم يوجب ذلك

(ان يسألكموها) أي أموالكم (فيحفظكم) أي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والاحلاف البالغة وبلوغ الغاية يقال أحق شاربه اذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا ﴿ ٥٥٣ ﴾ (ويخرج أضغانكم) أي أحقادكم وضيق

في رأس المال بل أوجب ذلك في الربح الذي هو من فضل الله وعطائه وان كان رأس المال أيضا كذلك لكن هذا المعنى في ربح أظهر ولما كان المال منه ما ينفق للتجارة فيه ومنه ما لا ينفق وما تنفق منه للتجارة أحد قسميه وهو يحتمل أن تكون التجارة فيه رابحة ويحتمل أن لا تكون رابحة فصار القسم الواحد قسمين فصار في التقدير كان الربح في ربه فأوجب عشر الذي فيه الربح وهو عشر فهو ربع العشر وهو الواجب فعلم ان الله لا يسألكم أموالكم ولا الكثير منه * ثم قال تعالى (ان يسألكموها فيحفظكم) أي يخرج أضغانكم) الفاء في قوله فيحفظكم بلاشارة أي أن الاحفاء يتبع السؤال بيانا لشح النفس وذلك لأن العطف بالواو قد يكون الحثين والفاء لا يكون إلا للتعاقبين أو متعاقبين أحدهما بالآخر فكأنه تعالى بين ان الاحفاء يقع حث السؤال لأن الانسار بمجرد السؤال لا يعطى شيئا وقوله تبخلوا ويخرج أضغانكم يعني ما طلبها ولو طلبها ما الخ عليكم في الطلب ليجتهد كيف وأنتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلوا بالكثير وقوله ويخرج أضغانكم يعني بسببه فان الطالب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يطلبونكم وأنتم لمحبة المال وشح النفس تمتعون فيفضي الى القتال وتظهر به الضغائن * ثم قال تعالى بيانا لما قاله (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فتمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء) قد طلبت منكم اليسير فبخلتم فكيف لو طلبت منكم الكل وقوله هؤلاء يحتمل وجهين (أحدهما) ان تكون موصولة كأنه قال أنتم هؤلاء الذين تدعون لتنفقوا في سبيل الله (وثانيهما) هؤلاء وحدها خبر أنتم كما يقال أنت هذا تحقيقا مشهورة والظهور أي ظهر أثركم بحيث لا حاجة الى الاخبار عنكم بامر مغاير ثم يتدى تدعون وقوله تدعون أي الى الاتفاق اما في سبيل الله تعالى بالجهاد واما في صرفه الى المستحقين من اخوانكم وبالجملة ففي الجهتين تغزبل الاعداء ونصرة الاولياء فمنكم من يبخل ثم بين ان ذلك البخل ضرر عائد اليه فلا تظنوا انهم لا ينفقونه على غيرهم بل لا ينفقونه على أنفسهم فان من يبخل باجرة الطيب وثمن الدواء وهو مريض فلا يبخل الا على نفسه ثم حث ذلك بقوله والله الغني غير محتاج الى ما لكم وأتمه بقوله وأنتم الفقراء حتى لا تقولوا اننا ايضا أغنياء عن القتال ودفع حاجة الفقراء فانهم لا غنى لهم عن ذلك في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فلانه لولا القتال لقتلوا فان الكافرين لم يغزبوا المحتاج ان لم يدفع حاجته يقصده لاسيما اباح الشارع للمضطرد ذلك واما في الآخرة فظاهر فكيف لا يكون فقيرا وهو موقوف مسؤل يوم لا ينفق مال ولا ينون * ثم قال تعالى (وان تتولوا يستبدن قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) بيان الترتيب من وجهين (أحدهما) انه ذكره بيانا للاستغناء كما قال تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وقد ذكر ان هذا تقرير بعد التسليم كأنه تعالى يقول الله الغني عن العالم باسمه فلا حاجة له اليكم فان كان ذاهب

يخرج الله تعالى ويعضده
اقرائة بنون العظيمة
أو لا يبخل لانه سبب
الاضغان وقرى يخرج
من الخروج بالياء والهاء
سندا الى الاضغان (ها
أنتم هؤلاء) أي أنتم
أيها المخاطبون هؤلاء
الموصوفون وقوله تعالى
(تدعون لتنفقوا في سبيل
الله) استئناف مقرر لذلك
أوصلة له ولا بد على انه
يعني الذين أي ها أنتم
الذين تدعون ففقد توبخ
عظيم وتحف من شأنهم
والانفاق في سبيل الله
يعم نفقة الغزو والزكاة
وغيرهما فمنكم من
يبخل أي ناس يبخلون
وهو في حيز الدليل على
الشرطية السابقة (ومن
يبخل فانما يبخل عن
نفسه) فان كلاما نفع
التفاق وضررا البخل عائد
اليه والبخل يستعمل
بعين ودلى لتضمنه معنى
الامسالك والتغدي
(والله الغني) دون من
عداه (وأنتم الفقراء)
فما يأمركم به فهو
لاحتياجكم الى ما فيه
من المنافع فان امتثلتم
فليكم وان

توليتهم فعليكم وقوله تعالى (وان تولوا) عطف على ﴿ ٥٥٤ ﴾ ان تولوا أي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى

بذهب الى ان ملكه بالعالم وحيوته يظهر به وعظامة بعباده فتقول هذا الباطل حق لكنكم غير متعينين له بل الله قادر على ان يخاق حلفاءكم غيركم فيغترون بعبادته وعالمها غير هذا شهيد بعظمته وكبريائه (وثانيها) انه تعالى لما بين الامور وأفاد عبها لبراهين واوضحها بالامثلة قال ان طمتم فلانكم احررتم زيادة ان تتوا والم يبق لكم الا الاهلاك فان ما من نبي انذر قومه وأصروا على تكذيبه وقوفه حق عليهم اقول بالاهلاك وطهر الله الارض منهم وأي قوم آخرين طهر من وقوله ثم يكونوا أمثالكم فيه مسألة نحوية يتبين منها فوائد عزيزة وهي ان النجاء ما لا يجوز في المعاصي وعلى جواب اشترط بالواو والغاء ثم الجزم والرفع جميعا قال الله تعالى ههنا وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم بالجزم وقال في موضع آخر وان تولوا يكونوا أمثالكم لا ينصرون بالرفع باثبات انون وهو مع الجواز ففيه تدقيق وهو ان ههنا لا يكون متعلقا بالتولي لانهم ان لم يتولوا يكونون ممن يأتي بهم الله على اطاعة وان تولوا لا يكونون مثلهم لكونهم عاصين وكور من يأتي بهم مطيعين وأما هناك سواء قائلوا أولم يقلوا لا ينصرون فلم يكن للتعليق هناك وجه فرغ بالابتداء وههنا جزم للتعليق وقوله ثم لا يكونوا أمثالكم يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون المراد لا يكونوا أمثالكم في الوصف ولا في الجنس وهو لا يثنى (الوجه الثاني) وفيه وجوه (أحدها) قوم من العجم (وثانيها) قوم من فارس روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن يستبدل بهم ان تولوا وسلمان الى جنبه فقال هذا وقومه ثم قال لو كان الايمان منوطا بالثريا ناله رجال من فارس (وثالثها) قوم من الانصار والله أعلم والمحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه وعترته وأهل بيته أجمعين وسلم تسليما كثيرا آمين

(سورة الفتح عشرون وتسع آيات مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا فتحنا لك فتحا مبينا يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ويتصرك الله نصرا عزيزا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في الفتح وجوه (أحدها) فتح مكة وهو ظاهر (وثانيها) فتح الروم وغيرها (وثالثها) المراد من الفتح صلح الحديبية (ورابعها) فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان (خامسها) المراد منه الحكم كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله ثم يفتح بيننا بالحق والمختار من الكل وجوه (أحدها) فتح مكة والآخر فتح الحديبية والثالث فتح الاسلام بالآية والبيان والحجة والبرهان والاول مناسب لاخر ما قبلها من وجوه (أحدها) انه تعالى لما قالها أنتم هؤلاء تصدون لثقتنا في سبيل الله الى أن قال ومن ينجل فأنما ينجل عن نفسه بين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما أنفقوا واو نخلوا الضاع عنهم ذلك فلا يكون بخلهم الاعلى أنفسهم (ثانيها) لما قال والله معكم وقال وأنتم

(يستبدل قوما غيركم)
يخلف مكانكم وما
آخرين (ثم لا يكونوا
أمثالكم) في التولي عن
الايمان والشرى بل
يكونوا راضين فيهما
وقيل هم الانصار وقيل
الملائكة وقيل أهل
فارس لما روى أنه عليه
الصلاة والسلام سئل
عن القوم وكان سلمان
الى جنبه فضرب على
فخذه فقال هذا وقومه
والذي نفسى بيده لو كان
الايمان منوطا بالثريا تناوله
رجال من فارس وقيل
كعدة والخم وقيل العجم
وقيل الروم * عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة محمد كان
حقا على الله عز وجل
أن يسقيه من أنهار الجنة
* (سورة الفتح مدنية
نزلت في مرجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم
من الحديبية وآيها
تسع وعشرون) *
* (بسم الله الرحمن
الرحيم) * (انا فتحنا لك
فتح البلد عبارة عن
الظفر به عنوة أو صلحا
بحراب أو بدونه فانه
مالم يظفر به منغلق ما خرد من فتح باب الدار واستناده الى نون العظيمة لاستناد أفعال الخواص الاعلون *

مالم يظفر به منغلق ما خرد من فتح باب الدار واستناده الى نون العظيمة لاستناد أفعال الخواص الاعلون *

العباد به تعالى خلقوا ويجادوا المراد به ﴿ ٥٥٥ ﴾ فتح مكة شرفها الله وهو المروي عن أنس رضي الله عنه بشره رسول

الاهلون بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون (ثالثها) لما قال تعالى فلاتهنوا
وتدعوا الى السلم وكان معناه لانسألوا الصلح من عندكم بل اصبروا فانهم يسألون الصلح
ويجتهدون فيه كما كان يوم الحديبية وهو المراد بالفتح في أحد الوجوه وكما كان فتح مكة
حيث أتى صناديد قریش مستأمنين ومؤمنين ومسلمين فان قيل ان كان المراد فتح مكة
فمكة لم تكن قد فُتحت فكيف قال تعالى ففتنناك فتحها مينا بلفظ الماضي نقول الجواب
عنه من وجهين (أحدهما) فتحنا في حكمنا وتفتحنا بنا (ثانيهما) ما قدره الله تعالى فهو
كأن فآخبر بصيغة الماضي اشارة الى أنه أمر لادافع له ووقع لارفع له (المسئلة الثانية)
قوله ليغفر لك الله نبي من كون الفتح سببا للمغفرة والفتح لا يصلح سببا للمغفرة فالجواب
عنه نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ما قيل ان الفتح لم يحصل له سببا للمغفرة وحدها
بل هو سبب لاجتماع الامور المذكورة وهي المغفرة واتمام الشعة والهداية والنصرة
كأنه تعالى قال ليغفر لك الله ويتم نعمته ويهديك وينصرك ولا شك ان الاجتماع لم يثبت
الا بالفتح فان الشعة به تمت والنصرة بعده قد تمت (الثاني) هو ان فتح مكة كان سببا
لتطهير بيت الله تعالى من رجس الاوثان تطهير بيته صار سببا لتطهير عبده (الثالث)
هو ان بالفتح يحصل الحج ثم الحج تحصل المغفرة ألا ترى الى دعاء النبي عليه الصلاة والسلام
حيث قال في الحج اللهم اجعله حجبا برورا وسعيا مشكورا وذنبيا مغفورا (الرابع) المراد
منه التعريف تقديره اننا ففتنناك ليعرف انك مغفور ومعصوم فان الناس كانوا يعلموا بعد
عام الغيل ان مكة لا يأخذها عدو الله المسخوط عليه وانما يدخلها و يأخذها حبيب الله
المغفوره (المسئلة الثالثة) لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ذنبا فاذ يغفر له قلنا الجواب
عنه قد تقسم مرارا من وجوه (أحدها) المراد ذنب المؤمنين (ثانيها) المراد ترك الافضل
(ثالثها) الصغار فانها جائزة على الايتام بالسهم والعمد وهو يصونهم عن العجب
(رابعها) المراد العصمة ومدينا وجهه فوسوة افعال (المسئلة الرابعة) ما معنى قوله
وما تأخرت من فيه وجوه (أحدها) انه وعد النبي على السلام بأنه لا يذنب بعد النبوة
(ثانيها) ما تقدم على فتح وما تأخر عن الفتح (ثالثها) العموم يقال اضرب من لقيت ومن
لانتقاه مع ان من لا يلقى لا يمكن ضربه اشارة الى العموم (رابعها) من قبل النبوة ومن
بعدها وعلى هذا فيقبل النبوة بالعموم وما يدعيها العصمة وفيه وجوه أخر ساقمة منها قول
بعضهم ما تقسم من أمر مارية وما تأخر من أمر زينب وهو أبعد الوجوه وأسقطها
لعدم التام الكلام وهو له تعالى ويتم نعمته عليك يحتمل وجوها (أحدها) هو ان
التكليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو آخر التكليف والتكليف نعم (ثانيها)
يتم نعمته عليك باخلاء الارض لك عن معانديك فان يوم الفتح لم يبق للنبي عليه الصلاة
والسلام حدودا واعتبار فان بعضهم كانوا أهل كوايوم بدر والباقون آمنوا واستأمنوا
يوم الفتح (ثالثها) ويتم نعمته عليك في الدنيا باستجابة دعائك في طلب الفتح وفي الآخرة

الله صلى الله عليه وسلم عند
انصرافه من الحديبية
والتعبير عنه بصيغة
الماضي على سنن سائر
الاخبار الرابطة للايدان
بتحققه لا بحالته كما
التبشير كما أن تصدير الكلام
بحرف التحقيق لذلك
وفيه من القناعة المنبئة
عن عظمة شأن المخبر جل
جلاله وحر سلطانه ما
لا يخفى وقيل هو ما أتى به
عليه الصلاة والسلام
في تلك السنة من فتح
خيبر وهو المروي عن
مجاهد وقيل هو صلح
الحديبية فانه وان لم يكن
فيه حراب شديد بل
ترام بين الفريقين بسهام
وحجارة لكن لما كان
الظهور للمسلمين حيث
سأهم المشركون الصلح
كان فتحا بلاريب وروى
عن ابن عباس رضي الله
عنها رموا المشركين
حتى أدخلوهم ديارهم
وعن الكلبي طهر واعلبيهم
حتى سأوا الصلح وقدروى
أنه عليه الصلاة والسلام
حين بلغه أن رجلا قال
ما هذا بفتح اقد صدنا
عن البيت وصد هدينا
قال بل هو أعظم الفتح وقدرضى المشركون أن يدفعوكم بالراح

وبسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا ﴿ ٥٥٦ ﴾ منكم ما بكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية

بقبول شفاعتك في الذنوب ولو كانت في غاية الفجح وقوله تعالى و يهديك صراطا مستقيما
يحمل وجوها (أظهرها) يديك على الصراط المستقيم حتى لا يبقى من انفتحت الى قوله من
المضلين أو ممن بقدر على الكفر وهذا يوافق قوله تعالى ورضيت لكم
الاسلام دينا حيث أهانت المجادلين فيهم وحثهم على الايمان (وثانيها) ان يقال جعل
الفتح سببا للهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على المؤمن الجهاد لهم بلغوا ند
العاجلة بالفتح والآجلة بالوعد والجهاد سلوك سبيل الله ولهذا يقال للغازي في سبيل
الله مجاهد (وثالثها) ما ذكرنا ان المراد التعريف أي يعرف انك على صراط مستقيم من
حيث ان الفتح لا يكون الا على يد من يكون على صراط الله بدليل حكاية الفيل وقوله
وينصرك الله نصرا عزيزا ظاهر لان بالفتح ظهر النصر واشتهر الامر وفيه مستلذان
(أحدهما) لفظية والاخرى معنوية اما اللفظية فهي ان الله وصف النصر بكونه عزيزا
والعزيز من له النصر والجواب من وجهين (أحدهما) ما قاله الزنجشيري انه يحتمل وجوها
ثلاثة (الاول) معناه نصر اذا عز كقوله في عيشة رضية أي ذات رضا (الثاني) وصف
النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازا يقال له كلام صادق كما يقال له متكلم صادق
(الثالث) المراد نصر اعز من صاحبه (الوجه الثاني) من الجواب ان نقول انما يلزمنا
ما ذكره الزنجشيري من التقديرات اذا قلنا العزة من الغلبة والعز يز الغالب وأما اذا
قلنا العز يز هو النفيس اقليل النظر أو المحتاج اليه الليل الوجود يقال عزاشي اذا قل
وجوده مع انه محتاج اليه فان نصر كل محتاج اليه ومثاله لم يوجد وهو أخذيت الله من
الكفار المتكئين فيه من غير عدد (أما المسئلة المعنوية) وهي ان الله تعالى لما قال ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك ابرز الفعل وهو الله ثم عطف عليه بقوله ويتم بقوله ويهديك
ولم يذكر لفظ الله على الوجه الحسن في الكلام وهو ان الافعال الكثيرة اذا صدرت من
فاعل يظهر اسمها في الفعل الاول ولا يظهر فيما بعده تقول جاء زيد وتكلم وقام وراح ولا
تقول جاء زيد وقعد زيد اختصارا للكلام بالاختصار على الاول وهذا لم يقل وينصرك
نصرا بل أعاد لفظ الله فتقول هذا ارشاد الى طريق النصر ولهذا قلنا ذكر الله النصر من
غير اضافة فقال تعالى ينصر الله ينصر ولم يقل بانصر ينصر قال هو الذي أيدك بنصره
ولم يقل أيدك بالنصر وقال اذا جاء نصر الله والفتح وقال نصر من الله وفتح قريب ولم يقل
نصر وفتح وقال وما النصر الا من عند الله وهذا ادل الآيات على مطلوبنا وتحقيقه هو
ان النصر بالصبر والصبر بالله قال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وذلك لان الصبر سكون
القلب واطمئنانه وذلك بذكر الله كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فلما قال هنا
وينصرك الله أظهر لفظ الله ذكر التعليم ان بذكر الله يحصل اطمئنان القلوب وبه يحصل
الصبر وبه يتحقق النصر وههنا مسئلة أخرى وهو ان الله تعالى قال انا فتحنا من قال ليغفر
لك الله ولم يقل انا فتحنا لغفر لك تعظيم الامر بالفتح وذلك لان المغفرة وان كانت عظيمة

وأصاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في تلك
الغزوة ما لم يصب في غزوة
سواها حيث أصاب أن يوبع
الرضوان وغفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخره وبلغ
الهدى محله وأطعموا
نفل خيبر وظهرت الروم
على فارس ففرح به
المسلمون وكان في فتح
الحديبية آية عظيمة هي
نزع ماؤها حتى لم يبق
فيها فطرة فمضمض
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم شرب فيها فدرت
بالماء حتى شرب جميعه من
كان معه وشبع وقيل
فجاش الماء حتى امتلأت
بلم يتقدمهاؤها بعد وقيل
هو جميع ما فتحه عليه
الصلاة والسلام من
الفتوح وقيل هو ما فتح الله
له عليه الصلاة والسلام
من الاسلام والنبوة
والدعوة بالجملة والسيف
والفتح أي بين منه وأعظم
وهو رأس الفتوح كافة
اذ لا فتح من فتوح الاسلام
الا وهو شعبة من شعبه
وفرع من فروعها وقيل
الفتح بمعنى القضاء ومنه
الفتاح للحكومة والمعنى
قضينا لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروي عن قتادة رضي الله عنه

﴿ لكنها ﴾

﴿ لكنها ﴾

وأيا ما كان فحذف الفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بأن مناط التبشير نفس القتح الصادر عنه سبحانه
لا خصوصية المفتوح (فتحا مينا) بينا ﴿ ٥٥٧ ﴾ ظاهر الامر مكتشف الحال أو فارقا بين الحق والباطل

وقوله تعالى (ليفركك
الله) غاية للفتح من
حيث انه مترتب على
سعيه عليه الصلاة
والسلام في اعلاء كلمة
الله تعالى بمكابدته مشاق
الحروب واقتمام موارد
الخطوب والالتفات
الى اسم الذات المستنبح
لجميع الصفات للاشعار
بأن كل واحد مما انتظم
في سلك الغاية من أفعاله
تعالى صادر عنه تعالى
من حيثية غير حيثية
الآخر مترتبة على
صفة من صفاته تعالى
(ماتقدم من ذنبك
وما نأخر) أي جميع
ما فرط منك من ترك
الاولى وتسميته ذنبا
بالنظر الى منصبه الجليل
(ويتم نعمته عليك)
باعلاء النبي وضم
الملك الى النبوة وغيرها
مما أفاضه عليه من النعم
الدينية والفنوية
(ويهديك صراطا
مستقيما) في تبليغ الرسالة
واقامة مراسم الرياسة
وأصل الاستقامة
وان كانت حاصلة قبل
الفتح لكن حصل بعد

لكنها طامة لقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولئن
قلنا بأن المراد من المغفرة في حق النبي عليه السلام العصمة فذلك لم يخص نبينا بل غيره
من الرسل كان معصوما وانعام النعمة كذلك قال الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وكذلك
الهداية قال الله تعالى يهدي اليه من يشاء فعمم وكذلك النصر قال الله تعالى ولقد
سبقت كلمتنا العبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وأما القتح فلم يكن لاحد غير النبي صلى
الله عليه وسلم فعظمه بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وفيه التعظيم من وجهين
أحدهما انا وثانيهما لك أي لاجلك على وجه المنة * ثم قال تعالى (هو الذي أنزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان
الله عليما حكيم) لما قال تعالى وينصرك الله بين وجه النصر وذلك لان الله تعالى قد
ينصرك الله بصيحة يهلك بها أعداءهم أو رجفة تحكم عليهم بالفناء أو جند يرسله من السماء
أو نصر وقوة وثبات قلب يرزق المؤمنين به ليكون لهم بذلك الثواب الجزيل فقال هو الذي
أنزل السكينة أي تحفيقا للنصر وفي السكينة وجوه (أحدها) هو السكون (الثاني)
الوقار لله ولرسول الله وهو من السكون (الثالث) اليقين والكل من السكون وفيه
مسائل (المسئلة الاولى) السكينة هنا غير السكينة في قوله تعالى اراية ملكه ان يأتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم في قول اكثر المفسرين ويحتمل هي تلك لان المقصود منها
على جمع الوجوه اليقين وثبات القلب (المسئلة الثانية) السكينة المنزلة عليهم هي سبب
ذكرهم الله كما قال تعالى ألا يدرك الله تطمئننا قلوب (المسئلة الثالثة) قال الله تعالى في حق
الكافرين وقذف في قلوبهم بلغظ القذف المرعج وقال في حق المؤمنين وأنزل السكينة
بلغظ الانزال المثلث وفيه معنى حكيم وهو ان من علم شيئا من قبل وتذكره واستدام تذكره
فذا وقع لا يتغير ومن كان غافلا عن شيء فبقوع دفعة يرجف فواده الاترى ان من اخبر
بوقوع صيحة وقبل له لا تنزعج منها فووقت الصيحة لا يرجف ومن لم يخبر به أو أخبر وغف
عنه يرجف اذا وقعت فكذلك الكافر أنا الله من حيث لا يحتسب وقذف في قلبه
فارتجف والمؤمن انا من حيث لا يذكره فسكن وقوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
فيه وجوه (أحدها) أمرهم بتكاليف شيا بعد شي فآمنوا بكل واحد منها مثلا أمروا
بالتوحيد فآمنوا وأطاعوا ثم أمروا بالقتال والحج فآمنوا وأطاعوا فزادوا ايمانا
مع ايمانهم (ثانيها) أنزل السكينة عليهم فصبروا فرأوا عين اليقين بما علموا من النصر علم
اليقين ايمانا بالغيب فزادوا ايمانا مستفادا من الشهادة مع ايمانهم المستفاد من
الغيب (ثالثها) ازدادوا بالفروع مع ايمانهم بالاصول فانهم آمنوا بأن محمدا رسول الله
وان الله واحد والحشر كائن وآمنوا بان كل ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم صديق
وكل ما يأمر الله تعالى به واجب (رابعها) ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطري

ذلك من ارضاح سبيل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن

حاصلا قبل (وينصرك الله) اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصرة كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى (نصرا عزيزا) ﴿ ٥٥٨ ﴾ أي نصرا فيه عزة ومنعة أو قويا متبعا على

وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للبالغة أو عزيزا صاحبه (هو الذي أنزل السكينة) بيان لما أفاض عليهم من مبادئ الفتح من الثبات والطمأنينة أي أنزلها (في قلوب المؤمنين) بسبب الصلح والامن اظهار الفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أي بقينا منضمين الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الثمرات ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم با وحدانيه واليوم الآخر عن ان عباس رضي الله عنهما أو أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم أو أنزل فيها الوفاق والعظمة لله تعالى ورسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم (والله جنود السموات والارض) يدبر أمرها كيفما يريد يساطر بعضهم على

وعلى هذا الوجه تبين الطيفه وهي ان الله تعالى قال في حق الكافرين انما على ايمانهم ليزدادوا ايمانا ولم يقل مع كفرهم لان كفرهم هنا دى وليس في الوجود كفر فطرى لينضم اليه الكفر العنادى بل الكفر ليس الا عناديا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر بالاصول لامن ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة والانقياد فقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقوله والله جنود السموات والارض فكان قادرا على اهلاك عدوه بجنوده بل بصيحه ولم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك أعدائهم بأيديهم فيكون لهم الثواب وفي جنود السموات والارض وجوه (أحدها) ملائكة السموات والارض (ثانيها) من في السموات من الملائكة ومن في الارض من الحيوانات والجن (وثالثها) الاسباب السماوية والارضية حتى يكون سقوط كسف من السماء والحسف من جنوده وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما لما قال والله جنود السموات والارض وهدهم غير محصور أثبت العلم اشارة الى أنه لا يعرب عنه مثال ذرة في السموات ولا في الارض وأيضا لما ذكر أمر القلوب بقوله هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين والايمان من عمل القلب ذكر العلم اشارة الى أنه يعلم السر وأخفى وقوله حكيما بعد قوله عليما اشارة الى أنه يفعل ما يوفق العلم فان الحكيم من يعمل شيئا متقنا ويعلمه فان من يقع منه صنع عجيب انفا لا قاله حكيم ومن يعلم ويعمل على خلاف العلم لا يقال له حكيم * وقوله تعالى (ليرسل الله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ولا يكفر عنهم سأتهموها) ذلك عند الله فوزا عظيما) يستدعي قولا سابقا يدخل فان من قال ابتداء لتكرمني لا يصح ما من يشل قبله جثتك أو ما يقوم مقامه وفي ذلك الفعل وجوده وضبط الاحوال فيه بأ نقون ذلك الفعل اما أن يكون مذكورا بصريحه أو لا يكون وحيداً ينبغي ان يكون مبهوما فإما أن يكون مبهوما من لفظ يدل عليه أو لامن لفظ يدل عليه بل فهم بقية حاشية فان كان مذكورا فهو محتمل وجوها (أحدها) قوله ليزدادوا ايمانا كأنه تعالى أنزل السكينة ليزدادوا ايمانا بسبب الازال ليدخلهم بسبب الايمان جنات فار قبله فقوله بعد عطف على قوله ليدخل واذا زاد ايمانهم لا يصلح سببا لتعديدهم فتكون بلود من وجهين (أحدهما) ان التعذيب مذكور لكونه مقصودا للمؤمنين كأنه تعالى يقول بسبب ازديادكم في الايمان يدخلكم في الآخرة جنات ويعذب ايديكم في الدنيا كقار والمناقين (الثاني) تقديره ويعذب بسبب مالكم من الازدياد يقال فعلته لأجابه العدو والصديق أي لا يعرف بوجوده الصديق وبعده العدو فكذلك ليزدادوا ايمانا فيدخله الجنة ويزداد الكافر كفرا فيعذبه به (ووجه آخر ثالث) وهو ان سبب زيادة ايمان المؤمنين بكثرة صبرهم وثباتهم فيعبي المنافق والكافر معه ويعذب وهو قريب مما ذكرنا (الثاني) قوله وينصرك الله كأنه تعالى قال وينصرك الله بالمؤمنين ليدخل المؤمنين

بعض تارة و بوقوع بينهما السلم اخرى حسب اقتضاه مشيئة المنيبة على الحكم والمصالح (وكان الله عليما) مبالغا في العلم
بجميع الامور (حكيميا) في تقديره ﴿ ٥٥٩ ﴾ وتدبيره وقوله تعالى (ليدخل المؤمنون والمؤمنات جنات تجري

من تحتها الانهار
خادين فيها) متعلق
ما يدل عليه ما ذكر من
كون جنود السموات
والارض اذ تعالى من
سوى لتصرف والى بهر
أى دبر ما در من ت ليط
المؤمنين يرفق نعمه الله
في ذلك و شكرها
فيدخلهم الجنة (ويكثر
عنهم سيئاتهم) أى
يفطرها ولا يظهرها
وتقديم الادخال في
الذكر على التكفير مع
أن الترتيب في الوجود
على العكس للمسارعة
الى ما هو المطلوب الاعلى
(وكان ذلك) أى ما ذكر
من الادخال والتكفير
(عند الله فوزا عظيما)
لا يقادر قدره لانه
منتهى ما يتداليه أعناق
الهمم من جلب نفع
ودفع ضرر وعند الله
حال من فوزا لانه صفة
في الاصل فلما قدم
عليه صار حالا أى
كائنا عند الله أى في
علمه تعالى وقضائه
والجمله اعتراض مقرر
لما قبله (ويعذب
المنافقين والمنافقات

جنات) (الثالث) قوله تعالى ليفغرك الله ما تقدم من ذنبك على قولنا المراد ذنب المؤمن
كانه تعالى قال ليفغرك ذنب المؤمن ليدخل المؤمن جنات واما ان قلنا هو مفهوم من
لفظ صريح فحاصل وجوها أيضا (أحدها) قوله حكيميا يدل على ذلك كما تعالى قال الله
حكيم عمل ما عمل ليدخل المؤمن جنات (وثانيها) قوله تعالى ويتم نعمته عليك في الدنيا
والآخرة ويستجيب دعائك في الدنيا ويقبل شفاعتك في العقبى ليدخل المؤمن جنات
(الثاني) قوله انما يغفرك الله فانما يغفرك فاذان فترت هذه الآية كأنه تعالى قال انما يغفرك فحما مينا
لغفرك وفتح المؤمن ليدخلهم جنات واما ان قلنا ان ذلك مفهوم من غير مقال بل
من قرينة الحال فنقول هو الامر بانقال لامن ذكر القبح والنصر علم ان الحلال حلال
القتال فكانه تعالى قال ان الله تعالى أمر بالقتال ليدخل المؤمن أو نقول عرف من
قرينة الحال ان الله اختار المؤمن فكانه تعالى قال اختار المؤمن ليدخلهم جنات
(المسئلة الرابعة) قال ههنا وفي بعض المواضع المؤمن والمؤمنات وفي بعض المواضع
اكتفى بذكر المؤمن ودخلت المؤمنات فيهم كما في قوله تعالى وبشر المؤمنين وقوله تعالى
قد أفلح المؤمنون فالحكمة فيه نقول في المواضع التي فيها ما يوجب اختصاص المؤمنين
بالجزاء الموعود به مع كون المؤمنات يشتركن معهم ذكرهن الله صرحا في المواضع التي
ليس فيها ما يوجب ذلك اكتفى بدخولهم في المؤمنين وقوله وبشر المؤمنين مع انه علم من قوله
تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا العموم لا يوجب خروج المؤمنات عن
البشارة واما ههنا فلما كان قوله تعالى ليدخل المؤمن ليدخل المؤمنات وهو الامر بالقتال
أو النصر فيه أو النصر للمؤمنين أو الفتح بأيديهم على ما كان يوجب لان ادخال المؤمنين
كان للقتال والمرأة لا تقاتل فلا تدخل الجنة الموعود بها صرح الله بذكرهن وكذلك في
المنافقات والمشركات والمنافقة والمشركة لم تقاتل فلا تعذب فصرح الله تعالى بذكرهن
وكذلك في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات لان الموضع موضع ذكر
النساء وأحوالهن لقوله ولا تبرجن وآبن وأطنن وقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن
فكان ذكر النساء هناك أصلا لكن الرجال لما كان لهم ما للنساء من الاجر العظيم ذكرهم
وذكرهن بلفظ مفرد من غير تبعية لما بيننا ان الاصل ذكرهن في ذلك الموضع (المسئلة
الخامسة) قال الله تعالى ويكفر عنهم سيئاتهم بعد ذكر الادخال مع أن تكفير السيئات
قبل الادخال نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) الواو لا تقتضى الترتيب (الثاني)
تكفير السيئات والمغفرة وغيرهما من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال
في الذكر بمعنى انه من أهل الجنة (الثالث) وهو ان التكفير يكون بالباس خلع الكرامة
وهي في الجنة وكان الانسان في الجنة تزال عنه قبائح البشرية الجرمية كالمفضلات
والعنوية كالغضب والشهوة وهو التكفير وثبت فيه الصفات الملكية وهي أشرف

والمشركين والمشركات) عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على

السوء وهو أن لا ينصر
رسوله والمؤمنين
(عليهم دائرة السوء)
أي ما يظنون به
ويتر بصوته بالوثنيين
فهو حائق بهم ودائر
عليهم وقرئ دائرة
السوء يا ضمير وهما الغلمان
من ساء كالكره والكراهة
خلا أن المفتوح غلب
في أن يضاف إليه ما يراد
ذمه من كل شيء وأما
المضموم فجاء مجرى
الشر (وغضب الله
عليهم وانهم وأعدائهم
جهنم) عطف على
ما استحقوه في الآخرة
صلى ما استوجبوه
في الدنيا والسواو
في الأخيرين مع أن
حقهما الغناء المفيدة
لسببية ما قبلها لما بعدها
للإيدان باستقلال كل
منهما في الوعيد
وأصلانه من غير اعتبار
استتباع بعضها لبعض
(وساءت مصيرا) أي
جهنم (ولله جنود
السموات والأرض
وكان الله عز وجل حكيم)
إعادة لتأنيده على
فأثنتها التأييد على
أن لله تعالى جنود
الرحمة وجنود العذاب وأن المراد ههنا جنود العذاب كما ينبغي عنده التعرض لوصف العزة

أنواع الخلع وقوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فيه وجهان (أحدهما) مشهور
وهو أن الإدخال والتكفير في علم الله فوز عظيم يقال عندى هذا الأمر على هذا الوجه أى
في اعتقادي (وثانيهما) أغرب منه وأقرب منه عقلا وهو أن يجعل عند الله كأوصف
بذلك كأنه تعالى يقول ذلك عند الله أى بشرط أن يكون عند الله تعالى و بوصف أن يكون
عند الله فوز عظيم حتى أن دخول الجنة أو أي يكن فيه قرب من الله بالعندية إذا كان فوزا
* ثم قال تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن
السوء عليهم دائرة السوء) وغضب الله عليهم وانهم وأعدائهم وساءت مصيرا والله
جنود السموات والأرض وكان الله عز وجل حكيم) اعلم أنه قدم المنافقين على المشركين في
الذكر في كثير من المواضع لا دور (أحدها) أنهم كانوا أشد على المؤمنين من الكافر الجاهر
لأن المؤمن كان يتوقى المشرك الجاهر وكان يخاطب المنافق اظنه بإيمانه وهو كان يفشى
أسراره وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أعدى عدوك نفسك التي بين جنبك
والمنافق على صورة الشيطان فإنه لا يأتي الإنسان على أتى عدوك وانما ياتيه على أتى
صديقك والجاهر على خلاف الشيطان من وجهه ولأن المنافق كان يظن أن يتخلص
للخداعة والكافر لا يقطع بأن المؤمن أن يغلب يفديه فأول ما أخبر الله أخبر عن المنافق
وقوله الظانين بالله ظن السوء هذا الظن يحتمل وجوها (أحدها) هو الظن الذي ذكره الله
في هذه السورة بقوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول (ثانيها) ظن المشركين بالله في الأشراك
كما قال تعالى إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم إلى أن قال إن يتبعون إلا الظن وإن الظن
لا يغني عن الحق شيئا (ثالثها) ظنهم أن الله لا يرى ولا يعلم كما قال ولكن ظننتم أن الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون والاول أصح أو نقول المراد جميع ظنونهم حتى يدخل فيه ظنهم
الذي ظنوا أن الله لا يجبي الموتى وإن العالم خلفه باطل كما قال تعالى ذلك ظن الذين كفروا
ويؤيد هذا الوجه الأنف واللام الذي في السوء وسند كره في قوله ظن السوء وفيه وجوه
(أحدها) ما اختاره المحققون من الأدباء وهو أن السوء صار عبارة عن الفساد والصدق
عبارة عن الصلاح يقال مررت برجل سوء أى فاسد وسئلت عن رجل صدق أى صالح
فإذا كان مجموع قولنا رجل سوء أى معنى قولنا فاسد فالسوء وحده يصحكون بمعنى
الفساد وهذا ما اتفق عليه الخليل والزجاج واختاره الزنجشیری وتحقق هذا أن السوء
في المعاني كالفساد في الأجساد يقال ساء من أجد وساء خلقه وساء ظنه كما يقال فساد اللحم
وفساد الهواء بل كل ما ساء فقد فسد وكل ما فسد فقد ساء غير أن أحدهما أكثر
الاستعمال في المعاني والآخرة في الأجرام قال الله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر وقال
ساء ما كانوا يعملون هذا ما يظهر لي من تحقيق كلامهم ثم قال تعالى عليهم دائرة السوء
أي دائرة الفساد وحق بهم الفساد بحيث لا خروج لهم منه ثم قال تعالى وغضب الله عليهم
زيادة في الإفادة لأن من كان به بلاء فقد يكون مبتلى به على وجه الامتحان فيكون مصابا

لكي يصير مثابا وقد يكون مصابيا على وجه التعذيب وقوله ولعنهم زيادة افادة لان المعضوب عليه قد ان الذي حاق بهم على وجه التعذيب وقوله ولعنهم زيادة افادة لان المعضوب عليه قد يكون بحيث يقع الغاضب بالعتب والشتم أو الضرب ولا يفضى غضبه الى ابعاد المعضوب عليه من جنابه وطرده من بابه وقد يكون بحيث يفضى الى الطرد والابعاد فقال ولعنهم لكون الغضب شديدا ثم لما بين حالهم في الدنيا بين ما لهم في العقبى قال وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقوله ساءت اشارة لما كان انابث في جهنم بقال هذه الدار اعم المكان وقوله تعالى والله جنود السموات والارض قد تقدم تفسيره وبقي فيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الفائدة في الاعادة نقول لله جنود الرحمة وجنود العذاب أو جنود الله انزالهم قد يكون للرحمة وقد يكون للعذاب فذكرهم أو لا لبيان الرحمة بالمؤمنين قال تعالى وكان بالمؤمنين رحيمًا وثانيا لبيان انزال العذاب على الكافرين (المسئلة الثانية) قال هناك وكان الله عليا حكيمًا وهنا وكان الله عزيزا حكيمًا لان قوله والله جنود السموات الارض قد بينا ان المقصود من ذكرهم الاشارة الى شدة العذاب فذكر العزة كما قال تعالى أليس الله بعزى انتقام وقال تعالى فخذناهم أخذ عزيز مقتدر وقال تعالى انزل الجبار (المسئلة الثالثة) ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة وذكرهم ههنا بعد ذكر تعذيب الكفار واعداد جهنم نقول فيه ترتيب حسن لان الله تعالى ينزل جنود الرحمة فيدخل المؤمنين مكرمين معظمين الجنة ثم يلبسهم خلع الكرامت بقوله ويكفر عنهم سيئاتهم كما بينا ثم تكون لهم اقرية والزاني بقوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما و بعد حصول القرب والعندية لا تبقى واسطة الجنود فالجنود في الرحمة أو لا يتزلون ويفر بون آخرها واما في الكافر فيغضب عليه أو لا فيبهد ويطرد الى البلاد النائية عن ناحية الرحمة وهي جهنم ويسلط عليهم ملائكة العذاب وهم جنود الله كما قال تعالى عليهم ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ولذلك ذكر جنود الرحمة أو لا والقربة بقوله عند الله آخرها وقال ههنا غضب الله عليهم ولعنهم وهو الابعاد أو لا و جنود السموات والارض آخرها ثم قال تعالى (انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا توأموا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) قال المفسرون شاهدا عني أمك بما يفعلون كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا والاولى ان يقال ان الله تعالى قال انا أرسلناك شاهدا وعليه بشهادته لاله الا الله كما قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم وهم الانبياء عليهم السلام الذين آتاهم الله علما من عنده وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ولذلك قال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله أي فاشهد وقوله ومبشرا لمن قبل شهادته وعمل بما وافقه فيها ونذيرا لمن رد شهادته ويخالفه فيها ثم بين فائدة الارسال على الوجه الذي ذكره فقال لتوأموا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا وهذا يحتمل وجهين (أحدهم) ان تكون الامور الاربعة

(ونذيرا) على المعصية (توأموا بالله ورسوله) الخطاب للأنبي عليه الصلاة والسلام ولأمته (وتعزروه) وتوقروه بشعوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتزهوه أو تصلوا له من السجدة (بكرة وأصيلا) خدوة وهشاهن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرى الافعال الاربعة بالياء التختانية وقرى وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاي المكسورة وقرى بفتح التاء وضم الزاي وكسرهما وتعزروه بزاهين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره (ان الذين يبائعونك) أي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى (انما يبائعون الله) خبر ان بمعنى أن يبائعك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه وقوله تعالى (يد الله فرق أيديهم) حال أو استئناف مؤكدا

له على طريقتي الخليل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول ﴿ ٥٦٢ ﴾ كعقد مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله

تعالى من بطم الرسول
فقد اطاع الله وقرئ
انما يبايعون الله أى لاجله
واوجهه (فن نكت
فانما ينكت على نفسه)
أى فن نقض عهده
فانما يعود ضرر نكته
على نفسه وقرئ
يكسر الكاف (ومن أوفى
بما عاهد عليه الله) يضم
الهاء فانه أبى بعد حذف
الواو توسلا بذلك الى
تفخيم لام الجلالة وقرئ
يكسرها أى ومن وفى
بعهده (فسويته أجرا
عظيما) هو الجنة وقرئ
بما عهد وقرئ فسويته
بنون العظمة (سيقول
لك المخلفون من
الاعراب) هم أعراب
غزة اروم زينة وجهية
وأشجيم واسلم والديل
تخلفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين
استنفر من حول المدينة
من الاعراب وأهل
البوادي يخرجوا معه
عند ارادته المسير الى مكة
عام الحديبية معترضا حذرا
من قريش أن يتعرضوا له
بصرب أو بصده عن
البيت وأحرم عليه
الصلاة والسلام

المذكورة مرتبة دلى الامور المذكورة من قبل فتوله لتؤمنوا بالله ورسوله مرتب على
قوله انما ارسلناك لانه من سلام من الله يقتضى أن يؤمن المكلف بالله والمرسل والمرسل
وقوله شاهدا يقتضى أن يعز الله ويقوى دينه لان قوله شاهدا على ما بينا معناه انه يشهد
انه لا اله الا هو فدينه هو الحق وأحق ان يتبع وقوله مبشرا يقتضى أن يوفى الله لان تعظيم
الله عنده على شبه تعظيم الله اياه وقوله نذيرا يقتضى أن يتره عن السوء والفحشاء بخافة
عذابه الاليم وعقابه الشديد وأصل الارسال مرتب على أصل الايمان ووصف الرسول
بترتب عليه وصف المؤمن (وثانيهما) أن يكور كل واحد مقتضيا للامور الاربعة فكونه
مرسلا يقتضى أن يؤمن المكلف بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسجدوا وكذلك كونه
شاهدا بالوحدانية يقتضى الامور المذكورة وكذلك كونه مبشرا ونذيرا لا يقال ان
افتتان اللام بالفعل يستدعى فعلا مقدماتا يتعلق به ولا يتعلق بالوصف وقوله لتؤمنوا يستدعى
فعلا وهو قوله انما ارسلناك فكيف ترتب الامور على كونه شاهدا ومبشرا لاننا نقول يجوز
الترتيب عليه معنى لا غضا كما أن القائل اذا قال بعثت اليك طالما لتكرمه فاننا نبي
هن كون البعث سبب الاكرام وفي المعنى كونه طالما هو السبب للاكرام واهذا الوقال بعثت
اليك جاهلا لتكرمك كان حسنا واذا أردنا الجرم بين اللفظ والمعنى نقول الارسال الذى هو
ارسال حال كونه شاهدا سبب كما نقول بعثت العالم سبب جملة سببا لا مجرد البعث ولا مجرد
العالم وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) قال في الاحزاب انما ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وههنا اقتصر على الثلاثة من الخمسة فالخكمة
فيه نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ان ذلك المقام كان مقام ذكره لان أكثر
السورة في ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله وما تقدمه من المبايعة والوعد
والدخول ففصل هنالك ولم يفصل ههنا (ثانيهما) أن نقول ان الكلام مذكور ههنا لان قوله
شاهدا لما يقتضى أن يكون داعيا لجزاز أن يقول مع نفسه أشهد أن لا اله الا الله ولا يدعوا
الناس قال هنالك وداعيا لذلك وههنا لما لم يكن كونه شاهدا منبثا عن كونه داعيا قال
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه وقوله تعالى وتعزروه وتوقروه وتسبحوه
دليل على كونه سراجا لانه أتى بما يجب من التعظيم والاجتناب عما يحرم من السوء
والفحشاء بالتنزيه وهو التسبيح (المسئلة الثانية) قد ذكرنا مرارا ان اختيار البكرة
والاصيل يحتمل أن يكون اشارة الى المداومة ويحتمل أن يكون أمرا بخلاف ما كان
المشركون يعملونه فانهم كانوا يجتمعون على عبادة الاصنام في الكعبة بكرة وحشية
فأمروا بالتسبيح في اوقات كانوا يذكرون فيها الفحشاء والمنكر (المسئلة الثالثة)
الكتابات المذكورة في قوله تعالى وتعزروه وتوقروه وتسبحوه راجعة الى الله تعالى أرى
الرسول عليه الصلاة والسلام والاصح هو الاول * ثم قال تعالى (ان الدين يبايعونك
انما يبايعون الله بآله فوق أيديهم فن نكت فانما ينكت على نفسه ومن أوفى بما عاهد

عليه

وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد الحرب ﴿٥٦٣﴾ وتناقلوا عن الخروج وقالوا نذهب إلى قوم قد هزوه

عليه الله فسويته أجرا عظيما لما بين انه مرسل ذكر ان من باعته فقد باع الله وقوله تعالى يدالله فوق أيديهم يحمل وجوها وذلك ان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنىين فاننا قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان (أحدهما) يدالله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله كما قال تعالى بل الله بمن عليكم ان هذاكم للايمان (وثانيهما) يدالله فرق أيديهم أي نصرته ايهاهم أقوى وأعلى من نصرتهم اي يقال اليد لفلان أي الغلبة والنصرة والتهمر واما ان قلنا انها بمعنىين فتقول في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة والبدا كناية عن الحفظ مأخوذ من حال المتبايعين اذا مد كل واحد منهما يده الى صاحبه في البيع والشراء وبينهما ثالث متوسط لا يريد أن يتفاسخا العقد من غير اتمام البيع فيضع يده على يديهما ويحفظ أيديهما الى أن يتم العقد ولا يترك أحدهما يترك يد الآخر فوضع اليد فوق الأيدي صار سبب للحفظ على البيعة فقال تعالى يدالله فوق أيديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ ذلك المتوسط أيدي المتبايعين وقوله تعالى فمن نكث فأننا نكث على نفسه أما على قولنا المراد من اليد النعمة أو الغلبة والقوة فلان من نكث فوث على نفسه الاحسان الجزيل في مقابلة العمل القليل فقد خسروا نكثه على نفسه وأما على قولنا المراد الحفظ فهو طائد الى قوله انما يبایعون الله يعني من بايعك أبها النبي اذا نكث لا يكون نكثه طائدا اليك لان البيعة مع الله والى الله لانه لا يتضرر بشئ فضرره لا يعود الا اليه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما وقد ذكرنا ان العظم في الاجرام لا يقال الا اذا اجتمع فيه الطول والباع والعرض الواسع والسمك الغليظ فيقال للجبل اندي هو مرتفع ولا اتساع لعرضه جبل حال أو مرتفع أو شاهق فاذا انضم اليه الاتساع في الجوانب يقال عظيم والاجر كذلك لان ما كل الجنة تكون من أرفع الاجناس وتكون في غاية الكثرة تكون ممتدة الى الابد لا تقطع لها فحصل فيه ما يناسب ان يقال له عظيم والعظيم في حق الله تعالى اشارة الى كماله في صفاته كانه في الجسم اشارة الى كماله في جهاته * ثم قال تعالى (سيقول لك المخنفون من الاعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون باسنتهم ماليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا) لما بين حال المنافقين ذكر المخلفين فان قوما من الاعراب امتنعوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنهم انه يهزم فأنهم قالوا أهل مكة يقاتلون عن باب المدينة فكيف يكون حالهم اذا دخلوا بلادهم وأحاط بهم العدو فاعتذروا وقولهم شغلنا أموالنا وأهلونا فيه أمر ان يفهم ان وضوح العذر (أحدهما) أموالنا ولم يقولوا شغلنا الاموال وذلك لان جمع المال لا يصلح عذرا لانه لا نهاية له واما حفظ ما جمع من الثناك ومنع الحاصل من القوات يصلح عذرا فقالوا أموالنا أي ما صار مالنا لا مطلق الاموال (وثانيهما) قوله تعالى وأهلونا وذلك لو أن قائلنا قل لهم المال لا ينبغي

في عهده بالمدنية
وقتلوا أصحابه فقتلهم
فأوحى الله تعالى اليه
عليه الصلاة والسلام
بانهم سيعتلون ويقتلون
(شغلنا أموالنا وأهلونا)
ولم يكن لنا من تخلفنا فيهم
ويقوم بمصالحهم
ويحجبهم من الضياع
وقرى شغلنا بالشد يد
للكثير (فاستغفر لنا) الله
تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك
حيث لم يكن ذلك باختيار
بل عن اضطرار (يتوانون
بالسنتهم ماليس في قلوبهم)
ذلك من سيقول أو استغفر
تكذيبهم في الاعتذار
والاستغفار (قل) رد اللهم
عند اعتذارهم اليك
بأباطلهم (فمن يملك لكم
من الله شيئا) أي فمن يقدر
لاجلكم من مشيئة الله
تعالى وقضائه على شئ
من النفع (ان أراد بكم
ضرا) أي ما يضركم
من هلاك الأهل
والمال وضياعها حتى
تخلفوا عن الخروج
لحفظها ودفع الضرر
عنها وقرى ضرا بالاض
(أو أراد بكم نفعاً) أي

لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للعق ورد لهم بموجب ظاهر مقادير الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تفسير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنية برده قوله تعالى (بل كان الله بما تعملون خبيراً) فانه اضرب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساد على تقدير صدقه أي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيراً بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جعلتها تخلفكم وما هو من مبادئه وقوله تعالى (بل ظننتم) الخ يدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام أي بل ظننتم (أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً) بان يستأصلهم المشركون بالمرّة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما أصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لالما ذكرتم من العاذر الباطلة والاهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات

أن يبلغ إلى درجة ينعمكم حفظه من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لكان لهم أن يقولوا فإلاهل يمنع الاشتغال بهم وحفظهم عن أهم الأمور ثم انهم مع العذر تصرعوا وقالوا فاستغفر لنا يا حي قبحن مع إقامة العذر معترفون بالاساءة فاستغفر لنا وعف عنا في أمر الخروج فكذبهم الله تعالى وقال يقولون بالسننهم ما ليس في قلوبهم وهذا يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون الكذب راجعاً إلى قولهم فاستغفر لنا ونحققه هو انهم أظهر وانهم يتعدون انهم مسيئون بالخلف حتى استغفروا ولم يكر في اعتقادهم ذلك بل كانوا يعتقدون انهم بالخلف محسنون (ثانيهما) قالوا فاستغفر لنا إشارة إلى أن امتناعنا لهذا لا نسير ولم يكن ذلك في عقولهم بل كانوا يعتقدون امتناعهم لاعتقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يقهرون ويغلبون كما قال بعده بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وقوله قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً معناه انكم تحترون عن الضرر وتتركون أمر الله ورسوله وتعدون طلباً للسلافة ولو أراد بكم الضرر لا ينفعكم قعودكم من الله شيئاً ومعناه انكم تحترون عن ضرر القتال والمقاتلين وتعتقدون أن أهليكم وبلادكم تحفظكم من العدو فهب انكم حفظتم أنفسكم عن ذلك فمن يدفع عنكم عذاب الله في الآخرة مع أن ذلك أولى بالاحتراز وقد ذكرنا في سورة يس في قوله تعالى ان يردن الرحمن بضره في صورة ككون الكلام مع المؤمن ادخل الباء على الضر فقال ان أرادني الله بضر وقال وان يمسخ الله بضر وفي صورة ككون الكلام مع الكافر ادخل الباء على الكافر فقال ههنا ان أراد بكم ضراً وقال من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءاً وقد ذكرنا الفرق الفاسق هناك ولانه يده لكون هذا باسماً على مطالعة تفسير سورة يس فانه ادرج الدرر القيمة بل كان الله بما تعملون خبيراً أي بما تعملون من اظهار الحرب واضرار غيره * ثم قال تعالى (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً ووزن ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً) يعني لم يكن تخلفكم لما ذكرتم بل ظننتم أن لن ينقلب وأن تخففة من الثقل أي ظننتم انهم لا ينقلبون ولا يرجعون وقوله ووزن ذلك في قلوبكم يعني ظننتم أولافين الشيطان ظنكم عندكم حتى قطعتم به وذلك لان الشبهة قد يزينها الشيطان ويضم اليها مخيلة يقطع بها العاقل وان كان لا يشك فيها العاقل وقوله تعالى وظننتم ظن السوء ويحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون هذا العطف عطفاً بغير المغابرة فقوله وظننتم ظن السوء غير الذي في قوله بل ظننتم وحينئذ يحتمل أن يكون الظن الثاني معناه وظننتم ان الله يخلف وعده أو ظننتم ان الرسول كاذب في قوله (وثانيهما) أن يكون قوله بظننتم ظن السوء هو ما تقدم من ظن أن لا يتقلبوا ويكون على حد قول القائل علمت هذه المسئلة وعلمت كذا أي هذه المسئلة لاغيرها وذلك كأنه قال بل ظننتم ظن أن لن ينقلب وظننتم ذلك فاسد وقد بينا التحقيق في ظن السوء وقوله تعالى وكنتم قوماً بوراً يحتمل

وجهمين) (أحدهما) يصيرتم بذلك الظن بأثرين هالكين (وثانيهما) أتتم في الأصل بأرون
وظنتم ذلك الظن انفاسد * ثم قال تعالى (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين
سعيرا) على قولنا قوله وظنتم ظن السوء ظن آخر غير ما في قوله بل ظنتم ظاهر لانا بينا ان
ذلك ظنهم بأن الله يخف وعده أو ظنهم بأن الرسول كاذب فقال (ومن لم يؤمن بالله ورسوله
ويظن به خلفا ورسوله كذبا فإنا أعتدنا له سعيرا) وفي قوله للكافرين بدلا عن أن يقول
فإنا أعتدنا له فائدة وهي التعميم كأنه تعالى قال ومن لم يؤمن بالله فهو من الكافرين وإنا
أعتدنا للكافرين سعيرا * ثم قال تعالى (ولله ملك السموات والأرض يعز لمن يشاء
ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) بعد ما ذكر من له أجر عظيم من المباهين
ومن له عذاب أليم من الفاسقين الضالين أشار إلى أنه يعز للاولين بمشيتته ويعذب
الآخرين بمشيتته وغفراته ورحمته أعم وأشمل وأنتم وأكل وقوله تعالى والله ملك
السموات والأرض يعز عظمة الامرين جميعا لان من عظيم ملكه يكون أجره وهيبته في
غاية العظم وعذابه وعقوبته كذلك في غاية انكسار والام * ثم قال تعالى (سيقول
المخلفون إذا انطلقتم إلى معانم لناخذوها ذررنا نبتعكم) أوضح الله كذبهم بهذا حيث
كانوا عند ما يكون السير إلى معانم يتوقفونها يقنون من تلقاء أنفسهم ذررنا نبتعكم
فإذا كل أموالهم وأهلهم شفقتهم يوم دعوتكم إياهم إلى أهل مكة فإياهم لا يشتغلون
بأموالهم يوم أخذ الغنمية والمراد من المعانم معانم أهل خيبر وقمهمها وغنم المسلمون
ولم يكن معهم الامن كان معسه في المدينة وفي قوله سيقول المخلفون وعد المباهين
الموافقين بالغنمية والمخلفين بالمخالفين بالحرمين * وقوله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام
الله ولئن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) (يحتمل وجوها) (أحدها) هو ما قال الله ان
غنمية خيبر لن شاهد الحديدية وجاهد بها لا غير وهو الأشهر عند المفسرين والظاهر نظرا
إلى قوله تعالى كذلكم قال الله من قبل (ثانيها) يريدون أن يبدلوا كلام الله وهو قوله
وغضب الله عليهم وذلك لانهم لو اتبعوا حكم الله في حركهم ببيعة أهل الرضوان الموعودين
بالغنمية فيكونون من الذين رضى الله عنهم كما قال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين إذ
يبايعونك تحت الشجرة فلا يكونون من الذين غضب الله عليهم فيلزم تبديل كلام الله
(ثالثها) هو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم أطاعه الله على باطنهم وأظهره
نفاقهم وانه يريد أن يعاقبهم وقال للنبي صلى الله عليه وسلم فقل ان تخرجوا معي أداوان
تقاتلوا معي عدوا فأرادوا أن يبدلوا ذلك الكلام بالخروج معه لا يقال فلاية التي
ذكرتم واردة في غزوة تبوك لاني هذه الواقعة لاننا نقول قد وجد ههنا بقوله لن تتبعونا على
صيغة التثنية بدلا عن قوله لا تتبعونا على صيغة التثنية معنى اطيعف وهو ان النبي صلى الله
عليه وسلم بنى على اخبار الله تعالى عنهم النبي لو ثوقه وقطعه بصدقه فجزم وقال لن تتبعونا

ذلك في قلوبكم) وقيلتموه واشتغلتم بشأن أنفسكم غير مباليين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل بإسناده إلى الله سبحانه وأولى الشيطان (وظنتم ظن السوء) المراد به أما الظن الاول والتكرير التشديد والتوبيخ والتسجيل عليه بالسوء أو ما يعنه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جعلتها الظن بعدم صحة رسالته عليه الصلاة والسلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال (وكنتم فوما بورا) أي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بأثر كما نذروا وفسادين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهالك من هلك بناء ومعنى واذ لك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل

في الكلام الملقن مقرر لبراهم ومبين لكيفيته أي ومن لم يؤمن بهما كذاب هؤلاء المخلفين (فاننا هدانا للكافرين
سعيوا) أي اهتم وانما وضع موضع الضمير الكافرون ﴿ ٥٦٦ ﴾ ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله

يعني اؤذنتكم ولو امرتكم ولو اردتم واختتم لايتم لكم ذلك لما أخبر الله تعالى ثم قال
تعالى (فسبقواون بل تحسدوننا) ردا على قوله تعالى كذلك قال الله من قبل كانوا قالوا
ما قال الله كذلك من قبل بل تحسدوننا وبل الاضراب والمضروب هتبه محذوف في
الموضعين اما ههنا فهو يتقدر ما قال الله كذلك فان قيل بماذا كان الحسد في اعتقادهم
نقول كانوا قالوا نحن كنا مصيبين في عدم الخروج حيث رجعوا من المدينة من غير
حاصل ونحن استرحنا فان خرجنا معهم ويكون في غنمة يقولون هم غنموا منا ولم يتبعوا
معنا * ثم قال تعالى ردا عليهم كاردوا عليه (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) اي لم
يفقهوا من قولك لا تخرجوا الاظهار التهمي ولم يفهموا من حكمه الا قليلا فحملوه على
ما ارادوه وعلوه بالحسد * ثم قال تعالى (قل للمخلفين من الاعراب استدعوا الى قوم اولى
باس شديد تغفلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم
من قبل يهذبكم عذابي اليم) لما قال النبي صلى الله عليه وسلم قل ان تدبونا بقتل ابن
تخرجوا معي أبدا فكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة دعت الحاجة الى بيان
قبول توبتهم فانهم لم يهتوا الى ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا على النفاق بل منهم من
حسن حاله وصلح باله في قبول توبتهم علامة وهو انهم يدعون الى قتال قوم اولى باس
شديدو يطيعون بخلاف حال ثعلبة حيث امتنع من اداء الزكاة ثم أتى بها ولم يقبل منها النبي
صلى الله عليه وسلم واستمر عليه الحال ولم يقبل منه أحد من الصحابة كذلك كان يستمر حال
هؤلاء اولاد الله تعالى انهم يدعون فان كانوا يطيعون يؤتون الاجر الحسن وما كان أحد
من الصحابة يتركهم يتبعونه والفرق بين حال ثعلبة وبين حال هؤلاء من وجهين (أحدهما)
ان ثعلبة جاز ان يقال حاله لم يكن يتغير في علم الله فلم يبين اتوبته علامة وحال الاعراب
تغيرت فان بعد النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق من المنافقين على النفاق أحد على مذهب
أهل السنة (وثانيهما) ان الحاجة الى بيان حال الجمع الكثير والجيم انغير أمس لانه لولا
البيان لكان يفضى الامر الى قيام الغشة بين فرق المسلمين وفي قوله تعالى استدعوا الى
قوم اولى باس شديد وجوه أشهرها وأظهرها انهم بنو حنيفة حيث تابعوا مسيلة
وغزاهم أبو بكر (وثانيهما) هم فارس والروم غزاهم عمر (ثالثها) هم هوازن وثقف غزاهم
النبي صلى الله عليه وسلم وأقوى الوجوه هو ان الدماء كان من النبي صلى الله عليه وسلم وان
كان الاظهر غيره اما الدليل على قوة هذا الوجه هو ان أهل السنة اتفقوا على ان أمر
العرب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ظهر ولم يبق الاكافر مجاهر أو مؤمن أتى طاهر
وامتنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة على موثي المنافقين وترك المؤمنون مخالطتهم
حتى ان عبادة بن كعب مع كونه بين المؤمنين لم يكلمه المؤمنون مدة وما ذكره الله علامة
اظهار حال من كان منافقا فان كان ظهروا حالهم بغير هذا فلا معنى لجعل هذا علامة وان

فهو وكافروا انه مستوجب
للسمير بكفره وتكبر
سفير الله هو بل اولادها
نار مخصوصة (والله
ملك السموات والارض)
وما يفهمها يتصرف
في الكل كيف يشاء
(يغفر لمن يشاء) ان
يقدره (ويعذب من
يشاء) ان يعذبه من غير
دخول الاحد في شيء
منهما وجودا وبيدما
وقبه حسم لاطباعهم
الفاغرة في استغفاره
عليه الصلاة والسلام
لهم (وكل الله غفورا
رحيما) مبالغة في الغفرة
والرحمة لمن يشاء ولا يشاء
الان تفضي الحكمة
مغفرته ممن يؤمن به
و برسوله وأما من عداه
من الكافرين فهم
يعزل من ذلك قطعا
(سبقوا للمخلفون) أي
المدكورون وقوله تعالى
(اذا انطلقتم الى مقامكم
لتأخذوها) ظرف لما قبله
لا شرط لما بعده أي
سبقواون عند انطلاقتكم
الى مقام خيبر لتجوزوها
حسبا وهدكم اياها
وخصكم بها عوضا

لما فاتكم من غنائم مكة (ذرونا نبيكم) الى خيبر وتشهد معكم قتال أهلها (ربهون ان سدها) ظه

كلام الله) ان يشار كوافي الغنائم التي خصها بأهل المدينة فانه عليه الصلاة والسلام رجع من المدينة في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيةها ﴿ ٥٦٧ ﴾ وأوائل المحرم من سنة سبع ثم هز أخيراً عن شهد المدينة فتحها

ظهر بهذا والظهور كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي عليه الصلاة والسلام لو امتنع من قبولهم لاتباعه لامتنع أبو بكر وعمر لقوله تعالى واتبعوه وقوله فاتبعوني فان قيل هذا ضعيف اوجهين (أحدهما) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان تتبعونا وقال ان تخرجوا معي أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع النبي (الثاني) قوله تعالى أولى بأس شديد ولم يبين بعد ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام حرب مع قوم أولى بأس شديد فان الرعب استولى على قلوب الناس ولم يبق للكفار بعد شدة وبأس وانفاق الجمهور يدل على القوة والظهور نقول اما الجواب عن الاول فن وجهين (أحدهما) ان يكون ذلك مقيداً بتقديره ان تخرجوا معي أبدا وأنتم على ما أنتم عليه ويجب هذا التقيد لانا أجمعنا على أن منهم من أسلم وحسن اسلامه بل أكثر ذلك وما كان يجوز لاني صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم استم مسلمين لقوله تعالى ولا تقولوا لمن أتى اليكم السلام لست مؤمنا ومع انقوز باسلامهم ما كان يجوز أن يمنهم من الجهاد في سبيل الله مع وجوبه عليهم وكان ذلك متيدا وقتين حسن حالهم فان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى جهاد فأطاعه قوم وامتنع آخرون وظهر أمرهم وعلم من استمر على الكفر من استقر قلبه على الايمان (الثاني) المراد من قوله ان تتبعونا في هذا القتال فحسب وقوله ان تخرجوا معي كان في غير هذا هم المناذقون الذين تخلفوا في عزة تبوك واما اتفاق الجمهور فنقول لا تخافة بيننا وبينهم لانا نقول النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم أولا وأبو بكر رضي الله عنه أيضا دعاهم بعد معرفته جواز ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم انما نحن نثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم فان قالوا أبو بكر رضي الله عنه دعاهم لا يكره بين القولين تناف وان قالوا لم يدعهم النبي صلى الله عليه وسلم فالتناقض والجزم به في غاية البعد لجواز أن يكون ذلك قد وقع وكيف لا والنبي عليه الصلاة والسلام قال من كلام الله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال تتبعوني هذا صراط مستقيم ومنهم من أحب الله واختار اتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم لان بقاء جمعهم على النفاق والكفر بعدما اتسعت دائرة الاسلام واجتمعت العرب على الايمان بعيد ويوم قوله صلى الله عليه وسلم ان تتبعونا كان أكثر العرب على الكفر والنفاق لانه كان قبل فتح مكة وقبل أخذ حصون كثيرة واما قوله لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع أولى بأس شديد قلنا لان ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم عام المدينة دعاهم الى الحرب لانه خرج محرما ومعه الهدى ليعلم فريش انه لا يطلب القتال وامتنعوا فقال استدعوا الى الحرب ولا شك ان من يكون خصمه مسلحا محاربا أكثر بأسا من يكون على خلاف ذلك فكان قد علم من حال مكة انهم لا يوقرون حيا ولا معتمرا فقوله أولى بأس شديد يعني أولى سلاح من آلة الحديد فان الحديد فيه بأس شديد ومن قال بان الداعي أبو بكر وعمر تمسك بالآية على خلافتهما ودالاتهما ظاهرة وحيث تفتقروا لهم أو يسألون اشارة الى ان أحدهما يقع وقرئ أو يسألوا بان نصب باضمار أن على معنى

وغيره أمورا كثيرة فخصها بهم حسب أمر الله عز وجل وقرئ كالم الله وهو جمع كلمة وأياما كان فلما أراد ما ذكر من بعده تعالى غنائم خير لاهل المدينة خاصة لا قوله تعالى ان تخرجوا معي أبدا فان ذلك في غزوة تبوك (قرئ) انما طاب لهم ان تتبعونا أي لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي المبني على كذا كما قال الله من قبل) أي عند الانصراف من الحد يدسية (فسيقولون) للمؤمنين عند سماع هذا النهي (بل تحسدوننا) أي نيس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا أن نشاركم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى (بل كانوا لا يفقهون) (الاقبلاب) أي الا فمهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم من الجهل المفرط وسوء الفهم

في أمور الدين (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا العنوان مسالفة في ذمهم

(ستدعون الى قوم اولى باس شديد) هم شوخينة قوم مسيلة الكذاب او غيرهم من ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
او المشركون لقوله تعالى (تقاتلوا معهم او اسلموا) أى يكون ٥٦٨ **ب** أحد الامرين اما القاتلة ابدأ بالاسلام

لاغير كما يفصح عنه
قراءة او يسلموا واما من
عداهم فياتى قائلهم
بالجزية كما ينهى بالاسلام
وفيه دليل على امامة
أبي بكر رضى الله عنه
اذ لم تنفق هذه الدعوة
لغيره الا اذا صح أنهم
تقيد وهو اذن فان
ذلك كان في عهد
النبوذة فيخص دوام
نفي الاتباع بما في غزوة
خيبر كما قاله يحيى السنة
وقبلهم فارس والروم
ومعنى يسلمون يتفادون
فان الروم نصارى وفارس
بحوس يقبل منهم الجزية
(فان تطيعوا يؤتكم الله
أجرا حسنا) هو الغنيمة
في الدنيا والجنة في
الآخرة (وان تولوا)
عن الدعوة (كما توليتهم
من قبل) في الحديثية
(يعذبكم عذابا أليما)
انضاعف جرمكم
(ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المربص
حرج) أى في التخلف
عن الغزوة لما بهم من
العدر والعاهة فان
التكليف يدور على

تقاتلوا بهم الى ان يسلموا والخفي فيه وارأ ولا تجبى الابين المتعابرين وتلبي عن المحصر
فيقال العدد زوج أو فرد وانما الاصح أن يقال هو زيدا وعمرو واما يقال العدد زوج
أو خمسة وغيرهما اذا علم هذا فنقول المائل لازمنك أو تقضيتى حتى يفهم منه ان الزمان
المحصر في قسمين قد سمى يكون فيه الملازمة وقسم يكون فيه قضاء الحق فلا يكون بين
الملازمة وقضاء الحق زمان فيوجد فيه الملازمة ولا قضاء الحق فيكون في قوله لازمنك
أو تقضيتى كما حكي في قول المسائل لازمنك الى أن تنضى لامتناد زمان الملازمة الى
انقضاء وهذا ما يضعف قول المائل الداعي هو عمر والقوم فارس والروم لان الغريبتين
يقران بالجزية فاقبال معهم لا يتدلى الى الاسلام بل يوز أن يؤدوا الجزية وقوله تعالى فان
تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تولوا كما توليتهم من قبل فيه فائدة لان النبى اذا كان
بعذر كما قال تعالى ليس على الاعمى حرج لا يكون للنبى عذاب أليم فقال وان تولوا كما
توليتهم معنى ان كان توليتكم بناء على العن الفساد والاعتقاد الياس كما كان حيث قسم
بأنفسكم لا يغلوبكم شعثنا أمواتنا لله يمدبكم عذابا أليما ثم ان الله تعالى قال (ليس
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المربص حرج) بين من يجوز له التخلف
وترك الجهاد وما يسيده يجوز ترك الجهاد وهو ما يمنع من الكر والشروع وبين ذلك بيان ثلاثة
أصناف (الاول) الاعمى فانه لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز
والهرب والاعرج كذلك والمربص كذلك وفي معنى الاعرج الاقطع والمتمدد بل ذلك
أولى بأن يعذر ومن به عرج لا يعتمد من الكر والشروع لا يفر وكذلك المربص القليل الذى
لا يعتمد من الكر والفر كالطحال والسعال اذ به يضعف و بهض أوجاع المفاسل لا يكون
عذرا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ان هذه اعذار تكون في نفس المجاهد ولنا أعذار
خارجية كالنقر الذى لا يمكن صاحبه من استعجاب ما يحتاج اليه والانتقال عن اولاه
لضعاف كطفل أو مريض والاعذار تعلم من الفقه ونحن نبحث فيما يتعلق بالتفسير في بيان
مسائل (المسئلة الاولى) ذكر الاعذار التي في السفر لان غيرها يمكن الازالة بخلاف
العرج والعمى (المسئلة الثانية) اقتصر منها على الامتناع الثلاثة لار العذر اما ان
يكون باختلال في عضو أو باختلال في القوة والذى بسبب اختلال العضو فاما أن يكون
بسبب اختلال في العضو الذى به الوصول الى العدو والانتقال في مواضع اشتال أو في
العضو الذى تتم به فائدة الحصول في المركبة والوصول والاول هو الرجل والثاني هو العين
لان بالرجل يحصل الانتقال والبعين يحصل الانتفاع في الطلب والهرب واما الاذن
والانف واللسان وغيرهما من الاعضاء فلا تدخلها في شئ من الامرين بقيت البدان
المقطوع اليدين لا يقدر على شئ وهو عذر واضح ويذكره نقول لان فائدة الرجل وهى
الاشتغال تبطل بالخلل في احداهما وفائدة اليد وهى انضراب والبغاش لا تبطل الا بطلان
اليدين جميعا ومقطوع اليدين لا يوجد الا نادرا واصل في جماعة النبي صلى الله عليه وسلم

الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة **ب** لم يكن

(ومن يطع الله ورسوله) مما ذكر من الأوامر والنواهي (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) وقرى تدخله جنات
العتيقة (ومن يتول) أي عن الطاعة (بعده) وقرى بالتون (هذا بالياء) لا يقادر قدره (لقد رضى الله عن المؤمنين) هم
الذين ذكرشان مبايعتهم وبهذه الآية ﴿٥٦٩﴾ سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى (اذيابعونك تحت الشجرة)

يكن أحد مطوع اليمين فلم يذكره أولان المقطوع يذفع به في الجهاد فإنه ينظر ولولا
لاستقل به مقاتل فيمكن أن يقاتل وهو غير معذور في الخلف لان المجاهدين يذفون به
بخلاف الاعشى فان قيل كان المقطوع البذ الواحد لا تبطل منعة بطشه كذلك الاعور
لا تبطل منعة رؤيته وقد ذكر الاعشى وما ذكر الاشل وأقطع اليمين قلنا لما بيننا من مقطوع
اليمين نادر الوجود والآفة النازلة باحدى اليمين لانعها والآفة النازلة باليمين الواحدة
تم العين لان منبع النور واحد وهما متجاذا بان والوجود يفرق بينهما فان الاعشى كثير
الوجود ومطلوع اليمين نادر (المسئلة الثالثة) قدم الآفة في الآفة في الآفة في القوة
لان الآفة في القوة تزول وتطرا والآفة في الآفة اذا طرأت لا تزول فان الاعشى لا يبرد
بصبر فالعذر في محل الآفة أم (المسئلة الرابعة) قدم الاعشى على الاعرج لان صدر الاعشى
بشتر وحضر الشال والاعرج ان حضر راكبا أو بطر يبق آخر يقدر على القتال بالرى
وغيره فوال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) ومن يتول
بعده من الاعشى عن الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم
فأمن بهم ولعلهم يفتخرون ففما قرىبا ومغنايم كثيرة ما خذونها وكان الله عزير الحكيم
اعشى من الاعرج فجمع بينهما بيانا لطاعة الله فان الله تعالى او
قال من يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول
أمره حتى تطيعه فقال طاعته في طاعة رسوله وكلامه لا يسمع من رسوله ثم قال ومن يتول أى
يقبله ثم لما بين ان المخلفين بمد قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عادالى بيان حالهم
وقال اندرضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق كما
علم ما في قلوب المنافقين من المرض فأنزل السكينة عليهم حتى يبايعوا هلى الموت وفيه معنى
لضيف وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الآية ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات فجعل
طاعة الله وارسول علامة لادخال الله الجنة في تلك الآية وفي هذه الآية بين ان طاعة الله
والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان أما طاعة الله فالإشارة اليها بقوله لقد رضى الله
عن المؤمنين وأما طاعة الرسول فبقوله اذ يبايعونك تحت الشجرة بى الموعود به وهو
ادخال الجنة أشار اليه بقوله تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين لان الرضا يكون معه ادخال
الجنة كما قال تعالى ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ثم
قال تعالى فعلم ما في قلوبهم والقاء للتعقيب وعلم الله قبل الرضوانه علم ما في قلوبهم من
الصدق فرضى عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم بقوله فعلم ما في قلوبهم فعلق بقوله
اذ يبايعونك تحت الشجرة كما يقول القائل فرحت أم من اذ كنت زيدا فقام الى أو اذ دخلت
عليه فأكرمنى فيكون الفرح بعد الأكرام ترتيبا كذلك ههنا قال تعالى لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق إشارة الى ان الرضا لم يكن
عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم والقائه في قوله فأنزل

منصوب برضى وصيغة
المضارع لاستحضار
صورته وتحت الشجرة
متعلق به أو بمحتوف
هو حال من مفعوله روى
أنه عليه الصلاة والسلام
لمازل الحديدية بسث
خراش بن أمية الخنزي
رسولا الى أهل مكة
فهموا به فغضبوا لا يش
فرجع فبعت عثمان بن
عثمان رضى الله عنه
فأخبرهم أنه عليه الصلاة
والسلام لم يأت الحرب
وانما جاء نزل الهدايا
مغظها لحرمة فوفروه
وقالوا ان شئت أن نذلفوف
بالبيت فأذفل فقال ما كنت
لاطوف قبل أن يطوف
رسول الله صلى الله عليه
وسلم واحتبس عندهم
فأرجف بانهم قتلوه فقال
عليه الصلاة والسلام
لانبرح حتى نناجز القوم
ودعا الناس الى البيعة
فبايعوه تحت الشجرة
وكانت سمرة وقيل سدره
على أن يقاتلوا قرىشا
ولا يفر واوروى على الموت
ذوه وأن لا يفر واقال لهم
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أتم اليوم خير أهل

الأرض وكانوا ألفا وخمسمائة وخمسة ﴿٧٢﴾ سا وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلاثمائة وقوله
تعالى (فعلم ما في قلوبهم) عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى يبايعونك لا على لرضى فان

رضاء تعالى عنهم مرتب على علة تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاحسان عند ما يستعمل الله عليه وسلم وقوله تعالى (فانزل السكينة عليهم) عطف على رضى أى فأنزل عليهم السكينة والامن وسكون النفس باربط على قلوبهم وقيل بالصلح (وأناهم فتحاقربا) هو فتح خيرغب * ٥٧٠ * انصرف عنهم من الجديبية كما مر تخصبه وقرى

السكينة عليهم لاتعقب الذى ذكرته فانه تعالى رضى عنهم فانزل السكينة عليهم وفى علم بيان وصف الميامة يكونها معتبة بالعلم بالصدق الذى فى قلوبهم وهذا توفيق لايتأتى الا لى هذه الله تعالى الى معاني كتابه الكريم وقوله تعالى وأناهم فتحاقربا هو فتح خير ومغنايم كثيرة يأخذونها مغنايمها وقيل مغنايم هجر وكان الله عز ربا كامل القدرة غنيا عن اعانتكم اياه حكما حيث جعل هلاك أعدائه على أيديكم ليثيبكم عليه أولان فى ذلك اعزاز قوم واذلال آخرين فانه يدل من يشاء بعزته وبعز من يشاء بحكمته ثم قال تعالى (وعدكم الله مغنايم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما) إشارة الى ان ما أتاهم من الفتح والمغنايم ليس هو كل الثواب بل الجزاء قدامهم وانما هي لمعالجة عجل بها وفى المغنايم الموعود بها أقوال أحدها انه وعد مغنايم كثيرة من غير تعيين وكل ما غنوه كان منها والله كان عالما بها وهذا كما يقول الملك الجواد لمن يخدمه يكون لك منى على ما فعلت الجزاء ان شاء الله ولا يريد شيئا بعينه ثم كل ما أتى به ويؤتيه يكون دخلا تحت ذلك الوعد غير ان الملك لا يعلم تفاصيل ما يصل اليه وقت الوعد والله عالم بها وقوله تعالى وكف أيدي الناس عنكم لان تمام المنية كأنه قال رزقكم غنيمة باردة من غير من حر القنال ولو تعبت فيه اقلتم هذا جزاء تعبنا وقوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين عطف على مفهوم لانه لما قال الله تعالى فجعل لكم هذه واللام بينى عن النفع كان على بينى عن الضرر القائل لاعلى ولا ليا بمعنى لاما انضرر به ولا ما انتفع به ولا أضر به ولا أضع فكذلك قوله فجعل لكم هذه انتفعكم ولتكون آية للمؤمنين وفيه معنى لطيف وهو أن المغنايم الموعود بها كل ما يأخذه المسلمون فقوله ولتكون آية للمؤمنين يعنى لينفعكم بها وليجعلها لمن بعدكم آية تدلهم على ان ما وعدهم الله بصل اليهم كما وصل اليكم أو تقول معناه انتفعكم فى الظاهر وتضعكم فى الباطن حيث يزداد يقينكم اذ ارأيتهم صدق الرسول فى اخباره عن الغيوب فجعل اخباركم ويكمل اعتقادكم وقوله ويهديكم صراطا مستقيما وهو التوكيل هديه والتفويض اليه والاعتزاز به * قوله تعالى (واخرى لم تقدر واعليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شىء قديرا) قيل غنيمة هوازن وقيل غنائم فارس والروم وذكر النخسرى فى أخرى ثلاثة أوجه أن تكون منصوبة بفعل مضمر يفسره قد أحاط ولم تقدر واعليها صفة لآخرى كأنه يقول وغنيمة أخرى غيره مفدورة قد أحاط الله بها (ثانيها) ان تكون مرفوعة وخبرها قد أحاط الله بها وحسن جعلها مبتدأ م كونهما نكرة لكونها موصوفة بل تقدرها (وثالثها) الجر باضمار رب ويحتمل ان يقال منصوبة بالهطف على منصوب وفيه وجهان (أحدهما) كأنه تعالى قال فجعل لكم هذه وأخرى ما قدرتم عليها وهذا ضعيف لان أخرى لم يجعل بها (وثانيهما) على مغنايم كثيرة تأخذونها وأخرى أى وعدكم الله أخرى وحينئذ كأنه قال وعدكم الله مغنايم تأخذونها ومغنايم لا تأخذونها أنتم ولا تقدرتم عليهم وانما يأخذها من يجي بعدكم من المؤمنين وعلى

وأناهم) ومغنايم كثيرة يأخذونها) أى مغنايم خير والانتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وظلحة ونافع لتستر يفهم فى مقام الامتنان (أو كان الله عز ربا) غالبا (حكيم) مر اعياى المقضى الحكمة فى أحكامه وقضاياه (وعدكم الله مغنايم كثيرة) هى ما يغيبه على المؤمنين الى يوم القيامة (تأخذونها) فى أوقاتها المقدرة لكل واحدة منها (فجعل لكم هذه) أى غنائم خير (وكف أيدي الناس عنكم) أى أيدي أهل خير وخلفائهم من بنى أسد وهظفان حيث جاؤا لتصرتهم فقدف الله فى قلوبهم الرعب فتكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح (ولتكون آية للمؤمنين) أمانة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وعده اياهم عند رجوعه من الجديبية ما ذكر من المغنايم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف

مؤخر أى ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف أو ما تعلق به علة أخرى محذوف من أحد الفعلين وهذا أى فجعل لكم هذه وكف أيدي الناس لتعتموها ولتكون الخ قالوا وعلى الاول احتراضية وعلى الثانى طائفة (ويهديكم)

تلك الآية (مترادفا مستغنيا) هو الله تعالى والوكل عليه في كل ما تاتون وما تذررون (وأخرى) تحطفت على هذه أي جعل لكم هذه المغامر ومغام أخرى (لم تغدروا عليها) وهي مغامر هواز في خروء حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك ٥٧١ * زيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى (قد أحاط الله بها) صفة أخرى

لاخرى مفيدة اسهولة
تأتيها بالنسبة الى قدرته
تعالى بعد بيان صعوبة
مغالها بالنظر الى قدرتهم
أي قد قدر الله عليها
واستولى واظهر كم عليها
وقبل حفظها لكم
ومنهما من غير كم هذا
وقد قيل ان اخرى
منصوب بمضمر يفسره
قد احاط الله بها أي
وقضى الله أخرى ولا
ريب في أن الاخبار
بقضاء الله ايها بعد
اندر اجهتا في جلة المغامر
الموصوفة بقوله تعالى
وعند كم الله مغامر كثيرة
تأخذونها ليس فيه
من بدة فائدة وانما الفائدة
في بيان تعجلها (وكان الله
على كل شيء قديرا)
لان قدرته تعالى ذائبة
لا تختص بشيء دون
شيء (ولو قاتلكم الذين
كفروا) أي أهل مكة
ولم يصالحوكم وقيل
خلفاء خبير (لولوا الأذيان)
منهزمين (ثم لا يجدون
وليا يحرسهم) (ولانصيرا)
يتصرونهم (سنة الله التي
قد دخلت من قبل) أي
سن الله غلبة أنبيائه سنة

هذاتين اقول الفراء حسن وذلك لانه فسر قوله تعالى قد احاط الله بها أي حفظها للمؤمنين
لايجرى عليها هلاك الى ان يأخذها المسلمون كاحاطة الحراس بالخزائن * ثم قال تعالى
(واوقاتلكم الذين كفروا اولوا الادبار) وهو يصلح جوابا لمن يقول كف الايدي عنهم كان
أمرا اتفاقيا ولو اجتمع عليهم العرب كما عزموا لنعوهم من فتح خيبر واغتنام غنائمها فقال
ليس كذلك بل سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا لا ينصرون والغاية واقعة للمسلمين فليس أمرهم
أمرا اتفاقيا بل هو أمر الهي محكوم به مخنوم * وقوله تعالى (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا)
قد ذكرنا مرارا ان دفع الضرر عن الشخص اما أن يكون يولى ينفع باللطف أو ينصير
يدفع بالنصف وليس للذين كفروا شيء من ذلك وفي قوله تعالى ثم لطفة وهي ان من يولى دبره
يصلب الخلاص من القتل بالآهراق بما ينجيه فقال وليس اذا ولوا الادبار يتخلصون بل
بعد التولى الهلاك لاحق بهم * وقوله تعالى (سنة الله التي قد دخلت من قبل) جواب عن
سؤال آخر يقوم مقام الجهاد وهو ان الطواع لها تأثيرات والاتصالات لها تغيرات فقال
ليس كذلك سنة الله نصرته رسوله واهلاك عدوه * وقوله تعالى (وان تجد لسنة الله تبديلا)
بشارة ودفع وهن يقع بسبب وهم وهوانه اذا قال الله تعالى ليس هذا با تأثيرات فلا يجب
وقوعه بل الله فاعل مختار ولو اراد ان يهلك العباد لهلككم بخلاف قول المنجم بان الغلب
لمن له طالع وشواهد تقتضي غلبته قطعا فقال الله تعالى وان تجد لسنة الله تبديلا يعني ان
الله فاعل مختار يفعل ما يشاء ويقدر على اهلاك أعدائه ولكن لا يبدل سنته ولا يغير
قادته * ثم قال تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بيطن مكة من بعد ان
أظفركم عليهم) تبيننا تقدم من قوله ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار أي هو بتقدير
الله لانه كف أيديهم عنكم بالفرار وأيديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم وقوله تعالى بيطن
مكة اشارة الى أمر كان هناك يقتضي عدم الكف ومع ذلك وجد كف الايدي وذلك الامر
هو دخول المسلمين بيطن مكة فان ذلك يقتضي أن يصبر المكفوف على القتال ليكون العدو
دخل دارهم طالين نارهم وذلك مما يوجب اجتهاد البليد في الذب عن الحرم ويقتضي ان
يبالغ المسلمون في الاجتهاد في الجهاد لكونهم اوقصروا الكسر واأسروا البعد ما منهم فقوله
بيطن مكة اشارة الى بعد الكف ومع ذلك وجد بشيئة الله تعالى وقوله تعالى من بعد ان
أظفركم عليهم صالح الامرين (أحدهما) ان يكون منه على المؤمنين بان الظفر كان لكم
مع ان الظاهر كان يستدعي كون الظفر لهم لكون البلاد لهم ولكثرة عددهم (الثاني) أن
يكون ذكر امرين مانعين من الامرين الاولين مع ان الله حقهما مع المنافقين اما كف
أيدي الكفار فكان بعيد الكونهم في بلادهم ذابين عن أهلهم وأولادهم واليد اشارة بقوله
بيطن مكة وأما كف أيدي المسلمين فلانه كان بعد ان ظفروا بهم ومتى ظفر الانسان بعدوه
الذي لو ظفر هو به لاستأصله يبعد ان كفاقه عنه مع ان الله كف اليدين * وقوله تعالى
(وكان الله بما تعملون بصيرا) يعني كان الله يرى فيه من المصلحة وان كنتم لاترون ذلك وبيته

قدية فمضى من الامم (وان تجد لسنة الله تبديلا) اي تغيرا (وهو الذي كف أيديهم) أي أيدي كفار مكة (عنكم
وأيديكم عنهم بيطن مكة) أي في داخلها (من بعد ان أظفركم عليهم) وذلك ان حكمة بن أبي جهل خرج في شخصائته
الى الجدة فبعث رسول الله صلى الله

عليه وسلم خالدين الواليد على جند فمنهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم النحر و...
حقيقة على ان مكة قحمت عنوة لاصطفا (وكان الله بما يعملون) من مقاتلتهم وهم منهم اولوا الكف عنهم بابا العظيم بينه
الحرام وقرى بالياء (بصيرا) فيجاز يكمن بذلك أو يجازيهم ﴿٥٧٢﴾ (هم الذين كفروا وصدواكم عن المسجد

الحرام والهدى) بالنصب
منافعا على الصبر بالنصب
في صدوكم وقرى بالجذر
عطف على المسجد محذوف
المصانف أي وقرى الهدى
وبالرفع على وصد الهدى
وقوله تعالى (معكوف)
سلك من الهدى أي
محذوف وصد الهدى (ان
يلج محله) بدل اشتمال من
الهدى أو منصوب بترج
الطافض أي محبوسا من
أن يبلغ مكانه الذي يصل
فب محره وبه استدلال
أبو حنيفة رحمه الله تعالى
من أن المحصر محل هديه
الحرم فانسوا بعض
الحديبية من الحرم وروى
أن خيامه صلى الله عليه
ومسلم كانت في الحل
ومصلا في الحرم وهناك
نحرت هداياه صلى الله
عليه وسلم والراد صدها
عن حلها المشهود الذي
هو مني (ولو لرجال
مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم) لم تعرفوهم
بأعيانهم لا اختلاطهم وهو
صفت لرجال ونساء وقوله
تعالى (ان تطوهم) أي
توقدوا بهم وتهلكوهم
بدل اشتمال منهم أو من
الضمير المنصوب في تعلموهم

بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدواكم عن المسجد الحرام والهدى معكوف إلى ان قال ولو لولا
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يعني كان الكف محافضة على ما في مكة من المسلمين ليجزوا
منها ويدخلوها على وجه لا يكون فيه ابتداء من فيها من المؤمنين والمؤمنات واختلف
المفسرون في ذلك الكف منهم من قال المراد ما كان طام الفتح ومنهم من قال ما كان عام
الحديبية فان المسلمين هم الكفار حتى أدخلوهم بيوتهم وقيل ان الحرب كان
بالجأرة * وقوله تعالى (هم الذين كفروا وصدواكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفان
يلج محله) إشارة إلى ان الكف لم يكن لامر فهم لانهم كفروا وصدوا واحصروا وكل ذلك
يقضي قتالهم فلا يقع لاحد ان الفر يقين اتفقوا ولم يبق بينهما خلاف واصطالحوا ولم يبق
بينهم حزازع بل الاختلاف باق والنزاع مستمر لانهم هم الذين كفروا وصدوا كما منعوا
فازدادوا كفرا وعداوة وانما ذلك للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات وقوله والهدى
منصوب على العطف على كم في صدوكم ويجوز الجر عطف على المسجد أي وعن الهدى
ومعكوف حال وان يبلغ تقديره عن ان يبلغ ويحتمل أن يقال أن يبلغ منه رجم تفسير معكوف
بالوفه محله كما يقال رأيت زيدا شديدا بأسه ومعكوف أي ممنوعا ولا يخرج منه شيء على
هذا الوجه * وقوله تعالى (ولو لرجال مؤمنون ونساء مؤمنات تعلموهم) أي لو لم يعلموهم
فتصديقكم منهم (معرفة بغير علم) وصف الرجال والنساء يعني لو لرجال مسلمة مؤمنون غير
معلومين وقوله تعالى ان تطوهم بدل اشتمال كأنه قال رجال غير معلمي تطوهم وتصيبكم
منهم معرفة عيب أو اثم وذلك لانكم ربما تقتلونهم فتلزمكم الكفارة وهي دين الائم
أو يصيبكم الكفار بانهم فعلوا باخوانهم ما فعلوا بانفسهم وقوله تعالى بغير علم قال
الزمخشري هو متعلق بقوله ان تطوهم يعني تطوهم بغير علم وجاز أن يكون يدل على الضمير
المنصوب في قوله لم تعلموهم وتقاتل أن يقول يكون هذا تكرارا لان على قولنا هو بدل من
الضمير يكون التقدير لم تعلموا ان تطوهم بغير علم فيلزم تكرار بغير علم لصدوله لم تعلموهم
قالوا في أن يقال بغير علم هو في موضعه تقديره لم تعلموا ان تطوهم فتصديقكم منهم معرفة بغير علم
من الذي يعرفكم بغير علم يعني ان وطوهم غير العالمين بتصديقكم مسبة الكفار بغير علم أي
بجهل لا يعلمون انكم معذورون فيه أو تقول تقديره لم تعلموا ان تطوهم فتصديقكم منهم معرفة
بغير علم أي فقتلوهم بغير علم أو توذوهم بغير علم فيكون الوطء سبب القتل والوطء غير معلوم
لكم والقيل الذي هو سبب المعرفة وهو الوطء الذي يحصل بغير علم أو تقول المعرفة قسمان
(أحدهما) ما يحصل من القتل العمدمن هو غير العالم بحال المحل (والثاني) ما يحصل من
القتل خطأ وهو غير عدم العلم فقال تصديقكم منهم معرفة غير معلومة لا التي تكون من العلم
وجواب لولا محذوف تقديره لولا ذلك لما كف أيديكم عنه هذا ما قاله الزمخشري وهو
حسن ويحتمل ان يقال جوابه ما يدل عليه قوله تعالى هم الذين كفروا وصدواكم عن المسجد
الحرام يعني قد استحقوا ان لا يعلموا لولا رجال مؤمنون لوقع ما استحقوه كما يقول القائل

﴿هو﴾
الدية أو الكفارة بقتالهم والتأسيب عليهم وتعمير الكفار وسوء قائلهم والائم بالتصغير في البحث

منهم وهي منسوبة من قره اذا ضراء وذاها ما يكرهه (بغير عمل) متعلق بان يظنهم اي غير طالين بهم وجواب لولا محذوف
 لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين الكافرين غير طالين بهم فيصيبكم بذلك مكروه
 لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ﴿ ٥٧٣ ﴾ (ليدخل الله في رحمة) متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه

قبل عقبة لكن كفها
 عنهم اي دخل بذلك
 الكف المؤدى الى
 القبح بلا محذوف في
 رحمة الواسعة بقسميها
 (من يشاء) وهم
 المؤمنون فانهم كانوا
 خارجين من الرحمة
 الدنياوية التي من جملتها
 الامن من ضعفين تحت
 ايدي الكفرة وأما
 الرحمة الاخروية فهم
 وان كانوا غير محرومين
 منها بل مرة لكنهم
 كانوا قاصرين في اقامتها
 مراسم العبادة كما ينبغي
 فتوفيقهم لاقامتها
 على الوجه الاتم ادخال
 لهم في الرحمة الاخروية
 وقد جوز ان يكون من
 يشاء عبارة عن رقب
 في الاسلام من المشركين
 ويا باه قوله تعالى (لو
 تزيلوا) الخ فان فرض
 التزيل وترتيب التعذيب
 عليه يقتضى تحقق
 البينة بين الفريقين
 بالايان والكفر قيل
 التزيل جنما أى لو
 تفرقوا وتميز بعضهم
 من بعض وقرئ لوتزيلوا
 (لعذبنا الذين كفروا

هو سارق ولولا فلان لم يصح بده وذلك لان لولا لا تستعمل الا لامتناع الشيء لوجود غيره
 وامتناع الشيء لا يكون الا اذا وجد مقتضى له فعمد الغير فتكر الله تعالى أولا مقتضى
 التام البالغ وهو الكفر والصدq والمنع وذكر ما امتنع لاجله مقتضاه وهو وجود الرجال
 المؤمنين * وقوله تعالى (ليدخل الله في رحمة من يشاء لوتزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
 عذابا أليما) فيه اباحت (الاول) في الفعل الذي يستدعي الالام الذي بسببه يكون الادخال
 وفيه وجوه (أحدها) أن يقال هو قوله كف ايديكم عنهم ليدخل ليقال بانك ذكرت
 ان المانع وجود رجال مؤمنين فيكون كأنه قال كف ايديكم ثلاثا تسوؤا فكيف يكون اشئ
 آخر تقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن تقول كف ايديكم ثلاثا فعلوا لدخولوا
 كما يقال اطعمته لبشبع يغفر الله لى أى الاطعام للشبع كأن يغفر (الثاني) هو انما يذا
 ان اول جوابه ما دل عليه قوله هم الذين كفروا فيكون كأنه قال هم الذين كفروا
 واستحقوا التعذيب في اهلاكهم ولولا رجال لعذبنا بهم ولكن كف ايديكم ليدخل (ثانيها)
 أن يقال فعل ما فعل ليدخل لان هناك احد من الاعلاف والهداية وغيرهما وقوله
 ليدخل الله في رحمة من يشاء ليومن منهم من علم الله تعالى انه يؤمن في تلك السنة
 أو يخرج من مكة ويهاجر فيدخلهم في رحمة وقوله تعالى لوتزيلوا أى لوتزيلوا والضمير
 يختم أن يقال هو ضمير الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات فان قيل كيف يصح هذا وقد
 قاتم بان جواب لولا محذوف في رهو قوله لما كف أن لعجل ولو كان لوتزيلوا راجعا الى
 الرجال لكان لعذبنا جواب لولا نقول وقد قال به الزخشي فقال لوتزيلوا يتضمن ذكر
 لولا فيشمل أن يكرن لعذبنا جواب لولا ويحتمل أن قال هو ضمير من يشاء كأنه قال
 ليدخل من يشاء في رحمة لوتزيلواهم وتيزوا وآمنوا لعذبنا الذين كتب الله عليهم
 انهم لا يؤمنون وفيه اباحت (البحث الاول) وهو على تقدير نفي ضد فان الكلام يفيد
 ان العذاب الاليم يدفع عنهم اما بسبب عدم التزيل او بسبب وجود الرجال وعلم تقدير
 وجود الرجال والعذاب الاليم لا يتدفع عن الكافر نقول المراد عذابا عاجلا بأيديكم
 يتبدأ بالجنس اذا كانوا غير مقرين ولا متقابلين اليهم فيظهرون ويقبلون ويكون الاليم
 (البحث الثاني) ما الحكمة في ذكر المؤمنين والمؤمنات مع ان المؤنث يدخل في ذكر المذكر
 عند الاجتماع قلنا الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ما تقدم يعني ان الموضوع موضع وهم
 اختصاص الرجال بالحكم لان قوله تعالىهم فتصيبكم معناه تهلكوهم والمرأة لاتقاتل
 ولا تقتل فكان المانع هو وجود الرجال المؤمنين قتال والنساء المؤمنات أيضا لان تخریب
 بيوتهن ویتيم أولادهن بسبب قتل رجالهن وطأة شديدة (وثانيها) ان في محل الشفقة
 تعد المواضع لتفريق القلب يقال لمن يحب شخصا لا تعذبه وارحمه فله فقره وضعفه ويقال
 أولاده وصغارهم وأهله الضعفاء العاجزين وكذلك ههنا قال لولا رجال مؤمنون ونساء
 مؤمنات لتفريق قلوب المؤمنين ورضاهم بما جرى من الكف بعد الظفر ثم قال تعالى

منهم عذابا أليما) يقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها (اذ جعل الذين كفروا) منصوب
 باذكر هلى المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو اجسن الله اليكم وايما ما كان فوضع الوصول موضع
 ضمير هم اليهم بما في حين الصلة وتعليل اليكم به

والجمل اما بمعنى الالقاء فتقوله تعالى (في قلوبهم الحمية) اي الالفة والكبر مشقوق به او بمعنى التفسير فهو مشقوق
بمخروف هو مفعول ثان له أي جعلوها ثابتة زامخة في قلوبهم (حمية الجاهلية) بدل من الحمية أي حية الملة
الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى (فأزل الله) ﴿ ٥٧٤ ﴾ سكينته على رسوله وعلى المؤمنين

على الاول ضطف على
بجعل والمراد تكبير
حسن صنيع الرسول
صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بتوفيق
الله تعالى وسوء صنيع
الكفرة وعلى الثاني
على ما يدل عليه الجملة
الامتناعية كأنه قيل
لم يتريلوا فلم نعدب
فأزل الخ وعلى الثالث
على المصدر تفسيره
والسكينة الثبات
والوقار ويرى أن رسول
الله صلى الله عليه
وسلم لما نزل الحديدية
بمكة فريش سهيل
ابن عمرو القرشي
وحويطب بن عبد
العزى ومكرز بن حفص
بن الاحنف على أن
يعرضوا على النبي
صلى الله عليه وسلم
أن يرجع من طائف ذلك
على أن تخلى له فريش
مكة من العام القابل
ثلاثة ايام ففعل ذلك
وكتبوا بينهم كتابا
فقال عليه الصلاة
والسلام على رضى الله
عنه اكتب بسم الله
الرحمن الرحيم فقالوا

اذ جعل الدين كفرا في قلوبهم الحمية حبة الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين وأزمتهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما) اذ يحتمل
أن يكون ظرفا فلا بد من فعل يقع فيه و يكون عاملا له ويحتمل أن يكون مفعولا به فان
فلنائه ظرف فالفعل الواقع فيه يحتمل أن يقال هو مذكور ويحتمل أن يقال هو مفعول به غير
مذكور فان قلنا هو مذكور فبها (أحدهما) هو قوله تعالى وصدوكم أي وصدوكم
حين جعلوا في قلوبهم الحمية (وثانيها) قوله تعالى لعذبتنا الذين كفر ومنهم أي لعذبتناهم
حين جعلوا في قلوبهم الحمية (والثاني) أقرب اقرب لغضا وشدة مناسبة معنى لانهم اذا جعلوا
في قلوبهم الحمية لا يرجعون الى الاستسلام والالتقياد والمؤمنون لما أنزل الله عليهم السكينة
لا يتركون الاجتهاد في الجهاد والله مع المؤمنين فيعدبونهم عذابا ألما أو غير المؤمنين
واما ان قلنا ان ذلك مفعول غير مذكور فبها (أحدهما) حفظ الله المؤمنين عن
أن يملوهم وهم الذين كفروا الذين جعل في قلوبهم الحمية (وثانيها) أحسن الله اليكم
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية وعلى هذا فقوله تعالى فأزل الله سكينته تفسير لتلك
الاحسان وامان قلنا انه مفعول به فالعامل مقدر تقديره اذ كر أي اذ كر ذلك الوقت كما
تقول انذرا اذ قام زيد أي انذروا وقت قيامه كما تقول انذروا على هذا يكون الطرف
للفعل المضارع اليد عاملا فيه وفيه لطائف معنوية ولغظية (الاولى) هو ان الله تعالى أبان
غاية البون بين الكافر والمؤمن فاشار الى ثلاثة أشياء (أحدها) جعل مال الكافر ين يحملهم
فقال اذ جعل الذين كفروا وجعل مال المؤمنين يجعل الله فقال فأنزل الله و بين الفاعلين
مالا يخفى (ثانيها) جعل للكافرين الحمية وللمؤمنين السكينة و بين المفعولين تفاوت على
ما سنذكره (ثالثها) اضاف الحمية الى الجاهلية و اضاف السكينة الى نفسه حيث قال حية
الجاهلية وقال سكينته و بين الاضافتين ما لا بد ذكر (الثانية) زاد المؤمنين خيرا بعد حصول
مقابلة شيء بشيء فعملهم بفعل الله والحمية بالسكينة والاضافة الى الجاهلية بالاضافة الى الله
تعالى وأزمتهم كلمة التقوى وسند كرمناه واما اللفظية فثلاث لطائف (الاولى) قال
في حق الكافر جعل وقال في حق المؤمن أنزل ولم يقل خلق ولا جعل سكينته إشارة الى ان
الحمية كانت تجسده في الحال في العرض الذي لا يبقى واما السكينة فكانت كالحفوظة
في خزانة الرحمة معدة لعباده فأنزلها (الثانية) قال الحمية ثم اضافها بقوله حية الجاهلية لان
الحمية في نفسها صفة مذمومة وبلاضافة الى الجاهلية تزداد قبحا والحمية في القبح درجة
لا يعتبر معها القبح كالمضاف الى الجاهلية واما السكينة في نفسها وان كانت حسنة
لكن الاضافة الى الله فيها من الحسن ما لا يبقى معه لحسن اعتبار فقال سكينته اكتفاء
بحسن الاضافة (الثالثة) قوله فأنزل بالفاء لا بالواو إشارة الى ان ذلك كالمقابلة تقول
أكرمني فأكرمه للجمازة والمقابلة ولو قلت أكرمني وأكرمنه لا يبقى من ذلك وحينئذ
يكون فيه لطيفة وهي ان عند اشتداد غضب أحد العدو ين فاعده والآخر اما أن يكون

ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا او كنا ﴿ ضعيفا ﴾
نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت وما قالنا لك اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله أهل مكة فقال
صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويطشواهم فأنزل الله

السكينة عليهم فزوروا وحلوا (وألزمهم كلمة التقوى) أي كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم أو بمحمد رسول الله وقيل
 كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والتباعد عنه وإضافتها إلى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها أو كلمة أهلها (وكانوا أحق
 بها) متصفين بزيد استحقاق لها على أن ﴿ ٥٧٥ ﴾ صبغة التعضيل للزيادة مطلقا وقيل أحق بها من الكفار

ضعيفا أو قويا فان كان ضعيفا ينهزم وينفهر وان كان قويا فيورت غضبه فيه غضبا وهذا
 سبب قيام الفتن والقتال فقال في نفس الجرمة عند حركتهم ما قدمنا وما نهزنا وقوله
 تعالى فانزل الله بالفاء يدل تعلق الانزال بالفاء على ترتيبه على شيء تقول فيه وجهان
 (أحدهما) ما ذكرنا من ان اذ ظرف كأنه قال أحسن الله اذ جعل الذين كفروا وقوله وانزل
 تفسيرا لذلك الاحسان كما يقال أكرمني فأعطاني لتفسير الأكرام (وثانيهما) أن تكون الفاء
 للدلالة على ان تعاقب انزال السكينة يجعلهم الحمية في قلوبهم على معنى المقابلة تقول
 أكرمني فأنيت عليه ويجوز أن يكونا فعلين واقعين من غير مقابلة كما تقول جاني زيد
 وخرج عمرو وهو هنا كذلك لانهم لما جعلوا في قلوبهم الحمية فالمسلمون على مجرى العادة
 لو نظرت اليهم لزم ان يوجد منهم أحد الاخرين اما اقدام واما نهزام لان أحد العدوين
 اذا اشتد غضبه فالعدو الآخر ان كان مثله في القوة يغضب أيضا وهذا يشير الفتى وان كان
 أضعف منه ينهزم أو يتفاد له فالله تعالى أنزل في مقابلة حمية الكافر بن علي المؤمنين
 سكينته حتى لم يغضبوا ولم ينهزموا بل يصبروا وهو بعيد في العادة فهو من فضل الله تعالى
 قوله تعالى على رسوله وعلى المؤمنين فانه هو الذي أجاب الكافر بن علي الصلح وكان في نفس
 المؤمنين ان لا يرجعوا الا باجد الثلاثة بالبحر في المنحرف وأبو ان لا يكتبوا بمحمد رسول الله
 وبسم الله فلما سكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المؤمنون وقوله تعالى وألزمهم كلمة
 التقوى فيد وجوه أظهرها انه قوله لا اله الا الله فان بها يقع الاتفاء عن الشرك وقيل هو
 بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله فان الكافر بن أبو اذلك والمؤمنون التزموه وقيل
 هي الوفاء بالعهد الى غير ذلك ونحن نوضح فيه ما يترجح بالدليل فتقول وألزمهم بحتمل أن
 يكون عائدا الى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا بمعنى ألزم النبي والمؤمنين كلمة
 التقوى ويحتمل أن يكون عائدا الى المؤمنين فحسب فان قلنا انه عائدا اليهما جميعا نقول
 هو الامر بالتقوى فان الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع
 الكافرين وقال المؤمنين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته والامر بتقوى الله حتى
 تذهله تقواه عن الانتفاة الى ما سوى الله كما قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله
 ولا تطع الكافرين وقال تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم بين له حال من صدقه
 بقوله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وأما في حق المؤمنين
 فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال فلا تخشوهم واخشوني وان قلنا بانه
 راجع الى المؤمنين فهو قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الا ترى
 الى قوله واتقوا الله وهو قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله وفي
 معنى قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى على هذا معنى لطيف وهو انه تعالى اذا قال اتقوا
 يكون الامر واردا ثم ان من الناس من يقبله بتوفيق الله ويلتزمه ومنهم من لا يلتزمه ومن
 التزمه فقد التزمه بالزام الله اياه فكانه قال تعالى ألزمهم كلمة التقوى وفي هذا المعنى رجحان

(وأهلها) أي المسائل
 لها (وكان الله بكل شيء
 عليما) فيعلم حق كل شيء
 فيسوقه الى مستحقه
 (لتصدق الله رسوله
 الرؤيا) رأى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قبل
 خروجه الى المدينة
 كأنه وأصحابه قد دخلوا
 مكة آمنين وقد حلقوا
 رؤسهم وقصروا قصص
 الرؤيا على أصحابه
 ففرحوا واستبشروا
 وحسبوا أنهم داخلوها
 في عامهم فلما أخرج ذلك
 قال عبدالله بن أبي
 وعبدالله بن نفعيل ورفاعة
 بن الحرث والله ما حلقتنا
 ولا قصرنا ولا رأينا
 المسجد الحرام فترأت
 أي صدقه صلى الله
 عليه وسلم في رؤياه كما في
 قولهم صدقتني سن
 بكره وتحقيقه أراه الرؤيا
 الصادقة وقوله تعالى
 (الحق) اما صفة المصدر
 مؤكدا محذوف أي
 صدقا ملتبسا بالحق أي
 بالغرض الصحيح والحكمة
 البالغة التي هي التمام
 بين الراشح في الايمان
 والمترائل فيه أو حال

من الرؤيا أي ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الاحلام وقد جوز أن يكون قسما بالحق الذي هو من أسماء الله تعالى
 أو بقبض الباطل وقوله تعالى (لتدخان المسجد الحرام) جوابه وهو صلى الاولين جواب قسم محذوف

أى والله لتدخلن الح وقوله تعالى (ان شاء الله) تملق العنة بالثبته لتعظيم العباد أو للاشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك أو هي حكاية لما قاله ملك الرويا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لما قاله عليه الصلاة والسلام لأصحابه (آمين) حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض ﴿ ٥٧٦ ﴾ وكذا قوله تعالى (محلقين رؤسكم

ومقصرين) أى محلقا بعنقكم ومقصر آخرون وقبل محلقين حال من شمير آمين فتكون متداخلة (لا تخافون) حال مؤكدة من فاعل لتدخلن أو آمين أو محلقين أو مقصرين أو استئناف أى لا تخافون بعد ذلك (فعلم ما لم تعلموا) عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم القملى المتعلق بما مر حادث بعد المعلوم عليه أى فعل عقيب ما أراه الرويا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا (ففعل) لاجله (من دون ذلك) أى من دون تحقق مصداق ما أراه من دخول المسجد الحرام الح (فتهاقريا) وهو فتح خبير والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويق يستدل به على صدق الرويا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما فى قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام

من حيث ان التوى وان كان كاملا ولكنه أقرب الى الكلمة وعلى هذا فقوله وكانوا أحق بها وأعلمها معناه انهم كانوا عند الله أكرم الناس فالزموا تقواه وذلك لان قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم يحتمل وجهين (أحدهما) ان يكون معناه ان من يكون تقواه أكثر يكرمه الله أكثر (والثانى) أن يكون معناه ان من سكيون أكرم عند الله وأقرب المبدأ كان أتى كفى وقوله والمخلصون على خطر عظيم وقوله تعالى وهم من خشية ربهم مشفقون وعلى الوجه الثانى يكون معنى قوله وكانوا أحق بها لانهم كانوا أعلم بالله أقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله وأهلها يحتمل وجهين (أحدهما) انه يفهم من معنى الاحق انه ثبت رجائنا على الكافرين ان لم يثبت الاهلية كما لو اختار الملك اثنين لشغل وكل واحد منهما غير صالح له ولكن أحدهما أبعد عن الاستحقاق فقال فى الأقرب الى الاستحقاق انا كان ولا بد فهذا أحق كما يقال الحبس أهون من القتل مع انه لا هين هناك فقال وأهلها فاعل لذلك (الثانى) وهو أقوى وهو أن يقال قوله تعالى وأهلها فيه وجوه يبينها بعد ما بين معنى الاحق فنقول هو يحتمل وجهين (أحدهما) ان يكون الاحق بمعنى الحق لا للفضل بل كفى قوله تعالى خير مما ما وأحسن تدينا فلا خير فى غيره (والثانى) أن يكون للفضل وهو يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون بالنسبة الى غيره أى المؤمنون أحق من الكافرين (والثانى) أن يكون بالنسبة الى كلمة التقوى من كلمة اخرى غير تقوى تقول زيدنا أحق باننا أكرم منه بالاهانه كما إذا سأل شخص من زيدنا بالطلب العلم أو بالتمسك نقول هو بالتمسك أعلم أى من العلم وقوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتهاقريا) بيان لفساد ما قاله المنافقون بعد انزال الله السكينة على رسوله وعلى المؤمنين ووقوفهم عند ما أمروا به من عدم الاقبال على القتال وذلك قولهم ما دخلنا المسجد الحرام ولا حلقنا ولا قصرنا حيث سكن النبي صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه أن المؤمنين يدخلون مكة ويتمون الحج ولم يعين له وقتا فقص رؤياه على المؤمنين فقطعوا بان الامر كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى منامه وظنوا ان الدخول يكون عام الحديبية والله اعلم انه لا يكون الا عام الفتح فلما صالحوا ورجعوا قال المنافقون استهزاء ما دخلنا ولا حلقنا فقال تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وتعدية صدق الى مفعولين يحتمل أن يكون بنفسه وكونه من الافعال التى تعدى الى مفعولين ككلمة جعل وخلق ويحتمل أن يقال عدى الى الرويا بحرف تقديره صدق الله رسوله فى الرويا وعلى الاول معناه جعلها واقعة بين صدق وعده اذ وقع الموعود به وأتى به وعلى الثانى معناه ما أراه الله لم يكذب فيه وعلى هذا فيحتمل ان يكون رأى فى منامه ان الله تعالى يقول ستدخلون المسجد الحرام فيكون قوله صدق ظاهر الان استعمال الصدق فى الكلام ظاهر ويحتمل أن يكون عليه الصلاة

القابل كما جئنا به الجمهور فأنه فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرويا قطعاً ﴿ ٥٧٦ ﴾ والسلام

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي ملتبسا به أو بسببه ولا يجله (ودين الحق) ودين الاسلام (ايظهرة على الدين كافة) ليعليه على جنس الدين بجميع أفرادها التي ﴿ ٥٧٧ ﴾ هي اديان المختلفة بلسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة

والسلام رأى أنه يدخل المسجد فيكون قوله صدق الله معناه انه أتى بما يحقق المسام
 ويدل على كونه صادقا يقال صدقني سن نكره مثلا فيما اذا تحقق الامر الذي يريد به من
 نفسه ما خوذ من الابل اذا قيل له هرع سكن فحقق كونه من صفات الابل فان هرع كلفه
 يسكن بها صفات الابل وقوله تعالى بالحق قال الزمخشري هو حال أو قسم أو سفة صدق
 وعلى كونه حال تقديره صدقه الرويا ملتبسا بالحق وعلى تقدير كونه سفة تقديره صدقه
 صدقا ملتبسا بالحق وعلى تقدير كونه قسما اما أن يكون قسما بالله فان الحق من أسمائه
 واما أن يكون قسما بالحق الذي هو تقيض الباطل هذا ما قاله ويحتمل ان يقال فيه
 وجهين آخرين (أحدهما) أن يقال فيه تقديم وأخير تقديره صدق الله رسوله بالحق
 الرويا أي الرسول الذي هو رسول بالحق وفيه اشارة الى امتناع الكذب في الرويا لانه
 لما كان رسولا بالحق فلا يرى في مناهه الباطل (والثاني) أن يقال بأن قوله اندخلن
 المسجد الحرام ان قلنا بأن الحق قسم فامر اللام ظاهر وانما يقبل به فتقديره قد صدق
 الله رسوله الرويا بالحق والله لتدخلن وقوله والله لتدخلن اجاز أن يكون تفسير الرويا
 يعني الرويا هي والله لتدخلن وعلى هذا تبين أن قوله صدق الله كان في الكلام لان
 الرويا كانت كلاما ويحتمل أن يكون تحقيرا لقوله تعالى صدق الله رسوله يعني والله
 ليؤمن الدخول وايظهر ان الصدق فاندخلن ابتداء كلام وقوله تعالى ان شاء الله فيه
 وجوه (أحدها) انه ذكره تعليما للعباد الادب وتأكيذا لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني
 فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله (الثاني) هو ان الدخول لما لم يقع عام الجديدة وكان
 المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال اندخلن ولكن لا يدخلونكم
 ولا يباردواكم وانما تدخلون بمشيئة الله تعالى (الثالث) هو ان الله تعالى لما قال في الوحي
 المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لتدخلن ذكرانه بمشيئة الله تعالى لان ذلك من الله وعد
 ليس عليه دين ولا حق واجب ومن وعد بشيء لا يحققه الا بمشيئة الله تعالى والا فلا يلزمه
 به احد واذا كان هذا حال الموعود به في الوحي المنزل صريحا في البقعة فاطنكم بالوحي
 بالتمام وهو محتمل الاول أكثر مما يحتمله الكلام فاذا تأخر الدخول لم يستهزؤن
 (الراء) هو ان ذلك تحقيرا للدخول وذلك لان أهل مكة قالوا لا تدخلوها الا بارادتنا
 ولا تريد دخولكم في هذه السنة وتختار دخولكم في السنة القابلة والمؤمنون أرادوا
 الدخول في عامهم ولم يقع فكان لقائل أن يقول ببق الامر موقوفا على مشيئة أهل
 مكة ان أرادوا في السنة الآتية بتركوتنا تدخلها وان كرهوا لا تدخلها فقال لا تشتراط
 ارادتهم ومشيئتهم بل تمام الشرط بمشيئة الله وقوله محققين رؤسكم ومتصمرين لا تخافون
 اشارة الى انكم تتنون الحج من أوله الى آخره فقوله لتدخلن اشارة الى الاول وقوله
 محققين اشارة الى الآخر وفيه مستثنان (المسئلة الاولى) محققين حال الداخلين
 والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محققا فقوله آمنين ينبي عن الدوام في الدوام

ببديل الاعصار واظهار
 بطلان ما كان باطلا
 أو بتسليم المسلمين على
 أهل سائر الاديان اذا
 من أهل دين الاوفد
 فغيرهم المسلمون وفيه
 فضل تأكيدي وعدم
 التفخيم وتوطيئ لنفوس
 المؤمنين على أنه سبحانه
 سيفتح لهم من البلاد
 ويبيح لهم من الغلبة
 على الاقائيم ما يستقلون
 اليه فتح مكة (وكفى بالله
 شهيدا) على أن ما وعدته
 كأن لا يحاله أو على نبوته
 عليه الصلاة والسلام
 باظهار المعجزات (محمد)
 خير ميتا عند قوف بقوله
 تعالى (رسول الله) يدل
 أو بيان أو نعت أي ذلك
 الرسول المرسل بالهدى
 ودين الحق محمد رسول
 الله وقبل محمد مبتدأ
 رسول الله خبره والجنة
 مدينة للشهود به وقوله
 تعالى (والدين معه)
 مبتدأ خبره (أشدها على
 الكفار رجاء بينهم)
 وأشدها جمع شديد
 ورجاء جمع رحيم والمعنى
 انهم يظفرون لمن خالف
 دينهم الشدة والصلابة

المؤمنين أهرة على الكافر بن وقرى أشداء ورجاء بالانصب على المدح أو على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلاة
فالخير حيث بقوله تعالى (تراهم ركعا سجدا) أي شاهدتهم * ٥٧٨ * حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على

الصلاة وهو على الاول
خير آخر أو استئناف
وقوله تعالى (يتنون
فضلا من الله ورضوانا)
أي ثوبا ورضا ما خبر
آخر أو حال من ضمير تراهم
أو من المستتر في ركعا
سجدا أو استئناف مبنى
على سؤال نشأ من بيان
مواظبتهم على الركوع
والسجود كأنه قيل ماذا
يريدون بذلك فقيل
يتنون فضلا من الله الخ
(سماهم) أي سمعهم
وقرى سماؤهم بالياء
بعد الميم والميم والميم
وفيها لغة ثالثة هي السياء
بالدو وهو مبتدأ خبره (في
وج- وهمهم) أي في
جباهم وقوله تعالى
(من أثر السجود) حال
من المستكن في الجارأي
من التأثير الذي يؤثره
كثرة السجود وما روى
عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قوله عليه
السلام والسلام
لا تعابوا صوركم أي
لا تسوها وانما هو في إذا
صعدت وجهته على الأرض
ليحدث فيها تلك السعة
وذلك محض ريب ونفاق
والكلام فيما حدث في

الحق فكانه قال تدخلونها آمنين متمكنين من أن تنموا الحج محققين (المسئلة الثانية)
قوله تعالى لا تخافون أيضا حال معناه غير خائفين وذلك حصل بقوله تعالى آمنين بما نقادته
في عبادته نقول فيه بيان كمال الأمن وذلك لان بعد الخلق يخرج الانسان عن الاحرام
فلا يحرم عليه القتال وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فقال
تدخلون آمنين وتعلقون وبيتى أمنكم بعد خروجكم عن الاحرام وقوله تعالى فعمل ما لم
تعلموا أي من المصلحة وكون دخولكم في سنتكم سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات أو فعمل
للتعقيب فعمل وقع عقب ماذا نقول ان قلنا المراد من فعمل وقت الدخول فهو عقب صدق
وان قلنا المراد فعمل المصلحة فالعنى علم الوقوع والشهادة لاهم الغيب والتقدير يعنى حصلت
المصلحة في العام انقابل فعمل ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة فجعل من دون ذلك فتحاقر بيا
اما صلح الحديدية واما فتح خيبر وقد ذكرناه وقوله تعالى وكان الله بكل شئ عليما يدفم وهم
حدوث علمه من قوله فعمل وذلك لان قوله وكان الله بكل شئ عليما يفيد سبق علمه العام لكل
علم يحدث ثم قال تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا
سجدا يتنون فضلا من الله ورضوانا) تأكيد لبيان صدق الله في الروايات وذلك لانه
لما كان مرسل رسوله ليهدى لا يريد ما لا يكون مهديا للناس فيظهر خلافه فيقع ذلك سببا
للضلال ويحتمل وجوها أقوى من ذلك وهو ان الروايات بحيث توافق الواقع تقع لقبول الرسل
لكن روية الاشياء قبل وقوعها في البقطة لاتقع لكل أحد فقال تعالى هو الذي أرسل
رسوله بالهدى وحكى له ما سيكون في البقطة ولا يبعد من ان يريه في المنام ما يقع فلا استبعاد
في صدق روياء وفيها أيضا بيان وقوع الفتح ودخول مكة بقوله تعالى ليظهره على الدين
كله أي من يقويه على الاديان لا يستبعد منه فتح مكته والهدى يحتمل أن يكون هو
القرآن كما قال تعالى أنزل فيه القرآن هدى للناس وعلى هذا دين الحق هو ما فيه من
الاصول والفروع ويحتمل أن يكون الهدى هو المعجزة أي أرسله بالحق أي مع الحق
اشارة الى ما شرع ويحتمل أن يكون الهدى هو الاصول فحسب والاف واللام في الهدى يحتمل
لان من الرسل من لم يكن له احكام بل بين الاصول فحسب والاف واللام في الهدى يحتمل
أن تكون الاستغراق أي كل ما هو هدى ويحتمل أن تكون للعهد وهو قوله تعالى ذلك
هدى الله يهدى به من يشاء وهو اما القرآن لقوله تعالى كتابا منشاها مثاني تفشع الى
ان قال ذلك هدى الله يهدى به من يشاء واما ما اتفق عليه كلمة الرسل لقوله تعالى أو انك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده والكل من باب واحد لان ما في القرآن موافق لما اتفق
عليه الانبياء وقوله تعالى ودين الحق يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون الحق اسم الله
تعالى فيكون كأنه قال بالهدى ودين الله (وثانيها) ان يكون الحق تقيض الباطل فيكون
كأنه قال ودين الامر الحق (وثالثها) أن يكون المراد به الاتقياد الى الحق والتزامه

وجبل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقال لهما ذوا الثغفات لما أحدثت كثرة
سجودهما في موافقة منهما أشباه ثغفات ﴿ ٥٧٩ ﴾ البعير قال قائلهم ﴿ ديار علي والحسين وجعفر ﴾ وحجرة

والسجود ذى الثغفات *
وقيل مصفرة الوجه
من خشية الله تعالى
وقيل تدى الظهور
وتراب الارض وقيل
استنارة وجوههم من
طول ماصوا بالليل قال
عليه الصلاة والسلام
من كثرت صلواته بالليل
حسن وجهه بانتهار
وقرى من آثار السجود
ومن اثر السجود يكسر
الهمزة (ذلك) اشارة
الى ما ذكر من نعمتهم
الجليلة وما فيه من معنى
البعث مع قرب العهد
بالشار اليه الايدان
بملوشانه وبعد منزلته
في الفضل وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى (مثلهم)
أى وصفهم العيب
الشأن الجارى في القرابة
يجرى الامثال وقوله
تعالى (في التوراة) حال
من مثلهم والعامل
معنى الاشارة وقوله
تعالى (ومثلهم في
الانجيل) عطف على
مثلهم الاول كما قيل
ذلك مثلهم في التوراة
والانجيل وتكريره عليهم
التاكيد غرابته من باب

ليظهره أى أرسله بالهدى وهو المجرى على أحد الوجوه ليطهره على الدين كله أى جنس
الدين فيلتحق والاديان دون دينه وأكثر المفسرين على ان الهاء في قوله ليظهره
راجعة الى الرسول والاطهر انه راجع الى دين الحق أى أرسل الرسول بالدين الحق
ليظهره أى ليظهر الدين الحق على كل الاديان وعلى هذا فيحتمل أن يكون الفاعل
للاظهار هو الله ويحتمل أن يكون هو النبي أى ليظهر النبي دين الحق وقوله تعالى وكفى
بالله شهيدا أى في انه رسول الله وهذا ما يسلى قلب المؤمنين فانهم تأذوا من رد الكفار
عليهم العهد المكتوب وقالوا لا تعلم انه رسول الله فلان كتبوا محمد رسول الله بل اكتبوا
محمد بن عبد الله فقال تعالى كفى بالله شهيدا في انه رسول الله وفيه معنى لطيف وهو ان
قول الله مع انه كافى في كل شئ ولكنه في الرسالة أظهر كفاية لان الرسول لا يكون الا بقول
المرسل فاذا قال ملاك هذا رسولى او أنكر كل من في الدنيا انه رسول فلا يقيد انكارهم
فقال تعالى أى خلل في رسالته بانكارهم مع تصديق اياه بانه رسول وقوله محمد رسول الله
فيه وجوه (أحدها) خبر مبتدأ محذوف تقديره هو محمد الذى سبق ذكره بقوله أرسل
رسوله ورسول الله عطف بيان (وثانيها) ان محمدا مبتدأ خبره رسول الله وهذا تأكيد
لما تقدم لانه لما قال هو الذى أرسل رسوله ولا تتوقف رسالته الا على شهادته وقد شاهدته
بها محمد رسول الله من غير تكبر (وثالثها) وهو مستنبط وهو ان يقال محمد مبتدأ ورسول
الله عطف بيان سبق للمدح للتفخيز والذين معه عطف على محمد وقوله أشداء خبره كأنه
قال تعالى والذين معه جرحهم أشداء على الكفار رسوا بينهم لان وصف الشدة والرجة
وجد في جميعهم أما في المؤمنين فكما في قوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
وأما في حق النبي صلى الله عليه وسلم فكما في قوله واغلاط عليهم وقال في حق بالؤمنين
رؤف رحيم وعلى هذا قوله تراهم لا يكون خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم بل يكون
عاما أخرج مخرج الخطاب تقديره تراهم أيها السامع كأننا من كان كقولنا ان الواعظ
يقول انبه قبل ان يقع الانبساط ولا يريد به واحدا بعينه وقوله تعالى يتفنون فضلا
من الله ورضوانا اتخير ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم وركوع
المرائى وسجوده فانه لا يتغنى به ذلك وفيه اشارة الى معنى لطيف وهو ان الله تعالى قال
الراكعون والساجدون لوجهه فيوفيه أجرهم ويزيدهم من فضله وقال الراعي
يتغنى الفضل ولم يذكر الاجر لان الله تعالى اذا قال لكم أجر كان ذلك منه تفضلا واشارة
الى أن عملكم جاء على ما طاب الله منكم لان الاجرة لا تستحق الاعلى العمل الموافق
للطلب من المالك والمؤمن اذا قال انما يتغنى فضلك يكون منه اعترافا بالتقصير فقال
يتفنون فضلا من الله ولم يقل أجرا وقوله تعالى (سيماهم في وجوههم من أثر السجود)
فيه وجهان (أحدهما) ان ذلك يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبص وجوه وقال تعالى
نورهم يسرى وعلى هذا فنقول نورهم في وجوههم بسبب توجههم نحو الحق كما قال ابراهيم

تقررها وقوله تعالى ركوع أخرج شطاه الخ تمثيل مستأنف أى هم ركوع أخرج

فراخه وقيل هو تفسير ذلك على أنه إشارة مبهمه وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الإنجيل على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة وقري شطأه بفتح شاء وقري شطأه بفتح شاء ٥٨٠ الطاء وتخفيف الهمزة وشطأه

بالمد وشطأه بمخفف الهمزة ونقل حركاتها إلى ما قبلها وشطأه بقلبها واوا (فأزره) فقواه من الواو زرة بمعنى المعانة أو من الأيزار وهي الاطانة وقري فأزره بالتخفيف وأزره بامتداد أي شأزره وقوله تعالى (فاستغلف) فمستغرف غليظا بعد ما كان دقيقا (فاستوى على سوقه) (فاستقام على قصبه جمع ساق وقري سوقه بالهمزة (يعجب الزراع) بقوته وكشافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضرب به الله عز وجل لاصحابه عليه الصلاة والسلام قواوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكما فترقى أمرهم يوما فبعضوا حيث أعجب الناس ونزل مكتوب في الإنجيل سيخرج قوم يبنون نبات الزرع يأمرون بالعرف ويثبون عن المنكر وقوله تعالى (ليغضبهم الكفار) علة لما يعرب عند الكلام

عليه السلام أتى وجهه وجهي للذي فطر السموات والارض ومن يحاذي الشمس يقع شعاعها على وجهه فيبين على وجهه النور منبسطا مع ان الشمس بها نور عارضى يقبل الزوال والله نور السموات والارض فمن توجه الى وجهه يظهر في وجهه نور يبهر الانوار (وثانيهما) ان ذلك في الدنيا وفيه وجهان (أحدهما) ان المراد ان يظهر الجباه بسبب كثرة السجود (والثاني) ما يظهره الله تعالى في وجوه الساجدين لئلا من الحسن نهارا وهذا محقق لمن يعقل فان رجلين يسهران بالليل أحدهما قد استغل بالشرب للعب والآخر قد استغل بالصلاة والقراءة واستفاد العلم فكل أحد في اليوم الثاني يفق بين الساهر في الشرب والعب وبين الساهر في الذكر والشكر * وقوله تعالى (ذلك مثلهم في التوراة) فيه ثلاثة أوجه مذكورة (أحدها) أن يكون ذلك مبتدأ ومثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل خبرا له وقوله تعالى كزرع أخرج شطأه خبرا له مبتدأ محذوف تقديره ومثلهم في التوراة والإنجيل كزرع (وثانيهما) أن يكون خبر ذلك هو قوله مثلهم في التوراة وقوله ومثلهم في الإنجيل مبتدأ وخبره كزرع (وثالثها) ان يكون ذلك إشارة غير معينة أو ضحت بقوله تعالى كزرع كقوله ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وفيه وجه رابع وهو أن يكون ذلك خبرا له مبتدأ محذوف تقديره هذا الظاهر في وجوههم ذلك يقال ظهر في وجهه أثر الضرب فتقول أي والله ذلك أي هذا ذلك الظاهر أو الظاهر الذي تقوله ذلك * وقوله تعالى (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلفا استوى على سوقه يعجب الزراع) أي وسفوا في الكتابين به ومثلوا بذلك وانما جعلوا كالزرع لانه أول ما يخرج يكون ضعيفا وله نموال حد الكمال فكذلك المؤمنون والشطأ الغرغ فأزره ويحتمل أن يكون المراد أخرج الشطأ وأزر الشطأ وهو أقوى وأظهر والكلام يتم عند قوله يعجب الزراع * وقوله تعالى (ليغضبهم الكفار) أي تخيقاته ذلك ليغضب أو يكون الفعل المعلل هو قوله تعالى (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي وعدا لغيرهم الكفار يقال رغبت لانتك انعم عليه * وقوله تعالى (منهم مغفرة وأجر عظيم) لبيان الجنس لا لتبعض ويحتمل أن يقال هو التبعض ومعناه ليغضب الكفار والذين آمنوا من الكفار لهم الاجر العظيم والمغفرة فتقدم مرارا والله تعالى اعلم وههنا لطيفة وهو انه تعالى قال في حق الراكعين الساجدين انهم يتغنون فضلا من الله وقال لهم أجر وام يقل لهم ما يطلبونه فمن تلك الفضل وذلك لانهم من عند العمل لم ينتفت الى عمله ولم يجعل له اجرا يعنده فقال لا ينبغي الافضالك فان عملك نزل لا يكون له اجر والله تعالى آناه ما آناه من الفضل وسماه اجرا الإشارة الى قبول عمله ووقوعه الموقع وعدم كونه عند الله نورا لا يسحق المؤمن عليه اجرا وقد علم بما ذكرنا مرارا ان قوله وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لبيان ترتيب المغفرة على الايمان فان كل مؤمن يغفر له كما قال تعالى ان الله لا يفر أن يشركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والاجر العظيم على العمل الصالح

من تشبههم بالزرع في زكاته واستحكامه أو لابعده من قوله تعالى (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والله * منهم مغفرة وأجر عظيم)

فان الكفار اذا سمعوا بما أعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة فاطمأن بهم ذلك أشد فحفظ ومنهم للبيان *
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ﴿ ٥٨١ ﴾ القح فكاتما كان عن شهد مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم فتح مكة
* (سورة الحجرات مدنية
وايها ثمانى عشرة آية) *
بسم الله الرحمن الرحيم
(يا أيها الذين آمنوا)
تصدروا الخطاب
بالتداء لتنبه المخاطبين
على أن ما في حيزه أمر
خطير يستدعى من يد
اعتنائهم بشأنه وفرط
اهتمامهم بتسليمه
ومراعاته ووصفهم
بالإيمان لتشتيطهم
والإيدان بانه داع
الى المحافظة عليه
ووازع عن الإخلال به
(لا تقدموا) أى لا تقدموا
التقديم على أن ترك
المفعول للقصد الى
نفس الفعل من غير
اعتبار تعلقه بأمر
من الأمور على طريقة
قواهم فلان يعطى ويمنع
أى يفعل الاعطاء
والمنع أو لا تقدموا
أمرا من الأمور على
أن حذف المفعول
للقصد الى تعميمه
والاول أو فى حدود
المقام لاقادته النهى
عن التلبس بنفس
الفعل الموجب لانتفائه

والله أعلم قال المصنف رحمه الله تعالى تم تفسير هذه السورة يوم الخميس السابع عشر
من شهر ردى المحمى سنة ثلاث وستمئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام ولحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله
وصحبه أجمعين

(سورة الحجرات ثمانى عشرة آية مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم)
فى بيان حسن الترتيب وجوه (أحدها) ان فى السورة المقدمة لما جرى منهم ميل الى
الامتناع مما أجاز النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح وترك آية التسمية والرسالة وألزمهم
كلمة التقوى كان رسول الله قال لهم على سبيل العموم لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
ولا تتجاوزوا ما أمرا الله تعالى ورسوله (الثانى) هو أن الله تعالى لما بين محل النبي عليه
الصلاة والسلام وعلو درجته بكونه رسوله الذى يظهر دينه وذكره بأنه رحيم بالمؤمنين
بقوله رحيمًا قال لا تتركوا من احترامه شيئا لا بالفعل ولا بالقول ولا تغفروا برأفته
وانظروا الى رفعة درجته (الثالث) هو أن الله تعالى وصف المؤمنين بكونهم أشداء
ورحما فيما بينهم راكعين ساجدين نظرا الى جانب الله تعالى وذكر ان لهم من الحرمة عند
الله ما ورثهم حسن البناء فى الكتب المقدمة بقوله ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى
الانجيل فان الملك العظيم لا يذكر أحدا فى غيبته اذا كان عنده محترما ووعدهم بالاجر
العظيم فقال فى هذه السورة لا تقدموا ما يوجب الخطا فى درجاتكم واحباط حسناتكم
ولا تقدموا وقيل فى سبب نزول الآية وجوه قبل نزلت فى صوم الشك وقيل نزلت
فى التضحية قبل صلاة العيد وقيل نزلت فى ثلاثة قتلوا اثنين من سليم ظنوهما من بنى عامر
وقيل نزلت فى جماعة أكثروا من السؤال وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
وقود والاصح انه ارشاد عام يشمل الكل ومنه مطلق يدخل فيه كل اثبات وتقدم
واستبداد بالأمر وافدام على فعل غير ضرورى من غير مشاورة وفى التفسير مسائل
(المسئلة الاولى) قوله تعالى لا تقدموا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون من التقديم
الذى هو متعد على هذا فبه وجهان (أحدهما) ترك مفعوله برأسه كقوله تعالى
يحيى ويميت وقول القائل فلان يعطى ويمنع ولا يريد بهما اعطاء شى معين ولا منع شى
معين وانما يريد بهما ازالة منعا واعطاء كذلك ههنا كأنه تعالى يقول لا ينبغي أن
يصدر منكم تقديم أصلا (والثانى) أن يكون المفعول الفعل أو الأمر كأنه يقول
لا تقدموا يعنى لا تقدموا وعلى هذا فهو مجاز ليس المراد هو نفس التقديم بل المراد
لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم يقال فلان تقدم من بين الناس

بالكفاية المستلزم لانتفاء ثلثه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى

التقدم وشهده من الجلس للجماعة المقدمة وبعضه قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف إحدى التامين من تقدموا
وقرى لا تقدموا من تقدمه وقوله تعالى (بين يدي الله) ﴿ ٥٨٢ ﴾ (ورسوله) مستعار مما بين الجهتين اسمايتين

ليدى الانسان سبحانه
لما هو عنه والمعنى
لا تطلعوا امر قبيل
أن يحكمابه وقيل المراد
بين يدي رسول الله
وذكر الله تعالى لتعظيمه
والايدان بجلالة محله
عنده هز وجل قيل نزل
فيما جرى بين أبي بكر
وعرضي الله عنهما
لدى النبي صلى الله
عليه وسلم في تأمير الاقرع
بن خابس أو القعقاع
بن معبد (واتقوا الله)
في كل ما تأتون وما تدررون
من الاقوال والافعال
التي من جعلتها ما نحن
فيه (ان الله سميع)
لا قوالكم (حليم)
بافعالكم فمن حقه
أن يتقى ويراقب
(يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبي)
شروع في النهي
عن التجاوز في كيفية
القول عند النبي عليه
الصلاة والسلام بعد
النهي عن التجاوز
في نفس القول والفعل
واعادة اشد مع قرب
العهد به للبالغة

إذا ارتفع أمره وهلاشأنه والسبب فيه ان من ارتفع يكون متقدما في المدخول في
الامور العظام وفي الذكر هتد ذكر الكرام وعلى هذا نقول سواء جعلناه متعديا ولازما
لا يتعدى الى ما يتعدى اليه التقديم في قولنا قدمت زيدا فالعنى واحد لان قوله لا تقدموا
إذا جعلناه متعديا أو لازما لا يتعدى الى ما يتعدى اليه التقديم في قولنا قدمت زيدا
فتقديره لا تقدموا أنفسكم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أي لا تجعلوا لانفسكم
تقدما ورأيا عنده ولا تقول بأن المراد لا تقدموا أمرا وفعلنا وحيتئذ تصد القراءتان
في المعنى وهما قراءة من قرأ بفتح التاء والدال وقراءة من قرأ بضم التاء وكسر الدال وقوله
تعالى بين يدي الله ورسوله أي بحضور نهما لان ما بحضوره الأئسان فهو بين يديه وهو ناظر
اليه وهو نهب هيبه وفي قوله بين يدي الله ورسوله فوائد (أحدها) ان قول القائل فلان
بين يدي فلان إشارة الى كون كل واحد منهما حاضرا عند الآخر مع أن لاجدهما
علو الشأن والآخر درجة العبيد والغلمان لان من يجلس بجانب الانسان يكلفه تغليب
الحدقة اليه وتحريك الرأس اليه عند الكلام والامر ومن يجلس بين يديه لا يكلفه ذلك
ولان اليدين تنبئ عن القدرة بقول القائل هو بين يدي فلان أي يقابه كيف شاء في اشغاله
كاي فعل الانسان بما يكون موضوعا بين يديه وذلك مما يفسد وجوب الاحترام من
التقدم وتقديم النفس لان من يكون كمنع يقابه الانسان يديه كيف يكون له عنده
التقدم (وثانيها) ذكر الله إشارة الى وجوب احترام الرسول عليه الصلاة والسلام
والانقياد لاوامره وذلك لان احترام الرسول صلى الله عليه وسلم قد يتركه هل بعد المرسل
وعدم اطلاله هل ما يفعل برسوله فقال بين يدي الله أي أتم بحضوره من الله تعالى وهو
ناظر اليكم وفي مثل هذه الحالة يجب احترام رسوله (وثالثها) هو ان هذه العبارة كما تقرر
النهي المتقدم تقرر معنى الامر المتأخر وهو قوله واتقوا لان من يكون بين يدي الغير
كلما في الموضوع بين يديه يفعل به ما يشاء يكون جديرا بأن يتقيه وقوله تعالى واتقوا الله
يحمل أن يكون ذلك عطفًا لوجوب مغايرة مثل المغايرة التي في قول القائل لانتم واشغل
أي فائدة ذلك النهي هو ما في هذا الامر وليس المطلوب به ترك النوم كيف كان بل المطلوب
بذلك الاشتغال فكذلك لا تقدموا أنفسكم ولا تقدموا على وجه التقوى ويحتمل أن
يكون بينهما مغايرة أتم من ذلك وهي التي في قول القائل احترم زيدا واخدمه أي ائت
بإثم الاحترام فكذلك ههنا معناه لا تقدموا عنده واذا تركتم التقدم فلا شكوا
على ذلك فلا تتفموا بل مع انكم قائمون بذلك محترمون له اتقوا الله واخشوه والا
لم تكوتوا أيتهم بواجب الاحترام وقوله تعالى ان الله سميع عليهم يؤكد ما تقدم لانهم قالوا
آسنا لان الخطأ يفهم بقوله يا أيها الذين آمنوا قد يسمع قولهم ويعلم فعلهم وما في
فلو يسمع من التقوى والحيانة فلا ينبغي أن يختلف قولكم وفعلكم وضمير فليكن بل ينبغي
أريتم ما في سمعه من قولكم آمنوا وسمنا وأطعنا وما في علمه من فعلكم الظاهر وهو هدم

في الايقاظ والنبية وادسعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشانه أي لا تبلغوا بأصواتكم ﴿ تقدموا ﴾
وراء حد يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته وقرى لا ترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة (ولا تجهروا له

بالقول) إذا كلموه (كجهر بعضهم لبعض) أي بجهرًا كأننا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم أخفض من
صوته بداية الصلاة والسلام ونعهدوا ﴿٥٨٣﴾ في مخاطبة الذين اقربت من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة

المهيب المعظم وحافظوا
على مراعاة أهمية النبوة
وجلالة مقدارهما وقيل
معنى لا تجهر والله بالقول
كجهر بعضهم لبعض
لا تقوا والله يا محمد يا أحمد
وخاطبوه بالنبوة قال
ابن عباس رضی الله
عنهما لما نزلت هذه الآية
قال أبو بكر يارسول الله
والله لأكلك إلا السرار
أو أخا السرار حتى أتى
الله تعالى وعن عمر
رضی الله عنه أنه كان
يكلمه عليه الصلاة
والسلام كما خي السرار
لا يسمعه حتى يستفهمه
وكان أبو بكر رضی الله
عنه إذا قدم على
رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم
الوفود أرسل إليهم
من يعلمهم كيف يسلمون
ويأمرهم بالسكينة
والوقار عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى (أن تحبط
أعمالكم) اما علة النهي
أي لا تجهروا خشية
أن تحبط أو كراهة أن
تحبط كما في قوله تعالى
يبين الله لكم أن تضلوا

التقدم وما في قلوبكم من الضمائر وهو التقوى * ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم ببعض أن تحبط
أعمالكم وأنتم لا تشعرون) لا تقدموا نهى عن فعل يئس عن كونهم جاعلين لانفسهم عند
الله ورسوله بالنسبة إليهما وزنا ومقدارا ومدخلا في أمر من أوامرهما ووزنا بينهما وقوله
لا ترفعوا نهى عن قول يئس عن ذلك الأمر لأن من رفع صوته عند غيره يجعل لنفسه
اعتبارا زائدا وعظمة وفيه مباحث (البحث الاول) ما الفائدة في إعادة النداء وما هذا
الخط من الكلامين على قول القائل يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله لا ترفعوا
أصواتكم تقول في إعادة النداء فوائد خمسة منها أن يكون في ذلك بيان زيادة الشفقة
على المسترشد كما في قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني إنما إنك مثقال حبة
يا بني أم الصلاة لان النداء لتبنيه المنادى يقبل على استماع الكلام ويجعل بالله منه
فأعادته تفيد ذلك ومنها أن لا يتوهم متوهم ان المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا فان من
الجائز أن يقول القائل يا زيد فاعل كذا وقل كذا يا عمرو فاذا أعاده مرة أخرى وقال يا زيد
قل كذا يعلم من أول الكلام انه هو المخاطب ثانيا أيضا ومنها ان يعلم ان كل واحد من
الكلامين مقصود ليس الثاني تأكيذا للاول كما تقول يا زيد لا تنطق ولا تتكلم إلا بالحق
فانه لا يحسن أن يقال يا زيد لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلقين
وقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون المراد حقيقة وذلك
لان رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام وهذا من مسألة حكيمة وهي ان
الصوت بالخارج ومن خشى قلبه ارتجف وتضعف حركته الدافعة فلا يخرج منه
الصوت بقوة ومن لم يخف ثبت قلبه وقوى فرفع الهواء دليل عدم الخشية (ثانيها) أن
يكون المراد المنع من كثرة الكلام لان من كثرت الكلام يكون متكلمًا عند سكوت الغير
فيكون في وقت سكوت الغير لصوته ارتفاع وان كان خائفا اذا نظرت الى حال غيره فلا
ينبغي أن يكون لاحد عند النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير بالنسبة الى كلام النبي صلى الله
عليه وسلم لان النبي عليه الصلاة والسلام مباح فالتكلم عنده ان أراد الاخبار
لا يجوز وان استخبر النبي عليه السلام عما وجب عليه البيان فهو لا يسكت عما يسأل
وان لم يسأل ور بما يكون في السؤال حفيظة رد جواب لايسهل على المكلف الاتيان به
فيبقى في ورطة العقاب (ثالثها) أن يكون المراد رفع الكلام بالتعظيم أي لا تجهروا
لكلامكم ارتفاعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب كما يقول القائل لغيره
أمرتك مرارا بكذا عند ما يقول له صاحبه مرتي يا امرئ مثله فيكون أحد الكلامين أعلى
وأرفع من الآخر والاول أصح والكل يدخل في حكم المراد لان المنع من رفع الصوت
لا يكره إلا الاحترام واطهار الاحتشام ومن بلغ احترامه الى حيث تنخفض الاصوات

أو للمنهى أي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان يصعد الاداء الى الحبوط فكأنه فعل لاجله على طريقة
التثنية فله تعالى لكم من بعد ما حدثنا من الاديان

نهي عنه من الرفم والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما توهم أن يؤدي اليه مما يجرى بينهم في أثناء
المحاورة من الرفم والجهر حسبما عرّب عنه قوله تعالى بكهراً بعضكم لبعض خلا أن رفع الصوت فوق

عنده من هيئته وعلو مرتبته لا يكثر عنده الكلام ولا يرجع المتكلم معه في الخطاب وقوله
تعالى ولا تجهروا له بالقول بكهراً بعضكم لبعض فيه فوائد (أحداها) أن بالاول حصل
المنع من أن يجعل الانسان كلامه أو صوته أعلى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
وصوته ولقائل أن يقول فامنع من المساواة فقال تعالى ولا تجهروا له كما تجهرون
لاقرانكم ونظرانكم بل اجعلوا كلمه عليا (والثانية) ان هذا أفاد انه لا ينبغي أن يتكلم
المؤمن عند النبي عليه السلام كما يتكلم العبد عند سيده لان العبد داخل تحت قوله
بكهراً بعضكم لبعض لانه للعموم فلا ينبغي ان يجهر المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم كما
يجهر العبد للسيد والالكان قد جهر له كما يجهر بعضكم لبعض لا يقال المفهوم من هذا
الخط أن لا تجعلوا له كما يتفق بينكم بل تميزوه بأن لا تجهروا عنده أبدا وفيما بينكم
لا تخافون على الاحترام لانا نقول ماذا كرنا أقرب الى الحقيقة وفيه ما ذكرتم من المضي
وزيادة ويؤدي ما ذكرنا قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والسيد ليس أولى
عند عبده من نفسه حتى لو كانا في محضه ووجد العبد مالاً ولم يأكله لمات لا يجب عليه
بذله لسيدته ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم وأوصل العبدان بموته ينجوا سيده لا يلزمه
أن يلقى نفسه في التهلكة لأنجاء سيده ويجب لأتجاه النبي عليه الصلاة والسلام وقد
ذكرنا حقيقة عند تفسير الآية وان الحكمة تقتضي ذلك كما ان العضو الرئيس أولى
بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلا لا يبق لليدين والرجلين استقامة فلو حفظ
الانسان نفسه وترك النبي عليه الصلاة والسلام لهلك هو أيضا بخلاف العبد والسيد
(القاعدة الثالثة) ان قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم لما صنعكم من جنس لا تجهروا
لم يستأنف النداء ولما كان هو يخالف التقدم لكون أحدهما فعلا والآخر قولا
استأنف كما في قول نعمان يابني لا تشرك وقوله يابني أم الصلاة لكون الاول من عمل القلب
والثاني من عمل الجوارح وقوله يابني أم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر من
غير استئناف النداء لكون الكل من عمل الجوارح واعلم اننا ان قلنا المراد من قوله
لا ترفعوا أصواتكم أي لا تكثروا الكلام فقوله ولا تجهروا يكون مجازا عن الاتيان
بالكلام عند النبي صلى الله عليه وسلم بقدر ما يؤتى به عند غيره أي لا تكثروا وقلوا غاية
التقليل وكذلك ان قلنا المراد بالرفم الحساب فلما يد قوله لا تجهروا أي لا تخاطبوه كما
تخاطبون غيره وقوله تعالى ان تحبب أعمالكم فيه وجهان مشهوران (أحدهما) ان
تحبب (والثاني) كراهة ان تحبب وقد ذكرنا ذلك في قوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا
واشأله ويحتمل ههنا وجه آخر وهو أن يقال معناه واتقوا الله واجتنبوا أن تحبب
أعمالكم والدليل على هذا ان الاضمار لما يمكن منه بد فادل عليه الكلام الذي هو فيه
أولها ان يضمر والامر بالتقوى قد سبق في قوله تعالى واتقوا وأما المعنى فقوله ان
تحبب اشارة الى انكم ان رفعتم أصواتكم وتقدمتكم تمكن منكم هذه الدائل وتؤدي

صوته عليه الصلاة
والسلام لما كان منكرا
مخضما لم يقيد بشئ ولا
ما يقع منها في حرب أو
مجادلة معاندا أو ارباب
عدو أو نحو ذلك ومن
ابن عباس رضى الله
عنه ما نزلت في نابت بن
قيس بن شماس وكان
في اذنه وقر وكان جهورى
الصوت وربما كان
يكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيأذى
بصوته ومن أنس
رضي الله عنه أنه لما نزلت
الآية فقد نابت وتفقدت
عليه الصلاة والسلام
فأخبر بشأنه فدعا
فسأله فقال يا رسول الله
تقد أنزلت اليك هذه
الآية وإنى ربيتل جهير
الصوت فأخاف أن
يكون عملي قد حبط فقال
له عليه الصلاة والسلام
است هناك انك تعيش
بخير وتموت بخير وانك
من أهل الجنة وأماما
يروى عن الحسن من
أنها نزلت في بعض
المنافقين الذين كانوا
يرفعون أصواتهم فوق
صوته عليه الصلاة

والسلام وقد قيل مجله أن نهيه مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص (وأنتم لا تشعرون) حال ❀ الى ❀
من فاعل تحبب أى والجمال أنكم لا تشعرون بحبوطها وفيه من يد تحذير بمانه وعنه وقوله تعالى

الى الاستحسان وان يفضى الى الانفراد والارتداد المحبط وقوله تعالى وأتم لاتشعرون
اشار الى ان الردة تمكن من النفس بحيث لا يشعر الانسان فان من ارتكب ذنبا
لم يرتكبه في عمره تراه ناد ما غاية الندامة خائفا غاية الخوف فاذا ارتكبه مرارا يقل
الخوف بالندامة ويصبر عادة من حيث لا يعلم انه لا يتمكن وهذا كان للتمكن في المرة
الاولى أو الثانية أو الثالثة أو غيرها وهذا كان من بلغه خبره انه لا يقطع بقول المخبر في
المرة الاولى فاذا تكرر عليه ذلك وبلغ حد التواتر يحصل له اليقين ويتمكن الاعتقاد
ولا يدري متى كان ذلك وعند أي خبر حصل هذا اليقين فقوله وأتم لاتشعرون تأكيد
للتمنع أي لاتقولوا بأن المرة الواحدة تعنى ولا توجب ردة لان الامر غير معلوم فاحسبوا
الباب وفيه بيان آخر وهو ان المكلف اذا لم يحترم النبي صلى الله عليه وسلم ويجعل نفسه
مثله فيما يأتي به بناء على امره يكون كما يأتي به بناء على امر نفسه لكون ما تأمر به النفس
لا يوجب الثواب وهو محبط حابط كذلك ما يأتي به بغير امر النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ
حابط محبط والله أعلم وأعلم أن الله تعالى لما أمر المؤمنين باحترام النبي صلى الله عليه وسلم
واكرامه وتقديمه على أنفسهم وعلى كل من خلقه الله تعالى أمر نبيه عليه السلام بالارادة
والرحمة وان يكون أرف بهم من الوالد كما قال واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقال ولا تكن كصاحب الخوت الى غير ذلك لئلا
تكون خدمته خدمة الجبارين الذين يستعبدون الاحرار بالقهر فيكون انقيادهم لوجه
الله ثم قال تعالى (ان الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله أو تلك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى) وفيه الحث على ما أرشدهم اليه من وجهين (أحدهما) ظاهر لكل أحد
وذلك في قوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى وبيانه هو ان من يقدم نفسه ويرفع صوته
يريد اكرام نفسه واحترام شخصه فقال تعالى ترك هذا الاحترام يحصل به حقيقة الاحترام
وبالاعراض عن هذا الاكرام يكمل الاكرام لان به تبيين تقواكم وان أكرمكم عند الله
أتقاكم ومن القبيح ان يدخل الانسان حاما فيخبر نفسه فيه منصباً ويقوت بسببه
منصبه عند السلطان ويعظم نفسه في الخلاء والمستراح وبسببه يهون في الجمع العظيم
وقوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى فيه وجوه (أحدها) امتحنها يعلم منها التقوى فان
من يعظم واحدا من ابناء جنسه لكونه رسول مرسل يكون تعظيماً المرسل اعظم وخوفه
منه أقوى وهذا كما في قواه تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب أي تعظيم
أوامر الله من تقوى الله فكذلك تعظيم رسول الله من تقواه (الثاني) امتحن أي علم
وعرف لان الامتحان يعرف الشيء فيجوز استعماله في معناه وعلى هذا فاللام تتعلق بمخدوف
تقديره عرف الله قلوبهم صالحة أي كائنة للتقوى كما يقول القائل أنت لكنا أي صالح
أو كائن (الثالث) امتحن أي اخلص يقال للذهب ممحن أي مخلص في النار وهذه الوجوه
كلها مذكورة ويحتمل أن يقال معناه امتحنها للتقوى اللام لتعليل وهو محتمل وجهين

أي تخضعونهم مراعاة
الادب أو شدة
مخالفة التهمي (الذي)
اشارة الى الموصوف
باعتبار اتصافه بما في
حيز الصلة وما فيد من
معنى البعد مع قرب
العهد بالشار اليه المامر
مرارا من تفخيم شأنه
وهو مبتدأ خبره (الذين
امتحن الله قلوبهم
للتقوى) أي جربها
للتقوى ومرتمها عليها
أو عرفها كائنة للتقوى
خالصة لها فان الامتحان
سبب المعرفة واللام صلة
لمخدوف أو لا فعل باعتبار
الاصل أو ضرب قلوبهم
بضروب المحن والتكاليف
الشاقة لاجل التقوى
فانها لا تظهر الا بالاصطبار
عليها أو اخلصها للتقوى
من امتحن الذهب اذا
أذابه وميزا برينه من
خبثه وعن عمر رضي الله
عنه اذهب عنها الشبهوات
(اهم) في الآخرة
(مفخرة) عظيمة لذنوبهم
(وأجر عظيم) لا يفادر
قدره والجملة اما خبر
آخر لان كالجمله المصروفة
باسم الاشارة أو استئناف

بيان جزأهم اجماد الحالمهم ﴿ ٧٤ ﴾ سا وتعريضاً بسوئ حال من ليس مثلهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات)
أي من خارجها من خلفها أو فداها

ومن ابتدائية فالذهلي أن النداءة نشأت من جهة الوراثة ٥٨٦ وان المنادى داخل الحجر لوجوب اختلاف

(أحدهما) أن يكون تعليلا يجرى مجرى بيان السبب المتقدم كما يقول القائل جئتك لأكرامك أمس أي صار ذلك السابق سبب الجئتي (وثانيها) أن يكون تعليلا يجرى مجرى بيان نية المقصود المتوقع الذي يكون لاحقا لاسبقا كما يقول القائل جئتك لاداء الواجب فان قلنا بالاول فتحقيقه هو ان الله علم ما في قلوبهم من تقواه وامتن قلوبهم للتقوى التي كانت نيةها واولا ان قلوبهم كانت ملوثة من التقوى لما أمرهم بتعظيم رسوله وتقديم نبيه على أنفسهم بل كان يقول لهم آمنوا برسولي ولا تؤذوه ولا تكذبوا فان الكافر أول ما يؤمن من يؤمن بالاعتراف بكون النبي صلى الله عليه وسلم صادقا وبين من قيل له لا تستهزئ برسول الله ولا تكذب به ولا تؤذيه وبين من قيل له لا ترفع صوتك عنده ولا تجعل لنفسك وزنا بين يديه ولا تجهر بكلامك الصادق بين يديه بون عظيم واعلم ان بقدر تقديمك للنبي عليه الصلاة والسلام على نفسك في الدنيا يكون تقديم النبي عليه الصلاة والسلام اياك في العقبى فانه لا يدخل أحد الجنة ما لم يدخل الله أمته المتقين الجنة وان قلنا بالثاني فتحقيقه هو ان الله تعالى امتحن قلوبهم بمعرفة ومعرفة رسوله بالتقوى أي ليعرفهم الله التقوى التي هي حق التماس وهي التي لا تخشى مع خشية الله أحدا فتراها آمنة من كل مخيف لا يخاف في الدنيا بخسا ولا يخاف في الآخرة نخسا والتاظر العاقل اذا علم ان بالخوف من السلطان بأمن جور العلمان ويتجنب الاراذل ينجو من بأس السلطان فيجعل خوف السلطان جنة فكذلك العالم لو امتحن النظر لعلم ان بخشية الله التوجه في الدارين وبالخوف من غيره الهلاك فيهما فيجعل خشية الله جنته التي يحرس بها نفسه في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (لهم مغفرة وأجر عظيم) وقد ذكرنا ان المغفرة ازالة السهات التي هي في الدنيا لازمة للنفس والاجر العظيم اشارة الى الحياة التي هي بعد مفارقة الدنيا عن النفس فيزيل الله عن القبايح البهيمية ويلبسها المعادن الملكية ثم قال تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) بيان الحسالة من كان في مقابلة من تقدم فان الاول غرض صوته والآخر رفعه وفيه اشارة الى انه ترك لادب الحضور بين يديه وعرض الحاجة عليه واما قول القائل للملك يا فلان من سوء الادب كان قلت كل أحد يقول يا الله مع ان الله أكبر تقول النداء على قسمين (أحدهما) لتبني المنادى (وثانيهما) لاطهار حاجة المنادى (مثال الاول) قول القائل لرفيقه أو غلامه يا فلان (ومثال الثاني) قول القائل في الندبة يا أمير المؤمنين أو يا يزيداء والقائل ان يقول ان كان زيد بالشرق لتبنيته فانه محال فكيف يتاديه وهو ميت فنقول قولنا يا الله لاطهار حاجة النفس لتبنيته المنادى وانما كان في النداء الامران جهع الان المنادى لا ينادى الحاجة في نفسه يعرضها ولا ينادى في الاكثر الامم منها أو غافلا فحصل في النداء الاسرائيل ونداوتهم كان لتبنيته وهو سوء ادب واما قول أحدنا للكبير يا سيدي ويا مولاي فهو جار مجرى الوصف والخبار (الثاني) النداء من وراء الحجرات فان من ينادى غيره

الميدان والتمهي بحسب الجهة بخلاف ما قيل ينادونك وراء الحجرات وقرى الحجرات بفتح الجيم ويسكونها واولا انها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالجائط وانك تقول يقال الحظيرة الابل حجرة وهي قطعة من الحجر بمعنى منقول كالعرفقوة والبعض والمراد بها حجرات أمهات المؤمنين ونداءاتهم من ورائها اما بانهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه الصلاة والسلام من ورائها ويا أنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة والسلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأستدفع الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها جمعت اجلاله عليه الصلاة والسلام وقيل ان الذي ناداه صيد بن حصن الفراري والافرع ابن حابس وقد ادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقا لا يا محمد اخرج البنا وانما أسند ولا

صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقا لا يا محمد اخرج البنا وانما أسند ولا

ولا حائل بينهما لا يكلفه الشئ والمجى بل يجيبه من مكانه ويكلمه ولا يطلب المنادى
الاتفات المنادى اليه ومن ينادى غيره من وراء الحائل فيكافه يريد منه حضوره كمن
ينادى صاحب البستان من خارج البستان (الثالث) قوله الحجرات اشارة الى كون
التي صلى الله عليه وسلم في غاوته التي لا يحسن في الادب اتيان المحتاج اليه في حاجته في
ذلك الوقت بل الاحسن التأخير وان كان في ورطة الحاجة وقوله تعالى أكثرهم لا يعقلون
فيه بيان المعايير بقدر مافي سوء أدبهم من القبايح وذلك لان الكلام من خواص
الانسان وهو أعلى مرتبة من غيره وليس ان دونه كلام لكن النداء في المعنى كالنبيه وقد
يحصل بصوت بضرب شئ على شئ وفي الحيوانات العجم ما يظهر لكل أحد كالنداء فان
الشاء تصيح وتطلب ولدها وكذلك غيرها من الحيوانات والسخلة كذلك فكان النداء
حاصل في المعنى لغير الآدمي فقال الله تعالى في حقهم أكثرهم لا يعقلون يعنى النداء الصادر
منهم لما لم يكن مقرونا بحسن الادب كانوا فيه خارجين عن درجة من يعقل وكان نداؤهم
كصياح صدر من بعض الحيوان وقوله تعالى أكثرهم فيه وجهان (أحدهما) ان العرب
تذكر الأكثر وتريد الكل وانما أتى بالأكثر احترازا عن الكذب واحتياطاً في الكلام لان
الكذب مما يحبط به عمل الانسان في بعض الاشياء فيقول الاكثر وفي اعتقاده الكل ثم
ان الله تعالى مع احاطة علمه بالامور أتى بما يناسب كلامهم وفيه اشارة الى لطيفة وهي ان
الله تعالى يقول انما علمي بكل شئ تجريت على عاداتكم استحسنات تلك العادة وهي
الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختياري ذلك في كلامي دليلاً قاطعاً على
رضائي بذلك (وثانيهما) ان يكون المراد انهم في أكثر احوالهم لا يعقلون وتحقيق هذا هو
ان الانسان اذا اعتبر مع وصف ثم اعتبر مع وصف آخر يكون المجموع الاول غير المجموع
الثاني مثاله الانسان يكون جاهلاً وفقيراً فيصير عالماً وغنياً فيقال في العرف زيد ليس هو
الذي رأيت من قبل بل الآن على أحسن حال فيجمله كأنه ليس ذلك اشارة الى ما ذكرنا اذا علم
هندافهم في بعض الاحوال اذا اعتبرتهم مع تلك الحالة فما يرون لانفسهم اذا اعتبرتهم
مع غيرهما فقال تعالى أكثرهم اشارة الى ما ذكرناه وفيه وجه ثالث وهو ان يقال لعل منهم
من رجم عن تلك الاحوال ومنهم من استمر على تلك العادة الرديئة فقال أكثرهم اخراجهم
ندم منهم عنهم ثم قال تعالى (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) اشارة الى
حسن الادب الذي على خلاف ما أتوا به من سوء الادب فانهم لو صبروا لما احتاجوا
الى النداء واذا كنت تخرج اليهم فلا يصح اتيانهم في وقت اختلاطك بنفسك أو
بأهلك أو بربك فان للنفس حقاً وللأهل حقاً وقوله تعالى لكان خيرا لهم يتحمل وجهين
(أحدهما) أن يكون المراد ان ذلك هو الحسن والخير كقوله تعالى خير مستقراً (وثانيهما)
ان يكون المراد هو ان النداء وعدم الصبر يستفيدون بتجيز الشغل ودفع الحاجة في الحال
وهو مطلوب ولكن المحافظة على حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه خير من ذلك لانها

عدل لما تجاسروا على
هذه المرتبة من سوء
الادب (ولو أنهم صبروا
حتى تخرج اليهم) أى
ولو تحقق صبرهم
واتظارهم حتى تخرج
اليهم فان أن وان دلت
بأني حينها على المصدر
لكنها تعيد بنفسها
التحقق والشبوت للفرق
البين بين قولك بلغني
قيامك وبلغني أنك قائم
وحتى تفيد أن الصبر
ينبغي أن يكون مقبلاً
بخروجه عليه الصلاة
والسلام فانها مختصة
بما هو غاية الشئ في نفسه
ولذلك تقول أكلت
السمكة حتى رأسها
ولانقول حتى نصفها
أو ثلثها بخلاف ألى
فانها عامة وفي اليهم
اشعار بأنه او خرج
لا لاجلهم ينبغي أن
يصبروا حتى يفتحهم
بالكلام أو يتوجه
اليهم (لكن) أى
الصبر المذكور
(خير اليهم) من الاستجمال
لما فيه من رهاية حسن
الادب وتعظيم الرسول
الموجبين للشاء والثواب

ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا) أي فتعرفوا
وتفحصوا روى أنه
عليه الصلاة والسلام
بعث الوالدين عقبه
أخا ثمان رضى الله عنه
لأنه مصدق الى بنى
المصطلق وكان يئد
و بينهم الحنة فلما سموا
به استقبلوه فحسب أنهم
مقاتلوه فرجع وقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدارتوا
وتعوا الزكاة فهم
عليه الصلاة والسلام
بقائلهم فبزات وقيل
بعث اليهم خالد بن
الواليد فوجدتهم منادين
بالصلاة منهجدين
فسلوا اليه الصدقات
فرجع في ترتيب الامر
بالتين على فسق الخبير
اشارة الى قبول خبر
الواحد العدل في بعض
المراد وقرئ فتبينوا
أي توفقوا الى أن تبين
لكم حال (ان تصيبوا)
حذار ان تصيبوا (قوما
بجهالة) ملتبين
بجهالة حالهم (فتصحبوا)
بعد ظهور برائتهم
عما أسند اليهم (على

تدفع الخبايا الاصلية التي في الآخرة وطايات الدنيا فضلية والمرقوع الذي يقضيه كلمة
كان اما الصم وتقدره لو أنهم صبروا لكان الصبر خيرا أو الخروج من غير نداء وتقدره
لو صبروا حتى تخرج اليهم لكان خروجك من غير نداء خيرا لهم وذلك مناسب للحكاية لانهم
طلبوا خروجهم عليه الصلاة والسلام ليأخذوا ذرارهم فخرجوا حتى رخصتهم واختدوا
نصفهم واوصبروا لكان يعنى كلهم والاول أصح ثم قال تعالى (والله غفور رحيم) تحقيرا
لامرين (أحدهما) سوء صنيعهم في النجس فان الانسان إذا نى ببيع ولا يعاقبه نالك
أو السيد يقال ما أحلم سيدا لايان خلفه بل ايان عظيم جنايا انه يد (وثانيهما) لحسن
الصبر يعنى بسبب اتيانهم وهو خير يغفر الله لهم سيئاتهم ويجعل هذه الحسنة كفارة
لكثير من السيئات كما يقال اللابق اذا رجع الى باب سيده أحسنت في رجوعك وسيدك
رحيم أى لا يعاقبك على ما تقدم من ذنوبك بسبب ما أتيت به من الحسنة ويمكن أن يقال
بان ذلك حدث للنبي صلى الله عليه وسلم على الصفة وقوله تعالى أكثرهم لا يعاقون كالعذر
لهم وقد ذكرنا ان الله تعالى ذكر في بعض المواضع العفران قبل الرحمة كما في هذه السورة
وذكر الرحمة قبل المغفرة في سورة سبأ في قوله وهو الرحيم الغفور فثبت قال غفور رحيم أى
يغفر سيئاتهم ثم نظر اية فراه عاريا محتاجا في رجد و يابسه ابا اس الكرامة وقد رآه مغورا
في السيئات فيغفر سيئاته ثم رجد بعد المغفرة فارة تقع الاشارة الى الرحمة التي بعد
المغفرة فيقدم المغفرة وتارة تتم الرحمة قبل المغفرة فيونها وخرها ولما كانت الرحمة واسمه توحد
قبل المغفرة وبعدها ذكرها قبلها وبعدها ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا أو ما يجبهالته فتصحبوا على ما فعلتم ناديين) هذه السورة فيها
ارشاد المؤمنين الى مكارم الاخلاق وهي امام الله تعالى أو مع الرسول صلى الله عليه وسلم
أو مع خيرهما من ابنا الجنس وهم على صنفين لانهم اما أن يكونوا على طريقتين المؤمنين
وداخلين في رتبة الطاعة أو خارجا عنها وهو الفاسق والداخل في طائفتهم السالك
لطرقتهم اما أن يكون حاضر عندهم أو غاب عنهم فهذه خمسة أقسام (أحدها) يتعلق
بجانب الله (وثانيها) بجانب الرسول (وثالثها) بجانب الفاسق (وابعها) بالواو من الحاضر
(ر خامسها) بالواو من الغائب فذكر الله تعالى في هذه السورة خمس مرات يا أيها الذين آمنوا
وأرشد في كل مرة الى مكرمة مع قسم من الاقسام الخمسة فقال أو لا يا أيها الذين آمنوا
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وذكر الرسول كان لبيان طاعة الله لانها لا تعلم الا بقول
رسول الله وقال ثانيا يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي لبيان
وجوب احترام النبي صلى الله عليه وسلم وقال ثانيا يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
ليبان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على أقوالهم فانهم يريدون القاء الفتنة بينكم وبين
فذلك عند تفسير قوله وان ثمان من المؤمنين اقتتلوا وقال رابعا يا أيها الذين آمنوا
لا يسخر قوم من قوم وقارر تناز والبيان وجوب ترك ايذاء المؤمنين في حضرهم

ما فعلتم) في حقهم (ناديين) معنيين غم الامانة بين أنهم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع ث و الازدراء *
الدوام (واعلموا ان فيكم رسول الله)

والازدرابحاتهم ومنصبتهم وقال خامساً ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض
الظن اثم وقال ولا تجسسوا وقال ولا يغيب بعضكم بعضاً لبيان وجوب الاحتراز من اهانة
جانب المؤمن حال غيبته وذكر ما لو كان حاضراً نادى وهو في غاية الحسن من الترتيب فان
قيل لم يذكر المؤمن قبل الفاسق لتكون المراتب متدرجة الانبساط بالله ورسوله ثم المؤمن
الحاضر ثم ينادى من الغائب ثم بالفاسق يقول قدم الله ما هو الا هم على ما دونه فذكر جانب
الله ثم ذكر جانب الرسول ثم ذكر ما يفضي الى الافتتال بين طوائف المسامين بسبب الاصغاء
الى كلام الفاسق والاعتماد عليه فانه يذكر كل ما كان أشد تقاربا الصدور وأما المؤمن
الحاضر والغائب فلا يؤذى المؤمن الى حديفضي الى القائل الا ترى ان الله تعالى ذكر
عقب نبأ الفاسق آية الافتتال فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وفي التفسير مسائل
(المسئلة الاولى) في سبب نزول هذه الآية وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عتبة
وهو أخو عثمان لأمه الى بنى المصطلق واليا ومصدقا فالتقوه فقتلهم مقاتلين فرجع الى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال انهم امتنعوا ومنعوا فهم الرسول صلى الله عليه وسلم
بالايقاع بهم فترأت هذه الآية وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانهم لم يفعلوا من ذلك شيئا
وهذا جيدان قالوا بان الآية نزلت في ذلك الوقت واما ان قالوا بانها نزلت لذلك مقتصر
عليه ومتعديا الى غيره فلا بد من قول هو نزل عاما لبيان الثبوت وترك الاعتماد على قول
الفاسق ويدل على ضعف قول من يقول انها نزلت كذلك ان الله تعالى لم يقل اني انزلتها
لكذا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل عند الله بين ان الآية وردت لبيان ذلك فحسب غاية
ما في الباب انها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل التاريخ لنزول الآية ونحن نصدق ذلك
ويناكم ما ذكرنا ان احلاق لخصا الفاسق على الوليد بن عتبة وكان شرطه ان لا يخطئ
لا يسمى فاسقا وكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من يخرج عن رتبة الايمان قوله
تعالى ان الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن امر ربه وقوله تعالى وأما
الذين فسقوا فلما راهم النار كلأرادوا أن يخرجوا منها ليميدوا فيها الى غير ذلك (المسئلة
الثانية) قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ اشارة الى عليه فهو هي ان المؤمن كان موصوفاً بانته
شديد على الكافر فحفظ عليه فلا يمكن الفاسق من أن يخبره بنبأ فان تمكن منه يكون نادرا
فقال ان جاءكم بحرف الشرط الذي لا يذكر الامع التواقع اذ لا يحسن أن يقال ان اجهر
اليسر وان طلعت الشمس (المسئلة الثالثة) التكررة في معرض الشرط تعني اذا كانت في
جانب الثبوت كأنها تعم في الاخبار اذا كانت في جانب النفي وتخص في معرض الشرط اذا
كانت في جانب النفي كأنخص في الاخبار اذا كانت في جانب الثبوت فتم ذكر بيانه بالمثال
ودليله اما بيانه بالمثال فتقول اذا قال قائل لعبيد ان كنت رجلا فانت حر فيكون كأنه قال
لا اكلم رجلا حتى يعقني بتكلم كل رجل واذا قال ان لم اكلم اليوم رجلا فانت حر فيكون
كأنه قال لا اكلم اليوم رجلا حتى لا يعقني العبد بترك كلام كل رجل كما لا يظهر الخلف

(الامر اعتم) فانه حال
من أحد الضميرين
في فيكم والمعنى أن فيكم
رسول الله كأننا على طاعة
يجب عليكم تعبيرها
أو كائين على طاعة الخ
وهي انكم تريدون
أن يتبع عليه الصلاة
والسلام رأيكم في كثير
من الحوادث ولو فعل
ذلك او قعتم في الجهد
والهلاك وفيه ايدان
بأن بعضهم زينوا
رسول الله صلى الله عليه
وسلم الايقاع يسي
المصطلق تصديقا
اقول الوليد وأنه عليه
الصلاة والسلام لم يطع
رأيهم وأما صبغة
المضارع فقد قيل انها
للدلالة على ان امتناع
عنهم لامتناع استمرار
طاعته عليه الصلاة
والسلام لهم لان عنهم
انما يلزم من استمرار
الطاعة فيما بين لهم
من الامور اذ قيد اختلال
أمر الابالة وانقلاب
الرئيس مرؤسا لامن
اطاعته في بعض ما يرويه
نادرا بل فيها استماتهم
بلا معرفة وقيل انها

للدلالة على أن امتناع عنهم لاستمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم في ذلك فان المضارع النفي قد يدل
على استمرار

المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به او لا ثم اعتبر استمراره فيتمسك ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجديد موافقها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة أصلاً او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى اولم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت

في كلامه بكلام كل رجل اذا ترك الكلام مع رجل واحد وأما الدليل فلان النظر اولاً الى جانب الاثبات الا ترى انه من غير حرف لما ان الوضع للاثبات والتي بحرف فقول القائل زيد قائم ومعنى ان يقول ان يقول مع ذلك حرف يدل على ثبوت القيام لزيد وفي جانب النفي احببنا الى ان نقول زيد ليس بقائم ولو كان الوضع والتكريب اولاً للنفي لما احببنا الى الحرفي الزائداً قصاراً او اختصاراً واذا كان كذلك فقول القائل رأيت رجلاً يكنى فيه ما يصح القول وهو رؤية واحد فاذا قلت ما رأيت رجلاً وهو وضع لمقابلة قوله رأيت رجلاً وركب تلك المقابلة والمقابلان ينبغي ان لا يصدقا فقول القائل ما رأيت رجلاً لو كفي فيه انتفاء الرؤية عن غير واحد اصح قولنا رأيت رجلاً وما رأيت رجلاً فلا يكونان متقابلين فيلزمنا من الاصطلاح الاول الاصطلاح الثاني ولزم منه العموم في جانب النفي اذ اطلق هذا فقول الشرطية وضعت اولاً ثم ركبت بعد الجزمية بدليل زيادة الحرف وهو في مقابلة الجزمية وكان قول القائل اذا لم تكن أنت حراما قلت رجلاً يرجع الى معنى النفي كما علم عموم القول في الفاسق علم عموم في الشيا فمعناه أي فاسق بجاهكم بأي نياً فالتثبت فيموجب (المسئلة الرابعة) متمسك اصحابنا في ان خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا تقبل اعماني المسئلة الاولى فقالوا اعمل الامر بان توقف بكونه فاسقاً ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل لما كان للترتيب على الفاسق فائدة وهو من باب التمسك بالمفهوم وأما في الثانية فلو جهين (أحدهما) أمر بالتبين فلو قبل قوله لما كان الحاكم مأموراً بالتبين فلو كان قول الفاسق متبولاً ثم ان الله تعالى أمر بالتبين في الخبر والنبا وباب الشهادة اضحيق من باب الخبر (والثاني) هو انه تعالى قال ان تصيبوا قوماً يجهلوا والجهل فوق الخطا لان الجهل اذ لم يخطأ لا يسمى جاهلاً والذي بين الحكم على قول الفاسق ان لم يصب جهل فلا يكون البناء على قوله جائزاً (المسئلة الخامسة) ان تصيبوا ذكراً فيها وجهين (أحدهما) مذهب الكوفيين وهو ان المراد ثلاث تصيبوا وانها مذهب البصر بين وهو ان المراد كراهة ان تصيبوا ويحتمل ان يقال المراد فتنيتوا واتقوا وقوله تعالى ان تصيبوا قوماً بين ما ذكرنا ان يقول الفاسق لعنهم الفتن بين اقوام ولا كذلك بالالفاظ المؤذية في الوجه والعيبة الصادرة من المؤمنين لان المؤمن ينعذ دينه من الافحاش والنباهة في الاجحاش وقوله بجهلها في تقدير سال أي ان تصيبوهم جاهلين وفيه لطيفة وهي ان الاصابة تستعمل في السيئة والحسنة كافي قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله لكن الاكثر انها تستعمل فيما يسوء لكن العن السوء يذكر معه كافي قوله تعالى وان تصيبهم سيئة ثم حقيق ذلك بقوله فتصيبوا على ما قلتم نادمين بيانا لان الجاهل لا يدمن ان يكون على فعله نادماً وقوله فتصيبوا معناه تصيبوا قال النجاشي اصبح يستعمل على ثلاثة اوجه (أحدها) يعني دخول الرجل في الصباح كما يقول القائل اصبحنا نقضى عليه (وثانيها) يعني كان الامر وقت الصباح كذا وكذا كما يقال اصبح اليوم مريضاً خيراً ما كان غيراته تغير سخوة النهار ويريد كونه في الصبح على حاله كأنه يقول كان

الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت من الاوقات وقع العنت قطعاً وان اريد به ﴿ المريض ﴾ استمرار الطاعة الواقعة

في الكل وتجدها بنسب تجديد الزمان ﴿ ٥٩١ ﴾ واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس

امتناع استمرار الطاعة
المذكورة ضرورة أنه
موجب لوقوع العنت
بل هو الاستمرار الزماني
لامتناع تلك الطاعة
الواقعة في تلك الامور
الكثيرة بأحد الوجهين
المذكورين حتى لو لم
يستمر امتناعها بان
وقعت تلك الطاعة
في وقت من الاوقات
وقع العنت حتما واعلم
أن الاحق بالاختيار
والاولى بالاعتبار هو
الوجه الاول لانه أوفق
بالتقياس المقضي
لاعتبار الامتناع واردة
على الاستمرار حسب
ورود كلمة الوعد
بالاولى صلى صيغة
المضارع المقيدة للثاني
على أن اعتبار الاستمرار
واردا على الثاني على
خلاف القياس معونة
المقام انما بصار اليد
اذ تمذرا الجزان فلي
موجب القياس أو لم يكن
فقد عز يد عز ية كما
في مثل قوله تعالى ولاهم
يعجزون حيث حل
على استمرار في الجزان
عنهم اذ ليس

المر من وقت الصبح خيرا وتغير ضجوة النهار (وثالثها) بمعنى صار يقول القائل اصبح زيد
غنيا يريد به صار من غير ارادة وقت دون وقت والمراد ههنا هو المعنى الثالث وكذلك
أسمى واضهى ولكن لهذا تخبرق وهو ان نقول لا بد في اختلاف الالفاظ من اختلاف
المعاني واختلاف الفوائد فنقول الصبرورة قد تكون من ابتداء امر وتدوم وقد تكون
في آخر الامر بمعنى آل الامر اليد وقد تكون متوسطة (مثال الاول) قول اقاتل صار
الطمان فاهما أي أخذ فيه وهو في الزيادة (مثال الثاني) قول القائل صار الحق بينا واجبا
أي انتهى حده وأخذ حقه (مثال الثالث) قول القائل صار زيد طالما وقويا اذا المراد
أخذ فيه ولا بلوغه نهايته بل كونه متناسبا به متصفا به اذا علمت هذا فاصل استعمال اصبح
فيما بصيرا شي أخذ في وصف ومبتدأ في أمر وأصل امسى فيما بصيرا شي يا غاني الوصف
نهيته وأصل اضحى التوسط لا يقال أهل الاستعمال لا يفرقون بين الامور ويستعملون
الالفاظ الثلاثة بمعنى واحد فنقول اذا تقاربت المعاني جاز الاستعمال وجواز الاستعمال
لا ينافي الاصل وكثير من الالفاظ أصله ماضى واستعمل استعمالا لاشا ثم انما لا يشاركه اذا
علم هذا فنقول قوله تعالى فصبحوا أي فصبروا وأخذتم في التدم متلبسين به ثم تستديعونه
وكذلك في قوله تعالى فأصبحتم بنعمته اخوانا أي أخذتم في الاخوة وأنتم فيها زائدون
ومسترون وفي الجملة اختار في القرآن هذه اللفظة لان الامر المقرون بهذه اللفظة اما في
الثواب أو في العقاب وكلاهما في الزيادة والنهاية للامور الانهية وقوله تعالى نادى
التدم هم دائم والثوب والندال والميم في فعاليتها الاتفك هن معنى الدوام كما في قول القائل
أدمر في الشرب ومدمن أي أقام ومنه المدينة وقوله تعالى فصبحوا على ما فعلتم نادى
فيها لئذان (احدهما) نقر بالتحذير وتأكيده ووجهه هو انه تعالى لما قال ان تصيبوا
قوما بجهالة قال بعده وليس ذلك مما ابغضت اليه والذبحوز لا عاقل ان يقول هب اني
أصبت قوما فاذاهل بل عليكم منه الهم الدائم والحرث النقيم ومثل هذا الشيء واجب
الاحتراس منه (والثانية) مدح المؤمنين أي استم من اذا فعلوا شيئا لا يفتنون اليها بل
تصحبون نادى هليها ثم قال تعالى (واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من
الامر لعنتم ولكن الله يحب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان) ولذا ذكر في تفسير هذه الآية ما قيل وما يجوز ان يقال اما ما قيل فلخصرا حسنه
وهو ما اختاره الزمخشري فانه بحث في تفسير هذه الآية بخاطو ولا فقال قوله تعالى
لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ليس كلاما مستأنفا لادائه الى تناقض النظم اذ لا يتفق
مناسبة بين قوله واعلموا وبين قوله لو يطيعكم ثم وجه التعلق هو ان قوله لو يطيعكم في
تقدير حال من الضمير الرفوع في قوله فيكم كأن التفسير كأن فيكم أو موجود فيكم على
حال تريدون أن يطيعكم أو يفعل باستصوابكم ولا ينبغي أن يكون على تلك الحال لانه
لوفس ذلك لعنتم أو وقعت في شدة أو اولتم به ثم قال تعالى ولكن الله يحب اليكم الايمان

في نفى استقرار الحزن من يد فائدة وأما اذا انتظم الكلام مع مراعاة ٥٩٢ موجب التماس حق الانتظام

فالعقول عنه تعمل لا ينجح وقوله تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان) الخ تجريد للخطاب وتوجيهه الى بعضهم بطريق الاستدراك بسانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحاد الافعالهم أي ولكنك تعالى جعل الايمان محبوبا اليكم (وزينه في قلوبكم) حتى رسخ حبه فيها ولذلك أنتم بما يليق به من الاقوال والافعال (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) ولذلك اجنبتكم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها وأحكامها ولما كان في الحبيب والتكريم معنى انهاء المحبة والكرهية وايصالهما اليهم استعمالا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان حذر الاولين كما قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطفى من خلل في هيبه فتكم بل من فرط حبهكم للايمان وكرهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى

خطاياهم بعض من المؤمنين غير المخاطبين بقوله او يطيعكم قال الرنخشري اكتفى بالتعابر في الصفة واختصروا لم يقل حبيب اليه منكم الايمان وقال أيضا بان قوله تعالى او يطيعكم دون اطاعتكم يدل على التهم كما لو ارادون استقرار تلك الحائنة ودوام النبي صلى الله عليه وسلم على العمل باستسوا بهم ولكن يكون ما بعدها على خلاف ما قبلها وهو هنا كذلك وان لم تحصل المخالفة بصرح اللفظ لان اختلاف المخاطبين في اوصاف بدلنا على ذلك لان المخاطبين اولها بقوله او يطيعكم هم الذين ارادوا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يبرادهم والمخاطبين بقوله حبيب اليكم الايمان هم الذين ارادوا عملهم بمراد النبي صلى الله عليه وسلم هذا ما قاله الرنخشري واختاره وهو حسن والذي يجوز أن يقال وكأنه هو الاقوى أن الله تعالى لما قال ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أي فتبينوا واكشفوا قال بعده وعلموا ان فيكم رسول الله أي الكشف سهل عليكم بالرجوع الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه فيكم مبين مراد هذا كما يقول القائل عند اختلاف تلاميذ شيخ في مسألة هذا الشيخ قاعد لا يريد به بيان قعوده وانما يريد أمرهم بالرجعة اليه وذلك لان المراد منه انه لا يطيعكم في كثير من الامر وذلك لان الشيخ فيما ذكرنا من المثال لو كان يعتمد على قول التلاميذ لانتظم قلوبهم بالرجوع اليه اما اذا كان لا يذكر الا من النقل الصحيح ويفرره بالدليل القوي راجعة كل أحد فكذلك ههنا قال استشهدوه فانه يعلم ولا يطبع أحدا فلا يوجد فيه حيف ولا يروج عليه زيف والذي يدل على ان المراد من قوله او يطيعكم في كثير من الامر اعتم ببيان انه لا يطيعكم هو ان الجملة الشرطية في كثير من المواضع ترد لبيان امتناع الشرط لامتناع الجزاء كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله تعالى واوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فانه لبيان انه ليس فيهما آلهة وانه ليس من عند غير الله ثم قال تعالى ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم بكم اشارة الى جواب سؤال يرده على قوله فتبينوا وهو ان يقع الواحد أن يقول انه لا حاجة الى المراجعة وحقولنا كافية بها أدركنا الايمان وتركنا العصيان فكذلك نتعهد في أمورنا فقال ليس ادراك الايمان بالاجتهاد بل الله بين البرهان وزين الايمان حتى حصل اليقين وبعد حصول اليقين لا يجوز التوقف والله انما أمركم بالتوقف عند تقليد قول الفاسق وما أمركم بالعناد بعد ظهور البرهان فكانه تعالى قال توقفوا فيما يكون مشكوكا فيه لكن الايمان حبيب اليكم بالبرهان فلا تتوقفوا في قوله وعلى قولنا المخاطب بقوله حبيب اليكم هو المخاطب بقوله او يطيعكم اذا علمت معنى الآية بجملة فاسق مفعلا ولغضله في مسائل (المسئلة الاولى) لو قال قائل اذا كان المراد بقوله واعلموا أن فيكم رسول الله الرجوع اليه والاعتماد على قوله فلم يدل بصرح اللفظ فتبينوا وراجعوا النبي صلى الله عليه وسلم وما التمس في العناد الى هذا الجواز بقول القائل زيادة التأكيد وذلك لان قول القائل فيما ذكرنا من المثال هذا الشيخ قاعد كذا في وجوب المراجعة اليه من قوله

راجعوا

وكرهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى

راجعوا شيخكم وذلك لان القائل يجعل وجوب المراجعة اليه متفقا عليه و يجعل سبب
 عدم الرجوع عدم علمهم بعوده فكأنه يقول انكم لا تشكون في أن الكاشف هو
 الشيخ وأن الواجب مراجعته فان كنتم لا تعلمون بعوده فهو قاعد فيحصل حسن
 المراجعة أظهر من أمر القعود كانه يقول خفي عليكم بعوده فتركتم مراجعته ولا تخفي
 عليكم حسن مراجعته فيجعل حسن المراجعة أظهر من الامر الحسن بخلاف ما لو قال
 راجعوه لانه حينئذ يكون قائلًا بانكم ما علمتم ان مراجعته هو الطريق وبين الكلامين
 بون بعيد فكذلك قوله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله يعني لا تخفي عليكم وجوب
 مراجعته فان كان خفي عليكم كونه فيكم فاعلموا أنه فيكم فيجعل حسن المراجعة أظهر
 من كونه فيهم حيث ترك بيانه وأخذ في بيان كونه فيهم وهذا من المعاني العريضة التي توجد
 في الحجازات ولا توجد في الصرائح (المسئلة الثانية) اذا كان المراد من قوله لو يطيعكم
 بيان كونه غير مطيع لاحد بل هو متبع للوحي فلم يصرح به نقول بيان نفي الشيء مع
 بيان دليل النفي أتم من بيانه من غير دليل والجملة الشرطية بيان النفي مع بيان دليله فان
 قوله ليس فيهما آلهة اوقال قائل لم قلت انه ليس فيهما آلهة يجب أن يذكر الدليل فقال
 لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فكذلك ههنا اوقال لا يطيعكم وقال قائل لم لا يطيع
 لوجب أن يقال لو أطاعكم لا طاعكم لاجل مصلحتكم لكن لا مصلحة لكم فيه لانه
 تعنتون وناعون وهو يشق عليه عنكم كما قال تعالى عز يز عليه ما عصتم فان
 طاعتكم لا تفيده شيئًا فلا يطيعكم فهذا نفي الطاعة بالدليل وبين نفي الشيء بدليل ونفي
 بغير دليل فرق عظيم (المسئلة الثالثة) قال في كثير من الامر ليعلم انه قد يوافقهم ويفعل
 بمقتضى مصلحتهم تحقيقًا لغاثة قوله تعالى وشاورهم في الامر (المسئلة الرابعة) اذا كان
 المراد بقوله تعالى حبيب اليكم الايمان فلا تتوقفوا فسلم بصرح به قلنا لما بيناه من
 الاشارة الى ظهور الامر يعني أتم تعلمون ان اليقين لا يتوقف فيه اذ ليس بعده مرتبة حتى
 يتوقف الى بلوغ تلك المرتبة لان من بلغ الى درجة الظن فانه يتوقف الى أن يبلغ درجة
 اليقين فلما كان عدم التوقف في اليقين معلوما متفقا عليه لم يقل فلا تتوقفوا بل قال
 حبيب اليكم الايمان أي بينه وزينه بالبرهان اليقيني (المسئلة الخامسة) ما المعنى في قوله
 حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم نقول قوله تعالى حبيب اليكم أي قر به اليكم
 وادخله في قلوبكم ثم زينته فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم وهذا لان من يحب
 اشياء فقد عمل شيئًا منها اذا حصل عنده وطال لبثه والايمان كل يوم يزداد حسنا ولكن
 من كانت عبادته أكثر وتحمله لمشاق التكليف أتم تكون العبادة والتكاليف عنده
 ألدرا وكل ولهذا قال في الاول حبيب اليكم وقال ثانياً زينته في قلوبكم كأنه قر به اليهم ثم
 أقامه في قلوبهم (المسئلة السادسة) ما الفرق بين الامور الثلاثة وهي الكفر والفسوق
 والعصيان فنقول هذه أمور ثلاثة في مقابلة الايمان الكمال لان الايمان الكامل المزين

(أولئك هم الراشدون)
 أي السالكون الى
 الطريق السوي الموصل
 الى الحق والاتفات الى
 الغيبة كالذي في قوله
 تعالى وما آتيتهم من زكاة
 تريدون وجهه الله
 فأنتكهم المضطربون
 (فضلا من الله ونعمة)
 أي وانعاما لتعليل لما حب
 أو كره وما بينهما
 اعتراض وقيل نصيبها
 بفعل مضمر أي جرى
 ذلك فضلا وقيل يتنون
 فضلا (والله اعلم)
 مبالغ في العلم فيعلم أحوال
 المؤمنين وما بينهم من
 التفاضل (حكيم) يفعل
 كل ما يفعل بموجب
 الحكمة

هو ان يجمع التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان (أحدها) قوله تعالى
 وكره اليكم الكفر وهو التكذيب في مقابلة التصديق بالجنان والفسوق هو الكذب
 (وثانيها) هو ما قبل هذه الآية وهو قوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ سمى من كذب فاسقا
 فيكون الكذب فسوقا (ثالثها) ما ذكره بعد هذه الآية وهو قوله تعالى بنس الاسم
 الفسوق بعد الايمان فانه يدل على ان الفسوق أمر قولي لاقرانه بالاسم وسنين تفسيره
 ان شاء الله تعالى (ورابعها) وجه معقول وهو ان الفسوق هو الخروج عن الطاعة على
 ما علم في قول القائل فسقت الرطبة اذا خرجت وغير ذلك لان الفسوق هو الخروج زيد
 في الاستعمال كونه الخروج من الطاعة لكن الخروج لا يكون له ظهور بالامر القلي
 اذ لا اطلاع على ما في القلوب لاحد الا الله تعالى ولا يظهر بالافعال لان الامر قد يترك
 اما النسيان أو سهو فلا يعلم حال التارك والمرتكب انه تخطى أو تمعد وأما الكلام فانه
 حصول العلم بما عليه حال التكلم فالدخول في الايمان والخروج منه يظهر بالكلام
 فتخصيص الفسوق بالامر القولي أقرب واما المعصيان فتترك الامر وهو بالفعل أليق
 فاذا علم هذا ففيه ترتيب في غاية الحسن وهو انه تعالى كره اليكم الكفر وهو الامر الاعظم
 كما قال تعالى ان الشرك اعظم عظيم ثم قال تعالى والفسوق يعني ما يظهر لسانكم أيضا ثم
 قال والمعصيان وهو دون الكل ولم يترك عليكم الامر الا الذي وهو المعصيان وقال بعض
 الناس الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والمعصيان هو الصغيرة وما ذكرناه أقوى
 ثم قال تعالى (أو ائتكمهم الراشدون) خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيه معنى
 لطيف وهو ان الله تعالى في أول الامر قال واعلموا ان فيكم رسول الله أي هو مرشدكم
 فخطاب المؤمنين للتبعية على شفقتهم بالمؤمنين فقال في الأول كفى النبي مرشدا لكم
 ما نسترشدونه فاشفق عليهم وأرشدهم وعلى هذا قوله الراشدون أي الموافقون للرشد
 ياخذون ما ياتهم وينهون عما ينهاهم ثم قال تعالى (فضلا من الله ونعمة والله حلیم
 حكيم) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) نصب فضلا لاجل أمور اما لكونه مفعولا له وفيه
 وجهان (أحدهما) ان العامل فيه هو الفعل الذي في قوله الراشدون فان قيل كيف
 يجوز ان يكون فضل الله الذي هو فعل الله مفعولا له بالنسبة الى الرشد الذي هو فعل العبد
 نقول لما كان الرشد توفيقا من الله كان كانه فعل الله فكانه تعالى أرشدهم فضلا أي
 يكون متفضلا عليهم منعا في حقهم (والوجه الثاني) هو ان العامل فيه هو قوله حبيب
 اليكم الايمان وكره اليكم الكفر فضلا وقوله أو ائتكمهم الراشدون جملة اعترضت بين
 الكلامين أو يكون العامل فعلا مقدرًا فكانه قال تعالى جرى ذلك فضلا من الله واما
 لكونه مصدرا وفيه وجهان (أحدهما) ان يكون مصدرا من غير اللفظ ولان الرشد فضل
 فكانه قال أو ائتكمهم الراشدون رشدا (وثانيهما) هو ان يكون مصدرا لفعل مضمرا كأنه
 قال حبيب اليكم الايمان وكره اليكم الكفر فأفضل فضلا وأنعم نعمة والقول بكونه

(وان طائفتان من المؤمنين
 اقتتلوا) أي تغاتلوا
 والجمع باعتبار المعنى
 (فأصلحوا بينهما) بالتحصیح
 والدعاء الى حكم الله
 تعالى (فان يغت) أي
 تعدت (احدهما) على
 الاخرى) ولم تتأثر
 بالنصيحة (فقاتلوا التي
 تبغى حتى تنفي) أي ترجع
 (الى امر الله) الى حكمه
 أو الى ما أمر به (فان
 قاتت) اليد وأقلمت عن
 القتال حذرا من قتالكم
 (فأصلحوا بينهما بالعدل)
 يفصل ما بينهما على
 حكم الله تعالى ولا تكفوا
 بحجر ذمارة كنهما صهي

منصوباً على أنه مفعول مطلق وهو المصدر أو مفعول به قول الرشدي وأما أن يكون
 فضلاً مفعولاً به والفعل مضمراً دل عليه قوله تعالى أو تلك هم الراشدون أي ينبغي
 فضلاً من الله ونعمة (المسئلة الثانية) ما الفرق بين الفضل والنعمة في الآية تقول فضل
 الله إشارة إلى ما عنده من الخير وهو مستغن عنه والنعمة إشارة إلى ما يصل إلى العبد وهو
 محتاج إليه لأن الفضل في الأصل يلبى عن الزيادة وعنده خزائن من الرحمة لا الحاجة إليها
 ويرسل منها على عباده ما لا يقفون معه في ورطة الحاجة بوجه من الوجوه والنعمة
 تنبئ عن الرأفة والرحمة وهو من جانب العبد وفيه معنى لطيف وهو أن كيد الاعطاء وذلك
 لأن المحتاج يقول للغي اعطني ما فضل عنك وعندك وذلك غير ملتفت إليه وأما به قباضي
 ويقال فإذ أقوله فضلاً من الله إشارة إلى ما هو من جانب الله الغني والنعمة إشارة إلى ما هو
 من جانب العبد من الدفاع الحاجة وهذا مما يؤكده قولنا فضلاً منصوب بفعل مضمر وهو
 الإغناء والطلب (المسئلة الثالثة) ختم الآية بقوله والله عليم حكيم فيه مناسبات عدة منها
 أنه تعالى لما ذكر نبياً الفاسق قال أن يشبهه على المؤمن كذب الفاسق فلا تعدوا على تروجه
 عليكم الزور فإن الله عليم ولا تقولوا كما كان عادة المنافق أو لا يحسبنا الله بما نقول فإن الله
 حكيم لا يفعل الا على وفق حكمته (وثانيها) لما قال الله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله
 لو بطيخكم بمعنى لا يطيعكم بل يتبع الوحي قال فان الله من كونه عليماً يعلم ومن كونه حكيماً
 يأمر بما تقتضيه الحكمة فاتبوه (ثالثها) المناسبة التي بين قوله تعالى عليم حكيم وبين
 قوله حبيب اليكم الايمان أي حبيب بعلمه الايمان لأهل الايمان واختار له من يشاء بحكمته
 (رابعها) وهو الاقرب وهو أنه سبحانه وتعالى قال فضلاً من الله ونعمة ولما كان الفضل
 هو ما عند الله من الخير المستغنى عنه قال تعالى هو عليم بما في خزائن رحمة من الخير وكانت
 النعمة هو ما يدفع به حاجة العبد قال هو حكيم بعزل الخير بقدر ما يشاء على وفق الحكمة
 ثم قال سبحانه وتعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان
 بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله) لما حذر الله المؤمنين
 من النبا الصادر من الفاسق أشار إلى ما يلزم منه استدراكاً لما يفوت قتال فان اتفق
 انكم تدينون على قول من وقع بينكم وآل الامر إلى اقتتال طائفتين من المؤمنين فاز بانوا
 ما أئتمه ذلك الفاسق وأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي
 تبغي أي الظالم يجب عليكم دفعه عنه ثم ان الظالم ان كان هو الرعية فالواجب على الامير
 دفعهم وان كان هو الامير فالواجب على المسلمين منعه بالتمهيمة فأدفعها وشرطه ان
 لا يشتر فتنة مثل التي في اقتتال الطائفتين أو أشد منها وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله
 تعالى وان إشارة إلى ندرة وقوع القتال بين طوائف المسلمين فان قيل فبحن نرى أكثر
 الاقتتال بين طوائفهم نقول قوله تعالى وان إشارة إلى انه ينبغي ان لا يقع الا نادراً غاية
 ما في الباب ان الامر على خلاف ما ينبغي وكذلك ان جاءكم فاسق بنبأ إشارة إلى أن مجيء

يكون بينهما قتال في
 وقت آخر وتقييد
 الاصلاح بالعدل لانه
 مظنة لطيف او قومه
 بمد المقاتلة وقد أكد
 ذلك حيث قيل
 (واقسطوا) أي
 واعدلوا في كل ما تاتون
 وما تذكرون (ان الله يحب
 المقسطين) فيجازيهم
 أحسن الجزاء والآية
 نزلت في قتال حدث
 بين الاوس والخزرج
 في عهد علي الصلاة
 والسلام بالسيف
 والنعال وفيها دلالة
 على أن الباغى لا يخرج
 بالبغي عن الايمان وأنه
 اذا أمسك عن الحرب
 ترك لانه في أمر الله

الفاسق بالنبا ينبغي ان يقيم قبل الامع أن مجي الفاسق بالنبا كثير وقول الفاسق صار عند
 أولى الامر أشد فيولا من قول الصادق الصالح (المسئلة الثانية) قال تعالى وان طائفتان
 ولم يقل وان فرقان تختبنا للمعنى الذى ذكرناه وهو التمايل لان الطائفة دون الفرقة
 واهذا قال تعالى فاوالانفر من كل فرقة منهم طائفة (المسئلة الثالثة) قال تعالى من المؤمنين
 ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المؤمنين السابق قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
 فاسق بنبأ تبنيها على قبح ذلك وتبيننا لهم ثم كما يقول السيد اعبدوا ان رأيت أحدا من
 علماني يفعل كذا فامنع فيصير بذلك ما دعا للخطاب عن ذلك القول بالطريق الحسن
 كأنه يقول أنت حاشاك ان تفعل ذلك فان فعل غيرك فامنع كذلك ههنا قال وان
 طائفتان من المؤمنين ولم يقل منكم لما ذكرنا من التبيه مع ان المعنى واحد (المسئلة
 الرابعة) قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ولم يقل وان اقتتل طائفتان من
 المؤمنين مع ان كلمة ان اتصا بها بالفعل أولى وذلك ليكون الابتداء بما يمنع من القتال
 فيتأكد معنى النكرة المدلول عليها بكلمة ان وذلك لان كونها طائفتين مؤمنتين يقتضى
 أن لا يقع القتال بينهما فان قيل فلم يقل يا ايها الذين آمنوا ان فاسق جاءكم أو ان أحد من
 الفساق جاءكم ليكون الابتداء بما يمنعهم من الاصغاء الى كلامه وهو كونه فاسقا نقول
 المجي بالنبا الكاذب يورث كون الانسان فاسقا أو يزداد بسببه فسقه فالجى به سبب
 الفسق فتدغمه أما الاقتال فلا يقع سببا للايمان أو الزيادة فقال ان جاءكم فاسق أى
 سواء كان فاسقا أو لا وجاءكم بالنبا دصار فاستتابه وان أوفى قال وان أحد من الفساق جاءكم كان
 لا يتناول المشهور الفسق قبل المجي اذا جاءهم بالنبا (المسئلة الخامسة) قال تعالى
 اقتتلوا ولم يقل يقتتلوا لان صيغة الاستقبال تنبئ عن الدوام والاستمرار فيعبر عنهم منه ان
 طائفتين من المؤمنين ان تادى الاقتال بينهما فاصالحوا وهذا لان صيغة المستقبل تنبئ
 عن ذلك يقال فلان يتجهد ويعصم (المسئلة السادسة) قال اقتتلوا ولم يقل اقتتلا وقال
 فاصالحوا بينهما ولم يقل بينهم وذلك لان عند الاقتال تكون الغنمة قائمة وكل أحد برأسه
 يكون فاعلا فعلا فقال اقتتلوا وعند العود الى الصلح تتفق كلمة كل طائفة والام يكن
 يتحقق الصلح فقال بينهما لكون الطائفتين حينئذ كنفسين ثم قال تعالى فان بغت
 احدهما اشارة الى نادرة اخرى وهى البغى لانه غير متوقع فان قيل كيف يصح في هنا
 الموضع كلمة ان مع انها تستعمل في الشرط الذى لا يتسوق وقوعه وبغى أحدهما عند
 الاقتال لا بد منه اذ كل واحد منهما لا يكون محسنا فقوله ان تكون من قبيل قول القائل
 ان طلعت الشمس نقول فيه معنى لطيف وهو ان الله تعالى يقول الاقتال بين طائفتين
 لا يكون الا نادرا الوقوع وهو كالتظن كل طائفة ان الاخرى فيها الكفر والفساد الاقتال
 واجب كما سبق في اللبالي المظلمة أو يقع لكل واحد ان القتال جائز بالاجتهاد وهو خطأ
 فقال تعالى الاقتال لا يقع الا كذا فان بان لهما أو لاحدهما الخطأ واستمر عليه فهو نادر

تعالى وأنه يجب معاونة
 من ابغى عليه بعد تقديم
 النصح والسعي في
 المصالحة (انما المؤمنون
 اخوة) استئناف مقرر
 لما قبله من الامر
 بالاصلاح أى انهم
 منتسبون الى أصل
 واحد هو الايمان
 الموجب للحياة الابدية
 والفاء في قوله تعالى
 (فأصلحوا بين
 أخويكم) لا يبدان بأن
 الاخوة الدينية موجبة
 للاصلاح وو ضم
 المظهر مقام المضر
 مضافا الى المأمورين
 للبيان في تأكيد وجوب
 الاصلاح والتخصيص
 عليه وتخصيص
 الاثنين بالذكر

وعند ذلك يكون قد بغي فقال فان بغت احدهما على الاخرى يعنى بعد استبانة الامر
 وحينئذ فقوله ان بغت في غاية الحسن لانه يفيد الندرة وقلة الوقوع وفيه أيضا ما بحث
 (الاول) قال فان بغت ولم يقل فان تبغ لما ذكرنا في قوله تعالى اقتتلوا ولم يقل يقتلوا
 (الثاني) قال حتى تفي اشارة الى ان القتال ليس بجزاء الباغى كعدا الشرب الذي يقام
 وان ترك الشرب بل القتال الى حد الفيتنة فان قامت الفتنة الباغية حرم قتالهم (الثالث)
 هذا القتال لدفع العمدان فيتدرج فيه وذلك لانه لما كانت الفتنة من احدهما
 فان حصلت من الاخرى لا يوجد البغى الذي لاجله حل القتال (الرابع) هذا دليل على ان
 المؤمن بالكبيرة لا يخرج عن كونه مؤمنا لان الباغى جعله من احدى الطائفتين وسماههما
 مؤمنين (الخامس) قوله تعالى الى امر الله بحمل وجوها (أحدها) الى طاعة الرسول
 وأولى الامر لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم (ثانيها) الى
 امر الله أى الى الصلح فانه مأمور به يدل عليه قوله تعالى فأصلحو ذات بينكم (ثالثها)
 الى امر الله بالقوى فان من خاف الله حتى الخوف لا يبقى له عداوة الامع الشيطان كما قال
 تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا (السادس) او قال قائل قد ذكرتم ما يدل على
 كون الشرط غير متوقع الوقوع وقلتم بأن القتال والبغى من المؤمن نادرا فان تكون
 الفتنة متوقعة فكيف قال فان قامت تقول قول القائل لعبد ان مت فانت حرمع ان
 الموت لا يد من وقوعه لكن لما كان وقوعه بحيث يكون العبد محلا للعقوبة بان يكون
 بائنا في ملكه حيا يعيش بعد وقته غير معلوم فكذلك ههنا لما كان الواقع فورا وهم من
 تلقاه أنفسهم فلما لم يقع دل على أكيد الاخذ بينهم فقال تعالى فان قامت بينكم
 ايها بعد اشتداد الامر والتمام الحرب فأصلحو اوفيه معنى اطيعوه وهو انه تعالى اشار الى
 ان من لم يخف الله وبغى لا يكون رجوعه بقتالكم الا جبر (السابع) قال ههنا فاصلحو
 بينهما بالعدل ولم يذكر العدل في قوله وان طائفتان من المؤمنين اتتوا فاصلحو اتقول لان
 الاصلاح ههنا بازالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالصيحة أو التهديد والجزع والتعذيب
 والاصلاح ههنا بازالة آثار القتل بعد اندفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم قتال
 بالعدل فكانه قال واحكموا بينهما بدمتكمهما القتال بالحق وأصلحو بالعدل بما يكون
 بينهما الثلاثا يودى الى ثوران الفتنة بينهما مرة أخرى (الثامن) اذا قال فاصلحو بينهما
 بالعدل فاية فائدة في قوله وأقسطوا تقول قوله فاصلحو بينهما بالعدل كان فيه تخصيص
 بحال دون حال فعمم الامر بقوله وأقسطوا أى في كل أمر مفض الى أشرف درجة وأرفع
 منزلة وهى محبة الله والاقساط ازالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجائر والتركيب
 دال على كون الامر غير مرضى من التسط والقاسط في القلب وهو أيضا غير مرضى
 ولا معتد به فكذلك اقسطوا ثم قال تعالى (انما المؤمنون اخوة فاصلحو بين اخوانكم)
 تحمي الارشاد وذلك لانه لما قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا كان لفظان أن يظن

لا ثبات وجوب الاصلاح
 فيما فوق ذلك بطريق
 الاولوية لتضايف
 الفتنة والفساد فيه
 وقيل المراد بالاخوين
 الاوس والخزرج وقري
 بين اخوتكم واخوانكم
 (واتقوا الله) في كل
 ما تاتون وما تدرون
 من الامور التي من
 جعلتها ما أمرتم به
 من الاصلاح (لعليكم
 ترحون) راجين أن
 ترجوا على تقواكم
 (يا أيها الذين آمنوا
 لا يسخر قوم) أى منكم
 (من قوم) آخرين
 أيضا امنبكم وقوله تعالى
 (عسى أن يكونوا اخيرا
 منهم) تعليل للنهي
 أو لوجه

أولئذ هو أن يتوهم أن ذلك عند اختلاف قوم فاما إذا كان الاقتتال بين اثنين فلا نعم
 المفسدة فلا يؤمر بالاصلاح وكذلك الامر بالاصلاح هناك عند الاقتتال واما اذا
 كان دون الاقتتال كالتشائم والتساقط فلا يجب الاصلاح فقال بين أخويكم وان لم تكن
 الفتنة عاتة وان لم يكن الامر عظيما كالاقتتال بل لو كان بين رجلين من المسلمين أدنى
 اختلاف فاسعوا في الاصلاح * وقوله (واتقوا الله لعلكم ترحمون) فيه مسائل (المسئلة
 الاولى) قوله ته الى انما المؤمنون اخوة قال بعض أهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب
 والاخوان جمع الاخ من الصداقة قاله تعالى قال انما المؤمنون اخوة تأكيد
 للامر واشارة الى أن ما بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام كالأب قال فانهم
 ابي الاسلام لأب سواه * اذا افتخروا بنفس أو تميم

(المسئلة الثانية) عند اصلاح اقر بقرين والطائفتين لم يقل اتقوا وقال ههنا اتقوا مع ان
 ذلك أهم نقول الفائدة هوان الاقتتال بين طائفتين يفضى الى ان نعم المفسدة و يلحق كل
 مؤمن منها شئ وكل يسعى في الاصلاح لامر نفسه فليؤكده بالامر بالتقوى واما عند
 تخاصم رجلين لا يخاف الناس ذلك ويريد بعضهم ناكدا الخصام بين الخصوم لغرض
 فاسد فقال فأصلحو ما بين أخويكم واتقوا الله أو تقول قوله فأصلحو والاشارة الى الصلح وقوله
 واتقوا الله اشارة الى ما بصوتهم عن التشاجر لأن من اتقى الله شغله تقواه عن الاشغال
 بغيره ولهذه قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه لأن المسلم يكون
 متقادا لامر الله متقبلا على عبادة الله فيشغله عبيده عن عيوب الناس ويمنه ان يرهب
 الاخ المؤمن واليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله المؤمن من يأمن جاره بوائقه يعني
 اتقى الله فلا تنفر غيره (المسئلة الثالثة) انما العصر أي لا اخوة الا بين المؤمنين وأما بين
 المؤمن والكافر فلا لأن الاسلام هو الجامع ولهذا اذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله
 للمسلمين ولا يكون لاختيه الكافر وأما الكافر فكذلك لأن في النسب المعتبر الاب
 الذي هو أب شرط حتى ان ولدى الزنا من رجل واحد لا يرث أحدهما الآخر فكذلك
 الكفر كالجامع الفاسد فهو كالجامع العاجز لا ينفيد الاخوة ولهذا من مات من الكفار
 وله أخ مسلم ولا وارث له من النسب لا يجعل ماله للكفار ولو كان الدين يجمعهم
 ان كان مال الكافر للكفار كما ان مال المسلم للمسلمين ههنا عدم الوارث فان قيل قد ثبت ان
 الاخوة الاسلام اقوى من الاخوة النسبية بدليل ان المسلم يرثه المسلمون ولا يرثه الاخ
 الكافر من النسب فلم لم يقدموا الاخوة الاسلامية على الاخوة النسبية مطلقا
 حتى يكون مال المسلم للمسلمين لا لاخوته من النسب نقول هذا سؤال فاسد وذلك لان
 الاخ المسلم اذا كان أخا من النسب فقد اجتمع في اخوته ان فصار أقوى والعصوبة لمن له
 القوة ألا ترى ان الاخ من الابوين يرث ولا يرث الاخ من الاب معه فكذلك الاخ المسلم
 من النسب له اخوتان فيقدم على سائر المسلمين والله أعلم (المسئلة الرابعة) قال النخاعة

أى عسى أن يكون
 المسخور منهم خيرا
 ههنا الله تعالى من
 الساخرين والقوم
 مختص بالرجال لانهم
 اقوام على النساء
 وهو في الاصل اما جمع
 قائم كصوم وزور في جمع
 صائم وزائر أو مصدر
 نعمت به فشاخ في الجمع
 وأما تسمية القرين في
 مثل قوم عاد وقوم
 فرعون فاما للتغليب
 أولئذ توابع واختيار
 الجمع اظية وقوع الضمير
 في الجامع والتشكرا ما
 للتعميم أو لانه صدق في
 بعضهم عن سخرية
 بعض لما أنها مما يجرى
 بين بعض وبعض
 ولا نساء) أى

ما في هذا الموضع كافة تكف ان عن العمل ولولا ذلك لقبل انما المؤمن اخوة وفي قوله تعالى فيما رحمة من الله وقوله عما قليل ابست كافة والسؤال الاقوى هو ان رب من حروف الجر والباء وعن كذلك وما في رب كافة وفي عا و بما ابست كافة والتحقيق فيه هو ان الكلام بعد ر بما وانما يكون تاما يمكن جعله مستقلا ولو حذف ر بما وانما لما ضمر فتقول ر بما قام الامير ور بما ز يذ في الدار واو حذف ر بما وقلت ز يذ في الدار وقام الامير لصح وكذلك في انما ولكنما واما عا و بما فابست كذلك لان قوله تعالى فيما رحمة من الله ثلث لهم لو اذ هبت بما وقلت رحمة من الله ثلث لهم لما كان كلاما فالباء بعد تعلقها بما يحتاج اليها فهي باقية حقيقة ولكنما وانما ور بما للاستغنى عنها فكانها لم يبق حكمها ولا عمل للمعوم فان قيل ان اذا لم تكف بما فابست كلام تام فوجب ان لا يكون له عمل تقول ان زيدا قائم واو قلت ز يذ قائم ابكى وتم (تقول) ليس كذلك لان ما بعد ان جاز ان يكون نكرة تقول ان رجلا جاني واخبرني بكذا واخبرني بعكسه وتقول جاني رجل واخبرني ولا يحسن انما رجل جاني كما لو لم تكن هناك انما وكذلك القول في انما وانما فانك لو حذفتهما واقصرت على ما يكون بعدهما لا يكون تاما فلم يكف وان الكلام في فعل قد تقدم مرارا * ثم قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلبسوا بلباسهم ولا يلبسوا بلباسكم ولا تلبسوا بلباسهم ولا يلبسوا بلباسكم ولا تلبسوا بلباسهم ولا يلبسوا بلباسكم ولا تلبسوا بلباسهم ولا يلبسوا بلباسهم) وقد بينا ان السورة للارشاد بهد ارشاد فبعد الارشاد الى ما ينبغي ان يكون عليه المؤمن مع الله تعالى ومع النبي صلى الله عليه وسلم ومع من يخالفهما ويعصيهما وهو الفاسق بين ما ينبغي ان يكون عليه المؤمن مع المؤمن وقد ذكرنا ان المؤمن انما ان يكون حاضرا وانما ان يكون غائبا فان كان حاضرا فلا ينبغي ان يسخر منه ولا يلتفت اليه بما ينطق التعظيم وفي الآية اشارة الى امور ثلاثة مرتبة بعضها دون بعض وهي السخرية والتهز والتهز فالسخرية هي ان لا ينظر الانسان الى اخيه بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه من درجته وحينئذ لا يذكر ما فيه من المعايير وهذا كما قال بعض الناس تراهم اذا ذكر عندهم عدوهم يقولون هو ذنون ان يذكروا قل من ان يلتفت اليه فقال لا تحقر واخوانكم ولا تستصغروهم (الثاني) هو التهز وهو ذكر ما في الرجل من العيب في غيبته وهذا دون الاول لان في الاول لم يلتفت اليه ولم يرض بان يذكروه احد وانما جعله مثل المسخرة الذي لا يغضب له ولا عليه (والثالث) هو التهز وهو دون الثاني لان في هذه المرتبة يضيف اليه وصفا تافهيا فيوجب بغضه وخط منزلته واما التهز فهو مجرد التسمية وان لم يكن فيه وذلك لان اللقب الحسن والاسم المستحسن اذا وضع لواحد وعلق عليه لا يكون معناه موجودا فان من يسمى سعدا وسعيدا قد لا يكون كذلك وكذا من لقب امام الدين وحسام الدين لا يفهم منه انه كذلك وانما هو علامة وزينة وكذلك التهز بالروان ومروان الخمار لم يكن كذلك وانما كان ذلك سمة ونسبة ولا يكون اللفظ مرادا اذا المراد به الوصف كما ان الاعلام

ولا تسخر نساء من
الأممات (من نساء)
منهن (عسى أن يكن)
أي المسخور منهن (خيرا
منهن) أي من الساخرات
فان مناط الخيرية في
الفرقيين ليس ما يظهر
للناس من الصور
والاشكال ولا الاوضاع
والاطوار التي عليها
يدور امر السخرية
غائبا بل انما هو الامور
الكامنة في القلوب

كذلك فانك اذا قلت لمن سمي بعبد الله أنت عبد الله فلا تعبد غيره وتريد به وصفه لان تكون قد أتيت باسم علمه الاشارة فقال لا تشكروا فتستحقروا اخوانكم وتسنفروهم بحيث لا تتقوا اليهم أصلا واذا نزلتم عن هذا من التعم اليهم فلا تهبوا طالبين حط درجاتهم والنقص عن منزلتهم واذا تركتم النظر في معانيهم ووصفهم بما يعيبهم فلا تسبواهم بما يكرهونه ولا تقولوا هذا ليس يعيب يذكر فيه انما هو اسم تلفظ به من غير قصد الى بيان صفة وذكر في الآية مباحث (الاول) قوله لا يستخرف قوم من قوم ان قوم اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء ولا على الاطفال لانه جمع قائم كصوم جمع صائم والقائم بالامورهم الرجال فعلى هذا الاقوام الرجال لا النساء (فائدة) وهي ان عدم الالتفات والاستحقار انما يصدر في أكثر الامر من الرجال بالنسبة الى الرجال لان المرأة في نفسها ضعيفة فاذا لم يلفت الرجال اليها لا يكون لها أمر قال النبي صلى الله عليه وسلم النساء لحم هلي وضعف الامار ددت عنه وأما المرأة فلا يوجد منها استحقار لرجل وعدم التفاتها اليه لا اضطرارها في دفع حوائجها وأما الرجال بالنسبة الى الرجال والنساء بالنسبة الى النساء فيوجد فيهم هذا النوع من القبح وهذا أشهر (المسئلة الثانية) قال في الدرجة العالية التي هي نهاية المنكر عسى أن يكونوا خيرا منهم كسر له و بفضائله وقال في المرتبة الثانية لا تلزوا أنفسكم جعلهم كأنفسهم لما نزلوا درجة رفعهم الله درجة وفي الاول جعل المسخور منه خيرا وفي الثاني جعل المسخور منه مثلا وفي قوله عسى أن يكونوا خيرا منهم حكمة وهي انه وجد منهم النكر الذي هو مفضل الى الاهمال وجعل نفسه خيرا منهم كإفعل ابليس حيث لم يلفت الى آدم وقال أنا خير منه فصار هو خيرا ويمكن أن يقال المراد من قوله أن يكونوا يصيروا فان من استحق انسانا لفقره أو وحدته أو ضعفه لا يأمن أن يفقر هو ويستغنى الفقير ويضعف هو ويقوى الضعيف (المسئلة الثالثة) قال تعالى قوم من قوم ولم يقل نفس من نفس وذلك لان هذا فيه اشارة الى منع التكبر والتكبر في أكثر الامر يرى جبروته على رؤس الاشهاد واذا اجتمع في الخلوات مع من لا يلفت اليه في الجامع يجعل نفسه متواضعا فدكرهم بلفظ القوم متعاضدا عما يفعلونه (المسئلة الرابعة) قوله تعالى ولا تلزوا أنفسكم فيه وجهان (أحدهما) ان عيب الاخ تائد الى الاخ فاذا عاب نائب نفسه فكأنه عاب نفسه (وثانيهما) هو انه اذا عابه وهو لا يخلو من عيب يحاربه العيب فيعيبه فيكون هو يعيبه حاملا للتفسير على عيبه وكأنه هو العائب نفسه وعلى هذا يحمل قوله تعالى ولا تغفلوا أنفسكم أي أنكم اذا قتلتم نفسا فتكونوا كأنكم قتلتم أنفسكم ويحمل وجهها آخر ثالثا وهو ان لا تقول لا تعيبوا أنفسكم أي كل واحد منكم فانكم ان فعلتم فقد عيبتم أنفسكم أي كل واحد عاب كل واحد فصرتم عائبين من وجه معينين من وجه وهذا الوجه ههنا ظاهر ولا كذلك في قوله تعالى ولا تغفلوا أنفسكم (المسئلة الخامسة) ان قيل قد ذكرتم ان هذا ارشاد

فلا يجترى أحد على استحقار أحد فاعله اجمع منه لما تطبه الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتخفير من قره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرى عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الاول فهي التي لا خبر لها (ولا تلزوا أنفسكم) أي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أو لا تغفلوا ما تلزون به فان من فعل ما يستحق به اللوم فقد لزم نفسه واللزم الطعن باللسان وقرى يضم الميم (ولا تلزوا باللقاب) أي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان التبر يخفى به عرفا

للمؤمنين الى ما يجب ان يفعله المؤمن عند حضوره بعد الاشارة الى ما يفعله في غيبته
 لكن قوله تعالى ولا تلووا ولا تلاجوا قيل فيه بأنه العيب خلف الانسان والهمز هو العيب في
 وجه الانسان تقول ليس كذلك بل العكس أولى وذلك لانا اذا نظرنا الى قلب
 الحروف دلان على العكس لان لمز قلبنا لم وهمز قلبه هزم والاول يدعى القرب والثاني
 على البعد فان قيل المرز هو الفهم والعزم هو السبب كان أولى مع ان كل واحد قيل
 بمعنى واحد (المسئلة السادسة) قال تعالى ولا تلووا ولا تلاجوا وذلك لان اللاماز
 اذا لمز الحروف قد لا يفهم فيه في الحال غير المرز والهمز في غير المرز لم يطلع منه على عيب
 فيوجد المرز من جنابه وأما التلو واللاجور كل واحد من الابدان به فان من غير غيره بالجار
 وهو يبرز بالثور وغيره فاطهران الابن يرضى في الحال الى التلو واللاجور ولا كذلك الامن
 * وقوله تعالى (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) قيل فبدان ان المراد بئس ان يقول المسلم
 يايم ودي بعد الايمان أى بعدما آمن فبئس تسميته بالكافر ويحتمل وجهها احسن من هذا
 وهو ان يقال هذا تمام الزجر كأنه تعالى قال يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ولا
 تلووا ولا تلاجوا فانه ان فعل يفسق بعدما آمن والمؤمن يتضح منه ان يأتي بعد ايمانه
 يفسوق فيكون كقوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ويصير التقدير بئس
 انفسوق بعد الايمان و بئس ان تسموا بانفساق بسبب هذه الافعال بعدما سمعتموهم
 مؤمنين * قال تعالى (ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون) وهذا يحتمل وجهين (أحدهما)
 ان يقال هذه الاشياء من الصغار فن يصر عليه بصيرظا لما فسقا وبالرة الواحدة لا يتصف
 بالظلم والفسق فقال ومن لم يترك ذلك وجعله عادة فهو ظالم (وثانيهما) أن يقال قوله تعالى
 لا يسخر وا ولا تلووا ولا تلاجوا منع لهم عن ذلك في المستقبل وقوله تعالى ومن لم يتب
 أمرهم بالتوبة عامضى واطهار الندم عليها مبالغة في التحذير ونشيد في الزجر
 والاصل في قوله تعالى ولا تلووا ولا تلاجوا لا تسخر وا أسقطت احدى التائين كما أسقط
 في استفهام احدى الهمزتين فقال سواء عليهم أنذرتهم والحذف ههنا أولى لان تاء
 الخطاب وتاء التفاعل حرفان من جنس واحد في كلمة وهمزة الاستفهام كلمة برأسها وهمزة
 أنذرتهم أخرى واحتمال حرفين في كلمين أسهل من احتمالهما في كلمة ولهذا وجب الادغام
 في قولنا مد ولم يجب في قولنا امدد وقولنا مر دود وقوله أمر ربنا * ثم قال تعالى (يا أيها
 الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم
 بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم)
 لأن الظن هو السبب فيما تقدم وعليه تبني القبائح ومنه يظهر العدو المكاشح والقائل
 اذا وقف أموره على تين فقلما يتيقن في أحد عيبا فيلزمه به فان الفعل في الصورة قد
 يكون قبيحا وفي نفس الا لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي

(بئس الاسم الفسوق
 بعد الايمان) أى بئس
 الذكر المرتفع للمؤمنين
 أن يذكروا بالفسق بعد
 دخولهم الايمان أو اشتغالهم
 به فان الاسم ههنا
 بمعنى الذكر من قواهم
 طار اسم في الناس
 بالكرم أو باللوم والمراد به
 اما تحجبن نسبة الكفر
 والفسوق الى المؤمنين
 خصوصا اذ روى أن
 الآية نزلت في صفية
 بنت حبي أنت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 فقالت ان النساء يقان لي
 يا يهودية بنت يهوديين
 فقال عليه الصلاة
 والسلام هلا قلت ان
 أبى هريرة وعمر موسى
 وزوجي محمد عليهم
 السلام أو الدلالة على
 أن التلو واللاجور
 بينه وبين الايمان قبيح
 (ومن لم يتب) عانهم
 عنه (فأولئك هم
 الظالمون) بوضع
 العصيان موضع الطاعة
 وتعر يض النفس للعذاب
 (يا أيها الذين آمنوا
 اجتنبوا كثيرا من الظن)
 أى كونوا على جانب منه

مخطئا وقوله كثيرا اخراج للظنون التي عليها تبني الخبرات قال النبي صلى الله عليه وسلم
ظنوا بالمؤمن خيرا وبالجملة كل امر لا يكون بناؤه على اليقين فالظن فيه غير مجتنب
مثاله حكم الحاكم على قول الشهود وبراءة الذمة عند عدم الشهود الى غير ذلك فقوله
اجتنبوا كثيرا وقوله تعالى ان بعض الظن اثم اشارة الى الاخذ بالاحوط كما ان الطريق
المخوفة لا يتفق في كل مرة فيقطع طريق الكنتك لا تسلك لانفاق ذلك فيد مرة ومرتين
الاذا تبين فنسلكهم مع رفقته كذلك الظن ينبغي بعد اجتهاد تام ووثوق بالغ ثم قال تعالى
ولا تجسسوا تماما لما سبق لانه تعالى لما قال اجتنبوا كثيرا من الظن فهم منه ان المعتبر
اليقين فيقول القائل انا اكشف فلانا يعني اعلمه يقينا وأطلع على عيبه مشاهدة فأعيب
فأكون قد اجتنبت الظن فقال تعالى ولا تتبعوا الظن ولا تجتهدوا في طلب اليقين في
معاييب الناس ثم قال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا اشارة الى وجوب حفظ عرض المؤمن
في غيبته وفيه معان (أحدها) في قوله تعالى بعضكم بعضا فانه للعموم في الحقيقة كقوله
لا تلمنوا أنفسكم وأما من اغتاب فالمغتاب أو لا يعلم عيبه فلا يحمل فعله على ان يغتابه فلم يقل
ولا تغتابوا أنفسكم لمان الغيبة ليست حاملة للغائب على غيبة من اغتابه والعيب حامل
على العيب (ثانيها) اوقال قائل هذا المعنى كان حاصله بقوله تعالى لا تغتابوا مع الاقتصار
عليه نقول لا وذلك لان المنوع اغتيايب المؤمن فقال بعضكم بعضا وأما الكافر فيلزم
ويذكر بما فيه وكيف لا والفاسق يجوز ان يذكر بما فيه عند الحاجة (ثالثها) قوله تعالى
أيجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا دليل على أن الاغتيايب المنوع اغتيايب المؤمن
لا ذكر الكافر وذلك لانه شبهه بأكل لحم الاخ وقال من قبل انما المؤمنون اخوة فلا
اخوة الا بين المؤمنين ولا منع الا من شيء يشبه أكل لحم الاخ ففي هذه الآية نهي عن
اغتيايب المؤمن دون الكافر (رابعها) ما الحكمة في هذا التشبيه نقول هو اشارة الى ان
عرض الانسان كدمه ولحمه وهذا من باب القياس الظاهر وذلك لان عرض المرء اشرف
من لحمه فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحوم الناس لم يحسن منه فعرض عرضهم بالطريق
الاولى لان ذلك ألم وقوله لحم أخيه أكد في المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم
العدو فقال أصدق الاصدقاء من ولدته أمك فأكل لحمه أقبح ما يكون وقوله تعالى ميتا
اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال القول في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتيايب فلا اطلاع
عليه للمغتاب فلا يؤلم فقال أكل لحم الاخ وهو ميت أيضا لا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح
لما أنه لو اطلع عليه لنألم كما ان الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه وفيه معنى وهو ان
الاغتيايب كأكل لحم الأدمي ميتا ولا يحل أكله الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا
وجد لحم الشاة الميتة ولحم الأدمي الميت فلا يأكل لحم الأدمي فكذلك المغتاب ان وجد
لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتيايب وقوله تعالى ميتا حال عن اللحم أو عن الاخ
فان قيل اللحم لا يكون ميتا قلنا بلى قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ابين من حي فهو

وابهام الكثير لا يباح
الاحتياط والأمل في كل
ظن ظن حتى يعلم أنه من
أى قبيل فان من الظن
ما يجب اتباعه كالظن
فيما لا فاطع فيه من
العمليات وحسن الظن
بالله تعالى ومنه ما يحرم
كالظن في الالهيات
والنبوات وحيث يخالفه
قاطع وظن السوء بالمؤمنين
ومنه ما يباح كالظن في
الامور المعاشية (ان بعض
الظن اثم) تعليل الامر
بالاجتناب أولو جبه
يطريق الاستئناس
التحقيق والاثم الذنب
الذي يستحق العقوبة
عليه وهو مرته منقلبة من
الواو كانه يثم الاعمال
أى يكسرهما (ولا تجسسوا)
أى ولا تجسسوا عن عورات
المسلمين فعمل من الجسس
لما فيه من معنى الطلب
كأن التلمس بمعنى التطلب
لما في اللبس من الطلب
وقد جاء بمعنى الطلب
في قوله تعالى وأنا لنستأ
السما وقرى بالحاء من
الحس الذي هو أثر الجسس
وغايته ولفار بهما

ميت فسمى الفلقة ميتا فان قيل اذا جعلناه حالا عن الاخ لا يكون هو الفاعل ولا المفعول فلا يجوز جعله حالا كما يقول القائل مررت بأخي زيد قائما ويريدكون زيدا قائما قلنا يجوز أن يقال من أكل لحمه فقد أكل فصار الاخ مأكولا مفعولا بخلاف المرور بأخي زيد فيجوز أن تقول ضربت وجهه آتسا أي وهو آتم أي صاحب الوجه كما أنك اذا ضربت وجهه فقد ضربته أو لا يجوز أن تقول من قتت ثوبه آتما فتجعل الآتم حالا من غيرك وقوله تعالى فكرهتموه فيه مسئلتان (المسئلة الاولى) العائد اليه الضمير محتمل وجوها (الاول) وهو الظاهر أن يكون هو الاكل لان قوله تعالى أحب أحدكم أن يأكل معناه أحب أحدكم الاكل لان أن مع الفعل تكون المصدر يعني فكرهتم الاكل (الثاني) أن يكون هو اللحم أي فكرهتم اللحم (الثالث) أن يكون هو الميت في قوله ميتا وتفديره أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة ان أكلت في النذرة لسبب كان نادرا ولكن اذا أنت وأروح وتغير لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة (المسئلة الثانية) الفاء في قوله تعالى فكرهتموه تقضي وجود توافق فاذن ذلك تقول فيه وجوه (أحدها) أن يكون ذلك تقدير جواب كلام كأنه تعالى لما قال أحب قيل في جوابه ذلك (وثانيا) أن يكون الاستفهام في قوله أحب للانكار كأنه قال لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه اذا ولا يحتاج الى اضمار (وثالثها) أن يكون ذلك التعلق هو تعلق المسبب بالسبب وترتبه عليه كما تقول جاء فلان ماشيا فتعب لان المشى يورث التعب فكذا قوله ميتا لان الموت يورث النقرة الى حد لا يشتهي الانسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقر به بحيث يأكل منه ففيه اذا كراهة شديدة فكذلك ينبغي أن يكون حال الغيبة ثم قال تعالى واتقوا الله ان الله ثواب رحيم عطف على ما تقدم من الاوامر والنواهي أي اجتنبوا واتقوا وفي الآية لطائف منها ان الله تعالى ذكر في هذه الآية أمورا ثلاثة مرتبة يسانها هو ان الله تعالى قال اجتنبوا كثيرا أي لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن ثم اذا سلمتم عن المظنونات فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم لنسبتهنما قبل ذكرها ثم ان علمتم منها شيئا من غير تجسس فلا تقولوا ولا نفشوه عنهم ولا تعيبوا ففي الاول نهى عما لم يعلم ثم نهى عن طلب ذلك العلم ثم نهى عن ذكر ما علم ومنها ان الله تعالى لم يقل اجتنبوا أن تقولوا أمرا على خلاف ما تعلمونه ولا قل اجنبوا والشك بل أول ما نهى عنه هو القول بالظن وذلك لان القول على خلاف العلم كذب وافتراء والقول بالشك والرجح بالغيب سفه وهزوه وهما في غاية القبح فلم يند عنه اكتفاء بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لان وصفهم بالايمان يمنعهم من الافتراء والارتساب الذي هو دأب الكافر وانما منعهم عما يكثر وجوده في المسلمين ولذلك قال في الآية لا يسخر ومنها انه ختم الآيتين بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم يند فأولئك هم الظالمون وقال في

للمشاعر الخواص بالخاء
والجيم وفي الحديث
لا تتبعوا عورات المسلمين
فان من تبسع عورات
المسلمين تبسع الله عورته
حتى يفضحه ولو في
جوف بيته (ولا يغيب
بعضكم بعضا) أي لا
يذكر بعضكم بعضا
بالسوء في غيبته وسئل
رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الغيبة فقال
ان تذكر أخاك بما يكره
فان كان فيه فقد اغتبتته
وان لم يكن فيه فقد بهتته
وعن ابن عباس رضي الله
عنهما الغيبة ادم
كلاب الناس (أحب
أحدكم أن يأكل لحم
أخيه ميتا) تمثيل
وتصور مما يصدر عن
المغتاب من حيث صدوره
عنه ومن حيث تعلقه
بصاحبه على أفحش
وجه وأشنفه طبع
وعقلا وشرعا مع
مبالغات من فنون شتى
الاستفهام التقريري
واسناد الفعل الى أحد
الذنان بأن أحدا

من الاحدين لا يفعل ذلك وتعلق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغنياب باكل لحم

الانسان وجعل الماء كحل
أنا للأكل وميتا
واخراج تماثيلها مخرج
أمر بين غنى عن الاخبار
به وقرى ميتا بالشديد
وانتصابه على الخالصة
من اللحم وقيل من الاخ
والغناء في قوله تعالى
(فكرهتموه) لترتيب
ما بعدها على ما قبلها
من التمثيل كأنه قيل
وحيث كان الامر كما ذكر
فقد كرهتموه وقرى
كرهتموه أى جبلتم على
كراهته (واتقوا الله)
يترك ما أمرتم باجتنابه
والندم على ما صدر
عنكم من قبل (ان الله
تواب رحيم) مبالغ
في قبول التوبة واقضية
الرجة حيث يجعل
التائب كمن لم يذنب
ولا يخص ذلك بتائب
دون تائب بل يعم الجميع
وان كثرت ذنوبهم
روى أن رجلا من
الصحابه رضى الله
عنهم بما سلمان الى
رسول الله صلى الله
عليه

الاخرى ان الله تواب لكن في الآية الاولى لما كان الابتداء بالنهي في قوله لا يسخر قوم
من قوم ذكر النبي الذي هو قريب من النهي وفي الآية الثانية لما كان الابتداء بالامر في
قوله اجتنبوا ذكر الازتياب الذي هو قريب من الامر * ثم قال تعالى (يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ان الله عليم خبير) تبينا لما تقدم وتقرير له وذلك لان السخرية من الغير والعيب ان
كان بسبب التفاوت في الدين والايان فهو جائز لما بينا ان قوله لا يفتب بعضكم بعضا
وقوله ولا تلبسوا انفسكم منع من عيب المؤمن وغيبته وانما يمكن لذلك السبب فلا يجوز
لان الناس بعمومهم كفارا كانوا أو مؤمنين يشتركون فيما يفتخر به المفتخر غير الايمان
والكفر والافتخار ان كان بسبب الغنى فالكافر قديكون غنيا والمؤمن فقيرا وبالعكس
وان كان بسبب النسب فالكافر قديكون نسيبا والمؤمن قديكون عبدا أسود وبالعكس
فالناس فيما ليس من الدين والتوى متساوون متقاربون وشئ من ذلك لا يوثق مع عدم
التوى فان كل من يتدين بدين يعرف أن من يوافق في دينه أشرف من يخالفه فيه وان
كان أرفع نسبا أو أكثر نشبا فكيف من له الدين الحق وهو فيه راسخ وكيف يرجح
عليه من دونه فيه بسبب غيره وقوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى فيه
وجهان (أحدهما) من آدم وحواء (ثانيهما) كل واحد منكم أيها الموجودون وقت
النداء خلقناه من أب وأم فان قلنا ان المراد هو الاول فذلك اشارة الى ان لا يتفاخر
العض على البعض لكنهم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة وان قلنا ان المراد هو الثاني
فذلك اشارة الى أن الجنس واحد فان كل واحد منكم خلق من أب وأم
والتفاوت في الجنس دون التفاوت في الجنس فان من سخط التفاوت أن لا يكون تقدير
التفاوت بين الذباب والغناب لكن التفاوت الذي بين الناس بالكفر والايان كالتفاوت
الذي بين الجنسين لان الكافر سواد وهو كالانعام بل اضل بالمؤمن انسان في المعنى
الذي ينبغي أن يكون فيه والتفاوت في الانسان تفاوت في الجنس لا في الجنس اذ كلهم
من ذكر وأنثى فلا يبقى لتلك عند هذا اعتبار وفيه مباحث (الأجدث الاول) فان قيل هذا
مبنى على عدم اعتبار النسب وليس كذلك فان للنسب اعتبارا عرفيا وشرعا حتى
لا يجوز تزويج الشريفة بالنبطى فنقول اذا جاء الامر العظيم لا يبقى الامر الحقير معتبرا
وذلك في الحس والشرع والعرف أما الحس فلان الكواكب لا ترى عند طلوع الشمس
ولجناح الذباب دوى ولا يسم عندما يكون زعد قوى وأما في العرف فلان من جاء مع
الملك لا يبقى له اعتبار ولا يه التفتات اذا علمت هذا فهما في الشرع كذلك اذا جاء
الشرف الديني الالهى لا يبقى لامر هناك اعتبار بالنسب ولا ينسب لأترى ان الكافر
وان كان من أعلى الناس نسبا والمؤمن وان كان من أدونهم نسبا لا يقاس أحدهما
بالآخر وكذلك ما هو من الدين مع غيره وهذا يصلح للنسب الدنية كالتفضاء

وسلم يعني لهما اذاما وكان أسامة على * ٦٠٥ * طمسه عليه الصلاة والسلام فقال ما عندى شيء

فأخبرهما سلمان فقالا
لو بعنا سلمان الى بئر
سميحة لغار ماؤها
فلما راح الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قال لهما ما ارى
خضرة اللحم في أفواهكما
فقالا ما تناولنا لحما فقال
عليه الصلاة والسلام
انكما قد اغتبتما فانهات
(أيها الناس انا خلقناكم
من ذكر وأنثى) من آدم
وحواء أو خلقنا كل
واحد منكم من أب وأم
فالكل سواء في ذلك
فلا وجد التفاخر بالنسب
وقد جوز أن يكون
تأكيدا للنهي السابق
بشعر الاخوة المأذنة
من الاغتياب (وجعلناكم
شعوبا وقبائل) الشعب
الشمع العظيم المنسوبون
الى اصل واحد وهو
يجمع القبائل والقبيلة
يجمع العمائر والعمارة
يجمع البطون والبطن
يجمع الافخاذ والفخذ
يجمع الفصائل فخرية
شعب وكنانة

والشهادة كل شريف ووضع اذا كان ديننا طامسا صالحا ولا يصلح لشيء منها فاسق وان كان
قرشي النسب وقاروني النسب ولكن اذا اجتمع في اثنين الدين المتين وأحدهما نسب
ترجح بالنسب عند الناس لا عند الله لان الله تعالى يقول وأن ليس للانسان الاماسي
وشرف النسب ليس مكتسبا ولا يحصل بسعي (البحث الثاني) بما الحكمة في اختيار
النسب من جملة أسباب التفاخر ولم يذكر المال نقول الامور التي يتفخر بها في الدنيا
وان كانت كثيرة لكن النسب أعلاها لان المال قد يحصل للتفسير فيبطل افتخار
المفتخر به والحسن والسن وغير ذلك غير ثابت دائم والنسب ثابت مستمر غير مقدور
التحصيل لمن ليس له ذلك فاختره الله للذكر وأبطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه
بطلان غيره بالطريق الاولى (البحث الثالث) اذا كان ورود الآياتيان عدم جواز
الافتخار بغير التقوى فهل لقوله تعالى انا خلقناكم فائدة نقول نعم وذلك لان كل شيء
يترجح على غيره فاما أن يترجح بأمر فيه يلحقه و يترتب عليه بعد وجوده واما أن يترجح عليه
بأمر هو قبله والذي يمدد كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشيء
والذي قبله فاما راجع الى الاصل الذي منه وجد أو الى الفاعل الذي هو له أو وجد كما يقال
في اناء من هذا من النحاس وهذا من الفضة ويقال هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال
تعالى لا ترجح فيما خلقتم منه لانكم كلكم من ذكر وأنثى ولا بالنظر الى جاعلكم لانكم
كلكم خلقكم الله فان كان بينكم تفاوت يكون بامور تليق بكم وتحصل بعد وجودكم
وأشرفها التقوى والقرب من الله تعالى ثم قال تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل وفيه
وجهان (أحدهما) جعلناكم شعوبا متفرقة لا يدرى من يجمعكم كالجموع وقبائل
يجمعكم واحد معلوم كالعرب وبنو اسرائيل (وثانيهما) جعلناكم شعوبا واختلاف
قبائل فان القبائل تحتها شعوب وشعب الشعوب البطون وتحت البطون اقبائل وتحت
الاقبال الفصائل وتحت الفصائل الاقارب وذكر الاعم لان اذهب للافتخار لان الامر
الاعم منها يدخله فقراء وأنبياء كثيرة غير مشهورة وضعفت آفتور بآفتور غير مشهورة
ثم بين فائدة ذلك وهي التعارف وفيه وجهان (أحدهما) ان الله سبحانه استصحب بالتفاخر
(وثانيهما) ان فائدته التعارف لا الشناكر والفرح المتخريفة والغبية تنفضي الى الشاكر
لا الى التعارف وفيه معان لطيفة (الاولى) قال تعالى انا خلقناكم وتلك جعلناكم لان
الخلق أصل تفرع عليه الجمل شعوبا فان الاول هو الخلق والايجاد ثم الاتصاف
اتصفوا به لكن الجمل شعوبا بالتعارف والخلق للعبادة كما قال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون واعتبار الاصل متقدم على اعتبار الفرع فاعلم ان النسب
يعتبر بعد اعتبار العبادة كما ان الجمل شعوبا يتحقق بعد ما يتحقق الخلق فان كان فيكم
عبادة تعتبر فيكم أنسابكم والافلا (الثانية) قوله تعالى خلقناكم وجعلناكم اشارة الى
عدم جواز الافتخار لان ذلك ليس لسعيكم ولا قدرة لكم على شيء من ذلك فكيف

والقبائل بطون العرب
 (لتعارفوا) ليعرف
 بعضكم بعضا بحسب
 الانساب فلا يعترى
 أحد الى غير آياته
 لا لتفاخروا بالآباء
 القبائل وتدعوا التفاوت
 والتفاضل في الانساب
 وقريش لتعارفوا على
 الاصل ولتعارفوا
 بالادغام ولتعارفوا (ان
 أصكركم عند الله
 أتفاكم) تعاليل لانهى
 عن التفاخر بالانساب
 المشتق من الكلام
 بطريق الاستئناس
 التحقيق كأنه قيل
 ان الاكرم عنده تعالى
 هو الاتقى فان فاخرتم
 ففاخروا بالتقوى وقريش
 بان المفتوحة على حذف
 لام التعليل كأنه قيل
 لم لا تتفاخروا بالانساب
 فقيل لان أكرمكم
 عند الله أتفاكم لأنسبكم
 فان مدار كمال النفوس
 وتفاوت الاشخاص
 هو التقوى فن رام نيل
 الدرجات العلافية
 بالتقوى قال عليه
 الصلاة والسلام

تفتخرون بما لا مدخل لكم فيه فان قيل الهداية والضلال كذلك لقوله تعالى انما هدىنا
 السبيل نهدي من نشاء فتقول أثبت الله لنا فيه كسبا مبنيا على فعل كما قال الله تعالى
 فن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ثم قال تعالى وماتساون الا ان يشاء الله وأما في النسب فلا
 (الثالثة) قوله تعالى لتعارفوا اشارة الى قياس خفي وبيانه هو انه تعالى قال انكم
 جعلتم قبائل لتعارفوا وانتم اذا كنتم أقرب الى شريف تفتخرون به فتخلفكم لتعرفوا
 ربكم فاذا كنتم أقرب منه وهو أشرف الموجودات كان الاحق بالافتخار هناك من
 الكل الافتخار بذلك (الرابعة) فيما ارشاد الى برهان يدل على ان الافتخار ليس بالانساب
 وذلك لان القبائل لتعارف بشبب الانتساب الى شخص فان كان ذلك الشخص
 شريفا صح الافتخار في ظنكم وان لم يكن شريفا لم يصح فشرى ذلك الرجل الذي تفتخرون
 به هو بانتسابه الى فضيله أو باكتساب فضيلة فان كان بالانتساب لم ينسب وان كان
 بالاكتساب فالدين الفقيه الكريم المحسن صار مثل من يفتخر به المفتخر فكيف يفتخر
 بالاب وأب الاب على من حصل له من الحظ والخير ما فضل به نفسه عن ذلك الاب والجد
 اللهم الا ان يجوز شرف الانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أحد الاقرب من
 الرسول في الفضيله حتى يقول أنا مثل أبيك ولكن في هذا النسب أثبت النبي صلى الله
 عليه وسلم الشرف لمن انتسب اليه بالاكتساب ونفاه ان أراد الشرف بالانتساب فقال
 نحن معاشر الانبياء لانورث وقال العلماء ورثة الانبياء أى لانورث بالانساب وانما نورث
 بالاكتساب سمعت أن بعض الشرفاء في بلاد خراسان كان في النسب أقرب الناس
 الى على عليه السلام غير انه كان فاسقا وكان هناك مولى أسود تقدم بالعلم والعمل ومال
 الناس الى التبرك به فاتفق انه خرج يوما من بيته يقصد المسجد فاتبعه خلق فلقبه الشريف
 سكران وكان الناس يطردون الشريف ويبعدونه عن طريقه فعلم بهم ودملق باطراف
 الشيخ وقال له بأسود الخوافر والشوافر يا كافر ابن كافر أنا ابن رسول الله أذل وتجمل
 وأذم وتكلم وأهان وتعمان فهم الناس يضربه فقال الشيخ لا هذا محتمل مندجده وضربه
 معدود لحدته ولكن بابها الشريف بيضت باطن وسودت باطنك فبرى الناس بياض
 قلبي فوق سواد وجهي فحسنت وأخذت سيرة أبيك وأخذت سيرة أبي قرآني الخلق في سيرة
 أبيك وراؤك في سيرة أبي فظنوني ابن أبيك وظنوك ابن أبي فعملوا معك ما يعمل مع أبي
 وعملوا معي ما يعمل مع أبيك ثم قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتفاكم وفيه وجهان
 (أحدهما) ان المراد من يكون أتقى يكون عند الله أكرم أى التقوى تقيد الاكرام
 (ثانيهما) ان المراد أن من يكون أكرم عند الله يكون أتقى أى الاكرام يورث التقوى
 كما يقال المخلصون على خطر عظيم والاول أشهر والثاني أظهر لان المذكور ثانيا ينبغي أن
 يكون محمولا على المذكور أولا في الظاهر فيقال الاكرام للتقى لكن ذوالعموم في المشهور
 هو الاول يقال أذا لاطعمة أحلاها أى اللذة بقدر الحلاوة لأن الحلاوة بقدر اللذة وهى

من ستره أن يكون أكرم الناس * ٦٠٧ * فليتق الله وقال عليه الصلاة والسلام

اثبات لكون التقوى متقدمة على كل فضيلة فان قيل التقوى من الاعمال والعلم أشرف
قال النبي صلى الله عليه وسلم للقبه واحداً أشد على الشيطان من ألف عابد نقول التقوى ثمرة
العلم قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فلا تقوى الا للعلم فالتقى العالم أم علمه
والعالم الذي لا يتقى كشجرة لا ثمرة لها لكن الشجرة المثمرة أشرف من الشجرة التي لا تثمر بل
هو حطب وكذلك العالم الذي لا يتقى حصص جهنم وأما العابد الذي يفضل الله عليه الفقيه
فهو الذي لا علم له وحينئذ لا يكون عنده من خشية الله نصاب كامل ولعله يعبد مخافة
اللقاء في النار فهو كالمكره أو لدخول الجنة فهو يعمل كأنه فعل له أجره ويرجع الى بيته
والتقى هو العالم بالله المواظب بابابه أي القرب الى جنبه عنده بيت وفيه مباحث (المبحث
الاول) الخطاب مع الناس والأكرم يقتضى اشتراك الكل في الكرامة ولا كرامة للكافر
فانه أضل من الانعام وأذل من الهوام نقول ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل قوله تعالى
ولقد كرمتنا بني آدم لان كل من خلقت فقد اعترف بربه كانه تعالى قال من استمر
عليه وزاد زيد في كرامته ومن رجع عنه أزيل عنه أثر الكرامة (الثاني) ما حد التقوى
ومن الاتقى نقول ادنى مراتب التقوى أن يجتنب العبد المناهي ويأتي بالوامر ولا يفر
ولا يامن الا عندهما فان اتفق ان ارتكب منهيها لا يامن ولا يتكل له بل يبعد بحسنة
ويظهر عليه ندامة وتوبة ومتى ارتكب منهيها وماتت في الحال وانكل على المهلة في
الاجل ومنعه عن التذكار طول الامل فليس يمتق أما الاتقى فهو الذي يأتي بما أمر به
ويترك ما نهى عنه وهو مع ذلك خاش ربه لا يشتغل بغير الله فينور الله قلبه فان التفت
لحظته الى نفسه أو اولاده جعل ذلك ذنبه والاولين الجاهة اقوله تعالى ثم نجى الذين اتقوا
وللآخرين السوق الى الجنة اقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فبين من أعطاه
السلطان بستاناً وأسكنه فيه وبين من استخصه لنفسه يستفيد كل يوم بسبب القرب منه
بساتين وضياعاً بون عظيم ثم قال تعالى ان الله عليم خبير بطواهركم يعلم أنسابكم
خبير بيوأطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى عملكم وزيدوا في التقوى
كأزادكم * ثم قال تعالى (قالت الاعراب آمننا فل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما
يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ان الله
غفور رحيم) لما قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاتقى لا يكون الا بعد حصول
التقوى وأصل الايمان هو الاتقاء من الشرك قالت الاعراب لنا ان نسب الشريف وانما
يكون لنا الشرف قال الله تعالى ليس الايمان بالقول انما هو بالقلب فما آمنتم لانه خير
يعلم ما في الصدور ولكن قولوا أسلمنا أي انقذنا واستسلمنا قيل ان الآية نزلت في بني أسد
أظهروا الاسلام في سنة مجدي طالين الصدقة ولم يكن قلبهم مطمئناً بالايمان وقد بينا ان
ذلك كالتاريخ النزول للاختصاص بهم لان كل من أظهر فعل المتقين وأراد أن يصير له
مانات قباه من الاكرام لا يحصل له ذلك لان التقوى من عمل القلب وقوله تعالى

يا أيها الناس انما الناس
رجالان مؤمن تقى كريم
صلى الله تعالى وفاجر
شقى هين على الله تعالى
وعن ابن عباس رضى الله
عنهما اكرم الدنيا الغنى
واكرم الآخرة التقوى
(ان الله عليم) بكم
وبأعمالكم (خير)
ببواطن أحوالكم
(قالت الاعراب آمننا)
نزلت في نفر من بني
أسد قدموا المدينة في
سنة جندب فأظهروا
الشهادتين وكانوا
يقولون رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أتيناك بالانفال والعيال
ولم نقاتك كما قاتلك
بنو فلان يريدون
الصدقة ويمنون عليه
عليه الصلاة والسلام
ما فعلوا (قل) رد اللهم
(لم تؤمنوا) اذا الايمان
هو التصديق المقارن
للثقة وطمانينة القلب
ولم يحصل لكم ذلك
والا لما منتم على ما
ذكرتم كما ينبي عنه آخر
السورة (ولكن قولوا
أسلمنا)

الكريم على أن يقال
لا تقولوا آمنا ولكن
قولوا أسلمنا أولم تؤمنوا
ولكن أسلمتم الاحتمال
من النهي عن التلقظ
بالايمان والتفادي عن
اخراج قولهم نخرج
التسليم والاعتقاد به
مع كونه تقولا محتملا
(ولما يدخل الايمان في
قلوبكم) حال من ضمير
قولوا أي ولكن قولوا
أسلمنا حال عدم سواطة
قلوبكم لا استنكم
وما في لما من معنى التوقع
مشعر بان هو لاء حد
آمنوا فيما بعد (وان
تطيعوا الله ورسوله)
بالاخلاص وترك التناقض
(لا ياتكم من أعمالكم)
لا ينفصمكم (شيأ) من
أجورها من لا تيليت
ليتا اذا انفص وقرئ
[لا ياتكم من الآلات
وهي آفة غطفان
أو شيئاً من النقص
(ان الله غفور) لما فرط
من المطيعين (رحيم)
فالتفضل عليهم

فلم تؤمنوا في تفسيره مسائل (المسئلة الاولى) قال تعالى ولا تقولوا لمن اتى اليكم
السلام است مؤمنا وقال ههنا قل لم تؤمنوا مع انهم اتقوا اليهم السلام نقول اشارة الى أن
عمل الذنب غير معلوم او اشتباها للظن واجب وانما يحكم بالظاهر فلا يقال لمن يفعل فعلا
معيروا أو لا تؤمن أسلم هو ما في ولكن الله خير بما في الصدور اذا قال فلان ليس بمؤمن
سواء لم يؤمن بقوله أو لم يؤمن بما في الصدور من قولنا ذلك القول وكان معجزة للنبي
سلي الله عليه وسلم حيث أسلم الله على النبي وضمير قلوبهم فقال لنا أنهم لا تقولوا لمن
أتى اليكم السلام است وانما اقدم عليكم بما في قلبه (المسئلة الثانية) لم ولم حرقا في
وساوان كذا من حرير في النبي ولم ولمسا يجزم ان غيره هما من حرور النبي لا يجزم
فالا فرق بينهما نقول لم لم لا يعلان بالمثل ما لا يفعل به غيرهما فأنهما يعبران معناه من
الاستقبال الى الماضي تقول لم يؤمن من أمس وآمن اليوم ولا تقول لا يؤمن من أمس فلما فعلا
بالفعل لم لم يفعل به غيرهما جزم بهما فان قيل مع هذا لم جزم بهما غاية ما في الباب ان الفرق
حصل ولكن ما الدليل على وجوب الجزم بهما نقول لان الجزم والقطع يحصل في الافعال
الماضية فان من قال قام حصل القطع بقيامه ولا يجوز أن يكون ما قام والافعال
المستقبلية اما توقعه الحصول واما كونه غير متوقعة ولا يحصل القطع والجزم فيه فاذا
كان لم ولا يقبلان اللفظ من الاستقبال الى الماضي كما يفتيدان الجزم والقطع في المعنى
فجعل لهما تناسبا بالمعنى وهو الجزم لفظا وعلى هذا نقول السبب في الجزم ما ذكرنا وهذا في
الامر يجزم كأنه جزم على الأمور انه يفعله ولا يتركه فأى فائدة في ان لفظ يجزم مع ان
الفعل فيه لا بد من وقوعه وان في الشرط تغيير ذلك لان ان تغير معنى الفعل من الماضي الى
الاستقبال كما ان لم تغيره من الاستقبال الى الماضي تقول ان جئتني جئتك وان أكرمتني
أكرمتك فلما كان ان مثل لم في كونه حرقا وفي لزوم الدخول على الافعال وتغييره
معنى الفعل صار جازما لشبهه لفظي أما الجزاء فجزم لما ذكرنا من المعنى فان الجزاء يجزم
بوقوعه عند وجود الشرط فالجزم اذا ما المعنى أو شبهه لفظي كما ان الجزاء كذلك في الاضافة
وفي الجزاء يحرف (المسئلة الثانية) قوله تعالى ولكن قولوا يقضى قولنا سابقا مخالفا لما
بعده كقولنا لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا وفي ترك التصريح به ارشاد وتأديب كأنه
تعالى لم يجز النهي عن قولهم آمنا فلم يقل لا تقولوا آمنا وأرشدهم الى الامتناع عن
الكذب فقال لم تؤمنوا فان كنتم تقولون شيأ فتقولوا أمرا عاما لا يلزم منه كذبكم وهو
كقولهم أسلمنا فان الاسلام بمعنى الانقياد حصل (المسئلة الرابعة) المؤمن والمسلم واحد
عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا نقول بين العام والخاص فرق فالإيمان
لا يحصل الا بالقلب وقد يحصل باللسان والاسلام أعم لكن العام في صورة الخاص متحد
مع الخاص ولا يكون أمرا آخر غيره مثاله الحيوان أعم من الانسان لكن الحيوان في
صورة الانسان ليس أمرا ينفك عن الانسان ولا يجوز أن يكون ذلك الحيوان حيوانا

(الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿٦٠٩﴾ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) لَمْ يَشْكُوا مِنْ أَرْتَابٍ مَطْلُوعٍ رَابَهُ إِذَا وَقَعَهُ

ولا يكون انسانا فالعام والخاص مختلفان في العموم متحدان في الوجود فكذلك المؤمن والمسلم وسنين ذلك في تفسير قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ان شاء الله تعالى (المسئلة الخامسة) قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم هل فيه معنى غير معنى قوله تعالى قل لم تؤمنوا نقول نعم وبيانه من وجوده (الاول) هو انهم لما قالوا آمنوا وقبل لهم لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا قالوا اذا أسلمنا فقد آمننا قبل لا فان الايمان من عمل القلب لا غير والاسلام قد يكون عمل اللسان واذا كان ذلك عمل القلب ولم يدخل في قلوبكم الايمان لم تؤمنوا (الثاني) لما قالوا آمننا وقيل لهم لم تؤمنوا قالوا جدا لا قد آمننا عن صدق نية مؤكدين لما أخبروا فقال ولما يدخل الايمان في قلوبكم لان لما يفعل يقال في مقابلة قد فعل ويحتمل أن يقال بان الآية فيها اشارة الى حال المؤلثة اذا أسلوا ويكون ايمانهم بعد ضعيفا قال لهم لم تؤمنوا لان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبكم وسيدخل باطلاعكم على محاسن الاسلام وان تطيعوا الله ورسوله يكمل لكم الاجر والذي يدل على هذا هو ان لما فيها معنى التوقع والانتظار والايمان اما ان يكون بفعل المؤمن واكتسابه ونظره في الدلائل واما ان يكون الهاما يقم في قلب المؤمن فقوله قل لم تؤمنوا أي ما فعلتم ذلك أنتم وقوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم أي ولما دخل الايمان في قلوبكم الهاما من غير فعلكم فلا ايمان لكم حينئذ ثم انه تعالى عند فعلهم قال لم تؤمنوا بحرف ليس فيه معنى الانتظار لقصور نظرهم وقصور فكرهم وعند فعل الايمان قال لم يدخل بحرف فيه معنى التوقع لظهور قوة الايمان كأنه يكاد يغشى القلوب بأسرها ثم انه تعالى قال وان تطيعوا الله ورسوله لا يلبسكم أي لا ينقصكم والمراد أنكم اذا أتيتهم بما يليق بضعفكم من الحسنة فهو يوتئكم ما يليق به من الجزاء وهذا لان من حل الى ملك فأكفه طيبة يكون ثمنها في السوق درهما وأعطاه الملك درهما أو ديناراً ينسب الملك الى قوله العطاء بل البخل فليس معناه أنه يعطي مثل ذلك من غير نقص بل المعنى يعطي ما تتوقعون باعمالكم من غير نقص وفيه تحريض على الايمان الصادق لان من أتى بفعل من غير صدق نية يضم عمله ولا يعطى عليه أجر اذ قال ان تطيعوا وتصدقوا لا ينقص عليكم فلا تضربوا أعما لكم بعدم الاخلاص وفيه أيضا تسلية لقلوب من تأخر ايمانه كأنه يقول غيري سبقتي وآمن حين كان النبي وحيدا وآواه حين كان ضعيفا ونحن آمننا عندما عجزنا عن مقاومته وغلبنا بقوته فلا يكون لايماننا وقع ولاننا عليه أجر فقال تعالى ان أجركم لا ينقص وما تتوقعون تعلمون غاية ما في الباب ان التقدم يزيدني أجورهم وماذا عليكم اذا أرضاكم الله أن يعطى غيركم من خزان رحمة واسعة وما حاطكم في ذلك الاحال ملك أعطى واحدا شيئا وقال لغيره ماذا تمنى فتمنى عليه بلدة واسعة وأموالا فأعطاه ووفاه ثم زاد ذلك الاول أشياء أخرى من خزائنه فان تأذى من ذلك يكون بخلا وحسدا وذلك في الآخرة لا يكون وفي الدنيا هو من صفة الاراذل وقوله تعالى ان الله

في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى أن فيه ما يوجب نفي الايمان عنهم ثم الاشعار بان اشط عدم الارتياح في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كافي قوله تعالى ثم استقاموا (وجاء مدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) في طاعته على تكثرتونهم من العبادات البدنية المحضنة والمالية الصرفة والمشتغلة عليهما معا كالحج والجهاد (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجلية (هم الصادقون) أي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روي أنه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون صدقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل أنعم الله بدينتكم) أي أنخبروه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشجيعهم (والله يعلم ما في السموات وما في الارض) حال من مفصول تعلمون

مؤكدة لتشجيعهم ﴿٧٧﴾ سا وقوله تعالى (والله بكل شيء عليم) تذييل مقرر لما قبله

اي مبالغ في العلم يجمع الاشياء التي من جللتها ما أخفوه ﴿ ٦١٠ ﴾ من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد

تجهيل وتوبيخ لهم
(يؤمنون عليك أن أسلوا)
أي يعدون اسلامهم
منة عليك وهي النعمة
التي لا يطلب مولياها
ثوابا من أنعم بها عليه من
المن بمعنى القطع لان
المنع وذبحها قطع حاجته
وقيل النعمة الثقيلة من
المن (قل لا تتنوا على
اسلامكم) أي لا تعدوا
اسلامكم منة على أولاد
تنوا على باسلامكم
فمنصب يترفع الخافض
(بل الله يمن عليكم أن
هداكم للإيمان) على ما
زعمتم مع أن الهداية
لا تستلزم الاهتداء
وقري ان هداكم
واهداكم (ان كنتم
صادقين) في ادعاء
الايمان وجوابه محذوف
يدل عليه ما قبله أي فله
المنة عليكم وفي سياق
النظم الكريم من
اللطيف ما لا يخفى فانهم
لماسعوا ما صدر عنهم
ايمانا وتوا به فني كونه
ايمانا وصحى اسلاما قبل
يمنون عليك بما هو في
الحقيقة اسلام وليس
بمجدير بالبل لوصح
ادعاهم للإيمان فله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم

غفور رحيم أي يغفر لكم ما قد سلف ورحمكم بما أنتم به ثم قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باياهم وأنفسهم في سبيل الله أو تلك هم الصادقون) ارشاد الاعراب الذين قالوا امنا الى حقيقة الايمان فقال ان كنتم تريدون الايمان فالؤمنون من آمن بالله ورسوله ثم لم يرتابوا يعني أيقنوا بان الايمان ايقان وثم للتراخي في الحكاية كأنه يقول آمنوا ثم أقول شيئا آخر لم يرتابوا ويحتمل أن يقال هو للتراخي في الفعل تقديره آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر وقوله تعالى وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم يحقق ذلك أي أيقنوا ان بعد هذه الدار دارا فجاهدوا طالبين العقبى وقوله أو تلك هم الصادقون في ايمانهم لا الاعراب الذين قالوا قولا ولم يخلصوا عملا ثم قال تعالى (قل أنعمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم) فانه عالم به لا يخفى عليه شيء وفيه اشارة الى ان الدين ينبغي أن يكون لله وأنتم اطهرتموه لنا لانه فلا يقبل منكم ذلك وقوله تعالى (منون عليك ان أسلوا قل لا تتنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للإيمان ان كنتم صادقين) يفر ذلك ويبين ان اسلامهم لم يكن لله وفيه لطائف (الاولى) في قوله تعالى يمنون عليك زيادة بيان لتبحيح فعلهم وذلك لان الايمان له شرفان (أحدهما) بالنسبة الى الله تعالى وهو تزيه الله عن الشرك وتوحيد في العظمة (وثانيهما) بالنسبة الى المؤمن فانه يزيه النفس عن الجهل ويزيتها بالحق والصدق فهم لا يطلبون باسلامهم جانب الله ولا يطلبون شرف أنفسهم بل منوا ولو علموا أن فيه شرفهم لما منوا به بل شكروا (اللطيفة الثانية) قال قل لا تتنوا على اسلامكم أي الذي عندكم اسلام واهذا قال تعالى ولكن قواوا أسلنا ولم يقل لم تؤمنوا ولكن أسلتم لئلا يكون تصديقا لهم في الاسلام أيضا كما لم يصدقوا في الايمان فان قيل لم يمتحن أن يصدقوا في اسلامهم والاسلام هو الانقياد وقد وجد منهم قولا وفعلا وان لم يوجد اعتقادا وعلمنا وذلك القدر كاف في صدقهم نقول التكذيب يقع على وجهين (أحدهما) ان لا يوجد نفس المخبر عنه (وثانيهما) ان لا يوجد كما أخبر في نفسه فقد يقول ما جئنا بل جاءت بك الحاجة فله تعالى كذبهم في قولهم آمننا على الوجه الاول أي ما آمنتم أصلا ولم يصدقهم في الاسلام على الوجه الثاني فانهم انقادوا للحاجة وأخذ الصدقة (اللطيفة الثالثة) قال بل الله يمن عليكم يعني لامنة لكم ومع ذلك لا تسلمون رأسا برأس بحيث لا يكون لكم علينا ولاننا عليكم منه بل المنة عليكم وقوله تعالى بل الله يمن عليكم حسن أدب حيث لم يقل لا تتنوا على بل لي المنة عليكم حيث بينت لكم الطريق المستقيم ثم في مقابلة هذا الادب قال الله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم (اللطيفة الرابعة) لم يقل يمن عليكم أن أسلتم بل قال أن هداكم للإيمان لان اسلامهم كان ضلالة حيث كان نفاقا فامن به عليهم فان قيل كيف من عليهم بالهداية الى الايمان مع انه بين انهم لم يؤمنوا نقول الجواب عنه من ثلاثة أوجه (أحدها) انه تعالى لم يقل بل الله يمن

﴿ عليكم ﴾

عليكم أن رزقكم الايمان بل قال أن هداكم للايمان وارسال الرسل بالآيات البينات هداية (ثانيها) هو انه تعالى يمن عليهم بما زعموا فكأنه قال أنتم قلتم آمنا فذلك نعمة في حقكم حيث تخلصتم من النار فقال هداكم في زعمكم (ثالثها) وهو الاصح هو أن الله تعالى بين بعد ذلك شرطا فقال ان كنتم صادقين ثم قال تعالى (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) اشارة الى انه لا يخفى عليه أسراركم وأعمال قلوبكم الخفية وقال بصير بما تعملون يبصر أعمال جوارحكم الظاهرة وآخر السورة مع الثامنة بما قبله فيد تقر برماني أول السورة وهو قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله فانه لا يخفى عليه سر فلا تتركوا خوفه في السر ولا يخفى عليه علن فلا تأمنوه في العلانية والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سورة في أربعون وخمس آيات مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم * في القرآن المجيد) وقيل التفسير نقول ما يتعلق بالسورة وهي أمور * الأول أن هذه السورة تقرأ في صلاة العيد لقوله تعالى فيها ذلك يوم الخروج وقوله تعالى كذلك الخروج وقوله تعالى ذلك حشر علينا بسيفنا العيد يوم الزينة فينبغي أن لا ينسى الانسان خروجه الى عرصات الحساب ولا يكون في ذلك اليوم فرحاً فخوراً ولا يرثى فسفا ولا فخوراً ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر بقوله في آخر السورة فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ذكرهم بما يناسب حالهم في يومهم بقوله في القرآن * الثاني هذه السورة وسورة ص يشتركان في شيء آخر وهو أن أول السورتين واخرهما متساويان وذلك لان في من قال في أولها والقرآن ذي الذكر وقال في آخرها ان هو الاذكار للعالمين وفي ق قال في أولها والقرآن المجيد وقال في آخرها فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فافتتح بما اختتم به * والثالث وهو أن في تلك السورة صرف العناية الى تقرير الاصل الاول وهو التوحيد بقوله تعالى اجعل الآلهة الها واحداً وقوله تعالى أن امشوا واصبروا على آلهتكم وفي هذه السورة الى تقرير الاصل الآخر وهو الحشر بقوله تعالى أنذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد ولما كان افتتاح السورة في ص في تقرير المبدأ قال في آخرها اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين وختمه بحكاية بدء آدم لانه دليل الوحدةانية ولما كان افتتاح هذه بيان الحشر قال في آخرها يوم نشق الارض عنهم سرا ما ذلك حشر علينا يسير * وأما التفسير ففقيه مسائل (المسئلة الاولى) قيل (ق) اسم جبل محيط بالعالم وقيل معناه حكمة هي قولنا قضى الامر وفي ص صدق الله وقد ذكرنا أن الحروف تنبيهات قدمت على القرآن ابي السامع مقبلا على استماع ما يرد عليه فلا يفوته شيء من الكلام الرائق والمعنى الفائق * وذكرنا أيضا أن العبادة منها قلبية

(ان الله يعلم غيب السموات والارض) أي ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) في سرركم وهلا نيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرى بالياء * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أهبط من الاجر بعدد من أطاع الله وهصأ

﴿ سورة في مكية وهي خمس وأربعون آية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ق والقرآن المجيد) أي ذي الجود والشرف على سائر الكتب أولانه كلام المجيد أولان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى

ومنها السانية ومنها جارحية ظاهرة ووجد في الجارحية ما عقل معناه، ووجد منها ما لم يعقل معناه، كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما ووجد في القافية ما عقل بدليل كعلم التوحيد وامكان الحشر وصفات الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما يجدها عن كونها معقولة المعنى أمور لا يمكن التصديق والجزم بها لولا السمع كالصراط الممدود الاحد من السيف الارة، من الشعر والميزان الذي يوزن به الاعمال فكذلك كان ينبغي أن تكون الاذكار التي هي العبادة اللسانية منها ما عقل معناه كجميع القرآن الاقليل منه ومنها ما لا يعقل ولا يفهم كحرف التهجى ليكون التلقظ به محض الانقياد للامر لا لما يكون في الكلام من طيب الخكاية والقصد الى غرض كقولنا ربنا اغفر لنا وارحمنا ليكون النطق به تعبدا محضاً و يوجه آخر وهو أن هذه الحروف مقسم بها وذلك لان الله تعالى لما أقسم بالثين والذيتون كان تشريفاً لهما فاذا أقسم بالحروف التي هي أصل الكلام الشريف الذي هو دليل المعرفة وآلة التعريف كان أولى واذا عرفت هذا فنقول على هذا فيه مباحث (الاول) القسم من الله وقع بأمر واحد كافي قوله تعالى والعصر وقوله تعالى والنجم وبحرف واحد كافي قوله تعالى ص ون ووقع بأمرين كافي قوله تعالى والضحى والليل اذا سجدى وفي قوله تعالى والسماء والطارق وبحرفين كافي قوله تعالى طه وطس ويس وحج وثلاثة أمور كافي قوله تعالى والصفافات فالز اجرات فالتاليات و بثلاثة أحرف كافي الم وفي طسم والر واربعة أمور كافي والذاريات وفي والسماء ذات البروج وفي والثين و اربعة أحرف كافي المص والمر وبخمس أمور كافي والطور وفي والمرسلات وفي والنازعات وفي والفجر وبخمس أحرف كافي كهيمص وحج عسق ولم يقسم بأكثر من خمسة أشياء الا في سورة واحدة وهي والشمس وضمها ولم يقسم بأكثر من خمسة أصول لانه يجمع كلمة الاستئفال ولما استئفل حين ركب المعنى كان استئفاله حين ركب من غير اساطة العلم بالمعنى أو لا معنى كان أشد (البحث الثاني) عند القسم بالاشياء المعهودة ذكر حرف القسم وهي الواو فقال والطور والنجم والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل وق وحج لان القسم لما كان بنفس الحروف كان احرف مقسمه فلم يورده في موضع كونه آلة القسم تسوية بين الحروف * (البحث الثالث) أقسم الله بالاشياء كالتين والطور ولم يقسم بأصولها وهي الجواهر الفردة والماء والتراب وأقسم بالحروف من غير تركيب لان الاشياء عنده يركبها على أحسن حالها وأما الحروف ان ركبت بمعنى يقع الخلف بمعناه لا يلائم لفظ كقولنا والسماء والارض وان ركبت لاي معنى كان المفرد أشرف فاقسم بمفردات الحروف (البحث الرابع) أقسم بالحروف في أول ثمانية وعشرين سورة وبالاشياء التي عدوها عدد الحروف وهي غير والشمس في أربع عشرة سورة لان القسم بالامور غير الحروف وقع في أوائل السور وفي أثنائها كقوله تعالى كلا والقمر والليل اذا أدبر وقوله تعالى والليل وما وسق وقوله والليل اذا حسس والقسم بالحروف لم يوجد ولم يحسن الا في أوائل السور لان ذكر ما لا يفهم معناه في اثناء

(بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي لأن جاءهم منذر من جنسهم لأن جنس الملك أو من يلدتهم اضراب عما نبي عنه جواب القسم فحذف كأنه قيل والقرآن المجيد أرنائه اليك لتتذره الناس حسبا ورد في صدر سورة الاحراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا

الكلام المنظوم المفهوم يخل بالفهم ولما كان القسم بالاشياء موضعان والقسم بالحروف له موضع واحد جعل القسم بالاشياء في أوائل السور على نصف القسم بالحروف في أوائلها (البحث الخامس) القسم بالحروف وقع في النصفين جميعا بل في كل سبع وبالاشياء المعدودة لم يوجد الا في النصف الاخير بل لم يوجد الا في السبع الاخير غير والعصافات وذلك لاننا بينا ان القسم بالحروف لم ينفك عن ذكر القرآن أو الكتاب أو التنزيل بعده الا نادرا فقال تعالى يس والقرآن الحكيم حم تنزيل الكتاب الم ذلك الكتاب ولما كان جميع القرآن معجزة موداة بالحروف وجد ذلك عاما في جميع المواضع ولا كذلك القسم بالاشياء المعدودة وقد ذكرنا شيئا من ذلك في سورة العنكبوت ولذا ذكر ما يخصه بفاق قبل انه اسم جبل محيط بالارض عليه أطراف السماء وهو ضعيف لوجوه أحدها أن القراءة الكثيرة الوقف ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج لان من قال ذلك قال بان الله تعالى أقسم به وثانيها انه لو كان كذلك لذكر بحرف القسم كما في قوله تعالى والظور وذلك لان حرف القسم يحذف حيث يكون المقسم به مستحقا لأن يقسم به كقولنا الله لا فعلن كذا واستحقاقه لهذا غنى عن الدلالة عليه باللفظ ولا يحسن أن يقال زيد لا فعلن ثالثها هو انه لو كان كما ذكرنا كان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين جاري فو يكتب أليس الله بكاف عبدي وفي جميع المصاحف يكتب حرف ق رايها هو أن الظاهر أن الامر فيه كالامر في ص بن وح وهو حروف لا كلمات وكذلك في ق * فان قيل هو منقول عن ابن عباس نقول المنقول عنه ان ق اسم جبل وأما ان المراد في هذا الموضوع به ذلك فلا وقيل ان معناه قضى الامر وفي ص صسق الله وقيل هو اسم الفاعل من فقيا ففوق ص من صاد من المصاداة وهي المعارضة ومعناه هذا قاف جمع الاشياء بالكشف ومعناه حينئذ هو قوله تعالى ولا تطرب ولا يابس الا في كتاب مبين اذا قلنا ان الكتاب هناك القرآن هذا ما قيل في ق * وأما القراءة فيه فكثيرة وحصرها بيان معناها فنقول ان قلنا هي مبنية على ما بيننا فحقها الوقف اذا طال فيهما في شبه بناء الاصوات ويجوز الكسر حذرا من التقاء الساكنين ويجوز الفتح اختيارا للاخف فان قيل كيف جاز اختيار الفتح ههنا ولم يجز عند التقاء الساكنين اذا كان أحدهما آخر كلمة والآخر أول أخرى كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا ولا تطرد الذين نقول لان هناك انما وجب التحريك وعين الكسر في الفعل لشبهة تحريك الاعراب لان الفعل محل يرد عليه الرفع والنصب ولا يوجد فيه الجر فاخترت الكسرة التي لا تخفى على أحد انها ليست بجر لان الفعل لا يجوز فيه الجر ولو فتح لاشبهه بالنصب وأما في أو اخر الاسماء فلا استثناء لان الاسماء محل ترد عليه الحركات الثلاث فلم يكن يمكن الاحتراز فاخترنا للاخف وأما ان قلنا انها حرف مقسم به فتحها الجر ويجوز النصب يجعله مفعولا يقسم على وجه الاتصال وتقدير البناء كأن لم يوجد وان قلنا هي اسم السورة فان قلنا مقسم بهام ذلك فتحها الفتح لانها

كلام المنذر والمنذره
عرضة للكبر والتعجب
مع كونها أوفق شي
لنضية العقول وأقربه
الى التلقي باقبول وقبل
التقدير والقرآن المجيد
انك لمنذر ثم قبل بعده
انهم شكوا فيه ثم أضرب
عنه وقبل بل عجبا وأي
لم يكتبوا بالاشك والرد بل
جزموا بالخلاف حتى
جعلوا ذلك من الامور
العجيبة وقيل هو اضراب
عما يفهم

لا تنصرف حينئذ فتصح في موضع الجر كما تقول و ابراهيم وأحمد في القسم بهما وان قلنا انه ليس مقسمها و قلنا اسم السورة فتحقق الرفع ان جعلناها خبرا تقديره هذه في وان قلنا هو من ففانفقو فعمد التنوين كقولنا هذا داع و راع وان قلنا اسم جبل فالجر والتنوين ان كان قسما * ولعمد الى التفسير فنقول الوصف قد يكون للتمييز وهو الاكثر كقولنا الكلام القديم لتمييز عن الحادث والرجل الكريم ليمتاز عن اللئيم وقد يكون للجرد المدح كقولنا الله الكريم اذ ليس في الوجود اله آخر حتى يميزه عنه بالكريم وفي هذا الموضع يحتمل الوجهين والظاهر انه للجرد المدح وأما التمييز فبان نجعل القرآن اسما للمقروه ويدل عليه قوله تعالى واوان قرآنا سيرت به الجبال والمجيد العظيم وقيل المجيد هو كثير الكرم وعلى الوجهين اقرآن مجيد أما على قولنا المجيد هو العظيم فلان القرآن عظيم العظمة ولانه ذكر الله العظيم وذكر العظيم عظيم ولانه لم يقدر عليه أحد من الخلق وهو آية العظمة يقال ملاك عظيم اذا لم يكن يغلب ويدل عليه قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم أي الذي لا يقدر على مثله أحداً يكون معجزة دالة على نبوتك وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ أي محفوظ من أن يعطى عليه أحد الا باطلاصه تعالى فلا يدل ولا يغير ولا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو غير مقدور عليه فهو عظيم وأما على قولنا المجيد هو كثير الكرم فالقرآن كريم كل من طلب منه مقصوده وجده وانه معنى كل من لا ذبه واغناء المحتاج غاية الكرم ويدل عليه هو أن المجيد مشروني بالمجيد في قولنا انك حميد مجيد فالحميد هو المشكور والشكر على الانعام والمنعم كريم فالحميد هو الكريم البالغ في الكرم وفيه مباحث (الاول) القرآن مقسم به فالقسم عليه ما ذا تقول فيه وجوه وضبطها بان نقول ذلك اما ان يفهم بقريته حالية أو قريته مقالية والمقالية اما أن تكون مقدمة على المقسم به أو متأخرة فان قلنا بأنه مفهوم من قريته مقالية مقدمة فلا تقدم هناك لفظا الا فيكون التقدير هذاق والقرآن المجيد أوق أزاهسا الله تعالى والقرآن كما يقول هذا حاتم والله أي هو المشهور بالسخاء أو يقول الهلال رأته والله وان قلنا بأنه مفهوم من قريته مقالية متأخرة فنقول ذلك أمران أحدهما المنذر والثاني الرجوع فيكون التقدير والقرآن المجيد انك المنذر أو والقرآن المجيد ان الرجوع لكان لان الامرين ورد القسم عليهما ظاهرا أما الاول فيبدل عليه قوله تعالى بس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين الى أن قال لتذرقوما ما أنذر آباؤهم وأما الثاني فدل عليه قوله تعالى والطور وكتاب مسطور الى أن قال ان عذاب ربك واقع وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قول من قال في اسم جبل فان القسم يكون بالجبل والقرآن وهناك القسم بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقرآن * فان قيل أي الوجهين منهما أظهر عندك قلت الاول لان المنذر أقرب من الرجوع ولان الحروف رأيناها مع القرآن والمقسم كونه مر سلا ومنذرا ومارأينا الحروف ذكرت وبعدها الحشر واعتبر ذلك في سور منها

من وصف القرآن بالمجيد
كأنه قيل ليس سبب
امتاعهم من الايمان
بالقرآن أنه لا يجده ولكن
لجهلهم (فقال
الكافرون هذا شيء
عجيب) تفسير لتعجبهم
وبيان لكونه مقارنا
لغاية الانكار مع زيادة
تفصيل لمحل التعجب
وهذا اشارة الى كونه
عليه الصلوات والسلام

لا تنصرف حينئذ فتصح في موضع الجر كما تقول و ابراهيم وأحمد في القسم بهما وان قلنا انه ليس مقسميها وقلنا اسم السورة فتحققها الرفع ان جعلناها خبرا تقديره هذه في وان قلنا هو من قفايقغو فعمه التنوين كقولنا هذا داع وراع وان قلنا اسم جبل فالجر والتنوين ان كان قسما * وان عد الى التفسير فنقول الوصف قد يكون للتمييز وهو الاكثر كقولنا الكلام القديم لتمييز عن الحادث والرجل الكريم لتمييز عن اللئيم وقد يكون للجرد المدح كقولنا الله الكريم اذ ليس في الوجود اله آخر حتى يميزه عنه بالكريم وفي هذا الموضع يحتمل الوجهين والظاهر أنه للجرد المدح وأما التمييز فبان بجمل القرآن اسم المقروه ويدل عليه قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال والمجيد العظيم وقيل المجيد هو كثير الكرم وعلى الوجهين القرآن مجيد أما على قولنا المجيد هو العظيم فلان القرآن عظيم الغائبة ولانه ذكر الله العظيم وذكر العظيم عظيم ولانه لم يقدر عليه أحد من الخلق وهو آية العظمة يقال ملك عظيم اذا لم يكن يغلب ويدل عليه قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم أي الذي لا يقدر على مثله أحداً يكون معجزة دالة على نبوتك وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ أي محفوظ من أن يطلع عليه أحد الا باطلاصه تعالى فلا يدل ولا يغير ولا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو غير مقدور عليه فهو عظيم وأما على قولنا المجيد هو كثير الكرم فالقرآن كريم كل من طلب منه مقصوده وجدته وانه معنى كل من لا ذبه واغتنه المحتاج غاية الكرم ويدل عليه هو أن المجيد مشرور بالمجيد في قولنا انك حميد مجيد فالحميد هو المشكور والشكر على الانعام والمنعم كريم فالحميد هو الكريم البالغ في الكرم وفيه مباحث (الاول) القرآن مقسم به فالقسم عليه ماذا تقول فيه وجوه وضبطها بان نقول ذلك اما أن يفهم بقريته الحالية أو قريته مقابلة والمقابلة اما أن تكون متقدمة على المقسم به أو متأخرة فان قلنا بأنه مفهوم من قريته مقابلة متقدمة فلا تقدم هناك لفظا الا فيكون التقدير هذاق والقرآن المجيد أوفى أزلهما الله تعالى والقرآن كما يقول هذا حاتم والله أي هو المشهور بالسخاء أو يقول الهلال رأيت والله وان قلنا بأنه مفهوم من قريته مقابلة متأخرة فنقول ذلك أمران أحدهما المنذر والثاني الرجوع فيكون التقدير والقرآن المجيد انك المنذر أو والقرآن المجيد ان الرجوع لكان لان الأمرين ورد القسم عليهما ظاهرا أما الاول فيدل عليه قوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين الى أن قال لتذرقوما ما أنذر آباؤهم وأما الثاني فدل عليه قوله تعالى والطور وكتاب مسطور الى أن قال ان عذاب ربك واقع وهذا الوجه يظهر غاية الظهور على قول من قال في اسم جبل فان القسم يكون بالجبل والقرآن وهناك القسم بالطور والكتاب المسطور وهو الجبل والقرآن * فان قيل أي الوجهين منهما أظهر عندك قلت الاول لان المنذر أقرب من الرجوع ولان الحروف رأيناها مع القرآن والمقسم كونه مرسلا ومنذرا وما رأينا الحروف ذكرت وبعدها الحشر واعتبر ذلك في سور منها

من وصف القرآن بالمجيد
 كأنه قيل ليس سبب
 امتناعهم من الايمان
 بالقرآن أنه لا يجده ولكن
 لجهلهم (فقال
 الكافرون هذا شيء
 عجيب) تفسير لتعجبهم
 ويان لكونه مقارنا
 لغاية الانكار مع زيادة
 تفصيل لمحل التعجب
 وهذا اشارة الى كونه
 عليه الصلوات والسلام

قوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتتذكر ولأن القرآن معجزة ذالفة على كون محمد رسول الله فاقسم به عليه يكون إشارة الى الدليل على طريقته انقسم وليس هو بنفسه دليلا على الحشر بل فيه أمارات مفيدة المجرم بالحشر بعد معرفة صدق الرسول وأما أن قلنا هو مفهوم بقرينة حاله فهم وكون محمد صلى الله عليه وسلم على الحق والكلامه صفة الصدق فان الكفار كانوا يتكبرون ذلك والمختار ما ذكرناه (والثاني) بل عجبا يقتضى أن يكون هناك أمر مضرب عنه فاذلك نقول قال الواحدى ووافقته الزمخشري انه تقدير قوله ما الامر كما يقولون وزيد ووضوحا فنقول على ما اخترناه فان التقدير والله أعلم ق والقرآن المجيد انك لتتذكر فكانه قال بعده وانهم شكوا فيه فأضرب عنه * وقال (بل عجبا ان جاءهم منذر) يعنى لم يفتنعوا بالشك في صدق الامر وطرحه بالترك وبعد الامكان بل جزموا بخلافه حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة فان قيل فالحكمة في هذا الاختصار العظيم في موضع واحد حذف المقسم عايه والمضرب عنه واتى بأمر لا يفهم الا بعد الفكر العظيم ولا يفهم مع الفكر الا بالوفيق العزيز فنقول انما حذف المقسم عليه لان الترك في بعض المواضع يفهم منه ظهور لا يفهم من الذكر وذلك لان من ذكر الملك العظيم في مجلس وأثنى عليه يكون قد عظمه فاذا قال له غيره هو لا يذكر في هذا المجلس يكون بالارشاد الى ترك الذكر الا على عظيسته فوق ما يستفيد صاحبه بذكره فالله تعالى يقول لبيان رسالتك أظهر من أن يذكروا ما حذف المضرب عنه فلان المضرب عنه اذا ذكر وأضرب عنه بأمر آخر انما يحسن اذا كان بين المذكورين تفاوت ما فاذا عظم التفاوت لا يحسن ذكرهما مع الاضراب مثاله يحسن أن يقال الوزير يعظم فلانا بل الملك يعظمه ولا يحسن أن يقال البواب يعظم فلانا بل الملك يعظمه لتكون البون بينهما بعيدا اذ الاضراب لتخرج فاذا ترك المتكلم المضرب عنه صريحا واتى بحرف الاضراب استفيد منه أمر ان أحدهما انه يشير الى أمر آخر قبله وثانيهما أنه يجعل الثاني تفاوتنا عظيما مثل ما يكون مما لا يذكر وههنا كذلك لان الشك بعد قيام البرهان بعيد لكن القطع بخلافه في غاية ما يكون من البعد (المبحث الثالث) أن مم الفعل يكون بمثابة ذكر المصدر تقول أمرت بأن أقوم وأمرت بالقيام ونقول ما كان جوابه الا أن قال وما كان جوابه الا قوله كذا وكذا واذا كان كذلك فليزول عن الاثبات بالمصدر حيث جاز أن يقال أمرت أن أقوم من غير حرف الاصاق ولا يجوز أن يقال أمرت القيام بل لا بد من الباء ولذلك قالوا أى عجبا من مجيئه نقول أن جاءهم وان كان في المعنى قائما مقام المصدر لكنه في الصورة فعل وحرف وحروف التعديتة كلها حروف جارة والجار لا يدخل على الفعل فكان الواجب أن لا يدخل فلا أقل من أن يجوز عدم الدخول فجاز أن يقال عجبا أن جاءهم ولا يجوز عجبا مجيئهم لعدم المنع من ادخال الحرف عليه * وقوله تعالى (منهم) يصلح أن يكون مذكورا كالمقرر

منذرا باقرآن واضمارهم
أولا الاشعار بتعينهم
بما أسند اليهم واطهارهم
ثانيا للتسجيل عليهم
بالكفر بموجبه أو عطف
لتعجبهم من البعث على
تعجبهم من البعث على
أن هذا اشارة الى مبهم
يفسره ما بعده من الجملة
الانكارية ووضع المظهر
موضع المضمر اما السابق

البعث وقوله هذا اشارة الى الحاضر القريب فينبغي أن يكون المشار اليه بذلك غير المشار اليه بهذا وذلك لا يصح الاعلى قولنا * ثم قال تعالى (أندامتنا وكننا ترايا ذلك رجع بعيد) فانهم لما أظهروا العجب من رسالته أظهروا استبعاد كلامه وهذا كما قلنا تعالى عنهم قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى * وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله أندامتنا وكننا ترايا انكار منهم بقول أو بمفهوم دل عليه قوله تعالى جاءهم منذر لان الانذار للملم يكن الا بالاعذاب المتيمة والعقاب الاليم كان في الاشارة للعشر وقالوا أندامتنا وكننا ترايا (المسئلة الثانية) ذلك اشارة الى ما قاله وهو الانذار وقوله هذا شئ عجيب اشارة الى المحجى على ما قلنا فلما اختلفت الصفتان نقول المحجى والجائى كل واحد حاضر وأما الانذار وان كان حاضرا لكن ان يكون المنذر به لما كان غير حاضر قالوا فيه ذلك والرجع مصدر رجع يرجع اذا كان متعبا والرجوع مصدره اذا كان لازما وكذلك الرجعي مصدره رجع ومنه والرجع أيضا يصح مصدره لازم فيحتمل أن يكون المراد بقوله ذلك رجع بعيد أى رجوع بعيد ويحتمل أن يكون المراد الرجوع المتعدي ويدل على الاول قوله تعالى ان الى ربك الرجعي وعلى الثاني قوله تعالى اننا لمردودون أى مرجعون فانه من الرجع المتعدي فان قلنا هو من المتعدي فقد أنكروا كونه مقدورا في نفسه * ثم ان الله تعالى قال (قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ) اشارة الى داييل جواز البعث وقدرته تعالى عليه وذلك لان الله تعالى عالم بجميع أجزاء كل واحد من الموتي لا يشبهه عليه جزء أحد على الآخر وقادر على الجمع والتأليف فليس الرجوع منه بعيد وهذا كقوله تعالى وهو الخلاق العظيم حيث جعل للعالم مدخلا في الاعداء وقوله قد علمنا ما تنقص الارض يعنى لا تخفى علينا أجزاءهم بسبب نشتها في تخوم الارضين وهذا جواب لما كانوا يقولون اننا ضلنا في الارض يعنى ان ذلك اشارة الى أنه تعالى كما يعلم اجزاءهم يعلم أعمالهم من ظاهريهم وتعمديهم بما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون ويحتمل أن يقال يعنى قوله تعالى وعندنا كتاب حفيظ هو أنه عالم بتفاصيل الاشياء وذلك لان العلم اجالى وتفصيلي فالاجالى كما يكون عند الانسان الذى يحفظ كتابا ويفهمه ويعلم أنه اذا سئل عن آية مماثلة تكون في الكتاب يحضر عنده الجواب ولكن ذلك لا يكون نضب عينه حرفا بحرف ولا يخطر بباله في حانة يا بابا يا أو فضلا فضلا ولكن عند العرض على الذهن لا يحتاج الى تجديد فكر وتجديد نظر والتفصيلي مثل الذى يعبر عن الاشياء والكتاب الذى كتب فيه تلك المسائل وهذا لا يوجد عند الانسان الا في مسئلة ومسئلتين أما بالنسبة الى كتاب فلا يقال وعندنا كتاب حفيظ يعنى العلم عندي كما يكون في الكتاب أعلم جزأ جزأ وشينا شينا والحفيظ يحتمل أن يكون يعنى المحفوظ أى محفوظ من التغير والتبديل ويحتمل أن يكون يعنى الحافظ أى حافظ أجزاءهم وأعمالهم بحيث لا ينسى شيئا منها والثاني هو الاصح اوجهين أحدهما أن الحفيظ يعنى الحافظ

(أندامتنا وكننا ترايا)
 تقرير للعجب وتأكيده
 الانكار والعمل في اذا
 مضمرة فنى عن البيان
 لغاية شهرته مع دلالة
 ما بعده عليه أى احين
 تموت وتصير ترايا
 نرجع كما ينطق به التنذير
 والتنذير به مع كمال
 التباين بيننا وبين
 الحياة حينئذ وقرئ
 اذامتنا على لفظ الخبر
 أو على حذف أداة
 الانكار (ذلك) اشارة
 الى محل النزاع (رجع
 بعيد) أى عن الاوهام
 أو العادة أو الامكان
 وقيل الرجوع يعنى
 الرجوع الذى هو
 الجواب فناسب
 الظرف حينئذ ما ينبي
 عنه المنذر من البعث

وارد في القرآن قال تعالى وما أنت عليهم بحفيظ وقال تعالى والله حفيظ عليهم ولان الكتاب على ما ذكرنا للتمثيل فهو بحفظ الاشياء وهو مستغن عن ان يحفظ * وقوله تعالى (بل كذبوا بالحق) رد عليهم فان قيل ما المضروب عنه نقول فيه وجهان (أحدهما) تقديره لم يكذب المنذر بل كذبواهم وتقريره هو أنه تعالى لما قال عنهم انهم قالوا هذا شيء عجيب كان معنى قولهم ان المنذر كاذب فقال تعالى لم يكذب المنذر بل هم كذبوا فان قيل ما الحق نقول يحتمل وجوها (الاول) البرهان القائم على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (الثاني) القران المنزل وهو قرين من الاول لانه برهان (الثالث) النبوة الثابتة بالمجزة القاهرة فانها حق (الرابع) الحشر الذي لا يدمن وقوته فهو حق فان قيل بين لنا معنى الباء في قوله تعالى بالحق وأيضا حاجة اليها يعني ان التكذيب متعد بنفسه فهل هي للتعدية الى مفعول ثان أو هي زائدة كما في قوله تعالى فسنبصرو ويصرون بأيكم الفتون نقول فيه بحث وتحقيق وهي في هذا الموضع لاظهار معنى التعدية وذلك لان التكذيب هو النسبة الى الكذب لكن النسبة تارة توجد في القائل وأخرى في القول نقول كذبت فلان و كنت صادقا وتقول كذب فلان قول فلان ويقال كذبه أي جعله كاذبا وتقول قلت فلان زيد يجي غدا فتأخر غدا حتى كذبتني وكذب قولني والتكذيب في القائل يستعمل بالياء وبدونها قال تعالى كذبت ثمود المرسلين وقال تعالى كذبت ثمود بالندر وفي القول كذلك غير أن الاستعمال في القائل بدون الياء أكثر قال تعالى فكذبوه وقال وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك الى غير ذلك وفي القول الاستعمال بالياء أكثر قال الله تعالى فكذبوا بآياتنا كلها وقال كذبوا بالحق وقال تعالى وكذب بالصدق اذ جاءه والتحقيق فيه هو أن المفعول المطلق هو المصدر لانه هو الذي يصدر من الفاعل فان من ضرب لم يصدر منه غير الضرب غير أن له محلا يقع فيه فيسمى مضروبا ثم اذا كان ظاهرا لكونه محلا للفعل يستغنى بظهوره عن الحرف فيعدي من غير حرف يقال ضربت عمرا وشربت لبنا للعلم بأن الضرب لا بد له من محل يقوم به والشرب لا يستغنى عن مشروب يتحقق فيه واذا قلت مررت يحتاج الى الحرف ليظهر معنى التعدية لعدم ظهوره في نفسه لان من قال مر السحاب يفهم منه مروره ولا يفهم منه من مر به ثم ان الفعل قد يكون في الظهور دون الضرب والشرب وفي الخفاء دون المرور فيجوز الاتيان فيه بدون الحرف لظهوره الذي فوق ظهور المرور ومع الحرف لكون الظهور دون ظهور الضرب ولهذا لا يجوز أن تقول ضربت بعمر والاذا جعلته آلة الضرب أما اذا ضربته بسوط أو غيره فلا يجوز فيه زيادة الباء ولا يجوز مر وا به الامع الاشتراك وتقول مسخنته ومسخت به وشكرته وشكرت له لان المسخ امر اريد بالشيء فصار كالمرور والشكر فعل جليل غير أنه يقع بمحسن فالاصل في الشكر الفعل الجليل وكونه واقعا بغيره كالبيع بخلاف الضرب فانه اساس جسم يجسم بعنف فالضروب داخل في مفهوم الضرب أولا والمشكور

(قد علمنا ما تنقص الاوض منهم) رد لاستبعادهم وازاحة له فان عم عليه و لطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى و تأكل من لحومهم وعظماهم كيف يستبدر جعه اياهم احياء كما كانوا ورد عن انبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما عوت فيدفن في الارض منهم (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الاشياء كلها أو محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها يعلم من عنده كتاب محيط يتاني منه كل شيء أو تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وأفظع

داخل في مفهوم الشكر ثانيا اذا عرفت هذا فان تكذيب في القائل ظاهر لانه هو الذي
 يصدق أو يكذب وفي القول غير ظاهر فكان الاستعمال فيه بالباء أكثر والباء فيه لظهور
 معنى التعدية * وقوله (لما جاءهم) في الجائي وجهان (أحدهما) انه هو المكذب تقديره
 كذبوا بالحق لما جاءهم الحق أي لم يؤخروه الى الفكر والتدبر (ثانيهما) الجائي ههنا هو
 الجائي في قوله تعالى بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم تقديره كذبوا بالحق لما جاءهم المنذر
 والاول لا يصح على قولنا الحق هو الرجوع لانهم لا يكذبون به وقت المجيء بل يقولون هذا
 ما وعد الرحمن * وقوله (فهم في أمر مريخ) أي مختلف مختلفا لالزجاج وغيره لانهم تارة
 يقولون ساحر وأخرى شاعر وطورا ينسبونه الى الكهانة وأخرى الى الجنون والاصح أن
 يقال هذا بيان الاختلاف المذكور في الآيات وذلك لان قوله تعالى بل عجبوا يدل على أمر
 سابق أصرب عنه وقد ذكرنا أنه الشك وتقديره والقرآن المجيد انك لمنذر وانهم شكوا
 فيك بل عجبوا بل كذبوا وهذه مراتب ثلاث الاولى الشك وفوقها التعجب لان الشاك
 يكون الأمران عنده سبين والتعجب يترجح عنده اعتقاد عدم وقوع العجيب لكنه
 لا يقطم به والمكذب الذي يجزم بخلاف ذلك فكانوا أشاكين وصاروا ظانين وصاروا
 جازمين فقال فهم في أمر مريخ ويدل عليه القاء في قوله فهم لانه حينئذ يصير كونهم في أمر
 مريخ مرتبة اعلى مانقدم وفيما ذكره لا يكون مرتبة فان قيل المريج المختلط وهذه أمور
 مرتبة متميزة على مقتضى العقل لان الشاك ينتهي الى درجة الظن والظان ينتهي الى درجة
 القطع وعند القطع لا يبقى الظن وعند الظن لا يبقى الشك وأماما ذكرنا فقيه يحصل
 الاحتياط لانهم لم يكن لهم في ذلك ترتيب بل تارة كانوا يوقنون كاهن وأخرى ينجنون ثم
 كانوا يعودون الى نسبه الى الكهانة بعد نسبه الى الجنون وكذا الى الشعر بعد الحجر
 والى السحر بعد الشعر فهذه المريج نقول كان الواجب أن ينتقلوا من الشك الى الظن
 بصدقه لعلمهم بأمانته واجتنابه الكذب طول عمره بين أظهرهم ومن الظن الى القطع
 بصدقه لظهور المعجزات القاهرة على يديه واسانه فلما غيروا الترتيب حصل عليه المريج
 ووقع الدرك مع المريج وأماما ذكره فالأثر في تفسير قوله تعالى انكم اني قول مختلف لان
 ما كان يصدر منهم في حقه كان قولا مختلفا وأما الشك والظن والجزم فأمور مختلفة وفيه
 لطيفة وهي أن اطلاق لفظ المريج على ظنهم وقطعهم يبي عن عدم كون ذلك الجزم صحيحا
 لان الجزم الصحيح لا يتغير وكان ذلك منهم واجب التغير فكان أمرهم مضطربا بخلاف
 المؤمن الموفق فانه لا يقع في اعتقاده تردد ولا يوجد في معتقده تعدد * ثم قال تعالى
 (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بيناها ووزيناها ووزناها وما لها من فروع) إشارة الى الدليل
 الذي يدفع قولهم ذلك رجوع بعيد وهذا كما في قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات
 والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق
 الناس وقوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر

وهو تكذيبهم للشبهة
 الشائنة بالمعجزات
 الباهرة (لما جاءهم)
 من غير تأمل وتفكر
 وقري لما جاءهم بالكسرة
 على أن اللام للتوقيت
 أي وقت مجيئه ايهم
 وقيل الحق القرآن
 أو الاخبار بالبعث
 (فهم في أمر مريخ)
 أي مضطرب لاقترانه
 من مرج الحاتم في اصبعه
 حيث يقولون تارة انه
 شاعر وتارة ساحر
 وأخرى كاهن (أفلم
 ينظروا) أي أغفلوا
 أو أعوا فلم ينظروا
 (الى السماء فوقهم)
 بحيث يشاهدونها
 كل وقت (كيف بيناها)
 أي رفعاها بغير عمد
 (وزيناها) بما فيها
 من الكواكب المرتبة
 على نظام يدب (وما لها
 من فروع) من فوق
 للامستها وسلامتها
 من كل عيب وخلل
 تاخير هذا لمراعاة
 الفواصل (والارض
 مددناها) أي بسطناها
 (وألقينا فيها رواسي)

على أن يحجب الموتى بلى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) همزة الاستفهام تارة تدخل على الكلام ولا واو فيه وتارة تدخل عليه وبعدها واو فهل بين الخالتين فرق نقول فرق أدق من أعلى الفرق وهو أن يقول القائل أزيد في الدار بعدو وقد طلعت الشمس يذكره للانكار فإذا قال أوزيد في الدار بعدو وقد طلعت الشمس يشير بالواو إشارة خفية الى أن فبح قوله صار بمنزلة فعلين فيجبين كما به يقول بعد ما سمع من صدر عن زيد هو في الدار اغفل وهو في الدار بعد لان الواو تنبئ عن صنف أمر مغاير لما بعدها وان لم يكن هناك سابق ولكنه يوصى بالواو البدي زيادة في الانكار فان قيل قال في موضع أول ينظروا وقال ههنا أفلم ينظروا بالغاء فما الفرق نقول ههنا سبق منهم انكار الرجوع فقال بحرف التعقيب بمخالفة فان قيل ففي يس سبق ذلك بقوله قال من يحجب العظام نقول هناك الاستدلال بالسموات لما يعقب الانكار على عقيب الانكار استبدل بدليل آخر وهو قوله تعالى قل يحجبها الذي أنشأها أول مرة ثم ذكر الدليل الآخر وههنا الدليل كان عقيب الانكار فذكر بالغاء وأما قوله ههنا بلغظ النظر وفي الاحتاق بالغظ الروية ففيدا طيفة وهي أنهم ههنا لما استبعدوا أمر الرجوع بقولهم ذلك رجوع بعيد استبعاد استبعادهم وقال أفلم ينظروا الى السماء لان النظر دون الروية فكان النظر كان في حصول العلم بانكار الرجوع ولا حاجة الى الروية ليقم الاستبعاد في مقابلة الاستبعاد وهناك لم يوجد منهم انكار مذكور فأرشدتهم اليه بالروية التي هي أتم من النظر ثم انه تعالى كمل ذلك وجهه بقوله الى السماء ولم يقل في السماء لان النظر في الشيء ينبي عن التأمل والمبالغة والنظر الى الشيء لا ينبي عنه لان الغاية فيتم النظر عنده في الدخول في معنى الظرف فإذا انتهى النظر اليه ينبغي أن يفقد فيه حتى يصح معنى النظر فيه وقوله تعالى فوقهم تأكيد آخر أي وهو ظاهر فوق رؤسهم غير غائب عنهم وقوله تعالى كيف بيناها وزيناها وبالهامان فزوج إشارة الى وجه الدلالة وألوية الوقوع وهي للرجوع أما وجه الدلالة فان الانسان له أساس هي العظام التي هي كالدهامة وقوى وأنوار كالسمع والبصر فبناء السماء أرفع من أساس البدن وزينة السماء اكمل من زينة الانسان بلحمه وشحمه وأمالا وألوية فان السماء مالها من فروع فتأليفها أشد والانسان فروع ومسام ولا شك أن التأليف الأشد كالنسيج الاصفق والتأليف الاضعف كالنسيج الاسخف والاول أصعب عند الناس وأعجب فكيف يستبعدون الادون مع علمهم بوجود الاعلى من الله تعالى قالت الفلاسفة الآية دالة على أن السماء لا تقبل الحرق وكذلك قالوا في قوله هل ترى من فطور وقوله سيعاشداوا وتمسغوا فيه لان قوله تعالى مالها من فروع صريح في عدم ذلك والاخبار عن عدم الشيء لا يكون اخبارا عن عدم امكانه فان من قال ما نعلان قال لا يدل على نفي امكانه ثم انه تعالى بين خلاف قولهم بقوله واذا السماء قرجت وقال اذا السماء انفطرت وقال فهي يومئذ واهبة في مقابلة قوله سيما شادا وقال فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان الى غير ذلك والكلم

جبا لا ثوابت من رسا
 الشيء اذا ثبت والتعبير
 عنها بهذا الوصف
 للايدان بان الغاء بها
 بارساء الارض بها
 (وأثبتنا فيها من كل
 زوج) من كل صنف
 (بهج) حسن (تبصرة
 وذكرى) علتان للافعال
 المذكورة معنى وان
 انصبتا بالفعل الاخير
 أو فعل مقدر بطريق
 الاستثنائي أي فعلنا
 ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا
 (لكل عبده نيب) أي
 راجع الى ربه متفكر
 في بدائع صنائعه وقوله
 تعالى (وزيننا من السماء
 ماء مباركا) أي كثير
 المتافع شروع في بيان
 كيفية انبات ما ذكره
 من كل زوج بهج
 وهو عطف على أثبتنا
 وما بينهما على الوجه
 الاخير اعتراض مقرر
 لما قبله ومنبه على ما بعده
 (فأثبتنا به) أي بذلك
 الماء (جنات) كثيرة أي
 أشجارا ذوات ثمار

في الرد عليهم صريح وماذ كروه في الدلالة ليس بظاهر بل وليس له دلالة خفية أيضا وأما دليلهم المعقول فاضعف وأسخف من تمسكهم بالمتقول * ثم قال تعالى (والارض مددناها والفيضا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) إشارة الى دليل آخر ووجه دلالة الارض هو أنهم قالوا الانسان اذا مات وفترته القوة الغذائية والنامية لا تعود اليه تلك القوى فنقول الارض أشد وجودا وأكثر وجودا والله تعالى ينبت فيها أنواع النبات ويتو يزيد فكذلك الانسان تعود اليه الحياة وذكري في الارض ثلاثة أمور كاذكري في السماء ثمة أمور في الارض المد والرواسي والانبثا فيها وفي السماء البناء والتزيين وسد روج وكل واحد في مقابلة واحد فالد في مقابلة البناء لان المد وضع والبناء رفع والرواسي في الارض ثابتة والكواكب في السماء مر كوزة مزينة لها والانبثا في الارض شقها كما قال تعالى انما صبينا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وهو على خلاف سد الفروج واعدامها اذا علمت هذا في الانسان أشياء موضوعة وأشياء مرفوعة وأشياء ثابتة كالانف والاذن وأشياء متحركة كاللثة واللسان وأشياء مسدودة الفروج كدور الرأس والاضحية المنسوجة نسجا ضعيقا كالصفاق وأشياء لها فروج وشقوق كالناخر والصماخ والقم وغيرها فالقادر على الاضداد في هذا المهاد في السيم الشداد غير عاجز عن خلق نظيرها في هذه الاجساد * تفسير الرواسي قد ذكرناه في سورة لقمان والبهج الحسن * وقوله تعالى (تبصرة وذكري لكل عبده منيب) يحتمل أن يكون الامر ان عابدين الى الامر بن المذكور بن وهما السماء والارض على ان خلق السماء تبصرة وخلق الارض ذكري ويدل عليه ان السماء زينة مستمرة غير مستجدة في كل عام فهي كالشيء الرئي على مرور الزمان وأما الارض فهي كل سنة تأخذ زخرفها فذكر السماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل أن يكون كل واحد من الامر بن موجودا في كل واحد من الامر بن فالسما تبصرة والارض كذلك والفرق بين التبصرة والتذكرة هو ان فيها آيات مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر وآيات تجدد مذكرة عند التناسي وقوله اكل عبد منيب أي راجع الى التفكير والتذكر والنظر في الدلائل * ثم قال تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات) إشارة الى دليل آخر وهو ما بين السماء والارض فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما وذلك انزال السماء من فوق واخراج النبات من تحت وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هذا الاستدلال قد تقدم بقوله تعالى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فالقاعدة في اعادته بقوله فانبتنا به جنات وحب الحصيد نقول قوله فانبتنا استدلال بنفس النبات أي الاشجار تنمو وتزيد فكذلك بدن الانسان بعد الموت تنمو وتزيد بأن يرجع الله تعالى اليه قوة النشو والماء كما يعيدها الى الاشجار بواسطة ماء السماء وحب الحصيد فيه حذف تقديره وحب الزرع

(وحب الحصيد) أي حب الزرع الذي شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المنصود بالذات (والنخل) عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما في من مراعاة القواصل (باسقات) أي طوالا أو حوامل من أسبقت الشاة اذا حلت فيكون من باب فاعل فهو فاعل وقرى اصقات لاجل القاف (لها طلع نصيد) أي منضود بهضه فوق بعض المراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر

الحصيد وهو المحسود أي أنشأنا جنات يقطف ثمارها وأصولها باقية وزرعها يحصد كل سنة
 ويزرع في كل عام أو عامين ويحتمل أن يقال التقدير وثبت الحب الحصيد والاول هو
 الخنار وقوله تعالى والخنل باسقات اشارة الى المختلط من جنسين لان الجنات تقطف
 ثمارها وتثمر من غير زراعة في كل سنة لكن الخنل بوثر واول الثأير لم يثر فهو جنس مختلط
 من الزرع والشجر فكانه تعالى خلق ما يقطف كل سنة ويزرع وخلق ما لا يزرع كل سنة
 ويقطف مع بقائه اصلها وخلق المركب من جنسين في الاثمار لان بعض الثمار فاكهة
 ولا قوت فيه وأكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت والباسقات الطوال من الخنل
 وقوله تعالى باسقات يؤكده كمال القدرة والاختيار وذلك من حيث ان الزرع ان قيل
 فيه انه يمكن ان يقطف منه ثمرة اضعفه وضعف حجمه وكذلك يحتاج الى اعادته كل سنة
 والجنات لكبرها وقوتها تبنى وتثمر سنة بعد سنة فيقال أليس أهل الباسقات أكبر
 وأقوى من الكرم الضعيف والخنل محتاجة كل سنة الى عمل عامل والكرم فيحتاج
 فإله تعالى هو الذي قدر ذلك لذلك لا لكبره واصغره والطول واقصره * قوله تعالى (لها
 ظلم نصيب) أي منضود بعضها فوق بعض في أكلها كما في سنبلة الزرع وهو عجيب فان
 الاشجار الطوال اثمارها بارزة مميّزة بعضها من بعض لكل واحد منها أصل يخرج منه
 كالجوز واللوز وغيرهما والطلع كالسنبلة الواحدة يكون على أصل واحد * ثم قال
 تعالى (رزقا للعباد) وفيه وجهان أحدهما نصب على المصدر لان الانبات رزق فكانه
 تعالى قال أبتناها انبائنا للعباد والثاني نصب على كونه مفعولا له كأنه قال أبتناها
 لرزق العباد وههنا مسائل (المسئلة الاولى) قال في خلق السماء والارض تبصرة وذكرى
 وفي الثمار قال رزقا والثمار أيضا فيها تبصرة وفي السماء والارض أيضا منفعة غير التبصرة
 والتذكرة فما الحكمة في اختيار الامر بنقول فيه وجوه أحدها أن نقول الاستدلال
 وقع اوجود أمرين أحدهما الاعادة والثاني البقاء بعد الاعادة فان النبي صلى الله عليه
 وسلم كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم وأنكروا
 ذلك فأما الاول فالله قادر على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد الغناء
 وأما الثاني فلان البقاء في الدنيا بالرزق والقادر على اخراج الرزاق من الجبم والشجر
 قادر على أن يرزق العبد في الجنة ويبقى فكان الاول تبصرة وتذكرة بالخلق والثاني
 تذكرة بالبقاء بالرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك
 بعد الايتين ثم بدأ بذكر الماء وانزاله وانباته النبات * ثانيها ان منفعة الثمار الظاهرة هي
 الرزق فذكرها ومنفعة السماء الظاهرة ليست أمر اعادتها الى انتفاع العباد لبعدها عن
 ذهنهم حتى انهم لو توهموا عدم الزرع والثمر لظنوا ان يهلكوا ولو توهموا عدم السماء
 فوقهم لقالوا لا يضرنا ذلك مع ان الامر بالعكس أولى لان السماء سبب الرزاق بتقدير
 الله وفيها غير ذلك من المنافع والثمار ان لم تكن كان العيش كما أنزل الله على قوم المن

والجملة حال من الخنل
 كما سفت بطريق
 الترادف أو من ضميرها
 في باسقات على التداخل
 أو الحلال هو الجار
 والمجرور وطلع مرتفع
 به على الفاعلية وقوله
 تعالى (رزقا للعباد)
 أي ليرزقهم علة لقوله
 تعالى فانبتنا وفي تعليقه
 بذلك بعد تعليل انبتنا
 الاول بالتبصرة والتذكير
 يبييه على أن الواجب
 على العبد أن يكون
 انتفاعه بذلك من حيث
 التذكر والاستبصار
 أهم وأقدم من تنعمه به
 من حيث الرزق وقيل
 رزقا مصدر من معنى
 أنبتنا لان الانبات رزق
 (وأحيينا به) أي بذلك
 الماء (بلدة ميتا) أرضا
 جديدة لان الماء فيها أصلا
 بأن جعلناها بحيث
 ربت وأبنت

والسوى وعلى قوم المائدة من السماء فذكر الاظهر للناس في هذا الموضوع * ثالثها قوله
 رزقا اشارة الى كونه منعمًا لكون تكديهم في غابة الفج فانه يكون اشارة بالمنعم وهو
 افعج ما يكون (المسئلة الثانية) قال تبصرة وذكري لكل عبد منيب فقيد العبد يكونه منيبا
 وجعل خلقها نصرة لعباده المخلصين وقال رزقا لعماده مطلقا لان الرزق حصل لكل أحد
 غير ان المنيب يأكل فاكر اشاكر الانعام وغيره يا كل كما تاكل الانعام فلم يخص الرزق
 بقيد (المسئلة الثالثة) ذكر في هذه الآية أمورًا ثلاثة أيضا وهي انبات الجنات والحب
 والنخل كما ذكر في السماء والارض في كل واحدة أمورًا ثلاثة وقد ثبت ان الامور الثلاثة
 في الآيتين المتقدمين متناسبة فهل هي كذلك في هذه الآية نقول قدينا ان الامور
 الثلاثة اشارة الى الاجناس الثلاثة وهي التي يبقى أصلها سنين ولا تحتاج الى عمل عامل
 والتي لا يبقى أصلها وتحتاج كل سنة الى عمل عامل والتي يحتمل فيها الامر ان ولبس شيء من
 الثمار والزرع خارجا عنها أصلا كما ان أمور الارض منحصرة في ثلاثة ابتداء
 وهو المد ووسط وهو انبات بالجبال الراسية وثالثها هو غاية الكمال وهو الانبات والترزين
 بالخراف * ثم قال تعالى (وأحيينا به بلدة مينا) عطفًا على انبتنا به وفيه بحثان (الاول) ان
 قلنا ان الاستدلال بانبات الزرع وانزال الماء كان لا مسكان البقاء بالرزق فقوله وأحيينا به
 اشارة الى أنه دليل على الاعادة كما أنه دليل على البقاء ويدل عليه قوله تعالى كذلك الخروج
 فان قيل كيف يصح قولك استدلالا وانزال الماء كان لبيان البقاء مع أنه تعالى قال بعد ذلك
 وأحيينا به بلدة مينا * وقال (كذلك الخروج) فيكون الاستدلال على البقاء قبل الاستدلال
 على الاحياء والاحياء سابق على الابقاء فينبغي ان يبين أولاً أنه يحى الموتى ثم يبين أنه يقبهم
 نقول لما كان الاستدلال بالسموات والارض على الاعادة كما فيا بعد ذلك دليل الاحياء ذكر
 دليل الابقاء ثم عاد واستدرك فقال هذا الدليل الدال على الابقاء دال على الاحياء وهو غير
 محتاج اليه لسبق دليلين قاطعين فبدأ ببيان البقاء وقال وانبتنا به جنات ثم ثنى باعادة ذكر
 الاحياء فقال وأحيينا به وان قلنا ان الاستدلال بانزال الماء وانبات الزرع لالبيان امكان
 الحشر فقوله وأحيينا به ينبغي أن يكون مغايرًا لقوله فانبتنا به بخلاف ما اوفلنا بالقول
 الاول لان الاحياء وان كان غير الانبات لكن الاستدلال لما كان به على أمرين متغيرين
 جاز العطف نقول خرج للتجارة وخرج الزيارة ولا يجوز أن يقال خرج للتجارة وذهب
 للتجارة الا اذا كان الذهب غير الخروج فقول الاحياء غير انبات الرزق لان بانزال الماء
 من السماء يخضر وجه الارض ويخرج منها أنواع من الازهار ولا يتغذى به ولا يقنات
 وانما يكون به زينة وجه الارض وهو أعم من الزرع والشجر لانه يوجد في كل مكان
 والزرع والتمر لا يوجدان في كل مكان فكذلك هذا الاحياء فان قيل فكان ينبغي ان يقدم
 في الذكر لان اخضرار وجه الارض يكون قبل حصول الزرع والتمر لانه يوجد في كل
 مكان بخلاف الزرع والتمر نقول لما كان انبات الزرع والتمر اكل نعمة قدمه في الذكر

أنواع النبات والازهار
 فصارت تهتز بها بعد
 ما كانت جامدة هامة
 وتذكر ميتا لان البلدة
 بمعنى البلد والمكان
 (كذلك الخروج)
 جملة قدم فيها الخير
 للقصد الى القصر
 وذلك اشارة الى الحياة
 المستفادة من الاحياء
 وما فيه من معنى البعد
 للاشعار ببعدها
 أي مثل تلك الحياة
 اليد يعنى حياتكم
 بالبعث من القبور لاشي
 يخالف لها وفي التعبير
 عن اخراج النبات من
 الارض بالاحياء وهن
 حياة الموتى بالخروج
 تفخيم اشارة الانبات
 وهو يني لأمر البعث
 وتحقيق للمعنى بين
 اخراج النبات واحياء

(الثاني) في قوله بلدة ميتا نقول جازا ثبات التاء في الميت وحذفها عند وصف المؤنث بها لان الميت تخفيف للميت والميت فعيل بمعنى فاعل فيجوز فيه اثبات التاء لان التسوية في الفعل بمعنى المفعول كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين فان قيل لم سوى بين المذكر والمؤنث في الفعل بمعنى المفعول فلنا لان الحاجة الى التمييز بين الفاعل والمفعول اشد من الحاجة الى التمييز بين المفعول المذكر والمفعول المؤنث نظرا الى المعنى ونظرا الى اللفظ فاما المعنى فظاهر واما اللفظ فلان المخالفة بين الفاعل والمفعول في الوزن والحرف اشد من المخالفة بين المفعول والمفعول له اذا علم هذا فنقول في الفعل لم يميز الفاعل بحرف فان فعلا جاء بمعنى الفاعل كالنصير والبصير وبمعنى المفعول كالكسير والاسير ولا يميز بحرف عند المخالفة الا الاقوى فلا يميز عند المخالفة الاذني والتحقيق فيه ان فعلا وضع لمعنى لفظي والمفعول وضع لمعنى حقيقي فكان القائل قال استعملوا لفظ المفعول للمعنى الغلاني واستعملوا لفظ الفعيل مكان لفظ المفعول فصار فعيل كالموضوع للمفعول والمفعول كالموضوع للمعنى ولما كان تغير اللفظ تابعا لتغير المعنى تغير المفعول لكونه بازاء المعنى ولم يتغير الفعيل لكونه بازاء اللفظ في اول الامر فان قيل فما الفرق بين هذا الموضوع وبين قوله وآية لهم الارض الميتة احييناهما حيث اثبت التاء هناك نقول الارض اراد بها الوصف فقال الارض الميتة لان معنى افعاليتها ظاهر هناك والبلدة الاصل فيها الحياة لان الارض اذا صارت حية صارت آهلة واقام بها الناس وعمرها فصارت بلدة فأسقط التاء لان معنى افعاليتها ثبت فيها والذي بمعنى الفاعل لا يثبت فيه التاء وتحقق هذا قوله بلدة طيبة حيث اثبت التاء حيث ظهر بمعنى الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر وهذا بحث عزيز * وقوله تعالى (كذلك الخروج) أي كالا حياء الخروج فان قيل الا حياء يشبه به الاخراج لا الخروج فنقول تقديره احييناه بلدة ميتة فتشقت وخرج منها النبات كذلك تشقق ويخرج منها الاموات وهذا يؤيد قولنا الرجوع بمعنى الرجوع في قوله ذلك رجوع بعيد لانه تعالى بين لهم ما استبعده فلو استبعده الرجوع الذي هو من المتعدي اناسب ان يقول كذلك الاخراج ولما قال كذلك الخروج فهم انهم انكروا الرجوع فقال كذلك الخروج نقول فيه معنى لطيف على القول الآخر وذلك لانهم استبعده الرجوع الذي هو من المتعدي بمعنى الاخراج والله تعالى اثبت الخروج وفيهما مبالغة تنبيهها على بلاغة القرآن مع انها مستغنية عن البيان ووجهها هو ان الرجوع والاخراج كالسبب للرجوع والخروج والسبب اذا اتفق ينتفي السبب جزما واذا وجد وقد يتخلف عنه السبب لما نفع تقول كسرته فلم ينكسر وان كان مجازا والسبب اذا وجد فقد وجد سببه واذا اتفق لا ينتفي السبب لما تقدم اذا علم هذا فهم انكروا وجود السبب ونفوه وينتفي السبب عند انتفائه جزما فبالغوا وانكروا الامرين جميعا لان نفي السبب نفي المسبب فاثبت الله الامرين جميعا بالخروج كما نفوا الامرين جميعا بنفي الاخراج * ثم قال تعالى (كذبت

الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريره الى أفهام الناس وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح) الخ استئناف وارد لتقرير حقيقة البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها (وأصحاب الرس) قيل هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل (وعاد وفرعون) أي هو وقومه ليلأم ما قبله وما بعده (واخوان لوط) قيل كانوا من أصهاره عليه الصلاة والسلام (أصحاب الايكة) هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين (وفوم تبع) سبق شرح حالهم في سورة الدخان

(كل كذب الرسل) أي فيما رسلوا به من الشرائع التي من جلتها البعث الذي اجهوا عليه فاطبه أي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالحق المذكوروا افراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة إلى حيا الأبدان بالبعث، والخمرة كذب واحد منهم تكذيب

لكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها وهو لا يظهر في تكذيب نوح الرسل تكذيبهم عن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع (فحق وعيد) أي فوجب وحل عليهم وعيدى وهي كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعبنا بالخلق الاول) استئناف مقرر لسخة البعث الذي حكيت أحوال المذكورين له من الامم المهلكة والمعنى بالامر المعجز عند يقال على الامر وعي به اذا لم يد لوجد عمله والهجزة للانكار والفاء العطف على مقدر ينبي عنه المعنى من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا بالخلق الاول فمعجزنا عنه حتى يتوهم معجزنا عن الاطادة (بل هم في لبس من خلق جديد) عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل

قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وطوا وقرعون واخوان وطوا وأصحاب الأنيكة وقوم تبع (ذكر المكذبين تكبيراً بهم بحالهم وهو بالهم أنذرهم انهم استنصناهم وتفسيره ظاهر وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتبديلاً حاله كمال من تقدمه من الرسل كذبوا وسبوا فأهتاك الله مكذبينهم ونصرهم وأصحاب الرس فيهم وجوه من المفسرين من قال هم قوم شعيب ومنهم من قال هم الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى وهم قوم عيسى عليه السلام ومنهم من قال هم أصحاب الاخدود والرس موضع نسبوا اليه أو فعل وهو حشر البئر يقال رس اذا حشر بئراً وقد تقدم في سورة الفرقان ذلك وقال ههنا اخوان اوط وقال قوم نوح لان اوطا كان مرسلنا الى طائفة من قوم ابراهيم عليه السلام مكارف اوط ونوح كان مرسلنا الى خلق عظيم وقال فرعون ولم يقل قوم فرعون وقال قوم تبع لان فرعون كان هو المعتر المستخف بقومه المستبد بأمره وتبع كان معتمدا بقومه فيعمل الاعتبار لفرعون ولم يقل الى قوم فرعون * وقوله تعالى (كل كذب الرسل فحق وعيد) محتمل وجهين احدهما ان كل واحد كذب رسوله فهم كذبوا الرسل واللام حينئذ لتعريف العهد وثانيهما هو الاصح هو ان كل واحد كذب جميع الرسل واللام حينئذ لتعريف الجنس وهو على وجهين أحدهما ان الكذب للرسول مكذب لكل رسول وثانيهما وهو الاصح ان المذكورين كانوا منكرين للرسالة والحشر بالكلية وقوله فحق وعيد أي ما وعد الله من نصرة الرسل عليهم واهلاكهم ثم قال تعالى (أفعبنا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد) وفيه وجهان أحدهما أنه استدلال بدلائل نفسية لا يذكرنا مرارا ان الدلائل اقدية ونفسية كما قال تعالى سترهم آياتنا في الآفاق والاعناب ولما قرن الله تعالى دلائل الآفاق عطف بعضها على بعض بحرف الواو وسال والارض مددناها وفي غير ذلك ذكر الدليل النفسى وعلى هذا فيه لطائف لفظية ومعنوية * أما اللفظية فهي أنه تعالى في الدلائل الآفافية عطف بعضها على بعض بحرف الواو فقال والارض مددناها وقال وانزلنا من السماء ماء مباركا ثم في الدليل التمسى ذكر حرف الاستفهام والفاء بعدها اشارة الى أن تلك الدلائل من جنس وهذا من جنس فلم يجعل هذا تبعاً لذلك ومثل هذا مرعى في أوخر يس حيث قال تعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه ثم لم يعطف الدليل الا في ههنا نقول والله أعلم ههنا وجد منهم الاستبعاد بقوله ذلك رجع بعيد فاستدل بالأكبر وهو خلق السموات ثم نزل كانه قال لاجحة الى ذلك الاستدلال بل في أنفسهم دليل جواز ذلك وفي سورة يس لم يذكر استبعادهم فبدأ بالادنى وارتقى الى الاعلى والوجد الثاني محتمل أن يكون المراد بالخلق الاول هو خلق السموات لانه هو الخلق الاول وكانه تعالى قال فلم ينظروا الى السموات ثم قال أفعبنا بهذا الخلق ويدل على هذا قوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلق السموات

هم في خلط وشبهة ﴿ ٧٩ ﴾ سا في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتذكير خلق لتفخيم شأنه

والاشمار يخرجها عن حدود العادات والايدان بانه خلق في باطن يهت عنده ويهت عن رقبته (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوس الصوت الخفي ومنه وسواس الخلي والضميرنا ان جعلت من سولة والباء كما في صوت بكنا ﴿ ٦٢٦ ﴾ والانس ان جعلت مصدرية والباء للعدبة

(ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أي اعلم بحاله من كل أقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب لذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان هرقان مكتنفان بصفتي العرق في مقدمهما متصلان بالوترين يردان من الرأس اليه وقبل سمي ووريدان الروح ترده (اذيتاني المتلقيان) منصوب بما في أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل هلمه الى الماشي أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتفظ به وفيه ايدان بأنه تعالى غنى عن استحفاظهما لاحاطة علمهما يخفى عليهما وانما ذلك لما في كتبهما وحفظهما الاعمال العبد وعرض صحائفهم يوم يقوم الاشهاد وعلم البعد بذلك مع علمه بالخالقة تعالى بنفسه

والارض ولم يعي بخلقهن ويؤيد هذا الوجد هو أن الله تعالى قال بعد هذه الآية وقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه فهذا كاستدلال بخلق الانسان وهو معطوف بعرف الواو على ما تقدم من الخلق وهو بناء السماء ومد الارض وتزليل الماء وانبات الجنات وفي تعريف الخلق الاو وتكثير خلق جديد وجهان أحدهما ما عليه الامر ان لان الاو عرفه كل واحد وعلم نفسه والخلق الجديد لم يعلم نفسه ولم يعرفه كل احد ولان الكلام عنهم وهم لم يكونوا عالين بالخلق الجديد والوجه الثاني ان ذلك لبيان انكارهم للخلق الثاني من كل وجه كأنهم قاوا أيا يكون لنا خلق ما على وجه الانكاره بالكلية وقوله تعالى بل هم في ابس تقديره ما عيننا بل هم في شك من خلق جديد يعني لامانع من جهة الفاعل فيكون من جانب المفعول وهو الخلق الجديد لانهم كانوا يقولون ذلك محال وامتناع وقوع الخلق بالفاعل لا يوجب عجزا فيه ويقال للمشكوك فيه ملتبس كما يقال لليقين انه ظاهر وواضح ثم ان اللبس يستدالي الامر كما قلنا انه يقال ان هذا امر ظاهر وهذا امر ملتبس وههنا أسند الامر اليهم حيث قالهم في ابس وذلك لان الشيء يكون وراء حجاب والنظر اليه بصير فيخفى الامر من جانب الراي فقال ههنا بل هم في ابس ومن في قوله من خلق جديد فيفيد فائدة وهي ابتداء الغاية كأن اللبس كان حاصلا لهم من ذلك * قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان) فيه وجهان * أحدهما أن يكون ابتداء استدلال بخلق الانسان وهذا على قولنا أفعمينسا بالخلق الاو معناه خلق السموات * وثانيهما أن يكون تميم بيان خلق الانسان وعلى هذا قولنا الخلق الاو هو خلق الانسان أول مرة ويحتمل أن يقال هو تنبيه على أمر يوجب عودهم عن مقالهم ويانه أنه تعالى لما قال ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه كان ذلك اشارة الى أنه لا يخفى عليه خافية ويعلم ذوات صدورهم وقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) بيان لكمال علمه والوريد العرق الذي هو مجرى الدم يجري فيه ويصل الى كل جزء من أجزاء البدن والله أقرب من ذلك بعلمه لان العرق يحجبه أجزاء اللحم ويخفى عنه وعلم الله تعالى لا يحجب عنده شيء ويحتمل أن يقال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد بتفرد قدرتنا فيه يجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه * ثم قال تعالى (اذيتاني المتلقيان من اليمين ومن الشمال) فعيد ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد) اذتطرف والعامل فيه ما في قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وفيه اشارة الى أن المكلف غير متروك سدى وذلك لان الملك اذا قام كتابا على أمر اتكل عليهم فان كان له غفلة عنه فيكون في ذلك الوقت يتكل عليهم واذا كان عند اقامة الكتاب لا يبعد عن ذلك الامر ولا يفقل عنه فهو وعند عدم ذلك أقرب اليه وأشد اقبالا عليه فنقول لله في وقت أخذ الملكين منه فعله وقوله أقرب اليه من عرقه الخاط له فعند ما يخفى عليهم ما شيء يكون حفظنا بحاله أكل وأنتم ويحتمل أن يقال التلقى من الاستقبال يقال فلان يلقى الركب وعلى هذا الوجه فيكون معناه وقت ما يتلقاه المتلقيان

أحواله خبرا من زيادة لطفه في الكف عن اليات والرغبة في الحسنات * وعنه عليه الصلاة ﴿ يكون ﴾ والسلام ان مقعد ملكك على ثنيتك

ولسانك فلهماور ينك مدادهم وأنت تجرى فيمسا الامتراك لا تستحي من الله ولا منهما وقد جواز ان يكون باقي المالكين
 بيانا تقرب على معنى اننا قرب اليه مطعون على اعماله لان حقطتنا وكتبنا ما وكون به (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي
 عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أي ﴿ ٦٢٧ ﴾ مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فيؤدى الاول لدلالة

الثاني عليه كما في قول
 من قال * رماني بأمر
 كنت منه وبالذي *
 يرأى ومن أجل الطوى
 رماني وقيل يطلق الفعيل
 على الواحد والمتعدد
 كما في قوله تعالى والملائكة
 بعد ذلك ظهير (ما يلفظ
 من قول) ما يرمى به من
 فيه من خير أو شر وقرئ
 ما يلفظ على البناء للمفعول
 (الا ليد رقيب) ملك
 يرقب قوله ويكتبه فان
 كان خيرا فهو صاحب
 اليمين بعينه والافهوه
 صاحب الشمال ووجه
 تغير العنوان غنى عن
 البيان والافراد مع
 وقوعهما على ما صدر
 عنه لما أن كلامه رقيب
 لما فوض اليه لا لما فوض
 الى صاحبه كما ينبغي عنه
 قوله تعالى (عتيد) أي
 معد مهيبا نكنا بذا
 ما أمر به من الخير والشه
 ومم لم ينسبه له توهم ان
 معناه رقيبان عتيدان
 وتخصيص لفول التذكار
 لاثبات الحكم في الفعل
 بدلا لما التص وا- تلف
 فيما يكتبانه فقل يكتبان
 كل شئ حتى أتت في
 منه وقيل انما يكتبان ما عهده
 أجر أو وزر وهو الاظهر كما ينبغي
 عنه قوله صلى الله عليه وسلم
 كاتب الحسنات على يمين
 جل وكاتب السيئات

يكون عن يمينه وعن شماله قعيد فالمتقيا على هذا الوجه هما الملائكة اللذان يأخذان
 روحه من ملك الموت أحدهما يأخذ ارواح الصالحين وينقلها الى السرور والحبور
 الى يوم النشور والآخر يأخذ ارواح الطالحين وينقلها الى الويل والنبور الى يوم
 الحشر من القبور فقال تعالى وقت نلقيهما وسؤالهما انه من اي القبيلين يكون عند
 الرجل قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال يعني الملائكة ينزلان وعنده ملائكة آخران
 كاتبان لاعماله يسألانها من اي القبيلين كان فان كان من الصالحين يأخذ روحه ملك
 السرور ويرجع الى الملك الآخر مسرورا حيث لم يكن مسرورا من يأخذها هو وان كان
 من الطالحين يأخذها ملك العذاب ويرجع الى الآخر محزوناً حيث لم يكن من يأخذها
 هو ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى سائق وشهيد والشهيد هو القعيد والسائق هو الملقى يتلقى
 اخذ روحه من ملك الموت فيسوقه الى منزله وقت الاعادة وهذا اعرف الوجهين
 وأقر بهما الى الفهم وقول القائل جلست عن عين فلان فيه انباء عن فتح ما عنه احترامه
 واجتنابا منه وفيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال نحن أقرب اليه من حبل الوريد المخاط
 لاجزائه المداخل في أعضائه والملك متخ عنده فيكون علمنا به أكل من علم الكتاب لكن
 من أجلس عنده أحدا يكتب أفعاله وأقواله ويكون الكاتب ناهضا خيرا والملك الذي
 أجلس الرقيب يكون جبارا عظيما ففسد أقرب اليه من الكاتب بكثير والقعيد هو
 الجليس كما ان قعيدا يعني جالس * وقوله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
 تحيد) أي شدته التي تذهب العقول وتذهل الفطن وقوله بالحق يحتمل وجوها أحدها أن
 يكون المراد منه الموت فانه حق كأن شدة الموت تحضر الموت والباء جيتد للتعدية يقال
 جاء فلان بكذا أي أحضره ثانياً أي أن يكون المراد من الحق ما أتى به من الدين لانه حق وهو
 يضره عند شدة الموت وما من أحد الا وهو في تلك الحالة يظهر الايمان لكنه لا يقبل الايمان
 سبق منه ذلك وآمن بالغيب ومعنى المجي به هو انه يظهر كما يقال الدين الذي جاء به النبي
 صلى الله عليه وسلم أي اظهره ولما كانت شدة الموت مظهرة له قيل فيه جاء به والباء جيتد
 يحتمل أن يكون المراد منها ملتبسة يقال جئتك بأمل فسيح وقلب خاشع وقوله ذلك يحتمل
 أن يكون اشارة الى الموت ويحتمل أن يكون اشارة الى الحق وحاد عن الطريق أي مال
 عنه والخطاب قيل مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو متكر وقيل مع الكافرين وهو
 أقرب والاقوى أن يقال هو خطاب عام مع سماع كانه يقول ذلك ما كنت منه تحيد
 أيها السامع * وقوله تعالى (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) عطف على قوله وجاءت
 سكرة الموت والمراد منه اما النفخة الاولى فكون بيانا لما يكون عند مجي سكرة الموت
 أو النفخة الثانية وهو أظهر لان قوله تعالى ذلك يوم الوعيد بالنفخة الثانية أبقى ويكون
 قوله وجاءت سكرة الموت اشارة الى الامانة قوله نفخ في الصور اشارة الى الاعادة والاحياء
 وقوله تعالى ذلك ذكر الزحشرى أنه اشارة الى المصدر الذي من قوله ونفخ أي وقت

على يساره وكان الجثمان امير على كاتب السيات فاذا عمل حسنة كتبها اليه اليمين عشر او اذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دع سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر (وحات سكرة الموت بالحق) بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وأزج ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين أن جميع ﴿ ٦٢٨ ﴾ أعينهم محفوظة مكتوبة عليهم أتبع ذلك بيان ما يلاقونه لا تخافة من الموت والبعث وما يفرغ عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي ايذانا بتحقيقها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الناهية باعتدال والباء اما المتعدية تأتي فواك جاء الرسول بالظهور المعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الامر التي نصقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الامر وجلبية الحال من سعادة الميت وشناؤته وقيل الحق الذي لا بد أن يكون لا تخافة من الموت أو الجزاء فان الانسان خلق له واما الله لا يسه كالتى في قوله تعالى

تثبت بالدهن أى ملتبسة بالحق أى حقيقة الامر أو بالحكمة والواقعية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وأنها شدتها توجب زهوق الروح أو تستعقبه وقبل البقاء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الاضافة للتحويل وقرئ سكرات الموت (ذلك) أى الموت (ما كتبت منه تحيد) أى تبيل وتفرغ عنه والخطاب الانسان فان القرعة عند ساءلة ﴿ الكفران ﴾ لكل فرد ٦ قوله الثلاثة أوجه قد أخل بالثالث اه

ذلك النقم يوم الوعيد وهو عتيد لان يوم لو كان منصوبا لكان ما ذكرنا ظاهرا أو مارفعا يوم فيفيد أن ذلك نفس اليوم والمصدر لا يكون نفس الزمان وانما يكون في الزمان فالاولى أن يقال ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من قوله ونفخ لان الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان فكانت تعالى قال ذلك الزمان يوم الوعيد والوعيد هو الذى أو وعده من الحشر والاياء والحجازة * وقوله تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشايد) فهى بينا من قبل أن السائق هو الذى يسوق الى الموقف ومنه الى مقدمه والشهيد هو الذى كان السائق والسائق لازم للبر والفاجر أما البر فيساق الى الجنة وأما الفاجر فالى النار وقال تعالى وسيق الذين كفروا وسيق الذين اتقوا ربهم * وقوله تعالى (لقد كنت رب غفلة من هذا) اى ما على تقدير يقال له أو قيل له لقد كنت كما قال تعالى وقال لهم خزنتها وقال تعالى قبل ادخلوا ابواب جهنم والخطاب عام اما الكافر فمعلوم الدخول فى هذا الحكم واما المؤمن من فانه يزداد علما وبظهوره ما كان مخفيا عنه ويرى لى علمه يقينا رأى المستعبر يقينا يكون بالنسبة الى تلك الاحوال وشدة الاحوال كالعافل وفيه الوجهان اللذان ذكرناهما فى قوله تعالى ما كتبت منه تحيد والعلة شئ من اعطاء كالبس وأكثر منه لان الشاك يلبس الامر عتيد والعافل يكون الامر بالكلية محجوبا قلبه عنه وهو الغلف * وقوله تعالى (فكشفنا عنك غطاءك) أى أزلنا عنك غطاءك (فبصرك اليوم حديد) وكان من قبل كالبلا وقرئ كحديد وكان فى الدنيا خليلا واليه الاشارة * بقوله تعالى (وقال قرينه هذا ما لى عتيد) وفى القرين وجهان أحدهما الشيطان الذى زين الكفر له والعصيان وهو الذى قل تعالى فيد وقتلناهم قرناء وقال تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى فبئس القرين فلا تارة بهذا المسوق الى المرتكب الفجور والغسوق والعتيد معناه المعدل نار وجملته اشارة معناه أن الشيطان يقول هذا العاصى شئ هو عتيدى معدلجتم أعدته بالاقواء والاضلال والوجد الشانى قال قرينه أى العتيد الشهيد الذى سبق ذكره وهو الملك وهذا اشارة الى كتاب أعماله وذلك لان الشيطان فى ذلك الوقت لا يكون له من المكانة أن يقول ذلك القول ولان قوله هذا ما لى عتيد فيكون عتيد صفة وتايجهما أن تكون موصولة فيكون عتيد محتملا للثلاثة أوجه أحدها أن يكون خبر ابد خبر والخبر الاول ما لى معناه هذا الذى وهو عتيد وثانيها أن يكون عتيد هو الخبر لا غير وما لى يقع كالوصف المميز للعتيد عن غيره كما تقول هذا الذى عتيدى زيد وهذا الذى يجيئنى عمر يكون الذى عتيدى والذى يجيئنى لتمييز المشا الىه عن غيره ثم يخبر عنه بما بعده ثم يقال للسائق أياك شهيد (أقياى جهنم) فيكون هو أمرا لواحد وفيه وجهان أحدهما الشئ تكرر الامر كما يقال ألق ألق وثانيها إعادة العرب ذلك * وقوله (كل فارعتيد) الكفار يحتمل أن يكون من الكفران فيكون بمعنى كثير

الموت (ذلك) أى الموت (ما كتبت منه تحيد) أى تبيل وتفرغ عنه والخطاب الانسان فان القرعة عند ساءلة ﴿ الكفران ﴾ لكل فرد ٦ قوله الثلاثة أوجه قد أخل بالثالث اه

من امراده طيعا (ونفع في الصور) هي المعجزة الثانية (ذلك) اي وقت ذلك النفع على حذف المضاف (يوم
الوعيد) أي يوم انجاز الوعيد الواقع في الدنيا أو يوم وقوع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموصود وقبل
ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفع فان فعل **نفع** كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص

الكفران ويحتمل أن يكون من الكفر فيكون بمعنى شديد الكفر والتشديد في لفظه فعال
يدل على شدة في المعنى والعنيد فعيل بمعنى فاعل من عهد عنودا ومنه العناد فان كان
الكفار من الكفران فهو أنكر نعم الله مع كثرتها * وقوله تعالى (مناع الخير) فيه
وجهان أحدهما كثير المنع للمال الواجب وان كان من الكفر فهو أنكر دلائل وحدانية
الله مع قوتها وظهورها فكان شديد الكفر عنيدا حيث أنكر الأمر اللاتمخ والحق
الواضح وكان كثير الكفران لوجود الكفران منه عند كل نعمة عنيد ينكرها مع كثرتها
عن المستحق الطالب والخير هو المال فيكون كقوله تعالى وويل للشركتين الذين
لا يؤتون الزكاة حيث بدأ يدين الشرك ونهى بالامتناع من ايتاء الزكاة وعلى هذا فقيه
مناسبة شديدة اذا جعلنا الكفار من الكفران كأنه يقول كفر أنعم الله تعالى ولم يؤد
منها شيئا لشكر نعمه ثانياً ما شديد المنع من الايمان فهو مناع للخير وهو الايمان الذي هو
خير محض من أن يدخل في قلوب العباد وعلى هذا فقيه مناسبة شديدة اذا جعلنا الكفار
من الكفر كأنه يقول كفر بالله ولم يقتنع بكفره حتى منع الخير من الغير * وقوله تعالى
(معذ) فيه وجهان أحدهما أن يكون قوله معذ مرتباً على مناع بمعنى مناع الزكاة
فيكون معناه لم يؤد الواجب وتعدى ذلك حتى أخذ الحرام أيضاً بل بالسرقه كما كان
عادة المشركين وثانيهما أن يكون قوله معذ مرتباً على مناع بمعنى منع الايمان كأنه
يقول منع الايمان ولم يقتنع به حتى انشأ وأهان من آمن وآذاه وأطان من كفر وآواه
* وقوله تعالى (مريب) فيه وجهان أحدهما شوريب وهذا على قولنا الكفار كثير
الكفران والمناع مانع الزكاة كأنه يتسول لا يطمى الزكاة لأنه في ريب من الآخرة
والثواب فيقول لأقرب إلا من غير عوض وثانيهما مريب يوقع الغير في الريب بانقائه
الشبهة والارباب جماعات بالمعنيين جميعاً وفي الآية ترتيب آخر غير ما ذكرناه وهو أن يدين
هنا بيان أحوال الكفار بالنسبة الى الله والى رسول الله والى اليوم الآخر فتوابع
كفار عنيد اشارة الى حاله مع الله يكفر به ويعاند آياته وقوله مناع الخيرة عند اشارة الى
حاله مع رسول الله فيمنع الناس من اتباعه ومن الاتباع على من عنيد ويتعدى بالأيذاء
وكثرة الهداء وقوله مريب اشارة الى حاله بالنسبة الى اليوم الآخر ريب فيه
ورتاب ولا يظن أن الساعة تأتيه فان قيل قوله تعالى أشيا في جهنم كل كفار عنيد مناع
للخير الى غير ذلك يوجب أن يكون الاتقاء خاصاً عن اجتمع فيه هذه الصفات بأسرها
والكفر كاف في اراث الاتقاء في جهنم والامر به فتقول قوله تعالى كل كفار عنيد ليس
المراد منه الوصف المميز كما يقال أعط العالم الزاعدي المراد الوصف المميز يكون
الموصوف موصوفه اما على سبيل المدح أو على سبيل الذم كما يقال هذا حاتم السخني
فتوله كل كفار عنيد يفيد أن الكفار عنيد ومناع فالكفار كافر لان آيات الوجدانية
ظاهرة ونعم الله تعالى على عباده وافرة وعنيد ومناع للخير لأنه يمدح دينه وينم دين الحق

الوعيد بالذكر مع أنه
يوم الوعد أيضاً فهو به
ولذلك يدى بيان حال
الكفرة (وجهات كل
نفس) من النفوس البرة
والفاجرة (معها سابق
وشهيد) وان اختلفت
كيفية السوق والشهادة
حسب اختلاف النفوس
علا أي معها لمكان
أحدهما بسوقها الى
المخسر والآخر يشهد
بعملها أو ملك جامع
بين الوصفين كأنه قيل
معها ملك بسوقها
ويشهد عليها وقيل
السائق كاتب السيات
والشهيد كاتب الحسنات
وقيل السائق نفسه
أو قرين والشهيد
جوارحه وأعماله ومحل
معها النصب على
الحالين عن كل لاضافته
الى ما هو في حكم المعرفة
كأنه قيل كل النفوس
أو الجرح على أنه وصف
لنفس أو الرفع على أنه
وصف لكل وقوله تعالى
(لقد كنت في غفلة من
هذا) محكي باضمار قول
هو أما صفة أخرى
لنفس أو حال أخرى

منها أو استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فاذا فعل بها فتقبل يقال لقد كنت في غفلة الخ وخطاب
الكل بذلك لما أنه ما من احد الاوله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقري كنت بكسر التاء

على اعتبار تانيك النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما في قول جيلة بن حرب * يا من
انك بالذات مسرور * فاذا ذكر فهل يتفعلك اليوم * ٦٣٠ * تذكير (فكشفنا عنك غطاءك) العطاء الحجاب

المعطى لامور المعاد وهو
الغفلة والانهماك في
المحسوسات والالاف
بها وقصر النظر عليها
(فبصرك اليوم حديد)
نافذ والمانع للابصار
وقرى بكسر الكاف
في المواضع الثلاثة
(وقال قرينه) أى
الشیطان المقيض له
مشيرا اليه (هذا ما لدى
عندي) أى هذا ما عندى
وفى ملكتي عندى لجهنم
قد هيأتها باغوائى
واضلالى وقيل قال
الملك الموكل به مشيرا
الى ما معه من كتاب
عمله هذا مكتوب عندى
عند مهيا لعرض
وما ان جعلت موصوفة
فمستدصفتها وان جعلت
موصولة فهي بدل
منها وخبر مبتدأ محذوف
(أقيما فى جهنم كل
كفار) خطاب من الله
تعالى للسائق والشهيد
أو للمدكين من خزنة
النار أو لواحد على تزيير
تثنية انفساعل معزلة
تثنية الفاعل وتكريره
كقول من قال * فان
ترجرائى يا ابن عفا

أترجرج * وان تدعاني أحم عرساء : ٩ قوله المسئلة الثالثة اطراف الكلام فيها غير ملتزمة كما لا يخفى * والعظمة

أوعلى أن الالف بك من نون التاكيد على اجراء الوصل بحجى الوقف و يؤيده أنه قرى الذين بالنون الحفيفة (عقيد)
معاند للحق (مناع للخبر) كثير المنع ﴿ ٦٣١ ﴾ لئلا يحق حقه من غير وضوء وقيل المراد بالخبر الاسلام قال الآية نزلت

في الوعد من العبرة لما
منع بنى أحسن منه
(سعد) ظالم متخير للحق
(مر يب) شك في الله
وفي دينه (الذي جعل
مع الله لها آخر) مبتدا
متضمن معنى الشرط
تعبه (فأقياه في العذاب
الشديد) او يدل من
كل آثار وقوله تعالى
فأقياه تكرر للتوكيد
أو مفعول مضمر بنفسه
فأقياه (قال قرينة)
أي الشيطان المفيض له
وانما استؤنف استئناف
الجميل الواقعة في حكاية
المقابلة لما أنه جواب
لحذوف دل عليه قوله
تعالى (ربنا ما أطعته)
فانه مني عن سابقه
كلام اعترض به الكافر
كانه قال هو أطعاني
فأجاب قرينه بتكديبه
واسناد الطغيان اليه
بخلاف الجملة الاولى
فانها واجبة العطف
على ما قبلها دلالة على
أن الجمع بين مفهوميهما
في الحصول أعني محي
كل نفس مع الملكين
وقول قرينه (ولكن
كان) هو بالذات (في
ضلال بعيد) من الحق فأعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسم والجلء كأي قوله تعالى وما كان لي عليكم

والعامة وعرض الحال دون انطلب فقال ربنا ما أطعته * وقوله تعالى (ولكن كان
في ضلال بعيد) يعني أن ذلك لم يكن باقائه وانما كان ضلالا مغفلا في الضلال فسعى وصيد
مسائل (المسئلة الاولى) ما الوجه في اتصاف الضلال بالبعيد نقول الضلال يكون أكثر
ضلا عن الطريق فاذا اتسدى في الضلال وبقى في مدة يبعد عن المقصد كثيرا واذا علم
الضلال قصر في الطريق من قريب فلا يبعد عن المقصد كثيرا فتو له ضلال بعيد
وصف المصدر بما يوصف به الفاعل كما يقال كلام صادق وعيشة راضية أي ضلال
ذو بعد والضلال اذا بعد مدها وامتد الضلال فيه يصير بينا ويظهر الضلال لان من حاد
عن الطريق وأبعد عنه تغير عليه السمات والجهات ولا يرى عين المقصد ويتبين له أنه
ضل عن الطريق ور بما يقع في أودية ومفاوز ويظهر له امارات الضلال بخلاف من حاد
قليل فالضلال وصفه الله تعالى بالوصفين في كثير من المواضع فقال تارة في ضلال مبين
وأخرى قال في ضلال بعيد (المسئلة الثانية) قوله تعالى ولكن كان في ضلال بعيد اشارة
الى قوله الاعبادك منهم المخلصين وقوله تعالى ان عبادي لبس لك عليهم سلطان أي
لم يكونوا من العباد فجع عليهم أهل العناد ولو كان لهم في سبيلك قدم لما كان عليهم
من يد والله أعلم (المسئلة الثالثة) كيف قال ما أطعته مع أنه قال لا غويتهم أجمعين
قلنا الجواب عنه من ثلاثة أوجه وجهان قد تقدم في الاعتذار عما قاله الزمخشري
والثالث هو أن يكون المراد من قوله لا غويتهم أي لا دعتهم على الغواية كأن الضلال اذا
قال له شخص أنت على الجادة فلا تتركها يقال انه يضله كذلك ههنا وقوله ما أطعته أي
ما كان ابتداء الاطعاء مني * ثم قال تعالى (قال لا تختصموا لدي) قد ذكرنا ان هذا دليل
على أن هناك كلاما قبل قوله قال قرينه ربنا ما أطعته وهو قول الملقى في السار ربنا
أطعاني وقوله لا تختصموا لدي يفيد مفهومه أن الاختصاص كان ينبغي أن يكون قبل
الحضور والوقوف بين يدي * وقوله تعالى (وقدمت اليكم بالوعيد) تقرير للنع
من الاختصاص و بيان لعدم فائدته كأنه يقول قد قلت انكم اذا اتبعتم الشيطان
تدخلون النار وقد اتبعتموه فان قيل ما حكم البناء في قوله تعالى بالوعيد قلنا فيها وجوه
أحدها أنها من يده كأي قوله تعالى تثبت بالدهن على قول من قال انها هناك زائدة وقوله
وصكني بالله وثانيها معدية قدمت بمعنى تقدمت كأي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تقدموا بين يدي الله ثالثها في الكلام اضمار تقديره وقد قدمت اليكم مقترنا بالوعيد
ما يبديل القول لدى فيكون المقدم هو قوله ما يبديل القول لدى زعمها هي للمصاحبة
يقول القائل اشترت الفرس بالجماعة وسرجه أي معه فيكون كأنه تعالى قال قدمت
اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه بالانذار * وقوله تعالى (ما يبديل القول لدي) يحتمل
وجهين أحدهما أن يكون قوله لدي متعلقا بالقول أي ما يبديل القول لدي وثانيهما أن
يكون ذلك متعلقا بقوله ما يبديل أي لا يقع التبدل عندي وعلى الوجه الاول في القول

ضلال بعيد) من الحق فأعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسم والجلء كأي قوله تعالى وما كان لي عليكم

من سلطان الان دعوتكم فاستجبتم لي (قال) استثناف مبني على سوال نشأ مما قبله كأنه قيل فاذا قال الله تعالى فقيل قال (لا تختصموا لدي) أي موقف الحساب والجزاء ﴿ ٦٣٢ ﴾ اذا قلنا في ذلك (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على

الطغيان في دار الكسب في كتي و على السنة رسلي فلا تطعموا في الخلاص عنه بما أتم فيه من التعال بالماذير الباطلة والجملة حال فيها تغليل لانهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لا ملأ من جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصاص في هذا الوقت والباء من يدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز أن يكون قدمت واقعا على قوله تعالى (ما يبدل القول لدي) الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول أو الفاعل أي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطعموا أن أبدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد

الذي اسره وجوه (أحدها) هو أنهم قالوا حتى يبديل ما قبل في حقهم ألقيا بقول الله بعد اختارهم لا تقبها فقال تعالى لا يبديل هذا القول لدي وكذلك قوله بقبل ادخلوا أبواب جهنم لا تبديل (ثانيها) هو قوله ولكن حق القول مني لا ملأ من جهنم أي لا تبديل لهذا القول (الثالث) لا تخاف في إياد الله تعالى كالاختلاف في معاد الله وهذا يرد على المرجئة حيث قالوا ما ورد في القرآن من الوعيد فهو نحو يفت لا يفتق الله شيئا منه وقالوا الكفرم اذا عهدنا بجز ووفى واذا أوعدنا خلف وعثا (رابعها) لا يبديل القول السابق ان هذا شق وهذا سعيد حين خلقت العباد قالت هذا شق ويحمل على الاشقياء وهذا حق ويعمل على الاتقياء وذلك التوالعنى لا تبديل لمبعضي ساع ولا مساعدة لا يفتق الله تعالى وأما على الوجه الثاني فني لا يبديل وجوه أيضا أحدها لا يكتب لدي ولا يفتق بين يدي فاني عالم علمت من طغي ومن أطغي ومن كان ملاغيا ومن كان أطغي فلا يفيدكم قولكم أطفاني شيطاني ولا قول الشيطان ربنا ما أطفيت ثابها اشارة الى معنى قوله تعالى فأرجعوا وراءكم فالتمسوا نورا كأنه تعالى قال لو اردتم ان لا أقول فألقيا في العذاب الشديد كنتم بدلتهم هذا من قبل بتبديل الكفر بالايان قبل ان تقفوا بين يدي وأما الآن فما يبديل القول لدي كما قلنا في قوله تعالى قال لا تختصموا لدي المراد ان اختصاصكم كان يجب ان يكون قبل هذا حيث قلت ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ثالثها معناه لا يبديل الكفر بالايان لدي فان الايمان عند اليأس غير مقبول فقولكم ربنا والهنا لا يفيدكم فن تكلم بكلمة الكفر لا يفيد قوله ربنا ما أشركنا وقوله ربنا آذنا وقوله تعالى ما يبديل القول اشارة الى نفي الحال ككأنه تعالى يقول ما يبديل اليوم لدي القول لان ما يفي بها الحال اذا دخلت على الفعل المضارع يقول الفاعل ماذا تفعل غدا يفعل ما فعل شيأ أي في الحال واذا قال الفاعل ماذا يفعل غدا يقال لا يفعل شيأ أو لا يفعل شيأ اذا أريد زيادة بيان انني فان قيل هل فيه بين معنى يفيد افتراق ما ولا في المعنى تقول نعم وذلك لان كلمة لأدل على النفي لكونها موضوعا للنفي وماني معناه كأنه لا يفيد الاثبات الا بظري الخذف أو الاضمار وبالجملة فبظري في الحجاز كاني قوله لا أقسم وأما ما غير متحضنة للنفي لانها واردة لغيره من المعاني حيث تكون اسما والنفي في الحال لا يفيد النفي المطلق لجواز أن يكون مع النفي في الحال الاثبات في الاستقبال كما يقال ما يفعل الآن شيأ وسيفعل ان شاء الله فاخص بالملم يتمحض نفيها حيث لم تكن متمحضنة للنفي لا يقال ان لا للنفي في الاستقبال والاثبات في الحال فاكتفي في الاستقبال بالملم يتمحض نفيها لاننا نقول ليس كذلك اذا لجوز أن يقال لا يفعل زيد ويفعل الآن نعم يجوز أن يقال لا يفعل غدا او يفعل الآن لكون قولك غدا يجعل الزمان ميمرا فلم يكن قولك لا يفعل للنفي في الاستقبال بل كان للنفي في بعض أزمنة الاستقبال وفي مثالنا قلنا ما يفعل وسيفعل وما قلنا سيفعل غدا وبعد غدا بل ههنا نفي في الحال واثبتنا في الاستقبال من غير

مميز زمان من أزمته الاستقبال عن زمان ومثاله في العكس أن يقال لا يفعل زيد وهو
 يفعل من غير تعيين وتميز ومعلوم ان ذلك غير جائز * وقوله تعالى (وما أنا بظلام للعبيد)
 مناسب لما تقدم على الوجهين جميعا اما اذا قلنا بأن المراد من قوله لدى ان قوله فأتقياه
 وقول القائل في قوله قبل ادخلوا أبواب جهنم لاتبديل له فظاهر لان الله تعالى بين ان
 قوله أقباني جهنم لا يكون الا لكافر العنيد فلا يكون هو ظلما للعبيد وأما اذا قلنا بأن
 المراد لا يبديل القول لدى بل كان الواجب التبديل قبل الوقوف بين يدي فكذلك لانه
 أنذر من قبل وما عذب الابد ان أرسل وبين السبل (وقيد مباحث لفظية ومعنوية)
 اما اللفظية فهي في الباء من قوله ليس بظلام وفي اللام من قوله للعبيد أما الباء فنقول الباء
 تدخل في المفعول به حيث لا يكون تعلق الفعل به ظاهرا ولا يجوز ادخالها فيه حيث
 يكون في غاية الظهور ويجوز الادخال والترك حيث لا يكون في غاية الظهور ولا في غاية
 الخفاء فلا يقال ضربت بزيدا لظهور تعلق الفعل بزيدا لا يقال خرجت وذهبت زيدا
 بدل قولنا خرجت وذهبت بزيدا لظهور تعلق الفعل بزيدا فيهما ويقال شكرته وشكرت له
 للتوسط فكذلك خبر ما لما كان مشبها بالمفعول وليس في كونه فعلا غير ظاهر غاية الظهور
 لان الحاق الضمائر التي تلحق بالافعال الماضية كالتاء والتون في قولك لست ولستم ولست
 ولستنا يصح كونها فعلا كما في قولك كنت وكنا لكن في الاستقبال بين الفرق حيث نقول
 يكون وتكون وكن ولا نقول ذلك في ايس وما يشبهه بها فصارتا كالفعل الذي لا يظهر تعلقه
 بالمفعول غاية الظهور فجاز ان يقال ليس زيد جاهلا وايس زيد جاهل كما يقال مسخنة
 ومسخت به وغير ذلك مما تعدى بنفسه وبالباء ولم يجوز ان يقال كان زيد بخارج وصار عمرو
 يدارج لان صار وكان فعل ظاهر غاية الظهور بخلاف ليس وما التافية وهذا يؤيد قول
 من قال ما هذا يشرو هذا ظاهر (البحث الثاني) او قال قائل كان ينبغي ان لا يجوز اخلاء
 خبر ما عن الباء كما لا يجوز ادخال الباء في خبر كان وخبر ليس يجوز فيه الامر ان وتقرر
 هذا السؤال هو ان كان لما كان فعلا ظاهرا جعلناه بمنزلة ضرب حيث منعنا
 دخول الباء في خبره كما منعناه في مفعوله وليس لما كان فعلا من وجه نظرا الى قولنا
 لست ولستنا ولستم ولم يكن فعلا ظاهرا نظرا الى صيغ الاستقبال والامر جعلناه متوسطا
 وجوزنا ادخال الباء في خبره وتركه كما قلنا في مفعول شكرته وشكرت له وما للممكن فعلا
 بوجه كان ينبغي ان يكون بمنزلة الفعل الذي لا يتعدى الى المفعول الا بالحرف وكان ينبغي
 ان لا يجيء خبره الامع الباء كما لا يجيء مفعول ذهب الامع الباء وبؤيد هذا انما فرقنا بين ما
 وليس وكان وجعلنا لكل واحدة مرتبة ليست للآخرى فمجازنا تأخير كان في اللفظ حيث
 جوزنا ان يقول القائل زيد خارجا كان وما جوزنا زيد خارجا ليس لان كان فعل ظاهر وليس
 دونه في الظهور وما جوزنا تأخير ما عن أحد شطري الكلام ايضا بخلاف ليس حيث
 يجوز ان يقول القائل زيدا بظلام الا ان يعيد ما يرجع اليه فيقول زيدا هو بظلام

وقوله تعالى (وما أنا
 بظلام للعبيد) وارد
 لتحقيق الحق على الوجه
 الكلي وتبين ان هدم
 تبديل القول وتحقيق
 موجب الوعيد ليس من
 جهته تعالى من غير
 استحقاق له منهم بل
 انما ذلك بما صدر عنهم
 من الجنائيات الموجبة
 له حسبا أشير اليه آتفاى
 وما أنا بعذب للعبيد
 بغير ذنب من قبلهم
 والتعير عنه بانظلم مع
 ان تعد بهم بغير ذنب
 ليس بظلم على ما تقرر
 من قاعدة اهل السنة
 فضلا

فصار بينهما ترتيب ما يوجهه وليس يؤخر عن احد الشطرين ولا يؤخر في الكلام بالكلية
 وكان يؤخر بالكلية لما ذكرنا من الظهور والخفاء فكذلك القول في الحاق الباء كان ينبغي
 ان لا يصح اخلاء خبرها عن الباء في ليس يجوز الامر ان وفي كان لا يجوز الادخال وهذا
 هو المعتمد عليه في لغة بني تميم حيث قالوا ان ما بعد ما اذا جعل خبرا يجب ادخال الباء عليه
 فان لم تدخل عليه يكون ذلك معر با على الابتداء أو على وجه آخر ولا يكون خبرا والجواب
 عن السؤال هو ان نقول الاكثر ادخال الباء في خبر ما ولا سيما في القرآن قال الله
 تعالى وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم وما أنت بمسمع وما هم بخارجين وما أنا بظلام
 وأما الوجوب فلا لان ما أشبه ليس في المعنى في الحقيقة وخالفها في العوارض وهو
 لحق التاء والتون وأما المعنى فهما لني الحال فاشبهه من قبض لجواز الاخلاء والمخالفة
 مقتضية اوجوب الادخال لكن ذلك مقتضى أقوى لانه راجع الى الامر الحقيقي وهذا
 راجع الى الامر العارضى وما بانفس أقوى مما بالعارض وأما التقديم والتأخير فلا يلزم
 منه وجوب ادخال الباء وأما الكلام في اللام فنقول اللام تحقيق معنى الاضافة يقال
 غلام زيد وغلام زيدا وهذا في الاضافات الحقيقية باثبات التوئي فيه وأما في الاضافات
 اللفظية كقولنا ضارب زيد وقائل عمرو فان الاضافة فيه غير معنوية فاذا خرج الضارب
 عن كونه مضافا باثبات التوئي فقد كان يجب ان يعاد الاصل وينصب ما كان مضافا اليه
 الفاعل بالفعل به ولا يؤتى باللام لانه حينئذ لم يبق الاضافة في اللفظ ولم تكن اضافة في
 المعنى غير ان اسم الفاعل من محظ الدرجة عن الفعل فصارت تعلقه بالفعل أضعف من تعلق
 الفعل بالفعل وصار من باب الافعال الضعيفة التعلق حيث يتنا جواز تعديتها الى
 المفعول بحرف وغير حرف فلذلك جاز ان يقال ضارب زيد او ضارب زيد كما جاز مسحة
 ومسحت به وشكرته وشكرته وذلك اذا تقدم المفعول كما في قوله تعالى أن كنتم للرويا
 تعبرون للضعف (وأما المعنوية فيباحث) الاول الظلام مبالغة في الظلم ويلزم من اثباته
 اثبات أصل الظلم اذا قال القائل هو كذاب يلزم ان يكون كاذبا كثيرا كذبه ولا يلزم من نفيه
 نفي أصل الكذب لجواز ان يقال فلان ليس بكذاب كثير الكذب لكنه يكذب أحيانا في
 قوله تعالى وما أنا بظلام لا يفهم منه نفي أصل الظلم والله ليس بظالم فالوجه فيه نقول
 الجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها ان الظلام بمعنى الظالم كالتماز بمعنى التامر وحينئذ
 يكون اللام في قوله للعبيد التحقيق النسبة لان الافعال حينئذ بمعنى ذي ظلم وهذا وجه جيد
 مستفاد من الامام زين الدين أدام الله فوائده والثاني ما ذكره الشيخ شري وهو ان ذلك
 أمر تقديري كأنه تعالى يقول لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة لكان ذلك
 غاية الظلم وما أنا بذلك فيلزم من نفي كونه ظلاما نفي كونه ظالما ومحقق هذا الوجه اظهار
 لفظ العبيد حيث يقول ما أنا بظلام للعبيد أي في ذلك اليوم الذي امتلأت جهنم مع
 سعتها حتى تصيح وتقول لم يبق لي طاقة بهم ولم يبق في موضع لهم فهل من مزيد استفهام

عن كونه ظلما فرط البيان
 كمال تراهته تعالى عن
 ذلك بتصويره بصورة
 ما يستحيل صدوره عنه
 سبحانه من الظلم وصيغة
 المبالغة لتأكيد هذا
 المعنى بابرار ما ذكر من
 التعذيب بغير ذنب في
 معرض المبالغة في الظلم
 وقيل هي رعاية جمية
 العبيد من قواهم فلان
 ظلم لعبيده وظلام لعبيده
 على أنها

استكثر فذلك اليوم مع اني اتقى فيها عدد الاحصر له لا اكون بسبب كثرة التعذيب كثير
الظلم وهذا مناسب وذلك لانه تعالى خصص النبي بالزمان حيث قال ما انا بظلام يوم نقول
أى وما انا بظلام في جميع الازمان أيضا وخصص بالعبيد حيث قال وما انا بظلام للعبيد ولم
يطلق فكذلك خصص النبي بنوع من أنواع الظلم ولم يطلق فلم يلزم منه أن يكون ظالمًا في غير
ذلك الوقت وفي حق غير العبيد وان خصص والقائدة في التخصيص انه اقرب الى التصديق
من التعميم والثالث هذا يدل على ان التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفي كونه
ظلاما ولم يلزم منه نفي كونه ظالمًا ونفي كونه ظلاما للعبيد ولم يلزم منه نفي كونه ظلاما
لغيرهم كما قال في حق الآدمي ومنهم ظالم لنفسه (البحث الثاني) قال ههنا وما انا بظلام
لعبيد من غير اضافة وقال ما أنت بهادى العمى وما أنت بسمع من في القبور رهلى وجه
الاضافة فما الفرق بينهما نقول الكلام قد يخرج أولا مخرج العموم ثم يخصص لامر ما
لا لغرض التخصيص بقول القائل فلان يعطى ويمنع ويكون غرضه التعميم فان سأل سائل
يعطى من يمنعه من يقول زيدا وعمر او يأتى بالخصص لا لغرض التخصيص وقد يخرج
أولا مخرج الخصوص فيقول فلان يعطى زيدا ماله اذا علمت هذا فقول ما انا بظلام كلام
لو اقتصر عليه ما كان للعموم فأتى بالفظ العبيد لانه عدم الظلم مختصا بهم بل لكونهم
أقرب الى كونهم محل الظلم من نفسه تعالى وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكان في نفسه
هاديا وانما أراد نفي ذلك الخاص فقال ما أنت بهادى العمى وما قال ما أنت بهادى وكذلك
قوله تعالى أليس الله بكاف عبده (البحث الثالث) العبدي يحتل أن يكون المراد منه
الكفار كما في قوله تعالى يا حسرة على العباد ما أتيتهم من رسول يعني أعذبهم وما انا بظلام
لهم ويحتل أن يكون المراد منه المؤمنون ووجهه هو ان الله تعالى يقول لو بدلت القول
ورحمت الكافر لكنت في تكليف العباد ظالمًا لعمادى المؤمنين لاني منعهم من الشهوات
لاجل هذا اليوم فان كان ينال من لم يأتى المؤمن ما يناله المؤمن لكان اتيانه بما
أتى به من الايمان والعبادة غير مفيد فائدة وهذا معنى قوله تعالى لا يستوى أصحاب النار
وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ومعنى قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ويحتل
أن يكون المراد التعميم * ثم قال تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من
مزيد) العامل في يوم ما ذاقه وجوه الاول ما انا بظلام مطلقا والثاني الوقت حيث قال
ما انا يوم كذا ولم يقل ما انا بظلام في سائر الازمان وقد تقدم بيانه فان قيل فما فائدة
التخصيص نقول النبي الخاص اقرب الى التصديق من النبي العام لان التوهم ذلك فان
قاصر النظر يقول يوم يدخل الله عبده الضعيف جهنم يكون ظالمًا ولا يقول بانه يوم
خلفه برزقه ويربده يكون ظالمًا ويتوهم انه يظلم عبده بادخاله النار ولا يتوهم انه يظلم نفسه
أو غير عبده المذكورين ويتوهم انه من يدخل خلقا كثيرا لا يحوزه حد ولا يدركه حد النار

مبالغة كما لا كيف (يوم
نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد)
سؤال وجواب يحى وبها
على منهاج التمثيل
والتخييل لتحويل أمرها
والعنى انها مع اتساعها
وتباعد أقطارها تطرح
فيها من الجنة والناس
فوجا بعد فوج حتى تمتلئ
أو انها من السعة بحيث
يدخلها من يدخلها
وفيها بعد محل فارغ
أو انها لتغيظها على
العصاة لتطلب زيادتهم
وقرى يقول بالياء والمزيد
اما مصدر كالمجيد والمجيد
أو مفعول كالبيع ويوم
اما منصوب باذكر

ويتركهم فيما زما بالانهاية له كثير الظلم فبني ما يتوهم دون ما لا يتوهم وقوله هل امتسلات
 بيان لتصديق قوله تعالى لا ملأن جهنم وقوله هل من مزيد فيه وجهان أحدهما انه لبيان
 استكثارها الداخلين كما ان من يضرب غيره ضربا مبرحا أو يشتمه شتما قبيحا فاحشا يقول
 المضروب هل بقي شيء آخر ويدل عليه قوله تعالى لا ملأن لان الامتلاء لا يد من أن يحصل
 فلا يبقى في جهنم موضع حال حتى تطلب المزيد والثاني هو انها تطلب الزيادة وحيث لو قال
 قائل فكيف يفهم مع هذا معنى قوله تعالى لا ملأن نقول الجواب عنه من وجوه أحدها
 ان هذا الكلام ربما يقع قبل ادخال الكل وفيه لطيفة وهي ان جهنم تنغيط على الكفار
 فتطلبهم ثم يبق فيهما موضع له مساحة المؤمنين فتطلب جهنم امتلاءها لظنها بقاء أحد من
 الكفار خارجا فيدخل العاصي من المؤمنين فيبرد ايمانته حرارتها ويسكن ابقائه فيظنها
 فتسكن وعلى هذا يحمل ماورد في بعض الاخبار ان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار
 قدمه والمؤمن جبار متكبر على ما سوى الله تعالى ذليل متواضع لله الثاني أن تكون
 جهنم تطلب أو لاسعة في نفسها ثم يذوق الداخلين لظنها بقاء أحد من الكفار الثالث
 ان الملاء درجات فان الكيل اذا ملئ من غير كبس صح أن يقال ما ملأنا فاذا كبس
 يسم غيره ولا ينافي كونه ملأنا أو لا فكذلك في جهنم ملأها الله ثم تطلب زيادة تضيقا
 للمكان عليهم وزيادة في التعذيب والمزيد جاز أن يكون بمعنى المفعول أي هل بقي أحد
 تزيد به * ثم قال تعالى (وازلقت الجنة للمتقين غير بعيد) بمعنى قريبا أو بمعنى قربت
 والاول أظهر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما وجه التقريب مع ان الجنة مكان
 والامكنة بقرب منها وهي لا تقرب نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ان الجنة لا تزال
 ولا تنقل ولا المؤمن يومئذ في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوى
 المسافة التي بين المؤمن والجنة فهو والتقريب فان قيل فعلى هذا ليس ازلاف الجنة من
 المؤمن بأولى من ازلاف المؤمن من الجنة فالعائدة في قوله ازلقت الجنة نقول اكراما
 للمؤمن كانه تعالى أراد بيان شرف المؤمن المتقي انه من عيشى اليه ويدنى منه (الثاني) قربت
 من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني يقال يطلب من الملك أمر الخطير والملك
 بعيد عن ذلك ثم اذا رأى منه مخايل انجاز حاجته يقال قرب الملك ومازات أنهى اليه حاله
 حتى قربته فكذلك الجنة كانت بعيدة الحصول لانها بما فيها الاقيمة لها ولا قدرة للمكلف
 على تحصيلها او لافضل الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدخل الجنة
 الا بفضل الله تعالى فقبل ولانك يا رسول الله فقال ولا أنا وعلى هذا قوله غير نصيب على
 الحال تقديره قربت من الحصول ولم تكن بعيدة في المسافة حتى يقال كيف قربت (الثالث)
 هو ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السماء الى الارض فبقر بها للمؤمن وأمان قلنا
 انها قربت ففناه جعلت محاسنها كما قال تعالى فيها ما تشتهى الانفس (المسئلة الثانية) على
 هذا الوجه وعلى قولنا قربت تقرب حصول ودخول فهو ويحتمل وجهين أحدهما ان

أو أنذر أو ظرف لفتح
 فيكون فلك جهنم إشارة
 اليه من غير حاجة الى
 تقدير مضاف أو لتقدير
 مؤخر أي يصكون من
 الاحوال والاهوال
 ما يقصر عنه المقال
 (وازلقت الجنة للمتقين)
 شروع في بيان حال
 المؤمنين بعد النسخ
 ومحسب النفوس الى
 موقف الحساب وقدم
 صرحه في بيان حال الكفرة
 عليه وهو عطف على
 نفع أي قربت للمتقين
 من الكفر والمعاصي
 بحيث يشاهدونها من
 الموقف ويقفون على
 ما فيها من فنون المحاسن
 فيستبجون بأنهم محذورون
 اليها فآزرون بها وقوله
 تعالى (غير بعيد) تأكيد
 للازلاف

يكون قوله تعالى وأزلفت أى في ذلك اليوم ولم يكن قبل ذلك وأما في جمع المحاسن فربما
 يزيد الله فيها زينة وقت الدخول وأما في الحصول فلان الدخول قبل ذلك كان مستبعدا
 اذ لم يقدر الله دخول المؤمنين الجنة في الدنيا ووعده في الآخرة فقربت في ذلك اليوم
 وثانيهما ان يكون معنى قوله تعالى وأزلفت الجنة أى أزلفت في الدنيا اما بمعنى جمع
 المحاسن فلانها مخلوقة وخلق فيها كل شئ وأما بمعنى تقريب الحصول فلانها تحصل بكلمة
 حسنة وأما على تفسير الازلاف بالتقريب المكاني فلا يكون ذلك محمولا الا على ذلك الوقت
 أى أزلفت في ذلك اليوم للمؤمنين (المسئلة الثالثة) ان جعل على القرب المكاني فالقائدة
 في الاختصاص بالمؤمنين مع ان المؤمن والكافر في عرصته واحدة فنقول قديكون شخصان
 في مكان واحد وهناك مكان آخر هو الى أحدهما في غاية القرب ومن الآخر في غاية البعد
 مثاله مقطوع الرجلين والسليم الشديد العداوا اذا اجتمعا في موضع وبخضرتهما شئ
 لا تصل اليه اليد بل يد ذلك بعد عن المقطوع وهو في غاية القرب من العادي أو نقول اذا
 اجتمع شخصان في مكان وأحدهما أحبط به سدى من حديد ووضع يقر به شئ لا تناله يده بل يد
 والآخر يحط به ذلك السد يصح ان يقال هو بعيد عن السدود وقرب من المحظوظ
 والمجدود وقوله تعالى غير بعيد يحتمل ان يكون نصبا على الظرف يقال اجلس غير بعيد منى
 أى مكانا غير بعيد وعلى هذا فقوله غير بعيد التأكيد وذلك لان القرب قديكون
 بعيدا بالنسبة الى شئ فان المكان الذي هو على مسيرة يوم قرب بالنسبة الى البلاد الثانية
 وبعيد بالنسبة الى منتهات المدينة فاذا قال قائل أى أقرب المسجد الأقصى أو البلد الذي
 هو بأقصى المغرب أو المشرق يقال له المسجد الأقصى قريب وان قال أيهما أقرب هو
 أو البلد يقال له هو بعيد فقوله تعالى أزلفت غير بعيد أى قربت قربا حقيقيا لا نسبيا حيث
 لا يقال فيها انها بعيدة عنه مفايسة أو مناسبة ويحتمل أن يكون نصبا على الحال تقديره
 قربت حال كون ذلك غاية القرب أو نقول على هذا الوجه يكون معنى أزلفت قربت
 وهى غير بعيد فيحصل المعنيان جميعا الاقرب والاقتراب أو يكون المراد القرب
 والحصول للمكان فيحصل معنيان القرب المكاني بقوله غير بعيد والحصول بقوله أزلفت
 وقوله غير بعيد مع قوله أزلفت على التأنيث يحتمل وجوها الاول اذا قلنا ان غير نصب على
 المصدر تقديره مكانا غير بعيد الثاني التذكير فيه كقافي قوله تعالى ان رحمة الله قريب
 اجراء الفعل بمعنى فاعل مجرى فعيل بمعنى مفعول الثالث ان يقال غير منصوب نصبا على
 المصدر على انه صفة مصدر محذوف تقديره أزلفت الجنة ازلافا غير بعيد أى عن قدرتنا
 فاننا قد ذكرنا ان الجنة مكان والمكان لا يقرب وانما يقرب منه فقال الازلاف غير بعيد عن
 قدرتنا فاننا طوى المسافة بينهما ثم قال تعالى (هذا ما توعدون) قال الشيخ شري هي جملة
 معتضة بين كلامين وذلك لان قوله تعالى لكل أبواب يدل عن المتقين كانه تعالى قال أزلفت
 الجنة للمتقين لكل أبواب كقافي قوله تعالى لعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم غير ان ذلك يدل

أى مكانا غير بعيد بحيث
 يشاهدونها أو حال
 كونها غير بعيد أى شئ
 غير بعيد يجوز ان يكون
 التذكير لكونه على زنة
 المصدر الذى يستوى
 في الوصف به المذكر
 والمؤنث أولتا ويل
 الجنة بالبستان (هذا
 ما توعدون) اشارة
 الى الجنة والتذكير لما ان
 المشار اليه هو المسمى
 من غير ان يخطر بالبال
 لفظ يدل عليه فضلا
 عن تذكيره وتأنيثه
 فانها من أحكام اللفظ
 العربى كما مر في قوله
 تعالى فلما رأى الشمس
 بازغة قال هذا ربي
 وقوله تعالى ولما رأى
 المؤمنون الاحزاب قالوا

الاشتغال وهذا يدل الكل وقال هذا اشارة الى الثواب أي هذا الثواب ما توعدون
 أو الى الازلاف المدلول عليه بقوله أزلقت أي هذا الازلاف ما وعدتم به ويحتمل أن يقال
 هو كلام مستقل ووجهه ان ذلك محمول على المعنى لا ما يوعده يقال للموعد وهذا وكانه
 تعالى قال هذا ما قلت انه لكم * ثم قال تعالى (لكل أبواب حفيظ) بدلا عن الضمير في
 توعدون وكذلك ان قرئ بالياء يكون تقديره هذا لكل أبواب بدلا عن الضمير والأبواب
 الرجاء قيل هو الذي يرجع من الذنوب ويستغفر والحفيظ الحافظ الذي يحفظ توبته من
 التقص ويحتمل أن يقال الأبواب هو الرجاء الى الله بفكره والحفيظ الذي يحفظ الله في
 ذكره أي رجم اليد بالفكر فيرى كل شيء واقعا به وموجودا منه ثم اذا انتهى اليه حفظه
 بحيث لا ينساه عند الرخاء والنعماء والأبواب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة أي يكون
 كثيرا الأوب شديدا الحفيظ وفيه وجوه أخر أدق وهو ان الأبواب هو الذي يرجع عن متابعة
 هواه في الاقبال على ما سواه والحفيظ هو الذي اذا ذكره بأشرف فواه لا يتركه فيكمل بها
 تقواه ويكون هذا تفسيرا للمعنى لان المتقى هو الذي اتقى الشرك والتعطيل ولم يتركه
 ولم يعترف بغيره والأبواب هو الذي لا يعترف بغيره ويرجع عن كل شيء غير الله تعالى والحفيظ
 هو الذي لم يرجع عنه الى شيء مما عداه * ثم قال تعالى (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب
 منيب) وفي من وجوه أحدها وهو أغربها انه منادى كأنه تعالى قال يا من خشى الرحمن
 ادخلوها بسلام وحذف حرف النداء شائع وثانيها من يدل عن كل في قوله تعالى لكل أبواب
 من غير إعادة حرف الجر تقديره أزلقت الجنة لمن خشى الرحمن بالغيب ثالثها في قوله تعالى
 أبواب حفيظ موصوف معلوم غير مذكور كأنه يقول لكل شخص أبواب أو بعداً وغير ذلك
 فقوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب يدل عن ذلك الموصوف هذه وجوه ثلاثة ذكرها
 الزمخشري وقال لا يجوز أن يكون بدلا عن أبواب أو حفيظ لان أبواب وحفيظ قد ووصف
 به موصوف معلوم غير مذكور كما بيناه والبديل في حكم البديل منه فتكون من موصوفاتها
 ومن لا يوصف بها الا يقال الرجل من جاءني جالسني كما يقال الرجل الذي جاني جالسني هذا
 تمام كلام الزمخشري فان قال قائل اذا كان من والذي يشتركان في كونهما من الموصولات
 فلماذا لا يشتركان في جواز الوصف بهما نقول الامر معقول بلبسته في ما ومنه يبين الامر فيه
 فنقول ما اسم مبهم يقع على كل شيء ففهمه هوشى لكن الشيء هو اعم الاشياء فان الجوهر
 شيء والعرض شيء والواجب شيء والممكن شيء والاعم قبل الاخص في الفهم لانك اذا رأيت
 من البعد شيئا تقول أولا انه شيء ثم اذا نظرتك منه ما يخص بالناس تقول انسان فاذا
 بان لك انه ذكر قلت هو رجل فاذا وجدته ذاقوة تقول شجاع الى غير ذلك فالاعم اعرف
 وهو قيل الاخص في الفهم ففهم ما قبل كل شيء فلا يجوز أن يكون صفة لان الصفة بعد
 الموصوف هذا من حيث المفعول وأما من حيث النحو فلان الحقائق لا يوصف بها فلا
 يقال جسم رجل جاني كما يقال جسم ناطق جاني لان الوصف يقوم بالموصوف والحقيقة

هذا ما وعدنا الله
 ورسوله ويجوز أن يكون
 ذلك لتذكير الخبر وقيل
 هو اشارة الى الثواب
 وقيل الى مصدر أزلقت
 وقرئ يوعدون والجملة
 اما اعتراض بين البديل
 والمبديل منه واما مقدر
 بقول هو حال من المتقين
 أو من الجنة والسائل
 أزلقت أي مقولا لهم
 أو مقولا في حقها هذا
 ما توعدون (لكل أبواب)
 أي رجاء الى الله تعالى
 يدل من المتقين باعادة
 الجار (حفيظ) حافظ
 لتوبته من التقص وقيل
 هو الذي يحفظ ذنوبه
 حتى يرجع عنها ويستغفر
 منها وقيل هو الحافظ
 لاوامر الله تعالى وقيل
 لما استودعه الله تعالى
 من حنونه (من خشى
 الرحمن بالغيب وجاء
 بقلب منيب)

تقوم بنفسها لا بغيرها وكل ما يقع وصفا لاغير يكون معناه شئ له كذا فقولنا علم معناه شئ له علم أو عالمة فيدخل في مفهوم الوصف شئ مهم أمر آخر وهو له كذا لكن المجرى شئ فلا يوجد فيه ما يتم به الوصف وهو الأمر الآخر الذي معناه ذو كذا فلم يجز أن يكون صفة وإذا بان القول فن في العلاء كما في غيرهم وفيهم فن معناه انسان أو ملك أو غيرهما من الحقائق العاقلة والحقائق لانتم صفات وأما الذي يقع على الحقائق والأوصاف ويدخل في مفهومه تعريف أكثر ما يدخل في مجاز الوصف بما دون من * وفي الآية اطائف معنوية (الاولى) الخشية والخوف معناه واحد عند أهل اللغة لكن بينهما فرق وهو ان الخشية من عظمة الخشى وذلك لان تركيب حروف خ ش ي في تعاليلها يلزمه معنى الهيبة يقال شيخ السيد والرجل الكبير السن وهما جميعا مهيبان والخوف خشية من ضعف الخاشي وذلك لان تركيب حروف وف في تعاليلها يدل على الضعف تدل عليه الخيفة والخفية ولو لا قرب معناه لما ورد في القرآن تضرعا وخيفة وتضرعا وخفية والخفي فيه ضعف كالحائفة اذا علمت هذا تبين لك العظيمة وهي ان الله تعالى في كثير من المواضع ذكر لفظ الخشية حيث كان الخوف من عظمة الخشى قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله فان الجبل ليس فيه ضعف يكون الخوف من ضعفه وانما الله عظيم يخشاه كل قوى وهم من خشية ربهم مشفقون مع ان الملائكة أقوىاء وقال تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه أى تخافهم اعظاما لهم اذ لا ضعف فيك بالنسبة اليهم وقال تعالى لا تخف ولا تحزن أى لا تخف ضعفا فانهم لا عظمة لهم وقال يخافون يوما حيث كان عظمة اليوم بالنسبة الى عظمة الله ضعيفة وقال لا تخافوا ولا تحزنوا أى بسبب مكروه يلحقكم من الآخرة فان المكروهات كلها مدفوعة عنكم وقال تعالى خائفات يرتقب وقال انى أخاف أن يقلون اوحده وضعفه وقال هرون انى خشيت لعظمة موسى في عين هرون لا اضعف فيه وقال فخشيننا أن يرهتمها طغيانا وكفرا حيث لم يكن اضعف فيه وحاصل الكلام انك اذا تأملت استعمال الخشية وجدتها مستعملة لخوف بسبب عظمة الخشى واذا نظرت الى استعمال الخوف وجدته مستعملا لخشية من ضعف الحائفة وهذا في الاكثر وربما يتخلف المدعى عنه لكن الكثرة كافية (الثانية) قال الله تعالى ههنا خشى الرحمن مع ان وصف الرحمة غالبا يقابل الخشية اشارة الى مدح النبي حيث لم تمنعه الرحمة من الخوف بسبب العظمة وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله اشارة الى ذم الكافر حيث لم تحمله الاوهية التي تنبئ عنها لفظة الله وفيها العظمة على خوفه وقال انما يخشى الله من عباده العلماء لان انما المحصر فكان فيه اشارة الى أن الجاهل لا يخشاه فذكر الله ليعين ان عدم خشيته مع قيام المقضى وعدم المانع وهو الرحمة وقد ذكرنا ذلك في سورة يس وزيد ههنا شيا آخر وهو ان نقول لفظة الرحمن اشارة الى مقضى الخشية لا الى المانع

بدل بعد بدل أو بدل
من موصوف أو اب
ولا يجوز أن يكون في
حكمه لان من لا يوصف
به ولا يوصف الا
بالذى أو مبتدأ خبره

وذلك لان الرحمن معناه واهب الوجود بالخلق والرحيم واهب البقاء بالرزق وهو في الدنيا
رحمان حيث أوجدنا بالرحمة ورحيم حيث ابقي بالرزق ولا يقال لغيره رحيم لان البقاء بالرزق
قد يظن ان مثل ذلك يأتي من بطعم المضطرب فيقال فلان هو الذي ابقي فلانا وهو في الآخرة
أبضا رحمان حيث يوجدنا ورحيم حيث يرزقنا وذكرنا ذلك في تفسير الفاتحة حيث قلنا
قال بسم الله الرحمن الرحيم اشارة الى كونه رحمانا في الدنيا حيث خلقنا رحيمًا في الدنيا
حيث رزقنا رحمة ثم قال مرة أخرى بعد قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم أي هو
رحمن مرة أخرى في الآخرة بمخلقة ثانياً واستدليننا عليه بقوله بعد ذلك مالك يوم الدين أي
يخلقنا ثانياً ورحيم يرزقنا ويكون هو المالك في ذلك اليوم اذا علمت هذا فن يكون منه
وجود الانسان لا يكون خوفه خشية من غيره فان القائل يقول لغيره أخاف منك أن تقضم
رزقي أو تبذل حياتي فاذا كان الله تعالى رحمانا منه الوجود ينبغي أن يخشى فان من يده
الوجود بيده العدم وقال صلى الله عليه وسلم خشية الله رأس كل حكمة وذلك لان الحكيم
اذا تفكر في غير الله وجدته محل التعجب يجوز عليه العدم في كل طرفة عين وربما يقدره الله
عدمه قبل أن يتمكن من الاضرار لان غير الله ان لم يقدر الله أن يضر لا يقدر على الضرر
وان قدر عليه بتقدير الله فسيؤول الضرر بموت المعذب أو المعذب وأما الله تعالى فلا
راد لما أراد ولا آخر لعذابه وقال تعالى يا غيب أي كانت خشيتهم قبل ظهور الامور
حيث ترى رأي العين وقوله تعالى وجاء بقلب منيب اشارة الى صفة مدح أخرى وذلك لان
الخاشي قسريهرب وبتك القرب من الخشي ولا يذقم واذا علم الخشي انه تحت حكمه تعالى
علم انه لا ينفعه الهرب فيأتي الخشي وهو خاش فقال وجاء ولم يذهب كما يذهب الآبق
وقوله تعالى بقلب منيب الباء فيه محتمل وجوها ذكرناها في قوله تعالى وجاءت سكرة الموت
بالحق أحدها التعدية أي أحضر قلباً سليماً كما يقال ذهب به اذا أذهب ثابته المصاحبة
يقال اشترى فلان الفرس بسرجه أي مع سرجه وجاء فلان بأهله أي مع أهله بالثاء وهو
أعرفها الباء للسبب يقال ما أخذ فلان الابول فلان وجاء بالرجاء له فكانه تعالى قال جاء
وما جاء الا بسبب انابته في قلبه علم انه لا مرجع الا الى الله فجاء بسبب قلبه المنيب والقلب
المنيب كالقلب السليم في قوله تعالى اذ جاء به بقلب سليم أي سليم من الشرك ومن سلم من
الشرك بتك غير الله ويرجع الى الله فكان منيباً ومن أناب الى الله برى من الشرك فكان
سليماً ثم قال تعالى (ادخلوها بسلام) فالضمير عائداً الى الجنة التي في وأزلقت الجنة أي
لما تكامل حسنهما وقر بها وقيل لهم انهما منكم بقوله هذا ما توعدون اذن لهم في دخولها
وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الخطاب مع من تقول ان قرى ما توعدون باناء فهو ظاهر
لا يخفى ان الخطاب مع الموعودين وان قرى بالياء فالخطاب مع المتقين أي يقال للمتقين
ادخلوها (المسئلة الثانية) هذا يدل على ان ذلك يتوقف على الاذن وفيه من الانتظار
ما لا يليق بالاكرام تقول ليس كذلك فان من دعا مكرماً الى بستانه يفتح له الباب ويجلس

(ادخلوها) بتأويل
يقال لهم ادخلوها
والجمع باعتبار معنى من
وقوله تعالى بالغيب متعلق
بمخدوف هو حال من
فاعل خشى أو مفعوله
أو صفة لمصدره أي
خشية متلبسة بالغيب
حيث خشى عقابه وهو
غائب عنه أو هو غائب
عن الاعين لا يراه احد
والعرض لعنوان
الرحمانية الاشارة بانهم
مع خشيتهم عقابه
راجوز رحته أو بان
علمهم بسعة رحته تعالى
لا يصددهم عن خشيته
تعالى وانهم حاملون
بموجب قوله تعالى نبى
عبادى انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو
العذاب الايم ووصف
القلب بالانابة لسان
العبرة برجوعه الى الله
تعالى (بسلام) متعلق
بمخدوف هو حال من
فاعل ادخلوها أي
متلبسين بسلامة من
العذاب وزوال النعم
او بسلام من جهة
الله تعالى وملائكته

في موضعه ولا يقف على الباب من روجه ويقول اذا بلغت بستاني فادخله وان لم يكن هناك احد يكون قد ادخل باكرامه بخلاف من يقف على بابه قوم يقولون ادخل باسم الله يدل على الاكرام قوله تعالى بسلام كما يقول المضيف ادخل مصاحبا بالسلامة والسعادة والكرامة والباء للمصاحبة في معنى الحال اي سالمين مقرنين بالسلامة او معناه ادخلوها مسلما ما يكرم بسلام الله وملائكته عليكم ويحتمل عندي وجهها آخر وهو ان يكون ذلك ارشادا للمؤمنين الى مكارم الاخلاق في ذلك اليوم كما ارشدوا اليها في الدنيا حيث قال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها فكانه تعالى قال هذه داركم ومزلكم ولكن لا تتركوا حسن عادتكم ولا تدخلوا بكارم اخلاقكم فادخلوها بسلام و يصبحون سلاما على من فيها و يسلم من فيها عليهم ويقولون السلام عليكم ويدل عليه قوله تعالى الا قليلا سلاما سلاما اي يسلمون على من فيها و يسلم من فيها عليهم وهذا الوجه ان كان منقولا فنع وان لم يكن منقولا فهو مناسب معقول ايده دليل مقول (ذلك يوم الخلود) حتى لا يدخل في قلبهم ان ذلك ربما ينقطع عنهم فتبقى في قلبهم حسرتة فان قيل المؤمن قد علم انه اذا دخل الجنة خلد فيها فالقائدة في التذكير والجواب عنه من وجهين أحدهما ان قوله ذلك يوم الخلود قول قاله الله في الدنيا اعلاما واخبارا وليس ذلك قولا يقوله عند قوله ادخلوها فكانه تعالى اخبرنا في يومنا ان ذلك اليوم يوم الخلود نائيهما اطمئنان القلب بالقول أكثر قال الزمخشري في قوله يوم الخلود اضمار تقديره ذلك يوم تقدير الخلود ويحتمل ان يقال اليوم يذكر ويراد الزمان المطلق سواء كان يوما أو ليلا تقول يوم يولد لفلان ابن يكون السرور العظيم واوولده بالليل لكان السرور حاصلا فتريده الزمان فكانه تعالى قال ذلك زمان الاقامة الدائمة ثم قال تعالى (لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) وفي الآية ترتيب في غاية الحسن وذلك لانه تعالى بدأ ببيان اكرامهم حيث قال وأزلفت الجنة للمتقين ولم يقل قرب المتقون من الجنة بيانا للاكرام حيث جعلهم من تنقل اليهم الجنان بما فيها من الحسان ثم قال لهم هذا لكم بقوله هداياتهم دون ثم بين انه أجر أعمالهم الصالحة بقوله لكل أبواب حفيظ وقوله من خشى الرحمن فان تصرف المالك الذي ملك شيئا بعوض أتم فيه من تصرف من ملك بغير عوض لا يمكن الرجوع في التملك بغير عوض ثم زاد في الاكرام بقوله ادخلوها كما بينا ان ذلك اكرام لان من فتح بابه للناس ولم يقف بابه من رجب الداخلين لا يكون قد أتى بالاكرام التام ثم قال ذلك يوم الخلود أي لا تخافوا ما لحقكم من قبل حيث أخرج أبو بكر منها فهدا دخول لا خروج بعده منها ثم لما بين أنهم فيها خالدون قال لا تخافوا انقطاع أرزاقكم وبقاءكم في حاجة كما كنتم في الدنيا من كان يعمر ينكس ويحتاج بل لكم الخلود ولا يتقدمت معون به فلكم ما تشاؤون في أي وقت تشاؤون والى الله المنتهى وهذا الوصول اليه والمثول بين يديه فلا يوصف ما لديه ولا يطلع أحد عليه وعظمة من عنده بذلك

(ذلك) اشارة الى الزمان
 الممتد الذي وقم في
 بعض منه ما ذكر من
 الامور (يوم الخلود) اذ لا
 اتساءله أبدا (لهم ما
 يشاؤون) من فتون
 المطالب كأننا ما كان
 (فيها) متعلق يشاؤون
 وقيل محذوف هو حال
 من الوصول أو من عائدة
 المحذوف من صلته
 (ولدينا مزيد) هو ما
 يخطر ببالهم ولا يتدرج
 تحت مشيتهم من معالي
 الكرامات التي لا عين
 رأت ولا أذن سمعت ولا
 خطر على قلب بشر
 وقيل ان الصحاب تمر
 باهل الجنة فقتلهم
 الحور فقول نحن المزيد
 الذي قال تعالى ولدينا
 مزيد

(وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل قومك (من قرنهم أشد منهم) ﴿٦٤٢﴾ بطشا) أي قوة كعاد وأضرابها (فتقبوا)

على فضيلة ما عنده هذا هو الترتيب وأما التفسير ففيه مستثنان (المسئلة الأولى) قال تعالى ادخلوها بسلام على سبيل المخاطبة ثم قال لهم ولم يقل لكم ما الحكمة فيه الجواب عنه من وجوه الأول هو أن قوله تعالى ادخلوها مقدر فيه يقال لهم أي يقال لهم ادخلوها فلا يكون على هذا التقاطع الثاني هو أنه من باب الالتفات والحكمة الجمع بين الطرفين كأنه تعالى يقول أكرمهم به في حضورهم ففي حضورهم الجبور وفي غيبتهم الجور والقصور والثالث هو أن يقال قوله تعالى لهم جاز أن يكون كلاما مع الملائكة يقول للملائكة توكلوا بخدمة ربهم واعلموا أن لهم ما يشاؤون فيها فأحضروا بين أيديهم ما يشاؤون وأما أنا فعندي ما لا يخفى بيالهم ولا يتمدرون أتم عليه (المسئلة الثانية) قد ذكرنا أن لفظ مزيد يحتمل أن يكون معناه الزيادة فيكون كافي قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل أن يكون بمعنى المفعول أي عندنا ما زينه على ما رجون وما يكون مما يشتهون * ثم قال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرنهم أشد منهم بطشا) لما أئذهم بما بين أيديهم من اليوم العظيم والعذاب الأليم أئذهم بما يحتمل لهم من العذاب المهلك والاهلاك المدرك وبين لهم حال من تقدمهم وقد تقدم تفسيره في مواضع والذي لا يخفى بهذا الموضوع أمور (أحدها) إذا كان ذلك للجمع بين الأندار بالعذاب العاجل والعقاب الآجل فلم توسطهما قوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين إلى قوله ولدينا مزيد نفول ليكون ذلك دواء بالخوف والطمع فذكر حال الكفور المعاند وحال الشكور العابد في الآخرة ترهيبا وترغيبا ثم قال تعالى ان كنتم في شك من العذاب الأبدى الدائم فأنتم في ريب من العذاب العاجل المهلك الذي أهلك أمثالكم فان قيل فلم يجمع بين الترهيب والترغيب في العاجلة كما جمع بينهما في الآجلة ولم يذكر حال من أسلم من قبل وأنعم عليه كما ذكر حال من أشرك به فاهلكه نقول لأن النعمة كانت قد وصلت إليهم وكانوا متقربين في النعم فلم يذكرهم به وإنما كانوا غافلين عن الهلاك فانذرهم به وأما في الآخرة فكانوا غافلين عن الأمرين جميعا فآخبرهم بها (الثاني) * قوله تعالى (فتقبوا في البلاد) في معناه وجوه أحدها هو ما قال تعالى في حق قوم الذين جاؤا الصخر بالواد من قوتهم خرخوا الطرق وتقبوها وقطعوا الصهور وتقبوها (ثانيها) تقبوا أي ساروا في الاسفار ولم يجدوا ملجأ لهم بها وعلى هذا يحتمل أن يكون المراد أهل مكة أي هم ساروا في الاسفار ورأوا ما فيها من الآثار (ثانيها) فتقبوا في البلاد أي صاروا نقباء في الأرض أراد ما أفادهم بطشهم وقوتهم ويدل على هذا الفاء لأنها تصير حينئذ مفيدة ترتب الأمر على مقتضاه تقول كان زيد أقوى من عمرو فقلبه وكان عمرو أيضا فقلبه زيد كذلك ههنا قال تعالى هم أشد منهم بطشا فصاروا نقباء في الأرض وقرى فتقبوا بالتشديد وهو أيضا يدل على ما ذكرنا في الوجه الثالث لأن التقبب البحث وهو من تقب بمعنى صار تقبيا الثالث * قوله تعالى (هل من محيص) يحتمل وجوها ثلاثة (الأول) على قراءة من قرأ بالتشديد يحتمل أن يقال هو مفعول أي بحثوا عن المحيص

(البلاد) أي خر قوا فيها ودوخوا وتصرفوا في أقطارها أو جالوا في أكناف الأرض كل مجال حذار الموت وأصل التقيب والتقب التتبع عن الأمر والبحث والطلب والفاء للدلالة على أن شدة بطشهم أقدرتهم على التقيب لا قبل هي عاطفة في المعنى كأنه قبل اشتد بطشهم فتقبوا الخ وقرى بالتخفيف (هل من محيص) أي هل لهم من مخلص من أمر الله تعالى والجملة أما على أخصار قول هو حال من واوتقبوا أي فتقبوا في البلاد قائلين هل من محيص أو على إجراء التقيب لما فيه من معنى التتبع والتغيب مجرى القول أو هو كلام مستأنف واردان في أن يكون لهم محيص وقيل ضمير تقبوا الأهل مكة أي ساروا في مسائرهم وأسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤموا مثله لأنفسهم ويعضده القراءة على صيغة الأمر وقرى فتقبوا بكسر القاف من التقب وهو أن يتقب خف البعير أي أكثروا السير حتى تقبت أقدامهم أو أخفافهم * هل

فتقبوا بكسر القاف من التقب وهو أن يتقب خف البعير أي أكثروا السير حتى تقبت أقدامهم أو أخفافهم * هل

هل من محبص (الثاني) على القرآت جميعا استفهام بمعنى الانكار أى لم يكن لهم محبص
 (الثالث) هو كلام مستأنف كأنه تعالى يقول لقوم محمد صلى الله عليه وسلم هم أهل الكوا
 مع قوة بطشهم فهل من محبص لكم تعتمدون عليه والمحبص كالمحبذ غير ان المحبص معدل
 ومهرب عن الشدة يدلك عليه قوالهم وقوموا في حبص ييىص أى فى شدة وضيق والمحبذ
 معدل وان كان لهم بالاختيار يقال حاد عن الطريق نظرا ولا يقال حاض عن الامر نظرا
 ثم قال تعالى (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) الاشارة الى الاهلاك ويحتمل ان يقال
 هو اشارة الى ما قاله من ازلاف الجنة ومل جحيم وغيرهما والذكرى اسم مصدر هو التذكر
 والتذكرة وهى فى نفسها مصدر ذكره يذكره ذكر او ذكرى وقوله ان كان له قلب قيل المراد
 قلب يوسف يا وهى أى ان كان له قلب واع يقال لفلان مال أى كثير فالتكبير بدل على
 معنى فى الكمال والاولى ان يقال هو لبيان وضوح الامر بعد التذكر وأن لا يخفاء فيه لمن
 كان له قلب ما ولو كان غير كامل كما يقال أعطه شيا ولو كان درهما ونقول الجنة لمن عمل
 خيرا ولو حسنة فكانت له تعالى قال ان فى ذلك لذكرى لمن يصح ان يقال له قلب وحينئذ
 لا يتذكر لا قلب له أصلا كما فى قوله تعالى صم بكم عمى حيث لم تكن آذانهم وألسنتهم
 وأعينهم مفيدة لما يطلب منها كذلك من لا يتذكر كأنه لا قلب له ومنه قوله تعالى أو تلك
 كالانعام بل هم اضل أى هم كالجماد وقوله تعالى كأنهم خشب مسندة أى لهم صور وليس
 لهم قلب للتذكر ولا لسان ناشكر* وقوله تعالى (أو اتى السمع وهو شهيد) أى استمع والقاء
 السمع كناية فى الاستماع لان من لا يسمع فكانت له حفظ سمعه وامسكه فاذا ارسله حصل
 الاستماع فان قيل على قول من قال التكبير فى القلب للتكثير يظهر حسن ترتيب فى قوله
 أو اتى السمع وذلك لانه يصير كأنه تعالى يقول ان فى ذلك لذكرى لمن كان ذا قلب واع ذكى
 يستخرج الامور بذكائه أو اتى السمع ويستعم من المذرفيتذكر وأما على قولك المراد من
 صح ان يقال له قلب ولو كان غير واع لا يظهر هذا الحسن نقول على ما ذكرنا بما يكون
 الترتيب أحسن وذلك لان التقدير يصير كأنه تعالى قال فيه ذكرى لكل من كان له قلب
 ذكى يستمع ويتعلم ونحن نقول الترتيب من الادنى الى الاعلى كأنه يقول فيه ذكرى لكل
 واحد كيف كان قلبه اظهروا الامر فان كان لا يحصل لكل أحد فلن يستعم حاصل ويؤيد
 ما ذكرناه قوله تعالى أو اتى السمع حيث لم يقل أو استمع لان الاستماع ينبى عن طلب زائد
 وأما القاء السمع فعناه ان الذكرى حاصلة لمن لا يمسك سمعه بل يرسله ارسالا وان لم يقصد
 السماع كالسامع فى الصوت الهائل فانه يحصل عند مجرد قبح الاذن وان لم يقصد السماع
 والصوت الخفى لا يسمع الا بالاستماع وتطلب فنقول الذكرى حاصلة لمن كان له قلب كيف كان
 قلبه اظهروا فان لم تحصل فلن له اذن غير مسدودة كيف كان حاله سواء استمع باجتهاد أو لم
 يجتهد فى سماعه فان قيل فقوله تعالى وهو شهيد للحال وهو يدل على أن القاء السمع مجردة
 غير كافى نقول هذا يصح ما ذكرناه لانا قلنا بان الذكرى حاصلة لمن له قلب ما فان لم يحصل له

(ان فى ذلك) أى فيما
 ذكر من قصصهم وقيل
 فيما ذكر فى السورة
 (لذكرى) لئذ كرهة
 وعظمة (لمن كان له
 قلب) أى قلب سليم
 يدرك به كدم ما شاءه
 من الامور ويتفكر فيها
 كما ينبغي فان كان له
 ذلك يعلم أن مدار
 دمارهم هو الكفر فيرتد
 عنه بمجرد مشاهدته
 الاثمار من غير تكبير
 (أو اتى السمع) أى الى
 ما ينلى عليه من الوحي
 الناطق بما جرى عليهم
 فان من فعله يقف على
 جلية الامر فينجز عما
 يؤدى اليه من الكفر
 فكلمة أو تمنع الخلودون
 الجمع فان القاء السمع
 لا يجدى بدون سلامة
 القلب كما يلوح به قوله
 تعالى (وهو شهيد)
 أى حاضر بفطنته لان
 من لا يحضر ذهنه
 فكانت غائب ونجريد
 القلب عما ذكر من
 الصفات الايدان بان
 من عرى قلبه عنها
 كن لا قلب له أصلا

فمحصله اذا اتى السمع وهو حاضر بيانه من القلب وأما على الاول فعنه من ليس له قلب
واع يحصل له الذكر اذا اتى السمع وهو حاضر بقلبه فيكون عند الحضور بقلبه يكون له
قلب واع وقد فرض عدمه هذا اذا قلنا بان قوله وهو شهيد بمعنى الحال واذا لم نقل به فلا
يرد ما ذكر وهو يتحمل خبر ذلك بيانه هو ان يقال ذلك اشارة الى القرآن وتقر به هو ان الله
تعالى لما قال في أول السورة ق وان القرآن المجيد بل بحجبه ان جاءهم منذر منهم وذكر ما يدفم
تعجبهم و بين كونه منذرا صادقا وكون المشرك أمرا واقعا ورغب وأرهب بالثوب والعذاب
آجلا و عاجلا وأتم الكلام قال ان في ذلك أي اشارة الى الذي سبق ذكره لذكرى لمر له قلب
أول من يستمع ثم قل وهو شهيد أي المنذر الذي تعجبتم منه شهيد كما قال تعالى انما أرسلناك
شاهدا وقال تعالى ليكون الرسول عليكم شهيدا ثم قال تعالى (وان قد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) اعاد الدليل مرة أخرى وقد ذكرنا
تفسير ذلك في الم السجدة وقلنا ان الاجسام ثلاثة اجناس أحدها السموات ثم حركها
وخصصها بامور ومواضع وكذلك الارض خلقها ثم دحاها وكذلك ما بينهما ما خلق أعيانها
وأصنافها في ستة أيام اشارة الى ستة أطوار والذي يدل عليه ويقره هو ان المراد من
الايام لا يمكن ان يكون هو المفهوم في وضع اللغة لان اليوم عبارة في اللغة عن زمان مكث
الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس ولا قر
لكن اليوم بطاق ويراد به الوقت يقال يوم يولد للملك ابن يكون سرور عظيم ويوم يموت
فلان يكون حزن شديد وان اتفقت الولادة أو الموت لبلدين في ذلك ويدخل في مراد
العاقل لانه أراد باليوم مجرد الحين والوقت اذا علمت الحال من اضافة اليوم الى الافعال
فانهم ما عند اطلاق اليوم في قوله ستة أيام وقال بعض المفسرين المراد من الآية الرد على
اليهود حيث قالوا ابدأ الله تعالى خالق العالم يوم الاحد وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة
واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى وما مسنا من لغوب رداع عليهم والظاهر
ان المراد الرد على الشرك والاستدلال بخلق السموات والارض وما بينهما وقوله تعالى
وما مسنا من لغوب أي ما تعينا بالخلق الاول حتى لا نقدر على الاعادة ثانيا والخلق الجديد
كما قال تعالى أفبيننا بالخلق الاول وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو اما تحريف
منهم أول يعلموا تأويله وذلك لان الاحد والاثني ازمته متميز بعضها عن بعض فلو كان خلق
السموات ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان متحققا قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن
الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام آخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب
الفلاسفة ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاق فان الفلاسفة لا يثبت لله
تعالى صفة أصلا ويقول بان الله تعالى لا يقبل صفة بل هو واحد من جميع الوجوه فعلمه
وقدرته وحياته هو حقيقة وعينه وذاته والمشبهى يثبت لله صفة الاجسام من الحركة
والسكون والاستواء والجلوس والصعود والتزول فبينهما منافاة ثم ان اليهود في هذا

(وان قد خلقنا السموات
والارض وما بينهما)
من أصناف مخلوقات
(في ستة أيام وما مسنا)
بذلك مع كونه مما لا يبق
به القوى والقدر
(من لغوب) من اعيانها
ولا تعب في الجملة
وهذا رد على جملة
اليهود في زعمهم أنه
تعالى بدأ خلق العالم
يوم الاحد وفرغ منه
يوم الجمعة واستراح
يوم السبت واستلقى
على العرش سبحانه
وتعالى عما يقولون علوا
كبرا

الكلام جمعا بين المسئلتين فأخذوا بمذهب الفلاسفة في المسئلة هي اخص المسائل بهم وهي القدم حيث أثبتوا قبل خلق الاجسام أياما معدودة وأزمنة محدودة وأخذوا بمذهب المشبهة في المسئلة التي هي اخص المسائل بهم وهي الاستواء على العرش فأخطوا وأضادوا في الزمان والمكان جميعا * ثم قال تعالى (فأصبر على ما يقولون) قال من تقدم ذكرهم من المفسرين انه معناه اسبر على ما يقولون من حديث العقب بالاستنقاء وعلى ما قلنا معناه اسبر على ما يقولون ان هذا الشيء عجيب وسبح بحمرك وماذا كرهناه أقرب لانه مذكور وذكر اليهود وكلامهم لم يجز * وقوله (وسبح بحمرك) يشمل وجوهها (احدها) ان يكون الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة فيكون كقوله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل * وقوله تعالى (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) اشارة الى طرفي النهار * وقوله (ومن الليل فسبحه) اشارة الى زلفا من الليل ووجه هذا هو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشغلان أحدهما عبادة الله وثانيهما اهداية الخلق فاذا هداهم ولم يشغلوا قبله أقبل على شئك الآخر وهو عبادة الخلق (ثانيا) سبح بحمرك أي تزهه عما يقولون ولا تسأم من امتناعهم بل ذكرهم بعظمة الله تعالى وتزهه عن الشرك والعجز عن الممكن الذي هو الحشر قبل الصلوع وقبل الغروب فانها وقت اجتماعهم ومن الليل فسبحه أي أوائل الليل فانه أيضا وقت اجتماع العرب ووجه هذا انه لا ينبغي ان تسأم من تكذيبهم فان الرسل من قبلك أو ذواو كذبوا وصبروا على ما كذبوا أو ذواو على هذا فقله تعالى (وأدبار السجود) فائدة جليلة وهي الاشارة الى ما ذكرنا ان شغل الرسول أمران العبادة والهداية فقله وأدبار السجود أي عقب ما سجدت وعبدت تزهه بك بالبرهان عند اجتماع القوم ليحصل لك العبادة بالسجود والهداية ادبار السجود (ثالثها) أن يكون المراد قل سبحان الله وذلك لان انفاظا معدودة جاءت بمعنى التنفط بكلامهم فقوانا كبر يعلق ويراد به قول انفاظ الله أكبر وسلم يراد به قوله السلام عليكم وحده يقال ان قال الحمد لله ويقال هلل لمن قال لا اله الا الله وسبح لمن قال سبحان الله ووجه ان هذه أمور تتكرر من الانسان في الكلام والحاجة تدعو الى الاخبار عنها فلو قال انفاظ فلان قال لا اله الا الله أو قال الله أكبر طول الكلام فست الحاجة الى استعمال لفظه واحدة مفيدة لذلك لعدم تكرر ما في الاول وأما مناسبة هذا الوجد للكلام الذي هو مفيد فهي أن تكذيبهم الرسول وتعجبهم من قوله أو استهزاءهم كان يوجب في العادة أن يشغل النبي صلى الله عليه وسلم بلمعتهم وسبهم والدعاء عليهم فقال فأصبر على ما يقولون واجعل كلامك بدل الدعاء عليهم التسبيح لله والحمد له ولا تكن كصاحب الحوت أو كمنوح عليه السلام حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا بل ادع الى ربك فاذا ضجرت عن ذلك بسبب اصرارهم فاشغل بذكر ربك في نفسك وفيه مباحث (الاول) استعمال الله التسبيح تارة مع اللام في قوله تعالى يسبح لله ويسبحون له وأخرى مع

فان من فعل هذه الافاعيل يلافتور قاهر على بهمهم والانتقام منهم أو ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والشبه (وسبح بحمرك) أي تزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه طامداله تعالى على ما أنعم به عليك من اصابة الحق وخيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة (ومن الليل فسبحه) وسبحه بعض الليل (وأدبار السجود) وأعقاب الصلوات جمع دبر وقرى بالكسر من أدبرت الصلاة اذا أنقضت وثبت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوات فليراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر بما من الليل العشاء آن والتسجد وما يصلى بادبار السجود التوافل بعد المكتوبات

الباء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم وسبح بحمدر بك وثالثه من غير حرف في قوله
 وسجد وقوله وسجوه بكرة وقوله سبح اسم ربك الاعلى فالفرق بينها نقول اما الباء فهي
 الهم بالتقديم اولى في هذا الموضع كقوله تعالى وسبح بحمدر بك فنقول اما على قولنا
 المراد من سبح قل سبحان الله فالياء للمصاحبة أي مقترنا بحمد الله فيكون كأنه تعالى قال
 قل سبحان الله والحمد لله وعلى قولنا المراد التنزيه لذلك أي نزهه واقترنه بحمد أي سجد
 واشكره حيث وقتك الله لتسبحه فان السعادة الابدية لمن سجد وعلى هذا فيكون
 المفعول غير مذكور لحصول العلم به من غير ذكر تقديره سبح الله بحمدر بك أي ملتبسا
 ومقترنا بحمدر بك وعلى قولنا صل نقول يحتمل ان يكون ذلك أمر ابقراءة الفاتحة في
 الصلاة يقال صلى فلان بشورة كذا أو صلى بقل هو الله أحد فكانه يقول صل بحمد الله
 أي مقروا فيها الحمد لله رب العالمين وهو أبعد الوجوه واما التعدية من غير حرف فنقول
 هو الاصل لان التسبيح يعدي بنفسه لان معناه تبييد من السوء واما اللام فيحتمل
 وجهين احدهما ان يكون كما في قول القائل نصحت ونصحت له وشكرته وشكرت له
 وثانيهما ان يكون لبيان الاظهر أي يسبحون الله وقلوبهم بوجه الله خالصة (البحث
 الثاني) قال ههنا سبح بحمدر بك ثم قال تعالى ومن الليل فسبحه من غير باء فالفرق
 بين الموضوعين نقول الامر في الموضوعين واحد على قولنا التقدير سبح الله مقترنا بحمدر بك
 وذلك لان سبح الله كقول القائل فسبحه غير ان المفعول لم يذكر اولاً لاندلالة قوله بحمدر بك
 عليه وثانياً لاندلالة ما سبق عليه لم يذكر بحمدر بك الجواب الثاني على قولنا سبح بمعنى صل
 يكون الاول أمراً بالصلاة والثاني أمراً بالتنزيه أي وصل بحمدر بك في الوقت وبالليل
 نزهه عما يليق وحينئذ يكون هذا اشارة الى العمل والذكر والفكر فقوله سبح اشارة
 الى خير الاعمال وهو الصلاة وقوله بحمدر بك اشارة الى الذكر وقوله ومن الليل فسبحه
 اشارة الى الفكر حين هدوا الاصوات وصفاء الباطن نزهه عن كل سوء بفكره واعلم انه
 لا يتصف الا بصفات الكمال ونعوت الجلال وقوله تعالى وادبار السجود قد تقدم بعض
 ما يقال في تفسيره ووجه آخر هو أنه اشارة الى الامر بادامة التسبيح فقوله بحمدر بك
 قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه اشارة الى أوقات الصلاة وقوله
 وادبار السجود يعني بعد ما فرغت من السجود وهو الصلاة فلا تترك تسبيح الله وتنزيهه
 بل داوم ادبار السجود ا يكون جميع أوقاتك في التسبيح فيفيد فائدة قوله تعالى واذكر
 ربك اذا نسيت وقوله فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب وقرئ وادبار السجود
 (البحث الثالث) الفاء في قوله تعالى فسبحه ما وجهها نقول هي تفيد تأكيد الامر
 بالتسبيح من الليل وذلك لانه يتضمن الشرط كأنه يقول وأما من الليل فسبحه وذلك لان
 الشرط يفيدان عند وجوده يجب وجود الجزاء وكأنه تعالى يقول النهار محل الاشتغال
 وكثرة الشواغل فاما الليل فمحل السكون والانقطاع فهو وقت التسبيح أو نقول بالعكس

الليل محل النوم والثبات والغفلة فقال اما الليل فلا تجمله للغفلة بل اذ كر فيه ربك وزهده
 (البحث الرابع) من في قوله ومن الليل يحتمل وجهين أحدهما ان يكون لا ابتداء الغاية
 أي من أول الليل فسبحه وعلى هذا فيلزم كرهه غاية لاختلاف ذلك بغلبة النوم وعدمها
 يقال انما من الليل أنتظرك ثانيهما ان يكون للتبعض أي اصرف من الليل طرفا إلى
 التسبيح يقال من مالك منع ومن الليل انتبه أي بهضد (البحث الخامس) قوله وادبار
 السجود عطف على ماذا نقول يحتمل أن يكون عطفا على ما قبل الغروب كأنه قال
 تعالى وسبح بحمديك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وادبار السجود وذ كر بينهما
 قوله ومن الليل فسبحه وعلى هذا ففيماذ كرنا من الفائدة وهي الامر بالمداومة كأنه قال
 سبح قبل طلوع الشمس واذا جاء وقت الفراغ من السجود قبل الطلوع فسبح وسبح قبل
 الغروب وبعد الفراغ من السجود قبل الغروب سبحة فيكون ذلك اشارة إلى صرف
 الليل إلى التسبيح ويحتمل أن يكون عطفا على ومن الليل فسبحه وعلى هذا يكون عطفا
 على الجار والمجرور جميعا تقديره وبعض الليل فسبحه وادبار السجود * ثم قال تعالى
 (واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب) هذا اشارة إلى بيان غاية التسبيح بمعنى اشتغل
 بتذرية الله وانتظر المنادى كقوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وفيه مسائل
 (المسئلة الاولى) ما الذي يستعمله فلنا يحتمل وجوه ثلاثة أحدها أن يترك مفعوله
 رأسا ويكون المتصور كمن مستعاولا تكن مثل هؤلاء المعرضين الغافلين يقال هو رجل
 سمع مطيع ولا يراد مسوع بعينه كما يقال فلان وكاس فلان يعطى ويمنع ثانيها استمع
 لما يوحى اليك ثالثها استمع نداء المنادى (المسئلة الثانية) يوم ينادى المناد منسوب إلى
 فعل تقول هو مبنى على المسئلة الاولى ان فلنا استمع لامفعول له فعامله ما يدل عليه
 قوله تعالى يوم الخروج تقديره يخرجون يوم ينادى المنادى وان فلنا مفعوله لما يوحى
 فتقديره واستمع لما يوحى يوم ينادى ويحتمل ما ذكرنا وجهها آخر وهو ما يوحى أي ما يوحى
 يوم ينادى المنادى اسمعه فان قيل استمع عطف على فاصبر وسبح وهو في الدنيا
 والاستماع يكون في الدنيا وما يوحى يوم ينادى المنادى لا يستمع في الدنيا تقول ليس
 بلازم ذلك لجواز أن يقال صل وادخل الجنة أي صل في الدنيا وادخل الجنة في العتبي
 فكذلك ههنا ويحتمل أن يقال بان استمع بمعنى انتظر فيحتمل الجمع في الدنيا وان فلنا
 استمع الصحيحة وهونداء المنادى يا عظام انتسرى والسؤال الذي ذكره علم الجواب منه
 وجواب آخر نقوله حينئذ وهو ان الله تعالى قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات
 ومن في الارض الا من شاء الله قلنا ان من شاء الله هم الذين علموا وقوع الصحيحة
 واستبقوا لها فلم تنزعهم كمن يرى برقاً أو مض وعلم ان عسيبه يكون رعد قوي فينظره
 ويستمع له وآخر ظننل فاذا رعد بقوة بما يغشى على الغافل ولا يثار منه المستمع فقال
 استمع ذلك كي لاتكون من يصعق في ذلك اليوم (المسئلة الثالثة) ما الذي ينادى المنادى

(واستمع) أي لما يوحى
 اليك من أحوال القيام
 وفيه تهويل وتفظيع
 للخبير به (يوم ينادى
 المنادى) أي اسرافيل
 أو جبريل عليهما السلام
 فيقول أيتها العظام
 البالية والمجوم المتزفة
 والشعور المنرفة ان الله
 يأمر كن أن تجتمعن
 لفصل القضاء وقيل
 اسرافيل ينفخ وجبريل
 ينادى بالحشر (من
 مكان قريب) بحيث
 يصل نداؤه إلى الكل
 على سواه وقيل من
 صخرة بيت المقدس وقيل
 من تحت اقدامهم وقيل
 من منابت شهورهم
 يسعم من كل شعرة ولعل
 ذلك في الاجادة مثل كن
 في البدء

نقول فيه وجوه محتملة منقولة معقولة وحصرها بأن نقول المنادى اما أن يكون هو الله تعالى أو الملائكة أو غيرهما وهم المكلفون من الانس والجن في الظاهر وغيرهم لا ينادى فان قلنا هو الله تعالى فيه وجوه أحدها ينادى احشروا الذين ظلموا وانزعاجهم ثانيها ينادى القيا في جهنم كل كفار عنيد مع قوله ادخلوها بسلام ومثله قوله تعالى خذوه فغلوه يدل على هذا قوله تعالى يوم يناد المناد من مكان قريب وقال واخذوا من مكان قريب ثالثة غيرهما بقوله تعالى يناديهم أين شركائي وغير ذلك واما على قولنا المنادى غير الله ففيه وجوه أيضا أحدها قول اسرافيل ايتهما العظام البالية اجتمعوا لتوصلوا واستمعوا للفصل ثانيها النداء مع النفس يقال للنفس ارجعي الى ربك لتدخلى مكانك من الجنة أو النار ثالثها ينادى مناد هو لاء الجنة وهؤلاء النار كما قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وعلى قولنا المنادى هو المكلف فيجتمعا ان يقال هو ما بين الله تعالى في قوله ونادوا يا مالك أو غير ذلك الا ان الظاهر ان المراد احد الوجهين الاولين لان قوله المنادى للتعريف وكون الملك في ذلك اليوم منادى معروف عرف حاله وان لم يجز ذكره فيقال قال صلى الله عليه وسلم وان لم يكن قد سبق ذكره وأما ان الله تعالى مناد فقد سبق في هذه السورة في قوله ألقيا وهذا نداء وقوله يوم تقول لجهنم وهونداء واما المكلف فليس كذلك وقوله تعالى من مكان قريب اشارة الى ان الصوت لا يخفى على أحد بل يستوى في استماعه كل أحد وعلى هذا فلا يبعد حمل المنادى على الله تعالى اذ ليس من المكان القريب نفس المكان بل ظهور النداء وهو من الله تعالى أقرب وهذا كما قال في هذه السورة ونحن أقرب اليك من جبل الوريد وليس ذلك بانسان ثم قال تعالى (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) هذا تحقيق ما بينا من الفائدة في قوله واستمع أى لا تكن من العاقلين حتى لا تصعق يوم الصيحة وبيانه هو انه قال استمع أى كن قبل أن تستمع مستبقة فلوقوعه فان السمع لا بد منه انت وهم فيه سواء فهم يسمعون لكن من غير استماع فيصعقون وانت تسمع بعد الاستماع فلا يؤثر فيك الاما لا بد منه و يوم يحتمل وجوها أحدها ما قاله الرخصى انه يدل من يوم في قوله واستمع يوم ينادى المنادى والعاقل فيهما الفعل الذى يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج أى يخرجون يوم يسمعون وثانيها ان يوم يسمعون العاقل فيه ما في قوله ذلك و يوم ينادى المنادى العاقل فيه ما ذكرنا ثالثها أن يقال استمع عامل في يوم ينادى كما ذكرنا وينادى عامل في يوم يسمعون وذلك لان يوم ينادى وان لم يجز أن يكون منصوبا بالمضاف اليه وهو ينادى لكن غيره يجوز أن يكون منصوبا به يقال اذ كرحال زيد ومذاته يوم ضرب به عمرو يوم كان عمرو والبا اذا كان القائل يريد بيان مذلة زيد عند ما صار زيد يكرمه بسبب من الاسباب فلا يكون يوم كان عمرو والبا منصوبا بقوله اذ كرحال لان غرض القائل التذليل بحال زيد ومذاته وذلك يوم الضرب لكن يوم كان عمرو ومنسوب بقوله ضرب به عمرو يوم كان والبا فكذلك

(يوم يسمعون الصيحة)
 يدل من يوم ينادى الخ
 وهى النفخة الثانية
 (بالحق) متعلق بالصيحة
 و العامل في الظرف
 ما يدل عليه قوله تعالى
 (ذلك يوم الخروج)
 أى يوم يسمعون الصيحة
 ملتبس بالحق الذى هو
 البعث يخرجون من
 القيور

همنا قال استمع يوم ينادى المنادى ثلاثون من يفرح و يصعق ثم بين هذا النداء بقوله
 ينادى المنادى يوم يسمعون أى لا يكون نداء خفياً بحيث لا يسمعه بعض الناس بل يكون
 نداؤه بحيث تكون نسبة الى من فى أقصى المغرب كمنسبته الى من فى المشرق وكذلك
 يسمعون ولا شك ان مثل هذا الصوت يجب ان يكون الانسان منهياً لاستماعه وذلك
 يشغل النفس بعبادة الله تعالى وذكره والتفكير فيه فظهر فائدة جليله من قوله فاصبر
 و سبح واستمع يوم ينادى المنادى و يوم يسمعون واللام فى الصيحة لتعريف وقد صرف
 حالها وذكرها الله مرارا كقضى قوله تعالى ان كانت الاصيحة واحدة وقوله فانما هى
 زجرة واحدة وقوله نفخة واحدة وقوله بالحق جازان يكون متعلقا بالصيحة أى الصيحة
 بالحق يسمعونها وعلى هذا ففيه وجوه (الاول) الحق الحشر أى الصيحة بالحشر وهو حق
 يسمونها يقال صاح زيدا قوم اجتمعوا على حد استعمال تكلم بهذا الكلام وتقديره
 حيثئذ يسمعون الصيحة بيا عظام اجتمعي وهو المراد بالحق (الثاني) الصيحة بالحق أى
 باليقين والحق هو اليقين يقال صاح فلان ييقن لابنن وتخمين أى وجد منه الصباح يقينا
 لا كالصدى وغيره هو يجرى مجرى الصفة للصيحة يقال استمع سماطاً يطلب وصاح صيحة
 بقوة أى قوية فكانه قال الصيحة المحققة (الثالث) ان يكون معناه الصيحة المقترنة بالحق
 وهو الوجود يقال كن فيتحقق ويكون ويقال اذهب بالسلامة وارجع بالسعادة أى
 مقرونا ومصحوبا فان قيل زدنا فان الباء فى الحقيقة للالصاق فكيف يفهم معنى
 الاصاق فى هذه المواضع نقول التعدية قد يتحقق بالباء يقال ذهب زيد على معنى الصق
 الذهب زيد فوجد قائما به فصار مفعولا فعلى قولنا المراد يسمعون صيحة من صاح بيا عظام
 اجتمعي هو تعدية المصدر بالباء يقال اعجبني ذهاب زيد بعمره وكذلك قوله الصيحة بالحق
 أى ارفع الصوت هل الحق وهو الحشر وله موعدين بينه فى موضع اخر ان شاء الله تعالى
 (الوجه) الثانى ان يكون الحق متعلقا بقوله يسمعون أى يسمعون الصيحة بالحق وفيه
 وجهان الاول هو قول القائل سمعته ييقن الثانى الباء فى يسمعون بالحق قسم أى يسمعون
 الصيحة بالله الحق وهو ضعيف وقوله تعالى ذلك يوم الخروج فيد وجهان أحدهما ذلك
 اشارة الى يوم أى ذلك اليوم يوم الخروج ثانيهما اشارة الى نداء المنادى * ثم قال
 تعالى (انا نحن نحبي ونميت والينا المصير) قد ذكرنا فى سورة يس ما يتعلق بقوله انا نحن
 وأما قوله نحبي ونميت فالمراد من الاحياء الاحياء أولا ونميت اشارة الى الموتة الاولى وقوله
 والينا بيان للحشر فقد سمعنا نحن تعريف عظمتة يقول القائل انا انا أى مشهور ونحبي
 ونميت أمور مؤكدة معنى العظمة والينا المصير بيان للمقصود * وقوله تعالى
 (يوم تشقى الارض عنهم سراعا) العامل فيه هو ما فى قوله يوم الخروج من الفعل أى
 يخرجون يوم تشقى الارض عنهم سراعا وقوله سراعا حال للخارجين لان قوله تعالى عنهم
 يفيد كونهم مفعولين بالتشقى فكان التشقى عند الخروج من التبر كما يقال كشف عند

(انا نحن نحبي ونميت)
 فى الدنيا من غير أن
 بشاركتنا فى ذلك أحد
 (والينا المصير) للجزاء فى
 الآخرة لا الى غيرنا
 لا استقلالاً ولا اشتراكاً
 (يوم تشقى الارض
 عنهم) بمخلف إحدى
 التائين من تشقى وفري
 بنشد يد الشين وتشقى
 على البناء للمفعول من
 التفعيل وتشقى (سراعا)
 مصرعين

فهو مكشوف عنه فيصير سراجاً هبته المفعول كأنه قال مسرعين والسراج جمع سريع
 كالكرام جمع كريم * قوله (ذلك حشر) يحتمل أن يكون إشارة إلى التشقق عنهم ويحتمل
 أن يكون إشارة إلى الإخراج المدلول عليه بقوله سراجاً ويحتمل أن يكون معناه ذلك
 الحشر حشر يسير لأن الحشر علم مما تقدم من الالفاظ * وقوله تعالى (علينا يسير)
 بتقديم الظرف يدل على الاختصاص أي هو علينا هين لا على غيرنا وهو إعادة جواب
 قولهم ذلك رجع بعيد والحشر الجمع ويوم القيامة جمع الاجزاء بعضها إلى بعض وجمع
 الارواح مع الاشباح أي يجمع بين كل روح وجسدها وجمع الامم المتفرقة والرم المتفرقة
 والكل واحد في الجمع * ثم قال تعالى (نحن أعلم بما يقولون) وما أنت عليهم بجبار فذكر
 بالقرآن من يخاف وعيد) فيه وجوه (أحدها) تسلياً لقلب النبي صلى الله عليه وسلم
 والمؤمنين وتخريصاً لهم على ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبر والتسبيح أي
 اشتغل بما قلناه ولا يشغلك الشكوى البينا فانا نعلم أقوالهم ونرى أعمالهم وعلى هذا قوله
 وما أنت عليهم بجبار مناسبه أي لا تقل بأنى أرسلت اليهم لاهديهم فكيف اشتغل بما
 يشغلني عن الهداية وهو الصلاة والتسبيح فانك ما بعثت مساطعاً على دواعيهم وقدرهم
 وانما أمرت بالتسبيح وقد بلغت فاصبر وسمع وانتظر اليوم الذي يفصل فيه بينكم (ثانيها)
 هي كلمة تهديد وتخويف لأن قوله والينا المصير ظاهر في التهديد بالعلم بعملكم لأن من يعلم
 ان امر جمعه إلى الملك ولكنه يعتقد ان الملك لا يعلم ما يفعله لا يتبع من التبائح اما اذا علم
 انه يعلم وعنده غيبه واليد عوده يتبع فقال تعالى والينا المصير ونحن اعلم وهو ظاهر في
 التهديد وهذا حينئذ كقوله تعالى ثم اليامر جمعكم فنتبئكم بما كنتم تعملون انه عليهم
 بذات الصدور (ثالثها) تقرير الحشر وذلك لانه لما بين ان الحشر عليه يسير لكمال قدرته
 ونفوذ ارادته ولكن تمام ذلك بالعلم الشامل حتى يميز بين جزئيين جزئياً بدن زيد وجزئياً بدن
 عمر وقال ذلك حشر علينا يسير لكمال قدرتنا ولا يخفى علينا الاجزاء لما كان علمنا وعلى هذا
 فقوله نحن أعلم بما يقولون معناه نحن نعلم عين ما يقولون في قولهم انذمتنا وكناترانا انذا
 ضللنا في الارض فيقول نحن نعلم الاجزاء التي يقولون فيها انها ضالة وخفية ولا يكون
 المراد نحن نعلم قواهم وفي الاول جاز أن تكون ما مصدرية فيكون المراد من قوله
 ما يقولون أي قواهم وفي الوجود الآخر تكون خبرية وعلى هذا الدليل فلا يصح قوله نحن
 اعلم اذا علم بتلك الاجزاء سواء حتى يقول نحن أعلم نقول قد علم الجواب عنه مراراً من
 وجوه (أحدها) أن أفعل لا يقتضي الاشتراك في أصل الفعل كما في قوله تعالى والله أحق
 أن نخشاه وفي قوله تعالى أحسن ندياً وفي قوله وهو أهون عليه (ثانيها) معناه نحن أعلم بما
 يقولون من كل عالم بما يعلمه والاول أصح وأظهر وأوضح وأشهر وقوله تعالى وما أنت
 عليهم بجبار فيه وجوه (أحدها) انه لا تسلياً أيضاً وذلك لانه لما من عليه بالاقبال على
 الشغل الاخرى وهو العبادة اخبر بأنه لم يصرف عن الشغل الآخر وهو البعث كما ان

(ذلك حشر) بعث
 وجمع وسوف (علينا
 يسير) أي هين وتقديم
 الجار والمجرور لتخصيص
 اليسر به تعالى (نحن
 أعلم بما يقولون) من نفي
 البعث وتكذيب الآيات
 الناطقة به وغير ذلك
 مما لا خيرة فيه (وما أنت
 عليهم بجبار) بتسلط
 تفسيرهم على الايمان
 أو تفعل بهم ما تريد
 وانما أنت مذكر (فذكر
 بالقرآن من يخاف وعيد)
 وأما من عداهم فممن
 تفعل بهم ما توجبه أقوالهم
 وتستدعيه أعمالهم من
 ألوان العقاب وقبوع
 العذاب * عن النبي عليه
 الصلاة والسلام من
 قرأ سورة نوح هون الله
 عليه ثارات الموت
 وسكراته

الملك اذا امر بعض عبيده بشغلين فظهر عجزه في احد هما يقول له اقبل على الشغل الآخر
منهما ونحن نبعث من يقدر على الذي عجزت عنه منهما فقال اصبر وسمع وما أنت بجبار
أى فما كان امتناعهم بسبب تجبر منك أو تكبر فاشأزوا من سوء خلقك بل كنت بهم
رؤفا وعليهم عطفوا وفاقوت وبلغت وامتعوا فاقبل على الصبر والتسبيح غير مصروف
عن الشغل الاول بسبب جبروتك وهذا في معنى قوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون الى
أن قال وانك لعلى خلق عظيم (ثانيها) هو بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بما عليه من
الهداية وذلك لانه أرسله منذرا وهدايا للملجأ ومجبرا وهذا كما في قوله تعالى وما أرسلناك
عليهم حففظ أى تحفظهم من الكفر والنار وقوله وما أنت عليهم فى معنى قول القائل اليوم
فلان علينا فى جواب من يقول من عليك اليوم أى من الوالى عليكم (ثالثها) هو بيان
لعدم وقت نزول العذاب بعد ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لما انذر واعدروا وظهر
ولم يؤمنوا كان يقول ان هذا وقت العذاب فقال نحن اعلم بما يقوون وما أنت عليهم
بسلط فقد كر بعد ابي ان لم يؤمنوا من بقى منهم من تعلم انه يؤمن ثم تسلط عليهم ويؤيد هذا
قول المفسرين ان الآية نزلت قبل نزول آية اقتال وعلى هذا فقوله فذكر بالقرآن من
يخاف وعيد أى من بقى منهم من يخاف يوم الوعيد وفيه وجوه آخر (احدها) اننا ينسا
فى احد الوجوه ان قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسمع معناه اقبل على العبادة ثم قال
ولا تترك الهداية بالكلية بل وذكرا المؤمنين فان الذكرى تنفع المؤمنين وأعرض عن
الجاهلين وقوله بالقرآن فيه وجوه (الاول) فذكر بما فى القرآن وانزل عليهم القرآن
يحصل لهم بسبب ما فيه المنفعة (الثانى) فذكر بالقرآن أى بين بانك رسول لكونه معجزا
واذا ثبت كونك رسولا لازمهم قبول قولك فى جميع ما تقول به (الثالث) المراد فذكر
بمقتضى ما فى القرآن من الاوامر الواردة بالتبليغ والتذكير وحيث يكون ذكر القرآن
لاستفاد النبي صلى الله عليه وسلم به أى اجعل القرآن امامك وذكرهم بما أخبرت فيه
بان تذكرهم وعلى الاول معناه انزل عليهم القرآن ليتذكروا بسببه وقوله تعالى من يخاف
وعيد من جملة ما بين كون الخشية دالة على عظمة المخشى أكثر ما يدل عليه الخوف
حيث قال يخاف عند ما جعل الخوف عذابه ووعيده وقال اخشوني عند ما جعل
الخوف نفسه العظيم وفى هذه الآية اشارة الى الاصول الثلاثة قوله وذكر اشارة
الى أنه مرسل مأمور بالتذكير منزل عليه القرآن حيث قال بالقرآن وقوله وعيد
اشارة الى اليوم الآخر وضمير المتكلم فى قوله وعيد يدل على الوحدة فانه لو قال
من يخاف وعيد الله كان يذهب وهم الجاهل الى كل صوب فلذا قال وعيدى والمتكلم
أعرف المعارف وأبعد عن الاشراف به وقبول الاشراف فيه وقد بينا فى أول السورة
أن أول السورة وآخرها متقاربان فى المعنى حيث قال فى الاول ق والقرآن المجيد
وقال فى آخرها فذكر بالقرآن * وهذا آخر تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين

* (سورة والذاريات
مكية وايهاستون) *
* (بسم الله الرحمن
الرحيم) * (والذاريات
ذروا) أى الرياح التى تذر
التراب وغيره وقرئ
باد غام التاء فى النال
(فالخاملات وقرأ) أى
السحب الحاملة للطر
أوال رياح الحاملة للسحب
وقرئ وقرأهلى تسمية
المحمول بالمصدر (فالجار
يات بسرا) أى السفن
الجارية فى البحر والرياح
الجارية فى مهاجها
أوالسحب الجارية فى
الجو بسوق الرياح أو
الكواكب الجارية فى
سماواتها ومنزلها وسرا
صفة لمصدر محذوف

وصلاته على خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد النبي وآله وصحبه وأزواجه
وذرياته أجمعين

(سورة الذاريات ستون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذاريات ذروا فلحاملات وقرأنا الجاريات يسرا فالقسيمات أمرا) أول هذه
السورة مناسب لاخر ما قبلها وذلك لانه تعالى لما بين الحشر بدلائله وقال ذلك حشر
علينا يسير وقال وما أنت عليهم بجبار أي تجبرهم وتلجئهم الى الايمان اشارة الى اصرارهم
على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم لم يبق الا اليقين فقال والذاريات ذروا
انما توعدون لصادق وأول هذه السورة وآخرها متناسبان حيث قال في أولها انما
توعدون لصادق وقال في آخرها فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون * وفي تفسير
الآيات مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا الحكمة وهي في القسم من المسائل الشريفة
والمطالب العظيمة في سورة والصفات ونعبيدها ههنا وفيها وجود (الاول) أن الكفار
كانوا في بعض الاوقات يعترفون بكون النبي صلى الله عليه وسلم غالبا في اقامة الدليل
وكانوا ينسبونه الى المجادلة والى أنه عارف في نفسه بفساد ما يقوله وانه يغلب بقوة الجدل
لا يصدق المقال كما أن بعض الناس اذا أقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة يقول انه
غلابي لعلمه بطريق الجدل وعجزى عن ذلك وهو في نفسه يعلم أن الحق بيدي فلا يبقى للمتكلم
المبرهن طريق غير اليقين فيقول والله ان الامر كما أقول ولا أجادلك بالباطل وذلك لانه
لو سلك طريقا آخر من ذكر دلائل آخر فاذا تم الدليل الآخر يقول الخصم فيه مثل ما قال
في الاول ان ذلك تقرير بقوة علم الجدل فلا يبقى الا السكوت أو التمسك بالايمان وترك
اقامة البرهان (الثاني) هو أن العرب كانت تعترف عن الايمان الكاذبة وتعتقد أنها تدع
الديار بلاقع ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من الايمان بكل شريف ولم يزد ذلك
الارفعة وثباتا وكان يحصل لهم العلم بأنه لا يخلف بها كاذبا ولا الاصابه شوتم الايمان
وناله المذكور في بعض الازمان (الثالث) وهو أن الايمان التي حلف الله تعالى بها كلها
دلائل أخرجها في صورة الايمان مثله قول التسائل لتعبد وحق نعمك الكثيرة اني
لأزال أشكرك فيذكر النعم وهي سبب مفيد لدوام الشكر ويسلك مسلك القسم كذلك
هذه الاشياء كلها دلائل على قدرة الله تعالى على الاعادة فان قيل فلم أخرجها من ايمان
نقول لان المتكلم اذا شرع في أول كلامه بحلف يعلم السامع أنه يريد أن يتكلم بكلام
عظيم فيصغى اليه أكثر من أن يصغى اليه حيث يعلم أن الكلام ليس معتبرا فيدأ بالحلف
وأدرج الدليل في صورة اليقين حتى أقبل القوم على سماعه فخرج لهم البرهان المبين
والثبوتان الثمين في صورة اليقين وقد استوفينا الكلام في سورة والصفات (المسئلة الثانية)

أي جريها ذابسر (فالقسيمات
أمرا) أي اللانكة التي
تقسم الامور من الامطار
والارزاق وغيرها أو
السحب التي يقسم الله
نسالي بها أرزاق العباد
وقد جوز أن يراد بكل
الرياح تنزيلا لاختلاف
العنوان منزلة اختلاف
الذات فانها كما تندر
وما تدره تثير السحاب
وتحملة وتجري في الجو
جريا سهلا وتقسم الامطار
بتصرف السحاب
في الاقطار فان حلت
الامور المقسم بها على
ذوات مختلفة فالانما لترتيب
الأقسام باعتبار ما بينها
من التفاوت في الدلالة
على كمال القدرة والافهى
لترتيب ما صدر عن الرب
من الافعال فانها تدررو
الأبخرة الى الجوحى تتعد
سحابا فتجري به بواسطة
له الى ما أمرت به فتقسم
المطر وقوله

في جميع السور التي أقسم الله في ابتدائها بغير الحروف صكان القسم لاثبات أحد
 الاصول الثلاثة وهي الوجدانية والرسالة والحشر وهي التي يتم بها الايمان ثم انه تعالى
 لم يقسم لاثبات الوجدانية الا في سورة واحدة من تلك السور وهي الصافات حيث قال
 فيها ان الهكم واحد وذلك لانهم وان كانوا يقولون اجعل الآلهة الها واحدا على سبيل
 الانكار وكانوا يبالغون في الشرك لكنهم في تضاعيف أقوالهم وتصاريف أحوالهم
 كانوا يصرحون بالتوحيد وكانوا يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زانق وقال تعالى
 ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم ياتوا في الحقيقة في انكار
 المطلوب الا اول ما كتني بالبرهان ولم يكثر من الايمان وفي سووتين منها أقسم لاثبات صدق
 محمد صلى الله عليه وسلم وكونه رسولا في احدهما بامر واحد وهو قوله تعالى والهم اذا
 هوى ما ضل صاحبكم وفي الثانية بأمرين وهو قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى
 ما ودعك ربك وما قلى وذلك لان القسم على اثبات رسالته قد كثر بالحروف والقرآن كما في
 قوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وقد ذكرنا الحكم فيه ان من معجزات
 النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فاقسم به ليكون في القسم الاشارة واقعة الى البرهان وفي
 باقي السور كان المقسم عليه الحشر والجزاء وما يتعلق به ليكون انكارهم في ذلك خارجا
 عن الحد وعدم استيفاء ذلك في صورة القسم بالحروف (المسئلة الثالثة) أقسم الله تعالى
 بجموع السلامة المؤنثة في سور خمس ولم يقسم بجموع السلامة المذكورة في سورة أصلا
 فلم يقل والصالحين من عبادي ولا المفر بين الى غير ذلك مع أن المذكر أشرف وذلك لان
 جموع السلامة باوا والنون في الامر الغالب لمن يعقل وقد ذكرنا أن القسم بهذه
 الاشياء ليس لبيان التوحيد الا في صورة ظهور الامر فيه وحصول الاعتراف منهم به
 ولان رسالة الحصول ذلك في صور القسم بالحروف والقرآن * بقى أن يكون المتصور داثبات
 الحشر والجزاء لكن اثبات الحشر لثواب الصالح وعذاب الضال ففائدة ذلك راجع الى
 من يعقل فكان الامر يقتضى أن يكون القسم بغيرهم والله أعلم (المسئلة الرابعة) في
 السورة التي أقسم لاثبات الوجدانية أقسم في أول الامر بالسالكات حيث قال
 والصافات وفي السور الاربع الباقية أقسم بالبحر صكات فقال والذاريات وقال
 والمرسلات وقال والنازعات ويؤيده قوله تعالى والسابحات فالسابقات وقال والعاديات
 وذلك لان الحشر فيه جم وتفریق وذلك بالحرکه ألبق أو ان نقول في جميع السور الاربع
 أقسم بالرياح على ما بين وهي التي تجتمع وتفرق فالتقدير على تأليف السحاب المنفرد
 بالرياح الذارية والمرسلة قادر على تأليف الاجزاء المنفرقة بطريق من الطرق التي
 يختارها بمشيئته تعالى (المسئلة الخامسة) في الذاريات أقوال (الاول) هي الرياح تذر
 التراب وغيره كما قال تعالى تذرره الرياح (الثاني) هي الكواكب من فرائد اذا
 أسرع (الثالث) هي الملائكة (الرابع) رب الذاريات والاول أصح (المسئلة السادسة)

تعالى (ان ما توعدون
 لصادق وان الدين
 اواقم) جواب للقسم
 وفي تخصيص الامور
 المذكورة بالاقسام بها
 رمز الى شهادتها
 بتحقق مضمون الجملة
 المقسم عليها من حيث
 انها امور بدعيه مخالفة
 لما تقتضى الطبيعة فن قدر
 عليها فهو قادر على
 البعث الموعود وما
 موصولة أو مصدرية
 ووصف الوعد بالصدق
 كوصف العيشة بالرضا
 والدين الجزاء ووقوعه
 حصوله (والسموات
 الحك) قال ابن عباس
 وقناة وعكرمة

الامور الاربعه جاز ان تكون امورا متباينة وجاز ان تكون امراله اربع اعتبارات
والاول هو ماروي عن علي عليه السلام ان الذاريات هي الرياح والحاملات هي السحاب
والجاريات هي السفن والمقسمات هي الملائكة الذين يقسمون الارزاق والثاني وهو
الاقرب ان هذه صفات اربع للرياح فاذاريات هي الرياح التي تنشي السحاب أولا
والحاملات هي الرياح التي تحمل السحب التي هي بخار المياه التي اذا سحت حرت السيول
الغظيمة وهي اوقار مثل من جبال والجاريات هي الرياح التي تجري بالسحب بعد حملها
والمقسمات هي الرياح التي تفرق الامطار على الافطار ويحتمل ان يقال هذه امور اربعة
مذكورة في عقابله امور اربعة بما تم الاعادة وذلك لان الاجزاء التي تفرقت بعضها في
تغوم الارضين وبعضها في فغور البحور وبعضها في جوالهواء وهي الاجزاء اللطيفة
البخارية التي تنفصل عن الابدان فتقوله تعالى والذاريات بمعنى الجامع للذاريات من
الارض على ان الذارية هي التي تذرو التراب عن وجه الارض وقوله تعالى فالحاملات
وقرأه التي تجرم الاجزاء من الجو وتحمله جلا فان التراب لا ترفعه الرياح جلا بل تنقله
من موضع وترميه في موضع بخلاف السحاب فانه يحمله وينقله في الجو جلا لا يقع منه
شيء وقوله فالجاريات يسرا اشارة الى الجامع من الماء فان من يجري السفن الثقيلة من
تيار البحار الى السواحل يقدر على نقل الاجزاء من البحر الى البر فاذا تبين ان الجامع من
الارض وجوالهواء ووسط البحار ممكن واذا اجتمع بين نفخ الروح لكن الروح من امر الله
كما قال تعالى ويسأونك عن الروح قل الروح من امر ربي فقال فالمقسمات امر الملائكة
التي تنفخ الروح في الجسد بامر الله وانما ذكرهم بالمقسمات لان الانسان في الاجزاء
الجسمية غير مخالف تخالفا بينا فان لكل احدا راسا ورجلا والناس متقاربة في الاعداء
والافراد لكن التفاوت الكثير في النفوس فان الشريفة والحسنة بينهما غاية الخلاف
وتلك القسمة المتفاوتة تنقسم بتقسيم مختار ومأمور مختار فقال فالمقسمات امرا (المسئلة
السابعة) ماهذه المنصوبات من حيث الهو فتقول اما ذروا فلا شك في كونه منصوبا
على انه مصدر واما وقرأ فهو مفعول به كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلًا ويحتمل ان يكون
اسما اقيم مقام المصدر كما يقال ضمير به سوطا يؤيده قراءة من قرأ بفتح الواو واسبغ فهو
ايضا منصوب على انه صفة مصدر تقديره جرياذا بسرا واما المقسمات امرا فهو اما مفعول
به كما يقال فلان قسم الرزق او المال واما حال اتي على صورة المصدر كما يقال قتله صبيرا
أي مصورا كذلك ههنا المقسمات امرا أي مأمورة فان قيل ان كان وقرأ مفعولا
به فلم يجتمع وما قبل والحاملات اوقارا تقول لان الحاملات على ما ذكرنا صفة الرياح
وهي توارد على وقرأ واحد فان ريجاتها وتسوق السحابة فتسبق السحاب فتهب أخرى
وتسوقها وربما تحول عنه ينة ويسرة بسبب اختلاف الرياح وكذلك القول في
المقسمات امرا اذا قلنا هو مفعول به لان جماعة يكونون مأمورين بتقسيم امرا واحدا

ذات الخلق المستوي
وقال اسعيد ابن جبير
ذات ازينه وقال مجاهد
هي المقنة البيان وقال
مقاتل والكلبي والضحاك
ذات الطرائق والمراد
اما الطرائق المحسوسة
التي هي مسير الكواكب
او المعقولة التي يسلكها
النظار والجوهر فان لها
طرائق وعن الحسن
حبكها نجومها حيث
تزينها كما تزين الموشى
طرائق الوشى وهي اما
جمع حباك اوجبيكة
كشال ومثل وطريقة
وطرف وقرى الحبك
بوزن القنصل والحبك
بوزن السالك والحبك
كالجبل والحبك كالبرق
والحبك كالنجم والحبك
كالابل (انكم اني قول
مختلف)

أونقول هو في تفسير التكرير كأنه قال فالحمالات وقرا وقرا والمقسمات أمرا أمرا
 (المسئلة الثامنة) ما فائدة الفاء نقول ان قلنا انها صفات الريح فليبان ترتيب الامور
 في الوجود فان الذاريات تنشى السحاب فتقسم الامطار على الاقطار وان قلنا انها امور
 اربعة فالغاه للترتيب في القسم لا للترتيب في القسم به كأنه يقول أقسم بالرياح الذاريات
 ثم بالسحب الحمالات ثم بالسفن الجاريات ثم بالملائكة المقسمات وقوله فالحمالات وقوله
 فالجاريات اشارة الى بيان ماني الريح من الفوائد امان في البرفانشاء السحب واما في البحر
 فاجراء السفن ثم المقسمات اشارة الى ما يترتب على حول السحب وجرى السفن من
 الارزاق والارياح التي تكون بقسمه الله تعالى فتجري مفتح بعض الناس كما يشتهي
 ولا تريح وبعضهم تريح وهو غافل عنه كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم مدينتهم ثم قال
 تعالى (ان ما توعدون لصادق) ما يحتمل أن تكون مصدرية معناه الاعداد صادق وان
 تكون موصولة أي الذي توعدون صادق والصادق معناه ذو صدق كعبثية راضية
 ووصف المصدر بما يوصف به الفاعل بالصدر فيه افادة مبالغة فكما أن من قال فلان اطف
 محض وحلم يجب أن يكون قد بالغ كذلك من قال كلام صادق وبرهان قاهر للخصم أو غير
 ذلك يكون قد بالغ وألوجد فيه هو أنه اذا قال هو اطف بدل قوله لطيف فكأنه قال اللطيف
 شيء له اطف في اللطيف اطف وشيء آخر فأراد أن يبين كثرة اللطف فجملة كلمة اطف اطف في
 الثاني لما كان الصدق يقوم بالكلم بسبب كلامه فكأنه قال هذا الكلام لا يبحج الى
 شيء آخر حتى يصح اطلاق الصادق عليه بل هو كاف في اطلاق الصادق لكونه سيباقويا
 وقوله تعالى توعدون يحتمل ان يكون من وعد ويحتمل أن يكون من أوعد والثاني هو الحق
 لان اليمين مع المنكر بوعيد لا بوعد * وقوله تعالى (وان الدين لواقع) أي الجزاء كأن وعلى
 هذا فالاعداد بالحشر في الموعد هو الحساب والجزاء هو العقاب فكأنه تعالى بين بقوله
 انما توعدون لصادق وان الدين واقع أن الحساب يستوفى وان العقاب يوفى * ثم قال
 (والسما ذات الحيك) وفي تفسيره مباحث الاول والسما ذات الحيك قيل الطرائق
 وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد طرائق الكواكب ومرتباتها كما يقال في الحياك
 ويحتمل أن يكون المراد ماني السماء من الاشكال بسبب النجوم فان في سمات كواكبها
 طريق التبين والعرب والسر الذي يقول به أصحاب الصور ومنطقة الجوزاء وغير ذلك
 كما طرائق وعلى هذا فالمراد به السماء المزينة بزينة الكواكب ومثله قوله تعالى
 والسما ذات البروج وقيل حيكها صفاقها يقال في الثواب الصفيق حسن الحيك
 وعلى هذا فهو كقوله تعالى والسما ذات الرجع اشدها وقتها هذا ما قيل فيه (البحث
 الثاني) في المقسم عليه وهو قوله تعالى (انكم لفي قول مختلف) وفي تفسيره أقوال
 مختلفة كلها محكمة (الاول) انكم في قول مختلف في حق محمد صلى الله عليه وسلم تارة
 تقولون انه أمين وأخرى انه كاذب وتارة تنسبونه الى الجنون وتارة تقولون انه كاهن

اي متخالف متناقض
 وهو قولهم في حقه
 عليه الصلاة والسلام
 تارة شاعر وأخرى
 ساحر وأخرى مجنون
 وفي شان القرآن الكريم
 تارة شعر وأخرى سحر
 وأخرى أساطير وفي هذا
 الجواب تأييد لكون
 الحيك عبارة عن
 الاستواء كما يلوح به
 ما نقل عن الضحاك
 من أن قول الكفرة
 لا يكون مستويا إنما هو
 متناقض مختلف وقيل
 التكنة في هذا المقسم
 تشبيه اقوالهم في
 اختلافها وتنافي
 أغراضها بطرائق
 السموات في تباعدها
 واختلاف غاياتها
 وإيس بذلك (يو فك
 عند من أفك)

أى يصرف عن القران
 أو الرسول عليه الصلاة
 والسلام من صرف
 أو لا صرف اقطع منه
 واشد وقبل بصرف
 عنه من صرف في علم الله
 تعالى وقضائه ويجوز
 ان يكون الضمير للقول
 المختلف على معنى
 يصدر افك من افك
 من ذلك القول وقرئ
 من افك اى من افك
 الناس وهم قريش
 حيث كانوا يصدون
 الناس عن الايمان (قتل
 الخراصون) دعاء
 عليهم كقوله تعالى قتل
 الانسان ما اكفره
 واصله الدعاء بالقتل
 والهلاك ثم جرى
 مجرى لعن والخراصون
 الكذابون المقدرون
 ما لا يصح له وهم اصحاب
 القول المختلف كأنه
 قيل قتل هؤلاء
 الخراصون وقرئ
 قتل الخراصين اى
 قتل الله (الذين هم
 في غمرة) من الجهل
 والضلال (ساهون)
 قائلون عما امر وابه

وشاعر وساحر وهذا محتمل لكنه ضعيف اذا حاجة الى اليمين على هذا لانهم كانوا يقولون
 ذلك من غير افكار حتى يؤكد بيمين (الثاني) انكم لفي قول مختلف أى غير ثابتين على
 أمر ومن لا يثبت على قول لا يكون متيقنا في اعتقاده فيكون كأنه قال تعالى والسما
 انكم غير جازمين في اعتقادكم وانما تظهرون الجزم لشدة عنادكم وعلى هذا القول فيه
 فائدة وهى انه لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تعلم انك غير صادق في قولك وانما
 تجادل ونحن نعجز عن الجدل قال والذاريات ذروا أى انك صادق ولست معاندا ثم قال
 تعالى بل اتمم والله جازون بأنى صادق فعكس الامر عليهم (الثالث) انكم لفي قول
 مختلف أى متناقض أما في الحشر فلا انكم تقولون لاحشر ولا حياة بعد الموت ثم تقولون
 اننا وجدنا آباءنا على أمة فاذا كان لاحياة بعد الموت ولا شعور للميت فاذا يصيب آباءكم
 اذا خالفتموهم وانما يصح هذا من يقولون بأن بعد الموت عذابا فلو علمنا شيئا بكرة الميت
 بيدي فلا معنى لقولكم اننا لانسب آباءنا بعد موتهم الى الضلال وكيف وأنتم تربطون
 الركايب على قبور الاكابر وأما في التوحيد فتقولون خالق السموات والارض هو الله
 تعالى لا غير ثم تقولون هو اله الآلهة وترجعون الى الشرك وأما في قول النبي صلى الله
 عليه وسلم فتقولون انه مجنون ثم تقولون له انك تغلبنا بقوة جندك والمجنون كيف يقدر
 على الكلام المنتظم المعجز الى غير ذلك من الامور المتناقضة * ثم قال تعالى (بؤفك عنه من
 أفك) وفيه وجوه (أحدها) أنه مدح له مؤمنين أى بؤفك عن القول المختلف وبصرف من
 صرف عن ذلك القول ويرشد الى القول المستوى (وثانيها) أنه ذم معناه بؤفك عن
 الرسول (ثالثها) بؤفك عن القول بالحشر (رابعها) بؤفك عن القران وقرئ بؤفن عنه
 من أفن أى يحرم وقرئ بؤفك عنه من أفك أى كذب * ثم قال تعالى (قتل الخراصون)
 وهذا يدل على ان المراد من قوله لفي قول مختلف أنهم غير ثابتين على أمر وغير جازمين بل هم
 يظنون ويخرصون ومعناه لعن الخراصون دعاء عليهم بكره ثم وصفهم فقال (الذين هم
 في غمرة ساهون) وفيه مسألان احدهما نغظية والاخرى معنوية (أما اللفظية)
 فقوله ساهون يحتمل أن يكون خبرا بمد خبر والمبتدأ هو قوله هم وتقديره هم كانوا في غمرة
 ساهون كما يقال زيد جاهل جاهلا على قصد وصف الجاهل بالجاهل بل الاخبار بالوصفين
 عن زيد ويحتمل أن يكون ساهون هو خبرا وفي غمرة ظرف له كما يقال زيد في بيته فاعديكون
 الخبر هو القاعد لا غير وفي بيته لبيان ظرف القعود كذلك في غمرة لبيان ظرف السهو الذي
 يصحح وصف المعرفة بالجملة ولولاها لما جاز وصف المعرفة بالجملة (وأما المعنوية) فهى ان
 وصف الخراص بالسهو والانهمالك في الباطل يحقق كون الخراص صفة ذم وذلك لان
 ما لا سبيل اليه الا انظر اذا خرص الخراص واطلق عليه الخراص لا يكون ذلك مفيد نقص
 كما يقال في خراص الغوا كهو العساكر وغير ذلك وأما الخرص في مجال المعرفة واليقين فهو
 ذم فقال قتل الخراصون الذى هم جاهلون ساهون لا الذين تعين طرقتهم في التخمين والجزم

وقوله تعالى ساهون بعد قوله في غمرة يفيد أنهم وقعوا في جهل وباطل ونسوا أنفسهم فيه فلم يرجعوا عنه ثم قال تعالى (يسألون أيا ن يوم الدين) فان قيل الزمان يجعل ظرف الافعال ولا يمكن أن يكون الزمان ظرفا لظرف آخر وههنا جعل أيا ن ظرف اليوم فقال أيا ن يوم الدين ويقال متى يقدم زيد فيقال يوم الجمعة ولا يقال متى يوم الجمعة فالجواب التقدير متى يكون يوم الجمعة وأيا ن يكون يوم الدين وأيا ن من المركبات ركب من أي التي تقع بها الاستفهام وأن التي هي الزمان أو من أي وأوان فكأنه قال أي أوان فلما ركب بيني وهذانهم جواب لقوله وان الدين اواقع فكأنهم قالوا أيا ن يقع استهزاء وترك المسؤل في قوله يسألون حيث لم يقل يسألون من يدل على أن غرضهم ليس الجواب وانما يسألون استهزاء وقوله تعالى (يوم هم على النار يفتنون) يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون جوابا عن قولهم أيا ن يقع وحينئذ كما أنهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب لحصول العلم كذلك لم يجبههم جواب محجب معلومين حيث قال يوم هم على النار يفتنون وجهلهم بأشأن أقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز أن يكون الجواب بالاخفى فاذا قال قائل متى يقدم زيد فلو قال الجيب يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لا يصح هذا الجواب الا اذا كان الكلام في صورة جواب ولا يكون جوابا كما ان المسائل اذا قال كم تعد عدائي وتخلفها الى متى هذا الاخلاف فيغضب ويقول الى ان اتمام يوم عليك الكلامان في صورة سؤال وجواب والاول يرديه السؤال والالثاني يرديه الجواب فكذلك ههنا قال يوم هم على النار يفتنون مقابلة استهزائهم بالابعاد لاعلى وجه الايضاح بالبيان (والثاني) ان يكون ذلك ابتداء كلام تمامه في قوله تعالى (ذوقوا فنتنكم) فان قيل هذا يفضى الى الاضمار تقول الاضمار لا بد منه لان قوله ذوقوا فنتنكم غير متصل بما قبله الاضمار يقال ويفتنون قبل معناه يحرقون والاولى ان يقال معناه يعرضون على النار مرضى المحرب الذهب على النار لان كلمة على تناسب ذلك ولو كان المراد يحرقون لكان بالنار أو في النار اليق لان الفتنة هي التجرب بما ما يقال من اختبره ومن انه تجرب بما الجارة فعنى بذلك المعنى مصدر الفتنة وههنا قال ذوقوا فنتنكم وانفتنة الامتحان فان قيل فاذا جعلت يوم هم على النار يفتنون مقولالهم ذوقوا فنتنكم فاقله (هذا الذي كنتم به تستعجلون) فلنا يحتمل أن يكون المراد كنتم تستعجلون بصريح القول كما في قوله تعالى حكاية عنهم بناعجل انا فطنا وقوله وأنتا بما تعدنا الى غير ذلك يدل عليه ههنا قوله تعالى يسألون أيا ن يوم الدين فانه نوع استعجال ويحتمل أن يكون المراد الاستعجال بالفعل وهو الاصرار على العناد واظهار الفساد فانه يعجل العقوبة ثم قال تعالى (ان المتقين في جنات وعيون) بعد بيان حال المغترين المجرمين بين حال الحق المتقى وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قد ذكرنا ان المتقى له مقامات أدناها أن يتقى الشرك واعلاها أن يتقى ما سوى الله وأدنى درجات المتقى الجنة فامن مكلف اجتنب الكفر الاويدل الجنة فيرزق نعيمها (المسئلة الثانية) الجنة تارة

(يسألون أيا ن يوم الدين)
 أي متى وقوع يوم الجزاء
 لكن لا بطريق الاستعلام
 حقيقة بل بطريق
 الاستعجال استهزاء
 وقرى أيا ن بكسر الهمزة
 (يوم هم على النار
 يفتنون) جواب للسؤال
 أي يقع يوم هم على النار
 يحرقون ويمسذبون
 ويجوز أن يكون يوم هم
 خبر المبتدأ محذوف أي
 هو يوم هم الخ والفتح
 لاضافته الى غير ممكن
 و يؤيده أنه قرى بالرفع
 (ذوقوا فنتنكم) أي
 مقولالهم

وحدها كما قال تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وأخرى جمعها كما في هذا المقام قال ان
 المتقين في جنات ونارة ثناها فقال تعالى وان خاف مقام ربه جنتان ذالتي الحكمة فيه نقول أما
 الجنة عند التوحيد فلانها لاتصال المنازل والاشجار والانهار كجنة واحدة وأما حكمة
 الجمع فلانها بالنسبة الى الدنيا وبالإضافة الى جناتها جنات لا يحصرها عدد وأما التثنية
 فسند كرها في سورة الرحمن غير اننا نقول ههنا الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك
 عند الشراء حيث قال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة
 وعند الاعطاء جمعها إشارة الى أن الزيادة في الوعد موجودة والخلاف ما لو وعد بجنات
 ثم كان يقول انه في جنة لانه دون الموعود (الثالثة) قوله تعالى وعيون يقتضى أن يكون
 المتقن فيهما ولان في كونه الانسان في ماء أو غير ذلك من المائعات نقول معناه في خلاف
 العيون وذلك بين الانهار بدليل أن قوله تعالى في جنات ليس معناه الايبين جنات وفي
 خلالها لان الجنة هي الاشجار وانما يكون بينها كذلك القول في العيون والتكبير مع أنها
 معرفة للعظيم يقال فلان رجل أي عظيم في الرجولية * وقوله تعالى (أخذين ما آتاهم
 ربهم) فيه مسائل واطرائف أما المسائل (فالاولى) منها ما معنى أخذين نقول فيه وجهان
 أحدهما قابضين ما آتاهم شيئاً فشيئاً ولا يستوفونه بكامله لامتناع استيفاء ما لانها ياتله
 (ثانيها) أخذين قابلين قبول راض كما قال تعالى ويأخذ الصدقات أي يقبلها وهذا
 ذكره الزمخشري (وفيه وجه ثالث) وهو أن قوله في جنات يدل على السكنى فحسب وقوله
 أخذين يدل على التملك ولذا يقال أخذ بلاد كذا وقلمة كذا اذا دخلها ممتلكها وكذلك
 يقال لمن اشترى داراً أو بستاناً أخذته بمن قليل أي تملكه وان لم يكن هناك قبض حسا
 ولا قبول برضا وحينئذ فأنه يبين ان دخولهم فيها ليس دخول مستعير أو ضيف بسترده
 منه ذلك بل هو ملكه الذي اشترى بماله ونفسه من الله تعالى وقوله آتاهم يكون لبيان ان
 أخذهم تلك لم يكن عنوة وفتوحاً وانما كان باعطاء الله تعالى وسبلى هذا الوجه ما راجع
 الى الجنات والعيون * وقوله (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) إشارة الى ثمنها أي أخذوها
 وملكوها بالاحسان كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى بلام الملك وهي الجنة (المسئلة
 الثانية) أخذين حال وهو في معنى قول القائل يأخذون فكيف قال ما آتاهم ولم يقل
 ما يؤتاهم ليتفق اللفظان ويوافق المعنى لان قوله آتاهم ينبئ عن الانقراض وقوله يؤتاهم
 تنبيه على الدوام وابتداء الله في الجنة كل يوم متجدد ولانها ياتله ولا سيما اذا فسرنا الاخذ
 باقبول كيف يصح أن يقال فلان يقبل اليوم ما آتاه زيد امس نقول اما على ما ذكرنا
 من التفسير لا يرد لان معناه يملكون ما أعطاهم وقد يوجد الاعطاء امس ويملك اليوم
 وأما على ما ذكره فنقول الله تعالى أعطى المؤمن الجنة وهو في الدنيا غير أنه لم يكن جنى
 ثمارها فهو يدخلها على هيئة الآخذ ور بما يأخذ خيراً مما آتاه ولا ينساق في ذلك كونه
 داخلها على تلك الهيئة يقول القائل جنتك خائفاً فاذا أنا آمن وما ذكرتم انما بلمن ان لو

هذا القول وقوله تعالى
 (هذا الذي كتب به
 تستعجلون) جلة من
 ميثدا وخبر داخله تحت
 القول المضمرة أي هذا
 ما كتبتم تستعجلون به
 بطريق الاستعزاء
 ويجوز أن يكون هذا
 بدلا من فتنتكم بتأويل
 العذاب والذي صغته
 (ان المتقين في جنات
 وعيون) لا يبلغ كنهها
 ولا يقدر قدرها
 (أخذين ما آتاهم ربهم)
 أي قابلين لما أعطاهم
 راضين به على معنى أن
 كل ما آتاهم حسن

كان أخذهم مقتصرًا على ما آتاهم من قبل وليس كذلك وإنما هم دخلوها على ذلك ولم يخطر ببالهم غيره فبوتتهم الله ما لم يخطر ببالهم فأخذون ما بوتتهم الله وإن دخلوها ليأخذوا ما آتاهم وقوله تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل هو أخذهم ما آتاهم وقد ذكرناه في سورة يس (المسئلة الثالثة) ذلك إشارة إلى ما ذاق قول بحتمل وجهين (أحدهما) قبل دخولهم لأن قوله تعالى في جنات فيه معنى الدخول يعني قبل دخولهم الجنة أحسنوا (ثانيها) قبل آتاهم الله ما آتاهم أحسنوا فأآتاهم الجنة وهي الجنة فأخذوها وفيه وجوه أخرى وهو أن ذلك إشارة إلى يوم الدين وقد تقدم (وأما اللطائف) فقد سبق بعضها ومنها أن قوله تعالى إن المؤمنين لما كان إشارة إلى التقوى من الشرك كان كأنه قال الذين آمنوا لكن الإيمان مع العمل الصالح يفيد سعادتين ولذلك دلالة أنهم من قول القائل إنهم أحسنوا (اللطيفة الثانية) أما التقوى فلأنه لما قال لاله فقد أتى الشرك وأما الاحسان فلأنه لما قال الا الله فقد أتى بالأحسان ولهذا قيل في معنى كلمة التقوى إنها لاله الا الله وفي الاحسان قال تعالى ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله وقبل في تفسير هل جراء الاحسان الا الاحسان ان الاحسان هو الاتيان بكلمة لاله الا الله وهما حيث لا يتفاضلان بل هما متلازمان * وقوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كالتفسير انكونهم محسنين تقول حاتم كان سخيا كان يبدل موجوده ولا يترك مجهوده وفيه مباحث (الاول) قليلا منصوب على الظرف تقديره يهجعون قليلا تقول قام بعض الليل فتصعب بعض على الظرف وخبر كان هو قوله يهجعون وما زلت هذا هو المشهور وفيه وجد آخر وهو أن يقال كانوا قليلا معناه نفي النوم عنهم وهذا منقول عن الضحك ومقاتل وأنكر الزمخشري كون ما نافية وقال لا يجوز ان تكون نافية لان ما بعد ما لا يعمل فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت ويجوز ان يعمل ما بعدهم فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب وسبب ذلك هو ان الفعل المتعدي انما يفعل في النبي حلاله على الاثبات لانك اذا قلت ضرب زيد عمرا ثبت تعلق فعله بعمره فاذا قلت ما ضرب به لم يوجد منه فعل حتى يتعلق به ويتعدي اليه لكن النبي محمول على الاثبات فاذا ثبت هذا فالنبي بالنسبة الى الاثبات كاسم الفاعل بالنسبة الى الفعل فانه يعمل عمل الفعل لكن اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل فلا تقول زيد ضارب عمرا أمس وتقول زيد ضارب عمرا غدا والآن لان الماضي لم يبق موجودا ولا متوقعا للوجود فلا يتعلق بالفعل حقيقة لكن الفعل لقوته يعمل واسم الفاعل لضعفه لم يعمل اذا عرفت هذا فتقول ما ضرب للنبي في الماضي فا جمع فيه النبي والمضى فضعف وأما لم أضرب وان كان يقرب المستقبل الى الماضي لكن الصيغة صيغة المستقبل فوجد فيه ما يوجد في قول لقائل زيد ضارب عمرا غدا فاعمل هذا بيان قوله غير أن القائل بذلك القول يقول قليلا ليس منصوبا بقوله يهجعون وإنما ذلك خبر كانوا أي كانوا قليلا ثم قال من الليل ما يهجعون أي ما يهجعون أصلا بل يحيون

مرضى يتلقى بحسن
القول (انهم كانوا قبل
ذلك) في الدنيا
(محسنين) أي لأعمالهم
الصالحة آتاهم بها على
ما ينبغي فلذلك نالوا
مناواتهم من الفوز العظيم
ومعنى الاحسان بالاجال
ما اشار اليه عليه
الصلاة والسلام بقوله
أن تعبد الله كأنك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك
وقد فسره بقوله تعالى
(كانوا قليلا من الليل
ما يهجعون) أي كانوا
يهجعون في طائفة
قليلة من الليل على أن

الليل جميعه ومن يكون لبيان الجنس لا للتبويض وهذا الوجه حينئذ فيه معنى قوله
 تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وذلك لانا ذكرنا ان قوله ان المتقين
 فيه معنى الذين آمنوا وقوله محسنين فيه معنى الذين عملوا الصالحات وقوله كانوا قليلا
 فيه معنى قوله تعالى وقليل ما هم (البحث الثاني) على القول المشهور وهو ان ما زائدة
 يحتمل أن يكون قليلا صفة مصدر تقديره يهجعون هجوعا قليلا (البحث الثالث) يمكن
 أن يقال قليلا منصوب على انه خبر كان وما مصدر يقدريه كان هجوعهم من الليل قليلا
 فيكون فاعل كانوا هو الهجوع ويكون ذلك من باب بدل الاشتغال لان هجوعهم متصل
 بهم فكأنه قال كان هجوعهم قليلا كما يقال كان زيد خلقه حسنا فلا يحتاج الى القول
 بزيادة واعلم ان النحاة لا يقولون فيه انه بدل فيقرقون بين قول القائل زيد حسن وجهه
 أو الوجه وبين قوله زيد وجهه حسن فيقولون في الاول صفة وفي الثاني بدل ونحن حيث قلنا
 انه من باب بدل الاشتغال أردنا به معنى الاصطلاح والافتقار عند التقديم ليس في نحو
 مثله عند الأخير حتى قولك فلان قليل هجوعه ايسر بديل وفلان هجوعه قليل بديل
 وعلى هذا يمكن أن تكون ما موصولة معناه كان ما يهجعون فيه قليلا من الليل هذا ما يتعلق
 باللفظ اما ما يتعلق بالمعنى فنقول تقديم قليلا في الذكر ليس مجردا للجمع حتى يقع بهجوعون
 ويستغفرون في أواخر الآيات بل فيه فائدتان (الاولى) هي ان الهجوع راحلة لهم وكان
 المقصود بيان اجتهادهم وتحملهم السهر لله فلو قال كانوا يهجعون كان المذكور
 أول اراحتهم ثم بصفه بالثلة ور بما يغفل الانسان السامع عما بعد الكلام فيقول احسانهم
 وكونهم محسنين بسبب انهم يهجعون واذا قدم قوله قليلا يكون السابق الى الفهم اقله
 الهجوع وهذه الفائدة من راعياها يقول فلان قليل الهجوع ولا يقول هجوعه قليل لان
 الغرض بيان قلة الهجوع لا بيان الهجوع بوصف القلة أو الكثرة فان الهجوع اول ما يمكن
 لكان نفي القلة أولى ولا كذلك قلة الهجوع لانها لو لم تكن لكان بدلها الكثرة في الظاهر
 (الفائدة الثانية) في قوله تعالى من الليل وذلك لان النوم القليل بالنهار قد يوجد من كل
 أحد وأما الليل فهو زمان النوم لا يسهره في الطاعة الامتداد مقبل فان قيل الهجوع
 لا يكون الا بالليل والنوم نهار الا يقال له الهجوع فننا ذكر الامر العام وارادة التخصيص
 حسن فتقول رأيت حيوانا ناطقا فصيحيا وذكرا ناطقا وذكرا ناطقا وذكرا ناطقا لا يحسن الا في بعض
 المواضع فلا تقول رأيت فصيحيا ناطقا حيوانا اذا عرفت هذا فنقول في قوله تعالى كانوا
 قليلا من الليل ذكر أمرا هو كالعالم يحتمل أن يكون بعده كانوا من الليل يسجعون
 ويستغفرون أو يسهرون أو غير ذلك فاذا قال يهجعون فكأنه خصص ذلك الامر العام
 المحتمل له وتغيره فلا اشكال فيه * ثم قال تعالى (وبالاسحارهم يستغفرون) اشارة الى
 انهم كانوا يتهجدون ويجهدون ثم يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه
 ويستغفرون من التقصير وهذا سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر

قليلا ظرف أو كانوا
 يهجعون هجوعا قليلا
 على أنه صفة المصدر
 وما زائدة في الوجهين
 ويجوز أن تكون
 مصدرية أو موصولة
 مرتفعة بقليل على
 الفاعلية أي كانوا قليلا
 من الليل هجوعهم
 أو ما يهجعون فيه وفيه
 مبالغات في تقليل
 نومهم واستراحتهم
 ذكر القليل والليل
 الذي هو وقت الراحة
 والهجوع الذي هو
 الغرام من النوم وزيادة ما
 ولا مسأخ بل عمل
 ما نافية على معنى

من التفسير والتميم بأبي القليل ويستكثره ويمتن به وفيه وجه آخر العطف منه وهو انه تعالى لما بين انهم يجمعون قليلا والجمع مقتضى الطبع قال يستغفرون أي من ذلك القدر من النوم القليل وفيه لطيفة أخرى تنبيه في جواب سؤال وهو انه تعالى مدحهم بقلة الجمع ولم يدحهم بكثرة السهر وما قال ككثرتوا كثيرا من الابل ما يسهرون فما الحكمة فيه مع ان السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الجمع تقول اشارة الى ان نومهم عبادة حث مدحهم الله تعالى بكونهم هاجمين قليلا وذلك الجمع أو زهم الاشغال بعبادة أخرى وهو الاستغفار في وجوه الاسحار ومنهم من الإعجاب بأنفسهم والاستكبار وفيه مباحث (البحث الاول) في الباء فانها استعملت للظرف ههنا وهي ليست للظرف تقول قال بعض النحاة ان حروف الجر ينوب بعضها عن الباء بعض يقال في الظرف خرجت لعشر بقين وبالليل وفي شهر رمضان فيستعمل اللام والباء في ذلك في المكان تقول أقت بالمدينة كذا وفيها أورأته ببلدة كذا وفيها فان قيل ما التحقيق فيه تقول الحروف لها معان مختلفة كالأسماء والافعال كذلك غير ان الحروف غير مستقلة بافادة المعنى والاسم والفعل مستقلان لكن بين بعض الحروف وبعضها تناف وتباعد كما في الأسماء والافعال فان البيت والمسكن مختلفان متفاوتان وكذلك سكن ومكث ولا كذلك كل اسمين يفرض أو كل فعلين يوجد اذا عرفت هذا فنقول بين الباء واللام وفي مشاركة اما الباء فلانها للاتصاق والمنكح في مكان ملتصق به متصل وكذلك الفعل بالنسبة الى الزمان فاذا قال سار بالناهار معناه ذهب ذهابا متصلا بالناهار وكذا قوله تعالى وبالاسحارهم يستغفرون أي استغفارا متصلا بالاسحار فتنابها لان المكان فيهما مقترن بها فان قيل فهل يكون بينهما في المعنى تفاوت تقول نعم وذلك لان من قال قت بالليل واستغفرت بالاسحار أخبر عن الامرين وذلك أدل على وجود الفعل مع أول جزء من اجزاء الوقت من قوله قت في الليل لانه يستدعي احتواش الزمان بالفعل وكذلك قول القائل أقت ببلدة كذا لا يفيد انه كان محاطا بالبلدة وقوله أقت فيها يدل على احاطتها به فاذا قول القائل أقت بالبلدة ودعوت بالاسحار أهم من قوله قت فيلان القائم فيد قائم به والقائم به ليس قائما فيه من كل بئذا علمت هذا فتوله تعالى وبالاسحارهم يستغفرون اشارة الى انهم لا يتخلون وقتا عن العبادة فانهم بالليل لا يجمعون ومع أول جزء من السحر يستغفرون فيكون فيه بيان كونهم مستغفرين من غير ان يسبق منهم ذنب لانهم وقت الانتباه في الاسحار لم يتخلوا الوقت للذنب فان قيل زدنا بيانا فان من الأزمان أزمانا لا تجعل ظروفا بالباء فلا يقال خرجت بيوم الجمعة ويقال بنى تقول ان كل فعل جار في زمان فهو متصل به فالخروج في يوم الجمعة متصل مقترن بذلك الزمان ولم يستعمل خرجت بيوم الجمعة تقول الغارق بينهما الاطلاق والتقييد بدليل انك ان قلت خرجت بنهارنا وبليلة الجمعة لم يحسن ولو قلت خرجت بيوم سعد وخرج هو بيوم نحس حسن فالنهار والليل للملم يكن فيها مخصوص

انهم لا يجمعون من الابل قليلا بل يجوبونه كله لما ان ما التافسة لا يعمل ما بعدها فيما قبلها (وبالاسحارهم يستغفرون) أي هم مع قلة هجوعهم وكثرة سجدتهم بداوون على الاستغفار في الاسحار كأنهم أسلفوا اليهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الإحشاء بان يوصفوا بالاستغفار كأنهم المخصوصون به لاستدانتهم له واطنائهم فيه (وفي أم واللهم حق)

وتقييد جاز استعمال الباء فيهما فاذا قيدت بالياء وخصصت لهما زال الجواز وبوم الجمعة
 لما كان فيه خصوص لم يجز استعمال الباء وحيث زال الخصوص بالتصكير وقات
 خرجت بيوم كذا عاد الجواز والسرفيه ان مثل بوالجمعة وهذه الساعة وتلك الليلة وجد
 فيها امر غير الزمان وهو خصوصيات وخصوصية الشيء في الحقيقة أمور كثيرة غير
 محصورة عند العاقل على وجه التفصيل لكنها محصورة على الاجمال مثله اذا قلت هذا
 الرجل فالعام فيه هو الرجل ثم انك لو قلت الرجل الطويل ما كان يصير مخصصا لانه يقرب
 من الخصوص ويخرج من القصار فان قلت انما لم يصير مخصصا لانه يخرج عن الجمال
 فاذا قلت الزاهد فكذلك فاذا قلت ابن عمر خرج عن ابنا يزيد ويكر وخالد وغيرهم فاذا
 قلت هذا يتناول تلك المخصصات التي بأجمعها لا يجتمع الا في ذلك فاذا ن الزمان المتعين
 فيه أمور غير الزمان والفعل حدث مقترن زمان لاناشئ عن الزمان وأما في فصيح لان
 ما حصل في العام فهو في الخاص لان العام أمر داخل في الخاص وأما في فبدخل في الذي
 فيه الشيء فصيح أن يقال في يوم الجمعة وفي هذه الساعة وأما بحث اللام فتؤخره الى
 موضعه وقد تقدم بعضه في تفسير قوله تعالى والشمس تجري مستقر لها وقوله هم غير حال
 عن فائدة قال الرخشري فأنه انحصار المستغفرين أي لكمالهم في الاستغفار كأن غيرهم
 ليس يستغفروا فهم المستغفرون لا غير يقال فلان هو العالم لكماله في العلم كأنه تفرد به وهو
 جيد ولكن فيه فائدة أخرى وهي ان الله تعالى لعطف وبالاسحارهم يستغفرون على
 قوله كانوا قايلا من الليل ما يجعون قاولم يؤكده معنى الايات بكلمة هم لصلح أن يكون
 معناه وبالاسحار قايلا ما يستغفرون تقول فلان قايلا ما يؤذي والى الناس يحسن قد يفهم
 انه قليل الايذاء قليل الاحسان فاذا قلت قايلا ما يؤذي وهو يحسن زال ذلك الفهم وظهر
 فيه معنى قوله قليل الايذاء كثير الاحسان والاستغفار يحتمل وجوهاً أحدها طلب المغفرة
 بالذكر بقولهم ربنا اغفر لنا الثاني طلب المغفرة بالفعل أي بالاسحار يتون بفعل آخر طلبا
 لاغفران وهو الصلاة أو غيرها من العبادات الثالث وهو آخر بها الاستغفار من باب
 استحصد الزرع اذا جاء أو ان حصانه فكانهم بالاسحار يستحقون المغفرة ويأتيهم أو ان
 المغفرة فان قيل فالله لم يؤخر مغفرتهم الى السحر نقول وقت السحر تجتمع ملائكة الليل
 والنهار وهو الوقت المشهود فيقول الله على ملائكتهم اني غفرت لعبدي والاول أظهر
 والثاني عند المفسر بن أشهر * ثم قال تعالى (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وقد
 ذكرنا مرارا ان الله تعالى بعد ذكر تعظيم نفسه بذكر الشفقة على خلقه ولا شك ان قليل
 الهجوع المستغفر في وجوه الاسحار وجد منه التعظيم العظيم فأشار الى الشفقة بقوله
 وفي أموالهم حق وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اضافة المال اليهم وقال في مواضع
 أنفقوا مما رزقكم الله وقال ومارزقناهم ينفقون نقول سببه ان في تلك المواضع كان
 الذكر للبحث فذكر معه ما يدفع الحث ويرفع المانع فقال هو رزق الله والله يرزقكم

أي نصيب وافر
 يستوجبونه على
 أنفسهم تفر بالي الله
 تعالى واشفاقا هلى الناس
 (للسائل والمحروم)
 للمستجدي والتعفف
 الذي يحسبه الناس غير
 فحرم الصدقة (وفي
 الارض آيات للوقنين)
 أي دلائل واضحة على
 شؤنه تعالى على
 التفصيل من حيث انها
 مدحوة كاليساط المهد
 وفيها مسالك وفجاج
 المتقلبين في أقطارها
 والسالكين في مناكبها
 وفيها سهل وجبل وير

فلا تخافوا الفقر واعطوا وأما ههنا فمدح على ما فعلوه فلم يكن الى الحرص حاجة (المسئلة الثانية) المشهور في الحق انه هو القدر الذي علم شرعا وهو الزكاة. وحينئذ لا يبقى هذا صفة مدح لان كون المسلم في ماله حق وهو الزكاة ليس صفة مدح لان كل مسلم كذلك بل الكافر اذا قلنا انه مخاطب بفروع الاسلام في ماله حق معلوم غير انه اذا أسلم سقط عنه وان مات عوقب على تركه وان ادى من غير الاسلام لا يقع الموضع فكيف يفهم كونه مدحا نقول الجواب عنه من وجوه أحدها ان انفسر السائل بمن يطلب شرعا والمحروم هو الذي لا يمكن له من الطلب ومنعه الشارع من المطالبة ثم ان المذم قد يكون لكون الطالب غير مستحق وقد يكون لكون المطلوب منه لم يبق عليه حق فلا يطلب فقال تعالى في ماله حق للطالب وهو الزكاة وغير الطالب وهو الصدقة المنتطوع بها فان ذلك المالك لا يطلب بها ويحرم الطالب منه طلبا على سبيل الجزية والزكاة بل يسأل سؤالا اختياريا فيكون حينئذ كانه قال في ماله زكاة وصدقة والصدقة في المسال لانكون الابغرضه هو ذلك وتقديره وافراره للفقراء والمسكين الجواب الثاني هو ان قوله وفي أموالهم حق للسائل أى مالهم ظرف لحقوقهم فان كلمة في للظرفية لكن الظرف لا يطلب الا للظروف فكانه تعالى قال هم لا يظهرون المال ولا يجمعونه الا ويجمعونه ظرفا للحق ولا شك ان المطلوب من الظرف هو المظروف والظرف مالهم فجعل مالهم ظرفا للحقوق ولا يكون فوق هذا مدح فان قيل فلو قيل مالهم للسائل هل كان أبلغ قلنا لا وذلك لان من يكون له أربعون دينارا فتصدق بها لا تكون صدقته دائمة لكن اذا اجتهد وأجر وطاش سنين وأدى الزكاة والصدقة يكون مقدار المؤدى أكثر وهذا كافي الصلاة والصوم لو أضمت واحدهن فيهما حتى عجز عنهما لا يكون مثل من اقتصد فيهما واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظمرا أبقي وفي السائل والمحروم وجوه أحدهما ان السائل هو الناطق وهو الآدمي والمحروم كل ذي روح غير من الحيوانات المحرمة قال النبي صلى الله عليه وسلم لكل كبد حري أجر (وثانيها) وهو الاظهر والاشهر أن السائل هو الذي يسأل والمحروم المتعفف الذي يحسبه بعض الناس غنيا فلا يعطيه شيئا والاول كقوله تعالى كلوا واربعوا أنعامكم واثاني كقوله واطعموا القانع والمعتر فان القانع والمحروم فان قيل على الوجه الاول الترتيب في غاية الحسن فان دفع حاجة الناطق مقدم على دفع حاجة البهائم فما وجد الترتيب في الوجه الثاني نقول فيه وجهان أحدهما ان السائل اندفاع حاجته قبل اندفاع حاجة المحروم في الوجود لانه يعرف حاله بمقاله ويطلب تلبية ماله فيقدم بدفع حاجته والمحروم غير معلوم فلا تندفع حاجته الا بعد الاطلاع عليه فكان الذكر على الترتيب الواقع وثانيها هو ان ذلك اشارة الى كثرة العطاء فيقول يعطى السائل فاذا لم يجدهم يسأل هو عن المحتاجين فيكون سائلا ومسؤالا (الثالث) هو ان المحاسن اللفظية غير مهجورة في الكلام الحكمي فان قول

وبحجر وقطع متجاورات
وعيون متفجرة ومعادن
مفتنة وانما تلتقي بألوان
النبات وأنواع الاشجار
وأصناف الثمار المختلفة
الالوان والطعموم
والروائح وفيها ادواب
متبثة قدر تب كلها ودير
لمناسم ساكنيها
ومصالحهم في صحتهم
واعتلالهم (وفي أنفسكم)
أى وفي أنفسكم آيات
اذليس في العالم شيء الا
وفي الانفس له نظير
يدل دلالة على ما انفرد
به من الهيئات النافعة
والمناظر البهية

القائل ان رجوعهم الينا وعلينا حسابهم ليس بقوله تعالى ان الينا اياهم ثم ان علينا حسابهم والكلام له جسم وهو اللفظ وله روح وهو المعنى وكان الانسان الذي نور روحه بالمعرفة ينبغي ان ينور جسمه الظاهر بالنظافة كذلك الكلام ورب كلمة حكيمة لا تؤثر في النفوس لركاكة لفظها اذا عرفت هذا فقوله وبالاسحارهم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم أحسن من حيث اللفظ من قولنا وبالاسحارهم يستغفرون وفي أموالهم حق للمحروم والسائل فان قيل قدم السائل على المحروم ههنا لما ذكرت من الوجوه ولم قدم المحروم على السائل في قوله القانع والمعتز لان القانع هو الذي لا يسأل والمعتز السائل نقول قد قيل ان القانع هو السائل والمعتز الذي لا يسأل فلا فرق بين الموضوعين وقيل بان القانع والمعتز كلاهما لا يسأل لكن القانع لا يتعرض ولا يخرج من بيته والمعتز يتعرض للاخذ بالسلام والتردد ولا يسأل وقيل بان القانع لا يسأل والمعتز يسأل فعلى هذا فلم يبدن يفرق من غير مطالبة ساع أو مستحق مطالبة جزية والزكاة لها طاب وسائل هو الساعي والامام فقوله للسائل اشارة الى الزكاة وقوله والمحروم أى المنوع اشارة الى الصدقة المتطوع بها واحدهما قبل الاخرى بخلاف اعطاء المحرم * ثم قال تعالى (وفي الارض آيات للموقنين) وهو يحتمل وجهين أحدهما أن يكون متعلقا بقوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع وفي الارض آيات للموقنين تدلهم على ان الحشر كأن كما قال تعالى ومن آياته انك ترى الارض خاشعة الى ان قال ان الذي احيها لمحبي الموتى وثانيهما أن يكون متعلقا بأفعال المتقين فانهم خافوا الله فعظموه فآظموا الشفقة على عباده وكان لهم آيات في الارض وفي أنفسهم على اصابتهم الحق في ذلك فان من يكون له في الارض الآيات العجيبة يكون له اقدرة التامة فيحشى ويتقن ومن له في أنفس الناس حكمة ياتمة ونعم سابعة يستحق أن يعبد ويترك الهجوع لعبادته واذا قابل العبد العبادة بالنعمة يجدها دون حد الشكر فيستغفر على التقصير واذا علم أن الرزق من السماء لا ينجزل بماله فآيات الثلاثة المتأخرة فيها تقرير ماتقدم وعلى هذا فقوله تعالى فو رب السماء والارض يكون عود الكلام بعد اعتراض الكلام الاول أقوى وأظهر وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كيف خصص الموقنين بكون الآيات لهم مع ان الآيات حاصله لكل قال تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها نقول قد ذكرنا ان اليمين آخر ما يأتي به المبرهن وذلك لانه أول آيات البرهان فان صدق فنذلك وان لم يصدق لا يد له من أن ينسبه الخصم الى اصرار على الباطل لانه اذا لم يقدر على قبح فيه ولم يصدق يترف له بقوة الجدل وبنسبه الى الذكارة فيتعين طريقه في اليمين فاذا آيات الارض لم تقدم لان اليمين بقوله والذاريات ذروا دلت على سبق اقامة اليمينات وذكر الآيات ولم يغد فقال فيها وفي الارض آيات للموقنين وان لم يحصل للمصر المعاند منها فائدة وأما في سورة يس وغيرها من المواضع التي جعل فيها آيات الارض للعامة لم يحصل فيها اليمين

والترئيبات العجيبة
والتمكن من الافعال
البدعية واستنباط
الصناعات المختلفة
واستجماع الكمالات
المتنوعة (أفلا تبصرون)
أى ألا تنظرون فلا
تبصرون بعين البصيرة
(وفي السماء رزقكم)
أى اسباب رزقكم أو
تقديره وقيل المراد
بالسما السحاب وبالرزق
المطر فانه سبب الاقوات
(وما توعدون) من
الثواب لان الجنة في
السماء السابعة أولان
الاعمال وثوابها مكتوب
مقدرة في السماء وقيل
انه ميتة اخبره قوله تعالى

وذكر الآيات قبله فجاز أن يقال ان الارض آيات لمن ينظر فيها (الجواب الثاني) وهو
 الاصح أن هنا الآيات بالفعل والاعتبار للمؤمنين أي حصل ذلك لهم وحيث قال لكل
 معناه أن فيها آيات لهم انظروا وتأملوا (المسئلة الثانية) ههنا قال وفي الارض آيات
 وقال هناك وآية لهم الارض نقول لما جعل الآية للموقنين ذكر بلفظ الجمع لان الموقن
 لا يفقل عن الله تعالى في حال ويرى في كل شئ آيات دالة وأما العاقل فلا يتنبه الا بأمور
 كثيرة فيكون الكل له كالأية الواحدة * ثم قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)
 اشارة الى دليل الانفس وهو كقوله تعالى سزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
 وانما اختار من دلائل الآفاق ما في الارض اظهرها من علانظهورها فان أطرافها
 وأكنافها ما لا يمكن عد أصنافها فدليل الانفس في قوله وفي أنفسكم عام ويحتمل أن يكون
 مع المؤمنين وانما أتى بصيغة الخطاب لانها أظهر لكون علم الانسان بما في نفسه أتم
 وقوله تعالى وفي أنفسكم يحتمل أن يكون المراد وفيكم يقال الحجارة في نفسها صلبة ولا يراد
 بها النفس التي هي منبع الحياة والحس والحركات ويحتمل أن يكون المراد وفي نفوسكم
 التي بها حياتكم آيات وقوله أفلا تبصرون بالاستفهام اشارة الى ظهورها * وقوله تعالى
 (وفي السماء رزقكم) فيه وجوه أحدها في السحاب المطر ثانياً في السماء رزقكم مكتوب
 ثانياً تقدير الارزاق كلها من السماء واولاه لما حصل في الارض حبة قوت وفي الآيات
 الثلاث ترتيب حسن وذلك لان الانسان له أمور يحتاج اليها لا بد من سبقها حتى يوجد هو
 في نفسه وأمور تقارنه في الوجود وأمور تلحقه وتوجد بعده ليعقب بها فالارض هي المكان
 واليه يحتاج الانسان ولا بد من سبقها فقال وفي الارض آيات ثم في نفس الانسان أمور
 من الاجسام والاعراض فقال وفي أنفسكم ثم بقاؤه بالرزق فقال وفي السماء رزقكم
 ولولا السماء لما كان للناس البقاء وقوله تعالى (وما توعدون) فيه وجوه أحدها الجنة
 الموعود بها لانها في السماء ثانياً هو من الابعاد لان البناء للمفعول من أوعد يوعد أي
 وما توعدون اما من الجنة والنار في قوله تعالى يومهم على النار وقوله ان المتقين في جنات
 فيكون ابعاداً عاماً واما من العذاب وحيثئذ يكون الخطاب مع الكفار فيكون كأنه تعالى
 قال وفي الارض آيات للموقنين كافية وأما أتم أيها الكافرون ففي أنفسكم آيات هي
 أظهر الآيات وتكفرون بها لحطام الدنيا وحب الرياسة وفي السماء الارزاق فلو نظرت
 وتأملت حق التأمل لما تركتم الحق لاجل الرزق فانه واصل بكل طريق ولا جنتيتم
 الباطل اتقاء لما توعدون من العذاب النازل * ثم قال تعالى (فوبر السماء والارض
 انه لحنى مثل ما أنكم تنطقون) وفي المقسم عليه وجوه (أحدها) ما توعدون أي
 ما توعدون لحنى يؤيده قوله تعالى انما توعدون لصادق وعلى هذا يعود كل ما قلناه في وجوه
 ما توعدون ان قلنا ان ذلك هو الجنة فالقسم عليه هو هي (ثانيها) الضمير راجع الى القرآن
 أي ان القرآن حق وفيما ذكرنا في قوله تعالى يؤفك عنه دليل هنا وعلى هذا فتقوله مثل

(فوبر السماء والارض
 انه لحنى) على أن الضمير
 لما وأما على الاول فاماله
 واما لما ذكر من أمر
 الآيات والرزق على أنه
 مستعار لاسم الاشارة
 (مثل ما أنكم تنطقون)
 أي كما أنه لاشك انكم
 في أنكم تنطقون ينبغي
 أن لا تشكوا في حقيقته
 ونصبه على الحالية من
 المستكن في لحنى أو على
 أنه وصف لمصدر
 محذوف أي انه لحنى
 حقا مثل نطقكم وقبل
 انه مبنى على الفتح
 لاضافته الى غير متمكن
 وهو ما ان كانت عبارة
 عن شئ وأن بما في
 حيزها ان جعلت زائدة
 ومجمله الرفع على أنه
 صفة لحنى وبؤيده
 القراءة بالرفع

ما انكم تنطقون معناه تكلم به الملك النازل من عند الله به مثل ما أنكم تتكلمون
وسنذكره (ناشها) أنه راجع الى الدين كما في قوله تعالى وان الدين اواقع (رابعا) أنه راجع
الى اليوم المذكور في قوله أيان يوم الدين يدل عليه وصف الله اليوم بالحق في قوله تعالى
ذلك اليوم الحق (شامسها) أنه راجع الى القول الذي يقال هذا الذي كنتم به تستعملون
* وفي التفسير مباحث الاول الفاء تستدعي تعقيب أمر لا أمر فالأمر المتقدم نقول فيه
وجهان أحدهما الدليل المتقدم كأنه تعالى يقول انما توعدن لحق بالبرهان المبين ثم
بالقسم واليمين ثانياً فها أقسم بتقديم كأنه تعالى يقول والذاريات ورب السماء
والارض * وعلى هذا يكون انفاء حرف عطف أعيد معه حرف القسم كما يعاد الفعل اذ
يصح أن يقال ومررت بعمر * نقوله والذاريات ذروا فالخاملات وقرأ عطف من غير
اعادة حرف القسم وقوله فورب السماء مع اعادة حرفه * والسبب في وقوع الفصل بين
القسمين ويحتمل أن يقال الأمر المقسم هو بيان اشواب في قوله يومهم على النار
يفتنون وقوله ان المقيمين في جنات وفيه فائدة وهو ان النساء تكون تنبيهها على أن لا حاجة
الى اليمين مع ما تقدم من الكشف المبين فكانه يقول ورب السماء والارض انه لحق كما
يقول انما بل بعد ما يظهد دعواه هذا والله ان الامر كما ذكرت في قوله باليمين ويشير
الى شيوته من غير يمين (البحث الثاني) أقسم من قبل الامور الارضية وهي الرياح وبالسماء
في قوله والسماء ذات الحيك ولم يقسم بربها وههنا أقسم بربها نقول كذلك القريب
يقسم المتكلم أولا بالاذن ثم لم يصدق ربي الا على وله سدا قال بعض الناس اذا قال
قائل حياتك والله لا يكفر واذا قال والله وحياتك لا شك يكفر وهذا استشهاد وان كان
الامر على خلاف ما قاله ذلك القائل لان الكفر اما بالاناب أو بانقضاء الظاهر في أمر القلب
أو بالفعل الظاهر وما ذكره ليس بظاهر في تعظيم جانب غير الله والموجب من ذلك القائل
أنه لا يجعل التأخير في الذكر مفيدا للترتيب في الوضوء وغيره (البحث الثالث) قرئ مثل
بالرفع وحينئذ يكون وصفا لقوله لحق ومثل وان أضيف الى المعرفة لا يخرج منه عن جواز
وصف المنكر به يقول رأيت رجلا مثل عمرو لانه لا يفيد تعريفه لانه في غاية الابهام
وقرئ مثل بالنصب ويحتمل وجهين أحدهما أن يكون مفتوحا لاضافته الى ما هو
ضعيف والاجاز أن يقال زيد قائل من يعرفه أو ضارب من يشتمه ثانياً فها أن يكون
منصوبا على البيان تقديره لحق حقا ومثل ويحتمل أن يقال انه منصوب على أنه صفة مصدر
معلوم غير مذكور ووجهه اننا لاننا أن المراد من الضمير في قوله انه هو القرآن فكانه قال
ان القرآن لحق نطق به الملك نطقا مثل ما انكم تنطقون وما يجوز لاشك فيه * ثم قال
تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) اشارة الى تسليمة قلب النبي صلى الله
عليه وسلم ببيان أن غيره من الانبياء عليهم السلام كان مثله واختار ابراهيم لكونه شيخ
المرسلين وكون النبي عليه الصلاة والسلام على سنته في بعض الاشياء واتذار لقومه بما

(هل أتاك حديث
ضيف ابراهيم) تفخيم
اشان الحديث وتبني
على أنه ليس بما علمه
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بغير طريق
الوحي والضيف في
الاصل مصدر ضافه
ولذلك يطلق على
الواحد والجماعة
كالزور والصوم وكانوا
اثني عشر ملكا وقيل
تسعة عشرهم جبريل
وقيل ثلاثة جبريل
وميكائيل وملك آخر
معهما عليهم السلام
وتسميتهم ضيفا لانهم
كانوا في صورة الضيف
حيث أضافهم ابراهيم
عليه السلام اولانهم
كانوا في حسيانته كذلك
(المكرمين) أي المكرمين
عند الله تعالى أو عند
ابراهيم حيث خدمهم
بنفسه ويزوجته

(فقالوا سلاما) أى
نسلم عليك سلاما
(قال) أى ابراهيم
(سلام) أى عليكم
سلام عدل به الى الرفع
بالابتداء لتقصده
الى اثبات والدوام
حتى تكون تحينه عليه
الصلاة والسلام أحسن
من تحيتهم وقرئنا
مر فوعين وقرئ سلم
وقرئ منصوبا والمعنى
واحد (قوم منكرون)
أذكرهم عليه الصلاة
والسلام للسلام الذى
هو علم الاسلام أو لانهم
ليسوا بمن عهد من
الناس أو لان أوضاعهم
وأشكالهم خلاف
ما عليه الناس وأصله
عليه الصلاة والسلام
انما قاله فى نفسه من غير
أن يشعر بذلك لأنه
خاطبهم به جهرا
أو سألهم أن يعرفوه
أنفسهم كما قيل والا
لكشفوا أحوالهم
عند ذلك ولم يتصد
عليه الصلاة والسلام
لمتدمات الضافة

جرى من الضيف ومن انزال الحجارة على المذنبين المضلين وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
اذا كان المراد ما ذكرت من التسلية والانداز فأى فائدة فى حكاية الضافة نقول يكون
ذلك اشارة الى الفرج فى حق الانبياء والبلاء على الجهلة والاغبياء اذ جاءهم من حيث
لا يحتسب * قال الله تعالى فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فلم يكن عند ابراهيم عليه
السلام خبر من انزال العذاب مع ارتفاع مكانته (المسئلة الثانية) كيف سماهم ضيفا
ولم يكونوا نقول لما حسبهم ابراهيم عليه السلام ضيفا لم يكن به الله تعالى فى حساباته اكراما
له يقال فى كلمات المحققين الصادق يكون ما يقول والصدق يقول ما يكون (المسئلة
الثالثة) ضيف لفظ واحد والمكرمين جمع فكيف وصف الواحد بالجمع نقول الضيف يقع
على التوم يقال قوم ضيف ولأنه مصدر فكون كلفظ الرزق مصدرا وانما وصفهم
بالمكرمين اما لكونهم عبادا مكرمين كما قال تعالى بل عباد مكرمون واما لالكرام
ابراهيم عليه السلام اياهم فان قيل بماذا أكرمهم قلنا بيشاشة الوجد أو لاولا بالاجلاس
فى أحسن المواضع وأطفها ثانيا وتجميل اشرف ثانيا وبعدم التكليف للضيف بالاكل
والجاوس وكانوا عدة من الملائكة وقرئ ثلاثه جبريل وميكائيل وثالث وفى قول
عشرة وفى آخر التاعشر (المسئلة الرابعة) هم ارسلوا للعذاب بدليل قواهم اننا ارسلنا الى
قوم مجرمين وهم لم يكونوا من قوم ابراهيم عليه السلام وانما كانوا من قوم لوط فما
الحكمة فى مجيئهم الى ابراهيم عليه السلام نقول فيه حكمة بالغة وبيانها من وجهين
أحدهما ان ابراهيم عليه السلام شيخ ارسدين وكان لوط من قومهم ومن اكرام الملائك الذى
فى عهده وتحت طاعته اذا كان يرسل رسولا الى غيره يقول يا عبير على فلان الملائك وأخبره
برسالتك وخذونها رأيه وتانيهما هو أن الله تعالى لما فرأى أن هلاك قوما كثيرا وجا غفيرا
وكان ذلك ما يحزن ابراهيم عليه السلام شفقة منه على عباد قال لهم بشروه بعلام يخرج
من صلبه أضغاث مباهلث ويكون من صلبه خروج الانبياء عليهم السلام * ثم قال تعالى
(اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
ما العامل فى اذ فيه وجوه (أحدها ما فى المكرمين من الاشارة الى الفعل ان قلنا وصفهم
بكونهم مكرمين بناء على أن ابراهيم عليه السلام أكرمهم فبكون كأنه تعالى يقول
اكرموا اذ دخلوا وهذا من شان الكريم أن يكرم ضيفه وقت الدخول (ثانيها) ما فى
الضيف من الدلالة على الفعل لاننا ان الضيف مصدر فيكون كأنه يقول أضغافهم
اذ دخلوا (وثالثها) يحتمل أن يكون العامل فيه أنك تقديره ما أنك حديثهم وقت
دخولهم فاسمع الآن ذلك لان هل ليس الاستفهام فى هذا الموضع حقيقة بل للاعلام
وهذا أولى لانه فعل مصرح به ويحتمل أن يقال اذ ذكر اذ دخلوا (المسئلة الثانية)
لماذا اختلف اعراب المسلمين فى القراءة المشهورة نقول نبين أولا وجوه النصب
والرفع ثم نبين وجوه الاختلاف فى الاعراب أما النصب فيجتمل وجوها (أحدها)

أن يكون المراد من السلام هو التحية وهو المشهور ونصبه حينئذ على المصدر تقديره تسليم
سلاما (ثانيتها) هو أن يكون السلام نوعا من أنواع الكلام وهو كلام سلم به التكلم من
أن يلقوا أو يأتهم فكانهم لما دخلوا عليه فقالوا أحسبنا سلموا من الأثم وحينئذ يكون
مفعولا للقول لأن مفعول القول هو الكلام يقال قال فلان كلاما ولا يكون هذا من باب
ضربه سوطا لأن المضروب هناك ليس هو السوط وههنا القول هو الكلام ففسره قوله
تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقوله تعالى قولا سلاما سلاما (ثانيتها) أن
يكون مفعول فعل محذوف تقديره تبلغك سلاما لا يقال على هذا إن المراد لو كان ذلك
لعلم كونهم رسل الله عند السلام فما كان يقول قوم منكرون ولا كان يقرب إليهم
الطعام ولما قال نكرهم وأوجس لانا تقول جاز أن يقال إنهم قالوا تبلغك سلاما
ولم يقلوا من الله تعالى إلى أن سألهم إبراهيم عليه السلام من تبالغون لي السلام وذلك لأن
الحكيم لا يأتي بأمر العظيم إلا بالتدرج فلما كانت هيبته عظيمة فلو ضحا إليه الأمر
العظيم الذي هو السلام من الله تعالى لارتجج إبراهيم عليه السلام ثم إن إبراهيم عليه
السلام اشتغل يا كرامهم عن سؤالهم وآخر السؤال إلى حين الفراغ فنكرهم بين
السلام والسؤال عن منه السلام هذا وجه النصب وأما الرفع فنقول يحتمل أن المراد
منه السلام الذي هو التحية وهو المشهور أيضا وحينئذ يكون مبتدأ خبره محذوف
تقديره سلام عليكم وكون المبتدأ نكرة يحتمل في قول القائل سلام عليكم وويل له أو خبر
مبتدأ محذوف تقديره جوابه سلام ويحتمل أن يكون المراد قولا يسلم أو ينبي عن
السلامة فيكون خبره مبتدأ محذوف تقديره أمرى سلام بمعنى مسألة لا تعلق بيني
وبينكم لاني لأعرفكم أو يكون المبتدأ قولكم تقديره قولكم سلام ينبي عن السلامة
وأتم قوم منكرون فإخطبكم فان الأمر أشكل على وهذا ما يحتمل أن ينال في
النصب والرفع وأما الفرق فنقول أما على التفسير المشهور وهو أن السلام في الموضعين
بمعنى التحية فنقول الفرق بينهما من حيث اللفظ ومن حيث المعنى (أما من حيث اللفظ
فنقول سلام عليك إما يجوز واستحسن لكونه مبتدأ وهو نكرة من حيث أنه كالمتروك
على أصله لأن الأصل أن يكون منصوبا على تقدير أسلم سلاما وعليك يكون لبيان
من أريد بالسلام ولا يكون لعليك حظ من المعنى غير ذلك البيان فيكون كالحارج عن
الكلام والكلام التام أسلم سلاما كما أنك تقول ضربت زيدا على السطح يكون على
السطح خارجا عن الفعل والفاعل والمفعول لبيان مجرد الظرفية فإذا كان الأمر
كذلك وكان السلام والادعية كثيرا لوقوع قالوا تعدل عن الجملة الفعلية إلى الاسمية
وتجعل لعليك حظا في الكلام فنقول سلام عليك فتصير عليك لغائدة لا بد منها وهي
الخبر بقو يترك السلام نكرة كما كان حال النصب إذا علم هذا فالنصب أصل والرفع
مأخوذ منه والأصل مقدم على المأخوذ منه فقال قالوا سلاما قال سلام فقدم الأصل على

المتفرع منه (وأما المعنى) فذلك لان ابراهيم عليه السلام أراد أن يرد عليهم بالاحسن
 فأتى بالجملة الاسمية فانها أدل على الدوام والاستمرار فان قولنا جلس زيد يديني عنه لان
 الفعل لا يديفه من الالباء عن التجدد والحدوث ولهذا لو قلت الله موجود الآن لثبت
 العقل الدوام اذ لا يبي عن التجدد واوقال قائل وجد الله الآن لكاد ينكره العاقل
 لما يننا فلما قالوا سلام ما قال سلام عليكم مستمر دائم وأما على قولنا المراد القول ذو
 السلامة فظاهر الفرق فانهم قالوا قولنا سلام وقال لهم ابراهيم عليه السلام سلام أي
 قولكم ذو سلام وأنتم قوم منكرون فالتبس الامر على وان قلنا المراد امرى مسألة
 ومتاركة وهم سلوا عليه تسليما فنقول فيه جمع بين أمرين تعظيم جانب الله ورعاية قلب
 عباد الله فانه اوقال سلام عليكم وهو لم يعلم ككونهم من عباد الله الصالحين كان يجوز
 ان يكونوا على غير ذلك فيكون الرسول قد آمنهم فان السلام أمان وأمان الرسول أمان
 المرسل فيكون فاعلا للامر من غير اذن الله نيابة عن الله فقال أنتم سلمتم على وأنا متوقف
 أمرى متاركة لاتعلق بيئنا الى أن يبين الحال ويدل على هذا هو أن الله تعالى قال واذا
 خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما و قال في مثل هذا المعنى النبي صلى الله عليه وسلم فاصفح عنهم
 وقل سلام ولم يقل قل سلاما وذلك لان الاخيار المذكورين في القرآن اوسلوا على
 الجاهلين لا يكون ذلك سببا لحرمة التعرض اليهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم اوسلم
 عليهم لصار ذلك سببا لحرمة التعرض اليهم فقال قل سلام أي أمر معكم متاركة تركناه
 الى أن يأتي أمر الله بأمر وأمانا على قولنا معنى نباح سلاما فنقولهم لما قالوا والياك سلاما ولم
 يعلم ابراهيم عليه السلام أنه عن قال سلام أي ان كان من الله فان هداهم قد ازداد به
 شرفي والافقد بلغني منه سلام وبه شرفي ولا أشرف بسلام غيره هذا ما يمكن أن يقال فيه
 والله أعلم بمراده والاول والثاني عليهما الاعتماد فانهما أقوى وقد قيل بهما (المسئلة
 الثالث) قال في سورة هود فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكروهم فدل على ان انكارهم
 كان حاصل بعد تقربيه العجل منهم وقال ههنا قال سلام قوم منكرون * ثم قال تعال
 (فراغ الى أهله فجاء بجعل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون) بقاء التعقيب فدل على أن
 تقرب الطعام منهم بعد حصول الانكار لهم فالوجه فيه نقول جاز أن يحصل اولا
 عندهم منهم نكر ثم زاد عندنا مساكهم والذي يدل على هذا هو أنهم كانوا على شكل وهيئة
 غير ما يكون عليه الناس وكانوا في أنفسهم عند كل أحد منكروين واشترك ابراهيم عليه
 السلام وغيره فيه ولهذا لم يقل أنكرتكم بل قال أنتم منكرون في أنفسكم عند كل أحد
 منائم ان ابراهيم عليه السلام تفرد بمشاهدة أمر منهم هو الامساك فنكروهم فوق ما كان
 منهم بالنسبة الى الكل الحسالة في سورة هود محكية على وجهه ابسط مما ذكره ههنا فان
 ههنا لم يبين المبشر به وههنا ذكر باسمه وهو اسحق ولم يقل ههنا ان القوم قوم من وهناك
 قال قوم لوط وفي الجملة من تأمل السورتين يعلم أن الحكاية محكية هناك على وجه

(فراغ الى أهله) أي
 ذهب اليهم على خفية
 من ضيفه فان من أدب
 المضيف ان يبادره بالقرى
 ويبادره حذارا من
 أن يكفه ويعذره أو يصير
 منتظرا والفاء في قوله
 تعالى (فجاء بجعل سمين)
 الفاء فصحة مفصحة عن
 جمل قد حذفت ثمة
 بدلالة الحال عليها
 وايدانا بكمال سرعة
 المجي بالاطمئنان كما في
 قوله تعالى فقلنا ضرب
 بعضنا البحر فانطلق
 أي فذبح عجلا فعنده
 فجاء به (فقربه اليهم)
 بأن وضعه لديهم حسبا
 هو المعتاد (قل ألا
 تأكلون) انكارا لعدم
 نعر ضهم الاكل

الاضافة ايسر فذكر فيها الذكينة الزائدة ولم يذكر ههنا ولتعدي بيان ما أتى به من آداب
الاضافة وما أتوا به من آداب الضيافة فالأكرام أولامن جاء ضيف قبل أن يجتمع به ويسلم
أحدهما على الآخر أنواع من الأكرام وهي اللقاء الحسن والخروج اليه والتمهؤله
ثم السلام من الضيف على الوجه الحسن الذي دل عليه النصب في قوله سلاما امالكونه
مؤكدا بالمصدر اولكونه مبنيا من هو أعظم منه ثم الرد الحسن الذي دل عليه الرفع
والامساك عن الكلام لا يكون فيه وفاء ان قلنا ان ابراهيم عليه السلام لم يقل سلام
عليكم بل قال أمرى مسألة أو قولكم سلام و سلامكم منكر فان ذلك وان كان محملا
بالأكرام لكن العذر ليس من شيم الأكرام وموادة أعداء الله لا تليق بالانبياء عليهم
السلام ثم تعجل القرى الذي دل عليه قوله تعالى فابث أن جاء وقوله ههنا فراغ فان
الروغان يدل على السرعة والروع الذي يعنى النظر الخفى أو الراح الخفى أيضا كذلك ثم
الاخفاء فالضيف اذا حضر شيئا يذنى أن يخفيه عن الضيف كي لا ينعمه من الاحضار
بنفسه حيث راغ هو ولم يقل هاتوا غيبة المضيف لحظة من الضيف مستحسن ليستريح
ويأتى بدفع ما يحتاج اليه وينعمه الحياه منه ثم اختيارا لاجود بقوله سمين ثم تقديم
الطعام اليهم لانقلهم الى الطعام بقوله فتربه اليهم لان من قسم الطعام الى قوم يكون كل
واحد مستغرافي مقره لا تخلف عليه المكان فان نقلهم الى مكان الطعام ربما يحصل
هناك الخلاف جلس في قرب الاتى بضيق على الاى ثم العرض لا الامر حيث قال
أدأ كلون ولم يقل كلوا ثم يكون المضيف مسرورا بأكلهم غير مسرور بتركهم
الطعام كما يوجد في بعض الخلاء المستكفين الذين يحضرون طه ما كثيرا ويكو نظره
ونظر أهل بيته في الطعام متى يسك الضيف يده عنه يدل عليه قوله تعالى (يا وحس منهم
خيفة قالوا لا تخف و بشروه بعلام عليهم) ثم أدب الضيف أنه اذا أكل حفظ حق
الآن كلفه يدل عليه أنه خافهم حيث لم يأكلوا ثم وجوب اظهار العذر عند الامساك يدل
عليه قوله لا تخف ثم تحسين العبارة في العذر وذلك لان من يكون محميا وأحضر اديه
الطعام قوله فبينك أمران أحدهما أن الطعام لا يصلح له اكونه معمرابه الثاني كونه
ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام فينبغى أن لا يقول المضيف هذا طعام غليظ لا يصلح لي
بل الحسن أن يأتي بالعبارة الاخرى ويقول لى مانع من أكل الطعام وفي بيتى لأكل
أبضا شيئا يدل عليه قوله و بشروه بعلام حيث فهموه أنهم ليسوا بمن يأكلون ولم يقولوا
لا يصلح لنا الطعام والشراب ثم أدب آخر في البشارة أن لا يخبر الانسان بما يسره دفعة فانه
يورث مر ضا يدل عليه أنهم جلسوا واستأنس بهم ابراهيم عليه السلام ثم قالوا بشرك ثم
ذكر وأشرف النوعين وهو الذكرو لم يقتنعوا به حتى وصفوه بأحسن الاوصاف فان
الابن قد يكون دون البنت اذا كانت البنت كاملة الخلقة حسنة الخلق والابن بالضد
ثم أنهم تركوا أسرار الاوصاف من الحسن والجمال والقوة والسلامة واختاروا العلم اشارة

(فاوجس منهم) أضمر
في نفسه (خيفة) اتوهم
أنهم جاؤا للشر وقيل
وقم في قلبه أنهم ملائكة
جاؤا للعداب (قالوا
لا تخف) قيل مسح
جبريل عليه السلام
العجل بخنجره فقام
يدرج حتى لحق بأمه
فعر فهم وأمن منهم
(و بشروه) وفي سورة
الصفات و بشرناه أى
بواسطتهم (بعلام)
هو مسح عليه السلام
(عليهم) عند بلوغه
واستوائه

(فأقبلت امرأته) سارة لما سمعت بشارتهم * ٦٧١ * اتى بيتهما وكانت في زاوية تنظرا

من الصرير ومحله
النصب على الحالية
أو المفعولية ان جعل
أقبلت بمعنى أخذت كما
يقال أقبل بشئني
(فصكت وجهها)

أي اطمئنت من الحياء لما
أنها وجدت حرارة
دم الطمث وقيل

ضربت باطراف
أصابعها جبينها كما
يفعله المتعجب (وقالت
عجوز عقيم) أي أنا

عجوز عاقرة فكيف ألد
(قالوا كذلك) مثل ذلك
القول الكريم (قال

ربك) وإنما نحن معبرون
تخبرك به عنه تعالى لا
أنا نقوله من تلقاء أنفسنا
(انه هو الحكيم العليم)

فيكون قوله حقا وقوله
متقنا لا محالة * روى
أن جبريل عليه

السلام قال لها انظري
الى سقف بيتك فنظرت
فأذا جند وعنه مورقة

مثمرة ولم تكن هذه
المساوضة مع سارة
فقط بل مع ابراهيم
عليه السلام ايضا حسيما
شرح في صورة الحجر
وإنما لم يذكر ههنا

الى أن العلم رأس الاوصاف ورئيس النعمت وقد ذكرنا فائدة تقديم البشارة على الاخبار
عن اهلا كههم قوم اوط ليعلم أن الله تعالى بها كههم الى خلقه ويأتى بيدهم خيرا منهم ثم
قال تعالى (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم) أي أقبلت على
أهلها وولك لأنها كانت في خدمتهم فلما تكلموا مع زوجها ابولادتها استخبت وأعرضت
عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال على الأهل ولم يقل بلفظ الاخبار عن الملائكة
وقوله تعالى في صرة أي صيحة كما جرت عادة النساء حيث يسمن شيئا من أحوالهن يعرضن
صيحة معتادة لهن عند الاستحباب أو التعجب ويحتمل أن يقال تلك الصيحة كانت بقواها
ياويلتا تدل عليه الآية التي في سورة هود ووصك الوجد أيضا من عاذنهن واستبعدت
ذلك لوصفين من اجتماعهما أحدهما كبراسن والثاني لانهم لأنها كانت لا تلد في مفر
سناها وعنفوان شبانها ثم عجرت وأست فاستبعدت فكأنها قالت يايتكم دعوتهم دعاء
قريبان الاجابة ظنا منها أن ذلك منهم كما يصدر من الضيف على سبيل الاخبار من الادعية
تقول الداعي الله يعطيك مالا ويرزقك ولدا فقأ وهما مانيس بدعا وان اذلك قول الله
تعالى (قالوا كذلك قال ربك) ثم دفعوا استبعاد بقواهم (انه هو الحكيم العليم)
وقد ذكرنا تفسيرهما مرارا فارقيل لم قال ههنا الحكيم العليم وقال في هود حيد مجيد
نقول لما بينا أن الحكاية هناك ابسط فذكروا ما يدفع الاستبعاد بقواهم أتعجبين من أمر
الله ثم لما صدقت أرشدوهم الى القيام بشكر نعم الله وذكر وهم بنعمته بقواهم حيد فان
الحيد هو الذي يتحقق منه الافعال الحسنة وقواهم مجيد اشارة الى أن الفائق العالى
الهمة لا يحمد له فعله الجميل وإنما يحمد ويسبح له لنفسه وههنا لمسلم يقولوا أتعجبين
أشاروا الى ما يدفع تعجبها من التنبية على حكمه وعلمه وفيه لطيفة وهى أن هذا الترتيب
مراعى في السورتين فالجيد يتعلق بالفعل والمجيد يتعلق بالقول وكذلك الحكيم هو الذى
فعله كما ينبغي اعلمه فاصدا لذلك الوجه بخلاف من يتفق فعله موافقا للمقصود اتفاقا كن
ينقلب على جنبه فيقتل حية وهونائم فانه لا يقال له حكيم وأما اذا فعل فعلا فاصدا لقلتها
بحيث يسلم عن نهشها يقال له حكيم فيه والعليم راجع الى الذات اشارة الى أنه يستحق
الحمد بمجده وان لم يفعل فعلا وهو فاصد لعلمه وان لم يفعل على وفق القاصد ثم قال تعالى
(قال فاخطبكم ايها المرسلون) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لما علم حالهم بدليل قوله
منكرون لم لم يقع بما بشروه لجواز أن يكون نزولهم للبشارة لا غير نقول ابراهيم عليه
السلام أتى بما هو من آداب المضيف حيث يقول اضيفه اذا استعجل في الخروج ما هذه
العجلة وما شغلك الذى يمنعنا من التشرىف بالاجتماع بك ولايسكت عند خروجهم مخالفة
أن يكون سكوتهم يومه استفالهم ثم انهم أتوا بما هو من آداب الصديق الذى لا يستر عن
الصديق الصدوق لاسيما وكان ذلك باذن الله تعالى لهم في اطلاع ابراهيم عليه السلام

اكتفاء بما ذكره هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكره ههنا وفي سورة هود (قال) أي ابراهيم عليه السلام
لما علم أنهم ملائكة أرسلوا الامر (فاخطبكم) أي شأنكم الخطير الذى لاجله أرسلتم سوى البشارة (أي المرسلون

على اهلاكم وجبر قلبه بتقديم البشارة بخير التدل وهو ابوالانبياء اسحق عليه السلام
 على الصحيح فان قيل فما الذي اقتضى ذكره بالغاء ولو كان كاذرا كرم لقول ما هذا الاستعمال
 وما خطبكم المعجل لكم نقول لو كان أوجس منهم خيفة وخرجوا من غير بشارة وائناس
 ما كان يقول شيئا فلما آتوه قال ما خطبكم أي بعد هذا الانس العظيم ما هذا اليباحش
 الايم (المسئلة الثانية) هل في الخطب فائدة لا توجد في غيره من الالفاظ نقول نعم وذلك
 من حيث ان الالفاظ المفردة التي يقرب منها الشغل والامر والفعل وامثالها وكل ذلك
 لا يدل على عظم الامر وأما الخطب فهو الامر العظيم وعظم الشأن يدل على عظم من على
 يده ينقضى فقال ما خطبكم أي اعظمكم لاترسلون الا في عظيم واوقال يلفظ مركب بأن
 يقول ما شغلكم الخطب وأمركم العظيم للزم التطويل فالخطب أعاد التعظيم مع الایجاز
 (المسئلة الثالثة) من اين عرف كونهم مرسلين فنقول (قالوا) له بدليل قوله تعالى انا
 أرسلنا الى قوم لوط وانا لم نذكرهمنا لما بينا ان الحكاية ببسطها مذكورة في سورة هود
 أو نقول لما قالوا الامر انه كذلك قال ربك علم كونهم مزمين من عند الله حيث كانوا
 يحكون قول الله تعالى يدل على هذا ان قولهم (انا أرسلناك الى قوم مجرمين) كان جواب
 سؤاله منهم (المسئلة الرابعة) هذه الحكاية بعينها هي الحكاية في هود وهناك قالوا انا
 أرسلنا بعد ما زال عنه الروع و بشروه وهنا قالوا انا أرسلنا بعد ما سألهم عن الخطب
 وأبضا قالوا هناك انا أرسلنا الى قوم لوط وقالوا ههنا انا أرسلنا الى قوم مجرمين والحكاية
 عن قولهم فان لم يقولوا ذلك ورد السؤال أيضا فنقول اذا قال قائل حا كبا عن زيد قال
 زيد عمر وخرج ثم يقول مرة أخرى قال زيد ان بكر اخرج فأما ان يكون صدر من زيد
 قولان واما أن لا يكون حا كبا ما قاله زيد والجواب عن الاول هو انه لما خاف جاز أنهم
 ما قالوا له لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط فلما قال لهم ماذا تفعلون بهم كان لهم ان
 يقولوا انا أرسلنا الى قوم لوط لنهلكهم كما يقول القائل خرجت من البيت فيقال لماذا
 خرجت فيقول خرجت لا تجر لكن ههنا فائدة معنوية وهي انهم انما قالوا في جواب
 ما خطبكم نهلكهم بأمر الله لتعلم براءتهم عن ايلام البرئ واهمال الردي فاعادوا
 لفظ الارسال وأما عن الثاني نقول الحكاية فذلك تكون حكاية اللفظ كما نقول قال زيد
 بعمر ومرت فيحكى لفظه المحكى وقد يكون حكاية للكلامه بمعناه نقول زيد قال عمرو
 خرج ولك ان تبدل مرة أخرى في غير تلك الحكاية بلفظة أخرى فنقول لما قال زيد بكر
 خرج قلت كبت وكبت كذلك ههنا القرآن لفظ معبر وما صدر من تقدم نبينا عليه
 السلام سواء كان منهم كان منزلا عليهم لم يكن لفظه معبرا فيلزم ان لا تكون هذه
 الحكايات بتلك الالفاظ فكأنهم قالوا له انا أرسلنا الى قوم مجرمين وقالوا انا أرسلنا الى
 قوم لوط وله أن يقول قالوا انا أرسلنا الى قوم من آمن بك لانه لا يحكى لفظهم حتى يكون
 ذلك واحدا بل يحكى كلامهم بمعناه وله عبارات كثيرة ألا ترى أنه تعالى لما حكى لفظهم

قالوا انا أرسلنا الى قوم
 مجرمين (يعنون قوم
 لوط)

في السلام على أحد الوجوه في التفسير قال في الموضوعين سلاما وسلام ثم بين ما لاجله أرسلوا بقوله (لنزل عليهم بحجارة من طين) وقد فسرنا ذلك في العنكبوت وقلنا ان ذلك دليل على وجوب الرمي بالحجارة على اللائط وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اى حاجة الى قوم من الملائكة وواحد منهم كان يقرب المدائن بريشة من جناحه نقول الملاك انقاد وقد يأمر الحقير باهلاك الرجل الخطير ويأمر الرجل الخطير بخدمة الشخص الحقير اظهارا لنهاذ امره فحيث اهلك الخلق الكثير بالقمل والجراد والبعوض بل بالريح التي بها الحياة كان أظهر في القدرة وحيث أمر الآفا من الملائكة باهلاك أهل بدر مع قتلهم كان أظهر في نفاذ الامر وفيه فائدة أخرى وهي ان من يكون تحت طاعة ملك عظيم ويظهر له عدو ويستعين بالملك فيعينه بأكثر عسكره يكون ذلك تعظيما منه وكلما كان العدو اكثر والمدد اوفر كان التعظيم اتم لكن الله تعالى أعان اوطاب عشرة ونبينا عليه السلام بخمسة آلاف وبين العديدين من التفاوت ما لا يخفى وقد ذكرنا نبذامنه في تفسير قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء (المسئلة الثانية) ما الفائدة في تأكيد الحجارة بكونها من طين نقول لان بعض الناس يسمى البرد حجارة فقوله من طين يدفع ذلك التوهم واعلم ان بعض من يدعى النظر يقول لا ينزل من السماء الاحجارة من طين مدورات على هيئة البرد وهيئة البنادق التي يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك هو ان الاعصار يصعد الغبار من الفلوات العظيمة التي لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد ويتفق وصول ذلك الى هواء ندى فيصير طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق استدار بدليل أنك اذا رميت الماء الى فوق ثم نظرت اليه رأيت ينزل كرات مدورات كاللؤلؤ الكبار ثم في النزول اذا اتفق ان تضرب به الثيران التي في الجوز جعلته حجارة كالأجر المطبوخ فينزل فيصيب من قدر الله هلاكا وقد ينزل كثيرا في المواضع التي لا عمارة بها فلا يرى ولا يدري به ولهذا قال من طين لان ما لا يكون من طين كالجر الذي في الصواعق لا يكون كثيرا بحيث يطر وهذا تعسف ومن يكون كامل العقل يستند الفكر الى مقاله ذلك القائل فيقول ذلك الاعصار لما وقع فان وقع بحادث آخر يلزم التسلسل ولا بد من الانتهاء الى محدث ليس بحادث فذلك المحدث لا بد وأن يكون فاعلا مختارا او مختار له أن يفعل ما ذكروله أن يخلق من الحجارة من طين على وجه آخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا يطيع له الى الجزم بطريق احدائه وما لا يصل العقل اليه يجب أخذه بالنقل والنص ورد به فأخذنا به ولانعلم الكيفية وانما المعلوم ان الحجارة التي من طين نزولها من السماء أغرب وأعجب من غيرها لانها في العادة لا بد لها من مكث في النار * قوله تعالى (مسومة عند ربك المفسرفين) فيه وجوه أحدها مكتوب على كل واحد اسم واحد يقتل به ما فيها انها خلقت باسمهم ولتعذيبهم بخلاف سائر الاحجار فانها مخلوقة الانتفاع في الابدية وغيرها انما هي مسومة للحجر من لأن الارسال يقال في السوائم يقال أرسلها الترمي فيجوز أن يقول سومها بمعنى أرسلها وهذا

(لنزل عليهم) أى بعد ما قبلنا قراهم وجعلنا علىها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة (حجارة من طين) أى طين متحجر هو السجيل (مسومة) مرسلة من أسمت المشية أى أرسلتها أو معاملة من السوم وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود (عند ربك المفسرفين) المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى (فاخرجنا) الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام

يفسر قوله تعالى والحيل المسومة اشارة الى الاستغناء عنها وانها ليست للركوب ليكون
 أدل على الغنى كما قالوا والقناطر المنظرة وقوله تعالى للمسرفين اشارة الى خلاف ما يقوله
 الطبيعيون ان الحجارة اذا أصابت واحدا من الناس فذلك نوع من الاتفاق فانها تنزل
 بطبعها ثم يتفق شخص لها فتصيبه فتقوله مسومة أى في أول ما خلق وأرسل اذا علم هذا
 فانما كان ذلك على قصد اهلاك المسرفين فان قيل اذا كانت الحجارة مسومة للمسرفين
 فكيف قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنزل عليهم مع ان المسرف غير المجرم في اللغة نقول
 المجرم هو الاتى بالذنب العظيم لان الجرم فيدل دلالة على العظم ومنه جرم الشيء لعظمته
 مقدارها والمسرف هو الاتى بالكبيرة ومن أسرف ولو في الصغار يصير مجرماً لان الصغير
 الى الصغير اذا انضم صار كبيراً ومن أجرم فقد أسرف لانه اتى بالكبيرة ولو دفعة واحدة
 فالوصفان اجتماع فيهم لكن فيه لطيفة معنوية وهي ان الله تعالى سوماها للمسرف المصر
 الذى لا يترك الجرم والعلم بالامور المستقبلية عند الله تعالى يعلم انهم مسرفون فأمر
 الملائكة برسالتها عليهم وأما الملائكة فعلمهم تعلق بالحاضر وهم كانوا مجرمين فقالوا
 انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنزل عليهم حجارة خلقت لمن لا يؤمن ويصروا مسرفين
 ولزم من هذا علمنا بانهم اوعاشوا سنين اتمادوا في الاجرام فان قيل اللام لتعريف الجنس
 أو لتعريف العهد نقول لتعريف العهد أى مسومة لهؤلاء المسرفين اذ ليس لكل
 مسرف حجارة مسومة فان قيل ما سرفهم نقول ما دل عليه قوله سبحانه وتعالى
 ما سبقكم بها من أحد من العالمين أى لم يباع مبلغكم أحد * وقوله تعالى (فأخرجنا
 من كان فيها من المؤمنين) في قاعدتان احدهما بيان القدرة والاختيار فان من يقول
 بالاتفاق يقول بصيب البر وانفاجر فلما ميز الله المجرم عن المحسن دل على الاختيار ما يتبعها
 بيان انه ببركة المحسن نجى والسيء فان القرية مادام فيها المؤمن لم تهلك والضهير عائد الى
 القرية وهي معلومة وان لم تكن مذكورة * وقوله تعالى (فأوجدنا فيها غير بيت من المسلمين)
 فيد اشارة الى ان الكفر اذا غلب والفسق اذا فشلا تنفع معه عبادة المؤمنين بخلاف ما لو
 كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون ويزنون وقيل في مثاله
 ان العالم كبدن ووجود الصالحين كالاعذبة الباردة والحارة والكفار والفساق كالسموم
 الواردة عليه الضارة ثم ان البدن ان خلا عن المنافع وفيه المضار هلك وان خلا عن المضار
 وفيه المنافع طاب عيشه وناوان وجد فيه كلاهما فالحكم للغالب وكذلك البلاد والعباد
 والدلالة على أن المسلم بمعنى المؤمن ظاهرة والحق أن المسلم أعم من المؤمن واطلاق العلم
 على الخاص لا مانع منه فاذا سمى المؤمن مسلماً لا يدل على اتحاد مفهوميهما فكأنه تعالى
 قال أخرجنا المؤمنين فأوجدنا الاعم منهم الايمان المسلمين ويلزم من هذا أن لا يكون
 هؤلاء غيرهم من المؤمنين وهذا كالوقال قائل لغيره من في البيت من الناس فيقول له
 ما في البيت من الحيوانات أحد غير زيد فيكون مخبره بخلو البيت عن كل انسان غير زيد

بطريق الاجال بعد
 حكاية ماجرى بين
 الملائكة وبين ابراهيم
 عليه السلام من الكلام
 والفاء فصيحة مفصحة
 عن جمل قد حذف
 ثقتك بذكرها في مواضع
 آخر كأنه قيل فباشروا
 ما أمرنا به فأخرجنا
 بقولنا فأسرباً هلك
 الخ (من كان فيها)
 أى في قرى قوم لوط
 وأضمارها بغير ذكر
 لشهرتها (من المؤمنين)
 من آمن بلوط (فما
 وجدنا فيها غير بيت
 أى غير أهل بيت
 من المسلمين) قيل هم
 لوط وابنتاه وقيل كان
 لوط وأهل بيته

ثم قال تعالى (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) وفي الآية خلاف قيل هو ماء اسود منتن انشقت ارضهم وخرج منها ذلك وقيل حجارة مرمية في ديارهم وهي بين الشام والحجاز وقوله للذين يخافون العذاب الاليم أي المنتفع بها هو الخائف كما قال تعالى اقوم يعقلون في سورة العنكبوت و بينهما في اللفظ فرق قال ههنا آية وقال هناك آية بينة وقال هناك اقوم يعقلون وقال ههنا للذين يخافون فهل في المعنى فرق نقول هناك مذكور بأبلغ وجه يدل عليه قوله تعالى آية بينة حيث وصفها بالظهور وكذا في غيرها فان من التبويض فكانه تعالى قال من نفسها لكم آية باقية وكذلك قال قوم يعقلون فان العاقل اعم من الخائف فكانت الآية هناك اظهر وسببه ما ذكرنا ان القصد هناك لتعريف القوم وههنا تسلية القلب الاتري الى قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقال هناك انا منجوك واهلك من غير بيان واف بنجاة المسلمين والمؤمنين باسراهم ثم قال تعالى (وفي موسى اذا أرسلناه الى فرعون بساطان مبين) قوله وفي موسى يحتمل أن يكون معطوفا على ما قبله ويحتمل أن يكون معطوفا على مذكور أما الاول ففيه وجوه (الاول) أن يكون المراد ذلك في ابراهيم وفي موسى لان من ذكر ابراهيم يعلم ذلك (الثاني) لتوذك في لوط وقومه عبدة وفي موسى وفرعون (الثالث) أن يكون هناك معنى قوله تعالى تفكروا في ابراهيم و لوط وقومهما وفي موسى وفرعون والكل قريب بعضه من بعض وأما الثاني ففيه أيضا وجوه (أحدها) أنه عطف على قوله وفي الارض آيات للمؤمنين وفي موسى وهو بعيد بعده في الذكر لعدم المناسبة بينهما (ثانيها) انه عطف على قوله وتركنا فيها آية للذين يخافون وفي موسى أي وجعلنا في موسى على طريقة قولهم علفتها بنا وما باردا وتقلدت سيفا ورما وهو أقرب ولا يخلو عن تعسف اذا قلنا بما قال بعض المفسرين ان الضمير في قوله تعالى وتركنا فيها آية أو في قصتهم فيكون وفي قصة موسى آية وهو قريب من الاحتمال الاول وهو العطف على المعلوم (رابعها) أن يكون عطف على هل أتاك حديث ضيف ابراهيم وتقديره وفي موسى حديث اذا أرسلناه وهو مناسب اذ جمع الله كثيرا من ذكر ابراهيم وموسى عليهما السلام كما قال تعالى أم لم ينبأ بما في صحف موسى و ابراهيم الذي وفي وقال تعالى صحف ابراهيم وموسى والساطان القوة بالجملة والبرهان والمبين الفارق وقد ذكرنا أنه يحتمل أن يكون المراد منه ما كان معه من البراهين القاطعة التي خاج بها فرعون ويحتمل أن يكون المراد المعجز الفارق بين سحر الساحر وأمر المرسلين ثم قوله تعالى (فتولى بركنه) فيه وجوه (الاول) الباء للمصاحبة والركن إشارة الى القوم كأنه تعالى يقول أعرض مع قومه يقال نزل فلان بعسكره على كذا ويدل على هذا الوجه قوله تعالى فأواه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدير يسعى قال أدبر وهو بمعنى تولى وقوله فتعشم فإسى في معنى

الذين نجوا ثلاثة عشر
 (وتركنا فيها أي
 في القرية (آية) أي
 علامة دالة على ما
 أصابهم من العذاب
 قبل هي تلك الاحجار
 أو صخر منضود فيها
 أو ماء منتن (للذين
 يخافون العذاب الاليم)
 أي من شأنهم أن يخافوه
 لسلامة فطرتهم ورقة
 قلوبهم دون من عذابهم
 من ذوى القلوب
 المناسبة فانهم لا يعتدون
 بها ولا يمدونها آية
 (وفي موسى) عطف
 على قوله تعالى
 وفي الارض أو على
 قوله تعالى وتركنا فيها
 آية على معنى وجعلنا
 في موسى آية كقوله
 من قال
 علفتها بنبي
 (أدبر) قيل هو
 منصوب بآية وقيل

قوله تعالى بركته (الثاني) فتولى أى اتخذ وليا والباء للتعدية حيث أنه يعنى تقوى بجنده
 (والثالث) تولى امر موسى بقوته كأنه قال اقتل موسى لثلاييدل دينكم ولا يظهري في
 الارض الفساد فتولى أمره بنفسه وحيث أن يكون المفعول غير مذكور وركنه هو نفسه
 القوية ويحتمل أن يكون المراد من ركنه هاما ن فانه كان وزيره وعلى هذا الوجه الثاني
 أظهر * (وقال ساحر أو مجنون) أى هذا ساحر أو مجنون وقوله ساحر أى يأتي الجن
 بسحره أو يقرب منهم والجن يقربون منه ويقصدونه ان كان هو لا يقصدهم فالساحر
 والمجنون كلاهما أمره مع الجن غير أن الساحر يأتمرهم باختياره والمجنون يأتيونه من غير
 اختياره فكأنه أراد صيانة كلامه عن الكذب فقال هو يسحر الجن أو يسحر فان كان
 ليس عنده منه خبر ولا يقصد ذلك فالجن يأتيونه * ثم قال تعالى (فاخذنا، وجنوده فتبذناهم
 في اليم وهو مليم) وهو إشارة الى بعض ما أتى به كأنه يقول واتخذنا اولياء فلم يفعوه وأخذنا
 الله وأخذ اركانها وألقاهم جميعا في اليم وهو البحر والحكاية مشهورة وقوله تعالى
 وهو مليم تقول فيه بيان شرف موسى عليه السلام وبشارة للمؤمنين أما شرف فلان تعالى
 قال بانه أتى بما يلام عليه بمجرد قوله انى أريد هلاك أعدائك بالاله العالمين فلم يكن له سبب
 الا هذا وأما فرعون فقال أنار بكم الاعلى فكان سببه تلك وهذا كما قال القائل فلان
 عيبه أنه سارق أو قاتل أو يعاشر الناس فيؤذيهم وقلان عيبه أنه مشغول بنفسه لا يعاشر
 فتكون نسبة العيبين لبعضهما الى بعض سببا لمدح أحدهما وذم الآخر وأما بشارة
 المؤمنين فهو بسبب أن من التقمه الحوت وهو مليم نجاه الله تعالى بتسبيحه ومن أهلكه
 الله بتعذيبه لم ينفعه إيمانه حين قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل
 وكلاهما قد أتى بما يلام عليه فذنب المؤمن وقت ظههور اليأس مغفور وإيمان الكافر غير
 مقبول * ثم قال تعالى (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وفيه ما ذكرنا من الوجوه
 التى ذكرناها فى عطف موسى عليه السلام وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ذكرت أن
 المقصود ههنا تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتذكيره بحال الانبياء ولم يذكر فى عاد
 وثمود أنبياءهم كما ذكر ابراهيم وموسى عليهما السلام نقول فى ذكر الآيات ست حكايات
 حكاية ابراهيم عليه السلام وبشارته وحكاية قوم لوط ونجاة من كان فيها من المؤمنين
 وحكاية موسى عليه السلام وفى هذه الحكايات الثلاث ذكر الرسل والمؤمنين لان الناجين
 فيهم كانوا كثيرين أما فى حق ابراهيم وموسى عليهما السلام فظاهر وأما فى قوم لوط
 فلان الناجين وان كانوا أهل بيت واحد ولكن المهلكين كانوا أيضا أهل بقعة واحدة
 وأما عاد وثمود وقوم نوح فكان عدد المهلكين بالنسبة الى الناجين اضعاف ما كان عدد
 المهلكين بالنسبة الى الناجين من قوم لوط عليه السلام فذكر الحكايات الثلاث الاول
 للتسلية بالنجاة وذكر الثلاث المتأخرة للتسلية باهلاك العدو والكل مذكور للتسلية
 تعالى فى آخر هذه الآيات كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا

بمخذوف أى كائنة
 وقت ارسالنا وقيل
 بتركتنا الى فرعون
 بساطان مبين هو
 ما ظهر على يديه من
 المعجزات الباهرة
 (فتولى بركته) أى
 فأعرض عن الايمان به
 وازور كقوله تعالى ونأى
 بجانبه وقيل فتولى بما
 يتقوى به من ملكه
 وعسا كره فان الركن
 اسم لما ركن اليه الشيء
 وقرئ بركته بضم
 الكاف (وقال ساحر)
 أى هو ساحر (أو مجنون)
 كأنه نسب ما ظهر
 على يديه عليه الصلاة
 والسلام من الخوارق
 العجيبة الى الجن وتردد
 لوط أنه حصل باختياره
 أم بغيرهما
 وجنوده

ساسى عهله لكان لتوهم أن
 نال كل ذلك المبارز الشجاع اخبرتك
 من استطاعوا من قيام) بحتمل وجهين (أحدهما)
 من الهرب والفرار على سبيل المبالغة فإن من لا يقدر على قيام كيف يشئ
 من الهرب وعلى هذا فيدعى لفظة (أحدها) قوله تعالى فاستطاعوا فان
 الاستطاعة دون القدرة لان في الاستطاعة دلالة الطلب وهو يبي عن عدم القدرة
 والاستقلال فمن استطاع شيئا كان دون من يقدر عليه ولهذا يقول المتكلمون
 الاستطاعة مع الفعل أو قبل الفعل اشارة الى قدرة بطولية من الله تعالى مأخوذة منه
 واليه الاشارة بقوله تعالى هل تستطيع ربك على قراءة من قرأ بالياء وقوله فاستطاعوا
 أبلغ من قول القائل ما قدر وا على قيام (ثانيها) قوله تعالى من قيام بزيادة من وقد عرفت
 ما فيه من التأكيد (ثالثها) قوله قيام بدل قوله هرب لما بينا ان العاجز عن القيام أولى ان
 يعجز عن الهرب (الوجه الثاني) هو ان المراد من قيام اقيام بالامرأى ما استطاعوا من
 قيام به * وقوله تعالى (وما كانوا منتصرين) أى ما استطاعوا الهزيمة والهرب من
 لا يقدر عليه يقاتل وينصر بكل ما يمكنه لانه يدفع عن الروح وهم مع ذلك ما كانوا
 منتصرين وقد عرفت ان قول القائل ما هو منتصر أبلغ من قوله ما انتصر ولا ينتصر
 والجواب ترك مع كونه يجب تقديره وقوله ما انتصر أى شئ من شأنه ذلك كما تقول فلان
 لا ينتصر أو فلان ليس ينتصر * ثم قال تعالى (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين)
 قرى قوم بالجر والنصب فوجهما نقول أما الجر فظاهر عطف على ما تقدم في قوله تعالى
 وفي عاد وفي موسى تقول لك في فلان عبرة وفي فلان وفلان وأما النصب فعلى تقدير وأهلكنا
 قوم نوح من قبل لان ما تقدم دل على الهلاك فهو عطف على المحل وعلى هذا فقوله من قبل
 معناه ظاهر كانه يقول وأهلكنا قوم نوح من قبل وأما على الوجه الاول فتقديره وفي قوم
 نوح لكم عبرة من قبل ثمود و عاد وغيرهم * ثم قال تعالى (والسما بينناها بايد وأنالموسعون)
 وهو بيان للوحدانية وما تقدم كان بياناً للحشر وأما قوله ههنا والسما بينناها بايد وأنتم
 تعرفون ان ما تعبدون من دون الله ما خلقوا منها شيا فلا يصح الاشرار ويمكن أن يقال
 هذا عود بعد التهديد الى اقامة الدليل وبناء السماء دليل على القدرة على خلق الاجسام
 ثانياً كما قال تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وفيه
 مسائل (المسئلة الاولى) النصب على شريطة التفسير يخار في مواضع اذا كان العطف
 على جملة فعلية فان تلك الجملة نقول في بعض الوجوه التى ذكرناها قوله تعالى وفي عاد
 و ثمود تقديره وهل أتاك حديث عاد وهل أتاك حديث ثمود عطف على قوله هل أتاك حديث

العلامات التى بينها
 صالح عليه السلام
 من اصفرار وجوههم
 واحرارها واسودادها
 عمدوا الى قتله عليه
 السلام فجهاد الله تعالى
 الى ارض فلسطين لما
 كان ضعوة اليوم الرابع
 تخطوا وتكفوا
 بالانطباع فانتها
 الصيحة فهلكوا
 وقرى الصفة
 وهى المرة
 ويعاينونها
 استطاعوا من قيام
 كقوله تعالى فاصبحوا
 في دارهم جائعين (وما

ولان قوله تعالى فبديهم

كلها فعليات فصارت نصب مختارا (الم)

والسما وما بناها وقال تعالى أم السماء بناها وهن

بناء فالحكمة فبد نقول فيه وجوه (أحدها) ان البناء باق الى يوم

شيء ولم يعدم منه جزء وأما الارض فهي في التبدل والتغير فهي كالمفرش يسر

ويطوى وينقل والسماء كالبناء المتيقن الثابت واليه الاشارة بقوله تعالى سيعا شداد

وأما الاراضي فكهنها ما صار بحرا وعاد أرضا من وقت حدوثها (ثانيها) ان السماء

ترى كالثقة المبنية فوق الرؤس والارض مبسوطة ممدسوة والبناء بالرفوع أبق كما قال

تعالى رفع سمكها (ثالثها) قال بعض الحكماء السماء مسكن الارواح والارض موضع

الاعمال والمسكن أبق بكونه بناء والله أعلم (المسئلة الثالثة) الاصل تقديم العامل على

المعمول والفعل والفاعل فتعمله بقوله بيننا عامل في السماء فما الحكمة في تقديم المفعول على

الفعل ولو تكرر بيننا السماء بأيد كان أوجز نقول الصانع قبل الصنع عند الناظر في المعرفة

فما كان التصود اثبات العلم بالصانع قدم الدليل فقال والسماء المزيبة التي لا تشكون

بينناها فاحرفونا بها ان كنتم لا تعرفونا (المسئلة الرابعة) اذا كان التصود اثبات

التوحيد فكيف قال بينناها ولم يقل بينتها أو بناها الله نقول قوله بينناها أدل على عدم

الشريك في التصرف والاستبداد وقوله بينتها يمكن أن يكون فيه تشريك وتام التقرر

هو أن قوله تعالى بيننا لا يورث ايها ما بان الاكهة التي كانوا يعبدونها هي التي يرجع اليها

الضرب في قوله بيننا لان تلك اما اصنام منحوتة واما كواكب جعلوا الاصنام على صورها

وطبائعها فاما الاصنام المنحوتة فلا يشكون انها ما بنت من السماء شيئا وأما الكواكب

فهي في السماء محتاجة اليها فلا تكون هي بانيتها وانما يمكن أن يقال انها ما بنتها هو جعلت

أما كنهها فالعلم توهم ما قالوا قال بيننا نحن ونحن غير ما يقولون ويدعونه فلا يصح لئلا يشركوا

لان كل ما هو غير السماء فهو محتاج الى السماء ودون السماء في المرتبة فلا يكون خالق السماء

وبانيتها فاذن علم أن المراد جمع التعظيم وأقاد النص عظمتها فاعظمت أني للشريك فثبت

ان قوله بينناها أدل على نفي الشريك من بنيتها وبنائها الله * فان قيل لم قلت ان الجمع يدل

على التعظيم فتنا الجواب من وجهين (الاول) أن الكلام على قدر فهم السامع والسماع

هو الانسان والانسان يقبس الشاهد على الغائب فان الكبير عندهم من يفعل الشيء بجنده

وخدمه ولا يباشر بنفسه فيقول المالك فعلنا أي فعله عبادنا بامرنا ويكون في ذلك تعظيم

فكذلك نحق العائب (والوجه الآخر) هو ان القول اذا وقع من واحد وكان الغيبة

راضيا يقول القائل فعلنا كأننا كذا واذا اجتمع جمع على فعل لا يقع الا بالبعض كما اذا خرج

كانوا متصرفين)

بغيرهم كالم يتصرفوا بانفسهم

(وقوم نوح) أي

وأهلكتنا قوم نوح

فان ما قبله بدل عليه

أو واذا كر ويجوز

أن يكون معطوفا

على محل في عاذا ويؤيده

القراءة بالجر وقبل هو

طوف على مفعول

أخذنا (من قبل) أي

أهؤلاء المهلكين

كانوا قوما

مدون فيما كانوا

من الكفر والمعاصي

والسما بينناها ما يد

ي بقوة (وانالموسعون)

لقادرون من الوسع

بمعنى العطافة والموسع

القادر على الانفاق

أوسعون السماء أو ما

يد باو بين الارض

أو الرزق

ينظرون اشارة الى أحد معينين اما بمعنى تسليمهم وعدم قدرتهم على الدفع كما
 للمضروب يضر بك فلان وانت تنظر اشارة الى أنه لا يدفع واما
 لا على غفلة بل أندروا به من قبل بثلاثة أيام وانتظروه ولو كان
 يتوهم أنهم أخذوا على غفلة أخذ العاجل الى
 بقصدى اياك فانتظرنى * وقوله تعالى
 أنه ابيان عجزهم
 فضلاء †

فيه وبينها د ر ما هنا (أحد

أهم المكرمين وعلى هذا يكون ما تقدم جملة فعالية لا خفاء فيه وعلى غير ذلك
 من إلى النصب أقرب منه إلى الرفع فكان عطفها على ما بالنصب أولى
 قوله أرسلنا وقوله تعالى فأخذتهم الصاعقة وذا استطاعوا
 الآية الثانية) كرر ذكر البناء في السموات قال تعالى
 "تعالى جعل الأرض قرارا والسماء
 "محممة لم يسقط منه
 "السماء يسقط

(والارض فرشناها)
 مهديناها وبسطناها
 ليستقروا عليها (فتم
 الماهدون) أي نحن
 (ومن كل شيء) أي
 من الاجناس (خلقنا
 زوجين) أي نوعين
 ذكرًا وأنثى وقيل
 متقابلين السماء والارض
 والليل والنهار والشمس
 والقمر والنور والبحر
 ونحو ذلك (اعلمكم
 تذكرون) أي فعلنا ذلك
 كله كي تتذكروا فتمروا
 أنه خالق الكل ورازقه
 وأنه المستحق للعبادة
 وأنه قادر على اعادة
 الجميع فعملوا بمقتضاه
 وقوله تعالى (فقرءوا الى
 الله) مقدر بقول خو طيب به
 النبي صلى الله عليه وسلم
 بطريق التلوين واللقاء
 اما لترتيب الامر على
 ما حكى من آثار غضبه
 الموجبة للفرار منها
 ومن أحكام رحمة
 المستدعية للفرار اليها
 كأنه قيل قل لهم
 اذا كان الامر كذلك
 فاهربوا الى الله الذي
 هذه شؤنه

جم غمير وجمع كثير لقتل سبع وقتلوه يقال قتله أهل بلدة كذا رضاه الكل به وقصد الكل
 اليه إذ عرفت هذا فآله تعالى كيفما أمر بفعل شيء لا يكون لاحد رده وكان كل واحد
 منعاده يقول بدل فعلت فعلنا ولهذا يقول الملك العظيم أجمعنا بحيث لا ينكر أحد
 ولا يرده نفس وقوله تعالى بأيدى قوة والايدي القوة هذا هو المشهور وبه فسر قوله تعالى
 ذا الابدانه أبواب ويحتمل أن يقال ان المراد جمع الابدان لانه قال تعالى لما خلقت بيدي
 وقال تعالى مما علمت أيدينا أنعاما وهو راجع في الحقيقة الى المعنى الاول وعلله هذا فحيث
 قال خلقت قال بيدي وحيث قال بيدينا قال بيد المقابلة الجمع بالجمع فان قيل فلم يقل بيدينا
 بل بيدينا وقال مما علمت أيدينا نقول انفسا جليلة وهي أن السماء لا يخطر ببال أحد
 انها مخلوقة لغير الله والانعام ليست كذلك فقال هناك مما علمت أيدينا تصريحا
 بان الحيوان مخلوق لله تعالى من غير واسطة وكذلك خلقت بيدي وفي السماء بيد
 من غير اضافة الاستغناء عنها وفيه لطيفة أخرى وهي ان هناك لما أثبت الاضافة
 بعد حذف الضمير العائد الى المفعول فلم يقل خلقته بيدي ولا قل غلته أيدينا وقال
 هو بنا بيدينا لان هناك لم يخطر ببال أحد ان الانسان غير مخلوق وان الحيوان غير معمول
 فلم يقل خلقته ولا غلته وأما السماء فبعض الجهال يزعم انها غير مجعولة فقال بيدينا
 يعود الضمير تصريحا بانها مخلوقة وقوله تعالى وانالموسعون فيه وجوه (أحدها) انه
 من السعة أي أوسعناها بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة
 الى السماء وسعتها كذلكه في قلاة والبناء الواسع القضاء عجيب فان القبة الواسعة لا يقدر
 عليها بناؤن لانهم يحتاجوا الى إقامة آنية يصح بها استدارتها ويثبت بها تماسك
 أجزائها الى ان يتصل بعضها ببعض (ثانيها) قوله وانالموسعون أي لقادرون ومنه قوله
 تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها أي قدرتها والمناسبة حينئذ ظاهرة ويحتمل ان يقال
 بان ذلك حينئذ اشارة الى المقصود الآخر وهو المشرك كأنه يقول بيدينا السماء وانا
 لقادرون على أن نخلق أمثالها كما في قوله تعالى أو ليس الذي خلق السموات والارض
 يقدر على أن يخلق مثلهم (الثالث) انالموسعون الرزق على الخلق ثم قال تعالى
 (والارض فرشناها فتم الماهدون) استدلوا بالارض وقد علم ما في قوله والارض
 فرشناها وفيه دليل على أن دحو الارض بعد خلق السماء لان بناء البيت يكون في
 العادة قبل فرش وقوله تعالى فتم الماهدون أي نحن أو فتم الماهدون ما هدوها ثم
 قال تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين) استدلوا بما بينهما والزوجان اما الضدان فان
 الذكر والانثى كالضدين والزوجان منهما كذلك واما المشاكلان فان كل شيء له
 شبيه ونظير وضدونه قال المنطقيون المراد بالشيء الجنس وأقل ما يكون تحت الجنس
 نوعان فن كل جنس خالق نوعين من الجوهر مثلا المادى والمجرد ومن المادى النامى
 والجامد ومن النامى المدرك والنبات ومن المدرك الناطق والصامت وكل ذلك يدل على

انه فرد لاكثره فيه * وقوله تعالى (اعلمكم تذكرون) أي اعلمكم تذكرون أن خالق الأزواج لا يكون له زوج والالكان يمكننا فيكون مخلوقاً ولا يكون خالقاً وأعلمكم تذكرون أن خالق الأزواج لا يخرج عن حشر الأجساد وجمع الأزواج * ثم قال تعالى (ففرروا الى الله اني لكم منذير مبين) أمر بالتوحيد وفيه لطائف (الاولى) قوله تعالى ففرروا الي عن سرعة الاهلاك كأنه يقول الاهلاك والعباد أسرع وأقرب من ان يحتمل الحال الإبطاء في الرجوع فافزعوا الى الله سريعاً وفرروا (الثانية) قوله تعالى الى الله بيان المهروب اليه ولم يذكر الذي منه الهرب لاحد ويجهين لما يكونه معلوماً وهو هول العذاب أو الشيطان الذي قال فيه ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً وما اليكون عاماً كأنه يقول كل ما عدا الله عدوكم ففرروا اليه من كل ما عداه وبيانه وهو ان كل ما عداه فإنه يتلف عليك رأس مارك الذي هو العرو يفوت عليك ما هو الحق والخير ومتلف رأس المال ومفون الكمال هددوا وما اذا فررت الى الله واقبلت على الله فهو يأخذ عرك ولكن يرفع أمرك ويعطيك بقاء لافناء معه (والثالثة) الغاء للترتيب معناه اذا ثبت ان خالق الزوجين فرد ففرروا اليه واتركوا غيره تركاً مؤبداً (الرابعة) في تنوع الكلام فائدة وبيانه هو أن الله قال والسماء بيناها والارض فرشناها ومن كل شيء خلقناهم جعل الكلام للذي عليه السلام وقال ففرروا الى الله اني لكم منذير مبين ولم يقل ففرروا اليه وذلك لان اختلاف الكلام تأثيراً وكذلك لاختلاف المتكلمين تأثيراً ولهذا يكثر الانسان من التصامح مع ولده الذي حاد عن الجادة ويجعل الكلام مختلفاً بنوعاً وترغيباً ونوعاً ترهيباً وتنبهها بالحكايات ثم يقول غيره نكلمهم مع لعل كلامك ينفع لما في أذهان الناس أن اختلاف المتكلمين واختلاف الكلام كلاهما مؤثر والله تعالى ذكر أنواعاً من الكلام وكثيراً من الاستدلالات والآيات وذكر طرفاً صالحاً من الحكايات ثم ذكر كلاماً من متكلم آخر هو النبي صلى الله عليه وسلم ومن المفسرين من يقول تقديره فقل لهم ففرروا قوله اني لكم منذير مبين إشارة الى الرسالة وفيه أيضاً لطائف (احدها) ان الله تعالى بين عظمته بقوله والسماء بيناها والارض فرشناها وهيته بقوله فنبذناهم في اليم وقوله تعالى أرسلنا عليهم الريح العقيم وقوله فأخذتهم الصاعقة وفيه إشارة الى أنه تعالى اذا عذب قدير على أن يعذب بما به البقاء والوجود وهو التراب والماء والهواء والنار فحكاية لوط تدل على أن التراب الذي منه الوجود والبناء اذا أراد الله جعله سبب الفناء والماء كذلك في قوم فرعون والهواء في عاد والنار في ثمود واهل ترتيب الحكايات الاربع للترتيب الذي في العناصر الاربعه وقد ذكر في سورة العنكبوت شيئاً منه ثم اذا بان عظمته وهيته قال رسوله عرفهم الحال وقل أنارسل بتقديم الآيات ومسرده الحكايات فلا ردافه بذكر الرسول قائدة (ثانيها) في الرسالة أمور ثلاثة المرسل والرسول والمرسل اليه وههنا ذكر الكل فقولته لكم إشارة الى المرسل اليهم وقوله منه إشارة الى

بإيمان والطاعة كي تجوامن عقابه وتفوزوا بشوابه واما لا لمطف على جلاله مقدره مترتبة على قوله تعالى لعلمكم تذكرون كأنه قيل قل لهم فذكروا ففرروا الى الله الخ وقوله تعالى (اني لكم منذير مبين) تعليل للأمر بالفرار اليه تعالى أو لوجوب الامتثال به فان كونه عليه الصلاة والسلام أن يأمرهم بالفرار اليه وعليهم أن يتشاوروا به أي اني لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذراً من الله تعالى أو مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذره وفي أمره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بأنه عليه الصلاة والسلام ينذره من جهته تعالى لامن تلقاه نفسه وعدكم

المرسل وقوله نذير بيان للرسول وقدم المرسل اليه في الذكر لان المرسل اليه أدخل في أمر الرسالة لان حتمه يتم الامر والمملك لو لم يكن هناك من يخالفه أو يوافقته فيرسل اليه نذيرا أو بشيرا لا يرسل وان كان ملكا عظيما واذ حصل المخالف أو الموافق يرسل وان كان غير عظيم ثم المرسل لانه متعين وهو الباعث وأما الرسول فباختياره ولو لا المرسل المتعين لما تمت الرسالة وأما الرسول فلا يتعين لان السالك اختيار من يشاء من عباده فقال منه ثم قال نذير تأخيرا للرسول عن المرسل (باللهيما) قوله مبين اشارة الى ما به تعرف الرسالة لان كل ما دلت به سبب وعلامة فالرسول هو الذي به تتم الرسالة ولا بد له من علامة يعرف بها فقوله مبين اشارة اليها وهي اما البرهان او المعجزة * ثم قال تعالى (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) تماما لتوحيد وذلك لان التوحيد بين العطليل والتشريك وطريقة التوحيد هي الطريقة فالعطليل يقول لاله أصلا والمشرك يقول في الوجود آلهة والموحد يقول قول الاثنين باطل ونفي الواحد باطل فقوله تعالى ففروا الى الله أثبت وجود الله ولما قال ولا تجعلوا مع الله الها آخر في الاكثر من الواحد فصحح التوحيد بالآيتين ولهذا قال مرتين (اني لكم منه نذير مبين) أي في المقامين والموضوعين وقد ذكرنا مرارا ان المعطل اذا قال لا واجب يجعل الكل ممكنا فان كل موجود ممكن لكن الله في الحقيقة موجود فقد جعله في تضاد مع قوله كالممكنات فقد أشرك وجعل الله كغيره والمشرك لما قال بان غيره اله يلزم من قوله نفي كون الاله الها لما ذكرنا في تقرير دلالة التمانع من أنه لو كان فيها آلهة الا الله لازم عجز كل واحد فلا يكون في الوجود اله أصلا فيكون نافية للالهية فيكون معطلا فالعطل مشرك والمشرك معطل وكل واحد من الفريقين معترف بأن خصمه مبطل لكننه هو على مذهب خصمه يقول انه نفسه مبطل وهو لا يعلم والمجد لله الذي هدانا لقوله ولا تجعلوا فيه اطيفة وهي اشارة الى ان الآلهة مجعولة لا يقال فالله متخذ لقوله فاتخذوه وكلا قلنا الجواب عند ظاهر وقد سبق في قوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة * ثم قال تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون) والتفسير معلوم مما سبق وقد ذكرنا أنه يدل على ان ذكر الحكايات للتسليية غير أن فيه اطيفة واحدة لان تركها وهي أن هذه الآية دليل على ان كل رسول كذب وحينئذ يرد عليه اسئلة (الاول) هو أن من الانبياء من فرردين النبي الذي كان قبله وبقى القوم على ما كانوا عليه كانبيا بني اسرائيل مدة وكيف وأدم لما أرسل لم يكذب (الثاني) ما الحكمة في تقدير الله تكذيب الرسل ولم يرسل رسولا مع كثرتهم واختلاف معجزاتهم بحيث يصدقهم أهل زمانه (الثالث) قوله ما أتى الا قالوا دليل على انهم كلهم قالوا ساحر وليس كذلك لانه ما من رسول الا آمن به قوم وهم ما قالوا ذلك (والجواب عن الاول) هو أن نقول أما المقرر فلان سلم أنه رسول بل هو نبي على دين رسول ومن كذب رسوله فهو مكذبه أيضا ضرورة (وعن الثاني) هو أن الله لا يرسل الا عند حاجة

بجائهم من المهروب وفوزهم بالملوب وقوله تعالى (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى (اني لكم منه) أي من الجعل المنهي عنه (نذير مبين) فان تعاقب كلمة من بالانذار مع كون صلته اليه بتضمينه معنى الافرار يقال فر منه أي هرب وأفره غيره كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقادا أو قولا الها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا يظرب التكرير كما قيل بل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار منه (كذلك) أي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا أو مجنوناً وقوله تعالى (ما أتى الذين من قبلهم) الخ تفسيره أي ما أتاهم (من رسول)

من رسل الله (الاقالوا)
 في حقهم (ساحرا ومجنون)
 ولا سبيل الى انتصاب
 الكاف يابى لامتناع
 عمل ما بعد ما التافية فيما
 قبلها (أتوا صوابه)
 انكاروا تعجيب من حالهم
 واجا عنهم على تلك
 الكلمة الشنيعة التي
 لانكاد تخطر ببال أحد
 من العقلاء فضلا عن
 التفوه بها اي أوصى
 بهذا القول بعضهم بعضا
 حتى اتفقوا عليه وقوله
 تعالى (بل هم قوم
 طاغون) اضراب عن
 كون مدار اتفاقهم على
 الشر توأصيهم بذلك
 واثبات لكونه أمرا
 أقبح من التواصي وأشنع
 منه من الطغيان الشامل
 لكل الدال على أن
 صدور تلك الكلمة
 الشنيعة عن كل واحد
 منهم بمقتضى جبلته
 الخبيثة لا بموجب وصية
 من قبلهم بذلك من غير
 أن يكون ذلك مقتضى
 طباعتهم (فتول عنهم)
 فأعرض

الخلق وذلك عند ظهور الكفر في العالم ولا يظهر الكفر الا عند كثرة الجهل ثم ان الله
 تعالى لا يرسل رسولا مع كون الايمان به ضروريا الا لكان الايمان به ايمان اليأس فلا
 يقبل والجاهل اذا لم يكن المبين له في غاية الوضوح لا يقبله فيبقى في وورطة الضلالة فهذا
 قدر لزم بقضاء الله على الخلق على هذا الوجه وقد ذكرنا مرة أخرى أن بعض الناس يقول
 كل ما هو قضاء الله فهو خير والشر في القدر فالله قضى بأن النار فيها مصلحة للناس
 لانها نور ويجهلونها منا في الاستغفار وغيرها كما ذكر الله والماء فيه مصلحة للشرب لكن
 النار انما تتم بمصلحتها بالحرارة البالغة والماء بالسيلان القوي وكونهما كذلك يلزم بهما
 باجراء الله عادته عليهما أن يحرق ثوب الفقير ويعرق شاة المسكين فالمنفعة في القضاء
 والمضرة في القدر وهذا الكلام له غور والسنة أن تقول بفعل الله ما يشاء ويحكم
 ما يريد (وعن الثالث) أن ذلك ليس بعام قاته لم يقل الاقل كلمهم وانما قال الاقالوا ولما
 كان كثير منهم بل أكثرهم قائلين به قال الله تعالى الاقالوا فان قيل فلم لم يذكر
 المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الاقل بعضهم صدقت وبعضهم كذبت تقول لان
 المقصود التولية وهي على التكذيب فكأنه تعالى قال لاناس على تكذيب قومك
 فان أقوا ما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا ثم قال (أتوا صوابه بل هم قوم طاغون) أي بذلك
 القول وهو قولهم ساحر أو مجنون ومعناه التعجب أي كيف اتفقوا على قول واحد
 كأنهم توأطأوا عليه وقال بعضهم لبعض لا تقولوا الا هذا ثم قال لم يكن ذلك عن التواطؤ
 وانما كان لعنى جامع هو أن الكل أترفوا فاستغنوا فقتلوا الله وطفوا فكذبوا رسوله
 كما أن الملك اذا أمهل أهل بقعة ولم يكفهم بشيء ثم قعد بعد مدة وطابهم الى يابه
 يصعب عليهم لا تخاذهم انقصور والجنان وتحسين بلادهم من الوجوه الحسان فيحلمهم
 ذلك على العصيان والقول بطاعة ملك آخر ثم قال تعالى (قول عنهم فأنت بلوم) هذه
 تسلية أخرى وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان من كرم الاخلاق ينسب نفسه الى
 تقصير ويقول ان عدم ايمانهم لتفسيرى في التبليغ فيجتهد في الانذار والتبليغ فقال
 تعالى قد أنيت بما عليك ولا يضرك التولى عنهم وكفرهم ليس تقصير منك فلا تحزن فالك
 لست بلوم بسبب التقصير وانما هم الملمومون بالاعراض والعتاد ثم قال تعالى (وذكر
 فان الذكرى تنفع المؤمنين) يعني ليس التولى مطلقا بل تول وأقبل وأعرض وادع
 فلا التولى يضرك اذا كان منهم ولا التذكير ينفع الا اذا كان مع المؤمنين وفيه معنى آخر
 اللطف منه وهو ان الهادي اذا كانت هدايته نافعة يكون ثوابه أكثر فلما قال تعالى فتول
 كان يقع لتوهم أن يقول فحيث لا يكون للنبي عليه السلام ثواب عظيم فقال بل وذلك
 لأن في المؤمنين كثرة فاذا ذكرتهم زاد هدايتهم وزيادة الهدى من قوله كزيادة القوم
 فان قوما كثيرا اذا صلى كل واحد ركة أو ركعتين وقوما قليلا اذا صلى كل واحد ألف
 ركة تكون العبادة في الكثرة كالعبادة عن زيادة العدد فالهادي له على عبادة كل مهتد

أجر ولا ينقص أجر المهتدي قال تعالى ان لك لاجرا أي وان توليت بسبب انتفاع المؤمنين بل وحالة اعراضك عن المعاندين وقوله تعالى فان الذكرى تنفع المؤمنين يحتمل وجوها (أحدها) أن يراد قوة يقينهم كما قال تعالى ليزدادوا إيمانا وقال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وقال تعالى زادهم هدى وآتاهم تقواهم (ثانيها) تنفع المؤمنين الذين بعدك فكانك اذا كثرت التذكير بالتكوير نقل عنك ذلك بالتواتر فينتفع به من يجي بعدك من المؤمنين (ثالثها) هو أن الذكرى ان أفاد إيمان كافر فقد نفع مؤمنا لانه صار مؤمنا وان لم يفسد يوجد حسنة ويزاد في حسنة المؤمنين فينتفعوا وهذا هو الذي قيل في قوله تعالى وتلك الجنة التي أوردتموها * ثم قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وهذه الآية فيها فوائد كثيرة ولذا كرها على وجه الاستقصاء فنقول أما تعلقها بما قبلها فلو وجوه (أحدها) أنه تعالى لما قال وذكر عنى أقصى غاية التذكير وهو ان الخلق ليس الا لعبادة فالله صمد من ايجاد الانسان العبادة قد كرههم به وأعلمهم ان كل ما عداه تضييع للزمان (الثاني) هو ان ذكرنا مرارا ان شغل الانبياء فمحصر في أمرين عبادة الله وهداية الخلق فلما قال تعالى فتول عنهم فأنت معلوم بين أن الهداية قد تستقط عند اليأس وعدم المهتدي وأما العبادة فهي لازمة والخلق المطلق لها وليس الخلق المطلق للهداية فأنت معلوم اذا أثبت بالعبادة التي هي أصل اذا تركت الهداية بعد بدل الجهد فيها (الثالث) هو أنه لما بين حال من قبله من التكذيب ذكر هذه الآية ليبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله فما كان خلقهم الا لعبادة وأما التفسير ففيه مسائل (الاولى) الملائكة أيضا من اصناف المكلفين ولم يذكروهم الله مع ان المنفعة الكبرى في ايجادهم هي العبادة ولهذا قال بل عباد مكرمون وقال تعالى لا يستكبرون عن عبادته فالحكمة في ذلك نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) قد ذكرنا في بعض الوجوه أن تعلق الآية بما قبلها بيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالجن والانس لان الكفر في الجن أكثر والكافر منهم أكثر من المؤمن للمبينا أن المقصود بيان قبحهم وسوء صنيعهم (الثاني) هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن فلما قال وذكروهم ما يذكرون به وهو كون الخلق للعبادة خص أمتهم بالذكر أي ذكر الجن والانس (الثالث) ان عباد الاصنام كانوا يقولون بأن الله تعالى عظيم الشأن خلق الملائكة وجعلهم مقرر بين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن نزول درجتنا لنعلم لعبادة الله فعبد الملائكة وهم يعبدون الله فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولم يذكر الملائكة لان الأمر فيهم كان مسلبا بين القوم فذكر المتنازع فيه (الرابع) قيل الجن يتناول الملائكة لان الجن أصله من الاستنار وهم مستترون عن الخلق وعلى هذا فتقديم الجن لدخول الملائكة فيهم وكونهم أكثر عبادة وأخلصها (الخامس) قال بعض الناس كلما ذكر الله الخلق كان فيه التقدير في الجرم والزمان قال تعالى خلق السموات

عن جد اللهم فقد كررت
عابهم المدعوة فابوا
الا لابل (فأنت ياوم)
على التولى بعدما بذلت
المجهود وجاء وزت
في الابلاغ كل حدمه يهود
(وذكر) أي افعال
التذكير والموعظة
ولا تدعها بالمره
أو قد كرههم وقد حذف
الضمير لظهور الأمر
(فان الذكرى تنفع
المؤمنين) أي الذين قدر
الله تعالى إيمانهم
أو الذين آمنوا بالفعل
فانها تزيدهم بصيرة
وقوة في اليقين (وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون)
استثناف مؤد كذا الأمر
مقرر للمؤمنون تعلبه
فان كون خلقهم مغيا
بعبادته تعالى بما يدعو
عليه الصلاة والسلام
الى تذكيرهم يوجب
عليهم التذكروا الاتساق
ولعل تقديم خلق الجن
في الذكر لتقدمه على
خلق الانس في الوجود
ومعنى

والارض وما بينهما في ستة ايام وقال تعالى خلق الارض في يومين وقال خلقت بيدي الى غير ذلك واما ما ذكره باللفظ الامر قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقال قل الروح من امر ربي وقال تعالى اذله الخلق والامر والملائكة استعدادا واكل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتزليل ترتيب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتيب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى اغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعاً كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لو لاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما معنى نهاية كالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير متنى من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى

والارض وما بينهما في ستة ايام وقال تعالى خلق الارض في يومين وقال خلقت بيدي الى غير ذلك واما ما ذكره باللفظ الامر قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقال قل الروح من امر ربي وقال تعالى اذله الخلق والامر والملائكة استعدادا واكل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتزليل ترتيب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتيب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى اغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعاً كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لو لاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما معنى نهاية كالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير متنى من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى

كلها بخلق الله كقوله تعالى خالق كل شيء ومنها الصرايح التي تدل على عدم ذلك
 كقوله تعالى لا يستل عما يفعله وقوله تعالى يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد والاستقصاء
 مفوض فيه الى المتكلم الاصولي لا الى المفسر (المسئلة الرابعة) قال تعالى يا ايها الناس
 انا خلقناكم من ذكروا نثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وقال ليمبدون فهل بينهما
 اختلاف نقول ليس كذلك فان الله تعالى علل جعله شعوبا بالعارف وههنا علل خلقهم
 بالعبادة وقوله هناك ان اكرمكم عند الله اتقاكم دليل على ما ذكره ههنا وهو موافق له لانه
 اذا كان اتقى كان اعبد واخص علاقتك كون المطلوب منه اتم في الوجود فيكون اكرم
 واعز كاشي الذي منفعته فائدة وبعض افراده يكون انفع في تلك الفائدة مثاله الماء
 اذا كان مخزوقا للتطهير والشرب فالصافي منه اكثر فائدة في تلك المنفعة فيكون اشرف
 من ماء آخر فكذلك العبد الذي وجد فيه ما هو المطلوب منه على وجه ابلغ (المسئلة
 الخامسة) ما العبادة التي تخلق الجن والانسان لها قلنا التعظيم لامر الله والشفقة على
 خلق الله فان هذين النوعين لم يخل شرع منهما واما بخصوص العبادات فالشرائع
 مخلفة فيها بالوضع والهيئة والقللة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والاركان ولما
 كان التعظيم الاثني بذى الجلال والاكرام لا يعلم عقلا لزم اتباع الشرائع فيها والاخذ
 بقول الرسل عليهم السلام فقد اتم الله على عباده بارسال الرسل وايضاح السبل في نوعي
 العبادة وقيل ان معناه ليعرفوني روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عز ربه
 كنت كنزا مخفيا فاردت ان اعرف ثم قال تعالى (ما أريد منهم من رزق وما أريد ان
 يطعمون) وفيه جواب سؤال وهو ان الخلق لغرض يبي عن الحاجة فكل ما خلقه لهم
 ليضمون والرفع في اتمهم لالي وذلك لان منفعة العبد في حق السيد ان يكتب له اما
 بتحصيل المال او بحفظ المال عليه وذلك لان العبد ان كان بالكسب لغرض التحصيل
 فيه ظاهر وان كان الشغل فلولا العبد لاحتاج السيد الى استئجار من يفعل الشغل له
 فيحتاج الى اخراج مال والعبد يحفظ ماله عليه ويقنيه عن الاخراج فهو نوع كسب
 فقال تعالى ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون أي است كالسادة في طاب العبادة
 بل هم الراجحون في عبادتهم وفيه وجه آخر وهو ان يقال هذا تقرير لكونهم مخزوقين
 للعبادة وذلك لان العمل في العرف لا بد له من منفعة تكن العبيد على قسمين قسم منهم
 يكون للعظمة والجمال كما ليك الملوك يطعمهم الملك ويستقيم ويعطيهم الاطراف من
 البلاد ويؤتيهم الطراف بعد التلاد والمراد منهم التعظيم والمثول بين يديه ووضع اليدين
 على الشمال اديه وقسم منهم الانتفاع بهم في تحصيل الارزاق أو اصلاحها فقال تعالى
 اني خلقتهم فلا بد فيهم من منفعة فليتفكروا في أنفسهم هل هم من قبيل ان يطلب منهم
 تحصيل رزق وليسوا كذلك فأريد منهم من رزق أو هل هم من يطلب منهم اصلاح
 قوت كاطباخ والحواني الذي يقرب الطعام وليسوا كذلك فأريد ان يطعمون

التعليل على ما يقوله
 الفقهاء وتعارفه أهل
 اللغة هذا المقدار وبه
 يتحقق مداول اللام وأما
 ارادة الفاعل لها فليست
 من مقتضيات اللام
 حتى يلزم من عدم صدور
 العبادة عن البعض
 تخلف المراد عن الارادة
 فان تعوق البعض عن
 الوصول الى الغاية مع
 تعاضد المبادئ وتأخذ
 المقدمات الموصلة اليها
 لا يمنع كونها غاية كما
 في قوله تعالى كتاب
 أنزلناه اليك لتخرج
 الناس من الظلمات الى
 النور ونظيره وقيل المعنى
 الا ليؤمروا بعبادتي
 كما في قوله تعالى وما
 أمروا الا ليعبدوا الها
 واحدا وقيل المراد سعداء
 الحسنيين كما ان المراد
 بقوله تعالى واتقوا ذرانا
 لجنهم كثيرا من الجن
 والانسان اشقياء وهما
 ويضده قراءة من قرأ
 وما خلقت الجن

والانس من المؤمنين
وقال مجاهد واختاره
البعوى معناه الايعرفون
ومداره قوله صلى الله
عليه وسلم فيما يحكيه
عن رب العزة كنت كثرا
مخفيا فأحيت أن أعرف
فخلقت الخلق لأعرف
واعل السر في التعبير
عن المعرفة بالعبادة
على طريق اطلاق
اسم السبب على المسبب
التبني على أن المعبرهي
المعرفة الحاصلة بعبادته
تعالى لا ما يحصل
بغيرها كدعوة الغلاة
(ما أريد منهم من رزق
وما أريد أن يطعمون)
بيان لكون شأنه تعالى
مع عباده متعالي عن
أن يكون كشأن السادة
مع عبيدهم حيث
يلكونهم يستعينوا بهم
في تحصيل ما يشهون
وتهيئة أرزاقهم أي
ما أريد أن أصرفهم
في تحصيل رزقي
ولارزقهم بل أتفضل
عليهم برزقهم وبما
يصلحهم ويعيشهم
من عندي فليست تغلوا بما
خلقوا له من عبادتي

فأذنهم عبيد من انقسم الاول فينبغي ان لا يتركوا التعظيم وفيه لطائف نذكرها في
مسائل (المسئلة الاولى) ما الفائدة في تكرار الارادتين ومن لا يريد من أحد رزقا لا يريد
أن يطعمه نقول هو لما ذكرناه من قبل وهو ان السيد قد يطلب من العبد الكسب له وهو
طلب الرزق منه وقد يكون للسيد مال وافر يستغنى عن الكسب لكنه يطلب مند قضاء
حوائجه بماله من المال واحضار الطعام بين يديه من ماله فالسيد قال لا أريد ذلك ولا هذا
(المسئلة الثانية) لم يقدم طلب الرزق على طلب الاطعام نقول ذلك من باب الارتقاء نقول
انما لا يطلب منك الاعانة ولا من هو أقوى ولا يعكس ويقال فلان يكرمه الامراء بل
السلطين ولا يعكس فقال ههنا لا يطلب منكم رزقا ولا ما هو دون ذلك وهو تقديم طعام
بين يدي السيد فان ذلك امر كثير الطلب من العباد وان كان الكسب لا يطلب منهم
(المسئلة الثالثة) او قال ما أريد منهم أن يرزقون وما أريد منهم من طعام هل تحصل هذه
الفائدة نقول على ما فصل لا وذلك لان بالكسب يطلب الغنى لا القفل فان من اشتغل
بشغل ولم يحصل له غنى لا يكون كمن حصل له غنى وان لم يشتغل كالعبد المتكسب اذا ترك
الشغل لحاجته ووجد مطلبا يرضى منه السيد اذا كان شغفه بالكسب وأما من يراد منه
الفعل لذات الفعل كالجابع اذا بعث عبده لاحضار الطعام فاشتغل باخذ المال من مطلب
فر بما لا يرضى به السيد فالقصد من الرزق الغنى فلم يقل بلفظ الفعل والمقصود من
الاطعام الفعل نفسه فذكر بلفظ الفعل ولم يشل وما أريد منهم من طعام هذا مع ما في
اللفظين من الفصاحة والجزالة للتوابع (المسئلة الرابعة) اذا كان المعنى به ما ذكرت فما
فائدة الاطعام وتخصيصه بالذكر مع ان المقصود عدم طلب فعل منهم غير التعظيم نقول
لما عم في المطلب الاول اكتفى بقوله من رزقي فانه يفيد العموم واشارة الى التعظيم فذكر
الاطعام وذلك لان أدنى درجات الأفعال ان يستعين السيد بعبده أو جارية في تهئية أمر
الطعام ونفي الأدنى يستتبعه نفي الاعلى بطريق الاولى فصار كأنه قال ما أريد منهم
من عين ولا عمل (المسئلة الخامسة) على ما ذكرت لا تنحصر المضاب فيما ذكره لان السيد
قد يشتري العبد لا يطلب عمل منه ولا يطلب رزق ولا يتعظيم بل يشتريه للتجارة والرح فيه
نقول عموم قوله ما أريد منهم من رزق يتناول ذلك فان من اشترى عبدا التجرف فيه فتد طلب
مندرزقا (المسئلة السادسة) ما أريد في العربية يفيد ان في الحال والتخصيص بالذكر
يوهم في ما عدا المذكور لكن الله تعالى لا يريد منهم رزقا في الحال ولا في الاستقبال فلم
لم يقل لا أريد منهم من رزق ولا أريد نقول ما لاني في الحال ولا لاني في الاستقبال
فانما لا اذا قل فلان لا يفعل هذا الفعل وهو في الفعل لا يصدق لكنه اذا ترك مع فراغه
من قوله بصدق انما لا يفعل ما فعل اسعدق في ذكرنا من الصورة مثاله اذا كان
الانسان في الصلاة وقال قائل انه ما يصلي فانظر اليه فاذا كان نظرا اليه الناظر وقد قطع
صلاة نفسه صح أن يقول انما قلت انك لا تصلي ولو قال القائل انه ما يصلي في تلك الحالة

لما صدق فاذ علمت هذا فكل واحد من المفضلين للنسافية فيه خصوص لكن النبي
 في الحال أولى لان المراد من الحال الدنيا والاستقبال هو في امر الآخرة فالدنيا وأمورها
 كلها حاوية فتمله ما أر يدأى في هذه الحالة الراهنه التي هي ساعة الدنيا ومن المعلوم ان
 العبد بعد موته لا يصلح ان يطلب منه رزق او عمل فكان قوله ما أر يد مفيدا للنبي العام ولو
 قال لأر يدلما فأد ذلك ثم قال تعالى (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) تعليلا لما تقدم
 من الامر ين فقوله هو الرزاق تعليلا لعبد طلب الرزق وقوله تعالى ذو القوة تعليلا لعدم
 طلب العمل لان من يطلب رزقا يكون فقيرا محتاجا ومن يطلب عملا من غيره يكون عاجزا
 لا لقوة فصار كأنه يقول ما أر يد منهم من رزق فاني أنا الرزاق ولا عمل فاني قوى وفيه
 مباحث (الاول) قال ما أر يد ولم يقل اني رزاق بل قال على الحكاية عن الغائب ان الله
 في الحكمة فيقول قدروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الى أنا الرزاق على ما ذكرت
 وأما العرارة المشهورة ففيها وجوه (الاول) ان يكون المعنى قل يا محمد ان الله هو الرزاق
 (الثاني) ان يكون ذلك من باب الالتفات والرجوع من التكلم عن النفس الى التكلم
 عن الغائب وفيه ههنا فائدة وهي ان اسم الله يفيد كونه رزاقا وذلك لان الاله بمعنى
 المعبود كما قلنا امرارا وتسمكنا بقوله تعالى ويذكرك وآلهتك أي معبودك واذ كان الله هو
 المعبود ورزق العبد استعماله في غير الكسب افرزته على السيد وههنا لما قال ما خلقت
 الجن والانس الا ليعبدون فقدم انما استخلصهم لنفسه وعبادته وكان عليه رزقهم
 فقال تعالى ان الله هو الرزاق بلهفظ الله الدال على كونه رازقا ولو قال اني أنا الرزاق
 لحصلت المناسبة التي ذكرت ولكن لا يتصل ما ذكرنا (الثالث) ان يكون قل مضمرا
 عند قوله تعالى ما أر يد منهم تقديره قل يا محمد ما أر يد منهم من رزق فيكون بمعنى قوله
 قل ما أسئلكم عليهم من أجر ويكون على هذا قوله تعالى ان الله هو الرزاق من قول النبي
 صلى الله عليه وسلم ولم يقل التوى بل قال ذو القوة وذلك لان المقصود تقرير ما تقدم
 من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير لكن في عدم طلب الرزق لا يكفي كون
 المستغنى بحيث يرزق واحدا فان كثيرا من الناس يرزق ولده وغيره ويسترزق والمالك
 يرزق الجنود ويسترزق فاذا كثر منه الرزق قل منه العطب لان المسترزق من يكثر الرزق
 لا يسترزق من رزقه فلم يكن ذلك المقصود يحصل له الا بالباعثة في وصف الرزق فقال
 الرزاق وأما ما يعني عن الامانة بالغير فدون ذلك وذلك لان القوى اذا كان في غاية
 القوة يعين الغير فاذا كان دون ذلك لا يعين غيره ولا يستعين به واذا كان دون ذلك يستعين
 استعانة ما وتتفاوت بعد ذلك ولما قال وما أر يد أن يطعمون كفاءه بيان نفس القوة
 فقال ذو القوة في افادة معنى التوى دون القوى لان ذلك لا يقال في الوصف اللازم البين
 فيقال في الآدمي ذومال ومتمول وذو جبال وجبيل وذو خاق حسن وخلق الى غير ذلك
 مما يلزمه لزوما بينا ولا يقال في الثلاثة ذات فردية ولا في الاربع ذات زوجية واهنا

(ان الله هو الرزاق)
 الذي يرزق كل ما يفتقر
 الى الرزق وفيه تلويح
 بانه غنى عنه وقرى الى
 أنى ان الرزاق (ذو القوة
 المتين) بالرفع على أنه
 نعت للرزاق أو انه
 او خبر بعد خبرا وخبر
 لمضمر وقرى بالجر على
 أنه وصف للقوة على
 تأويل الاقذار أو الايد

(فان للذين ظلموا) أي ظلموا أنفسهم بغير ايضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قوة
مكان التصديق تكذيبها وهم أهل مكة (ذنوباً) أي نصيبوا وأفرا ﴿٦٩٠﴾ من العذاب (مثل ذنوب أصحاب)

يرد في الاوصاف الحقيقية التي ليست مأخوذة من الافعال ولذا لم يسمع ذوا الوجود ولا
ذوا الحياة ولا ذوا العلم ويقال في الانسان ذوا علم وذو حياة لانها عرض فيه عارض لا لازم
بين وفي صفات الفعل يقال الله تعالى ذوا الفضل كثيرا وذو الخلق قليلا لان ذاك كذا
بمعنى صاحبه وربيه والصحة لا يفهم منها المازوم فضلا عن المازوم البين والذي يؤيد هذا
هو انه تعالى قال وفوق كل ذي علم علم عليه فعمل غير ذاعلم ووصف تفسد بالفعل فيبين ذى
العلم والعلم فرق وكذلك بين ذى التوبة والقوى ويؤيده أيضا انه تعالى قال فاخذهم الله
انه قوى شديد العقاب وقال تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز
وقال تعالى لا تغلبن انا ورسلي ان الله قوى عزيز لان في هذه الصور كان المراد بيان
اقيام بالافعال العظيمة والمراد ههنا عدم الاحتياج ومن لا يحتاج الى الغير يكفيه من
القوة قدرها ومن يقوم مستبدا بالفعل لا بدله من قوة عظيمة لان عدم الحاجة قد
يكون بتلك الفعل والاستغناء عنه ولو بين هذا البحث في معرض الجواب عن سؤال سائل
عن الفرق بين قوله ذوا القوة ههنا وبين قوله قوى في تلك المواضع لكان أحسن * فان
قيل فقد قال تعالى ليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب ان الله قوى عزيز وفيه ما ذكرت
من المعنى وذلك قوله قوى لبيان انه غير محتاج الى النصره وانما يزيد انه يعلم ليثيب
الناصر لكن عدم الاحتياج الى النصره يكفي فيه قوة ما ظلم يقل ان الله ذوا القوة نقول
فيه انه تعالى قال من ينصره ورسوله ومعناه انه يقضي رسوله عن الحاجة ولا يطلب نصرتهم
من خلقه العجزهم وانما يطلبها ثواب الناصرين لا الاحتياج المستنصرين والا فالتة
تعالى وعدهم بالنصره حيث قال ولقد سبقت لكتلت العبادنا المرسلين انهم المنصورون
والاذكر انزل قال قوى ليكون ذلك تقوية لقلوب رسوله والمؤمنين وتساوي
اصدورهم وصدور المؤمنين (البحث الثاني) قال المتين وذلك لان ذوا القوة كما بينا
لا يدل الاعلى ان له قوة ما فراد في الوصف بيانا وهو الذي له ثبات لا يتزلزل وهو مع المتين
من باب واحد لفظا ومعنى فان متين الشيء هو اصله الذي عليه ثباته والمتن هو الظاهر الذي
عليه أساس البدن والمتانة مع القوة كالعزة مع القوة حيث ذكر الله تعالى في مواضع
ذكر القوة العزة فقال قوى عزيز وقال القوى العزيز وفيه لطيفة تؤيد ما ذكرنا من
البحث في القوى وذى القوة وذلك لان المتين هو الثابت الذي لا يتزلزل والعز يز هو
العالم في المتين انه لا يغلب ولا يقهر ولا يهزم وفي العزيز انه يغلب ويقهر ويزل الاقدام
والعزة أكل من التانثه كان القوى أبلغ من ذى القوة فقرن الاكل بالاكلن ومادونه
بمادونه واو نظرت حق النظر وتأملت حق التأمل رأيت في كتاب الله تعالى لطائف تنبهك
على عناد المنكرين وفتح انكار المعاندين * ثم قال تعالى (فان للذين ظلموا ذنوبا مثل
ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون) فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون وهو
المآله وذلك لانه تعالى بين ان من يضع نفسه في موضع عبادة غير الله يكون وضع الشيء

مثل انصباة نظرهم
من الامم المحكية وهو
أخوذ من مقاطعة السقاء
الماء بالذنوب وهو الدار
العظيم المملوءة (فلا
يستعجلون) أي لا يطلبون
من أن أعجل في الجحيم به
يقال استعجله أي حشد
على العجلة وأمره بها
ويقال استعجله أي طلب
وقوعه بالعجلة وانه
قوله تعالى أتى أمر الله
فلا تستعجلوه وهو
جواب لتو لهم متى
هذا الوعد ان كنتم
صادقين (فويل للذين
كفروا) وضع الموصول
موضع ضميرهم تسجيلا
عليهم بما في حيز العسلة
من الكفر واشغار ابعلة
الحكيم وانقاء الترتيب
ثبوت الويل لهم على
أن لهم عذابا عظيما
كأن الله الاولى لترتيب
النهى عن الاستعجال
على ذلك ومن في قوله
تعالى (من يومهم الذي
يوعدون) لتعليل أي
يوعدونه من يوم يدر
وقيل يوم اقيامة وهو
الانسب بما في صدر
السورة الكريمة

الآية والاول هو الاوفى لما قبله من حيث انهما من العذاب الذي يوعدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعد كل ربح هبت وجرت في الدنيا

في غير موضعه فيكون ظالما فقال اذا ثبت ان الانس مخلوق للعبادة فان الذين ظلموا بعبادة
غيرهم هلاك مثل هلاك من تقدم وذلك لان الشيء اذا خرج عن الانتفاع المطلوب
منه لا يحفظ وان كان موضع يخلى المكان عنده الأثرى ان الدابة التي لا يبقى
منفعةها بالموت أو بمرض يخلى عنها الاصطبل والطعام الذي يتعفن يبدد ويفرغ منه
الاناء فكذلك الكافر اذا ظلم ووضع نفسه في غير موضعه خرج عن الانتفاع فحسب اخلاء
المكان عنه وحق نزول الهلاك به * وفي التفسير مسائل (المسئلة الاولى) فيما يتعلق به
انقضاء وقد ذكرنا ذلك في وجه العلق (المسئلة الثانية) ما مناسبة الذنوب نقول العذاب
مصوب عليهم كأنه قال تعالى نصب من فوق رؤسهم ذنوبيا كذنوب صب فوق رؤس
أولئك ووجه آخر وهو ان العرب يستقون من الآبار على اثوبة ذنوبيا فذنوبيا وذلك
وقت عيشهم الطيب فكأنه تعالى قال فان الذين ظلموا من الدنيا وطيبا ذنوبيا أي ملاء
ولا يكون لهم في الآخرة من نصيب كما كان عليهم حال أصحابهم استقوا ذنوبيا وتركوها
وعلى هذا فالذنوب ليس بعذاب ولا هلاك وانما هو رخذ العيش وهو أليق بالعربية وقوله
تعالى فلا يستعجلون فان الرزق مالم يفرغ لا يأتي الاجل ثم اذ ما ذكر في أول السورة
فقال فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة الطور أربعون وتسع آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر
المسبور) هذه السورة مناسبة للسورة المقدمة من حيث الافتتاح بانقسم وبيان
الحشر فيهما وأول هذه السورة مناسب لآخرها قبلها لان في آخرها قوله تعالى فويل
للذين كفروا وهذه السورة في أولها فويل يومئذ للكافرين وفي آخر تلك السورة قال
فان للذين ظلموا ذنوبيا اشارة الى العذاب وقال هنا ان عذاب ربك لواقع وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) ما الطور وما الكتاب المسطور نقول فيه وجوه (الاول) الطور هو
جبل معروف كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه (الثاني) هو الجبل الذي قال الله
تعالى وطور سينين (الثالث) هو اسم الجنس والمراد انقسم بالجبل غير ان الطور الجبل
العظيم كالطور وأما الكتاب ففيه أيضا وجوه (أحدها) كتاب موسى عليه السلام
(ثانيها) الكتاب الذي في السماء (ثالثها) صحائف أعمال الخلق (رابعها) القرآن
وكيفما كان فهي في رفوف وسنين فائدة قوله تعالى في رق منشور وأما البيت المعمور
ففيه وجوه (الاول) هو بيت في السماء العليا عند العرش ووصفه بالعمارة لكثرة
الطائفين به من الملائكة (الثاني) هو بيت الله الحرام وهو معمور بالحاج الطائفين به

* (سورة الطور مكية

وأبها تسم أويمان

وأربعون آية) *

* (بسم الله الرحمن

الرحيم) * (والطور)

الطور بالسريرية الجبل

والمراد به طور سينين

وهو جبل يدين سمع فيه

موسى عليه السلام كلام

الله تعالى (وكتاب

مسطور) مكتوب على

وجه الانتظام فان السطر

ترتيب الحروف الكتابية

والمراد القرآن أو الواح

موسى عليه السلام وهو

الانسب بالطور أو ما

يكتب في اللوح أو ما

يكتبه الحفظة (في رق

منشور) الرق الجلد الذي

يكتب فيه يستعمل ما يكتب

فيه الكتاب من الصحيفة

وتكبرهما للتخيم أو

للاشعار بأنهما ليسا

ما يتعارفه الناس

انما كنين (الثالث) البيت المعمور اللام فيه لتعريف الجنس كانه يقسم بابيوت
 المعمورة والعمائر المشهورة والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور قيل الموقد ناراً
 يقال مسجرت التور وقيل هو البحر المملوء ماء المتوج وقيل هو بحر معروف في السماء
 يسمى بحر الحيوان (المسئلة الثانية) ما الحكمة في اختيار هذه الاشياء نقول هي تحتمل
 وجوهاً (أحدها) ان الاماكن الثلاثة وهي الطور والبيت المعمور والبحر المسجور
 اماكن كانت الثلاثة انبياء ينفردون فيها للخنوع برحيم والخلاص من الخلق والخطاب
 مع الله اما النور فانتقل اليه موسى عليه السلام وانبئت المعمور محمد صلى الله عليه وسلم والبحر
 المسجور يونس عليه السلام والكل خاطبوا الله هناك فقال موسى اتملكننا بما فعل
 السفهاء منا ان هي الا فتلك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء وقال ارنى انظر اليك
 واما محمد صلى الله عليه وسلم فقال سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لأخصني ثناء عليك
 أنت كما أئذيت على نفسك وأما يونس فقال لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين
 فصارت الاماكن شريفة بهذه الاسباب فحالف الله تعالى بها وأما ذكر الكتاب فان الانبياء
 كان لهم في هذه الاماكن مع الله تعالى كلام والكلام في الكتاب واقرانه بانطور أدل على
 ذلك لان موسى عليه السلام كان له مكتوب ينزل عليه وهو بالطور واما ذكر السقف
 المرفوع ومعه البيت المعمور ايعلم عظمة شأن محمد صلى الله عليه وسلم (ثانيها) وهو ان
 القسم لما كان على وقوع العذاب وعلى انه لا دافع له وذلك لانه لا مهرب من عذاب
 لان من يريد دفع العذاب عن نفسه ففي بعض الاوقات يتحصن بمثل الجبال الشاهقة التي
 ليس لها طرف وهي متضايقة بين انه لا يتفع التحصن بها من امر الله تعالى كما قال ابن نوح
 عليه السلام ساوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم
 حكاية عن نوح عليه السلام (المسئلة الثالثة) ما الحكمة في تكثير الكتاب وتعريف بال
 الاشياء نقول ما يحتمل الخفاء من الامور المناسبة بأمثالها من الاجناس يعرف باللام
 فيقال رأيت الامير ودخلت على الوزير فاذا بلغ الامير الشهرة بحيث يؤمن بالالتباس
 مع شهرته ويريد الواصف وصفه بالعظمة يقول اليوم رأيت أميراً ماله نظير جبال ساو عليه
 سماء الملوك وأنت تريد ذلك الامير المعلوم والسبب فيه انك بالتكثير تشير الى انه خرج عن
 أن يعلم ويعرف بكنهه عظمته فيكون كقوله تعالى الحاقة الحاقة وما أدراك ما الحاقة
 فاللام وان كانت معرفة لكن أخرجها عن المعرفة ككون شدة هولها غير معروف
 فكذلك ههنا الطور ليس في الشهرة بحيث يؤمن باللبس عند التكثير وكذلك البيت
 المعمور وأما الكتاب الكريم فقد تميز عن سائر الكتب بحيث لا يسبق الى افهام
 السامعين من النبي صلى الله عليه وسلم لفظ ان الكتاب الا ذلك فلما أمن اللبس وحصلت فائدة
 التعريف سواء ذكر باللام أو لم يذكر فصداً الفائدة الاخرى وهي في الذكر بالتكثير وفي
 تلك الاشياء لما تحصل فائدة التعريف الابانة التعريف استعمالها وهذا يؤيد كون

(والبيت المعمور) أى
 الكعبة وعمارته بالحجج
 والعمار والمجاورين
 أو الضراح وهو في السماء
 الرابعة وعمرانه كثرة
 غاشية من الملائكة
 (والسقف المرفوع)
 أى السماء ولا يخفى حسن
 موقع العنوان المذكور
 (والبحر المسجور)
 أى المملوء وهو البحر
 المحيط أو الموقد من قوله
 تعالى وإذا البحار
 سجرت فالمراد به الجنس
 روى أن الله تعالى يجعل
 البحار يوم القيامة ناراً
 يسجر بها نار جهنم

المراد منه القرآن وكذلك اللوح المحفوظ مشهور (المسئلة الرابعة) ما الثابتة في قوله تعالى في ريق منشور وعظمة الكتاب بالفظه ومعناه لا بخطه ورقه نقول هو اشارة الى الموضوع وذلك لان الكتاب المطوي لا يعلم ما فيه فقال هو في ريق منشور ليس كالكتاب المطوية وعلى هذا المراد اللوح المحفوظ فعناه هو منشور لكم لا يمنعكم أحد من مطالعته وان قلنا بأن المراد كتاب اعمال كل أحد فالتكبير اهدم المعرفة بعينه و في ريق منشور لبيان وصفه كما قال تعالى كتابا ينشاء منشورا وذلك لان غير المعروف اذا وصف كان الى المعرفة أقرب شيها (المسئلة الخامسة) في بعض السور أقسم بجموع كما في قوله تعالى والذاريات وقوله والمرسلات وقوله والنازعات وفي بعضها بأفراذ كما في هذه السورة حيث قال والطور ولم يقل والاطوار والبحار ولا سيما اذا قلنا المراد من الطور الجبل العظيم كأطود كما في قوله تعالى وردنا فوقهم الطور أي الجبل فاللحكمة فيه نقول في الجموع في أكثرها أسم بالتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة مستمرة حتى يقع القسم بها بل هي متبدلة بأفرادها مستمرة بانواعها والمئة تصود منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال والذاريات اشارة الى النوع المستر لا الى الفرد المعين المستقر واما الجبل فهو ثابت قليل التغير والواحد من الجبال دائم زمانا ودورا فاقسم في ذلك بانواحد وكذلك قوله والنجم والريح ما علم القسم به وفي الطور علم ثم قال تعالى (ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع) اشارة الى القسم عليه وفيه مباحث (الاول) في حرف ان وفيه مقامات (الاول) هي تنصب الاسم وترفع الخبر والسبب فيه هو انها شبهت بالفعل من حيث اللفظ والمعنى اما اللفظ فلكون الفتح لازما فيها واختصاصها بالدخول على الاسماء والمنصوب منها على وزن ان أيننا واما المعنى فقول اعلم ان الجملة اثباتية قبل الجملة الانتغائية ولهذا استغنوا عن حرف يدل على الاثبات فاذا قالوا زيد منطلق فهم منه ارادة اثبات الانطلاق زيد والانتغائية لما كانت بعد المثبتة زيد فيها حرف يغيرها عن الاصل وهو الاثبات فقيل ليس زيد منطلقا فصار ليس زيد منطلقا بعد قول القائل زيد منطلق ثم ان قول القائل ان زيد منطلق مستنبط من قوله ليس زيد منطلقا كأن الواضع لما وضع أو لا زيد منطلق للاثبات وعند النبي يحتاج الى ما يغيره أي بلفظ مغير وهو فعل من وجه لانك قد تبني مكانه ما النافية ولهذا قيل لست و ليسوا فالحق به ضمير الفاعل ولو لانه فعل لما جاز ذلك ثم أراد أن يضع في مقابلة ليس زيد منطلقا جملة اثباتية فيها لفظ الاثبات كان في النافية لفظ النبي فقال ان ولم يقصد أن ان فعل لان ليس يشبه بالفعل لما فيه من معنى الفعل وهو التغير فانها غيرت الجملة عن أصلها الذي هو الاثبات وأما ان فلم تغير الجملة على ما كانت عليه اثباتية فصارت مشبهة بالمشبهة بالفعل وهي ليس وهذا ما يقوله الخويون في ان وان وكان وليت وعلل انها حروف مشبهة بالافعال اذا عملت هذا فنقول كما ان ليس اسم كالفاعل وخبر كالفعل نقول ليس زيد لثيما بالرفع والتنصب كما نقول بات زيد كريما

(ان عذاب ربك لواقع)
 أي لنازل حتما جواب
 للقسم وقوله تعالى (ماله
 من دافع) اما خبر ثان
 لان اوصفة لواقع ومن
 دافع اما مبتدأ للظرف
 أو مرفوع به على القاعلية
 ومن مزيدة للتأكيد
 وتخصيص هذه الامور
 بالاقسام بها لما أنها
 أمور عظام تنبئ عن
 عظم قدرة الله تعالى
 وكال علمه وحكمته
 الدالة على احاطته
 تعالى بتفاصيل أعمال
 العباد وضبطها
 الشاهدة بصدق
 اخباره والتي من جعلها
 الجملة المقسم عليها
 وقوله تعالى

فكذلك ان لها اسم وخبر لكن اسمها يخالف اسم ايس وخبرها خبرها فان اسم ان منصوب وخبرها مرفوع لان ان لما كانت زيادة على خلاف الاصل لانها لا تفيد الا الاثبات الذي كان مستغادا من غير حرف وايس لما كانت زيادة على الاصل لانها تعبر الاصل واولاها لما حصل التصود جعل المرفوع والمنصوب في ايس على الاصل لان الاصل تقديم الفاعل وفي ان جعل ذلك على خلاف الاصل وقدم المشبه بالفعل على المشبه بالفاعل تقدما لازما فلا يجوز ان يقال ان منطلق زيدا هو في ايس منطلقا ز جاز كافي الفعل لانها فعل (المقام الثاني) هي لم تكسر تارة وتفتح اخرى تقول الاصل في الكسرة والقحذا اعرافين وان كان هذا في الظاهر يخاف قول النحاة لكن في الحقيقة هي كذلك (المقام الثالث) لم تدخل اللام على خبر ان المكسورة دون المفتوحة فلما قد خرج مما سبق ان قول القائل زيد منطلق اصل لان المثبتات هي المحتاجة الى الاخبار عنها فان التعبر في ذلك واما العدييات فعلى أصواتها مستمرة ولهذا يقال الاصل في الاشياء اليقاع ثم ان السامع له قد يحتاج الى الرد عليه فيقول ايس زيد منطلقا فيقول هو ان زيدا منطلق فيقول هو ردا عليه ليس زيد منطلق فيقول ردا عليه ان زيدا منطلق وأن ايس في مقابلة ايس وانما هي متفرعة عن المكسورة (المبحث الثاني) قوله تعالى عذاب ربك فيه لطيفة عزيزة وهي انه تعالى اوقال ان عذاب الله لواقع والله اسم مني عن العظمة والهيبة كان يخاف المؤمن بل النبي صلى الله عليه وسلم من ان يلحقه ذلك لكونه تعالى مستغنيا عن العالم بأسره فضلا عن واحد فيه فآمنه بقوله ربك فانه حين يسمع انظر الرب يأمن (المبحث الثالث) قوله لواقع فيه اشارة الى الشدة فان الواقع والوقوع من باب واحد فالواقع أدل على الشدة من الكائن * ثم قال تعالى ماله من دافع والبحث فيه قد تقدم في قوله تعالى ومار بك بظلام للعبيد وقد ذكرنا ان قوله والطور والبيت المعمور والبحر المسجور فيه دلالة على عدم الدافع فان من يدفع عن نفسه عذابا قد يدفع بالتحصن بقل الجبال ولجج البحار ولا ينفذ ذلك بل الوصول الى السقف المرفوع ودخول البيت المعمور لا يدفع * ثم قال تعالى (يوم تمور السماء مورا ونسير الجبال سيرا) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الناصب اليوم تقول المشهور ان ذلك هو الفعل الذي يدل عليه واقع أي يقع العذاب يوم تمور السماء مورا والذي أظنه انه هو الفعل المتداول عليه بقوله ماله من دافع وانما قلت ذلك لان العذاب الواقع على هذا ينبغي أن يقع في ذلك اليوم لكن العذاب الذي به التخويف هو الذي بعد الحشر ومور السماء قبل الحشر واما اذا قلنا معناه ايس له دافع يوم تمور فيكون في معنى قوله فلم يك يفتحهم ايمانهم لما رأوا بأسنا لأنه تعالى يقول ماله من دافع في ذلك اليوم وهو ما اذا صارت السماء تمور في اعينكم والجبال تسير وتتحققون ان الامر لا ينفذ شيئا ولا يدفع (المسئلة الثانية) ما مور السماء تقول خروجها عن مكانها تتردد وتموج والذي تقولها الفلاسفة قد علمت ضعفه مرارا وقوله

(يوم تمور السماء مورا)
 طرف لواقع مبين للكيفية
 الوقوع مني عن كمال
 هوله وفضاعته والمور
 الاضطراب والتردد في
 المجي والذهاب وقيل
 هو تحرك في تموج قيل
 تدور السماء كما تدور الرجا
 وتكتأ بأهلها تكفو
 السفينة وقيل تخلف
 أجزاؤها (وتسير الجبال
 سيرا) أي تزول عن وجه
 الارض فتصير هباء
 وتأكيد الفعلين
 بمصدرين مما لا يبدان
 بغير اتيهما وخروجهما
 عن الحدود اليهودية
 أي مورا عجيبا وسيرا
 يدعيا لا يدرك كنههما
 (قويل يومئذ لكاذبين)
 أي اذا وقع ذلك أو
 اذا كان الامر كما ذكر
 قويل يوم اذ يقع ذلك
 لهم (الذين هم في
 خوض) أي اندفاع
 عجيب في الاباطيل
 والا كاذيب (يلعبون)
 يلهون

تعالى وتسير الجبال سيراً يدل على خلاف قواهم وذلك لانهم واقتوا على ان خروج الجبل
 العظيم عن مكانه جائز وكيف لا وهم يتقنون بأن زلزلة الارض مع ما فيها من الجبال
 بجوار مجتمعات تحت الارض فيحركها واذا كان كذلك فنقول السماء قابلة للحركة
 باخراجها خارجة عن السموات والجبل ساكن يقتضى طبعه السكون واذا قيل جسم
 الحركة مع انها على خلاف طبعه فلا يقبلها جرم آخر مع انها على موافقته أولى وقواهم
 اقابل للحركة المستديرة لا يقبل الحركة المستقيمة في غاية الضعف وقوله موراي فيد فائدة
 جلية وهي ان قوله تعالى وتسير الجبال يحتمل ان يكون بياناً لكيفية مور السماء وذلك
 لان الجبال اذا سارت وسيرت معها سكانها يظهر أن السماء كالسيارة الى خلاف تلك
 الجهة كما شاهد مرآكب السفينة فانه يرى الجبل الساكن متحركاً فكان قائل ان يقول
 السماء تدور في رأى العين بسبب سير الجبال كما يرى القمر سائراً راكب السفينة والسماء
 اذا سارت كذلك فلا يبقى مهرب ولا مفرج لافى السماء ولا فى الارض (المسئلة الثالثة)
 ما السبب في مورها وسيرها قلنا قدرة الله تعالى وأما الحكمة فالايذان والاعلام بان
 لا تعود الى الدنيا وذلك لان الارض والجبال والسماء والنجوم كلها العمارة الدنيا والارتفاع
 لبنى آدم بها فان لم يتفق لهم عود لم يبق فيها نفع فاعند من الله تعالى (المسئلة الرابعة)
 اوقال قائل كنت وعدت ببحث في الزمان يستفيد العاقل منه فوائد في اللفظ والمعنى
 وهذا موضعه فان الفعل لا يضاف اليه شيء غير الزمان فيقال يوم يخرج فلان حين يدخل
 فلان وقال الله تعالى يوم ينفع الصادقين وقال يوم تدور السموات قال يوم خلق السموات
 والارض وكذلك يضاف ~~الجملة~~ في ذلك فنقول الزمان طرف الافعال وكان
 المكان طرف الاعيان وكان ~~جوهر~~ من الجوهر لا يوجد الا في مكان فكذلك عرض
 من الامور لا يتجدد الا في زمان وفيهما متغير خلق عظيم فقالوا ان كان المكان جوهر
 فله ~~مدرسة~~ ^{يوم} يتسلسل الامر وان كان عرضاً فالعرض لا يبدل من جوهر والجوهر لا يبدل
 من مكان ~~او~~ ^{او} يتسلسل وان لم يكن جوهر او لا عرضاً فالجوهر يكون حاصلاً
 فيما لا وجود ~~في~~ ^{في} الاشارة اليه وليس كذلك وقالوا في الزمان ان كان الزمان غير متجدد
 فيكون كالامور المستمرة فلا يثبت فيه المضي والاستقبال وان كان متجدداً وكل متجدد
 فهو في زمان فلان زمان آخر فيتسلسل الامر ثم ان الفلاسفة التزموا التسلسل في
 الازمنة ووقعوا بسبب هذا في القول بقدم العالم ولم يلتزموا التسلسل في الامكنة وفرقوا
 بينها من غير فارق وقوم التزموا التسلسل فيهما جميعاً وقالوا بان تقدم وازمان لانها نهانها
 وبالامتداد وابعاد لانها يهاتها وهم وان خالفونا في المسئلتين جميعاً والفلاسفة واقتونا
 في احدهما دون الاخرى لكنهم سلكوا جماعة الوهم ولم يتركوا على أنفسهم سبيل
 الالتزام في الازمان فان قيل فالمتجدد الاول قبله ماذا نقول ليس قبله شيء فان قيل فعدمه
 قبله او قبله عدمه نقول قولا ليس قبله شيء أعظم من قولك قبله عدمه لانا اذا قلنا ليس قبل

آدم حيوان بألف رأس صدقنا ولا يستلزم ذلك صدق قولنا آدم قبل حيوان بألف رأس
 أو حيوان بألف رأس بعد آدم لانتهاء ذلك الحيوان أولا وآخرا وعدم دخوله في الوجود
 ازلا وأبدا فكذلك ما علمنا فان قيل هذا لا يصح لان الله تعالى شيء موجود وهو قبل
 العالم نقول قولنا ليس قبل المتجدد الاول شيء معناه ليس قبله شيء بالزمان واما الله تعالى
 فليس قبله بالزمان اذ كان الله ولا زمان وازمان ووجدتم المتجدد الاول فان قيل فإمعنى
 وجود الله قبل كل شيء غيره نقول معناه كان الله ولم يكن شيء غيره لا يقال ماذا كرت
 اثبات شيء بشيء ولا يثبت ذلك لشيء الا بما ترومون اثباته فان بداية الزمان عرضكم وهو
 مبنى على المتجدد الاول والنزاع في المتجدد فان عند الخصم ليس في الوجود متجدد أول قبل
 قبل كل متجدد متجدد لاننا نقول نحن ماذا كرتنا ذلك دليلا وانما ذكرناه بياننا لعدم الالتزام
 وانه لا يرد علينا شيء اذا قلنا بالحدوث ونهاية الابعاد والازمان والالتزام فيسلم الكلام الاول
 ثم يلزم ويقول أنت تقول اننا متجدد اول فكذلك قل له عدم فتقول لا بل ليس قبله
 امر بالزمان فيكون ذلك نفيا عاما وانما يكون ذلك لانتهاء الزمان كما ذكرنا في المثال اذا
 علمت هذا فصار الزمان تارة موجودا مع عرض وأخرى موجودا بعد عرض لان يومنا
 هذا وغيره من الايام كلها صارت متميزة بالمجدد الاول والمتجدد الاول له زمان هو معه
 اذا عرفت الزمان والمكان أمرهما مشكل بالتسوية الى بعض الالهام والامر الخفي
 يعرف بالوصف والاضافة فانك اذا قلت غلام لم يعرف فاذا وصفته فأوضحته وقلت غلام
 صغير أو كبير أو أبيض أو أسود قريب من الفهم وكذلك اذا قلت غلام زيد قريب ولم يكن يد
 من معرفة الزمان ولا يعرف الشيء الا بما يختص به فانك اذا قلت في الانسان حيوان
 موجود بعده عن الفهم واذا قلت حيوان طويل القامة قريبه منه ففي الزمان كان يجب
 أن يعرف بما يختص به لان الفعل الماضي والمستقبل والحال يختص بازمة والمصدر له
 زمان مطلق فلو قلت زمان الخروج تميز عن زمان الدخول وغيره فاذا قلت يوم خرج أفاد
 ما أفاد قولك يوم الخروج مع زيادة هو أنه تميز عن يوم يخرج والاضافة الى ما هو أشد تميزا
 أولي كالك اذا قلت غلام رجل ميزته عن غلام امرأة واذا قلت غلام زيد زدت عليه
 في الافادة وكان أحسن كذلك قولنا يوم خرج لتعرف ذلك اليوم خير من قولك يوم
 الخروج فظهر من هذا البحث أن الزمان يضاف الى الفعل وغيره لا يضاف لاختصاص
 الفعل بالزمان دون غيره الا المكان في قواه اجلس حيث يجلس فان حيث يضاف الى الجمل
 لشابهة ظرف المكان لظرف الزمان وأما الجمل فهي انما يصح بواسطة تضمنها الفعل فلا
 يقال يوم زيدا حولك يقال يوم زيد فيه خارج ومن جملة الفوائد اللفظية ان لا تختص
 استعمالها بالزمان قال الله تعالى ولات حين مناص ولا يقال لات رجل سوء وذلك لان
 الزمان تجدد بعد تجدد ولا يبقى بعد القضاء حياة أخرى وبعد كل حركة حركة أخرى وبعد
 كل زمان زمان واليه الاشارة بقوله تعالى كل يوم هو في شأن أي قبل الخلق لم يخلق شيئا

لكنه بعدما خاق وهو أبدا دائما مخلوق شيئا بعد شيء فبعد حياتنا موت وبعد موتنا حياة
 وبعد حياتنا حساب وبعد الحساب ثواب دائم أو عقاب لازم ولا يترك الله العمل فلما بعد
 الزمان عن النبي زيد في المروف النافية زيادة فان قيل فالله تعالى أبعد عن الاتقاء
 فكان ينبغي أن لا تقرن التاء بكلمة لانهك نقول في لات حين مناص تأويل وعليه
 لا يرد ما ذكرتم وهو أن لاهي المشبهة بليس تقديره ليس الحين حين مناص وهو
 المشهور ولذلك اخص بالحين دون اليوم والتأويل لان الحين أدوم من الليل والنهار فالليل
 والنهار قد لا يكون والحين يكون * ثم قال تعالى (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم
 في خوض يلعبون) أي اذا علم أن عذاب الله واقع وأنه ليس له دافع فويل اذالمكذبين
 فالغناء لاتصال المعنى وهو الايدان بأمان أهل الايمان وذلك لانه لما قال ان عذاب ربك
 لو اقع لم يبين بأن موقعه بمن فلما قال فويل يومئذ للمكذبين علم للخصوص به وهو المكذب
 وفيه مسائل (المسئلة الاولى) اذا قلت بان فواه ويل يومئذ للمكذبين بيان لمن يقع به
 العذاب وينزل عليه فمن لا يكتب لا يعذب وأهل الكبار لا يعذبون لانهم لا يكتبون نقول
 ذلك العذاب لا يقع على أهل الكبار وهذا كافي قوله تعالى كلما التي فيها فوج سألهم
 خزنتها ألم أنكم نذرتنا وويلي قد جئنا نناذركم فكتبنا فتقول المؤمن لا ياتي فيها القاء هو ان
 وانما يدخل فيها ليطهر ادخال مع نوع اكرام فكذلك الويل للمكذبين والويل للنبي عن
 الشدة وتركيب حروف الواو والياء واللام لا ينفك عن نوع شدة من الويل اذا وقع والويل
 يابوي اذا كان قويا والويل فيه القوة على المولى عليه ويل عليه قوله تعالى يدعون
 فان المكذب يدع والمصدق لا يدع وقد ذكرنا جواز التكرير في قوله ويل مع كونه مبتدأ
 لانه في تقدير المنصوب لانه دعا ومضى وجهه في قوله تعالى فان سلام والخوض نفسه
 خص في استعمال القرآن بالانففاع في الاباطيل والهدايا قال تعالى وخضتم كالنبي خاضوا
 وقال تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وتذكر الخوض بمحتمل وجهين (أحدهما) ان
 يكون للتكثير أي في خوض ككامل عظيم (ثانيهما) أن يكون التثوين نحو ايضا
 عن المضاف اليه كما في قوله تعالى الاوقوله وان كلاً وبعضهم ببعض والاصل في خوضهم
 المعروف منهم وقوله الذين هم في خوض ليس وصفا للمكذبين بما يميزهم وانما هو للذم كما
 انك تقول الشيطان الرجيم ولا تريد فضله عن الشيطان الذي ليس برجيم بخلاف قواك
 اكرم الرجل العالم فالوصف بالرجيم لانهم به لا للتعريف وتقول في المدح الله الذي خلق
 والله العظيم للمدح للتمييز ولا للتعريف عن الله المخلوق أو الله ليس بعظيم فان الله واحد
 لا غير * ثم قال تعالى (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) وفيه مباحث لفظية ومعنوية أما
 اللفظية ففيها مسائل (الاولى) يوم منصوب بما اذا نقول الظاهر انه منصوب بما بعده
 وهو ما يدل عليه قوله تعالى هذه النار تنذيره يوم يدعون يقال لهم هذه النار التي كنتم بها
 تكذبون ويحتمل غير هذا وهو أن يكون يوم بدلا عن يوم في يومئذ تقديرة فويل يومئذ

(يوم يدعون الى نار
 جهنم دعا) أي يدعون
 اليها دفا عني فاشديدا
 بان تغسل ايديهم الى
 أعناقهم وتجمع
 نواصيهم الى أقدامهم
 فيسندفوا الى النار
 وقرى يدعون
 من الدعاء فيكون دعاء
 سالا بمعنى مدعو عين
 ويوم اما يدل من يوم
 تمور أو ظرف لقول
 مقدر قبل قوله تعالى
 (هذه النار التي كنتم بها
 تكذبون) أي يقال لهم
 ذلك ومعنى التكذيب
 بها تكذيبهم بالوحي
 الناطق بها وقوله
 تعالى (أفسح هذا)
 توبيخ وتقريع لهم
 حيث كانوا يسونه
 سحرا كأنه قيل كنتم
 تقولون للقرآن الناطق
 بهذا سحر فهذا
 أيضا سحر وتقديم
 الخبر لانه محط الإنكار
 ومدار التوبيخ (أم
 أنتم لا تبصرون) أي
 أم أنتم عمى عن المخبر
 عند كل كنتم عميا
 عن الخبر أو أم سدت
 أبصاركم كما سدت
 في الدنيا

للمكذبين يوم يدعون أي المكذبون وذلك ان قوله يومئذ معناه يوم يقع العذاب وذلك اليوم هو يوم يدعون فيه الى النار (المسئلة الثانية) قوله يدعون الى نار يدل على هول نار جهنم لان خزنتها لا يقربون منها وانما يدعون أهلها اليها من بعيد ويلقونهم فيها وهم لا يقربونها (الثالثة) دعاء مصدر وقد ذكرت فائدة ذكر المصادر وهي الايدان بأن الدع دع معتبر يقال له دع ولا يقال فيه ليس يدع كما يقول القائل في الضرب الخفيف مستحقره هذا ليس بضرب والعدو المهين هذا ليس يدعو في غير المصادر والرجل الحقير ليس برجل الاعلى قراءة من قرأ يدعون الى نار جهنم دعاً فان دعاً حينئذ يكون منصوباً على الحال تقديره يقال لهم هلموا الى النار مدعوعين اليها * أما المعنوية فتقول قوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم يدل على ان خزنتها يقذفونهم فيها وهم بعد اعنتها وقال تعالى يوم يسحبون في النار نقول الجواب عنه من وجوه (أحدها) أن الملائكة يسحبونهم في النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة هي نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب في النار والدفع في نار أشد وأقوى ويدل عليه قوله تعالى يسحبون في الجحيم ثم في النار يسجرون أي يكون لهم سحب في حوة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال (الثاني) جازاً أن يكون في كل زمان يتولى أمرهم ملائكة فالى النار يدفعهم ملك وفي النار يسحبهم آخر (الثالث) جاز أن يكون السحب بسلاسل يسحبون في النار والساحب خارج النار (الرابع) يحتمل أن يكون الملائكة يدفعون أهل النار الى النار اهانة واستخفافاً بهم ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها * ثم قال تعالى (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) على تقدير يقال * ثم قال تعالى (أفسح هذا أم أنتم لا تصبرون) تحقيراً للأمر وذلك لان من يرى شيئاً ولا يكون الأمر على ما يراه فذلك الخطأ يكون لاجل أحد أمرين إما لامر عائد الى المرئي وإما لامر عائد الى الرائي فتقوله أفسح هذا أي هل في المرئي شك أم هل في بصركم خلال استنهام انكار أي لا واحد منهما ثابت فالذي ترونه حق وقد كنتم تقولون انه ليس بحق وإنما قال أفسح وذلك انهم كانوا ينسبون المرئيات الى السحر فكانوا يتقاولون بأن اشتقاق التمر وأمثلة سحر وفي ذلك اليوم لما تعلق بهم مع البصر الالم المدرك بحس اللبس وبلغ الايلام الغاية لم يمكنهم أن يقولوا هذا سحر والامصاص منهم طلب الخلاص من النار * ثم قال تعالى (اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سوا عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون) أي اذا لم يمكنكم انكارها وتحقق أنه ليس بسحر ولا خلال في ابصاركم فاصلوها وقوله تعالى فاصبروا أو لاتصبروا فائدتان (احدهما) بيان عدم الخلاص وانتفاء الناص فان من لا يصبر يدفع الشيء عن نفسه اما بأن يدفع العذاب فيمنعه واما بان يفضبه فيقتله ويريد به ولا شيء من ذلك يفيد في عذاب الآخرة فان من لا يغلب العذب في دفعه ولا يتخلص بالاعدام فانه لا يقضى عليه فيموت فاذن

قوله الاعلى قراءة من قرأ يدعون أي من الدعاء وهي قراءة زيد بن علي ودعا على حاله كافي الكشاف اه
على زعمكم حيث كنتم تقول انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون (اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا) أي ادخلوها وقاسوا شدائدھا فافعلوا ما شدت من الصبر وعدمه (سوا عليكم) أي الاسران في عدم النفع لا يدفع العذاب ولا يخففه وقوله تعالى (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل الاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتماً كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع (ان المقيمين في جنات ونعيم) أي في آية جنات وأي نعيم على أن الثواب للتفخيم أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمقيمين على أنه للتبويب (فاكهين) ناغمين مثل الذين (بما آتاهم ربهم) وقرئ فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف

الصبر كعده لان من يصبر يدوم فيه ومن لا يصبر يدوم فيه (الثانية) بيان ما تفاوت به عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا فان المعذب في الدنيا صبر ربما انتفع بانصبر اما الجزاء في الآخرة واما الحمد في الدنيا فيقال له ما أشجع وما أقوى قلبه وان جزع يذم فيقال يجزع كالصبيان والنسوان وأما في الآخرة لا مدح ولا ثواب على الصبر وقوله تعالى سواء عليكم سواء خير ومبتداه مدلول عليه بقوله فاصبر بما أولاتصبروا وكأنه يقول الصبر وعدة سواء فان قيل يلزم الزيادة في التعذيب ويلزم التعذيب على المنوي الذي لم يفعله نقول فيه لطيفة وهي أن المؤمن بآياته استغاد أن الخير الذي ينويه يثاب عليه والشر الذي ينويه ولا يعقبه لا يعاقب عليه والكافر بكفره يسار على الضد فالخير الذي ينويه ولا يعمله لا يثاب عليه والشر الذي يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا يظن أن الله تعالى أخبره به وهو اختار ذلك ودخل فيه باختياره كأن الله تعالى قال فان من كفر ومات كافرا أعذبه أبدا فاحذروا ومن آمن أتتبه دائما فني ارتكب الكفر وداوم عليه بعد ما سمع ذلك فاذا طغى المعاقب دائما تحققت ما أوعدته به لا يكون ظلما * ثم قال تعالى (ان المشين في جنات ونعيم) على ما هو عادة القرآن من بيان حال المؤمن بعد بيان حال الكافر وذكر الثواب عقيب ذكر العقاب ليعلم أمر التهيب والترغيب وقد ذكرنا تفسير المتقين في مواضع الجنة وان كانت موضع السرور لكن الناظر قد يكون في البستان الذي هو في غاية الضيعة وهو غير مستعم بقوله ونعيم يفيد أنهم فيها يتمتعون كما يكون المنفرد لا كما يكون الناظر * وقوله (فاكهين) يزيد في ذلك لان المتعم قد يكون آثار التعم على ظاهره وقابله مشغول فلما قال فاكهين يدل على غاية الضيعة وقوله (بما آتاهم ربهم) يفيد زيادة في ذلك لان الفكه قد يكون خسيس النفس فيسره أدنى شيء ويفرح بأقل سبب فقال فاكهين لاندونهم فهم بل اعلو نعمهم حيث هي من عند ربهم * وقوله تعالى (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون المراد أنهم فاكهون بأمرين أحدهما بما آتاهم والثاني بانه وقاهم (وثانيهما) أن يكون ذلك جملة أخرى منسوقة على الجملة الأولى كأنه بين أنه أدخلهم جنات ونعيا ووقاهم عذاب الجحيم * ثم قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين) وفيه بيان أسباب التعميم على الترتيب فالاول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الأكل والشرب ثم الفرش والبسط ثم الأزواج فهذه أمور أربعة ذكرها الله على الترتيب وذكر في كل واحد منها ما يدل على كاله فقوله جنات إشارة الى المسكن والمسكن للجسم ضروري وهو المكان فقال فاكهين لان مكان التعم قد يتنصص بأمور وبين سبب الفكاهة وعلو المرتبة بكونه بما آتاهم الله وقد ذكرنا هذا وأما في الأكل والشرب والاذن المطلق فترك ذكر الأكل والشرب والتنوع بهما وكثرتهما وقوله تعالى هنيئا

لعموم علاق بالخبر أو خبر آخر (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على ما آتاهم على أن ما مصدرية أو على خبران أو حال باضمار قداما من المستكن في الخبر أو في الحال وامام من فاعل أتى أو من مفعوله أو منهما واطهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا واشربوا هنيئا) أو طعاما وشربا هنيئا وهو الذي لا تنغص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه أو بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا أي هنا كما كنتم تعملون أي جزاؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصفوفة (وزوجناهم بحور عين) وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل

قوله وقرى بعين عين
 في الكشف وقرى
 بعين عين اه
 المشهور وقرى بعين
 عين والباء مع أن التزويج
 ما يتعدى الى مفعولين
 لما فيه من معنى الوصل
 والاصاق أو السببية
 اذ المعنى صيرناهم
 أزواجاً بسببهم فان
 الزوجية لا تتحقق بدون
 انضمامهم اليهم وقوله
 تعالى (والذين آمنوا)
 كلام مستأنف مسوق
 لبيان حال طائفة
 من أهل الجنة الذين
 حال الكل وهم الذين
 شاركتهم ذريتهم
 في الايمان وهو مبتدأ
 خبره الحقنابهم وقوله
 تعالى (واتبعتهم
 ذريتهم) عطوف على
 آمنوا وقيل اعتراض
 وقوله تعالى (بايمان)
 متعلق بالاتباع أي
 اتبعتهم ذريتهم بايمان
 في الجملة قاصر عن رتبة
 ايمان الآباء واعتبار
 هذا القيد الايدان
 يثبت الحكم في الايمان
 الكامل اصالة لا لحاقاً
 وقرى ذرياتهم للبالغة
 في الكثرة

اشارة الى خلوهما عما يكون فيهما من المفاسد في الدنيا منها ان الاكل يخاف من المرض
 فلا يهتأله الطعام ومنها انه يخاف النفاد فلا يستحو بالاكل والنكل منتف في الجنة فلا
 مرض ولا انقطاع فان كل أحد عنده ما يفضل عنده ولا اثم ولا تيب في تحصيله فان
 الانسان في الدنيا ر بما يترك لذة الاكل لما فيه من تهيئة المأكل بالطبخ والتحصيل من
 التعب أو المنة أو ما فيه من قضاء الحاجة واستعداد ما فيه فلا يهتأ وكل ذلك في الجنة
 منتف وقوله تعالى بما كنتم تعملون اشارة الى أنه تعالى يقول أي مع اني ربكم وخلقتمكم
 وأدخلكم بفضل لي الجنة وانما انتي عليكم في الدنيا اذ هديتكم ووقفتكم للاعمال
 الناصلة كما قال تعالى بل الله بين يديكم ان هديتكم للايمان وأما اليوم فلا من عليكم لان
 هذا انجاز الوعد فان قيل قال في حق الكفار انما يجزون ما كنتم تعملون وقال في حق
 المؤمنين بما كنتم تعملون فهل بينهما فرق قلت بينهما ما يورن من وجود (الاول) كلمة
 انما للحصر أي لا يجزون الا ذلك ولم يذكروا هذا في حق المؤمن فانه يجزيه أضعاف ما عمل
 ويزيده من فضله وحينئذ ان كان عن الله على عبده فيمن بذلك لا بالاكل والشرب (الثاني)
 قال هنا بما كنتم وقال هناك ما كنتم أي يجزون عين أعمالكم اشارة الى المبالغة في
 المبالغة كما تقول هنا عين ما عملت وقد تقدم بيان هذا وقال في حق المؤمن بما كنتم كان
 ذلك أمر ثابت مستمر بعملكم هذا (الثالث) ذكر الجزاء هناك وقال ههنا بما كنتم
 تعملون لان الجزاء ينبي عن الانقطاع فان من أحسن الى أحد فاني يجزائه لا يتسوق
 المحسن منه شيئاً آخر * فان قيل فانه تعالى قال في موضع جزاء بما كنتم تعملون في
 الثواب تقول في تلك المواضع لئلا يخاطب المجزي لم يقل تجزي وانما أتى بما يفيد العلم
 بالدوام وعدم الانقطاع * وأما في السرر فذكر أمورا أيضا (أحدها) الاتكاء
 فانه هيئة تختص بالنعم والفارغ الذي لا كرامة عليه ولا تكلف لديه فان من يكون عنده
 من يتكلف له يجلس له ولا يتكى عنده ومن يكون في مهم لا يتفرغ الاتكاء فانه هيئة دليل
 خير ثم الجمع يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون لكل واحد سرور وهو الظاهر لان قوله
 مصفوفة يدل على انها اواحد لان سرور الكل لا تكون في موضع واحد مصفوفة واغظ
 السرر يفيد حرور السرور بخلاف الخت وغيره وقوله مصفوفة دليل على انه لمجرد
 العظم فانها لو كانت متفرقة لقبيل في كل موضع واحد ليتكى عليه صاحبه اذا
 حضر في هذا الموضع وقوله تعالى وزوجناهم اشارة الى النعمة الرابعة وفيها أيضا ما يدل
 على كمال الحال من وجود (أحدها) انه تعالى هو الزوج وهو يتولى الطرفين يزوج عباده
 بإمائه ومن يكون كذلك لا يفعل الا ما فيه راحة العباد والاماء (ثانيها) قال وزوجناهم
 بحور ولم يقل وزوجناهم حورا مع ان لفظ التزويج يتعدى فعله الى مفعولين بغير حرف
 يقال تزويجتكها قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وذلك اشارة الى ان
 المنفعة في التزويج لهم وانما زوجوا لانهم بالحور لالذة الحور بهم وذلك لان المفعول

بغير حرف يعلق الفعل به كذلك التزويج تعلق بهم ثم بالخور لان ذلك بمعنى جعلنا
ازدواجهم بهذا الطريق وهو الخور (ثالثها) عدم اقتصار على الزوجات بل وصفهن
بالحسن واختار الاحسن من الاحسن فان احسن ما في صورة الآدمي وجهه واحسن
ما في الوجه العين ولان الخور والعين يدلان على حسن المزاج في الاعضاء ووفرة المادة
في الارواح اما حسن المزاج فعلامته الخور واما وفرة الروح فإسفة العين بسبب كثرة
الروح المصبوبة اليها فان قيل قوله وزوجناهم ذكره بفعل ماضٍ ومتكسبين حال ولم يسبق
ذكره بل ماضٍ يعطف عليه ذلك وعطف الماضي على الماضي والمستقبل على المستقبل
أحسن نقول الجواب من وجوه اثنان الغضبان ومعنوي (أحدهما) ان ذلك حسن
في كثير من المواضع نقول جاء زيد ويجي عمرو وخرج زيد (ثانيها) ان قوله تعالى ان
المتقين في جنات ونعيم تقديره أدخلناهم في جنات وذلك لان الكلام على تقدير أن في
اليوم الذي يدع الكافر في النار في ذلك الوقت يكون المؤمن قد أدخل مكانه فكانه تعالى
يقول في يوم يدعون الى نار جهنم ان المتقين كأنهم في جنات (والثالث) المعنوي وهو
انه تعالى ذكر جزاء الحكم فهو في هذا اليوم زوج عبيد حورا عيننا وهن منتظرات
الرفق يوم الآخرة * ثم قال تعالى (والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحق بهم
ذرياتهم) وفيه لطائف (الاولى) ان شفقة الابوة كما هي في الدنيا موفرة كذلك في الآخرة
ولهذا طيب الله تعالى قلوب عبيده بانه لا يولدهم باولادهم بل يجمع بينهم فان قيل قد
ذكرت في تفسير بعض الآيات ان الله تعالى يسلي الآباء عن الابناء وبالعكس ولا يتذكر
الاب الذي هو من أهل الجنة الابن الذي هو من أهل النار نقول الولد انصغر وجد في
والده الابوة الحسنة ولم يوجد لها معارض ولهذا الحق الله الولد بالوالد في الاسلام في دار
الدنيا عند الصغر واذا كبر استقل فان كفر ينسب الى غير أبيه وذلك لان الاسلام
للمسلمين كالأب ولهذا قال تعالى انما المؤمنون اخوة جمع أخ بمعنى اخوة الولادة
والاخوان جمعه بمعنى اخوة الصداقة والمحبة فاذا الكفر من حيث الحس والعرف أب
فان خالف دينه دين أبيه صار له من حيث الشرع أب آخر وفيه ارشاد الآباء الى أن
لا يشغلهم شيء عن الشفقة على الولد فيكون من اتقى الفاحش أن يشغل الانسان
بالتفرح في البستان مع الاحبة والاخوان عن تحصيل قوت الولدان وكيف لا يشتغل
أهل الجنة بما في الجنة من الخور امين عن اولادهم حتى ذكروهم فأراح الله قلوبهم بقوله
ألقناهم ذرياتهم واذ كان كذلك فما ظنك بالفاسق الذي يذر ماله في الحرام ويترك
أولاده يتكفون وجوه اللثام والكرام نعوذ بالله منه وهذا يدل على ان من يورث أولاده
مالا حلالا يكتب له به صدقة ولهذا لم يجوز للمريض التصرف في أكثر من الثلث (اللاطفة
الثانية) قوله تعالى وأتبعناهم ذرياتهم فهذا ينبغي أن يكون دليلا على أن ما في الآخرة
لحق بهم لان في دار الدنيا مرعاة الاسباب أكثر ولهذا لم يجز الله عادة على أن يقدم بين

وذرياتهم بكسر الهمزة
وقرى وأتبعناهم
ذرياتهم أي جعلناهم
تابعين لهم في الايمان
وقرى أتبعناهم (ألقنا
بهم ذرياتهم) أي في
الدرجة كما روى أنه
عليه الصلاة والسلام
قال انه تعالى يرفع
ذرية المؤمن في درجته
وان كانوا دونه لقرابهم
عنه ثم تلا هذه الآية
(وما ألقناهم) وما نقصنا
الآباء بهذا الالحاق
(من علمهم) من ثواب
علمهم (من شيء)
بان أعطيتنا بعض
مثوباتهم أبناءهم
فتنقص مثوباتهم
وتحط درجتهم وانما
رفعتهم الى منزلتهم
بمحض الفضل
والاحسان وقرى
ألقناهم بكسر اللام
من آت يأت كعلم يعلم
والاول كضرب
يضرب ولتأثم من لات
يأثم وألقناهم من آت
يؤات واولتأثم
من وات بليت والكل
بمعنى واحد وهذا
وقد قيل

يدي الانسان طعاما من السماء فلم يتسبب له بالزراعة والطحن والعجن لا يأكله برفي
 الآخرة يؤتى ذلك من غير سعي جزاءه على ما سعى له من قبل فيبغى أن يجعل ذلك دليلا
 ظاهرا على أن الله تعالى يلحق به ولده وان لم يعمل عملا صالحا كما اتبعه وان لم يشهد ولم يعتقد
 شيئا (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى بإيمان فان الله تعالى اتبع الولد والوالدين في الايمان
 ولم يتبعه أباه في الكفر بدليل أن من أسلم من الكفار حكمه بإسلام أولاده ومن ارتد من
 المسلمين والعباد بالله لا يحكم بكفر ولده (اللطيفة الرابعة) قال في الدنيا أتبعناهم وقال في
 الآخرة ألقنا بهم وذلك لأن في الدنيا لا يدرك الصغير المتبع مساواة المتبوع وانما يكون
 هو تبعا والاب أصله فضل الساعي على غير الساعي وأما في الآخرة فإذا الحق الله بفضله
 ولده به جعل له من الدرجة مثل ماله به (اللطيفة الخامسة) في قوله تعالى وما أتاهم
 تضبيب ألقاهم وازال ذنوبهم المتوهم أن ثواب عمل الاب يوزع على الوالد والولد بل للوالد أجر
 عمله بفضله السعي ولاولاده مثل ذلك فضلا من الله ورحمة (اللطيفة السادسة) في قوله
 تعالى من عملهم ولم يقل من أجرهم وذلك لان قوله تعالى وما أتاهم من عملهم دليل على
 بقاء عملهم كما كان والاجر على العمل مع الزيادة فيكون فيها الاشارة الى بقاء العمل الذي له
 الاجر الكبير الى الدعوية العظيمة العائدة اليه واوقال ما أتاهم من أجرهم لكان ذلك حاصل
 بأدنى شيء لان كل ما يعطى الله عبده على عمله فهو أجر كامل ولانه اوقال تعالى ما أتاهم
 من أجرهم كان مع ذلك يحتمل أن يقال ان الله تعالى تفضل عليك بالاجر الكامل على
 العمل الناقص وأعطاه الاجر الجزيل مع أن عمله كان له ولولده جميعا وفيه مسائل
 (المسئلة الاولى) قوله تعالى والذين آمنوا عطف على ما ذاقوا على قوله ان المتقين
 (المسئلة الثانية) اذا كان كذلك فلم اعاد لفظ الذين آمنوا وكان المقصود يحصل بقوله
 تعالى والحقنا بهم ذرياتهم بعد قوله وزوجناهم وكان يصير التقدير وزوجناهم والحقنا
 بهم نقول فيه فائدة وهو ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعصية وهم الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات وقال ههنا الذين امنوا أي بوجود الايمان يصيروا لدهن اهل الجنة ثم
 ان ارتكب الاب كبيرة أو صغيرة على صغيرة لا يعاقب به ولده بل الوالد وربما يدخل
 الجنة الابن قبل الاب وفيه لطيفة معنوية وهو أنه ورد في الاخبار أن الولد الصغير
 يشفع لآبيه وذلك اشارة الى الجزاء (المسئلة الثالثة) هل يجوز غير ذلك نقول نعم يجوز أن
 يكون قوله تعالى والذين آمنوا عطف على حور عين تقديره زوجناهم بحور عين أي
 قرناهم بهن وبالذين آمنوا اشارة الى قوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين أي جعلنا شملهم
 بالازواج والاخوان والاولاد بقوله تعالى وأتبعناهم وهذا الوجه ذكره الرنخسرى
 والاول أحسن وأصح فان قيل كيف يصح على هذا الوجه الاخبار بلفظ الماضي مع انه
 سبحانه تعالى بعد ما قرن بينهم قلنا يصح في زوجناهم على ما ذكر الله تعالى من تزويجهم منا
 من يوم خلقهن وان تأخر زمان الاقتران (المسئلة الرابعة) قرئ ذرياتهم في الموضعين

الموصول معطوف
 على حور والمعنى
 قرناهم بالحور وبالذين
 آمنوا أي بالرفقاء
 والجالساء منهم فيتعنون
 تارة بلا عبة الحور
 وأخرى بموانسة
 الاخوان المؤمنين
 وقوله تعالى واتبعتهم
 عطف على زوجناهم
 وقوله تعالى بإيمان متعلق
 بما بعده أي بسبب ايمان
 عظيم رفيع المحل وهو
 ايمان الآباء والحقنا
 بدرجاتهم ذرياتهم
 وان كانوا لا يستأهلونها
 تفضلا عليهم وعلى
 آباءهم ليم سرورهم
 ويكمل نعيمهم او بسبب
 ايمان ذات الميزة وهو
 ايمان الذرية كأنه قيل
 يشي من الايمان
 لا يؤهلهم لدرجة
 الآباء الحقنا هم بهم
 (كل امرئ بما كسب
 رهين) قيل هو فاعل
 بمعنى مفعول والمعنى كل
 امرئ مرهون عند الله
 تعالى يا العمل

بالجمع وذريتهم فنهما بالفرد وقرى في الاول ذرياتهم وفي الثاني ذريتهم فهل الثالث وجه
 نقول نعم معنوي لانه نظي وذلك لان المؤمن يتبعه ذرياته في الايمان وان لم توجد على معنى
 أنه او وجد له الف ولد لكانوا أتباعه في الايمان حكما وأما الاخلاق فلا يكون حكما انما هو
 حقيقة وذلك في الموجود فلنابع أكثر من الملقوق فيجمع في الاول وأفرد في الثاني (المسئلة
 الخامسة) ما الفائدة في تنكير الايمان في قوله وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان نقول هو اما
 لا تخصص أو التوكيد كأنه يقول اتبعناهم ذرياتهم بإيمان مخصص كامل أو يقول اتبعناهم
 بإيمان ما أي شيء منه فان الايمان كاملا لا يوجد في الولد بدليل أن من آمن وله ولد صغير
 حكم بإيمانه فإذا باع وصرح بالكفر وأنكر التبعية قبل بانه لا يكون مرتدا وتبين
 بقوله انه لم يتبع وقيل بانه يكون مرتدا لانه كفر بعد ما حكم بإيمانه كالمسلم الاصلي
 فاذن بهذا الخلاف تبين أن ايمانه ليس بقوى وهناك الوجهان ذكرهما الزنجشيري
 ويحتمل أن يكون المراد غير هذا وهو أن يكون التثوين للعوض عن المضاف اليه كما
 في قوله تعالى بعضهم يعرض وقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى وبيانه هو أن الشدير
 اتبعناهم ذرياتهم بإيمان أي بسبب ايمانهم لان الاتباع ليس بإيمان كيف كان ومن كان
 بإيمانه وإيمان الآباء لكن الاضافة تنبي عن تقييد وعدم ~~تكون~~ كون الايمان ايمانا
 على الاطلاق فان قول القائل ماء الشجر وماء الرمان يصح واطلاق اسم الماء من غير
 اضافة لا يصح فتولد بإيمان يوهم أنه ايمان مضاف اليهم كما قال تعالى فلم يك يتفهم
 ايمانهم لسا رأوا بأسنا حيث أثبت الايمان المضاف وان يكن ايمانا فتضع الاضافة مع
 ارادتها ليعلم أنه ايمان صحيح وعوض التثوين ليعلم أنه لا يوجب الامانة في الدنيا الايمان
 الآباء وهذا وجد حسن ثم قال آه الى (كل امرئ بما كسب رهين) قال الواحدى هذا
 عود الى ذكر أهل النار فانهم مرتدون في النار وأما المؤمن فلا يكون مرتدا هنا قال تعالى
 كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين وهو قول مجاهد وقال الزنجشيري كل امرئ
 بما كسب رهين عام في كل أحد مرهون عند الله بالكسب فان كسب خيرا فك رقبته
 والأارق بالرهن والذي يظهر منه أنه عام في كل أحد وفي الآية وجد آخر وهو
 أن يكون الرهن فعلا يعنى الفاعل فيكون المعنى والله أعلم كل امرئ بما كسب رهين
 أي دائم أن أحسن في الجنة مؤبدا وان أساء في النار مخلدا وقد ذكرنا أن في الدنيا دوام
 الاعمال بدوام الاعيان فان العرض لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الآخرة
 دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله يبقى أعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات
 الصالحات وما عند الله باقى والباقي يبقى مع عامله ثم قال تعالى (وأسدناهم بغاكة ولم
 بما يشتهون) أي زدناهم ما كولا ومشروبا أما المأكل فالكول فالفاكة والكهة والحلم وأما المشروب
 فالكلس الذي يتنازعون فيها وفي تفسيرها لطائف (اللطيفة الاولى) لما قلنا ألقناهم
 ذرياتهم بين الزيادة ليكون ذلك جباريا على عادة الملوك في الدنيا اذا زادوا في حق عبد من

الصالح فان عمله فذلك
 والأهلكه وقيل بمعنى
 الفاعل والمعنى كل امرئ
 بما كسب رهين أي
 دائم ثابت وهذا أنسب
 بالقسام فان الدوام
 يقتضى عدم المفارقة
 بين المرء وعمله ومن
 ضرورته أن لا يتقص
 من ثواب الآباء شيء
 فالجملة تعليل لما قبلها
 (وأمددناهم بغاكة
 ولم بما يشتهون)
 وزدناهم على ما كان
 لهم من مبادئ التمتع
 وقتنا فوقنا ما يشتهون
 من فنون النعماء وألوان
 الآلاء (يتنازعون فيها)
 أي يتعاطون فيها هم
 وجلسا وهم بكمان
 رغبة واشتياق كما ينبي
 عنه التعبير عن ذلك
 بالتنازع (كأسا)
 أي خرا تسمية لها
 باسم محلها (لأفوا
 فيها) أي في شربها
 حيث لا يتكلمون في أثناء
 الشرب بل يفوا الحديث
 وسقط الكلام (ولا

عبيدهم يزيدون في أقدار أخبارهم وأقطاعهم واختار من المأكل أرفع الأنواع وهو
 الفاكهة واللحم فانهما طعام المشتمين وجع اوصافا حسنة في قوله مما يشتهون لانه او
 ذكر نوعا فر بما يكون ذلك النوع غير مشتهى عند بعض الناس فقال كل واحد يعطى
 ما يشتهى فان قيل الاشتهام كالجموع وفيه نوع الم تقول ليس كذلك بل الاشتهام به
 اللذة والله تعالى لا يتركه في الاشتهام بدون المشتهى حتى يألم بل المشتهى حاصل مع
 الشهوة والانسان في الدنيا لا يتألم الا باخذ أمرين اما اشتهاه صادق وعينه عن الوصول الى
 المشتهى واما بحصول أنواع الاطعمة والاشربة عنده وسقوط شهوته وكلاهما منتف
 في الآخرة (الطائفة الثانية) لما قال وما ألتناهم ونفي النقصان يصدق بحصول المساوي
 فقال ليس عدم النقصان بالافتقار على المساوي بل بطريق آخر وهو الزيادة والامداد
 فان قيل أكثر الله من ذكر الاكل والشرب وبعض العارفين يقولون لخاصة الله بالله
 شغل شاغل عن الاكل والشرب وكل ما سوى الله تقول هذا على العمل ولهذا قال تعالى
 جزاء بما كانوا يعملون وقال بما كنتم تعملون وأما على العلم بذلك فذلك ولهذا قال لهم فيها
 فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم أي للنفوس ما تنفك به والارواح
 ما تنمنا من القربة والزاني * وقوله تعالى (يتنازعون فيها كأسا) فيكون ذلك على عادة
 الملوك اذا جلسوا في مجالسهم الشرب يدخل عليهم بقواكه ولحوم وهم على الشرب وقواه
 تعالى يتنازعون أي يتعاطون ويحتمل أن يقال التنازع التجاذب وحينئذ يكون تجاذبهم
 تجاذب ملاءمة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة وهو بيان ما هو عليه حال الشرب في الدنيا
 فانهم يتفاخرون بكثرة الشرب ولا يتفاخرون بكثرة الاكل ولهذا اذا شرب أحدهم يرى
 الآخر واجبا أن يشرب مثل ما شرب به حريفة ولا يرى واجبا أن يأكل مثل ما أكل نديمة
 وجديسه * وقوله تعالى (لانعوف فيها ولانائم) وسواء قلنا فيها طائفة الى الجنة أو الى الكاس
 فذكرهما الجريان ذكر الشرب وحكاية على ما في الدنيا فقال تعالى ليس في الشرب في
 الآخرة كل ما فيه في الدنيا من اللغو بسبب زوال العقل ومن التأيم الذي يسبب نهوض
 الشهوة والغضب عند وفور العقل والفهم وفيه وجه ثالث وهو أن يقال لا يعتر به كما يعترى
 الشارب بالشرب في الدنيا فلا يؤثم أي لا ينسب الى اثم وفيه وجه رابع وهو أن يكون
 المراد من التأيم السكر وحينئذ يكون فيه ترتيب حسن وذلك لان من الناس من يسكر
 ويكون رزين العقل عديم اعتياد العربة فيسكن وينام ولا يؤذي ولا يتأذى ولا يهذي
 ولا يسمع الى من هذى ومنهم من يمر بد فقال لانعوف فيها * ثم قال تعالى (ويطوف عليهم
 غلمان لهم كأنهم أولو مكنون) أي بالكؤن وقال تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون
 بأكواب وأباريق وكأس من معين وقوله لهم أي ملكهم اعلاما لهم بتدريجهم على
 التصرف فيهم بالامر والنهي والاستخدام وهذا هو المشهور ويحتمل وجوها أخرى وهو

تأيمهم) ولا يفعلون
 ما يؤثم به فاعله أي
 ينسب الى الاثم او قوله
 في دار التكليف كما هو
 زيدن المناد مين
 في الدنيا وانما يتكلمون
 بالحقم وأحسن الكلام
 ويفعلون ما يفعله الكرام
 وقرئ لانعوف فيها
 ولا تأيم بالفتح
 (ويطوف عليهم)
 أي بالكأس (غلمان
 لهم) أي مما ليك
 مخصوصون بهم وقيل هم
 أولادهم الذين سبقوهم
 (كأنهم أولو مكنون)
 مصون في الصدف
 من بياضهم وصفاتهم
 أو مخزون لانه لا يفرز
 الا الثمين العالي القيمة
 قيل لقنادة هذا الخادم
 فكيف المخدوم فقال
 قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم والذي نفسي
 بيده ان فضل المخدوم
 على الخادم كفضل
 القمر ليلة البدر على
 سائر الكواكب وعنه
 عليه الصلاة والسلام
 ان أدنى أهل الجنة
 منزلة من ينادى الخادم
 من خدامه فيجيبه الف
 يسا به ليك ليك

(وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) ﴿ ٧٠٥ ﴾ أي يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن أحواله وأعماله فيكون

كل بعض سائلا
ومسؤولا لأنه يسأل
بعض معين منهم بعضا
آخر معينا (قالوا) أي
المسؤولون وهم كل
وأحدهم في الحقيقة
(أنا كنا قبل) أي
في الدنيا (في أهلنا
مشغفين) أرقاء القلوب
خائفين من عصيان
الله تعالى معنيين بطاعة
أولئلين من العاقبة
(فن الله علينا) بالرحمة
أو التوفيق للحق (ووقانا
عذاب السعوم) عذاب
النار النافذة في المسام
نفوذ السعوم وقرئ
ووقانا بالتشديد (أنا
كنا من قبل ندعوه)
أي نعبد أو نسأله
الوقاية (أنه هو البر)
الحسن (الرحيم) الكثير
الرحمة الذي إذا عبد
أصاب وإذا سئل أجاب
وقرئ أنه بالفتح بمعنى
لأنه (فذكر) فأنبت
علي ما أنت عليه من
التذكير بما أنزل اليك
من الآيات والذكر
الحكيم ولانكثرة بما
يقولون مما لا خير فيه
فيه من الأباطيل (فما

انه تعالى لما بين امتياز آخر الآخرة عن آخر الدنيا بين امتياز غلمان الآخرة عن غلمان الدنيا فان الغلمان في الدنيا اذا طافوا على السادة والملوك يطوفون عليهم لخطأ أنفسهم اما لتوقع النفع أو لتوفر الصفح وأما في الآخرة فطوفونهم عليهم متعصص لهم ولشفعهم ولا حاجة لهم اليهم والعلام الذي هذا شأنه من يدعى غيره ورمي بالغدرجة الاولاد وقوله تعالى كأنهم أوائل أي في الصفاء ومكتون ليفيد زيادة في صفاء الوالدهم أوليان أنهم كالتخدرات لا يروزلهم ولا خروج من عندهم فهم في أكنافهم ثم قال تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا أنا كنا قبل في أهلنا مشغفين فن الله علينا ووقانا عذاب السعوم أنا كنا من قبل ندعوه أنه هو البر الرحيم) إشارة الى أنهم يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويدكرونه وكذلك الكافر لا ينسى ما كان له من التعمير في الدنيا فتزداد لذة المؤمن من حيث يرى نفسه انتقلت من السجن الجنة ومن الضيق الى السعة ويزداد الكافر ألمنا حيث يرى نفسه منتقلة من السرف الى الترف ومن التعمير الى الخيم ثم يدكرون ما كانوا عليه في الدنيا من الخشية والخوف فيقولون أنا كنا قبل في أهلنا مشغفين وهو أنهم يكون تساؤلهم عن سبب ما وصلوا اليه فيقولون خشية الله كنا نخاف فن الله علينا ووقانا عذاب السعوم وفيد لطيفة وهو أن يكون اشتغالهم على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الاخوان ثم لما زلوا الجنة علموا خطاهم ثم قال تعالى (فذكر فأنت بنعمة ربك بكاهن ولا يجنون أم يقولون شاعر نتر بص به رب المنون قل تر بصوا فاني معكم من المتر بصين) وتعلق الآية بما قبلها ظاهر لأنه تعالى بين أن في الوجود قوما يخافون الله ويشفقون في أهلهم والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما مور يتد كبر من يخاف الله تعالى بقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فحق من يذكره فوجب التذكير وأما الرسول عليه السلام فليس له الا الايتان بما أمر به وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في القاء في قوله فذكر قد علم تعلقه بما قبله فحسن ذكره بالفاء (المسئلة الثانية) معنى الفاء في قوله فأنت أيضا قد علم أي أنك لست بكاهن فلا تغبر ولا تتبع أهواءهم فان ذلك سيرة المزور فذكر فأنك لست بمزور وذلك سبب التذكير (المسئلة الثالثة) ما وجد تعلق قوله نتر بص به رب المنون بقوله شاعر نقول فيه وجهان (الاول) أن العرب كانت تحتز عن ايداء شعراء وتتي ألسنتهم فان الشعر كان عندهم يحفظ ويدون وقأنوا الانعاضه في الحال خافة أن يغلبنا بقوة شعراء وانما سبيلنا الصبر وتر بص موتة (الثاني) أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الحق دين الله وان الشرع الذي أتيت به يبق أبدالدهر وكتابي يتلى الى قيام الساعة فقالوا ليس كذلك انما هو شاعر والذي يدكر في حق آلهتنا شعر ولاناصرله وسيصيبه من بعض آلهتنا الهلاك فنتر بص به ذلك (المسئلة الرابعة) ما معنى رب المنون نقول قيل هو اسم الموت فعول من المن وهو القاطع والموت قاطوع ولهذا سمي بمنون وقيل المن الدهر ور يبد حوادثه وعلى هذا قولهم نتر بص يحتل وجهها آخر وهو أن

أنت بنعمة ربك) بحمده ﴿ ٨٩ ﴾ سا وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا يجنون) كما يقولون
فأنهم الله أنى يؤفكون (أم تقولون شاعر نتر بص به رب المنون)

يكون المراد انه اذا كان شاعرا فصريف الزمان يرتضعف ذهنه وتورث وهنه فيبتين لكل فساد أمره وكساد شعره (المسئلة الخامسة) كيف قال تر بصوا بلفظ الامر وأمر النبي صلى الله عليه وسلم يوجب الأمر أو يفيد جوازه وتر بصهم ذلك كان حراما نقول ذلك ليس بأمر وإنما هو تهديد معناه تر بصوا ذلك فإنا نتر بص الهلاك بكم على حد ما يقول السيد الغنصيان لعبداه فاعل ما شئت فأتى لست عنك بغافل وهو أمر التهورين الأمر على النفس كما يقول ألقائل لمن يهدده برجل ويقول أشكوك الى زيد فيقول اشكنى أى لا يهمنى ذلك وفيه زيادة فائدة وذلك لأنه لو قل لا تشكنى لكان ذلك دليل الخوف ويتأقبه معناه فأتى بجواب تام من حيث اللفظ والمعنى فان قيل او كان كذلك لقال تر بصوا أو لا تر بصوا كما قل اصبروا أو لا تصبروا نقول ليس كذلك لأنه اذا قل القائل فيما ذكرناه من المثال اشكنى أو لا تشكنى يكون ذلك مفيدا عدم خوفه منه فاذا قل اشكنى يكون أدل على عدم الخوف فكانه يقول أنا فارغ عنه وإنما أنت تتوهم أنه يفيد فافعل حتى يبطل اعتقادك (المسئلة السادسة) في قوله تعالى فأتى معكم من المتر بصين وهو يحتمل وجوها (أحدها) انى معكم من المتر بصين أتر بص هلاككم وقد أهلكوا يوم بدر وفي غيره من الايام هذا ما عليه الأكثرين والذي نقوله في هذا المقام هو أن الكلام يحتمل وجوها وبياتها هو أن قوله تعالى نتر بص به ريب المنون ان كان المراد من المنون الموت فقوله انى معكم من المتر بصين معناه انى أحاف الموت ولا اتناء لانفسى ولا لاحد لعدم علمى بما قدمت يداها وإنما أنا نذير وأنا أول ما قل ربى أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فنتر بصوا موتى وأنا متر بصهم ولا يسركم ذلك عدم حصول ما توقعون بعدى ويحتمل أن يكون كما قيل تر بصوا موتى فأتى متر بص موتكم بالعذاب وان قلنا المراد من ريب المنون صروف الدهر ففتاه انكار كون صروف الدهر مؤثرة فكانه يقول انام من المتر بصين حتى ابصر ماذا يأتى به دهركم الذى يجعلونه مهلكا ماذا يصيبنى منه وعلى التقديرين فنقول النبي صلى الله عليه وسلم يتر بص ما يتر بصون غير أن فى الاول تر بصهم مع اعتقاد الوقوع وفى الثانى تر بصهم مع اعتقاد عدم التأثير على طريقة من يقول اننا أيضا نتظر ما ينتظره حتى أرى ماذا يكون منكرا عليه وقوع ما يتوقع وقوعه وإنما قلنا هذا لان ترك المفعول فى قوله انى معكم من المتر بصين لكونه مذكورا ومور يال المنون أولى من تركه واردة غير المذكور وهو العذاب (الثانى) أتر بص صروف الدهر ليطهر عدم تأثيرها فم ولم يتر بص بهم شيئا على الوجهين وعلى هذا الوجه يتر بص بقاء بعدهم وارتفاع كلهم فم يتر بص بهم شيئا على الوجه التى اخترناها فقال انى معكم من المتر بصين ثم قال تعالى (أم تأمرهم احلامهم بهذا أم هم قوم طاغون) وأم هذه أيضا على ما ذكرنا متصلة بتقديرها أنزل عليهم ذكر أم تأمرهم احلامهم بهذا وذلك لان الاشياء اما ان تثبت بسمع واما ان تثبت بعقل فقال هل ورد أمر سمعى أم عقولهم تأمرهم بما كانوا يقولون أم هم قوم طاغون يفترون

وهو ما يعلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعته لان الموت قطوع أى بل أى يقولون ننظر به نوائب الدهر (قل تر بصوا فأتى معكم من المتر بصين) أتر بص هلاككم كما نتر بصون هلاكى وفيه عدة كريمة (أم تأمرهم احلامهم) أى عقولهم (بهذا) أى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغضى عنه مخمل فكره والشاعر ذو كلام موزون منسق مخيل فكيف يحتمل اوصاف هؤلاء فى واحد وأمر الاحلام بذلك مجاز هن أدائها اليد (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحدود فى المكابرة والتمناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب

ويقولون ما لا دليل عليه سمعا ولا متصفا به عقلا والظن بما يجاوز الحد في العصيان
وكذلك كل شيء ظاهره مكروه قال الله تعالى لمسا في الماء وفيه مسائل (الاولى) اذا كان
المراد ما ذكرت فلم أسقط ما يصدر به نقول لان كون ما يقولون به مستندا الى نقل معلوم
عدمه لا ينبغي باما كونه معتولا فيهم كانوا يدعون انه معتول واما كونهم طاغين فهو حق
فخص الله تعالى بالذكر ما قالوا به وقال الله به فهم قالوا نحن نتبع العقل والله تعالى قال هم
طاغون فذكر الامرين اللذين وقع فيهما الخلاف (المسئلة الثانية) قوله تأمرهم احلامهم
اشارة الى ان كل ما لا يكون على وفق العقل لا ينبغي أن يقال وانما ينبغي أن يقال ما يجب
قوله عقلا فهل صار واجبا عقلا أمورا (المسئلة الثالثة) ما الاحلام نقول جمع حلم وهو
العقل وهما من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط المرء فيكون كالصغير المعتول
لا يتحرك عن مكانه والحلم من الحلم وهو ايضا سبب وقار المرء وثباته وكذلك يقال للمعتول
النهى من النهى وهو النعم وفيد معنى اطرف وهو ان الحلم في أصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل
ويلزمه الغسل وهو سبب البلوغ وعنده يصير الانسان مكافئا وكان الله تعالى من لطف
حكيمه قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة كحل العقل فاشارة الى العقل بالاشارة الى
ما يقارنه وهو الحلم ليعلم أنه نقيض العقل الذي به يحتمز الانسان تخطفى الشوك
ودخول النار وعلى هذا ففيه تأكيد لما ذكرنا أن الانسان لا ينبغي أن يقول كل معتول
بل لا يقول الاما تأمرهم به العقل الرزين الذي عنده يصح التكليف (المسئلة الرابعة) هذا
اشارة الى ما ذكرنا في وجوه (الاول) أن يكون هذا اشارة مبهمة أى بهذا الذي يظهر
منهم قولا وفعلا حيث يبدون الاصنام والاوثان ويقولون الهديان من الكلام
(الثاني) هذا اشارة الى قواهم هو كاهن هو شاعر هو مجنون (الثالث) هذا اشارة الى
النتر بص فانهم لما قالوا نتر بص قال الله تعالى انظر لهم تأمرهم بتر بص هلاكهم فان احدا
لم يتوقع هلاك نبيه الاوهالك (المسئلة الخامسة) هل يصح ان تكون أم في هذا الموضع
بمعنى بل نقول نعم تقديره يقولون انه شاعر قولا بل يعتقدونه عقلا ويدخل في عقواهم ذلك
أى ليس ذلك قولا منهم من غير عقل بل يعتقدون كونه كاهنا ومجنونا ويدل عليه قراءة
من قرأ بل هم قوم طاغون لكن بل ههنا واضح وفي قوله بل تأمرهم احلامهم خفي
* ثم قال تعالى (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون) وهو متصل بقوله تعالى أم يقولون شاعر
نتر بص به وتقديره على ما ذكرنا أتقولون كاهن أم تقولون شاعر أم تقوله * ثم قال ابطالان
جميع الاقسام (فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) أى ان كان هو شاعرا ففيكم
الشراء البلقاء والكهنة الاذ كياء ومن يرتحل الخطب والقصائد وبقص القصص
ولا يختلف الناقص والزائد فلياتوا بمثل ما أتى به واتقول يراد به الكذب وفيه اشارة الى
معنى اطيف وهو ان الفعل للتكلف واراءة الشيء وهو ليس على ما يرى يقال ترض فلان
أى لم يكن مرضا وأرى من نفسه المرض وحيث أنه كانوا يقولون كذب وليس

(أم يقولون تقوله) أى
اختلقه من تلقاء نفسه
(بل لا يؤمنون)
فلكفرهم وعنادهم
يرمون بهذه الاباطيل
التي لا يخفى على أحد
بطلانها كيف لا وما
رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا واحد
من العرب فكيف
أنى بما عجز عنه كافة
الامم من العرب والحجم
(فلياتوا بحديث مثله)
مثل القرآن في النعوت
التي استعمل بها
حيث التظلم ومن
المعنى (ان كانوا
صادقين) فيما زعموا
فان صدقهم في ذلك
يستدعى قدرتهم على
الايان بثله بقضية
مشاركتهم له عليه
ما لصلاة والسلام
في البشرية والعربية
مع ما بهم من طول
المسارسة للخطب
والاشعار وكثرة
المزاولة لاساليب
النظم والنثر والمبالغة
في حفظ الوقائع والايام
ولا ريب في أن القدرة
على الشيء من موجبات
الاثبات به ودواعي الامر بذلك

يقول انما هو تقول صورته صورة القول وليس في الحقيقة به ليعلم أن المكذب هو الصادق وقوله تعالى بل لا يؤمنون بيان هذا انهم كانوا في زمان نزول الوحي وحصول المعجزة كانوا يشاهدونها وكان ذلك يقتضى أن يشهدوا له عند غيرهم ويكونوا كالجحوم للمؤمنين كما كانت الصحابة رضى الله عنهم وهم لم يكونوا كذلك بل أقل من ذلك لم يكونوا أيضا وهو أن يكونوا من آحاد المؤمنين الذين لم يشهدوا تلك الامور واما يظهر الامر عندهم ذلك الظهور وقوله تعالى فليأتوا الغاء للتعقيب أى اذا كان كذلك فيجب عليهم أن يأتوا بمثل ما أتى به ليصح كلامهم ويبطل كلامه وفيد مباحث (الاول) قال بعض العلماء فليأتوا أمر تعجيز يقوله القائل لمن يدعى أمرا أو فعلا ويكون غرضه اظهار عجزه والظاهر ان الامر ههنا مبق على حقيقته لانه لم يقل اتوا مطلقا بل انما قال اتوا ان كنتم صادقين وعلى هذا التقدير وجود ذلك الشرط يجب الاتيان به وأمر التعجيز في كلام الله تعالى قوله تعالى ان الله ياتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر وليس هذا بحديث يورث خلافا في كلامهم (الثاني) قالت المعتزلة الحديث محدث والقرآن سماه حديثا فيكون محدثا نقول الحديث اسم مشترك يقال للحديث والقديم واليهذا يصح أن يقال هذا حديث قديم بمعنى متقدم العهد لا بمعنى سلب الاواية وذلك لانزاع فيه (الثالث) النجاة يقولون الصفة تتبع الموصوف في التعريف والتكثير لكن الموصوف حديث وهو منكر ومثل مضاف الى القرآن والمضاف الى العرف معرف فكيف هذا نقول مثل وغير لا يتعرفان بالاضافة وكذلك كل ما هو مثلها والسبب ان غيرا ومثلا وأمثالهما في غاية التكثير فانك اذا قلت مارأيت شيئا مثل زيد يتناول كل شئ فان كل شئ مثل زيد في كونه شيئا فالجماد مثله في الجسم والحجم والامكان والنيات مثله في النشور والتماء والذبول والغناء والحيوان مثله في الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف واما غير فهو عند الاضافة ينكر وعند قطع الاضافة بما يتعرف فانك اذا قلت غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول أمورا لا حصر لها واما اذا قطعت عن الاضافة بما تقول الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك التغيير فيجعل الغير كأسماء الاجناس أو يجعله مبتدأ وتريد به معنى معينا (البحث الرابع) ان كانوا صادقين أى في قواهم تقوله وقد ذكرنا أن ذلك راجع الى ما سبق من أنه كاهن وأنه مجنون وأنه شاعر وأنه متقول ولو كانوا صادقين في شئ من ذلك لهان عليهم الاتيان بمثل القرآن ولما امتنع كذبوا في الكل (البحث الخامس) قد ذكرنا أن القرآن معجز ولا شك فيه فان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثل ما يقرب منه مع التحدى فاما أن يكون كونه معجز الفصاحته وهو مذهب أكثر أهل السنة واما أن يكون معجزا لصرف الله عقول العقلاء عن الاتيان بمثله وعقله وألسنتهم عن النطق بما يقرب منه ومنع القادر من الاتيان بالمقدور كاتيان الواحد بفعل لا يقدر عليه غيره فان من قال لغيره أنا أحرك هذا الجبل يستبعد منه وكذا اذا قال انى أفعل فعلا لا يقدر الخلق على حمل تفاحة من

موضعها يستبعد منه على ان كل واحد فعل محجز اذا اتصل بالدعوى وهذا مذهب بعض المتكلمين ولا فساد فيه وعلى ان يقال هو محجز بهما جميعا * ثم قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) ومن ههنا لاخلاف ان أم ليست بمعنى بل لكن أكثر المفسرين على ان المراد ما يقع في صدر الكلام من الاستفهام اما بالهمزة فكانه يقول أخلقوا من غير شيء أو هل ويحتمل أن يقال هو على أصل الوضع للاستفهام الذي يقع في أثناء الكلام وتقديره أما خلقوا أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما وجه تعلق الآية بما قبلها نقول لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الكهانة والجنون والشعور برأه الله من ذلك ذكر الدليل على صدقه ابطالا لتكذيبهم وبدأ بأنفسهم كانه يقول كيف يكذبونه وفي أنفسهم دليل صدقه لان قوله في ثلاثة أشياء في التوحيد والحشر والرسالة ففي أنفسهم ما يعلم صدقه ويانه هو انهم خلقوا وذلك دليل التوحيد لما بينا ان * في كل شيء له آية تدل على انه واحد * وقد بينا وجهه مرارا فلان عبده وأما الحشر فلان الخلق الاول دليل على جواز الخلق الثاني وامكانه ويدل على ما ذكرنا ان الله تعالى ختم الاستفهامات بقوله أم لهم اله غير الله سبحانه الله عما يشركون (٢) (المسئلة الثانية) اذا كان الامر على ما ذكرت فلم حذف قوله أما خلقوا نقول لظهور انتفاء ذلك ظهورا لا يبقى معه للخلاف وجه فان قيل فلم لم يصدر بقوله أما خلقوا ويقول أم خلقوا من غير شيء نقول ليعلم ان قبل هذا أمرا متقيا ظاهرا وهذا المذكور قريب منه في ظهور البطلان فان قيل قوله أم خلقوا من غير شيء أيضا ظاهر البطلان لانهم علموا انهم مخلوقون من تراب وماء ونطفة نقول الاول أظهر في البطلان لان كونهم غير مخلوقين أمر يكون مدعيه منكرا للضرورة فنكره منكر لا مضرورى (المسئلة الثالثة) ما المراد من قوله تعالى من غير شيء نقول فيه وجوه المقول منها انهم خلقوا من غير خالق وقيل انهم خلقوا لا شيئا عينا وقيل انهم خلقوا من غير آب وأم ويحتمل أن يقال أم خلقوا من غير شيء أى أم خلقوا من تراب أو من ماء دليله قوله تعالى ألم تخلقكم من ماء مهين ويحتمل أن يقال الاستفهام الثانى ليس بمعنى النفي بل هو بمعنى الاثبات قال الله تعالى ألم تخلقونه أم نحن الخالقون ألم تخلقوه أم نحن الزارعون ألم تخلقوا شجرتها أم نحن المنشؤون كل ذلك في الاول منفي وفي الثانى مثبت كذلك ههنا قال الله تعالى أم خلقوا من غير شيء أى الصادق هو هذا الثانى حينئذ وهذا كما في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فان قيل كيف يكون ذلك الاثبات والآدمى خلق من تراب نقول والتراب خلق من غير شيء فالانسان اذا نظرت الى خلقه واستندت النظر الى ابتداء أمره وجدته خلق من غير شيء أو نقول المراد أم خلقوا من غير شيء مذكور أو معتبر وهو الماء المهين (المسئلة الرابعة) ما الوجه في ذكر الامور الثلاثة التي في الآية نقول هي أمور مرتبة كل واحد منها يمنع القول بالوحدانية والحشر فاستفهم بها وقال أما خلقوا

(أم خلقوا من غير شيء)
أى أم أحدثوا وقدروا
هذا التقدير البديع
من غير محدث ومقدر
وقيل أم خلقوا من
أجل لا شيء من عبادة
وجزاء (أم هم
الخالقون) لانفسهم
فلذلك لا يعبدون
الله سبحانه

(٢) لعله ترك الثالث
لظهوره وهو أنه
اذا ثبت حقيقة المبدأ
والمعاد ثبت حقيقة
أمر الرسالة الخ
مأذكرة زاده فراجع

قوله فان قيل فلم
لم يصد الخ لا يخفى
أن هذا عين ما قبله
فأمل

أصلا وانذاك يتكروون القول بالتوحيد لانتفاء الایجاد وهو الخبر يتكروون الحشر لانتفاء
الخلق الاول أم خلقوا من غير شيء أم يقولون بانهم خلقوا من غير شيء فلا إعادة كما قال
أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وعلى قولنا ان المراد خلقوا من تراب ولا من مثله وجه
ظاهر وهو ان الخلق اذا لم يكن شيء بل يكون ابدا عينا يخفى كونه مخدوقا على أنهم
الاعبياء، ولهذا قال بعضهم السماء رفع اتفاقا ووجد من غير خالق وأما الانسان الذي
يكون أولا نظفة ثم علة ثم مضمة ثم لحما وعظما لا يتمكن أحد من انكاره بعدم مشاهدته
أحواله فقال تعالى أم خلقوا بغير شيء يخفى عليهم وجه خلقهم بان خلقوا ابتداء من غير
سبب حالة عليهم يكونون فيها ترابا ولا ماء ولا نظفة ليس كذلك بل هم كانوا انبياء تلك
الاشياء خلقوا منذ خلقا فما خلقوا من غير شيء حتى يتكروا الوحدانية ولهذا قال تعالى
يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق وان هذا أكثر الله من قوله خلقنا الانسان
من نطفة وقوله ألم نخلقكم من ماء مهين يتناول الامرين المذكورين في هذا الموضع لان
قوله ألم نخلقكم من ماء يتحمل أن يكون نفي الجموع نفي الخلق فيكون كأنه قال أخلقتم
لا من ماء وعلى قول من قال المراد منه أم خلقوا من غير شيء أي غير خالق ففيه ترتيب
حسن أيضا وذلك لان نفي الصانع اما أن يكون نفي كون العالم مخلوقا فلا يكون ممكنا واما
أن يكون ممكنا لكن الممكن لا يكون محتاجا فيقع الممكن من غير مؤثر وكلاهما محال واما
قوله تعالى أم هم الخالقون فمعناه أم الخالقون للخلق فيعجز الخالق بكثرة العمل فان دأب
الانسان انه يعيا بالخلق فاقولهم أما خلقوا فلا يثبت لهم اله البتة أم خلقوا وخفي عليهم
وجه الخلق أم جعلوا الخالق مثلهم فنسبوا اليه العجز ومثله قوله تعالى أفعبثت بالخلق
الاول هذا بالنسبة الى الحشر واما بالنسبة الى التوحيد فهو رد عليهم حيث قالوا الامور
مختلفة واختلاف الآثار يدل على اختلاف المؤثرات وقالوا اجعل الآهة الهما واحدا
فقال تعالى أم هم الخالقون حيث لا يقدر الجبار على الخياطة والحياطة على البناء وكل
واحد يشغله شأن من شأن * ثم قال تعالى (أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون)
وفيه وجوه (أحدها) ما اختاره المخشري وهو أنهم لا يوقنون بانهم خلقوا وهو جيتند
في معنى قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله أي هم معترفون
بانه خلق الله وليس خلق أنفسهم (وثانيها) المراد بل لا يوقنون بان الله واحد وقد رده ليس
الامر كذلك أي ما خلقوا وانما لا يوقنون بوحدانية الله (وثالثها) لا يوقنون أصلا من غير
ذكر مفعول يقال فلان ليس بمؤمن وفلان ليس بكافر لبيان مذهبه وان لم ينو مفعولا
وكذلك قول القائل فلان يؤذي ويؤدى لبيان مافيه لامع القصد الى ذكر مفعول
وحينئذ يكون تقديره انهم ما خلقوا السموات والارض ولا يوقنون بهذه الدلائل بل
لا يوقنون أصلا وان جئتهم بكل آية يدل عليه قوله تعالى بعد ذلك وان يروا كسفا من
السماء ساقطا يقولوا سحاب مر كومي وهذه الآية اشارة الى دليل الافاق وقوله من قبل

(أم خلقوا السموات
والارض بل لا يوقنون)
أي اذا سئلوا من
خلقكم وخلق السموات
والارض قالوا الله
وهم غير موقنين بها
قالوا والاله اعرضوا
عن عبادته

(أم عندهم خزائن ربك) أي خزائن ﴿ ٧١١ ﴾ رزقه ورزقته حتى يرزقوا النبوة من شأوا ويمسكوها عز

شأوا وعندهم خزائن
علمه وحكمته حتى يخنار
لها من اقتضت
الحكمته اختيارا
(أم هم المسيطرون)
أي الغالبون على الأمور
يدبرونها كيفما شأوا
حتى يدبروا أمر
الربوبية وينووا
الأمور على إرادتهم
ومشيئتهم وقرئ
المصيطرون بالصاد
لمكان الطاء (أم لهم
سلم) منصوب إلى السماء
(يستمعون فيه)
صاعدين إلى كلام
الملائكة وما يوحى إليهم
من علم الغيب حتى يعلموا
ما هو كائن من الأمور
التي يتناولونها في هارجا
بالغيب ويعقلون بها
أطباعهم الفارغة
(فليات مستمعهم
بسلطان مبین) بحجة
واضحة تصدق
استماعه (أم له البنات
ولكنم البنون) تسفيه
لهم وتركيب لعقولهم
وايدان بان من هذا
رأيه لا يكاد يعد من
العقلاء فضلا عن الترقى
إلى عالم الملوك

أم خلقوا دليل الانفس * ثم قال تعالى (أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون) وفيه
وجوه (أحدها) المراد من الخزائن خزائن الرحمة (ثانيها) خزائن الغيب (ثالثها) انه إشارة
إلى الاسرار الالهية المخفية عن الاعيان (رابعها) خزائن المخلوقات التي لم يرها الانسان
ولم يسمع بها وهذه الوجوه الاولى والثاني منقول والثالث والرابع مستنبط وقوله تعالى
أم هم المسيطرون تتم للرد عليهم وذلك لانه لما قال أم عندهم خزائن ربك أشار إلى انهم
ليسوا بخزينة الله فاعلموا خزائن الله وليس بمجرد انتفاء كونهم خزينة ينفي العلم لجواز أن
يكون مشرفا على الخزانة فان العلم بالخزائن عند الخازن والكتاب في الخزانة فقال لستم
بخزينة ولا بكتابة الخزانة المساطين عليها ولا يبعد تفسير المسيطرين بكتابة الخزانة لان
التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتاب وقيل المسيطر المسلط وقرئ بالصاد
وكذلك في كثير من السينات التي مع الطاء كافي قوله تعالى يصيطرون ومصيطرون * ثم قال
تعالى (أم لهم سلم يستمعون فيه فليات مستمعهم بسلطان مبین) وهو أيضا تتم للدليل فان
من لا يكون خازنا ولا كاتباً فديطلع على الامر بالسمع من الخزانة أو الكتاب فقال أتم
لستم بخزينة ولا بكتابة ولا اجتماعهم بهم لانهم ملائكة والاصعود لكم اليهم وفيه مسائل
(المسئلة الاولى) المقصود نفي الصعود ولا يلزم من نفي السلم لهم نفي الصعود فالجواب
عنه نقول النفي أبلغ من نفي الصعود وهو نفي الاستماع وآخر الآية شامل للدخل قال تعالى
فليات مستمعهم بسلطان مبین (المسئلة الثانية) السلم لا يستمع فيدعون ما يستمع عليه فما
الجواب نقول من وجهين (أحدهما) ما ذكره المختصر من ان المراد يستمعون صاعدين فيه
(وثانيهما) ما ذكره الواحدي ان في معنى على كافي قوله تعالى ولا صابنكم في جذوع النخل
أي على جذوع النخل وكلاهما ضعيف لما فيه من الاضمار والتغيير (المسئلة الثالثة)
لم تركم مفعول يستمعون وماذا هو نقول فيه وجوه (أحدها) المستمع هو الوحي أي هل
لهم - لم يستمعون فيه الوحي (ثانيها) يستمعون ما يقولون من أنه ش عرو أن الله شريكا وأن
المشرك لا يكون (ثالثها) ترك المفعول رأسا كأنه يقول هل لهم قوة الاستماع من السماء
حتى يملوا انه ليس برسول وكلامه ليس برسول (المسئلة الرابعة) قال فليات مستمعهم
ولها فلياتوا كما قال تعالى فلياتوا بحديث مثله نقول طلب منهم ما يكون أهون على
تقريب صدقهم ليكون اجتماعهم عليه أدل على بطلان قولهم فقال هناك فلياتوا أي
تبعوا عليه وتعاونوا وأتوا بمثله فاز ذلك عند الاجتماع أهون وأما الارتقاء في السلم
لا اجتماع متعذر لانه لا يرتقى الا واحد بعد واحد ولا يحصل في الدرجة العليا الا واحد
فقال فليات ذلك الواحد الذي كان أشد رقيما سمعه (المسئلة الخامسة) قوله بسلطان
مبین ما المراد به نقول هو إشارة إلى لطيفة وهي أنه لو طلب منهم ما سمعوه وقبل لهم فليات
مستمعهم بما سمع لكان لواحد أن يقول أنا سمعت كذا وكذا فيفتري كذبا فقال لا بل
الواجب ان يأتي بدليل يدل عليه * ثم قال تعالى (أم له البنات ولكنم البنون) إشارة إلى نفي

والتطلع على الاسرار الغيبية والاتفات إلى الخطاب لتشديد ما في أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ

الشرك وفساد ما يقولون بطر بق آخر وهو ان التصرف انما يحتاج الى الشريك لعجزه
والله قادر فلا شريك له فانهم قالوا نحن لانجعل هذه الاصنام وغيرها شركا وانما نعظمها
لانها بنات الله فقال تعالى كيف تجعلون لله البنات وخلق البنات والبنين انما كان
لجواز الغناء على الشخص واولاد التوالد لانقطع النسل وارتفع الاصل من غير ان يقوم
مقامه انفصل فقد رآه الله التوالد ولهذا لا يكون في الجنة ولادة لان الدار دار البقاء لا موت
فيها الا باله حتى تقام العمارة بحدوث الابناء اذ انبت هذا فالولد انما يكون في صورة
امكان فناء الاب ولهذا قال تعالى في اوائل سورة آل عمران الحى القيوم أى حى لا يموت
فيحتاج الى ولد يرثه وهو قيوم لا يتغير ولا يضعف فيفتقر الى ولد ليقيم مقامه لانه ورد في
نصارى نجران ثم ان الله تعالى بين هذا بابلغ الوجوه وقال انهم يجعلون له بنات و يجعلون
لانفسهم بنين مع ان جعل البنات اهم اولى وذلك لان كثرة البنات نعين على كثرة الاولاد
لان الاناث الكثيرة يمكن منهن الولادة بأولاد كثيرة من واحد وأما الذكور الكثيرة
لا يمكن منهم احبال أنثى واحدة بأولاد الا ترى ان الغنى لا تذبح منها الاناث الا نادرا وذلك
لما ثبت ان ابقاء النوع بالانثى انفع نظرا الى التكثير فقال تعالى انما القيوم الذى لا يفنى
ولا حاجة له في بقاء النوع في حدوث الشخص وانتم معرضون للموت العاجل وبقاء العالم
بالاناث أكثر وتبرأون منهن والله تعالى مستغن عن ذلك وتجعلون له البنات وعلى هذا
فان تقدم كان اشارة الى نبي الشريك نظرا الى انه لا ابتداء لله وهذا اشارة الى نبي الشريك
نظرا الى انه لا فناء له فان قيل كيف وقع لهم نسبة البنات الى الله تعالى مع ان هذا امر في
غاية التعجب لا يخفى على عاقل واقوم كان لهم العقول التى هى مناط التكليف وذلك القدر
كافى في العلم بفساد هذا القول نقول ذلك التول دعاهم اليه اتباع العقل وعدم اعتبار
النقل ومذهبهم في ذلك مذهب الفلاسفة حيث يقولون يجب اتباع العقل الصريح
ويقولون النقل بعزل لا يتبع الا اذا وافق العقل واذا وافق فلا اعتبار للنقل لان العقل
هناك كافى ثم قالوا الوالد يسمى والد الا انه سبب وجود الولد ولهذا يقال اذا ظهر شئ من
شئ هذا تولد من ذلك فيقولون الحى تولد من عفونة الخلط فقالوا الله تعالى سبب وجود
الملائكة سببا واجبا لا اختيار له فسموه بالوالد ولم يلتفتوا الى وجوب تزييه الله في تسميته
بذلك عن التسمية بما يوهم النقص ووجوب الاقتصار في أسمائه على الاسماء الحسنى التى
ورد بها الشرع لعدم اعتبارهم النقل فقالوا يجوز اطلاق الاسماء المجازية والحنفية
على الله تعالى وصفاته فسموه عاشقا ومعشوقا وسموه أبوا والدا ولم يسموه ابنا ولا مولودا
باتفاقهم وذلك ضلالة ثم قال تعالى (أم تسألهم أجر افهم من مغرم مقلون) وجه التعلق
هو ان المشركين لما طرحوا الشرع واتبعوا ما ظنوه عقلا وسموا الموجود بعد العدم
مولودا ومولدا والموجد والد الزمهم الكفر بسببه والاشراك فقال لهم ما الذى
يحملكم على اطراح الشرع وترك اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هل ذلك اطلبه منكم

(أم تسألهم اجرا)
رجوع الى خطابه
عليه الصلاة والسلام
واعراض عنهم أى بل
أتسألهم اجرا على
تبليغ الرسالة (فهم)
لذلك (من مغرم)
من التزام غرامة
فأدحس (مقلون)
محمولون النقل فلذلك
لا يتبعونك

شيئا فما كان يسعهم ان يقولوا نعم فلم يبق لهم الا ان يقولوا لا فتقول لهم كيف اتبعتم قول
 الفيلسفي الذي يسوغ لكم قول الزور وما يوجب الاستخفافى بجانب الله تعالى لفظا ان
 لم يكن معنى كما تقولون ولا تتبعون الذي يأمركم بالعدل في المعنى والاحسان في اللفظ
 ويقول لكم اتبعوا المعنى الحق الواضح واستعملوا اللفظ الحسن المؤدب وهذا في غاية
 الحسن من التقدير * وأما التفسير فبقية مسائل (المسئلة الاولى) ما الفائدة في سؤال النبي
 صلى الله عليه وسلم لم حيث قال أم تسألهم ولم يقل أم يسألون أجرا كما قال تعالى أم يقولون
 وقال تعالى أم يريدون كيدا الى غير ذلك تقول فيه فالتان (احداهما) تسلية قلب
 النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم سألوا من الاستماع واستنكفوا من الاتباع
 صعب على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ربه أنت أتيت بما عليك فلا يضيق صدرك
 حيث لم يؤمنوا فأنت غيره لوم وانما كنت الام لو كنت طلبت منهم أجرا فهل طلبت
 ذلك فأنقلهم لا فلا حرج عليك اذا (الاية ثانيا) انه لو قال أم يسألون لربني فطلب أجرا مطلقا
 وليس كذلك وذلك لانهم كانوا يشركون بضالوبيا الآخر من رؤسائهم وأما النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال له أنت لا تسألهم أحدا ففهم لا يتسبوك وغمك يسألهم وهم يسألون
 ويتبعون السائلين وهذا غاية الضلال (المسئلة الثانية) ان قال قائل ألزمت أن تبين ان أم
 لا تقع الامتوسطة حقيقة أو تسديرا فكيف ذلك ههنا تقول كأنه تعالى يقول
 أتهدى غير اوجه الله أم تسألهم أجرا وترك الاول لعدم وقوع الانتكار عليه كما قلنا في قوله
 أم له البنات ان المقدر هو واحد أحد له البنات وترك ذكر الاول لعدم وقوع الانتكار عليه
 من الله تعالى وكونهم قائلين بأنه لا يريد وجه الله تعالى وانما يريد الرياسة والاجر في الدنيا
 (المسئلة الثالثة) هل في خصوص قوله تعالى أجرا فائدة لا توجد في غيره او قال أم تسألهم
 شيئا او مالا أو غير ذلك تقول نعم وقد تقدم القول معنى ان كل لفظ في القرآن فيه فائدة وان
 كنا لانعلمها والذي يظهر ههنا ان ذلك اشارة الى أن ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فيه
 مصطلحهم وذلك لان الاجر لا يطلب الا عند فعل شيء يفيد المطالب منه الاجر فقال أنت
 أتيتهم بما او طلبت عليه أجرا وعلموا كمال ما في دعوتك من المنفعة لهم وبهم لا توك
 بجمع أموالهم وافتدرك بأنفسهم ومع هذا لا تطلب منهم أجرا ولو قال شيئا او مالا
 حصلت هذه الفائدة والله اعلم (المسئلة الرابعة) هذا يدل على انه لم يطلب منهم اجرا ما
 وقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى يدل على انه لم يطلب اجرا ما فكيف
 اجمع بينهما نقول لا تفرقة بينهما بل الكل حق وكلاهما كلام واحد وبيانه هو ان
 المراد من قوله الا المودة في القربى هو اني لا اسئلكم عليه أجرا يعود الى الدنيا وانما
 أجرى المحبة في الزاقي الى الله تعالى وان عباد الله الكاملين أقرب الى الله تعالى من عباده
 الناقصين وعباد الله الذين كلهم الله وكلوه وأرسلهم تكميل عبادته فكملوا أقرب الى الله
 من الذين لم يرسلهم الله ولم يكملوا وعلى هذا فهو في معنى قوله ان أجرى الاعلى الله واليه

أنتى وقوله صلى الله عليه وسلم فاني أبا هي بكم الائم يوم اقيامة وقوله فهم من مغرم
 مثلون بين ما ذكرنا ان قوله أم تسالهم أجرا المراد أجر الدنيا وقوله قل لأستلكنكم عليه
 أجرا المراد العموم ثم استثنى ولا حاجة الى مقاله الواحدى ان ذلك منقطع معناه لكن
 المودة في القربى وقد ذكرناه هناك فليطلب منه (المسئلة الخامسة) قوله تعالى فهم من
 مغرم مثلون إشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم ما طلب منهم شيئا ولو طالب بهم باجر ما كان
 لهم أن يتركوا اتباعه بادنى شئ اللهم الا ان أنقلهم التكليف وبأخذ كل ما لهم
 وبعثهم التخفيف فيقتلهم الدين بعد ما لا يبقى لهم العين * ثم قال تعالى (أم عندهم الغيب
 فهم يكتبون) وهو على الترتيب الذى ذكرناه كانه تعالى قال لهم يم اطرحتم الشرع
 ومحاسنه وقتهم ما قلتم بناء على اتباعكم الايهام الفاسدة التى تعمونها المعقولات والنبي
 صلى الله عليه وسلم لا يطلب منكم أجرا وانتم لاتعاونون فلا عذر لكم لان العذر اما في
 الغرامة واما في عدم الحاجة الى ما جاء به ولا غرامة عليكم فيه وانغى انكم عنه وفيه
 مسائل (المسئلة الاولى) كيف التقدير قلنا لا حاجة الى التقدير بل هو استفهام متوسط
 على ما ذكرنا كأنه قال أتهدىهم اوجه الله تعالى أم تسالهم أجرا فيمتنعون أم لا حاجة لهم
 الى ما نقول لكونهم عندهم غيب فلا يكتبون (المسئلة الثانية) الالف واللام في الغيب
 لتعريف ماذا الجنس أو العهد نقول الظاهر ان المراد نوع الغيب كما يقول القائل اشتر
 اللحم يريد بيان الحقيقة لا كل لحم بل اللحم الحيوانى والمراد في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة
 الجنس واستغراقه لكل غيب (المسئلة الثالثة) على هذا كيف يصح عندهم الغيب
 وما عند الشخص لا يكتبون غيبا نقول معناه حضرته عندهم ما غاب عن غيرهم وقبل هذا
 متعلق بقوله يتربص به ريب المتون أى عندكم الغيب تعلمون انه يموت قبلكم وهو
 ضعيف بعد ذلك ذكرنا لان قوله تعالى قل تربصوا متصل به وذلك يمنع اتصال هذا بذلك
 (المسئلة الرابعة) ما الفائدة في قوله فهم يكتبون فنقول وضوح الامر وإشارة الى ان
 ما عند النبي صلى الله عليه وسلم من علم الغيب علم بالوحي وأمورا واسرارها واحكاما واخبارا
 كثيرة كلها هو جازم بها وأيس كما يقول المنفرد الامر كذا وكذا فان قيل اكتب به خطك
 انه يكون يمتنع ويقول أنا لا أدعى فيه الجزم والقطع ولكن اذكره كذا وكذا على سبيل
 الظن والاستنباط وان كان قاطعا يقول اكتبوا هذا عنى وأثبتوا في الدواوين ان
 في اليوم الفلانى يقع كذا وكذا فقوله أم عندهم الغيب فهم يكتبون يعنى هل صاروا في
 درجة محمد صلى الله عليه وسلم حتى استغنوا عنه وأعرضوا ونقل عن ابن قتبية ان المراد
 من الكتابة الحكيم معناه يحكمون متمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم اقض بيننا بكتاب الله
 أى حكم الله وأيس المراد ذلك بل هو من باب الاضمار معناه بما في كتاب الله تعالى يقال
 فلان يقضى بذهب الشافعى أى بما فيه ويقول الرسول الذى معه كتاب الملك للرعية
 اعلموا بكتاب الملك * ثم قال تعالى (أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون)

(أم عندهم الغيب)
 أى اللوح المحفوظ
 الثبت فيه الغيوب
 (فهم يكتبون) ما فيه
 حتى يتكلموا في ذلك
 بنى أو اثبات (أم
 يريدون كيدا) هو
 كيدهم برسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 في دار الندوة (فالذين
 كفروا) هم المذكورون
 ووضع الوصول
 موضع ضميرهم
 للتسجيل عليهم بما
 في حبر الصلوة من الكفر

وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ماوجه التعلق والمناسبة بين الكلامين قلنا بين ذلك بيان
المراد من قوله أم يريدون كيدا فبعض المنسرين قال أم يريدون أن يكيدوك فهم
المكيدون أي لا يقدرين على الكيد فان الله بصونك بعينه ويتصرك بصونه وعلى هذا
اذا قلنا بقول من يقول أم عندهم الغيب متصل بقوله تعالى نتر بص به ريب المنون فيه
ترتيب في غاية الحسن وهو انهم لما قالوا نتر بص به ريب المنون قيل لهم اتعلمون الغيب
فتعلمون انه يموت قبلكم أم تريدون كيدا فتقولون نعمته فيموت قبلنا فان كنتم تدعون
الغيب فانتم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرين عليه فانتم غاطون فان الله بصونه
عنكم وينصره عليكم واما على ما قلنا ان المراد منه انه صلى الله عليه وسلم لا يسألكم على
الهداية ما لا وانتم لا تعلمون ما جاء به اولاهديته لكونه من الغيوب فتقول فيد وجوه
(الاول) ان المراد من قوله تعالى أم يريدون كيدا أي من الشيطان وازاغته فيحصل
مرادهم كانه تعالى قال أنت لا تسألهم أجرا وهم لا يعلمون الغيب فهم محتاجون اليك
وأعرضوا فقد اختاروا كيد الشيطان ورضوا بازاغته والارادة بمعنى الاختيار والحجة
كما قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه وكما قال أنفكا آلهة دون الله
تريدون وأظهر من ذلك قوله تعالى اني أريد أن تبوء بأبى وأبى (الوجه الثاني) أن يقال
ان المراد والله أعلم أم يريدون كيد الله فهو وواصل اليه وهم عن قريب مكيدون وترتيب
الكلام هو انهم للميق ائهم حجة في الاعراض فهم يريدون نزل العذاب بهم والله أرسل
اليهم رسولا لا يسألهم أجرا ويهديهم الى ما لا علم لهم ولا كتاب عندهم وهم يعرضون فهم
يريدون اذا أن يهتكهم ويكيدهم لان الاستدراج كيد والاملاء لازيد الاثم كذلك
لا يقال هو فاسد لان الكيد والاسساءة لا يطلق على فعل الله تعالى الا بطريق المقابلة
وكذلك المكر فلا يقال أساء الله الى الكفار ولا اعتدى الله الا اذا ذكر أو لا فيهم شئ من
ذلك ثم قال بعد ذلك بسببه لفظا في حق الله تعالى كافي قوله تعالى وجزاء سبعة سبعة مثلها
وقال من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وقال ومكروا ومكر الله وقال يكيدون كيدا وأكيد
كيدا فذا نتول الكيد ما يسوء من نزل به وان حسن ممن وجد منه ألا ترى ان ابراهيم
عليه السلام قال لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين من غير مقابلة (المسئلة
الثانية) ما الفائدة في قوله تعالى فالذين كفروا هم المكيدون وما الفرق بين معنى هذا
الكلام ومعنى قول القائل أم يريدون كيدا فهم المكيدون نقول الفائدة كون
الكافر مكيدا في مقابلة كفره لاني مقابلة ارادته الكيد ولو قال أم يريدون كيدا
فهم المكيدون كان يفهم منه انهم ان لم يريدوه لا يكونوا مكيدين وهذا يؤيد ما ذكرنا
ان المراد من الكيد كيد الشيطان أو كيد الله بمعنى عذابه اياهم لان قوله فالذين
كفروا هم المكيدون عام في كل كافر كاده الشيطان ويكده الله أي يعذبه وصار المعنى
على ما ذكرناه أنه يهديهم اوجه الله أم تسألهم أجرا فتعلمهم فيمتنون عن الاتباع

وتدليل الحكم به أوجع
الكفرة وهم داخلون
فيهم دخولا أوليا (هم
المكيدون) أي هم الذين
يحقق بهم كيدهم
أو يعود عليهم وبأيه
لان أرادوا أن يكيدوه
وهو ما أصابهم يوم
يدروهم المغلوبون
في الكيد من كائنه
فكفته

ام عند هم اتعب فلا يحتاجون اليك فيعرضون عنك أم ليس شيء هذين الامرين
 الاخيرين فيريدون العذاب والعذاب غير مدفوع عنهم بوجه من الوجوه لكفرهم
 فالدين ككفروا معذبون (المسئلة الثالثة) ما القادة في تنكير الكيد حيث لم يقل
 أم يريدون كيدك أو الكيد أو غير ذلك ليزول الابهام نقول فيه فائدة وهي الاشارة
 الى وقوع العذاب من حيث لا يشعر ون فكأنه قال يأتيهم بغتة ولا يكون لهم به
 علم أو يكون ايراد العظمة كاذرا مرارا ثم قال تعالى (أم لهم الله سبحانه
 الله عما يشركون) أعاد التوحيد وهو يفيد فائدة قوله تعالى أم له البنات وانكم
 البتون وفي سبحانه الله بحث سر يق وهو ان أهل اللغة قالوا سبحانه اسم علم للتسبيح
 وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون واكثرنا من
 انقوالدقان قيل يجوز أن نقول سبحانه اسم مصدر ونقول سبحانه على وزن فعلان
 فتدرك سبحانه في غير مواضع الايقاع الله كما يقال في التسبيح نقول ذلك مثل قول القائل
 من حرف جار وفي كلمة ظرف حيث يخرجه مع ان الحرف لا يخبر عنه فيهاب ان من وفي
 حينئذ جعل كالا اسم ولم يترك على أصلهما المستعمل في مثل فوئت أخذت من زيد والدرهم
 في الكيس فكذلك سبحانه فيما ذكر من المواضع لم يترك على مواضع استعماله فانه
 حينئذ لم يترك علما كما يقال زيد على وزن فعول بخلاف التسبيح فيما ذكرنا (المسئلة الرابعة)
 ما في قوله تعالى عما يشركون يحتمل وجهين (أحدهما) أن تكون مصدرية بمعنى سبحانه
 عن اشراكهم (ثانيهما) خبرية معناه عن الذين يشركون وعلى هذا فيحتمل أن يكون
 عن الوالدانهم كانوا يقولون البنات الله تعالى سبحانه الله عن البنات والبنين ويحتمل أن
 يكون عن مثل الآلهة لانهم كانوا يقولون هو مثل ما يعبدونه فقال سبحانه الله ان مثل
 ما يعبدونه ثم قال تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مرحوم)
 وجه الترتيب فيه هو انه تعالى لا يبين فساد أقوالهم وسقوط ما عن درجة الاعتبار أشار الى
 أنه لم يبق لهم شيء من وجه الاعتذار فان الآيات ظهرت والحجج تبرزت ولم يؤمنوا وبعد ذلك
 ان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب أي ينكرون الآية لكن الآية اذا
 اظهرت في أظهر الاشياء كانت ظهوره بيانه هو ان من يأتي بجسم من الاجسام من بيته
 وادعى فيه انه فعل به كذا فربما يخطر ببال السامع انه في بيته ولا يبدعه فاذا قال للناس
 هاتوا جسماتي يدون حتى أجعل لكم منه كذا يزول ذلك الوهم لكن أظهر الاشياء عند
 الانسان الارض التي هي مهده وفرشه والسماء التي هي سقفه وعرشه وكانت العرب
 على مذهب الفلاسفة في أصل المذهب ولا يلتفت الى قول الفلاسفة نحن ننزه غاية
 التزبه حتى لا نجوز رؤيته وانصافه بوصف زائد على ذاته ليكون واحدا في الحقيقة
 فكيف يكون مذهبنا مذهب من يشرك بالله صفا متحونا نقول أنهم لما نسبتهم الحوادث
 الى الكواكب وشرعتم في دعوة الكواكب أخذوا الجهال عنكم ذلك واتخذوه مذهبا

(أم لهم الله غير الله)
 يعينهم ويحرسهم من
 عذابه (سبحان الله عما
 يشركون) أي عن
 اشراكهم أو عن شركة
 ما يشركونه (وان
 يروا كسفا) قطعة (من
 السماء ساقطا) لتعذيبهم
 (يقولوا) من فرط
 ظفرانهم وعنادهم (سحاب
 مرحوم) أي هم في
 الله فيان بحيث وأسقط
 عنهم حسبا قالوا
 أو تسقط السماء كما زعمت
 علينا كسفا لئلا وهذا
 سحاب تراكم بعضه على
 بعض يطرنا ولم يصد
 قوا انه كسف ساقط
 للعذاب

واذا ثبت ان العرب في الجماعية كانت في الاصل على مذهب الفلاسفة وهم يقولون
 بالطبائع فيقولون الارض طبيعتها التكوين والسماء طبيعتها يمنع الانفصال والانفكاك
 فقال الله تعالى ردا عليهم في مواضع ان نشأ تخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفامن
 السماء ابطالا لطبايعها واثارا للاختيار في الوقائع فقال همنا ارأيتنا بشئ غريب في غاية
 الغرابة في أظهر الاشياء وهو السماء التي يرونها أبدا ويعلمون أن احدا لا يصل اليها ليعمل
 بالادوية وغيرها ما يوجب سقوطها لانكروا ذلك فكيف فيما دون ذلك من الامور
 والذي يؤيد ما ذكرناه وانهم كانوا على مذهب الفلاسفة في أمر السماء انهم قالوا
 أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أي ذلك في زعمك ممكن فاما عندنا فلا والكسفة
 السقطه يقال كسفة من ثوب أي قطعة يرفه مباحث (البحث الاول) استعمال في السماء
 افتقار كسف والعميون ذكروا استعمالها في الثوب لار الله تعالى شديد السماء بالثوب
 المشو ولهذا ذكره في المضي فقال والسماوات مطويات وقال تعالى يوم نطوى السماء
 (البحث الثاني) استعمال الكسف في السماء والخسوف في الارض فقال تعالى تخسف
 بهم الارض وهو بدل على قول من قال يقال في القمر خسوف وفي الشمس كسوف
 ووجهه ان يخرج الخاء دون مخرج الكاف ومخرج الكاف فوقف متصل به فاستعمل
 وصف الاسفل لاسفل والاعلى الاعلى فقالوا في الشمس والسماء الكسوف والكسف
 وفي القمر والارض الخسوف والخسف وهذا من قبيل قولهم في المائع والمائع ان
 ما نقطه فوق لم فوق البئر وما نقطه من أسفل عندهم يجوز نقضه من أسفل لمن تحت
 في أسفل البئر (البحث الثالث) قال في السحاب ونجمه صكسفا مع انه تحت القمر
 وقال في القمر وخسف القمر وذلك لان القمر عند الخسوف له نظير فوقه وهو الشمس
 عند كسوف والسحاب اعتبر فيه نسبه الى أهل الارض حيث ينظرون اليه فلم يقل
 في القمر خسف بالنسبة الى السحاب وانما قيل ذلك بالنسبة الى الشمس وفي السحاب
 قيل بالنسبة الى الارض (المسئلة الثانية) ساقطا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون
 مفعولا ثانيا يقال رأيت زيدا طالبا (وثانيهما) أن يكون حالا كما يقال ضربته قائما
 والثاني أولى لان الروية عند التعدي الى مفعولين في أكثر الامر تكون بمعنى العلم
 نقول أرى هذا المذهب صحيحا وهذا الوجه ظاهرا وعند التعدي الى واحد تكون بمعنى
 رأى العين في الأكثر نقول رأيت زيدا وقال تعالى لما رأوا بأسنا وقال فاما ترين من
 البشر أحدا والمراد في الآية رؤية العين (المسئلة الثالثة) في قوله ساقطا فائدة لا تحصل
 في غير السقوط وذلك لان عندهم لا يجوز الانفصال على السموات ولا يمكن نزولها
 وهبوطها فقال ساقطا يكون مخالفا لما يعتقدونه من وجهين (أحدهما) الانفصال
 (والآخر) السقوط او قال وان روا كسفا مفصلا أو معلقا لما حصلت هذه الفائدة
 (المسئلة الرابعة) في قوله يقولوا فائدة أخرى وذلك لانه يفيد بيان العناد الذي هو مقصود

سرد الآية وذلك لانهم في ذلك الوقت يستخرجون وجوهها حتى لا يلزمهم التسليم فيقولون
 سبحانه قولاً من غير عقيدة وعلى هذا يحتدل أن يقال ان يروا المراد العلم ليكون أدخل
 في العناد أي اذا دعوا ويتقوا ان السماء ساقطة غيروا وعاندوا وقاروا هذا سبحانه
 من كرم (السئلة الخامسة) قوله تعالى يقولوا سبحانه من كرم اشارت الى انه حين يعجزون
 عن التكذيب ولا يمكنهم أن يقولوا لم يقع شيء على الارض يرجعون الى التأويل
 والخيال وقوله من كرم أي من كرم بعضه على بعض كما أنهم يدفعون عن أنفسهم
 ما يورث عليهم بأن السحاب كانه وانما لا ينفع نور ذلك جسم فيه وهذا أقوى مانع فيقولون انه
 ركاب اصغار سيقا قويا (السئلة السادسة) في استنطاق كلمة الاشارة حيث ان يقل يقولوا هذا
 اشارت الى خروج الشمس وظهور العناد فلا يستحيون ان ياتوا بما لا يلقى معه مرأ
 وتقولوا سبحانه من كرم مع حذف البدأ في قوله بل شبه حال فيقولون عند تكذيب
 الحق اياماً في استنطاق من كرم شبهة من الله وان تسمى الامر مع حواءهم استمروا وهذا
 محال من حذف من كلام ولا يعلم انه يقبل منه أو لا يقبل فيجعله ذارجهين فالرأي الشكر
 على أحدهما ففسره بالآخر وان رأى القبول خرج براده ثم قال تعالى (فذرهم حتى
 يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) أي اذا تبين اليهم لا يرجعون فدعهم حتى يلاقوا فيه
 مسائل (السئلة الاولى) فذرهم أمر وكان يجب أن يقال لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم
 جواز دعائهم الى الاسلام وليس كذلك والجواب عنه من وجوه (أحدها) ان هذه
 الآيات مثل قوائمه الى قارئه وتول عنهم الى غير ذلك كلها منسوخة بآية القائل وهو
 ضئيف (ثانيها) ليس المراد الامر وانما المراد التمهيد كما يقول سيد العبد الجاني لمن
 ينصحه دعه فانه سينال وبال بنائته (ثالثها) ان المراد من يعاند وهو غير معين والنبي
 صلى الله عليه وسلم كان يده والخلق على سبيل العموم ويجوز أن يكون المراد بالخطاب
 من لم يظهر عناده لامن ظهر عناده فلم يقل الله في حقه فذرهم ويدل على هذا انه تعالى قال
 من قبل فذكر فأنت بنعمة ربك تكاهن ولا يخجون وقال ههنا فذرهم فمن يدكرهم هم
 المشققون الذين قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشققين ومن يذرهم الذين قالوا شاعر نثر بص به
 ريب المنون الى غير ذلك (السئلة الثانية) حتى للغاية فيكون كأنه تعالى قال ذرهم الى
 ذلك اليوم ولا تكلمهم ذلك اليوم تجدد الكلام ونقول ألم أقل لكم ان الساعة آتية
 وان الحساب يقوم والعذاب يدوم فلا تكلمهم الى ذلك اليوم ثم كلهم لتعلمهم (ثانيها) ان
 المراد من حتى للغاية يستعمل فيها اللام كما يقول القائل لا تطعمه حتى يموت أي يموت
 لان اللام التي للغرض عندها ينتهي الفعل ان الذي للغرض فيوجد فيها معنى للغاية ومعنى
 التعليل ويجوز استعمال الكلمتين فيها وامل المراد من قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك
 اليقين هنا أي الى أن يأتيك اليقين فان قيل فن لا يذره أيضا يلقى ذلك اليوم نقول
 المراد من قوله يصعقون يهلكون فالذكر المشفق لا يهلك ويكون مستغنى عنهم كما قال

(فذرهم حتى يلاقوا)
 وقرئ حتى ياتوا
 (يومهم الذي فيه)
 يصعقون (على البناء
 المنعول من اصعقته
 اصعقتة أو من اصعقت
 بفتح الياء والعين وهو
 يوم يصيبهم الصعقة
 بالمثل يوم بدر لا الشقوة
 الاولى كما قيل اذا
 لا يصعق به الامن كان
 حيا حينئذ ولان قوله
 تعالى

تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وقد ذكرنا عنك ان من اعترف بالحق واعلم ان يوم الحساب كأن فاذا وقعت الصيحة يكون كمن يعلم ان الرعد يردد ويستعد لسماعه ومن لا يعلم يكون كالغافل فاذا وقعت الصيحة ارتجف الغافل وام يرتجف العالم وحينئذ لا يكون اشوعد بلافاة يومهم لان كل أحد بلاقي يومه وانما يكون بلافاة يومهم الذي قيد بصحة قول أي اليوم الموصوف بهذه الصفة وهذا كما قال تعالى اولاً أن تداركك نعمته من ربه لتبذ بالعراء وهو مذموم فان اتقى ليس التبد بالعراء لانه تحقق بدليل قوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانما اتقى التبد الذي يكون هو مدموم وهذا لم يوجد في المسئلة الثالثة حتى ينصب ما مر بعدها من الفعل المستقبل تارة و يرفع أخرى والفاصل بينهما ان الفعل اذا كان مستقبلا منتظرا لا يقع في الحال ينصب تقول نعمت الله قد حتى ترفع درجتك فانك تظن وان كان سالا يرفع تقول اكرر حتى تسقط فوقي ثم انام والسبب فيه هو ان حتى في المستقبل العاقبة ولا م التمايل للغرض والغرض غاية الفعل تقول لم تبني الدار يقول للسكنى فصار قوله حتى ترفع قوله لا يرفع وفيهما ضمائر ان فلان قيل ما ذات شيئا وماذا كرت السبب في النصب عند ارادة الاستقبال والرفع عند ارادة الحال نقول الفعل المستقبل اذا كان منتظرا وكان نصب العين ومذموم الذي الذم من يرقبه بقول بالظن ما كان في معناه ولهذا قلنا في الاضافة ان المضاف للجرا أمر الى آخر في العنجره والظن الذي يؤيد ما ذكرنا ان التمايل انما ينصب بان ولا وكى واذن بخاوص الفعل الاستقبال في هذا الواجب ان لا يرفع الذي يجعل الفعل الحال ينصب حيث لا يجوز ان تقول ان فلانا لا يرفع فلان في السين وسوف مع انهما يختصان الفعل الاستقبال لا ينصبان وينان التمسك بالانصب كما في قوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى نقول سوف والسين ليسا يعني غير التمسك من الفعل بالاستقبال وان وان بمعنى لا يصح الا في الاستقبال فلم يثبت بالسين الا الاستقبال ولم يثبت به معنى في الاستقبال والمنتظر هو ما في الاستقبال لانفس الاستقبال مثلا اذا قلت أعبد الله كي يغفر لي أو يغفر لي أثبتت كي غرضنا وهو الغفره وهي في المستقبل من الزمان واذا قلت أستغفرك ربي أثبتت السين استقبال المغفرة وفرق بين ما يكون المقصود من الكلام بيان الاستقبال لكن الاستقبال لا يوجد الا في معنى فأتى بالمعنى ليبين به الاستقبال وبين ما يكون المقصود منه معنى في المستقبل فقد كر الاستقبال الثمين محل مقصودك * ثم قال تعالى (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) لما قال يلاقوا يومهم وكل يروا فجر بلاقي يومه أعاد صفة يومهم وذكر ما يتميز به يومهم عن يوم المؤمنين فقال يوم لا يغني وهو يخالف يوم المؤمنين فانه تعالى قال قيد هذا يوم ينفع الصادقين وفيه مسائل (الاولى) في يوم لا يغني وجهان الاول بدل عن قوله يومهم فانه كما نرى يلاقوا أي يلاقوا يومهم يوم فان قيل هذا يلزم منه أن يكون اليوم في يوم فيكون اليوم

(يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا) أي شيئا من الاعتناء بدل من يومهم ولا يخفى أن العرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعما لهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك الاما يروه في امره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذي من جهته منا صيبتهم يوم بدر وأما النفخة الاولى فثبت ما يجري في مدافعتهم الكيد والحيل وقيل هم يوم موتهم وفيه ما فيه مع متاباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم (ولا هم ينصرون) من جهة الغير في دفع العذاب عنهم

ظرف اليوم تقول هو على حد قول من يقول يأتي يوم قتل فلان يوم تبين جرائمه ولا مانع
 مند وقد ذكرنا بحث الزمان وجواز كونه ظرفا في قوله تعالى يومئذ وجواز إضافة اليوم
 الى الزمان مع انه زمان (المسئلة الثانية) قال تعالى يوم لا يغني عنكم كيدهم ولم يقل يوم
 لا يغنيهم كيدهم مع ان الاغناء يتعدى بتفسد لفائدة جلييلة وهي ان قول القائل اغثناني
 كذا يفهم منه انه نفعتي وقوله اغني عنى يفهم منه انه دفع عنى الضرر وذلك لان قوله
 اغثناني معناه في الحقيقة افادني غير مستفيد وقوله اغني عنى أى لم يوجبني الى الحضور
 فأغني غيري عن حضوري يقول من يطلب لامر خذوا عنى وادى فانه يغني سنى أى
 يغنيكم عنى في دفع عنى أيضا مشتقة الحضور فتقوله لا يغني عنهم أى لا يدفع عنهم الضرر
 ولا شك ان قوله لا يدفع عنهم ضررا أبلغ من قوله لا ينفعهم نفعا وانما سنى الموتى لو قال يوم
 يغني عنهم صدقهم لما فهم منه نفعهم فقال يوم ينفع كأنه قال يوم يغنيهم صدقهم فكانه
 استعمل في الموتى يغنيهم وفي الكافر لا يغني عنهم وهو مما لا يطالع عليه الامر يكون
 عنده من علم البيان طرف ويتفكر بقرينة وقادة آيات الله ووفته الله (المسئلة الثالثة)
 الاصل تقديم الفاعل على المفعول والاصل تقديم المضمحل على المظهر أما في الاول فلان
 الفاعل متصل بالفعل ولهذا قالوا فعات فاسكنوا اللام ثلثا يلزم أربع حركات في
 كلمة واحدة وقاوا ضربك ولم يسكنوا لان الكاف ضمير المفعول وهو متصل وأما تقديم
 المضمحل فلانه يكون أشد اختصارا فالك اذا قلت ضربتني زيد يكون أقرب الى الاختصار
 من قولك ضرب زيد اياي فان لم يكن هناك اختصار كقولك ضربتني زيد ومرزبدي
 فالاولى تقديم الفاعل وههنا لو قال يوم لا يغنيهم كيدهم كان الاحسن تقديم المفعول
 فاذا قال يوم لا يغني عنهم سار كما قلنا في مرزبدي فلم لم يقدم الفاعل نقول فيه فائدة
 مستفادة من علم البيان وهو أن تقديم الهم أو لى فلو قال يوم لا يغني كيدهم كان السامع
 لهذا الكلام ربما يقول لا يغني كيدهم غيرهم فيرجو الخير في حقهم واذا سمع
 لا يغني عنهم انقطع رجاءه وانتظرا الامر الذي ليس بمن (المسئلة الرابعة) قد ذكرنا أن
 معنى الكيد هو قول يسوء من نزل به وان حسن ممن صدر منه فما الفائدة في تخصيص
 العمل الذي يسوء بالذكر ولم يقل يوم لا يغني عنهم أفعالهم على الاطلاق نقول هو قياس
 بالطريق الاول لانهم كانوا يأتون بفعل يسى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وكانوا
 يعتقدون انه أحسن أعمالهم فقال ما أغني أحسن أعمالهم الذي كانوا يعتقدون فيه
 ليقطع رجاءهم عما دونه وفيه وجه آخر وهو انه تعالى لما قال من قبل أمر يديون كيدا
 وقد قلنا ان أكثر المفسرين على أن المراد به تدبيرهم في قتل النبي صلى الله عليه وسلم
 قالهم المكيدون أى لا ينفعهم كيدهم في الدنيا فاذا يفعلون يوم لا ينفعهم ذلك
 الكيد بل يضرهم وقوله ولاهم ينصرون فيه وجوه (أحدها) أنه مضمحل بيان وجهه هو ان
 الداهى أو لا يرتب أمور الدفع المذكور بحيث لا يحتاج الى الانتصار بالغير والمنته ثم اذا

لم يتفهم ذلك يتصرف باذخيار فقال لا يتفهمهم اذمال أنفسهم ولا ينصرونهم غيرهم عند
 ابأس وخصوا ابأس عن اقبالهم (ثانيها) أن المراد منه ما هو المراد من قوله تعالى
 لا تغن عنى شفاعة يومئذ ولا يتقون قوله يومئذ يغنى عنهم كيدهم شيئا أى عبادتهم
 الاصنام وقولهم عولاً شفاعة اولنا وشواهدنا انهم انما يتقون بولنا وقوله ولا هم ينصرون
 أى لا يصبروا كما لا شفع يدفع العذاب اما بقائه شفع أو ينصرون ناصر (ثالثها) أن
 تقول الاضافة كيدهم اضافة المصدر الى المفعول لا اضافة الى الفاعل فكأنه قال
 لا يغنى عنهم كيد الشيطان بهم وبيانه هو لك قول اعجبنى ضرب زيد عمرا واعجبنى
 ضرب عمرا فإذا قصرت على المصدر والمضرب اليه لا يعلم بالقرينة والنية فإذا سمعت
 قول امثال اعجبنى ضرب زيد تحت أن يكون زيد ضار او محتمل أن يكون مضروبا فإذا
 سمعت قول اعجبنى قطع المعنى على سببته تحت القرينة على انه مضاف الى المفعول
 فافقن هذا فاستمع حيث انه اوضح ما عجز لان كيد الكافر لا يرفع فطعا ولا يحق
 ذلك على أحد فلا يحتاج الى بيان لكن عند الكمال بظن انه يتفهم فقال تعالى ذلك لا يرفع
 لقول كيد الشيطان يا هم على عبادة الاصنام وهم كانوا يستنون انما تتفع وأما كيدهم
 الذى سبى الله الى سبيهم سلم كانوا يعلمون انه لا يرفع فى الآخرة وانما طلبوا ان يتفهم
 فى الدنيا لا الآخرة فكانت كمال شبابهم مساجد الوجوه الاول ولا الشكاز على الوجوه
 جميعا اذ تفكرت فيما قلناه ثم قال تعالى (ان الذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن
 انهم لا يعلمون) فى انفسهم الكلام وجهان (أحدهما) متصل بقوله تعالى فندبرهم بذلك
 لانه يدل على عدم جواز ائتمال وفد قبل انه نازب قبل شرح التال وحينئذ كأنه قال
 فندبرهم ولا نذرهم مطعما من غير ذلك بل انه قبل يوم القيامة عذاب يوم بدر حيث تؤمر
 بقتلهم فيكون بياناً وصدابنسخ فندبرهم بالعذاب يوم بدر (ثانيهما) هو متصل بقوله
 تعالى لا يغنى وذلك لانه ثابت ان كيدهم لا يغنى عنهم ظل ولا ينصرون على عدم الاغناء بل
 لهم مع ان كيدهم لا يغنى بل آخر وهو العذاب المتعدهم ولو قال لا يغنى عنهم كيدهم
 كان بهم انه لا يتفع ولكن لا ينصرون بلما قال مع ذلك وان الذين ظلموا عذابا زال ذلك وفيه
 مسائل (المسئلة الاولى) الذين ظلموا هم اهل مكة ان ظلموا العذاب هو عذاب يوم بدر وان
 قلنا العذاب هو عذاب القبر فالذين ظلموا عام فى كل ظالم (المسئلة الثانية) ما المراد من
 الظلم ههنا نقول فيه وجوه (الاول) هو كيدهم بيههم والثانى عبادتهم الاوثان والثالث
 كفرهم وهذا مناسب للوجه الثانى (المسئلة الثالثة) دون ذلك على قول أكثر المفسرين
 معناه قبل ذلك ويؤيده قوله تعالى ولتدينهم من العذاب الاذنى دون العذاب الاكبر
 ويتعمل وجهين آخرين (أحدهما) دون ذلك أى اقل من ذلك فى الدوام والشدة يقال
 الضرب دون القتل فى الايلام ولا شك ان عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة على هذا
 المعنى وعلى هذا فائدة التبييد على ان عذاب الآخرة العظيم وذلك لانه اذا قل عذابا

(وان للذين ظلموا) أى
 لهم ووضع الموصوف
 موضع الضمير لما ذكر
 من قبل أى وان هم واولاد
 الظلمة (عذابا) آخر
 (دون ذلك) دون
 ما لا قوه من القتل أى
 قبله وهو القسط الذى
 أصابهم سبع سنين
 أو وراه كفى قوله
 تريك القذى من دونها
 وهو دونها وهو عذاب
 القبر وما بعده من دنون
 عذاب الآخرة وقوى
 دون ذلك قريبا (ولكن
 أكثرهم لا يعلمون) أن
 الامر كما ذكر وفيه
 اشارة الى أن فهم من
 يعلم ذلك وانما يصبر
 على الكفر عنسادا أو
 لا يعلمون شيئا أصلا

دون ذلك أي قنلا وعذابا في الشبر فبئس كرم المتفكر ويقول ما يكون النبل دونه لا يكون
 الاعظيما فان قيل فهذا المعنى لا يمكن أن يقال في قوله تعالى ولنديقتهم من العذاب الاذي
 دون العذاب الا كبر قلنا نسلم ذلك ولكن لا مانع من أن يكون المراد ههنا هذا الثاني على
 طريقة قول القائل تحت لجأك مفاسد ودون عرضك متاعب وبيانه هو انه لم يعبدوا
 غير الله ظلموا أنفسهم حيث وضعوها في غير موضعها الذي خلقته فقيل لهم ان لكم
 دون ذلك الظلم عذابا (المسئلة الرابعة) ذلك اشارة الى ماذا تقول انظروا انه اشارة
 الى اليوم وفيه وجهان أخران (أحدهما) في قوله بصعقون وقوله لا يغني عنهم
 اشارة الى عذاب واقع وقوله ذلك اشارة اليه ويمكن أن يقال قد تقدم قوله ان عذاب
 ربك لو اوقع وقوله دون ذلك أي دون ذلك العذاب (ثانيهما) دون ذلك أي كيدهم فذلك
 اشارة الى الكيد وقدينا وجهه في المثال الذي مثلنا وهو قول القائل تحت لجأك
 حرمانك والله أعلم (المسئلة الخامسة) ولكن اكثرهم لا يعلمون ذكرنا فيه وجوها
 (أحدها) انه جرى على عادة العرب حيث تعبر عن الكل بالاكثر كما قال تعالى أكثرهم
 بهم مؤمنون ثم ان الله تعالى تكلم على تلك العادة ليعلم ان الله استحسنها من التكلم حيث
 يكون ذلك بعيدا عن الخلف (ثانيها) منهم من آمن فلم يكن ممن لا يعلم (ثالثها) هم في أكثر
 الاحوال لم يعلموا وفي بعض الاحوال علموا وأقله انهم علموا حال الكشف وان لم يتفهم
 (المسئلة السادسة) مفعول لا يعلمون جاز أن يكون هو ما تقدم من الامر وهو ان لهم عذابا
 دون ذلك وجاز أن لا يكون له مفعول أصلا فيكون المراد أكثرهم غافلون جاهلون * ثم قال
 تعالى (فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسيق بمحدر بك حين تقوم) وقد ذكرناه في تفسير
 قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسيق بمحدر بك قبل طلوع الشمس ونشير الى بعضه ههنا
 فان طول العهد ينسى فقول لما قال تعالى فذرهم كما كان فيه اشارة الى انه لم يبق في
 نصحتهم نفع ولا سيما وقد تقدم قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء وكان ذلك مما يحمل
 النبي صلى الله عليه وسلم على الدعاء كما قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من
 الكافرين ديارا وكاد يونس عليه السلام فقال الله تعالى اصبر واما ريد الاعم بالسبح
 وسيق بمحدر بك بدل قولك اللهم اهلكهم الا ترى الى قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا
 تكن كصاحب الحوت وقوله تعالى فانك باعيننا فيه وجوه (الاول) انه تعالى لما بين أنهم
 يكيدونه كان ذلك مما يقتضي في العرف المبادرة الى اهلاكهم لئلا يتم كيدهم فقال اصبر
 ولا تخف فانك محفوظ باعيننا (ثانيها) انه تعالى قال فاصبر ولا تدع عليهم فانك بما رأينا
 نراك وهذه الحالة تقتضي أن تكون على أفضل ما يكون من الاحوال لكن كونك مسيحا لنا
 أفضل من كونك داعيا على عباد خلقناهم فاختر الافضل فانك بما رأينا منا (ثالثها) أن
 من يشكو حاله عند غيره يكون فيه انباء عن عدم علم المشكوا اليه بحال الشاكي فقال
 تعالى اصبر ولا تشك حالك فانك باعيننا نراك فلا فائدة في شكواك وفيه مسائل مختصة
 تعالى

(فاصبر لحكم ربك)
 بامهالهم الى يومهم
 الموعود وابقائك فيما
 بينهم مع مقاساة
 الاحزان ومعاناة
 المحوم (فانك باعيننا)
 أي في حفظنا وحمايتنا
 بحيث نراقبك ونكلاك
 وجمع العين لجمع الضمير
 والابذان بغاية الاعتناء
 بالحفظ (وسيق) أي
 زهد تعالى مما لا يليق به
 ملتبها (بمحدر بك)
 على نعمائه انفاضة
 للحصر (حين تقوم)
 من أي مكان قت قال
 سعيد بن جبير وعطاء
 أي قل حين تقوم من
 مجلسك سبحانه اللهم
 وبمحمدك وقال ابن
 عباس رضي الله عنهما
 معناه صل لله حين
 تقوم من منامك
 وقال الضحاك والربيع
 اذا قلت الى الصلاة
 قل سبحانك اللهم
 وبمحمدك وتبارك
 اسمك وتعالى جددك
 ولا اله غيرك وقوله
 تعالى

بهذا الموضع لا توجد في قوله فاصبر على ما يقولون (المسئلة الاولى) اللام في قوله فاصبر
 لحكم تحمل وجوها (الاول) هي بمعنى الى أي اصبر الى أن يحكم الله (الثاني) الصبر فيه
 معنى الثبات فكأنه يقول فثبت لحكم ربك يقال ثبت فلان لحمل قرنه (الثالث) هي
 اللام التي تستعمل بمعنى السبب يقال لم يخرجت فيقال لحكم فلان دلي بالخروج فقال
 فاصبر واجعل سبب الصبر امثال الامر حيث قال فاصبر أي فاصبر لهذا الحكم
 عليك لاشي آخر (المسئلة الثانية) قال ههنا بأعيننا وقال في موضع آخر وتصنع على
 ههني نقول لما وجدنا ضمير هناك وهو ياء المتكلم وحده وحده العين ولما ذكر ههنا ضمير
 الجمع في قوله بأعيننا وهو النون جمع العين وقال بأعيننا هذا من حيث اللفظ وأما من
 حيث المعنى فلان الحفظ ههنا أتم لان الصبر مطية الرحمة بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث
 اجتمع له الناس وجمعه واله مكابد وتشاوروا في أمره وكذلك أمره بالفلك وأمره بالاختاذ
 عند عدم الماء وحفظه من الفرق مع كون كل البقاع مغبورة تحت الماء تحتاج الى حفظ
 عظيم في نظر الخلق فقال بأعيننا (المسئلة الثالثة) ما وجدنا تعلق الباء ههنا قلنا قد ظهر
 من جميع الوجوه أمان قلنا بأنه للحفظ فتقديره محفوظ بأعيننا وان قلنا للعلم فعناه برأي
 من أي يمكن نراك وتقديره فانك بأعيننا مرئي وحينئذ هو كقول القائل رأيت به عيني كما
 يقال كتب بالعلم الآلة وان كان رؤيته الله ليست بالآلة فان قيل فما الفرق في الموضعين
 حيث قال في طه على عيني وقال ههنا بأعيننا وما الفرق بين علي وبين الباء نقول معنى على
 هناك هو انه يرى على ما يرضاه الله تعالى كما يقول افعله على عيني أي على رضاي تقديره
 على وجه يدخل في عيني وألفت اليه فان من يفعل شيئا غيره ولا يرتضيه لا ينظر فيه ولا
 يقلب عينه اليه والباء في قوله وسبح بحمديك قد ذكرناها وقوله حين تقوم فيه وجوه
 (الاول) تقوم من موضعك والمراد قبل القيام حين ما تعزم على القيام وحين مجي القيام
 وقد ورد في الخبر أن من قال سبحان الله من قبل أن يقوم من مجلسه يكتب ذلك كفارة
 لما يكون قد صدر منه من اللفظ والنعو في ذلك المجلس (الثاني) حين تقوم من النوم وقد
 ورد أيضا فيه خبر يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يسبح بعد الانبأه (الثالث) حين
 تقوم الى الصلاة وقد ورد في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في افتتاح الصلاة
 سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك (الرابع) حين تقوم
 لأمر ما ولا سيما اذا قامت متصليا لمجاهدة قومك ومعاداتهم والدعاء عليهم فسبح بحمديك
 وبدل قيامك للمعاداة وانتصابتك للانتقام بقيامك اذكر الله وتسبيحه (الخامس) حين
 تقوم أي بالنهار فان الليل محل السكون والنهار محل الايقاظ وهو بالقيام أولى وعلى هذا
 يكون كقوله ومن الليل فسبحه اشارة الى ما بقي من الزمان وكذلك ادبار النجوم وهو اول
 الصبح * وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) قد تقدم تفسيره وهو كقوله تعالى
 فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد ذكرنا فائدة الاختصاص بهذه الاوقات

(ومن الليل فسبحه)

افراد بعض الليل

بالتسبيح لما أن العبادة

فيه أشق على النفس

وأبعد عن الرياء

كما يوضح به تقديمه على

الفعل (وادبار النجوم)

أي وقت ادبارها

من آخر الليل أي غيبتها

بضوء الصباح وقيل

التسبيح من الليل

صلاة العشاءين

وادبار النجوم صلاة

الفجر وقرئ أدبار

النجوم بالفتح أي

في أعقابها اذا غربت

او خفيت * عن النبي

عليه الصلاة والسلام

من قرأ سورة والطور

كان حقا على الله تعالى

أن يؤمنه من عذابه

وأزيعه في جنه

* (سورة والنجم مكية
وأيها احدى أو اثنتان
وستون *

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(والنجم اذا هوى)
المراد بالنجم اما النزيا
فانه اسم غالب له أو جنس
النجوم ويهوى به
غروبه وقيل طلوعه
يقال هوى هو يا بوزن
قبول اذا غرب وهو يا
بوزن دخول اذا علا
وصعد وأما النجم
من نجوم القرآن
فهو به نزوله والعمل
في اذا فعل القسم فانه
بمعنى مطلق الوقت
منسوخ من معنى الاستقبال
كما في قولك آتيتك اذا
احر اليسر وفي الاقسام
بذلك على نزاهته عليه
الصلاة والسلام
عن شأبة الضلال
والغواية من البراعة
البديعة وحسن الموقع
مالا غاية وراءه أمانى
الاولين فلأن النجم
شأنه أن يهتدى به
السارى الى مسالك
الدين كما أنه قيل
والنجم الذى يهتدى
به السابلة الى سواء

ومعناه وتختتم هذه السورة بفائدة وهي أنه تعالى قال ههنا اديار النجوم وقال في ق وادي اديار
السجود ويحتمل أن يقال المعنى واحدا والمراد من السجود جمع ساجد والنجوم سجود
قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجم نجوم السماء وقيل النجم ما لا
ساق له من النبات قال الله تعالى وفيه يسجد من في السماوات ومن في الارض أو المراد
من النجوم الوظائف وكل قطعة نجم في لغة أى اذا فرغت من وظائف الصلاة فقل
سبحان الله وقد ورد في الحديث من قال عشية الصلاة سبحان الله عشر مرات والحمد لله
عشر مرات والله أكبر عشر مرات كتب الله ألف حسنة فيكون المعنى في النواصبين
واحد لان السجود من الوظائف والشهيرة الظاهر أن المراد من اديار النجوم وقت
الصبح حيث يدبر النجم ويخفي به يذهب ضياءه ما يضيء الشمس ويحتمل ان يكون
الوجه الخامس في قوله حين تقوم أن المراد منه النهار لأنه يحل القيام ومن الليل النذر
الذى يكون الانسان يقظان فيه وادي اديار النجوم وقت الصبح فلا يخرج عن التسبيح الا
وقت النوم وهذا آخر تفسير هذه السورة والله أعلم والحمد لله رب العالمين صلى الله
على سيدنا محمد وآله وسلم

(سورة النجم ستون آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم اذا هوى) وقبل الشروع في التفسير تقدم مسائل ثم تفرغ للتفسير وان لم تكن
منه (الاولى) أول هذه السورة مناسبت لاخر ما قبلها نفسها ومعنى أما اللفظ فلأن ختم
والطور بالنجم وافتتاح هذه بالنجم مع واو التسم وأما الذى في قوله تعالى كما قال
لنبي صلى الله عليه وسلم ومن الذين فسجدوا اديار النجوم بيناه أنه جزاء في أحزاء مكابدة
النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم وبعده فقال ما ضل صاحبكم وما غوى (المسئلة الثانية)
السور التي تقدمت وافتتاحها بالتسم بالاسم دون الحروف هي والصفار والذاريات
والطور وهذه السورة بعينها فالأولى فيها التسم لاثبات الوجدانية كما قال تعالى ان
الهكم لو احد وفي الثانية لوقوع الحشر والجزاء كما قال تعالى انما توعدون لصادق وان
الدين لواقع وفي الثالثة لدوام العذاب بعد وقوعه كما قال تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله
من دافع وفي هذه السورة النبوة النبى صلى الله عليه وسلم لتكمل الاصول الثلاثة
الوجدانية والحشر والنبوة (المسئلة الثالثة) أم يقسم الله على الوجدانية ولا على النبوة
كثير أم على الوجدانية فلانه أقسم بأمر واحد في سورة الصفات وأما على النبوة
فلأنه أقسم بأمر واحد في هذه السورة و بأمرين في سورة الضحى وأكثر من القسم
على الحشر وما يتعلق به فان قوله تعالى والليل اذا
وقوله تعالى والسماء ذات البروج الى غير ذلك كلها
دلائل الوجدانية كثيرة كلها عقلية كما قيل

وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

ودلائل النبوة ايضا كثيرة وهي المعجزات المشهورة والواترة وأما الحشرفا مكانه ثبت
 بانعزل أمر وقوعه فلا يمكن اثباته الا بالسمع فأكثر انقسم ليقطع به المكلف ويضيقه
 اعتقاد جازما وأما تفسيره فمساائل (الاولى) الواو انقسم بالنجم أو برب النجم ففيه
 خلاف بينهما والظاهر أنه قسم النجم يقال ليس انقسم في الاصل حرف أصل لكن البناء
 والواو استعماله في معنى عارض وذلك لان البناء في أصل النجم من البناء التي للاصداق
 والاسماء فكما يقول القائل استعنت بالله يقول أقسمت بالله وكما يقول أقوم بهون الله
 على العسر يقول أقسم بحق الله قاله فيها ما بهي كما تقول كذا بالتم قاله في الخليفة
 ليست لا قسم غير ان انقسم كثير في الكلام فاستثنى عن ذلك غير ان كثير لم يستثن عنه
 فاذا قال القائل بحق زيد فهم منه القسم لان المبدأ وكان هو من قوله اسحق بحق زيد أو
 اذهب بحق زيد أو لم يقسم بحق زيد لذلك كما ذكر في هذه التسمية لئلا يستغنى فلما
 لم يذكر في أصل النجم الشهرة والاستغناء وذلك ليس في غير انقسم نعم ان المخدوف فعل
 انقسم فكانه قال انقسم بحق فلما جاء في الاصل ليس انقسم لكن المعترض ما ذكرنا من
 الكثير وانما قيل البناء انقسم ثم ان الكلام في حرفه عن هذا في غير النجم فان
 اذا قلنا انك توعد السامع فان سمع بعد فملا غير انقسم كقولك بالله استعنت وبالله قدرت
 وبالله استعنت واخذت لا يحمله على القسم وان لم يسمع منه على القسم انما هو موجود
 قولك انك ولم يسمع اما ان توهم اني ذكرت مع قولك بالله شيئا آخر وما سمعته وأيضاً
 يتوقف فيه في الفهم توعد اذا أراد المتكلم الحكيم اذ غاب ذلك مع الاحتسار وترك
 ما سغى عنه وهو فعل القسم ابدال البناء بالثناء وقوله بالله فتكلم بحرفي كلمة الله لا شهاد كلمة
 الله وانه من من التباس فان التاء في أوائل الكلمات قد تكون أصلية وقد تكون
 للخطاب والتأنيذ فلما قسم بحرف التاء بمن اسمه داعي أو داعي أو داعي أو داعي يقول
 تداعي أو تداعي أو تداعي أو تداعي وكنت في اسمه روماً أو توران اذا قلت
 توران أو توران على أنك تقسم بالثناء تتبس بثناء الخطاب والتأنيذ في الاستقبال
 فأبدلها واو الا يقال عليه اشكالان (الاول) مع الراوي يؤمن الالتباس نقول ولي تتبس
 الواو أصلية باقى القسم لانما نقول ذلك لم يلزم في ذهبنا له وانما كل ذلك في الواو حيث
 يدل وينبئ عن اعطف وان لم يستعمل الواو في قسم كيف وذلك في البناء التي هي كالاسم
 متحقق تقول برام في جمع برمة وبهمام في جمع بهممة ويغال لبسه البناء الاصلية التي في
 البغال والبرام بالبناء اني تلاصقها بقولك مال ورأى فتقول بمال وأما التاء لما استعملت
 للقسم لزم من ذلك الاستعمال الالتباس حيث لم يكن من قبل حرفاً من الادوات كالبناء
 والواو (والاشكال الثاني) لم تترك البناء مما لا التباس فيه كقولك تالرحيم وتالرحيم
 نقول نسا كل كلمة الله في غاية الشهرة والظهور استعملت التاء فيها على خلاف

(ماضل صاحبكم) أي
 ما عدل عن طريق
 الحق الذي هو مسلك
 الآخرة (وماغوى)
 أي وما اعتد بالاطلاق
 أي سوفي غايه الهدى
 والرشد وليس مما تتوهمون
 من الضلال والغواية
 في شيء أصلاً وأما على
 اثبات دلالة تنويه
 بشأن القرآن كأشهر
 اليه في مطلع سورة
 يس وسورة الزخرف
 وتبنيه على مناطه تدا
 عليه الصلاة والسلام
 ومدار رشاده كانه
 في القرآن الذي هو
 في البداية الى مناهج

الاصل بمعنى لم يحزن أن يفاس عليها الاما يكون في شهرتها وأما غيرها فربما يخفى عند البعض فان لم يسمع الرحيم وسمع في الندوة ترقيم بمعنى قطع ر بما يقول ترقيم فعل وفاعل أو فعل ومفعول وان كان ذلك في غاية البعد لكن الاستواء في الشهرة في المنقول منه والمنقول اليه لازم ولا مشهور مثل كلمة الله على أنا نقول لم قلت ان عند الأمن لا تستعمل الا ترى انه نقل عن العرب رب الكعبة والذي يؤيد ما ذكرنا أنك تقول أقسم بالله ولا تقول أقسم بالله لان اثناء فيه مخافة الالتباس عند حذف الفعل من القسم وعند الايمان به لم يخف ذلك فلم يحزن (المسئلة الثانية) اللام في قوله تعالى والنجيم لتعريف العهد في قول وتعرف بالجنس في قول والاول قول من قال والنجيم المراد منه الثريا قال قائلهم ان بدالنجيم عشيا * اتبني الراعي كسبا

والثاني فيه وجوه (أحدها) النجم هو نجيم السماء التي هي ثابتة فيها للاهتداء وقيل لابل النجوم المتحركة فيها التي هي رجوم للشياطين (ثانيها) نجوم الارض وهي من النبات ما لا ساق له (ثالثها) نجوم القرآن منذ كمر مناسبة كل وجه ونبيين فيه المختار منها أم على قولنا المراد الثريا فهو أظهر النجوم عند الرأي لانه علامة لا يتلبس بغيره في السماء ويظهر لكل واحد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بآيات بينات فأقسم به ولان الثريا اذا ظهرت من المشرق بالبركان ادراك الثمار واذا ظهرت بالعشاء واخر الخريف تقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشك والامراض القلبية وأدركت الثمار الحكيمة والحلمية وعلى قولنا المراد هي النجوم التي في السماء للاهتداء نقول النجوم بها الاهتداء في البراري فأقسم الله بهما للمباينة من المشابهة والمناسبة على قولنا المراد الرجوم من النجوم فالنجوم تبعد الشياطين عن أهل السماء والانباء يبعدون الشياطين عن أهل الارض وعلى قولنا المراد القرآن فهو استدلال بمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه وبرائه فهو كقوله تعالى بس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ماضلات ولا غيوب وعلى قولنا النجم هو النبات فنقول النبات به ثبات القوى الجسمانية وصلاحتها والقوة العقلية أولى بالاصلاح وذلك بالرسول وايضاح السبيل ومن هذا يظهر أن المختار هو النجوم التي هي في السماء لانها أظهر عند السامع وقوله اذا هوى ادل عليه ثم بعد ذلك القرآن أيضا فيه ظهور ثم الثريا (المسئلة الثالثة) انقول في والنجم ~~نقول~~ في الطور حيث لم يقبل والنجوم والاول الاطوار وقال والذاريات والمرسلات وقد تقدم ذكره (المسئلة الرابعة) ما الفائدة في تقييد القسم به بوقت هو به نقول النجم اذا كان في وسط السماء يكون بعيدا عن الارض لا يهتدى به السارى لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تبين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشمال كذلك النبي صلى الله عليه وسلم خفف جناحه للمؤمنين وكان على خلق عظيم كما قال تعالى واليك اعلى خلق عظيم وكما قال تعالى فبما رحمة من الله

الدين ومسالك الحق
ماضل عنها محمد عليه
الصلاة والسلام
وما نحوى والخطاب
لقر يش وايراده عليه
الصلاة والسلام
بعنوان صاحبه لهم
الايدان بوقوفهم
على تفاصيل أحواله
الشريفة واحاطتهم
خبرا بعبادته عليه
الصلاة والسلام
بغاية الهدى والرشاد
فان طول صحتهم له
عليه الصلاة والسلام
ومشاهدتهم لمحاسن
شونه العقلية مقتضية
لذلك حتما

لنت اليهم واو كنت فظا غليظ اذ لم يلقوا من حولك فان قبل الاهتداء بالنجيم اذا كان على أفق المشرق كما نهداه به اذا كان على أفق المغرب فلم يبق ما ذكرت جوابا عن السؤال نقول الاهتداء بالنجيم وهو ما نزل الى المغرب أكثر لانه يهدي في العبر يقين الدينوي والدينوي أما الدينوي فلما ذكرنا وأما الدينوي فكما قال الخليل لأحب الآقلين وفيه لطيفة وهي أن الله لما أقسم بالنجيم شرفه وعظمه وكان من المشركين من يعبده فقرن بتعظيمه وصفا يدل على أنه لم يبلغ درجة العبادة فانه هو أو أقل * ثم قال تعالى (ما ضل صاحبكم وما غوى) أكثر المفسرين لم يفرقوا بين الضلال والغي الذي قاله بعضهم عند محاولة الفرق ان الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشد قال تعالى وان يرؤا سبيلا للرشد لا يتخذوه سبيلا وان يرؤا سبيلا للغي يتخذوه سبيلا وقال تعالى قد تبين الرشد من الغي وتحقيق القول فيه أن الضلال أعم استعمالا في الوضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوى فالمراد من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغيوان أن لا يكون له طريق الى المقصد مستقيما بذلك على هذا انك تقول المؤمن الذي ليس على طريق السداد انه سفيه غير رشيد ولا تقول انه ضال والضال كالكافر والعاوي كالفاسق فكأنه تعالى قال ما ضل أي ما كفر ولا أقل من ذلك ففاسق وبؤيد ما ذكرنا قوله تعالى فان أنتم منهم رشتدا فادفعوا اليهم أموالهم او تقول الضلال كالأعمى والغيوان كالأعمى في الدرجة والمرتبة وقوله صاحبكم فيه وجهان (الاول) سيدكم والآخر مصاحبكم يقال صاحب البيت ورب البيت ويحتمل أن يكون المراد من قوله ما ضل أي ما جن فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله تعالى والقلم وما يسطرون ما أنت ببعمة ربك مجنون وان لك لأجرا غير ممنون فيكون إشارة الى انه ما غوى ل هو رشيد مرشد ال على الله بارشاد آخر كما قال تعالى قل ما أسئلكم عليه من أجر وقال ان أجرى الأعلى الله وقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم إشارة الى قوله ههنا (وما ينطق عن الهوى) فان هذا خلق عظيم وانبياء الترتيب فتقول قال أولا ما ضل أي هو على الطريق وما غوى أي طر يقه الذي هو عليه مستقيم وما ينطق عن الهوى أي هو راكب منته أخذ سميت المقصود وذلك لان من يسلك طريقا يصل الى مقصده فر بما يتقى بلا طريق وور بما يجد اليه طريقا بعيدا فيه متاعب ومهالك وربما يجد طريقا واسعا مائلا ولكنه يميل بينه وبينه بسيرة فيبعد منه المقصد ويتأخر عليه الوصول فاذا سلك الجادة وركب منتهما كان أسرع وصولا ويمكن أن يقال وما ينطق عن الهوى دليل على انه ما ضل وما غوى تقديره كيف يضل أو يغوى وهو لا ينطق عن الهوى وانما يضل من يتبع الهوى ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فان قيل ما ذكرت من الترتيب الاول على صيغة الماضي في قوله ما ضل وصيغة المستقبل في قوله وما ينطق في غاية الحسن أي ما ضل حين اعتزلتكم وما تعبدون في صغره وما غوى بخين اختلى بنفسه ورأى في منامه ما رأى وما ينطق عن الهوى الآن حيث أرسل اليكم

وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجوه الاخير ظاهر وأما على الاولين فلان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال الظاهية لما سيحكى من تدلى جبريل من الافق الاصل ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل وأما حل هويه على الظاهر

وجعل رسولا شاهدا عليكم فلم يكن أول اضلال ولا غاويا وصار الآن منذ ان اضلاله
ومر شداوه اياها ما على ما ذكرت أن تقديره كقب بضل وهو لا ينطق عن الهوى فلا توافقه
الضعيفة تعاليل وبيانه أن الله تعالى يصون من يريد ارساله في سفره عن الكفر والمعاصي
التي هي كالمسرف والزاو اعتيادا الكذب فقال تعالى ما ضل في سفره لانه لا ينطق عن الهوى
وأحسن ما يقال في تفسير الهوى أنها المحبة لكن من النفس يقال هو يته بهو أحبيته
لكن المعروف التي هي على التنو والنزول والسقوط ومنه الهوى بقه بالنفس اذا
كانت ذنبية وتركت الهوى وتعلقت بالفساد فقد هوت فاختص الهوى بالنفس
الامارة بالسوء ولما قلت أهواي بقاها زال ما فيه من السفالة لكن الاستعمال بعد التبعاد
استعمال القرآن حيث لم يستعمل الهوى الا في المرضع الذي يتخاف الحجب فانها لا تتعملة
في موضع المسح والذي يدل على ما ذكرنا قول تعالى فأما من طغى وآراياة الدنيا لي قوله
وعنى النفس عن الهوى إشارة الى ما هو مرتبة النفس * ثم قال تعالى (ا هو الاوحى يوحى)
بكلمة البيان وذلك منه تعالى لما قال ما ينطق عن الهوى كان قائما على ما ينطق
أعني الدليل أو الاجزاء فقال لا والله ينطق عن الله بالوحى وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
ان الاستعمالات مكان ما في كل استعمال ما للشرط مكان ان قال تعالى ما تنسخ من آية
نأت بغيرها والمشاكلة بينهما من حيث اللفظ والمعنى أما اللفظ فلان اسم من الهمزة
والنون وما من الهمزة والالف والياء كاهمة والنون كالهمزة أما الاول فبديل جواز قلب
وأما الثاني فبديل جواز الادغام ووجوبه وأما المعنى فلان ان تدل على ان في من وجه
وعلى الإثبات من وجه ولكن دلالتها على ان في أقوى وأبلغ من الشرط والجزاء في صورة
استعمال نقطة ان يجب أن يكون في الحال معدوما اذا كان المتصود الحث ان المنزقول
ان تحسن ذلك الثواب وان تسمى تلك العذاب وان كان المراد بيان حال القسمين كشكوك
فيهما كقوات ان كل هذا النص زاجا فقيته نصف وان كان جوهر فقيته الف فهنا
وجود شي منهما غير معلوم وعدم العلم حاصل وعدم العلم فهنا كعدم الحصول الحث
وانتم فلا بد في صور استعمال ان من عدم اما في الامر واما في العلم وأما في الوجود فذلك
عند وجود الشرط في بيان العلم وهذا قال النجاة لا يحسن أن يقال ان احرام السرآتك
لان ذلك أمر سبوجد لا محالة وجوزوا استعمال ان في الوجود أصلا يقال في قطع الرجاء
ان ايض القار تغلبي قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني ولم يوجد الاستقرار
والاروية فعمل أن دلالة على اني أم دار مداولة مدلول ما أقرب فاستعمل أحدهما
مكان الآخر هذا هو الظاهر وما يقال ان وما حرفان نافيان في الاصل فلا حاجة الى
الترادف (المسئلة الثانية) هو ضمير معلوم أو ضمير مذكور تقول فيه وجهان (أشهرهما)
أنه ضمير معلوم وهو القرآن كأنه يقول ما القرآن الاوحى وهذا على قول من قال النجم
ليس المراد منه القرآن وأما على قول من يقول هو القرآن فهو طائد الى مذكور (ب الوجه

يوم التمامة أو على
انقضاء النجم الذي
يرجم به أو جعل النجم
على النبات وحمل
هو به على سقوطه
على الارض أو على
ظهوره منها فما لا يناسب
المقام (وما ينطق عن
الهوى) أي وما يصدر
نطقه بالقرآن عن هواه
ورأيه أصلا فلان المراد
استقرار في النطق عن
الهوى لان في استقرار
النطق عنه كما مر مرارا
(ان هو) أي ما الذي
ينطق به من القرآن
(الاوحى) من الله
تعالى وقوله تعالى
(يوحى) صفة مؤكدة
لوحى رافعة لاحتمال
النجاز مفيدة فلا استقرار
الجمدي

الثاني) أنه عائد الى المذكور ضمنا وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه وذلك لان قوله تعالى وما ينطق عن الهوى في ضمنه النطق وهو كلام وقول فكانه تعالى يقول وما كلامه وهو نطقه الارحى وفيه وجه آخر بعد وأدق وهو أن يقال قوله تعالى ما ضل صاحبكم قد ذكر أن المراد منه في وجه أنه ما جن وما مسه الجن فليس بكاهن وقوله وما هوى أى ليس بينه وبين الغواية تعلق فليس بشاعر فان الشعراء يتبعهم الغاؤون وحيث قد يكون قوله وما ينطق عن الهوى ردا عليهم حيث قالوا قوله قول كاهن وقالوا قوله قول شاعر فقال ما قوله الاوحى وليس بقول كاهن ولا شاعر كما قال تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون (المسئلة الثالثة) الوحي اسم أو مصدر نقول يحتمل الوجهين فان الوحي اسم معناه الكتاب ومصدره وله معان منها الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة والافهام فان قلنا هو ضمير القرآن فالوحي اسم معناه الكتاب كانه يقول ما القرآن الا كتاب ويوحى بمعنى يرسل ويحتمل على هذا أيضا أن يقال هو مصدر رأى ما القرآن الارسال والهام بمعنى المفعول أى مرسل وان قلنا المراد من قوله ان هو قوله وكلامه فالوحي حيث هو الالهام بمعنى ما لهم أى كلامه منهم من الله أمرسل وفيه مباحث (البحث الاول) الظاهر خلاف ما هو المشهور عند بعض المفسرين وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان ينطق الا عن وحي ولا حجة لمن توهم هذا في الآية لان قوله تعالى ان هو الاوحى يوحى ان كان ضمير القرآن فظاهر وان كان ضميرا عائدا الى قوله فالمراد من قوله هو القول الذى كانوا يقولون فيه انه قول شاعر ورد الله عليهم فقال ولا يقول شاعر وذلك القول هو القرآن وان قلنا بما قالوا به فينبغى أن يفسر الوحي بالالهام (البحث الثانى) هذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يجتهد وهو خلاف الظاهر فانه في الحروب اجتهد وحرم ما قال الله لم تحرم واذن لمن قال تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم نقول على ما ثبت لا تدل الآية عليه (البحث الثالث) يوحى يحتمل أن يكون من وحي يوحى ويحتمل أن يكون من أوحى يوحى تقول عدم بعدم وأعدم بعدم وكذلك علم يعلم وأعلم يعلم فتقول يوحى من أوحى لان وحي وان كان وحي وأوحى كلاهما جاء بمعنى ولكن الله في القرآن عند ذكر المصدر لم يذكر الالحاء الذى هو مصدر أوحى وعند ذكر الفعل لم يذكر وحي الذى مصدره ووحى بل قال عند ذكر المصدر الوحي وقال عند ذكر الفعل أوحى وكذلك القول في حب واحب فان حب واحب بمعنى واحد والله تعالى عند ذكر المصدر لم يذكر في القرآن الاحباب وذكر الحب قال أو أشد حبا وعند الفعل لم يقل حبه الله بل قال يحبهم ويحبونه وقال يحب أحدكم وقال ان تناووا البر حتى تنفقوا مما يحبون الى غير ذلك وفيه سر من علم الصرف وهو أن المصدر والفعل الماضى الثلاثى فيهما خلاف قال بعض علماء الصرف المصدر مشتق من الفعل الماضى والماضى هو الاصل والدليل عليه وجهان لفظى ومعنوى أمما اللفظى فانهم يقولون مصدر فعل يفعل اذا كان متعديا فعل بسكون العين واذا كان لازما

(علمه شديد القوى)
 أى ملك شديد قواه
 وهو جبريل عليه
 السلام فانه الواسطة
 في ابداء الخوارق
 وناهيك دليلا على
 شدة قوته أنه قلع قري
 قوم لوط من الماء الاسود
 الذى هو تحت الثرى
 وحملها على جناحه
 ورفعها الى السماء
 ثم قلبها وساح ثمود
 صيحة فاصبحوا اجاثين
 وكان هبوطه على الانبياء
 وصعوده فى أسرع من
 رجعة الطرف (ذو
 مرة) أى حصة فى
 عقله ورأيه ومناة
 فى دينه (فاسنوى)
 عطف على علمه
 بطريق التفسير فانه الى

فَعُولٌ فِي الْإِكْتِرَاءِ وَلَا يَتَوَلَّوْنَ الشُّعْلَ الْمَاضِي مِنْ فَعُولٍ فَعَلٌ وَهَذَا دَلِيلٌ مَا ذَكَرْنَا وَأَمَّا
 الْمَعْنَى فَلَنَا مَا يَوْجِدُ مِنَ الْأُمُورِ لَا يَوْجِدُ الْوَهُوَ خَاصٌّ وَفِي ضَمْنِهِ الْعَامُّ مِثْلَهُ الْإِنْسَانُ
 الَّذِي يُبْجَدُ وَيُتَحَقَّقُ يَكُونُ زَيْدًا أَوْ عَمْرًا أَوْ غَيْرَهُمَا وَيَكُونُ فِي ضَمْنِهِ أَنْهُ هُنْدِيٌّ أَوْ تَرْكِيٌّ
 وَفِي ضَمْنِهِ ذَلِكَ أَنَّهُ حَيَوَانٌ وَنَاطِقٌ وَلَا يَوْجِدُ الْإِنْسَانُ ثُمَّ يَصِيرُ تَرْكِيًّا ثُمَّ يَصِيرُ زَيْدًا أَوْ عَمْرًا
 إِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَالْفِعْلُ الَّذِي يُتَحَقَّقُ لَا يَنْفَكُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَاضِيًّا أَوْ مُسْتَبْتَلًا وَفِي ضَمْنِهِ
 أَنَّهُ فَعَلٌ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ مَضِيدٍ وَاسْتِقْبَالِهِ مِثْلَهُ الضَّرْبُ إِذَا وَجِدَ فَمَا أَنْ يَكُونَ قَدْ
 مَعْنَى أَوْ يَمُوتُ لَمْ يَمُتْ وَالْأَوَّلُ مَاضٍ وَالثَّانِي مَاضِرٌ أَوْ مُسْتَقْبَلٌ وَلَا يَوْجِدُ الضَّرْبُ مِنْ
 حَيْثُ أَنَّهُ ضَرْبٌ خَالِيًا عَنِ الْعَنِي وَالْحَضُورِ وَالِاسْتِقْبَالِ غَيْرِ أَنْ الْعَاقِلُ يَدْرِكُ مِنْ فَعَلٍ
 وَهُوَ يَفْعَلُ الْآنَ وَسَيَفْعَلُ غَدًا أَمْرًا مُشْتَرَكًا فَيَسْمِيهِ فَمَلَا وَكَذَلِكَ يَدْرِكُ فِي ضَرْبٍ وَهُوَ
 يَضْرِبُ الْآنَ وَسَيَضْرِبُ غَدًا أَمْرًا مُشْتَرَكًا فَيَسْمِيهِ ضَرْبًا فَيَضْرِبُ يَوْجِدُ أَوْ لَا وَيُسْتَخْرَجُ
 مِنْهُ الضَّرْبُ وَالِالْفَاطُ وَضَعْتَ لِمُورٍ تَحَقَّقُ فِيهَا فَيَعْبَرُ بِهَا عَنْهَا وَالْأُمُورُ الْمُشْتَرَكَةُ لَا تَحَقَّقُ
 إِلَّا فِي ضَمْنِ أَشْيَاءٍ أُخْرَى فَالْوَضْعُ أَوْلَا لِمَا يَوْجِدُ مِنْهُ لَا يَدْرِكُ مِنْهُ قَبْلَ الضَّرْبِ وَهَذَا مَا يُمْكِنُ
 أَنْ يُقَالَ لِمَنْ يَقُولُ الْمَاضِي أَصْلٌ وَالْمَصْدَرُ مَا خُوذَ مِنْهُ * وَأَمَّا الَّذِي يَقُولُ الْمَصْدَرُ أَصْلُ
 وَالْمَاضِي مَا خُوذَ مِنْهُ فَلَهُ دَلَالٌ مِنْهَا أَنْ الْأَسْمَ أَصْلٌ وَالْفِعْلُ مَتَفَرِّعٌ وَالْمَصْدَرُ اسْمٌ وَلَا تَنْ
 الْمَصْدَرُ مَعْرَبٌ وَالْمَاضِي مُبْنِيٌّ وَالْأَعْرَابُ قَبْلَ الْبِنَاءِ وَلَا تَنْ قَالَ وَقَالَ رَوَاعٍ إِذَا أَرَدْنَا
 الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا زَادْنَا بَيْنَهُمَا إِلَى الْمَصْدَرِ أَوْ قَالَ الْإِفْعَالُ مَقْلَبَةٌ مِنْ وَاءٍ بِدَلِيلِ الْقَوْلِ
 وَقَالَ أَنَّهُ عِنَابَةٌ مِنْ يَاءٍ بِدَلِيلِ الْقَبْلِ وَكَذَلِكَ الرَّوْعُ وَالرَّبْعُ وَأَمَّا الْمَعْتَقُولُ فَلَانَ
 الْإِلْفَاطُ وَضَعْتَ لِلْأُمُورِ الَّتِي فِي الْأَذْهَانِ وَالْعَامُّ قَبْلَ الْخَاصِّ فِي الذَّهْنِ فَإِنَّ الْمَوْجُودَ
 إِذَا أَدْرَكَ مَعْنَاهُ يَقُولُ الْمَدْرِكُ هَذَا الْمَوْجُودُ جَوْهَرٌ أَوْ عَرَضٌ فَإِذَا أَدْرَكَ أَنَّهُ جَوْهَرٌ يَقُولُ
 أَنَّهُ جِسْمٌ أَوْ غَيْرُ جِسْمٍ عِنْدَ مَنْ يَجْعَلُ الْجِسْمَ جَوْهَرًا وَهُوَ الْأَصَحُّ الْإِظْهَرُ ثُمَّ إِذَا أَدْرَكَ كَوْنَهُ
 جِسْمًا يَقُولُ هُوَ نَامٌ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ لِي أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْأَخْصِ الْأَشْيَاءِ أَنْ أُمْكِنَ الْإِتِّهَاءُ إِلَيْهِ
 بِالْتَقْسِيمِ فَالْوَضْعُ الْأَوَّلُ الْقَوْلُ وَهُوَ الْمَصْدَرُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ ثُمَّ إِذَا انْتَضَمَ إِلَيْهِ زَمَانٌ يَقُولُ
 ضَرْبٌ أَوْ سَبْضٌ فَالْمَصْدَرُ قَبْلَ الْمَاضِي وَهَذَا هُوَ الْأَصَحُّ إِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَتَقُولُ عَلَى
 مَذْهَبٍ مَنْ يَقُولُ الْمَصْدَرُ فِي الثَّلَاثِي مِنَ الْمَاضِي فَالْحَبُّ وَأَحْبُّ كِلَاهِمَا فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ
 لِأَنَّ كِلَيْهِمَا مِنْ حَبٍّ يَحِبُّ وَالْمَصْدَرُ مِنَ الثَّلَاثِي قَبْلَ الْمَصْدَرِ الْمُنْتَشِعَةِ بِمَرْتَبَةٍ وَعَلَى مَذْهَبٍ مَنْ
 يَقُولُ الْمَاضِي فِي الثَّلَاثِي مَا خُوذَ مِنَ الْمَصْدَرِ فَالْمَصْدَرُ الثَّلَاثِي قَبْلَ الْمَصْدَرِ فِي الْمُنْتَشِعَةِ
 بِمَرْتَبَتَيْنِ فَاسْتَعْمَلُ مَصْدَرًا ثَلَاثِيًّا لِأَنَّهُ قَبْلَ مَصْدَرِ الْمُنْتَشِعَةِ وَأَمَّا الْفِعْلُ فِي أَحْبُّ وَأَوْحَى
 فَلَانَ الْإِلْفَ فِيهِمَا تَفِيدُ فَائِدَةً لَا يَفِيدُهَا الثَّلَاثِي الْمَجْرَدُ لِأَنَّ أَحْبُّ أَدْخَلَ فِي التَّعْدِيَةِ وَأَبْهَدُ
 عَنْ تَوْهَمِ الْإِزْمِ فَاسْتَعْمَلَهُ (المسئلة الرابعة) إِنَّهُ هُوَ الْأَوْحَى أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ هُوَ وَحَى
 وَفَيْدُ فَائِدَةٍ غَيْرِ الْمُبَالِغَةِ وَهِيَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ هُوَ قَوْلُ كَاهِنٍ هُوَ قَوْلُ شَاعِرٍ فَارَادَنِي قَوْلُهُمْ
 وَذَلِكَ يَحْصُلُ بِصِغَةِ النَّفِيِّ فَقَالَ مَا هُوَ كَمَا يَقُولُونَ وَزَادَ فَقَالَ يَلْ هُوَ وَحَى وَفَيْدُ زِيَادَةٍ فَائِدَةٌ

قوله تعالى ما أوحى بيان
 لكيفية التعليم أي
 فاستقام على صورته
 التي خلقه الله تعالى
 عليه آداب الصورة التي
 كان يمثل بها كلما هبط
 بأوحى ذلك إن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 أحب أن يرا في صورته
 التي جبل عليها وكان
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بجاء فطام له
 جبريل عليه السلام
 من المشرق فسد
 الأرض من المغرب
 وملا الأفق فخر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 فنزل جبريل عليه
 السلام في صورة
 الأدميين

أخرى وهو قوله يوحى وذلك كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه وفيه تحقيق الحقيقة فان الفرس الشديد العدو بما يقال هو طائر فاذا قال يطير بجناحيه يزبل جواز المجاز كذلك يقول بعض من لا يحترز في الكلام ويبائع في المبالغة كلام فلان وحى كما يقول شعره سحر وكما يقول قوله معبر فاذا قال يوحى يزول ذلك المجاز او يبعد * ثم قال تعالى (علمه شديد القوى) وفيه وجهان أشهرهما عند المفسرين ان الضمير في علمه عائدا الى الوحي أى الوحي علمه شديد القوى والوحي ان كان هو الكتاب فظاهر وان كان الالهام فهو كقوله تعالى نزل به الروح الامين والاولى ان يقال الضمير عائدا الى محمد صلى الله عليه وسلم تقديره علم محمد شديد القوى جبريل وحيتنذ يكون عائدا الى صاحبكم تقديره علم صاحبكم وشديد القوى هو جبريل أى قواه العلمية والعملية كلها شديدة فيعلم ويعمل وقوله شديد القوى فيه فوائد (الاولى) ان مدح المعلم مدح المتعلم فلو قال علمه جبريل وام يصفه ما كان يحصل لنبى صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة (الثانية) هى ان فيه ردا عليهم حيث قالوا أساطير الاولين سمعها وقت سفره الى الشام فقال لم يهلمه احد من الناس بل معلمه شديد القوى والانسان خالق ضعيفار ما اتى من العلم الا قليلا (الثالثة) فيه وثوق بقول جبريل عليه السلام فقوله تعالى شديد القوى جمع ما يوجب الوثوق لان قوة الادراك شرط الوثوق بقول القائل لانا انظنا بواحد فساد ذهن ثم نقل الينا عن بعض الاكابر مسألة مشككة لانتق بقوله ونقول هو ما فهم ما قال وكذلك قوة الحفظ حتى لا نقول أدركها لكن نسبها وكذلك قوة الامانة حتى لا نقول حرفها وغيرها فقال شديد القوى ليجمع هذه الشرائط فيصير كقوله تعالى ذى قوة عند ذى العرش مكين الى أن قال أمين (الرابعة) فيه تسلية لنبى صلى الله عليه وسلم وهى من حيث ان الله تعالى لم يكن مختصا به كان فنيسته الى جبريل كنسبته الى محمد صلى الله عليه وسلم فاذا علم بواسطته يكون نقصا عن درجته فقال ليس كذلك لانه شديد القوى يثبت لمكالمنا وأنت بعد ما استويت فتكون كوسى حيث خرفك انه تعالى قد علمه بواسطة ثم علمه من غير واسطة كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وقال صلى الله عليه وسلم أدينى ربي فاحسن تأديبى * ثم قال تعالى (ذو مرة فاستوى) وفي قوله تعالى ذو مرة وجوه (أحدها) ذو قوة (ثانيها) ذو كمال في العقل والدين جميعا (ثالثها) ذو منظر وهيبة عظيمة (رابعها) ذو خلق حسن فان قيل على قولنا المراد ذو قوة قد تقدم بيان كونه أقوى في قوله شديد القوى فكيف نقول قواه شديدة وله قوة نقول ذلك لا يحسن ان جاء وصفا بهد وصف وأمان جاء بدلا يجوز كانه قال علمه ذو قوة وترك شديد القوى فليس وصفه وتقديره ذو قوة عظيمة أو كماله وهو حيثند كقوله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين فكانه قال علمه ذو قوة فاستوى والوجه الاخر في الجواب هو أن افراد قوة بالذكر ربما يكون لبيان ان قواه المشهورة شديدة وله قوة أخرى خصه الله بها يقال فلان

فضمه الى نفسه وجعل
يسخ الغبار عن وجهه
قبل ما رآه أحد من
الانبياء في صورته غير
النبى عليه الصلاة
والسلام فانه رآه فيها
مرتين مرة في الارض
ومرة في السماء وقبل
استوى بقوته على
ما جعل له من الامر
وقوله تعالى (وهو
بالأفق الأعلى) أى
أفق الشمس حال من
فاعل استوى (ثم دنا)
أى أراد الدنو من النبى
عليه الصلاة والسلام
(فتدل) أى استعمل
من الأفق الأعلى مع
تعلق به فدنا من النبى
يقال تداد

كثير المال وله مال لا يعرفه أحد أي أمواله الظاهرة كثيرة وله مال باطن على أنا نقول المراد ذوشدة وتقديره علمه من قواه شديدة وفي ذاته أيضا شدة فان الانسان ربما تكون قواه شديدة وفي جسمه صغرو حفاوة ورخاوة وفيه لطيفة وهي أنه تعالى أراد بقوله شديد القوى قوته في العلم * ثم قال تعالى ذومرة أي شدة في جسمه فقدم العملية على الجسمية كما قال تعالى وزاد بسطة في العلم والجسم وفي قوله فاستوى وجهان المشهوران المراد جبريل أي فاستوى جبريل في خلقه * ثم قال تعالى (وهو بالافق الاعلى) والمشهور أن هو ضمير جبريل وتقديره استوى كما خلقه الله تعالى بالافق الشرقى فسدالمشرق لعظمته والظاهر ان الراد محمد صلى الله عليه وسلم معناه استوى بمكان وهو بالمكان العالى رتبة وميزة في رفعة القدر لاحقيقة في الحصول في المكان فان قيل كيف يجوز هذا والله تعالى يقول ولقد رآه بالافق المبين اشارة الى أنه رأى جبريل بالافق المبين نقول وفي ذلك الموضوع أيضا نقول كما قلنا ههنا انه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وهو بالافق المبين يقول القائل رأيت الهلال فيقال له أين رأيت فيقول فوق السطح أي أن الرأى فوق السطح لا المرئى والمبين هو الفارق من أبان أي فرق أي هو بالافق الفارق بين درجة الانسان وميزة الملك فانه صلى الله عليه وسلم انتهى وبلغ الغاية وصار نبيا كما صار بعض الانبياء نبيا بآية الوحى في نومه وعلى هيئته وهو واصل الى الافق الاعلى والافق الفارق بين الميزتين فان قيل ما بعده يدل على خلاف ما ذهب اليه فان قوله ثم دنا فتدلى الى غير ذلك وقوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى كل ذلك يدل على خلاف ما ذكرته نقول سنين موافقته لما ذكرنا ان شاء الله تعالى في مواضعه عند ذكر تفسيره فان قيل الاحاديث تدل على خلاف ما ذكرته حيث ورد في الاخبار أن جبريل صلى الله عليه وسلم أرى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على صورته فسدالمشرق فنقول نحن ما قلنا انه لم يكن وليس في الحديث أن الله تعالى أراد بهذه الآية تلك الحكاية حتى يلزم مخالفة الحديث وانما نقول ان جبريل أرى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه مرتين وبسط جناحه وقد ستر الجانب الشرقى وسده لكن الآية لم ترد لبيان ذلك * ثم قال تعالى (ثم دنا فتدلى) وفيه وجوه مشهورة (أحدها) ان جبريل دنا من النبي صلى الله عليه وسلم أي بعد ما مد جناحه وهو بالافق عادالى الصورة التي كان يعتمد النزول عليها وقرب من النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ففي تدلى ثلاثة وجوه (أحدها) فيه تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) الدنو والتدلى بمعنى واحد كانه قال دنا فاقرب (الثالث) دنا أي قصد الاقرب من محمد صلى الله عليه وسلم وتحرك عن المكان البى كان فيه فتدلى فنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) على ما ذكرنا من الوجه الاخير في قوله وهو بالافق الاعلى ان محمدا صلى الله عليه وسلم دنا من الخلق والامة ولان لهم وصار كواحد منهم فتدلى أي تدلى اليهم بالقول اللين والنعاء الرفيق فقال أنا

الثرثرة وذلى رجله من السرير وأدلى دلوه والدوالى الثمر المعلق (فكان) أي مقدار امتداد ما بينهما (فاب قوسين) أي مقدارهما فان القاب والقيوب والقياد والقيود والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما في قولك هو فنى معند الازار (أو ادنى) أي على تقدير كم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحى اليه بنى البعد الميس (فأوحى) أي جبريل عليه السلام

بشر النكر يوحى الى وعلى هذا في الكلام كالان كأنه تعالى قال الاوحى يوحى جبريل
 على محمد استوى محسوس وكل فدا من الخلق بعد علوه وتلى اليهم وبلغ الرسالة (الثالث)
 وهو ضعيف مخيف وهو ان المراد منه هو ربه تعالى وهو مذهب القائلين بالجبهة والكار
 اللهم الآن يريد القرب بالمرتبة وعلى هذا يكون فيه ما في قوله صلى الله عليه وسلم سكاية
 عن ربه تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه
 باعا ومن مشى الى آيته هرولة اشارة الى المعنى المجازي وههنا لما بين ان النبي صلى الله
 عليه وسلم استوى وعلا في المرتبة العقلية لاني المكان الحسي قال وقرب الله منه تحقيقا
 لما قوله من تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا * ثم قال تعالى (فكان قاب قوسين
 أو أدنى) أي بين جبرائيل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين أو أقل ورد هذا على
 استعمال العرب وعادتهم فان الاميرين منهم أو الكبيرين اذا اصطلحا وتعاهدا خرجا
 بقوسيهما ووتر كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية
 يكون كفه بكفه فينهيان باعيهما ولذلك تسمى مبايعة وعلى هذا ففيه لطيفة وهي ان قوله
 قاب قوسين على جعل كونهما كبيرين وقوله أو أدنى لفضل أحدهما على الآخر فان
 الامير اذا بايعه الرعية لا يكون مع المبايع قوس فيصافحه الامير فكأنه تعالى أخبر انهما
 كامين كبيرين فكان بينهما مقدار قوسين أو كان جبرائيل عليه السلام سفيرا بين
 الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم فكان كالشبع لمحمد صلى الله عليه وسلم فصار كالمبايع
 الذي يمد الباع لا القوس هذا على قول من يفضل النبي صلى الله عليه وسلم على جبرائيل
 عليه السلام وهو مذهب أهل السنة الا قليلا منهم اذ كان جبرائيل رسولا من الله واجب
 التعظيم والاتباع فصار النبي صلى الله عليه وسلم عنده كالشبع له على قول من يفضل جبريل
 على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وجه آخر على ما ذكرنا وهو أن يكون القوس عبارة
 عن بعد من فاس يقوس وعلى هذا فنقول ذلك البعد هو البعد النوعي الذي كان للنبي
 صلى الله عليه وسلم فانه على كل حال كان بشرا وجبريل على كل حال كان ملكا فالنبي
 صلى الله عليه وسلم وان زال عن الصفات التي تخالف صفات الملك من الشهوة والغضب
 والجهل والهوى لكن بشرية كانت باقية وكذلك جبريل وان ترك الكمال واللاطف
 الذي يمنع الروفة والاحجاب لكن لم يخرج عن كونه ملكا فلم يبق بينهما الاختلاف
 حقيقة وأما سائر الصفات الممكنة الزوال فرالت عنهما فارتفع النبي صلى الله عليه
 وسلم حتى بلغ الافق الاعلى من البشرية وتدى جبريل عليه السلام حتى بلغ الافق الادنى
 من الملكية فتقاربا ولم يبق بينهما الحقيقة فهما وعلى هذا في فاعل أوحى الاول وجهان
 (أحدهما) ان الله تعالى أوحى وعلى هذا في عبده وجهان (أحدهما) انه جبريل عليه
 السلام ومعناه أوحى الله الى جبريل وعلى هذا في فاعل أوحى الاخير وجهان
 (أحدهما) الله تعالى أيضا والمعنى حينئذ أوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام الذي

(الى عبده) عبد الله
 تعالى واضماره قبل
 الذكر لغاية ظهوره كما
 في قوله تعالى ما ترك
 على ظهرها (ما أوحى)
 أي من الامور العظيمة
 التي لا تفي بها العبارة
 أو فوحى الله تعالى
 حينئذ بواسطة جبريل
 ما أوحى قبل أوحى اليه
 ان الجنة محرمة على
 الانبياء حتى تدخلها
 وعلى الامم حتى تدخلها
 أمك (ما كذب الفؤاد)
 أي فؤاد محمد عليه
 الصلاة والسلام
 (ماروى) أي ماراه
 ببصرة من صورة جبريل
 عليهما السلام أي ما
 قال فؤاده لماراه لم
 أعرفك واوقال ذلك
 لكان كاذبا لانه عرفه
 بقلبه كما رآه ببصرة

أوحاه ليد تغبجا وتعظيما للوحي (ثانيتها) عمل أوحى ثانيا جبريل والمعنى أوحى الله
 الى جبريل ما أوحى جبريل الى كل رسول وفيه بيان ان جبرائيل أمين لم يخن في شيء مما
 أوحى اليه وهذا كقولته تعالى نزل به الروح الامين وقوله مطاع ثم أمين (الوجه
 الثاني) في عبده على قولنا الموحى هو الله لي محمد صلى الله عليه وسلم معناه أوحى الله الى
 محمد ما أوحى اليه للتفخيم والتعظيم وهذا على ما ذكرنا من التفسير ورد على ترتيب في غاية
 الحسن وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم في الاول حصل في الافق الاعلى من مراتب
 الانسان وهو النبوة ثم دنا من جبريل وهو في مرتبة النبوة فصار رسولا فاستوى وتكامل
 ودنا عن الامة باللطف وتدل اليهم باقول الرفيق وجعل يتردد مرارا بين أمتدور به
 فأوحى الله اليه من غير واسطة جبريل ما أوحى (والوجه الثاني) في فاعل أوحى أولاهو
 انه جبريل أوحى الى عبده أي الى عبدالله والله معلوم وان لم يكن مذكورا وفي قوله
 تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا
 سبحانك أنت واينامن دونهم بل كانوا يعبدون الجن ما بوجوب النطق بعدم جواز اطلاق
 هذا اللفظ على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ففاعل أوحى ثانيا يحتمل وجهين
 (أحدهما) انه جبريل أي أوحى جبريل الى عبدالله ما أوحاه جبريل للتفخيم (وثانيتها)
 أن يكون هو الله تعالى أي أوحى جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله اليه
 وفي الذي أوحى بجوه (أولها) الذي أوحى الصلاة (ثانيتها) ان أخدام من الانبياء لا يدخل
 الجنة قبلك وأمة من الامم لا تدخل الجنة قبل أمتك (ثالثها) ان اللعموم والمراد كل
 ما جاء به جبريل وهذا على قولنا بان المراد جبريل صحيح والوجهان المتقدمان على قولنا
 المراد محمد عليه الصلاة والسلام أظهر وفيه وجه غريب من حيث العربية مشهور
 معناه عند الأصوليين وانين ذلك في معرض الجواب عن سؤال وهو أن يقال بم عرف
 محمد صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك من عند الله وليس أخدام من الجن والذي يقال ان
 خديجة ككشف رأسها امتحانا في غاية الضعف ان ادعى ذلك القائل ان المعرفة
 حصلت بامثال ذلك وهذا ان أراد القصة والحكاية وان خديجة فعلت هذا لان فعل
 خديجة غير منكر وانما المنكر دعوى حصول المعرفة بفعلها وامثالها وذلك لان الشيطان
 ربما تستر عند كشف رأسها اصلا فكان يشتبه بالملائكة فيحصل اللبس والابهام
 والجواب الصحيح من وجهين (أحدهما) ان الله أظهر على يد جبريل معجزة عرفه النبي
 صلى الله عليه وسلم بها كما أظهر على يد محمد معجزات عرفناه بها (وثانيتها) ان الله تعالى
 خلق في محمد صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بان جبريل من عند الله ملك لاجني ولا شيطان
 كما ان الله تعالى خلق في جبريل علما ضروريا ان المتكلم معه هو الله تعالى وأن المرسل له
 ربه لأخبره اذا علم الجوابان فنقول * قوله تعالى (فأوحى الى عبده ما أوحى) فيه وجهان
 (أحدهما) أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحاه الى جبريل أي كلمة الله انه ووحى

وقرى ما كذب أي
 صدقه ولم يشك أنه
 جبريل بصورته
 (أفتارونه على ما يرى)
 أي أنكذبونه فتجادلونه
 على ما يراه معاينة أو
 أبعدهما ذكر من أحواله
 المناظرة للمماراة تمارونه
 من المراء وهو الملاحاة
 والمجادلة واشقاقه من
 مري الناقة كان كلا
 من المتجادلين يرمي
 ما عند صاحبه وقرى
 أفتروونه أي أفتعلبونه
 في المراء من ماريته
 قرينه ولما فيه من معنى
 الغلبة عدى يعلى كما
 يقال غلبته على كذا
 وقيل أفتروونه أفتجبسونه
 من مراء حته اذا حجه
 (ولقد رآه نزلة أخرى) أي

أوخلق فيه علما ضروريا (ثانيهما) أوحى الى جبريل ما أوحى الى محمد دليله الذي به يعرف انه وحي فعلى هذا يمكن أن يقال ما مصدرية تقديره فأوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم الاحياء أى العلم بالإيمان ليفرق بين انك والجن * ثم قال تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الفؤاد فؤاد من نقول المشهور انه فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم معناه انه ما كذب فؤاده واللام تعرف ما علم حاله اسوق ذكر محمد عليه الصلاة والسلام في قوله الى عبده وفي قوله وهو بالافق الاعلى وقوله تعالى ما ضل صاحبكم ويحتمل أن يقال ما كذب الفؤاد أى جنس الفؤاد لان الكذب هو الوهم والخيال بقول كيف يرى الله أو كيف يرى جبريل مع انه اللفظ من الهواء والهواء لا يرى وكذلك يقول الوهم والخيال ان رأى ربه رأى في جهة ومكان وعلى هيئة والكل يتانى كون المرئى الهاو او رأى جبريل عليه السلام مع انه صار على صورة دحية أو غيره فمنا غلبت حقيقته واوحاز ذلك لارتفع الامان عن المرئيات فنقول رؤية الله تعالى ورؤية جبريل عليه السلام على ما رآه محمد عليه الصلاة والسلام جائزة عند من له قلب فالفؤاد لا يتكر ذلك وان كانت النفس المتوهمة والمخلة تنكره (المسئلة الثانية) ما معنى ما كذب نقول فيه وجبه (الوجوه الاول) ما قاله الزمخشري وهو ان قلبه يكذب وما قال ان ما رآه بصرك ليس بصحيح ولو قال فؤاده ذلك لكان كاذبا فيما قاله وهو قريب مما قاله المبرد حيث قال معناه صدق الفؤاد فيما رأى شيئا فصدق فيه (الثاني) قرئ ما كذب الفؤاد بالتشديد ومعناه ما قال ان المرئى خيال لاحقيقته (الثالث) هو ان هذا مقرر لما ذكرنا من أن محمد صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل عليه السلام خلق الله له علما ضروريا علم انه ليس بخيال وليس هو على ما ذكرنا قصد الحق وتقديره ما يجوز أن يكون كاذبا ونفى الوقوع واردة نفي الجواز كثير قال الله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء وقال لا تدركه الابصار وقال وما ربك بغافل والكل اننى الجواز بخلاف قوله تعالى لا تضع أجزا المحسنين ولا تضع أجزا من أحسن عملا ولا يفتقر أن يشرك به فانه نفي الوقوع (المسئلة الثالثة) الرأى في قوله ما رأى هو الفؤاد أو البصر أو غيرهما نقول فيه وجوه (الاول) الفؤاد كأنه تعالى قال ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد أى ما يقبل انه جنى أو شيطان بل يتقن ان ما رآه بفؤاد صدق صحيح (الثاني) البصر أى ما كذب الفؤاد ما رآه البصر ولم يقبل ان ما رآه البصر خيال (الثالث) ما كذب الفؤاد ما رأى محمد عليه الصلاة والسلام وهذا على قولنا الفؤاد للجنس ظاهر أى انقلب تشهد بحكمة ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم وان كانت الاوهام لا تعرف بها (المسئلة الرابعة) ما المرئى في قوله ما رأى نقول على الاختلاف السابق والذي يحتمل الكلام وجوه ثلاثة (الاول) الرب تعالى (والثاني) جبريل عليه السلام (والثالث) الآيات العجيبة الالهية فان قيل كيف تمكن رؤية الله تعالى بحيث لا يتدح فيه ولا يلزم منه كونه جسما في جهة نقول أعلم أن العاقل اذا تأمل

وبالله لقد رأى جبريل في صورته مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الطرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى فنصبتها على المصدر (عنه سدره المنتهى) هى شجرة تنبى في السماء السابعة عن عرش العرش ثمها اقلال هجر وورقها كاذان القبول تبع من أصلها الانهار التى ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها

وتفكر في رجل موجود في مكان وقال هذا مرئي الله تعالى يراه الله وتفكر في أمر
لا يوجد أصلا وقال هذا مرئي الله تعالى يراه الله تعالى يجد بينهما فرقا وعمله يصحح
الكلام الاول ويكذب الكلام الثاني فذلك ليس بمعنى كونه معلوما لانه لو قال الله جود
معلوم الله والمعلوم معلوم الله لما وجد في كلامه خلا واستبعادا فالله راء بمعنى كونه
ظاهرا ثم ان الله يكون رأيا ولا يصير مقابلا للمرئي ولا يحصل في جهة ولا يكون مقابلا له
وانما يصعب على الوهم ذلك من حيث انه لم ير شيئا الا في جهة فيقول ان ذلك واجب وما
يصحح هذا انك ترى في الماء قرا وفي الحقيقة ما رأيت القمر حاة نظرك الى السماء الا في
مكانه فوق السماء فرأيت القمر في السماء لان الشعاع الخارج من البصر اتصل به فرد
الماء ذلك الشعاع الى السماء لكن وهمك لما رأيت أكثر ما رآه في المقابلة لم يهسد
روية شيء يكون خلفه الابا توجه اليه قال اني أرى القمر ولا روية الا اذا كان المرئي
في مقابلة الحدقة ولا مقابل للحدقة الا الماء فتحكم اذن بناء على هذا انه يرى القمر في
الماء فالوهم يغلب العقل في العالم لكون الامور العاجلة أكثرها وهمية حسية وفي
الآخرة تزول الاوهام وتجلي الافهام فتري الاشياء اوجودها لا تخبرها واعلم ان من
ينكر جواز رؤية الله تعالى يلزمه أن ينكر جواز رؤية جبريل عليه السلام وفيه
انكار لرسالة وهو كفر وفيه ما يكاد أن يكون كفرا وذلك لان من شك في رؤية الله تعالى
يقول لو كان الله تعالى جازرا روية لكان واجبا لروية لان حواسنا سليمة والله تعالى
ليس من وراء حجاب ولا هو في غاية البعد عنا عدم كونه في جهة ولا مكان فلو جاز أن يرى
ولانراه لزم القدرح في المحسوسات المشاهدات اذ يجوز تخيئد أن يكون هندا جبل
ولانراه يقال لذلك القائل قد صح ان جبريل عليه السلام كان ينزل على محمد صلى
الله عليه وسلم وعنده غيره وهو يراه ولو وجب ان يجوز لراه كل أحد فان قيل ان هناك حجابا
نقول وجب أن يرى هناك حجابا فان الحجاب لا يحجب اذا كان مرئيا على مذهبهم ثم ان
النصوص وردت أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقرآءة فبجعل بصره في فؤاده أو رآه
ببصره فبجعل فؤاده في بصره وكيف لا وعلى مذهب أهل السنة الروية بالارادة لا بقدره
ان عبد فاذا حصل لله تعالى اعلم باشي من طريق البصر كان روية وار حصله من طريق
القلب كل معرفة والله قادر على أن حصل العلم بخاتي مدرك للمعلوم في البصر كما قدر على
أن يحصله بخاتي مدرك في القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة في الوقوع واختلاف
الوقوع مما ينبغي عن الاتفاق على الجواز والمسئلة مذكورة في الامسول دلالة ولها
* ثم قال تعالى (أفتماررني على ما يرى) أي كيف تجادلونه وتوردون شكوككم عندي مع
انه رأى ما رأى عين اليقين وذلك بعد الروية فهو جازم مشيقن وأتم تقولون اصابه الجن
ويمكن أن يقال هو مؤكده بمعنى الذي تقدم وذلك لان من يقن شيئا قد يكون بحيث
لا يزول عن نفسه تشكيك * وأكده بقوله تعالى (واقدرآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى)

في منتهى الجنة وقيل
اليها ينتهي علم الخلائق
وأعمالهم ولا يعلم أحد
ما وراءها وقيل ينتهي
اليها أرواح الشهداء
وقيل ينتهي اليها ما يبسط
من فوقها او يصعد من
تحتها قيل اضافة
السدره الى المنتهى اما
اضافة الشيء الى مكانه
كقولك أشجار البستان
أو اضافة المحل الى
الحال كقولك كتاب
الفقه ولتقدير سدره
عندها منتهى علوم
الخلائق أو اضافة
الملك الى المالك على
حذف الجار والمجرور
أي سدره المنتهى اليه
وهو الله عز وجل قال
تعالى الى ربك المنتهى

مندها جنة المأوى) أى الجنة التى * ٧٣٧ * بأوى اليها المتقون وأرواح الشهداء والجملة حالية وقيل الاحسن

بذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما رآه وهو على بساط الارض كان يحتمل أن يقال انه من
لجن احتملا فى غاية البعد لما بيننا انه صلى الله عليه وسلم حصل له العلم الضرورى بانه ملك
رسول والاحتمال البعيد لا يقدح فى الجزم واليقين الا ترى اننا اذا نمنا بالليل وانبهنا بالنهار
بجزم بان البحار وقت نومنا ما نشقت ولا غارت والجبال ما عدمت ولا سارت مع احتمال
ذلك فالله قادر على ذلك وقت نومنا ويعيدها الى ما كانت عليه فى نومنا فلما رآه عند
صدره المنتهى وهو فوق السماء السابعة لم يحتمل أن يكون هناك جن ولا انس فتبقى ذلك
الاحتمال أيضا فقال تعالى أفتأرونه على ما يرى رأى العين وكيف وهو قد رآه فى السماء
فإذا اتقدرون أن تقولوا وقيه وفيه مسائل (المسئلة الاولى) الولو يحتمل أن تكون عاطفة
ويحتمل أن تكون للحال على ما بيننا أى كيف تجادلونه فيما رآه على وجه لا يشك فيه ومع
ذلك لا يحتمل ايراد الشكوك عليه فان كثيرا ما يشك المنتقد لشيء فيه ولكن ترد عليه
الشكوك ولا يمكنه الجواب عنها ولا تريب مع ذلك فى أن الامر كما ذكرنا من المشا لا نا
لان شك فى أن البحار ما سارت ذهبها والجبال ما سارت ههنا واذا أورد علينا مورد شكا
وقال وقت نومك يحتمل ان الله تعالى قلبها ثم أعادها لا يمكننا الجواب عنه مع اننا لان شك
فى استمرارها على ما هى عليه لا يقال اللام تنافى كون الواو للحال فان استعمل يقال
أفتأرونه وقدر أى من غير لام لاننا نقول الواو التى للحال تدخل على جملة والجملة تتركب
من مبتدأ وخبر أو من فعل وفاعل وكلاهما يجوز فيه اللام (المسئلة الثانية) قوله نزلة فعلة
من النزول فهى كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول فذلك النزول لمن كان نقول فيه وجوه
وهى مرتبة على أن الضمير فى رآه عائد الى من وفيه قولان (الاول) عائد الى الله تعالى أى
رأى الله نزلة أخرى وهذا على قول من قال ما رأى فى قوله ما كذب الفؤاد ما رأى هو الله
تعالى وقد قيل بان النبي صلى الله عليه وسلم رأى به بقلبه مرتين وعلى هذا فالنزلة تحتمل
وجهين (أحدهما) انه الله وعلى هذا وجهان (أحدهما) قول من يجوز على الله تعالى
الحركة والانتقال وهو باطل (وثانيهما) النزول بالقرب المعنوى لا الجسدى فان الله تعالى
قديقر بالرحمة والفضل من عبده ولا يراه العبد ولهنا قال موسى عليه السلام رب ارنى
أى ازل بعض حجب العظمة والجلال وادن من العبد بالرحمة والافضال لارك (والوجه
الثانى) ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى الله نزلة أخرى وحيث أنه يحتمل ذلك وجهين
(أحدهما) ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل على متن الهوى ومركب النفس ولهنا
يقال لمن ركب متن هواه انه علا فى الارض واستكبر قال تعالى علا فى الارض
(ثانيهما) ان المراد من النزلة ضدها وهى العرجة كأنه قال رآه عرجة أخرى وانما
اختار النزلة لان العرجة التى فى الآخرة لا نزلة لها فقال نزلة ليعلم انها من الذى كان
فى الدنيا (والقول الثانى) انه عائد الى جبريل عليه السلام أى رأى جبريل نزلة أخرى
والنزلة حيث أنه يحتمل أن تكون لمحمد صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه لان النبي صلى الله

أن يكون الحال هو
الطرف وجنة المأوى
مرفع به على الفاعلية
وقوله تعالى (اذ يغشى
الصدر ما يغشى) طرف
زمار رآه لما بعده من
الجملة المنفية كما قيل
فان ما النافية لا يعمل
ما بعدها فيلما قبلها
والغشيان بمعنى التغطية
والستر ومنه الغواشى
أو بمعنى الاتيان يقال
فلان يغشاني كل حين
أى يأتينى والاول هو
الايق بالاقام وفى ابهام
ما يغشى من التغشى
ما لا يخفى وتأخيره عن
المفعول للتشويق
اليه أى ولقد رآه
عند الصدر وقت
ماغشيتها ماغشيتها
مما لا يكتبه الوصف
ولا يبنى به البيان
كيفا ولا كما وصيغة
المضارع لحكاية
الحال للمساوية
استحضارا لصورتها
البدئية وللايدان
باستمرار الغشيان
بطريق

الهدد وقيل يغشاها الجم الفغير من الملائكة يعبدون الله تعالى * ٧٣٨ * عندها وقيل يزورونها متبعا

عليه وسلم على ماورد في بعض اخبار ليلة المعراج جاوز جبريل عليه السلام وقال جبريل عليه السلام اودنوت اتملة لاحترقت ثم عاد اليه فذلك نزلة فان قيل فكيف قال اخرى تقول لان النبي صلى الله عليه وسلم في امر الصلاة تردد مرارا فربما كان يجاوز كل مرة وينزل الى جبريل ويحتمل أن تكون جبريل عليه السلام وكلاهما منقول وعلى هذا الوجه فنزلة اخرى ظاهرا لان جبريل كان له نزلات - كانه نزلت عليه وهو على صورته وقوله تعالى عند سدره المنتهى المسهور ان السدره شجرة في السماء السابعة وعليها مثل النبق وقيل في السماء السادسة ورد في الخبر انه صلى الله عليه وسلم قال نبضها كقلال هجر وورقها كاذان القبله وقيل سدره المنتهى هي الحيرة القصوى من السدر والسدره كالركبة من الركاب يعني عند ما يحار اتمل حيرة لاحرة فوقها اما حار النبي صلى الله عليه وسلم وما غاب ورأى ما رأى وقوله عند ظرف مكان أو ظرف زمان في هذا الموضع تقول المشهور انه ظرف مكان تقديره رأى جبريل أو غيره بقرب سدره المنتهى وقيل ظرف زمان كما يقال صليت عند طلوع الفجر وتقديره رآه عند الحيرة القصوى أى في الزمان الذي تحار فيه عقول العقلاء والرؤية من أتم العلوم وذلك الوقت من أشد أوقات الجهل والحيرة فهو عليه الصلاة والسلام ما حار وقتا من شأنه ان يحار العاقل فيه والله أعلم (المسئلة الثانية) ان قلنا معناه رأى الله كيف يفهم عند سدره المنتهى قلنا فيه اقوال (الاول) قول من يجعل الله في مكان وهو باطل وقد بالتنا في بيان بطلانه في سورة السجدة (الثاني) رآه محمد صلى الله عليه وسلم وهو عند سدره المنتهى لان الظرف قد يكون ظرفا للرأى كما ذكرنا من المثال يقال رأيت الهلال فيقال لقائله أين رأيته فيقول على السطح وربما يقول عند الشجرة الغلابية وأمان قلنا ان المراد جبريل عليه السلام فالوجهان ظاهران وكون النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل عند سدره المنتهى أظهر (المسئلة الثالثة) اضافة السدره الى المنتهى من أى الاضافة تقول يحتمل وجوها (أحدها) اضافة الشيء الى مكانه يقال أشجار بلدة كذا لا تطول من البرد ويقال أشجار الجنة لا تبس ولا تخلو من الثمار فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك وقيل لا يتعداه روح من الارواح (وثانيهما) اضافة المحل الى الحال فيه يقال كتاب الفقه ومحل السواد وعلى هذا فالمنتهى عند السدره تقديره سدره عندها منتهى العلوم (ثالثها) اضافة الملك الى مالكه يقال دار زيد وأشجار زيد وحينئذ فالمنتهى اليه محذوف تقديره سدره المنتهى اليه قال الله تعالى الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله واطافة السدره اليه حينئذ كاطافة البيت اليه للتشريف والتعظيم ويقال في التسبيح يا غاية مناه ويا منتهى أملة * ثم قال تعالى (عندها جنة المأوى) وفي الجنة خلاف قال بعضهم جنة المأوى هي الجنة التي وعد بها المتقون وحينئذ الاضافة كافي قوله تعالى دار المقامة وقيل هي جنة اخرى عندها يكون ارواح الشهداء وقيل هي جنة للملائكة وقرئ جنة بالهاء من جن بمعنى اجن يقال جن

بها كما يزور الناس الدعية وقيل يغشاها سبعسات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لهم كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصبها ما أمس به من الدك وقيل يغشاها فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت السدره يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام يغشاها رفرق من طير خضر (ما زاغ البصر) أى ما مان بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور العجيبة المذهلة ما لا يحصى بل ابته آياتا صحيحا متيقنا أو ما عدل عن رؤية العجايب التي أمر

بنتها ويمكن منها وماجاوزها ﴿ ٧٣٩ ﴾ (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله لقد رأى الآيات التى

هى كبرها وعظماها
حين عرج به الى السماء
فأرى من عجائب الملك
والملكوت مالا يحيط به .
نطاق العبارة و يجوز
أن تكون الكبرى صفة
للآيات و المفعول
تخذوف أى شئنا عظيما
من آيات ربه وان تكون
من مزيدة (أفرايم
اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى) هى
أصنام كانت لهم
فاللات كانت لتقيف
بالطائف وقيل لقريش
بنخلة وهى فعلة من
لوى لانهم كانوا
يلوون عليها ويطوفون
بها وقرى بشسيد
التاء على انه اسم فاعل
أشتهر به رجل كان
يلت السمن فالت
ويطعمه الحاج وقيل
كان يلت العسويق
بالطائف ويطعمه
الحاج فلما مات عكفوا
على قبره بعدونه وقيل
كان يجلس على حجر
فلما مات سمي الحجر
باسمه وعبد من دون الله
وقيل كان الحجر
على صورته والعزى
تأنيث

بذيل وأجن وعلى هذه القراءة يحتمل أن يكون الضمير في قوله عندها عائدا الى النزلة أى
بلد النزلة جن محمدا الماوى والظاهر انه عائدا الى السدرة وهى الاصح وقيل ان عائشة
ركرت هذه القراءة وقيل انها اجازتها * وقوله تعالى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) فيه
سائل (المسئلة الاولى) العامل فى اذا ما قبلها أو ما بعدها فيه وجهان فان قلنا ما قبلها
ففيه احتمالان أظهرهما رأى أى رآه وقت ما يغشى السدرة الذى يغشى والاحتمال
بأن آخر العامل فيه الفعل الذى فى النزلة تقديره رآه نزلة أخرى تلك النزلة وقت ما يغشى
سدرة ما يغشى أى نزوله لم يكن الا بعد ما ظهرت العجائب عند السدرة وغشيتها ما غشى
بجئته نزول محمد نزلة اشارة الى انه لم يرجع من غير فائدة وان قلنا ما بعده فالعامل فيه ما زاغ
ببصر أى ما زاغ ببصره وقت غشيان السدرة ما غشيتها وسند كره عند تفسير الآية
المسئلة الثانية) قد ذكرنا ان فى بعض الوجوه سدرة المنتهى هى الحبرة القصوى وقوله
غشى السدرة على ذلك الوجه يتأدى بالبطلان فهل يمكن تصحيحه نقول يمكن أن يقال
لمراد من الغشيان غشيان حالة أى ورد على حالة الحبرة حالة الروثة واليقين ورأى
محمد صلى الله عليه وسلم عندما حار العقل ما رآه وقت ما طرأ على تلك الحالة ما طرأ من فضل
الله تعالى ورحمته والاول هو الصحيح فان النقل الذى ذكرنا من ان السدرة نبعها كقلال
هجر يدل على انها شجرة (المسئلة الثالثة) ما الذى غشى السدرة نقول فيه وجوه (الاول)
فراش أو جراد من ذهب وهو ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعى فان صح فيه خبر فلا
يعد من جواز التأويل واريل يصح فلا وجه له (الثانى) الذى يغشى السدرة ملائكة
بغشونها كأنهم طيور وهو قريب لان لمكان مكان لا تعداد الملك فهم يرتقون اليه
متشرفين به متبركين زائرين كما يزوران ناس الكعبة فيجتمعون عليها (الثالث) أنوار الله
تعالى وهو ظاهر لان النبى صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل
وظهرت الانوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك
الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلز محمد (الرابع) هو سبحانه للعظيم يقول القائل رأيت
ما رأيت عند الملك يشير الى الاظهار من وجهه والى الاخفاء من وجهه (المسئلة الرابعة)
يغشى يسرة ومنه الغواشى أو من معنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل وقت أى ياتيني
والوجهان محتملان وعلى قول من يقول الله يأتى ويذهب فالآيات أدرب * ثم قال تعالى
(ماراغ البصر وما طغى اوفيه مسائل) (المسئلة الاولى) اللام فى البصر محتمل وجهين
(أحدهما) المعروف وهو بصر محمد صلى الله عليه وسلم أى ما زاغ ببصر محمد وعلى هذا
فعدم الزاغ على وجوه ان قلنا الغاشى للسدرة هو الجراد والفراش فعمناه لم يلتفت اليه
ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن المقصود وعلى هذا فغشيان الجراد والفراش يكون ابتلاء
وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن قلنا أنوار الله فغشيه وجهان (أحدهما) لم يلتفت
بينه ويسرة واشتغل بمطالعتها (وثانيهما) ما زاغ البصر بصعقة بخلاف موسى عليه

السلام فانه قطع النظر وغشى عليه وفي الاول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم
 الثاني بيان قوته (الوجه الثاني) في اللام انه تعريف الجنس أي مازاغ بصراً أصلاً في
 الموضوع لعظمة الهيبة فان قيل لو كان كذلك لقال مازاغ بصراً لأنه أدل على العموم
 النكرة في معرض النبي تم نقول هو كقوله لا تدركه الابصار ولم يقل لا يدركه به
 (المسئلة الثانية) ان كان المراد محمداً فلو قال مازاغ قلبه كان يحصل به فائدة فوله مار
 البصر نقول وذلك لان من يحضر عند ملك عظيم يرى من نفسه انه يبهاه ويرتجف
 اظهاراً لعظمته مع ان قلبه قوى فاذا قال مازاغ البصر يحصل منه فائدة ان الامر كان
 عظيماً ولم يزغ بصره من غير اختيار من صاحب البصر (المسئلة الثالثة) وما طغى عطف
 جملة مستقلة على جملة أخرى أو عطف جملة مقدره على جملة مثال المستقلة خرج زيد
 ودخل عمرو ومثال المقدره خرج زيد ودخل فنقول الوجهان جائزان (أما الاول) فكانه
 تعالى قال عند ظهور النور مازاغ بصراً محمد صلى الله عليه وسلم وما طغى محمد بسبب
 الالتفات ولو التفت لكان طاغياً (وأما الثاني) فظاهر على الوجه أما على قولنا غشى
 الصدره جراد فلم يلفت اليه وما طغى أي ما التفت الى غير الله فلم يلفت الى الجراد ولا الى
 غير الجراد سوى الله وأما على قولنا غشيتها نور فنوله مازاغ أي مامل عن الانوار وما طغى
 أي ما طلب شيئاً ورأها (وفيه لطيفة) وهي أن الله تعالى قال مازاغ وما طغى ولم يقل مامل
 وماجاوز لان الميل في ذلك الموضوع والمجاوزه مذمومان فاستعمل الزيف والطغيان في
 وفيه وجه آخر وهو ان يكون ذلك بياناً او حصول محمد صلى الله عليه وسلم الى صدره اليقين
 الذي لا يقين فوقه ووجه ذلك ان يصير محمد صلى الله عليه وسلم مازاغ أي مامل عن
 الطريق فلم ير الشيء على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلاً ثم ينظر الى
 شيء أبيض فانه يراه أصفر وأخضر بزوغ بصره عن جادة الابصار وما طغى ما تخيل المعلوم
 موجوداً فرأى المعلوم مجاوز الحد * ثم قال تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وفيه
 مسائل (المسئلة الاولى) فيدليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى آية المعراج آيات
 الله ولم ير الله وفيه خلاف ووجهه هو أن الله تعالى ختم قصة المعراج ههنا بروية الآيات
 وقال سبحانه الذي أسرى به ليلة الى ان قال لزيه من آياتنا واو كان رأى ربه لكان
 ذلك أعظم ما يمكن فكانت الآية الروية وكان أكبر شيء هو الروية الا ترى أن من له مال
 يقانله سافر لترح ولا يقال سافر لتفرج لما أن الرشح أعظم من التفرج (المسئلة
 الثانية) قال بعض المفسرين لقد رأى من آيات ربه الكبرى هي أنه رأى جبريل عليه
 السلام في صورته فهل هو على ما قاله نقول الظاهر أن هذه الآيات غير تلك وذلك لان
 جبريل عليه السلام وان كان عظيماً لكن ورد في الاخبار ان الله ملائكة أعظم منه
 والكبرى تأتي الاكبر فكانه تعالى يقول رأى من آيات ربه آيات هن أكبر الآيات فان
 قيل قال الله تعالى انها لاحدى الكبرى مع ان أكبر من سقر عجائب الله فكذلك الآيات

الاعز كانت لعطمان
 وهي سمرة كانوا يبدونها
 فبعث رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 خالد بن الوليد فقطعها
 فخرجت منها شيطانة
 ناشرة شعرها واضعة
 يدها على رأسها وهي
 تولول فحصل خالد
 بضربها بالسيف
 حتى قتلها فاخبر
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال تلك
 العزى وان تعبد أبداً
 ومناة صخرة لهذيل
 وخزاعة وقيل لتقف
 وكانها سميت مناة
 لان دماء النساء تسمى
 عندها أي تراق وقرى
 مناة وهي مفصلة
 من النوء كأنهم كانوا
 يستطرون عندها
 الانواء تبركاتها
 والاخرى صفة ذم لها
 وهي التأخرة الوضيعة
 المقدار وقد جوز
 ان تكون الاولى والتقدم
 عندهم لاث والعزى
 ثم انهم كانوا مع
 ما ذكر من عبادتهم
 لها يقولون ان الملائكة
 وتلك الاصنام بنات الله
 تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فليل لهم نوباً ونحنا وتبكتنا أفرأيتم الخ والهزمة للانكار والفاء الكبرى

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فليل لهم نوباً ونحنا وتبكتنا أفرأيتم الخ والهزمة للانكار والفاء الكبرى

لوجهه الى ترتيب الروية ﴿ ٧٤١ ﴾ على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية

ومفعولها الثاني
مخدوف للدلالة الخال
عليه فالعنى أعقب
ما سمعتم من آثار كمال
عظمة الله عز وجل
في ملكه وملكوته
وجلاله وجبروته
واحكام قدرته ونفاذ
أمره في الملأ الاعلى
وماتحت الثرى وما بينهما
رأيتهم هذه الاصنام
مع غاية حفاتها وبقاها
بنات له تعالى وقيل
المعنى أفرأيتهم هذه
الاصنام مع حفاتها
وذاتها شركاء الله
تعالى مع ما تقدم من
عظيمته وقيل أخبروني
عن آلهتكم هل لها
شي من القدرة والعظمة
التي وصف بها رب
العزة في الآي السابقة
وقيل المعنى أظنتم
أن هذه الاصنام التي
تعبدونها تنفعكم وقيل
أظنتم أنها تشفع لكم
في الآخرة وقيل
أفرأيتهم الى هذه
الاصنام ان عبدتموها
لا تنفعكم وان تركتموها
لا تضركم والاول

الكبرى تكون جبريل ومافيه وان كان الله آيات أكبر منه نقول سفر احدى الكبرى أى
احدى الدواهي الكبرى ولاشك ان في الدواهي سفر عظيمة كبيرة وأما آيات الله فليس
جبريل أكبرها ولان سفر في نفسها أعظم وأعجب من جبريل عليه السلام فلا يلزم من
صفتها بالكبر صفتها بالكبرى (المسئلة الثالثة) الكبرى صفة ماذا نقول فيه وجهان
أحدها صفة مخدوف تقديره لقد رأى من آيات ربه الآيات الكبرى ثانياً صفة آيات ربه
وعلى هذا يكون مفعول رأى مخدوفاً تقديره رأى من الآيات الكبرى آية أو شيئاً ثم قال
تعالى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي أن
يبتدى به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشرك فقولته تعالى أفرأيتم اشارة الى
ابطال قولهم بنفس التول كما ان ضريفا اذا دعى الملك ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما
يدعيه يقولون انظروا الى هذا الذى يدعى الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل
لظهور أمره فلذلك قال أفرأيتم اللات والعزى أى كما هما فكيف تشركونهما بالله والناء
في اللات تاء تأنيث كما في المناة لكنها كتبت مطولة ثلاثاً لوقوف عليها فتصبرها فيثبته باسم
الله تعالى فان الهاء في الله أصلية ليس تاء تأنيث وقف عليها فان قلبت هاء وهى منم كانت
تثنية باطنائى قال الزنجشري هى فصلة من لوى يلوو وذلك لانهم كانوا يلوون
عليها وعلى ما قال فاصله لو يفا سكنت الياء وحذفت لانقاء الساكنين فثبتت لوه قلبت
الواو والفاء فتح ما قبلها فصارت لات وقرى اللات بالشديد من لات قبل انه مأخوذ من رجل
كان يلبت بالسمن الطعام ويطعم الناس فعبدوا اتخذ على صورته وثمن وسوءه باللات وعلى
ها افالات ذكر وأما العزى فتأنيث الاعز وهى شجرة كانت تعبد فبعث النبي صلى الله
عليه وسلم خالدين الواليد رضى الله عنه فقطعهها وخرجت منه شيطانة مكشوفة الرأس
منشورة الشعر تضرب رأسها وتدعو بالويل والشبور فقتلها خالد وهو يقول
(يا عزى كفرانك لا سبهانك * نرى رأيت الله قد أهانك) ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
واخبره بما رأى وفعل فقال تلك العزى ولن تعبد أبداً وأماناة فهى فعلة صنم الصفا وهى
صخرة كانت اهذيل وخراعة وفيد مسائل (المسئلة الاولى) الآخر لا يصح ان يقال الا اذا
كان الاول مشاركاً للثانى فلا يقال رأيت امرأة ورجلاً آخر ويقال رأيت رجلاً ورجلاً
آخر لا يشترك الاول والثانى في كونهما من الرجال وههنا قوله الثالثة الأخرى يعنى على
ما ذكرنا ان تكون العزى ثالثة أولى ومناة ثالثة أخرى وليس كذلك والجواب عنه من
وجوه (الاول) الأخرى كما هى تستعمل للذم قال الله تعالى وقالت أولاهم لا خراهم أى
لما خربهم وهم الاتباع ويقال لهم الاذنب لتأخرهم في المراتب فهى صفة ذم كأنه تعالى
يقول ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة ونقول على هذا الاصنام الثلاثة ترتيب وذلك لان
الاول كان وثناً على صورة آدمى والعزى صورتها صورة نيات ومناة صورتها صورة صخرة
هى جاد فالآدمى أشرف من النبات والنبات أشرف من الجاد فالجاد متأخر والمناة جاد

هو الحق كما يشهد به قوله تعالى (الكم الذكر وله الانثى) شهادة ﴿ ٧٤٢ ﴾ بيته فانه تو يبخ عني على التو يبخ

الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى ينتج بناء التو يبخ الثاني عليه وظاهر ان ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ما قيل من أن هذه الجملة مفعول ثان للروية وخلقوها عن العائد الى المفعول الاول لما أن الاصل أخبروني أن اللات والعزى ومناة أنكم الذكور له من أن تلك الاصنام موضع موضعها الاثني اربعة الفواصل ويخبر مناط التو يبخ مع ما فيه من التخصيص التي ينبغي تزنيه ساحة التزويل عن أمثالها يقتضي اقتصار التو يبخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتو يبخ على نسبة الولد اليه سبحانه (تلك) اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة ﴿ والذلة ﴾

فهى في الاخرى من المراتب (الجواب) الثاني فيه محذوف تقديره أفرأيتم اللات والعزى المعبودين بالباطل ومناة الثالثة المعبودة الاخرى (والجواب الثالث) هو أن الاصنام كان فيها كثرة واللات والعزى اذا أخذنا متقدمين فكل ضمة توجد فهى ثالثة فهناك توالت فكانه يقول لهما توالت كثيرة وهذه ثالثة اخرى وهذا كقول القائل يوما ويوما (الجواب الرابع) فيه تقديم وتأخير تقديره ومناة الاخرى الثالثة ويحتمل أن يقال الاخرى تستعمل لموهوم أو مفهوم وان لم يكن مشهورا ولا مذكورا يقول من يكثر تأذبه من الناس اذا آذاه الانسان الآخر جاء يؤذينا ور بما يسكت على قوله أنت الآخر في فهم غرضه كذلك ههنا (المسئلة الثانية) وهى في الترتيب أولى ما فائدة الفاء في قوله أفرأيتم اللات والعزى وقد استعمل في مواضع بغير الفاء قال تعالى أرايتم ما تدعون من دون الله أرايتم شركاءكم نقول لما قدم من عظمة آيات الله في ملكونه ان رسول الله الى الرسل الذى بسد الآفاق ببعض أجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته لا يمكنه أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته قال أفرأيتم هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله مع ما تقدم فقال بالفاء أى عقيب ما سمعتم من عظمة آيات الله تعالى الكبرى ونفاذ أمره في الملا الأعلى وما تحت الثرى فانظروا الى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم اليه وعبوتم عليه (المسئلة الثالثة) أين تمتة الكلام الذى يفيد فائدة ما نقول قد تقدم بيانه وهو أنه يقول هل رأيتم هذه حق الروية فان رأيتوها علمتم انها لا تصلح شركاء نصيرها ماد كرا فيمن ينكر كون ضعيف يدعى ملكا يقول لصاحبه اما تعرف فلانا مقتصر على مشير الى بطلان ما يذهب اليه ثم قال تعالى (الكم الذكر وله الانثى) وقد ذكرنا ما يجب ذكره في سورة والطور في قوله أم له البنات ولكم البنون ونعيد ههنا بعض ذلك أو ما يقر منه فنقول لماذا ذكر اللات والعزى ومناة ولم يذكر شيئا آخر قال ان هذه الاشياء التي رعبوها وعرفتموها تجعلونها شركاء الله وقد سمعتم جلال الله وعظمته وان المنة هم رعبتمهم علوهم يتهبون الى السدرة ويقفون هناك لا يبق شك في كونهم بعدين عن طريقه المفعول أكثر مما بعدوا عن طريقه المنقول فكانهم قالوا نحن لانك ان شيئا منها ليس مثله تعالى ولا قريبا من أن يخاله وانما صورنا هذه الاشياء على صور الملائكة المعظمين الذين اعترف بهم الانبياء وقالوا انهم يرتفون ويقفون عند سدرة المنتهى ويريدون منهم الامر والنهى ويتهبون الى الله ما يصدر من عباده في أرضه وهم بنات الله فاتخذنا صوراً على صور الاناث وسميناها اسماء الاناث فاللات تأنيث اللوه وكان أصله ان يقال الالهة لكن في التأنيث يوقف عليها فتصير الالهة فاسقط احدى الهامين وبقيت الكلمة على حرفين أصليين وتاء التأنيث فجعلناها كالاصلية كما فعلنا بذات مال وذا مال والعزى تأنيث الاعز فقال لهم كيف جعلتم لله بنات وقد اعترفتم في أنفسكم ان البنات ناقصات والبنين كاملون والله كامل العظمة فالنسب اليه كيف جعلتموه ناقصات وأنتم في غاية الحقارة

تعرض للتو يبخ على نسبة الولد اليه سبحانه (تلك) اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة ﴿ والذلة ﴾

والذات حيث جعلتم انفسكم اذل من حار وعبدتم صخرة وشجرة ثم نسبتهم الى انفسكم
الكامل فهذه القسمة جارة على طرفيكم ايضا حيث اذلتهم انفسكم ونسبتهم اليها الاعظم
من الذليل وايضا نسبتهم البنات ونسبتوهن الى الاعظم وهو الله تعالى وكان على عادتك ان
تجعلوا الاعظم العظيم والانقص للتحفير فاذا انتم خالقم الفكر والعقل والعادة التي
لكم وقوله تعالى (تلك اذافسة ضيرى) فيه مسائل (المسئلة الاولى) تلك اشارة الى
ماذا نول الى محدود تقديره تلك القسمة قسمة ضيرى اى غير عادلة ويحتمل ان يقال
معناه تلك النسبة قسمة وذلك لانهم ما قسموا وما قالوا لنا البنون وله البنات وانما نسبوا
الى الله البنات وكانوا يكرهونهن كما قال تعالى ويجعلون الله ما يكرهون فلما نسبوا الى الله
البنات حصل من تلك القسمة قسمة جارة وهذا الخلاف لا يرقى (المسئلة الثانية)
اذ اجواب ماذا نقول يحتمل وجودها (الاول) نسبتكم البنات الى الله تعالى اذا كان لكم
البنو قسمة ضيرى (الثانى) نسبتكم البنات الى الله تعالى مع اعتقادكم انهن نافصات
واختياركم البنين مع اعتقادكم انهم كاملون اذا كنتم في غاية الخفارة والله تعالى في نهاية
العظمة قسمة ضيرى فان قيل ما اصل اذا قلنا هو اذا التي للطرف قطعت الاضافة عنها
فحصل فيهما توين وبيانه هو انك تقول آتيك اذا طلعت الشمس فكانك اذ اطلعت
الشمس وقلت آتيك وقت طلوع الشمس فاذا قال قائل آتيك فنقول له اذا اكرمك اى
اذا آتيتنى اكرمك فلما حذفنا الايمان اسبق ذكره في قول القائل آتيتك فبذلك بنون وقلت
اذا كما يقول وكلا آتيته (المسئلة الثالثة) ضيرى قرى بالهمز وبغير همز وعلى الاولى هى
فعلى بكسر الفاء كذكري على انه مصدر وصف به كرجل عدل اى قسمة ضائرة وعلى
القراءة الثانية هى فعلى وكان اصلها ضوزى لكن عين الكلمة كانت باثبة فكسرت
الفاء لتسلم العين عن القلب كذلك فعل يبيض فان جمع افعل فعل تقول اسود وسود واجر
وحر وتقول ابيض ويبيض وكان الوزن يبيض وكان يلزم منه قلب العين فكسرت
الياء وتركت الياء على حالها وعلى هذا ضيرى للمبالغة من ضائرة تقول فاضل وافضل
وفاضلة وفضلى وكبير واكبر وكبيرة وكبرى كذلك ضائر واضور وضائرة وضوزى وعلى
هذا نقول اضوز من ضائر وضيرى من ضائرة فان قيل قد قلت من قبل ان قوله أم له البنات
ولكم البنون ليس بمعنى انكار الامر بل بمعنى انكار الاول واظهار النكر بالامر
الثانى كما تقول اتجعلون لله أندادا وتعلمون انه خلق كل ما سواه فانه لا ينكر الثانى وههنا
قوله تلك اذافسة ضيرى دل على انه انكر الامرين جميعا نقول قد ذكرنا هناك ان
الامرين محتملان اما انكار الامرين فظاهر في المشهور اما انكار الاول فثبت بوجوه
واما الثانى فلما ذكرنا انه تعالى قال كيف يجعلون لله البنات وقد صار لكم البنون بقدرته
كما قال تعالى يهب لمن يشاء انا و يهب لمن يشاء الذكور وخالق البنين لكم لا يكون له
بنات واما قوله تعالى تلك اذافسة ضيرى فنقول قد بينا ان تلك طأء الى النسبة اى

وهو الجور ولكنه كسر
فاؤه لتسلم الياء كما فعل
في بئس فان فعلى
بالكسر لم يأت في
الوصف وقرى ضيرى
بالهمزة من ضارة اذا
ظلمه على انه مصدر
نبت به وقرى ضيرى
اما على انه صفة
كسرى وعضشى
(ان هى) الضمير
للاصنام اى ما
الاصنام باعتبار
الالوهية التي يدعونها
(الاسماء) محضة
ليس تحتها مما تنبى هى
عنه من معنى الالوهية
شى ما أصلا وقوله
تعالى (سجنتوها)
صفة لاسماء وضيرها
لها لالاصنام والمعنى
جعلتموها اسماء
لاجعلتم لها اسماء
فان التسمية نسبة بين
الاسم والمسمى فاذا
قيست الى الاسم فمعناها
جعلها اسم للمسمى وان
قيست الى المسمى
فمعناها يجعله مسمى
للاسم وانما اختير
ههنا المعنى الاول
من غير تعرض للمسمى

لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة * ٧١٤ * ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى

ما تعبدون من دونه
الاصنام سميتوها
الآية لان هناك
مسميات لكنها
لا تستحق التسمية وقيل
هي للاسماء الثلاثة
المذكورة حيث كانوا
يطلقونها على تلك
الاصنام لاعتقادهم
انها تستحق العكوف
على عبادتها والاعزاز
والتقرب اليها بالقرايين
وأنت خير بانه لو سلم
دلالة الاسماء المذكورة
على ثبوت تلك المعاني
الخاصة للاصنام
فليس في سلبها عنها
مز يدفائدة بل انما هي
في سلب الالهية عنها
كما هو زعمهم المشهور في
حق جميع الاصنام على
وجه برهاني فان انتفاء
الموصوف يقتضي انتفاء
الوصف بطريق
الاولوية أي ما هي
الاصنام خالية عن
المسميات وضعوها
(أنتم وآباؤكم) بقتضى
أهو انكم إليسا طلة
(ما أنزل الله بها من
سلطان) برهان
تعلقون به

نسبتكم البنات الى الله تعالى مع ان لكم البنين قسمة ضائرة فالمنكر تلك النسبة وان كان
المنكر القسمة نقول يجوز أن يكون تقديره أيجوز جعل البنات لله تعالى كما ان واحدا
اذا كان بينه وبين شريكه شئ مشترك على السوية فبأخذ نصفه لنفسه ويعطى من
النصف الباقي نصفه لظالمه ونصفه لصاحب فقال هذه قسمة ضائرة لالكونه أخذ النصف
فذلك حقه بل لكونه لم يوصل اليه النصف * ثم قال تعالى (ان هي الا أسماء
سميتوها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) وفيه مباحث تدق عن ادراك اللغوى
ان لم يكن عنده من المعلوم حظ عظيم ولتذكر ما قيل فيه أولا فنقول قبل معناه ان هي
الاصنام أى كونها انانا وكونها معبودات اسماء لا مسمى لها فانها ليست باناث حقيقة
ولامعبودات وقيل اسماء أى قديم بعضها عزي ولاجرة لها وقيل قديم انها آلهة وليست
بآلهة والذي نقوله هو ان هذا جواب عن كلامهم وذلك على ما بينا انهم قالوا نحن لانثك
في ان الله تعالى لم يلد كما تلد النساء ولم يولد كما تولد الرجال بالجماعة والاحبال غير انار أيضا لفظ
الولد مستعملا عند العرب في المسبب تقول بنت الحبل وبنت الشفة لما يظهر منهما
ويوجد لكن الملائكة أولاد الله بمعنى انهم وجدوا بسببه من غير واسطة فقلنا انهم أولاد
ثم ان الملائكة فيهما تاء التأنيث فقلناهم أولاد مؤنثة والولد المؤنث بنت فقلناهم بنات الله
أى لا واسطة بينهم وبين الله تعالى في اليجاد كما تقول الفلاسفة فقال تعالى هذه الاسماء
استنبطتموها أتم بهوى أنفسكم واطلتم على الله ما يوهم النقص وذلك غير جائز وقوله
تعالى يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وقوله يده الخير اسماء موهمة غير انه تعالى أنزلها
وله ان يسمى نفسه بما اختار وليس لاحد أن يسميه باسم يوهم النقص من غير ورود الشرع
به ولشبهين التفسير في مسائل (الاولى) هي ضمير عائد الى ما ذاققول الظاهر انها عائدة الى
امر معلوم وهو الاسماء كما قال ما هذه الاسماء التي وضعتموها أنتم وهو المشهور ويحتمل
ان يقال هي عائدة الى الاصنام بانفسها أى ما هذه الاصنام الاسماء وعلى هذا فهو على
سبيل المبالغة والتجوز يقال لتحقير انسان ما زيد الاسم وما الملك الا اسم اذا لم يكن
مشتملا على صفة تعتبر في الكلام بين الناس ويؤيد هذا القول قوله تعالى ما تعبدون من
دونه الا أسماء أى ما هذه الاصنام الاسماء (المسئلة الثانية) ما الفائدة في قوله سميتوها
مع ان جميع الاسماء هم وضعوها أو بعضها هم وضعوها ولم ينكر عليهم نقول المسئلة
مختلف فيها ولا يتم الذم الا بقوله تعالى ما أنزل الله بها من سلطان وبيانه هو ان الاسماء ان
أنزلها الله تعالى فلا كلام فيها وان وضعها الناس للتفاهم فينبغي ان لا يكون في ضمن تلك
الفائدة مفسدة أعظم منها لكن ابهام النقص في صفات الله تعالى أعظم منها فالتعالى
ما يجوز وضع الاسماء للحقائق الاحيى تسلم عن المحرم فلم يوجد في هذه الاسماء دليل نقلي
ولا وجه عقلي لان ارتكاب المفسدة العظيمة لاجل المنفعة القليلة لا يجوز العاقل فاذا
ما أنزل الله بها من سلطان ووضع الاسم لا يجوز الابدال نقلي أو عقلي وهو أنه يقع ظاهرا

عن وجوه المضار الراجحة (المسئلة الثالثة) كيف قال سميتوها أتم مع أن هذه الاسامي
 لاصنامهم كانت قبلهم نقول فيه لطيفة وهي أنهم لو قالوا ما سميناها وانما هي موضوعة
 قبلنا قبل لهم كل من يطلق هذه الالفاظ فهو كالمبتدئ الواضع وذلك لان الواضع الاول
 لهذه الاسماء للم يكن واضعا بدليل نقلي ولا واضعا بدليل هتلي لم يجب اتباعه لمن يطلق
 اللفظ لان فلانا أطلقه لا يصح منه كما لا يصح أن يقول أضلني الاصحى ووقاله اقبل
 له بل أنت أضللت نفسك حيث اتبعت من عرفت أنه لا يصلح للاقتداء به (المسئلة
 الرابعة) الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها فكيف قال سميتوها نقول عنه جوابا ان
 (أحدهما) لغوى وهو أن التسمية وضع الاسم فكانه قال أسماء وضعتوها فاستعمل
 سميتوها استعمال وضعتوها ويقال سميت زيد اسميته زيد فسميتوها بمعنى سميت بها
 (وثانيهما) معنوي وهو أنه لو قال أسماء سميت بها لكان هناك غير الاسم شيء يتعلق به الباء
 في قوله بها لان قول القائل سميت به يستدعي مفعولا آخر تقول سميت زيد أبني أو عبدي
 أو غير ذلك فيكون قد جعل للاصنام اعتبارا وراه أسمائها واذا قال ان هي الأسماء
 سميتوها أي وضعتوها في أنفسها الامسيات لها لم يكن ذلك فان قيل هذا باطل بقوله تعالى
 وانى سميتها مريم حيث لم يقل وانى سميتها بمريم ولم يكن ما ذكرت مقصودا والا لكانت
 مريم غير ملتفت اليها كما قلت في الاصنام نقول بينهما بون عظيم وذلك لان هناك قال
 سميتها مريم فذكر المفعولين فاعتبر حقيقة مريم بقوله سميتها واسمها بقوله مريم وأما
 ههنا فقال ان هي الأسماء سميتوها أي ما هناك الأسماء موضوعة فلم تعتبر الحقيقة ههنا
 واعتبرت في مريم (المسئلة الخامسة) ما أنزل الله بها من سلطان على أي وجه استعملت
 الباء في قوله بها من سلطان نقول كما يستعمل القائل ارتحل فلان بأهله ومتاعه أي ارتحل
 ومعه الأهل والمتاع كذلك ههنا ثم قال تعالى (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس
 ولقد جاءهم من ربهم الهدى) وفيه مسائل (الاولى) قرى ان يتبعون بالباء هلى الخطاب
 وهو ظاهر مناسب لقوله تعالى أتم وآبواكم وعلى المقابلة وفيه وجهان (أحدهما) أن
 يكون الخطاب معهم لكنه يكون التثنية كما قطع الكلام معهم وقال لئيبه انهم
 لا يتبعون الا الظن فلا تلتفت الى قولهم (ثانيهما) أن يكون المراد غيرهم وفيه احتمالان
 (أحدهما) أن يكون المراد آباءهم وتقديره هو أنه لما قال سميتوها أتم كانهم قالوا هذه
 ليست أسماء وضعتنا نحن وانما هي كسائر الاسماء نقليناها من قبلنا من آباءنا فقال
 وسماها آباؤكم وما يتبعون الا الظن فان قيل كان ينبغي أن يكون بصيغة الماضي نقول
 وبصيغة المستقبل أيضا كأنه يفرض الزمان بعد زمان الكلام كافي قوله تعالى وكابهم باسط
 ذراعيه (ثانيهما) أن يكون المراد عامة الكفار كأنه قال ان يتبع الكافرون الا الظن
 (المسئلة الثانية) ما معنى الظن وكيف ذمهم به وقد وجب علينا اتباعه في الفقه وقال
 صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي نقول اما الظن فهو خلاف العلم

(ان يتبعون) التبعات
 الى الغيبة للابتنان
 بأن تعداد قبا نهم
 اقتضى الاعراض
 عنهم وحكاية جنائياتهم
 لغيرهم أي ما يتبعون
 فيما ذكر من التسمية
 والعمل بموجبها
 (الا الظن) الاتوهم
 أن ما هم عليه حتى
 توهموا باطلا (وما
 تهوى الانفس) أي
 تشبه أنفسهم الامارة
 بالسوء (واقدم جاءهم
 من ربهم الهدى)
 قبل هي حال من فاعل
 يتبعون أو اعتراض
 وأياما كان فقيهنا أكيد
 لبطلان اتباع الظن
 وهوى النفس وزيادة
 تقبح لحسا لهم فان
 اتباعهم من أي شخص
 كان قبيح ومن هدا
 الله تعالى بارسال
 الرسول صلى الله عليه
 وسلم وانزال الكتاب أفتح

وقد استعمل مجازا مكان العلم والعلم مكانه وأصل العلم الظهور ومنه العلم والعالم وقد بينا في تفسير العالمين أن حروف علم في تعاليتها فيها معنى الظهور ومنها لمع الآل اذا ظهر وميض السراب ولمع الغزال اذا عدا وكذا النعام وفيه الظهور وكذلك علمت والظن اذا كان في مقابلة العلم ففيه الخفاء ومنه يترطون لا يدري أفيها ماء أم لا ومنه الظنين انهم لا يدري ما يظن نقول يجوز بناء الامر على الظن الغالب عند العجز عن درك اليقين والاعتقاد ليس كذلك لان اليقين لم يتعدر علينا والى هذا أشار بقوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى أي اتبعوا الظن وقد أمكنهم الأخذ باليقين وفي العمل يمتنع ذلك أيضا (المسئلة الثالثة) ما في قوله تعالى وما تهوى الانفس خيرية أو مصدرية نقول فيه وجهان (أحدهما) مصدرية وكأنه قال ان يتبعون الا الظن وهوى الانفس فان قيل ما الفائدة في العدول عن صريح المصدر الى الفعل مع زيادة ما فيه تطويل نقول فيه فائدة وانها في أصل الوضع ثم نذكرها هنا فنقول اذا قال العائل أعجبتني صنعك يعلم من الصيغة أن الاعجاب من مصدر قد تحقق وكذلك اذا قال أعجبتني ما تصنع يعلم أن الاعجاب من مصدر هو فيه فلو قال أعجبتني صنعك وله صنع أمس وصنع اليوم لا يعلم أن المحب أي صنع هو اذا علمت هذا فنقول ههنا قوله وما تهوى الانفس يعلم منه أن المراد انهم يتبعون ما تهوى أنفسهم في الحال والاستقبال اشارة الى انهم ليسوا بثابتين على ضلال واحد وما هوت أنفسهم في الماضي شيئا من أنواع العبادة فالترموابه وداموا عليه بل كل يوم هم يستخرجون عبادة واذا انكسرت أصنامهم اليوم أتوا بغيرها غدا ويغيرون وضع عبادتهم بمقتضى شهوتهم اليوم (ثانيهما) انها خيرية تقديره والذي تشبهه أنفسهم والفرق بين المصدرية والخيرية ان المتبع على الاول الهوى وعلى الثاني مقتضى الهوى كما اذا قلت أعجبتني مصنوعك (المسئلة الرابعة) كيف قال وما تهوى الانفس بلغظ الجمع مع انهم لا يتبعون ما تهواه كل نفس فان من النفوس ما لا تهوى ما تهواه غيرها نقول هو من باب مقابلة الجمع بالجمع معناه اتبع كل واحد منهم ما تهواه نفسه يقال خرج الناس بأهلهم أي كل واحد بأهله لا كل واحد بأهل الجمع (المسئلة الخامسة) بين لنا معنى الكلام جملة نقول قوله تعالى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس أمران مذكور يحتمل أن يكون ذكرهما لامرين تقديرين يتبعون الظن في الاعتقاد ويتبعون ما تهوى الانفس في العمل والعبادة والاهما فاسد لان الاعتقاد ينبغي أن يكون مبناه على اليقين وكيف يجوز اتباع الظن في الامر العظيم وكلما كان الامر أشرف وأخطر كان الاحتياط فيه أوجب وأحذر وأما العمل فالعبادة مخالفة للهوى فكيف تبنى على متابعتها ويحتمل أن يكون في أمر واحد على طريقة النزول درجة درجة فقال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس أي وما دون الظن لان القرونة تهوى ما لا يظن به خير وقوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى اشارة الى أنهم على حال لا يعتد به لان

الذين مقدور عليه وحقى بمعنى الرسل * وانهدى فيه وجوه ثلاثة (الاول) القرآن
 (الثاني) الرسل (الثالث) المعجزات * ثم قال تعالى (أم الانسان ما كفى) المشهور ان أم
 منقطعة معناه الانسان ما اختاره واشتهاه وفي ما كفى وجوه (الاول) الشفاعة
 تمنوها وليس اهم شفاعة (الثاني) قواهم شئ جئت الى ربي انى عندك للحسنى (الثالث)
 قول الوليد بن الغيرة لا وتين ما لا وواسا (الرابع) تنى جماعة أن يكونوا أنبياء ولم تحصل
 لهم تلك الدرجة الرفيعة فان قلت هل يمكن أن تكون أم ههنا متصلة نقول نعم وبالجملة
 الاولى حينئذ نحتمل وجهين (أحدهما) انها مذكورة في قوله تعالى ألكم الذكروه
 الاثنى كانه قال ألكم الذكروه الاثنى على الحقيقة أو يجمعون لانفسكم ما تشتهون
 وتمنون وعلى هذا فقوله تلك اذا قسمه ضيرى وغيره اجل اعترضت بين كلامين متصلين
 (ثانيهما) انها مخدوفة وتقرير ذلك هو اننا بيننا ان قوله أقرأتكم ابيان فساد قولهم
 والاشارة الى ظهور ذلك من غير دليل كما اذا قال قائل فلا يصلح للملك فيقول آخر لثالث
 أمارأت هذا الذى يقوله فلان ولا يذكر انه لا يصلح للملك ويكون مراده ذلك فيذكره
 وحده منبها على عدم صلاحه فمهما قال تعالى أقرأتكم اللات والعزى أى يستحقان
 العبادة أم للانسان أن يعبد ما يشتهيه طبيعة وان لم يكن يستحق العبادة وعلى هذا فقوله
 أم للانسان أى هل له أن يعبد بالتمنى والاشتهاء ويؤيد هذا قوله تعالى وما تهوى الانفس
 أى عبدتم بهوى أنفسكم ما لا يستحق العبادة فهل لكم ذلك * ثم قال تعالى (فقله الآخرة
 والاولى) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) فى تعلق الغاء بالكلام وفيه وجوه (الاول) ان
 تقديره الانسان اذا اختار معبودا فى دنياه على ما تمناه واشتهاه فقله الآخرة والاولى
 يعاقبه على فعله فى الدنيا وان لم يعاقبه فى الدنيا فيعاقبه فى الآخرة وقوله تعالى وكم من ملك
 الى قوله تعالى لا تغنى شفاعتهم يكون مؤكدا لهذا المعنى أى عقابهم يقع ولا يشفع
 فيهم أحد ولا يغنيهم شفاعة شافع (الثاني) انه تعالى لما بين ان اتخاذ اللات والعزى بتابع
 الظن وهوى النفس كانه قرره وقال ان لم تعلموا هذا فقله الآخرة والاولى وهذه الاصنام
 ليس لها من الامر شئ فكيف يجوز الاشرار وقوله تعالى وكم من ملك على هذا الواحد
 جواب كلام كانهم قالوا لان شريك بالله شيئا وانما هذه الاصنام شفعوا وناقاتها صور ملائكة
 مقر بين فقال وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا (الثالث) هذا تسليية كانه
 تعالى قال ذلك لتبني حيث بين رسالته ووحداية الله وابوءنا فقل لاناس فقله الآخرة
 والاولى أى لا يعجزون الله (الرابع) هو ترتيب حق على دابله يانه هو انه تعالى لما بين
 رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان هو الاوحى يوحى الى آخره وبين بعض ما جاء
 به محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد قال اذا علمتم صدق محمد ببيان رسالة الله تعالى
 فقله الآخرة والاولى لانه صلى الله عليه وسلم أخبركم عن الحشر فهو صادق (الخامس)
 هو ان الكفار كانوا يقولون للمؤمنين أهؤلاء اهدى منا وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا

(أم للانسان ما كفى) أم
 منقطعة وما فهم من بل
 للانتقال من بيان ان ما هم
 عليه غير مستند الا الى
 توهمهم وهوى أنفسهم
 الى بيان أن ذلك مما
 لا يجدى نفعاً أصلاً
 والهمزة لانكار
 والتنى أى ليس للانسان
 كل ما تمناه وتشتهيه
 نفسه من الامور التى
 من جعلتها أطباعهم
 الفارغة فى شفاعة
 الآلهة ونظائرهما
 التى لا تكاد تدخل تحت
 الوجود (فقله الآخرة
 والاولى) لتعليل لانتفاء
 أن يكون للانسان
 ما تمناه حتماً فان
 اختصاص أمور
 الآخرة والاولى جميعاً
 به تعالى مقتضى لانتفائه
 أن يكوله أمر من الامور

اليد قال تعالى ان الله اختار لكم الدنيا واعطاكم الاموال ولم يعط المؤمنين بعض ذلك
 الامر بل قلتم لو شاء الله لاغناهم وتحققتم هذه القضية فله الآخرة والاولى فواوا في
 الآخرة ما قلتم في الدنيا يهدي الله من يشاء كما يهدي الله من يشاء (المسئلة الثانية)
 الآخرة صفة ماذا نقول صفة الحياة أو صفة الدار وهي اسم فاعل من فعل غير مستعمل
 تقول آخرته فتأخر وكان من حقه أن تقول فأخر كما تقول غيرته فغير فمعت منه سماعا
 ولهذا البحث فائدة ستاتي ان شاء الله تعالى (المسئلة الثالثة) الاولى فعلى للتأنيث فالاول
 اذن أفعال صفة وفيه مباحث (الاول) لا بد من فاعل أخذ منه الافعل والفعل فان كل
 فعلى وافعل للتأنيث والتذكير أصل فليؤخذ منه كالفعل والافضل من الغاضلة
 والفاضل فاذلك نقول ههنا أخذ من أصل غير مستعمل كما قلنا ان الآخر فاعل من فعل
 غير مستعمل وسبب ذلك هو أن كل فعل مستعمل فله آخر وذلك لان له ماضيا فاذا
 استعملت ماضيا لزم فراغ الفعل والالكان الفاعل بعد في الفعل فلا يكون ماضيا فانك
 لا تقول لمن هو بعد في الاكل أكل الامتجوزا عند ما يتيق له قليل فيقول أكل اشارة الى
 أن ما بقي غير معتد به وتقول لمن قرب من الفراغ فرغت فيقول فرغت بمعنى ان ما بقي
 قليل لا يعتد به فكأن فرغت وأما الماضي في الحزارة لا يصح الا عند تمام الشيء والفراغ
 عنه فاذا للفعل المستعمل آخر فلو كان لقولنا آخر على وزن فاعل فعل هو آخر يأخر
 كأمير يأمر لكان معناه صدر مصدره كجاس معناه صدر الجلوس منه بالتمام والكمال
 فكان ينبغي أن القائل اذا قال فلان آخر كان معناه وجد منه تمام الآخرة وفرغ منها
 فلا يكون بعده ما يكون آخر الكن تقدم ان كل فعل فله آخر بعده لا يقال بشكل بقولنا
 تأخر فان معناه صار آخر لاننا نقول وزن الفعل يتادي على صحة ما ذكرنا فانه من باب
 التكليف والتكبر اذا استعمل في غير التكبر أي يرى انه آخر وليس في الحقيقة كذلك اذا
 علمت هذا فنقول الآخر فاعل ليس له فعل ومبالغة بأفعل وهو كقولنا آخر فتقلت
 الهمزة الى مكان الف والالف الى مكان الهمزة فصارت الالف همزة والهمزة ألفا
 ويدل عليه التأويل في المعنى فان آخر الشيء جزء منه متصل به والآخر مباين عنه منفصل
 والمنفصل بعد المتصل والآخر أشد آخر عن الشيء من آخره والاول افعل ليس له فاعل
 وليس له فعل والاول أبعد عن الفعل من الآخر وذلك لان الفعل الماضي علمه آخر من
 وصفة بالماضي والاول ذلك الوصف لما علمه آخر وأما الفعل لتفسير كونه فعلا علمه أول لان
 الفعل لا بد له من فاعل يقوم به أو يوجد منه فاذا الفاعل أو لائم الفعل فاذا كان الفاعل
 أول الفعل كيف يكون الاول له فعل يوجد منه فلا فعل له ولا فاعل فلا يقال آل الشيء
 يعني سبق كما يقال قال من القول أو نال من النيل لا يقال أن قولنا سبق أخذ منه السابق
 ومن السابق السابق مع ان الفاعل يسبق الفعل وكذلك يقال تقدم الشيء مع ان الفاعل
 متقدم على الفعل الى غير ذلك نقول اما تقدم قدمضي الجواب عنه في تأخر وأما سبق

وقوله تعالى (وكم من ملك في السموات * ٧٤٩ * لا تغني شفاعتهم شيئا) اقناط لهمم غماعلقوا به اطباعهم

من شفاععة الملائكة
لهمم موجب لاقتناطهم
من شفاععة الاصنام
بطريق الاول وهو كم
خبرية مفيدة للتكثير
محلها الرفع على الابتداء
والخبر هي الجملة المنفية
وجمع الضمير في شفاعتهم
مع افراد الملك باعتبار
المعنى أى وكثير
من الملائكة لا تغني
شفاعتهم عند الله
تعالى شيئا من الاغناء
في وقت من الاوقات
(الامن بعد أن يأذن الله)
لهمم في الشفاععة (لمن
يشاء) أن يشفعوا له
(ويرضى) ويراه أهلا
للشفاعة من أهل
التوحيد والايمان
وأمان عسداهم من
أهل الكفر والظلمان
فهمم من أذن الله تعالى
بمعزل ومن الشفاععة
بالف منزل فاذا كان
حال الملائكة في باب
الشفاعة كما ذكر
فاظنهم محال الاصنام

يقول القائل سابقته فسبقته فيجيب عنه بان ذلك مفتقر الى أمر يصدر من فاعل
فالسابق ان استعمل في الاول فهو بطريق المشابهة لا بطريق الحقيقة والفاعل أول
الفعل بمعنى قبل الفعل وليس سابق الفعل لان الفاعل والفعل لا يتسابقان فالفاعل
لا يسبقه والذي يوضح ما ذكرنا ان الآخر أبعد من الاول عن الفعل بخلاف الآخر
ورايقان ان أو بمعنى جعل الآخر أولا لاستخراج معنى من الكلام فبعيد والام يكن
آخر دونه في افادة ذلك يل التأويل من آل الشيء اذا رجع أى رجعه الى المعنى المراد
وأبعد من اللفظين قبل وبعد فان الآخر فاعل من غير فعل والاول أفعال من غير فاعل
ولا فعل وقبل وبعد لافعال ولا أفعال فلا يفهم من فعل أصلا لأن الاول أول لما فيه من
معنى قبل وليس قبل قبله لما فيه من معنى الاول والآخر آخر لما فيه من معنى بعد وليس
بعد بعد لما فيه من معنى الآخر بذلك عليه انك تعال أحدهما بالآخر ولا تتركه فتقول
هذا آخر من جاء لانه جاء بعد الكل ولا تقول هو جاء بعد الكل لانه آخر من جاء يؤيده أن
الآخر لا يتحقق الابدعية بخصوصة وهي التي لا بدعية بعدها وبعدها لا يتحقق الا
بالآخر فان المتوسط بعد الاول ليس بآخر وهذا البحث من ابحاث الزمان ومنه يعلم معنى
قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر أى الدهر هو الذي يفهم منه القلبية والبدعية والله
تعالى هو الذي يفهم منه ذلك والبدعية والتبانية حقيقة لايات الله ولا مفهوم للزمان
الامابه القلبية والبدعية فلا تسبوا الدهر فان ما تفهمونه منه لا يتحقق الا في الله والله
ولولا ما كان قبل ولا بعد (البحث الثاني) ورد في كلام العرب الاولة تأنيث الاول هو
ينافيه صحة استعمال الاولى لان الاولى تدل على ان الاول أفضل للتفضيل وأفضل
للتفضيل لا يلحقه تاانثيث فلا يقال زيد اعلم وزيد اعلم لسبب بطول ذكره وسند كره
في موضع آخر ان شاء الله تعالى نقول الجواب عنه هو ان أول لما كان أفعال وليس له
فاعل شابه الاربع والارنب فيجاز الحاق التامه ولما كان صفة شابه الاكبر والاصغر فتقول
أولى (المسئلة الرابعة) أولى تدل على ان أول لا ينصرف فكيف يقال أفعله أولا ويقال
جاء زيد أولا وعمر وثانيا فان قيل جاز فيه الامر ان يثاء على أوله وأولى فن قال بان تأنيث
أول أوامة فهو كالاربع والاربعة فيجاز التثوين ومن قال أولى لا يجوز نقول اذا كان
كذلك كان الاشهر ترك التثوين لان الاشهر ان تأنيثه أولى وعليه استعمال القرآن
فاذن الجواب ان عند التأنيث الاولى ان يقال أولى نظرا الى المعنى وعند العرب أوامة لانه
هو الاصل ودل عليه دليل وان كان أضعف من الغير وربما يقال بان منع الصرف من
أفعال لا يكون الا اذا لم يكن تأنيثه الافعلي وأما اذا كان تأنيثه بالثاء أوجاز ذلك فيه
لا يكون غير منصرف ثم قال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من
بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقد علم وجه تعلقها بما قبلها في الوجوه المتقدمة في
قوله تعالى فله الآخرة ان قلنا ان معناه ان اللات والعزى وغيرهما ليس لهمم من الامر

شيء فله الآخرة والاولى فلا يجوز اشراكهم فيقواون نحن لان شريك بالله شيء وانما
نقول هو لاء شفعوا ونا فقال كيف تشفع هذه ومن في السموات لا يملك الشفاعة فيه مسائل
(المسئلة الاولى) كم كلمة تستعمل في المقادير اما لاستنباتنها فتكون استفهامية كقولك
كم ذراع اطواه وكم رجلا جالك أي كم هدد الجائين تسنين المقدار وهي حيثئذ مثل كيف
لاستبانة الاحوال واي لاستبانة الافراد واما لاستبانة الحقائق وأمالبيانها على الاحوال
فتكون خبرية كقولك كم رجل اكرمني أي كثير منهم أكرموني غير ان عليه أسئلة
(الاول) لم لم يجز ادخال من على الاستفهامية وجاز على الخبرية (الثاني) لم نصب ميز
الاستفهامية وجر الذي للخبرية (الثالث) هي تستعمل في الخبرية في مقابلة رب فلم جعل
اسما مع ان رب حرف أما الجواب عن الاول فهو ان من يستعمل في الموضع المتعين
بالاضافة نقول خاتم من فضة كما نقول خاتم فضة ولما لم تضاف في الاستفهامية لم يجز
استعمال ما يضاهد وسنين هذا الجواب * والجواب عن السؤال الثاني هو ان نقول ان
الاصل في الميز الاضافة وعن الثالث هو ان كم يدخل عليه حرف الجر فنقول الى كم تصبر
وفي كم يوم جئت وكم رجل مررت ومن حيث المعنى ان كم اذا قرن بها من وجهين بميزة
جمعا كما في قول القائل كم من رجال خدمتهم يكون معناه **ك** كثير من الرجال خدمتهم
ورب وان كانت للتقليل لكن لا تقوم مقام القليل فلا يمكن ان يقال في رب انها عبارة عن
قليل كما قلنا في كم انه عبارة عن كثير (المسئلة الثانية) قال شفاعتهم على عود الغمير
الى المعنى واو قال شفاعته لكان العود الى اللفظ فيجوز ان يقال كم من رجل رأيت
وكم من رجل رأيتهم فان قلت هل بينهما فرق معنوي قلت نعم وهو انه تعالى للمقال لا تغني
شفاعتهم يعني شفاعته الكل واو قال شفاعته لكان معناه كثير من الملائكة كل واحد لا تغني
شفاعته فر بما كان يخطر ببال أحدان شفاعتهم تغني اذا اجتمعت وعلى هذا ففي الكلام
أمور كلها تشير الى عظيم الامر (أحدها) كم فانه للتكثير (ثانيا) لفظ الملك فانه أشرف
أجناس المخلوقات (ثالثها) في السموات فانه الإشارة الى علو منزلاتهم ودنوا منزلتهم من مقر
السعادة (رابعها) اجتماعهم على الامر في قوله شفاعتهم وكل ذلك لبيان فساد قولهم ان
الاصنام يشفعون أي كيف تشفع مع حقارتها وضعفها ودناة منزلاتها فان الجماد أحسن
الاجناس والملائكة أشرفها وهم في أعلى السموات ولا تقبل شفاعته الملائكة فكيف
تقبل شفاعته الجمادات (المسئلة الثالثة) ما الفائدة في قوله تعالى كم من ملك بمعنى كثير من
الملائكة مع ان كل من في السموات منهم لا يملك الشفاعة نقول المقصود الرد عليهم في
قولهم هذه الاصنام تشفع وذلك لا يحصل يبين ان ملكا من الملائكة لا تقبل شفاعته
فا كتفي بذكر الكثير ولم يقل ما منهم أحد يملك الشفاعة لانه أقرب الى المنازعة فيه
من قوله كثير مع ان المقصود حاصل به * ثم ههنا بحث وهو أن في بعض الصور تستعمل
صيغة العموم والمراد الكثير وفي البعض يستعمل الكثير والمراد الكل وكلاهما على

طريقة واحدة وهو استقلال الباقي وعدم الاعتداد في قوله تعالى تدمر كل شيء كأنه
يجعل الخارج عن الحكم غير ملتفت اليه وفي قوله تعالى وكم من ملك وقوله بل أكثرهم
لا يعلمون وقوله أكثرهم بهم مؤمنون يجعل المخرج غير ملتفت اليه فيجعل كأنه ما أخرجه
كالأمر الخارج عن الحكم كأنه ما خرج وذلك يختلف باختلاف المقصود من الكلام
فإن كان الكلام مذكورا لأمر فيه يبالغ يستعمل الكل مثاله يقال للملك كل الناس
يدعون لك إذا كان الغرض بيان كثرة الدعاء له لا غير وإن كان الكلام مذكورا
لأمر خارج عنه لا يبالغ فيه لأن المقصود غيره فلا يستعمل الكل مثاله إذا قال الملك لمن
قال له اغتتم دعائي كثير من الناس يدعون لي إشارة إلى عدم احتياجه إلى دعائه لا لبيان
كثرة الدعاء له فكذلك ههنا (المسئلة الرابعة) قال لا تغني شفاعتهم ولم يقل لا يشفعون
مع ان دعواهم ان هؤلاء شفاعوتنا لا أن شفاعتهم تنفع أو تغني وقال تعالى في مواضع
أخر من ذا الذي يشفع عنده الأباذنه فني الشفاعة بدون الأذن وقال ما لهم من ولي ولا
شفيع في الشفيع وههنا في الإغناء نقول هم كانوا يقولون هؤلاء شفاعوتنا وكانوا
يعتقدون نفع شفاعتهم كما قال تعالى ليقر بونا إلى الله زاني نقول في دعواهم يشتمل على
فائدة عظيمة أما في دعواهم لأنهم قالوا الأصنام تشفع لنا شفاعة مقربة مغنية فقال لا تغني
شفاعتهم بدليل ان شفاعة الملائكة لا تغني وأما الغائده فلأنه لما استثنى بقوله الامن بعد
أن يأذن الله أي فيشفع ولكن لا يكون فيه بيان انها تقبل وتغني أولا تقبل فاذا قال
لا تغني شفاعتهم ثم قال الامن بعد أن يأذن الله فيكون معناه تغني فيحصل البشارة لانه
تعالى قال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمدهم ويؤمنون به
ويستغفرون للذين آمنوا وقال تعالى ويستغفرون لمن في الارض والاستغفار شفاعة
وأما قوله من ذا الذي يشفع عنده الأباذنه فليس المراد في الشفاعة وقبولها كافي هذه
الآية حيث رد عليهم قولهم وانما المراد عظيمة الله تعالى وانه لا ينطق في حضرته أحد
لا يتكلم كما في قوله تعالى لا يتكلمون الامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء (المسئلة
الخامسة) الام في قوله لمن يشاء ويرضى تحتل وجهين (أحدهما) أن تتعلق بالأذن
وهو على طرفين (أحدهما) ان يقال الامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في
الشفاعة لمن يشاء الشفاعة ويرضى (الثاني) أن يكون الأذن في المشفوع له لان الأذن
حاصل لكل في الشفاعة للمؤمنين لانهم جميعهم يستغفرون لهم فلامعنى التخصيص
ويكفي أن يشارع فيه (وثانيهما) ان تتعلق بالإغناء يعني الامن بعد أن يأذن الله لهم في
الشفاعة فتغني شفاعتهم لمن يشاء ويمكن ان يقال بان هذا بعيد لان ذلك يقتضي ان تشفع
الملائكة والإغناء لا يحصل الامن يشاء ففجاب عنه بان فيه التنبية على معنى عظيمة الله تعالى
فإن الملك اذا شفّع فالتعالى على مشيئته بعد شفاعتهم يغفر لمن يشاء (المسئلة السادسة)
ما الغائده في قوله تعالى ويرضى نقول فيه فائدة الارشاد وذلك لانه لما قال لمن يشاء كان

المكلف مترددا لا يعلم مشيئته فقال يرضى ايعلم انه العابد الشاكر للمعاند الكافر فانه
 تعالى قال ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه
 لكم فكذا قال لمن يشاء ثم قال ويرضى بيانا لمن يشاء وجواب آخر على قولنا لا تغنى
 شفاعتهم شيئا ممن يشاء هو ان فاعل يرضى المداول عليه لمن يشاء كأنه قال ويرضى هو اى
 تغنيه الشفاعة شيئا صالحا فيحصل به رضاه كما قال ويرضى هو اى تغنيه الشفاعة وحينئذ
 يكون يرضى للبيان لانه لما قال لا تغنى شفاعتهم اشارة الى نفي كل قليل وكثير كان اللازم
 عنده بالاستثناء ان شفاعتهم تغنى شيئا ولو كان قليلا ويرضى المشفوع له ليعلم انها تغنى
 أكثر من اللازم بالاستثناء ويمكن أن يقال ويرضى لتبيين ان قوله يشاء ليس المراد المشيئة
 التى هى الرضا فان الله تعالى اذا شاء الضلالة بعبد لم يرض به واذا شاء الهداية يرضى فقال
 لمن يشاء ويرضى ايعلم ان تلك المشيئة ليست هى المشيئة العامة انما هى الخاصة * ثم قال
 تعالى (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانبي) وقد بينا ذلك فى
 سورة الطور واستدلنا بهذه الآية ونذكر ما يقرب منه ههنا فقول الذين لا يؤمنون
 بالآخرة هم الذين لا يؤمنون بالرسول ولا يتبعون الشرع وانما يتبعون ما يدعون انه
 عقل فيقولون أسماء الله تعالى ليست توفيقية ويقولون الولد هو الموجود من الغير
 ويستدلون عليه بقول اهل اللغة كذا يتولد منه كذا يقال الزاج يتولد من الآخر بمعنى
 يوجد منه وكذا انقول فى بنت الكرم وبنت الحبل ثم قالوا الملائكة وجدوا من الله
 تعالى فهم اولاده بمعنى اليجاد ثم انهم رأوا فى الملائكة ناء التأنيث وصح عندهم
 ان يقال سجدت الملائكة فقالوا بنات الله فقال ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون
 الملائكة تسمية الانبي اى كاسمى الاناث بنات وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كيف يصح
 ان يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان
 من عادتهم أن يربطوا مراكبهم على قبر من يموت ويعتقدون انه يحشر عليه فقول
 الجواب عنه من وجهين (احدهما) انهم لما كانوا لا يجزمون به كانوا يقولون لا نحشر
 فان كان قلنا شفعاؤنا يدل عليه قوله تعالى وما ظن الساعة قائمة وان رجعت الى ربي
 انى عنده للحسنى (ثانيهما) انهم ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه وهو ما ورد به
 الرسل (المسئلة الثانية) قال بعض الناس انى فعلى من افعال يقال فى فعلها آنت ويقال
 فى فعلها آنت يقال حديد ذكر وحديد انث والحق أن الانثى يستعمل فى الاكثر
 على خلاف ذلك بدليل جمعها على انث (المسئلة الثالثة) كيف قال تسمية الانثى ولم يقل
 تسمية الاناث نقول عنه جوابان (احدهما) ظاهر والآخر دقيق اما الظاهر فهو ان المراد
 بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لما جاء على وفقه آخر الآيات والدقيق هو
 انه لو قاله يسعونهم تسمية الاناث يحتمل وجهين احدهما البنات وثانيهما الاعلام
 المعتادة للاناث كما نشه وحفصة فان تسمية الاناث كذلك تكون فاذا قال تسمية الانثى

(ان الذين لا يؤمنون
 بالآخرة) واما فيها
 من العقاب على ما
 يتعاطونه من الكفر
 والمعاصى (ليسمون
 الملائكة) المتزهدين
 عن سمات النقصان
 على الاطلاق اى
 يسعون كل واحد منهم
 (تسمية الانثى) فان
 قولهم الملائكة بنات
 الله قول منهم بان
 كلامهم بنه سبحانه
 وهى التسمية بالانثى
 وفى تعليقها بعدم الايمان
 بالآخرة اشعار بانها فى
 الشناعة والفظاعة
 واستنباع العقوبة فى
 الآخرة بحيث
 لا يجترئ عليها الامن
 لا يؤمن بها رأسا

تعين ان تكون للجنس وهى البنت والبنات ومناسبة هذه الآفة لما قبلها هى انهم لما قيل لهم ان الصنم جاد لا يشفع وبين انهم ان اعظم أجناس الخلق لا شفاعه لهم الابلاذن قالوا نحن لانعبد الاصنام لانها جادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها على صورها تنصيها بين أيدينا لئلا نكرنا الشاهد الغائب فنعظم الملاك الذى ثبت انه مقرب عظيم الشأن رفيع المكان فقال تعالى ردا عليهم كيف تعظمونهم وأنتم تسمونهم تسمية الاناث ثم ذكر فيه مستندهم في ذلك وهو فقط للملائكة ولم يقل ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائك تسمية الاثني بل قال ليسمون الملائكة فانهم اغتروا بالنساء واغتررهم باط لان التاء تجبى للمعار غير لتأنيث الحقيقى والبنت لا تطلق الاعلى المؤنث الحقيقى بالاطلاق واتاء فيها لتأكيد معنى الجمع كإى صياغته وهى تشبه تلك التاء وذلك لان الملائكة فى المشهور جمع ملك والملاك اختصار من الملائك بحذف الهمزة والملاك قلب الملائك من الالوكة وهى الرسالة فالملائكة على هذا اقول مفادته ولاصل مفاعل ورد الى ملائكة فى الجمع فهى تشبه فعائل وفمالة والظاهر ان الملائكة فعالة جمع ملىكى منسوب الى المليك بدليل قوله تعالى عند مليك مقتدر فى وعد المؤمن وقال فى وصف الملائكة فالذين عند ربك وقال أيضا فى الوعد وان له عندنا نازلي وقال فى وصف الملائكة ولا الملائكة لقربون فهم اذن عباد مكرمون اختصهم الله بمن يدق به ويفعلون ما يؤمرون كأمر الملوك والمستخدمين عند السلاطين الواقفين بأبوابهم منتظرين لورود أمر عليهم فهم منتسبون الى المليك المقتدر فى الخلق فهم ملىكون وملائكة فالهاء للنسبة فى الجمع كإى الصيارفة والبيطرة فان قبل هذا باطل من وجوه (الاول) ان احد الميم يستعمل لواحد منهم ملىكى كما يستعمل صير فى (والثانى) ان الانسان عندما يصير عند الله تعالى يجب أن يكون من الملائكة وليس كذلك لان المفهوم من الملائكة جنس غير الآدمى (الثالث) هو ان فعالة فى جمع فعيل لم يسم وانما يقال فعيلة كما يقال جاء بالنميمة والحقيبة (الرابع) لو كان كذلك لما جمع ملك * نقول اما عدم استعمال واحده فسلم وهو سبب وهو ان الملاك كلما كان أعظم كان حكمه وخدمته وحشمه أكثر فاذا وصف بالاعظمة وصف بالجمع فيقال صاحب العسكر الكثير ولا يوصف بواحد وصف تعظيم وأما ذلك الواحد فان نسب الى المليك عين للخبر بأن يقال هذا ملىكى وذلك عندما تعرف عينه فيجمله مبتدأ وتخبر بالملىكى عنه والملائكة لم يعرفوا بأعيانهم الا قليلا منهم كجبريل وميكائيل وحيثند لافائدة فى قولنا جبريل ملىكى لان من عرف المبتدأ عرف الخبر ولا يصاغ الجملة الا لبيان ثبوت الخبر للمبتدأ فلا يقال للانسان حيوان أو جسم لانه اوضح واضح اللهم الا أن يستعمل ذلك فى ضرب مثال وفى صورة نادرة لغرض واما أن ينسب الى المليك وهو مبتدأ فلا لان الاعظمة فى أن يقول واحده من الملائكة فتنبه على كثرة المقرين اليه كما تقول واحده من أصحاب الملك ولا تقول صاحب

وقوله تعالى (ومالهم به من علم) حال من فاعل يسمون أى يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون أصلا وقرئ بها أى بالملائكة أو بالنسبة (ان يتبعون) فى ذلك (الا الظن) اغاسد (وان الظن) أى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار (لا يفتنى من الحق شيئا) من الاغناء فان الحق الذى هو هبارة عن حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداده فى شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به فى العمليات مما يؤدى اليها

الملك فاذا اردت التعظيم البالغ فعند الواحد استعمل اسم الملك غير منسوب بل هو موضوع لشدته وقوته كما قال تعالى ذومرة وذوقوة فقال شديد القوى و م ل ك تدل على الشدة في تقاليدنا على ما عرف وعند الجمع استعمل الملائكة للتعظيم كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو واما الجواب عن الثاني فنقول قد يكون الاسم في الاول لوصف يختص ببعض من يتصف به وغيره لوصار متصفا بذلك الوصف يسمى بذلك الاسم كالسابعة فاعلة من دب ولا يقال للمرأة ذات الدب دابة اسماءور بما يقال لها صفة عند حالة ماتدب بدب مخصوص غير الدب العام الذي في الكل كما وردت بلبيل لاخذ شئ او غيره او يقال انما سميت الملائكة ملائكة لطول انسابهم من قبل خلق آدمي بسنين لا يعلم عددها الا الله فن لم يصل الى الله ويقوم ببابه لا يحصل له العهد والانتساب فلا يسمى بذلك الاسم واما عن الثالث فنقول الجموع انما تسمى لامانع لها كفعال في جمع فعل كجمال وثمار وافعال ككثقال وأشجار وفعالان وغيرها واما السماع وان لم يرد الاقبلا فاكتفى بما فيه من التعظيم من نسبة الجمع الكثير الى باب الله ويكون من باب المرأة والنساء اما الجواب عن الرابع فالمنع واصل هدامنه او تقول حل فعيل على فعل في الجمع كما جعل فعيل في الجمع على فعيل في جمع جيد جياذ ولا يقال في فعيل افاعل ويؤيد ما ذكرنا ان ابليس عندما كان واقفا بالباب كان داخلا في جملة الملائكة فنقول قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس عندما صرف وابعدهم عنهم وصار من الجن واما ما قاله بعض أهل اللغة من أن الملائكة جمع ملائك وأصل ملائك مألك من الاثوكة وهي الرسالة ففيه تمسقات أكثر مما ذكرنا بكثير منها ان الملك لا يكون فعل بل هو مفعول وهو خلاف الظاهر ولم يستعمل مألك على أصله كما آرب وما تم وما كل وغيرها مما لا يعد الا بتعسف ومنها ان ملكا لم يجعل ملائك ولم يفعل ذلك باخواته التي ذكرناها ومنها ان التاء لم الحقت بجمعه ولم يقل ملائك كما في جمع كل مفعول والذي يرد قولهم قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا فهي غير الرسل فلا يصح أن يقال جعلت الملائكة رسلا كما لا يصح جعلت الرسل من رسلين وجعل المقرب قريبا لان الجعل لا بد فيه من تغيير وما يدل على خلاف ما ذكرنا ان الكل منسوبون اليه موقوفون بين يديه منتظرون امره لورود الاوامر عليهم ثم قال تعالى (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن) وفيما يعود اليه الضمير في به وجوه (أحدها) ما نقله الزمخشري وهو انه تأد الى ما كانوا يقولون من غير علم (ثانيها) انه تأد الى ما تقدم في الآية المتقدمة من علم أي ما لهم بالله من علم فيشر كون وقرى ما لهم بها وفيه وجوه أيضا (أحدها) ما لهم بالآخرة (ثانيها) ما لهم بالتسمية (ثالثها) ما لهم بالملائكة فان قلنا ما لهم بالآخرة فهو جواب لما قلنا انهم وان كانوا يقولون بأن الاصنام شفعوا لنا عند الله وكانوا ير بطون الابل على قبور الموتى ليركبوها لكن ما كانوا يقولون به عن علم وان قلنا بالتسمية ففيه اشكال وهو أن العلم

(فاعرض عن تولى
عن ذكرنا) أي عنهم
ووضم الموصول
موضع ضميرهم للتوسل به
الى وصفهم بما في خبر
صاته من الاوصاف
الفيحة وتعليل الحكم
بها أي فاعرض عن
أعرض عن ذكرنا
المعبد للعالم القبيح وهو
القرآن المنطوي على
علوم الاولين والآخرين
المدكر لأمور الآخرة
أو عن ذكرنا كما ينبغي
فان ذلك مستتب لذكر
الآخرة وما فيها
من الامور المرغوب
فيها والمرغوب عنها
(لم يرد الا الحياة الدنيا)
راضيا بما فاضر انظره
عليها والمراد

بالتسمية حاصل لهم فانهم يعلمون انهم لبسوا في شك اذا التسمية قد تكون وضعا اوليا وهو لا يكون بالظن بل بالعلم بأنه وضع وقد يكون استعمالا معنويا ويتطرق اليه الكذب والصدق والعلم مثال الاول من وضع أو لاسم السماء لموضوعها وقال هذا سماه مثال الثاني اذا قلنا بعد ذلك اللهم والجر هذا سماه فانه كذب ومن يعتقد فهور جاهل وكذلك قولهم في الملائكة انها بنات الله لم تكن تسمية وضعية وانما أرادوا به انهم موصوفون بامر يجب استعمال لفظ البنات فيهم وذلك كذب ومعتقد جاهل فهذا هو المراد بما ذكرنا ان الظن يتيم في الامور المصلحية والافعال العرفية أو الشرعية عند عدم الوصول الى اليقين واما في الاعتقادات فلا ينبغي الظن شيئا من الحق فلو قيل أليس الظن قد يصيب فكيف يحكم عليه بانه لا ينبغي أصلا نقول المكلف يحتاج الى يقين تميز الحق من الباطل ليعتقد الحق ويميز الخير من الشر ليفعل الخير لكن في الحق ينبغي أن يكون جازما لاعتقاد مطابقه والغنان لا يكون جازما وفي الخير ربما يعتبر الظن في مواضع ويحتمل أن يقال المراد من الحق هو الله تعالى ومعناه ان الظن لا يفيد شيئا من الله تعالى أي الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون يدل عليه قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وفيه اطمينة وهي ان الله تعالى في ثلاثة مواضع منع من الظن ويجمع تلك المواضع كان المنع عقيب التسمية والساء باسمه بوضعتان منها في هذه السورة (أحدهما) قوله تعالى ان هي الأسماء سميتوها أتم وآبوا ثم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن (والثاني) قوله تعالى ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني عن الحق شيئا (والثالث) في الحجرات قال الله تعالى ولا تتابروا بالانجاب تأس الاسم الفسوق به والايمان ومن لم يذب فاولئك هم الظالمون يالايها الذين آمنوا اجنبوا كثيرا من الظن عقيب الداء بالقلب وكل ذلك دليل على ان حفظ الاسرار إلى من حفظ غيره من الارض كان وان الكذب أقبح من السيئات الظاهرة من الايدي والارجل هذه المواضع الثلاثة (أحدها) مدح من لا يستحق المدح كاللات والعزى من العزى (وثانيها) ذم من لا يستحق الذم وهم الملائكة الذين هم عباد الرحمن يسمونهم تسمية الانثى (وثالثها) ذم من لم يعلم حاله وأما مدح من حاله لا يعلم فلم يقل فيه لا يتبعون الا الظن بل الظن فيه معتبر والاخذ بظاهر حال العاقل واجب ثم قال تعالى (فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) أي اترك مجادلتهم فقد بلغت وأنت بما كان هليك وأكثر المفسرين يقولون بان كل ما في القرآن من قوله تعالى فأعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل فان الامر بالاعراض موافق لآية القتال فكيف ينسخ به وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم قبله وجادلهم بالتي هي أحسن ثم لم ينفع قاله ربه فأعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا يتبعون الا الظن ولا يتبعون الحق وقابلهم بالاعراض عن المناظرة بشرط جواز المناظرة فكيف يكون منسوخا

التي عن دعوته والاعتناء بشاته فان من أعرض فما ذكر وانحك في الدنيا بحيث كانت هي مشتهى همته وقصارى سعيه لا يزيد الدعوة الى خلافها الاعتقاد واصرارها على الباطل (ذلك) أي ما أداهم الى ما هم فيه من التولى وقصر الارادة على الحياة الدنيا (بلاغهم من العلم) لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى تجسد بهم الدعوة والارشاد وجمع الخصمير في بلغهم باعتبار معنى من كما أن افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك

والاعراض من باب أشكاه والهمزة فيه للسلب كأنه قال ازل العرض ولا تعرض عليهم
 بعد هذا أمرا وقوله تعالى عن تولى عن ذكرنا لبيان تقديم فائدة العرض والمناظرة
 لأن من لا يصغي الى القول كيف يفهم معناه وفي ذكرنا وجوه (الاول) القرآن (الثاني)
 الدليل والبرهان (الثالث) ذكر الله تعالى فان من لا ينظر في الشيء كيف يعرف صفاته
 وهم كانوا يقولون نحن لا نتفكر في آلاء الله اعدم تعلقنا بالله وانما أمرنا مع من خلقنا وهم
 الملائكة أو الدهر على اختلاف أقوالهم وتباين أباطيلهم وقوله تعالى ولم يرد الا الحياة
 الدنيا اشارة الى انكارهم الحشر كما قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وقال تعالى أرضيتم
 بالحياة الدنيا يعني لم يثبتوا وراها شيئا آخر يعملون له فقوله عن تولى عن ذكرنا اشارة
 الى انكارهم الحشر لانه اذا ترك النظر في آلاء الله تعالى لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه
 كلامه واذا لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف فلا يرجع عما هو عليه فلا يبقى اذن فائدة في
 الدعاء واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان طبيب القلوب فأتى على ترتيب الاطباء
 وترتيبهم ان الحال اذا أمكن اصلاحه بالغذاء لا يستعملون لدواء وما أمكن اصلاحه
 بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي ثم اذا عجزوا عن المداواة بالمشروبات وغيرها
 عدلوا الى الحديد والنكي وقيل آخر الدواء النكي فأتى صلى الله عليه وسلم أولا أمر
 القلوب بذكر الله فحسب فان بذكر الله تغلغل القلوب كما ان بالغذاء تطحن النفوس فالذكر
 غذاء القلب وهذا قال أولافوا لاله لا الله أمر بالذكر لمن انتفع مثل أبي بكر وغيره
 ممن انتفع ومن لم ينتفع ذكر لهم ادليل وقال أولم يتفكروا قل انظروا أولم ينظرون الى ضمير
 ذلك ثم أتى بأوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال أعرض عن المعالجة واقطع الفساد لئلا
 يفسد الصالح * ثم قال تعالى (ذلك مبعثهم من العلم) ذلك في وجوه (الاول) أظهرها
 انه عائد الى الظن أي غاية ما يبلغون به انهم يأخذون بالظن (وثانيها) اشارة الى الحياة الدنيا
 مبعثهم من العلم أي ذلك الاشارة غاية ما يبلغوه من العلم (ثالثها) فأعرض عن تولى وذلك
 الاعراض غاية ما يبلغوه من العلم والعلم على هذا يكون المراد منه العلم بالمعلوم وتكون
 الالف واللام للتعريف والعلم بالمعلوم هو ما في القرآن وتقرير هذا أن القرآن لما ورد
 بعضهم تلقاه بالقبول وانشرح صدره فبلغ الغاية القصوى وبعضهم قبله من حيث انه
 معجزة واتبع الرسول فبلغ الدرجة الوسطى وبعضهم توقف فيه كابي طالب وفاتك أدنى
 المراتب وبعضهم رده وعابه فالاولون لم يجز الاعراض عنهم والآخرين وجب الاعراض
 عنهم وكان موضع بلوغه من العلم انه قطع الكلام معه وأعرض عنه وعليه سؤال وهو ان
 الله تعالى بين ان غاية ذلك ولا يكلف الله نفسا الا وسعها والمجنون الذي لا علم له والصبي
 لا يومر بما فوق احتماله فكيف بما فهم الله فنقول ذكر قبل ذلك انهم ثلوا عن ذكر الله
 فكان عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله توليهم ليضاني الجهل الى ذلك فيحقق
 العقاب قال الرمنشري ذلك مبعثهم من العلم كلام مترص بين كلامين والمتصل قوله

المنتظم لاظن الفاسد
 والجملة اعتراض مقرر
 لمضمون ما قبلها من
 قصر الارادة على
 الحياة الدنيا وقوله
 تعالى (ان ربك هو أعلم
 بمن ضل عن هديته وهو
 أعلم بمن اهتدى) تعليل
 للامر بالاعراض
 وتكرير قوله تعالى هو
 أعلم لزيادة التقرير
 والايذان بكم لتباين
 العلومين والمراد بمن
 ضل من أصر عليه
 ولم يرجع الى الهدى
 أصلا ومن اهتدى من
 من شانه الاهتداء في
 الجملة أي هو المباح في
 العلم بمن لا يردوى عن
 الضلال أبدا ومن
 قبل الاهتداء في الجملة

تعالى فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وعلى ما ذكرنا المقصود لا يتم الا به ويكون كانه تعالى قال أعرض عنهم فان ذلك غائبهم ولا يوجد وراء ما ظهر منهم شيء وكان قوله عن تولى اشارة الى قطع عذرهم بسبب الجهل فان الجهل كان بالتولى وايشار العاجل * ثم ابتدا وقال (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وفي المناسبة وجوه (الاول) انه تعالى لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم أعرض وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الميل الى ايمان قومه كان ربما هجس في خاطره ان في الذكرى بعد منعة وربما يؤمن من الكافرين قوم آخرون من غير فقال فقال له ربك اعلم بمن ضل عن سبيله علم انه لا يؤمن بمجرد الدعاء أحد من المكلفين وانما ينفع فيهم ان يقع السيف والقتال فأعرض عن الجدال وأقبل على القتال وعلى هذا قوله بمن اهتدى اى علم في الازل من ضل في تقديره ومن اهتدى فلا يشبهه عليه الامر ان ولا بأس في الاعراض و يعد في العرف مصلحة (ثانيها) هو على معنى قوله تعالى ونأوا واناكم على هدى أو في ضلال مبين وقوله تعالى الله يحكم بيننا ووجه اذهم كانوا يتعاون نحن على الهدى وأتمم بطلون وأقام النبي صلى الله عليه وسلم الحجمة عليهم فلم ينفعهم فقال تعالى أعرض عنهم وأجرك وقع على الله فانه يعلم انكم مهتدون ويعلم اذهم ضالون والمتناظر ان اذا تناظرا عند ملك قادر مقصودهم ظهور الامر عند الملك فان اعترف الخصم بالحق فذاك والا ففرض المصيب يظهر عند الملك فقال تعالى جادلنا أحسن والله أعلم للحق من البطل (ثالثها) انه تعالى لما أمر نبيه بالاعراض كان قد صدر منهم ابداء عظيم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتحمله رجاء ان يؤمنوا فتخرج جميع ذلك فلما يؤمنوا فكأنه قال سعيي وتحملى لا يبدأهم وقع هباء فقال الله تعالى ان الله يعلم حال المضلين والمهتدين لله ما في السموات والارض ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا من المهتدين وفيه مسائل (المسئلة الاولى) هو يسمى عمادا وفضلا ووقال ان ربك أعلم ام الكلام غير ان عند خلوا الكلام عن هذا العماد ر بما يتوقف السامع على سماع ما بعده ايعلم ان أعلم خبر ربك أو هو مع شيء آخر خبر مثاله لو قال ان ربك أعلم منه عمر ويكون خبر زيد الجملة التي بعده فان قال هو أعلم اتى ذلك التوهم (المسئلة الثانية) أعلم يقتضى فضلا عليه يقال زيد أعلم من عمرو والله أعلم بمن تقول أفعال مجي كثيرة بمعنى عالم لا عالم مثله وحينئذ ان كان هناك عالم فذاك مفضل عليه وان لم يكن في الحقيقة هو العالم لا غير وفي كثير من المواضع أفعال في صفات الله بذلك المعنى يقال الله أكبر وفي الحقيقة لا كبير مثله ولا أكبر الا هو والذي يناسب هذا انه ورد في الدعوات يا اكرم الاكرمين كأنه قال لا اكرم مثلك وفي الحقيقة لا اكرم الا هو وهذا معنى قول من يقول أعلم بمعنى عالم بالهتدى والضال ويمكن ان يقال أعلم من كل عالم بفرض عالم غيره (المسئلة الثالث) علمته وعلمت به مستعملان قال الله تعالى في الانعام هو اعلم من يضل عن سبيله ثم

لا غيره فلا تنعب نفسك
في دعوتهم فانهم من
القبيل الاول وفي تعليل
الامر باعراضه عليه
السلام عن الاعتناء
بامرهم باقتصار العلم
باحوال الغير يقين عليه
تعالى رمز الى أنه تعالى
بإمامهم بموجب هلم
بهم فيجزى كل منهم
بما يلقى به من الجزاء
ففيه وعيد ووعد ضمنا
كما سيأتي صريحاً (والله
ما في السموات وما في
الارض) أى خلقنا
وملاك لا غيره أصلا
الاستقلال ولا اشتراكا
وقوله تعالى (ليجزي)
الخ متعلق بمادل هلم
أعلم الخ

ينبغي ان يكون المراد من المعلوم ان العلم اذا كان تعلقه بالمعلوم اقوى اما قوة العلم واما
 لظهور المعلوم واما لنا كيد وجوب العلية واما لكون الفعل له قوة اما قوة العلم فكما في
 قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثاثة الليل ونصفه وقال الم يعلم بان الله يرى لما
 كان علم الله تعالى تاما شاملا علقه بالمفعول الذي هو حال من احوال عبده الذي هو
 برأى منه من غير حرف ولما كان علم العبد ضعيفا حادثا تعلقه بالمفعول الذي هو صفة من
 صفات الله تعالى الذي لا يحيط به علم البشر بالحرف أو لما كان كون الله رأيا لم يكن
 محسوسا به مشاهدا علق الفعل به بنفسه وبالآخر بالحرف واما ظهور المعلوم فكما قال
 تعالى أولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء وهو معلوم ظاهر واما لنا كيد وجوب العلم
 به كافي قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله ويمكن ان يقال هو من قبيل الظاهر وكذلك قوله
 تعالى واهلوا انكم غير معجزى الله واما قوة الفعل فقال تعالى علم ان ان تحصىه وقال
 تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى لما كان المستعمل صفة الفعل علقه بالمفعول بغير
 حرف وقال تعالى ان ربك أعلم بمن هو لما كان المستعمل اسما دا اعلى فعل ضعف عنه تعلقه
 بالمفعول (المسئلة الرابعة) قدم العلم عن ضل على العلم بالمهتدى في كثير من المواضع منها
 في سورة الانعام ومنها في سورة ن ومنها في هذه السورة لان في المواضع كلها المذكور توبه
 صلى الله عليه وسلم والمعادون فذكرهم أو لانه يبداهم وتسلية لقلب توبه عليه صلاة
 والسلام (المسئلة الخامسة) قال في موضع واحد من المواضع هو أعلم بضلع سبيله
 وفي غيره قال عن ضل فهل عندك فيه شيء قلت نعم وتبين ذلك ببحث على وآخر نقلي (أما
 انفق) فهو ان العلم القديم يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه ان وجد أمس لم توجد أمس
 في نهار أمس وايس مثل علمنا حيث يجوز ان يتحقق الشيء أمس ونحن لا نعلم الا بيومنا
 هذا بل لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض ولا يتأخر الواقع عن علمه طرفه عين
 (واما التعليل) فهو ان اسم الفاعل يعمل عمل الفعل اذا كان بمعنى المستقبل ولا يعمل
 عمله اذا كان ماضيا فلا نقول انا ضارب زيدا الواجب ان كنت تنصب ان
 نقول ضربت زيدا وان كنت تستعمل اسم الفاعل فالواجب الاضافة تقول ضارب
 زيدا أمس انا ويجوز ان يقال انا هذا ضارب زيدا والسبب فيه ان الفعل اذا وحده فلا
 تجدد له في الاستقبال ولا يتحقق له في الحال فهو هدم وضعف عن ان يعمل واما الحال وما
 يتوقع فله وجود فممكن اعماله اذا ثبت هذا فنقول لما قال ضل كان الامر ماضيا وعلمه
 تعلق به وقت وجوده فعلم وقوله أعلم بمعنى عالم فهو صير كانه قال عالم بمن ضل فلو ترك البناء
 لكان عملا للفاعل بمعنى الماضي ولما قال بضل كان يعلم الضلال عند الوقوع وان كان
 قد علم في الأزل انه سيضل لكن لا يعلم بعد ذلك تعلق آخر سيوجد وهو تعلقه بكون الضلال
 قد وقع وحصل ولم يكن ذلك في الأزل فانه لا يقال انه تعالى علم ان فلانا ضل في الأزل واما
 الصحيح ان يقال علم في الأزل انه سيضل فيكون كانه يعلم انه بضل فيكون اسم الفاعل بمعنى

وما بينهما اعتراض
 مقرر لما قبله فان كون
 الكل مخلوقا لله تعالى
 مما يقرر علمه تعالى
 بأحوالهم الا يعلم من
 خلق كانه قيل فيعلم
 ضلال من ضل واهتداء
 من اهتدى ويحفظهما
 ليجزى (الذين اساءوا
 بما عملوا) أى يعقاب
 ما عملوا من الضلال
 الذى عبر عنه بالاساءة
 بياننا لعله أو بسبب
 ما عملوا (و يجزى
 الذين احسنوا) أى
 اهتدوا (بالحسن) أى
 بالثوبه الحسنى التى
 هى الجنة أو بسبب
 اعمالهم الحسنى وقيل
 متعلق بمادل عليه
 قوله تعالى والله

المستقبل وهو يعمل عمل الفعل فلا يقال زيد اعلم مسئلتنا من عمرو وانما الواجب ان يقال
 زيد اعلم بمسئلتنا من عمرو وهذا قالت النحاة في سورة الانعام ان ربك هو اعلم من يضل يعلم
 من يضل وقالوا اعلم للتفضيل لا يبنى الا من فعل لازم غير متعد فان كان متعديا يرد الى لازم
 وقولنا اعلم كانه من باب علم بالضم وكذا في النجب اذا قلنا ما اعلمه بكذا كانه من فعل لازم
 واما ناقداً جئت عن هذا بأن قوله اعلم من يضل معناه عالم وقد قدمنا ما يجب ان يعتقد
 في أو ساق الله في أكثر الامر ان معناه انه عالم ولا علم مثله فيكون اعلم على حقيقته وهو
 أحسن من ان يقال هو بمعنى عالم لا غير فان قيل قلنا ههنا بمن ضل وقال هناك يضل قلنا
 لان ههنا حصل الضلال في الماضي وتأكد حيث حصل بأس الرسول صلى الله عليه وسلم
 وأمر بالاعراض واما هناك فقال تعالى من قبل وان تطع أكثر من في الارض يضلوك
 عن سبيل الله ثم قال تعالى ان ربك هو اعلم من يضل بمعنى ان ضللت يملكك الله فكان
 الضلال غير حاصل فيدفع يستعمل صيغة الماضي (المسئلة السادسة) قال في الضلال عن
 سبيله ولم يقل في الاهتداء الى سبيله لان الضلال عن السبيل هو الضلال وهو كاف
 في الضلال لان الضلال لا يكون الا في السبيل واما بعد اوصور فلا ضلال أولان من ضل
 عن سبيله لا يصل الى المقصود سواء سلك سبيلاً أو لم يسلك وأما من اهتدى الى سبيل فلا
 وصول له تمام بسلكه ويصحح هذا ان من ضل في غير سبيله فهو ضال ومن اهتدى اليها
 لا يكون مهتدياً الا اذا اهتدى الى كل مسئلة يضر الجهل بها بالايان فكان الاهتداء
 اليقيني هو الاهتداء المطلق فقال ابن اهتدى وقال بالمهتدين ثم قال تعالى (ولله ما في
 السموات وما في الارض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى)
 اشارة الى كمال غناه وقدرته ليدرك بعد ذلك ويقول ان ربك هو اعلم من الغني القادر
 لان من علم ولم يقدر لا يتحقق منه الجزاء فقال ولله ما في السموات وما في الارض وفي الآية
 مسائل (المسئلة الاولى) قال الزنجشيري ما يدل على انه يعتقد ان اللام في قوله ليجزي كاللام
 في قوله تعالى وانجيل والبقال والحجير لتركبوها وهو جري في ذلك على مذهبه فقال ولله
 ما في السموات وما في الارض معناه خلق ما فيهما لغرض الجزاء وهو لا يتحاشى بما ذكره لما
 عرف من مذهب الاعتزال وقال الواحدى اللام للعاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدواً
 أي اعدوه وعاقبته انه يكون لهم عدواً والتحقيق فيه هو ان حتى والام الغرض متقاربان
 في المعنى لان الغرض نهاية الفعل وحتى للغاية المطلقة فيبينها مقاربة فيستعمل أحدهما
 مكان الآخر يقال سرت حتى أدخلها ولكي أدخلها فلام العاقبة هي التي تستعمل في
 موضع حتى للغاية ويمكن ان يقال هنا وجه أقرب من الوجهين وان كان أخفى منهما
 وهو ان يقال ان قوله ليجزي متعلق بقوله ضل واهتدى لا بعلم ولا بخلق ما في السموات
 تقديره كانه قال هو اعلم بمن ضل واهتدى ليجزي أي من ضل واهتدى ليجزي الجزاء
 والله اعلم به فيصير قوله ولله ما في السموات وما في الارض كلاماً معترضاً ويحتمل ان

ما في السموات وما
 في الارض كانه قيل
 خلق ما فيهما ليجزي
 الخ وقيل متعلق بضل
 واعندى على اللام
 للعاقبة أي هو اعلم
 بمن ضل ليؤل أمره
 الى أن يجزيه الله تعالى
 بعمله وبن اهتدى
 ليؤل أمره الى ان يجزيه
 بالحسنى وفيه من البعد
 ما لا يخفى وتكرر الفعل
 لابرار كمال الاعتناء
 بأمر الجزاء والتنبيه
 على تباين الجزاء بين
 (الذين يجتنبون كبار
 الاثم) بدل من الموصول
 الثاني وصيغة الاستقبال
 في صلته للدلالة على
 تجدد الاجتناب
 واستمراره أو بيان

يقال هو متعلق بقوله تعالى فأعرض أي اعرض عنهم ليقع الجزاء كما يقول المر يدفعلان
 يمنع منه ذرني لأفعله وذلك لأن مادام النبي صلى الله عليه وسلم لم يأس ما كان العذاب
 ينزل والاعراض وقت اليأس وقوله تعالى ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى حيث لا يكون
 مذكورا ليعلم أن العذاب الذي عند اعراضه يتحقق ليس مثل الذي قال تعالى فيه
 واتقوا سنة لأتصيبن الذين ظلموا عنكم خاصة بل هو مختص بالذين ظلموا وغيرهم لهم
 الحسنى وقوله تعالى في حق المسيء بما عملوا وفي حق المحسن بالحسنى فيه لطيفة لأن جزاء
 المسيء عذاب فثبه على ما يدفع العظم وقال لا يعذب إلا عن ذنب وأما الحسنى فلم يقل بما
 عملوا لأن الثواب إن كان لأعلى حسنة يكون في غاية الفضل فلا يتخلل بالمعنى هذا إذا قلنا
 الحسنى هي المثوبة بالحسنى وأما إذا قلنا الأعمال الحسنى فثبه لطيفة غير ذلك وهي أن
 أعمالهم لم يذكر فيهما التساوي وقال في أعمال المحسنين الحسنى إشارة إلى الكرم والصفح
 حيث ذكر أحسن الاسمين والحسنى سفة أقيمت مقام الموصوف كأنه تعالى قال الأعمال
 الحسنى كقوله تعالى الاسماء الحسنى وحيث هو كقوله تعالى لتكفرن عنهم سيئاتهم
 ولتجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون أي يأخذ أحسن أعمالهم ويجعل ثواب كل ما وجد
 منهم لجزاء ذلك الأحسن أو هي صفة المثوبة كأنه قال ويجزي الذين أحسنوا بالمثوبة
 الحسنى أو بالعاقبة الحسنى أي جزاؤهم حسن العاقبة وهذا جزاء فحسب وأما الزيادة التي
 هي الفضل بعد الفضل فقير داخله فيه ثم قال تعالى (الذين يجتنبون كبائر الأثم
 والفواحش إلا اللثم) الذين يجتنبون أن يكون بدلا عن الذين أحسنوا وهو الطاهر وكأنه تعالى
 قال يجزي الذين أسأوا أو يجزي الذين أحسنوا ويتبين به أن المحسن ليس ينفع الله بإحسان
 شيئا وهو الذي لا يبسى ولا يرتكب القبيح الذي هو سيئة في نفسه عند ربه فالذين أحسنوا
 هم الذين اجتنبوا أولهم الحسنى وبهذا يتبين المسيء والمحسن لأن من لا يجتنب كبائر الأثم
 يكون مسيئا والذي يجتنبها يكون محسنا وعلى هذا فبإدخاله لطيفة وهو أن المحسن لما كان هو
 من يجتنب الأثم فالذي يأتيه بانوافل يكون فوق المحسن لكن الله تعالى وعد المحسن
 بزيادة فالذي فوقه يكون له زيادات فوقها وهم الذين لهم جزاء الضعف ويحتمل أن يكون
 ابتداء كلام تقديره الذين يجتنبون كبائر الأثم يغفر الله لهم والذي يدل عليه قوله تعالى إن
 ربك واسع المغفرة وعلى هذا تكون هذه الآية مع ما قبلها مبنية لحال المسيء والمحسن
 وحال من لم يحسن ولم يبسى وهم الذين لم يرتكبوا سيئة وإنما تصدر منهم الحسنات وهم
 كالصبيان الذين لم يوجد فيهم شرائط التكليف ولهم الغفران وهو دون الحسنى ويظهر
 هذا بقوله تعالى بعدة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذا تم أجنة أي يعلم الحالة التي
 لا إحسان فيها ولا إساءة كما علم من إساءة وضل ومن أحسن وأهدى وفيه مسائل (المسئلة
 الأولى) إذا كان بدلا عن الذين أحسنوا فلم يخالف ما بعده بالمضي والاستقبال حيث قال
 تعالى الذين أحسنوا وقال الذين يجتنبون ولم يقل اجتنبوا نقول هو كما يقول القائل الذين

أوتيت أو منصوب
 على المدح وكبائر الأثم
 ما يكبر عقابه من الذنوب
 وهو ما رتب عليه الوعيد
 بخصوصه وقرئ كبير
 الأثم على إرادة الجنس
 أو الشريك من الكبائر
 خصوصا (إلا اللثم)
 أي الأماقل وصرفاته
 مغفور ممن يجتنب
 الكبائر قيل هي النظرة
 والغزرة والقبلة وقيل
 هي الخطرة من الذنب
 وقيل كل ذنب لم يذكر
 الله عليه حدا ولا عذابا
 وقيل عادة النفس الحين
 بعد الحين والاستثناء
 منقطع

سألوني أعطيتهم الذين يترددون الى سائلين اى الذين طادتهم التردد والسؤال سالوني
واعطيتهم فكذلك ههنا قال الذين يجنبون اى الذين طادتهم ودأبهم الاجتناب لا الذين
اجتنبوا مرة وقدموا عليها اخرى فان قيل في كثير من المواضع قال في الكبار والذين
يجنبون كبار الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال في عباد الطاغوت
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله فالفرق نقول عبادة الطاغوت
راجعة الى الاعتقاد والاعتقاد اذا وجد دأما ظاهرا فن اجتنابها اعتقاد بطلانها فيستر
واما مثل الشرب والزنا امر يختلف احوال الناس فيه فيترك زمانا ويعود اليه ولهذا
يستبرأ الفاسق اذا تاب ولا يستبرأ الكافر اذا أسلم فقال في الاثم الذين يجنبون دائما
ويثابرون على الترتك أبدا وقال في عبادة الاصنام اجنبوا بصيغة الماضي ليكون أدل
على الحصول وان كبار الاثم لها عدد وأنواع فينبغي ان يجنب عن نوع ويجنب عن آخر
ويجنب عن ثالث ففقد تكرر وتجدد فاستعمل فيه بصيغة الاستقبال وعبادة الصنم امر
واحد متحد فترك فيه ذلك الاستعمال واتى بصيغة الماضي الدالة على وقوع الاجتناب لها
دفعه (المسئلة الثانية) الكبار جمع كبيرة وهي صفة لموصوف تقول هي صفة الفعلة
كأنه يقول الفعلات الكبار من الاثم فان قيل فما بال اختصاص الكبيرة بالذنوب في
الاستعمال ولو قل قائل الفعلة الكبيرة الحسنة لا يمنع مانع نقول الحسنة لا تكون كبيرة
لانها اذا قوبلت بما يجب ان يوجد من العبد في مقابلة نعم الله تعالى تكون في غاية الصغر
اولا وان الله يقبلها كانت عباة لكن السيئة من العبد الذي انعم الله عليه يا نوع النعم
كبيرة ولو لا فضل الله لكن الاشتغال بالاكل والشرب والاعراض عن عبادته سيئة
لكن الله غفر بعض السيئات وخفف بعضها (المسئلة الثالثة) اذا ذكر الكبار
فالفواحش بمدتها نقول الكبار اشارة الى ما فيها من مقدار السيئة والفواحش اشارة
الى ما فيها من وصف الفح كانه قال عظيمة المقادير فيجدة الصور والفاحش في اللفظ مختص
بالفح الخارج قبضه عن حد الحفاء وتركيب الحروف في التقاليد يدل عليه فانك اذا
قلبتهم وقلت حشف كان فيه معنى الرداءة الخارجة عن الحد ويقال فشحت الناقة اذا
وقفت على هيئة مخصوصة للبول فالفحش يلزمه التسبح ولهذا لم يقل بالفواحش من الاثم
وقال في الكبار كبار الاثم لان الكبار انما يميزها بالاضافة الى الاثم لما حصل
المقصود بخلاف الفواحش (المسئلة الرابعة) كثرت الاقوال في الكبار والفواحش
فقيل الكبار ما وعد الله عليه بالنار صريحا وظاهرا والفواحش ما اوجب عليه حنفا في
الدنيا وقيل الكبار ما يكفر مستحله وقيل الكبار ما لا يغفر الله لفاعله الا بعد التوبة وهو
على مذهب المعتزلة وكل هذه التعريفات تعريف الشئ بما هو مثله في الحفاء أو فوقه وقد
ذكرنا ان الكبار هي التي مقدارها عظيم والفواحش هي قبحها واضح فالكبيرة
صفة عائدة الى المقدار والفاحشة صفة عائدة الى الكيفية كما يقال مثلاني الارض علته

(ان ربك واسع المغفرة)
حيث يغفر الصغار
باجتناب الكبار فالجملة
تعليل لاستثناء الالم
وتنبية على أن اخراجه
عن حكم المواخذة به
ليس مخلوه عن الذنب
في نفسه بل سعة المغفرة
الرابطة وقيل المعنى له
أن يغفر ان يشاء من
المؤمنين ما يشاء من
الذنوب صغيرها وكبيره
واما تعقيب وعيد
المسيئين ووعيد المحسنين
بذلك حينئذ لا يأس
صاحب الكبيرة من
رحمة تعالى ولا توهم
وجوب العقاب عليه
تعالى (هو اعلم بكم) أي
بأحوالكم بعلمها (اد
انشأتم) في ضمن انشاء
أيكم آدم عليه السلام
(من الارض) انشاء
اجماليا جسميا امر تقريرا

يباض لطخه كبيرة ظاهرة اللون فالكبيرة لبيان الكمية والظهور لبيان الكيفية وعلى
 هذا فنقول على ما قلنا ان الاصل في كل معصية ان تكون كبيرة لان نعم الله كثيرة ومخالفة
 النعم سيئة عظيمة غير ان الله تعالى حط عن عباده الخطأ والنسيان لانهما لا يدلان على ترك
 التعظيم اما لعمومه في العباد اولئكثرة وجوده منهم كالكذب والغيبة مرة او مرتين
 والنظرة والقبائح التي فيها شبهة فان المجتنب عنها قابل في جميع الاعصار ولهذا قال
 أصحابنا ان استماع الغناء الذي مع الاوتار يفسق به وان استمعه من أهل بلده لا يعتقدون
 أمر ذلك لا يفسق فعادت الصغيرة الى ما ذكرنا من أن العقلاء لم يعدوه تاركاً للتعظيم
 لا يكون مرتكباً للكبيرة وعلى هذا تختلف الامور باختلاف الاوقات والاشخاص فالعالم
 المتقي اذا كان يتعم انساء أو يكثر من اللعب يكون مرتكباً للكبيرة والدلال والباعة
 والمتفرغ الذي لا يشغل له لا يكون كذلك وكذلك الاب وقت الصلاة واللعب في غير ذلك
 الوقت وعلى هذا كل ذنب كبيرة الا ما علم المكلف أو ظن خروجه بفضل الله وعفوه عن
 الكبائر (المسئلة الخامسة) في اللهم وفيه أقوال (أحدها) ما يقصده المؤمن ولا يحققه
 وهو على هذا القول من لم يرم اذا جمع فكأنه جمع عنده وأجمع عليه (وثانيها) ما يأتي به
 المؤمن ويندم في الحال وهو من اللهم الذي هو من الجنون كانه مسه وفارقه ويؤيد
 هذا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاسغفروا الذنوبهم
 (ثالثها) اللهم الصغير من الذنب من ألم اذا نزل نزولاً من غير ايث طوبى ويقال ألم بالطعام
 اذا قل من أكله وعلى هذا قوله الا اللهم يحتمل وجوها (أحدها) ان يكون ذلك استثناء
 من الفواحش وحينئذ فيه وجهان (أحدهما) استثناء منقطع لان اللهم ليس من
 الفواحش (وثانيهما) غير منقطع لما بينا ان كل معصية اذا نظرت الى جانب الله تعالى
 وما يجب ان يكون عليه فهي كبيرة وفاحشة ولهذا قال الله تعالى واذا فعلوا فاحشة غير ان
 الله تعالى استثنى منها أموراً يقال الفواحش كل معصية الا ما استثناء الله تعالى منها
 ووعدنا بالعفو عنه (ثانيها) الا بمعنى غير وتقديره والفواحش غير اللهم وهذا الوصف ان
 كان للتمييز كما يقال الرجال غير اولى الارية فاللهم عين الفاحشة وان كان لغيره كما يقال
 الرجال غير النساء جاؤني لنا كيد وبيان فلا (وثالثها) هو استثناء من الفعل الذي يدل
 عليه قوله تعالى الذين يحبون لان ذلك يدل على انهم لا يقر بونه فكأنه قال لا يقر بونه
 الامقاربة من غير موافقة وهو اللهم ثم قال تعالى (ان ربك واسع الغفرة) وذلك على
 قولنا الذين يحبون اشداء الكلام في زاوية الظهور لان المحسن مجرى وذنبه مغفور
 ومجتنب الكبائر كذلك ذنبه الصغير مغفور والمقدم على الكبائر اذا تاب مغفور الذنب
 فلم يبق من لم تصل اليهم المغفرة الا الذين أساؤا أو أسروا عليها فالغفرة واسعة وفيه معنى آخر
 لطيف وهو انه تعالى لما أخرج المسمى عن المغفرة بين ان ذلك ليس لضيق فيها بل ذلك بمشبهة
 الله تعالى ولو أراد الله مغفرة كل من أحسن وأساء لفعل وما كان يضيق عنهم مغفرته

مراراً (واذا أتتم أجنه)
 أى بوقت كونكم أجنة
 (في بطون أمهاتكم)
 على أطوار مختلفة مرتبة
 لا يخفى عليه حال من
 أحوالكم وعمل من
 أعمالكم التي من جعلتها
 اللهم الذي لولا المغفرة
 الواسعة لاصابكم وباله
 فالجمله استثناء مفرر لما
 قبلها والفاء في قوله
 تعالى (فلا تزكوا
 أنفسكم) لترتيب النهي
 عن تزكية النفس على
 ما سبق من أن عدم
 المؤاخذه باللهم ليس لعدم
 كونه من قبيل الذنوب
 بل لمحض مغفرته تعالى
 مع عهده بصدوره عنكم
 أى اذا كان الامر كذلك
 فلا تنوعا عليها بالطهارة
 عن المعاصي بالكلية
 أو ما يستلزمها

والمغفرة من الستر وهو لا يكون الا على قبيح وكل من خلقه الله اذا نظرت في فعله ونسبته الى نعم الله تجده مقصرا مسيا فان من جازى النعم بنعم لا تحصى مع استغنائها الظاهر وعظمته الواضحة بديرهم أو اهل منه يحتاج الى ستر ما فعله * ثم قال تعالى (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) وفي المناسبة وجوه (أحدها) هو تقرر لما مر من قوله هو أعلم بمن ضل كان العامل من الكفار يقول نحن نعمل أمورا في جوف الليل المظلم وفي البيت الخالي فكيف يعلم الله تعالى فقال ليس علمكم أخفى من أحوالكم وأنتم أجنة في بطون أمهاتكم والله عالم بتلك الاحوال (ثانيها) هو اشارة الى ان الضال والمهتدي حصلوا على ما هما عليه بتقدير الله فإن الحق علم أحوالهم وهم في بطون الامهات فكاتب على البعض انه ضال والبعض انه مهتد (ثالثها) تأكيد بيان للجزاء وذلك لانه لما قال ليجزي الذين أساءوا بما عملوا قال الكافرون هذا الجزاء لا يتحقق الا بالخشع وجمع الاجزاء بعد تفرقها واعادة ما كان يزيد من الاجزاء في بدنه من غير اختلاط غير ممكن فقال تعالى هو أعلم بكم اذ أنشأكم فيجزيهم بما بقدرته على وفق علمه كما أنشأكم وفيه مسائل (المسئلة الاولى) العامل في اذ يحتمل ان يكون ما يدل عليه أعلم أي علمكم وقت الانشاء ويحتمل ان يكون اذ كروا فهكون تقرريرا لكونه علما او يكون تقديره هو أعلم بكم وقد تم الكلام ثم يقول ان كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال انشاءكم من التراب (المسئلة الثانية) ذكرنا مرارا ان قوله من الارض من الناس من قال آدم فانه تراب وقررنا ان كل احد أصله من التراب فانه يصير غذاء ثم يصير دما ثم بصير نطفة (المسئلة الثالثة) او قال قائل لا بد من صرف اذ أنشأكم من الارض الى آدم لان واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم طائد الى غيره فانه لم يكن جنينا ولو قلت بان قوله تعالى اذ أنشأكم طائد الى جميع الناس فينبغي ان يكون جميع الناس أجنة في بطون الامهات وهو قول الفلاسفة تقول ليس كذلك لاننا نقول الخطاب مع الموجودين حالة الخطاب وقوله تعالى هو أعلم بكم خطاب مع كل من بعد الانزال على قول ومع من حضر وقت الانزال على قول ولا شك ان كل هؤلاء من الارض وهم كانوا أجنة (المسئلة الرابعة) الاجنة هم الذين في بطون الامهات وبعدها الخروج لا يسمى الاولاد اوسمة طائفا فائدة قوله تعالى في بطون أمهاتكم نقول التبيين على كمال العلم والقدرة فان بطن الام في غاية الظلمة ومن علم بحال الجنين فيها لا يخفى عليه ما ظهر من حال العباد (المسئلة الخامسة) لقائل ان يقول اذ قلنا ان قوله هو أعلم بكم تقرر لكونه طالما بمن ضل فقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم تعلقه به ظاهر وأما ان قلنا انه تأكيد وبيان للجزاء فانه يعلم للجزاء فيعبدها الى ابدان أشخاصها فكيف يتعلق به فلا تزكوا أنفسكم نفون معناه حيثئذ فلا تبرئوا أنفسكم من العذاب ولا تقولوا تفرقت الاجزاء فلا يقع العذاب لان اعالم بكم عند الانشاء عالم بكم عند الاعادة وعلى هذا قوله أعلم بمن اتقى أي يعلم اجزاءه فيعبدها اليه ويشبه بما أقدم عليه

من زكاه العمل ونمسا
 الحسب بل اشكر والله
 زعالى على فضله ومغفرته
 (هو أعلم بمن اتقى)
 المعاصي جميعا وهو
 استئناف مقرر لانها
 ومشعر بانها فبهم من
 يتقها بأسرها وقيل كان
 ناس يعملون أعمالا حسنة
 ثم يقولون صلاتنا
 وصيامنا ونحوها فزات
 وهذا اذا كان بطر يتي
 الاعجاب أو الرياء فاما من
 اعتقد ان ما عمله من
 الاعمال الصالحة من
 الله تعالى وبوقفة
 وتأيدته ولم يقصد به
 المدح لم يكن من المزكين
 أنفسهم فان المصرة
 بالطاعة وذكرها شكر
 (أفرأيت الذي تولى)
 أي عن اتساع الخلق
 والثناء عليه (وأعطى)
 قليلا أي شيئا قليلا
 أو أعطاه قليلا
 (وأكدى) أي

(المسئلة السادسة) الخطاب مع من في ثلاث احتمالات (الاول) مع الكفار وهذا على قولنا انهم قالوا كيف يعلم الله فرد عليهم قولهم (الثاني) كل من كان زمان الخطاب وبعده من المؤمنين والكفار (الثالث) هو مع المؤمنين وتقريره هو ان الله تعالى لما قال فاعرض عن تولى عن ذكرنا قال لبيبه صلى الله عليه وسلم قد علم كونك ومن معك على الحق وكون المشركين على الباطل فاعرض عنهم ولا تقولوا نحن على الحق وانتم على الضلال لانهم يقابلونكم بثل ذلك وفوض الامر الى الله تعالى فهو اعلم بمن اتقى ومن طغى وعلى هذا فقول من قال فاعرض منسوخ اظهر وهو قوله تعالى وانا اباكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين والله اعلم بجملة الامور ويحتمل ان يقال على هذا الوجه الثالث انه ارشاد للمؤمنين فخطبهم الله وقال هو اعلم بكم ايها المؤمنون علم ما نكم من اول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لا آخر انا خير منك وانا ازرى منك واتق فان الامر عند الله ووجه آخر وهو اشارة الى وجوب الخوف من العاقبة اى لا تقطعوا بخلاصكم ايها المؤمنون فان الله يعلم عاقبة من يكون على التقي وهذا يؤيد قول من يقول انما مو من ان شاء الله لصرق الى العاقبة ثم قال تعالى (أفرايت الذي تولى واعطى قليلا وأكدي عنده علم الغيب فهو يري) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال بعض المفسرين نزلت الآية في الوليد بن المغيرة جلس عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع رده واثرت الحكمة فيدنا ثم قويا فقال له رجل لم تترك دين اباك ثم قال له لا تخف واعطيتي كذا وانا اتحمل عنك اوزارك فاعطاه بعض ما التزمه وتولى عن الوعظ وسمع الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم نزلت في عثمان رضي الله عنه كان يعطى ماله عطاء كثيرا فقال له اخوه من امد عبدالله بن مسعود بن ابي سرح يوشك ان يفنى مالك فامسك فقال له عثمان ان لي ذنوبا ارجو ان يغفر الله لي بسبب العطاء فقال له اخوه انا اتحمل عنك ذنوبك ان تعطيني ناقك مع كذا فاعطاه ما طلب وامسك يده عن العطاء فنزلت الآية وهذا قول ياطل لا يجوز ذكره لانه لم يتواتر ذلك ولا اشتهر وظاهر حال عثمان رضي الله عنه يا بى ذلك بل الحق ان يقال ان الله تعالى لما قال لبيبه صلى الله عليه وسلم من قبل فاعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وكان التولى من جملة أنواعه تولى المستغنى فان العالم بالشي لا يحضر مجالس ذكر ذلك الشيء ويسعى في تحصيل غيره فقال أفرايت الذي تولى عن استغناء اعلم بالغيب (المسئلة الثانية) الغاء تقتضى كلاما يترتب هذا عليه فاذا هو قول هو ما تقدم من بيان علم الله وقدرته ووعده المسى والمحسن بالجزاء وتقريره هو انه تعالى لما بين ان الجزاء لا بد من وقوعه على الاساءة والاحسان وان الحسن هو الذى يجنب كبار الاثم فلم يكن الانسان مستغنيا عن سماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه فبعد هذا من تولى لا يكون تولى ابعداغاية الحاجة ونهاية الافتقار (المسئلة الثالثة) الذى على ما قال بعض المفسرين عائد الى معلوم وهو ذلك الرجل وهو الوليد والظاهر انه عائد الى مذکور

قطم العطاء من قولهم
أكدي الحافر اذا باع
الكدي اى الصلابة
كالصخرة فلا يمكنه
ان يحفر قالوا نزلت في
الوليد بن المغيرة كان يتبع
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فغيره بعض المشركين
وقال له تركت دين الاشباخ
وضللت هم فقال اخشى
عذاب الله فضمن ان
يحمل عنه العذاب ان
اعطاه بعض ماله فارتد
واعطاه بعض المشركين
وبخل بالباقي وقبل نزلت
في العاص بن وائل
السهمى لما كان يوافق
النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور وقيل
في ابي جهل كان ربما
يوافق الرسول صلى الله
عليه وسلم في بعض الامور
وكان يقول والله ما
أمرنا محمد

فان الله تعالى قال من قبل فأعرض عن تولى عن ذكرنا وهو المعلوم لان الامر بالاعراض غير مختص بواحد من المعاندين فقال أفرأيت الذي تولى أى الذى سبق ذكره فان قيل كان ينبغي أن يقول الذين تولوا لان من في قوله عن تولى للموم نقول العود الى اللفظ كثير ضائم قال تعالى من جاء بالحسنة فله وللم يقبل فلهم (المسئلة الرابعة) قوله تعالى وأعطى قليلا ما المراد منه نقول على ما تقدم هو المقدار الذى أعطاه الوليد موقوله وأكدى هو ما أمسك عنه ولم يعط الكهل وعلى هذا وقال قائل ان الاكداء لا يكون مذموما لان الاعطاء كان بغير حق فالامتناع لا يندم عليه وأيضا فلا يبقى ثقله قليلا فائدة لان الاعطاء حينئذ نفسه يكون مذموما نقول فيه بيان خروجهم عن العقل والعرف أما العقل فلانه منع من الاعطاء لاجل حمل الوزر فانه لا يحصل به وأما العرف فلان عادة الكرام من العرب الوفاء بالعهد وهو لم يف به حيث اترم الاعطاء وامتنع والذي يابى بما ذكرناه وان نقول تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا يعنى اعطاء ما وجب اعطاؤه في مقابلة ما يجب لاصلاح أمور الآخرة ويقع قوله تعالى أعنده علم الغيب في مقابلة قوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم أى لم يعلم الغيب وما فى الآخرة وقوله تعالى أم لم ينبا بما فى صحف موسى و ابراهيم الذى وفى أن لا تزواجرة وزر أخرى في مقابلة قوله هو أعلم بن مثل الى قوله ليجزى الذين أساوا لأن الكلامين جميعا لبيان الجزاء ويمكن ان يقال ان الله تعالى لما بين حال المشركين المعاندين العابدين للآل والعزى والقائلين بان الملائكة نبات الله شرع في بيان أهل الكتاب وقال بعد ما رأيت حال المشرك الذى تولى عن ذكرنا أفرأيت حال من تولى وله كتاب وأعطى قليلا من الزمان حقوق الله تعالى ولما بلغ زمان محمد أكدى فهل علم الغيب فقال شيأ لم يرد في كتبهم ولم ينزل عليهم فى الصحف المتقدمة ووجد فيها بان كل واحد يؤخذ بفضله ويجازى بعمله وقوله تعالى أم لم ينبا بما فى صحف موسى و ابراهيم الذى وفى يخبر أن المتولى المذكور من أهل الكتاب (المسئلة الخامسة) أكدى قيل هو من بلغ الكدبة وهى الارض الصلبة لا تحفر وحافر البئر اذا وصل اليها فامتنع عليه الحفر أو تفسر يقال أكدى الحافر والاطهر أنه الرد والمنع يقال أكديته أى رددته وقوله تعالى أعنده علم الغيب فهو يرى قد عظم تفسيره جملة ان المراد جهل المتولى وحاجته وبيان قبح التولى مع الحاجة الى الاقبال وعلم الغيب أى العلم بالغيب أى علم ما هو غائب عن الخلق وقوله فهو يرى تمة بيان وقت جواز التولى وهو حصول الروية وهو الوقت الذى لا ينفع الايمان فيه وهناك لا يبنى و جوب متابعة أحد فيما رآه لان الهادى يهدى الى الطريق فاذا رأى المهتدى مقصده بعينه لا ينفعه السماع فقال تعالى هل علم الغيب بحيث رآه فلا يكون علمه علما نظريا بل علما بصريا فسمى بتولى وقوله تعالى فهو يرى يحتمل أن يكون مفعول يرى هو احتمال الواحد وزر الآخر كانه قال فهو يرى ان وزره محمول لم يسمع ان وزره غير محمول فهو عالم بالجميل وغافل عن عدم الجميل ليكون معذورا بحتمل ان لا يكون له مفعول تقديره

الابكارم الاخلاق
 وذلك قوله تعالى وأعطى
 قليلا وأكدى والاول
 هو الاشهر المناسب لما
 يمد من قوله تعالى
 (أعنده علم الغيب
 فهو يرى) الخ أى
 علم بالامور الغيبية التى
 من جعلتها تحمل
 صاحبه عنه يوم القيامة
 (أم لم ينبا بما فى صحف
 موسى و ابراهيم الذى
 وفى) أى وفر وأتم
 ما بنى به من الكلمات
 أو امر به أو بانغ فى الوفاء
 بما اهداه وتخصيصه
 بذلك لاحتماله ما لم
 يحتمله غيره كالصبر
 على نار نمرود حتى انه
 اتاه جبريل عليه السلام
 حين يلقي فى النار فقال
 ألك حاجة فقال اما
 اليك فلا وهلى ذبح الولد
 ويروى انه كان
 يمشى كل يوم

فهو يرى رأى نظر غير محتاج الى هادونذير * قوله تعالى (أمم ينبا بما في صحف موسى
 و ابراهيم الذي وفى) حال أخرى مضادة للاولى يعذر فيها المتولى وهو الجهل المطلق فان من
 علم الشئ علم انما لا يؤمر به الله والذي جهله جهلا مطمانا وهو الغافل على الإطلاق كما تم
 أيضا لا يؤمر فقال هذا المتولى هل علم الكل فجازله التولى أو لم يسمع شئ وما بلغه دعوة
 أصلا فيعذروا ولا واحد من الامرين يكافئ فهو في التولى غير معذور وفيه مسائل (المسئلة
 الاولى) قوله تعالى بما فى يحتمل وجهين (أحدهما) ان يكون المراد ما فيها بالصفة كونه فيها
 فكأنه تعالى يقول أمم ينبا بالتوحيد والحشر وغير ذلك وهذه أمور مذكورة فى صحف
 موسى مثاله يقول الفائل لمن توضع بغير الماء توضع بما توضع به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 لاير يديه نفس الماء الذى توضع به النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالكلام مع الكل لان
 المشرك وأهل الكتاب نبأهم النبي صلى الله عليه وسلم بما فى صحف موسى (ثانيهما) ان يكون
 المراد بما فى الصحف مع كونه فيها كما يقول الفائل فيما ذكرنا من المثال توضع بما فى القرية
 لا بما فى الجرة غير يدعين ذلك لاجنسه وعلى هذا فالكلام مع أهل الكتاب لانهم الذين تجوابه
 (المسئلة الثانية) صحف موسى و ابراهيم هل جمعها لكونها صحفا كثيرة او لكونها مضافة
 الى الاثنين كما قال تعالى فقد صنعت فلو يكما الظاهر انها كثيرة قال الله تعالى وأخذنا الالواح
 وقال تعالى وألقى الالواح وكل اوح صحيفة (المسئلة الثالثة) ما المراد بالذى فيها نقول قوله
 تعالى أن لاترزوا زرة وزر أخرى وأن ايس الانسان الاماسعى وما بعده من الامور المذكورة
 على قراءة من قرأ أن بالفتح وعلى قراءة من يكسرو يقول وان الى ربك المنتهى ففيه
 وجوه (أحدها) هو ما ذكره بقوله أن لاترزوا زرة وزر أخرى وهو الظاهر وانما احتل غيره
 لان صحف موسى و ابراهيم ليس فيها هذا فقط وليس هذا معظم المقصود بخلاف قراءة الفتح
 فان فيها تكون جميع الاصول على ما بين (ثانيها) هو أن الآخرة خير من الاولى يدل عليه
 قوله تعالى ان هذا فى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى (ثالثها) أصول الدين كلها
 مذكورة فى الكتب بأسرها ولم يخل الله كتابا عنها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
 فيها هم افئدة وليس المراد فى الفروع لان فروع دينه مغايرة لفروع دينهم من غير شك
 (المسئلة الرابعة) قدم موسى ههنا ولم يقل كما قل فى جميع اسم ربك الاعلى فهل فيه فائدة
 نقول مثل هذا فى كلام الفصحاء لا يطلب له فائدة بل التقديم والتأخير سواء فى كلامهم
 فيصح أن يقتصر على هذا الجواب ويمكن ان يقال ان الذكر هناك مجرد الاخبار والانتذار
 وههنا المقصود بيان انتفاء الاعذار فذكر هناك على ترتيب الوجود صحف ابراهيم قبل
 صحف موسى فى الازال واما ههنا فقد قلنا ان الكلام مع أهل الكتاب وهم اليهود فقدم
 كتابهم وان قلنا الخطاب مام فصحف موسى عليه السلام كانت كثيرة الوجود فكأنه قيل
 لهم انظروا فيها تعلمون ان الرسالة حق وارسل من قبل موسى رسل والتوحيد صدق
 والحشر واقع فلما كانت صحف موسى عند اليهود كثيرة الوجود قدمها وأما صحف ابراهيم

فرسخا يرتاد ضيفا فان
 وافقه أكرمه والانوى
 الصوم وتقديم موسى
 لما ان صحفه التى هى
 التوراة أشهر عندهم
 وأكثر (ان لاترزوا زرة
 وزر أخرى) اى انه
 لا تحمل نفس من شأنها
 الجمل حل نفس اخرى
 على ان ان هى الخففة
 من الثقلة وضهير الشان
 الذى هو اسمها محذوف
 والجملة المنفية خبرها
 ويحل الجملة الجر على
 انها بدل بما فى صحف
 موسى او الرفع على انها
 خبر مبتدأ محذوف كأنه
 قيل ما فى صحفه ما قيل
 هو ان لاترز الخ والمعنى
 انه لا يؤخذ احد بدين
 غيره ليتخلص الثانى
 عن عقابه ولا يتدح
 فى ذلك قوله عليه الصلاة
 والسلام من سن سنة سئة

فكانت بعيدة وكانت المواظ التي فيها غير مشهورة فيما بينهم كصحف موسى فأخذ ذكرها
 (المسئلة الخامسة) كثيرا ما ذكر الله موسى فأخره عليه السلام لانه كان مبتلى في أكثر
 الامر من حوالبه وهم كانوا مشركين ومتهودين والمشركون كانوا يعظمون ابراهيم عليه
 السلام لكونه أباهم وأما قوله تعالى وفي فقيه وجهان (أحدهما) أنه من الوفاء الذي
 يذكر في اليهود وعلى هذا التشديد للبالغة يقال وفي ووفى كقطع وقطم وقنل وقنل
 وهو ظاهر لانه وفي بالندر واضح ابنه للذبح ورد في حقه قد صدقت الروايات وقال تعالى
 ان هذا هو البلاء المبين (وثانيهما) انه من التوفية التي من الوفاء وهو التمام والتوفية
 الاتمام يقال وفاه أي اعطاء تاما وعلى هذا فهو من قوله واذا تبلى ابراهيم ربه بكلمات
 فأتمهن وقيل وفي أي أعطى حقوق الله في بدنه وعلى هذا فهو على ضد من قال تعالى فيه
 وأعطى قليلا وأكدى مدح ابراهيم ولم يصف موسى عليه السلام نقول أما بيان توفيته
 فتيه لطيفة وهي انه لم يهد الا وفيه وقال لا يسهل ما استغفر لك ربي فاستغفر ووفى
 بالعهد ولم يغفر الله له فعلم ان ليس للانسان الاماسي وأن وزره لا تزره نفس أخرى
 وأما مدح ابراهيم عليه السلام فلانه كان متفقا عليه بين اليهود والمشركين والمسلمين
 ولم يشكر أحد كونه ووفيا وموفيا ورعا كما كان المشركون يتوقعون في وصف موسى عليه
 السلام ثم قال تعالى (ان لا تزوروا الزرة ووزرا أخرى) وقد تقدم تفسيره في سورة الملائكة
 والذي يحسن بهذا الموضوع مسائل (الاولى) أنها ينسب الظاهر أن المراد من قوله بمافي
 صحف موسى هو ما ينسب بقوله أن لا تزور فيكون هذا بدلا عن ما وتقدره أم لم ينسب أن لا تزور
 وذا كرنا هناك وجهين أحدهما المراد أن الآخرة خير وثانيهما الاصول (المسئلة
 الثانية) أن لا تزور أن خفيفة من الثقبلة كانه قال انه لا تزور وتخفيف الثقبلة لازم وغير لازم
 جازم وغير جازم فاللازم عندما يكون بعدها فعل او حرف داخل على فعل ولزم فيها التخفيف
 لانها مشبهة بالفعل في اللفظ والمعنى والفعل لا يمكن ادخاله على فعل فاخرج عن شبه الفعل
 الى صورة تكون حرفا متصبا بالفعل فتناسب الفعل فتدخل عليه (المسئلة الثالثة) ان
 قال قائل الآية مذكرة لبيان ان وزر المسمى لا يحمل عنه وبهذا الكلام لا تحصل هذه
 الفائدة لان الوازرة تكون مثقلة بوزرها فيعلم كل أحد انها لا تحمل شيئا ولو قال لا تحمل
 فارغة وزر أخرى كان أبلغ نقول ليس كما ظننت وذلك لان المراد من الوازرة هي التي يتوقع
 منها الوزر والجل التي وزرت وحملت كما يقال شغاني الجملى وان لم يكن عليه في الحال حمل
 واذا لم تزرتك النفس التي يتوقع منها ذلك فكيف تتحمل وزر غيرها فتكون الفائدة كاملة
 * وقوله تعالى (وان ليس للانسان الاماسي) نمة بيان أحوال المكلف فانه لمسا بين له ان
 سبته لا يتحملها عنه أحد بين له ان حسنة الغير لا تجدى نفعا ومن لم يعمل صالحا لا ينسب
 خيرا فيكمل بها ويظهر أن المسمى لا يجذب بسبب حسنة الغير ثوابا ولا يتحمل عنه لمحدظا
 وفيه أيضا مسائل (الاولى) ليس للانسان فيه وجهان (أحدهما) انه عام وهو الحق وقيل

فعلية وزرها ووزر من
 عمل بها الى يوم القيامة
 فان ذلك وزر الاضلال
 الذي هو وزره وقوله تعالى
 (وان ليس للانسان الا
 ما سعى) بيان لعدم انتفاع
 الانسان بعمل غيره من
 حيث جلب النفع اليه اثر
 بيان عدم انتفاعه به من
 حيث دفع الضرر عنه
 واما شفاعة الانبياء عليهم
 السلام واستغفار الملائكة
 عليهم السلام ودعاء
 الاحياء للاموات
 وصدقهم عنهم وغير
 ذلك مما لا يكاد يحصى
 من الامور النافعة
 للانسان مع انها ليست
 من عمله قطعا فحيث كان
 مناطة منعمة كل منها
 عمله الذي هو الايمان
 والصلاح ولم يكن لشي
 منها نفع ما بدونه جعل
 النافع

عليه بان في الاخبار ان ما يأتي به القريب من الصدقة والصوم يصل الى الميت والنداء
 أيضا نافع فللإنسان شيء لم يسع فيه وأيضا قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
 وهي فوق ماسعى والجواب عنه أن الإنسان ان لم يسع في أن يكون له صدقة القريب
 بالايمن لا يكون له صدقة فليس له الاماسعى وأما الزيادة فتقول الله تعالى لما وعد الحسن
 بالامثال والعشرة وبالأضعاف المضاعفة فاذا أتى بحسنة راجيا أن يوتيها الله مائة ففضل
 به قدسعى في الامثال فان قيل أتم اذن حملتم السعى على المبادرة الى الشيء يقال سعى
 في كذا اذا أسرع اليه والسعى في قوله تعالى الاماسعى معناه العمل يقال سعى فلان أي
 عمل ولو كان كما ذكرتم لقال الاماسعى فيه نقول على الوجهين جميعا لا بد من زيادة فان قوله
 تعالى ليس للإنسان الاماسعى ليس المراد منه ان له عين ماسعى بل المراد على ما ذكرت ليس له
 الاثواب ماسعى أو الأجر ماسعى أو يقال بان المراد ان ماسعى محفوظ له مصون عن الاحباط
 فاذا نفعه يوم القيامة (الوجه الثاني) أن المراد من الإنسان الكافر دون المؤمن وهو
 ضعيف وقيل بان قوله ليس للإنسان الاماسعى كان في شرع من تقدم ثم ان الله تعالى لم يخنه
 في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وجعل للإنسان ماسعى وما لم يسع وهو باطل اذا حاجته الى
 هذا التكلف بعد ما بان الحق وعلى ما ذكره قوله ماسعى مبق على حقيقته معناه له عين
 ماسعى محفوظ عند الله تعالى ولا نقصان يدخله ثم يجزى به كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
 خيرا يره (المسئلة الثانية) ان ما خبره أو مصدرية تقول كونها مصدرية أظهر بدليل
 قوله تعالى وأن سعيه سوف يرى أي سوف يرى السعى والمصدر للمفعول يجي كثيرا يقال
 هذا خلق الله أي مخلوقه (المسئلة الثالثة) المراد من الآية بيان ثواب الاعمال الصالحة
 او بيان كل عمل تقول المشهور أنها لكل عمل فالخير مثاب عليه والشمر معاقب به والظاهر
 انه لبيان الخيرات يدل عليه اللام في قوله تعالى للإنسان فان اللام لعود المنافع وعلى لعود
 المضارة تقول هذا وهذا عليه ويشهد له ويشهد عليه في المنافع والمضار والقائل الاول
 أن يقول بان الامرين اذا اجتمعا غلب الافضل كجموع السلامة تذكرا اذا اجتمعت
 الاثام مع الذكور وايضا يدل عليه قوله تعالى ثم يجزاه الجزاء الاوفى والافى لا يكون الا
 في مقابلة الحسنة وأما في السبئية فالمثل أو دونه أو العفو بالكلية (المسئلة الرابعة) الا
 ماسعى بصيغة الماضي دون المستقبل لزيادة الحث على السعى في العمل الصالح وتقريره
 هو انه تعالى لو قال ليس للإنسان الاماسعى تقول النفس اني أصلي خدا كذا ركعة
 واتصدق بكذا درهم ثم يجعل مثبنا في صحيفتي الآن لانه أمر يسعى فيه وله ما يسعى فيه
 فقال ليس له الاماسعى وحصل وفرغ منه وأما تسويلات الشيطان وعداته فلا اعتقاد
 عليهما ثم قال تعالى (وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى) أي يعرض عليه
 ويكشف له من أريته النبي وفيه بشارة للمؤمنين على ما ذكرنا وذلك ان الله يريه أعماله
 الصالحة ليفرح بها أو يكون يرى ملائكته وسائر خلقه ليقتنر العامل به على ما هو

نفس عمله وان كان
 بانضمام عمل غيره اليه
 وان مخففة كاختها
 معطوفة عليها وكذا
 قوله تعالى (وأن سعيه
 سوف يرى) أي يعرض
 عليه ويكشف له يوم
 القيامة في صحيفته وميرانه
 من أريته النبي (ثم يجزاه)
 أي يجزي الإنسان سعيه
 يقال جزاه الله بعمله
 وجزاه على عمله وجزاه
 عمله بخلاف الجار وابصال
 الفعل ويجوز ان يجعل
 الضمير للجزاه ثم يفسر قوله
 تعالى (الجزاء الاوفى)
 او يبذل هو عنه كما في
 قوله تعالى وأسروا
 اتجوى الذين ظلموا

المشهور وهو مذكور لفرح المسلم ولحزن الكافر فان سعيه يرى الخلق ويرى لنفسه
ويحتمل ان يقال هو من رأى يرى فيكون كقوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله وفيها وفي الآية التي بعدها مسائل (الاولى) العمل كيف يرى بعد وجوده
ومضيه نقول فيه وجهان (أحدهما) يراه على صورة جميلة ان كان العمل صالحا
(ثانيهما) هو على مذهبا غير بعيد فان كل موجود يرى والله قادر على اعادة كل معدوم
فبعد العمل يرى وفيه وجه ثالث وهو ان ذلك مجاز عن الثواب يقال سسترى احسانك
عند الملك أى جزاءه عليه وهو بعيد لما قال بعده ثم يجرأ الجزاء الاوفى (المسئلة الثانية)
الهاء ضمير السعى أى ثم يجرى الانسان سعيد بالجزاء والجزاء يتعدى الى مفعولين قال
تعالى وجزاءهم بما صبروا الجنة وحريرا ويقال جزاك الله خيرا ويتعدى الى ثلاث
مفاعيل بحرف يقال جزاء الله على عمله الخير الجنة ويخذف الجار ويوصل الفعل
فيقال جزاء الله عمله الخير الجنة هذا وجه وفيه وجه آخر وهو ان الضمير الجزاء وتقديره
ثم يجرى جزاء ويكون قوله الجزاء الاوفى تفسيراً أو بدلا مثل قوله تعالى وأسروا النجوى
الذين ظلموا فان التقدير والذين ظلموا أسروا النجوى الذين ظلموا والجزاء الاوفى على
ما ذكرنا يليق بالمؤمنين الصالحين لانه جزاء الصالح وان قال تعالى فان جهنم جزاؤكم
جزاء موفورا وعلى ما قيل يجب ان الاوفى بالنظر اليه فان جهنم ضررها أكثر بكثير
من نفع الآثام فهي في نفسها أوفى (المسئلة الثالثة) ثم تراخى الجزاء أو تراخى الكلام
أى ثم نقول يجرأ فان كان تراخى الجزاء فكيف يؤخر الجزاء عن الصالح وقد ثبت أن
الظاهر أن المراد منه الصالح نقول الوجهان محتملان وجواب السؤال هو أن الوصف
بالاوفى يدفع ما ذكرت لان الله تعالى من أول زمان يموت الصالح يعجز به جزاء هلى خبره
ويؤخره الجزاء الاوفى وهى الجنة أو نقول الاوفى اشارة الى الزيادة فصار كقوله تعالى
للذين أحسنوا الحسنى وهى الجنة وزيادة وهى الرؤية فكأنه تعالى قال وأن سعيه سوف
يرى ثم يرزق رؤية وهذا الوجه يليق بتفسير اللفظ فان الاوفى مطلق غير مبين فلم يقل أوفى
من كذا فينبغى أن يكون أوفى من كل واف ولا يتصف به غير رؤية الله تعالى (المسئلة
الرابعة) في بيان لطائف في الآيات (الاولى) قال في حق المسمى لاتزر وازرة وزر أخرى
وهو لا يدل الاعلى عدم الحمل عن الازرة وهذا يلزم منه بقاء الوزر عليهما من ضرورة
اللفظ لجواز أن يسقط عنها ويحواله ذلك الوزر فلا يبقى عليها ولا يتحمل عنها غيرها
ولو قال لاتزر وازرة الاوزر نفسها كان من ضرورة الاستثناء انها تزر وقال في حق المحسن
ليس للانسان الاماسعى ولم يقل ليس له مالم يسم لان العبارة الثانية ليس فيها ان له ماسعى
وفي العبارة الاولى أن له ماسعى نظرا الى الاستثناء وقال في حق المسمى بعبارة لاتقطع
رجاءه وفي حق المحسن بعبارة تقطع خوفه كل ذلك اشارة الى سبق الرحمة الغضب ثم
قال تعالى (وان لى ربك المنتهى) القراءة المشهورة فتح الهمة على العطف على ما يعنى ان

(وان الى ربك المنتهى)
أى انتهائ الخلق
ورجوعهم اليه تعالى
لا الى غيره استقلالاً ولا
اشتراكاً وقرئ يكسر
ان على الاستثناء

هذا أيضا في الصحف وهو الحق وقرئ بالكسر على الاستئناف وفيه مسائل (الاولى)
 ما المراد من الآية قلنا فيه وجهان (أحدهما) وهو المشهور ببيان المعاد أي للناس بين
 يدي الله وقوف وعلى هذا فهو يتصل بما تقدم لأنه تعالى لما قال ثم يجزاه كان قائلًا قال
 لا ترى الجزاء ومتى يكون فقال ان المرجم الى الله وعند ذلك يجازى الشكور ويجزى
 الكفور (وثانيهما) المراد التوحيد وقد فسر الحكماء أكثر الآيات التي فيها الانتهاه
 والرجوع بما سنده كره غير ان في بعضها تفسيرهم غير ظاهر وفي هذا الموضع ظاهر فنقول
 هويان وجود الله تعالى ووحدانيته وذلك لانك اذا نظرت الى الموجودات الممكنة
 لا تجد لها بدا من موجود ثم ان موجودها ربما يظن انه ممكن آخر كالحرارة التي تكون
 على وجه يظن انها من اشراق الشمس أو من النار فيقال الشمس والنار ممكنتان فم
 وجودهما فان استندنا الى ممكن آخر لم نجد العقل بدا من الانتهاه الى غير ممكن فهو واجب
 الوجود فاليه ينتهي الامر غالب هو المنتهى وهذا في هذا الموضع ظاهر معقول موافق
 للنقول فان المروي عن أبي بن كعب انه قال عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وان
 الى ربك المنتهى لافكرة في الرب أي انتهى الامر الى واجب الوجود وهو الذي
 لا يكون وجوده بوجود غيره ومنه كل وجود وقال أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 اذا ذكر الرب فانتهاه وهو محتمل لما ذكرنا وأما بعض الناس فيبالغون في تفسير كل آية
 فيها الرجعي والنتهي وغيرهما بهذا التفسير حتى قيل اليه يصعد الكلم الطيب بهذا
 المعنى * هذا دليل الوجود وأما دليل الوحدانية فنحن حيث ان العقل انتهى الى واجب
 الوجود من حيث انه واجب الوجود لانه لو لم يكن واجب الوجود لما كان منتهى بل
 يكون له موجد قبله فالنتهي هو الواجب من حيث انه واجب وهذا المعنى واحد
 في الحقيقة والعقل لانه لا بد من الانتهاه الى هذا الواجب أو الى ذلك الواجب فلا يثبت
 للواجب معنى غير انه واجب فيبعد اذا وجوبه «لو كان واجبان في الوجود لكان كل
 واحد قبل المنتهى لان المجموع قبله الواجب فهو المنتهى وهذان دليلان ذكرتهما
 على وجه الاختصار (المسئلة الثانية) قوله تعالى الى ربك المنتهى في الخطاب وجهان
 (أحدهما) انه عام تقديره الى ربك أيها السامع أو العاقل (ثانيهما) الخطاب مع النبي
 صلى الله عليه وسلم وفيه بيان صحة دينه فان كل أحد كان يدعى ربا والها لكنه صلى الله
 عليه وسلم لما قال ربى الذي هو أحد وصمد يحتاج اليه كل ممكن فاذا ربك هو المنتهى وهو
 رب الارباب ومسبب الاسباب وعلى هذا القول الكاف أحسن موقفا أما على قولنا ان
 الخطاب عام فهو تهديد يبلغ للشيء وحت شديد للحسن لان قوله أيها السامع كأننا
 مع كان الى ربك المنتهى يفيد الامر ين أفادة بالغة حد الكمال وأما على قولنا
 الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فهو تسلية اقلية كأنه يقول لا تحزن فان المنتهى الى الله
 فيكون كقوله تعالى فلا تحزنك قولهم اننا نعلم ما يسرون وما يعلنون الى أن قال تعالى

في آخر السورة واليه ترجعون وأمثلة كثيرة في القرآن (المسئلة الثالثة) اللام على
 الوجه الاول للعهد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أبدا ان مرجعكم الى الله
 فقال وان الى ربك المنتهى الوعود المذكور في القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم
 وعلى الوجه الثاني للمؤمن أي الى الرب كل منتهى وهو مبدأ وعلى هذا الوجه نقول منتهى
 الادراكات المدركات فالانسان أهلا يدرك الاشياء الظاهرة ثم عن النظر فينتهي الى
 الله فينتف عنه ثم قال تعالى (وأنه هو اضحك وأبكي) وفيه مسائل (الاولى) على قولنا
 اليه المنتهى المراد منه اثبات الوجدانية هذه الآيات مثبتات لمسائل يتوقف عليها
 الاسلام من جلته اقدرة لله تعالى فان من الغلظة من يعترف بان الله المنتهى وانه واحد
 لكن يقول هو موجود لا تقدر يقال تعالى هو أوجد ضددين الضحك والبكاء في محل
 واحد والموت والحياة والمذكورة والاوشة في مادة واحدة وان ذلك لا يكون الامر قادر
 واعترف به كل عاقل وعلى قولنا ان قواد تعالى وان الى ربك المنتهى بيان المعاد فهو اشارة
 الى بيان أمره فهو كما كون في بعضها اضا كافرعا وفي بعضها با كما محزوننا كذلك يفعل
 به في الآخرة (المسئلة الثانية) اضحك وأبكي لا متعول لهما في هذا الموضوع لانهما
 مسوقتان لندرة الله لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المنعول يقول القائل فلان بيده
 الاخذ والاعطاء يعطي وينعم ولا يريد رعا مطي (المسئلة الثالثة) اختار هذين الوصفين
 للذكري والاني لانهما امران لا يعقلان فلا يقصرا حسن الطبيعيين أن يندى في اختصاص
 الانسان بالضحك والبكاء وجها وسببا واقا لم يعقل بامر ولا يبدله من موجود فهو لله
 تعالى بخلاف السمكة والسقم فهنم يقولون سببهما اختلال المزاج وخروجه عن
 الاعتدال وبذلك على هذا انهم اذا ذكروا في الضحك أمر الهد الضحك قالوا قوة التعجب
 وهو في غاية ابطلان لان الانسان ربما يبهت عند رؤية الامور العجيبة ولا يضحك وقيل
 قوة الفرح وليس كذلك لان الانسان يفرح كثيرا ولا يضحك والحزين الذي عنده غاية
 الحزن يضحك المضحك وكذلك الامر في البكاء وان قيل لاكثرهم علما بالامور التي يدعها
 الطبيعيون ان خروج الدمع من العين عند امور مخصوصة لماذا لا يقدر على تعليل صحيح
 وعند الخواص كالتى في المغناطيس وغيرها ينقطع الطبيعي كما ان عند اوضاع الكواكب
 ينقطع هو والمهندس الذي لا يفوض أمره الى قدرة الله تعالى وارادته ثم قال تعالى
 (وأنه هو أمات وأحيى) والبحث فيه كما في الضحك والبكاء غير أن الله تعالى في الاول بين
 خاصة النوع الذي هو اخص من الجنس فانه أظهر وعن التعليل أبعث ثم عطف عليه
 ما هو اعم منه ودونه في البعد عن التعليل وهي الامانة والاحياء وهما صفتان متضادتان
 أي الموت والحياة كالضحك والبكاء والموت على هذا ليس بمجرد العدم والالكان المشع
 مينا وكيفما كان فالامانة والاحياء أمر وجودى وهما من خواص الحيوان ويقول
 الطبيعي في الحياة لاعتدال المزاج والمزاج من أركان متضادة هي النار والهواء والماء

(وأنه هو اضحك
 وأبكي) أي هو خلق
 فوق الضحك والبكاء
 (وأنه هو أمات وأحيى)
 لا يقدر على الامانة
 والاحياء غيره فان اثر
 القاتل نفص البينة
 وتفرق الاتصال وانما
 يحصل الموت عنده
 بفعل الله تعالى على
 العادة

والتراب وهي متداعبة الى الانفكاك وما لا تركيب فيه من المتضادات لاموت له لان المتضادات كل أحد يطلب مفارقة مجاوره فقال تعالى الذي خلق ومزج العناصر وحفظها مدة قادر على أن يحفظها أكثر من ذلك فاذا مات فليس عن ضرورة فهو يفعل فاعل مختار وهو الله تعالى فهو الذي أمات وأحيا فان قيل متى أمات وأحيا حتى يعلم ذلك بل مشاهدة الاحياء والامانة بناء على الحياة والموت نقول فيه وجوه (احدها) أنه على التقديم والتأخير كأنه قال أحيا وأمات (ثانيها) هو بمعنى المستقبل فان الامر قريب يقال فلان وصل واللبل دخل اذا قرب مكانه وزمانه فكذلك الاحياء والامانة (ثالثها) أمات أى خلق الموت والجود في العناصر ثم ركبها وأحيا أى خلق الحس والحركة فيها ثم قال تعالى (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) وهو أيضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فبعضها يتخلق ذكرا وبعضها انثى لا يصل اليه فهم الطبيعي الذي يقول انه من البرد والرطوبة في الانثى فرب امرأة أليس مزاجا من الرجل وكيف واذا نظرت في المميزات بين الصغير والكبير تجدها امور اعجبية منها نبات اللحية وأقوى ما قالوا في نبات اللحية انه م قالوا الشمس ومكونه من بخار دخان يهدر الى المسام فاذا كانت المسام في غاية الرطوبة والخلل كما في مزاج الصبي والمرأة لا ينبت الشعر لخروج تلك الادخنة من المسام الرطبة بسهولة قبل أن يتكون شعرا واذا كانت في غاية اليبوسة والتكاثف ينبت الشعر لعسر خروجه من المخرج الضيق ثم ان تلك المواد تجذب الى مواضع مخصوصة فتدفع أما الى الرأس فتدفع اليه لانه مخلوق كعبة فوق الابخرة والادخنة فتصاعد اليه تلك المواد فلهذا يكون شعر الرأس أكثر وأطول ولهذا في الرجل مواضع تجذب اليها الابخرة والادخنة منها الصدر لحرارة القلب والحرارة تجذب الرطوبة كالسراج للزيت ومنها بقرب آلة التناسل لان حرارة الشهوة تجذب أيضا ومنها اللحيان فانها كثيرة الحركة بسبب الاكل والكلام والحركة أيضا جاذبة فاذا قبل اهم والسبب الموجب لتلازم نبات شعر اللحية وآلة التناسل فانها اذا قطعت لم تنبت اللحية وما الفرق بين سن الصباوسن الشباب وبين المرأة والرجل ففي بعضها يبهت وفي بعضها يتكلم بامور واهية ووفوضها الى حكمة الهية لكان أولى وفيه مسألان (الاولى) قال تعالى وان خلق ولم يقل وان خلق كما قال وان هو أضحك وأبكى وذلك لان الضحك والبكاء ربما يتوهم متوهم انه بفعل الانسان وفي الامانة والاحياء وان كان ذلك التوهم بعيدا لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج ابراهيم الخليل عليه السلام حيث قال أنا حبي وأميت فاكد ذلك بذكر الفصل وأما خلق الذكر والانثى من النطفة فلا يتوهم أحدانه بفعل أحد من الناس فلم يؤكده بالفصل الأثرى الى قوله تعالى وان هو أغنى وأقنى حيث كان الاغناء عندهم غير مستند الى الله تعالى وكان في معتقدهم ان ذلك بفعلهم كما قال قارون انما أوتيته على علم عندي ولذلك

(وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى)

قال وانه هورب الشعري لانهم كانوا يستعدون أن يكون رب محمد هورب الشعري
 فاكد في مواضع استبعادهم النسبة الى الله تعالى الاستناد ولم يوه كده في غيره (المسئلة
 الثانية) الذكر والانثى اسمان هما صفة أو اسمان ليسا بصفة المشهور عند أهل اللغة
 الثاني والظاهر وانهما من الاعمال التي هي صفات فان ذكر كالحسن والعرب والانثى كالحبلى
 والكبرى وانما قلنا انها صفة كالحبلى في رأى لانها حيالها النشأ لا كالكبرى وان
 قلنا انها كالكبرى في رأى وانما قلنا بان الظاهر انها صفتان لان الصفة ما يطلق على
 شئ ثبت له أمر كالعالم يطلق على شئ له عمل والمحرك يقال لشيء له حركة بخلاف الشجر والحجر
 فان الشجر لا يقال لشيء بشرط ان ثبت له أمر بل هو اسم موضوع بمعنى معين والذكر اسم
 يقال لشيء له أمر ولهذا يوصف به ولا يوصف بالشجر يقال جاءني شخص ذكر او انسان
 ذكر ولا يقال جسم شجر والذي ذهب الى انه اسم غير صفة انما ذهب اليه لانه لم يره
 فعلا والصفة في الغالب فعل كالعالم والجاهل والحسن والعرب والكبرى والحبلى
 وذلك لا يدل على ما ذهب اليه لان الذكورة والانوثة من الصفات التي لا يتبدل بعضها
 ببعض فلا يصاغ لها افعال لان الفعل لما يتوقف له تجديد في صورة الغالب ولهذا لم
 يوجد للاضافيات افعال كالأبوة والبنوة والاختوة اذ لم تكن من الذي يتبدل ووجد
 للاضافيات المتبدلة افعال يقال وانما وتيناه للمم يكن مثلنا بتكلف فقبل التبدل
 * وقوله تعالى (من نطفة) أى قطعة من الماء * وقوله تعالى (اذاتنى) من أمى المئى اذا
 نزل أو من منى معنى اذا قدر وقوله تعالى من نطفة تنبيه على كمال القدرة لان النطفة
 جسم متناسب الاجزاء ويخلق الله تعالى منه أعضاء مختلفة وطبعا متباينة وخلق
 الذكر والانثى منها أعجب ما يكون على ما بيننا ولهذا لم يقدر أحد على أن يدعيه
 كالم يقدر أحد على أن يدعى خلق السموات ولهذا قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم
 ليقولن الله كما قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله * ثم قال تعالى
 (وأن عليه النشأة الاخرى) وهى في قول أكثر المفسرين إشارة الى الحشر والذي ظهر لى
 بعد طول التفكير والسؤال من فضل الله تعالى الهداية فيه الى الحق انه يحتمل أن يكون
 المراد نفع الروح الانسانية فيه وذلك لان النفس الشريفة لا الامارة تخالط الاجسام
 الكثيفة المظلمة وبها كرم الله بنى آدم واليد الاشارة في قوله تعالى فكسونا العظام لحسا
 ثم انشأناهم خلقا آخر غير خلق النطفة عتقة والعلة مضعفة والمضعفة عظاما وهذا الخلق
 الآخر تميز الانسان عن انواع الحيوانات وشارك الملك في الادراكات فكما قال
 هنالك انشأناهم خلقا آخر بعد خلق النطفة قال ههنا وأن عليه النشأة الاخرى فجعل
 نفع الروح نشأة أخرى كما جعله هنالك انشاء آخر والذي أوجب القول بهذا هو ان قوله
 تعالى وأن الى ربك المنتهى عند الاكثرين ابيان الاعادة وقوله تعالى ثم يجزاه الجزاء
 الاوفى كذلك فيكون ذكر النشأة الاخرى اعادة ولانه تعالى قال بعد هذا وانته هو اعنى

من نطفة اذاتنى) تدفق
 في الرحم او تخلق او يقدر
 منها الولد من منى بمعنى
 قدر (وان عليه النشأة
 الاخرى) اى الاحياء
 بعد الموت وقا بوعده
 وقرى النشأة بالمدوهى
 ايضا مصدر نشأه

وأقنى وهذا من أحوال الدنيا وعلى ما ذكرنا يكون الترتيب في غاية الحسن فإنه يقول تعالى خلق الذكر والانثى ونفخ فيهما الروح الانسانية الشريفة ثم أغناه بلبن الام وبنقته الاب في صغره ثم أغناه بالكسب بعد كبره فان قيل فقد وردت النشأة الاخرى للعشر في قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرى نقول الاخرة من الاخر لان الاخر لان الاخر اقبل وقد تقدم على ان هناك لما ذكر البدء حل على الاعادة ومهنا ذكر خلقه من نطفة كافي قوله ثم خلقنا النطفة حلقة ثم قال انشأناه خلقا آخر وفي الآية مسائل (المسئلة الاولى) على الوجوب ولا يجب على الله الاعادة فسامعنى قوله تعالى بأن عليه قال الرختمى على ما هو مذهب طلبة هقلا فان من الحكمة الجزاء وذلك لانهم الاياضر فيجب عليه عتلا الاعادة من لانتقول بهذا القول ونقول فيه وجهان (الاول) عليه يحكم الوعد فانه تعالى قال ان نحن نحبى الوقى فعليه يحكم الوعد لا يعقل ولا ياشرع (الثانى) عليه للعين فان من حضر بين جمع وحاولوا أمر او عجز الله يقال وجب عليك ذن أو تفعله أى ميثاقه (المسئلة الثانية) قرى انشاء على المصدر كاعترى يفتى وزن فمسلة وهى انشاء تقول ظهر يتهضربين اى مرة بعد مرة بمعنى النشأة مرة اخرى عليه وقرى انشاء بالمصدر على وزن فعانة كالكفالة وكيفما قرى فهى من نشأ وهو لازم وكان الواجب أن يقال عليه الانشاء لان النشأة تقول فيه فائدة وهى ان الجزم يحصل من هذا بوجود الخلق مرة اخرى ولو قال عليه الانشاء ربما يقول قائل الانشاء من باب الاجلاس حيث يتقل فى السعة أجلسته فاجلس وأقعد فاقام ف يقال انشاء وما نشأ أى قصده ليشأ ولم يوجد فاذا قال عليه النشاء أى يوجد النشأ ويحققه بحيث يوجد جزما (المسئلة الثالثة) هن بين قول القائل عليه النشاء مرة اخرى وبين قوله عليه النشاء الاخرى فرق نقول نعم إذ قال سلبه النشاء مرة اخرى لا يكون النشأ قد علم أولا واذا قال عليه النشاء الاخرى يكون قد علم حقيقة النشأة الاخرى فتقول ذلك المعلوم عليه ثم قال تعالى (وأنه هو أغنى واقنى) وقد ذكرنا تفسيره فتقول أغنى بمعنى دفع حاجته ولم يتركه محتاجا لان الفقير فى مقابلة لغنى فمن لم يبق فقيرا بوجه من الوجوه فهو غنى مطلقا ومن لم يبق فقيرا من وجه فهو غنى من ذلك الوجه قال صلى الله عليه وسلم أغنوهم عن المسئلة فى هذا اليوم وحل ذلك على زكاة الفطر ومعناه اذا اتاه ما احتاج اليه وقوله تعالى اقنى معناه وزاد عليه الاغناء فوق الاغناء والذي عندى ان الحروف متناسئة فى المعنى فتقول لما كان يخرج القاف فوق مخرج العين جعل الاغناء لحالة فوق الاغناء وعلى هذا فالاغناء هو ما آتاه الله من العين والاسان وهدها الى الارتضاع فى صباه أو هو ما أعطاه الله تعالى من القوة واللباس المحتاج اليهما وفى الجملة كل ما دفع الله به الحاجة فهو اغناء وكل ما زاد عليه فهو اقناء * ثم قال تعالى (وأنه هو رب الشعرى) اشارة الى فساد قول قوم آخرين وذلك لان بعض

(وأنه هو أغنى واقنى)
واعطى التقية وهى ما تأمل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال اوارضى وتحتبه جعل الرضاه فنية (وأنه هو رب الشعرى) أى رب معبودهم وهى العبور وهى أشد ضياء من الغميصاء وكانت خراصة تعبدها سن لهم ذلك ابو كيشة رجل من أشرفهم وكانت قرىش تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كيشة تشبهه الله عليه الصلاة والسلام به لخالفه اياهم فى دينهم

الناس يذهب الى أن الفقر والغنى يكسب الانسان واجتهاده فن كسب استغنى ومن كسل افتقر و بعضهم يذهب الى ان ذلك باليخت وذلك بالنجوم فقال هو أغنى وأفتى وان قائل الغنى بالنجوم غلط فنقول هورب النجوم وهو محر كها كما قال تعالى هورب الشعرى وقوله هورب الشعرى لانكارهم ذلك أكد بالفصل والشعرى نجم مضي وفي النجوم شعر يان احدهما شامية والاخرى يمانيه والظاهر أن المراد اليمانية لانهم كانوا يعبدونها * ثم قال تعالى (وانه اهلك عاد الاولى) لما ذكر انه اغنى وأفتى وكان ذلك بفضل الله لا بسطاء الشعرى وجب اشكر ان قد اهلك وكني لهم دليلا حال عاد وثمود وغيره وعادا الاولى قبل بالاولى تميزت عن قوم كانوا بركة هم عاد الاخرة وقبل الاولى لبيان تقدمهم لا تميزهم تفوق زيد العالم جهاني فتصفه بالتميزه ولكن لتبين علمه وفيه قرأت عاد الاولى بكسر نون التنوين لالتقاء الساكنين وعاد الاولى باسقاط نون التنوين أيضا لالتقاء الساكنين كذراة عن يربن الله وقل هو الله أحد الله الصمد وعاد الاولى بادغام النون في اللام ونقل ضمة الهزة الى اللام وعاد الاولى بمنز الواو وقرأ هذا القاري على سؤقه وداليه ضعيف وهو يحتمل هذا في موضع المؤقدة والمؤصدة للضمة والواو فمضى من هذا الموضع تجرى على الهزة وكذا في سؤقه لوجود الهزة في الاصل وفي موسى وقوله لا يحسن * ثم قال تعالى (وثمود فأتى) يعني وأهلك ثمود وقوله فأتى عائدا الى عاد وثمود أي فأتى عليهم ومن المعسرين من قال فأتى بقاهم أي فأتى منهم أحدا ويؤيد هذا قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وتمسك الجراح لي من قال ان ثقيفا من ثمود بقوله تعالى فأتى * (وقوم نوح) أي اهلكهم (من قبل) والسئلة مشهورة في قبل وبعد تقطع عن الاضافة فتصير كالغاية فتبنى على الضمة أما البناء فلتضمنه الاضافة وأما على الضمة فلانها لو بنيت لي الفحة لكان قدأبت فيه ما يستحبه بالاعراب من حيث انها ظروف زمان فتستحق النصب والقبح مثله واو بنيت على الكسر لكان الامر على ما يقتضيه الاعراب وهو الجر بالجار فبنى على ما يخالف حالتى اعرابها * وقوله تعالى (انهم كانوا هم اظلم وأظنى) اما اظلم فلانهم هم البادئون به المتقدمون فيد ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والبادى اظلم وأما اظنى فلانهم سمعوا المواعظ وطال عليهم الامد ولم يرتدوا حتى دعا عليهم نبيهم ولا يدعونني على قومه الابد الاصرار العظيم والظلم واضع الشيء في غير موضعه والظلم في الجواز الحد فالظلم في الظلم فهو كالغاي والمخالف فان المخالف مغاير مع وصف آخر زائد وكذا المغاير والمضاد وكل ضد غير وليس كل غير ضد او عليه سؤال وهو ان قوله وقوم نوح المقصود منه تخويف الظالم بالهلاك فاذا قال هم كانوا في غابة الظلم والظلميان فاهلكوا يقول الظالم هم كانوا اظلم فاهلكوا لمبالغتهم في الظلم ونحن ما لغنا فلانها لك وأما وقل اهلكوا لانهم ظلمة تخاف

(وانه اهلك عاد الاولى) هي قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القديما لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرى عاد الاولى بحذف الهزة ونقل ضمها الى اللام وعاد اولى بادغام التنوين في اللام وطرح هزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف (وثمود) عطف على عاد لان ما بعده لا يعمل فسه وقرى وثمود بالتنوين (فأتى) أي أحدا من الفريقين (وقوم نوح) عطف عليه أيضا (من قبل) أي من قبل اهلاك عاد وثمود (انهم كانوا هم اظلم وأظنى) من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يجذرون صبيانهم أن يسموا منه وكانوا يضر بونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون به حراك وماثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة

بعد ان رفعها على جناح
جبريل عليه السلام إلى
السماء (فشاها ما غشى)
من فنون العذاب وفيه
من انهويل والتفطيم
مالا فاية وراهه (قبأى
الامر بك تخارى) تشكك
والخطاب للرسول عليه
الصلاة والسلام على
طريقة قوله تعالى ان
اشركت ليجنطن عمالك
اولكل احدوا سناد فعل
التخارى إلى الواحد
باعتبار تعدده بحسب
تعدد متعلقه فان صيغة
التفاعل وان كانت
موضوعه لا فاعله صدور
الفعل عن التعدد
ووقوعه عليه بحيث
يكون كل من ذلك فاعلا
ومفعولا معا لكنها
قد تجرد عن المعنى الثاني
فيرا فيها المعنى الاول
فقط كما في تداعونهم أي
يدعونهم وقد تجرد عنهم
ايضا فيكون في تعدد الفعل
تعدد متعلقه كما فيما نحن
فيه فان المراد متعدد بتعدد
الاء قدير وتسمية
الامور المقودرة الاء مع
ان بعضها نغم لما أنها
ايضا نغم من حيث انها
نصرة للانبياء والمؤمنين

كل ظالم فإل فائدة في قوله أظلم نقول المقصود بيان شدتهم وقوة أجسامهم فانهم لم
يقدموا على الظلم والطغيان الشديد الاتجاديهم وطول أعمارهم ومع ذلك ما نجا أحد
منهم فأحال من هودونهم في العمر والقوة فهو كقوله تعالى أشد منهم بطشا وقوله تعالى
(المؤتفكة أهوى) المؤتفكة المنقلبة وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قري المؤتفكات
والشهور فيه انها قري قوم لوط لكن كانت لهم مواضع أتفكت فهي مؤتفكات
ويحتمل أن يقال المراد كل من انقلبت مساكنه ودثرت اما كنه وان هذا ختم المهلكين
بالمؤتفكات كمن يقول مات فلان وفلان وكل من كان من أمثالهم وأشكالهم (المسئلة
الثانية) أهوى أي أهواها بمعنى أسقطها فقبل أهواها من الهوى إلى الأرض من
حيث جعلها جبريل عليه السلام على جناحه ثم قلبها وقيل كانت عمارتهم سر تفعة
فأهواها بالزلزلة وجعل عاليها سافلها (المسئلة الثالثة) قوله تعالى والمؤتفكة أهوى على
ما قلت كقول القائل والمنقلبة قلبها وقلب المنقلب تحصيل الحاصل نقول ليس معناه
المنقلبة ما انقلبت بنفسها بل الله قلبها فانقلبت (المسئلة الرابعة) ما الحكمة في
اختصاص المؤتفكة باسم الموضوع في الذكر وقال في عاد وثمود وقوم نوح اسم القوم
نقول الجواب عنه من وجهين (أحدهما) ان ثمود اسم الموضوع فذكر عاد باسم القوم
وثمود باسم الموضوع وقوم نوح باسم القوم والمؤتفكة باسم الموضوع ليعلم أن القوم لا يمكنهم
صون أماكنهم عن عذاب الله تعالى ولا الموضوع يحصن القوم عنه فان في العادة تارة
يقوى الساكن فيذب عن مسكنه وأخرى يقوى المسكن فيذب عن ساكنه وعذاب الله
لا يمنع مانع وهذا المعنى حصل للمؤمنين في آيتين (أحدهما) قوله تعالى وكف أيدي
الناس عنكم وقوله تعالى وظنوا أنهم ما منهم حصونهم من الله في الاول لم يقدر
الساكن على حفظ مسكنه وفي الثاني لم يقو الحصن على حفظ الساكن (والوجه
الثاني) هو ان عادا وثمود وقوم نوح كان أمرهم متقدما وأماكنهم كانت قد دثرت
ولكن أمرهم كان مشهورا متواترا وقوم لوط كانت مساكنهم وآثار الانقلاب فيها
ظاهرة فذكر الاظهر من الامر في كل قوم ثم قال تعالى (فشاها ما غشى) يحتمل أن
يكون ما مفعولا وهو الظاهر ويحتمل أن يكون فاعلا يقال ضربه من ضربه وعلى هذا
نقول يحتمل أن يكون الذي غشى هو الله تعالى فيكون كقوله تعالى والسماء وما بناها
ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى سبب غضب الله عليهم أي غشاها عليهم السبب بمعنى
ان الله غضب عليهم بسببه يقال لمن أغضب ملكا بكلام فضير به الملك كلامك الذي
ضربك ثم قال تعالى (قبأى الأمر بك تخارى) قيل هذا أيضا مما في الصحف وقيل هو
ابتداء كلام والخطاب عام كانه يقول بأى التيم أيها السامع تشك أو تجادل وقيل هو
خطاب مع الكافر ويحتمل أن يقال مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقال كيف يجوز
أن يقول للنبي صلى الله عليه وسلم تخارى لاننا نقول هو من باب لئن أشركت ليجنطن

هذا نذير من العذر الاول بهذا الاشارة الى القران والتذير مصدر اولى الرسول عليه الصلاة والسلام والتذير
 بمعنى المنذر واما ما كان فالتوبن للتخيم ومن ﴿ ٧٧٧ ﴾ متعلقة بمحذوف هونعت لتذير مقرره ومضمن للوعيد أى

هذا القران الذى
 تشهدونه نذير من
 قبيل الانتقارات المتقدمة
 التى سمعتم عاقبتها
 وهذا الرسول منذر من
 جنس المنذرين الاولين
 والاولى على تأويل
 الجماعة لمراعاة الفواصل
 وقد علمت احوال قومهم
 المنذرين وفى تعقيب
 بقوله تعالى (أزفت
 الآزفة) اشعار بان
 تعذيبهم مؤخر الى يوم
 القيامة أى ذنت الساعة
 الموصوفة بالدنو فى نحو
 قوله تعالى اقتربت
 الساعة (ليس لها من
 دون الله كاشفة) أى
 ليس لها نفس قادرة على
 كشفها عند وقوعها
 الا الله تعالى لكنه
 لا يكشفها أو ليس لها
 الآن نفس كاشفة
 بتأخيرها الا الله تعالى فانه
 المؤخر لها وليس لها
 كاشفة لوقتها الا الله تعالى
 كقوله تعالى لا يجليها
 لوقتها الا هو أو ليس
 لها من غير الله تعالى
 كشف على أن كاشفة
 مصدر كالعافية (أفنى
 هذا الحديث) أى القران

علاك يعنى لم يبق فيه امكان الشك حتى ان فارضا لو فرض النبي صلى الله عليه وسلم
 يشك أو يجادل فى بعض الامور الخفية لما كان يمكنه المراء فى نعم الله والعموم هو الصحيح
 كانه يقول باى آلاء ربك تتمارى أيها الانسان كما قال يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم
 وقال تعالى وكان الانسان أكثر شئ جدلا فان قيل المذكور من قبل نعم والآلاء نعم
 فكيف قال آلاء ربك نقول لما عهد من قبل النعم وهو الخلق من النطفة ونفخ الروح
 الشريفة فيد والافتناء والاقناء وذكر ان الكافر ينعمه اهلاك قال فباى آلاء ربك تتمارى
 فيصيبك مثل ما أصاب الذين تمارى واما من قبل أو نقول لما ذكر الاهلاك قال للشالك أنت
 ما أصابك الذى أصابهم وذلك بحفظ الله اياك فباى آلاء ربك تتمارى وسنبيده بيان فى قوله
 تعالى فباى آلاء ربك تتكذبان فى مواضع العذاب * ثم قال تعالى (هذا نذير من النذر
 الاول) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) المشار اليه بهذا ماذا نقول فيه وجوه (أحدها)
 محمد صلى الله عليه وسلم من جنس النذر الاول (ثانيها) القران (ثالثها) ما ذكره من اخبار
 المهلكين ومعناه حينئذ هذا بعض الامور التى هى منذرة وعلى قولنا المراد محمد صلى الله
 عليه وسلم فالنذير هو المنذر ومن لبيان الجنس وعلى قولنا المراد هو القران يحتمل ان يكون
 النذير بمعنى المصدر ويحتمل ان يكون بمعنى الفاعل وكون الاشارة الى القران بعيدا لفظا
 ومعنى أما معنى فلان قران ليس من جنس الصفح الاولى لانه معجز وتلك لم تكن معجزة
 وذلك لانه تعالى لما بين الوجدانية وقال فباى آلاء ربك تتمارى قال هذا نذيرا اشارة الى
 محمد صلى الله عليه وسلم والبيان للرسالة وقال بعد ذلك أزفت الآزفة اشارة الى القيامة
 ليكون فى الآيات الثلاث المرتبة اثبات أصول ثلاث مرتبة فان الاصل الاول هو الله
 ووجدانيته ثم الرسول ورسالته ثم الحشر والقيامة واما لفظ فلان النذيران كان كاملا
 فاذا ذكره من حكاية المهلكين أولى لانه أقرب ويكون على هذا من بقى على حقيقة التبعض
 أى هذا الذى ذكرنا بعض ما جرى ونبذ ما وقع أو يكون لا بداء انجائية بمعنى هذا انذار
 من المنذرين المتقدمين يقال هذا الكتاب وهذا الكلام من فلان وعلى الاقوال كلها
 ليس ذكر الاول لبيان الموصوف بالوصف وتعبيره عن النذر الآخرة كما يقال الفرقة الاولى
 احترازا عن الفرقة الآخرة وانما هو لبيان الوصف للموصوف كما يقال زيد العالم جاني
 فيذكر العالم اما لبيان ان زيدا عالم غير انك لا تذكره بل لفظ الخبر فتأتى به على طريقة الوصف
 واما المدح زيد به واما الامر آخر والاولى على العود الى لفظ الجمع وهو النذروا لو كان ليعنى
 الجمع لقال من النذر الاولين يقال من الاقوام المتقدمة والمتقدمين على اللفظ والمعنى
 * ثم قال تعالى (أزفت الآزفة) وهو كقوله تعالى وقعت الواقعة ويقال كانت الكاشفة
 وهذا الاستعمال يقع على وجوه منها ما اذا كان الفاعل صار فاعلا لثلك الفعل من
 قبل ثم صدر منه مرة أخرى مثل الفعل فيقال فعل الفاعل أى الذى كان فاعلا صار فاعلا
 مرة أخرى يقال كما حدثك أى من شغله ذلك من قبل فعله ومنها ما يصير الفاعل فاعلا

المذكورة (وأنتم
سامدون) أي لاهون
أو مستكبرون من سعد
البعير اذا رفع رأسه
أو مغنون لتشفلوا الناس
عن استماعه من السمود
بمعنى الغناء على لغة حير
أو خاشعون جامدون من
السمود بمعنى الجمود
والخشوع كافي قول من قال
* رمى الحدثنان نسوة آل سعد
* بمقدار سعد له سعد *
فرد شعورهن السود
بيضا * ورد وجوههن
البيضا سودا * والجملة
حال من فاعل لا تبكون
خلا أن مضمونها على
الوجه الأخير قيد الحثي
والانكار وورد على نفي
البكاء والسمود معا وعلى
الوجوه الاول قيد للنفي
و الانكار متوجه الى
نفي البكاء ووجود السمود
والاول أو في يحق المقام
فتدبر والفساد في قوله
تعالى (فاعبدوا الله
واعبدوا) لترتيب الامر
أو موجبه على ما تقرر
من بطلان مقابلة
القرآن بالانكار والاستهزاء
ووجوب تلقيه بالإيمان مع
كإل الخضوع والخشوع

بذلك الفعل ومنه يقال اقامات الميت انقطع عمله واذا غصب العين غاصب ضمنه فقوله
أزفت الآزفة محتمل أن يكون من القبيل الاول أي قربت الساعة التي كل يوم يزداد
قربها فهي كاشفة قريبة وازدادت في القرب ويحتمل أن يكون كقوله تعالى وقعت الواقعة
أي قرب وقوعها وأزفت فاعلها في الحقيقة القيامة أو الساعة فكانه قال أزفت القيامة
الآزفة أو الساعة أو مثلها * وقوله تعالى (ليس لها من دون الله كاشفة) فيه وجوه
(أحدها) لا مظهر لها الا الله فمن يعلم الا يعلم الا بعلم الله تعالى آياه واظهاره آياه فهو
كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله تعالى لا يجليها اوقتها الا هو (ثانيها) لا يأتي بها
الا الله كقوله تعالى وان يدسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وفيه مسائل (الاول) من
زائدة تقديره ليس لها غير الله كاشفة وهي تدخل على النفي فتؤكد معناه تقول ما جاني
أحد وما جاني من أحد وعلى هذا محتمل أن يكون فيه تقديم وتأخير تقديره ليس لها من
كاشفة دون الله فيكون نفيها عاما بالنسبة الى الكواشف ويحتمل أن يقال ليست بزائدة
بل معنى الكلام انه ليس في الوجود نفس تكشفها أي تخبر عنها كما هي ومتى وقتها من غير
الله تعالى يعني من يكشفها فانما يكشفها من الله لا من غير الله يقال كشف الامر من زيد
ودون يكون بمعنى غير كافي قوله تعالى أنفكا آلهة دون الله تريدون أي غير الله (المسئلة
الثانية) كاشفة صفة لمؤنث أي نفس كاشفة وقبل هي للمباغلة كما في العلامة وعلى
هذا يقال بانه نفي أن يكون لها كاشفة بصيغة المباغلة ولا يلزم من نفي الكاشف الفائق
نفي نفس الكاشف لاننا نقول لو كشفها أحد لكان كاشفا باوجه الكامل فلا كاشف لها
ولا يكشفها أحد وهو كقوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد من حيث نفي كونه ظالما مبالغا
ولا يلزم من نفي كونه ظالما وقلنا هناك انه او ظلم عبده الضعفاء بغير حق لكان في غاية الظلم
وليس في غاية الظلم فلا يظلمهم أصلا (المسئلة الثالثة) اذا قلت ان معناه ليس لها نفس
كاشفة فقوله من دون الله استثناء على الاشهر من الاقوال فيكون الله تعالى نفسا لها
كاشفة تقول الجواب عنه من وجوه (الاول) لافساد في ذلك قال الله تعالى ولا أعلم ما في
نفسك حكاية عن عيسى عليه السلام والمعنى الحقيقة (الثاني) ليس هو صريح الاستثناء
فيجوز فيه ان لا يكون نفسا (الثالث) الاستثناء الكاشف المبالغ * ثم قال تعالى (أفمن
هذا الحديث تعجبون) قيل من القرآن ويحتمل أن يقال هذا اشارة الى حديث أزفت
الآزفة فأنهم كانوا يتعجبون من حشر الاجساد وجمع العظام بعد الفساد * وقوله تعالى
(وتضحكون) يحتمل أن يكون المعنى وتضحكون من هذا الحديث كما قال تعالى فلما جاءهم
بآياتنا اذا هم منها يضحكون في حق موسى عليه السلام وكانوا هم أيضا يضحكون من
حديث النبي والقرآن ويحتمل أن يكون انكارا على مطلق الضحك مع سماع حديث
القيامة وأي أنضحكون وقد سمعتم أن القيامة قريب فكان حقا أن لا تضحكوا حينئذ
* وقوله تعالى (ولا تبكون) أي كان حقا لكم ان تبكوا منه فتعركون ذلك وتأتون بصدده

وقوله تعالى (وأنتم سامدون) أي غافلون وذكر باسم الفاعل لأن الغفلة دأمة وأما الضحك والعجب فهما أمران يتجددان ويعدمان ﴿ وقوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا)) يحتمل أن يكون الأمر عاماً ويحتمل أن يكون التفصيلاً فيكون كأنه قال أيتها المؤمنون اسجدوا واشكروا على الهداية واشتغلوا بالعبادة ولم يقل اعبدوا الله أما لكونه معلوماً وأما لأن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله فقال واعبدوا أي اتوا بأنا مور ولا تعبدوا غير الله لأنها ليست بعبادة وهذا يناسب السجدة عند قرآته مناسبة أشد واتم بما إذا حلتاه على العموم والمجد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ سورة القمر خمسون وخمس آيات مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة وانشق القمر) أول السورة مناسب لآخر ما قبلها وهو قوله أزلت الآزفة فكانه أعاد ذلك مع الدليل وقال قلت أزلت الآزفة وهو حق إذا انشق القمر انشق والمفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق وحصل فيه الانشقاق ودلت الأخبار على حديث الانشقاق وفي الصحيح خبره شهر ربه جمع من الصحابة وقالوا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الانشقاق بعينها معجزة فسأل ربه فشقته ومضى وقال بعض المفسرين المراد سينشق وهو بعيد ولا معنى له لأن من منع ذلك وهو الفاسق يمنع في الماضي والمستقبل ومن يجوز له لا حاجة إلى التأويل وإنما ذهب إليه ذلك الذهاب لأن الانشقاق أمر هائل فلو وقع لم وجه الأرض فكان ينبغي أن يبلغ حد التواتر نقول النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يتحدث بالقرآن وكانوا يقولون انانأني يا فصيح ما يكون من الكلام وعجزوا عند فكان القرآن معجزة باقية إلى قيام القيامة لا ينكس بمعجزة أخرى فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر وأما المؤرخون تركوه لأن التواريخ في أكثر الأمر يستعملها التجيم وهو لما وقع الأمر قالوا بانه مثل خسوف القمر وظهور شئ في الجوف على شكل نصف القمر في موضع آخر فتروا حكايته في تواريتهم والقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له وأمكانه لا ينكس فيه وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه وحديث امتناع الحرق والانشام حديث الثمام وقد ثبت جواز الحرق والتجريب على السموات وذكرناه مراراً فلا نعيده ﴿ وقوله تعالى (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)) تقديره وبعد هذا ان يروا آية يقولوا سحر فانههم رأوا آيات أرضية وآيات سماوية ولم يمتوا ولم يتركوا عنادهم فان يروا ما يرون بعده هذا اليوم منون وفيه وجه آخر وهو أن يقال المعنى ان عادتهم انهم ان يروا آية يعرضوا فلما رأوا انشقاق القمر عرضوا تلك العادة وفيه مسائل (الاولى) قوله آية ماذا تقول آية اقتراب الساعة فان انشقاق القمر من آياته وقد ردوا

شرفها الله تعالى
* (سورة القمر مكية
وآياتها خمس وخمسون
آية) *
* (بسم الله الرحمن
الرحيم) * (اقتربت
الساعة وانشق القمر)
روى أن الكفار سأوا
رسول الله صلى الله عليه

وسلم ايقنا شق القمر قال
ابن عباس رضي الله عنهما
انطلق فلقتين فلقة ذهبت
وفلقة بقيت وقال ابن
مسعود رأيت حرا بين
فلقتي القمر وعن عثمان
بن عطاء عن أبيه ان
معناه سينشق يوم القيامة
ويرده قوله تعالى (وان
يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر) فانه ناظق
بانه قد وقع وانهم قد
شاهدوه بعد مشاهدة
نظارته وقرى وقد انشق
القمر أي اقتربت الساعة
وقد حصل من آيات
اقتربها أن القمر قد انشق
ومعنى الاستمرار الاطراد
أو الاستحكام أي وان
يروا آية من آيات الله
يعرضوا عن التأمل فيها
ليفتوا على حقيقتها وعلو
طبقتها ويقولوا سحر

سطر دأتم يأتي به محمد على من الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر أقوى مستحکم لا يمكن ازالته وقيل
سحر ذاهب يروى ولا يبق

وكذبوا فان يروا غيرها أيضا يرضوا أو آية الانشقاق فانها معجزة أما كونها معجزة ففي غاية الظهور وأما كونه آية الساعة فلان منكر خراب العالم ينكر انشقاق السماء وانفطارها وكذلك قوله في كل جسم سماوي من الكواكب فاذا انشق بعضها ثبت خلاف ما يقول به وبان جواز خراب العالم وقال أكثر المفسرين معناه ان من علامات قيام الساعة انشقاق القمر عن قريب وهذا ضعيف حلهم على هذا القول ضيق المكان وخفاء الامر على الاذهان وبيان ضعفه هو ان الله تعالى لو أخبرني كتابه ان القمر ينشق وهو علامة قيام الساعة لكان ذلك أمرا لا بد من وقوعه مثل خروج دابة الارض وطلوع الشمس من المغرب فلا يكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم كما أن هذه الاشياء عجائب وليست بمعجزة للنبي لا يقال الاخبار عنها قبل وقوعها معجزة لاننا نقول في مثل ذلك هذا من قبيل الاخبار عن الغيوب فلا يكون هو معجزة برأسه وذلك فاسد ولا يقال بان ذلك كان معجزة وعلامة فاخبر الله في الصحف والكتب السالفة أن يكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وتكون الساعة قربة حينئذ وذلك لان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم علامة كائنه حيث قال بعثت انا والساعة كهاتين وهذا يحكي عن سطحه أنه لما أخبر بوجود النبي صلى الله عليه وسلم قال عن أمور تكون فكان وجوده دليل أمور وأيضا القمر لما انشق كان انشقاقه هذا استدلال النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين وهم كانوا غافلين عما في الكتب وأما أصحاب الكتب فلم يفقهوا الى بيان علامة الساعة لانهم كانوا يقولون بها فهي اذا آتية دالة على جواز تخريب السموات وهو العمدة الكبرى لان السموات اذا طويت وجوز ذلك فالارض ومن عليها لا يستبعد فناؤها اذا ثبت هذا فنقول معنى اقتربت الساعة يحتمل أن يكون في العقول والاذهان يقول من يسمع أمرا لا يقع هذا بعيد مستبعد وهذا وجه حسن وان كان بعض ضعفه الاذهان ينكره وذلك لان جملة على قرب الوقوع زمانا لا يمكن الكافر من مجاداة فاسدة فيقول قال الله تعالى في زمان النبي صلى الله عليه وسلم اقتربت ويقولون بأن من قبل أيضا في الكتب كان يقول اقتربت الوعد ثم مضى مائة سنة ولم يقع ولا يبعد أن يمضي ألف آخر ولا يقع واوضح اطلاق لفظ القرب زمانا على مثل هذا لا يفتي وثوق الاخبارات وأيضا قوله اقتربت لانتهاز الفرصة والايان قبل أن لا يصح الايمان فللكافر أن يقول اذا كان القرب بهذا المعنى فلا خوف منها لانها لا تدركني ولا تدرك اولادي ولا اولاد اولادي واذا كان مكانا مكانها قريبا في العقول يكون ذلك ردا بالفاعل المشركين والفلاسفة والله سبحانه وتعالى أول ما كلف الاعتراف بالوحدانية واليوم الآخر وقال اعلموا أن الحشر كان فخا للمشرك والفلسفي ولم يقع بمجرد انكار ما ورد الشرع ببيانه ولم يقل لا يقع أو ليس بكائن بل قال ذلك بعيد ولم يقع بهذا أيضا بل قال ذلك غير ممكن ولم يقع به ايضا بل قال فان امتناعه ضروري فان مذهبهم ان اعادة المعدم واحياء الموتى محال

على البناء المفعول من الارادة (وكذبوا) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما طأنته ما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات (واتبعوا أهواءهم) التي زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمرا وسحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق وقوله تعالى (وكل أمر مستقر) استئناف مسوق لا فئناطهم عما علقوا به أمانتهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبا قالوا وسحر مستر يدين ثباته ورسوخه أي وكل أمر من الامور مستقر أي منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جعلها أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيصير إلى غاية يبين عندها حقيقته وعلو شأنه وإبهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به

وقيل العتي كل أمر من أمرهم وأمره عليه ﴿ ٧٨١ ﴾ الصلاة والسلام مستقر أي سببت ويستقر على

حالة خذلان أو فصره
في الدنيا وشقاوة
أو سعادة في الآخرة
وقرى بالفتح على أنه
مصدر أو اسم مكان
أو اسم زمان أي ذو استقرار
أو ذو وضع استقرار
أو ذو زمان استقرار
وبالكسر والجر على
أنه صفة أمر وكل
تطوف على الساعة
أي اقتربت الساعة
وكل أمر مستقر (ولقد
جاءهم) أي في القرآن
وقوله تعالى (من الأنبياء)
أي أنبياء القرون الخالية
أو أنبياء الآخرة متعلق
بمخدوف هو حال مما بعده
أي وبالله لقد جاءهم
كأنهم من الأنبياء (ما فيه
مزيج) أي ازدجار
من تعذيب أو وعيد
أو موضع ازدجار على
أنه في تجر يديه والمعنى
أنه في نفسه موضع
ازدجار وتاء الافعال
تقلب دال مع الدال
والدال والزاي للتناسب
وقرى من جر بقلها
زادها غامها (حكمة
بالغة) فإتيها لاخلل
فيها وهي بدل من ما
أو خبر لمخدوف وقرى بالنصب حالاً منها

بالضرورة ولهذا قالوا أننا كنا عظيماً أننا ضلنا في الأرض بالفتنة الاستفهام
يعني الإنكار مع ظهور الأمر فلما استبعدوا لم يكتف الله ورسوله ببيان وقوعه بل قال إن
الساعة آتية لا ريب فيها ولم يتصر عليه بل قال وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً
ولم يتركها حتى قال اقتربت الساعة واقترب الوعد الحق اقترب للناس حسابهم اقترباً
عقلياً لا يجوز أن ينكر ما يقع في زمان طرفه عين لأنه على الله يسير وكان تغيب الحدقة
عليها يسير بل هو أقرب منه بكثير والذي يقوله قول العامة إن زمان وجود العالم زمان
مديد والباقي بالنسبة إلى الماضي شيء يسير فهذا قال اقتربت الساعة وأما قوله صلى الله
عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين فهما لأنبيء يمدى فإن زماناً يمتد إلى قيام الساعة
فزمانى والساعة متلاصقان كهاتين ولا شك أن الزمان زمان النبي صلى الله عليه وسلم
ومادامت أوامره نافذة فالزمان زمانه وإن كان ليس هو فيه كما إن المكان الذي تنفذ فيه
أو أمر الملك مكان الملك يقال له بلاد فلان فإن قيل كيف يصح حمله على القرب بالفتن مع
أنه مقطوع به قلت كما صح قوله تعالى لعل الساعة تكون قريباً فإن عمل للترجي والأمر عند
الله معلوم وفأنتبه إن قيام الساعة ممكن لا مكاناً بعيداً عن العادات كعمل الأدمي في
زماننا حلال في غاية الثقل أو وضعه مسافة بعيدة في زمان يسير فإن ذلك ممكن أمكاناً بعيداً
وأما تغيب الحدقة فممكن أمكاناً في غاية القرب (المسئلة الثانية) الجمع الذي تكون
الواو ضميرهم في قوله يروا ويعرضوا غير مذكور فنهم نقول هم معلومون وهم الكفار
تقديره وهو الكفار إن يروا آية يعرضوا (المسئلة الثالثة) التكبير في الآية للتعظيم
أي إن يروا آية قوية أو عظيمة يعرضوا (المسئلة الرابعة) قوله تعالى ويقولوا سحر مستر
ما الفائدة فيه نقول فإنتبه بيان كون الآية خالية من شوائب الشبه وإن الاعتراف لهم
لأنهم لم يقدرُوا أن يقولوا نحن نأتي بثلاثها وبيان كونهم معرضين لاعراض معدور فإن
من يعرض اعراض مشغول بأمرهم فلم ينظر في الآية لا يستخرج منه الاعراض مثل
ما يستخرج لمن ينظر فيها إلى آخرها ويجز عن نسبتها إلى أحد ودهوى الاتيان بثلاثها
ثم قول هذا ليس بشيء هذا سحر لأن ما من آية الاويمكن المعاند أن يقول فيها هذا
القول (المسئلة الخامسة) ما المستر نقول فيه وجوه (أحدها) دائم فإن محمد صلى الله
عليه وسلم كان يأتي كل زمان بمعجزة قولية أو فعلية أرضية أو سماوية فقالوا هذا سحر مستر
دائم لا يتخلف بالنسبة إلى النبي عليه السلام بخلاف سحر السحرة فإن بعضهم يقدر على
أمرين أو أمرين وثلاثة ويجز عن غيرها وهو قادر على الكل (ثانيها) مستر أي قوى من جبل
من والقتل من المرة وهي الشدة (وثالثها) من المرارة أي سحر مر مستبشع (ورابعها)
مستر أي ما رذاهب فإن السحر لا يقا له ﴿ ثم قال تعالى (واذبووا واتبعوا أهواءهم) وهو
يحتمل أمرين (أحدهما) وكذبوا محمد الخبير عن اقترب الساعة (وثانيهما) كذبوا بالآية
وهي انشقاق القمر فإن قلنا كذبوا محمد صلى الله عليه وسلم فتقوله واتبعوا أهواءهم أي

فانها موصولة أو موصوفة
 تخصصت بصفتها
 فساغ نصب الخال عنها
 (فإن تعنى النذر) نفي الاغناء
 أو انكاره والفاء لترتيب
 عدم الاغناء على نفي
 الحكمة البالغة مع كونه
 مظنة للاغناء وصيغة
 المضارع للدلالة على
 تجدد عدم الاغناء
 واستمراره حسب تجدد
 مجي الزواجر واستمراره
 وما على الوجه الثاني
 منصوبة أي فأي اغناء
 تعني النذر وهو جمع نذر
 بمعنى المنذر أو مصدر
 بمعنى الانذار (فتول عنهم)
 لعلمك بان الانذار لا يؤثر
 فيهم البتة (يوم يدع
 الداع) منصوب يخرجون
 أو با ذكر والداعي
 اسرافيل عليه السلام
 ويجوز أن يكون الدعاء
 فيه كالامر في توله تعالى
 كن فيكون واسقاط الياء
 للاكتفاء بالكسر تخفيفا
 (الى شئ نكر) أي منكر
 فظم تنكره النفوس لعدم
 العهد بمثله وهو هول
 القيسامة وقري نكر
 بالتحفيف ونكر بمعنى
 انكر (خشعا أبصارهم)

تركوا الحجبة وأولوا الآيات وقالوا هو مجنون تعينه الجن وكاهن يفسول عن الجيوم
 ويختار الاوقات للافعال وساحر فهذه أهواؤهم وان فلنا كذبوا بانشقاق القمر فقوله
 واتبعوا أهواؤهم في انه سحر القمر وانه خسوف والقمر لم يصبه شئ فهذه أهواؤهم
 وكذلك قولهم في كل آية * وقوله تعالى (وكل امر مستقر) فيه وجوه (أحدها) كل أمر
 مستقر على سنن الحق يثبت والباطل يزهد وحينئذ يكون تهديدا لهم وتسليمة للنبي صلى الله
 عليه وسلم وهو كقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم أي بانها حق (ثانيها) وكل
 أمر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه شئ فهم كذبوا واتبعوا أهواؤهم والانبيا صدقوا
 وبلغوا ما جاءهم كدوره تعالى لا يخفى على الله منهم شئ وكما قال تعالى في هذه السورة وكل
 شئ فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر (ثالثها) هو جواب قولهم سحر مسترأى
 ليس أمره يذهب بل كل أمر من أموره مستقر * ثم قال تعالى (ولقد جاءهم من الانبياء
 ما فيه من دجر) إشارة الى ان كل ما هو اوظف بالعباد قد وجد فاخبرهم الرسول باقتراب
 الساعة وأقام الدليل على صدقه وإمكان قيام الساعة عقيب دعواه بانشقاق القمر الذي هو
 آية لأن من يكذب بها لا يصدق بشئ من الآيات فكذبوا بها واتبعوا الباطل الذاهبة
 وذكروا الاقاويل الكاذبة فذكرهم أنبياء المهلكين بالآيتين تخويفا لهم وهذا هو
 الترتيب الحكيم ولهذا قال بعد الآيات حكمة بالغة أي هذه حكمة بالغة والانبيا هي
 الاخبار العظام ويدل على صدقه ان في القرآن لم يرد النبأ والانبيا الا لما له وقع قال
 وجئت من سبأ نبيا يقين لانه كان خبرا عظيما وقال ان جاءكم فاسق بنبأ أي محاربة
 أو مساندة وما يشبهه من الامور العرفية وانما يجب التثبت فيما يتعلق به حكمه ويقرب
 عليه أمر ذوبال وكذلك قال تعالى تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك فكذلك الانبياء ههنا
 وقال تعالى عن موسى لعل آياتكم منها تخبرون وخذوا حيلكم يكن يعلم انه يظهر له شئ عظيم
 يصلح ان يقال له نبيا وام يقصده والظاهر ان المراد انبياء المهلكين بسبب التكذيب وقال
 بعضهم المراد القرآن وتقديره جاءكم فيه الانبياء وقيل قوله جاءكم من الانبياء يتناول جميع
 ما ورد في القرآن من الزواجر والمواظع وما ذكرنا اظهر لقوله فيه من دجر وفي ما وجهان
 (أحدهما) انها موصولة أي جاءكم الذي فيه من دجر (ثانيهما) موصوفة تقديره جاءكم
 من الانبياء شئ موصوف بان فيه من دجر وهذا أظهر والمزدجر فيه وجهان أحدهما
 ازدجار وثانيهما موضع ازدجار كالرني ولفظ المفعول بمعنى المصدر كثير لان المصدر هو
 المفعول الحقيقي * ثم قال تعالى (حكمة بالغة) وفيه وجوه (الاول) على قول من قال ولقد
 جاءهم من الانبياء المراد منه القرآن قال حكمة بالغة يدل كانه قال ولقد جاءهم حكمة بالغة
 (ثانيها) أن يكون بدلا عن ما في قوله ما فيه من دجر (الثاني) حكمة بالغة خبر مبتدأ محذوف
 تقديره هذه حكمة بالغة والاشارة حينئذ تحتمل وجوها (أحدها) هذا الترتيب الذي
 في ارسال الرسول وابضاح الدليل والانذار بمن مضى من القرون وانقضى حكمة بالغة

(ثانيها) انزال ما فيه الانبياء حكمة بالغة (ثالثها) هذه الساعة المقتربة والآية الدالة عليها
 حكمة (الثالث) قرى بانصب فيكون حالا وذو الحال ماقى قوله ماقية من دجر أى جاءكم
 ذلك حكمة فان قيل ان كان ماموصولة تكون معرفة فيحسن كونه ذا الحال فلما ان كانت
 بمعنى جاءهم من الانبياء شئ فيه ازديار يكون منكرا وتذكير ذى الحال فيصح نقول كونه
 موصوفا فيحسن ذلك وقوله (فانغنى النذر) فيه وجهان (أحدهما) ان ما نافية ومعناه
 ان النذر لم يبعثوا ليعنوا ويلجؤوا قومهم الى الحق وانما رسلوا . باعين وهو كقوله تعالى
 فان امرضوا فاعا رسلناك عليهم حفيظا و يؤيد هذا قوله تعالى فتول عنهم أى ليس عليك
 ولا على الانبياء الاغناء والالقاء فاذا بلغت فقدأوتيت بما عليك من الحكمة البالغة التى
 أمرت بها بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وتول اذا لم تقدر
 (ثانيهما) ما استفهامية ومعنى الآيات حينئذ انك أتيت بما عليك من الدعوى واطهار
 الآية عليه او كذبوا فانذرتهم بما جرى على المكذبين فتم يفدهم فهذه حكمة بالغة وما الذى
 تغنى النذر غير هذا فزبق عليك شئ آخر * قوله تعالى (فتول عنهم) قد ذكرنا ان المفسرين
 يقولون ان قوله تول منسوخ وليس كذلك بل المراد منه لا تنظرهم بالكلام ثم قال تعالى
 (يوم يدع الداع الى شئ نكر) قد ذكرنا أيضا ان من ينصح شخصا لا يؤثر فبد النصح
 يعرض عنه ويقول مع غيره ماقية نصح المعرض عنه ويكون فيه قصدا شادا ايضا فقال
 ا ما قال فتول عنهم يوم يدع الداع يخرجون من الاجداث للخوف والعامل في يوم
 هو ما بعده وهو قوله يخرجون من الاجداث. والداعى معرف كالنادى في قوله يوم
 ينادى لان دلالته معلوم . اخبر عنه فقيل ان ناديا ينادى وداعيا يدعو وفي الداعى وجوه
 ا . ا . انه اسرافيل وثانيها انه جبريل وثالثها انه ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ
 لا يطلع حد العلية وانما يكون ذلك كقولنا جاء رجل فقال الرجل وقوله تعالى الى شئ
 اى منكر وهو يحتمل وجوها (أحدها) الى شئ نكر في يومها هذا لانهم أنكروه أى
 يوم يدعوا الداعى الى الشئ الذى أنكروه يخرجون (ثانيها) نكر اى منكر يقول ذلك
 القائل كان ينبغي ان لا يكون أى من شأنه ان لا يوجد يقال فلان ينهى عن المنكر وعلى
 هذا فهو عندهم كان ينبغي ان لا يقع لانه يردبهم في الهاوية فان قيل ما ذلك الشئ النكر
 نقول الحساب أو الجملة أو النشر للجمع وهذا أقرب فان قيل النشر لا يكون منكرا فانه
 احياء ولان الكافر من أين يعرف وقت النشر وما يجرى عليه لينكره نقول يعرف ويعلم
 بدليل قوله تعالى ياويلنا من بعثنا من مرقدنا * ثم قال تعالى (خاشعا ابصارهم
 يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر) وفيه قرآت خاشعا وخاشعة وخشعا فن
 قرأ خاشعا على قول القائل يغشع ابصارهم على ترك التانيث لنقدم الفعل ومن قرأ خاشعة
 على قوله تخشع ابصارهم ومن قرأ خاشعا فله وجوه (أحدها) على قول من يقول يخشع من
 ابصارهم على طريقته من يقول أكلوني البراغيث (ثانيها) في غشعا ضمير ابصارهم بدل عنه

غير حقيقى التانيث
 وقرى خاشعة على
 الاصل وقرى خشع
 ابصارهم على الابتداء
 والخبر على ان الجملة
 حال (كأنهم جراد
 منتشر) في الكثرة والتوج
 والفرق في الاقطار
 (مهطمين الى الداع)
 مسرعين مادمي أعناقهم
 اليه أو ناظرين اليه
 (يقول الكافرون)
 استنصاف وقم جوابا
 عما شام من وصف اليوم
 بالاهوال وأهله بسوء
 الحال كأنه قيل فاذا
 يكون حينئذ قيل يقول
 الكافرون (هذا يوم
 عسر) أى صعب شديد
 وفي اسناد التول المذكور
 الى الكفسار تاو يحبان
 المؤمنين ليسوا في تلك
 المرتبة من الشدة
 (كذبته قبلهم قوم
 نوح) شروع في تعداد
 بعض ما ذكر من الانبياء
 الموجبة للازدجار
 ونوع تفصيل لها
 ويبان لعدم تأثرهم
 بها تقررا

(فكذبوا عبدنا) تفسير
 لذلك التكنذيب المهم
 كما في قوله تعالى ونادى
 نوح به فقال رب الخ
 وفيه مزيد تقرير
 وتحقيق للتكنذيب وقيل
 معناه كذبوه تكذيبا اثر
 تكذيب كلما خلا منهم
 قرن مكذب جاء عقيب
 قرن آخر مكذب مثله
 وقيل كذبت قوم نوح
 الرسل فكذبوا عبدنا
 لانه من جملتهم وفي
 ذكره عليه الصلاة
 والسلام بعنوان
 العبودية مع الاضافة
 الى نون العظمة تفخيم
 له عليه الصلاة والسلام
 ورفع لجله وزيادة تشنيع
 للتكذيب (وقالوا مجنون)
 أى لم يقتصروا على
 مجرد التكنذيب بل نسبوه
 الى الجنون (وازدجر)
 هطف على قالوا أى
 وزجر عن التبليغ
 بأنواع الأدبية وقيل
 هو من جملة ما قالوه
 أى هو مجنون وقد
 ازدجرته الجن وتخبطنه

تقديره يخشعون أبصارهم على بدل الاشتمال كقول القائل أعجبوني حسنهم (ثالثها)
 فيه فعل مضمر يفسره يخرجون تقديره يخرجون خشعا أبصارهم على بدل الاشتمال
 والصحيح خاشعا روى أن مجاهدا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له يابى الله
 خشعا أبصارهم أو خاشعا أبصارهم فقال عليه السلام خاشعا ولهذه القراءة وجه آخر
 أظهر مما قالوه وهو أن يكون خشعا منصوبا على أنه مفعول بقوله يوم يدع الداع خشعا
 أى يدعو هؤلاء فان قيل هذا فاسد من وجوه (أحدها) ان التخصيص لا فائدة فيه لان
 الداعى يدعو كل أحد (ثانيها) قوله يخرجون من الاجداث بعد الداعى فيكونون خشعا
 قبل الخروج وانه باطل (ثالثها) قراءة خاشعا تبطل هذا بقول اما الجواب عن الاول فهو
 أن يقال قواه الى شئ نكر يدفع ذلك لان كل أحد لا يدعى الى شئ نكر وعن الثاني المراد
 من شئ نكر الحساب العسير يعنى يوم يدعو الداعى الى الحساب العسير خشعا ولا يكون
 العامل في يوم يدعو يخرجون بل اذكروا أو فساتغنى النذر كما قال تعالى فاتنهم
 شفاعة الشافعين ويكون يخرجون ابتداء كلام وعن الثالث أنه لا منافاة بين القراءتين
 وخاشعا نصب على الخشوع أى انه مفعول يدعو كأنه يقول الداعى قوما خشعا
 أبصارهم والخشوع السكون قال تعالى وخشعت الأصوات وخشوع الابصار سكونها
 على حال لا تتقلب بينة ولا يسرة كما في قوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وقوله تعالى يخرجون
 من الاجداث كأنهم جراد منتشر مثلهم بالجراد المنتشر في الكثرة والنوع ويحتمل أن يقال
 المنتشر مطاوع نشره اذا أحياء فكأنهم جراد يتحرك من الأرض ويدب اشارة الى
 كيفية خروجهم من الاجداث وضمهم * ثم قال تعالى (مهطعين الى الداع) أى
 مسرعين اليه انقيادا (يقول الكافرون هذا يوم عسير) يحتمل أن يكون العامل الناصب
 ليوم في قوله تعالى يوم يدع الداع أى يوم يدعو الداعى يقول الكافرون هذا يوم عسير وفيه
 فائدتان (أحدهما) تنبيه المؤمن ان ذلك اليوم على الكافر عسير فحسب كما قال تعالى
 فذلك يومئذ يوم عسير على الكافر بن غير يسير يعنى له عسير لا يسر معه (ثانيها) هى ان
 الأمرين متفقان مشتركان بين المؤمن والكافر فان الخروج من الاجداث كأنهم جراد
 والاهطاع الى الداعى يكون للمؤمن فانه يخاف ولا يأمن العذاب الايمان الله تعالى
 اياه فيؤتيه الله الثواب فيسقى الكافر فيقول هذا يوم عسير * ثم انه تعالى أعاد بعض الانبياء
 فقال (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر) فيهما توهين
 وتسليق لقلب محمد صلى الله عليه وسلم فان حاله كحال من تقدمه وفيه مسائل (المسئلة
 الاولى) الحاق ضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر الفاعل جائز بالاتفاق وحسن والحاق ضمير
 الجمع به فيجوز عند الاكثرين فلا يجوزون كذبوا قوم نوح ويجوزون كذبت قال الفرق
 تقول التأنيث قبل الجمع لان الانوثة والذكورة للفاعل أمر لا يتبدل ولم تحصل الانوثة
 للفاعل بسبب فعلها الذى هو فاعله فليس اذا قلنا ضربت هذه كانت هذه أنثى لاجل

الضرب بخلاف الجمع لان الجمع للفاعلين بسبب فعلهم الذي هم فاعلوه فانما اذا قلنا جمع ضربوا وهم ضاربون ليس مجرد اجتماعهم في الوجود بل صح قولنا ضربوا وهم ضاربون لانهم ان اجتمعوا في مكان فهم جمع ولكن ان لم يضرب الكل لا يصح قولنا ضربوا فضمير الجمع من الفعل فاعلون جمعهم بسبب الاجتماع في الفعل والفاعلية وليس بسبب الفعل فلم يجز ان يقال ضربوا جمع لان الجمع لم يفهم الا بسبب أنهم ضربوا جمعهم فينبغي أن يهمل أو لا اجتماعهم في الفعل فيقول الضاربون ضربوا أو ما ضربت هند فصحيح لانه لا يصح أن يقال التأييد لم يفهم الا بسبب أنها ضربت بل هي كانت أنثى فوجد منها ضرب فصارت ضاربة وليس الجمع كانوا جمعاً فضرربوا فصاروا ضاربين بين ضاربوا ضاربين لا اجتماعهم في الفعل ولهذا ورد الجمع على اللفظ بعد ورود التأييد عليه فتيل ضاربة وضاربات ولم يجمع اللفظ أو لا لانه لا يلائم المحسن أن يقال ضرب هند وحسن بالاجماع ضرب قوم والمسلمون (المسئلة الثانية) لما قال تعالى كذبت ما القائدة في قوله تعالى فكذبوا عبدنا نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ان قوله كذبت قبلهم قوم نوح اي بآياتنا وآية الانشقاق فكذبوا (الثاني) كذبت قوم نوح الرسل وقالوا لم يبعث الله رسولا وكذبوهم في التوحيد فكذبوا عبدنا كما كذبوا غيره وذلك لان قوم نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الاصنام يكذب كل رسول وينكر الرسالة لانه يقول لا تعلق لله بالعالم السفلي وانما أمره الى الكواكب فكان مذهبهم التكذيب فكذبوا (الثالث) قوله تعالى فكذبوا عبدنا لا تصديق والرد عليهم تقديره كذبت قوم نوح وكان تكذبهم عبدنا أي لم يكن تكذيبا بحق كما يقول القائل كذبتني فكذب صادقاً (المسئلة الثالثة) كثيراً ما يخص الله الصالحين بالاضافة الى نفسه كما في قوله تعالى ان عبادي يا عبادي واذكر عبدنا انه من عبادنا وكل واحد عبده فما السرفيه نقول الجواب عنه من وجوه (الاول) ما قيل في المشهور ان الاضافة اليه تشرىف منه فمن خصصه بكونه عبده شرف وهذا كقوله تعالى ان طهرا بيتي وقوله تعالى ناقة الله (الثاني) المراد من عبدنا أي الذي عبدنا فالكل عباد لانهم مخلوقون للعبادة لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن منهم من عبد فحقق المقصود فصار عبده ويؤيد هذا قوله تعالى كونوا عبادا لي أي حققوا المقصود (الثالث) الاضافة تفيد الحصر فعني عبدنا هو الذي لم يقل بعبود سوانا ومن اتبع هواه فقد اتخذها فاعبد المضاف هو الذي بكلية في كل وقت لله فاكله وشربه وجميع اموره لوجه الله تعالى وقليل ما هم (المسئلة الرابعة) ما القائدة في اختيار لفظ العبد مع انه لو قال رسولنا لكان أدل على قبح فعلهم بقوله عبدنا أدل على صدقه وقبح تكذيبهم من قوله رسولنا لوقاله لان العبد أقل تجريفا لكلام السيد من الرسول فيكون كقوله تعالى واوتقول علينا بعض الاقاربيل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين (المسئلة الخامسة) قوله تعالى وقالوا مجنون اشارت الى انه

أني بالآيات الدالة على صدقه حيث رأوا ما عجزوا عنه وقالوا هو مصاب الجن أو هو زيادة
 بيان قبح صنعهم حيثما يقتعوا بقولهم انه كاذب بل قالوا مجنون أي يقول ما لا يقبله
 عاقل والكاذب العاقل يقول ما يظن به أنه صادق فتناو المجنون أي يقول ما لم يقبل به
 عاقل فبين مبالغتهم في التكذيب (المسئلة السادسة) وازدجر اخبار من الله تعالى
 أو حكاية قواهم تقول فيه خلاف منهم من قال اخبار من الله تعالى وهو عطف على كذبوا
 وقالوا أي هم كذبوا وهو ازدجر أي أودى وزجر وهو كقوله تعالى كذبوا وأوذوا وعلى
 هذا ان قيل لو قال كذبوا صيدنا وزجره كان الكلام أكثر مناسبة بقول لا بل هذا
 ابلغ لان المقصود تفويضة قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه فقال وازدجر
 أي فعلوا ما يوجب الانزجار من دعائهم حتى ترك دعوتهم وعبدل عن الدماء الى الايمان
 الى الدماء عليهم واوقال زجره ما كان يفيد انه تأذى منهم لان في السعة يقال آذوني
 ولكن ما تأذيت وأما واذيت فهو كاللازم لا يقال الا عند حصول الفعل لا قبله ومنهم من
 قال وازدجر حكاية قولهم أي هم قالوا ازدجر تقديره ما واو المجنون من دجر ومعناه ازدجره
 الجن أو كانتهم قالوا جن وازدجر والاول أصح وينترب عليه قوله تعالى (فدعاربه اني
 مغلوب فانتصر) ترتباني غاية الحسن لانهم لما زجره وازجره عن دعائهم دعار به اني
 مغلوب وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قرى اني بكسر الهمزة على انه دعا فكانت قال
 اني مغلوب وبالفتح على معنى يأتي (المسئلة الثانية) ما معنى مغلوب نقول فيه وجوه
 (الاول) غلبني الكفار فانتصر لي منهم (الثاني) غلبتني نفسي وحلتني على الدعاء عليهم
 فانتصر لي من نفسي وهذا الوجه نقله ابن عطية وهو ضعيف (الثالث) وجه مركب من
 الوجهين وهو أحسن منهما وهو أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدهو على قومه
 مادام في نفسه احتمال وحلم واحتمال نفسه يتمد مادام الايمان منهم بمحتمل ان يأسه
 يحصل والاحتمال يفر بعد اليأس بمدة بدليل قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم لعلك
 باخع نفسك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال الله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا
 انهم مفروقون فقال نوح بالهي ان نفسي غلبتني وقد أمرتني بالدعاء عليهم فأهلكهم
 فيكون معناه مغلوب بحكم البشرية أي غلبت وعيل صبري فانتصر لي منهم لان نفسي
 (المسئلة الثالثة) فانتصر معناه انتصر لي أو لنفسك فانهم كفروا بك وفيه وجوه (احدها)
 فانتصر لي مناسب لقوله مغلوب (ثانيها) فانتصر لك ولدينك فاني غلبت وعجرت عن
 الانتصار لدينك (ثالثها) فانتصر للحق ولا يكون فيه ذكر ولا ذكر ربه وهذا بقوله قومي
 النفس يكون الحق معه يقول القائل اللهم أهلك الكاذب منا وانصر المحق منا ثم قال
 تعالى (ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر) عقيب دعائه وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
 المراد من الفتح والابواب والسماء حقائقها او هو مجاز نقول فيه قولان (احدهما)
 حقائقها وللسماء ابواب تفتح وتغلق ولا استبعاد فيه (وثانيهما) وهو على طريق

(فدعاربه اني) أي
 يأتي وقرى بالكسر على
 ارادة القول (مغلوب)
 أي من جهة قومي
 مالي قدرة على الانتقام
 منهم (فانتصر) أي
 فانتقم لي منهم وذلك بعد
 تقرر يأسه منهم بعد التبا
 والتي فقد روي أن الواحد
 منهم كان يلقاه فيضيقه
 حتى يخر مغشياً عليه
 ويقول اللهم اغفر قومي
 فانهم لا يعلمون (ففتحنا
 ابواب السماء بماء منهمر)
 منصب وهو تمثيل
 لكثرة الامطار وشدة
 انصبابها وقرى ففتحنا
 بانشد بدلكثرة الابواب

الاستعارة فان الظاهر ان الماء كان من السحاب وعلى هذا فهو كما يقول القائل في المطر
 الوايل جرت ميازيب السماء وقبح أفواه القرب أي كأنه ذلك فالمطر في الطوفان كان
 بحيث يقول القائل قححت أبواب السماء ولا شك ان المطر من فوق كان في غاية الهطلان
 (المسئلة الثانية) قوله تعالى ففتحنا سبيل أن الله انتصر منهم وانقم بساء لا يجند أنزله كما
 قال تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت
 الاصيحة واحدة بيان الكمال اقدرة ومن العجيب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم
 بمطوبهم (المسئلة الثالثة) الباء في قوله بساء مر ما وجهة وكيف موقفة نقول فيه
 وجهان (أحدهما) كما هي في قول القائل قححت الاباب بالفتح حرف تقدير هو أن يجعل
 كأن الماء جاء بفتح الباب وعلى هذا تفسير قول من يقول يفتح الله لك بخير أي بقدر خيرا
 يأتي ويفتح الباب وعلى هذا فقه الصيغة وهي من بدائع المعاني وهي أن يجعل المقصود
 مقدما في الوجود ويقول كان متصوفا جاء الى باب متعلق بفتح وجاءك وكذلك قول
 القائل لعن الله بفتح برزق أي بقدر زفاني الى الباب الذي كالمعلق فيدفعه ويقعده
 فيكون الله قد فتحه بالرزق (ثانيهما) فتحنا أبواب السماء مقرونة بساء منهجر والانهمار
 الانسكاب والانصباب صبا شديدا والتعقيب فيه ان المطر يخرج من السماء التي هي
 السحاب خروج مترشح من طرفه وفي ذلك اليوم كان يخرج خروج مرسل خارج من باب
 ثم قال تعالى (وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر) وفيه من البلاغة
 ما لبس في قول القائل فجرنا عيون الارض وهذا يسان التمييز في كثير من المواضع افا
 قلت ضاق زيد ذرعا ثبت ما لا يثبت قولك ضاق ذرع زيد وفيه مسائل (المسئلة الاولى)
 قال وفجرنا الارض عيونا ولم يقل ففتحنا السماء أبوابا لان السماء أعظم من الارض وهي
 للمبالغة ولهذا قال أبواب السماء ولم يقل أنابيب ولا منافذ ولا مجاري أو قنبرها واما قوله
 تعالى وفجرنا الارض عيونا فهو أبلغ من قوله وفجرنا عيون الارض لانه يكون حقيقة
 لا مبالغة فيه ويكفي في صحة ذلك القول أن يجعل في الارض عيونا ثلاثة ولا يصلح مع هذا
 في السماء الا قول القائل فانزلنا من السماء ماء أو مياها ومثل هذا الذي ذكرناه في المعنى
 لافي المعجز والحكمة قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض
 حيث لا مبانة فيه وكلامه لا يماثل كلام الله ولا يقرب منه غير أني ذكرته مثلا والله المثل
 الأعلى (المسئلة الثانية) العيون في عيون الماء حقيقة أو مجاز نقول المشهور أن لفظ
 العين مشترك والظاهر أنها حقيقة في العين التي هي آلة الابصار ومجاز في غيرها أما في
 عيون الماء فلانها تشبه العين الباصرة التي يخرج منها الدمع أولان الماء الذي في العين
 كالزهر الذي في العين غير أنها مجاز مشهور صار غالبا حتى لا يفتقر الى القرينة عند
 الاستعمال الا للتمييز بين العينين فكما لا يحمل اللفظ على العين الباصرة الا بقرينة كذلك
 لا يحمل على الفوارق الا بقرينة مثل شربت من العين واغتسلت منها وغير ذلك من الامور

(وفجرنا الارض عيوننا)
 أي جعلنا الارض كأنها
 كأنها عيون متغيرة
 وأصله وفجرنا عيون
 الارض فقير قضاء لخلق
 المقام (فالتقى الماء) أي
 ماء السماء وماء الارض
 والافراد لتعقب أن
 لقاء الماء لم يكن بطريق
 المجاورة والتقارب بل
 بطريق الاختلاط
 والاتحاد وقرى الماوان
 بقلب الهزة واوا (على
 أمر قد قدر) أي كأننا
 على حال قد قدرها الله
 تعالى من غير تغات أو على
 حال قدرت وسويت
 وهو أن قد رما أنزل على
 قدر ما أخرج أو على
 أمر قدره الله تعالى وهو
 هلاك قوم نوح بالطوفان

التي توجد في اليبوع ويقال عانه بعينه اذا اصابه بالعين وعينه تعيينا حقيقته جعله
 بحيث تقع عليه العين وعيانه معاينة وعيانا وعين أي صار بحيث تقع عليه العين (المسئلة
 الثالثة) قوله تعالى فالتقى الماء قري فالتقى المسألة أي النوعان منه ماء السماء وماء
 الارض فثنى أسماء الاجناس على تأويل صنف وتجمع أيضا يقال عندي تمران وتمرور
 وتمر على تأويل نوعين وأنواع منه والصحيح المشهور فالتقى الماء وله معنى لطيف وذلك
 انه تعالى لما قال ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ذكر الماء وذكر الانهيار وهو التزول بقوة
 فلما قال وفجرنا الارض عيوننا كان من الحسن البدع أن يقول ما يفيد أن الماء نبع منها
 بقوة فقال فالتقى الماء أي من العين فار الماء بقوة حتى ارتفع والتي بمساء السماء ولو جرى
 جريا ضعيفا لما كان هو يلتقي مع ماء السماء بل كان ماء السماء يرد عليه ويتصل به وبعسل
 المراد من قوله وفجرنا التور مثل هذا وقوله تعالى على أمر قد قدر فيه وجوه (الاول) على
 حال قد قدرها الله تعالى كإشاء (الثاني) على حال قد راها الله تعالى بقدر الآخر (الثالث)
 على مسائر المقادير وذلك لان الناس اختلفوا فيهم من قال ماء السماء كان أكثر ومنهم من
 قال ماء الارض ومنهم من قال كانا متساويين فقال على أي مقدار كان والاول اشارة الى
 عظمة أمر الطوفان فان تكبير الامر يفيد ذلك يقول القائل جرى على فلان شيء لا يمكن
 أن يقال اشارة الى عظمته وفيه احتمال آخر وهو أن يقال التي الماء أي اجتمع على أمر
 هلاكهم وهو كان مقدورا مقدرا وفيه رد على المنجمين الذين يقولون ان الطوفان كان
 بسبب اجتماع الكواكب السبعة حول برج مائي والغرق لم يكن مقصودا بالذات وإنما
 ذلك أمر لازم من الطوفان الواجب وقوعه فقال لم يكن ذلك الا لامر قد قدر ويدل عليه أن
 الله تعالى أوحى الى نوح بانهم من المفرقين * وقوله تعالى (وحملناه على ذات ألواح ودسر
 تجري باعيننا) أي سفينة حذق الموصوف وأقام الصفة مقامه اشارة الى انها كانت من
 ألواح مركبة وثققة دسرو وكان انفكاكها في غاية السهولة ولم يقع فهو بفضل الله
 والدسر المسامير وقوله تعالى تجري أي سفينة ذات الواح جارية وقوله تعالى باعيننا أي
 برأى منا أو بحفظنا لان العين لذلك فتستعمل فيه * وقوله تعالى (جزاء لمن كان كافر)
 يحتمل وجوها (أحدها) أن يكون نصبه بقوله حملناه جزاء أي ليكون ذلك الجمل
 جزاء الصبر على كفرانهم (وثانيها) أن يكون بقوله تجري باعيننا لان فيه معنى حفظنا أي
 ما تركناه عن اعياننا وعوننا جزاء له (ثالثها) أن يكون بفعل حاصل من مجموع ما ذكره كأنه
 قال فتحنا أبواب السماء وفجرنا الارض عيوننا وحملناه وكل ذلك فعلناه جزاء له وإنما ذكرنا
 هذا لان الجزاء ما كان يحصل الا بحفظه وانجائه لهم فوجب أن يكون جزاء منصوبا بكونه
 منعولاه بهذه الافعال وانذكر ما فيه من الاطائف في مسائل (المسئلة الاولى) قال في
 السماء ففتحنا أبواب السماء لان السماء ذات الرجم وماله فطور ولم يقبل وشققنا السماء
 وقال في الارض وفجرنا الارض لانها ذات الصدع (الثانية) لما جعل المطر كالسقاء الخارج

(وحملناه) أي نوحا عليه
 السلام (على ذات
 ألواح) أي أخشاب
 مريضة (ودسر) ومسامير
 جمع دسر من الدسر
 وهو الدفع وهي صفة
 للسفينة أقيمت مقامها
 من حيث انها كالشرح
 لها تؤدى موادها
 (تجري باعيننا) برأى
 منا أي بحفظنا بحفظنا
 (جزاء لمن كان كافر) أي
 فعلنا ذلك جزاء لنوح
 عليه السلام لانه كان
 نعمة نقر وها فان كل نبي
 نعمة من الله تعالى على
 أمته ورحمة وأي نعمة
 وأي رحمة وقد جوز
 أن يكون على حذف الجار
 وإيصال الفعل الى الضمير
 واستناره في الفعل بعد
 انقلابه من فوعا وقري
 لمن كفر أي للكافرين

من ابواب مفتوحة واسمة ولم يقل في الارض واجرى ينامن الارض بحارا وانهارا بل قال
 هبونا والخارج من العين دون الخارج من الباب ذكر في الارض انه تعالى فجرها كلها
 فقال وفجرنا الارض لتقابل كثرة عيون الارض سعة ابواب السماء فيحصل بالكثرة ههنا
 ما حصل بالسعة (الثالثة) ذكر عند الغضب سبب الاهلاك وهو فتح ابواب السماء وفجر
 الارض بالعيون وأشار الى الاهلاك بقوله تعالى على امر قد قدر اى امر الاهلاك ولم
 يصرح وعند الرحمة ذكر الانجاء صريحاً بقوله تعالى وحملناه وانشأنا الى طريق النجاة بقوله
 ذات الواح وكذلك قال في موضع آخر فاخذهم الطوفان ولم يقل فاهلكوا وقال فانجيتنا
 واصحاب السفينة فصرح بالانجاء ولم يصرح بالاهلاك اشارة الى سعة الرحمة وغاية الكرم
 اى خلقنا سبب الهلاك ولورجعوا لما ضرهم ذلك السبب كما قال صلى الله عليه وسلم يابى
 اركب معنا وعند الانجاء انجاء وجعل للنجاة طريقا وهو اتخاذ السفينة ولو انكسرت
 لما ضرهم بل كان نجيهاً فالتصود عند الانجاء هو النجاة فذكر الحمل والتصود عند الاهلاك
 اظهار البأس فذكر السبب صريحا (الرابعة) قوله تعالى تجرى بأعيننا ابلغ من
 حفظنا بقول القائل اجعل هذا نصب عينك ولا يقول أحفظه طلبا للباينة (الخامسة)
 بأعيننا يحتمل ان يكون المراد بحفظنا ولهذا يقال الرؤية لسان العين (السادسة) قال
 كان ذلك جزاء على ما كفر وابه لاعلى ايمانه وشكره فاجوزى به كان جزاء صبره على
 كفرهم وأما جزاء شكره لنا فباقى وقرئ جزاء بكسر الجيم أى مجازاة كقتال ومقاتلة
 وقرئ لمن كان كفر يفتح الكاف وأما كفر فقيه وجهان (أحدهما) أن يكون بكفر
 مثل شكر بعدى بالحرف ويعبر حرف يقال شكرته وشكرت له قال تعالى وأشكروا لى
 ولا تكفروا وقال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله (ثانيهما) أن يكون من الكفر
 لامن الكفر ان أى جزاء لمن ستر أمره وأنكر شانه ويحتمل أن يقال كفر به وترك الظهور
 المراد ثم قال تعالى (واقدرت ركناها آية) وفي العائد اليه الضمير وجهان (أحدهما)
 ما دال مذكور وهو السفينة التى فيها ألواح وعلى هذا فقيه وجهان (أحدهما) ترك
 الله عينها مدة حتى روئى وهلت وكانت على الجودى بالجزيرة وقيل بارض الهند
 (وثانيهما) ترك مثلها فى الناس يذكر (وثانى الوجهين الاولين) أنه عائد الى معلوم أى
 تركنا السفينة آية والاول أظهر وعلى هذا الوجه يحتمل ان يقال تركناها أى جعلناها
 آية لانها بعد الفراغ منها صارت متروكة ومجمولة بقول القائل تركت فلانا مثله أى جعلته
 لما بينا انه من فرغ من أمر تركه وجعله فذكر أحد القائلين بدلا عن الآخر وقوله
 تعالى (فهل من مذكر) اشارة الى ان الامر من جانب الرسل قد تم ولم يبق الاجاب
 المرسل اليهم بأن كانوا منذرين متفكرين بهندون بفضل الله فهل من مذكر مهتد
 وهذا الكلام يصلح حثا ويصلح تنويفا وجزا وفيه مسائل (الاولى) قال ههنا واقدر
 تركناها وقال فى العنكبوت وجعلناها آية قلنا هما وان كانا فى المعنى واحدا على ما تقدم

(واقدرت ركناها) أى
 السفينة أو الفعلة (آية)
 يعتبر بها من يقف على
 خبرها وقال قتادة أيقانها
 الله تعالى بأرض الجزيرة
 وقيل على الجودى دهرها
 طويلا حتى نظر اليها
 أوائل هذه الامة (فهل
 من مذكر) أى معتبر
 بتلك الآية الحقيقية
 بالاعتبار وقرئ منذر
 على الاصل ومذكر
 يقاب التاء ذالا والادغام
 فيها

بيانه لكن لفظ الترك يدل على الجمل والفراغ بالايام فكانها هنا مذكورة بالتفصيل
 حيث بين الامطار من السماء وتغيير الارض وذكر السفينة بقوله ذات ألواح ودرسر
 وذكر جريها فقال تركناها اشارة الى تمام الفعل المقدور وقال هناك وجعلناها اشارة الى
 بعض ذلك فان قيل ان كان الامر كذلك فكيف قال ههنا وحلتاه ولم يقل وأصحابه وقال
 هناك وأنجيناه وأصحاب السفينة نقول العجاة ههنا مذكورة على وجه أبلغ مما ذكره
 هناك لانه قال تجرى باعينا أي حفظنا وحفظ السفينة حفظ لأصحابه وحفظ لأموالهم
 ودوابهم والحيوانات التي معهم فقوله وأنجيناه وأصحاب السفينة لا يلزم منه انجاء
 الاموال الايبان آخر والحكاية في سورة هو دأشد تفصيلا وأتم فلهدا قال قلنا احل فيها
 من كل زوجين اثنين يعني المحمول ثم قال تعالى واستوت على الجودي تصريحا بغلاص
 السفينة واشارة الى خلاص كل من فيها وقوله آية منسوبة على انها مفعول ثان للترك لانه
 يعني الجمل على ما تقدم بيانه وهو ان ظاهره ويحتمل أن يقال حال فانك تقول تركتها وهي
 آية وهي ان لم تكن على وزن الفاعل والمفعول فهي في معناه كأنه قال تركناها اذ لا يحتمل
 ان يقال نصبها على التمييز لانها بعض وجود الترك كقوله ضربته سوطا (المسئلة الثانية)
 مذكر مفعول من ذكر يذكر وأصله مذكر وكان يخرج الدال قريبا من يخرج التاء
 والحروف المتقاربة المخرجة بصعب النطق بها على التوالي وهذا اذا نظرت الى الدال مع
 التاء عند النطق تقرب الدال من ان تصير تاء والتاء تقرب من ان تصير دالا فعمل التاء دالا
 ثم ادغمت الدال فيها ومنهم من قرأ على الاصل مذكر ومثمر من قلب التاء دالا وقرأ
 مذكر ومن اللغويين من يقول في مذكر مذكر في قلب التاء ولا يدغم ولا كل وجهة
 والمذكر المعبر المتفكر وفي قوله مذكر اما اشارة الى ما في قوله ألسنت بر بكم قالوا بلى
 أي هل من يتذكر تلك الخالفة واما الى وضوح الامر كأنه حصل لكل آيات الله ونسوها
 فهل من مذكر يتذكر شيئا منها * ثم قال تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) وفيه وجهان
 (أحدهما) أن يكون ذلك استغها من النبي صلى الله عليه وسلم تنبيهها له ووعدا بالعاقبة
 (وثانيهما) أن يكون عاما تنبيهها للخلق ونذر أسقط منه ياء الاضافة كما حذف ياء يسرى في
 قوله تعالى واللبل اذا يسر وذلك عند الوقف ومثله كثير كما في قوله تعالى فإلبي فأعبدون
 ولا تشكروا وقوله تعالى يا عباد فاتقون وقوله تعالى ولا تكفرون وقرى بآيات الله عذابي
 ونذرى * وفيه مسائل (الاولى) ما الذي اقتضى الفاء في قوله تعالى فكيف كان نقول أما
 ان قلنا ان الاستغها من النبي صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى قاله قد علمت اخبار من
 كان قبلك فكيف كان أي بعد ما أحاط بهم علمك بقلها اليك وأما ان قلنا الاستغها عام
 فنقول لما قال هل من مذكر فرض وجودهم وقال يا من يتذكر وعلم الحال بالتذكير
 فكيف كان عذابي ويحتمل أن يقال هو متصل بقوله فهل من مذكر تقديره مذكر كيف
 كان عذابي (المسئلة الثانية) مارأوا العذاب ولا النذر فكيف استغها منهم نقول

٦ قوله والحروف المتقاربة
 الخ ليس هنا توالي
 وعبارة المحلى أصله
 مذكر أيدت التاء دالا
 مهمة وكذا المعجمة
 وأدغمت فيها اه
 (فكيف كان عذابي
 ونذر) استغها تم عليهم
 وتجبب أي كانا على
 كيفية هائلة لا يحيط بها
 الوصف والنذر جمع
 نذير بمعنى الانذار

أما على قولنا الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم لما علم وأما على قولنا عام فهو
 على تقدير الإدكار وعلى تقدير الإدكار يعلم الحال ويحتمل أن يقال إنه ليس باستفهام
 وإنما هو إخبار عن عظمة الأمر كما في قوله تعالى الخافقة ما الخافقة والقارعة ما القارعة
 وهذا لأن الاستفهام يذكر للإخبار كأن صيغة الإخبار تذكر للاستفهام فيقال زيد
 في الدار بمعنى هل زيد في الدار ويقول المجز وعده هل صدقت فكأنه تعالى قال هذا
 وقع وكيف كان أي كان عظيما وحيث لا يحتاج إلى علم من يستفهم منه (المسئلة الثالثة)
 قال تعالى من قبل ففتحنا وفجرنا وبأعيننا ولم يقل كيف كأن عذابتنا نقول لوجهين
 (أحدهما) لفظي وهو إنباء المتكلم يمكن حذفها لأنها في اللفظ تسقط كثيرا فيما إذا
 التقي ما كتمان تقول غلامي الذي وداري التي وهنا حذف لتواخي آخر الآيات وأما
 التوث والالف في ضمير الجمع فلا تحذف (وأما الثاني) وهو المعنوي فتقول إن كان
 الاستفهام من النبي صلى الله عليه وسلم فتوحيد الضمير للأنبياء وفي فتحنا وفجرنا بالترهيب
 العصاة ونقول قد ذكرنا إن قوله مذكور في إشارة إلى قوله أليس بركم فلما وعد الضمير
 بقوله أليس بركم قال فكيف كان (المسئلة الرابعة) التذرع نذير فهل هو مصدر
 كالنسيب والنصب أو فاعل كالكبير والصغير نقول أكثر المفسرين على أنه مصدر ههنا
 أي كيف كان عاقبة عذابي وعاقبة نذاري والظاهر أن المراد بالأنبياء أي كيف كان عاقبة
 أعداء الله ورسوله هل أصاب العذاب من كذب الرسل أم لا فإذا علمت الحال يا محمد فأصبر
 فإن عاقبة أمرك كما عاقبة أولئك النذر ولم يجمع العذاب لأنه مصدر ولو جمع لكان في جنسه
 تقدير وفرض ولا ساجدة إليه فإن قيل قوله تعالى كذبت ثمود بالنذر أي بالإنذارات لأن
 الإنذارات جاءت منهم وأما الرسل فقد جاءهم واحد نقول كل من تقدم من الأمم الذين أشركوا
 بالله كذبوا بالرسل وقالوا ما أنزل الله من شيء وكان المشركون مكذبين بالكل ما خلا
 إبراهيم عليه السلام فكانوا يعتقدون فيه الخير لكونه شيخ المرسلين فلا يقال كذبت
 ثمود بالنذر أي بالأنبياء بأسرهم كما أنكم أيها المشركون تكذبون بهم * ثم قال تعالى
 (ولقد يسرنا القرآن للذكر) وفيه وجوه (الأول) المحفوظ فيمكن حفظه وبسهل
 ولم يكن شيء من كتب الله تعالى يحفظ على ظهر القلب غير القرآن * وقوله تعالى (فهل
 من مدكر) أي هل من يحفظه ويتلوه (الثاني) سهلناه للانعاط حيث أتينا فيه بكل حكمة
 (الثالث) جعلناه بحيث يعلق بالقلوب ويستلذ سماعه ومن لا يفهم يتفهمه ولا يسأم
 من سمعه وفهمه ولا يقول قد علمت فلا اسمع بل كل ساعة يزداد منه لذة وعلما (الرابع)
 وهو الأظهر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر بحال نوح عليه السلام وكان له معجزة قبل له
 أن معجرتك القرآن ولقد يسرنا القرآن للذكر تذكرة لكل أحد وتهدى به في العالم ويقع
 على مرور الدهور ولا يحتاج كل من حضره إلى دعاء ومسئلة في إظهار معجزة وبعدك
 لا ينكر أحد وقوع ما وقع كما ينكر البعض انشقاق القمر وقوله تعالى فهل من مدكر

(ولقد يسرنا القرآن)
 بالجملة قسمية وردت
 في أو آخر القصص
 الأربعم تقرير المضمون
 ما سبق من قوله تعالى
 ولقد جاءهم من الأنباء
 ما فيه من دجر حكمة بالغة
 فاتعنى النذرو تنبيهها على
 أن كل قصة منها مستقلة
 بإيجاب الإدكار كافية
 في الإزدجار ومع ذلك
 لم تقع واحدة في حيز
 الاعتبار أي وبالله لقد
 سهلنا القرآن لقومك
 بأن نزلناه على لغتهم
 ووضعتنا بأنواع الموضع
 والعبر ومصرفنا فيه من
 الوعيد والوعد (لذا ذكر)
 أي للتذكير والانعاط
 (فهل من مدكر) إنكار
 ونفي للانعاط على أبلغ
 وجه وأكده حيث يدل
 على أنه لا يقدر أحد أن
 يجيب المستفهم بنعم وحل
 تيسيره على تسهيل حفظه
 بجزالة نظمه وعذوبة
 ألفاظه وعباراته مما
 لا يساعده المقام

اي منذ كر لان الافتعال والتفعل كثيرا ما يجي بمعنى وعلى هذا فلو قال قائل هذا يقضى وجود امر سابق فتسى تقول ما في الفطرة من الانقياد للحق هو كالنسي فهل من مدكر يرجع الى ما فطر عليه وقيل فهل من مدكر أي حافظ أو متعظ على ما فسرنا به قوله تعالى يسرنا القرآن للذكر وقوله فهل من مدكر وعلى قولنا المراد منذ كراشارة الى ظهور الامر فكانه لا يحتاج الى فكر بل هو امر حاصل عنده لا يحتاج الى معاودة ما عند غيره * ثم قال تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونسر) وفيه مسائل (الاولى) قال في قوم نوح كذبت قوم نوح ولم يقل في عاد كذبت قوم هود وذلك لان التعريف كما أمكن أن يوتى به على وجه أبلغ فالاولى ان يوتى به والتعريف بالاسم العلم اولى من التعريف بالاضافة اليه فانك اذا قلت بيت الله لا يفيد ما يفيد قولك الكعبة فكذلك اذا قلت رسول الله لا يفيد ما يفيد قولك محمد فعاد اسم علم للقوم لا يقال قوم هود اعرف لوجهين (أحدهما) ان الله تعالى وصف عاد بقوم هود حيث قال لا بعد العاد قوم هود ولا يوصف الاظهر بالاخفى والاخص بالاعم (ثانيهما) ان قوم هود واحد وعاد قيل انه لفظ يقع على أقوام ولهذا قال تعالى عادا الاولى لانا نقول اما قوله تعالى اعاد قوم هود فليس ذلك صفة وانما هو يدل ويجوز في البديل أن يكون دون المبدل في المعرفة ويجوز أن يبدل عن المعرفة بالثكرة واما عادا الاولى فقد قدمنا ان ذلك لبيان تقدمهم أي عادا الذين تقدموا وليس ذلك للتمييز والتعريف كما تقول محمد النبي شفيعي والله الكرمي ربى ورب الكعبة المشرفة لبيان الشرف لا لبيانها وتعريفها كما تقول دخلت الدار المعمورة من الدارين وخدمت الرجل الزاهد من الرجلين فتبين المقصود بالوصف (المسئلة الثانية) لم يقل كذبوا هودا كما قال فكذبوا عبدا وذلك لوجهين (أحدهما) ان تكذيب نوح كان أبلغ وأشد حيث دعاهم قريبا من ألف سنة وأصروا على التكذيب ولهذا ذكر الله تعالى تكذيب نوح في مواضع ولم يذكر تكذيب غيره نوح صريحا وانبه عليه واحد منها في الاعراف قال فنجيناها والذين معه في الفلك وقال حكاية عن نوح قال رب ان قومي كاذبون وقال انهم صسوتى وفي هذه المواضع لم يصرح بتكذيب قوم غيره منهم الا قبلا ولذلك قال تعالى في مواضع ذكر شعيب فكذبوه وقال الذين كذبوا شعيبا وقال تعالى عن قومه وانا لنظنك من الكاذبين لانه دعا قومه زمانا مديدا (وثانيهما) ان حكاية عاد مذكورة ههنا على سبيل الاختصار فلم يذكر الاتكذيبهم وتعذيبهم فقال كذبت عاد كما قال كذبت قوم نوح ولم يذكر دعاه عليهم واجابته كما قال في نوح (المسئلة الثالثة) قال تعالى فكيف كان عذابي قبل ان بين العذاب وفي حكاية نوح بين العذاب ثم قال فكيف كان فالحكمة فيه نقول الاستفهام الذى ذكره في حكاية نوح مذكور ههنا وهو قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر كما قال من قبل ومن بعد في حكاية نوح غير انه تعالى حكى في حكاية عاد فكيف كان مرتين المرة الاولى استفهام لبيان كما يقول المعلمين

(كذبت عاد) اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له رومالاختصارومسارعة الى بيان ما فيه الازديجار من العذاب وقوله تعالى (ككيف كان عذابي ونذر) لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصفاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لانه هو بله وتعظيمه وتعجبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاراتي لهم

لا يعرف كيف المسئلة الفلانية ليصير المسؤول سائلا فيقول كيف هي فيقول انها كذا وكذا فكذلك ههنا قال كذبت عاد فكيف كان عذابي فقال السامع بين أنت فاني لأعلم فقال اننا أرسلنا وأما المرة الثانية فاستفهمم للتعظيم كما يقول القائل للعارف المشاهد كيف فعلت وصنعت فهول نعم ما فعلت ويقول أنيت بمجيبة فيحقق عظمة الفعل بالاستفهام وانما ذكر ههنا المرة الاولى ولم يذكر في موضع آخر لان الحكاية ذكرها مختصرة فكان يفوت الاعتبار بسبب الاختصار فقال كيف كان عذابي حثا على التدبر والتفكر وأما الاختصار في حكايتهم فلان أكثر أمرهم الاستكبار والاعتماد على القوة وعدم الالتفات الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى يا ما هاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد مناقرة وذكر استكبارهم كثيرا وما كان قوم محمد صلى الله عليه وسلم مبالغين في الاستكبار وانما كانت مبالغتهم في التكذيب ونسبته الى الجنون وذكر حالة نوح على التفصيل فان قومه جمعوا بين التكذيب والاستكبار وكذلك حال صالح عليه السلام ذكرها على التفصيل لشدة مناسبتها بحال محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (اننا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قال تعالى فكيف كان عذابي بتوحيد الصمير هناك ولم يقل عذابتنا وقال ههنا اننا ولم يقل اني والجواب ما ذكرناه في قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء (المسئلة الثانية) الصرصر فيها وجوه (أحدها) الريح الشديدة الصوت من الصرير والصرة شدة الصياح (ثانيا) دأمة الهبوب من أصر على الشيء اذ لدام وثبت وفيه بحث وهو ان الاسماء المشتقة هي التي تصلح لان يوصف بها وأما أسماء الاجناس فلا يوصف بها سواء كانت أجراما أو معاني فلا يقال انسان رجل جاء ولا يقال اون أبيض وانما يقال انسان طام وجسم أبيض وقولنا أبيض معناه شيء له بياض ولا يكون الجسم ما خردا فيه وبظهر ذلك في قولنا رجل طام فان العالم شيء له علم حتى الحداد والحياز ولو أمكن قيام العلم بهما لكان طاما ولا يدخل الحي في المعنى من حيث المفهوم فانا اذا قلنا طام يفهم أن ذلك حي لان اللفظ ما وضع لحي يعلم اللفظ وضع لشيء يعلم ويريد ظهورا قولنا معلوم فانه شيء يعلم أو أمر يعلم وان لم يكن شيئا ولو دخل الجسم في الأبيض لكان قولنا جسم أبيض كقولنا جسم له بياض فيقع الوصف بالجثة اذا علمت هذا فن المستغاد بالجنس شيء دون شيء فان قولنا الهندي يقع على منسوب الى الهند وأما المهند فهو سيف منسوب الى الهند فيصح أن يقال هبدهندي وتمرهندي ولا يصح ان يقال مهند وكذا الابلق واون آخر في فرس ولا يقال للشوب ابلق كذلك الافطس أنف فيه تعبير اذا قل القائل انف افطس فيكون كأنه قال انف به فطس فيكون وصفه بالجثة وكان ينبغي أن لا يقال فرس ابلق ولا انف افطس ولا سيف مهند وهم يقولون فالجواب وهذا السؤال يرد على الصرصر لانها الريح الباردة فاذا قال ريح صرصر فليس ذلك كقولنا ريح باردة فان الصرصر هي

وقوله تعالى (اننا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) استئناف ببيان ما أجل أو لأى أرسلنا عليهم ريحا باردة أو شديدة الصوت (في يوم نحس) شوم (مستمر) أي شومه أو مستمر عليهم الى أن أهلكهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشند حرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر

الريح الباردة فحسب فكأنه قال ريح ريح باردة فنقول الالفاظ التي في معانيها
امر ان فصاعدا كقولنا عالم فانه يدل على شئ له علم فقيه شئ وعلم هي على ثلاثة اقسام
(احدها) ان يكون الحال هو المقصود والمحل تبع كافي العالم والضارب والايض فان
المقاصد في هذه الالفاظ العلم والضرب والبياض بخصوصها واما المحل المقصود من
حيث انه على عمومته حتى ان البياض لو كان يبدل بلون غيره اختلف مقصوده كالاسود
والجسم الذي هو محل البياض ان امكن ان يبدل وامكن قسام البياض بجوهر غير
جسم لما اختلف الغرض (ثانيها) ان يكون المحل هو المقصود كقولنا الحيوان لانه اسم
لجنس ماله الحياة لا كالحى الذي هو اسم لشيء له الحياة فالقصد هنا المحل وهو الجسم حتى
لو وجد حتى ليس بجسم لا يحصل مقصود من قال الحيوان واوحل اللفظ على الله الحى
الذى لا يموت لحصل غرض التكلم واوحل لفظ الحيوان على فرس قائم او انسان قائم
تفارقه الحياة للمبقى للسمع نفع ولم يحصل للمتكلم غرض فان القائل اذا قال لانسان قائم
وهو ميت هذا حيوان ثم بان موته لا يرجع عما قال بل يقول اما قلت انه حتى بل قلت انه
حيوان فهو حيوان فارقت الحياة (ثالثها) ما يكون الامر ان مقصودين كقولنا رجل
وامرأة وناقاة وجل فان الرجل اسم موضوع لانسان ذكر والمرأة لانسان أنثى والناقاة
لبعير أنثى والجل لبعير ذكر فالناقاة ان اطلقت على حيوان فظهر فرسا او ثورا اختلف
الغرض وان بان جلا كذلك اذا علمت هذا ففي كل صورة كان المحل مقصودا اما وحده
وامامع الحال فلا يوصف به فلا يقال جسم حيوان ولا يقال بغير ناقاة وانما يجعل ذلك جملة
فيوصف بالجملة فيقال جسم هو حيوان وبعير هو ناقاة ثم ان الابلق والافطس شأنه
الحيوان من وجه وشأنه العالم من وجه وكذلك المهند لكن دليل ترجيح الحال فيه ظاهر
لان المهند لا يذكر الالمدح السيف والافطس لا يقال الا لوصف الانثى لالحقيقة وكذلك
الابلق بخلاف الحيوان فانه لا يقال لوصفه وكذلك الناقاة اذا علمت هذا فالصريح يقال
لشدة الريح اولبردها فوجب ان يعمل به ما يعمل بالبارد والشديد فجاز الوصف وهذا
بحث عزيز (المسئلة الثالثة) قال تعالى ههنا انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا وقال في
الطور وفي عاد اذا ارسلنا عليهم الريح العقيم فعرف الريح ههنا وتكرها ههنا لان العقيم
الريح اظهر من البرد الذى يضر النبات او الشدة التي تعصف الاشجار لان الريح العقيم
هي التي لا تنشى عجايبا ولا تفتح شجرا وهي كثيرة او فروع واما الريح المهلكة الباردة فقلما
توجد فقال الريح العقيم أى هذا الجنس المعروف ثم زاده بيانا بقوله ما نذر من شئ أنت
عليه الاجمعت كالريم فميزت عن الرياح العقيم واما الصرصر فقليلة الوقوع فلا تكون
مشهورة فتكرها (المسئلة الرابعة) قال ههنا في يوم نحس مستمر وقال في السجدة في أيام
نحسات وقال في الحاقة سبع ليال وثمانية أيام حسوما والمراد من اليوم ههنا الوقت
والزمان كافي قوله تعالى يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا وقوله مستمر يفيد ما يفيد

الايام لان الاستمرار ينبي عن استمرار الزمان كما ينبي عنه الايام وانما اختلف اللفظ مع اتحاد المعنى لان الحكاية هنا مذكورة على سبيل الاختصار وقد كرر الزمان ولم يذكر مقداره وانما لم يصفها ثم ان فيه قراءتين احدهما يوم نحس اضافة يوم وتسكين نحس على وزن نفس وانيتها يوم نحس بنون الميم وكسر الحاء على وصف اليوم ما نحس كما في قوله تعالى في ايام نحسات فان قيل ايتيها اقرب قلنا الاضافة اصح وذلك لان من يقرأ يوم نحس مستمر يجعل المستمر صفة ليوم ومن يقرأ يوم نحس مستمر يكون المستمر وصفا لنحس فيحصل منه استمرار النحوسة فالاول اطهر وأبقى فان قيل من يقرأ يوم نحس بسكون الحاء فاذا يقول في النحس يقول يحتمل أن يقول هو تخفيف نحس كتحذير وفحذني غير انصافات ونصير ونصير ورعد ورعد وعلى هذا يلزمه أن يقول تقديره يوم كان نحس كما تقول في قوله تعالى يجازب العزبي و يحتمل أن يقول نحس ليس بنعت بل هو اسم معنى او مصدر فيكون كقولهم يوم برد وحر وهو اقرب وأصح (المسئلة الخامسة) ما معنى مستمر نقول فيه وجوه (الاول) بتثابت مدة مديدة من استمرار الامر اذا دام وهذا كقوله تعالى في ايام نحسات لان الجمع يفيد معنى الاستمرار والامتداد وكذلك قوله حسوما (الثاني) شديد من المرة كما قلنا من قبل في قوله سحر مستمر وهذا كقولهم ايام الشدائد واليه الاشارة بقوله تعالى في ايام نحسات لتدبفهم بعض الذي فانه يتدبفهم المراد من العذاب ثم قال تعالى (تزرع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) فيه مسائل (المسئلة الاولى) تزرع الناس وصف أحوال نقول يحتمل الامرين جريما اذ يعبر أن يقال أرسل رب يحاصر صبرا نازعة للناس ويصح أن يقال أرسل الرب نازعة فان قيل كيف يمكن جعلها حالا وذوالحال نكرة نقول الامر هنا أهون منه في قوله تعالى ولقد جاءهم من الانبياء ما فيه من دجر فانه نكرة وأجابوا عنه بان ما موصوفة فتخصصت فحسن جعلها ذات الحال فكذلك نقول ههنا الرب موصوفة بالصبر والتكبر فيفيد للتعظيم والافهني ثلاثة فلا يبعد جعلها ذات حال وفيه وجه آخر وهو انه كلام مستأنف على فعل وفاعل كما تقول جاء زيد جذبني وتقديره جاء فاجذبني كذلك ههنا قال انا ارسلنا عليهم ريحا فاصبحت تزرع الناس وبطل عليه قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى فانه في قوله تزرع الناس اشارة الى ما اشار اليه بقوله صرعى وقوله تعالى كأنهم أعجاز نخل منقعر فيه وجوه (احدها) تزرعهم فصرعهم كأنهم أعجاز نخل كما قال صرعى كأنهم أعجاز نخل (ثانيها) تزرعهم فهم بعد التزرع كأنهم أعجاز نخل وهذا اقرب لان الاتعار قبل الوقوع فكان الربح تزرع وتقر فيتقر فيقع فيكون صرعا فيخلو الموضع عنه فيخوى وقوله في الحاقة فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية اشارة الى حاله بعد الاتعار الذي هو بعد التزرع وهذا يفيد ان الحكاية ههنا مختصرة حيث لم يشر الى صرعهم وخبو منازلهم عنهم بالكلية فان حال الاتعار لا يحصل الخلو التام اذ هو مثل الشروع في الخروج والاخذ فيه (ثالثها) تزرعهم زعا

(تزرع الناس) تغلقهم
 روى أنهم دخلوا
 السحاب والحفر وثمسك
 بعضهم ببعض فنزعتهم
 الريح وصرعتهم موتى
 (كأنهم أعجاز نخل
 منقعر) أي منقاع عن
 مفارسته قيل شبهوا
 بأعجاز النخل وهي
 أصولها بلا فروع لان
 الريح كانت تغلق رؤسهم
 فتبقى أجسادا وجثثا
 بلا رؤس وتذكير صفة
 نخل للنظر الى اللفظ كما
 أن ثايتها في قوله تعالى
 أعجاز نخل خاوية للنظر
 الى المعنى

بعنف كأنهم اعجاز نخل نفعهم فينعروا إشارة الى قوتهم وثباتهم على الارض وفي
 المعنى وجوه (احدها) انه ذكر ذلك إشارة الى عظمة اجسادهم وطول اقدادهم
 (ثانيها) ذكره إشارة الى ثباتهم في الارض فكانهم كانوا يعملون أرجلهم في الارض
 ويقصدون المنع به على الريح (وثالثها) ذكره إشارة الى يسهم وجفافهم بالريح
 فكانت تغلهم وتحردهم ببردها المفراط فيقعون كأنهم أخشاب باسنة (المسئلة
 الثانية) قال ههنا متعرة فذكر النخل وقال في الحاقه كأنهم اعجاز نخل خاوية فانها
 قال المفسرون في تلك السورة كانت أو آخر الآيات تقتضي ذلك لقوله مستمر ومنهم
 ومنشرو وهو جواب تحسن قان الكلام كإزني بحسن المعنى بزني بحسن اللفظ ويمكن
 أن يقال النخل لفظه لفظ الواحد كالقل والنعل ومعناه معنى الجمع فهو زان يقال فيه
 نخل منقر ومنقرة ومنقعات ونخل خاو وخاوية وخاويات ونخل باسقى وباسقة
 وباسقات فاذا قال قائل متعرة أو خاو أو باسقى مجرد النظر الى اللفظ ولم يراع جانب المعنى
 واذا قال متعرات أو خاويات أو باسقات مجرد النظر الى المعنى ولم يراع جانب اللفظ واذا
 قال متعرة أو خاوية أو باسقة جمع بين الاعتبارين من حيث وحدة اللفظ وور بما قال
 متعرة على الافراد من حيث اللفظ والحق به تارة التأييد التي في الجماعة اذا عرفت هذا
 فتقول ذكر الله تعالى لفظ النخل في مواضع ثلاثة ووصفها على الوجوه الثلاثة فقال
 والنخل باسقات فانها حال منها وهي كالوصف وقال نخل خاوية وقال نخل منقر
 فحيث قال منقر كان المختار ذلك لان المتعرة في حقيقة الامر كالمفعول لانه الذي ورد
 عليه التعر فهو متعور والنخاوي والباسق فاعل ومعناه اخلاء ما هو مفعول عن علامة
 التأييد أولا كما تقول امرأة كفيل وامرأة كقبيلة وامرأة كبير وامرأة كبيرة وأما
 الباسقات فهي فاعلات حقيقة لان البسوق امر قائم بها وأما الخاوية فهي من باب حسن
 الوجه لان الخاوي موضعها فكانه قال نخل خاوية للمواضع وهذا غاية الاعجاز حيث
 أتى بلفظ مناسب للافاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ فكان الدليل يقتضي
 ذلك بخلاف الشاعر الذي يختار اللفظ على المذهب الضعيف لاجل الوزن والقافية
 * ثم قال تعالى (فكيف كان عذابي ونذر ولقد بسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)
 وتفسيره قد تقدم والتكرير للتقرير وفي قوله عذابي ونذر لطيفة ما ذكرناها وهي ثبتت
 بسؤال وجواب لو قال القائل أكثر المفسرين على ان النذر في هذا الموضع جمع نذر الذي
 هو مصدر معناه انذار بالحكمة في توحيد العذاب حيث لم يقل فكيف كان انواع
 عذابي ووبال انذارى تقول فيه إشارة الى غلبة الرحمة الغضب وذلك لان الانذار اشفاق
 ورحمة فقال الانذارات التي هي نعم ورحمة تواترت فلما لم تنفع وقع العذاب دفعة واحدة
 فكانت النعم كثيرة والنفعة واحدة وسنين هذا زيادة بيان حين نفسر قوله تعالى فبأى
 آلاء ربكما تكذبان حيث جمع الآلاء وكثر ذكرها وكررها ثلاثين مرة ثم بين الله تعالى حال

وقوله تعالى (فكيف
 كان عذابي ونذر)
 فهو يل لهما وتجب من
 أمرهما بعد بيانها
 فليس فيه شأية تكرار
 وما قبل من أن الاول
 لما ساق بهم في الدنيا
 والثاني لما يحق بهم
 في الآخرة برده ترتيب
 الثاني على العذاب
 النبوي (ولقد بسرنا
 القرآن للذكر فهل من
 مدكر) الكلام فيه
 كالذي مر فيما سبق

قوم آخرين * فقال (كذبت ثمود بالنذر) وقد تقدم تفسيره غير انه في قصة عاد قال كذبت ولم يقل بالنذر وفي قصة نوح قال كذبت قوم نوح بالنذر فتقول هذا يوئيد ما ذكرنا من أن المراد بقوله كذبت قبلهم قوم نوح ان عادتهم ومذهبهم انكار الرسل وتكذيبهم فكذبوا نوحا بناء على مذهبهم وانما صرح بهذا لان كل قوم يأتون بعد قوم وانما سما رسولان فالكذب المتأخر يكذب المرسلين جميعا حقيقة والاولون يكذبون رسولا واحدا حقيقة ويلزمهم تكذيب من بعده بناء على ذلك لانهم لما كذبوا من تقدم في قوله الله تعالى واحدا والحشر كأن ومن أرسل بعده كذلك قوله ومذهبهم لزم منه أن يكذبوه ويدل على هذا ان الله تعالى قال في قوم نوح فكذبوه فانجيته وقال في عاد وثمود جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله وأما قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين فاشارة الى انهم كذبوا وقالوا ما يفضي الى تكذيب جميع المرسلين ولهذا ذكره بلفظ الجمع المعرف بالاستغراق ثم انه تعالى قال هناك عن نوح رب ان قومي كذبون ولم يقل كذبوا رسلا اشارة الى ما صدر منهم حقيقة لان ما زعمهم لزمه اذا عرفت هذا فلما سبق قصة ثمود ذكر رسولين ورسولهم قال كذبت ثمود بالنذر هذا كله اذا قلنا ان النذر جمع نذير بمعنى منذر اما اذا قلنا انها الانذارات فتقول قوم نوح وعاد لم تستمر المعجزات التي ظهرت في زمانهم وأما ثمود فانذروا واخرج لهم ناقة من صخرة وكانت تدور بينهم وكذبوا فكان تكذيبهم بانذارات وايات ظاهرة فصرح بها وقوله فقالوا ابشر انما واحد تبعه يؤيد الوجه الاول لان من يقول لا تتبع بشرا على وجميع المرسلين من البشر يكون مكذبا لرسول واليه في قوله بالنذر يؤيد الوجه الثاني لاننا ان الله تعالى في تكذيب الرسل عدى التثنية بغير حرف فقال كذبوه وكذبوا رسلا وكذبوا عبدا وكذبوني وقال كذبوا بايات ربهم واياتنا فعدى بحرف لان التثنية هو النسبة الى الكذب والقائل هو الذي يكون كاذبا حقيقة والكلام والقول يقال فيه كاذب مجازا وتعاقب التثنية بالقائل أظهر فيستغنى عن الحرف بخلاف القول وقد ذكرنا ذلك وبيانه بيانا شافيا * وفي قوله تعالى (فقالوا ابشر انما واحد تبعه) مسائل (المسئلة الاولى) زيدنا ضربه وزيدنا ضربه كراهاجاز والنصب مختار في مواضع منها هذا الموضع وهو الذي يكون ما يرد عليه النصب والرفع بعد حرف الاستفهام والسبب في اختيار النصب أمر معقول وهو ان المستفهم يطلب من المسؤل أن يجعل ما ذكره بعد حرف الاستفهام بدأ للكلامه ونحوه منه فاذا قال زيد عندك عناء اخبرني عن زيد واذكر لي حاله فاذا انضم الى هذه الحالة فعل من كور ترجح جانب النصب فيجوز أن يقال زيدنا ضربه وان لم يجب فالاحسن ذلك فان قيل من قرأ ابشرنا واحدا تبعه كيف ترك الاجود نقول نظر الى قوله تعالى فقلوا اذا ما بعد القول لا يكون الاجلة والاسمية أولى والاولى أقوى وأظهر (المسئلة الثانية) اذا كان بشرا منصوبا بفعل فالحكمة في تأخر الفعل في الظاهر نقول قد تقدم مرارا

(كذبت ثمود بالنذر) أي
الانذارات والواعظ التي
سمعوها من صالح
أو بالرسول عليهم السلام
فان تكذيب أحدهم
تكذيب لكل لانها فهم
على أصول الشرائع
(فقالوا ابشر انما) أي
كأننا من جنسنا وانتصابه
بفعل يفسمه ما بعده
(واحد) أي منفردا
لا تتبع له أو واحدا من
آحادهم لان أشرفهم
وهو صفة اخرى لبشر
وتأخيره عن الصفة المؤولة
للتثنية على أن كلام من
الجنسية والوحدة مما يمنع
الاتباع واو قدم عليها
الغائت هذه التثنية وقرئ
ابشرنا واحدا على
الابتداء وقوله تعالى
(تبعه) خبره والاول
أوجه للاستفهام

ان يبلغ بقسم في الكلام ما يكون تدلوق غرضه به أكثر وهم كانوا يريدون تبين كونهم
 متعين في ترك الاتباع ذوقاً وأتبع بشراً يمكن أن يقال نعم اتبعوه وماذا ينتمى من اتبعه
 فإذا لم يوافقوا بما قالوا هم من نوبنا بشر ومن صنفنا رجل ليس غريباً فنعقد فيه انه يعلم
 ما نعلم أو يفهم على ما لا نفهم وهو واحد وحيد وليس له جند وحشم وخيل وخدم
 فكيف يتبعه فكيف يكون قد عدوا الموجب لجواز الامتناع من الاتباع واعلم ان في الآية
 اشارات الى ذلك (أحدها) نكره حيث قالوا أئبشرا ولم يقولوا أنتع صالحاً والرجل
 المدعى النبوة أو غير ذلك من العرفات والتكثير لشعب (ثانيها) قالوا أئبشرا ولم يقولوا
 أرجل (ثالثها) قالوا أنا وهو يحتمل أمرين أحدهما من صنفنا ليس غريباً وثانيها ما
 أي تبعنا يقول القائل لغيره أنت منافق أتذى السامع ويقول لا بل أنت منا ولست أنا
 منكم وتحققه ان من للتبويض والبعض يتبع الكل لا الكل يتبع البعض (رابعها)
 واحداً يحتمل أمرين أيضاً * أحدهما وحيداً اشارة الى ضعفه * وثانيها ما واحد أي هو
 من الآحاد لا من الأكابر المشهورين وتحديق القول في استعمال الآحاد في الأصغر
 حيث يقال هو من آحاد الناس هو ان لا يكون مشهوراً بحسب ولا نسب اذا حدث
 عنه من لا يعرفه فلا يمكن أن يقول عند قال فلان أو ابن فلان فيقول قال واحد وفعل
 واحداً فيكون ذلك غاية الحمول لان الازل لا ينضم اليه أحد فيبقى في أكثر وأقانه واحداً
 فيقال للازل آحاد * وقوله تعالى عنهم (انا اذا نبي ضلال وسعير) يحتمل وجهين
 (أحدهما) أن يكونوا قد قالوا في جواب من يقول لهم ان لم تتبعوه تكونوا في ضلال
 فقولون له لا بل ان تبعنا نكون في ضلال (ثانيها) ان يكون ذلك ترتيباً على ما مضى أي
 حاله ما ذكرنا من الضعف والوحدة فان اتبعناه نكون في ضلال وسعير أي جنون على هذا
 الوجه فان قلنا ان ذلك قاله على سبيل الجواب فيكون القائل قال لهم ان لم تتبعوه فانا اذا
 في الحال في ضلال وفي سعير في العقبى فقالوا لا بل اوتبعناه فانا اذا في الحال في ضلال وفي
 سعير من الذل والعبودية مجازاً فانهم ما كانوا يعترفون بالسعير (المسئلة الثالثة) السعير في
 الآخرة واحد فكيف جمع نقول الجواب عندهم وجوه (أحدها) في جهنم دركات يحتمل
 أن تكون كل واحدة سعيراً أو فيها سعير (ثانيها) لدوام العذاب عليهم فانه كلما نصبت
 جلودهم يبدلهم جلوداً كأنهم في كل زمان في سعير آخر وعذاب آخر (ثالثها) لسعة
 السعير الواحد كأنها سعير يقال للرجل الواحد فلان ليس برجل واحد بل هو رجال
 * ثم قال تعالى عنهم (أألقى الذكر عليه من بينا بل هو كذاب أشير) وقد تقدم ان
 النبي بطريق الاستفهام أبلغ لان من قال ما أنزل عليه الذكر ربما يعلم أو يظن أو يتوهم
 ان السامع يكتبه فيه فاذا ذكر بطريق الاستفهام يكون معناه ان السامع يجيبني بقوله
 ما أنزل فيجمل الامر خبيثاً منقباً ظاهراً لا يخفى على أحد بل كل أحد يقول ما أنزل
 والذكر اسالة أو الكتاب ان كان ويحتمل أن يراد به ما يذكره من الله تعالى كما قال الحق

انا اذا اي على تفسير
 يا عنسالة وهو منقرد
 نحن أمهجة (نبي
 ضلال) عن الصواب
 (وسعير) أي جنون
 فان ذلك بمنزل من
 مقتضى العقل وقيل كان
 يقول لهم ان لم تتبعوني
 كنتم في ضلال عن الحق
 وسعير أي نيران جمع سعير
 مكسوا عليه عليه السلام
 لغاية عتوهم فقالوا ان
 اتبعناك كنا اذن كما تقول
 (أألقى الذكر) أي
 الكتاب والوحى (عليه
 من بينا) وفيما من هو
 أحق منه بذلك (بل هو
 كذاب أشير) أي ليس
 الامر كذلك بل هو
 كذا وكذا حله بطره
 على الترفع علينا بما ادعاه

ويراد به ما يجعل من الله وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوالهم التي بدل أنزل وفيه اشارة الى ما كانوا ينكرونه من طريق المبالغة وذلك لان الالتقاء انزال بسرعة والتي كان يقول جاءني الوحي مع الملك في لحظة يسيرة فكانهم قالوا الملك جسم والسماء بعيدة فكيف ينزل في لحظة فقالوا التي ولمنعنا أنزل وقوالهم عليه انكار آخر كانهم قالوا ما التي ذكر أصلا ثم قالوا ان التي فلا يكون عليه من بيننا وبيننا من هو فوقه في الشرف والذكا وقوالهم التي بدل عن قوالهم التي التي الله للاشارة الى أن الالتقاء من السماء غير ممكن فضلا عن أن يكون من الله تعالى (المسئلة الثانية) عرفوا الذكور ولم يقولوا التي عليه ذكر وذلك لان الله تعالى حكى انكارهم لما لا ينبغي أن ينكر فقال انكروا الذكر الظاهر المبين الذي لا ينبغي أن ينكر فهو كقول القائل نكروا المعلوم (المسئلة الثالثة) بل يستدعي أمرا مضربا عنه سابقا فاذالك نقول قوالهم التي الانكار فهم قالوا ما التي ثم ان قوالهم التي عليه الذكر لا يقتضى الا انه ليس بتي ثم قالوا بل هو ليس بصادق (المسئلة الرابعة) الكذاب فعال من فاعل المبالغة أو يقال بل من فاعل للنسب كخطاط وتمام نقول الاول هو الصحيح الاظهر هلي ان الثاني من باب الاول لان المنسوب الى الشيء لا بد له من أن يكثر من مرأولة الشيء فان من خاط يوما ثوبه مرة لا يقال له خياط اذا عرفت هذا فنقول المبالغة اما في الكثرة واما في الشدة فالكذاب اما شديد الكذب يقول ما لا يشبه العقل أو كثير الكذب ويحتمل أن يكونوا وصفوه به لاعتقادهم الامرين فيه وقوالهم أشر اشارة الى انه كذب لا لضرورة وحاجة الى خلاص كما يكذب الضعيف وانما هو استغنى وبطروا طلب الرياسة طيبكم وأراد اتباعكم له فكان كل وصف مانع من الاتباع لان الكاذب لا يلتفت اليه ولا سيما اذا كان كذبه لا لضرورة وقرئ أشر فقال المفسرون هذا على الاصل المرفوض في الاشر والاخير على وزن أفعل التفضيل وانما رفض الاصل فيه لان أفعل اذا فسر قد يفسر بأفعل أيضا والثاني بأفعل ثالث مثاله اذا قال ما معنى الاعلم يقال هو الاكثر عملا فاذا قيل الاكثر ماذا يقال الازيد عددا او شي مثله فلا بد من أمر يفسر به الافعل لان ما به نقانوا افعل التفضيل والفضيلة اصلها الخير والخير أصل في باب أفعل فلا يقال فيه أخير ثم ان الشر في مقابلة الخير يفعل به ما يفعل بالخير يقال هو شر من كذا وخير من كذا والاشر في مقابلة الاخير ثم ان خيرا يستعمل في موضعين (أحدهما) مبالغة الخير بفعل أو افعل على اختلاف يقال هذا خير وهذا أخير ويستعمل في مبالغة خير على المشابهة لاعلى الاصل فن يقول أشر يكون مشترك الاصل المستعمل لانه أخذ في الاصل المرفوض بمعنى هو شر من غيره وكذا معنى الاعلم ان علمه خير من علم غيره أو هو خير من غيره الجهل كذلك القول في الاضعف وغيره * ثم قال تعالى (سيعلمون عدا من الكذاب الاشر) فان قال قائل سيعلم للاستقبال ووقت انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كانوا قد عملوا لان بعد الموت تدبى الامور وقد عابوا ما عابوا فكيف القول فيه نقول

وقوله تعالى (سيعلمون عدا من الكذاب الاشر) حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وصداله ووعيد لقومه والسبين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالعدو وقت نزول العذاب أي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله أشمره وبطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرئ سيعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ أو على حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ الاشر كقوالهم حذر في حذر وقرئ الاشر أي الابغ في الشرارة وهو أصل مرفوض كالاخير وفي المراد بالعدو يوم القيامة و آباء

فيه وجهان (احدهما) أن يكون هذا القول مفروض الوقوع في وقت قواهم بل هو
كذاب أشرف فكانا تعالى قال يوم قالوا بل هو كذاب أشرف سيعلمون غدا (وثانيهما) أن
هذا التهديد بالتعذيب لا يحصل العلم بالعذاب إلا به وهو عذاب جهنم لا عذاب القبر
فهم سيعذبون يوم القيامة وهو مستقبل وقوله تعالى غدا قرب الزمان في الامكان
والاذهان ثم ان قلنا ان ذلك للتهديد بالتعذيب لا للتكذيب فلا حاجة الى تفسيره بل يكون
ذلك اعادة لقولهم من غير قصد الى معناه وان قلنا هو الرد والوعدين بيان انكشف الامر
فقوله تعالى سيعلمون غدا معناه سيعلمون غدا انهم المكذبون الذين كذبوا بالحاجة وضرورة
بل بطروا وأشروا لما استغنوا وقوله تعالى غدا يحتمل أن يكون المراد يوم القيامة
ويحتمل أن يكون المراد يوم العذاب وهذا على الوجه الاول ثم قال تعالى (ان امر سلوا
الناقة فتتلهم فارقتبهم واصطبر) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) قوله ان امر سلوا الناقة
بمعنى الماضي أو بمعنى المستقبل ان كان بمعنى الماضي فكيف يقول فارقتبهم واصطبر
وان كان بمعنى المستقبل فما الفرق بين حكاية عاد وحكاية ثمود حيث قال هناك انا ارسلنا
وقال ههنا ان امر سلوا الناقة بمعنى ان ارسل نقول هو بمعنى المستقبل وما قبله وهو قوله
سيعلمون غدا يدل عليه فان قوله ان امر سلوا الناقة كالبیان له كانه قال سيعلمون حيث
زسل الناقة وما بعده من قوله فارقتبهم ونبتهم أيضا يقتضى ذلك فان قيل قوله تعالى فنادوا
دليل على ان المراد الماضي قلنا سنجيب عنه في موضعه وأما الفارق فنقول حكاية ثمود
مستقصاة في هذا الموضع حيث ذكر تكذيب القوم بالنذر وقواهم لرسولهم وتصديق
الرسول بقوله سيعلمون وذكر المعجزة وهي الناقة وما فعلوه بها والعذاب والهلاك بذكر حكاية
على وجه الماضي والمستقبل ليكون وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم كانه حاضرهما فيغندى
بصالح في الصبر والدعاء الى الحق ويشق بر به في التصبر على الاعداء بالحق فقال انى مؤيدك
بالمعجزة القاطعة واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص وجعل القصة
المتوسطة مذكورة على أم وجه لان حال صالح كان اكثر مشابها بحال محمد صلى الله
عليه وسلم لانه أتى بأمر عجيب ارضى كان أعجب مما جاء به الانبياء لان عيسى عليه
السلام أحيا الميت لكن الميت كان محلا للحياة فثبت بأذن الله الحياة في محل كان قابلا
لها وموسى عليه السلام انقلب عصاه ثعبانا فثبت الله له في الخشبة الحياة لكن الخشبة
نبات كان له قوة في النماء يشبه الحيوان في النمو فهو أعجب وصالح عليه السلام كان الظاهر
في يده خروج الناقة من الحجر والحجر جراد لا محل للحياة ولا محل للنمو والنبي صلى الله عليه
وسلم أتى بأعجب من الكل وهو التصرف في جرم السماء الذى يقول المشرك لا وصول
لاحد الى السماء ولا مكان لشقه وخرقه وأما الارضيات فقالوا انها أجسام مشتركة
المواد يقبل كل واحد منها صورة الاخرى والسماوات لا تقبل ذلك فلما أتى بما عرفوا فيه
انه لا يقدر على مثله آدمى كان أم وأبلغ من معجزة صالح عليه السلام التي هي أم معجزة من

معجزات من كان من الانبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم (وفيه لطيفة) وهو ان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي وذكر معه مفعوله فالواجب الاضافة تقول وحشي قاتل عم النبي صلى الله عليه وسلم فان قلنا قاتل عم النبي بالاعمال فلا بد من تقدير الحكاية في الحال كافي قوله تعالى وكابهم باسط ذراعيه على انه يحكي القصة في حال وقوعها تقول خرجت أمس فاذا زيد ضارب عمرا كما تقول يضرب عمرا وان كان الضرب قد مضى واذا كان بمعنى المستقبل فالاحسن الاعمال تقول اني ضارب عمرا غدا فان قلت اني ضارب عمرو غدا حيث كان الامر وقع وكان جاز لكنه غير الاحسن والتحقيق فيه ان قولنا ضارب وسارق وقاتل أسماء في الحقيقة غيران لهما دلالة على الفعل فاذا كان الفعل تحقّق في الماضي فهو قد عدم حقيقة فلا وجود للفعل في الحقيقة ولا في التوقع فيجب الحمل على ما للاسم من الاضافة وترك ما للفعل من الاعمال لغلبة الاسمية وبقيدان الفعل بالماضي واذا كان الفعل حاضرا أو متوقفا في الاستقبال فله وجود حقيقة أو في التوقع فتجوز الاضافة لصورة الاسم والاعمال لتوقع الفعل أو لوجوده ولكن الاعمال أولى لان في الاستقبال ان يضرب يفيد لا يكون ضاربا فلا ينبغي أن يضاف أما الاعمال فهو يبنى عن توقع الفعل أو وجوده لانه اذا قال زيد ضارب عمرا فالسمع اذا سمع يضرب ثم وعلم أنه يفعل فاذا لم يره في الحال يتوقعه في الاستقبال غير ان الاضافة تفيد تخفيفا حيث سقط بها التشوين والذون فتختار لفظا لا معنى اذا عرفت هذا فنقول مرسلو الناقة مع ما فيه من التخفيف فيه تتعقب الامر وتقديره كانه وقع وكان بخلاف ما لو قيل اننا نرسل الناقة (المسئلة الثانية) فتنة مفعوله فتكون الفتنة هي المقصودة من الارسال لكن المقصود منه تصديق النبي صلى الله عليه وسلم وهو صالح عليه السلام لانه معجزة فالتحقيق في تفسيره نقول فيه وجهان (أحدهما) ان المعجزة فتنة لان بها يتميز حال من شاب من يعذب لان الله تعالى بالمعجزة لا يعذب الكفار الا اذا كان يابهم بمصدقه من حيث نبوته فالمعجزة ابتلاء لانها تصديق وبعد التصديق يتميز المصدق عن المكذب (وثانيهما) وهو ادق أن اخراج الناقة من الصحرة كان معجزة وارسالها اليهم ودورانها فيما بينهم وقسمه الماء كان فتنة ولهذا قال ان امرسلو الناقة فتنة ولم يقل انما خرجوا الناقة فتنة والتحقيق في الفتنة والابتلاء والامتحان قد تقدم مرارا واليه اشارة حقة وهي ان الله تعالى يهدي من يشاء والهداية طرق منها ما يكون على وجه يكون للانسان مدخل فيه بالكسب مثاله يتخلق شيئا دالا ويقع تفكر الانسان فيه ونظره اليه على وجه يترجم عنده الحق فيتبعه وتارة يلجئه اليه ابتداء ويصونه عن الخطا من صفرة فاطهار المعجر على يد الرسول أمر يهدي به من يشاء اهتداه مع الكسب وهداية الانبياء من غير كسب منهم بل يتخلق فيهم علوما غير كسبية فقوله ان امرسلو الناقة فتنة اشارة اليهم ولهذا قال لهم ومعناه على وجه يصلح لان يكون فتنة وعلى هذا كل من كانت معجزته أظهر يكون ثواب قومه أقل

وقوله تعالى فارتقبهم أي فارتقبهم بالعذاب ولم يقل فارتقب العذاب إشارة إلى حسن
 الأدب والاجتناب عن طلب الشر وقوله تعالى واصطبر يؤيد ذلك بمعنى أن كانوا يؤذونك
 فلا تستجلب لهم العذاب ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى قرب الوقت إلى أمرهما والأمر
 بحيث يعجز عن الصبر ثم قال تعالى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) أي
 مقسوم وصف بالمصدر مراد به المشتق منه كقوله ماء ملح وقول زور وفيه ضرب من
 المبالغة يقال للكرم كرم كأنه هو عين الكرم ويقال فلان لطف محض ويحتمل أن يكون
 القسمة وقعت بينهما لأن الناقة كانت عظيمة وكانت حيوانات القوم تنفر منها ولا ترد
 الماء وهي على الماء فصعب عليهم ذلك فجعل الماء بينهما يوماً للناقة و يوماً للقوم ويحتمل
 أن تكون لفة الماء فشر به يوماً للناقة و يوماً للحيوانات ويحتمل أن يكون الماء كان
 بينهم قسمة يوم تقوم و يوم تقوم ولما خلق الله الناقة كانت ترد الماء يوماً فكان الذي لهم
 الماء في غير يوم وردوها يقولون الماء كلدنا في هذا اليوم و يومكم كان أسس والناقة
 ما أخرجت شيئاً فلا تكثرنكم من الورود أيضاً في هذا اليوم فيكون التقصان وإرداء على الكل
 وكانت الناقة تشرب الماء بأسرها وهذا أيضاً ظاهر ومقول والمشهور هنا الوجه الأوسط
 وتقول إن قوما كانوا يكتفون بلبنها يوم وردها الماء والكل يمكن ولم يرد في شيء خبر
 متواتر والثالث قطع وهو من القسمة لأنها مثبتة بكسب الله تعالى أما كيفية القسمة
 والسبب فلا وقوله تعالى كل شرب محتضر مما يؤيد الوجه الثالث أي كل شرب محتضر
 للقوم بأسرها لأنه لو كان ذلك لبيان كرم الشرب محتضراً للقوم أو الناقة فهو معلوم
 لأن الماء ما كان يترك من غير حضور وان كان لبيان أنه تحضره الناقة يوماً والقوم يوماً
 فلا دلالة في اللفظ عليه وأما إذا كانت العادة قبل الناقة على أن يرد الماء قوم في يوم
 وآخرون في يوم آخر ثم لما خلفت الناقة كانت تنص شرب البعض وتترك شرب الباقين
 من غير تقصان فقال كل شرب محتضراً أيها القوم فردوا كل يوم الماء وكل شرب ناص
 تقاسمه وكل شرب كامل تقاسمه * ثم قال تعالى (فنادوا أصحابهم) نداء المستغيث كأنهم
 قالوا يا قسدار للقوم كما يقول القائل بالله للمسلمين وصاحبهم قدار وكان أشجع وأهجم
 على الأمور ويحتمل أن يكون رئيسهم * وقوله تعالى (فعاطى فمقر) يحتمل وجوها
 (الأول) فعاطى آله العقر فمقر (الثاني) فعاطى الناقة فمقرها وهو أضعف (الثالث)
 الفعاطى يطلق ويراد به الأقدام على الفعل العظيم والتحقيق هو أن الفعل العظيم يقدم
 كل أحد فيه صاحبه ويرى نفسه منه فن يقبله ويقدم عليه يقال فعاطاه كأنه كان فيد
 تدافع فأخذه هو بعد التدافع (الرابع) أن القوم جعلوا له على عمله جهلاً فعاطاه وعقر
 الناقة * ثم قال تعالى (فكيف كان صدابي ونذري) وقد تقدم بيانه وتفسيره غير أن
 هذه الآية ذكرها في ثلاثة مواضع ذكرها في حكاية نوح بعد بيان العذاب وذكرها ههنا
 قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه فحيث ذكر قبل بيان العذاب

قوله تعالى (ان امر سلو
 الناقة) الخ فانه استئناف
 مسوق لبيان مبادى
 المسعود جنساً أى
 مخرجوها من الهضبة
 خشياً أو (فتنة لهم)
 أى امتحاناً (فارتقبهم)
 أى فانتظرهم وتبصر
 ما يصنعون (واصطبر)
 على أذيتهم (ونبئهم أن
 الماء قسمة بينهم) مقسوم
 لها يوم ولهم يوم وبيته
 لتغليب العقلاء (كل
 شرب محتضر) يحضره
 صاحبه في نوبته
 (فنادوا أصحابهم) هو
 قدار بن سالف أحمير
 ثمود (فعاطى فمقر)
 فاجترأ على فعاطى
 الأمر العظيم غير مكثرت
 له فاحدث العقر بالناقة
 وقيل فعاطى الناقة
 فمقرها أو فعاطى السيف
 فقتلها والتعاطى تناول
 الشيء يتكلف (فكيف
 كان صدابي ونذري)
 الكلام فيه كالذى
 مر في صدر قصة عاد

ذكرها للبيان كما نقول ضربت فلانا أي ضرب واما ضرب وتقول ضربته وكيف
ضربته أي فويأوفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام وقد ذكرنا السبب فيه
في حكاية نوح ذكرنا الذي للتعظيم وفي حكاية نود ذكرنا الذي للبيان لان عذاب قوم نوح كان
بأمر عظيم عام وهو الطوفان الذي عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فانه كان مختصا
بهم ثم قال تعالى (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحطّط) صيحة واصيحة
فأتوا وفيه مسائل (المسئلة الاولى) كان في قوله فكانوا من أي الاقسام نقول قال النحاة
تجى تارة بمعنى صاروا تسكوا بقول القائل

بئسما فقر والمعلى كانها * قطا الحزن قد كانت فواخا يوضها

بمعنى صارت فقال بعض المفسرين في هذا الموضع انها بمعنى صاروا التحقيق ان كان
لا يتخالف غيرها من الافعال الماضية اللازمة التي لاتتمدى والذي يقال ان كان تاما
وناقصة وزائدة بمعنى صار فليس ذلك بوجوب اختلاف أحوالها الخلفا فيفارق غيرها
من الافعال ذلك لان كان بمعنى وجد وحصل أو تحقق غير ان الذي وجد تارة يكون
حقيقة الشيء وأخرى صفة من صفاته فذا قلت كانت الكائنة وكن فيكون جعلت
الوجود والحصول الشيء في نفسه فكانت قلت وجدت الحقيقة الكائنة وكن أي
احصل فيوجد في نفس واذ قلت كان زيد عالما أي وجد علم زيد غير اننا نقول في وجد زيد
عالما ان عالما حال وفي كان زيد عالما نقول انه خبر كقولنا حصل زيد عالما غير ان قولنا
وجد زيد عالما ر بما يفهم منه ان الوجود والحصول لزيد في تلك الحال كقولنا قام زيد
منهجا حيث يكون القيام زيد في تلك الحال وقولنا كان زيد عالما ليس منهجا كان زيد وفي
تلك الحال هو عالم لكن هذا لا يوجب ان كان على خلاف غيره من الافعال اللازمة التي
لها الحال تعلق شديد لان من يفهم من قولنا حصل زيد اليوم على أحسن حال ما يفهمه
من قولنا خرج زيد اليوم في أحسن زى لا يتعد مانع من أن يفهم من قولنا كان زيد على
أحسن حال مثل ما يفهم هناك * اذا عرفت هذا فنقول الفعل الماضي يطلق تارة على
ما يوجد في الزمان المتصل بالحاضر كقولنا قام زيد في صباه ويطلق تارة على ما يوجد في
الزمان الحاضر كقولنا قام زيد فقم فقام وكذلك القول في كان ر بما يقال كان
زيد قائما عام كذا وير بما يقال كان زيد قائما الآن كما في قام زيد فقوله تعالى فكانوا فيه
استعمال الماضي فيما اتصل بالحال فهو كقولك أرسل عليهم صيحة فأتوا أي متصلا
بتلك الحال نعم لو استعمل في هذا الموضع صار يجوز لكن كان وصار كل واحد بمعنى في
نفسه وانما يلزم حل كان على صار اذا لم يمكن أن يقال هو كذا كما في البيت حيث لا يمكن
أن يقال أبيض فراخ وأما هنا يمكن أن يقال هم كهشيم ولو الكاف لا يمكن ان يقال
يجب حل كان على صار اذا كان المراد انهم انقلبوا هشيم كما يقاب المسوخ وليس
المراد ذلك (المسئلة الثانية) ما الهشيم نقول هو المهشوم أي المكسور وسمى هاشم

(انا أرسلنا عليهم صيحة
واحدة) هي صيحة
جبريل عليه السلام
(فكانوا) أي فصاروا
(كهشيم المحطّط)
أي كالشجر اليابس الذي
يتخذ من يعمل الحظيرة
لاجلها وكالحشيش
اليابس الذي يجمعه
صاحب الحظيرة لما شته
في الشتاء وقرى بفتح
الطاء أي كهشيم
الحظيرة أو الشجر
المتخذ لها

هاشم الهشمه الثريد في الجواز غير ان الهشمه استعمل كثيرا في الخطب المتكسر الياس
 فقال المنسرون كانوا كالخشيش الذي يخرج من الحظائر بعد البلايقت واستدلوا
 عليه بقوله تعالى هشيما تدبوه الرياح وهو من باب اقامة الصفه مقام الموصوف كما
 يقال رأيت جرحا ونعله تسعير (السئلة الخاتمة) ابا ذاهبهم به فانه يحتمل أن يكون
 التشبيه بكونهم يابسين كالخشيش بين الموتى الذين ماتوا من زمان وكأنه يقول سمعوا
 الصفة فكانوا كأنهم ماتوا من أيام ويحتمل أن يكون لانهم انضموا بعضهم الى بعض كما
 ينضم الرفقاء عند الحروب داخلين بعضهم في بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كخطب
 الخطاب الذي يصفه شيأ فوق شيأ منتظرا حضور من يشتري منه شيأ من الخطاب الذي
 عنده الخطب الكثير يجعل منه كالخطيرة ويحتمل أن يكون ذلك لبيان كونهم في الحميم
 أي كانوا كالخطب الياس الذي لا يوقد فهو محقق لقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون
 الله حصب جهنم وقوله تعالى فكانوا الجهنم حطبا وقوله آخر قوا فادخلوا نارنا كذلك ماتوا
 فصاروا كالخطب الذي لا يكون الا الاحراق لان الهشمه لا يصلح للبناء * ثم قال تعالى
 (واقديسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) و التكرار للتذكير بين حال قوم آخرين
 وهم قوم اوط * فقال (كذبت قوم لوط بانذر) ثم بين عذابهم واهلاكهم * فقال
 (انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر) وفيه مسائل (الاولى) الحاصب
 فاعل من حصب اذا رمى الحصباء وهي اسم الحجارة والمرسل عليهم هو نفس الحجارة قال الله
 تعالى وأمرنا عليهم حجارة من سجيل وقال تعالى عن الملائكة انزل عليهم حجارة من طين
 فالرسل عليهم ليس بحاصب فكيف الجواب عنه نقول الجواب من وجوه (الاول)
 أرسلنا عليهم ريحا حاصبا بالحجارة التي هي الحصباء وكذا استعمال الحاصب في الريح الشديدة
 فاقام الصفه مقام الموصوف (فان قيل) هذا ضعيف من حيث اللفظ والمعنى أما اللفظ
 فلان الريح مؤنثة قال تعالى ريح عاصر عاصبة بريح طيبة وقال تعالى انا سنخرناله الريح
 تجري بأمره وقال تعالى غدوها شهر وقال تعالى في الرياح لواقح وما قال لقاحا ولا فحة
 وأما المعنى فلان الله تعالى بين أنه أرسل عليهم حجارة من سجيل مسومة عليها علامة كل
 واحد وهي لا تسمى حصباء وكان ذلك بأيدي الملائكة لا بالريح (نقول) نأبث الريح ليس
 حقيقة وأما اصناف الغالب فيها التذكير كالاعصار قال تعالى اعصار فيه نار فما كان
 حاصب حجارة كان كالذي فيه نار وأما قوله كان الرمي بالسجيل لا بالحصباء وبأيدي
 الملائكة لا بالريح فنقول كل ريح يرمى بحجارة يسمى حاصبا وكيف لا والسحاب الذي
 يأتي بالبرد يسمى حاصبا تشبيها للبرد بالحصباء فكيف لا يقال في السجيل وأما الملائكة
 فانهم حركوا الريح وهي حصبب الحجارة عليهم (الجواب الثاني) المراد عذاب حاصب
 وهذا أقرب لتناوله الملك والسحاب والريح وكل ما يفرض (الجواب الثالث) قوله حاصبا
 هو أقرب من الكل لان قوله انا أرسلنا بدل على مرسل هو مرسل الحجارة وحاصبها فان

(واقديسرنا القرآن
 للذكر فهل من مدكر
 كذبت قوم لوط بانذر
 انا أرسلنا عليهم حاصبا)
 أي ريحا تحصبهم أي
 ترميهم بالحصباء (الآل
 لوط نجيناهم بسحر)
 في سحر وهو آخر الليل
 وقبل هو السادس الاخير
 منه أي ملتبس بسحر

قبل كان ينبغي أن يقول حاصب بن نعيم المازني ذكر الوصف ورحمته ياتب الأفتد كانه قال
 شيئا حاصبا اذالمقصود بيان جنس العذاب لا بيان من علمه من العذاب وهذا وارد على من
 قال الربح مؤنث لان ترك التانيث هناك كترك علاقة الجحيمه (المسئلة الثانية) ما رتب
 الارسال على التكذيب بلغاه فلم يقل كذبت نور نوط بالندرة فاسلما كما قال فقضنا أبواب
 السماء لان الحكاية مسوقة على مشاق ما تقدم من الحكايات فكانه قال فكيف كان
 عذابي ونذر كما قال من قبل ثم فيقول لا علم لنا به وانما أنت العليم فاشهرنا فقال انما أرسلنا
 (المسئلة الثالثة) ما الحكمة في ترك العذاب حيث لم يقل فكيف كان عذابي كما قال
 في الحكايات الثلاث نقول لان التكرار ثلاث مرات بالغ واهذا قال صلى الله عليه وسلم
 الأهل بلغت ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم فتكاهها باطل باطل باطل والادكار
 تكرر ثلاث مرات فبثلاث مرار حصل التأكيذ وقد بينا أنه تعالى ذكر فكيف كان
 عذابي في حكاية نوح للتعظيم وفي حكاية ثمود والبيان وفي حكاية عاد هامت لتعظيم
 والبيان جميعا واعلم أنه تعالى ذكر فكيف كان عذابي في ثلاث حكايات أربع مرات فالمرّة
 الواحدة للانذار والمرات الثلاثة للادكار لان المقصود حصل بالمرّة الواحدة وقوله تعالى
 فبأى آلام ربكم انكذبان ذكره مرة للبيان وأعادها ثلاثين مرة غير المرّة الاولى كما أعاد
 فكيف كان عذابي ونذر ثلاث مرات غير المرّة الاولى فكان ذكر الآلاء عشرة امثال
 من العذاب اشارة الى الرحمة التي قال في بيانها من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن
 جاء بالسيئة فلا يجزي الامثالها وسبب ذلك في سورة الرحمن (المسئلة الرابعة) الآل لوط
 استثناء مما اذا ان كان من الذين قال فيهم أنا أرسلنا عليهم حاصبا فالضمير في عليهم
 عائذ الى قوم لوط وهم الذين قال فيهم كذبت قوم لوط ثم قال انما أرسلنا عليهم لكن لم يستثن
 عند قوله كذبت قوم لوط وآله من قومه فيكون آله قد كذبوا ولم يكن كذلك الجواب عنه
 من وجهين (أحدهما) أن الاستثناء من عاد اليهم الضمير في عليهم وهم القوم بأسرهم
 غير ان قوله كذبت قوم لوط لا يوجب كون آله مكذبين لان قول القائل عصي أهل بلدة كذا
 يصح وان كان فيها شر ذمّة قليلة يطيهون فكيف اذا كان فيهم واحد او اثنان من المطيعين
 لا غير فان قيل ماله حاججة الى الاستثناء لان قوله انما أرسلنا عليهم يصح وان نجما منهم طائفة
 يسيرة نقول الفائدة لما كانت لا تحصل الا ببيان اهلاك من كذب وانجاء من آمن فكان
 ذكر الانجاء مقصودا وحيث يكون القليل من الجحيم الكثير مقصودا لا يجوز التعميم
 والاطلاق من غير بيان حال ذلك المقصود بالاستثناء أو بكلام منفصل مثاله فسجدوا
 الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استثنى الواحد لانه كان مقصودا وقال تعالى وأوتيت
 من كل شيء ولم يستثن اذالمقصود بيان انها أوتيت لا بيان انها ما أوتيت وفي حكاية ابليس
 كلاهما مراد ليعلم أن من تكبر على آدم هو قبي ومن تواضع أتيت كذلك القول ههنا
 وأما عند التكذيب فكان المقصود ذكر المكذبين فلم يستثن (الجواب الثاني) ان

الاستثناء من كلام مدلول عليه كانه قال انا ارسلنا عليهم خاصا فاما انجيينا من الحساب
 الا آل لوط و جاز ان يكون الارسال عليهم و الاهلاك يكون عاما كافي قوله تعالى و اتقوا
 فتنة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة فكان الحساب أهلك من كان الارسال عليه
 مقصودا و من لم يكن كذلك كاطفالهم و دوابهم و مساكنهم فأنجا منهم احدا الا آل لوط
 فان قيل اذا لم يكن الاستثناء من قوم لوط بل كان من امر عام فيجب ان يكون لوط أيضا
 مستثنى نقول هو مستثنى عقلا لان من العاوم انه لا يجوز تركه و انجاءه ابتاعه والذي يدل
 عليه انه مستثنى قوله تعالى عن الملائكة نحن أعلم بمن فيها لننجيهن و أهله الامر انه
 في جوابهم لبراهيم عليه السلام حيث قال ان فيها لوط فان قيل قوله في سورة الحجر الا آل
 لوط انما لنجوهم الاستثناء من المجرمين و آل لوط لم يكونوا مجرمين فكيف استثنى منهم
 و الجواب مثل ما ذكرنا (فاحدا للجوابين) انا ارسلنا الى قوم يصدق عليهم انهم مجرمون
 و ان كان فيهم من لم يجرم (ثانيا) الى قوم مجرمين باهلاكهم الكلال الا آل لوط و قوله
 تعالى نجيناهم بسحر كلام مستأنف ليس وقت الانجاء و الايات كيفية الاستثناء لان آل
 لوط كان يمكن ان يكونوا فرس و لا يصيبهم الحساب كافي عاد كانت الريح تلعب الكافر
 و لا يصيب المؤمن منها مكروه أو يجعل لهم مدفعا كافي قوم نوح فقال نجيناهم بسحر أي
 أمرناهم بالخروج من القرية في آخر الليل و السحر قيل الصبح و قيل هو السفس الأخير
 من الليل * ثم قال تعالى (نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر) أي ذلك الانجاء كان
 فضلا منا كان ذلك الاهلاك كان عدلا و لو أهلكوا لكان ذلك عدلا قال تعالى و اتقوا
 فتنة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة قال الحكماء ان عضو العاصد يقطع و لا يبدان يقطع
 معه جزء من الصحيح يحصل استئصال انفساد غير ان الله تعالى قادر على التمييز التام فهو
 مخار ان شاء أهلك من آمن و كذب ثم بيثت الذين أهلككم من المصدقين في دار الجزاء و ان
 شاء أهلك من كذب فقال نعمة من عندنا اشارة الى ذلك و في نصيبها و وجهان (أحدهما)
 انه مقوله كانه قال نجيناهم نعمة منا (ثانيا) على انه مصدر لان الانجاء منه انقسام
 فكانه تعالى قال أنعمنا عليهم بالانجاء انعمنا وقوله تعالى كذلك نجزي من شكر فيه
 وجهان (أحدهما) ظاهر و عليه أكثر المفسرين وهو انه من آمن كذلك نجيه من
 عذاب الدنيا و لا تهلكه و عدا الامة محمد صلى الله عليه وسلم المؤمنين بانه يصونهم عن
 الاهلاكات العامة و السيئات المطبقة الشاملة (وثانيا) وهو الاصح ان ذلك و عدلهم
 و جزاؤهم بالشواب في دار الآخرة كانه قال كنجيناهم في الدنيا أي كما أنعمنا عليهم نعم
 عليهم يوم الحساب والذي يؤيد هذا أن النجاة من الاهلاكات في الدنيا ليس يلزم و من
 عذاب الله في الآخرة لازم بحكم الوعيد و كذلك يهجي الله الشاكرين من عذاب النار
 و يذر الظالمين فيه و يدل عليه قوله تعالى من يرد ثواب الدنيا نوته منها و من يرد ثواب
 الآخرة نوته منها و سنجزي الشاكر و قوله تعالى فأتاهم الله بما قالوا جنات تجري

(نعمة من عندنا) أي
 انعمنا و هو صلة انجيينا
 (كذلك) أي مثل ذلك
 الجزاء العجيب (نجزي
 من شكر) نعمة بالايان
 والطاعة

من تحتها الا انها خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والشاكر بحسن فعلم ان المراد جزاؤهم في
 الآخرة * ثم قال تعالى (وقد أنذرهم بطشتنا فمثاروا بالندر) وفيه تبرة لوط عليه
 السلام وبيان أنه أتى بما عليه فانه تعالى لما رتب التعذيب على التكذيب وكان من
 الرحمة أن يوخره ويقدم عليه الانذارات البالغة بين ذلك فقال أهلكتناهم وكان وقد
 أنذرهم من قبل وفي قوله بطشتنا وجهان (أحدهما) المراد البطشة التي وقعت وكان
 يخوفهم بها ويدل عليه قوله تعالى انما أرسلنا عليهم حاصبا فكانه قال انما أرسلنا عليهم
 ما سبق ذكرها الانذار بها والتخويف (وثانيهما) المراد بها ما في الآخرة كافي قوله تعالى
 يوم نبطش البطشة الكبرى وذلك لان الرسل كلهم كانوا ينذرون قوتهم بعذاب الآخرة
 كما قال تعالى فانذر تكلم نارا نلظى وقال وأنذرهم يوم الآزفة وقال تعالى انما أنذرناكم
 عذابا قريبا لعلهم يفتخرون وهذا فقيه لضيفة وهي ان الله تعالى قال ان بطش ربك
 لشديد وقال ههنا بطشتنا ولم يقل بطشتنا وذلك لان قوله تعالى ان بطش ربك لشديد بيان
 لجنس بطشه فاذا كان جنسه شديدا فكيف الكبري منه وأما لوط عليه السلام فذكر لهم
 البطشة الكبرى ثلثا يكون مقصرا في التبليغ وقوله تعالى فمثاروا بالندر يدل على أن
 النذري الانذارات * ثم قال تعالى (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا
 عذابي ونذر) والمراد به من الرمد ومنه الارادة وهي قريبة من المطالبة غير أن المطالبة
 تستعمل في العين يقال طالب زيد عمرا بالندراهم والمراد به لا تستعمل الا في العمل يقال
 راوده عن المساعدة ولهذا تعدى المراد به الى مفعول ثان ومن المطالبة بالبناء وذلك لان
 الشغل منوط باختيار الفاعل والعين قد توجد من غير اختياره وهذا فرق الحال فاذا
 قلت أخبرني بأمر معين عليه الخبر بالعين بخلاف ما اذا قيل عن كذا او يزيد هذا ظهورا
 قول القائل أخبرني زيد عن مجي فلان وقوله أخبرني بمجيته فان من قال عن مجيته رعا
 يكون الاخبار عن كيفية المجي لا عن نفسه وأخبرني بمجيته لا يكون الا عن نفس المجي
 والضيف يقع على الواحد والجماعة وقد ذكرناه في سورة الذاريات وكيفية المرادة
 مذكورة فيما تقدم وهي انهم كانوا مفسدين وسعوا بضيف دخلوا على لوط فراوده عنهم
 وقوله فطمسنا أعينهم تقول ان جبريل كان فيهم فضرب بعضهم جناحه على وجوههم
 فاعماههم وفي الآية مسائل (الاولى) الضمير في راوده ان كان عائدا الى قوم لوط
 فاقى قوله أعينهم ايضا عائدا اليهم فيكون قد طمس أعين قوم لوط ولم يطمس الأعين قليل
 منهم وهم الذين دخلوا دار لوط وان كان عائدا الى الذين دخلوا الدار فلا ذكر لهم فكيف
 القول فيه تقول المرادة حقيقة حصلت من جمع منهم لكن لما كان الامر في القوم
 وكان ضميرهم ذلك مذهبه أسندها الى الكل ثم بقوله راوده حصل قوم هم المراد بهم
 حقيقة فعاد الضمير في أعينهم اليهم مثاله قول القائل الذين آمنوا صلوا فصحت صلاتهم
 فيكون هم في صلاتهم عائدا الى الذين صلوا بعدما آمنوا ولا يعود الى مجرد الذين آمنوا لانك

(وقد أنذرهم) لوط
 عليه السلام (بطشتنا)
 أي أخذتنا الشديدة
 بالعذاب (فمثاروا) فكذبوا
 (بالندر) متشاكين
 (ولقد راودوه عن ضيفه)
 قصدوا العجز بهم
 (فطمسنا أعينهم)
 فطمسناها وسويتها
 كسائر الوجوه روى
 أنهم لما دخلوا داره عنوة
 صفة لهم جبريل عليه
 السلام صفة فتركهم
 يترددون لا يهندون الى
 الباب حتى أخرجهم
 لوط عليه السلام
 (فذوقوا عذابي ونذر)
 أي فقلنا لهم ذوقوا على
 السنة الملايكة أو ظاهر
 الحال والمراد به الطمس
 فانه من جملة ما أنذروه
 من العذاب

لواقصرت على الذين آمنوا فصحت صلاتهم لم يكن كلاما منفلوما ولو قلت الذين صلوا
فصحت صلاتهم صح الكلام فعلم أن الضمير تأدالي ما حصل بعد قوله راودوه والضمير في
راودوه تأدالي المنذرين المتأمرين بالندب (المسئلة الثانية) قال ههنا فطمسنا أعينهم
وقال في بس واوشاء الطمس على أعينهم فالترق نقول هذا بما يؤيد قول ابن عباس
فانه نقل عنه أنه قال المراد من الطمس الحجب عن الادراك فاجعل على بصرهم شيء غير
انهم دخلوا ولم يروا هناك شيئا فكانوا كالعموسين وفي بس أراد انه اوشاء لجعل على
بصرهم غشاوة أى الزق احد الجفنين بالآخر فيكون على العين جلدة فيكون قد طمس
عليها وقال غيره انهم عموا وصارت عينهم مع وجههم كالصفحة الواحدة ويؤيد قوله
تعالى فدوقوا عذابي لانهم ان يقوا بصيرين ولم يروا شيئا هناك لا يكون ذلك عذابي
والطمس بالمعنى الذى قاله غير ابن عباس عذاب الاول أن يقال انه تعالى حكى
ههنا ما وقع وهو طمس العين واذهب ضوؤها وصورتها بالكيفية حتى صارت وجوههم
كالصفحة المساء ولم يمكنهم الانكار لانه أمر وقع وأما هناك فقد خوفهم بالمكن المقدور
عليه فاختر ما يصدق على كل أحد ويعرف به وهو الطمس على العين لان اطباق الجفن على
العين أمر كبير الوقوع وهو بقدره الله تعالى وارا دته فقال واوشاء الطمس على أعينهم
وما شقنا جفنهم عن عينهم وهو أمر ظاهر الامكان كبير الوقوع والطمس على ما وقع
اقوم لوط نادى فقال هناك على أعينهم ليكون أقرب الى القبول (المسئلة الثالثة) قوله
تعالى فدوقوا عذابي ونذر خطاب ممن وقع ومع من وقع فلنا فيه وجوه (أحدها) فيه
اضمار تقديره قلت على لسان الملائكة ذوقوا عذابي (ثانيها) هذا خطاب مع كل
مكذب تقديره كنتم تكذبون فدوقوا عذابي فانهم لما كذبوا ذاقوا عذابه (ثالثها) ان هذا
الكلام خرج مخرج كلام الناس فان الواحد من الملوك اذا أمر بضرب مجرم وهو شديد
الغضب فاذا ضرب ضربه بامر وهو يصرخ والملك يسمع صراخه يقول عند سماع
صراخه ذق المك مجرم مستاهل ويعلم الملك أن المكذب لا يسمع كلامه ويخطب بكلامه
المستغيب الصراخ وهذا كثير فكذلك لما كان كل أحد يرى من الله تعالى يسمع اذا
عذب معاندا كان قد سخى الله عليه بقول ذق انك أنت انزل الكريم ذوقوا عذابي يومكم
هذا فدوقوا عذابي ولا يكون به مخاطبان يسمع ويحجب وذلك اظهار العدل أى لست
بمقابل عن تعذيبك فتخلص بالصراخ والضراعة وإنما أنا بك عالم بأنك له أهل لما قد صدر
منك فان قيل هذا وقع بغير الغاء واما بالقول وبإلقاء قوله ر بما يقول كنتم
تكذبون فدوقوا (المسئلة الرابعة) النذر كيف يذاق تقول معناه ذق فملاك أى مجازاة
فملاك وموجبه ومقال ذق الالم على فملاك وقوله فدوقوا عذابي كقولهم ذق الالم وقوله
ونذر كقولهم ذق فملاك أى ذق ما لزم من انذارى فان قيل فعلى هذا لا يصح العطف لان
قوله فدوقوا عذابي وما لزم من انذارى وهو العذاب يكون كقول القائل ذوقوا عذابي

وعذابي تقول قوله تعالى قدوقوا عذابي أي العاجل منه وما لزم من انذارى وهو العذاب
 الآجل لان الانذار كان به على ما تقدم بيانه فكانه قال ذوقوا عذابي العاجل وعذابي
 الآجل فان قيل هما لم يكونا في زمان واحد فكيف يقال ذوقوا تقول العذاب الآجل
 أوله متصل بآخر العذاب العاجل فهما كما واقع في زمان واحد وهو كقوله تعالى أغرقوا
 فادخلوا ناراً ثم قال تعالى (ولقد صبغهم بكرة عذاب مستقر) أي العذاب الذي
 عمها تقوم بعد الخاص الذي طمس بحسن البعض وفيه مسائل (المسئلة الاولى) صبغهم
 فيدلالة على الصبح فاصح بكرة تقول فائدته تبين انظر افة فيه فقوله بكرة يحتمل وجهين
 (احدهما) انها منصوبة على انها ظرف ومثله تقول في قوله تعالى لسرى بعبد ليللا
 وفيه بحث وهو ان الرخشري قال ما للقائدة في قوله ليللا وقال جوابا في التنكير دلالة
 على أنه صكان في بعض الليل وتمسك بقراءة من قرأ من الليل وهو غير ظاهر والظاهر
 فيه ان يقال بأن الوقت المبهم يذكر لبيان ان تعيين الوقت ليس بمقصود المتكلم وانه
 لا يريد بيانه كما يقول خرجنا في بعض الاوقات مع ان الخروج لا بد من ان يكون في
 بعض الاوقات فانه لا يريد بيان الوقت المعين واوقال خرجنا فجر بما يقول السامع متى
 خرجتم فاذا قال في بعض الاوقات أشار الى أن غرضه بيان الخروج لاتعين وقته فكذلك
 قوله تعالى صبغهم بكرة أي بكرة من البكر وأسرى بعبد ليللا أي ليللا من الليللا فلا يبينه
 فان المقصود نفس الاسراء ولو قال أسرى بعبد من المسجد الحرام لكان للسامع أن
 يقول لا يباله فاذا قال ليلة من الليللا قطع سؤاله وصار كأنه قال لا يبينه وان كان القائل
 ممن يجوز عليه الجهل فانه يقول لا اعلم الوقت فهذا أقرب فاذا علمت هذا في أسرى ليللا فاعلم
 مثله في صبغهم بكرة ويحتمل ان يقال على هذا الوجه صبغهم بمعنى قال لهم عموا صباحا
 استغزاه بهم كما قال فبشرهم بعذاب ايم فكانه قال جاءهم العذاب بكرة كالصبح والاول
 أصح ويحتمل قوله تعالى صبغهم بكرة على قولنا انها منصوبة على الظرف ما لا يحتمله
 قوله تعالى أسرى بعبد ليللا وهو أن صبغهم معناه اناهم وقت الصبح لكن التصحيح بطلق
 على الاتيان في أزمنة كثيرة من أول الصبح الى ما بعد الاسفار فاذا قال بكرة افادته
 كان اول جزء منه وما أخر الى الاسفار وهذا اوجه والبق لان الله تعالى اوعدهم به وقت
 الصبح بقوله ان موعدهم الصبح وكان من الواجب بحكم الاخبار تحققه بمجيء العذاب
 في أول الصبح ومجرد قوله صبغهم ما كان يفيد ذلك وهذا اقوى لانك تقول صبغته
 امس بكرة واليوم بكرة فيأتي فيه ما ذكرنا من ان المراد بكرة من البكر (الوجه الثاني)
 انها منصوبة على المصدر من باب ضربته سوطا ضربا فان المنصوب في ضربته ضربا
 على المصدر وقد يكون غير المصدر كما في ضربته سوطا ليقال ضربته سوطا بين احد
 انواع الضرب لان الضرب قد يكون بسوط وقد يكون بغيره وأما بكرة فلا يبين ذلك لانا
 نقول قد بينا ان بكرة بين ذلك لان الصبح قد يكون بالاتيان وقت الاسفار وقد يكون بالاتيان

(ولقد صبغهم بكرة)
 وقرئ بكرة غير مصروفة
 على أن المراد بها أول
 نهار مخصوص (عذابه)
 مستقر لا يفارقهم حتى
 يسلمهم الى النار وهي وصفه
 بالاستقرار اي انه الى أن
 ما قبله من عذاب الطمس
 ينتهي اليه

بالإكبار فان قيل مثله يمكن ان يقال في اسرى بعينه لئلا قلنا نعم فان قيل ليس هناك بيان
نوع من أنواع الأسراء نقول هو كقول القائل ضربته شيئا فال شيئا لا بد منه في كل ضرب
ويصح ذلك على انه نصب على المصدر وفأنته ما ذكرنا من بيان عدم تعلق الغرض
بأنواعه وكان القائل يقول اني لا بين ما ضربته به ولا احتاج الى بيانه لعدم تعلق المقصود
به ليقطع سؤال السائل باذا ضرب به بسوط او بعصا فكذلك القول في اسرى بعينه ايلا
يقطع سؤال السائل عن الأسراء لان الأسراء هو السراول الليل والسرى هو السير آخر
الليل او غير ذلك (المسئلة الثانية) مستقر يحتمل وجوها (احدها) عذاب لا مدفع له اي
يستقر عليهم ويثبت ولا يقدر احد على ازالته ورفعها واحالته ودفعه (ثانيها) دائم قائم
لما اهلكوا ونقلوا الى الجحيم فكان ما اتاهم عذاب لا يندفع بموتهم فان الموت يخلص من
الآلم الذي يجده المضروب من الضرب والمحبوس من الحبس وموتهم ما خلسهم (ثالثها)
عذاب مستقر عليهم لا يتعدى غيرهم أي هو امر قد قدره الله عليهم وقرره فاستقر وليس كما
يقال انه امر اصابهم اتفاقا كالبرد الذي يضرب زرع قوم دون قوم ويظن به انه امر
اتفاق وايضا او خرجوا من اماكنهم لتيجوا كالتيجا آل لوط بل كان ذلك يتبعهم لانه كان
أمرا قد استقر (المسئلة الثالثة) الضمير في صبحهم طائد الى الذين عاد اليهم الضمير في أعينهم
فيعود لفظا اليهم القرب ومعنى الى الذين تماروا بالندرا والذين عاد اليهم الضمير في قوله
ولقد أنذرهم بطشتنا ثم قال تعالى (فذوقوا عذابي ونذر) مرة أخرى لان العذاب كان
مرتين (أحدهما) خاص بالمراديين والآخر عام (واقديسنا القرآن للذكر
فهل من مدكر) قد فسرنا مرارا وبيننا ما لاجله كرر تكرارا ثم قال تعالى (ولقد جاء آل
فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) وفيه مسائل (المسئلة
الاولى) ما العائدة في لفظ آل فرعون بدل قوم فرعون نقول القوم أعم من الآل فالقوم
كل من يقوم الرئيس أمرهم أو يقومون أمره والآل كل من يؤل الى الرئيس خسرهم
وشرهم أو يؤل اليهم خيره وشيره فالعبد الذي لا يعرفه الرئيس ولا يعرف هو عين الرئيس
وانما يسم اسمه فليس هو بالآله اذا عرفت الفرق نقول قوم الانبياء الذين هم خير موسى
عليهم السلام لم يكن فيهم قاهر يقهر الكل ويجهدهم على كلمة واحدة وانما كانوا هم
رؤساء واتباعا لرؤساء اذا كثرت الأبي لاحد منهم حكم نافذ على احد ما على من هو مثله
فظاهره أمان على الارامل فلا تهم للمجئون الى واحد منهم ويدفون به الآخر فيحسب كل
واحد برأسه فكان الارسال اليهم جميعا وأما فرعون فكان قاهرا يقهر الكل وجعلهم
بحيث لا يخالفونه في قليل ولا كثير فارسل الله اليه الرسول وحده غير انه كان عنده جماعة
من التابعين المقربين مثل قارون تسم عنده لما الله العظيم وهامان لدهائه فاعتبرهم الله في
الارسال حيث قال في مواضع ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وهامان وقال تعالى
بآياتنا الى فرعون وهامان وقارون وقال في العنكبوت وقارون وفرعون وهامان ولقد

(فذوقوا عذابي ونذر)
حكاية لما قيل لهم حينئذ
من جهته تعالى أشد يد
للعذاب (واقديسنا
القرآن للذكر فهل من
مدكر) مر ما فيه من الكلام
(ولقد جاء آل فرعون
النذر) صدرت قصتهم
بالتوكيد القسبي لا يراز
كالي الاعتناء بشأنها الغاية
عظم ما فيها من الآيات
وكثرتها وهول ما لقوه
من العذاب وقوة ايجابها
للاعتاظ والاكتفاء بذكر
آل فرعون للعلم بان نفسه
أولى بذلك أي وبالله لقد
جاءهم الانذرات وقوله
تعالى (كذبوا بآياتنا كلها)
استشاف مبنى على سؤال
نشأ من حكاية مجي النذر
كأنه قيل فماذا فعلوا
حينئذ قيل كذبوا بجميع
آياتنا وهي الآيات التسع
(فأخذناهم أخذ عزيز
لا يضال) مقتدر لا يعجزه
شيء

جاءهم موسى لانهم ان آمنوا آمن الكل بخلاف الاقوام الذين كانوا قبلهم وبعدهم
 فقال ولقد جاء آل فرعون النذر وقال كثيرا مثل هذا كما في قوله ادخولوا آل فرعون أشد
 العذاب وقال تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال بلغظ الملا أيضا
 كثيرا (المسئلة الثانية) قال ولقد جاء ولم يقل في غيرهم جاء لان موسى عليه السلام ما جاءهم
 كجاء المرسلون أقوامهم بل جاءهم حقيقة حيث كان غالباً عن القوم فتقدم عليهم
 وبهذا قال تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم
 حقيقة أيضا لانه جاءهم من الله من السموات بعد المعراج كجاء موسى قومه من الطور
 حقيقة (المسئلة الثالثة) النذران كان المراد منها الابتذات وهو الظاهر فالكلام الذي
 جاءهم على لسان موسى ويده تلك وان كان المراد الرسل فهو لان موسى وهرون عليهما
 السلام جاءه وكل مرسل تقدمهما جاءه لانهم كلهم قالوا ما قالا من التوحيد وعبادة الله
 وقوله بعد ذلك كذبوا بآياتنا من غير فاد تقتضى ترتب التكذيب على الخبي فيه وجهان
 (أحدهما) ان الكلام ثم عند قوله ولقد جاء آل فرعون النذر وقوله كذبوا الكلام
 مستأنف والضمير عائد الى كل من تقدم ذكرهم من قوم نوح الى آل فرعون (ثانيهما)
 ان الحكاية مسوقة على سياق ما تقدم فكأنه قال فكيف كان عذابي ونذر وقد كذبوا
 بآياتنا كلها فاخذناهم وعلى الوجه الاول آياتنا كلها ظاهرة وعلى الوجه الثاني المراد
 آياته التي كانت مع موسى عليه السلام وهي التسع في قول أكثر المفسرين ويحتمل
 أن يقال المراد انهم كذبوا بآيات الله كلها السمعية والعقلية فان في كل شيء آية تدل
 على انه واحد وقوله تعالى فاخذناهم اشارة الى انهم كانوا كاذبا بقين أو الى انهم حاصون
 يقال أخذنا امير فلانا اذا حبسه وفي قوله عزيز مقتدر لطيفة وهي ان العزيز المراد منه
 الغالب لكن العزيز قد يكون يغلب على العدو ويظفر به وفي الاول يكون خير ممكن
 من أخذه لبعده ان كان هاربا ولعننه ان كان محاربا فقال أخذنا لم يكن عاجزا وانما
 كان مهلا ثم قال تعالى (أكفاركم خبيرا من أولئك أم لكم براءة في الزبر) تنبيههم
 لتلايا منوا العذاب فانهم ليسوا بخبر من أولئك الذين أهلكوا وفيه مسائل (المسئلة
 الاولى) الخطاب مع أهل مكة فينبغي أن يكون كفارهم بعضهم والاقبال أنهم خير من
 أولئك واذا كان كفارهم بعضهم فكيف قال أم لكم براءة ولم يقل أم لهم كما يقول
 القائل جاءنا الكرماء فاكرمناهم ولا يقول فاصغر منا كما تقول الجواب عنه من
 وجهين (أحدهما) ان المراد منه أكفاركم المستمرين على الكفر الذين لا يرجعون وذلك
 لان جما عظيم من كان كافرا من اهل مكة يوم الخطاب ابقوا بوقوع ذلك والعذاب
 لا يقع الا بعد العلم بأنه يبق من القوم من يؤمن فقال الذين بصرون منكم على الكفر
 يا اهل مكة خير ام الذين اصروا من قبل فيصح كون التهديد مع بعضهم واما قوله تعالى
 أم لكم براءة ففيه وجهان (أحدهما) أم لكم لعمومكم براءة فلا يخاف المصير منكم

(أكفاركم) براءة
 العرب (خبير) قوة وشدة
 وعدة وعدة أو مكانة
 (من أولئك) الكفار
 المدودين والمعنى أنه
 أصابهم ما أصابهم مع
 ظهور خير يتهم منكم
 فيما ذكر من الامور فهو
 تطمئنون أن لا يصيبكم
 مثل ذلك وأنتم شرمنا
 مكانا وأساوأ حالا وقوله
 تعالى (أم لكم براءة
 في الزبر) اضرب
 وانتقال من التبييت
 بما ذكر الى التبييت
 بوجه آخر أي بل أم لكم
 براءة وأمن من تبعات
 ما تعملون من الكفر
 والمعاصي وغوائلها
 في الكتب السماوية
 فلذلك تصرون على
 ما أنتم عليه وقوله تعالى

لكونه في قوم لهم براءة (وثانيهما) أم لكم براءة ان أصرتم فيكون الحصاب تاما والتهديد
 كذلك فالشرط غير مذكور وهو الاصرار (المسئلة الثانية) ما المراد بقوله خير وقول
 القائل خير يقتضى اشتراك امرين في صفة محمودة مع رجحان احدهما على الآخر ولم
 يكن فيهم خير ولا صفة محمودة تفسول الجواب عنه من وجوه (احدها) منع اقتضاه
 الاشتراك يدل عليه قول حسان * فشر كالحبيرة كالتغداء * مع اختصاص الخبر بالنبي عليه
 السلام والفرع عن هجاء وعدم اشتراكهما في شئ منهما (ثانيها) ان ذلك طائد الى ما في
 زعمهم اى يزعم كفاركم انهم خير من الكفار المتقدمين الذين اهلكوا وهم كانوا
 يزعمون في انفسهم الخير وكذا فيمن تقدمهم من عبدة الاوثان ومكذبي الرسل وكانوا
 يقولون ان الهلاك كان باسباب سماوية من اجتماع الكواكب على هيئة مذمومة
 (ثالثها) المراد اكفاركم اشد قوة فكانه قال اكفاركم خير في القوة والقوة محمودة في
 العرف (رابعها) ان كل موجود يمكن فففيه صفات محمودة واخرى غير محمودة فاذا نظرت
 الى المحمود في الموضوعين وقابلت احدهما بالآخرى تستعمل فيها لفظ الخير وكذلك في
 الصفات المذمومة تستعمل فيها لفظ الشر فاذا نظرت الى كافرين وقت احد هما خير
 من الآخر فلك حينئذ ان تريد اياهم احدى من الآخر في الحسن والجمال واذا نظرت
 الى مؤمنين بوذيالك فأت احد هما شر من الآخر اى في الاذية لا الايمان فكذلك ههنا
 اكفاركم خير لان النظر وقع على ما يصلح بمخلصهم من العذاب فهو كما يقال اكفاركم
 فيهم اشر مما يخلصهم لم يكن في غيرهم فمهم خيرا ام لا شئ فيهم يخلصهم لكن الله يفضلهم
 لا بخصال فيهم (المسئلة الثالثة) أم لكم براءة اشارة الى سبب آخر من أسباب الخلاص
 وذلك لان الخلاص اما ان يكون بسبب امر فيهم أو لا يكون كذلك فان كان بسبب
 امر فيهم وذلك السبب لم يكن في غيرهم من الذين تقدموهم فيكونون خيرا منهم وان كان
 لا بسبب امر فيهم فيكون بفضل الله ومناسحة اياهم وايمانه اياهم من العذاب فقال
 لهم انتم خير منهم فلا تهلكن ام لستم بخير منهم لكن الله آمنكم واهلكم وكل واحد
 منهما منتف فلا تأنوا وقوله تعالى أم لكم براءة في الزر اشارة الى الطيفة وهى ان العاقل
 لا يامن الا اذا حصل له الجزم بالامن أو صار له آيات تقرب الامر من القطع فقال لكم براءة
 يوثق بها وتكون متكررة في الكذب فان الحاصل في بعض الكتب ربما يحتمل التأويل
 أو يكون قد تطرق اليه التحريف والتبديل كما في التوراة والانجيل فقال هل حصل لكم
 براءة متكررة في كذب تأمنون بسببها العذاب فان لم يكن كذلك لا يجوز الامن لكن
 البراءة لم تحصل في كذب ولا في كتاب واحد ولا في شبه كتاب فيكون أمنهم من غاية الغفلة
 وعند هاتين فضل المؤمن فانه مع ما في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
 من خلفه من الوعد لا يامن وان بلغ درجة الاولياء والانبيا لما في آيات الوعيد من احتمال
 التخصيص وكون كل واحد من يستثنى من الامة ويخرج عنها فالؤمن خائف والكافر

آمن في الدنيا وفي الآخرة الامر على العكس * ثم قال تعالى (أم يقولون نحن جميع
 منتصر) تيمنا لبيان أقسام الخلاص وحصره فيها وذلك لان الخلاص اما أن يكون
 لاستحقاق من يخلص هن العذاب كما ان الملك اذا عذب جماعة ورأى فيهم من أحسن
 اليه فلا يذب به ، واما ان يكون لامر في الخالص كما اذا رأى فيهم من له ولد صغيرا وام ضعيفة
 فيرحه وانما يستحق ويكتب له الخلاص واما ان لا يكون فيه ما يستحق الخلاص بسببه
 ولا في نفس العذب مما يوجب الرجحة لئلا يقد عليه بسبب كثرة اعوانه وتعب
 اخوانه كما اذا هرب واحد من الملك والهجأ الى عسكر ينعون الملك عند فكمانتي القسمين
 الاولين كذلك نفي القسم الثالث وهو التمتع بالاعوان وتخراب الاخوان وفيه مسائل
 (المسئلة الاولى) في حسن الترتيب وذلك لان المستحق لذاته اقرب الى الخلاص من
 المرحوم فان المستحق لم يوجد فيه سبب العذاب والمرحوم وجد فيه ذلك ووجد المسامح
 من العذاب وما لا سبب له لا يتحقق أصلا وماله مانع ر بما لا يقوى المانع على دفع السبب
 وما في نفس العذب من المانع اقوى من الذي بسبب الغير لان الذي من عنده يمنع الداعية
 ولا يتحقق الفعل عند عدم الداعية والذي من الغير بسبب التمتع لا يقطع قصده بل يجتهد
 فيه وربما غاب فيكون تعذيبه اضما في ما كان من قبل بخلاف من يرق له قلبه وتمنه
 الرجحة فانها وان لم تمنه لكن لا يزيد في حله وحبه وز يادته في التعذيب عند القدرة فهذا
 ترتيب في غاية الحسن (المسئلة الثانية) جميع فيه فالتدنان احدهما الكثرة والاخرى
 الاتفاق كانه قال نحن كثير متفقون قلنا الانتصار ولا يقوم غير هذه اللفظة مقامها من
 الالفاظ المفردة انما قلنا ان فيه فالتدتين لان الجميع يدل على الجماعة بحرفه الاصلية من
 جمع و بوزنه وهو فاعيل بمعنى مفعول على انهم جمع واجميتهم العصبية ويحتمل ان يقال
 معناه نحن الكل لا خارج عنا اشارة الى ان من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم لا اعتداد به
 قال تعالى في نوح انو من لك واتبعك الارذاون الا الذين هم ارادنا بادي الرأي وعلى هذا
 جميع يكون التووين فيه تقطع الاضافة كأنهم قالوا نحن جميع الناس (المسئلة الثالثة)
 ما وجه افراد المنتصر مع ان نحن ضمير الجمع نقول على الوجه الاول ظاهر لانه وصف الجراء
 الاخر الواقم خبرا فهو كقول القائل اتم جنس متصروهم عسكرا غاب والجمع كالجنس
 لفظه لفظ واحد ومعناه جمع فيه الكثرة وأما على الوجه الثاني فالجواب عنه من وجهين
 (أحدهما) أن المعنى وان كان جمع الناس لا خارج عنهم الامن لا يعتد به لكن لما قطع
 ونون مسارا كالتكر في الاصل فجاز وصفه بالنكر نظرا الى اللفظ فعاد الى الوجه الاول
 (وثانيهما) أنه خبر بعد خبر ويجوز أن يكون أحدا الخبرين معرفة والاخر نكرة قال
 تعالى وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لليريد وعلى هذا فقولنا نحن جميع منتصر
 افراده لمجاورة جميع ويحتمل ان يقال معنى نحن جميع منتصر ان جميعا بمعنى كل واحد كانه
 قال نحن كل واحد منا منتصر كما تقول هم جميعهم اقويا بمعنى أن كل واحد منهم قوى وهم

(أم يقولون نحن جميع
 منتصر) اضراب من
 التيكيت المذكور ال
 وجد آخر من التيكيت
 والاتفات لا يذ ان
 باقتضاها لهم للاعراض
 عنهم واسقاطهم من
 رتبة الخطاب وحكاية
 قبائحهم لغيرهم أي بل
 يقولون واثنين بشوكتهم
 نحن أولو حزم ورأى
 امرنا مجتمع لانراهم ولا نضاه
 او منتصر من الاعداء
 لا تغلب او متصرونه
 بعضنا بعضا والافراد
 باعتبار لفظ الجمع

الدير) أي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس و ارادة ان كل واحد منهم يولى دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيزم الجمع ويولون الدير كنت لا أدري أي جمعهم يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع يقول سيزم الجسم ويولون الدير فعرفت تأويلها وقرئ سيزم الجسم أي الله عز وجل (بل الساعة موعدهم) أي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعدا وصل عذابهم وهذا من ثلاثه (والساعة أدهى وأمر) أي في أقصى غاية من الغضاسة أو المسرارة والداهية الأمر الفظيع الذي لا يهتدى إلى الخلاص عند واطهار الساعة في موقع اضماره لتربة تهو يلها

كلهم علماء كل واحد طالب فترك الجسم واختار الافراد لعود الخبر إلى كل واحد فانهم كانوا يقولون كل واحدنا على محمد صلى الله عليه وسلم كما قال أبي بن خلف الحمصي وهذا فيه معنى العطف وهو أنهم ادعوا ان كل واحد غائب والله روعبهم باجمعهم بقوله (سيزم الجمع يولون لدير) وهو انه أراد سوا القوة العامة بحيث يغلب كل واحد منهم محمدنا صلى الله عليه وسلم والله تعالى بين ضعفهم الظاهر الذي يهزم جمعهم بقوله و يولون الدير وحينئذ يظهر سؤال وهو انه قال يولون الدير ولم يقل يولون الادبار وقال في موضع آخر يولونكم الادبار ثم لا ينصرون وقال وانما كانوا طاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وقال في موضع آخر فلا توأومهم الادبار فكيف تصحیح الافراد وما الفرق بين المواضع تقول أما التصحيح فظاهر لان قول القائل فعلوا كقولهم فعل هذا وفعل ذلك وفعل الآخر فإووا في الجمع تنوب مناب الواو التي في العطف وقوله يولون بمثابة يول هذا الدير ويول ذلك ويول الآخر أي كل واحد يولى دبره وأما الفرق فتقول اقتضاء أو آخر الآيات حسن الافراد فقوله يولون الدير افراده اشارة إلى انهم في التولية كنفس واحدة فلا يتخلف أحد من الجسم ولا يثبت أحد للرحف فهم كانوا في التولية كدير واحد وأما في قوله فلا توأومهم الادبار أي كل واحد يوجد به ينبغي أن يثبت ولا يولى دبره فليس المنهى هناك توياتهم باجمعهم بل المنهى أن يولى واحد منهم دبره فكل أحد منهم عن تولية دبره فجعل كل واحد برأسه في الخطاب ثم جمع الفعل بقوله فلا توأومهم ولا يتم الا بقوله الادبار وكذلك في قوله ولقد كانوا طاهدوا الله أي كل واحد قال أنا ثبت ولا أولى دبري وأما في قوله يولون الادبار فان المراد المنافقون الذين وعدوا اليهود وهم مفرقون بدليل قوله تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وأما في هذا الموضع فهم كانوا ايدا واحدة على من سواهم * ثم قال تعالى (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) اشارة إلى ان الامر غير مقتصر على انهم زامهم وادبارهم بل الامر أعظم منه فان الساعة موعدهم فانه ذكر ما يصيبهم في الدنيا من الدير ثم بين ما هو منه على طريقة الاصرار هذا قول أكثر المفسرين والظاهر ان الانذار بالساعة تام لكل من تقدم كأنه قال أهلكتنا الذين كفروا من قبلك وأصر واوقوم محمد عليه السلام ليسوا بخير منهم فيصيبهم ما أصابهم ان أصر واثم ان عذاب الدنيا ليس لتمام المجازاة فتمام المجازاة بالايام الدائم * وفيه مسائل (المسئلة الاولى) ما الحكمة في اختصاص كون الساعة موعدهم مع انهم موعده كل أحد فنقول الموعد الزمان الذي فيه الوعد ولو عذب المؤمن موعود بالخير ومأمور بالصبر فلا يقول هو مستحق يكون بل يفوض الامر إلى الله وأما الكافر فعبره مصدق فيقول متى يكون العذاب فيقال له اصبر فانه آت يوم القامة ولهذا كانوا يولون عجل لنا قطننا وقال ويستعملونك بالعذاب (المسئلة الثانية) ادهى من أي شيء نقول يشتر وجهين (احدهما) تمام مضي من انواع عذاب الدنيا (ثانيهما) ادهى الدواهي فلا داهية مثلها (المسئلة الثالثة) ما المراد من قوله وامر قلنا فيه وجهان (احدهما) هو

مبالغة من المر وهو مناسب لقوله تعالى فذوقوا عذابى وقوله ذوقوا من سقر وعلى هذا فأدهى أى أشد وأمر أى ألم والفرق بين الشديد والألم ان الشديد يكون اشارة الى انه لا يطيقه احد لقوته ولا يدفعه احد بقوته مثاله ضعيف اتى فى ماء يغليه او نار لا يقدر على الخلاص منها وقوى التى فى بحر او نار عظيمة يستويان فى الألم والعذاب ويتساويان فى الإبلام لكن يفتقران فى الشدة فان نجاة الضعيف من الماء الضعيف باعانة معين ممكن ونجاة القوى من البحر العظيم غير ممكن (ثانيهما) أمر مبالغة فى المار ادهى أكثر مرورا بهم اشارة الى الدوام فكانه يقول أشد وأدوم وهذا مختص بعذاب الآخرة فان عذاب الدنيا ان اشتد قتل المعبذب وزال فلا يدوم وان دام بحيث لا يقتل فلا يكون شديدا (ثالثها) انه المرير وهو من المرة التى هى الشدة وعلى هذا فاما ان يكون الكلام كما يقول القائل فلان نجف تحيل وقوى شديد فأتى بلفظين مترادفين اشارة الى التأكيد وهو ضعيف واما ان يكون أدهى مبالغة من الداهية التى هى اسم الفاعل من دهاه أمر كذا اذا أصابه وهو أمر صعب لان الداهية صارت كالاسم الموضوع للشديد على وزن الباطنة والسأبية التى لا تكون من أسماء الفاعلين وان كانت الداهية أصلها ذلك غير انها استعملت استعمال الاسماء وكتبت فى أبوابها وعلى هذا يكون معناه ألزم واضيق أى هى بحيث لا تدفع ثم قال تعالى (ان المجرمين فى ضلال وسعر) وفى الآية مسائل (الاولى) فممن نزلت الآية فى حقه أكثر المفسرين اتفقوا على انها نازلة فى القدرية روى الواحدى فى تفسيره قال سمعت الشيخ رضى الدين المؤيد الطوسى بنى شابور قال سمعت عبد الجبار قال اخبرنا الواحدى قال اخبرنا ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج قال اخبرنا ابو محمد عبد الله الكعبى قال حدثنا حمدان بن صالح الاشجى حدثنا عبد الله بن عبد العزيز بن ابي داود حدثنا سفيان الثورى عن زياد بن اسمعيل الخزومى عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابي هريرة قال جاء مشرك كوفرىش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القدر فأنزله الله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله اناكل شئ خلقناه بقدر وكذلك نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الآية نزلت فى القدر يدور روى عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال محوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى فى قوله ان المجرمين فى ضلال وسعر وكثرت الاسمايت فى القدرية * وفيها ما بحث (الاول) فى معنى القدرية الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت الآية فمهم فتقول كل فريق فى خلق الاعمال يذهب الى ان القدرى خصم فالجبرى يقول القدرى من يقول بالطاعة والمعصية ليستا بخلق الله وقضائه وقدره فهم قدرية لانهم ينكرون القدر والمعتزلى يقول القدرى هو الجبرى الذى يقول حين يزنو ويسرق الله قدرنى فهو قدرى لا يباينه القدر وهما جميعا يقولان لاهل السنة الذى يعترف بخلق الله وليس من العبد انه قدرى والحق ان القدرى الذى نزل فيه الآية هو الذى ينكر القدر ويقول بأن

(ان المجرمين) من الاولين والاخرين (فى ضلال وسعر) أى فى هلاك ونيران مسعرة وقيل فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة وقوله تعالى (يوم يسحبون) الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى فى ضلال أى كأنون فى ضلال وسعر يوم يجزون (فى النار على وجوههم) واما بقول مقدر بعده أى يوم يسحبون يقال لهم (ذوقوا من سقر) أى قاسوا حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصفرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون

الحوادث كلها حادثة بالكواكب واتصالها وبدل عليه قوله جاد مشركو فر يش
 يحاجون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فان مذهبهم ذلك وما كانوا يقولون مثل
 ما يقول المعتزلة ان الله خلقلى سلامة الاعضاء وقوة الادراك ومكننى من الطاعة
 والمعصية والله قادر على ان يخلق فى الطاعة الجلاء والمعصية الجلاء وقادر على ان يطعم
 الفقير الذى اطعمه انا بفضل الله والمشركون كانوا يقولون انطعم من او يشاء الله اطعمه
 منكرين لقدرة الله تعالى على الاطعام واما قوله صلى الله عليه وسلم بحجوس هذه الامة هم
 القدرية فتقول المراد من هذه الامة اما الامة التى كان محمد صلى الله عليه وسلم مر سلا
 اليهم سواء آمنوا به او وثقوا به كانوا كلفظ القوم واما ائمة الذين آمنوا به فان كان المراد الاول
 فانقدرت فى زمانه هم المشركون الذين أنكروا قدرة الله على الحوادث فلا يدخل فيهم
 المعتزلة وان كان المراد هو الثاني فتقول بحجوس هذه الامة يكون معناه الذين نسبتهم الى
 هذه الامة كنسبة الحجوس الى الامة المتقدمة لكن الامة المتقدمة اكثرهم كفر
 والحجوس نوع منهم اضعف شبهة واشد مخالفة للعقل فكذلك القدرية فى هذه الامة
 تكون نوعا منهم اضعف دليلا ولا يقتضى ذلك الجزم بكونهم فى النار فالخلق ان القدرى
 هو الذى ينكر قدرة الله تعالى ان قلنا ان النسبة لاني او الذى يثبت قدرة غير الله تعالى
 على الحوادث ان قلنا ان النسبة للاثبات وحينئذ يقطع بكونه فى ضلال وسعر وانه ذاتى
 من سقر (البحث الثاني) فى بيان من يدخل فى القدرية التى فى النص من هو منتسب
 الى انه من امة محمد صلى الله عليه وسلم ان قلنا القدرية سموا بهذا الاسم لتفهم قدرة الله
 تعالى فالذى يقول لا قدرة لله على تحريك العبد بحركة هى الصلاة وحركة هى الزنا هم ان
 ذلك امر ممكن لا يبعد دخوله فيهم واما الذى يقول بان الله قادر غيرانه لم يجبره وتركه مع
 داعية العبد كالوالد الذى يجرب الصبي فى حمل شئ تركه معه لاجتر الوالد بل للابتلاء
 والامتحان لكالملغوج الذى لا قوله اذا قلنا لغيره اجل هذا فلا يدخل فيهم ظاهر وان
 كان مخطئا وان قلنا ان القدرية سموا بهذه الاسم لاثباتهم القدرة على الحوادث
 لغير الله من الكواكب والجرى الذى قال هو الحائط الساقط الذى لا يجوز تكليفه
 بشئ لصدور الفعل من غيره وهم اهل الاباحة فلا شك فى دخوله فى القدرية فانه يكفر
 بنفيه التكليف واما الذى يقول خلق الله تعالى فينا الافعال وقدرها وكلفنا ولا يستل
 عما يفعل فاهو منهم (البحث الثالث) اخلاف القائلون فى التعصب ان الاسم بالمعتزلة
 احق ام بالاشاعرة فقالت المعتزلة الاسم بكم احق لان النسبة تكون للاثبات لاني يقال
 للدهرى دهري لقوله بالدهر واثباته وللجاسى الجاسى لاثباته الاباحة وللثوبية ثوبية
 لاثباتهم الاثنيين وهما النور والظلمة وكذلك امثاله وانتم تثبتون القدر وقالت الاشاعرة
 التصوس تدل على ان القدرى من ينشئ قدرة الله تعالى ومشركو فر يش ما كانوا قدرية
 الا لاثباتهم قدرة لغير الله قالت المعتزلة انما سمي المشركون قدرية لانهم قالوا ان كان

فأدرا على الحوادث كما تقول يا محمد فلو شاء الله لهدانا ولو شاء لا طعم الفقير فاعتقدوا
 أن من لوازم قدرة الله تعالى على الحوادث خلقه الهداية فيهم إن شاء وهذا مذهبكم أيها
 الأشاعرة والحق الصراح ان كل واحد من المسلمين الذين ذهبوا الى المذهبين خارج
 عن القدرة ولا يصير واحد منهم قدريا الا اذا صار الثاني نافية للقدرة والمثبت منكرا
 للتكليف (المسئلة الثانية) المجرمون هم المشركون ههنا كما في قوله تعالى ولو ترى اذ
 المجرمون ناكسوا رؤسهم وقوله بؤد المجرم لو يفتدى وفي قوله يعرف المجرمون بسيماهم
 فالآية صامة وان نزلت في قوم خاص وجرمهم تكذيب الرسل وانذر بالاشراك وانكار
 الحشر وانكار قدرة الله تعالى على الاحياء بعد الامانة وعلى غيرهن الحوادث (المسئلة
 الثالثة) في ضلال وسر يحتمل وجوهها ثلاثة (أحدها) الجمع بين الامرين في الدنيا أي هم
 في الدنيا في ضلال وجنون لا يعقلون ولا يهتدون وعلى هذا فقولهم يسحبون بيان حالهم في
 تلك الصورة وهو اقرب (ثانيها) الجمع في الآخرة أي هم في ضلال الآخرة وسعرا أيضا
 اما السر فكونهم فيها ظاهرا وأما الضلال فلا يجدون الى مقصدهم أو الى ما يصلح مقصدا
 وهم منحرون سبيلا فان قيل الصحيح هو الوجه الاخير لا غير لان قوله تعالى يوم يسحبون
 طرف القول أي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا وستبين ذلك فنقول يوم يسحبون يحتمل أن
 يكون منصوبا معامل مذكورا ومفهوم غير مذكورا والاحتمال الاول له وجهان
 (أحدهما) المعامل سابق وهو معنى كائن ومستقر غير ان ذلك صار نسياما نسيبا (ثانيهما)
 المعامل متاخر وهو قوله ذوقوا تقديره ذوقوا من سقر يوم يسحب المجرمون والخطاب
 حينئذ مع من خطوب بقوله أكلتم خير من أولئكم أم لكم براءة (والاحتمال الثاني) ان
 المفعول هو أن يقال لهم يوم يسحبون ذوقوا وهذا هو المشهور وقوله تعالى ذوقوا
 استعارة وفيه حكمة وهو أن الذوق من جملة الادراكات فان الذوق اذا لاقى اللسان
 يدرك أيضا حرارته وبرودته وخشونته وملاسته كما يدرك سائر أعضائه الحسية ويدرك
 أيضا طعمه ولا يدرك غير اللسان فادراك اللسان أتم فاذا نأذى من نار تأذى بحرارته
 وحرارته ان كان الحار أو غيره لا يتأذى إلا بحرارته فان الذوق ادراك لمسي أتم من غيره
 في الملوسات فقال ذوقوا اشارة الى أن ادراكهم بالذوق أتم الادراكات فيجتم في
 العذاب شدته وإيلامه بطو مدته ودوامه ويكون المدرك له لا عذر له بشغله وانما هو
 على أتم ما يكون من الا يحصل الام العظيم وقد ذكرنا ان على قول الاكثرين يقال
 لهم او تقول مضمروها لاجلها الى الاضمار اذا كان الخطاب مع غير من قبل في
 جنهم ان المجرمين في ضلال فانه يصير كأنه قال ذوقوا ايها المكذبون بمحمد صلى الله عليه
 وسلم فس سقر يوم يسحب المجرمون المتقدمون في النار ثم قال تعالى (انا كل شي خلقناه
 بقدر) وفيه مسائل (الاولى) المشهور ان قوله انا كل شي متعلق بما قبله كأنه قال ذوقوا
 فانا كل شي خلقناه بقدر أي هو جزء لمن أنكر ذلك وهو كقولهم تعالى ذق انك انت العزير

انا كل شي من الاشياء
 (خلقناه بقدر) أي
 متناسبا بقدر معين اقتضته
 الحكمة التي عليها يدور
 أمر النكون أو مقدرها
 مكتوب في اللوح قبل وقوعه
 وكل شي منصوب بفعل
 بفسره ما بعده وقرئ
 بالرفع على أنه مبتدأ
 وخلقناه خبره

قوله وجوهها ثلاثة سقط
 الثالث وهو التفریق
 فقوله في ضلال أي
 في الدنيا وسعرا أي نيران
 في الآخرة وقوله هو
 الوجه الاخير فيه انه
 يناسب الثاني أيضا
 وبالجمله فالعبارة تحتاج
 لتحرير

الكريم والظاهر انه ابتداء كلام وتم الكلام عند قوله ذوقوا مس سقر ثم ذكر بيان
 اعذاب لان عطف وما امرنا الا واحدة يدل على ان قوله انا كل شيء خلقناه بقدر ليس آخر
 الكلام ويدل عليه قوله تعالى انا الخلق والامر وقد ذكر في الآية الاولى الخلق بقوله انا
 كل شيء خلقناه فيكون من اللائق ان يذكر الامر فقال وما امرنا الا واحدة واما ما ذكر
 من الجدل فنقول النبي صلى الله عليه وسلم تمسك عليهم بقوله ان الجرمين في ضلال الى قوله
 ذوقوا مس سقرو والآية اخرى على فصد التلاوة وام يقرأ الآية الاخيرة اكتفاء بعلم من علم
 الآية كما تقول في الاستدلالات لا تاكلوا اموالكم الآية ولا تاكلوا مما ام يذكر اسم الله
 عليه الآية واذا تدابرت الآية الى خيرة ذلك (المسئلة الثانية) كل قرى بالنصب وهو الاصح
 المشهور وبالرفع فنقرأ بالنصب فنصبه بفعل مضمير يفسره الظاهر كقوله والقرى
 قدرناه وقوله والظالمين اعدلهم وذلك الفعل هو خلقناه وقد فسره قوله خلقناه كما قال انا
 خلقنا كل شيء بقدر وخلقناه على هذا لا يكون صفة لشيء كما في قوله تعالى ومن كل شيء
 خلقنا زوجين فبان هناك يمنع من ان يكون صفة كونه خاليا عن ضمير عائد الى الموصوف
 وههنا لم يوجد ذلك لما منع وعلى هذا فالآية حجة على المعتزلة لان ادعاءنا شيء فنكون
 داخله في كل شيء فنكون مخلوقة لله تعالى ومن قرأ بالرفع لم يمكنه ان يقول كما يقول في
 قوله واما ما يود فهم ديناهم حيث قرى بالرفع لان كل شيء نكرة فلا يصلح مبتدا فيلزمه ان
 يقول كل شيء خلقناه فهو بقدر كقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار في المعنى وهذا ان
 الوجهان ذكرهما ابن عطية في تفسيره وذكر ابن المعتزلي تمسك بقراءة الرفع ويحتمل ان
 يقال القراءة الاولى وهو ان نصب له وجه آخر وهو ان يقال نصبه بفعل معلوم لا بمضمير
 مفسر وهو قدرنا او خلقنا كما قال انا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر او قدرنا كل شيء
 خلقناه بقدر وانما قلنا انه معلوم لان قوله ذلكم الله ربكم خالق كل شيء دل عليه وقوله
 وكل شيء عنده بمقدار دل على انه قدر وحيث لا يكون في الآية دلالة على بطلان قول
 المعتزلي وانما يدل على بطلان قوله الله خالق كل شيء واما على القراءة الثانية وهي الرفع
 فنقول جاز ان يكون كل شيء مبتدا او خلقناه بقدر خبره وحيث تكون الحجة قائمة عليهم
 بالرفع وجهه وقوله كل شيء نكرة فلا يصلح مبتدا ضعيف لان قوله كل شيء عم الاشياء كلها
 باسمها وليس فيه المحدور الذي في قولنا رجل قائم لانه لا يفيد فائدة ظاهرة وقوله كل شيء
 يقيد ما يفيد زيد خلقناه وعمرو خلقناه مع زيادة فائدة ولهذا يجوز ما احدث خبر منك
 لانه أفاد العموم ولم يحسن قول القائل أحد خير منك حيث لم يفد العموم (المسئلة
 الثالثة) ما معنى القدر قلنا فيه وجوه (أحدها) التقدير كما قال تعالى وكل شيء عنده بمقدار
 وعلى هذا فكل شيء مقدر في ذاته وفي صفاته أما المقدر في الذات فالجسم وذلك ظاهر فيه
 وكذلك القائم بالجسم من المحسوسات كالبياض والسواد واما الجوهر الفرد لا مقدار
 له والقائم بالجوهر لا مقدار له بمعنى الاستداد كالعلم والجهل وغيرهما فنقول ههنا

مقادير لا يعنى الامتداد اما الجوهر الفرد فان الاثنين منه اصغر من الثلاثة ولو لا ان له حجما يزداد به الامتداد والاملاحصل دون الاحتداد فيه واما القائم بالجوهر فله نهاية وبداية فمقدار العلوم الحادثة والقدر المخلوقة متناهية واما الصفة فلان لكل شى ابتدئ زمانا فله مقدار في البقاء لكون كل شى سادنا فان قيل الله تعالى وصف به ولا مقدار له ولا ابتداء لوجوده نقول المتكلم اذا كان موصوفا بصفة او مسمى باسم ثم ذكر الاشياء المسماة بذلك الاسم والاشياء الموصوفة بتلك الصفة واسند فعلا من افعاله اليه يخرج هو عنه كما يقول القائل رأيت شيئا في هذا البيت فرأيتهم كلهم اكرمى وبقول ما في هذا البيت احدا الا وضربى او ضربته يخرج هو عنه لانه مقدم كونه مقتضى الاسم بل بما في التكميل من الدليل على خروجه عن الارادة فكذلك قوله خلقناه وخالق كل شى يخرج عنه لا بطريق التخصص بل بطريق الحقيقة اذا قلنا ان التركيب وضعى فان هذا التركيب لم يوضع حينئذ الا لغير المتكلم (ثانيهما) القدر التقدير قال الله تعالى فقد رنا نفخ القادرون وقال الشاعر وقد قدر الرحمن ما هو قادر على قدر ما هو مقدر وعلى هذا فالعنى ان الله تعالى لم يخلق شيئا من غير تقدير كما يرى من الرأى السهم فيقع في موضع لم يكن قد قدره بل خلق الله كما قدر بخلاف قول الفلاسفة انه فاعل لذاته والاختلاف للقوابل فالذى جاء قصيرا او صغيرا فلا استعداد مادته والذى جاء طويلا وكبيرا فلا استعداد آخر فقال بالى كل شى خلقناه بقدرنا فالصغير جاز ان يكون كبيرا والكبير جاز خلقه صغيرا (الثالث) بقدر هو ما يقال مع القضاء يقال بقضاء الله وقدره وقالت الفلاسفة في القدر الذى مع القضاء ان ما يقصد اليه فقضاء وما يلزمه فقدر فيقولون خالق النار حارة بقضاء وهو مقضى به لانها ينبغي ان تكون كذلك لكن من لوازمها انها اذا علمت بقطن عجوز او وقعت في قصب صعلوك تحرقه فهو بقدره لا بقضاء وهو كلام فاسد بل القضاء ما في العلم والقدر ما في الارادة فتوله كل شى خلقناه بقدر اى بقدره مع ارادته لا على ما يقولون انه موجب ردا على المشركين ثم قال تعالى (وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر) اى الا كلمة واحدة وهو قوله له كن هذا هو المشهور الظاهر وعلى هذا فانه اذا اراد شيئا قل له كن فهناك شيان الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة يحتمل امرين (أحدهما) بيان انه لا حاجة الى تكرير القول اشارة الى نفاذ الامر (ثانيهما) بيان عدم اختلاف الحال فامر عند خلق العرش العظيم كما امر عند خلق النمل الصغير فامر عند الكل واحد وقوله كلمح بالبصر تشبيه الكون لانتشيد الامر فكانه قال امرنا واحدة فان المأمور كأن كلمح بالبصر لانه لو كان راجعا الى الامر لا يكون ذلك صفة مدح يليق به فان كلمة كن شى ايضا يوجد كلمح بالبصر هذا هو التفسير الظاهر المشهور وفيه وجه ظاهر ذهب اليه الحكماء وهى ان مقدرات الله تعالى هى الممكنات يوجد بها قدرته وفي عدمها خلاف لا يليق بيانه بهذا الموضع اطوله لالسبب غيره ثم ان الممكنات التى

(وما امرنا الا واحدة) اى كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الافة واحدة هو الابداع بلا معالجة (كلمح بالبصر) فى الامر والسرعة وقبل معناه قوله تعالى وما امر الساعى الا كلمح بالبصر

بوجودها الله تعالى قسمان (أحدهما) أمور لها اجزاء ملثمة عند انشائها يتم وجودها
 كالإنسان والحيوان والاجسام النباتية المعدنية وكذلك الاركان الاربعية والسعوات
 وسائر الاجسام وسائر ما يقوم بالاجسام من الاعراض فهي كلها مقسومة وحوادث
 فانما جزاءها توجد اولاً ثم يوجد فيها التركيب والالتصام بعينها فغيرها تنظير الى
 الاجزاء والتركيب والاعراض (وثانيهما) أمور ليس لها اجزاء ومفاصل ومقادير
 امتدادية وهي الارواح الشريفة المنورة بالاجسام وقد أثبتتها جميع الفلاسفة الاقليلا
 منهم ووافقهم جمع من المتكلمين وقطع بها كثير من لهؤلاء اصحاب الرياضات وأرباب
 المجاهدات فذلك الامور وجودها واحداً ليس يوجد ولا اجزاء وثانياً يتحقق تلك الاجزاء
 بخلاف الاجسام والاعراض القائمة بها اذا عرفت هذا قالوا الاجسام خلقية قدرية
 والارواح ابداعية أمرية وقالوا اليه الاشارة بقوله تعالى أله الخلق والامر فالخلق في
 الاجسام والامر في الارواح ثم قالوا لا ينبغي أن يظن بهذا الكلام انه على خلاف
 الاخبار فانه صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله العقل وروى عنه عليه السلام أنه قال
 خلق الله الارواح قبل الاجسام بالثاني عام وقال تعالى الله خالق كل شيء فخلق الله اسطقس على
 ايجاد الارواح والعقل لان اطلاق الخلق على ما يطلق عليه الامر جائز وان العالم بالكلية
 حادث واطلاق الخلق بمعنى الاحداث جائز وان كان في حقيقة الخلق تقدير في أصل
 اللغة ولا كذلك في الاحداث واول الفرق بين العبارتين والاستفهام الفلسفي من أن
 يقول الخلق قديم كما يستفهم من أن يقول المحدث قديم فاذن قوله صلى الله عليه وسلم
 خلق الارواح بمعنى أحسنها بامر وفي هذا الامتداد فائدة عظيمة وهي أنه صلى الله
 عليه وسلم اوضح العبارة وقال في الارواح انها موجودة بالامر والاجسام بالخلق اظن
 الذي لم يرزقه الله العلم الكثير أن الروح ليست بمخلوقة بمعنى ليست بمحدثة فكان يضل والشي
 صلى الله عليه وسلم بمسرحة وقالوا اذا نظرت الى قوله تعالى وبأولئك عن الروح قل
 الروح من أمر ربي والى قوله تعالى خلق السموات والارض في ستة أيام والى قوله تعالى
 خلقنا النطفة خلقاً فخلقنا العاقبة مضغة فخلقنا المضغة عظماً ما تجددت تفاوت بين الامر
 والخلق والارواح والاشباح حيث جعل الخلق لبعض الاجسام زماناً ممتداً هو ستة أيام
 وجعل لبعضها تراخياً وترتيباً بقوله ثم خلقنا وبقوله فخلقنا ولم يجعل للروح ذلك ثم قالوا
 ينبغي أن لا يظن بقولنا هذا ان الاجسام لا بد لها من زمان ممتدو أيام حتى يوجدها الله
 تعالى فيه بل الله مختار ان أراد خلق السموات والارض والإنسان والدواب والشجر
 والنبات في أسرع من لمح البصر خلقها كذلك ولكن مع هذا لا يخرج عن كونها
 موجودات حصلت لها اجزاء ووجود اجزائها قبل وجود التركيب فيها ووجودها بعد
 وجود الاجزاء والتركيب فيها فهي ستة ثلاثة في ثلاثة كما يخلق الله الكسرة والانكسار
 في زمان واحد ولهما ترتيب عقلي فالجسم اذن كيفما فرضت خلقه ففيه تقدير ووجودات

كلها بإيجاد الله على الترتيب والروح لها وجود واحد بإيجاد الله تعالى هذا قولهم
 ولقد كرمان في الخلق والامر من الوجوه المنقولة والمعقولة (أحدها) ما ذكرنا أن الامر هو
 كلمة كن والخلق هو ما بالقدرة والارادة (ثانيها) ما ذكرنا في الاجسام ان منها الارواح
 (ثالثها) هو ان الله له قدرة في الابدان واردة بها التخصيص وذلك لان المحدث له وجود
 مختص بزمان وله مقدار معين فوجوده بالقدرة واختصاصه بالزمان بالارادة فالذي بقدرته
 خلق والذي بالارادة امر حيث يخصصه بامر زمان ويبدل عليه المنقول والمعقول
 أما المنقول فقوله تعالى اذ قال شيء شيء ان يقول له كن فيكون جعل كن تعلق الارادة واعلم ان
 المراد من كن ليس هو الحرف والكلمة التي من الكاف والنون لان الحصول أسرع من كلمة
 كن اذا جعلتها على حقيقة اللفظ فان الكاف والنون لا يوجد من متكلم واحد الاصل
 الترتيب ففي كن لفظ زمان والكون بعده بدليل قوله تعالى فيكون بالغاء فاذا كان المراد
 بكن حقيقة الحرف والصوت لكان الحصول بعده زمان وليس كذلك فان قال قائل
 يمكن ان يوجد الحرفان معا وليس كلام الله تعالى ككلامنا يحتاج الى الزمان قلنا قد جعل
 له معنى غير ما نفهمه من اللفظ واما المعقول فلان الاختصاص بالزمان ليس بمعنى وعلة
 وان كان بعض الناس ذهب الى أن الخلق والابدان الحكمة وقال بان الله خلق الارض
 لتكون مقر للناس أو مثل هذا من الحكم ولم يمكنه أن يقول خلق الارض في الزمان
 المخصوص لتكون مقر لهم لانه لو خلقها في غير ذلك لكانت أيضا مقر لهم فاذا
 التخصيص ليس بمعنى فهو لمحض الحكمة فهو يشبه أمر الملك الجبار الذي يأمر ولا يقال
 له لم أمرت ولم فعلت ولا يعلم مقصود الأمر الامنة (رابعها) هو ان الاشياء المخلوقة
 لا تنفك عن اوصاف ثلاثة وعن وصفين متقابلين مثاله الجسم لا بد له بعد خلقه ان يكون
 متغيرا ولا بد له من ان يكون ساكنا أو متحركا فإيجاد اول المخلوق وما هو عليه بامر به
 عليه قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام الى ان قال
 مسخرات بأمره فبجعل ما لها بعد خلقها من الحركة والسكون وغيرهما بأمره ويبدل
 عليه قوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فاقبل ثم قال
 ادبر فادبر جعل الخلق في الحقيقة والامر في الوصف وكذلك قوله تعالى خلق السموات
 والارض وما بينهما في ستة أيام ثم قال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه
 في يوم كان مقداره وقد ذكرنا تفسيره (خامسها) المخاوفات الله تعالى على قسمين (أحدهما)
 خلقه الله تعالى في أسرع ما يكون كالعقل وغيره (وثانيهما) خلقه بهلة كالسموات
 والانسان والحيوان والنبات فالخلق يمر بها اطلاق عليه الامر والمخاوف بهلة اطلاق
 عليه الخلق وهذا مثل الوجه الثاني (سادسها) ما قاله فخر الدين الرازي في تفسيره قوله
 تعالى فقال لها وللارض انبيا طوعا أو كرها وهو ان الخلق هو التقدير والابدان بعده
 بعدية ترتيبية لازمانية ففي علم الله تعالى ان السموات تكون سبع سموات في يومين

تقديرية فهو قدر خلقه كإله وهو إيجاد فالاول خلق والثاني وهو اليجاد أمر وأخذ
هذا من المفهوم الغوي قال الشاعر * وبعض الناس يخلق ثم لا يفري * أي يقدر
ولا يقطع ولا يفصل كالجياط الذي يقدر أو لاو يقطع ثانيا وهو قريب الى اللغة لكنه
بعيد الاستعمال في القرآن لان الله تعالى حيث ذكر الخلق أراد اليجاد متدقوله تعالى
واثن سألهم من خالق ومنه قوله تعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة وليس المراد
انا قدرنا انه سوجد منها الى غير ذلك (سابعها) الخلق هو اليجاد ابتداء والامر هو ما به
الاعادة فان الله خلق الخلق أو لا بمهلة ثم يوم اقيامة بيننا يوم في اسرع من لحظة فيكون
قوله وما أمرنا الا واحدة كقوله تعالى فانا هي زجره واحدة وقوله صحيحة واحدة
ونفخة واحدة وعلى هذا فقوله انا كل شيء خلقناه بقدر اشارة الى الوحدة وقوله تعالى
وما أمرنا الا واحدة اشارة الى الحشر فكأنه بين الاصل الاول والاصل الآخر بالآيات
(ثامنها) اليجاد خلق والاعداد أمر يعني يقول للملائكة الغلاظ الشداد اهلوا
واقبلوا فلا يصون الله ما أمرهم ولا يوفون الامتثال على اعادة الامر مرة أخرى
فامر مرة واحدة بعقوبة العدم والهلاك (وفيه الفية) وهي ان الله تعالى جعل اليجاد
الذي هو من الرحمة بيده والهلاك يسلم عليه رسله وملائكته وجعل الموت بيد ملك
الموت ولم يجعل الحياة بيد ملك وهذا مناسبا لهذا الموضع لانه بين التهمة بقوله انا كل شيء
خلقناه بقدر وبين قدرته على التهمة فقال وما أمرنا الا واحدة وانا على زهارة بما قدرون
وهو كقوله اذا جاء أمرنا وفار التنور عذب العذاب وقوله تعالى فلما جاء أمرنا نجيا اصالحا
وقوله تعالى فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وكاد في هذه الحكايات العذاب يلفظ
الامر وبين الهلاك به كذلك ههنا ولا سيما اذا نظرت الى ما تقدم من الحكايات
ووجدتها عين تلك الحكايات تقوى هذا القول وكذلك قوله تعالى ولقد اهلكنا أشياصكم
فهل من مدكر يدل على صحة هذا القول (ثانيها) في معنى اللعج بالبصر وجهان
(أحدهما) النظر بالعين يقال لحنه ببصري كما يقال نظرت اليه بعيني والباء حيث لا يذكر
في الآلات فيقال كذبت بالعلم واختار هذا المثال لان النظر بالعين أسرع حركة توجد
في الانسان لان العين وجد فيها امور تعين على سرعة الحركة (أحدها) قرب المحرك منها
فان المحرك العصبية ومنبتها الدماغ والعين في غاية القرب منه (ثانيها) صغر حجمها فانها
لا تعصى على المحرك ولا تنقل عليه بخلاف المظالم (ثالثها) استدارة شكلها فان درجة
الكرة أسهل من درجة المربع والمثلث (رابعها) كونها في رطوبة مخلوقة في العضو
الذي هو موضعها وهذه الحكمة في أن الرئيات في غاية الكثرة بخلاف الماكولات
والمجموعات والمقاصد التي تقصد بالارجل والمفوقات فلولا سرعة حركة الأكلة التي
بها ادراك البصرات لما وصل الى الكلى الابد طول زمان (وثانيهما) اللعج بالبصر
معناه البرق يخطف بالبصر ويمر به سر وما وأباه حينئذ للاصاق لا الاستعانة كقوله

سررت به وذلك في غاية السرعة وقوله بالبصر فيه فائدة وهي غاية السرعة فانه لو قال كلحج
 البرق حين برق وينتدى حركته من مكان وينتهي الى مكان آخر في أقل زمان يفرض
 الصبح لكن مع هذا فاقدر الذي مروره يكون بالبصر أقل من الذي يكون من مبتداه الى
 انتهاء فقال كلحج لا تقبل عن المبدأ الى المنتهى بل القدر الذي يمر بالبصر وهو في غاية
 القلة ونهاية السرعة * ثم قال تعالى (ولقد اهلكنا اشياءكم فهل من مذكر) والاشباع
 الاشكال وقد ذكرنا ان هذا يدل على ان قوله وما أمرنا الا واحدة تهديد بالهلاك والثاني
 ظاهر * وقوله تعالى (وكل شئ فعلوه في الزبر) اشارة الى ان الامر غير مقتصر على
 اهلاكهم بل الاهلاك هو العاجل والعذاب الآجل الذي هو معد لهم على ما فعلوه
 مكتوب عليهم والزبر هي كتب الكتابة الذين قال تعالى فيهم كلابل تكذبون بالدين وان
 صلحكم لحافظين كراما كاتبين وفعلوه صفة شئ والتكرة توصف بالجل * وقوله تعالى
 (وكل صغير وكبير مستطر) نعميم للحكم أي ليست الكتابة مقتصرة على ما فعلوه بل
 ما فعله غيرهم أيضا مسطور فلا يخرج عن الكتب صغيرة ولا كبيرة وقد ذكرنا في قوله تعالى
 لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب
 ان قوله أكبر فائدة عظيمة وهي ان من يكتب حساب انسان فانما يكتبه في غالب الامر
 ثلاثين فاذا جاء الجملة العظيمة التي يأمن نسيانها بما يترك كتابتها وبشغل يكتبها
 ما يخاف نسيانها فلما قال ولا أكبر من ذلك أشار الى الامور العظام التي يؤمن من نسيانها
 انها مكتوبة أي ليست كتابتنا مثل كتابتكم التي يكون المقصود منها الامن من النسيان
 فكذلك نقول ههنا وفي قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يعاد صغيرة ولا كبيرة الأحصاها
 وفي جميع هذه المواضع قدم الصغيرة لانها أبقى بالثبوت عند الكتابة فيبشدي بها حفظا
 عن النسيان في عادة الخلق فاجرى الله الذكر على عادةهم وهذا يؤيد ما ذكرنا من قبل
 ان كلا وان كان زكرة يحسن الابتداء به للعموم وعدم الإبهام * ثم قال تعالى (ان المتقين
 في جنات ونهر) قد ذكرنا تفسير المتقين والجنات في سور منها الطور وأما النهر
 ففيه قرأت فتح النون والهواء كعجر وهو اسم جنس ويقوم مقام الانهار وهذا هو الظاهر
 الاصح * وفيه مسائل (المسئلة الاولى) لاشك ان كمال اللذة بالبستان ان يكون الانسان
 فيه وليس من اللذة بالنهر ان يكون الانسان فيه بل لذته بان يكون في الجنة عند النهر فما
 معنى قوله تعالى ونهر نقول قد أجبتنا عن هذا في تفسير قوله تعالى ان المتقين في جنات
 وعيون في سورة الذاريات وقلنا المراد في خلال العيون وفيما بينها من المكان وكذلك
 في جنات لان الجنة هي الاشجار التي تستشعاع الشمس ولهذا قال تعالى في ظلال وعيون
 واذا كانت الجنة هي الاشجار الساترة فالانسان لا يكون في الاشجار وانما يكون بينها
 أو في خلالها فكذلك النهر (وتزدهم نارجها آخر) وهو ان المراد في جنات وعند نهر
 تكون المجاورة تحسن اطلاق اللفظ الذي لا يحسن اطلاقه عند عدم المجاورة كما قال

يقدا اهلكنا اشياءكم
 في اشباهكم في الكفر
 من الامم وقيل اباكم
 فهل من مذكر) تعظ
 ذلك (وكل شئ فعلوه)
 من الكفر والمعاصي
 مكتوب على التفصيل
 (في الزبر) أي في ديوان
 الحفظ (وكل صغير
 وكبير) من الاعمال
 (مستطر) مسطور
 في اللوح المحفوظ
 بتفاصيله ولما كان بيان
 سوء حال الكفرة بقوله
 تعالى ان المجرمين الخ
 مما يستدعي بيان حسن
 حال المؤمنين ليتكافأ
 الترهيب والترغيب بين
 ما لهم من حسن الحال
 بطريق الاجمال قبل
 (ان المتقين) أي من
 الكفر والمعاصي
 (في جنات) عظيمة
 الشأن (ونهر) أي
 أنهار كذلك والافراد
 الاكفاء باسم الجنس
 مراعاة للفواصل وقري
 نهر جمع نهر كاسد وأسد

صلتها اثنا وما باردا وقالوا تغلقت سيفاور محاور الماء لا يعلف والريح لا يتقلد ولكن للمجاورة
 النين والسيف حسن الاطلاق فكذلك هنا لم يأت في الثاني بما أتى به في الاول من كلمة في
 (المسئلة الثانية) وحد النهر مع جم الجنات وجم الانهار في كثير من المواضع كافي قوله
 تعالى تجرى من تحتها الانهار الى غيره من المواضع فما الحكمة فيه تقول أما على الجواب
 الاول فتقول لما بين ان معنى في نهر في خلال فلم يكن السامع حاجة الى سماع الانهار لعله
 بان النهر الواحد لا يكون له خلال وأما في قوله تعالى تجرى من تحتها الانهار فلو لم يجمع
 الانهار لجاز ان يفهم ان في الجنات كلها انهارا واحدا كما في الدنيا فقد يكون نهر واحد يمتد
 جار في جنات كثيرة وأسأل على الثاني فتقول الانسان يكون في جنات لا يابئنا ان الجمع في
 في جنات اشارة الى سميتها وكثرة اشجارها وتنوعها والتوحيد عند ما قال مثل الحق وقال
 ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة لا اتصال اشجارها وعدم
 وقوع القبعان الحربية بينها واذا علمت هذا فالانسان في الدنيا اذا كان في بيت في دار وتلك
 الدار في محله وتلك المحلة في مدينة يقال انه في بلدة كذا وأما القرب فاذا كان الانسان
 في الدنيا بين نهرين بحيث يكون قرب به منهما على الدوام يقال انه جالس عند نهرين فاذا
 قرب من أحدهما يقال هو عند احد النهرين دون الآخر لكن في دار الدنيا لا يمكن أن
 يكون عند ثلاثة انهار وانما يمكن أن يكون عند نهرين والثالث منه أبعد من النهرين
 فهو في الحقيقة ليس يكون في زمان واحد عند انهار والله تعالى يذكر امر الآخرة على
 ما تفهمه في الدنيا فقال عند نهر لما بينان قوله ونهر وان كان يقتضى في نهر لكن ذلك
 للمجاورة كما تغلقت سيفاور محاور وأما قوله تجرى من تحتها الانهار فحقيقته مفهومة
 عندنا لان الجنة الواحدة قد تجرى فيها انهار كثيرة أكثر من ثلاثة وأربعة فهذا ما فيه
 مع ان أواخر الآيات يحسن فيها التوحيد دون الجمع ويحتمل أن يقال ونهر التكبير
 للتعظيم وفي الجنة نهر وهو أعظم الانهر وأحسنها وهو الذي من الكور ومن عين
 الرضوان وكان الحصول عنده شرقا وغربا وكل أحد يكون له معه عنده وسائر الانهار
 تجرى في الجنة ويراها أهلها ولا يرون القاعد عندها فقال في جنات ونهر أي تلك النهر
 الذي عنده مقاعد المؤمنين وفي قوله تعالى ان الله مبتليكم بنهر لكونه غير معلوم لهم وفي
 هذا وجه حسن أيضا ولا يحتاج على الوجهين ان نقول نهر في معنى الجمع لكونه اسم جنس
 (المسئلة الثالثة) قال ههنا في نهر وقال في الداريات وعبون فالفرق بينهما تقول انما
 قلنا في نهر معناه في خلال فالانسان يمكن أن يكون في الدنيا في خلال عبون كثيرة تحيط به
 اذا كان على موضع مرتفع من الارض والعبون تنفجر منه وتجرى فتصير كأنها راهند
 الامتداد ولا يمكن أن يكون في خلال انها وانما هي نهران فحسب وأما ان قلنا ان المراد
 عند نهر فكذلك وان قلنا نهر أي عظيم عليه مقاعد فتقول يكون ذلك النهر متندا واصلا
 الى كل واحد له عند مقعده عبون كثيرة تابعة فانه نهر للشريف والعبون للفرج والشمز

مع النهر العظيم يجتمع مع العيون الكثيرة فكان النهر مع وحدته يقوم مقام العيون مع كثرتها وهذا كله مع النظر الى أواخر الآيات ههنا وهناك يحسن ذكر لفظ الواحد ههنا والجمع هناك (المسئلة الرابعة) قرى في جنات ونهر على انها جمع نهارا ذلاليل هناك وعلى هذا فالكلمة في حقيقة فيه عقوله في جنات طرف مكان وقوله ونهر أى وفي نهر اشارة الى طرف زمان وقرى ونهر يسكون الهاء وضم النون على انه جمع نهر كأست في جمع أسد نقله الزمخشري ويحتمل أن يقال نهر بضم الهاء جمع نهر كقري في جمع ثمر * ثم قال تعالى (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وفيه مسائل (المسئلة الاولى) في مقعد صدق كيف يخرجها نقول يحتمل وجهين (أحدهما) ان يكون على صورة بدل كما يقول القائل فلان في بلدة كذا في دار كذا وعلى هذا يكون مقعد من جملة الجنات موضعا مختارا للمزينة على ما في الجنات من المواضع وعلى هذا قوله عند مليك لاننا اذا في احد الوجوه ان المراد من قوله في جنات ونهر في جنات عند نهر فقال في مقعد صدق عند مليك مقتدر ويحتمل أن يقال عند مليك صفة مقعد صدق نقول درهم في ذمة ملي خبير من دينار في ذمة معسر وقليل هندأ من أفضل من كثير عند خاں فيكون صفة والا لما حسن جعله مبتدأ (ثانيها) أن يكون في مقعد صدق كالصفة لجنات ونهر أى في جنات ونهر موصوفين بانهما في مقعد صدق نقول بوقفه في سبيل الله أفضل من كذا وعند مليك صفة بصدفة (المسئلة الثانية) قوله في مقعد صدق يدل على لبث لا يدل عليه المجلس وذلك لان مقعد وجلس ليسا على ما يظن انهما بمعنى واحد لافرق بينهما بل بينهما فرق ولكن لا يظهر الا للبارع والفرق هو أن القعود جلوس فيه مكث حقيقة واقتضاء ويدل عليه وجوه (الاول) هو أن الزمن يسمى مقعدا ولا يسمى بمجلسا الطول المكث حقيقة ومنه سمى قواعد البيت والقواعد من النساء قواعد ولا يقال لهن جواسل لعدم دلالة الجلوس على المكث الطويل فذكر القواعد في الموضوعين لكونه مستقرا بين الدوام واللبث على حالة واحدة ويقال للمركوب من الايل قعود لدوام اقتضاه وان لم يكن حقيقة فهو لصونه من الحمل واتخاذ المركوب كانه وجد فيه نوع قعود دائم اقتضى ذلك ولم ير ذلك الاجلاس (الثاني) النظر الى تقاليد الحروف فانك اذا نظرت الى قمع ودقبتها تجد معنى المكث في الكل فاذا قدمت القاف رأيت قعود وقمع بمعنى ومنه تقاعد الفراش بمعنى نهافت واذا قدمت العين رأيت قعد وصدق بمعنى المكث في غاية الظهور وفي صدق خفاء يقال أصدق يدك الدلو في البئر اذا أمره بطلبه بعد وقعود فيها والعودة خشبة عليها كلاب يخرج معه الدلو الواقع في البئر واذا قدمت الدال رأيت دقع ودحق والمكث في الدقع ظاهر والدقعه هي التراب المنصق بالارض والفقر المدقم هو الذي يلصق صاحبه بالتراب وفي دقع أيضا اذا لدعن مكان تطوء الدواب بجوارها فيكون صلبا جزاؤه متداخل بعضها ببعض لا يتحرك شيء منها عن موضعه (الوجه الثالث) الاستعمالات في القعود اذا اعتبرت ظهر ماذا كرنا قال

(في مقعد صدق) في مكان مرضى و
 في مقاعد صدق (هـ)
 ملك مقتدر (أى مقرب)
 عند مليك لا يقادر قدر
 ملكه وسلطانه فلا شيء
 الا وهو تحت ملكوته
 سبحانه ما أعظم شأنه
 عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من قرأ سورة
 القمر في كل غيب بعثه الله
 تعالى يوم القيامة ووجهه
 مثل القمر ليلة البدر

تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمراد الذي لا يكون بعده اتباع
 وقال تعالى مقاعد القتال معاته تعالى قال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم
 بنيان مرصوص فاستار الى اثبات العظيم وقال تعالى اذا قاتلتم قتلة فاقبوا فاقبوا فاقبوا
 هي المواضع التي يكون فيها المقاتل بذات ومكث واطلاق مقعدة على العوض الذي عليه
 القعود أيضا يدل عليه اذا عرفت هذا الفرق بين الجلوس والقعود وحصل لك فواتد منها هنا
 فانه يدل على دوام المكث وطول اللبث ومنها في قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد فان
 القعيد بمعنى الجلوس والتدبير ثم اذا عرفت هذا وقيل للمفسرين الظاهر من قوله تعالى في
 اختيار لفظ التمهيد بدل لفظ الجلوس مع ان الجلوس أشهر يكون جوابا بهم ان آخر الآيات
 من قوله جبل الوريد ولدي عتيد وقوله تجار عتيد يناسب التمهيد ولا يناسب الجلوس
 واعجاز القرآن ليس في السجع واذا نظرت الى ما ذكرته من فائدة جلية معوية حكيمية في
 وضع اللفظ المناسب لان التمهيد دل على انها لا يفارقانه ويداومان الجلوس معه وهذا
 هو المعجز وذلك لان الشاعر يختار اللفظ الفاسد اضرورة الشعر والسجع ويجعل المعنى
 تبع اللفظ والله تعالى بين الحكمة على ما ينبغي وطا باللفظ على أحسن ما ينبغي وفائدة أخرى
 في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم فاقبوا فاقبوا فاقبوا فاقبوا فاقبوا فاقبوا
 واذا قيل انشروا فانشروا فان قوله فاقبوا فاقبوا فاقبوا فاقبوا فاقبوا فاقبوا فاقبوا فاقبوا
 ترك الجلوس فذكر المجلس اشارة الى أن ذلك موضع جلوس فلا يجب ملازمته وليس
 بمقعدة حتى لا يفارقونه (المسئلة الثالثة) في مقعد صدق وجهان (أحدهما) مقعد صدق
 أي صالح يقال رجل صدق للصالح ورجل سوء للفاسد وقد ذكرناه في سورة النافق فاقبوا
 قوله تعالى وظننتم ظن السوء (وثانيهما) الصدق المراد منه ضد الكذب وعلى هذا
 فقيه وجهان (الاول) مقعد صدق من أخبر عنه وهو الله ورسوله (الثاني) مقعد الله من
 صدق فقال بان الله واحد وأن محمد رسوله ويحتمل أن يقال المراد منه مقعد لا يوجد فيه
 كذب لأن الله تعالى صادق ويستحيل عليه الكذب ومن وصل اليه امتنع عليه الكذب
 لان مظنة الكذب الجهل والواصل اليه يعلم الاشياء كلها ويستغنى بفضل الله عن أن
 يكذب يستفيد بكذبه شيئا فهو مقعد صدق وكلمة عند قد عرفت معناها والمراد منه قرب
 المزية والشان لا قرب المعنى والمكان وقوله تعالى ما ليك مقتدر لان القرية من الملوكة لذينة
 كلما كان الملك أشد اقتدارا كان التقرب منه أشد التناذا وقد اشارة الى مخالفة معنى
 اقرب منه من معنى اقرب من الملوكة فان الملوكة يقربون من يكون ممن محبوبونه ومن
 يرهبونه مخافة أن يعصوا عليه ويحازوا الى عدوه فيغلبونه والله تعالى قال مقتدر لا يقرب
 أحدا الا بفضله والحمد لله وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه وسلامه